العدد ٧٠ السنة السادسة - سبتمبر ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



خمسون عاما من النضال الدامى فى جنوب افريقيا



« رئيس التحرير مع السيد « كماو » رفيق كنياتا فى السجن .. »

نهضـــة افريقيـــة

تهدف هذه المجلة الي :

١ – تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ – التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ – نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى.

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضه افريقية
٢٧ شـارع عبد الخالق ثروت
تليفون ٦٢٢٧٣٤
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيه المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الي : دار اخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا
ثمن العدد ٣ قروش

● ترحب » مجلة نهضة افريقية « بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى ان تكون المقالات التى تنشر فى هده المجلة معبرة عن رايها .



نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

— ١ —

ان الزحف الذى قام به الزنوج الامريكيون يدل على ان انسان هذا العصر قد تغير ، وأن هذا التغير أدرك كل شيء فيه ، ومن كل هذا أصبح لنا انسان جديد ، انسان نعتز به .. انسان لم يولد الا فى هذه الايام !

والعبرة التى تؤخذ من كل هذا ان هؤلاء الزنوج حين فكروا هذا التفكير ، وحين ارتفعوا عن انماط الحرية الجاهزة التى تعد لهم .. كانت من ورائهم ((افريقية المتحررة)) بانطلاقها ، وثوراتها ، وانتصاراتها ، اما ((الافريقية القديمة)) فقد اختفت مع نظرات الاحتقار التى كانت توجه لهم ، فكل شيء الآن جديد فى أفريقية .. كل شيء يتوهج ..

— ٢ —

ان الفكرة الذكية التى قام بها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، والتى تضمنت اقامة ((معسكر صيفى)) بالاسكندرية يضم أبناء الدول الافريقية ، وان المفكرين الذين زاروه ، والعلاقات المضيئة التى ولدت به ، تدل على ((الوعى الصحيح)) الذى يحكم الان كافة التصرفات ، والذى يعمل دائما على تنمية العلاقة بين كافة ابناء القارة .

عبده بدوى

فهرس العدد

خمسون عاما من النضال الدامى فى جنوب افريقية

بقلم محمد عبد العزيز اسحق

فى هذا الوقت الذى توصد فيه الدول الافريقية المستقلة أبوابها — واحدة بعد أخرى — فى وجه الحكومة الفاشستية المسيطرة على جنوب أفريقيا ، وتمنع طائرات ((فيرووردا)) من الهبوط فى مطاراتها أو التحليق فى مجالها الجوى ، وتصفق فى وجهها أبواب الموانى البحرية وتطرد ممثليها من المؤتمرات والمحافل الدولية ..

فى هذه الايام التى يتحول فيها التاريخ الافريقى ويتجه الى طريق الخلاص الكامل من أغلال العبودية وقيود الاستعمار ، نعود الى الذاكرة الى عام مضى ، والى ليلة بالذات كنت فيها طريح الفراش فى غرفة مستشفى بمدينة ((هافانا)) عاصمة ((كوبا)) .

فى تلك الليلة جاءنى زائر عابر من ارض بعيدة ، كان فى طريقه الى نيويورك ، وماكدت اراه حتى تذكرت اين رأيته لاول مرة .. لقد كان ذلك فى «الرابطة الافريقية» بالقاهرة منذ سنوات طويلة .. انه «ماكى» المواطن الافريقى القادم من اقصى الجنوب ، الذى قضى تلك السنوات الطويلة داعية لقضية بلاده فى أنحاء افريقيا واسيا وأوربا وامريكا والذى جاءت به المصادفة البحتة الى تلك الغرفة من مستشفى «انطونيتى» فى مدينة هافانا ..

كان فى يدى عندما دخل « ماكى » كتاب « ديفاليبيه » عن «جنوب افريقيا .. مشكلة مستعصية » فقال لى ضاحكا : اياك أن تصدق هذا المتعصب المخدوع ، انه من سلالة « الهوجونوت » الذين طردهم الشعب الفرنسى نفسه فى القرن السابع عشر فعبر بعضهم المحيط الاطلنطى الى أمريكا وابتلينا نحن ببعضهم فى جنوب افريقيا ..

وقلت له ، متكاسلا عن القراءة .. ولماذا لا تحدثنى انت عن هذه المشكلة المستعصية

وتبسم « ماكى » وهو يقول :

ما أظننى آتيك بجديد ولكننى سوف ((أحكى)) لك قصة المشكلة وموقفنا منها منذ نشأت : أى منذ خمسين عاما ..

واستطرد يقول :

لا بد لنا أن نعود الى الوراء خمسين عاما ، لنرى بدء تكوين اتحاد

جنوب أفريقية ومولده فى عام ١٩١٠ ، فى ٣١ مايو من ذلك العـــام ، أعلن القانون التأسيسى للاتحـاد حرمان الســـكان الافريقيين من حقوقهم السياسية فى مواطنهم التى عاشـوا عليهـا هم وأجدادهم منـــذ آلاف السنين ، وفى ذلك القانون وضعت نواة التفرقة القائمـة على اللون ، وأصـــبح الاهالى ((غير الاوربيين مرغمين على أن يصبحوا مجرد ((أيد عاملة رخيصة)) ..

أما ((جنس السادة)) وهم الذين يزعمون — متفاخرين — انهم سلالة المهاجرين من الهولنديين والفرنسيين ((الهوجونوت)) فى القرن السابع عشر فقد اعتبروا أنفسهم ((حماة الحضارة المســـيحية فى جنوب أفريقيـــا وقرروا ان من واجبهم دفع الخطر الذى يتهدد أسلوب الحياة الاوربى ((الغربى)) ، من جانب ((قطعــان الافريقيين السود)) .

ولم تمض سنتان على هذا الدســـــتور الجائر الذى ينضح بالتعصب الاعمى ، حتى انشأ الاهالى الافريقيون — فى عام ١٩١٢ — « المؤتمر الافريقى الوطنى » الذى وحـــد صفوف الوطنيين فى وجه دعاة التفـــرقة العنصرية ..

وبعد سنة واحدة من تأسيس المؤتمر ، اى فى عام ١٩١٣ صدر «قانون الاراضى» الذى دفع الناس اكثر — بفضل بشاعته — للالتفاف حول المنظمة الوطنية الوحيدة الوليدة

كان ذلك القانون — من الناحية العملية — يحرم على الافريقيين شراء الاراضى

لقد خصص القانون ٨٨ فى المائة من الاراضى « وهى المساحة الخصبة السهلة الرى الغنية بالمناجم » للسكان الاوربيين البالغ عددهم بلاثة ملايين وتترك الباقى وهو ١٢ فى المائة « من الاراضى القاحلة التى تدخل فى نطاقها صحراء كلها رى » لـ ١٢ مليون افريقى .

وقد حدثت نتيجة لذلك فوضى اجتماعية واقتصادية لا مثيل لها

فقد اضطرت ملايين الافريقيين المتعطشة للمراعى والاراضى الزراعية للتزاحم — مخالفين للقانون — فوق مساحات «يملكها» الاوربيون والجأ الاوربيون ، لطردهم بقـــوة الدولة مستخدمين الحديد والنار

واضطر هؤلاء التعساء ان يهاجروا بعد ان باعوا قطعان ماشيتهم للمستوطنين البيض بابخس الاثمان ، وبعد ان هاموا على وجوههم فى البرارى اضطروا — لكى يحصلوا على اللقمة الجافة ان يتهافتوا على العمل لقاء دريهمات معدودة ، فى الاراضى التى كانوا يملكونهـــا واصبحوا مجرد «اجراء» لدى الســـــــادة المستوطنين ..

وان «الادب الشعبى» الذى يحكيه الرواة الان — على مصابيح الغاز — فى « ناتال » و «الترنسفال» .. ملىء بالاقاصيص المفجعة عن أهوال تلك الفترة التى انتزع فيها الاهالى السود من اراضيهم فتشردوا مع مواشيهم وطوردوا من مكان الى اخر حتى تعذر عليهم ان يدفنوا موتاهم فكانوا يتركونهم فى العراء ويحاولون النجاة بجلودهم من سياط مبعوثى الحضارة الاوربية »

وجاءت الحرب العالمية الاولى — عام ١٩١٤ — والافريقيون فى ظلام اليأس ، ومع ذلك فقد اشفق الكثيرون منهم على بريطانيا العظمى ، فى محنتها وتطوعوا جنودا فى قواتها المسلحة واظهروا الولاء الكامل «للحلفاء» وسقط منهم مئات القتلى ، وسالت دماؤهم فى ميادين القتال على ارض فرنسا وارسلت الغواصات الالمانية مئات اخرين الى قاع المحيط الاطلنطى وترقب اهاليهم فى الجنوب نهاية الحرب ، وفاز «الحلفاء» فماذا كانت نتيجة التضحيات ؟

لقد تنكرت بريطانيا « العظمى » وخلفاؤها لمن بذلوا دماءهم فى سبيل انتصارها ، ولم يستسلم الوطنيون الافريقيون لليأس

ففى يناير عام ١٩١٩ أسس الافريقيون فى «مدينة الرأس» نقابة ، «عمال الصـــناعة والتجارة» وكان أول اعمالها تنظيم اضراب

ناجح على ارصفة الميناء اشترك فيه ثمانية الاف عامل ، ولجأت الحكومة - كالعادة - الى انهاء الاضراب بالعنف والقسوة ،ولكن الافريقيين جربوا - بالفعل - كيف يكون الاتحاد قوة

وفى يوليو عام ١٩٢٠ عقد العمال الافريقيون اول مؤتمر شامل فى مدينة «بلوم فونتين» وفى اكتوبر من نفس العام ،اوقفت الشرطة زعيمهم « ماسابالالا » فتظاهروا مطالبين باطلاق سراحهم ، ففتحت الشرطة «البيضاء» نيران بنادقها على العمال وقتلت منهم ثلاثة وعشرين وأصيب بالرصاص مئات اخرون

وفى عام ١٩٢١ واصلت حكومة « الجنرال سمطس » تقاليد العنف والهمجية ، فحصد جنودها جموعا من المتظاهرين فى «كوينزتاون» بالمدافع الرشاشة وكانهم جموع من الجراد لا من البشر ..

وفى عام ١٩٢٢ حدثت «مجزرة» اخرى فى «بوندل سوارت» وامعنت الحكومة - من الناحية الاخرى - فى اصدار قوانين القمع والتفرقة العنصرية ، وكان منها ثلاثة صدرت عام ٩١٢٣ ، هى :

قانون المناطق السكنية .
وقانون التفرقة على أساس اللون
وقانون الادارة المحلية للافريقيين

وزاد الشعور بالمحنة بين الوطنيين مما جعلهم يتهافتون لتأييد «اتحاد العمال» ، وزاد عدد المنضمين لعضويته حتى وصل الى مائة الف عضو فى عام ١٩٢٦ .

وفى هذه المرحلة حدثت نكسة فى صفوف الوطنيين اذ اختلف «اتحاد العمال» معمنظمة «المؤتمر الوطنى الافريقى» وكان من نتيجة ذلك ، ان وجه العمال انفسهم - وجها لوجه - امام مخدميهم فى حين انشغل زعماؤهم بالتزاحم على المناصب وانمهكوا فى مناقشات بيروقراطية عقيمة .

وقد زاد فى محنة الحركة النقابية الافريقية صدور قوانين جديدة متتابعة « لتنظيم » شئون العمال ، وكان منها « قانون التحكيم » و « قانون النظام فى المصانع » الذى جرد العمال تجريدا كاملا من جميع الحقوق السياسية ، ثم جاء قانون « تنظيم شئون الاهالى (الافريقيين) » الذى جعل من المواطن الافريقى مجرد « اجنبى » يعيش فى جنوب افريقيا ..

فان هذا القانون « الديمقراطى » منح الافريقى حق الانتخاب ، على أن يكون المرشح للبرلمان « سيدا » من البيض .. !

أما قانون « تنظيم شئون العمال » فكان - فى الواقع - تنظيما للسخرة ، أو « العمل بالاكراه » ، فقد جعل عملية « التعاقد » وشروط القيام بالعمل وانهائه وتقدير الاجر للبرلمان « سيدا » من البيض ..!

وهكذا أصبح العامل الافريقى لا يستطيع أن يبيع « قوة ساعده » بالسعر الذى يناسبه .. !

ولم يلبث الشعب الافريقى أن تنبه لضرورة التجمع لمواجهة الامواج المتتابعة من القوانين الجائرة وكان من اثر ذلك اجتماع خمسمائة مندوب من المنظمات العمالية والوطنية فى « بلوم فونتين » عام ١٩٣٦ ، لتكوين « مجلس الوحدة الافريقية » وأصدروا فى ذلك الاجتماع قرارا بالاعتراض على تلك القوانين ..

ولاحظت حكومة المستوطنين ما يمكن ان ينجم عن اتحاد كلمة الوطنيين الافريقيين فلجأت الى الخديعة وأعلنت فى الصحف (التى يحتكرها الناشرون البيض) انها توصلت الى اتفاق مع زعماء العمال ومع القادة الوطنيين على ترشيح عدد من « البيض » المعتدلين ليمثلوا السود فى البرلمان ، وفتحت فورا قوائم الترشيح وسادت الفوضى فى صفوف الشعب الافريقى ، وانقسمت الصفوف من جديد ، وتكون « برلمان » مزيف ، ليس فيه - بحكم القانون - افريقى واحد .. .

وفى عام ١٩٤٣ جاءت موجة وطنية جديدة فانعقد مؤتمر وطنى فى « بلوم فونتين » تمخض عن مولد « الحركة الوطنية لغير الاوربيين » التى أعلنت برنامجا من عشر بنود لتحقيق الامانى الوطنية ..

وتتلخص تلك البنود في المطالبة بحق الانتخاب والترشيح وبالتعليم الالزامي المجاني ، واحترام الحرية الشخصية ، وحرية التعبير وحرية الانتقال وحرية اختيار العمل والمساواة التامة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، واعادة النظر في قوانين الاراضي وفي القانون المدني والقانون الجنائي ونظام الضرائب .

وفي عام ١٩٤٨ تولت الحكم وزارة من « الحزب الوطني » (الاوربي) وجاء فيها « الدكتور فيرفورد » وزيرا لشئون الاهالي الافريقيين ، وهي الشئون التي كان يتركز حولها النضال السياسي في بلادنا ، وهذا هو ما جعل « الدكتور فيرفورد » يسيطر على الحياة السياسية في جنوب افريقيا من عام ١٩٤٨ .

وكان اول ما فعله « فيرفورد » ان قدم للبرلمان قانون « سلطات البانتو » وقانون « تعليم البانتو » .. وكان يهدف بذلك الى تمكين النظام القبائلي بين الافريقيين من جهة والى جعل المدارس وسيلة لزرع تعاليم التفرقة العنصرية من جهة أخرى ..

وهكذا اصبح لكل قبيلة من « الزولو » أو « السوتو » مدارسها الخاصة ، وصار الطلبة السود في مدارس « مساعدي الاطباء » لا يستطيعون ان يلمسوا « جثة » رجل ابيض وحرم الاطفال الافريقيون من دراسة « الرياضيات » لانهم ، كما قال « الدكتور » فيرفورد ، لن يجدوا الغرض لتطبيقها في حياتهم العملية ..

ويمر بنا الزمن ، ويأتي عام ١٩٥٨ وقد تركزت في الافق السياسي ثلاثة احداث هامة

قضية الخيانة العظمى .
واعتقال مئات من أهل ((ترانسكاي))
وتولى فيرفورد رئاسة الحكومة .

ففي قضية الخيانة ، لفقت « الشرطة البيضاء » تهمة « قلب نظام الحكم » لمائة وخمسين وطنيا (وبضعة افراد من المتحررين البيض) والقت بهم في السجن ، بعد ان انتزعتهم من فراشهم في منتصف الليل وتركت وراءهم زوجاتهم واطفالهم الذين لم يروهم بعد ذلك الا بعد سنوات طويلة قضاها « المتهمون » في السجن في انتظار المحاكمة التي اسفرت عن البراءة ..!

وكان الحديث الثاني اعتقال اكثر من مائتي افريقي في اقليم « ترانسكاي » بتهمة « القتل » و «اشعال الحرائق» و «التحريض على استخدام العنف » وقد ظل هؤلاء « المتهمون » ايضا في السجن بضع سنوات ثم افرج عنهم بغير محاكمة ..

اما الحدث الثالث وهو تعيين الدكتور فيرفورد رئيسا للحكومة فقد كان يعني الامعان الى آخر شوط في سياسة التمييز والتفرقة

فقد أعلن في عام ١٩٦٢ ، عزمه على منح يركز كل جهده لانشاء « الجمهورية البيضاء » و « جمهورية البوير » ، « جمهورية المؤمنين بالله .. ! » ، « الجمهورية التي تهدف الى حماية الحضارة المسيحية في أعماق القارة السوداء ... » .

ولم تمض سنتان على رئاسة « فيرفورد » للحكومة حتى جمع « مؤتمر الوحدة الافريقية صنوفه » وقام بحركة « احراق لــوازات المرور » التي تطورت فيما بعد وأدت الى الصدام الدامي في « شاربفيل » والتي لفتت انظار العالم المتمدن الى الاساليب الوحشية « الاوربية » في جنوب افريقيا ، ودفعت بقضية التفرقة العنصرية الى مسرح الامم المتحدة في نيويورك .

ولم يتوقف الدكتور « فيرفورد » أزاء ذلك عن المناورة .

فقد أعلن في عام ١٩٦٢ ، عزمه على منح اقليم « ترانسكاي » المخصص للسود ، استقلالا ذاتيا تمهيدا لاستقلاله التام « اذا أراد .. ! » ، واردف ذلك بتكوين « برلمان » صوري في ذلك الاقليم ..

وفي نفس الوقت ، اتخذ « فيرفود » تدابير قانونية وقائية جديدة لتدعيم السيطرة البيضاء في جنوب افريقيا ..

فقد اصدر « قانون التخريب » و « قانون الرقابة » اللذين يجمعان من دلائل القسوة والقرابة ما لا مثيل له في أي بلد متمدن .

فالتخريب الذى ينص عليه قانون فيرفورد قد يعنى « قطع سلك كهربائى » ، وقد يعنى « تفريغ عجلة سيارة من الهواء » ..

والعقوبة التى يتعرض لها « المخـرب » تتراوح بين الـسجن خمس سنوات وبين عقوبة الاعدام .. !

كانت هذه اللمحات من حديث « ماكى » فى هافانا ، منذ عام مضى ، تدور فى خاطـرى وانا أتأمل ما يحدث الآن لحـكومة فيرفورد سواء على أرض القــارة الافريقيــة أو فى المجتمعات والمحافل الدولية ..

فقد توالت فى الاسابيع الاخيرة عمليـات طرد ممثلى تلك الحكومة من اتحاد نقابات العمال الدولية واتحاد المعلمين ومن لجنة الامم المتحدة لشئون افريقيا ، واقتربت اللحظة الحاسمة التى قد تطـرد فيها تلك الحكومة من هيئة الامم المتحدة وتجد نفسها فى موقف « التشرد الدولى » ..

ومنذ شهر واحد ، كانت طــائرات تلك الحكومة تقوم برحلتين كل اسبوع ، عبــر القارة الافريقيــة الى أوروبا ، وكانت تلك الطائرات تهبط للتزود بالوقود والركاب اما فى مطار نيروبى عاصمة كينيا ، واما فى مطار برازافيل عاصمة الكونغو « الفرنسى سابقا »

وبدأت الدول الافريقية تنفــذ قرارات مؤتمر أديس أبابا الخاصة بمنـع طائرات جنـوب أفريقيا من الهبوط فى مطاراتهــا ، ولم ينتظر الوطنيون فى كينيا الى ديسمبر القادم

حين يحصلون على استقلالهم الكامل ، بل عمد وزير الــداخلية ((أوجنجا أودنجا)) الى ايصاد مطار نيروبى فى وجه طائرات ((فيرفورد)) ..

وكان ((الاب يولو)) يمالىء حكومة فيرفورد ويتلكأ فى تنفيــذ قرارات اديس أبابا ، ولكن ثورة برازافيل منذ أسابيع أزاحته من الطريق ، وأغلقت مطارها أمام طائرات جنوب أفريقيا .

وأخذت تلك الطائرات تتهاوى الى المطارات الافريقية وهى توصــد فى وجهها الواحــد تلو الاخر : مطار بنى غازى ومطار الخرطوم ومطـار ((فور لامى)) فى جمهورية تشاد ، وأخيرا مطار ((نيامى)) عاصـــمة جمهورية النيجر ..

ولم يبق امام فيرفورد الا ان يتجه الى ((سالازار)) الذى اذن له بهبوط طائراته فى ((لواندا)) عاصمة انجولا ، وفى احدى جزائر ((الراس الاخضر)) المواجهة لشاطىء المغرب العربى والتى ما تزال تحت سيطرة البرتغال ..

واذا كان ((فيرفورد ((قد وجد له سندا فى ((سالازار)) فان ((سالازار)) نفسه لن يجد ــ عما قريب ــ من يسنده فى أفريقيا ولا فى البرتغال .

((محمد عبد العزيز اسحق))

الحقيقة الاقتصادية والانقلاب الاخير في الكنغو برازافيل

للدكتور راشد البراوي

لم يكن الانقلاب الاخير الذي وقع في الكنغو ـ برازافيل وعصف بالاسقف المستعاد فولبير يولو واطاح بنظام حكمه ، حدثا مفاجئا أو شاذا في نظر الكثيرين من المراقبين الدوليين الذين كانوا يتابعون عن كثب تطورات الامور في هذا البلد الافريقي الصغير الذي لم يتدرج في عداد الدولة المستقلة الا منذ فترة قصيرة وكانت الشرارة التي فجرت السخط الشعبي ما اعتزمه الرجل من الاخذ بنظام الحزب الواحد ، غير أن هذا الامر ـ بالرغم من اهميته بالنسبة الى مستقبل الحكم في البلاد ـ لم يكن في الحقيقة سوى النتيجة المنطقية التي ترتبت على التفاعل االعضوى بين عوامل بعيدة الغور منبعثة من أوضاع الكنغوالاقتصادية وظروفه الاجتماعية وتقلبات سياسته الداخلية والخارجية .

وتبلغ مساحة الكنغو ـ برازافيل « او الكنغو الاوسط كما كان يطلق عليه وهو جزء من افريقية الاستوائية في عهد الاستعمار الفرنسي المباشر » ٣٤٢٫٠٠٠ كيلو متر مربع ويتاخم هذا القطر من ناحية الشمال الكاميرون وجمهورية افريقية الوسطى ، ومن الشمال الغربي جابون ، ويحده من الشرق والجنوب الشرقي الكنغو ـ ليوبولدفيل « البلجيكى سابقا» ، بينما يقع المحيط الاطلسى الى الجنوب الغربى ، وتضم هذه المساحة حوالى ٩٠٠٫٠٠٠ نسمة طبقا لاحصاء في أول يناير من عام ١٩٦٠ ، وهو رقم تقريبى اذ من الصعب اجراء احصاءات دقيقة في معظم البلاد الافريقية بسبب تعدد القبائل والعشائر والبطون ونظرا لضعف الاجهزة الاحصائية ايضا . ويقيم حوالى ثلث السكان في قرى صغيرة تتناثر في أرجاء الغابات الشمالية ، وينتمى معظمهم الى قبيلة مبوشى mbochi أما القبيلة الرئيسية الاخرى والتى تتركز في القسم الجنوبى في البلاد فهى قبيلة لارى lari التى ينتمى اليها الاسقف المعزول ، وهى فرع من مجموعة باكونجو التى تقطن الجزء الشمالى من انجولا والمنطقة الشرقية من الكنغو ـ ليبوبولدفيل **والظاهرة التى تلفت النظر ان حوالى ٢١ في المائة من السكان يتركزون في العاصمة برازافيل ء(١٣٣٫٧٠٠ نسمة) وميناء بوانت نوار (٥٦٫٨٦٥ نسمة) وهما مركزا النشاط**

الاقتصادى الرئيسى من حيث التجارة والنقل بصفة خاصة ، ومن هنا كانت فيهما طبقة وسطى نامية وطبقة عاملة على درجة عالية من التنظيم والنشاط ، وفى العاصمة وحدها نمت الحركات السياسية والمنظمات الشعبية وانتشرت الدعوات الاشتراكية

وبالرغم من ان الكنغو — برازافيل يعتبر اكثر اجزاء افريقية الاستوائية « الفرنسية سابقا » تطورا الا انه اشدها فقرا اذ انه يفتقر الى الموارد الطبيعية كالمنجنيز والحديد كما فى جابون المجاورة مثلا . والقسم الشمالى من البلاد مغطى بغابات كثيفة تشغل مساحة تقدر بنحو ٥٤ مليون فدان ، ولهذا يعتبر الخشب من صادرات البلاد الرئيسية ويتوجه حوالى ٦٠ فى المائة منه الى فرنسا ، ١٤ فى المائة الى المانيا الغربية ، كما تصدر البلاد أيضا زيت النخيل والفول السودانى واذن فالاقتصاد القومى يعتمد اعتمادا رئيسيا على منتجات الغابات ولكنها ليست وفيرة القدر . والمنطقة الخصيبة هى وادى فيارى والكنغو — برازافيل فقير من ناحية الثروة المعدنية ، ولقد بذلت محاولات كثيرة للكشف عن المعادن كالنحاس والزنك والرصاص ولكن النتائج كانت سلبية أو محدودة ، فتوقف انتاج النحاس والزنك فى السنوات الاخيرة ولم يتجاوز انتاج الرصاص ٤٧٤١ طنا قصيرا فى عام ١٩٦٠ ، كما يوجد الذهب بكميات قليلة فى رمال الانهار ولم يزد ما استخرج منه على ١٧٨٨ أوقية فى عام ١٩٦١ . وبالرغم من منح الامتيازات بشأن التنقيب عن البترول الا ان الشركات العاملة لم توفق حتى الان الى العثور عليه . وبالرغم من تقدير الاحتياطى من الفوسفات بنحو ٣٠٠ الف طن « ومعظمه فى حوض لوانجو على غير مسافة بعيدة من ميناء بوانت نوار » الا انه ليس من النوع الجيد الذى يلقى الاقبال عليه فى الاسواق العالمية . وهكذا يعتبر الكنغو — برازافيل فقيرا من الوجهة المعدنية بالقياس الى البلاد الافريقية المجاورة مثل الكنغو — ليوبولدفيل وانجولا وجابون . وانشئت عدة صناعات فى القسم الجنوبى من البلاد ، الا ان الصناعات التى تعثرت واصيبت بالانهيار اكثر بكثير من الصناعات التى تمكنت من البقاء ، وكلها صناعات صغيرة تسعى الى سد جانب من حاجة السوق المحلية . ومع هذا ، وحتى لو اخذنا الارقام الرسمية حسب قيمتها الظاهرية ، فان الصناعة لاتمثل سوى ١١ فى المائة من المنتج القومى الاجمالى **ومن هذا كله نخلص الى نتيجة رئيسية وهى قصور موارد البلاد عن اشباع مطالب الشعب وتوفير العمالة للايدى العاملة التى تزيد باطراد .**

والمصدر الرئيسى للنشاط الاقتصادى هو تجارة الترانسيت وهذا راجع الى الموقع الجغرافى اذ يعتبر هذا البلد منفذا طبيعيا بالنسبة الى افريقية الاستوائية ، فيمر به نهر الكونغو ، وعليه تقع العاصمة ولها ميناء نهرى كبير ، وهذا فضلا عن ميناء بوانت نوار ويرتبط الميناءان بخط حديدى طوله ٥١٦ كيلومتر . غير أن استغلال هذه المزايا الناشئة عن الموقع يتوقف الى حد بعيد على نوع العلاقات مع البلاد المجاورة ، وبخاصة جابون والكنغو — ليوبولدفيل ، التى تستخدم طريق الكنغو — برازافيل فى نقل جانب من انتاجها المعد للتصدير

فالفقر كان المشكلة الكبرى التى واجهت فولبير يولو ، وحاول ان يتغلب عليها عن طريق اقامة نوع من التكامل الاقتصادى مع بقية افريقية الاستوائية ولكن جابون اثرت البقاء بمنأى عنا ، واقتصر الامر على اقامة اتحاد جمركى انضمت اليه الكاميرون فى عام ١٩٦١ ، ولعل اخفاق المشروع الاصلى يرجع فضلا عن الاعتبارات الاقتصادية — الى شىء من الشك من ناحية نزعة الرجل الى السيطرة على المنطقة

ولما وقعت ازمة الكنغو — ليوبولدفيل بعد ان حصل على استقلاله فى اواسط عام ١٩٦٠ اراد الاسقف ان يستغل تلك الاحداث فانحاز الى جانب كازافوبو ضد باتريس لومومبا ، ولما استولت قوات الامم المتحدة على محطة اذاعة ليوبولدفيل وضع يولو

اذاعته فى خدمة خصوم لومومبا . واستفاد الكنغو الاوسط من اضطراب الاحوال فى جارته واتسع نطاق عمليات التهريب حتى بلغت قيمة المصدر من الماس عن طريقه اكثر من ثلاثة ملايين جنيه خلال عشرة شهور ، وهو رقم لم يسبق له مثيل

ولما استقر الامر لكازافوبو بدأ يعمل ، بالتعاون مع الامم المتحدة ، على ارجاع كاتانجا لى حظيرة الدولة الام وهنا نجد الاسقف يقف موقفا مغايرا لموقفه السابق فينحاز الى تشومبى ويؤيده ، حتى انه لما اعتقل الاخير فى ابريل من عام ١٩٦١ طالب يولو بالتدخل فورا من جانب الامم المتحدة ودعا الاعضاء الاخرين فى « مجموعة برازافيل » الى اتخاذ خطوات حاسمة ضد هذا الاجراء . ويفسر المراقبون هذا الموقف بان تشومبى وعده بمساعدة اقتصادية سخية تمكنه من التغلب على المشكلات التى تواجهه ، وكذلك كان فولبير يولو يامل — اذا ماقدر لانفصال كاتانجا أن ينجح نهائيا . أن يزيد هذا الاقليم من نقل من نقل بعض صادراته عن طريق الكنغو — برازافيل . وكان رد حكومة كازافوبو اغلاق الحدود بين البلدين ، ولم تعد تستخدم طريق الجارة الصغيرة . هذه التدابير كان لها رد عنيف وبخاصة فى برازافيل فاصيب النشاط فيها بضربة شديدة وتوقف جانب كبير من الاعمال وانتشرت البطالة فى صفوف ابناء الطبقة العاملة ، فالبطالة اذن من الاسباب الرئيسية المباشرة التى تكمن وراء هذا الانقلاب الذى اطاح بالرجل والتى تعتبر نتيجة مترتبة على سياسته الخارجية المتقلبة

وكان فولبير يولو يعلق أكبر الامال فى حل مشكلة البلاد الاقتصادية ، على مشروع نهر كويلو Kouilou والذى يتضمن اقامة سد طوله ٢٢٠ مترا وارتفاعه ١٢٠ مترا ، وتتكون خلفه بحيرة صناعية تبلغ مساحتها ٢٠٠٠ كيلو متر مربع يمكن أن تستغل فى اقامة صناعة نشيطة لصيد الاسماك . والغرض من اقامة السد هو توليد طاقة كهربائية تقدر بما يقرب من ٨٠٠ الف كيلوات فى السنة ولو قدر للمشروع أن يخرج الى حيز التنفيذ لكان من المشروعات الكبرى المماثلة فى القارة مثل السد العالى فى الجمهورية العربية المتحدة وسد كاريبا فى اتحاد افريقية الوسطى وسد الفولتا الذى يراد اقامته فى غانه . واتصل الرجل بالمصالح الفرنسية كى تضطلع بتنفيذ المشروع ولكنها لم تبد حماسا ثم اشارت عليه بالاتجاه نحو مجموعة السوق الاوربية المشتركة كى يتمكن من تنفيذ المشروع عن طريق صندوق التعاون الاقتصادى التابع لهذه المنظمة ، ولكن الاتصالات التى اجراها فى هذا الصدد لم تسفر عن نتيجة ايجابية نظرا لانخفاض اسعار الالمنيوم فى الاسواق العالمية وهو السلعة التى سوف تستخدم فى انتاجها الطاقة الكهربائية المتولدة من سد نهر كويلو .

وفى هذا العام اعلن الاسقف المستعار ان فرنسا سوف تنقص المعونة المالية التى درجت على تقديمها اليه والتى كانت سنده الوحيد خلال سنوات حكمه ، وطالب الشعب بشد الاحزمة على البطون ، وقرر اتباع سياسة قائمة على التقشف . وكانت هذه الدعوة الى التقشف مدعاة الى الدهشة والسخرية ذلك ان يولو ووزراءه وكبار معاونيه وانصاره يختصون انفسهم بما يقرب من ثلث الميزانية العامة ، وهذا فضلا عن المزايا الاخرى غير المشروعة . وكان هذا يحدث فى وقت تقوم فيه بالبلاد معارضة سياسية ومنظمات سياسية وشعبية ، واذن ماذا يكون الحال حين لايصرح الا بقيام حزب واحد يتكون من انصار الرجل ويفرض الحجر على الحريات ويحال دون توجيه النقد ؟ لا ريب ان تسود الاحوال ويستشرى الفساد وتنتشر الرشوة على اوسع نطاق . لو ان الرجل كان يسعى الى خلق تنظيم شعبى شامل يضم قوى الشعب العاملة بقصد تحقيق الوحدة القومية ودفع عجلة التنمية الاقتصادية لقوبل بالتأييد من جانب المنظمات الشعبية المختلفة كما هو الشأن فى غينيا مثلا ، ولكن الحزب الواحد المقترح كان اسلوبا فاشيا فى الحكم يستهدف

المحافظة على مصالح فئة قليلة تتعارض مع المصالح الحقيقية للجماهير ، وهذا هوالفارق بين التنظيمين .

واذا كانت العوامل الاقتصـــادية التى أوردناها بايجاز تلقى الضـــوء على حقيقة القوى التى ادت الى انهيار نظام الاسقف فولبير بولو ، الا ان هذا ليس معناه التقليل من شأن الاعتبارات الاجتماعية والسياسـية الاخرى ، وفى مقدمتها سياسة الرجل فى الابقاء على القبلية بل والعمل على زيادة حدتها حتى يتمكن من الاحتفاظ بالسلطة عن طريق تمزيق الوحدة الوطنية . ففى عام ١٩٤٦ انشئت « الحركة الاشتراكية الافريقية » على يد الفرنسى مازارول ، وكان من ابرز رجالها الافريقيين جاك اوبانجو Iacques opangault

وكان معظم زعماء هذا الحزب من أبناء الشمال الذين تتكون منهم اغلبية اهل المدن الكبيرة وبخاصة برازافيل . وفى عام ١٩٥٦ تقدم يولو لانتخابات الاعضـــاء الذين يمثلون الكنغو فى الجمعية الوطنية الفرنسية ولكنه هزم ازاء منافسة اوبانجو فراح يحاول تبرير فشله بان الناخبين من أبناء الشمال تعصبوا ضده بوصفه ممثـلا لقبيلة لارى ، وبهذا اخرج الصراع من دائرته الصحيحة وادخله فى نطاق التنافس القبلى واخذ يردد هذه الدعاية فى الجنوب حيث تتركز هذه القبيلة . وعلى أثر فشله فى الانتخابات انشأ «الاتحاد الديموقراطى للدفاع عن المصالح الافريقية» معارضا به الحركة الاشتراكية

ولما اجريت فى عام ١٩٥٧ انتخابات الجمعية الاقليمية لاختيار ٤٥ نائبا حصل كل من الحزبين على ٢١ مقعدا ، اما المقاعد الثلاثة الباقية ففاز بها مستقلون أيد اثنان منهم أوبانجو زعيم الحركة الاشتراكية الذى تمكن بذلك من تاليف وزارة اشترك فيها فولبير يولو وزيرا للزراعة . غير ان الاخير استطاع ان يستميل بعض مؤيدى منافسه فاصبحت له اغلبية وبذلك صار رئيسا للوزراء ، ثم انتخب فيما بعد رئيسا للجمهورية فاحتفظ برآسة الوزارة ووزارتى الدفاع والداخليـة حتى يسيطر على جميع اجهزة الامن فى البلاد

ولكن العلاقات بين أنصار الرجلين أخذت تسوء بالتدريج وانتهت باشتباك ابناء مبوشى ولارى فى برازافيل وبوانت نوار ، أسفر عن مقتـــل عدد يزيد على المائة . والقى يولو المسئولية على المعارضين وراح يلقى القبض على زعمائهم ومن بينهم اوبانجو نفسه ، ثم اجرى انتخابات للجمعية فى وسط هذا الجو من الارهاب ، ولهذا لم يكن غريبا ان يفوز باحد وخمسين مقعدا من المقاعد البالغ عددها ٦١ مقعدا . الا انه قبل اعلان الاستقلال تم التفاهم من جديد مع اوبانجو واندمجت الحركة الاشتراكية فى حزب الحكومة ،وازاء هذا قرر فولبير يولو الاخذ بنظام الحزب الواحد **ولكن النقابات والعناصر الحرة لم ترض عن هذا الاتجاه فالانتخابات التى اكسبت يولو الاغلبية تمت فى ظل الضغط والارهاب . والحزب المقترح معناه الابقاء على سـيطرة الرجل ، وهذا الحزب يمثل فى الواقع قبيلة لارى التى ينتمى اليها رئيس الجمهورية وفى هذا تغليب لمصالح قبلية على مصالح قبلية أخرى ، بينما كانت البلاد بحاجة الى التنظيم الذى يعمل على تحطيم القبلية وتحقيـق الوحدة الوطنية**

وكانت ميول الرجل الفرنسية الواضحة من الاسباب التى اضعف مركزه فى نظـــر الاحرار فى داخل بلاده وفى خارجها . ففى أثناء الاستفتاء الذى أجرى فى سبتمبر من عام ١٩٥٨ على دستور ديجول قامت دعاية يولو على البقاء فى داخل الكومنولث الفرنسى ، وضد الاستقلال التام كما حدث فى غينيا مثلا ولما اقيمت الاحتفالات بعد ذلك فى برازافيل لمناسبة اعلان الاستقلال ملا الرجل شـــوارع العاصمة باللافتات التى تحض الناس على ابداء مشاعر « الاعتراف بالجميل والصداقة ازاء فرنسا » ، ثم ازاح الستار عن تمثال اقيم للجنرال ديجول تقديرا لفضله كانمـا استقلال الشعوب سلعة يمنحها المستعمر لها ويتفضل به عليها !

اما سياسته الخارجية فكانت موضع الانتقاد المر من جانب الاحرار فى القارة كلها فقد كان من انصار الانضمام الى السوق الاوربية المشتركة ، وتوثيق الروابط والتعاون مع فرنسا ، ومن الدعاة الى الوقوف فى جانب الغرب ومن المعارضين فى سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز . ولما وقعت أزمة الكنغو — ليوبولدفيل بين حكومة لومومبا والمصالح الاجنبية وقف الى جانب الاخير وسخر كل امكانياته الدعائية والدبلوماسية لخدمتها واصبحت برازافيل مركزالدسائس ضد حكومة لكنغو المركزية والنشاط المعادى لها . ولما قررت حكومة كازافوبو بعد ذلك أن تضع نهاية لانفصال اقليم كاتانجا وقف يولو الى جانب مويز تشومبى كما اوضحنا من قبل . وفى الوقت الذى تستنكر فيه افريقية كلها السياسة الاستعمارية التى تنتهجها البرتغال فى أنجولا نجد الرجل يتخذ موقفا مائعا ، بل يقال انه كان يؤيد البرتغال سواء كان ينادى الاحرار الانجوليين واكثر من هذا كان عنصر يعمل على تفتيت التضامن الافريقى اذ كان يسعى الى ان يبسط نفوذه على جميع فروع قبائل باكونجو سواء فى بلاده او فى الكنغو الاخر او انجولا

لقد سقط الرجل لانه اخفق فى حل المشكلة الاقتصادية ومكافحة البطالة ، ولانه عمل على دعم القبلية ، ولانه كان حربا على جميع الاتجاهات التحررية . وخرج من الحكم لا يحمل سوى لقب «الاسقف» وهو لقب ليس له فيه ادنى حق لان الكنيسة حرمته من منصبه الدينى فى عام ١٩٥٦ حين حنث بايمانه الكنسية وانغمس فى تيار السياسة ان فى مصيره درسا لنفر من الساسة الافريقيين الذين لايؤمنون بحرية بلادهم ومصالحها الحقيقية

« دكتور راشد البراوى »





الاسافين والجيوب الساحلية

هذا مظهر آخر من مظاهر الشذوذ السياسى فى القارة . واذا كان لها ما يقابلها فى آسيا بل وفى وربا ، فهى هنا أكثر غرابة بالنظر الى طبيعة الساحل الافريقى . ومن الملاحظ ان أغلب الاسافين الساحلية فى افريقيا تنتمى الى اسبانيا والبرتغال ، بل ان امبراطورية أسبانيا فى افريقيا هى فى الدرجة الاولى امبراطورية جيوب واسافين . فاذا بدأنا من الشمال ، وجدنا سلسلة كاملة من الاسافين الاسبانية تطوق المغرب (مراكش) من الجانبين . فهى على الجانب المتوسطى من النوع الميكروسكوبى ولكنها مدنية فى طبيعتها ، بينما نجد للمجموعة الاطلسية مساحات اكبر ولكنها صحراوية اساسا . وتشمل الاولى « المدن المحصنة Presidxos » سبته ومليلة ومعها الجزر الساحلية Pevona الحصيمة وغومارا وشافاريناس ، وكلها بقايا « شد الحبل » التاريخى بين أسبانيا والمغرب عبر البحر ، وأغلب سكانها اليوم أسبان مسيحيون ، ولا زالت أسبانيا تدعى ـ بحمق لا بحق ـ انها من اراضى السيادة الاسبانية Plasasde soberon وانها جزء لايتجزا من « أسبانيا الام » !! اما على الجانب الاهلسى ، فان افنى أسفين فقير ينتمىجغرافيا الى جنوب المغرب ، بينما تعد الصحراء الاسبانية وريو دى أورو جيبا ضخما من صميم شنقيط (موريتانيا) .

فاذا تحركنا جنوبا وجدنا غمبيا البريطانية لا تخرج عن اسفين واد نهرى يحتويه تماما جسم جمهورية السنغال ، ولا تقل احاطة جمهورية غينيا لغينيا البرتغالية عن ذلك الا قليلا . وعلى خليج بتافرا عند كوع القارة تنزوى ريو مونى – اكبر أجزاء غينيا الاسبانية والوحيدة القارية فيها – كجيب قزمى بين جم.وريتى الكمرون والجابون . ثمة بعدها كابندا ، على استيوارى الكنغو ، وهى ايضا تنحصر بين جمهوريتى الكنغو وتمثل فى حقيقتها شظية منفصلة exclave من انجولا كانت تتصل بها فيزيقيا الى أن انتزعت بلجيكا لنفسها ممرا مخرجا لمستعمرتها الشاسعة فى حوض الكنغو . وبعيدا الى الجنوب كانت وولفيش باى من أول ايام العصر الاستعمارى اسفينا بريطانيا فى جسم جنوب غرب افريقيا . أما على الشاطىء منذ أن نقلت الاخيرة الى انتداب اتحاد جنوب افريقيا ، وهى الآن تدار اداريا من جنوب غرب افريقيا . اما على الشاطىء الشرقى لافريقيا فليس ثمة الا جيب واحد هو الصومال الفرنسى حول خليج تاجورة . فمن الواضح اذن ان الاسافين والجيوب تتركز اساسا على الساحل الغربى ، لانه كان أول السواحل التى طرقتها قوى الاستعمار البحرى واتخذت لها مواطىء أقدام عليه .

ومعظم هذه الرقع القزمية هى اليوم مثار نزاع ومشاكل سياسية بين الدول الاستعمارية المالكة وبين الدول الافريقية المحدقة التى هى جزء لا يتجزأ منها بطبيعة الحال . ولعل مشكلة افنى بين المغرب واسبانيا هى أبرز هذه المشاكل . فالقطاع نفسه يطالب بشدة بالعودة الى المغرب الام ، وبعد ذلك بالنسبة لاسبانيا ، ورغم أن الاسفين يمثل خسارة اقتصادية محققة لها ، فانها ترفض بعناد وشراسة هذه الدعوى خشية أن تصبح هذه سابقة لضياع سبتة ومليلة بعد حين . ومن قبل كان التبادل الارضى بين البرتغال وبلجيكا حول كابندا مقايضة جغرافية لم تتم الا بكثير من الصراع والمساومة الحادة . ومن السخرية – وهل كل الاستعمار البرتغالى الا سخرية كبرى ؟ – ان البرتغال تعد هذا الاسفين جزءا من صلب « الوطن الام Patria maê » – فقط عبر البحار oltra maxe

وليس من شك أن كل **هذه الاسافين والجيوب هى بقايا « حفرية » فى التركيب السياسى القارة** ، ترتد الى أولى مراحل الكشف والاستعمار . ومثل **هذه الحفريات البالية او البرك الآسنة فى الهيدرولوجيا السياسية للقارة مصيرها محتوم ، لا بد ستنصرف مع تطور التيارات السياسية ،** لانها محاطة ومحتواة تماما بالوحدات المحدقة . ولعل فى الاعجوبة السياسية البرتغالية فى أويداه بداهومى المثل الحاسم ، فهنا الاسفين البرتغالى A. Juda ليس الا قلعة لا تزيد مساحتها عن بضعة أفدنة احتلتها داهومى المستقلة بغير مقاومة .

ومن الغريب أن **هذه الجيوب صغيرة بجرمها كبيرة بجريمتها . فان لها نتائجها** السياسية والاقتصادية الخطيرة . فهى تترك جزءا كبيرا من الوحدة المحدقة فى **« ظل سياسى »** يقطعها عن البحر فتتأزم المواصلات وتتعقد . فاما أن تتم عبر الاسفين نفسه باتفاقية خاصة كما فى حالة اثيوبيا – الصومال الفرنسى حيث نجد جيبوتى ، منطقيا ، ميناء حرة . وأما أن تدور المواصلات فى لفة غير اقتصادية ملتوية حول الاسفين كثيرا ما تجعل استغلال منطقة الظهير غير مجدية فتظل رقعة مجدبة وتتأخر تنميتها . **أى أن الاسفين « يعقم » ظهيره** . فمثلا تأخرت تنمية جنوب شرق السنغال فى الفول السودانى لتطرحه عن داكار من ناحية وضروة دوران المواصلات حول غمبيا من الناحية الاخرى . والواقع ان منطقة الكازامانس ، وهى الذراع الجنوبى من السنغال ، تكاد تنشطر وتنزل جنوب غمبيا من بقية السنغال . ومن السخرية أن غمبيا نفسها مشلولة اقتصاديا لحرمانها من أى ظهير طبيعى معقول ، فى الوقت الذى يعد نهرها أحسن انهار غرب افريقيا ملاحيا . هكذا اذن نصل الى أن **الاسفين الساحلى يصيب المخرج**

تونس
المغرب
الجزائر
إفني
ريو دي أورو
ليبيا
ج.ع.م
موريتانيا
مالي
النيجر
تشاد
السودان
إثيوبيا
الصومال الفرنسي
الصومال
السنغال
غامبيا
غينيا
سيراليون
ليبيريا
ساحل العاج
غانا
نيجيريا
الكمرون
أفريقيا الوسطى
ريو موني
الجابون
الكنغو
كابندا
أوغنده
كينيا
رواندا
بوروندي
تنجانيقا
أنجولا
روديسيا الشمالية
روديسيا الجنوبية
موزمبيق
مدغشقر
جنوب غرب أفريقيا
بتشوانالاند
سوازيلاند
باسوتولاند
جنوب أفريقيا

دول داخلية

أسافين ساحلية

صفر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠
ميلا

والظهير معا ، الراس والجسم على السواء . ولا شك أن هذا الترابط الطبيعى الجغرافى بين الاسفين وظهيره هــو الذى يفسر مشروع سنغمبيا الفيدرالية الذى تدرسه بريطـانيا والسنغال منذ بعض وقت . ومن قبل كان هناك مشروع فرنسى باستبدال صومالها فى الشرق بغامبيا البريطانية فى الغرب لكى تحقق نفس الوحدة . وبالمثــل فى غينيا ، تعطلت تنمية أقصى الشمال الشرقى لوقوعه فى ظل غينيا البرتغالية ، كما تخلف الجنوب الشرقى لوقوعه فى ظل سيراليونى . وفى موريتانيـــا كشف كشف ارسابات الحديد الخام حديثا فى الشمال عن موقف مشابه بالنسبة الى ريو دى أورو التى قد يمكن أن تعد جيبا ضخما فى جسم موريتانيا . فلا بد لنقل هذا الخام من خط حديدى ، لا بد أن يمر فى ريو دى أورو اذا اريد له أن يكون اقتصاديا ، بينما أن « الطريق القومى
اكثر طولا واقل اقتصادية .

الحجم والمساحة

لا شك أن افريقيا هى القارة التى شهدت أعظم واسرع عملية من التخمر والتغير السياسى فى القرن الاخير . ولا زالت القـــارة ــ التى تؤلف شقا رئيسيا مما يسمى الآن « بالعالم الثالث » ــ فى حالة من الانصهار السياسى ، ولا زالت الصورة السياسية فيها شـديدة التحول . وسواء أكانت بلغت سن الرشد من الوجهة الجيوبوليتيكية أم لا ، فلاشك أنها قارة المستقبل ، واذا كانت امريكا قد مثلت حتى الآن « العالم الجديد » فان افريقيا هى عالم الغد الجديد .

وهناك فترتان حرجتان حاسمتان فى تطور اللاندسكيب السياسى فى القارة : مؤتمر برلين فى ثمانينات القرن المـاضى ، ثم خمسـينات القرن الحالى ــ مع هذا الفارق ان **القـرن التاسع عشر كان قرن الاسـتعمار والقـرن العشرين هو قـرن التحـــرير . واذا كان « التكالب على افريقيا » قد ادى فى الاولى الى تقسيمها ، فان « الخروج الابيض » فى الثانية قــد ادى الى تفتيتهــا حرفيــا .**

ذلك انه قد خلق قبل أن يتم عدد كبيرا من الدول الجديدة بعملية تمزيق رفعت عــددا من الوحدات الادارية السابقة الى وحـدات سياسية منفصلة . والشىء الجدير حقــا بالملاحظة ان القوى الاستعمارية كانت تمارس كثيرا من محاولات ضم أعداد من الوحـدات القائمة فى اتحادات اكبــر ــ اى عمليـــة اختزال ــ طالمـا كانت السيادة لا تزال لها ، بينما على العكس حين اضطرت الى التخلى عن السيادة كثرت عمليات التفتيت والتجزئة مع الاستقلال . والملاحظ بعد هذا ان كلا من محاولات الضم الاولى والتقسيم الثانية يقابل بالمعارضة على السواء من الوطنيين . والحالة الاولى تتمثل فى اتحادات وسط وشرق افريقيا بوضوح ، أما الثانية ففى تفتيت الامبراطورية الفرنسية وفى المحاولات العديدة فى الكنغـو المستقل . وتحلل الامبراطورية الفرنسـية بالذات هو الذى ولد اكبر نسل سـياسى فى القارة : ١٣ دولة من افريقيا الاسـتوائية والغربية وحدهما . حتى رواندا ــ أوروندى الضئيلة تركت دولتين منفصلتين هما رواندا وبوروندى . والى مثل هذه الحركات ينبغى أن نضيف محاولات « تقدير » الدول الافريقية ــ اى جعلها دولا فيدرالية لا موحـدة ــ كلما امكن ذلك . مثل هذا تحقق فى ليجيريا وفى ليبيا حيث انهى أخيرا فى الاخيرة بعد تجربة مريرة ، وهو قد فرض على اوغندة وكينيا . وجماع هذا كله ليس الا خطة « البلقنة » المعروفة والتى يختفى وراءها مبدأ فـرق تســد .

وعلى كل فالناتج النهائى هو لاندسكيب سياسى معقد جدا . **فالقارة تشمل اليوم ٥٠ وحدة سياسية منفصلة** بما فى ذلك عدد كبير من الجيوب والاسافين الصسانية . وبهـذا تكون **افريقيا اكثر القارات تقسيما** وتعـددا سياسيا وهى فى هذا تمثل طرف النقيض لاستراليا القارة الدولة او الدولة القارة . بل قـد يكون من الطريف ــ بالاحرى من المؤسف ــ انها تكاد تناظر وحدات الولايات المتحدة عددا ولا يبقى الا ان نقابل مدغشقر بهاواى ! هذا

بينما لا تزيد آسيا عن ٣٥ وحدة تقريبا . وصحراء آسيا الكبرى (سيبريا) تكاد تقع برمتها فى حدود دولة واحدة ، بينما الصحراء الكبرى فى افريقيا تتقاسمها ١٠ دول — بل ان **الصحراء الكبرى هى أكثر صحارى العالم الكبيرة تفتيتا سياسيا** . واذا كانت اوربا تضم حاليا ٢٥ وحدة أى نصف وحدات افريقيا وكان صحيحا ان مساحة افريقيا مثل مساحة اوربا ثلاث مرات ، فان من الصحيح أيضا أن سكان أوربا مثل سكان افريقيا ثلاث مرات تقريبا . ولهذا فان **اقوى ما يميز التركيب السياسى للقارة الآن هو هو تعدد الوحدات مع قزميتها** . ولتناقش كلا من هذين البعدين على حدة .

حجم السكان

لما كان عدد سكان افريقيا ٢٤٥ مليونا تقريبا فان متوسط حجم الوحدة هو ٥ مليونا مقابل ٢٥ مليونا فى أوربا مثلا . ولكن صورة الاحجام الفعلية أسوأ من هذا المتوسط العام، كما يبين الجدول الآتى :

فئة الحجم بالمليون	عدد الوحدات
١	١٦
١ — ٥	٢١
٥ — ١٠	٦
١٠ — ١٥	٢
١٥ — ٢٠	٢
+ ٢٠	٢

فالحجم الاكثر حدوثا هو ١ — ٥ ويمثل ٤٤ ٪ من كل وحدات القارة ، بينما **لا تصل ٣٢ ٪ من وحداتها الى المليون نسمة !** ومعنى هذا ان ٣٧ وحدة أى ثلاثة ارباع هى أقل من ٥ مليونا . ومن الناحية الاخرى لا يوجد بالقارة الا ٨ دول تتعدى علامة العشرة ملايين نسمة . وهذه بترتيب الحجم هى : نيجيريا ، مصر ، أثيوبيا (؟) ، جنوب افريقيا ، الكنغو ، السودان ، المغرب ، الجزائر . **واغلب هذه يقل فى الواقع عن مجتمعات مدنية مثل نيويورك أو طوكيو او لندن !** و « الثمانية الكبار » معا تختص وحدها بنحو ١٣٧ مليون نسمة أو ٥٦ ٪ من مجموع القارة . وسيلاحظ أنها جميعا دول تقع على أطراف القارة وهوامشها . والسبب ان نمط توزيع السكان فى افريقيا يشبهه فى معظم القارات الاخرى من حيث التركيز العنيف على الاطراف ، بعده يقل فى الداخل واذا كان هذا التباين بين الهوامش والداخل أقل وضوحا فى افريقيا جنوب الصحراء فان هذا — كما يوضح بيير جورج — لا يرجع الى كثافة عالية فى الداخل بقدر ما يرجع الى كثافة اقل من المعتاد فى الاطراف . اما شمال الصحراء فالنمط الهامش صادم الوضوح حيث يمكن ان نعتبر القوس الممتد من المغرب الى أثيوبيا وموازيا لسواحل البحرين المتوسط والاحمر بمثابة « **الهلال الخصيب** » **لافريقيا الشمالية** .

افريقيا اذن هى قارة الدول الصغيرة بل القزمية . وقد يكون لهذا وزنه فى حساب الاصوات فى المؤسسات والمنظمات الدولية ، ولكنه **يترك القارة فى حالة مرضية من الناحية الجيوبوليتكية ، ويكاد الحجم** وحده يكفى لان يدمغ أغلب هذه الوحدات بأنها **وحدات اصطناعية شاذة — « دول بالامر »** كما قد نقول . وبديهى ان تحميل وحدات قزمية او ضئيلة الى هذا المدى بالاعباء والمصاريف والتمثيل الديبلوماسى اللازم للدول المستقلة يشكل عبئا ثقيلا يجعلها وحدات غير اقتصادية . وتتضاعف هذه المشكلة وتتفاقم حقا فى الدول الاتحادية لان من المعروف أن الحكم الاتحادى باهظ التكاليف لا سيما فى الدول الفقيرة كما عرفت ليبيا حتى قريب .

الى أى مدى يمكن لهذا النمط السكانى أن يظل بلا تغيير ، وفى اى اتجاه يمكنه ان يتغير ؟ تقدر الامم المتحدة ان سكان افريقيا ستصل الى ٣٠٣ مليونا تقريبا فى ١٩٧٥ ، ولكن مع اختلافات أقليمية هامة فى معدت النمو . فأسرعها حاليا فى النمو هى افريقيا شمال الصحراء ، يليها جنوب افريقيا ، بينما أتى افريقيا المدارية فى المؤخرة . ويرجع تخلف افريقيا المدارية الى أنها — وحدها لا فى القارة فقط وانما فى العالم اجمع — هى

التى تنتمى الى نمط من النمو يمتاز بمعدل مواليد مرتفع باستمرار ومعدل وفيات مرتفع ايضا باستمرار ، أما افريقيا خارج المدارين فلها معدل مواليد مرتفع باستمرار ولكن معدل وفياتها فى تناقص نسبى . ولهذا فان الاتجاهات الحالية للنمو الاقليمى « تتحيز » لافريقيا خارج المدارين ضد افريقيا المدارية . ولكن هذا انما هو تنبؤ ديموغرافى — يعنى تنبؤ فى المدى القصير . واهم منه واخطر النبوءة الاقتصادية فى المدى الطويل ، فهذه تشير الى امكانيات اكبر لافريقيا المدارية . فاسبقية جنوب وشمال افريقيا انما هى فى الترتيب الزمنى فقط ، اى انها كانت اسبق الى ، وفى التنمية الاقتصادية ، ولا تعنى بالضرورة طاقة اقتصادية كامنة أعظم . واذا كان من الصعب أن نحكم على نبوءة مثل نبوءة ماكيندر عن كتلة بشرية تبلغ بليونا من السكان جنوب الصحراء ، فان الذى لا شك فيه هو ان **مركز النقل الديموقراطى سينتقل بالتأكيد الى النصف الجنوبى من القارة** ، وان اكبر الدول حجما فى القارة ستصبح فى المستقبل البعيد من نصيب افريقيا المدارية بالذات . وحاليا نجد ان اكبر دولة فى افريقيا دولة مدارية (نيجيريا) وليست بعد أقدمها (مصر) بينما ان ثالث دولة مدارية ايضا (اثيوبيا) .

المساحة

ان ضآلة سكان الدولة الافريقية فى المتوسط تتضح أكثر وأكثر حين تقرن بالمساحة . فرغم شدة تعدد الوحدات السياسية فان ضخامة مساحة القارة تظل تترك متوسط المساحة كبيرا جدا . فمع مساحة قدرها ١١٫٧ مليون ميلا مربعا ، ٥٠ وحدة سياسية ، نخرج بمتوسط مساحة قدره ٢٣٤ ألفا من الاميال المربعة . وهو أعلى بالفعل اذا استبعدنا من المقام تلك الوحدات القزمية التى هى مجرد جيوب واسافين . قارن هذا على سبيل المثال بمتوسط ١٥٠ ألف ميل مربع فى اوربا (٣٫٧٨٠٫٠٠٠ ميلا على ٢٥ دولة) . وتوزيع فئات المساحات الفعلى هو كالآتى :

المرتبة	فئة المساحة بالميل٢	عددالوحدات
قزمية	١٠٫٠٠٠	٧
صغيرة	١٠٫٠٠٠ — ٥٠٫٠٠٠	١٠
متوسطة	٥٠٫٠٠٠ — ١٠٠٫٠٠٠	٤
كبيرة	١٠٠٫٠٠٠ — ٥٠٠٫٠٠٠	٢٣
ضخمة	٥٠٠٫٠٠٠ — ١٫٠٠٠٫٠٠٠	٦

فأكثر من النصف وحدات كبيرة او ضخمة . والواقع أن هناك ٢٢ **وحدة تزيد فى مساحتها فعلا عن فرنسا كبرى دول أوربا مساحة باستثناء الاتحاد السوفييتى** . وهناك علاقة وثيقة بين مساحات الدول وبين بيئاتها الطبيعية . فبوجه عام نجد المساحات اكبر فى النصف الشمالى من القارة منها فى النصف الجنوبى — ٤ من الوحدات الست الضخمة فى القارة تخص النصف الشمالى — لا شك بسبب ضيق المثلث الجنوبى بالنسبة لمعين النصف الشمالى من ناحية ، ولزيادة نسبة الصحراء فى الاخير من ناحية أخرى . كذلك نجد أكبر مجموعة متصلة من المساحات الصغير تتركز فى ساحل غانة الغنى الذى يسمح غناه لرقعة صغيرة ان تقيم وحدة مستقلة . والواقع ان غرب افريقيا هو اكثر أجزاء القارة تقسيما سياسيا ، فليس هناك رقعة مماثلة فى المساحة وفيها هذا العدد الكبير من الوحدات : ١٢ وحدة كاملة تتزاحم جنوب خط عرض ١٥° شمالا . ورغم الفارق الكبير فى المساحة ، فيكاد كل من حوض النيل وحوض النيجر يتقاسمه نفس العدد من الوحدات السياسية . **ولهذا فاذا كان غرب افريقيا هو بلقان القارة فان النيجر هو دانوبها** . والنيجر فى هذا المعنى هو نقيض الكنغو الذى يعد تقريبا نهر دولة واحدة . هذا بينما كلما انتقلنا من ساحل غرب افريقيا الغابى الى الداخل شمالا فى السفانا والساحل ثم الصحراء نجد مساحة الوحدات السياسية تزداد بسرعة وبانتظام ثم تأخذ — عامة — فى التناقص قليلا كلما اقتربنا من ساحل البحر المتوسط . فمن الواضح اذن ان **المساحة تتناسب — ولكن بصورة عامة وليس دائما — تناسبا عكسيا مع غنى البيئة الطبيعية** .

وأيا ما كان فالخلاصة الهامة هى ان المساحات السائدة فى القارة هى المساحات الكبيرة المفرطة . **وهنا تكمن المتناقضة الجوهرية فى تركيب الدول الافريقية افراط فى المساحة وتفريط فى السكان . فالدولة الافريقية فى المتوسط هى قزم يتعثر فى ثوب فضفاض** . ويبدو أن هذا التناقض الجذرى بين انسب حجم وأنسب مساحة أمر لا مفر منه فى ظل الصورة الحالية لافريقيا سكانيا وسياسيا ، بحيث اذا كان للدولة أن تصل الى عدد معقول من السكان فلا بد لها ان تتخطى المساحة المثلى ، فان ارادت ان تحقق مساحة معقولة غير مفرطة فلا بد لها ان تتحول الى قزم ديموقراطى لا وزن له فى عالم مردة وعماليق . وليس ردا مباشرا ان نقول ان نمو السكان — كوظيفة للزمن — كفيل بأن يضيق الهوة بين الحجم والمساحة ..

. ولا مفر من أن يكون لهذا الوضع المختل انعكاساته السياسية الخطيرة . فضآلة السكان تعنى بداهة ضعف القوة البشرية ، وضعف الانتاجية ، وقلة الهيبة السياسية . وافراط المساحة له مشاكله الخارجية والداخلية . فخارجيا يضاعف كما رأينا من اطوال الحدود وبذلك يزيد من أعباء الدفاع ويساعد على خلق او تعقيد منازعات الحدود وليس صدفة أن كثيرا من مشاكل الحدود بين عديد من الدول قد برزت منذ الاستقلال مقترنة احيانا بحوادث مؤسفة — مثلا كما على حدود الصومال — أثيوبيا . أما داخليا فان التعارض بين المساحة وحجم السكان يعمل عادة وان لم يكن دائما ضد التجانس السياسى والتماسك . فهو ان لم يعن بحكم الاتساع البحت تركيبا جنسيا متنافرا فانه على الاقل يمهد لتوزيع منتشر متخلخل للسكان من شأنه ان يشجع الروح المحلية ويدعم القبلية كما يضاد التكامل الفعال للاقتصاد القومى والتجارة . فالسودان مثلا يعانى من الثنائية الجنسية بين الشمال والجنوب ، ونيجيريا مصابة بثنائية الحوصا — الفولا فى الشمال واليوروبا — الابيو فى الجنوب . اكثر من هذا — والغرابة — ان مجرى نهر النيجر ورافده بنوى الذى يأخذ شكل حرف الافرنجى فى نيجيريا يعمل لا كمغناطيس للسكان وانما كحاجز ، ومن ثم يخلق ثلاثية سكانية أكثر منها ثنائية بسيطة .

ولقد حاولت القوى الاستعمارية كثيرا ان تستغل هذه الحقائق الطبيعية والبشرية وان تتخذ منها ذريعة وحجة لتمزيق القارة سياسيا بقدر المستطاع أو ، حيث لم يكن مجال للتقسيم السياسى التام ، ان تفرض كيانا دستوريا ضعيفا مفككا . وانه لجد واضح ان أغلب الدول الاتحادية غير الموجودة فى افريقيا انما تقع فى مجموعة المساحات الكبيرة والضخمة « نيجيريا ، اثيوبيا ، وحتى قريب ليبيا » . ففى نيجيريا نجد التنافر الحبشى والانقطاع السكانى مترابطين معا ، واسوأ من ذلك أنها مدعمة بالفروق والاختلافات الحضارية والدينية . والنتيجة ثلاث جزر او نوايا صلبة منفصلة أ الحوصا — الفولا المسلمون فى الشمال ، الايبو الوثنيون غالبا فى الجنوب الشرقى ، واليوروبا المسيحيون غالبا فى الجنوب الغربى .: لا غرابة اذن أن قد نجحت بريطانيا فى فرض الكيان الفيدرالى على الدولة . ولا غرابة كذلك ان النظام الفيدرالى منذ بدايته لم يكن تجربة موفقة ناجحة وانه تفاقم اخيرا الى حد شطر الاقليم الجنوبى الغربى الى اقليمين لا ولا غرابة بعد هذا كله ان الثقل والوقع السياسى لنيجيريا الجديدة فى المحيط الافريقى والمجتمع السياسى الافريقى لا يتناسب مطلقا مع حجمها وجرمها كاكبر دولة فى القارة سكانا . اما فى ليبيا فالصورة مختلفة . فرغم وحدة وتجانس جنسى وحضارى قاعدى فان السكان على قلتهم يقعون فى «جزيرتين على طول الساحل يفصل بينهما انقطاع سكانى قدره نحو ٤٠٠ ميلا من الصحراء الكاملة . وقد وجدت مناورات القوى الكبرى فى هذا الذريعة المنشودة وضخمت دلالتها لتبرر بها فرض النظام الاتحادى على الدولة الوليدة . وفى الكنغو حاولت بلجيكا قبل ان تغادر أن تتركه اتحادا لا وحدة ، ثم بعد أن

فشلت وخرجت حاولت أن تغذى الانفصالية وتعيد مبدأ الدولة الاتحادية . وهل ننسى ــ بين قوسين ــ أن المبدأ الاتحادى قدم فى مؤتمر تناناريف كحل لمشكلة كاتنجا ؟ وبالمثل فى كينيا تقرر أن يسود المبدأ الاتحادى على الوحدة حين يتم الاستقلال . ولاشــــك أن التناقض العميق بين المساحة السياسية وحجم السكان يرقد خلف كثير من هذه الحالات

السكان ، المساحة ، والوزن السياسى

رغم ان الوقع اوالوزن السياسى لدولة ما ليس وظيفة للمساحة والسكان وحدهما ، فان الاثنين معا يمثلان طرفا هاما فى **معـادلة ((تحليل القوة))** . وبدون انندخل فىمعالجة أصولية مفصلة للاقتصاد والدولة فى افريقيا يمكننا ان نحاول دراسة فى انماط القــــوة السياسية على اساس التشكيلات المختلفة للسكان والمساحة ، فنجد اربعة انماط

فضآلة السكان والمساحة معا تعطى **((دول الجيب)) القزمية التى لا ينتظر لها أن تبقى مستقلة بســـهولة** بل اغلب الظن ان الى الاندماج مصيرها او ان تسعى الى الاتحاد مع غيرها . والىهذا النوع تنتمى كلالجيوب والاسافين الساحلية التى سبق ذكرها ، كما ينتشر هذا النوع فى غرب افريقيا خاصــــة مثلما فى داهومى وتوجد . ونحن نجد منقبل أن داهومى جزء من دول «الوفاق» فى غرب افريقيا .

اما ضآلة السكان وضخامة المساحة فتنتج غالبا ((**صندوق الرمال**)) التقليدى ــ «دول الصحراء » التى تدين بوجودها المستقبلالى **أنها دول تخوم ليس الا** . وهى ((كموانى الضرورة)) التى تقوم فى وسط مهجور غير منتج ، تعد من **دول الضرورة)) التى يحتم وجودها فقط الاتساع المديد** . وتمتاز هذه الوحدات عادة بان حدودها شديدة القابلية للحركة والتغير بالقوة ، بمعنى انها يمكنان تتقاسم بسهولة بين وحدات حقيقية الكيان انها فى جوهرها **أشباه ــ أم اشباح ؟ ــ دول** وتغص الصحراء الكبرى خاصة بهذا النوع وموريتنانيا مثل مثالى : فهى تعـــادل فى مساحتها مساحة مصر تقريبا ((مليون كيلو متر مربع كل)) بينما سكان موريتنانيا لاتزيد عن ثلثى مليون أى ما يعادل مجموع سكان مصر «خارج» الوادى ! وليبيا والصومالأمثلة أخرى بدرجة أقل ، بينما فى المثلثالجنوبى نجد بتشوانالند وجنوب غرب افريقيا . مثل هذه الوحدات هى اقتصاديا ((**سندرلات)) العائلة الافريقية ، وهىسياسيا دول ((لاافقرية))** من السهل خضوعها لضغط جار قوى اوقوة أجنبية . وهى بعد ((**دول عجز)) مزمن** تكاد تكون المساعدات الاقتصادية الاجنبية علمـــا **عليها . فليبيا بدأت كدولة ((على المعاش))** البريطانى ، وهى الان تعتمد بشدة عــلى المعونات الامريكية ــ البريطانية ومعونة الامم المتحدة : وفى ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ أتى ٦٠٪ من ميزانيتها من المعونة الخارجية ! وجمهورية موريتنانيا الاسلامية تتلقى سنويا مســـاعدة مالية فرنسية كبيرة . كذلك الصومال تعتمد بشدة على معونة اجنبية من مصادر مختلفة وفىمثلهذه الحالات لا يمكن للسيادةالقومية ان تظل بمنأى تماما عن النفوذ الاجنبى . واكتشاف ثروة معدنية غير منظورة كالبترول فى ليبيا او ركاز الحديد فى موريتينانيا هو وحده الذى يمكن ان يصب الدم فى شرايين هذه الدول العاجزة وإن يمنحها قاعـــــدة اقتصادية ثابتة .

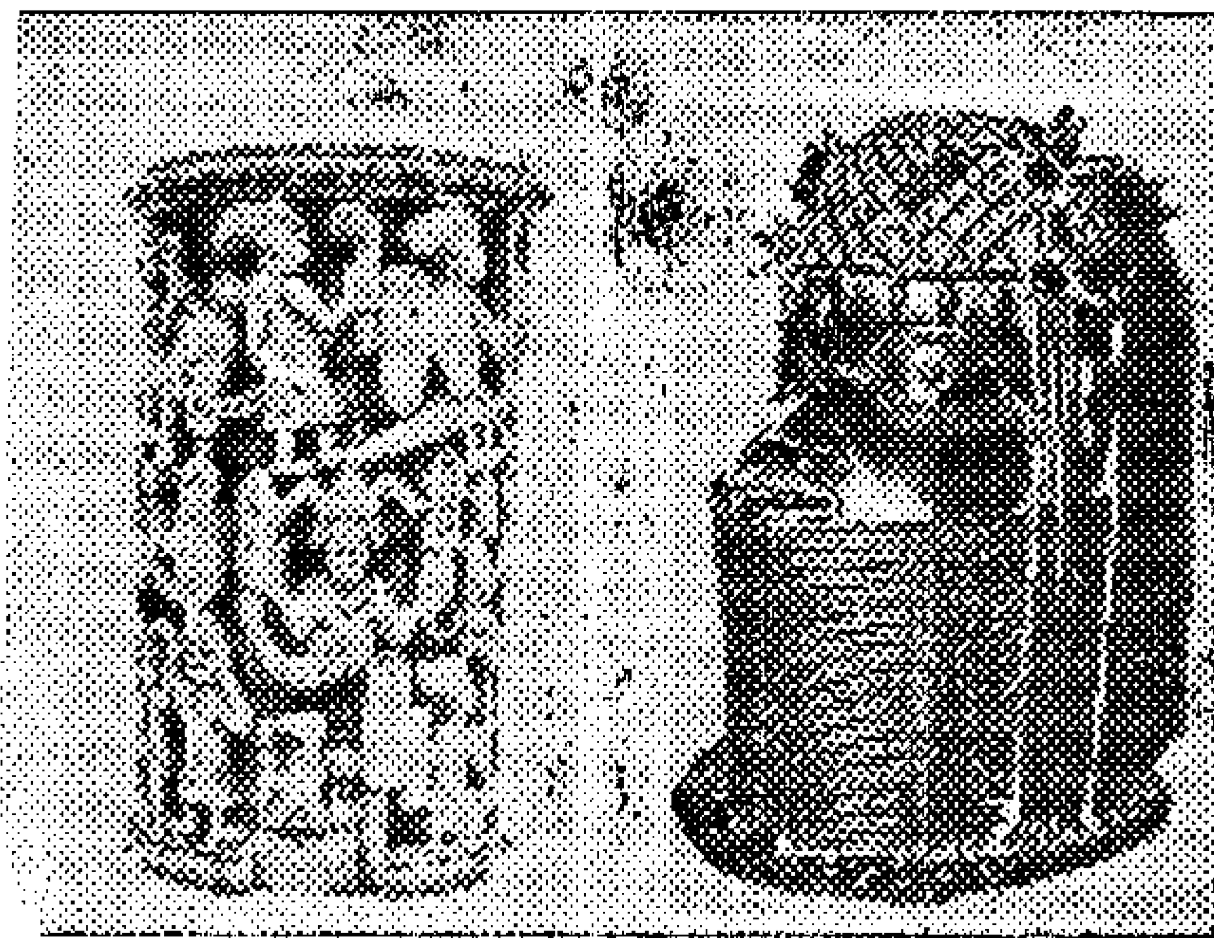
النمط الثالث من الدول الافريقية يتولد حين تجتمع ضآلة المساحة بضخامة السكان نسبيا . ولكن هذه توليفة نادرة فى افريقيا وتعنى كثافة سكان مرتفعة بدرجة غيرمألوفة وتمثل بذلك واحدة من «الجزر» الاقتصادية التى تميز افريقيا وتعرف عليها هانس . حينئذ تصبح الوحدة **مجرد ((خزان تحمل))** لوحدة أخرى او وحدات مجاورة ، وبذلك تصبح تابعا سياسيا واقتصادية او ذنبـــا حينئذ يصبح **تصدير الرجال اساس موازنة قائمة المدفوعات** . مثلا رواندار أورندىكانت ترسل سنويا نحو ٤٠ الفا من العمال الى الكنغو البلجيكى السابق والى اوغنـــــدة وتنجانيقا . ويكفى ان نذكر ان مســـاحة رواندا ــ كورندى كانتتبلغ ٢ر٣٪ منمساحة الكنغو ، ومع ذلك كان سكانها ثلث سكان

الكنغو . كذلك نياسالند بالنسبة للروديسيتين فهى اكبر مورد عمال الى روديسيا الجنوبية ترسل اليها ١٣٠ الف عامل مهاجر سنويا . وباسوتولاند ليست الا خزان عمل مكتظ للراند . وفى غرب افريقيا نجد ان الفولتا العليا المكتظة الرعونة تتخصص فى تصدير الرجال والماشية : فتقدم ١٥٠ الف عامل سنويا الى مزارع كاكا ومناجم غانا وابعاديات البن والكاكاو فى ساحل العاج ، وفى اغلب هذه الحالات هناك طمع فى ضم هذه الدويلات الثمينة العاجزة . فالبلجيكيون حاولوا طويلا ربط رواندا — اورندى بالكنغو . بينما اتحاد وسط افريقيا الذى ينهار اليوم لم يكن **الا محاولة لضم «جسم» الى «رأس» الى « أطراف »** : الجسم هو روديسيا الشمالية بمعادنها الغنية وخاماتها العديدة ، الرأس هى روديسيا الجنوبية برأسمالها ومهاراتها ومصادر القوة فيها ، اما الاطراف فهى نياسالند بعملها الوفير الرخيص

أخيرا ورابعا حين تجتمع ضخامة السكان والمساحة فهنا تكون **«مراكز القوة الطبيعية»** التى قد ترسم محاور السياسة فى مستقبل القارة . هذه هى « الدول الاركان » . فهى حرفيا ومجازيا أركان الزواية فى القارة ، المغرب — الجزائر فى الشمال الغربى ، مصر فى الشمال الشرقى ، اثيوبيا فى القرن الافريقى ، اتحاد جنوب افريقيا فى أقصى الجنوب ، نيجيريا فى القرن الافريقى ، اتحاد جنوب افريقيا فى أقصى الجنوب ، نيجيريا فى كوع القارة او زاوية الاطلسى . وقد يمكن ان نضيف من قدر تال السودان فى النيل الاوسط والكنغو فى قلب القارة . كل واحدة من هذه الوحدات تمثل القوة السياسية السائدة فى محيطها والتى قد يكون لها مطالب توسعية فى المستقبل او على الاقل يمثل وجودها وسط مجموعة من الدول الصغرى اوالقزمية حالة من **عدم التكافؤ السياسى أو الانحدار الجيوبوليتكى** العنيف بدرجة قلت او كثرت

فمن امثلة الحالة الاولى مطالب المغرب فى موريتانيا ، بينما قد ضمت أثيوبيا من قبل ارتريا ولها تراثها الاقليمى مع الصومال حول الحوض واوجادن اما ادعاءات جنوب افريقيا فمعروفة جيدا : حاولت من قبل أن بتلع جنوب غرب افريقيا التى تعدها انتدابا لا وصاية ، وتحاول من بعد ان تبتلع جنوب افريقيا البريطانية « بتشوانالند ، باسوتولند سوازى لاند » على زعم ان مثل هذه الوحدات الضعيفة على او داخل حدود الاتحاد «تقدم فريسة سهلة لاى قوة معادية » . وتروج الدوائر الاستعمارية المعادية لغانا أنها — هى الدولة الصغيرة — تخفى نوايا توسعية فى توجو والفولتا وساحل العاج ، وان هذه كلها ترفض هذه الخطط .. اما من امثلة الانحدار االجيوبوليتكى الحاد فليس خيرا من نيجيريا ، ليس فقط لانها اضخم دولة فى القارة وانما كذلك لانها تحاط بمجموعة من اصغر دول القارة مساحة او سكانا او الاثنين معا انها وحدها تضم نصف سكان غرب افريقيا كله وزيادة . وبهذا تبدو سياسيا كعملاق فى عالم الاقزام أو «كجاليفر فى ليليبوت »

جمال حمدان



حرية الصحافة .. والاضطهاد العنصري

بقلم حسين فهمي

تواصل حكومة فيرفورد في جنوب افريقيا سياستها الوحشية في قمع الحركات الديمقراطية والشعبية التي تنادي بالقضاء على التفرقة العنصرية وانشاء مجتمع جديد يكفل الحقوق الديمقراطية لجميع الاجناس والالوان .. وبتحول جنوب أفريقيا الى ترسانة مسلحة ، وبتحول المجتمع الابيض الى جيش مزود بأسلحة القتال الحديثة ، تتضاعف وحشية المستعمرين البيض ، وتقدم حكومة جنوب أفريقيا على ألوان والوان من العنف في ضرب الحركات الشعبية كما جاء في تقرير الامم المتحدة .. بل انه بنمو هذه الحركات ، بالرغم من عنف المقاومة وضرواتها ، تزداد الرجعية العنصرية الاستعمارية في جنوب أفريقيا امتهانا لابسط الحقوق الانسانية .. وبدلا من أن تعود الى صوابها اثر ادانة الرأى العام العالمي لها ، وقرار الامم المتحدة بمقاطعتها ومنع تسليحها ، فان حكومة جنوب أفريقيا تمضى أكثر فأكثر في موقفها العدواني الذى يكشف عن مدى ما سقطت فيه من هوة اليأس .

ولقد أصبحت حكومة فيرفورد لا تطبق كلمة تكتب ضد التفرقة العنصرية ، أو ضد الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المستغلة والوحشية القائمة في جنوب افريقيا مهما كان اعتدالها ... ان الصحف والمجلات والكتب والنشرات التي تعارض هذه السياسة على أى صورة من الصور تواجه ألوانا من الاضطهاد تجعلها عاجزة عن مواصلة البقاء .. لقد جرت حكومة جنوب افريقيا منذ زمن طويل على سياسة الغلق والمصادرة .. بل انها جرت على سياسة القبض على كل من يعمل بهذه الصحف ، أو من يضبط بنسخة منها !! .. وسواء كانت هذه الصحف يصدرها بيض ، أو كانت تصدر سرا بواسطة سود محرومين من كل حقوق النشر أو يصدرها ملونون ، فيكفى أن تكون هذه الصحف ضد التفرقة العنصرية لتغلق على الفور ، ويقبض على كل من يرتبط بها مكافحا ، أو ممولا أو حرفيا ، أو مشتركا حتى قارئا !!

بيد ان هذه السياسة لم تطبق بأقصى ماتطبق به الان . وبعد صدور قانون الصحافة الجديد .. وهذا القانون لا يضيف جديدا الى الحقوق غير المحدودة التي تمارسها الحكومة .. بالفعل ضد الصحافة والصحفيين وأبسط حريات النشر ، بيد أن هذا القانون يضفى عليها صفة الشرعية .. ان حكومة فيرفورد ، بهذا القانون ، تكون قد كرست التشريع لخدمة الاضطهاد والتفرقة والظلم الاجتماعي والسياسي ، ولاسكات أى صوت يرتفع ضد هذه الاوضاع العدوانية الظالمة !!!

ان جريدة « الشعلة » مثلا ، وهي الجريدة الوحيدة التي استطاعت ان تعيش

فى مواجهة اجراءات الاضطهاد والمنافسة والحرية غير المشروعة وحملات القبض والتفتيش والاعتقال ومصادرة الاوراق والماكينات ، بسبب ارتباط الجماهير المناضلة ضد التفرقة العنصرية بها .. ولكن القانون الجديد مكن حكومة جنوب أفريقيا من تشديد ومضاعفة الاجراءات البوليسية وغير البوليسية عليها .. ان حكومة فيرفورد مثلا منعت نقلها بجميع وسائل المواصلات أو البريد .. ومارست الضغط على شركات التوزيع التى كانت تقبل توزيعها الكبير حتى اضطرت جميعا الى الاعتذار عن توزيعها ، وحتى اضطرت الجريدة نفسها الى مواجهة الامرين لايصال بعض نسخها الى قرائها .. وحتى أصبحت على شفا التوقف والافلاس !

وإذا كان قانون الصحافة الجديد لا يضيف ، كما قلنا شيئا الى الحقوق التى تمارسها حكومة جنوب أفريقيا ضد حرية الصحافة والنشر ، الا أنه يوضح من ناحية أخرى ويلقى المزيد من الاضواء على مدى تمسك حكومة جنوب أفريقيا بموقفها .

ـ ان هذا القانون مثلا أنشأ مجلسا للرقابة على الصحف والمطبوعات ، ومنح هذا المجلس جميع الحقوق كان يغلق أى جريدة يرى أنها ((غير مرغوب فيها)) ـ نعم ـ مجرد غير مرغوب فيها !! ـ أو يصادرها أو يقبض على من يعمل بها ، أو يضبط متلبسا بقراءتها !!

وأكثر من ذلك .. أن يعلن وزير العدل بصراحة أن « هدف القانون هو اسكات الصحف والكتب والنشرات التى تهدف الى معارضة الاضطهاد العنصرى واضطهاد الملونين على اعتبار أن هذه الصحف خطوة نحو تحقيق أهداف الشيوعية » !!!

هل يتصور أحد ان يجرؤ وزير للعدل فى عصرنا ، القاء مثل هذا التصريح الرجعى الاستعمارى المرغل فى الوحشية والظلام والمغالطه ؟! ومتى ؟! فى عام ١٩٦٣ الذى شهد ادانة العالم أجمع لسياسة حكومة جنوب أفريقيا

مثل هذا الموقف الجنونى .. ما مغزاه ؟! انه يكشف عن مدى ما يشعر به قادة جنوب افريقيا من رعب ويأس .. انهم يشعرون بريح الثورة العاتية تدوى استعدادا لاقتلاع نظمهم الاجتماعية وأوضاعهم الاقتصادية الشديدة التخلف والظلام والعفن من جذورها .. انهم يشعرون بأن هذه الريح توشك أن تنشر ألسنة النار .. نار الثورة .. فيشتد هلعهم ، ويمعنون فى غباوتهم ووحشيتهم ، ويقدمون على اتخاذ المواقف التى تنشر المزيد من عوامل السخط والانفجار ، والتى تهدد بل توشك أن تطيح بالمصالح البيضاء كلها .

إننا لنقول لفيرفورد والمستعمرين البيض انكم قد تستطيعون اسكات صوت ((الشعله)) الجريده ... ولكننا نسالكم: هل يمكنكم أن تطفئوا شعله الحرية ونار الثورة ؟! والى متى يمكنكم الوقوف فى وجه التاريخ ، او الصمود لضغط وغضب الانسانية كلها ؟!

((حسين فهمى))

الدكتور دوبوا

بقلم عبد العزيز عبد الحق حلمي

الدكتور **دوبوا** علم من اعلام الفكر ومناضل وقف حياته لنصرة الشعوب الملونة نعته الينا الانباء اخيرا عن اكثر من خمسة وتسعين عاما ، حيث توفى فى اكرا عاصمة جمهورية غانا التى دعته فى اخريات حياته للنزوح اليها من موطنه الاول وهو الولايات المتحدة الامريكية وساندته فى انفاذ مشروعه القديم الذى كان يصبو الى تحقيقه وهو اخراج موسوعة افريقية تجمع بين دفتيها احوال الشعوب الافريقية وتاريخ حضاراتها وتجلية معالم ثقافتها ، ثم منحته الجنسية الغانية ، وبعد ان اعد المشروع وشكلت هيئة سكرتاريته ووضعت الدراسات المبدئية وتناوله المؤتمر الدولي الاول للمشتغلين بالدراسات الافريقية الذى عقد فى اكرا فى ديسمبر من العام الماضى لم يفسح له الاجل حتى يرى ثمرة مشروعه ومع ذلك له من الاسس والمبادىء ما سوف يكون نبراسا لمعاونيه وتلاميذه العديدين .

لقد كانت حياة الدكتور دوبوا حياة خصبة منتجة وكانها تسير طبقا لبرنامج حافل فى نهاية العقد الثالث من حياته كان قد حصل على كثير من الدرجات العلمية فى جامعات امركا والمانيا ، ثم اشتغل بتدرس اللغتين الافريقية واللاتينية ، وكان يحذق فضلا عن هاتين اللغتين عدة لغات اوربية حديثة ، ورسائله التى نال عليها درجاته العلمية لاتزال الى اليوم تعد من المراجع الهامة فى الموضوعات التى تناولها . وله مشاركة فى علوم كثيرة فهو يحمل الدكتوراه أو العالمية فى كل من الاداب والقانون والتاريخ والاجتماع والاقتصاد ويمكن القول بان المرحلة الاولى من حياته اى الى اوائل هذا القرن كانت حياة علمية خالصة تفرغ فيها لدراساته المختلفة وجرد فيها من الرسائل والابحاث ما يعد ذخرا فى الاوساط العلمية .

ولكن هذه الدراسات العلمية لم تكن ابحاثا بعيدة الصلة عن المشكلات الخاصة بالحياة الامريكية وخاصة فيما يتعلق ببنى جلدته من الزنوج الامريكيين ، فقد عنى فى دراساته بالابحاث الخاصة بتاريخ النخاسة ونفوس الشعوب السوداء ومركزهم فى المجتمع الامريكى واهتم بصفة خاصة بنقض نظريات الاستعلاء السلالى وتفوق الجنس الارى التى دعا اليها كل من جوبينو وهوستون تشيمبرلين وغيرهما وقد فند دوبوا فى مقالاته وابحاثه هذه الاسطورة السلالية واستطاع ان يصوغ المشكلة الزنجية صياغة عامية .

ويمكن القول بان المرحلة الاكاديمية من حياته لم تنته الا لتبدأ المرحلة الدعائية وذلك فى العقدين الاولين من هذا القرن لكى ينشر الاراء والمبادىء التى تلخصها لنا بحوثه الاكاديمية ، او بعبارة اصح النتائج العملية لهذه الافكار وذلك عن طريق الدعوة بمختلف الصور فى النشر فى الصحف والقاء الاحاديث وعقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات ، وكان رئيسا لتحرير مجلة الازمة التى كان يعدها لسان حال الشعوب الملونة وكان يستوحى

ما يكتب من مظالم البيض الذين يستغلون الزنوج في جنوب الولايات المتحدة الامريكية والعاطفين على القضية الزنجية من البيض الشماليين .

وهذه المرحلة الثانية من حياته كانت مرحلة نضال وكفاح وبسط لاماني الشعوب الملونة على نطاق واسع ولكنها لم تكن مقصورة على مقاومة التحامل اللوني بل شملت ايضـــــ تصحيح بعض الافكار الشائعة بين الزنوج انفسهم ، فقد راى بعض نابهيهم مثل بوكر وشنطن الارتفاع بمستوى الزنوج من الحضيض عن طريق التربية والتعليم على قبول الاوضاع المهنية التى يعانون منها . بيد ان دوبوا عارض هذه النزعة ولم يقبل غير المساواة الكاملة وداب على ازالة آثارها العقليـــة الاسترهابية التى كان يعانى منها بنو جلدته

ولم تقتصر جهود دوبوا الدعائية على تحرير الرسائل وتحرير المقالات والقاء الاحاديث بل تحول هذا العالم الاكاديمى الى معالجة أبواب الادب المختلفة من نظم القريض وتأليف القصص وكلها تدور حول القضايا التى ينافح من اجلها .

ومن الجمعيات التى انشأها الدكتور دوبوا فى امريكا جمعية لها تاريخ حافل فى الدفاع عن القضية الزنجية اسمها الرابطة القومية لتقدم الشعوب الملونة .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لجهاد الدكتور دوبوا التفـــكير فى توثيق الروابط بين زنوج العالم الجـــديد والعالم القديم وقد شجع على ذلك دعاية الحلفاء فى خلال الحرب العالمية الاولى لمبادىء تحرير الاقليات والدعوة للديمقراطية ومبدأ تقـرير المصير . وظن دوبوا ان فجر الحرية بالنسبة للزنوج سينفجر فى مؤتمر فرساى ، وأبرز القضية الزنجية فى اول مؤتمر عقده للنظر فى الرابطة الافريقيـــة فى سنة ١٩١٩ وتلا ذلك أربع مؤتمرات أخرى اشرف عليها دوبوا حتى مؤتمر مانشســـتر فى سنة ١٩٤٥ ، وهى

المؤتمرات التى تعرف باسم مؤتمرات الجامعة الافريقية .

والجامعة الافريقية شبيهة بالحــــركات الجامعية الاخرى التى ظهرت فى اواخر القرن الماضى واوائل القرن الحالى مثل الجامعة الجرمانية والصقلبية والاسلامية والعربيـة والامريكية واخيرا الانجلو سكسونية وتختلف عنها جميعا فى انها ليست جامعة عنصرية او جغرافية او ثقافية ولكنها تجمع بين هــذه العناصر كلها ، ورائدها الاكبر كان الدكتور دوبوا الاب الروحى للجامعة الافريقية وزعماء افريقية السوداء ينظرون اليه باعتبار انهم ابناؤه الروحيون .

ويمكن ان نعد جهاد دوبوا من اجـــل الجامعة الافريقية المرحلة الثالثة من حيـاته وهى المرحلة التى اصبح فيها جهاده قضية عالمية كبرى تشمل العالمين الجديد والقديم . ثم تطورت هذه الحركة فى مؤتمر مانشستر فى سنة ١٩٤٥ حيث تركز الجهاد فى القاهرة الافريقية ذاتها . وانتقلت الفكرة الزنجية من القارة الامريكية الى القارة الافريقية ، وظهر جيل جديد من القادة تشبع بارائه وعمل على تطبيقها فى المواطن الاصلية للزنوج فظهرت حركة تحرير المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية وعاش دوبوا حتى شهد نشأة الدول الافريقية الحديثة .

ولم يكف دوبوا فى المرحلة الرابعة من حياته ء مواصلة جهاده فى سبيل الشـــعوب الملونة وكان يقدم النصــــح لزعماء الدول الافريقية الناشئة واشترك فى مؤتمر الشعوب الافريقية فى سنة ١٩٥٨ ونابت عنه زوجته فى القاء خطابه ، وكان يخشى ان تنحرف الحركات القومية فى افريقية الى اتجاهات رجعية تساعد على بقاء الاستعمار بصورة مقنعة ، وساعده تخصصه فى العـــــلوم الاقتصادية على تبين معالم الطريق فى نهضة افريقية الاقتصادية بين الماركسية والراسمالية

واخيرا عاوده الحنين الى دراساته الاكاديمية فأحيا مشروعه القديم الخاص باخراج موسوعة

افريقية يحرر موادها العلماء الافريقيون من وجهة النظر الافريقية لتجلية نصيب الافارقة فى حضارة الجنس البشرى وابراز معالم الثقافة الافريقية والعمل على المحافظة عليها وتنميتها لتكون جزءا من الثقافة العالمية .

ومع تباين هذه المراحل فى حياة دوبوا الحافلة من اكاديمية ودعائية وسياسية فانه كانت تجمعها فى نسق صفات واحدة ، وهى الاخلاص والمثابرة والنزاهة العقلية وانعدام الانتهازية والديماجوجية فلم يكن يستخدم مواهبه العلمية او الادبية فى خدمة اغراض ذاتية ، كما انه لم يكن سطحيا فى دعايته كما لم يسترسل فى تملق الجماهير لينال الحظوة لديها على حساب المبادىء التى كان يدعو اليها .. ويبدو لنا ان مراحل جهاده مرتبة ترتيبا منطقيا تعتمد كل واحدة على ما سبقها وتلتقى جميعا فى مبادىء عامة تشمل غالبية الجنس البشرى ، فلم تكن قومية بالمعنى الضيق وانما وسعت الانسانية جمعاء .

ويهمنا نحن ابناء الجمهورية العربية المتحدة ان نعرف الكثير من سيرة الدكتور دوبوا لا لانها مثال يقتدى فحسب وانما لانه كان يحب مصر حبا صادقا ويشيد بحضارتها القديمة فى مؤلفاته كما اشاد بنهضتنا الحديثة وكان يرى ان حضارة وادى النيل حضارة افريقية اصيلة ليست باسيوية او اوربية وان اضافات المصريين القدماء لثقافة الجنس البشرى دليل على ان القارة الافريقية هى التى كتبت اول فصل فى تاريخ الانسان على سطح الارض . وفى العصور الحديثة هزه استبسال المصريين فى مقاومة الاعتداء الثلاثى فى سنة ١٩٥٦ فنظم قصيدة يشيد فيها بانتصار مصر وزعامة الرئيس جمال عبد الناصر وعد هذا انتصارا للشعوب الملونة بأسرها .

ويسعدنى اننى تعرفت اليه فى السنوات الاخيرة من حياته وجرت بينى وبينه مراسلات بشأن الموسوعة الافريقية حيث كتب الى يستومنحنى الرأى فى مشروعها ويطلب السفر الى القاهرة فى أوائل العام الماضى ليجتمع بالاخصائيين العرب فى مؤتمر يعقد لذلك تمهيدا لاخذ رأيهم ومساهمتهم فى تحرير مواد الموسوعة وقد عاقه المرض أكثر من مرة عن تحقيق عقد هذا المؤتمر ، وقد كتبت له خطابا مطولا ايدت فيه رأيه فى الابتعاد بالموسوعة عن أى هدف دعائى ونوهت فيه بجهود العلماء العرب فى الدراسات الافريقية كما أمنحت له معالم الحضارة فى وادى النيل وخطأ المؤتمرات الدولية للثقافة الزنجية فى باريس وروما فى اغفال أثر الثقافة العربية فى افريقية كما بينت بأن تسويقه بين الرق العربى والرق الاوربى فى بعض مؤلفاته لا تستند الى أساس تاريخى ، وقد شاء كرم الدكتور دوبوا نشر فقرات من هذا الخطاب فى النشرة الدورية الخاصة بالموسوعة .

واخير ارجو ان يسمح لى باسم محبى الدكتور دوبوا وعارفى فضله ان اتقدم بالعزاء للسيدة شيرلى جراهام حرمه وبالعزاء ايضا الى نجله والى هيئة سكرتارية الموسوعة باكرا ونرجو ان يستوحى هؤلاء ذكراه فى انفاذ مشروعه واعادة نشر مؤلفاته فى مجموعة كاملة .

((عبد العزيز عبد الحق حلمى))

الاستعمار الاقتصادي لافريقية

للدكتور محمد المعتصم سيد

تطلعت أنظار الاستعمار الاوربى الى أفريقيا منذ منتصف القرن الماضي طمعا فى فتح أسواق جديد لتجارته وضمانا لموارد الخامات البكر التى تحتاج اليها مصانعه .. وكلما توغل هذا الاستعمار فى القارة الافريقية كلما اكتشف منجما هائلا أو موردا لاينضب الامر الذى حمس الدول الاستعمارية على التسابق لامتلاك أجزاء من هذه القارة .. ففى هذا العمل ظفر بخير عميم وكسب لايعادله كسب .. وكان نتيجة ذلك هذا التنافس الخطير الذى تحدثت عنه المراجع بين دول راسخة فى الاستعمار كفرنسا وانجلترا والبرتغال ودول جديدة دخلت هذا الميدان كالمانيا وبلجيكا وايطاليا .

وفى مدى سنوات قليلة امتلات القارة الافريقية بحملات من هؤلاء المقامرين المستعمرين الذين عمدوا الى جعل رأس مال الاقتصاد الاوربى ملتصقا بالاقتصاد الافريقى فمثلا فى أسواق ومواد خام لازمة للصناعة الاوربية وقد استدعى هذا الامر هجرة المستعمرين الاوربيين الى مناطق الاستغلال والاحتكار الجديدة الذين عملوا بما فى وسعهم لسلب القارة الافريقية كنوزها الوفيرة .. وكان طبيعيا أن يخلق هذا الجو لونا حادا من ألوان المنافسة هذا لقيام حروب طاحنة نتيجة هذا التنافس — غير أنهم شعروا ان وراء هذا التنافس على هذه الصورة خسران للكسب الذى يتوقعونه .. فكان توافقهم على توزيع أملاك القارة فيما بينهم ، وتنظيم عملية الاستعمار بالتوافق .. وكان مؤتمر برلين الذى تم عقده فى سنة ١٨٨٧ فيصلا لهذه العملية .. ففيه تراضت دول الاستعمار الاوربى فيما بينها على تقسيم افريقيا . وخرجت الخرائط الجديدة وقد حملت الوانا جديدة تشير الى تبعية هذه المنطقة أو تلك لهذه الدولة الكبرى أو تلك حسبما استقر عليه الراى ..

واستمر الوضع بعد مؤتمر برلين عدة سنوات كانت بمثابة فترة هدنة بين دول الاستعمار الاوربى التى رأت فى هذا المؤتمر حلا مؤقتا لاطماعها وتنافسها الى أن كانت الحرب العالمية الاولى التى أظهرت بجلاء أهمية القارة الافريقية كمصدر ضخم من مصادر الثروة المعدنية والبشرية والاقتصاد . فأصبح الامر مدعاة لزيادة التفكير فى تركيز الاهتمام لهذه القارة ومواصلة الشوط لمزيد من الاهتمام حتى يكون فى خبراتها ومواردها العوض فيما فقدته الدول الكبرى من امكانيات وخير عميم تحفل به هذه القارة البكر .. وخرجت آمال من فرنسا وانجلترا وايطاليا من هذه الجولة وقد ظفرت بأجزاء جديدة ضمت الى دائرة نفوذها وذلك على حساب المستعمرات الالمانية والتركية فيما قبل هذه الحرب

وقد صار الاستعمار الاقتصادي جنبا الى جنب مع الاستعمار السياسى والعسكرى

وكلاهما يهدف الى مواصلة استقلال افريقيا عن طريق البطش وما لحركات الوطنية وتغنيت حركات كفاحها وخلق الفواصل المصطنعة فيما بينها وابعاد حركات المد الثوري عن أقطارها .. والحديث عن هذا الموضوع يطول فيه الكلام غير أنه أوجزها لمحات عن وسائل السياسة التى اتبعتها دول الاستعمار الاوربى بالنسبة للاقتصاد الافريقى ...

كان اهتمام الاوربيين حينما بسطو نفوذهم على القارة الافريقية اهتماما بالغا بالناحية الاقتصادية التى رأو فيها امتدادا للاقتصاد الاوربى ولزاما لهذا الامر اتبعوا سياسة خاصة تتيح لهم ضمان السيطرة على الميدان البكر وربطه تماما بمحور الرأس مالى الاستعمارى وفى هذا الصدد اتخذ الاستغلال الاوربى اشكالا متعددة منها النوع المباشر ومنها الغير مباشر وكلها ترمى فى النهاية الى تقييد المستعمرات بالشركات الاحتكارية والمعاهدات الاقتصادية غير المتكافئة . أو برامج المعونة المشروطة أو يلجأ الى السيطرة الصريحة على الاسواق والاستيلاء بالقوى العسكرية على الارض والثروات كما فرض المستعمر على الشعوب الافريقية ألوانا من التخصص لحماية اقتصادية وضمانا لارباحه الوفيرة على الدوام فهذه الدولة او تلك المنطقة لتخصص فى لون معين من المواد الاولية اللازمة للصناعة كالقطن أو البن أو الكاكاو أو الصمغ تمد به المصانع الاوربية ليعود اليها مرة اخرى فى شكل سلع تباع بأبخس الاثمان .

ولم يمض وقت طويل حتى احتكر المستعمرون والرأسمال الاوربى السوق الافريقية فقبضوا على ازمة التجارة فيها صادره أو وارده وأقاموا المنشآت الصناعة والزراعية ... والتعدينية ونشطوا ، ونشطوا فى جوف الارض يبحثون عن الخير الذى لم تمتد اليه يد من قبل فكانت اكتشافهم لمناجم الحديد والنحاس والذهب والماس وغيرها من المواد الخام التى تفتقر اليها الاسواق الاوربية ... الامر الذى جعل من القارة الافريقية مجالا للتسابق مرة اخرى .. وبدا هذا الامر واضح المعالم بعد الحرب العظمى الثانية ..

وكانت هناك عدة دوافع جديدة .. حدت بالدول الاوربية الاستعمارية الى تحديد كفاحها للسيطرة على اجزاء من القارة الافريقية لتكون المنفس لضائقنها الاقتصادية وكان ابرز معالم هذه الدوافع الاحتياجات المسافة فى صميم الكيان الاستعمارى ذاته والذى تتمثل فى زيادة عدد السكان فى الدول الاوربية بشكل ملحوظ يؤدى الى خلل فى كيانها الداخلى .. وهبوطا فى مستواها الاقتصادى الذى تعودت عليه .. مما يجعل من المحتم عليها ان تحافظ على المستوى العالى الذى تعودته ولوكان ذلك على حساب غيرها ممن يعيش فى بؤس وفقر ومرض .. وكان نتيجة ذلك تمسك هذه الدول الكبرى بالمستعمرات الافريقية — ترحل اليها بين الحين والاخر قوافل من أبنائها — عرفوا باسم المستوطنين البيض — لم يستأثروا بالسلطة فحسب .. بل رتعوا فى خيرها وتمتعوا بالحياة فى هذه المستعمرات كاسياد — لهم وحدهم الغنم .. وعلى المواطن الافريقى يقع الغرم كله .. ولا يزال هذا اللون من الاستعمار قائما فى جنوب افريقيا والروديسيات ويذكرنا بجرم الاستعمار وتسلطه ..

ومن اهم الاسباب التى دعت الاستعمار الى السيطرة على الاقتصاد الافريقى — استغلال ما تذخر به القارة الافريقية من مواد خام سواء فى الزراعة أو الصناعية .. وكلها لازمة للصناعة فى العالم الاستعمارى وقد كان نتيجة الابحاث التى اجريت على التربة فى افريقيا .. اثباتا لما تتمتع به من ذخيرة ضخمة من الثورات والامكانيات التى بهرت المستعمر .. هذا الى جانب مصادر القوى الطبيعية فيها وتساقط المياة .. والثورة الحيوانية الهائلة والغابات المترامية الاطراف التى تحتوى ثروة نباتية ضخمة — وقد ثبت بالاحصاء الرسمى أن افريقيا تنتج ٤ و ٩٨ من ماس العالم — و٨٧٪ من الاكوبلت ، ٦٠٪ من الذهب ، ٥٠٪ من المنجنيز واكثر من ج٢٪ من النحاس

والفوسفات و٨٠٪ من الصمغ و٧٠٪ من الكاكاو و٨٠٪ من زيت النخيل – و٧٥٪ من اليورانيوم . كما تبشر بمستقبل باهر في عالم البترول – هذا غير ما تحتويه أرضها من كنوز لم يتم كشفها بعد ..

وكان طبيعيا أن تكون هذه المواد على هذا النحو الوفير – الى جانب مواد أخرى اقل نسبيا – موضـــع اهتمام بالغ فى الدوائر الاستعمارية التى سعت الىالاستحواذ عليها بطريق مباشر او غيرمباشر لتنميةاقتصادياتها ودعمه بما يكفل ازدهاره دواما ..

وثمة سبب اخر دفع الاستعمار الاوربى الى تركيز اهتمامه من النواحى الاقتصادية وكان غرضا اساسيا سعى الى تحقيقهوهو البحث عن أسواق جديدة لتصريف مصنوعاته بما يحقق له ازدهارا اقتصاديا وقد وجد الاستعمار فى أفريقيا سوقه المفضـل الذى يستوعب منتجاته .

وقد زاد الاهتمام بهذا السوق بعـد أن فقد الاستعمار الانجليزى الفرنسى اســواقه التقليدية فى اسيا وحتى يحمى الاسـتعمار سوقه الجديد ويجعله قاصرا عليه – حارب بكل شدة قيام صناعات وطنية فى البـــلاد الواقعة تحت نفوذه لان فى هذا العمـــل انصرافا عن سلعة ونحوا فى ميدان يحرص الاستعمار على ان يعوق نحوه وهو الحريص على ان تظل هذه الاماكن فى حاجة دائمةاليه وهذا لا يتحقق الا ببقائها فى معزل عن أية صناعة وطنية .

وقد ظهر الاستعمار الاقتصادى واضحا جليا فى ناحية أخرى هى استغلال الاراضى الافريقية الخصبة وتمليكها للاوربيين أو بمن عرفوا بالمستوطنين البيض .. والاحصاءات التى نشرت حول هذا الموضوع تقـــول ان الشركات الزراعية الاحتكارية كانت تتملك نسبا تتراوح من ٧٠٪ الى ٩٥٪ من الاراضى الصالحة للزراعة فى الجزائر وغينياوالسنغال وجابون وساحل العاج والكونغو وهىالدول التى استقلت فى السنوات الاخيرة – ولازالت تعيش على فتات ما يتركه المستوطن .. الابيض وفى كينيا اليومقانونابتكرته الحكومة البريطانية يخول للحكومة حقانتزاع ماتشاء من الاراضى الزراعية لاى غرض كان وبأى شروط تضعها وفى أى ظروف تختارها كلمـا وجدت ذلك مناسبا .. كما عقــدت احدى الشركات الاحتكارية الامريكية عقدا منحكومة ليبريا يخولها حق امتلاك مليون فدان من الاراضى بسعر ثلاثة قروش للفدان الواحد

والى جانب الاستقلال المباشر للارض حقق الاستعماريون فى افريقيا ارباحا باهظة من اعمال الوساطة التجارية والقروضوالمضاربة والسمسرة .. ومن أمثلة الوساطة التجارية ان الاحتكارات البريطانية فى غرب افريقيـا واوغندا حققت فيما بينعامى ١٩٤٥ – ١٩٥٢ ربحا صافيا مقداره ١٣٣ مليون دولار من حصيلة شراء الكاكاو وزيت النخيل والصمغ وغيرهاباسعار منخفضة واعادة بيعهابالاسعار العالمية العالية ..

ولقـد حققت هـذه الســياسة للعالم الاستعمارى الى جانب الارباح الطائلة مركزا خطرا فى الحياة الاقتصادية الافريقيةوضمنت له تملك عصب الحياة فى افريقيا وهوالارض الزراعية التى كانت فى يوم ما ملكا خالصا للافريقيين قبل ان يغزوهم الاستعمار .. والحكمة الشائعة اليوم بين الافريقيين فى مناطق وسط افريقيا وغربها حين جاء الرجل الابيض كنا نملك الارض وهو يملك الانجيل اما الآن فقد صار هو يملك الارض ونملكنحن الانجيل .

وقد عنى الاستعمار عناية خاصة بموضوع تصدير رؤوس الاموال الى مصادر الثروة الجديدة فىالعالم الافريقى جريا وراء الربح الهائل الذى يجاوز فى وقت قصير رأسالمال ذاته والمقطوع به أن الشركات الاستغلالية كانت تحقق سنويا فى أفريقيا ارباحا خيالية وذلك بفضل الايدى العاملة الرخيصـــــة وتوافر فروع الانتاج ..

هذه بعض أمثلة مما اراد الاســتعمار ان يحققه لاغراضه الاحتكارية فى مجالات الاقتصـاد فى أفريقيا على حساب الشـعوب الافريقية المغلوبة على أمرها – وتوضحمدى بشاعة التصرف الذى أقدمت عليـــه دول

الاستعمار الاوربى لتستغل تلك الشعوب .. كما توضح بجلاء الاسباب التى تدفع الدول

الاستعمارية الى التمسك بالمناطق التى كانت تخضع لها .. والتى استغلت تحت وطأة الاحرار والكفاح من جانب الشعوب الافريقية نفى جلاء الاستعمار نهائيا عن هذه الجهات ضياع لقدر ضخم من دخله ومن امكانياته وهو الحريص على زيادة دخله .. وتدعيم امكانياته

ومشـــاكل افريقيا الاقتصـــادية .. او الصعوبات التى تعترض قيام ســـوق افريقية مشتركة ترتبط حلولها بثلاثة أوجه أوضحها الرئيس ســيكوتورى على الوجه التالى :

أولها : ان الاقتصــاد ليس منعزلا عن السياسة - فالسياسة هى التى تكيف مجموعة مظاهر الحياة المختلفة للشعب فالاقتصاد من هذه الناحية مظهر من مظاهر السياسة - فمثلا اذا اعترفنا سياسيا بوجود نظام اقطاعى لاســتوجب هذا اقتصاديا الاعتراف بان الاقطاعيين هم الذين يسيطرون على الجهاز الاقتصادى ويستغلون الشعب متخذين منه عبيدا ..

ولكننا اذا أردنا سياسيا ان نرسى اسس الديمقراطية واسعاد الجميع لوجب علينا فى المجال الاقتصادى ان نتخذ مواقف تكفل التقدم لكل الذين يريدون ان يعمــلوا أو الذين يستطيعون بعرق جبينهم ان يوجهوا احتياجاتهم ولهذا أقول ان الاقتصاد ليس منفصلا عن الخط السياسى للشعب ولكنه وجه من وجوه هذا الخط السياسى هذه هى النقطة الاولى

اما النقطة الثانية . فهى انه اذا أردنا ان تكون خطة اقتصادية للوقت الحاضر فهذه الخطة لن تتحقق الا فى المستقبل ولكن ينبغى ان يراعى ان ما حدث بالامس يحدد الحالة الحاضرة .. ومن ثم يجب تحليـــل الاوضاع الراهنة على الدوام بالنســـبة للمستقبل .. ماذا نريد فى المستقبل ؟ يجب تحديد الاهداف .. ماهو الوضع الحاضر ؟

يجب ان نواجه هــذه الاسئلة . فماذا أردنا ان نحتفظ بالوضع القائم فهل هـــذا يؤدى الى اسعادنا اذا كان الجواب بالايجاب فعلينا بتنمية هذا الوضع واذا رأينا ان هناك تناقضا شديدا بين المصالح وان ثمة احتمالات

للتضارب فى المجتمع مما يؤدى الى صراع بين القوى الاجتماعية .. واذا أردنا أن ندعم من وحدة الامة وتلبية حاجات الشعب لوجب علينا على أساس دراسة الوضع الراهن أن نتبين اخطاء وخلفات الماضى وان ندرس دراسة موضوعية لكل مشروع استثمارى نرى اقامته بما يتمشى مع أهداف الخطة التى رسمناها لانفسنا ..

هذه هى النقطة الثانية .. اما النقطة الثالثة فهى ضرورة تلبية الاقتصاد دائمـــا حاجة الشعب وحاجات شعوبنا متعددة فى حين ان وسائلنا قليلة وضـــعيفة جدا ..

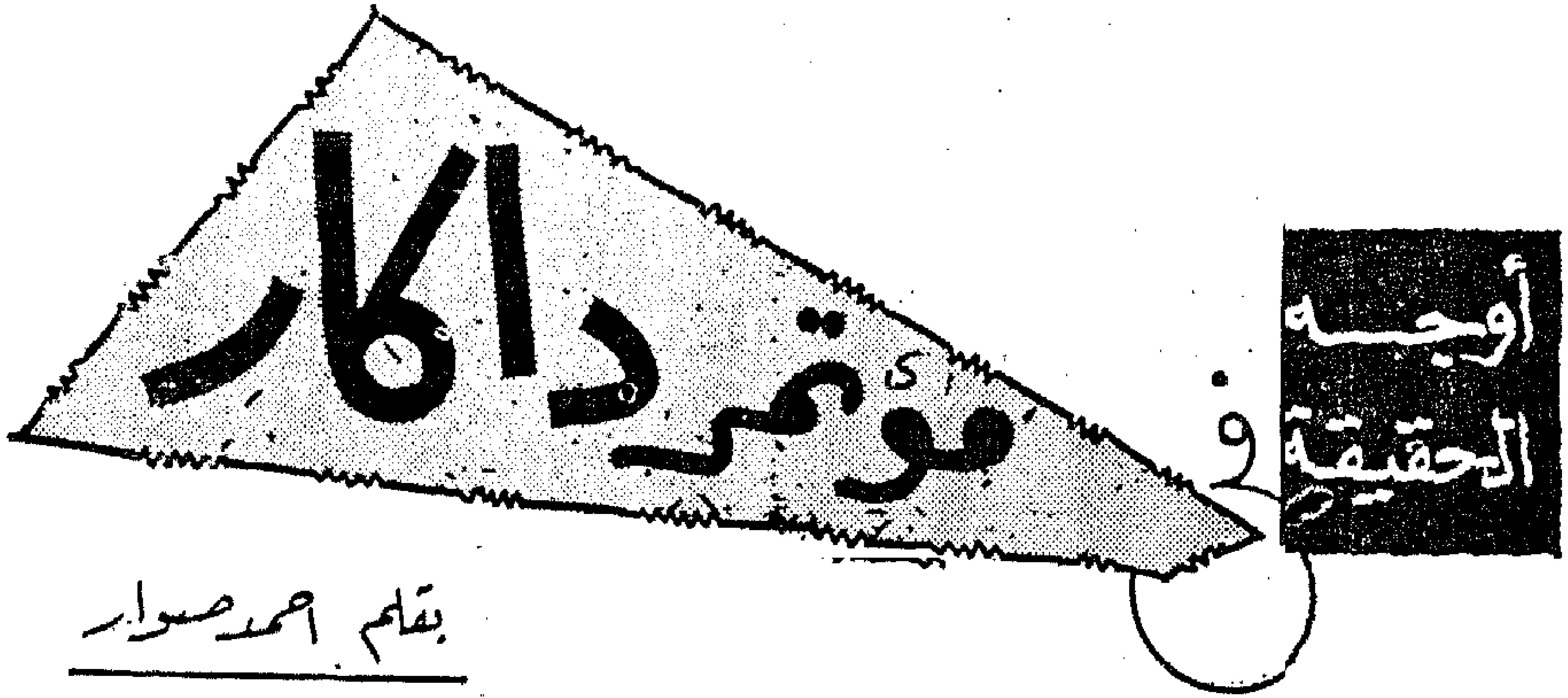
ولتجنب الارتجال ومرارة الندم يجب وضـــع قائمة محددة للحاجات الملحة بما يتمشى مع مواجهة الاحتمالات التى تثور فى المســتقبل مثال ذلك التضخم المستمر فى تعداد السكان

مواجهة الاحتمالات التى تثور فى المستقبل مثال ذلك التضخم المستمر فى تعداد السكان سنويا بالاقليم الجنوبى بالجمهورية العربية المتحدة يتراوح مثلا بين ٣٠٠ الف أو ٤٠٠ الف فيجب من اليوم دراسة مشكلات واحتمالات الغد الاقتصادية ..

هذه هى الاوجه الثلاثة للمشكلة الاقتصادية وهى اوجه لها طابع عالمى ولكن على كل شعب وفقا للظروف الخاصة به ان يدرس الوسائل العلمية التى تيسر له مواجهـــة مشكلاته اما تناول الاقتصاد فى حـــد ذاته بصورة مجردة فهذا ما لا أوافق عليه

فما ينجح من وسائل اقتصادية فى غينيا قد يفشل تماما فى بلد اخر تختلف ظروفه وأهدافه

((دكتور محمد المعتصم سيد))



بقلم احمد صوار

داكار عاصمة السنغال ، ومنفـذها على المحيط الاطلسى ، وهمزة الوصل الافريقية بين قارتى اوروبا وامريكا اللاتينية ، والمدينة التاريخية القديمة التى يقطنها اكثر من ربع مليون سنغالى شهدت فى الاسبوع الاول من شهر اغسطس الماضى اول مؤتمر يضم وزراء الخارجية لاثنين وثلاثين دولة افريقية .

واذا كانت الدوائر السياسية ووكالات الانباء والصحافة العالميـة ركزت اهتمامهـا على مؤتمر داكار فلانه بحق أول اجتماع من نوعه في القارة الافريقية لان احدا من وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة لم يتخلف عنه . بالاضافة الى ان المؤتمر بتكوينه هـذا يشكل المجلس الوزارى التابع لمنظمة الوحدة الافريقية التى انبثقت عن مؤتمر القمـــة الافريقى فى اديس ابابا ، فى شــهر مايو الخاص ، وان داكار هى اول عاصمة افريقية سعدت بالاجتماع الاول لمجلس وزراء المنظمة

واذا كانت القارة قد شهدت من قبــل تجمعات لوزراء خارجية الدول الافريقية كمـا حدث فى اكرا عام ١٩٥٨ وفى اديس ابابا عام ١٩٦٠ ، الا ان هذا المؤتمر وهو مؤتمر داكار يختلف عن جميع المؤتمرات التى تعودت عليها القارة ، لانه الاجتماع الاول لمجلس وزراء المنظمة بعد مؤتمر القمة فى اديس ابابا ، ولانه ضم جميع الدول الافريقية المستقلة دون تخلف ، وان المناقشات التى تخللته التزمت .

باطار واضح معلوم هو ميثاق المنظمة الذى وقعه الرؤساء فى اديس ابابا . اما المؤتمرات السابقة فقد كان التخلف عنها احدى صفاتها كما كانت جلساتها والمناقشـات التى تدور اثناءها لا يحددها هدف مرســوم او خط افريقي واضح .

من هنا يحق لنا القول بان المؤتمر هـو اصابع الديناميت التى وضعها الرؤساء فى مؤتمر القمة الافريقى فى طريق الاستعمار والصهيونية لنسف كل العقبات والسـدود التى وضعتها القوى الاستعمارية فى طـريق الحرية السياسية والاستقلال الاقتصـادى لاكثر من مائتى مليون من شعوب القـارة الافريقية .

وليست هذه هى كل اوجه الحقيقة فى مؤتمر داكار بل ان الظروف السياسية الدولية التى انعقد اثناءها المؤتمر ضاعفت من اهمية المؤتمر وقراراته ومن أهم تلك الظروف :

- انعقاد المؤتمر اثناء نظـر مجلس الامن لشكوى الدول الافريقية ضد البرتغال وحكومة جنوب افريقيا .
- انعقاد المؤتمر فى وقت توقيع معاهـدة وقف التجارب النووية بين الاتحـاد السوفييتى وامريكا وبريطانيا .

• انعقاد المؤتمر قبل افتتاح دورة الامم المتحدة القادمة والتى يعتزم الرؤساء فى افريقيا حضورها نظرا لان تمثيل افريقيا فى اجهزة الامم المتحدة اصبح متعارضا مع مركز القارة السياسى وكذلك عدد الدول الافريقية التى نالت استقلالها حديثا .

وليس من شك فى ان الظرف السياسية سواء الدولية او الافريقية واهمية هذه الظروف على مستقبل القارة قد حددت لسكرتارية المؤتمر جدول الاعمال الذى جاء متفقا مع الاغراض التى من اجلها تقابل المجلس الوزارى لمنظمة الوحدة فى مدينة داكار وكان من اهم النقاط التى حواها جدول الاعمال :

١ – نزع السلاح والتجارب النووية .

٢ – المجموعات الاقليمية فى افريقيا مثل الاتحاد الافريقى الملغاشى ومجموعة منروفيا ومجموعة الدار البيضاء .

٣ – التقارير المقدمة من رئيس المجموعة الافريقية فى الامم المتحدة ووفد وزراء الخارجية عن تصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية .

٤ – تمثيل افريقيا فى مجلس الامن التابع للامم المتحدة وفى المجلس الاجتماعى والاقتصادى واجهزة التخصص التابعة للامم المتحدة .

٥ – اختيار مقر السكرتارية الدائمة .

٦ – انتخاب سكرتير عام ادارى .

٧ – تقرير من لجنة التنسيق عن حركات التحرير الافريقية .

٨ – موعد ومكان الاجتماع القادم لرؤساء الدول الافريقية .

التجمعات الاقليمية :

ولقد كانت مشكلة المجموعات الاقليمية من اهم المشاكل التى واجهت اعضاء المؤتمر ذلك ان ميثاق اديس ابابا نص على ان تختفى جميع اشكال التجمعات الافريقية الخارجة عن ميثاق منظمة الوحدة سواء فيما يتعلق بالاتحاد الافريقى الملغاشى او اتحاد منروفيا او الدار البيضاء .

والمعروف ان هذه المجموعات كانت تعمل على أسس معينة حددتها مواثيقها وذلك قبل اجتماع مؤتمر القمة وتوقيع الميثاق الافريقى فى شهر مايو الماضى فى مدينة اديس ابابا .

لذلك اتفقت جميع الاطراف داخل المؤتمر على أن تنصهر هذه التجمعات داخل ميثاق أديس أبابا وأن هذه المسألة لا ينتظر أن تسوى فى زمن قصير وانما على مراحل وان التجمعات الحالية لا يمكن حلها بكلمة واحدة وانما سيتم ذلك عندما تستقر المنظمة الجديدة للوحدة الافريقية على أسس ثابتة .

ومما هو جدير بالذكر أنه برغم المناقشات العديدة التى دارت حول موضوع التجمعات الاقليمية كان الجميع يعتقدون بأن ميثاق منظمة الوحدة الافريقية قد ألغى جميع المواثيق الاخرى وأنه هو الاساس القانونى الوحيد للتجمعات السياسية فى افريقيا .

ومما لاشك فيه ان موقف المؤتمر من مشكلة التجمعات الاقليمية على هذا النمط يعتبر احدى اوجه الحقيقة لهذا المؤتمر .

وهناك حقائق اخرى حققها المؤتمر بالنسبة للمستعمرات البرتغالية وموقف حكومة جنوب افريقيا من التفرقة العنصرية ازاء الافريقيين هناك ذلك ان وفد الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسه السيد حسين ذو الفقار صبرى قدم الى لجنة المؤتمر تقريرا بشأن ما تقدمه الجمهورية العربية المتحدة وما نفذته من قرارات مؤتمر اديس ابابا ومنها قطع العلاقات الدبلوماسية مع البرتغال والاجراءات التى اتخذتها ضد حكومة جنوب افريقيا مثل قطع العلاقات الاقتصادية ، وتقديم المساعدات المادية لصندوق حركات التحرر الافريقية ، بالاضافة الى المنح الفنية والثقافية التى قدمتها وتقدمها الجمهورية العربية المتحدة لطلبة

الدول الافريقية التى لم تحصل استقلالها .

واما عن الحقيقة فى انجولا فان اعضاء المؤتمر اعلنوا تأييدهم الرسمى وكذا تأييد بلادهم لحركة التحرير الوطنى بانجولا التى يتزعمها هولدن روبرتو ودعوا الى تأييده والاعتراف بحكومته التى شكلها فى مدينة ليوبولدفيل وضرورة تقديم المساعدات المادية والمعنوية لحركته .

تمثيل افريقيا فى الامم المتحدة :

وبالنسبة لحقيقة تمثيل الدول الافريقية فى اجهزة الامم المتحدة قرر المؤتمر ما يأتى :

١ - بما انه لم يكن هناك عند اقرار ميثاق الامم المتحدة عام ١٩٤٥ واتفاقية لندن عام ١٩٤٦ غير ثلاث دول افريقية مستقلة ذات سيادة فقط من مجموع هذه الدول البالغ عددها ٥١ دولة ممثلة كاعضاء فى المنظمة الدولية اى ١/٧١ من المجموع الكلى .

٢ - وبما ان افريقيا فى عام ١٩٦٣ يمثلها بالفعل ٣٢ دولة كاعضاء فى المنظمة الدولية أى ثلث المجموع الكلى لدول الاعضاء ، وأن اربع دول افريقية جديدة ستزيد من هذه النسبة بعد انضمامها القريب للمنظمة .

٣ - وبما انه لايوجد هناك تمثيل خاص لافريقيا فى بعض اجهزة الامم المتحدة كما ان تمثيلها فى الاجهزة الرئيسية والفرعية للمنظمة ما زال يشوبه النقص الواضح .

٤ - وبما ان الدول الافريقية تعطى اهمية قصوى لسرعة علاج هذا الموقف المجحف الذى تقع فريسة له الاعضاء الجدد بوجه عام والدول الافريقية بوجه خاص .

٥ - واستنادا الى القرار القاطع الذى اتخذه بالاجتماع جميع رؤساء دول وحكومات دول افريقيا المستقلة والخاص بضرورة تمثيل افريقيا فى جميع اجهزة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة تمثيلا عادلا .

٦ - وبما ان هذا العلاج الضرورى للموقف يجب ان يتم على اساس مبادىء المساواة بين الدول الاعضاء والتوزيع الجغرافى العادل الذى ينادى ميثاق منظمة الامم المتحدة .

٧ - وبما ان تصحيح الموقف الذى تطالب به الدول الافريقية الذى عليه عوامل العدالة والمساواة يحتم فى الوقت نفسه تعديل الميثاق طبقا لمادته رقم ١٠٨ واعادة توزيع جميع المقاعد الحالية والمستجدة .

٨ - ولما كان تعديل الميثاق طبقا لشروط المادة ١٠٨ يحتم الموافقة الجماعية لجميع الاعضاء الدائمين بمجلس الامن .

فان مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية :

● يقرر مطالبة جميع اعضاء الكتلة الافريقية بالامم المتحدة ببذل اقصى الجهد للحصول تحت احسن الشروط الممكنة على تمثيل افريقيا بالمنظمة الدولية تمثيلا عادلا وذلك عن طريق تعديل الميثاق واعادة توزيع المقاعد الحالية والمستجدة .

● يناشد جميع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة وفى مقدمتها الاعضاء الدائمون بمجلس الامن حتى تتحقق المطالب الافريقية العادلة العاجلة وذلك باحجامها عن معارضة مشروع تعديل ميثاق الامم المتحدة .

● ويقرر اخيرا بذل جميع الجهود الضرورية حتى تتحقق مطالب الدول الافريقية العادلة حتى تتمكن بعد ان تحصل على التمثيل العادل الذى تطالب به من ان تساهم مساهمة فعالة فى رسالة السلام التى تضطلع بها الامم المتحدة وذلك خلال الدورة الثالثة عشرة للجمعية العامة .

● وتعلن ان اى عقبة تثيرها اية دولة عضو فى الامم المتحدة فى سبيل تحقيق هذا الهدف سيعتبر عملا غير ودى من جانب جميع الدول الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية .

● بعد ان اضطلع مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية المجتمع بمدينة داكار فى الفترة ما بين ٢و١٦ اغسطس عام ١٩٦٣ على التقارير الهامة التى قدمها وزراء خارجية تونس وسيراليون والخاصة بالمهمة التى اوكلت اليهما وكذلك على تقارير وزراء

خارجية مدغشقر وليبيريا امام مجلس الامن :

١ – يعلن عن عظيم امتنانه لوزراءخارجية ليبيريا ومدغشقر وتونس وسيراليون .

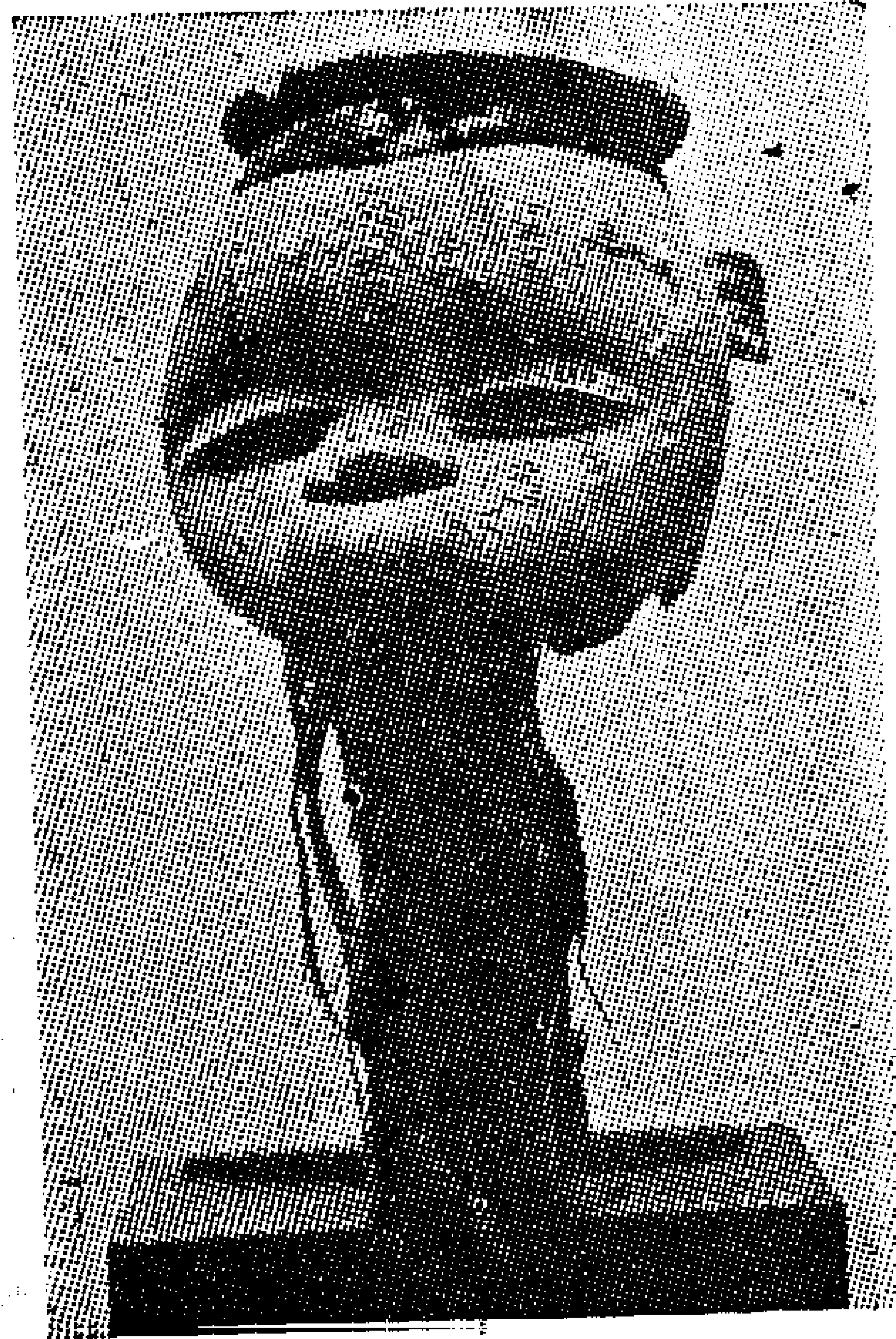
٢ – كما يعبر عن شكره وامتنانه لاعضاء مجلس الامن الذين ايدوا القرار الاسيوى الافريقى الذى عـــرض على مجلس الامن والخاص بمناهضة الاستعمار البرتغـــالى والتفرقة العنصرية بجنوب افريقيا .

٣ – ينحى على وفود الولايات المتحـــدة وبريطانيا وفرنسا موقفها اثناء مناقشـــات مجلس الامن ويحدوه الامـــل ان تستجيب الحكومات التى يهمها الامر لنداء رؤســاء الدول فيؤيدون فى المستقبل مطالب شعوب افريقيا فى الحرية والمساواة واحترام الكرامة

٤ – ويطالب بالحاح اعضاء المنظمـــة الدولية بادانة الجرائم التى ترتكب ضـــد شعوب افريقيا على يد البرتغال وجنـــوب افريقيا .

٥ – ويقرر بذل جميع الجهود لتحقيق مقاطعة جنوب افريقيا والبرتغال فى جميـــع الميادين الاقتصادية والسياسية وذلك بجميع الوسائل المباشرة وغير المباشرة .

مما سبق يمكن القول بان اوجه الحقيقة كانت متعددة فى مؤتمر داكار وان هـــذه الحقائق هى بمثابة الشـــعلة التى تضىء الطريق امام الشعوب الافريقية التى اصبحت تتطلع الى حياة افضل ومستقبل اعظم بعـد ان داستها اقدام اوروبا مئـــات السنين واذا كانت المؤتمرات السابقة كانت تنصرف بعد ان تضع قراراتها على الورق الا ان هذا المؤتمر يختلف عن سائر المؤتمرات ذلك لانه يدفع افريقيا الى مرحلة التطور العملى من جل حمايتها من طمـــاع الدول لاستعمارية والصهيونية وجشعهما واستغلالهما للقـــارة الحبية .



أفريقية

واتفاق حظر التجارب الذرية

للدكتور محمد عبد الرحمن حسين

تفاءل العالم بالاتفاق الذى وقعه أخيرا فى موسكو وزراء خارجية كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ووزير خارجية الاتحاد السوفيتى بشأن حظر التجارب الذرية .

وقد عبر الرئيس عبد الناصر عن ذلك فى خطبته التى ألقاها بالاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر لثورة ٢٣ يوليو اذ أعلن ترحيب الجمهورية العربية المتحدة البالغ بتوقيع اتفاق حظر التجارب الذرية وأعلن تأييده لدعوة الرئيس الهندى نهرو بدعوة الدول الى المبادرة بالتوقيع على الاتفاق .

ولقد كان من الطبيعى أن تكون الجمهورية العربية المتحدة من أول الدول التى ترحب بمثل هذا الاتفاق وتبادر الى التوقيع عليه .

لقد كانت الجمهورية العربية المتحدة منذ شهدت أرضها ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ تنشد السلام القائم على العدل ، وتتعجل اليوم الذى يكون هناك فيه مجتمع عالمى ترفرف عليه الرفاهية ويزول من أفقه شبح الحرب . ولم يكن تحقيق ذلك أمرا ميسورا والصراع على أشده بين الدول الكبرى فى سباق جنونى على التسلح دفع العالم مرات كثيرة الى حافة الحرب .

وكان لا بد أن تكون هناك قوة حيادية تقف بين المعسكرين المتصارعين وتخفف حدة التوتر الذى شد انتباه العالم سنين طويلة

وفى مؤتمر باندونج الذى عقد فى ابريل سنة ١٩٥٥ وحضره ممثلو ٢٩ دولة أسيوية وافريقية يمثلون سكان ثلاث أخماس العالم ، كانت دعوة مصر لهذه الدول أن تتمسك بسياسة الحياد الايجابى مذهبا ومنهاجا لها فى العمل وبضرورة تصفية الاستعمار فى شتى صوره وألوانه .

وتلى مؤتمر باندونج مؤتمر بريونى فى يوليو ١٩٥٦ حضره زعماء الحياد فى العالم تيتو ونهرو وناصر وذلك لبحث الاجراءات الكفيلة بتنفيذ مقررات مؤتمر باندونج وتقوية الروابط بين الدول الحيادية وقيامها بدور ايجابى فى تخفيف حدة النزاع العالمى .

وفشلت كل أنواع الضغط التى تعرضت لها مصر كى تجعلها تعدل عن سياستها الحيادية وصمدت لحرب نفسية واقتصادية ثم تعرضت لعدوان مسلح فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ بعد أن فشل الاستعمار الغربى فى ضم مصر لاحلافه التى أقامها فى منطقة الشرق الاوسط فى ذلك الحين وأعنى بها حلف بغداد وعند ما انتصرت مصر فى معركة العدوان وسقط ايدن ومولييه وبقى جمال عبد الناصر ظل يرفع راية السلام ويدعو بحق العالم فى أن يحيا حياة بعيدة عن شبح الاستعمار والعدوان .

وفى الدورة الخامسة عشر للامم المتحدة وقف الرئيس عبد الناصر يوضح أن زمام

العالم لم يعد يملك التصرف فيه حفنة من الدول الكبرى تملك الاسلحة الذرية والصواريخ وانما صارت هناك قوى أخرى لديها من الاسلحة ما ينافس هذه القنابل الذرية والصواريخ وهى القوى المعنوية التى تتمثل فى الشعوب الحرة التى كافحت من أجل حريتها واستقلالها ، هذه الشعوب التى تنادى بحق الدول المغلوبة على أمرها فى الحرية وفى تقرير المصير .

وفى هذه الدورة الخامسة عشر التى حضرها الرئيس المصرى ، كان العالم يخيم عليه روح اليأس والقنوط فى زوال شبح الصراع المخيف بين الكتلتين المتصارعتين بعد أن فشل مؤتمر جنيف الذى عقد فى يونيو (١٩٦٠) لبحث نزع السلاح ولكن الرئيس جمال عبد الناصر قدم اقتراحه الايجابى فى سبيل التقارب بين الشرق والغرب بضرورة أن تصدر الجمعية العامة للامم المتحدة توصيتها باجتماع الزعيمين الكبيرين كنيدى وخروشوف تحت علم الامم المتحدة اما وحدهما أو معهما من ترون من الحاضرين هنا لكى يضعوا تحت سمع الامم المتحدة وبصرها قواعد بدء المحاولة من جديد فى اتجاه نزع السلاح .

وكان أهم ما جاء فى اقتراح الرئيس المصرى أن الشعوب الصغيرة تستطيع أن تثبت قدرتها على الحركة وعلى القيام بدور ايجابى فى الوقوف بين الكتل المتصارعة وكانت دعوة عبد الناصر باجتماع الزعيمين تحت علم الامم المتحدة معناه الايحاء للزعيمين بأن دول الامم المتحدة تنتظر مصير هذه المباحثات وتعلق عليها كبير الامل هذا الى جانب ما فى اقتراح مصر من تقوية لمنظمة الامم المتحدة ذاتها واعطائها قوة فعالة فى تحقيق السلام الذى ينشده العالم .

حاز اقتراح مصر موافقة الامم المتحدة وأبلغ به كل من الرئيسين الامريكى والسوفيتى ولكن شقة الخلاف بين المذهبين الغربى والسوفيتى كانت فى حاجة الى مجهودات متضافرة أخرى .

وفى الدورة التالية للامم المتحدة (١٩٦١) تم الاتفاق بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى على تشكيل لجنة نزع السلاح التابعة للامم المتحدة من ١٨ عضوا منهم ثمانى دول خارج الكتلتين فى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة وتضم معها (نيجيريا ، أثيوبيا ، الهند ، وبورما ، المكسيك ، البرازيل والسويد) وعرض اتفاق الدولتين على الجمعية العامة للامم المتحدة فى صورة مشروع قرار فتمت الموافقة عليه فى جلسة ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦١ .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة وهى تسعى فى سبيل محاولات نزع السلاح توقن أنه لم تعد هناك مناطق من العالم تستطيع أن تعيش بمعزل عن هذا الصراع الدائر بين الشرق والغرب وأن الحرب بأسلحتها الحديثة والفتاكة لن تترك أى منطقة من مناطق العالم دون أن تمتد اليها يد الخراب والدمار وما دام مصير الدول مرتبط ببعضه فيجب ألا يكون هناك موقف سلبى لبعضها تاركة أمر التصرف لبعض من الدول الكبرى .

وصدر تصريح بهذا المعنى فى مؤتمر الدول غير المنحازة الذى عقد فى مدينة بلغراد « يرى المشتركون فى المؤتمر أنه من الضرورى أن تشترك البلاد غير المنحازة فى حل المشاكل الدولية القائمة المتصلة بالسلام والامن فى العالم » . ذلك أنه لا يمكن لاى منها أن تظل بمعزل عن هذه المشاكل ودون التأثر بها . انهم يعتبرون أن الاتساع المطرد لنطاق عدم الانحياز فى العالم هو البديل الوحيد الذى لا غنى عنه لسياسة تقسيم العالم الى كتل ولسياسة الحرب الباردة المتزايدة . وأن البلاد غير المنحازة ستشجع وتؤيد جميع الشعوب التى تناضل من أجل الاستقلال والمساواة .

وقد تضمن الميثاق الوطنى الذى صار أسلوبا لنا فى الجمهورية العربية المتحدة ومنهاجا لنا فى العمل هذا المعنى ، فقد تضمن ضرورة العمل من أجل السلام لان جو السلام واحتمالاته هو الفرصة الوحيدة لرعاية التقدم

الوطنى والتعاون الدولى من اجل الرخاء فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره .

وفى سبيل ذلك عرضت الجمهورية العربية وساطتها فى النزاع الذى قام بين الهند والصين حول مشكلة الحدود ونجحت ومعها دول كولمبو فى تخفيف حدته وتقدمت باقتراحات ايجابية فى هذا السبيل ، ونادت بامكان التعايش السلمى بين المذاهب المختلفة .

واذا كانت الدول الكبرى قد توصلت الى قرار اليوم بحظر التجارب الذرية فيجب أن تكون الشعوب الصغيرة سباقة الى تأييد ذلك والابتهاج به والدعوة الى مزيد من قرارات تدعيم السلام العالمى .

ونحن أبناء أفريقيا نأمل أن يتبع قرار حظر التجارب الذرية قرار آخر بالاتفاق على خفض وقبول مبدأ التفتيش على الاسلحة ضمانا لعدم انتاج أسلحة سرية فتاكة ، ذلك أن الاتفاق على هذا كله فى مصلحة الدول النامية قبل غيرها من الدول فهى أحوج ما توجه انفاقها للتعمير بدلا من التسابق وفى حاجة الى أن تعمل فى جو كله طمأنينة لا نذر فيه لحرب ولا لدمار ، نحو خلق مجتمع لشعوبها تسوده الرفاهية والازدهار وفى توجيه أبحاث الذرة وغيرها نحو مشروعات العمران والسلام .

وأننا لنتطلع الى اليوم الذى يتم فيه ذلك ونأمل أن تكون الخطوة التالية قبول مبدأ تصفية الاستعمار فى شتى أشكاله وألوانه ذلك أنه بالنسبة لافريقيا لا زالت هناك دول من القارة لم تتحرر مشيئتها فى العمل ولا زالت هناك حكومات تتبع سياسة التفرقة العنصرية أساسا لها فى العمل ولا يمكن للعالم أن ينشد السلام مع وجود مثل هذه السياسات فى القرن العشرين .

وقد اوضح الميثاق الوطنى سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الميدان « بضرورة اعلان الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع اقنعته ومحاربته فى كل أوكاره . »

وعلينا نحن الذين ذقنا مرارة السيطرة والاستعباد وحلاوة النصر والاستقلال ، ان نبذل كل ما فى مكنتنا لتأييد هذه الشعوب التى لازالت تتطلع الى الحرية ونسعى اليها

من اجل ذلك أقدمت الجمهورية العربية المتحدة على قطع علاقتها بحكومة اتحاد جنوب افريقيا واقدمنا على قطع علاقتنا الدبلوماسية اخيرا مع حكومة البرتغال تنفيذا لقرارات مؤتمر القمة فى اديس ابابا احتجاجا على سياستها الاستعمارية فى انجولا وغينيا البرتغالية . والمعروف ان مؤتمر الاقطاب فى اديس ابابا طالب بنزع السلاح وازالة القواعد العسكرية من افريقيا وتحريم التجارب الذرية فى القارة .

والى جانب ذلك وقفت الجمهورية العربية المتحدة تؤيد كل ثورة تحررية فى داخل افريقيا وخارجها ايمانا منها بحق الشعوب فى اختيار حياتها وفى صنع قدراتها . وكانت الجمهورية العربية المتحدة وهى تقدم على ذلك تخضع لحتمية التاريخ الذى فرض عليها ان تكون قاعدة للنضال ورائدة له فى المنطقة .

لاسلام للعالم بعد قرار حظر التجارب الذرية الا بتصفية الاستعمار . وقد قامت مصر بدور ايجابى فى هذا السبيل فلدى اجتماع الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للامم المتحدة تقدمت ٤٣ دولة اسيوية افريقية فى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة بمشروع قرار بتصفية الاستعمار بناء على اقتراح الرئيس السوفيتى وقد وافقت الجمعية العامة على المشروع الاسيوى الافريقى فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦١ باغلبية ٩٠ صوتا . وفى الدورة التالية للامم المتحدة تقدمت ٣٨ دولة اسيوية وافريقية مرة اخرى من بينها الجمهورية العربية المتحدة بمشروع قرار لتشكيل لجنة من ١٧ دولة للعمل على ضمان تنفيذ قرار الدورة السابقة بتصفية الاستعمار ووافقت الجمعية العامة على تشكيل اللجنة

واذا كانت مقدرات الامور فى هذه المنظمة مازالت فى يد الدول الكبرى التى لم تخلص النية لديها بعد فى العمل على تصفية

« البقية ص ٤٣ »

الاسلام في نيجيريا



بقلم عبد السلام شحاته

رسالة صغيرة الحجم عظيمة الفائدة الفها أبناء نيجيريا منذ حوالى ثلاثة عشر عاما ، وطبعت فى مصر ، والرسالة عنوانها « الاسـلام فى نيجيريا وعثمان بن فودى » ، والمؤلف هو آدم عبد الله الالورى أحد أبناء لاجوس عاصـمة نيجيريا ، وقد طبعت بالقاهرة منذ ثلاثة عشر عاما تقريبا .

والرسالة مصدرة بأكثر من تصدير فهناك كلمة للشريف عبد المجيد بن محمد بتاريخ ١٣٧٠ هـ وأخرى بقلم الشيخ عبـد الله الفلانى شيخ مدينة مايرنو وثالثة بقلم ناصر محمد خادم الفتوى بمدينة كنو ورابعة للحاج عثمان عمر الملاوى نزيل لاجوس .

وقد سررت اذ عثرت مصادفة على مثـل هذه الرسالة القيمة . واذا كنا اليوم نلتمس دراسة مثل هذه الموضوعات فى المصادر الغربية فما أحرانا ان نبحث عما كتب عنها بالعربية وعما طبع ونشر منها فى القاهرة على الاخص ولو ان لدينا نظاما منهجيا للبحث والدرس لكان من السهل ان نعثر على هذه الرسـالة وما شابهها فى غير عناء .

وفضلا عن طرافة الرسالة فى موضـــوعها ولانها كتبت باللغة العربية ونشرت بالقاهرة فانها تدل على تلك الصلات الثقافية القـوية التى تربط القاهرة بنيجيريا . ويشير المؤلف الى تلك الروابط القديمة فى التاريخ كمــا يشير الى أولئك الطلاب من ابنـــاء نيجيريا الذين كانوا يقصدون مصر لتلقى العلم بالازهر مما ادى الى تخصيص دواق لهم عرف بالرواق البرنوى نسبة الى مملكة برونو فى شــمال نيجيريا التى كانت مملكة مزدهرة قوية عزيزة الجانب فيما مضى . كما يشير الى كثير من المراسلات التى تمت بين علماء مصر وحكام وملوك نيجيريا وأورد رسالة للسيوطى الى بعض هؤلاء جاء فيها : « وبلغنى من أهــل غوبر أن منهم من اذا مرض ذبح عبدا له أو امة ويزعم ان ذلك يفديه من الموت فما اكفره فيما صنعه وفيما زعمه » .

ولم يستطع الاستعمار حين جثم على أرض نيجيريا ان يحول دون ارتياد علماء المسلمين لتلك المناطق والاسهام فى نشر الثقافة العربية فيها مثل الشيخ عبد الكريم المدنى المرادى الذى جاء من بلاد المشرق العربى و'لم بمصر والمغرب وطوف بسيراليون وساحل الذهب وداهومى ونيجيريا حيث مات بمدينـــة كانو عام ١٩٠٠

كما استطاع الكثيرون ان يفدوا الى مصر فى عهد الاستعمار مثل هارون الرشيد من ابناء سيراليون الذى وفد اليها لتلقى العلم بالازهر ثم عاد لينشر الدعوة .

بل لم يقتصر عمل المثقفين العرب على نشر الدين بل عملوا فى مجال التعليم مثل محمد مصطفى الشامى الذى نزل بلاجـوس عــام ١٩٠٤ وأنشأ مدرسة اسلامية وألف كتــابا لتعليم اللغة العربية بعنوان « مفتاح اللغــة العربية للتعليم فى افريقية » .

والمؤلف نفسه قد التمس العلم بالازهــر واختلف الى حلقات علمائه ، وقـد ولد عام ١٩١٧ وتلقى العلم بمدينة الدرن التى كانت عاصمة اسلامية لقبـــائل اليوربا فى الاقليم الغربى من نيجيريا واختلف فيها وفى ابادان ولاجوس الى حلقات علماء الدين واللغة حتى وفد الى مصر فى الوقت الذى الف فيه الكتاب وذلك حوالى عام ١٩٥٠

ويرى المؤلف ما يـــراه أغلب المثقفـــين الافريقيين اليوم من تعصب المؤلفات الغربية فى علاجها للتاريخ الافريقى والثقافة الافريقية ويرى أن الغرب قد عرف السواحل الغربية لافريقية منذ خمسة قرون واخذ نفوذه يزداد واحتل الانجليز المناطق الشرقية والغربية من نيجيريا عام ١٨٦١ ولم تتم ســـيطرتهم على المنطقة الشمالية الاسلامية الا عام ١٩٠٣ بعد أن سقطت عاصمتها الاسلامية سوكتو قبــل ذلك بعام . فالغرب خبير بشئون افريقيــا وضع عنها المؤلفات الحديثة واشاع هــذه المؤلفات فى أنحاء العالم وهى مؤلفات مغرضة لا تتوخى الحق والصدق . وفى الوقت نفسه فان علماء غرب افريقية لم يهتموا بتـدوين الاحداث ، واذا وجد منهم من فعل ذلك فان معظم كتبهم لم تنشر او فقدت . ومن اشهر المؤلفين من أبناء نيجيريا احمد بابا التمبكتى الذى كتب كتاب « أخبار القرون بمدينــة الورن » وهى العاصمة الاسلامية فى المنطقة الغربية ثم قام برحلة جاب فيها القارة وألف عنها كتاب « الكشف والبيان » وله كتــاب « تطريز الديباج » .

ومن المؤلفين المعروفين فى تاريخ نيجيريا عبد الله بن فودى (فوديو) شقيق البطـل الحاج عثمان فوديو ومن أشهر ما ألف كتاب « تزيين الورقات » بالاضافة الى كتاب الحاج عثمان نفسه المسمى « تبنية الاخوان » .

ويرى المؤلف ان الغربيين تجنوا على تاريخ عثمان فوديو فصوروه فى صورة المتعصب ولكنه كان صاحب رسالة يرجو بها تقويم مجتمعه وتخليصه من الرذائل والفتن شأن أى مصلح صاحب رسالة . ومما اساء الى تاريخ ذلك البطل شيوع العصبية القبلية الامر الذى بالغ فى تصويره المؤلفون الغربيون

وهو يدعو الى اعادة كتابة التاريخ الافريقى بروح محايدة متصنعة وهذا ما يسعى اليه جميع المؤرخين المخلصـين من الافريقيــين

ويبدأ كتابه بوصف نيجيريا وأقاليمها ومدنها ومدى شيوع الاسلام فى كل منها ، وأشار الى تعدد اللغات بحيث لاتكاد القبيلة تفهم لغة القبيلة التى اقتبست كثيرا من الالفاظ العربية وكانت تكتب بالخط الكوفى العربى وهى لغة واسعة الانتشار وتليها فى

بلاد سنغى فى القرن الثالث الهجرى ومن اشهر ملوكها محمد اسكيا صاحب مدينة غاو بمنطقة بوتاجالون وقابل الامام السيوطى والشيخ المغيبى التلمسانى المتوفى عام ١٤٩٣ م ومملكة مالى فى القرن الحادى عشر الميلادى واشهر ملوكها موسى حاج وكتب عنها ابن خلدون وابن بطوطة . والمملكةالبرنويةبشمال

اللفظ فى الهوسا	مصدره العربى	اللفظ فى اليوربا	مصدره العربى
الله	الله	الوهن	الله
دونيا	الدنيا	اومى	الماء
لآخرة	الآخرة	اسالى	أصيل
روا (ماء)	الرواء	أوهن	هو
صابلو	الصابون	آسو	الثوب
هنكلى	العقل	انا	النار
هلشن	اللسان	فتلا	فتيلة
ماتا	المرأة	وا (بمعنى تعالى)	وا (من حروف النداء)
سما	السماء	شما	السماء

ذلك لغة اليوربا التى تأثرت تأثرا أقل باللغة العربية وقد وضع لها الانجليز قاموسا فى القرن الماضى فأصبحت تكتب بالحروف اللاتينية . كما أن لغة البرنو متأثر بالعربية

وفيما يلى جدول ببعض كلمات الهوسا واليوربا والمصدر العربى الذى اشتقت منه نورده لاثبات مدى تأثر كل من اللغتين بالعربية

ويشير الى الروابط بين القبائل الافريقية والمجتمعات العربية فنذكر ان معظم تلك القبائل مزيج من السلالات البربرية والزنجية والمصرية والعربية وان الهوسا تجرى فيها الدماء العربية وقبائل اليوربا من خليط من الزنوج والعرب والمصريين النازحين من صعيد مصر

ويؤكد المؤلف أن الاسلام دخل غرب افرقيا فى القرن الاول الهجرى اى فى نفس الوقت الذى انتشر فيه بالشمال الافريقى وان العرب انتشروا ونجبوا بعد زواجهم من الافريقيات فانتشر ابناؤهم ليهدوا الناس الى الدين بالسلم والمحبة ، وهم الذين عملوا على تكوين الممالك الاسلامية مثل مملكة غانا فى القرن العاشر الميلادى ، والمملكة التكرورية التى قامت

شرق نيجيريا وترجع الى القرن الخامس الهجرى وممالك الهوسا المتحالفة فى شمال نيجيريا وقد ذكر أحمد بابا التمبكتى فى كتابى «الكشف والبيان» و «مدارج الصعود» ان بلاد الممالك الهوساديه التى تشمل برونو وكنودكتسنه وزاريا وملى (مالى) قد أسلم أهلها فى القرن الخامس الهجرى دون قتال وعملت القبائل المالوية على نشر الاسلام بين اليوربا فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر وذلك بالمنطقة الجنوبية من نيجيريا ولذلك يسمى ابناء اليوربا الدين الاسلامى هناك بانه دين ملى نسبة الى قبائل ملى

واذا كانت هذه الممالك قد عرفت فى فترة متأخرة ، واذا كان الاسلام لم ينتشر على نطاق واسع الا بعد عدة قرون الا ان ذلك لايخفى الحقيقة التى أكدها المؤلف اكثر من مرة وهى أن الاسلام انتشر فى القرن الاول الهجرى بافريقية الغربية ونيجيريا

غير أن تردد بعض القبائل فى ايمانها وعدم دخول جميع القبائل الموجودة بمنطقة واحدة دفعة واحدة فى الاسلام يجعل بعض المؤرخين

لا يفطنون الى الفترة المبكرة التى عرفت فيها افريقية الغربية الدين الاسلامى

ولم يكن ثمة مايمنع من انتشاره فى سائر الارجاء حيث لم تكن هناك تلك الحدود التى اصطنعها الاستعمار فيما بعد ليفتت اجزاء القارة . واذا كان الاوربيون يذكرون ان الاسلام انتشر فى نيجيريا فى القرن السابع او الثامن الهجرى فان مبعث ذلك رغبتهم فى الاقلال من عراقته وقدمه فى القارة . ويذكر المؤلف أهمية الطرق الصوفية فى نشر الاسلام وذلك لمسايرة حالة البلاد وسكانها

ويتحدث بعد ذلك عن ازدهار تمبوكتو وظهور عدد من العلماء المسلمين فى نيجيريا ، بل ان المرأة كان لها ذكر فى هذا المجال مثل أم هانى محمد العبدوسى المتوفاة عام ٨٦٠هـ التى كانت فقيهة جليلة ذات علم وصلاح كما يورد المؤلف اسماء ثلاثين عالما ظهروا فيما بين القرنين التاسع والثانى عشر الهجرى حيث شاع الادب والشعر وسادت اللغة العربية

ولا يرى ان يتحدث عن الاسلام دون ان يتحدث عن جهاد عثمان فوديو الذى وفدجده من احدى عواصم الفولانية الثلاث وهى فوتاتورو وفوتاجللو وفوتامللى . وقد هاجر جده الاكبر توسى بجماعته قاصدا الحجاز فوصل بعضهم ألى دارفوروباغرمى فاستوطنوها وتأخر الاخرون فى بلاد الهوسا واختلطوا بأبنائها حتى ظهر فيهم الشيخ عثمان

ورأى الشيخ أن الملوك يظلمون رعاياهم ورأى قعودهم عن اتباع شعائر الاسلام بعد أن شاعت البدع والمفاسد . فنقد الملوك والسلاطين ونادى باتباع الاسلام الصحيح فأوغر ذلك صدورهم وتالبواا عليه

وكان قد حج واختلط بالبلاد العربية وأراد أن يقتبس لحنها وأن وينهل من علم علماء الاسلام فأخذ ينشر الاسلام ويعمل على اعلاء كلمته حتى آمن به خلق كثير وعمل على تحرير الانسان من بطش الحكام الظالمين المفسدين .

ولم يقصر دعوته على فريق دون اخر بل كانت النساء تؤم مجلسه فنقده ناقد بأبيات منظومة جاء فيها

فامنع زيارة نسوان لوعظك اذ خلط الرجال بنسوان كفى شيئا فرد عليه الشيخ عثمان واخوه عبد الله شعرا وقد جاء فى قولهما :

ان كان ذاك ولكن لااسلم ان يتركن بالجهل هملا كان يؤذينا ونجح الحاج عثمان فى بسط نفوذ الاسلام حتى توفى عام ١٨١٧ وثار الكفار وبعد ذلك ثورات متتابعة فقام ابنه محمد بللو ليخمد نيرانها حتى تكونت امبراطورية اسلامية واسعة الاطراف يرأسها ابن الحاج فى مدينة سوكونو . وكان له وكلاء فى البلاد يحكمون باسمه وحين رحل الانجليز استمر بعض هؤلاء فى بلادهم وهاجر بعضهم الاخر شرقا

ويتحدث عن انتشار الاسلام بين قبائل اليوربا . وكانت العاصمة هى مدينة اويو . وتوجد اليوم مدينتان تعرفان بهذا الاسم ، ويلاحظ المؤلف ان المدن انتقلت بسكانها من مكان الى اخر بسبب الحروب وعدم الاستقرار ، ولهذا يصعب الاهتداء الى المدن الافريقية القديمة . كما يحظ من ناحية أخرى ان ملك اليوربا هو من نسل بنى كنعان الذين هربوا من العراق الى غرب افريقية حيث اسسوا مدينة ايفى . وجاء فى رواية أخرى ان أبناء ملك اليوربا ذكروا انهم نزحوا من مصر العليا منذ عهد الفراعنة واسسوا مملكتهم .

ومهما يكن من أمر فان هذه الفروض تفتح المجال امام اظهار الحقائق التاريخية التى توضح الصلات القوية بين اجزاء افريقية منذ اقدم العصور

وذلك لما يدعم نظرية انتاديوب العالم السنغالى الافريقى الذى ذهب فى كتابيه « افريقيا قبيل الاستعمار » و « وحدة الثقافة الافريقية » الذين كتبهما باللغة الفرنسية الى اثبات تفاعل الحضارات الافريقية القديمة بحضارة مصر القديمة

وان مصر القديمة وحوض النيل الشـــمالى هو المهد الذى تفرعتعنه المجتمعاتالافريقية فيما بعد

وقد سبق ان اشرنا الى الاسلام انتشر على يد القبائل الملادية فيما بين القـــرنين العاشر والثالث عشر الهجرى ولكنه مع ذلك كان قابيل الذبوع كما كان يحكم المسلمينملوك قبليون من الكفار الذين لم يسمحوا لهمباداء فروض الحج ولازال الحال كذلك حتى دخل مدينة الورن احد اتباع الشيخ عثمان فوديو عام ١٢٢٦ هـ فعمل على لم شمل المسلمين وأخذ يعمل على نشر الدعوة بفضل اخوانه الفولانيين هنالك حتى اسلم رئيسهم المسمى أفنجا وساد الامن بعـد الاضطراب وحمل القبائل المهاجمة من الطوارق على الكف عن هجومها على السكان ، وهاجر المسلمون الى الورن فانتظمت فيها الحياة القائمة عـلى التحضر والمعرفة حتى باتت تلك المدينةقبلة القاصدين من طلاب العلم من ابناء المسلمين وظهرت بها طائفة من العلماء

بقيت عدة ملاحظات ، وان كنت قد اشرت الى طرف منها الا انها يجب ان تؤكد بوضوح وهى تتصل بانتشار الاسلام وتاريخه فىذلك الاقليم الفسيح

فقد اشار المؤلف الى ان الدين الاسلامى عرف فى هذه الارجاء منذ القرن الاولالهجرى اى فى الوقت الذى انتشر فيه بشـــمال افريقيا ولكنه انتشر على نطاق محدود فى اول الامر كما اشار الى ان بعض القبائلكانت ترتد وتعود فى فترة أخرى بعد دعوة أخرى اليه ، وهكذا لم يكن الاسلام غريبا عليها ، وان الدين انتشر بسهولة وان الحروب لم تكن الا لاصلاح الملوك الفاسدين والاحـوال المضطربة

كما يبين المؤلف أثر الاعمال الصـــوفية والروحية فى نفوس الافريقيين

ومن ناحيـــة أخرى فانه لم يغفل ذكر الروابط التى تربط الغرب ومصر خاصـــة بافريقيا الغربية فى العصور الوسطى وتشير الىانتقال الثقافةوشيوعها والروابطالثقافية القوية التى ربطت بين هذه الاطراف ، وذلك فى مناسبات مثل الحج وطلب العلم وقد ظلت اللغة العربية معروفة مستخدمةحتى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن فعمل على قطع هذه الصلات الثقافية واللغوية والدينية.

ومع ذلك نجد فى حياة بعض ســـاسة نيجيريا المعاصرين من ابناء الشمال ما يدل على انهم عرفوا اللغة العربية وتعلموها فى صغرهم وهذا مانجده فى مذكرات السـيد احمد بللو التى نشرت بالانجليزية عنجامعة كمبردج فى العام الماضى

وقد عمل الاستعمار على نشر لغته ومكن للمبشرين من ممارسة أعمالهم فى بعضالمناطق كما عمل على استغلال الخلاف القبلى فىبث العداء والفرقة وذلك فى الكتب التاريخيةالتى كانت تؤلف خصيصا بالانجليزية لابناء ذلك الاقليم

ومع ذلك فقد قامت الجماعات الاسلامية فى ظل الاستعمار البغيض يدفعها حماسها الدينىوغيرتها علىاسلامها بألوان منالنشاط لاحياء التعاليم واللغة فعملت على انشـــاء مدارس ثانويةوابتدائية لتعليم ابناءالمسلمين كما فعلت الطائفة الاحمـدية التى انتقلت دعوتها من الهند الى نيجيريا . كمـا قامت جمعية انصار الدين الاسلامى بلاجوس عام ١٩٢٣ بانشاء عدةمدارس وكذلك فعلتجمعية نوار الدين بابيكوتا وفتحت مدارس اخرى ولايجب أن ننسىأثر مدرسة الشريعةالاسلامية التى انشئت بمدينة كنو عام ١٩٣٤ فى نشر الثقافة العربية والاسلامية . كما وجدتفى تلك الفترة المطبعة المباركة فى ابيكوتا التى قامت بنشر وطبع بعض مؤلفات علماء نيجيريا المسلمين .

وليس معنى ذلك ان الاثار الاســتعمارية الثقافية غير موجودة بل هى قوية عميقة ، وما أجدر العلاقات الدينية والثقافية بين نيجيريا وبين العرب أن تقوى لتكشف عن التاريخ الاسلامى الخصب لهذه المناطق ، وعن الروابط التاريخية العميقة الجذور ، وللتعريف بالآثار والمؤلفات التى تركها علماء نيجيريا .

الاسـلام فى نيجيريا

وسه نقطة أخيرة أود الاشارة اليهـا وهى اهتمام علماء المسلمين هنـاك بالاحتفالات الدينية الاسلامية ، فقد كانت البـلاد غير الاسلامية نفسها تحتفل بهذه الاعياد وتعتبرها أعيادا رسمية ، فهى تعـد لتجذب الانظار ويقام بالمسـاجد أو المدارس كما تكون فى مناسبات كالزواج وتسمية المولود وتوليـة الامام . وتتضمن خطبة دينية وتقديم الاطعمة والاشربة ثم يقوم الصبيان بالطواف حـول المدينة يضربون الدفوف والطبول وينشدون الاناشيد المطربة ، وكان لهذه الاحتفالات أثر كبير على نفوس الافريقيين الذين يقبلون عليها بكل جوارحهم

واذا كان العلماء والوعاظ الافريقيون قد نجحوا فى نشر الدعوة الاسلامية فى غـرب افريقيا الى الحد الذى أذهل المستعمر فيجب أن نعجب بأساليب هؤلاء الذين عرفوا عقلية الجماعات وكيفية التأثير فيها .

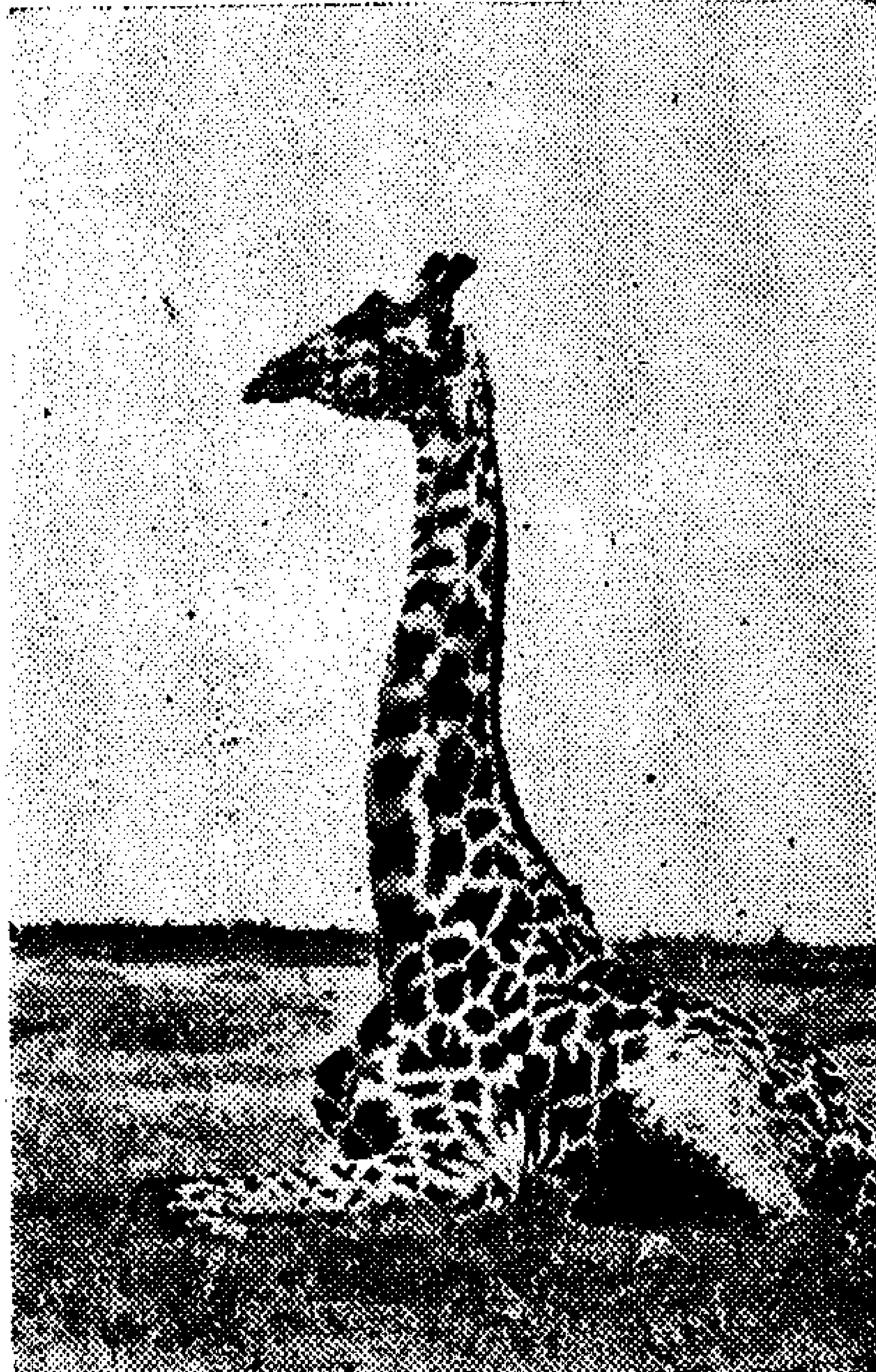
((عبد السلام شحاتة))

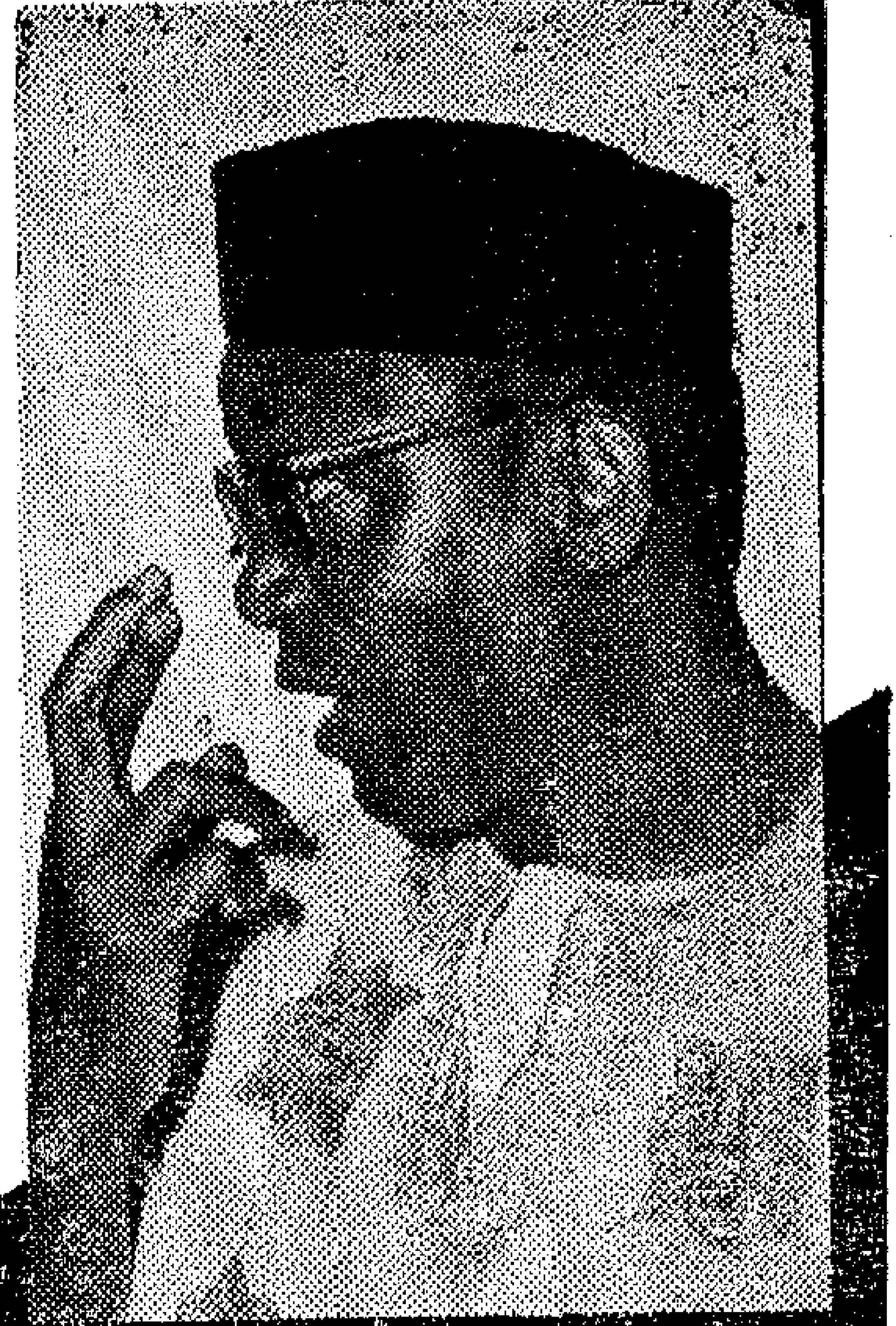
افريقية واتفاق حظر التجارب الذرية

((بقية المنشور ص ٣٧))

الاستعمار بشتى اشكاله والوانه فان يوم الخلاص من نير الاستعمار قريب طالما بذل العرق والدم فى سبيل الخلاص منه . عندئذ تعيش دول العالم تسودها علاقة من المحبة والسلام واذا كان القضاء على الاستعمار امر حتمى ولا مفر منه فان القضاء على الرجعية اينما وجدت واجب اخر ، فهى عمليته الاولى وعونه وسـلاحه الذى يستخدمه لضرب الحركات التحررية .

((دكتور محمد عبد الرحمن برج))





فجر الحركات السياسية في الاقليم الشمالي من نيجيريا

بقلم عبد الرحمن صالح

من التاريخ الافريقي الحديث

ظل الشمال النيجيرى بعيدا عن المآسى العميقة التى حلت بالجنوب النيجيرى نتيجة لاتصال الاوربيين به طوال ثلاثة قرون ونصف فى ظل حكومات اسلامية قوية تارة تتوحد فى ظل دول قوية تضم ارض السودان الاوسط كله مثل دو لمالى وسونغاى وغيرها .. ولا يتعرض كالجنوب للعنة تجارة الرقيق التى كانت سببا فى افناء عشرات الملايين من المواطنين البسطاء ونقلهم عبر المحيط للعمل عبيدا مسخرين فى الامريكتين .. حتى سمى شاطىء نيجيريا الجنوبى باسم « شاطىء العبيد .

ولكن ما أن أعلنت بريطانيا تحريم تجارة الرقيق سنة ١٨٠٧ حتى أخذ التجار البريطانيون تجار العبيد السابقون - يولون وجوههم شطر انواع اخرى من السلع يتاجرون فيها مثل تجارة العاج وزيت النخيل ودفعتهم هذه الانواع الجديدة الى التوغل داخل البلاد .. نحو الشمال النيجيرى ويتصلون باهله وامرائه وتجاره الذين كانت تجارتهم حتى ذلك الوقت موجهة نحو الشمال الافريقى عبر الصحراء تصل اليه قوافلهم محملة بالعاج والذهب والمصنوعات الجلدية المطرزة بالمعادن النفيسة ثم تعود اليهم مرة اخرى محملة بالاقمشة والادوات المعدنية والزجاج .

وخلال السبعين سنة التالية لتحريم تجارة الرقيق تم للاوربيين استكشاف الشمال النيجيرى كله. هو وباقى السودان العربى ونمت تبعا لذلك التجارة فى منتجات هذا الاقليم نموا كبيرا .. واتجهت عناية الانجليز بعد ذلك الى احتلال هذا الاقليم واخضاعه لنفوذهم ، وعقب مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤/١٨٨٥ الذي تقاسمت فيه الدول الاوربية القارة الافريقية كانتا سلعة من

السلع لا صاحب لها والذى استجاب لمطالب بريطانيا فى حوض النيجر .. تركزت تجارة الاقليم الشمالى من نيجيريا فى ايدى شركة النيجر الملكية البريطانية التى أسسها الشركات المنافسة كما منحتها الحكومة البريطانية سلطة عقد المساهدات وفرض الضرائب وتحصيلها والاتجار فى محاصيلها . وعقب ذلك وخلال الخمسة عشر عاما التالية فرضت الشركة احتكارا قاسيا على كل تجارة حوض النيجر

وفى سنة ١٩٠٠ الغت الحكومة البريطانية الامتياز الذى كانت قد منحته للشركة وتولت هى الاشراف المباشر على المنطقة باكملها وعين السير فريدريك لوجارد مندوبا ساميا هناك حيث قام باعلان محمية شمال نيجيريا وذلك بعد اشتباكه فى معارك حامية كان من اهمها تلك المعركة التى أبدى فيها النيجيريون بسالة فائقة بقيادة السلطان « أتاهيرو » سلطان سوكوتو .

وبعد احتلال بريطانيا لشمال نيجيريا سنة ١٩٠٠ اصبحت نيجيريا الحالية مقسمة الى ثلاث مستعمرات منفصلة هى مستعمرة لاجوس ومحمية شمال نيجيريا ومحمية جنوب نيجيريا . وظلت كل من شمال نيجيريا وجنوبها منفصل كل منها عن الاخرى حتى سنة ١٩١٤ حين اندمجت المستعمرات الثلاث فى بعضها ووضعت كلها تحت اشراف حاكم عام واحد وأدمجت كلها فى وحدة سياسية موحدة سميت مستعمرة ومحمية نيجيريا وجعلت لاجوس عاصمة لها .

ولكن منذ وضع الانجليز أيديهم على الاقليم الشمالى وهم يعاملونه من الناحية السياسية معاملة مختلفة عن الجنوب . فرغم انهم ابقوا على نظام الحكم المحلى الذى كان سائدا به فى عهد الامارات الاسلامية وكذلك على نظام جمع الضرائب الا انهم اعترفوا للجنوب وأهله بكثير من الحقوق السياسية التى حرم منها الشمال . ولعل اكبر دليل على ذلك ان دستور سنة ١٩٢٢ كان لا يسمح بتمثيل الاقليم الشمالى فى المجلس التشريعى رغم انه يمثل اكثر من ثلثى البلاد سواء من حيث المساحة او عدد السكان بينما كان التمثيل مقصورا فقط على مستعمرة لاجوس ومحميتى غرب نيجيريا وشرقيها فقط وكان الحاكم العام البريطانى وحده دون استشارة او توصيات هو الذى يصدر التشريعات الخاصة بالاقليم الشمالى . ولم يكن يمثل الاقليم الشمالى فى المجلس التشريعى سوى عشرة بريطانيين من كبار الضباط كانوا يمارسون وظائف المقيمين السياسيين فى أنحائه . وطبعا لم يكن يجرأ أحدهم على المناقشة أو الكلام .

ولذلك فانه عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .. دارت المناقشات فى جميع أنحاء نيجيريا وخاصة فى الشمال وعلت الاصوات مطالبة باصدار دستور جديد للبلاد يحل محل الدستور القديم .

وفعلا صدر الدستور الجديد فى نهاية سنة ١٩٤٦ فى عهد الحاكم البريطانى السير ارثر ريتشارد « الذى اصبح الان اللورد ميلفرتون » بعد ان وصلت البلاد الى حالة من الغليان وباتت على أبواب ثورة عاتية . وقد سمى الدستور الجديد باسم « دستور ريتشارد »

وبالرغم من أنه كان معيبا فى نواح كثيرة الا انه كان على كل حالة خطوة الى الامام . فلاول مرة مثلت الاقاليم كلها فى هيئة تشريعية ولاول مرة كان هناك اعضاء ينتخبهم الوطنيون اهالى البلاد . ولاول مرة اصبحت هناك اغلبية من غير الموظفين الرسميين سواء فى مجالس الاقاليم او فى المجلس التشريعى . وهكذا لاول مرة تخلص المجلس التشريعى من الاغلبية الرسمية المكونة من كبار الموظفين والتى كانت تسيطر على المجلس كله واصبح به أعضاء افريقيون منتخبون يعبرون عن اراء مواطنيهم بشىء من الحرية

وكان المجلس الاقليمى الذى تكون بالاقليم الشمالى طبقا للدستور الجديد والذى كان مكونا من المجلس الشعبى ومجلس الرؤساء فى سلطته ان يناقش الميزانيات التى يمكن أن تؤثر على الاقليم كما كان يمكنه أن يوصى بتنفيذ بعض الاصلاحات وذلك بالرغم من أن

إجيبيريا فى لاجوس العاصمة لم يكن يهتم بتوصياته .. كما كان أعضاؤه يستطيعون مناقشة المسائل بصفة علنية والتصويت على انفاق مبالغ صغيرة على شئون الاقليم وكانت أهم اختصاصات اعضائه هي اختيار خمسة من أعضاء مجلس الشعب وأربعة من مجلس الرؤساء ليمثلوا الاقليم فى المجلس الاستشارى بلاجوس

أما المجلس التشريعي المركزى بالعاصمة لاجوس فقد كان به أربعة عشر عضوا يمثلون أقاليم نيجيريا الثلاثة .. وستة من الرؤساء وأربعة أعضاء منتخبين يمثلون مدينتى لاجوس وكالابار وأربعة أعضاء معينين .وكان يوجد ستة عشر عضوا رسميا من بينهم الحاكم العام والمندوبون الساميون . وبذلك كانت هناك أغلبية واضحة من غير الرسميين كانوا يستطيعون اذا اتحدوا أن يعارضوا الحكومة ويقفوا فى وجهها .. ولكن ذلك لم يحدث نظرا لان الانجليز كانوا قد أفلحوا فى بذر بزور الشقاق والفتنة بين سكان الشمال وسكان الجنوب

وكان المجلس الشعبى فى الاقليم الشمالى مقره فى «كادونا» وينتخب أعضاؤه بواسطة مجالس السلطة المحلية فى كل منطقة بحيث يمثل المنطقة عضو واحد ماعدا منطقة «كانو» فيمثلها ثلاثة . ومنطقة مدينة « سوكوتو » ويمثلها اثنان

وفى هذه الاثناء لم تكن توجد بعد احزاب فى الاقليم الشمالى .. وكان اعضاء المجلس يدلون باصواتهم دون التقيد بسياسة معينة والحقيقة أن معظم اعضاء المجلس غير الرسميين كانوا مشغولين فى شئونهم الخاصة فلم يكونوا يعيرون المجلس وشئون الاقليم الا القليل من اهتمامهم ووقتهم . بل ان الاعضاء الرسميين المعينين بحكم وظائفهم كانوا أقل اهتماما بشئون المجلس . وكان الرئيس هو المقيم العام البريطانى للاقليم الشمالى ولكن نادرا ما كان يحضر الجلسات وكانت المناقشات تدور بالانجليزية وبلغة الهوسا كما هو الحال ومن بين الاعضاء البارزين فى ذلك المجلس الحاج أبو بكر تافاوا باليوا رئيس وزراء نيجيريا الحالى والحاج أحمدو بللو رئيس وزراء الاقليم الشمالى الان ورئيس حزب اتحاد شعوب الشمال

وفى سنة ١٩٤٩ رأى الحاكم البريطانى العام الجديد السير جون ماكفرسون أنه قد حان الوقت لتعديل الدستور من جديد . ولكن الجنوبيين عارضوا فى ذلك . ورغم ذلك فقد استقر الامر على التعديل واصدر الحاكم العام بيانا بالتعديلات المقترحة طرح للمناقشة العامة فى جميع أنحاء البلاد على مستوى القرى اولا ثم على مستويات أعلى حتى اذا اتضحت اخيرا مشاعر المواطنين ورغباتهم بدأت اجتماعات المجالس الاقليمية لمناقشة التعديلات .

وفى كادونا عاصمة الاقليم الشمالى اجتمع اعضاء المجلس الشعبى ومجلس الرؤساء واتفقوا على سياسة عامة ثم اختاروا عددا من المندوبين عنهم للذهاب الى لاجوس لحضور الاجتماع العام الذى يضم مندوبى سائر الاقاليم وذلك لاعداد مسودة الدستور التى ستطرح للمناقشة فى ايبادان

وفى ايبادان دار النقاش طويلا حول انشاء الوزارات . وكان رأى ممثلى الاقليم الشمالى هو ان هذا الاقليم لم يتهيأ بعد من ناحية الخبرة لانشاء وزارات به وان كانوا لم يعارضوا فى انشائها فى باقى الاقاليم .وأخيرا استقر الرأى على ان تنشأ الوزارات بالاقليم الشمالى خلال سنة ١٩٥٢ .

والنقطة الثانية التى دار حولها النقاش بين ممثلى الاقاليم خلال اجتماعهم فى ايبادان كانت حول العدد الذى يمثل كل اقليم فى مجلس النواب . وكان العدد الذى يمثل الاقاليم الثلاثة «الشمالى والغربى والشرقى» فى المجلس التشريعى السابق متساويا .ولكن الشماليين رأوا أن الامر يجب أن يختلف فى المجلس الجديد ذلك ان الاقليم الشمالى يفوق الاقليمين الجنوبيين من حيث المساحة وعدد السكان . ولما لم يكن قد أجرى تعداد منذ سنة ١٩٣١ فقد كان الظن أن عدد سكان الشمال يساوى عدد سكان الاقليمين الجنوبيين مجتمعين . ولذلك عارض الشماليون رغبة ممثلى الجنوب فى استمرار الوضع كما كان وطالبوا بان يكون عدد النواب بنسبة عدد

السكان . وقد احتدم النقاش حول هــذه النقطة واشتد الخلاف حتى طالب الشماليون بعقد مؤتمر فى لندن لطرح الموضوع وجمعوا لذلك بضعة الاف من الجنيهات لنفقات سفر الوفد الذى يمثلهم . ولكن امكن اخيرا حل الخلاف وقبلت وجهة نظرهم اما النقود فقد حولت الى رصيد ينفق منه على تعليم بعض الشماليين فى جامعات انجلترا . وقد تعلم فعلا اثنى عشر شابا لم يفشل منهم غير واحد فقط .

وكان الدستور الجديد أكثر ديموقراطية مما سبقه . فقد نص على انشاء مجالس تنفيذية فى الاقاليم ومجلس وزراء فى لاجوس والمواضيع التى كانت كلها من اختصــاص الحكومة قسمت فالتى اتسمت بالطابع المحلى منها منح الاختصاص فيها كليــة للاقاليم مع تحفظ يقضى بان يصبح باطلا أى قانون اقليمى يتعارض مع قانون مركزى وبذلك ظل ميزان الامور فى يد الحــكومة المركزية بلاجوس

كما زاد عدد أعضاء المجالس الشعبية فارتفع عددهم بالاقليم الشمالى من ١٥ الى ٩٠ عضوا منتخبا . وأصبح عدد الاعضــاء المنتخبين بالمجلس الرئيسى الذى يمثل نيجيريا كلها ومقره لاجوس العاصمة ١٣٦ عضــوا نصفهم يمثل الاقليم الشمالى

وقد طرأ تغيير جوهرى على طريقة الانتخابات .. فالانتخاب فى ظــل الدستور الســابق لم يكن انتخابا بالمعنى المفهوم وانما كان فى حقيقته اختيارا لبعض الرجال الصالحين . أما فى الدستور الجديد فقد اقترح الشــماليون أن يتم الانتخاب على درجات بمعنى أن يجتمع الذكور فى الاقليم الشمالى فى كل قرية فى تاريخ ومكان محدد ويقومون بانتخاب عشر عددهم تقريبا كممثلين لهم . ويجتمع هؤلاء فى تاريخ ومكان معينين أيضــا وينتخبون أيضا عشرة تقريبا وهكذا وأخيرا يتم اختيار المجموعة الكليــة الاقليمية التى تقوم بدورها باختيار أعضاء المجلس الشعبى للاقاليم . وفى الاقليم الشــمالى كان عدد درجات الانتخاب خمس درجات بينما كانت فى بعض المناطق الجنوبية درجة واحدة فقط . كما كان حــق الانتخاب فى الاقليمين الجنوبيين مصرحا به للمرأة أيضا . ولما كان يخشى أن يؤدى الامر الى انتخاب بعض النواب غير المتعلمين نظرا للجهل المســيطر على جماهير الناخبين أنفسهم فقد اقترح مندوبو الشــمال أن تطعم المجموعة الكلية الاقليمية بما يوازى عدد أعضائها من موظفى السلطات الوطنيــة أو غيرهم من الموظفين . وقد عرف هذا النظام باســم نظام الحق بالادارة المحلية (تسمى فى نيجيريا نظام الادارة أو السلطة الوطنية) .

وبالرغم من أن هذه الاقتراحات قد قوبلت بموافقة شبه اجماعية ففى اجتماعات ابادان الا أنها اصبحت بعد ذلك موضع معارضــة الاقليمين الشرقى والغربى

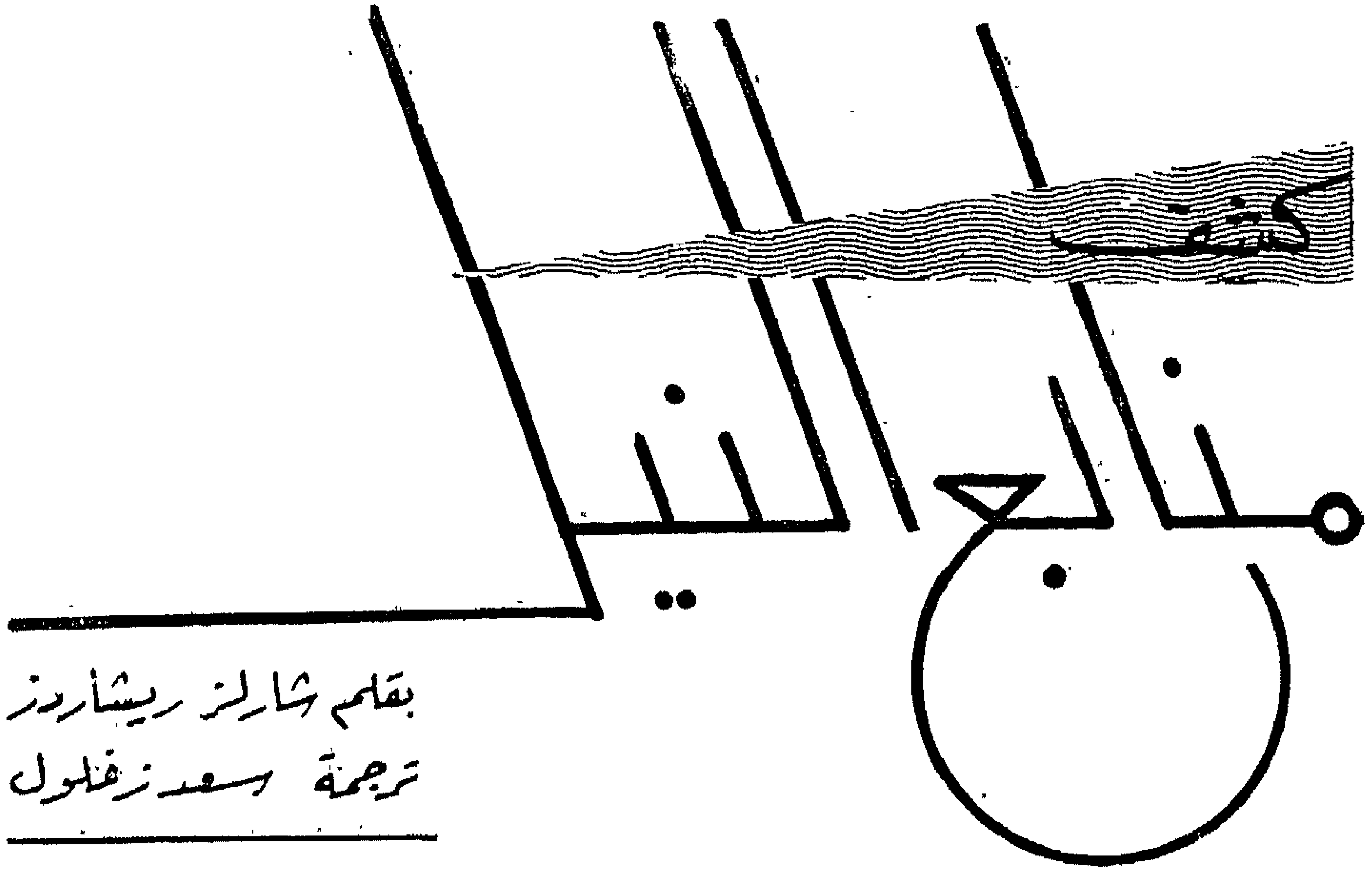
اما بالنسبة لاعضاء مجلس النواب فقــد أبقى على النظام السابق وهو ان يقوم المجلس الشعبى فى كل اقليم باختيار هؤلاء النواب من بين أعضائه واعضاء مجلس الادارة

وبعد مناقشة الدستور فى المجالس المحلية سنة ١٩٥٠ ووافقت عليه .. عرض عــلى المجلس التشريعى بالعاصمة وبعد ذلك ارسل الى لندن حيث نوقش فى وزارة المستعمرات وأخيرا وقعه الملك ونشر فى يوليو سنة ١٩٥١

وعقب ذلك تم اجراء الانتخابات . ولكن المجلس الشعبى للاقليم الشمالى لم يجتمع ليقسم أعضاؤه اليمين القانونية الا فى يناير سنة ١٩٥٢ .

والى لقاء آخر .. لنكمل قصة التطورات السياسية فى الاقليم الشمالى لنيجيريا

((عبد الرحمن صالح))



بقلم شارلز ريشاردز
ترجمة سعد زغلول

فى هذه الصفحات : يتحدث « جون هاننج سبيك » و « جيمس جرانت » عن رحلتهما فى منطقة شرق افريقيا والتى اكتشفا فيها منابع نهر النيل .

ولقد بدأ « سبيك » رحلاته فى افريقيا فى سن السابعة والعشرين وكاد ان يفقد حياته فى اول رحلة الى الصومال سنة ١٨٥٤ . واشترك فى سنة ١٨٥٦ الى ١٨٥٩ مع « بيرتون » فى كشف بحيرات شرق افريقيا

وقد اكتشفا فى « تابورا » بعد محادثة مع تاجر عربى ان خريطة « ريبمان وايرهارت » لم تكن دقيقة . وقد زار « سبيك خلال هذه الرحلة البحيرة الشمالية الكبرى التى كان العرب يعرفونها باسم « بحيرة أوكيريوى »

واعطاها اسمها الجديد الذى عرفت به بعد ذلك .. بحيرة فيكتوريا . ولقد وضع « سبيك » حينذاك نظريته التى تقول بان هذه البحيرة هى مصدر مياه النيل .

وفى اغسطس سنة ١٨٦٠ وصل « سبيك » الى زنجبار ومعه « جرانت » لكى يثبتا صحة هذه النظرية . ووصلا فى نوفمبر سنة ١٨٦١ بلاط « رومانيكا » حاكم مملكة كبيرة كانت الى غرب البحيرة وتدعى مملكة « كاراجوى »

واحتاج « سبيك » الى مساعدة «رومانيكا» فى الوصول الى مملكة اخرى سمع بها وتدعى مملكة « اوغندة » التى كان يحكمها الملك « ميتسا » وفى ٨ يناير سنة ١٨٦٢ وصل الضابط « ماولا » الذى بعث به « ميتسا » مع جماعة كبيرة لمساعدة « سبيك » حيث كان عليه اولا ان يقابل « ميتسا » الذى ارسل يطلب سبيك وجرانت .. « كضيفين عليه » .

وفيما يلى مذكرات « سبيك » عن هذه المرحلة من الرحلة .

٢٤ يناير سنة ١٨٦٢ :

قادنى « ماولا » مباشرة الى بيته الانيق حيث قدم الى كوخا كبيرا نظيفا ومريحا ثم قال لى : « الان اصبحت فى مملكة اوغنده . ولن تحتاج فى المستقبل الى شراء مزيد من الطعام وفى كل خطوة ستخطوها وفى كل مكان تتوقف فيه سوف يوافيك الضابط المرافق بكل ما تحتاج اليه من غذاء . ويمكن لرجالك ان يأخذوا ما يشاءون من الحدائق لان هذه هى قوانين بلادنا بالنسبة لضيف الملك ، واذا شوهد احد من المواطنين يبيعك شيئا فسوف يتعرض لاشد العقاب » . وهكذا اوقفت التعامل بالعقود والخرز .

مسيرة واحدة ، واصبحنا امام قصر الملك الذى يعـــرف بالـ « كيبوجا فى مقـــاطعة « باندا واروجو » . ولقد كان المشهد مثيرا حقا . تل باكمله مغطى باكواخ ضخمة لم ار مثيلا لها فى افريقيا من قبل . وابديت رغبتى فى ان اصعد التل الى القصر مباشرة ولكن الضابط قال لى : « ينبغى ان تجمع رجالك وتطلق النار فى الهواء حتى يعرف الملك بوصولك .. وسوف نريك بعدها مكان اقامتك . وفى الغد سوف يرسل الملك ولاشك فى طلبك حيث لايمكن للملك ان يخرج الان والسماء تمطر » . وجعلت رجالى يطلقون النار .

(وفى صباح اليـــوم التالى دعى سبيك للمثول امام الملك « متيسا » وقد اذهـله النظام الذى كان يبدو فى كل مكان حـــول القصر .. ولقد تضايق « سبيك » فى بادىء الامر من المعاملة التى قوبل بها من خـدم الملك حتى لقد عاد ادراجه الى كوخه . ولكن الملك ارسل اليه مرة اخرى يدعوه) .

« ولدى وصولى الى الكوخ ، هرع الى خدم الملك قائلين ان الملك قد سمع بكل متاعبى وقد امر بان يعد من اجلى كوخ افضل وقيــــل لى ان باستطاعتى ان احضر معى مقعدى الحديدى الخاص .. وكان هـــذا تشريفا كبيرا لى حيث لم يكن يـــسمح لمخلوق فى اوغنده بان يجلس على مقعد صناعى .. وهدات من غضبى بشىء من القهوة ودخنت غليونى ثم عدت الى قصر الملك .. وعندما وصلت سألنى احد ضباط الملك فى ادب جم ان اجلس على مقعدى الذى حضرته معى بينما اسرع اخرون لكى يعلنوا عن قدومى وبعد دقائق من الانتظار مرت من امامى فرقة موسيقية يضع افرادها جلد الماعز عـــلى ظهورهم » .

« وابلغونى ان الملك قد جلس فوق عرشه فى كوخه الخاص ، فتقدمت وقبعتى فى يدى يتبعنى حارس [illegible] وحاملو الهدية .. وقيل لى بأن إجلس [illegible]

على رأسى .. وفتحت مظلتى فى اسلوب ادهش الحاضرين واضحكهم ، وكان الملك المهنـــدم الوسيم الذى يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما نحسب يجلس على ملاءة حمراء مفروشة فوق قطعة ارض مغطاه بالحشائش ... وكان حليق الشعر فيما عدا قمة رأسه حيث خصلة ممسطه فى شكل قمة مرتفعة تبدأ من جبهته الى قفاه مثل عرف الديك . وكان يضـــع حول رقبته حلية رقيقة محلاة بالخرز الرفيع بالوان متعددة موزعة توزيعا جميلا . كذلك كان يضع حول ذراعه حلية اخرى ويضع حول ذراعه الثانية تميمة خشبية مربوطة بحبل مغطى بجلد ثعبان . وحول كل اصـــبع يد وقدم كان يضع خواتم من النحاس .. وفوق عقبيه جوارب محلاه بالخرز الجميل .. وكان كل شىء فيه وحوله رقيقا وانيقا وهو يجلس والى جانبه كلب ابيض ودرع وامرأة وعدد من ضباطه » .

النيل فى بلده « جوندوكورو » . وظل الملك « ميتسا » مدة طويلة يمانع فى منحه الاذن فى متابعة رحلته . ولكنه سمح له بذلك فى الثالث من يوليو . وفى اليوم الرابع لهـذا التاريخ بدات البعثة رحلتها الطويلة . وفى الثامن عشر من يوليـــو اتجه « جرانت » شمالا لكى يصل الى « أونيورو » بينما تابع « سبيك » رحلته الى النيل

٢١ يوليو سنة ١٨٦٢

« أخيرا .. انا أقف الان على مشـــارف النيل ، ولقد كان المشهد رائعا حقا ولامثيل لروعته !.. مشهد لما يشبه حديقة منسقة معتنى بها كل العناية يتخللها مجرى مائى يبلغ اتساعه مابين ستمائة الى سبعمائة يارده تتناثر وسطه كتل من الحجارة تجد فيهـا التماسيح مأوى لهــا .. وعلى الجانبين شاطئان معشو شبان تبدو خلفهما ســـتارة رائعة من الاشجار الكثيفة ترعى فيها قطعان الماشية .. »

« ومن سوء حظنا ان ضابط المقـاطعة المدعو « املوندو » جعلنا نحس بان اقامتنا هناك ليست بدائية ثالثة .. فرغم الاكواخ المطلية المدربة التى كنا نعيش فيها والتى

كانت تواجه النهر ، الا أننا احسسنا بان التأخير قد بدأ يهبط بمعنوياتنا .. ولقد أرسلنا فى طلب الضابط وطلبنا منه ان يوافينا بالقوارب اللازمة لمتابعة رحلتنا حتى نهايتها .. ولقد كانت القوارب متناثرة هنا وهناك مما اقتضى يومين لتجميع المطلوب لنا منها . ولكن المقاطعة التى كانت وجهتنا كانت تخص « الساكيبوبو » الذى لم يكن له ممثل هنا . ولكن هذا العذر لم يكن ليرضينا فلقد هددنا بابلاغ الامر الى الملك .. وتم جمع القوارب وتابعنا الرحلة

« لقد كنان الان فى مواجهة «اوسوجا» ألتى تشبه اوغنده فى غناها وجمالها . وهنا يستخدم الناس حرابا ذات رءوس حديدية ضخمة قال عنها وجالى انها تصلح لزراعة البطاطس فى الارض اكثر مما تصلح لطعن رجل ! ولقد كانت الفيلة ترى خلال المرحلة الاخيرة من مسيرتنا .. وقيل لى أيضا إن الاسود كثيرة هنا وتهدد حياة الناس ، بينما الزراف يكثر عادة وسط الادغال »

« وقد سرت بحذاء الضفة اليسرى للنهر على بعد غير قليل من الماء متجهــا الى شلالات «ايزامبا» ومارا خلال غابات وحدائق كثيرة . وقد قدم لنا «نانجو» وجبه من السمك المجفف واخبرنا بان الافيال فى هذه المنطقة تهدده دائما وانه يتقى شرها بالتمائم والرقى ثم قادنا بعد ذلك لكى نرى اول شــلالات على النيل .. كان الماء يهدر بين ضفتى النهر المكسوتين بالاعشاب الرقيقة والزهور بينما كانت تظهر مساحات من الارض الحمراء فوق سطح الماء وسط مجراه تماما كتلك التى ترى فى ديفونشير .. كذلك فان المياه المحجوزة خلف سد طبيعى تشبه بئر طاحونة ساكنة مظلمة . وربما رايت فوق سطحها تمساحين رافعين راسيهما فيما يشبه الصلاة !.. ومن الاماكن المرتفعة على الضفة كنا نرى صفا من الالواح الخشبية تعترض مياه النهر وتحدث مايشبه السدود والشلالات فى وقت واحد . ولقد كان المشهد باكمله شيئا خياليا كقصص الاساطير ، مخيفا وخياليا معا !.. جديرا بان تمثل امامه مسرحية مفزعة .. حتى مرافقى من «الواجاندا» بدوا مسحورين من روعة المنظر وجلاله ، ولم يحاول واحد منهم ان يتحرك من مكانه حتى بدأ الجوع يشعرنا بان الليل قد حل وانه يحسن بنا ان نبحث عن وسيلة للمبيت»

٢٨ يوليــو

« وأخيرا .. وبعد مسيرة سريعة اجتزنا فيها التلال والارض المغطاة بالاعشاب الكثيفة وقرية أكلت الفيلة كل شىء يؤكل فيها من أنواع الزرع . وصلنا الى نقطة النهاية فى الرحلة .. نقطة لم تصلها بعثة كشفية من قبل .. نقطة تقع على نفس خط العــرض الذى يقع فوقه قصر الملك « ميتسا» وعلى بعد حوالى اربعين ميلا منه الى الشرق . ولقد كنا محظوظين . وتكلل جهدنا بالنجاح والجزاء الحسن ، لان «الصخور» (كما يصف الواجاندا الشلالات) كانت امامنــا بمراها الممتع المثير كأروع ماشهدت عيناى فى افريقيا . ولقد هرع كل واحد منــا ليرى المشهد الرائع رغم مشقة السير ، وحتى انا سارعت باخراج كراستى الصغيرة لكى أرسم ذلك المشهد . ولكن ، رغم جمال المشهد ، فلم يكن هذا هو بالضبط ما توقعته لان سطح البحيرة كان يحجبه عنى تل كبير ، كما ان الشلالات التى كانت تبلغ من العمق اثنى عشر قدما ومن الامتداد اربعمائة أو خمسمائة قدم كانت تقطعها بعض الصخور فى اماكن منها . والواجاندا بقواربهم التى تحتمى بالصخور أما التماسيح فقد كانت تستلقى نائمة فوق سطح الماء ..بينما الماشية يسوقها المواطنون حول الشلال لتشرب من مياه البحيرة ... مشهد رائع خيالى .. أجمل ما يمكن ان يرغب المرء حقا فى رؤيته »

« لقد انتهت الان رحلتنا .. فلقد رأيت أبانا النيل القديم وهو يبدأ ولاشــك من فيكتوريانيانزا ، وتأكدت من أن هذه البحيرة هى منبع ذلك النهر المقدس الذى احيا اول من قدموا لنا العقائد الدينية .. واننى الان اسمى هذه «الصخور» بشلالات «ربيون» ، باسم ذلك الرجل النبيل الذى كان له الفضل فى قيامى بهذه الرحلة »

« وكنت أرغب فى أن أبدأ الحديث لولا أننى لم أكن أعرف لغة الملك .. ولم يكن لدى أحد من الحاضرين الجرأة على الكلام أو حتى على أن يرفع راسه خشية ان يتهم بانه يتطلع الى المرأة . وهكذا جلسنا الملك وأنا ، نحدق فى أحدنا الآخر طيلة ســاعة من الزمان ! »

(وقد عاش سبيك فى بلاط الملك «متيسا ستة أشهر يسليه باطلاق النار . ويعود أم الملك المريضة .. ويحاول أن يحصل منه على اذن بمتابعة الرحلة . وفى الثامن والعشرين من مايو لحق به زميله جرانت . وفيما يلى مقتطفات من كتاب جرانت عن هذه الرحلة) .

من مذكرات جرانت : ـ

« رغم أن المرض قــد حال بينى وبين رؤية الكثير من رومانيكا ، فاننى أستطيع أن أقول انه أرق وأذكى حاكم افريقى قابلنــاه فى افريقيا .. كان يبلغ من الطول حوالى ستة اقدام ، وكان يرتدى ثوبا مؤلفا من جلود غزلان عديدة مخيطة الى بعضها البعض ومعقودة فوق أحد كتفيه وتصل الى ماتحت ركبتيه ، عارى الرأس والزراعين الا من حلى عادية من الخرز . ، يحمل فى يده عصا طويلة تجعل منه ما يشبــه راعى قومه ! وكان اخوته الاربعة الصغار بأعمارهم التى تتدرج من السادسة عشرة الى العشرين طوالا مثله فى أناقة وحسن هندام ونظافة تامة . وكان له ولدان .. صبى وبنت كان دائما محوطين بالرعاية فى المقر الملكى ولا يسمح لهما بالخروج منــه . وكانت بعض زوجات الملك الخمس على درجة بالغة من البـدانة بحيث كن يستندن الى وصيفات عنــدما يتحركن من مكان الى آخر فى القصر .. وكن يبدين اغتباطا فائقا بكل هدية يرسلها الرجل الابيض (لوازونجو) الى ملكهن وسيدهم . وعندما أبدى سبيك استعداده لان يأخـذ واحدا من الأمراء الصغار الى انجلترا لتعليمه صحن فى وجهه « ان الأمراء لم يبعدوا عن القصر اكثر من عشرة أميال ! .. فكيف يمكن لهم أن يسافروا الى هناك .. ؟ كما أنه لن يكون هناك لبن ليشربوه (يقصدن لبن جوز الهند) .. وسوف يموتون هناك حتما ! » .. وربما كان من المحتمل انهن خشين أيضــا أن يؤخذ الصبى الى هناك عبدا » .

رحلة جرانيت الى أوغندا

« **بعد اقامة شهور عدة فى كاراجــوى ،** كنت سعيدا حقا بان ألحق برفيقى سبيك فى أواخر شهر مارس . ولقـد وصل الى كاراجوى جماعة من الواجاندا تحت قيــادة ضابط يدعى « ماريبو » لكى تصحبنى الى نهر كيتانجولى على مسيرة غير قليلة حيث تنتظرنا زوارق كبيرة تبحر بنا عبر البحيرة الى أوغندة . ولكن زورقا واحدا لم يكن فى انتظارنا ! وكان علينا أن نقطع المسافة سيرا على الاقدام .. حتى وصلنا الى حــدود أوغنده حيث واصلنا السير الى كاراجوى فى صباح الرابع عشر من ابريل بسرعة ستــة أميال فى الساعة ! الأمر الذى سبب له كثيرا من الالم حتى وهم يحملون محفتى . ولقد كان منظر نهر كيتانجولى لاول مرة مخيبــا لآمالى وهو يكاد يختفى تحت نبات البردى على جانبيه .. ولكن بعد الاقتراب من ضفتــه كان منظره رائعا حقا بالقوارب التى تسبح فيه والتى يبلغ طولها حوالى الخمسة عشر قدما وعرضها الذى يكفى لوضــع مقعــد صغير بينما يتسع الواحد منها لخمسة عشر راكبا .. وهذه القوارب مصنوعة من جذوع الأشجار الضخمة المجونة وتسمح الى جانب ركابها بكل حمولتهم من الأمتعة والــكلاب والحراب والدروع الكبيرة . وتسير هــذه القوارب بالمجاديف المثبتة اليها بنبــات البردى وبنوع من البدالات فى مقدمة القارب ومؤخرته .. ولقد كانت قوة التيار بالغــة الشدة حتى لقد كان علينا أن نجذف بقوة فى شكل يجنبنا دفع التيار . »

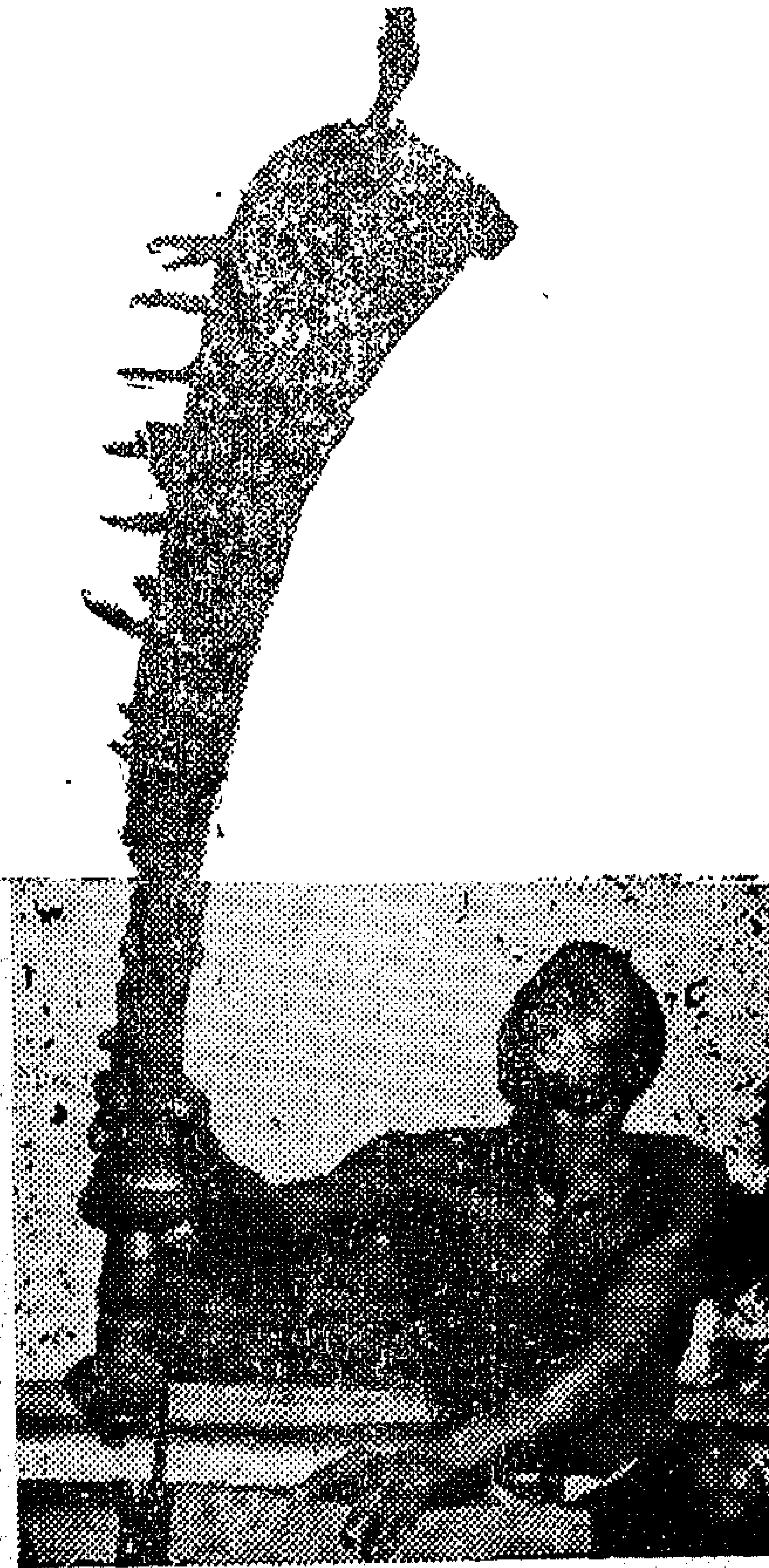
جرانت يرى البحيرة العظيمة

« .. ولدى رؤية بحيرة فيكتوريا لأول مرة وهى تمتد أمام بصرنا فى عظمة ، انتابتنا الدهشة والاعجاب بشواطئها التى تكثر فيها الخلجان الجميلة .. وتقع جزيرة «سيسيه» الواطئة ، الى الشاطىء الغربى من البحيرة

تكاد تخفيها أكداس نبات البردى .. وهنا وهناك كانت موانى المواطنين الافريقيين تبدو فيها كتل أسفنجية من الحبوب والأعشاب المتعفنة والعصى وجذور النباتات .. وعلى مرمى النظر كانت القوارب الكبيرة تسبح متجهة الى جزيرة سسيه ، ولقد أحضروا قاربا مثل هذه القوارب ليبحر بى الى أوغندة ولكننى أدركت أن الرحلة به سوف تكون ضربا من الجنون بعد أن دخلت المياه اليه بعد حمولة أربع رجال وبعض الامتعة »

« ولقد كانت الرحلة من كانونجا الى عاصمة أوغندة أصعب رحلة قمت بها فى افريقيا .. فقد كان علينا احيانا ان نخوض غارقين فى الوحل لكى ننتقل من مكان الى آخر تضيق فى بعضها الوديان الى مساحة ربع ميل .. وتبعد فيها التلال بمقدار أربعة أميال عن أحدها الآخر .. مليئة بالمستنقعات والبعوض ... وكان أكثر ما أدهشنى طوال الرحلة ، السرعة والبراعة التى كان يعبر بها مرافقونا من الواجاندا هذه الأرض ! »

((ترجمة سعد زغلول))



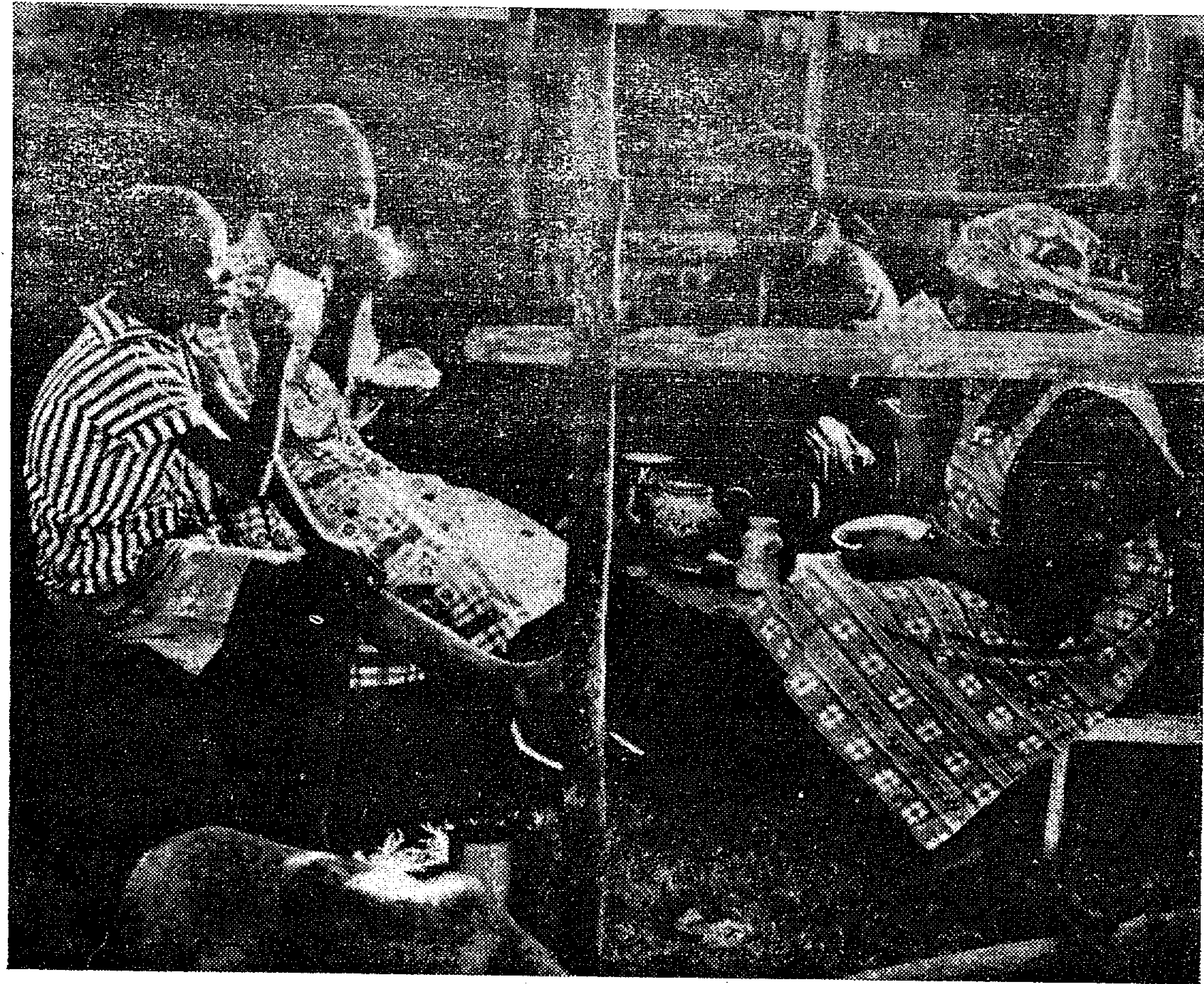
((هذه هى التفرقة العنصرية))



((فى هذا القفر ينعزل أصحاب البلاد الاصليين ..))



((ويطردون من مساكنهم فيحملون منها ما يستطيعون ..))



((شاي .. وحديث عن الغاصب الدخيل))

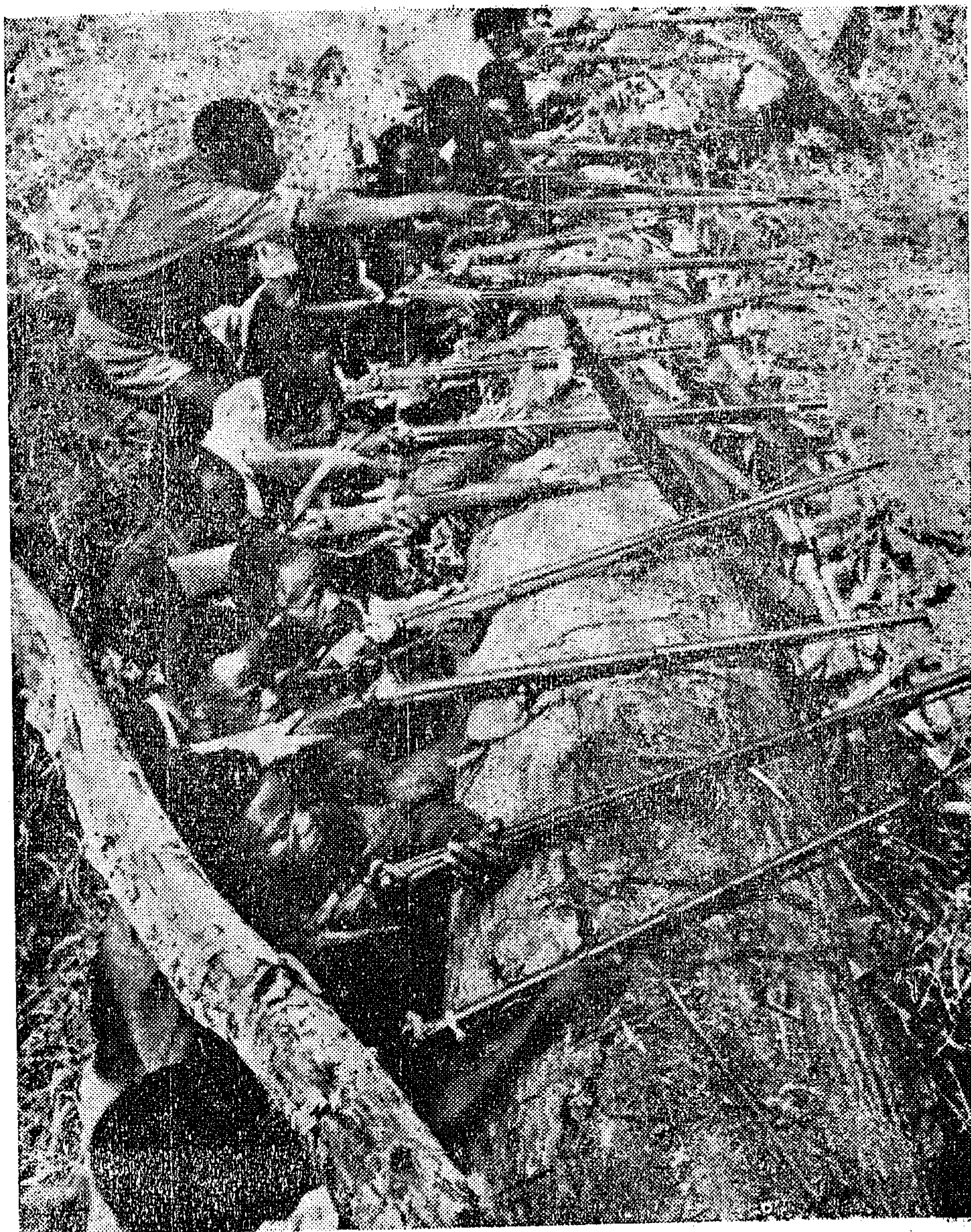


((طفل على كاهلها وعمل شاق))

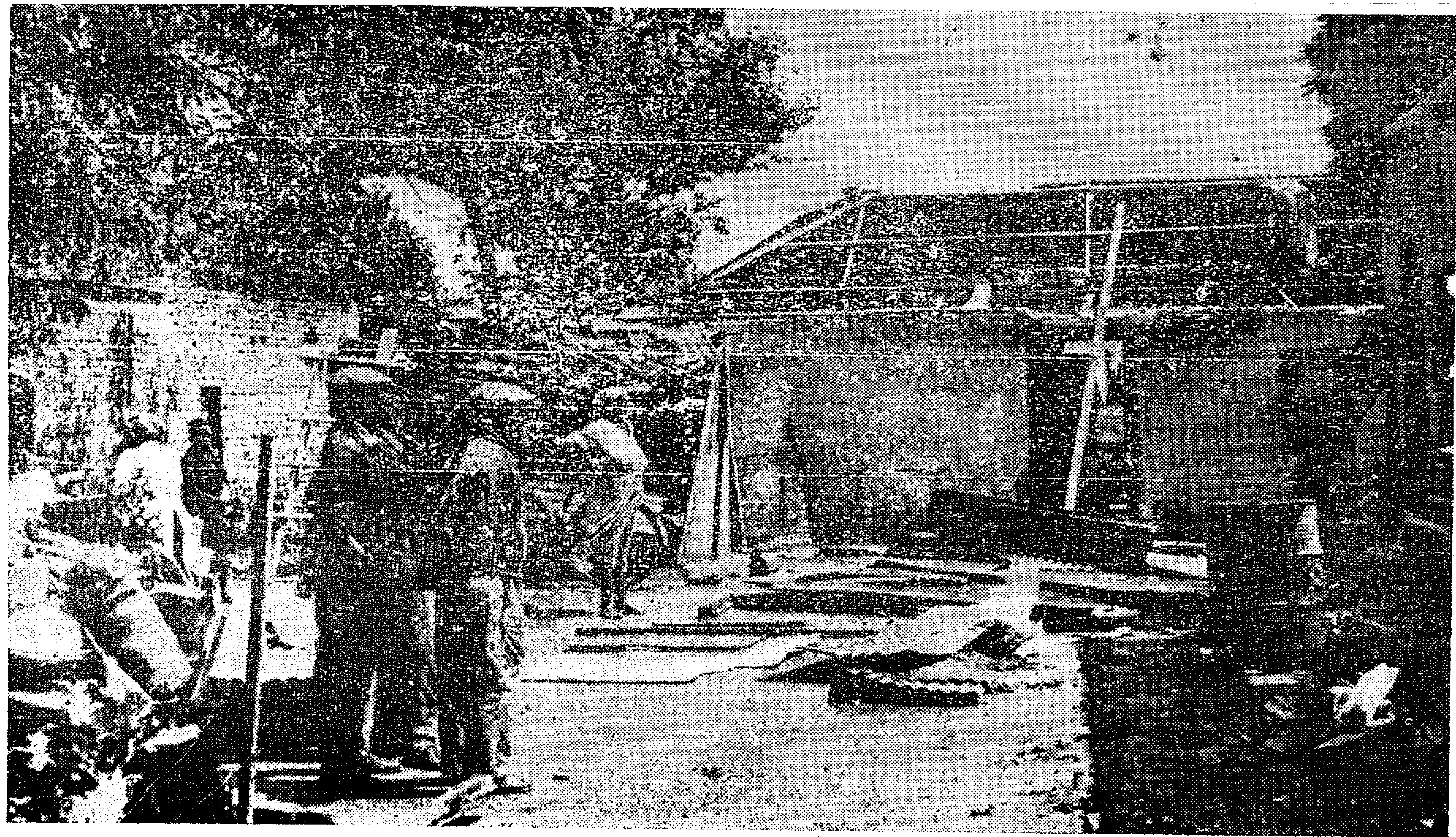
«وهذه أنجولا المجاهدة»



«لمحة من جمال الطبيعة»



« ثوار انجولا فى مواجهة العدو »



« التفتيش عن الوطنيين بين الانقاض »



« لمن المستقبل فى لواندا »



سبق ان قدمنا من قبل « الدار الكبيرة » لمحمد ديب ، التى تعتبر الحلقة الاولى فى ثلاثيته الادبية ، اما الان فنقدم له الجزء الثانى من عمله الكبير بعنوان الحريق .

لقد كانت « الدار الكبيرة » فى رأينا : هى الجزائر بفقرها ، وحرمانها ، وعدم سير الحياة فيها سيرا طبيعيا لعدم وجود الرجال الاقوياء الا فى السجن ، كما ان الفتى « عمر » كان يمثل العقل الجديد المهذب فى الجزائر ، والذى كان يحتاج الى هزة ليدرك بها الاشياء من حوله ادراكا حقيقيا ، واذا هذه الحقيقة هى اعلان الحرب العالمية الاولى

اما الزمن فى الحريق فيبدأ فى صيف عام ١٩٣٩ ، حين نرى « عمر » يلتحم بمجموعة من الاطفال الفقراء كأنهم الجراد من فرط هزالهم ونحولهم ، اطفال ينظرون بعمق الى الارض المجدبة التى بقيت لهم ، ورغم كل هذا يتسمون بالجد والصرامة .. اطفال ريفيون جدد منغلقون على انفسهم بعكس اطفال « تلمسان » الذين كانوا يجيدون الثرثرة ، ويظهر عليهم النعيم .. اطفال مبكرون فى نموهم رغم الشقاء مما احس معه عمر حين وجد نفسه بينهم « انه صغير جدا » ، ففيهم الرسوخ الانسانى ، والتصميم على الوصول الى الهدف سواء اكان هذا الهدف قتل الطيور ، او قيادة القطعان ، او تحدى الاوربيين

ولكنه فى الوقت نفسه اذهلهم حين راونه يحسن الكتابة ، ويقول كلاما بالفرنسية ، ويذكر ان الارض كروية وليست مسطحة ، ولقد ازدادت دهشتهم حين ذكر لهم ان الشمس ثابتة وانهم — اى الاطفال — يدورون حولها مع الارض !

ولكن سرعان ما استردوا ثقتهم فى انفسهم حين عرفوا انه يجهل الكثير عن الاشجار والنباتات والحيوانات ، واعمال الحقول فى تلك المنطقة المسماة « بنى بوبلان » باعلى الجبل ، مما اضطره الى ان يفتح ذراعيه وقلبه لكل شىء فى هذه المنطقة .

والفتى عمر يقابلنا فى اول الامر وثابا فرحا يصنع من يديه بوقا ثم ينادى فيه على فتاة تسمى « زهور » بالقرب من بيت « اسرة محمد » وكثيرا ما كان يستخفهما الطرب وتقليد الحياة حولهما الى حد ان «زهور» كانت تخلع عنها حجابها مما يبدو خروجا على تقاليد المنطقة

ولقد كان مما يملأ حياته بعمق معرفته بالشيخ « كومندار » الذى كان يراه دائما تحت شجرة البطم الكبيرة يضفر الحبال ، والذى كان يود ان يراه فى مرة سائر على عكازين بعد ان قطعت ساقاه فى الحرب العالمية الاولى .. ولكن سندار كان يجلس دائما وفى يديه تدور الحبال .. كان يجلس وكأنه واحد من معالم المنطقة كالاشجار

والبيوت ، وكثيرا ما كان يخيل لعمر انه « شجرة من حديد » كلما حدثه عن العالم الذي لا يحمل له الا الصداقة والاحترام ، ولقد قال لي في يوم من الايام :

« لا بأس ! سيان أن تفهم وان لا تفهم في هذه اللحظة يا بني ، فانما المهم أن تفتح الان اذنيك وان تحفظ ما اقوله لك ، حتى اذا اشتد ساعدك ، ونضج عقلك في المستقبل افدت منه ، وعرفت كيف تنفق حياتك »

وقد استيقظ عمـــر في الصباح وسرعان ما شعر بالراحة والرخاء في جسمه فقد سمع صوت زهور ، ونفذ طلب امه حين قالت له احضر بعض كيزان الاذرة .. ورآها وهي تشوى ، وهي تتناول بايديهم ، ولاحق بعض الحشرات وهي تثب ، وسحق بعض اوراق النعناع ، وقصف العصافير بالمقلاع ، وقد كان يقضي يومه على رفاف من «بني بوبلان» فيما يشبه هذه الالوان من الحياة ، وكان سعيدا بهذه الحياة الجديدة الى حـــد الدهشة .

وقد جلس في يوم من الايام الى كومندار الذي اخذ يحدثه عن حصان ابيض طاف بالمدينة ثلاث مرات ثم اختفى ، وانه لم يكن الا رمزا للحرية التي اقلقت النفوس ، ثم بهر عمر وهو يحدثه عن قرية «بني بوبلان» التي تعطى الانسان نوعا من الوحدة يختلف عن نوع الوحدة الذي يوجد في المدينة ،وكيف أنه يوجد بها دائما شيء من الحزن يظل يلاحقه بدون انقطاع ، ومع هـذا فالناس لا يتركونها ..

لايتركون الارض التي تشترك مع الانثى في سر الاخصاب ،والنساء اللاتي لوحتهن الشمس حتى صرن بلون العسل ، والرجال الخشنين الذين يتبادلون التحية في مودة ، وقد يقتتلون ويتعاطفون ، ويتباعدون ويقتربون ، ولكن من المؤكد دائما ان كل ما يصنع الجزائر قائم فيهم !

فقد بدأوا ينظرون نظرة جديدة الى أيدى السلطة وايدى المستوطنين وهي تخنقهم ، وتسجنهم ، وتلقى على حياتهم ظلالا كريهة بالاضـــافة الى بعض الملاك الذين كانوا يحتقرونهم مثل « قره على »

ولقد قال «قره على» في يوم من الايام « ان الفلاحين لم يوجدوا على هذه الارض الا ليوسخوا كل شيء ، ولو ذهبوا الى الجنة لملاوها ببرازهم ،فاذا باحد الفلاحين البسطاء يرد عليه

((أنظر ياسيو قره الى جنـائن الزيتون ، والمراعي الخضراء ، وكروم العنب ألا ترى انها جميلة ؟ انني لانظر اليهـا فاحس بقلبي ينفتح وينتسع ، احس بسهل فسيح من الرضى ، باوقيانوس من السرور ، بجبل من الكبرياء ، فمن أين يخرج هذا كله ؟ من اذرع الفلاحين . هل هذا كله ثمرة أناس خلقوا ليوسخوا الارض كما تقول ؟ انهم في الحق يجملون الارض ويزينونها ، ويمكن القول ان وجودهم يجعل من الارض جنة !)) .

ومنذ اليوم الذي قال فيه «كومندار» ان على «عمر» ان يعرف امورا كثيرة ، رأينـا « عمرى متفتح القلب على هذه الحيـــاة الجديدة ، فقد عرف الاشجار ، وعرق الرجال وحقل المستوطن الفرنسي «ماركوس» ،والقش والعشب ، وجـــريان الزمن ، ثم اخيرا الحضور الصامت الاخرس للموت

وكما عرف عمر هذه الاشياء عرفت القرية شيئا جديدا حين قدم اليها « حميد سراج » احد المثقفين المضطهدين من الحكومة في المدينة الذي حضر اليهم ليعرض اتفاقا بين سكان الريف والمدينة والفرنسيين الغاضبين على السلطات من اجل مقاومة النفوذ الفرنسي الذي يضغط حياة الجزائريين ، وحيـــاة بعض الفرنسيين في بلادهم ،ولقد نجح «حميدو سراج» في أن يجعلهم يتكلمون عن انفسهم ، ثم يكتشفون اشياء كثيرة وجديدة تسـمى الحزن ، والقلق ، والغضب !

وقريبا من هذه الضجة النفسية احس في نفسه ضجيجا من نوع اخر ، فقد وجـد

نفسه قريبا من « زهور » ، ولمحها من بعيد فى مجرى المياه ، فاذا به يهتم بهــا وهو يستعرض جسمها ، وتحاول رؤيته على صفحة المياه ، ولكنها وهى تنظر الى نفســها من أسفل لمحته ، فاذا بها تدعوه الى أن يبتعد ويحاول السير ولكنه لايستطيع ، ويتحـرك فاذا هى أمامه ، وحين يرى بطنها العارى تطوف بذهنه صورة حصان فخم عجيب مشئوم ثم يغادرها فى آخر الامر جزعا مهموما .

ويأتى عام ١٩٣٩ فنرى « حميد سراج » يساق الى السجن ، ويسأل عن الاشــخاص الذين يسببون القلق للحــكومة ، ثم يأتى الاضراب عن العمل فى القرى ، وتحرق مزرعة المستوطن فيار ، ويحضر وفدان من المدينة لتحية المضربين ، وحين كانت تسأل الشرطة عن المحــرض عن الاضراب كان يقــال لهم « البؤس ! » ، ورغم أن البعض قد تراجع عن الاضراب ، وان بعض المراكشــيين قد اجتازوا الحدود للعمل ، وان المســتوطنين يستندون الى بنادقهم ويذكرون وعود للمضربين الا انه كان هناك اصرار — رغم البؤس — على المقاومة .

لقد ساقت الشرطة الكثير من الفلاحين ، وتدافعت النساء لرؤيتهم وهم يسيرون ، اما الرجال فقد وجدوا انفسهم يســيرون نحو المعتقلين ، ودوى الرصاص وسـقط البعض ، وحين يسأل « عمر » الكمندار عن هذا يقول : اننا فى نظرهم مجرمون ، فهم يعاقبوننا بالرصاص والضرب والســجن والكلام والجوع ، ورغم هذا فكبا هــلاك والتجار منا يبدو الامر لهم وكانه لا يعنيهم وحين يقول له عمر « ولكننا العدد الاكبر » يقول له « ولكن لابد من صبر طويل لرجالنا الشجعان الذين يستعدون للقيام بالخطوة الاولى ! »



وتنقضى ايام اجازة عمر ويعــود مع امه واختيه الى دار بيطار ، ويدركهم الجــوع ، فتعزم على القيام بعملية تهريب ملابس الى الجمرك كما كانت تفعل فى المــاضى .

كلما ضاقت عليهم سبل العيش ، وانهــا لتتهيأ لهذا ، ولكنها لن تستطيع ، لانه يطلب منها ترخيص للســفر الى « عوجا » وحين تسأل عن السبب يقال لها « الحــرب ! » وهكذا ، خيمت العاصفة على « تلمسان » كما خيمت من قبل على قرية « بنى بوبلان » .

وقد انطلق « عمر » على صبيان المدينــة فكانوا ينطوون على الجــوع ، وينظرون الى اطفال الاوربيين نظرات قاسية ، ويتحسسون المواقع والقيود التى تحيط بهم ، واخــيرا يحســون أنهم أصبحوا « تحديا صرفا » .

ولقد رآه أحد الفرنسيين فى يوم من الايام فطلب منه أن يسير خلفه ليحمل بعض الاشياء التى سيحضرها من السوق ، ومع ان عمــر كان قد ترك المدرسة ، وكان يعانى مع اسرته من الجوع ، الا انه ود أن يرد عليه بأنه ليس « حمالا » ، ولكنه وجد نفسه يفقد معرفته باللغة الفرنسية التى يعرفها ، ويسير وراء الفرنسى وابنه .

وفى الوقت الذى كان فيه يعانى عمر من حياته ، كانت زهور تعانى هى الاخرى ، فقد شعرت أن زوج اختها قره على يلاحقها برغبة صامتة ، واحست ان اختها تتمنى لها الموت واحست ان حولها شيئا لا تعرفه يهمهم فى الجبال والاودية وفى نفسها ، وفى أحد الليالى تحــدثت الاخت الحزينة الى زوجهــا « قرة على » بكل ما فى نفسها ، حدثته عن الحريق الذى أضرم فى أكواخ الفلاحين ، وعن العمال الزراعيين ، وصفقات الزيتون التى يعقدها مع المستوطنين ، ثم قالت له : « ما الذى تريده من اختى زهور ؟ من الدوران حولها دائما ؟ ما الذى يحملك على ان تنظر اليها ؟ لمــاذا لا تدعها وشأنها ؟ اذا كنت تريد شيئا فانى لن اخلى لك الطريق » .

واذا بالزوج ينهال عليها خنقا وضربا ، واذا بالدم يتدفق ؛ أما « زهور » فى هذه الساعة فقد كانت تحلم انها كانت تطوف مع اختها فى بلاد من جبال وغابات .



من كل هذا نرى أن الحريق لمحمد ديب وترجمة سامى الدروبى ومراجعة جميــل صليبا ، يقدم شخصيات مدحورة فى بلاده ،

البقية ص ٧٥

يقظة أفريقية

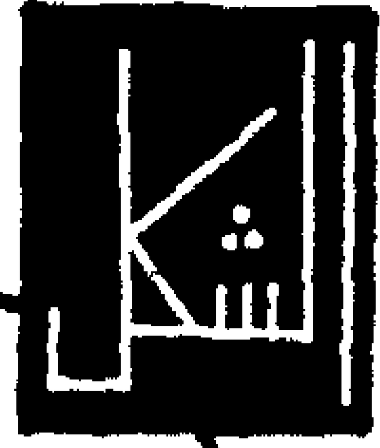
للشاعر كامل امين

صرخة المارد السجين من القمقم دوت بأرضنا المظلومة
في البراكين نفضت كسل الشرق وفي الرعد أنة مكتومه
في النبي الطريد من ضجة السوقة بين الملائك المحمومه
في الطواغيت ركعا يستجيرون باصنام طغمة محطومه
ايه افريقيا انفضي كفن الموتى وهبي من العظام الرميمه
لن تكوني البلى كما كنت بالامس نبات الثرى وكد البهيمه
تنزفين الحياة كي تحلبيها
لابن وغد او ابن انثى لئيمه
بين نخاس استرقك الريح وشار اباح منك يتيمه
تبسطين الذراع بالدملج المعقود وتخفين أنفك المخزومة

كل عز على يديك مباح
كل مجد على ثراك غنيمة
واغضبي واغضبي فانت ندى (الحقل) وانت السنابل المحرومه
واغضبي واغضبي فانت (لانجولا) وانت القبائل المقسومه
ليت شعري متى يعود لك الحق وترعاه أرضك المهضومه
ماج سوق العبيد واختلط الخنجر بالسوط بالوغى بالصياح
من كهوف الزنوج وانطلق الاسود ليلا مضرجا بالصياح
انها ثورة الزنوج على السيد والسوط بالدم المستباح
قفمعي أيها الجبان انا وحدي جريح مجرد من سلاحي
مزقت صدري الجراح ومازلت الاقي الجراح فوق الجراح
أنا عملاق هذه الثورة الحمراء نبي الوغى نبي الكفاح
لست في حانة كمثلك سكران ولكنني طعين وصاحي
لست كلبا يجر السادة الصيد ويقتات من فتات الشحاح
لست جزار مذبح يذكر الله وسكينه بلحم الاضاحي
ليس في جبهتي زبيبة من صلى ليغري العباد باسم الصلاح
لست منهم ممثلا اعصر الوجه وابكي بادمع التمساح
لست منهم أعيش في ترف الكلب جبان الوغى شجاع النباح
أيها السائل المدافع عني ما جففني كتيبتي وسلاحي
انا من تعرف الملاحم وجهي مثلما تعرفون وجه الصباح

((كامل أمين))





الشكل في الفن الافريقي

بقلم : عبد المنعم الحفني

ان فن النحت الافريقي فن أصيل يعكس الكوامن الفنية في وجدان الافريقي . ولا نعرف بلدا ولا حضارة في أفريقيا ، الا ومارست فن النحت وأبدعت فيه ، حتى أننا نستطيع أن نجزم بأن الحضارة الافريقية تفصح عن نفسها بشكل أكثر وأقوى في فن النحت ، ففن النحت هو مرآة الاحساس الروحي ، وهو يربط الافريقي بآلهته ، وبمجتمعه .

ويشمل النحت تماثيـــل السلف ، والاقنعة ، والدمى الجالبة للحظ أو التي تبعد النحس ، والمسابح ، وغيرها من أدوات التعبد . وكذلك التماثيـــل التي تعبر عن النشاط الاجتماعي ، والتي تصور الحيوانات والادوات المنزلية . ويســـتخدم الافريقي الخشب كمادة رئيسية في نحته . وبعـــد الخشب يأتي الصلصال ثم العاج فالمعادن ، ولكنه قلما يستخدم الحجر . وهو يصنع الاقنعة من الجلود ورقائق المعدن ، وغيرها مما يتيسر له من أدوات حسب المنطقـــة التي يسكنها والظروف .

ولما كان الفنان الافريقي يستخدم الخشب عموما فاننا قلما نجد أثرا من الاثار الفنية الافريقية يزيد عمره عن مائتي سنة ، ذلك لان الخشب مهما كانت جودته وصلابته فلن يتحمل اكثر من هذا الوقت نتيجة للتغيرات الجوية وللافات . وأول من اكتشف فن النحت الافريقي هم العرب الذين كانوا ينفذون الى داخل القارة الافريقية متاجرين ، فالحضارة العربية هي الحضارة التي اتصلت بالحضارة الافريقية من قديم الازمنة ، كأقدم ما اكتشفت الحضارة الافريقيـــة . ولذلك فان المؤرخ العربي الذي يقول ان الفن الافريقي على الخشب هو أقدم الاصول الفنية في تاريخ الفن الافريقي ، مؤرخ صادق . والتاريخ العربي يقرر ان غانا هي أقدم الممالك الافريقية استخداما للخشب في فن النحت .

والان لنتناول قضية « **الشكل** » في الفن الافريقي . ولنضع في بالنا دائما أن الفنان الافريقي وهو ينحت على أي من المعادن أو الجلود أو الاخشاب انما يحاول تجسيد فكرة

مطلقة ، فالفن فى اعتقاده يستخدم لتحويل غير المنظور الى منظور . وما يعتقده الفنان الافريقى لا يمكن أن تصوره أشكال طبيعية من وحى بيئته . وهو لكى يعطى رؤياه شكلا فانه يعيد تنظيم عناصر رؤياه الطبيعيــة والمجردة والتكعيبية والتعبيرية ، ويدخلهـا جميعا فى وحدة كلية متصلة مترابطة . ويجب أن ننبــه مرة أخرى الى أن الفن الافريقى يخدم أولا وغالبا الاغراض الدينية . والفنان الافريقى لا يحس تلقائية فى تصوير الاشكال الادمية بالنحت . وانما يهتم بتصوير الابطال والملوك الذين يشبهون الالهة . وهو يستعين بالحياة كى يخلق من الافكار المجردة أشكالا مجسدة نستطيع أن نفهمها ، ويستطيع هو أن يعقد صلات وجدانية بها معنا .

والسؤال الان :

كيف يستطيع الفنان الزنجى أن يصور فنيا أفكاره المجردة عن القوى الالهيةوالسمو الدينى وعالم ما بعد الموت والموت ؟

ويعبر الفنان الافريقى عن القوى الالهية بأن يرسمها برءوس كبيرة وعيــون براقة وبطون متورمة وصـــدور ضخمة . وهو يصورها من خلال قرون الجاموس والكباش والغزلان ، ومن خلال رءوس التماسيح . وهو لكى يعبر عن فكرة القوة يستخدم كل هـذه العناصر ويزيد من تأثيرها بالشكل : بالمحيطات الصلبة ، وكسر المسطحات والمكعبات بدينامية وايقاع خاصين بها . ويرمز كذلك الى القوة بالاطراف المستطيلة ، وبأن يصور التيجان وهى مضغوطة على رأس صاحبها ، ويرسم الاقدام ضخمة ، ويضع تورما أسفل الجبهة يبرز الى الامام قليلا ، وكذلك يركز اهتمامه على السرة ويدفع بثقلها الى أسفل .

ويعبر الفنان الافريقى عن فكرة التعالى والعظمة الالهية والهدوء والاستقرار الملكيين ، بأن يصور صاحبها جالسا أو واقفا جلســة سكونية فيها التناسق والوضوح الذى يكاد يجعل الصورة تبرز من اطارها أو التمثال يفرض نفسه فرضا على رائيه . وهذهالمبادىء يلتزمها الفن الافريقى التزاما متكاملا تحس فيه الهرمونية بتناسق جميع عناصره حتى أننا نلمس دقة الانتقال من الاجزاء المختلفـة من الجسم وتحكمه فى الحركات ممـا يعطى مع اللون البرونزى الغامق الاحساس بالرهبة لدى المتفرج .

والفنان الافريقى يرسم السلف بوجه يتسع هالة من الهدوء ، ولكن من خلال محاجر العينين الضيقة يخرج ومضات من الحضور الحى لشخصية السلف ، بمعنى أنه ينفث من اعتقاداته الدينية فى التمثال بحيث يشكل كل أجزائه بما يوحى باستمرار حياة السلف رغم وفاته ، وهذا ما نراه كذلك فى تكوين خدود تماثيل السلف ، وفى المنحارين وامتلاء الشفتين . ويعبر عن صمت الموت والحيـاة الاخرى برسم الجمجمة بحيث تظهر بشمة مما ينفر منها ويبعث الاحساس بالموت وخاصة فى تصويره لمحاجر العينين المجوفة والذقن المدببة .

ويجب أن ننسى المثـــل الاعلى الافريقى للنحت ، وللشكل الانسانى فالتمثل الفنى لدى الاغريق يختلف عن التمثل الفنى لدى الافريقيين ، باختلاف الاصول الحضــارية والمعتقدات الدينية والفلسفات الســكامنة خلفها . فهنا ، أى فى الفن الافريقى ، نجـد وسيلة مختلفة من وسائل التعبير الادائى ، تنفصل انفصالا كليا عن الطبيعة التى كان الاغريق يصورون بها تماثيلهم . ومـع ذلك فاننا نشفق على ابن الحضارة الانســانية المعاصرة وخاصة الذين تربوا على الحضارة الاوروبية بنوع خاص ، أن يفسروا هــذه التماثيل الافريقية ويعطوها حقا من الاحترام الواجب . ومع ذلك فقد سهل علينا الفنانون المعاصرون تذوق عالم الفن الافريقى ، بمـا اقتبسوه عنه وما تحدثو االينا به من أمثال « مالول » و « هنرى مور » والوحشـيين والتكعيبيين ، و« كاندينسكى » و « كلى » و « بيكاسو » . وفى مقال سابق تحدثت عن تأثر « بيكاسو » بالفن الافريقى على وجـه الخصوص . ولو حاولنا أن نقترب من الفن الافريقى من خلال عيون وذوق هؤلاءالسابقين، فاننا سنصل حتما الى تفهم والاحســاس بروح الفن الافريقى .

ومن الخطأ أن نحسب أن الفنان الافريقى يتفهم الشكل من وجهة نظر قدرته على أن

يكون وسيلة تعبير . ويجب أن ننبه الى أن الفنان الافريقى يمزج الاشكال المختلفة ويحيلها الى شيء آخر مثل العناصر التكعيبية. مثلا هو يقطع جزع الشجرة ويرى بعين عقله الاثر الدينامى لتمثاله ككل . ولكنه لا يبدأ فى نحته كما يتخيله بشكل عام . وخطوطه ومسطحاته ومكعباته وانحناءاته والاماكن التى يبرزها والاماكن الاخرى التى يدخلها . كلها ليست من وحى الصدفة . وهو يمسك قطعة الخشب التى فى يده أثناء عمله عميقا . ويدرسها من جميع الزوايا بعين ترى من أبعاد ثلاثة . وهو يعلم أن الانحناء الجرىء يستتبع أثرا مغايرا ، وأن التصفيفات والدوائر المركزة تخلق نقطا بؤرية محددة . وهو يعى أهمية الظل ويلعب به بمساعدة المسطحات الناعمة وذات الحجم الكبير . وهو يعرف كذلك أن سحر تمثاله يعتمد على طبيعة المادة وأسلوب العمل الذى يؤدى به فنه . ويعلم أيضا أنه يجب عليه أن يستبعد جزءا من ملاحظاته عن الطبيعة كى يزيد من الاثر الذى يطلبه . واذا كان النحت الافريقى يعطى هذا الاثر بالرغم من ان التماثيل التى يصنعها لا يعدو طولها اكثر من ثلاثة اقدام ؛ فان ذلك يعود بلا شك الى مهارة الفنان فى الاقتصاد وتبسيط تفاصيله التى تؤدى الى تركيز أكبر على الشكل .

والفنان الافريقى يتسم بحبه للايقاع . وهو أمر لا نشك فيه لحظة واحدة ؛ ونراه بشكل ملفت فى الرقص والموسيقى الافريقيين. فلماذا لا نراه فى النحت اذن ! اننا نلمسه فى القوة الدينامية وفى التوتر الذى يصور بهما تماثيله .

ومن الخطأ أن نحسب أن التناسق فى النحت الافريقى يستمد هذه الصفة من كونه منحوتا على كتل خشبية صماء . والمواد المستخدمة فى الفن الافريقى كثيرة وغنية وتعطيه مجالا كبيرا للعمل بمختلف الطرق والوسائل والخطوط ، كما هو واضح فى تكويناته الجماعية بالصلصال وبالنحاس .

والفن الافريقى يرسم الشخصيات الانسانية تجلس على كرسى أو على عرش . ولكن تماثيله التى تصورها واقفة أقل عددا من التى تصورها جالسة . والتماثيل الجالسة تتقاطع سيقانها وتجلس مربعة أو تجلس بكيعانها فوق ركبها . ويعبر الركوع عن الاستقرار بالنسبة للنساء . أو ربما يعبر أحيانا عن الاحترام والاخلاص . أما الاكتفاء الذاتى فيعبر عنه بالاذرع المتشابكة او التى تقدم ذبائح أضحيات للسماء مع التعبيرات الحركية المناسبة . والاذرع والايدى تسند الرءوس الثقيلة أو تتشابك أسفل الذقن ؛ أو تلامس اللحية .

وعند ما يصوغ الفنان الافريقى تماثيله يهتم اهتماما كبيرا بأجزاء الجسم المختلفة سواء كان التناسق بينها يعكس حقيقة تشريحية أم لا . ولقد رأينا من قبل لماذا يزيد الفنان الافريقى فى تماثيله من شكل الرأس والعينين والجهاز التناسلى والسرة ؛ فهذه كلها أجزاء من الجسم ترتبط بالقوى الغيبية .

فنحن اذن نعالج نسبا متطرفة . يمكننا أن نسميها نسبا « ذات معنى » . الامر الذى يضمن لنا أن جميع العناصر الجوهرية قد رتبت بالشكل الصحيح بالنسبة الى بعضها البعض . وكل ما يجسد فكرة ، أو يخدم وظيفة اجمالية ويخلق تناسقا ، يعلى من شأنه ويعامله معاملة متكاملة خاصة . والفنان الافريقى يؤثر أن يتبع المحور الرأسى ويقطعه فى مراحل معينة بمحاور أفقية . ويؤدى به تذوقه للتناسق الى البحث عن القطاع الذهبى .

ولكى يزيد من تأثير تمثاله أو قوة تعبير القناع ، يستخدم الفنان أشكالا فى منتهى البراعة . مثلا رأس جانوس ذو الوجهين الذى يوجد فى كل أراضى ساحل غينيا والكونغو تقريبا . ونجد كذلك اقنعة لها أربعة وجوه أو حتى ستة لدى قبائل المندى والبوروبا والبانجو والايكوى والبالوبا ، وأقنعة ذات أنفين كالتى رسمها بيكاسو !

وقد نستطيع أن نتساءل مع من يتساءلون **هل الفن الزنجى فن بدائى ؟** والاجابة التى يقررها الاستاذ « السى ليوزنجر » أستاذ الفن والمعروف بكتاباته النقدية للفنون فى مختلف

انحاء العالم : لا — واذا كانت كلمة بدائى تفهم على أنها شىء غير ناضج وهمجى وحقير ، فالاجابة لا ألف مرة . ولكن اذا كان المقصود بكلمة بدائى شيئا مشرفا كالذى نعنيه عندما نقول عن الفن الوحشى fauvism أنه بدائى ، فالاجابة نعم .

هذا هو ما يقوله الاستاذ السى ليوزنجر . وكل من يرقب الفنان الافريقى وهو يعمل ، ويرى تركيزه المنهجى واحساسه الاكيد بالاسلوب ، ويلمس سعيه الدءوب نحو الجمال وتحقيق التعبير ، وموهبته فى جمع الجوهريات، لن يجرؤ أبدا على أن يستخدم تعبير«البدائى» بمعنى التخلف وعدم المهارة والفجاجة ، بالنسبة للفن الافريقى .

والفن الافريقى يمكننا أن ننسب اليه تجاوزا بعض السذاجة ، لانه لا يمكن الا أن يكون ساذجا من يبدأ برسم تمثله الفنى بهذا التصميم وللتفوق بسرعة . وكل مانستطيع أن نقوله أن الفن الافريقى بدائى فيما يختص بمستوى التكنيك . وكم يدهش الانسان عندما يرى أعمال الفن الأفريقى على النحاس والذهب مع ان الفنان الافريقى لا يستخدم أيا من الوسائل الفنية التى يستخدمها الانسان المعاصر لصهر المعدن أو تشكيله . وما حققه الفن الافريقى فى فن الخزف ليبهر المرء علما بأن الفنان الافريقى لا يستخدم عجلة الخزاف . ووصفنا للفن الافريقى بأنه بدائى وصف تجانبه الحقيقة ويبعد عنه الصواب .

ومع ذلك فان تعبيره « أولى » ، وهى ترجمة كلمة Primav الالمانية التى استخدمها فيلكس سبينرو ليصف بها الفن الافريقى لتعبر تعبيرا صادقا عن هذا الفن ، فأولى هنا تعنى أنه فن مرحلة مبكرة فى الحضارة الانسانية ، بعكس كلمة بدائى Primirive التى تعنى أنه فن فج عطب غير متقدم . والاسلوب الاولى هو الاسلوب الذى تستخدمه الشعوب كلها فى مراحلها الاولى من التطور الفنى . والفنان الذى لم يتقدم على الاسلوب لاولى ، والذى يحاول أن ينحت ، انما يقنع بأن يوحى بالوجه والاعضاء والحركة الجسمية بأسلوب لا يمت الى الطبيعية ، ولكنه أسلوب فيه تلقائية وفيه سحر كبير . ولقد تدربت قبائل عديدة وجماعات ضخمة من الناس على أن تنمى أسلوبها الخاص بها ، وهو أسلوب نتج من فهمها للعالم ولشخصيتها نغذية الدوافع النفسية وتلهمه الرؤى الفنية لشخصية الفنانين . ولكن مدى أفكار الفنان تحدده بيئته والاساطير القبلية ، وهى ليست مغلقة دولة ولكنها تنتمى الى كل القبيلة . وعندما يتشكل أسلوب خاص فى النحت ويصبح مستقرا فى القبيلة تصير له فاعلية تستمر لعدة قرون . ومن الطبيعى أن تتناوله يد التغيير والتعديل والتبسيط والتنويع ، ولكن أسسه الجوهرية وسماته الاصلية تظل كما هى .. ويصبح فن النحت كلا لا يتجزأ من أسلوب معين ، ومادام فهمه للعالم فهما متكاملا فان الفنان الافريقى يظل أبدا متعلقا برموزه لا يظن بها الخطأ ، ولا يضن باستخدامها لاستخدام الجدير بها والذى يستوعبها لاقصاها . ولعل تمثالى اليوروبا اللذين وجدا طريقهما الى المتحف البريطانى سنة ١٨٥٤ يعبران تعبيرا صحيحا عن هذا الذى نقوله ، لاننا لا نستطيع أن نميزهما من بين التماثيل العديدة التى تحيط بهما والتى تنتسب الى الحضارة الاوروبية الحديثة .

((عبد المنعم الحفنى))



الفن والرمزية في التراث الحضاري الغاني

بقلم كوفي انتوبمات
ترجمة كامل عبد المجيد

من المعروف أنه عند التعلم يجب البدء من المعلوم الى المجهول ، وهنا يواجهنا سؤال .. ما هو المعلوم أو المعروف عن الفن فى غانا ؟ يمكننا الاجابة على هذا السؤال بأن الفن الغانى - فى الوقت الحاضر - يقف فى مفترق الطرق بين حضارتين خطيرتين ، حضارة الشرق بقيمها الروحيــة المتأصلة الجذور وحضارة الغرب بقيمها المادية .

ويشبه حكماء غانا قصة الحضارة فى غانا الحديثة بقصة الخفاش التى تحكيها الاساطير الغانية .. فالخفــاش يتعلق بين السماء والارض فى تردد وريبة فتقول له آلهة السماء : هيا أيها الصديق .. عندنا السلام والسعادة ، فيجيب الخفاش : انى قادم .. ألا ترون أن قدمى فى الطريق ؟ وعندئذ تصيح شــياطين الارض « أيها الاخ .. متى تأتى عندنا حيث تلقى الدفء والهناء » وهنا أيضــا يجيب الخفاش : : انى قادم .. ألا ترون أن رأسى فى الطريق اليكم .

وهذا اللغز الاسطورى المحير يدفعنــا الى التساؤل :

هل سيبقى الخفاش - هكذا - معلقا الى الابد .. لا بد وأن يسير فى أحد الاتجاهين .. ولكن أيهما ؟

هذا هو السؤال الذى يواجه الحضارة الغانية والفن الغانى فى الوقت الحاضر .. ومن هنا نستطيع أن نطابق قصة الخفاش الحائر مع قصة الحضــارة والفن فى غانا الحديثة ..

ولكى نضع حدا لهذه الحيرة .. وهذا التردد نقول « لكى تكون مع النجوم لا بد وأن تكون نجما يشع الضوء من ذاتك .. فبذور الحياة تكمن داخل انفســنا .. تماما كما تكمن فى داخلنا شرارة النور التى تصلنا بالاضواء الاخرى » .

وهنا أيضا نصطدم بالحقيقة التى تقول ان الامم تحيا بقدرتها على البحث عن ماضيها فى الحاضر الموجود لماضى الاخرين .. وهــذا

ينطبــق على الفن فى غانا .. ويقودنا الى السؤال الذى لا يمكن تجاهله : ماذا يمكن لغانا أن تقدمه للعالم من تراثها الفنى بينما لا تملك شيئا من مظاهره الملموسة فى الهندسة والنحت والتصوير والموسيقى والادب .

وقبل أن نجيب على هـــذا السؤال لنستعرض تطور الفنون والحركة الفنيــة فى أوربا المتحضرة .. فنجد أن الفنون فى أوربا – المتحضرة – تعانى – منذ عصر النهضــة حتى وقتنا هذا – الشىء الكثير فى سـبيل تطورها وذلك لتوالى الحركات الفنية الواحدة اثر الاخرى مما نزع عنها تدريجيا روح الفن الحيوية الاصـــيلة وخلق حالة من الفوضى الفنية والابهام والضياع .. وبذلك فقد الفن معناه وحيويته وأصوله المقدسة .. بل ان الفن فى أوربا مهدد بالانفصال عن الاصول التى تنبع من الالهام العظيم الذى يستمده الفنان من علاقته بالقوة المقدسة الخفية ، الموجودة فى الطبيعة والحياة .

هذا النقص الذى تعانى منــه الفنون الاوربية والعالمية لا ينطبق على الفن الغانى فمن حسن الطالع أن غانا لا تفتقر الى الاصول الطبيعية الضرورية للفن والفنان الغانى .. كما أن غانا – والفنان الغانى – لا تنقصهما أيضا المقدرة .

وأبرز ما يميز الفن الغانى الرمزية ..

والرمز فى غانا لا يعتبر بدعة ولا افتعالا ، بل انه عنصر من عناصر الحضارة الغانيــة التى يكون الفن عنصرا أساسيا من عناصرها ، فهذه الرموز تواجه المسافر الى غانا فى كل مكان وفى كل مظهر من مظاهر الحياة .. فى فنون غانا الشعبية كلها .. وحتى فى وظائف الدولة حيث يجلس الزعمــاء والرؤساء فى نصف دائرة رمزا للهلال الذى يمثل طبيعة الانثى أو الام التى يرحبون بها . كما أن الملابس التى تستخدم فى الوظائف التقليدية تتميز بألوان وتصميمات لها دلالات رمزية عميقة . وكذلك تظهر هــذه الرموز فى كل مكان فى غانا .. وفى كل المجتمعات الغانية حيث يرتدى الرجال والنســاء ملابسهم التقليدية المزركشة والتى تحمل تلك الرموز الغانية المعبرة عن المعانى الفلسفية العميقة .. والتى تعنى أن هؤلاء الناس من غانا .

والمظلات المحلاة بالذهب أو الفضة فوق رءوس الناس فى شوارع غانا ترمز الى المظاهر المختلفة للقوة التقليدية لزعماء غانا .

وما زالت البيوت تبنى – حتى اليوم – فى القرى الغانية بطريقة رمزية اما على شكل قائم الزاوية أو على شكل دائرة لها دلالات رمزية تلعب دورها . كما أنه مسموح للغانيين – تقليديا – بالتعبير عن مشاعرهم فى طقوس الجنازة ، فهم يولولون على أمواتهم بصوت عال ، وتنشد النساء المرثيات فى ذكرى أمواتهن وفى أثناء ذلك يقمن بحركات وايماءات ذات دلالات رمزية ، كما يلبسن أو يحملن أشياء معينة ترمز الى مشاعرهن .

من ذلك كله نخلص الى الحقيقة التى تقول بأن التشخيص الرمزى للافكار بوجه عام وللقيم الاخلاقية بوجه خاص هو الذى يؤدى الى فهم وتقييم الاساطير الخرافيـــة فى غانا .

وتتبع الاوانى التقليدية فى غانا نماذج معينة ذا أهمية اجتماعية ودينية ورمزية .. وتقتصر النقوش التقليدية على انتاج الكراسى التى تتبع أشكالا محددة وتزركش بأشــياء رمزية حيث تطلى بالذهب أو الفضة فى البيوت الملكية .. وهذه الزينات أيضا تتبع نماذج محددة خاصة بغانا .

وتقوم حركات الرقص بين القبائل فى جميع أنحاء غانا على أسس فكرية رمزية تعبر عنها هذه الرقصات ، وكذلك على أساس جمال الحركات . كما يعبر الغانيون عن الجمال فى الشكل الانسانى برموز محددة معينـة ، فتوصف أجزاء الجسم اما بدائرة أو بشكل مخــروطى حسب القيم الدينيـــة الخاصة بالغانيين .

وعند ما يسافر أعضاء أسرة غانية تقليدية الى مكان ما فانهم – كقاعدة – لا يسيرون جنبا الى جنب ، بل انهم يسيرون فى صف

حسب ترتيب معين للاهمية -الاجتماعية الرمزية . وفى البلاط التقليدى توجه أهمية كبيرة لحركات الانسان ، لان جميع حركات وايماءات المتحدث تفسر تفسيرا رمزيا ، فلا ينبغى أن يجلس انسان بطريقة معينة كما ينبغى أن يتحدث بأسلوب معين لان لكل حركة معنى معين . وعند ما يذهب طالب يدرس الابحاث التاريخية ليستفسر عن الاسرار الدفينة التى تكتنف أصل بيت من البيوت الملكية الغانية فان الاجابات تعطى له دائما على شكل أمثال أو جمل رمزية منسقة الكلمات بطريقة معينة .. ومن هنا تخرج الطالب دائما بتلك الخرافات التى لا معنى لها ولا عملية فيها مثل « **لقد جئنا من جحر فى الارض** » أو « **لقد أتينا من السماء بواسطة سلسلة ذهبية** » .

وعند ما يموت شخص فى المجتمع الغانى فان كل معاملة لجسد الميت تؤدى بطريقة رمزية ذات دلالة بعينها ، وتختلف معاملة جسد الذكر عن الانثى وكذلك تختلف معاملة جسد البالغ عن جسد الطفل ومعاملة جسد الشخص الذى مات ميتة طبيعية تختلف عن ذلك الذى كانت وفاته غير عادية .

ولكل حركة فى الزواج وفى طقوس تسمية الطفل معنى رمزيا ذو دلالة خاصة ولذلك فانه يمكن القول بأن الفن فى غانا فى جميع أشكاله يتضمن تعبيرا غينيا بالرمزية فى حدود الواقعية المتمثلة فى الطبيعة .. هذا هو التشكيل الرمزى الذى يميز الفن الغانى والحضارة الغانية .

ولا يفوتنا أن نذكر أن لكون الفنانين الغانيين بشرا فانهم يجدون الالهام فى معرفتهم بالحقيقة التى تقول بأنهم لا يبدأون من فراغ، أى أن عليهم أن يستعينوا بتراث بلدهم الحضارى العزيق ، وهم كذلك يؤمنون بأن لامتهم بعض الافكار العبقرية فيما يختص بحقول دراساتهم وفنونهم .. ولكن عليهم أن لا ينسوا أن العالم يمضى قدما الى الامام ويتطور بسرعة فى اتباعه طريق العلم والمنهج العلمى المدروس ، ولذلك فانه ليس من صالح أى مجتمع تقدمى أن نغلق عيوننا عن كل الاكتشافات العلمية الحديثة فى كل ميادين الحياة .

ان المفاهيم التقليدية لغانا كما هى موجودة انما تعود الى العصور الوسيطة فى فهمها الرمزى ، وهذه المفاهيم تؤدى غرضها فقط حينما يتخذها الفنان الغانى نقطة بداية له لانه اذا كان لفن التصوير — مثلا — فى غانا أن يتطور ، فعلى المصور الغانى أن يدرس أيضا - بجانب التراث التقليدى الغانى لفن التصوير — نظرية الالوان من الوجهة العلمية ، وصدق القائل « عاقل ذلك الشخص الذى يلتمس أحسن ما عند الاخرين مع الاحتفاظ بأفضل ما لديه » ، فلا مكان فى حقل التقدم والتطور للتعقر أو القومية المتعصبة أو الكبرياء الزائفة لاى أمة من الامم .

وفــاء المرأة الزنجية

عن الفرنسية

ترجمة محمد شريف



قصة مقتبسة عن أهالى ((واكارنجا))

عن الفرنسية ترجمة: محمد شريف

يحكى أن رجلا من آل واكارنجا قد تزوج من امراة ، وبعد ان حملت منه أنجبت له طفلا وسيما .. وبينما كان يلاعب الطفل ويداعبه لاحظ وجود علامة غريبة على جبينه يبدو أنه قد ولد بها ..

فقال لزوجته :

((انى أرى على جبين طفلنا علامة مميزة ظاهرة الوضوح وهذه العلامة التى ولد بها لا بد وأن تعنى شيئا معينا ..))

فقالت له الام :

((وحيث ان الامر كذلك فلا بد ان نحمله الى احد رجال السحر والشعوذة ونستفسر منهم عن ((كنية)) هذه العلامة وما تعنيه حتى يمكننا أن ندرك ما اذا كان الطفل سيعيش من عدمه ..))

فأجابها الاب بقوله :

((يجب أن نسأل السحرة ورجال الدين)) .

وعلى ضوء ذلك لم يحمل الوالدان الدين وقال له :

((يوجد على جبين ابنى علامة على شكل هلال فهل يجب أن نتركه يعيش أم ترون أن نلقيه فى اليم .. ؟))

فما كان من القسيس الا أن سأل بدوره السحرة ثم قال :

((لا تلقوا بالطفل فى النهر لان هذا المولود سوف يصبح ملكا عظيما الا أنه سوف يموت مقتولا على أثر عضة ثعبان متأثرا بسمه)) .

وعلى ضوء ذلك لم يحمل الوالدين مولودهما الى النهر وتركوه يكبر ويترعرع بين أحضانهما ..

وعند ما صار الطفل شابا وصلب عوده قال ذات يوم لوالده :

((أود يا والدى أن أذهب فى البحث عن زوجة لى فانى أصبحت فى حاجة الى شريكة لحياتى ..))

فما كان من والده سوى أن أقر رأيه وقال له :

((افعل ما شئت)) ..

فما كان من الشاب ذو الجبهة المميزة الا أن رحل بعيدا عن الديار .

وذات يوم وصل الشاب الى بلد لم تحظ بسقوط المطر منذ امد بعيد .. لقد أصاب كل شيء فيها الجفاف والذبول وكانت المواشى تموت عطشا والحياة تزداد سوءا لقلة المياه

وانعدامها وكادت تقضى على الحياة فى تلك البقعة ..

التقى الشاب فى الطريق بابنة ملك هذه المدينة البائسة وهى فى طريقها الى ما تبقى من مراعى تقود اليها ما بقى من أغنـــام ، وأخذ يتجاذب معها أطراف الحديث ..

بدت الشابة جميلة جدا فى نظر الشاب وأعجب بها أشد الاعجاب فما كان منه الا أن فاتحها فى أمر زواجهما وقال لها صراحة :

« أريد ان اتزوجك وقد اخترتك زوجة لى .. »

فقالت له الفتاة :

« أود تماما تلبية هذه الرغبة وتحقيق تلك الامنية الا أن والدى الملك لن يعطينى سوى لرجل يستطيع أن يمنح البلاد المطر المحرومة منه منذ أمد بعيد فمن له القدرة على ذلك سوف يكون زوجا لى » ..

فأجابها الشاب :

« اذهبى والتقى بوالدك وقولى له انى أستطيع أن أجد له المطر وبوسعى انزاله فى هذه البقعة من الارض .. »

ذهبت الفتاة تبحث عن أبيها الملك لتحيطه علما بما حدث ، ولما التقت به ومثلت بين يديه قالت له :

« وجدت شابا يا أبتى يستطيع أن يجعل المطر يغمر هذا البلد » .

فنظر اليها الملك فى شغف وقال لها :

ـ اذا استطاع هذا الشاب أن يجعـل السماء تجود علينا بالمطر فيسقط على بلدنا ويغمرها بالمياه جعلتك على التو زوجة له » .

وعلى أثر ذلك عادت الفتاة الى الشاب لتقول له :

« لقد وافق أبى وأجابك الى طلبــك فاجعل اذن المطر الوفير يسقط على هــذا البلد » .

ذهب الشاب ذو الجبهة المميزة بعلامة على شكل هلال الى احدى المغارات المهجورة وكان يسكنها ثعبان ضخم فدخل فيهــا وخاطب الثعبان قائلا :

« اننى الشاب ذو الجبين المميز بالعلامة الهلالية فاقترب منى وازحف فوق قدماى ثم فوق جسدى وفوق العلامة المميزة التى تعلو جبينى » .

فرضخ الثعبان لامره واطاعه واخذ يقترب منه ويزحف فوق قدمى الشاب ثم فوق جســده الى أن وصل الى العلامه المميزة التى تعلو جبينه فزحف عليها أيضا وأحاطهــا بجسده ..

عندما لمس الثعبان بجسده قدما الشاب لوحظ أن الافق أخذ يغمق رويدا رويدا ، ولما وصل الثعبان الى جسد الشاب أخذت السحب ترتفع فى عنان السماء وعندما وصل الثعبان الى جبهة الرجل وأحاط العـــلامة الهلالية بجسده تماما أخذت السماء تمطر بغزارة واستمر الغيث خمســة ايام متوالية بلياليها ..

ذهب الرجل بعد ذلك ليلتقى بابنه الملك ويطلب منها الابرار بالوعد فقال لها :

« هل كان المطر كافيا .. ؟ »

فأجابته الاميرة قائلة :

« نعم لقد كان المطر غزيرا وقد قبـل والدى أن أكون لك زوجة ولكن حذارى أن تنسى ما سوف أقوله لك .. لا بد ما دمت زوجة لك أن لا تحتسى سوى الحساء الذى اعده لك بنفسى والا تتناول سواه مهما كانت الظروف . انك تستطيع حقا أن تختار لك زوجة ثانية وزوجة ثالثة ولكن لا يجب مطلقا أن تشرب من حسائهم ..

فقال لها الشاب اتفقنا

تزوج الشاب ذو الجبهة الهلالية من الاميرة وعندما كان يكف المطر عن السقوط كان يذهب الى المغارة ويقول للثعبان قوله المأثور فينفذ هذا الاخير أوامر الشاب فيسقط المطر غزيرا وفيرا ..

وأخذت حقول المدينة منذ ذلك اليــوم الذى وصل فيه الشاب اليها ، تخضر وتزدهر ولا يجف عنها الماء مطلقا كما أخذت الخيرات تزداد والرخاء يسود ويعم فى كل مكان الى أن مات ذات يوم ملك المدينة فأراد الاشراف

وعلية القوم بها المناداة بأحد أبناء الملك الراحل خلفا له .. الا أن نساءالمدينة عارضن فى ذلك وطالبن بأن يصبح الشاب ذو السمة الهلالية ملكا للمدينة وفعلا نصبهذا الشاب ملكا عليها واعتلى عرشها .

وذات مساء على اثر انعدام المطر فترة طويلة ذهب الملك كعادته الى المغارة المهجورة ليلتقي بالثعبان وبينما هو فى طريقه مر أمام مزرعة كائنة بجوار المغارة وكانت تعيش فى هذه المزرعة امرأة مع ابنتها .. وبينما هو مار بهذا المكان شعر بظمأ شديد ولما تلفت حوله رأى فتاة واقفة على باب كوخهـا فقال لها :

« انى ظمآن فهل لى أن أجد عندك ماء أرتوى به».

فدخلت الفتاة الى كوخها ثم عادت الى الملك ومعها كوب مملوء بالمـاء أعجب الملك بجمال هذه الفتاة الساحر .. وبعد أنشرب وارتوى أخذ طريقه الى المغارة وعند عودته منها كان المطر يسقط غزيرا فدخل الملكالى منزل تلك المرأة صاحبة المزرعة وقال لها :

انى أريد أن أتزوج ابنتك » .

فقالت له الام :

« انك تستطيع أن تتزوج ابنتى على أن تأكل من اللحم الذى تعده لك فى وجبتـك الثانية » ..

فوافق الملك على ذلك ..

اصطحب الملك معه فى عودته زوجتـه الثانية واعتاد على أن يحتسى يوميا الحساء الذى تعده له زوجته الاولى ثم يتناول فى الوجبة الثانية الطعام الذى تعده له زوجته الثانية ..

وذات يوم قالت الزوجة الاولىلزوجها

« منذ أن تزوجت زوجتك الثانية وأنت لم تتناول مطلقا أكلتى الثانية حقا أن هذه الاكلة الثانية لا تحتوى على لحم الا أنهـا لذيذة الطعم حلوة المذاق وأود أن تجربهـا وتتذوقها وتأكل منها .. »

فأجابها الملك :

« انى وعدت زوجتى الاخرى بالوجبـة الثانية » ..

فاستطردت الزوجة الاولى قائلة :

« ان لم تتناول أكلتى الثانية فسـوف القى بنفسى فى البحيرة .. »

فاستولى على الملك الرعب وتملكهواضطر أخيرا الى الرضوخ فتناول الاكلة الثانيةالتى أعدتها له زوجته الاولى .

وفى اليوم التالى عند ما دخل الملك الى كوخ زوجته الثانية فأجأته بقولها :

« انك لم تأكل بالامس من وجبتىالثانية».

فأجابها على الفور :

« أرجو السماح والمعـذرة فانى قد تناولتهـا عند زوجتى الاولى حتى لا تلقى بنفسها فى البحيرة » ..

فأجابته الزوجة الثانية بقولها :

« انى لن أغفر لك ذلك ..ولن أعفـو عنك فانى لا أريد رجلا ليعيش معى فقط انما أريده أن يتناول أيضا من وجبتى الثانية ».

وما كان من الزوجة الثانية بعـد تلك الكلمات الا أن جمعت متاعها وعادت الى بيت أمها ..

وعند ما استقرت فى بيت أمها ذهبت ذات يوم الى المغارة التى يعيش فيها الثعبـان ودخلت عليه وقالت له :

« اننى أريد رجلا لا ليعيش معى فقط وانما ليتناول أيضا من وجبتى الثانية .. »

فقال لها الثعبان :

« انى آت معك » .

وذهب الثعبان الى كوخ الزوجة الثانية .

وهكذا عاشت الزوجة الثانية مع الثعبان فى عيشة واحدة ..

وذات يوم قال الملك لنفسه :

« اننى أحب زوجتى الثانية ويجب أن أذهب لاراها وأبقى معها فترة من الوقت » .

وفعلا ذهب الملك الى كوخ زوجته الثانية ولما التقى بها قالت له :

« أيها الملك ماذا تريد منى .. ؟ »

فأجابها الملك :

« أرجو أن تنسى ما كان بيننا من شجار واسمحى لى بأن أبقى بجوارك الى الغد ».

فما كان من الزوجة الثانيـــة الا أن قالت له :

« من المحال أن تبقى هنا .. اذهب الى حال سبيلك .. »

فاقترب الملك من زوجته الثانيه وأراد أن يقبلها فما كان من الثعبان الا أن اندفع نحوه وهجم عليه ولدغه فصرخ الملك صرخه مفزعة .. وعلى أثر ذلك ارم الملك الفراش مدة طويلة وأخذ يفقد قواه شيئا فشيئا ؛

فما كان من الزوجة الثانية الا أن قالت فى نفسها :

« انتى أريد أن أرى الملك مرة أخيرة قبل أن يموت .. »

وذهبت فعلا الى مزرعة الملك واقتربت من مرقده ولما أحست بأنه مات وفارق الحياة على الفراش رقدت بجانبه الى أن ماتت هى الاخرى .

ترجمة محمد شريف

****

نقد الكتب

بقية المنشور فى ص ٦١

ويعرض للتوتر القائم بين الســكان وبين المستوطنين والفرنسيين ، وبين الســكان بعضهم بعضا ــ ممثلين فى القرية وفى المدينة ــ وبين المثقفين **الذين يمثلهم « حميد سراج »** وبين السلطات التى تلاحقه حتى تسجنه .. فاذا اضفنا الى ذلك ان عمر يتشرد ، وان زهور ستفاجأ بدم أختها ، وان ام عمر قد منعتها الحرب من توفير الطعام لاولادها ، وان الفلاحين يساقون الى السجن ، اذا اضفت ذلك ادركنا انه كان هناك حريق حقيقى لايأكله السكان فقط ، وانما يأكل البورجــوازيين الذين يدينهم المؤلف ، ويأكل الفرنسيين الذين يظنون انهم يحكمون قبضتهم على البلاد .

ومع ان هذا العمل الادبى يظهر فيه احيانا الحشو ، وعدم الترتيب المنطقى ، واحيانا استعارت اسلوب « الموافقة » الذى استعمله « سارتر » فى الجزء الثانى من دروب الحرب الا أنه يعطينا حقا المعايشة الفنية للطبيعــة النفسية والاجتماعية فى الجزائر ، كما يعتبر ترتيبا جميلا لكتاب الدار الكبيرة ، وفى الوقت نفسه تمهيدا للجزء الثالث بعنوان النول .

عبده بدوى



ترجمة ميشيل مسيحة

كانت تعيش فيما مضى امرأة تقاسى كثيرا من سوء معاملة زوجها .. فقد أصبح لايحبها وصار يهملها دائما دون ان يهتم بما اذا كانت سعيدة او حزينة

لذلك ذهبت المرأة تشكو همومها الى حكيم القرية .. وروت له قصتها وهى فى غاية الحزن على نفسها والاسى لحالها المؤسف . ثم قالت له فى لهفة : هل تستطيع ان تعطينى تعويذة تجعله يحبنى ثانيا ؟

وفكر الحكيم لحظة ثم قال : اننى سأساعدك ولكن عليك اولا أن تحضرى لى ثلاث شعرات من رأس أسد حى .. فاننى احتاج اليها لكى أتمكن من عمل التعويذة لك .

وشكرت المرأة الحكيم وانصرفت .وعندما ذهبت الى قرب بيتها جلست على صخرة واخذت تفكر « كيف احصل على ذلك الطلب؟ حقا ان هناك أسدا ياتى كثيرا بالقرب من قريتنا ولكنه شديد الضراوة ويزأر زئيرا مرعبا » وظلت تفكر وتفكر واخيرا اهتدت الى ما تفعله

وفى الصباح التالى قامت مبكرة وأخذت معها حملا صغيرا ثم ذهبت الى المكان الذى اعتاد الاسد أن يتجول فيه . وانتظرت فى لهفة .. واخيرا رأت الاسد يقترب . وحان وقت العمل .. فقامت مسرعة وتركت الحمل فى طريق الاسد ثم عادت الى بيتها .

وهكذا ظلت المرأة تقوم كل يوم فى الصباح الباكر وتأخذ حملا صغيرا وتذهب به الى الاسد . وسرعان ما عرف الاسد المرأة .. فقد كانت تظهر كل يوم فى نفس المكان وفى نفس الوقت ومعها الحمل الصغير الذى تحضره من أجله .. حقا انها لامرأة كريمة طيبة .

ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الاسد يلوح لها بذيله كلما راها .. وصار يقترب منها ويتركها تربت على راسه وظهره . وفى كل يوم كانت المرأة تقضى وقتا طويلا وهى تملس بيدها على الاسد فى رقة وحب .. وذات يوم عندما أدركت أن الاسد يطمئن اليها تماما نزعت من رأسه ثلاث شعرات فى حذر وانطلقت فرحة تحملها الى بيت الحكيم

وعندما دخلت اليه صاحت فى سرور : انظر .. هاهى ذى ! وأعطته الشعرات الثلاث التى نزعتها من رأس الاسد

وقال الحكيم فى دهشة : كيف حققت ذلك بهذه المهارة ؟ وروت عليه المرأة قصتها وشرحت له كيف استطاعت بالصبر أن تحصل على الشعرات من الاسد

وارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الحكيم .. ثم انحنى الى الامام قليلا وهو يقول : انك كما استطعت ترويض الاسد فبنفس الطريقة يمكنك أن تروضى زوجك .

« ميشيل مسيحة »

من القصص السوداني

خاتم المنى

بقلم عباس خضر

كانت « ام الخير » فتاة صغيرة مات ابوها ثم ماتت امها ، فعاشت بمنزل عمها مدة لاقت فيها الشقاء والعذاب من زوجته ، حاولت ان تشكو الى عمها ، ولكنه لم يصغ اليها ..

ولما لم تجد احدا يعطف عليها خرجت على وجهها دون ان تعرف الى اين تذهب ..

وبعد طول السير وجدت نفسها في مكان به بعض الاشجار ، ورات شجرة نبق كبيرة فتسلقتها وصعدت حتى جلست على فرع كبير بها ، وجعلت تأكل من تمرها الصغير وكان الجوع قد نال منها كل منال .

واستراحت « ام الخير » الى مكانها في شجرة النبق ، فأقامت بها لا تنزل منها الا في الليل كي تشرب من غدير قريب تتسلل اليه وتعود منه محاذرة ان يراها احد .

وكان هذا المكان قريبا من مدينة يجلس على عرشها ملك عظيم الشأن اسمه « النمير » وكان لهذا الملك ابن شجاع نشأ على الفروسية والصيد وركوب الخيول ، ولكن لما مات الملك وصار امر البلاد الى ابنه لم يجد « ابن النمير » فراغا للهو والتمتع بجولات الصيد كما كان في عهد ابيه ، لانه حمل عبء الرعية وشعر بالمسئولية ، وقد وجد في تفقد احوال الناس ورعاية شئونهم لذته ومتعته .

وذات يوم كان يسير متخفيا كي يقف على الأحوال بنفسه ، فرأى « أم الخير » جالسة على الشجرة ، فبهره جمالها ، وحاول ان يسترعى انتباهها فلم تلتفت اليه وبدت كانها لا تراه . .

ونظر « ابن النمير » فرأى كوخا تجلس امامه امرأة عجوز ، فقصد اليها وقال لها :

— يا خالة من هذه البنت الجالسة على تلك الشجرة ؟

— والله يا ابنى .. انا شاهدتها على الشجرة عدة مرات ، وكل مرة تراني فيها تحول نظرها عنى ، ولما كلمتها لم ترد على .. وعلى كل حال .. انتظر .. هل تريد ان اجعلها تهبط من الشجرة ؟

— نعم ياخالة .. ولك جائزة .

— من غير شيء يا ابنى ، بارك الله فى شبابك ..

واحضرت العجوز بعض الطعام واوقدت نارا لطهيه قرب الشجرة ، ووضعت القدر على النار مقلوبة .. فصرخت الفتاة قائلة :

— ليس هكذا ياخالة توضع القدر !

— وكيف اذن يا ابنتى ؟ هلا نزلت وعلمتنى كيف اضعها ؟

نزلت « أم الخير » من على الشجرة .. وفى الحال اختطفها « ابن النمير » وطار بها على ظهر جواده .. وذهب بها الى قصره وكان فى أثناء ذلك يلاطفها ويطمئنها حتى اطمأنت اليه ، وحكت له حكايتها . فابدى لها حبه ورغبته فى الزواج منها .

ولما راتها امه وعرفت عزمه على ان يتزوجها ابدت اشمئزازها منها وعارضت فى هذا الزواج قائلة لابنها :

ـ كيف تتزوج من بنت وجدتها فى الطريق لا تعرف لها أهلا ولا اصلا ؟ انت ملك ابن ملك ولا يليق بك ان تتزوج الا بنت ملك عظيم .. وجميلة

ـ يا امى .. ان « أم الخير » بنت طيبة وقد تعلقت روحى بها ولن تكون لى سعادة بدونها .

ولما رأت الام اصرار ابنها وافقت على زواجه من « أم الخير » .. ووافقت كارهــــة ، واضمرت الشر للفتاة المسكينة .

ومرة خرج « ابن النمير » فى رحلة من رحلاته بعد ان اوصى امه خيرا بزوجته ورأت المرأة ان الفرصة سانحة للتنكيـــل بالفتاة ، فامرت بسجنها فى حجرة مظلمة ومنعت عنها الطعام والشراب . وفى اليوم الثالث طلبت الفتاة من احد حراسها أن يسقيها ، فأخذته الشفقة عليها واحضر لها ماء وطعاما .

وكانت المرأة تريد ان تموت « أم الخير » من الجوع والعطش ، فلما علمت ان الحارس اطعمها وسقاها امرت بقتله ، وجاءت بالفتاة وقطعت يديها ورجليها وشوهت وجههـا والقت بها فى الطريق .

وتساقطت الدموع من عينى « أم الخير » وسقطت دمعة ساخنة على شىء بجوارها فى الطريق ، فلما احس هذا الشىء بالدمعــة الحزينة تكلم قائلا :

ـ انا يا سيدتى خادمك .. افعل ماتأمرينى به ..

ـ ومن انت ؟

ـ انا خاتم المنى .. تمنى واطلبى ماتشائين تجديه بين يديك !

ـ ليس هناك ما هو أحلى من الصحة ، اعد الى اعضائى المقطعة وارجعنى كما كنت واجعلنى فى قصر به حديقة غناء فيها انواع من الطير والحيوان ، واجعل له بابا مغلقا لا مفتاح له ، لا اخرج منه ولا يدخل على احد .

ـ تذكرى يا سيدتى حب الامير لك ، وما فعله الحارس الطيب من اجلك ، فليس كل الناس اشرارا .

ـ اريد ان ابعد عن الناس جميعا ، حتى لا يلحقنى شر الاشرار منهم .

ـ لك ما تريدين يا سيدتى .

وفى الحال وجدت نفسها فى القصر الذى تمنته .. ووجدته قصرا عظيما لم تر مثله .

ومرت الايام ، ورجع ابن النمير من رحلته فاستقبلته اخته واخبرته ـ كما قالت لهـا امها ـ بان امه قــد توفيت فى غيابه وان زوجته حامل .

وكانت امه قدتنكرت فى زى زوجته ، وقالت له انها تشتهى الخيار ، وطلبت منـــه ان يحضره لها من قصر الاميرة الجديدة التى حلت على القرية فى غيابه ، ولما سأل عن هذه الاميرة من عسى ان تكون ، اجيب بانها اميرة مجهولة لا يعرف عنها احد شيئا ، لأنها لا تختلط بالنـــاس وتعيش فى عـــزلة داخل قصرها .

ارسل ابن النمير احد خدمه الى قصر الامير ليسألها بعض الخيار لزوجته الحامل فاجابت الاميرة بالرفض . ولما سمع الخادم صوتها وعرفها هم ان يخاطبها قائلا : ياسيدتى ولكنها امرت خاتم المنى ان يخرس لســـانه حتى لا يستطيع الكلام ولا يقول لســـيده شيئا .

وعاد الخادم اخرس لا يستطيع ان ينبس ببنت شفة ، فارسل ابن النمير خادما آخر فتكرر معه الموقف ، وارسل ابن النميرخادما ثالثا ورابعا وخامسا .. وحدث للجميـــع ما حدث للاول .

سار ابن النمير بنفسه الى قصر الاميرة ووقف على الباب يقول :

ـ يا سيدتى الاميرة .. ان زوجتى حامل وقد طلبت الخيار ، وليس فى مدينتنا خيار فى هذا الوقت ، فهلا تكرمت علينا بشىء منه ؟

فاجابته من وراء الباب :

ـ اننا يا سيدى لا نعرف احدا وليس عندنا شىء مما تطلبه .

وشك فى صوتها ، فاراد ان يطيل الحديث معها فقال لها :

ـ بالله عليك ايتها الاميرة .. لماذا انت محتجبة عن الناس ؟

ـ هذا شأنى وحدى يا سيدى

ـ نعم ، هو شأنك ، ولكن الا تشعرين بالوحشة والملل من هذه الوحدة ؟

ـ بالعكس .. انني اجد انسى وراحتى فى هذه الوحدة ، وحسبى مالقيت من النـاس ومن شرورهم .

ـ الم تلقى خيرا من احد ؟

ـ لقيت ، ولكنه كان كالبرق فى وسـط السحاب ، لم يلبث وميضه ان ذهب واعقبه الاذى والاذلال .

ـ انني يا سيدى فتاة ضعيفة لا حول لها ولا قوة .

وكان ابن الأمير قد تحقق من صوتها فى خلال هذا الحديث حتى لم يعد لديه شك فى انها زوجته « أم الخير » وهنا قال لها :

ـ اننى مستعد أن ابذل فى حمايتك والدفاع عنك كل ما فى وسعى ولو كلفنى ذلك حياتى ولن ابعد عنك بعد ذلك ابدا .

وشعرت « أم الخير » بما فى كلمات « ابن النمير » من اخـلاص وحب ، فاحست بالاطمئنان اليه ، ولكنها ارادت أن تقاوم هذا الشعور ، فهمت ان تأمر خاتم المنى بان يخرس الامير ، ولكنها وجدت نفسها تامر الخاتم ان يجعل لباب القصر مفتاحا .



من الشعر الافريقى

دعونا نعيش فى سلام

للشاعر ميخائيل دى أنانج

ترجمة محمد بهى الدين سالم

حيث أنهار الزمن
يخفيها الصراع ، والضغط القوى
وكلما أصبح الانسان عدوا لنفسه
تصبح الحياة لا معنى لها
وتصبح ألوان مناظرها بلا بهجة
وتصبح مختفية تحت البقع السوداء من الدم

● ● ●

ولكن رغم هذا دعونا نعيش فى سلام .
دعونا نعيش فى طمأنينة
دعونا نعيش هنا مثل الفلاحين مثل الأشجار فى الحقول

● ● ●

دعونا نقيم فى ألواح من القش
ولكن قريبا وقريبا جدا
ستهب العاصفة المدارية لتطفىء الأضواء الذابلة لحياة الانسان

● ● ●

وعندها يتسقط اكواخنا فى وهن على الارض .
حيث تتعفن اجزآؤها
وتنتهى فى صمد :
ولكنا رغم هذا
رغم كل هذا
سنتحد من جديد مع التراب

● ● ●

وسنزدهر .

((ترجمة محمد بهى الدين سالم))

نظم حيازة الارض فى شرق افريقيا

بقلم الدكتور شريف محمد شريف

يشمل شرق أفريقيا ثلاثا من الوحدات السياسية هى مستعمرة كينيا ومحمية أوغندا وولاية تنجانيقا التى نالت استقلالها فى ديسمبر ١٩٦١ فضلا عن مجموعة من الجزر الصغيرة أمام الساحل الشرقى أكبرها جزيرتا زنجبار وبمبا .

وقبل أن تطأ أقدام الاجانب هذا الجزء من القارة الافريقية كانت الشعوب الوطنية بهذه البلاد تعتبر الارض هبة طبيعية لاتقل فى أهميتها عن الماء والهواء كعنصر ضرورى للحياة ، وكانت لزعماء هذه الشعوب البدائية سيطرة تامة على الارض والناس . وفى المناطق شبه الجافة التى أقام بها الماساى فى كينيا وتنجانيقا ، والباهيما فى أوغندا تسابقت العشائر فى طلب الاراضى المجاورة لعيون الماء ومجارى الانهار ولا سيما المناطق التى أزيلت منها الاحراش ، ولم تكن هنالك ملكية فردية للارض بل كانت الارض كلها ملكا للقبيلة ، ولا سبيل الى زيادة مساحتها الا بالغزو . أما فى المناطق ذات التربة الخصبة كالاراضى المرتفعة فى كينيا وتنجانيقا حيث زاول السكان الزراعة البدائية فان ملكية الارض فى العادة كانت على أساس حقوق الصيد اذ كان لكل قبيلة موطنها الخاص الذى استحوذت عليه بالقوة وكانت به مزارع العشائر والأسر فضلا عن أراضى العشب المشاعة للقبيلة .

ولقد اختلفت درجة الملكية اختلافا عظيما تبعا للتقاليد القبلية ولقوة الزعامة ، ففى أوغندا مثلا كان الزعماء «كالكبكا» و « الموكاما » يعتبرون الاراضى التى يسيطرون عليها سيطرتهم ممتلكات خاصة بهم ولهم حق بيعها أو تأجيرها ، أما فى كينيا فكانت الارض تمتلك بوضع اليد ، فاذا زرعت الاسرة جزءا من الارض مدة طويلة أثناء اقامتها بها اعتبرت ملكا لها ، واذا أرادت الانتقال منها الى أرض أخرى باعتها أوبادلت بها شيئا اخر ، وفى بعض الحالات قد يحتفظ مالك الارض الراحل — لاعتبارات خاصه — بملكية الارض **التى تركها ، وقد نشأ هذا النظام** بين قبائل « **الكيكويو** » .

هذا ، ولا نكاد نعرف الا قليلا من نظم حيازة الاراضى الساحلية لكينيا وتنجانيقا خلال تاريخها القديم ، ومما لامراء فيه أن نسبة كبيرة من الاراضى الساحلية قد استولى عليها الاجانب من القارة اما بالغزو واما بالتوغل السلمى من جانب المخاطرين من الفرس والعرب ابتداء من القرن السابع عشر الميلادى فلما حدث الاحتلال البريطانى لكينيا

وأوغندا وزنجبار ، والاحتلال الالمانى لتنجانيقا ثم انفراد البريطانيين بعد ذلك بالسيطرة على جميع هذه البلاد أخذت نظم حيازة الارض فيها تتعرض لكثير من التغيرات الاستعمارية بمقتضى مجموعة من القوانين صورته لصالح البيض المستعمرين الذين منحوا مناطق واسعة من أراضى شرق أفريقيا . وفيما يلى دراسة مقارنة لنظم حيازة الارض فى كل من كينيا وأوغندا وتنجانيقا : -

١ - كينيا :

. فى عام ١٩٠٠ عين «شارل اليوت» مندوبا ساميا فوضع القواعد الوطيدة لسياسة الرجل الابيض فى هذه البلاد اذ قال بصراحة « ان فى داخلها أرضا تصلح للبيض ، ومن النفاق عدم الاعتراف بتغليب مصالح البيض وينبغى أن يكون الهدف الاساسى من السياسة التى نتبعها والتشريعات التى نسنها أن ننشىء مستعمرة بيضاء » . وكانت الخطوة الاولى فى هذا السبيل اعتبار الارض ملكا للتاج البريطانى على أن يكون الوطنيون الذين يشغلونها مستأجرين فصدر قانون أراضى التاج عام ١٩٠٢ الذى خول الحاكم حق بيعها لمن يطلبها لغاية ١٠٠٠ فدان أو تأجيرها لمدة ٩٩ سنة ، ولا يجوز للمستأجر التنازل الا بموافقة المندوب السامى ولكن الوافدين من البيض لم يلبثوا أن طالبوا بتعديل ذلك القانون بازالة ما يتضمنه من قيود فى غير صالحهم اذ تضمن القسم الثلاثون منه النص على انه « فى جميع المعاملات الخاصة بأراضى التاج يجب أن يؤخذ فى الاعتبار حقوق الوطنيين ومطالبهم ، وبصفة خاصة لا يجوز للمندوب السامى أن يبيع أو يؤجر أرضا يشغلها الوطنيون فعلا » وعلى ذلك صدر قانون اخر فى عام ١٩١٥ ومن اهم نصوصه ما يأتى :

أ - الاراضى المؤجرة والتى لاتزيد مساحة القطعة منها على ٥٠٠٠ فدان يجوز منحها لمدة ٩٩٩ سنة على أن تحول الايجارات السابقة الى نصوص القانون الجديد .

ب - يؤدى المنتفع ريعا سنويا يخضع للمراجعة واعادة النظر كل ثلاثين سنة ، وظلت قيمة هذا الريع ٢٠ سنتا عن الفدان لغاية عام ١٩٤٥ وهذه القيمة تعادل خمس شلن فى عملية شرق أفريقيا .

جـ - منع التأجير أو التقسيم من الباطن الا بموافقة الحاكم فى المجلس

د - وضع قواعد لاستثمار الارض وتشجيع ذلك .

ولقد ترتب على نقل الارض الى المستوطنين أن نقلت قبائل برمتها من مواطنها الاصلية الى جهات أخرى وبذلك تم تسليم مساحات شاسعة من أراضى الوطنيين الى القادمين من المستعمرين بواسطة الحكومة التى وظيفتها حماية الجماعات والشعوب الوطنية !! وفى بعض الحالات تظاهرت الحكومة بأنها حصلت على موافقة الاهالى ، ولكن الضغط كان أسلوبها فى انتزاع الموافقة ! حتى لقد أشاعت تلك السياسة التعسفية الجائرة كثيرا من الذعر فى نفوس الافريقيين فأوصت لجنة « أورمسبى - جور» بانشاء هيئة وصاية على أراضى الوطنيين ، كما رأت اعلان حدود المناطق المحجوزة لهم ، ونشرت ذلك فعلا فى الجريدة الرسمية عام ١٩٢٦

وفى عام ١٩٣٠ صدر قانون بانشاء هيئة وصاية على المناطق المحجوزة للقبائل ، ويجوز فيها منح ايجارات

لمدة ٣٣ سنة يمكن رفعها الى ٩٩ سنة فى حالات خاصة بشرط موافقة وزير المستعمرات .

ولما أذيع اكتشاف منجم للذهب فى كافيروندو من المناطق المحجوزة ، وتدفق الاوربيون على المنطقة طلبا للشراء ، وافق وزير المستعمرات فى يوليو ١٩٣٢ على تعديل القانون بحيث انه فى حالة منح رخصة الايجار للتعدين فى المناطق المحجوزة يدفع التعويض نقدا ، ولهذا التعديل خطورته اذا علمنا انه كان من المتبع أن الافريقى اذا نزعت منه أرض يعوض عنها بأرض فى منطقة اخرى !

وفى عام ١٩٣٤ شكلت لجنة برياسة « موريس كارتر » قدمت طائفة من المقترحات منها اضافة نحو ١٤٧٤ ميلا مربعا الى مساحة المناطق المخصصة للقبائل الوطنية ، وتخصيص ٩٣١ ميلا مربعا للوطنيين الحق فى استئجارها . واعتبار بقية الاراضى منطقة مفتوحة أمام جميع الاجناس على قدم المساواة ، وبمقتضى تلك التوصيات أصبح معظم أراضى الافريقيين صحراويا بينما احتفظ الاوربيون لانفسهم بمساحات شاسعة فى المرتفعات تفوق مساحات الاراضى الوطنية أضعافا مضاعفة ، وقد بدأ تنفيذ ذلك فى أول مارس ١٩٣٩ ، وترتب على ذلك ان احتفظ الاوربيون وحدهم بالمرتفعات واصبح غير جائز قانونا للهنود او الافريقيين امتلاك ارض فيها .

٢ ــ أوغندا :

باستثناء الارض التى تم مسحها قبل عام ١٩٠٠ ، تعتبر كل الاراضى أما منحة رسمية من التاج وأما أرضا للتاج ، ولقد منحت مساحة كبيرة من الارض تبلغ نحو ٩٠٠٠ ميل مربع للكبكا وأقاربه وللزعماء والموظفين وذلك بمقتضى اتفاق أوغندا عام ١٩٠٠ ، اما الارض التى تم مسحها قبل هذا الاتفاق فقد امتلكها اصحابها لا منحة من التاج بل كوراثة من الحكام ، وقامت حكومة المحمية بتسجيل شهادات التمليك كما وضعت قواعد التأجير فى قانون أوغندا الوطنى .

وتؤجر اراضى التاج لمدة ٩٩ سنة والايجار قابل للتعديل واعادة النظر فيه كل ٣٣ سنة ، ولا يتعدى الايجار ٥ ٪ من قيمة الارض .

ومن الضرورى أن تزيد رقعة الارض المؤجرة بمقدار ثلاثة أعشار مساحتها خلال ثلاث سنوات ، وقد احتفظت الحكومة بحقها فى المياه والاخشاب والمناجم بالاراضى المؤجرة كما أن الحكومة ايضا سلطات معينة فى انتزاع الارض عند الحاجة اليها فى الاغراض العامة .

ويقضى القانون بأن الاراضى الموروثة للاكها والتى سجلتها الحكومة يمكن تأجيرها للاوربيين لفترات قصيرة ولكن لابد من الحصول على موافقة المجلس الوطنى « لوكيكو » ثم اعتماد ذلك من الحاكم العام ، واما فترات مثل هذه الايجارات فيحددها الاتفاق المباشر بين الملاك والمستأجرين ، ومن المعتقد أن الاراضى التى تؤجر أو تمنح لغير الوطنيين فى أوغندا أقل من ١٠ ٪ من مجموع المساحة .

٣ ــ تنجانيقا :

اثناء الاحتلال الالمانى للبلاد منح الاجانب نحو مليونين من الافدنة بأجود الاراضى ، ولكن الاحتلال البريطانى بعد ذلك اوقف منح الاراضى للزراعة ، وعمد الى تأجيرها

ســـواء للمواطنين ام لغـيرهم من المستوطنين على انه لايجوز قــانونا لاى اجنبى ان يتصرف فى أرضــــه ببيع أو رهن أو استبدال او تأجير من الباطن او غير ذلك بدون تصديق الحكومة .

ومدة الايجار ٣٣ سنة ، وقيمة الايجار تختلف من ٢٠ سنتا الى شلنين اثنين للفدان فى السنة .

مما تقدم يمكن الخروج بالنتائج والملاحظات الاتية : ـ

١ ـ مدة الايجار فى كل من كينيا وأوغندا ٩٩ سنة بخلاف تنجانيقــا فالمدة فيها ٣٣ سنة .

٢ ـ يخضع الايجار للمراجعــة واعادة النظر بكل من كينيا وأوغندا فى فترات تختلف فيهما ، فهى ٣٠ سنة فى كينيا و ٣٣ سنة فى أوغندا اما فى تنجانيقا فلا وجود لهذا النظام

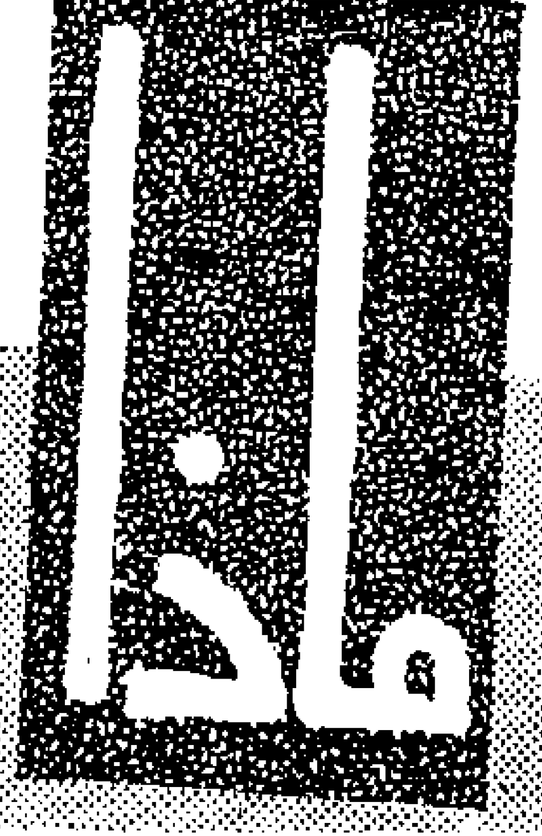
٣ ـ ايجار الفدان السنوى فى كينيا ٢٠ سنتا أى خمس شلن ، وفى أوغندا ٥ ٪ من قيمة الارض ، وفى تنجانيقا تتراوح قيمة الايجــار من ٢٠ سنتا الى شلنين اثنين .

٤ ـ فى أوغندا تحتفظ الحكومة لنفسها فى الاراضى المستاجرة بحق امتلاك ما عليها من غابات ومنــاجم واخشاب وما شابه ذلك ، ولا مثيل لذلك فى كينيا أو تنجانيقا .

كذلك تنفرد الحكومة فى أوغنــدا بسلطة انتزاع الارض للاغراض العامة اذا لزم الامر .

كما تشترط الحكومة أيضا انه لابد من ان تزيد مســــاحة الارض المؤجرة بمقدار ثلاثة اعشارها خلال ثلاث سنوات .

دكتور
شريف محمد شريف



ماذا أفادت مجموعة برازفيل من أوربا

بقلم وهبى غبريال

قبل ان تضع الحرب الثانية اوزارها بدأ بذل الجهود لعلاج مشكلة التفكك الاقتصادى وساهمت الولايات المتحدة مساهمة فعالة فى هذا المضمار عن طريق انشاء مؤسسات تعمل على اعادة العمل بنظام المدفوعات الدولية متعددة الاطراف وتخفيض الحواجز التجارية . ولكن ذلك لم يكن كافيا فى اوربا نظرا لظروفها الخاصة ، واتجه الرأى الى تكوين نوع من الاتحاد بين الدول الاوربية بدأت بانشاء المجلس الاوربى فى مايو ١٩٤٩ وانتهى باقامة السوق الاوربية المشتركة من ناحية ، ومنطقة التجارة الحرة من ناحية اخرى . وكان السبب فى هذا الانقسام اختلاف ظروف كل مجموعة وعلاقاتها الخارجية . وقد حاولت بلاد المنطقة الاخيرة ولا سيما بريطانيا الانضمام للسوق الاوربية بشروط مما ادى الى اثارة الجدل حول النتائج المترتبة على ذلك .

كان الهدف من هذا التكتل الاوربى النهوض المتكامل السريع واحتلال مركز قوى فى المساواة مع البلاد الخارجية ومواجهة مجموعة البلاد الشرقية بشكل موحد . وقد بذلت الدول الاوربية جهودا متكررة لربط الدول الافريقية باقتصادها وتضمنت اتفاقية السوق الاوربية نصوصا تتعلق بالبلاد علاقات خاصة بقصد « تنمية التقدم الاقتصادى والاجتماعى لهذه البلاد واقامة علاقات اقتصادية وثيقة معها » .

واوجبت الاتفاقية الدول الاعضاء بالمساهمة فى الاستثمارات التى تحتاج اليها البلاد والاراضى المنضمة ونصت على انشاء صندوق اوربى للتنمية برأس مال قدره ــ ٥٨١ مليون دولار تساهم فيه كافة الدول الاعضاء لتمويل الاستثمارات فى البلاد الخارجية المنتسبة .

وكان تعثر هذه التجربة وعدم رضاء الاطراف المعنية منذ توقيع اتفاقية روما فى ٢٥ مارس ١٩٥٧ وحتى نهاية اجل الاتفاقية المبرمة بين الدول الاعضاء فى السوق والدول الافريقية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٢ من اهم المشاكل التى واجهت القائمين بامور السوق المشتركة الامر الذى دعا الى اعادة النظر فى أسس هذه العلاقات وذلك فى المباحثات الطويلة التى انتهت بتوقيع اتفاقية بروكسل فى نهاية يناير ١٩٦٣ .

واذا كانت الدول الاوربية تهدف الى ضمان الاسواق لصادراتها الصناعية وضمان الاسعار المناسبة لوارداتها من المواد الاولية فان الدول الافريقية المنضمة لم تحصل على الفوائد المرجوة من انضمامها هذا والتى لاتزيد عن ضمان اسعار مناسبة لصادراتها الوطنية بالاضافة الى حاجتها لتمويل المشروعات اللازمة لنهوضها الاقتصادى

ووفقا للاحصاءات التى نشرتها اخيرا جريدة الاقتصاد الاسبوعية التى تصدر فى المانيا الغربية بلغت نسبة التخفيضات التى اجرتها الدول الاوربية الست على وارداتها من الدول الافريقية المنضمة حوالى ٣٥ ٪ عنها فى عام ١٩٥٧ ، الا ان ذلك لم يؤد الى ارضاء الدول الافريقية لان هذا التخفيض لم يشمل الواردات من الدول الافريقية فحسب بل ان اعضاء

السوق واتفقوا عام ١٩٦٠ على منح وارداتهم من الدول الاعضاء فى منظمة الجات تخفيضا قدره ١٠ ٪ ، كما قامت بعض الدول الاعضاء فى السوق مثل المانيا الغربية وبلجيكا وايطاليا بفرض ضرائب استهلاك محلية على السلع المستوردة من الدول الافريقية لمقابل ذلك التخفيض على الرسوم الجمركية .

هذا بالاضافة الى أن المانيا الغربية قامت ايضا بتخفيض الرسوم الجمركية على بعض الواردات من امريكا اللاتينية مما ادى الى عدم تمكن بعض الصادرات الافريقية مثل البن والموز من دخول السوق الالمانية لتعذر منافسة الواردات الشبيهة من امريكا اللاتينية

اما بالنسبة للمساعدات المالية والفنية فقد أظهر صندوق التنمية الذى اقرته الاتفاقية ضعفا فى الاجراءات بشكل عطل منفعته بالنسبة للدول الافريقية اذ لا تستطيع اية دولة الحصول على قرض من الصندوق قبل مرور حوالى عامين على طلبها مما ادى الى سخط الشعوب الافريقية ومطالبتها باعادة تنظيم الصندوق وزيادة رأس المال المستثمر . هذا وتبلغ قيمة المشروعات التى وافق عليها الصندوق حتى يناير ١٩٦٢ حوالى ٤٤ مليون دولار فقط بنسبة لا تزيد عن ٦ ٪ تقريبا من رأس مال الصندوق ، وتتميز المشروعات التى وافق الصندوق على تمويلها بانها مشروعات مخصصة للمنافع العامة مثل انشاء الطرق وتحسين الموانى بينما تحتاج هذه الدول النامية الى المشروعات الانتاجية والمصانع لرفع مستوى المعيشة فيها .

وتنقسم الدول الاوربية الاعضاء فى السوق المشتركة بالنسبة لمصالحها فى افريقيا الى قسمين اولهما يضم فرنسا وبلجيكا وهى الدول ذات المصالح الحيوية والتاريخ الطويل فى افريقيا والثانى يضم المانيا وهولندا وايطاليا وهذه ليس لها حاليا مصالح استعمارية فى افريقيا ، اذ تعتمد المانيا الغربية كثيرا على استيراد حاجياتها من الواردات الاستوائية من امريكا اللاتينية والدول الافريقية غير المنضمة مثل غانا .

اما هولندا فهى لاتملك رؤوس اموال مستثمرة فى الدول الافريقية المنضمة بالاضافة الى انها على علاقات وثيقة مع دول كتلة الاسترلينى فى افريقيا ، وتقوم ايطاليا ايضا باستيراد حاجياتها من الموز من الصومال وتستورد باقى البضائع الاستوائية من امريكا اللاتينية او من اعضاء منطقة الاسترلينى فى افريقيا .

ولذلك كانت فرنسا وبلجيكا هما المحرك الاساسى لاعضاء السوق نحو الاسراع فى زيادة المساعدات الممنوحة للدول الافريقية المنضمة ولم تظفر الدولتان خلال اجتماعات مجلس السوق طيلة العامين الماضيين سوى بتوصيات اصدرها المجلس فى صيف عام ١٩٦٢ باعادة النظر فى تحسين طرق التعاون مع الدول الافريقية المنضمة على النحو الذى جاء بالاتفاقية عن طريق اجتماع ممثلى الدول الاوربية والدول الافريقية قبل انتهاء العام .

وفى نهاية مارس ١٩٦٢ عقدت الدول الافريقية المنضمة مؤتمرا على مستوى رؤساء وزاراتها فى مدينة بانجى بجمهورية افريقيا الوسطى لسد الثغرات بالاتفاقية التى تربطهم بالسوق واتفقوا على تحديد موقفهم للمطالبة بعدم قيام الدول الاوربية الست بتخفيض رسومها الجمركية على وارداتها من دولة استوائية ثالثة وكذا المطالبة بزيادة المعونات المالية للخمس سنوات المقبلة الى ٧ر١ مليار دولار والمطالبة بتثبيت اسعار المنتجات الاستوائية وموازنة هذه الاسعار لمواجهة منافسة الدول الامريكية اللاتينية فى الاسواق الاوربية .

وفى اجتماعات بروكسل التى انتهت بتوقيع الاتفاقية الجديدة بين دول السوق الاوربية الست والدول الافريقية الاثنى عشرة المنضمة لم تكن الدول الاوربية على موقف موحد بالنسبة لتجديد الاتفاقية القديمة ، فبينما كانت فرنسا وبلجيكا وراء سرعة النظر فى الاتفاقية الجديدة كانت المانيا وهولندا وايطاليا ترى تأجيل عقدها لمدة عام او عامين على اساس ان ذلك قد يؤثر على المفاوضات الجارية آنئذ مع بريطانيا لدخول السوق .





أضواء على نيجيريا

تطلق كلمة نيجيريا اليوم ، على المساحة الفسيحة التى تبلغ حوالى ٣٥٦ الف ميل مربع ، والتى تقع على ساحل غينيا فى المنطقة المدارية .. ما بين خطى عرض ٤ — ١٤ درجة شمالا ، والتى تحدها من الغرب جمهورية داهومى ومن الشمال جمهورية النيجر ، كما تشترك مع الكاميرون وجزء من تشاد فى حدودها الشرقية ، أما حدودها الجنوبية فعبارة عن سهل ساحلى يقع على شاطىء غينيا . وقد سميت نيجيريا بهذا الاسم نسبة الى نهر النيجر ثالث أنهار افريقية طولا واهمها أثرا فى تاريخ حضارة كل شعوب منطقة غرب افريقية ، واختصت نيجيريا بهذا النسب على الرغم من أن نهر النيجر يمر كذلك بأراضى غينيا ومالى ، وجمهورية النيجر لان هذا النهر الذى يمتد طوله من منبعه الى مصبه الى حوالى ٢٦٠٠ ميل يسير منه داخل مناطق اتحاد نيجيريا وحدها حوالى ٧٦٧ ميلا .

ولا يعنينا فى هذا الصدد أن نتحدث عن تاريخ حدود جمهورية نيجيريا .. كيف كانت ، وكيف تطورت الى هذه الصورة التى أصبحت عليها اليوم ، فان بحثنا سيتركز بصفة خاصة على شعوب نيجيريا وجماعاتها ثم يأتى الحديث عن موضوع الحدود عرضا بالقدر الذى تتطلبه طبيعة البحث الذى نحن بصدده الان .

شعب نيجيريا

يعيش فى نيجيريا اليوم حوالى ٤٠ مليون نسمة يتعاونون فى مجموعهم شعبا واحدا يتكون من حوالى ٢٥٠ قبيلة ، يعنينا منها فى هذه الدراسة تلك المجموعة التى لعبت دورا خطيرا فى تاريخ العروبة والاسلام منذ أكثر من ثمانية قرون . وهى المجموعة التى تشكل نسبة كبيرة فى تعداد سكان نيجيريا تصل الى أكثر من ٦٠ / منها . واهمها مجموعة شعب الحوصا ، والفولانى ، واليوربا .

مجموعة الحوصا

لم تصل الينا كل الوثائق التاريخية ، التى يمكن الاعتماد عليها فى معرفة كل مايتعلق بشعوب الحوصا وامارتها ، فقد ضاع معظمها حين قام الفولانيون بغزواتهم المتكررة على الامارات والمدن الحوصوية واستولوا عليها غير أن ما بقى منها بالاضافة الى كثير من المعلومات التى سجلها الرحالة والمؤرخون العرب ، الذين اهتموا بهذه البلاد وزاروها يوم أن كانت تشكل قوة هامة فى حياة المسلمين ، وكذلك كتب المؤلفين الاوربيين الذين تناولوا هذا الموضوع من قريب أو من بعيد تلقى ضوءا كافيا على تاريخ هذه الجماعة من حيث تكوينها واتصالها بالعناصر العربية والحركة الاسلامية .

تشعب الحوصا مزيج من قبائل البربر من غير الملثمين ومن شعوب ملثمــة أخرى وفدت الى مناطق جنـــوب المغرب الاقصى واستقرت فى واحة « أير » وهجرات هــذه العناصر الى الجنـــوب والى بلاد السودان الغربى لم تكن بالامر الغريب الذى يسترعى النظر أو يثير الانتباه فان اتصال هــــذه العناصر بتلك البلاد يرجع الى عهد موغل فى القدم . واذا كان هذا الاتصال وهذه العلاقات لم تتجاوز فى أول الامر حدود الاغارات الخفيفة أو الاعمال التجارية فانها قد توطدت واتخذت صورة أخرى بعد دخول الاسلام والعرب الى هذه المناطق ..

وعلى أى حال فقد عاش البربر والملثمون فى واحة أير وتكاثر عددهم بعد غزوات بنى هلال المعروفة فى تاريخ المغرب ونشأت بين الفريقين مظاهر الاتصال والارتباط عن طريق الزواج والمصـــاهرة حتى تكون شعب جديد أصبح يعرف باسم شعب الحوصا ، على أن بعض العلماء يرون أن كلمة حوصا لا تعنى جنسا قائما بذاته وانما هى اصطلاح لغوى يطلق على جميع القبائل التى تتحدث هذه اللغة ومن المعروف أنها لغة المعاملات التجـــارية والمالية التى تنتشر على نطاق واسع فى منطقة غرب أفريقيا ويطلق عليها

ولم تصبح اير بالجزيرة التى تتسع لهذا الشعب الجـــديد الذى أخذ يتزايد عدده بصورة سريعة فكان لا بد من الهجرة مرة ثانية الى مناطق أخرى تتوافر فيها وسائل الحياة والاقامة ، وهكذا أخذت قوافل المهـــاجرين تيمم وجهها شطر الجنوب حتى وصلت الى الاجزاء التى تقع شمالى نيجـــيريا وكونوا لانفسهم امارات مستقلة أطلق على كل منها اسم أهم مدينة فى الامارة ، ويذكر التاريخ لنا منها سبع امارات سيكون لبعضها دور كبير فى تاريخ الاسلام فى غرب أفريقيا بعــد أن يدخل شعب الحوصا فى الدين الاسلامى .. هذه الامارات هى : كانو ، وكتسينا ، وانو ، زاريا ، دودا ، جوبير ، وامغــازا . ويختلف الباحثون فى تحديد التاريخ الذى اعتنق فيه شعب الحوصا الدين الاسلامى ،

ويكاد يكون بينهم ما يشبه الاجماع على أن الاسلام لم يدخل الى شمال نيجيريا حيث يعيش الحوصويون الا على أيدى قبـــائل الفولانى الذين وفدوا من الغرب فى حوالى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويعتمد بعضهم على ما جاء على لســان ابن بطوطه الذى زار هذه البلاد عام ١٣٥٣ م وتعجب كيف تظــل هذه الجماعات على وثنيتها حتى هـــــذا التاريخ ، ونحن لا نميل الى الرأى القائل بأن الاسلام لم يعرف طريقــــه الى شعب الحوصا الا فى القرن الرابع عشر الميلادى وعلى أيدى قبائل الفولانى ، اذ كيف يستقيم هذا الرأى أمام الحقائق التاريخية الثابتـــة التى تؤكد قيام امبراطوريات اسلامية مزدهرة على شواطىء النيجر عند منطقة غربى السودان ابتداء من القرن الحادى عشر الميلادى ولا يكاد يفصلها عن امارات الحوصـــا سوى فواصل لا يمكن أن نعتبرها حواجز تحول بين الاستجابة لما يدور فيها ، خاصة وان هذه الامبراطوريات الاسلامية قد اصطبغت بالطابع الاســـلامى فيها لا تقل من حيث حماسها لنشر الدين عن مثيلاتها فى مراكز الخلافة الاسلامية فى الشرق العربى ، هذا الى ان قبائل البربر والملثمين — وهم اصل شعب الحوصا — قد وفدوا من جنوب بلاد المغرب الاقصى حيث كانت حركة الفتوح الاسلامية فى اوج حماسها وقوتها ولا يعقل بل لا يمكن ان نتصور انه لم يكن بين هذه العناصر عناصر قد اعتنقت الاسلام فعلا . صحيح ان الاسلام لم يتسع نفوذه بين شعب الحوصا على نطاق بعيد الا بعد هجـــــرات الفولانيين وغزواتهم للامارات الحوصوين ابتداء من القرن الثالث والرابع عشر ولكن هذا لا يعنى مطلقا ان شـــعوب الحوصا لم تكن تعرف شيئا بالمرة عن الاسلام قبل هذا التاريخ .

على اى حال ظهر الاسلام أو ظهر شعب الحوصا المسلم فى اوائل النصف الثانى من القرن الرابع عشر .. ولم يكن دخوله الى كل امارات الحوصوية قد اتى فى وقت واحد بل كان دخوله اليها على التوالى ، واحدة فى اثر اخرى .. واخذ شعب الفولانى الذى

يرجع اليه الفضل فى توسيع دائرة الحركة الاسلامية داخل الحوصا يفد الى مناطق الشمال فى هجرات متزايدة متتابعة يختلط باهالى البلاد ويمتزج بهم عن طريق الزواج والمعاملات التجارية وهم شعب يرجع فى نسبه الاول الى اصل عربى مصرى كما سترى فيما بعد عند الحديث عن قبائل الفولانى .

وكانت امارات الحوصا تعيش كل منها مستقلة عن الاخرى ، وكثيرا ما كانت تقوم بينها الحروب والمعارك بل كانت تتعرض فى الاحايين لحروب أهلية داخلية عنيفة تهدد السلام والامن بين الاهالى وتخلق العدوات والبغضاء بين السكان . وكان لكل امارة سور مرتفع يحيط بها وخندق واسع تجرى فيه المياه للدفاع عنها وقت الخطر . ثم جاء الاسلام فكان لانتشاره بين قبائل الحوصا اثر كبير فى تنظيم حياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية والادارية ، ذلك لان نظام الحكم الذى اصبح يسود كل اماراتهم كان حكما اسلاميا فى كل من مبناه ومعناه وحرص مسلمو الحوص على تطبيق قوانين الشريعة فى كل مجال من مجالات حياتهم اقتصاديةكانت أم قضائية أم تجارية بطريقة دقيقة للغاية ، واتسع نفوذ اللغة العربية باعتبارها لغة الاسلام واتجهت العناية الى دراسة كل ما يتصل بالثقافة العربية والاسلامية وظهر العلماء الاجلاء الذين شغلوا انفسهم بالبحث وتفقيه الناس فى أمور دينهم ، ولم يكد يوشك القرن الخامس عشر على الانتهاء حتى غدت امارة كانو وكتسينا وزاريا من اهم مراكز الثقافة العربية والاسلامية فى كل منطقة غرب افريقيا . وفى اوائل القرن السادس عشر استولى اسكى محمد سلطان صنغاى على امارات الحوص وكان هذا الرجل بحق من اكثر سلاطين صنغاى حماسا لنشر الدين الاسلامى والثقافة العربية وكان يحرص دائما على الاتصال الوثيق بكل مراكز الحركة الاسلامية فى الشرق العربى حتى انه عندما ذهب الى مكة حاجا فى عام ١٤٧٩ م وهى الرحلة التى مر فيها بمصر غاديا ورائحا احتمع فى الحجز بزعماء المسلمين لكى يرسم معهم خطة عملية للتعاون الشامل وجمع كلمة الاسلام . واثناء عودته من الاراضى المقدسة عرج على مصر والتقى بالامام جلال الدين السيوطى ودعاه لزيارة بلاده والقاء سلسلة من المحاضرات فى الدين واللغة على طلبة مدارس كانو وكتسينا وجامعة تمبكتو فلبى الشيخ دعوته وسافر بعد ذلك الى كانو ليقوم بواجبه العلمى ودهش حين رأى اهل هذه البلاد على هذا المستوى الرفيع من الثقافة العربية والاسلامية : ثم قامت صداقة متينة بين الامام السيوطى وبين أمير كتسينا وطلب الامير من الشيخ ان يبقى اطول قدر ممكن من الوقت فى امارة كتسينا حتى يستفيد من علمه وثقافته كل طلاب العلم والمعرفة فلم يسع الشيخ الا الاذعان لطلب صديقه واستمر هناك فترة طويلة عاد بعدها الى مصر بعد ان اسهم بدوره هو الاخر فى نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية .

حتى اذا ما كان الغزو المراكشى لبلاد صنغاى فى اواخر القرن السادس عشر طمعا فى ثرواتها الاقتصادية واضطر عدد كبير من علماء جينى وتمبكتو الى الفرار من ظلم الحكم المراكشى بدات كانو وكتسينا وغيرهما من مراكز الثقافة العربية والاسلامية فى شمال نيجيريا تستقبل عددا كبيرا من هؤلاء العلماء وترحب بهم وتفسح صدورها لهم فازدهرت كانو وكيتسينا وزاريا واصبحت من اهم مراكز الاسلام والثقافة العربية ربما فى كل انحاء العالم يومذاك تقريبا . واذ كنا نتحدث هنا عن مستوى الحركة العلمية فى كل من كانو وزاريا فاننا لانستطيع ان نغفل هنا الدور الكبير الذى قامت به هاتان الامارتان فى ارساء قواعد الاسلام ، الاولى فى منطقة برنو شرقى نيجيريا والثانية فى معظم مناطق وسط نيجيريا .

قبائل الفولانى

واذا كان شعب الفولانى قد ساعد فعلا على توسيع النفوذ الاسلامى بين شعوب امارات الحوصا فلم يكن هذا وحده هو الدور الكبير الذى اداه هذا الشعب داخل الوطن النيجيرى فستؤكد الاحداث التى سترويها فيما بعد ان الفولانى كانوا من أهم العناصر التى لعبت دورا خطيرا فى نشر الثقافة العربية والمحافظة

على تعاليم الاسلام فى منطقة واسعة جدا من بلاد افريقيا وبالذات بلاد السودان الغـربى كله .

ومهما يختلف المؤرخون فى اصل هـذا الشعب فانهم يجمعون فى النهاية على انهم ينتمون الى جماعة مصرية وفدت من بلاد الصعيد فى حوالى القرن التاسع الميلادى ثم واصلت سيرها على طريق المغرب العربى حتى الساحل الغربى ثم انحـدرت الى المحيط الاطلسى حيث استقر المقام لبعضهم فى بلاد التكرور على نهر الجمبيا بينما واصل بعضهم الاخر سيره حتى بلاد السنغال . وفى القرن الثالث عشر الميلادى قامت هذه الجماعات بحركة اتجهت صوب الشرق واخذت تتدفق الى شمال نيجيريا حيث ابناء شعوب الحوصا الذين اختلطوا بهم وصاهروهم وامتزجوا بهم امتزاجا وثيقا ، بل لقد اتسع نفوذ الفولانى فى امارات الحوصا حتى أصبحوا يسيطرون على معظم المدن الرئيسية فيها ويطلق على هذا النوع من الفولانى المهاجرين الذين استقر بهم المقام بين شعب الحوصا اسم « والفولانى المختلطون » بينما يطلق على النوع الثانى الذى آثر حياة العزلة والانطواء على نفسه وعدم الاختلاط بغيرهم من العناصر الاخرى اسم « الفولانى رعاة البقر »

وقد ساعدتهم هذه العزلة على الاحتفاظ بكثير من مميزاتهم وخصائصهم القومية : التقاطيع الدقيقة والشعر المسترسل والقامات الطويلة وكانت قبائل الفولانى فى اول امرها تتكـون بصفة عامة من عدة قبائل صغيرة ومجموعات شتى متناثرة تشتغل كلها بالرعي والزراعة وبعض انواع التجارة ، والمعروف انهم اعتنقوا الاسلام فى وقت مبكر جـدا ، وقد زارهم الرحالة « فرنسيس مور » عام ١٧٣١ فى موطنهم الاصلى على نهر الجامبيا ووصف كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم فى كتابه الذى أصدره عام ١٧٦٠ تحت عنوان « رحلات داخل افريقيا » وقال عنهم « انهم يشبهون العرب الى حد كبير ، ويتحدث معظمهم اللغة العربية بطلاقة لانهم يحرصون على تعلمها فى كتاتيبهم واذا اساء اليهم أحد من الحكام الذين يقيمون فى بلادهم هدموا مدنهم وارتحلوا الى قوم اخرين ، ولهم رؤساء من أنفسهم يحكمونهم حكما معتدلا ، والفولانى على جانب كبير من النشـاط والاقتصاد ، كمـا انهم يشتهرون بالكرم ، فهم حين يعلمون ان اى فرد من جماعتهم قد أخذ رقيقا يسارعون الى عقد اجتماع يدرسون ما يجب عمله لتحريره وفك اساره والتعاون الاجتماعى سمة يتميز بهـا ابناء هذا الشعب . فهم يعولون الاعمى والمسن والاعرج ويساوون بينهم وبين الاخرين وهم مسلمون متمسكون بأهداب الدين يندر ان يشرب احدهم الخمر او أى مشروب آخر اقوى من الماء » .

ومضى زمن طويل ظلت فيه هذه القبائل الفولانية على حالتها من التفرق وعـدم الاستقرار الى أن ظهر من بينهم فى أواخر القرن الثامن عشر فقيه ارتبط ظهوره عـلى مسرح الاحداث بتاريخ اضخم حركة توسـع اسـلامى واصـلاح دينى مرت بالفولانيين هذا الفقيه هو الشيخ عثمان دان فوديو احد رجال قلائل عرف عنهم الزهد والورع والترفع عن مباهج الحياة وزخارفها .. يزور هـذا الشيخ مكة حاجا فيرى دقة تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمع العـربى الحجازى ، ويعجب بتعاليم محمد بن عبد الوهاب فيدرس مذهبه دراسة تفصيلية ويبيت النية فى نفسه على تطبيق الطريقة الوهابية بين شـعب الفولانى عند عودته ، ولما كان هذا الفقيه الشيخ يتمتع بمكانة ممتازة بين عشيرته وقومه نظرا لما كانوا يعرفونه عنه من الورع والتقى فسرعان ما التف الجميع حوله يؤيدونه فى حركته الجديدة التى يعتزم القيام بها واخذ يعمل أولا على توحيد جماعات الفولانى المنتشرين فى شتى أقاليم الحوصا حتى اذا ما نجح فى ذلك الى حد كبير بدأ يعلن الحرب على كثير من البدع والمخالفات التى تتعارض مع تعاليم الاسلام خاصة شرب الخمر الذى كان منتشرا على نطاق واسع فى اقاليم السودان .. ثم حدث فى عام ١٨٠٢ ان دب شقاق بين الشيخ عثمان وبين ملك مقاطعة « جوبر » وكانت هذه المقاطعة لاتزال على الوثنية ليس بين اهلها من المسلمين سوى عدد قليل وكان لها نفوذ كبير يومذاك فى منطقة اقصى شمال

الحوصا ، وخشى ملك جوبيرا أن يشتدساعد المسلمين من الفولانى الذين يعيشون داخل بلاده بفضل اتساع حركة الشيخ عثمان ومساعداتها لهم فاراد ان يصطنع حادثا يبرر به اعلان حرب عنيفة يقضى فيها على حركة هذا الداعية المسلم ويكسر شوكة المسلمين الفولانيين ، فاضطهد احد الرعايا المسلمين فى مملكته وعامله معاملة قاسية ، وحين علم الشيخ بهذا الموضوع تدخل فى الامر لرفع الاذى عن هذا الرجل المسلم فوجد ملكجوبير ان الفرصة قد حانت له للايقاع بالشيخ والاطاحة بجماعته فادعى ان هذا الموقف من جانب الشيخ يعتبر تعديا على سلطته وتحديه لنفوذه فبعث بعدد من جنده لاحضار الشيخ فورا ومحاكمته على تطاوله وتدخله فى امور مملكة جوبير ، غير ان هؤلاء الجند ما كادوا يصلون الى المنطقة التى يكثر فيها اتباع الشيخ عثمان حتى استقبلهم انصاره بقوة عارمة واخذوا يعملون على طردهم من مقاطعتهم واعادتهم الى جوبير مرة اخرى وهنا احس الشيخ بان الموقف قد بدأ يتأزم وان المسألة لن تقف عند هذا الحد فان ملك جوبير لابد وان يعلن الحرب ضد الفولانيين بل حتى ضد كل مسلم فى امارات الحوصا فسارع الى تعبئة انصاره ومريديه بعد ان اعلن الجهاد المقدس ضد ملك جوبير وجماعته وبلغ نداء الشيخ ودعوته للجهاد كل مكان فى نيجيريا فاخذت جموع الفولانى تفد من كل حدب وصوب تعلن عن استعدادها المطلق لكل ما يأمر به الشيخ عثمان وطالبوه جميعا بان يأخذ منهم مكانة القائد فى هذه المعركةالمقدسة حتى يمكن فتح كل بلاد الحوصا ورفع راية الاسلام عالية بين ربوعها . ثم بايعوه بامامة المسلمين فاصبح لقب باسم « ساركين مسلمانى sarkin muolblmepi - أى امير المؤمنين » ، واتخذ الشيخ من مدينة سكتو مقرا لحركة الجهاد التى سيقودها ضد الكفار ، وبدأ ينظم صفوف المجاهدين الذين يعملون معه ، فعقد اللواء لاربعة عشر من اصحابه وطلب اليهم ان يستميتوا فى القتال اعلاءا لكلمة الله ورسوله .. والواقع ان هذه

الثورة الكبرى التى قام بها الشيخ عثمان لم تكن موجهة ضد الوثنين الذين يعيشون داخل امارات الحوصا فحسب وانما كانت موجهة كذلك الى المسلمين الذين اخذوا ينحرفون عن تعاليم الاسلام الصحيحة ، كما ان انصار الشيخ عثمان لم يكونوا من الفولانيين فقط فقط وانما اتسعت دائرة اتباعه حتى شملت جميع المسلمين الغيورين على دينهم من كل مكان فى افريقيا حتى من الحوصيين انفسهم ولم يأت عام ١٨١٠ حتى كانت امارات الحوصا كلها قد سقطت فى ايدى الشيخ عثمان واتباعه .

وبعد ان تم له النصر النهائى تنازل عن امورا لدولة لاخيه عبد الله وابنه بلو وتفرغ هو لتفقيه الناس فى امور دينهم ومواصلة نشاطه فى نشر الدعوة الاسلامية وظل كذلك الى انوافته منيتهعام ١٨١٧ بمدينة سكتوالتى كانقد اتخذ منها مقرا لحركة جهاده فى بداية امرها فدفن بها .. ولا زال قبره حتىاليوم مثابة للمسلمين من كل مكان فى نيجيريا . بل فى كل مكان من افريقيا انتشرت دعوته فيه يفدون اليه ليتذكروا تاريخ الكفاح المقدس العظيم الذى قام به هذا الداعية فى سبيل الله وفى سبيل الاسلام .

ولقد مرت فى عهد السلطان بلو احداث رهيبة شهدت البلاد اثناءها كثيرا منالحروب الاهلية والفتن والاهوال وظلت قائمة الى فترة طويلة لم تنته الا قبيل وفاته بقليل . ولقد ذكرنا سالفا ان الشيخ عثمان قد عقد اللواء لاربعة عشر رجلا من اصحابه ، وقد استمرت هذه الالوية قائمة حتى عهد بلو يتوارثها الاحفاد عن الاباء ، ويرتبطونبالسلطان الاعلا الذى يقيم بمدينة سكتو بيمين الولاء والطاعة ، ثم جاء بعد بلو ابنه ابو بكر عتيق الذى يعتبر الجد الاكبر لكل اعضاء الاسرة الحاكمة التى ظلت تتوارث عرش سكتو حتى يومنا هذا ويتخذ كل حاكم منها لنفسه لقب امير المؤمنين ، ومن هذا الجد ينحدر رئيس وزراء شمال نيجيريا الحالى الحاج احمد بلو الذى زار الجمهورية العربية المتحدة فى شهر يوليو عام ١٩٦١ .

ولقد حرص سلاطين سكتو على ان يطبقوا فى بلادهم التى كانت تتألف يومذاك من الامارات الحوصوية السبع السابقة تعاليم الاسلام وتوجيهات الشيخ عثمان مؤسس الامبراطورية الفلانية الاسلامية الاولى التى لم يقتصر نفوذها على المسلمين فى شمال نيجيريا فحسب بل امتد حتى الى مناطق الوثنيين ايضا فاحتفظوا بدولتهم قوية مرهوبة الجانب تكسب فى كل يوم افواجا جديدة من الافريقيين يدخلون فى دين الله عن طواعية واقتناع ، حتى اذا ما انصرف امراؤها عن التمسك بالدين على المستوى الذى كان عليه اجدادهم وتجردوا من مظاهر الدعاة الزاهدين المتقشفين وانغمسوا فى شتى مجالات الترف واهملوا دعوة المجاهد الكبير الشيخ عثمان أخذ الفساد يدب فى أوصال دولتهم . وأعلنت بعض الامارات الوثنية التى كانت خاضعة لسلطانهم الخروج عن طاعتهم والتمرد عليهم .. ولن يأت القرن التاسع عشر حتى كانت المملكة الفولانية تلفظ آخر انفاسها وتصادف فى ذلك الوقت دخول البريطانيين وابتداء حكم الاستعمار الاجنبى الرهيب لنيجيريا ، وهو الحكم الذى استمر حتى عام ١٩٦ م .

الفولانيون يهاجرون الى السودان :

واذا كان الفولانى قد قاموا بهذا الدور الجليل فى نيجيريا فان اثرهم فى تميزها من بلاد افريقيا لم يكن اقل شأنا من ذلك خصوصا فى السودان حيث يعيش فى مختلف بلادها اليوم وبالذات فى مديريات دارفور وكردفان وكسلا والنيل الابيض والجزيرة مالا يقل عن نصف مليون نسمة منهم ، وقد نزحوا الى هذه المناطق منذ مئات السنين ، كما تعودت جماعات كثيرة اخرى منهم ان تستقر فى هذه المناطق السودانية بعد عودتها من الحج .

وقد توطدت الصلات بين السودانيين والفولانيين بالتزاوج والصاهرة والاختلاط الذى دعمه الدين وقوته اللغة واذا كانت هناك كلمة أخيرة نحب ان نختتم بها حديثنا عن شعب الفولانى العربى الاصل الاسلامى الدين فاننا نريد ان نقول ان هذا الشعب قد لعب دورا هاما وفعالا فى نشر الثقافة العربية ودفع حركة المد الاسلامى لا فى نيجيريا فحسب بل فى كثير من مناطق غربى افريقيا وجنوبها .. والى الشيخ عثمان واتباعه رغم الفضل الاكبر فى محافظة مسلمى افريقيا على تعاليم دينهم واتباع اصوله الصحيحة .. ولازال هؤلاء الفولانيون حتى يومنا هذا يعتزون باروميتهم العربية ، ويعملون فى جد ونشاط على نشر اللغة العربية على نطاق واسع عن طريق فتح المدارس المختلفة فى شتى بقاع نيجيريا خصوصا فى مدينة كانو التى تعتز بمدرستها العربية الكبرى . ونأمل ان يكون للاتفاقيات الثقافية التى ابرمتها الجمهورية العربية المتحدة مع نيجيريا اثر كبير فى بعث حركة الفكر العربى الاصيل ونشر الثقافة الاسلامية بين شعب نيجيريا المسلم حتى تعود لهذه الدولة سابق مجدها ومكانتها بين دول العالم العربى والاسلامى .

اليوروبا

وفى نيجيريا الجنوبية كانت تقع مملكة اليوروبا ، احدى الممالك المتحضرة التى ظلت مزدهرة حتى بداية القرن التاسع عشر . ويرجع تاريخ قيام هذه المملكة الى القرن السابع الميلادى تقريبا . وتؤكد الدراسات التى قام بها علماء الاجناس أن هذا الشعب لاينحدر من اصل زنجى ، وانما تدل كل خصائصه ومميزاته على أنه ينتمى الى أمة عربية خالصة ، ولكن هؤلاء العلماء اختلفوا فيما بينهم فى الوقت نفسه فى تحديد المنطقة العربية التى وفد منها هذا الشعب .. هل هى مكة ؟ كما يدعى هذا الشعب نسبه الاصلى اليها أم انها مصر ؟ التى يوجد اكثر من دليل مادى على أن هذا الشعب قد هاجر منها فعلا . أم انها بلاد أخرى تقع فى الجزيرة العربية ؟ على أى حال لن يوجد ثمة شك لدى علماء الاجناس جميعا فى ان شعب اليوروبا قد وفد الى منطقة جنوب نيجيريا من بلاد الشرق العربى . . هاجروا من من موطنهم الاصلى الى غرب افريقيا ، وظلوا يواصلون سيرهم حتى انتهى بهم المطاف عند مدينة يادبا . وكانوا فى طريقهم الطويل الى هذه المدينة يتركون فى كل مكان يمرون به

جماعة منهم تقيم فيه اقامة دائمة ، ولذلك يدعى شعب اليوروبا ان كل قبائل السودان المعاصرة قد انحدرت منهم .

ثم تمضى الايام واذا بالعلاقات تزداد توثقا بين الزنوج من اهل البلاد وبين هؤلاء العرب الوافدين ، فتقاليد اليوروبا وعاداتهم التى تتميز بالسماحة والكرم والشجاعة والوفاء والمساواة بين الناس جميعا تخلب الباب الزنوج فيتم الزواج بين الفريقين ويتكاثر النسل الجديد وتختفى فكرة العنصرية والشعوبية ، ويظهر على المسرح بعد ذلك فى جنوب نيجيريا شعب واحد ، ليس بينه عنصر وافد وعنصر اصيل . وتمتد حدود مملكة اليوروبا من مصب النيجر فى الشرق حتى بلاد داهومى فى الغرب ، يحكمها ملك واحد يطلقون عليه اسم « الافيق » ثم يدخل الاسلام الى الاطراف الشمالية من هذه المنطقة وهى التى تتاخم الحدود الجنوبية لامارات الحوصا على ايدى الفولانيين الذين الذين كانوا قد استقروا فيها . وتذكر بعض الروايات التاريخية ان السبب فى دخول الاسلام الى هذه المنطقة يرجع الى عهد الملك « افونجا » احد ملوك اليوروبا الذى كان قد استدعى احد الفقهاء المسلمين ليقيم فى بلاطه ، وشجع وجود هذا الفقيه فى بلاط الملك كثيرا من المسلمين فى امارات الحوصا على الهجرة الى بلاد اليوروبا ، ورأى افونجا فى اول الامر ان فى وجود هذا العدد من المسلمين فى بلاده فرصة يمكن ان يستغلها لتأسيس جيش منهم يستعين به فى فتوحاته التى سيقوم بها . ولما تكاثر عددهم واصبحوا يشكلون قوة هائلة داخل ممكة اليوروبا أخذت الهواجس تدب الى قلب افونجا وبدأ يحس بالخطورة على عرشه وتاجه من جراء زيادة نفوذ هؤلاء المسلمين وتضخم عددهم نعزم فيما بينه وبين نفسه على ضرورة القيام بعمل ايجابى للتخلص منهم واقصائهم مرة ثانية الى مناطقهم التى وفدوا منها ، غير ان هؤلاء المسلمين كانوا قد اصبحوا من رهبة الجانب وسعة النفوذ بحيث تمكنوا حين شعروا بنوايا الملك نحوهم بالقضاء عليه والتخلص منه نهائيا ، وبذلك صفا الجو امامهم وانزاح من على خشبة المسرح ذلك الرجل الوثنى تسارعوا الى اقامة مملكة اسلامية فى ايللودين اصبحت فيما بعد احدى الامارات الفولانية الاسلامية التى تدين بالطاعة والولاء لسلطان سكتو ، ولم يكتف المسلمون بهذا القدر من النصر ، بل احسوا بان مملكة ايلورين ينبغى ان تكون قاعدة اساسية تنطلق منها حركة المد الاسلامى فى كل ارجاء بلاد اليوروبا فقاموا يفتحون المدن والقرى ويدعون الناس الى الدخول فى دين الله فيقبل الكثيرون من الاهالى على اعتناق الاسلام والايمان بمبادئه . ولولا النكبة التى اصابت البلاد النيجيرية من جراء دخول الاستعمار الانجليزى فى ذلك الوقت لتحول جميع شعب اليوروبا من وثنيته الضالة الى نور الاسلام وهديه .. وقد وجد الاستعمار البرتغالى اولا ثم الاستعمار الانجليزى بعد ذلك نفسه فى صراع مع العناصر الاسلامية التى تقدس الحرية وتكره الحاكم الدخيل فعمل على اضطهادهم وشل حركتهم وسارع باستيفاد بعثات التبشير التى كانت ولا تزال طليعة جيوش الاحتلال فى كل مكان ، وبعث بها الى شتى مناطق اليوروبا لتقوم بدورها ، لا خدمة لتعاليم السيد المسيح وتحقيقا لمبادئه بل تمهيدا لتنفيذ سياسة الاستقلال والسيطرة التى طبقها البرتغاليون الصليبيون المتعصبون فى نيجيريا وفى غيرها منذ القرن الخامس عشر ثم طبقها الانجليز بعد ذلك ابتداء من القرن التاسع عشر .

ان كانو وكتسينا وزاريا وغيرها من مراكز الاشعاع الثقافى العربى والاسلامى التى ظلت تقوم بدورها فى نيجيريا منذ القرن الرابع عشر سيعود اليها مجدها مرة ثانية وستصبح فى القريب العاجل ان شاء الله بفضل زعمائها المخلصين وقادتها المكافحين ربما اعظم مما كانت . والامل معقود اليوم على اخواننا الافريقيين المثقفين الذين يتزعمون حركة الوعى والاصلاح فى جزء هام من اجزاء افريقيا .



تلخيص جادطه

تقع انجولا على الساحل الغربى الافريقى وتحدها جمهورية الكنغو من الشمال والشمال الشرقى ، وروديسيا من الشرق وجنوب غربى افريقيا من الجنوب .

وتمتاز انجولا بتنوع الظواهر التضاريسية فيها ، ففى الشمال نجد الغابات الاستوائية وفى الجنوب صحراء « موسا ميدس » القاحله وتعد المنطقة الساحلية افضل منطقة ملائمة للسكنى من الناحية المناخية .

وتفصل سلسلة جبال « نيوميوكا » السهول الساحلية عن الهضبة الداخلية ، وهذه السلسلة هى منبع الانهار الرئيسية ويعتبر نهر كوانزا ونهر كينيا اهم هذه الانهار .

وتبلغ مساحة انجولا ٧٠٠ر٢٤٦ر١ كيلو مترا مربعا اى قدر مساحة البرتغال اربعة عشر مرة ، وبرغم هذه المساحة الكبيرة فهى قليلة السكان ، اذ تبلغ كثافة السكان بها ٢٨ر١ شخصا فى الميل المربع . ويتألف السكان البالغ عددهم نحو ٠٠٠ر٥٠٠ر٤ نسمة من قبائل كثيرة ويتكلمون لغات متعددة ، ومن هؤلاء ٠٠٠ر٢٠٠ اوربى استوطنوا هناك حديثا . واهم المدن هى العاصمة لواندا ، وكذلك بنجويلا ولومبيتو وسادبا نديرا .

وقد بدأ ظهور البرتغاليين على مسرح الحوادث فى القارة الافريقية عندما وصل المكتشفون الى نهر الكنغو سنة ١٤٨٣ ، حيث وجدوا مملكة الكونغو المزدهرة هناك وقد آثر الملك « نزنيجا اكودم » الا يصطدم بالمكتشفين الاوروبيين كما ان خليفته مسمبا انزنجا الذى حكم من عام ١٥٠٦ الى عام ١٥٤٣ باسم دوم افونسو الاول اعتنق المسيحية وعمل على نشرها بين رعيته الا ان البرتغاليين سرعان ما استولوا على مقدرات البلاد وروجوا تجارة الرقيق لحسابهم ، كما نقلوا الكثير من العبيد الى المراكز الاستعمارية البرتغالية فى جنوب امريكا وشرقها . وفى نهاية القرن الثامن عشر تقلصت مملكة الكنغو الافريقية وتحولت الى بقايا متناثرة حول قرية ساو سلفادور نتيجة للاغارات البرتغالية المستمرة من اجل الحصول على الرقيق .

ومن هذه المراكز الاستعمارية الاولى انطلق البرتغاليون يحاولون مد منطقة نفوذهم فى القارة الافريقية ، فأمكنهم اخضاع انجولا فى المدة ما بين عامى ١٨٩٠ — ١٩١٠ . وفى عام ١٩١٤ اصبحت المستعمرات البرتغالية مستقلة من الناحية الادارية تحت الاشراف العام

للشبونة . وفى سنة ١٩٢٠ منحت أنجولا استقلالا ذاتيا فى الشئون المالية . وكانت هذه الايام فى راى المستوطنين البرتغاليين عهودا طيبة . ولكن فى عام ١٩٢٦ حدث انقلاب فى البرتغال اتى بالدكتور انطونيو دى اوليفيرا سالازار

الى الحكم . وبدأت البرتغال تئن تحت حكم الديكتاتورية الشديد الوطأة وتحت ارهاب البوليس السياسى .. وسرعان ما ظهرت آثار هذا الانقلاب فى المستعمرات ، اذ اعتبر الطاغية أن اجراءات الحكم الذاتى انما هى تنازل عن السلطة . وبدأ سالازار سياسة تعسفية شديدة فى انجولا وغيرها من المستعمرات البرتغالية مدعيا انه يعمل على تحضر شعوب هذه المستعمرات . ولكى نبين كذب هذا الادعاء سنستعير مقتطفات من الاحصاء الذى قام به معهد لشبونة الوطنى للاحصاء فى عام ١٩٥٩ ، فان هذا الاحصاء يشير الى أنه فى عام ١٩٥٠ كان فى انجولا ٣٠٫٠٨٩ من الافريقيين « المتحضرين » و ٤٫٠٠٦٫٥٩٨ من المتأخرين ، أى أنه بعد هذه السنوات الطويلة من الحكم البرتغالى الشديد الوطأة أصبح هناك ٧٤ر٪ من الافريقيين « المتحضرين » فى أنجولا .. فهل يتناسب هذا التعويض التافه مع فقدان هذه الغالبية الافريقية لحقها فى الحرية ، ومع استنزاف خيرات أنجولا على أيدى الرأسمالية البرتغالية المستغلة .. وأن الانسان ليتساءل ، هل تستحق « المدنية » مجرد محاولة نشرها ما دامت تتطلب هذا الوقت الطويل وهذه التضحيات الهائلة ؟

وتجدر الاشارة الى ما قاله انطونيو دى فيجيريدو فى كتابه البرتغال وامبراطوريتها من انه « من بين عشرة ملايين ونصف مليون شخص — أنجولا ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ وموزمبيق ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ ، نجد اكثر من ٩٩ ٪ من الامييين ، واقل من ٤٪ فى موزمبيق واقل من ٨ ٪ فى أنجولا يتكلمون اللغة البرتغالية ، من ٥٠٪ فى موزمبيق واقل من ١٠ ٪ فى أنجولا يعيشون حول مدن الرجل الابيض التى هى المراكز الوحيدة التى أمكن تحقيق بعض التقدم الحضارى فيها » .

وقد تفتق الفكر الاستعمارى البرتغالى عن نظرية جديدة فريدة فى نوعها ... وهى نظرية الهضم او الامتصاص بمعنى ان بعض الافريقيين الذين تؤهلهم ثقافتهم أو منزلتهم الاجتماعية يمكنهم أن يحصلوا على حقوق وامتيازات المواطن البرتغالى ، أى أنه على المدى الطويل سوف يتحول الافريقيون فى أنجولا الى مواطنين برتغاليين ... وقد يبدو لاول وهلة أن هذه النظرية ترمى الى تشجيع الافريقيين على الاخذ بأسباب المدنية ، الا انه بجانب استحالة تطبيق هذه النظرية فانها تهدف قبل كل شيء الى امتصاص العناصر الوطنية المثقفة والتى قد تثور فى وجه مواطنين برتغاليين ، هذا بجانب ان هذا سوف يؤدى الى اشمئزاز الافريقيين من مواطنيهم الذين حصلوا دونهم على هذه الحقوق الممتازة ، مما يؤدى الى ايجاد الاستعمار البرتغالى وتحويلها تدريجيا الى الوقيعة بين أبناء الوطن الواحد .

وفى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٤ صرح سالازار ان البرتغال لا يحتاج الى حروب أو الى انتصارات » . حقا فان الانتصارات قد انجزت فى الماضى ، أما الحاضر فهو يقوم باستغلال هذه الانتصارات ابشع استغلال .. فالاراضى الزراعية مثلا قسمت الى مزارع هائلة استحوذ عليها الاوربيون وأصحاب المزارع يتقدمون بطلباتهم الى السلطات الادارية الاستعمارية المسئولة لامدادهم بالعمال عن طريق السخرة ويجب أن تضاف الى هذه الصورة من العمل الجبرى القليل الاجر صورة أخرى عن العمل الجبرى بدون أجر او كما يسمونه فى انجولا العمل فى خدمة المصلحة العامة ، وتفصيل ذلك أن القانون فى أنجولا يسمح باستبدال أحكام السجن بالعمل الجبرى ، وبما أن أى اتهام يعد كافيا للقبض على اى افريقى واصدار الحكم عليه ، فان الدولة يمكنها أن توفر العدد اللازم من العمال دون تكبد أية نفقات .

وقد وضح هنريك جالفاو فى يناير سنة ١٩٤٧ عند ما كان موظفا بادارة المستعمرات البرتغالية فى تقرير له يصف فيه الاحوال فى المستعمرات ، أن الاقاليم الخارجية —

المستعمرات - تعتبر غير مأهولة .

« وتتركز الاسباب الحقيقية لهذه الحالة الشنيعة فى النسبة الهائلة لوفيات الاطفال ، والعدد المتزايد من المرضى والعجزة ، هذا بالاضافة الى الوفيات نتيجة لاسباب متنوعة والتى أهمها ظروف العمل السيئة والتجنيد الجبرى للعمال » .

وفى ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٢ قبض على جالفاو بتهمة تدبير مؤامرة ضد الدولة ، وحكم عليه ابتدائيا بالسجن ثلاث سنوات ، الا أنه استطاع بعد ذلك أن يهرب الى السفارة الارجنتينية حيث منح حق اللجوء السياسى هناك .

وفى يناير سنة ١٩٦١ استولى جماعة من المغامرين وعلى رأسهم الكابتن جالفاو هذا على السفينة سانتا ماريا التى تمتلكها شركة كونيال البحرية فى البرتغال . وكان هدفهم الاتجاه بالسفينة الى غربى أفريقية والنزول فى أقرب نقطة ممكنة من أنجولا أو غينيا البرتغالية . وكان جالفاو يأمل أنه اذا ما استطاع دخول أنجولا فانه يمكنه أن يستولى على مقاليد السلطة هناك . الا أن جالفاو اضطر للتوجه بالسفينة سانتا ماريا أمام مطاردة الاسطول الامريكى الى الساحل البرازيلى، حيث منح هو ورفاقه حق اللجوء السياسى مع تسليم السفينة الى أصحابها البرتغاليين .

ومن المهم أن نعرف أن هدف جالفاو لم يكن منح شعب أنجولا الاستقلال وانما كان الاطاحة بحكم الطاغية سالازار ، وكان أكثر المؤيدين لجالفاو من المستوطنين البرتغاليين والذلك لم يصطدم بمصالحهم ، وكان طبيعيا أن تتعارض مصالحهم مع مصالح الافريقيين وهكذا كان جالفاو يؤيد مصالح المستوطنين ولا يشير بكلمة عن استقلال أنجولا ، فهو يدرك أن البرتغال ليس فى استطاعتها أن تحرر مستعمراتها لان وجودها هى نفسها يعتمد على استغلال هذه المستعمرات .. ولكن الثورة الانجولية الوطنية التى قامت سالازار لابادة الافريقيين .. ومع ذلك فقد كان لاستيلاء جالفاو على السفينة سانتا ماريا أثر طيب واحد ، فقد كان النظام الاستعمارى البرتغالى حتى ذلك الوقت قادرا على البقاء فى أنجولا دون أن يسترعى اليه الانظار ، الا أن حركة جالفاو المسرحية وضعت الاحوال الداخلية فى المستعمرات البرتغالية تحت الاضواء الساطعة .

وقد تأثرت أنجولا بالحركات الوطنية الافريقية المتتالية منذ عام ١٩٥٢ ، فجاءت الثورة الانجولية فى عام ١٩٦١ .. وقبل أن ينتهى العام بدا واضحا أن البرتغال قد دخلت فى صراع يائس مع قوات التحرير الانجولية .

ويعد اتحاد شعوب أنجولا أهم هيئة سياسية فى البلاد ، وقد تكون هذا الاتحاد فى عام ١٩٥٤ ، وارتفع عدد أعضائه الى ٤٠٫٠٠٠ ، واصدر صحيفة باربع لغات هى الفرنسية والبرتغالية والكمبوندو والكيكونجو (هولدن روبرتو) .

وفى عام ١٩٦٠ نادى الاتحاد « بالكفاح من أجل استقلال أنجولا » كما وعد البرتغاليين والافريقيين على السواء بالمساواة فى الحقوق ، ولخص الاتحاد برنامجه فى « أن تكون أنجولا دولة مستقلة ، وأن تكون لها حكومة ديموقراطية مسئولة ، وأن تكون لهذه الحكومة الكفاءة التامة لتدير شئون الحكم وتنظم الخدمات العامة والاقتصاد القومى والتعليم والصحة العمومية على أحسن وجه لكافة المواطنين ، كما تقضى على أى تدخل أجنبى فى شئون البلاد ، وسوف تشارك أنجولا فى بناء الوحدة الافريقية طبقا لقرارات مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة » .

وتعتبر الثورة الانجولية فى منتصف مارس سنة ١٩٦١ هى المظهر الاكثر جدارة بالنظر فى فبراير سنة ١٩٦١ قلبت خططه رأسا على عقب وأدرك جالفاو أن المستوطنين يلتفون حول بين معارك التحرير فى أفريقيا البرتغالية ، فقد أصيب البرتغاليون سواء فى انجولا أو فى البرتغال بخيبة امل شديدة نتيجة وقوع

هذه الثورة .. وازدادت خيبة أملهم لانه كان فى ذلك الوقت فى لواندا عدد كبير من مراسلى الصحف العالمية بحيث أصبح من المستحيل اخفاء قصة الثورة .

وكما حدث ولا يزال يحدث مع الثورات الوطنية الافريقية العديدة ، صرح سالازار بأن هذه الثورة دبرت خارج أنجولا ، وزعم أن الشيوعيين يقفون وراءها . والقول بأن قوات الثورة الانجولية هى قوات أتت من خارج انجولا قول صحيح ، فالحقيقة ان تنظيم قوات التحرير قد تم خارج أنجولا ، ولكن هذه القوات كلها كانت من الانجوليين . وكما ان الفرنسيين الذين عادوا الى فرنسا مع الجيوش المتحالفة فى عام ١٩٤٤ كانوا قطعا فرنسيين ، فان الانجوليين الذين عادوا الى بلادهم لتحريرها سنة ١٩٦١ لا يمكن القول بأنهم غرباء .

وقد بدات أحداث الثورة بأن عمد القادة من الافريقيين الى اتخاذ خطوات عمليـة مباشرة . ففى مساء يوم ٤ فبراير سنة ١٩٦١ دمرت قوة تتكون من ٥٠٠ من الوطنيين سجن لواندا ومركزين للبوليس . وسرعان ماقامت قوات البوليس ومعها فرق من المستوطنين البيض بمهاجمة الافريقيين ، وقام المستعمرون بأعمال القتل والسلب والنهب ، وقتل المسجولون السياسيون فى لواندا ودفنت جثثهم بالجملة .

وفى نهاية مارس لم تستطع حكومة البرتغال أن تستمر فى التهوين من شأن الثورة ، فقد قامت ثلاث فرق مشاة من الجنود الوطنيين بالانضمام الى المقاتلين من اجل الحرية . وكان على البرتغاليين ان يلجأوا الى قوتهم الجوية ، وفى قتال وحشى اصاب حتى أصدقاء البرتغال بصدمة ، استخدمت البرتغال القنابل الحارقة لتفتيت المقاومة واضعافها وتحرك الجيش البرتغالى لسحق الثورة الوطنية ، وكان هدفه الاول احلاء منطقة زراعة البن من الثوار ، اذ ان محصول البن فى انجولا هو مصدر معظم النقد الاجنبى للبرتغال ، واذا نجح الثوار فى وقف جمع محصول البن فسوف ينهار اقتصـاد البرتغال ، الا ان الجيش البرتغالى لم ينجح فى تحقيق هدفه ، اذ أتلف الثوار معظم محصول البن ، ولما كان هدف الثوار هو القضاء على الاستعمار والاطاحة بالنظام القائم ، فقد ركزوا عملياتهم على تدمير المزارع والقضاء على المستوطنين المنعزلين ، ومن ثم اتخذت الحكومة عدة اجراءات عسكرية لمواجهة هـذه الثورة العارمة ، فقررت أن تنشىء بسرعة مطـارا حربيـا قرب لواندا ، كما قررت أن تنشىء أيضا عدة ممرات صالحة لهبوط الطائرات بالقرب من المدن الكبرى ، ونقلت وحدات كبيرة من الجيش البرتغالى الى انجولا حتى أصبحت القوة الكلية للجيش ٣٤٫٠٠٠ رجل .

وقد خاض الانجوليون هذه المعركة المريرة من اجل التحرير ، وبلغ عدد القتلى من الاوربيين اكثر من ١٠٠٠ شخص ، اما بالنسبة للافريقيين فيقـدر عدد من استشهد منهم عام ١٩٦١ بـ ٣٥٫٠٠٠ شهيد .

وهكذا قضى على كل امل فى سـبيل المشاركة الوطنية بين الانجوليين والبرتغاليين فى انجولا . لقد اقام شهداء الثورة حاجزا قويا بين الوطنيين والمستوطنين ، وهكذا سوف تلاقى البرتغال مصيرها المحتوم فى انجولا ذلك المصير الذى لقيته دول اعظم واقوى من البرتغال ، وعندئذ سوف لا يطرد البرتغاليون فقط من انجولا بل كذلك من موزمبيق وغينيا البرتغاليـة كما طردوا من « جوا » تحت ظروف اخرى .

((جاد طه))



بقلم محبات امام الشرابى

غينيا جمهورية مستقلة كانت جزءا من افريقية الغربية الفرنسية ولقد اعلن استقلالها فى ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٨ وذلك بفضل الخطة الحكيمة التى رسمها الزعيم سيكوتورى لتخليصها من استفتاء ديجول .

الموقع :

تطل غينيا على ساحل غرب افريقية وتنحصر بين غينيا البرتغالية ومستعمرة سيراليون البريطانية ، يحدها من الغرب المحيط الاطلنطى ومن الشمال غينيا البرتغالية وجمهوريتى السنغال ومالى ، ومن الشرق مالى ايضا وجمهورية ساحل العاج ومن الجنوب ليبيريا ومستعمرة سيراليون .

المساحة :

تبلغ مساحتها حوالى ١٠٠ر٠٠٠ ميل مربع « ٢٤٥ر٨٥٧ كيلو متر » ومن ناحية الظاهرات الطبيعية نجد انها عبارة عن سهل ساحلى طوله ١٧٠ ميل وعمقه ٣٠ ميل ، وهو يتدرج فى الارتفاع الى هضبة ممثلة فى جبال فوتاجالون التى يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ، وتوجد فى الجنوب سلاسل جبلية اخرى يصل ارتفاعها الى ٦ر٠٠٠ قدم .

واهم الانهار التى تجرى بها اعالى النيجر والسنغال وجامبيا وجراند ، بالاضافة الى عدد صغير من النهيرات التى تصب مباشرة فى المحيط الاطلنطى وهى قليلة الاستخدام فى الملاحة باستثناء المسافات القصيرة من مصباتها .

ومناخ غينيا استوائى وله فصلان : الفصل الرطب ويمتد من مايو الى اكتوبر ، والفصل الجاف ويمتد من نوفمبر الى ابريل ، واغزر الامطار تسقط على الساحل وتقل بالاتجاه نحو الداخل ، فيصل متوسط كمية المطر فى كوناكرى — على الساحل — ١٩٠ بوصة ومعدل درجة الحرارة حوالى ٧٩ درجة ف بينما على الهضبة فى الداخل نجد انه نادرا ما يزيد متوسط كمية المطر عن ١٠٠ بوصة او اقل ، وتقل ايضا درجة الحرارة فى الداخل الداخل بالاتجاه من الساحل الى الهضبة الوسطى ولكنها تزيد ثانية تجاه نطاق جمهورية مالى واهم المدن :

١ — كوناكرى العاصمة بالاضافة الى انها ميناء هام واكبر مدينة بالجمهورية .

٢ — كان اكبر مدينة تجارية بالداخل وهى مركز هام لطرق القوافل وينتهى عندها الخط الحديدى الوحيد فى غينيا الممتد من كوناكرى الى كان كان .

٣ — Kindia

٤ — Nzerekone

٥ — Mamou

٦ – Lake
٧ – Siguini
٨ – Rita

السكان :

يبلغ عدد سكانها حوالى ٢ر٧٢٦ر٨٦٨ر٢ نسمة ، وهم يزيدون كل عام بنسبة ٥ر٢ ٪ فمعدل كثافة السكان بها اعلى من معدله بجمهوريات افريقية الغربية الفرنسية العديدة ولكنه معدل منخفض اذا قورن بالمعدل فى سيراليون او الدول الاخرى بغرب افريقية .

وتتمثل القبائل الوطنية فى الفولانى بنطاق جبال فوتاجالون حيث المناخ البارد وقبيلة الـ Malinke فى النطاق الساحلى الرطب بالاضافة الى قبائل الـ Temne, Beggee و Kissi وقبائل Nalu

ومن ناحية اللغة فهى مجموعتان : لغة الفولانى ولغة Nande dialects وتستورد على طول الساحل لغـة الـ Pidgin Einglisk

هذه لمحة سريعة عن الجغرافية الطبيعية والبشرية لغينيا وفيما يلى نظرة عامة بالنسبة لموارد الثروة نجد انها تمتاز بمواردها الاقتصادية المتعددة ، فغلاتهـا الزراعية تكون معظم اقتصادها ، فتتمثل اهم اقتصادياتها .

نجد انه من المعيب فى هذا الصدد القول بأن حوالى ٩٥٪ من أهلها يشتغلون بالزراعة وذلك لان المناجم الهامة التى يستخرج منها الحديد والبوكسيت لا يعمل بها غير نسبة ضـئيلة من السـكان ، ولكن نجد أن الحكم سيعمل بالطبع على ادخال الايدى العـاملة الوطنية فى كل العمليات الانتاجية التى يحرم الوطنى الذى أعلن حديثا عن اتجاهه الاشتراكى سيعمل بالطبع على ادخال الايدى العـاملة الوطنية فى كل العمليات الانتاجية التىيحرم من العمل بها الافريقيون فى كل المستعمرات . المحاصيل الغذائية الرئيسية فى اليام والبطاطا والمانيوى والارز والموز الذى يستهلك جـزء منه محليا ويصدر الجزء الاخـر ، والذرة العويجة والشامية .

وتزرع بذور السمسم لانتاج الزيت وتتمثل المحاصيل النقدية فى البن الذى يزرع فى منطقة المرتفعات الداخلية هذا بالاضافة الى القطن وبذور النخيل والتوباكو ، كما ينتج ايضـا المطاط والفواكه الاستوائية . وكذلك توجد غابات غنية فى الداخل ولكنها لم تستغل بعد الاستغلال الكامل .

ومن ناحية الثروة الحيوانية فتقتنى الماشية والضأن والماعز باعداد وفيرة بمنطقة مرتفعات فوتاجالون . بالاضافة الى هذا الانتـاج الزراعى والحيوانى المتنوع يوجد بالدولة الانتاج المعدنى الوفير ، فهى من اهم دول غرب افريقيا فى هذا الصدد باستثناء غانا ، وهى تتمثل فى الماس الذى يتركز بمركز وكذلك البوكسيت الذى ينتج منه الالمونيوم ويتركز انتاجه فى جزر las وفى مركز Bake انتاجه بلغ فى سنة ١٩٦٠ – ٤١٢ر٦٥١ر١ طن مترى ، هذا بالاضافة الى خام الحديد الذى بدأ استخراجه سنة ١٩٥٣ من مناجم Kaloum وبلغ انتاجه سنة ١٩٦٠ – ٢٣١ر٨٠٠ طن مترى ويقوم بعمليات التعدين فى غينيا شركات ليست فرنسية خالصة وان كان راس المال الفرنسى يتركز فى اسـتغلال الحديد والماس ، وتساعده الحكومة فى ذلك بوجه خاص ، ونجد ان هناك شركتين كبيرتين لاستغلال البوكسيت الذى يعد الثروة المعدنية الرئيسية ذات المستقبل أولاهمـا شركة « بوكسيت ميدى » وهى احدى توكيلات دولار لمشروع تنمية البوكسيت حتى هـذا العام . والشركة الثانيـة هى « شركة Fria » وتشترك فيها رؤس الاموال الامريكية بـ ٥٠ ٪ ولشركة الالمونيـوم البريطانية ١٧ ٪ اما رؤوس الاموال الفرنسية فلا تزيد على ٢٣ ٪ و ١٠ ٪ للشركة الصناعية السويسرية .

موارد الوقود :

نظرا لغزارة الامطار وشدة انحدار الهضبة توجد امكانيات كبيرة لتوليد الكهرباء ولقـد بلغت قوة انتاج الكهرباء فى سنة ١٩٥٥ – ٦ر١٠ مليون كيلو وات ساعة . ولقد اصبحت الحاجة ملحة لتوليد الكهرباء بتطور تقـدم استخراج الحديد والبوكسيت ، فاصـبح من الممكن انشاء مصنع لصناعة الالمونيوم من

البوكسيت المحلى ، وهذا المشروع تساهم فيه شركة فريا وميدى ورءوس اموال ايطاليـــة والمانية لخلق شركة جديدة تسمى « شركة الالمونيوم الافريقى » كما انه بزيادة امكانية توليد الكهرباء سيزداد الانتاج الصناعى بوجه عام فى غينيا ويزيد استخدامها فى العمليات الزراعية . وبالنسبة للصناعة نجدها ممثلة فى الصناعات الخفيفة والقائمة على المنتجات الزراعية والصناعات القائمة على تعـــدين البوكسيت واستخراج خام الحديد ، وتتركز اهم المصانع الحديثة فى كوناكرى ، ونجد ان فرنسا وبريطانيا العظمى اهم مستهلك وممول لهذه الدولة .

بالنسبة للمواصلات

نجد ان وسيلة النقل تنقسم الى الخطوط الحديدية ـ الطرق البرية ـ النقل البحرى ـ النقل الجوى .

بدأ انشاء السكك الحديدية بغينيا سنة ١٩٠٠ ووصلت الى Kourusa سنة ١٩٢٠ واهم هذه الخطوط الحديدية هو الخط الذى يصل كوناكرى بمدينة كان كان ويبلغ طوله ٦٦٢ ك م ولقد زادت اهمية هذه الخطوط الحديدية بالتوسع فى تصدير الموز .

وبالنسبة للطرق البرية يوجد بغينيا حوالى ٥٠٠ر٣ كيلو متر من الطرق الصالحة للعبور طول العام Allmeather Road

٠٠٠ر٧ كيلو متر صالحة فى فصل الجفاف فقط Dry season Roods اهم الطرق تلك التى تمتد على طول الســاحــــل من سيراليون الى غينيا البرتغالية عن طـــريق كوناكرى ومن كوناكرى الى الداخل . يفرغ الى السنغال ــ السودان وساحل العاج .

ويخدم النقل الجوى مدن كوناكرى وبوك ولوب Nzerekane وكان كان ، وتوجد مطارات فى مدينتى « كان وكان » و « كوناكرى »

والجدير بالذكر ان اختم هذا المقال بابراز جانبا هاما من اقتصاد غينيا فى حـــركته الديناميكية . فالميزان التجارى كان فى غير صالح الدولة قبل الاستقلال وكانت تبـــدو مهلهلة اقتصاديا وذلك لوضع مقـــــدرات الاقتصادية فى ايدى اجنبية فرنسية ، وطبعا المعروف ان فرنسا نفسها تعانى انهيـــارا اقتصاديا واضحا تنعكس حالته على اقتصاديات مستعمراتها خاصة فى السنوات الاخيرة التى تستنزف فيها حرب المقاومة جزءا كبيرا من اموال الحكومة الفرنسية .

ولـــكن التقدم الكبير فى زيادة منتجات الدولة الزراعية والمعدنية ــ نتيجـــــة ــ للاستقلال وللاستقرار الوضع السياسى بها ــ ينبىء بالرواج الاقتصادى لهذه الدولة .

فلقد قامت علاقات اقتصادية بين غينيا والسنغال تنبىء بنمو العلاقة بين دول غرب افريقية ، بحيث يؤدى اتحاد الدول الافريقية الى تكامل الاقتصاد الافريقى . فغينيا تستورد من السنغال المواد الاساسية فى مستورداتها ، مثل الارز ــ الدقيق ــ الاسمنت ــ المنتجات البترولية . وليست علاقاتها بالدول الافريقية وحدها من عوامل تقدمها الاقتصادى واعتدال ميزانها التجارى ، وانما هناك عدة مشروعات بالرغم من وجودها فى ايدى اجنبية الا انهــا تساهم فى تقدم الدولة منها مشروع بناء سد على نهر كوناكرى ومشروع توليد الكهرباء الذى بدأ فى التنفيذ .

وبالاضافة الى هذه المحاولات التى تحاول غينيا عن طريقها تدعيم اقتصادها ، فانها تبذل جهودا اخرى فى هذا الصدد عن طريق عقد اتفاقيات اقتصادية خارجية . من اهمهـــا اتفاقية تجارية واقتصادية مع المانيا الشرقية فى ٧ يوليو سنة ١٩٦٠ واخرى مع الصـــين الشعبية فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٠ وثالثة مع الاتحاد السوفييتى فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٦٠ اعطى الاتحاد السوفييتى قرض لهذه الدولة لاستقلاله فى تشييد خطوط السكة الحديد والكبارى . والامل معقود ان يتحقق لغينيا استقرارها الاقتصادى لكى تكون مثلا يحتذى به بين الدول الافريقية الاخرى المتخلفة التى تعانى من نير الاستعمار .

« محبات امام الشرابى »

باسوتولاند في سطور



بقلم عبد العظيم ملوك

● تقع باسوتولاند فى جنوب أفريقية ، يحدها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا اتحاد جنوب أفريقية ، فهى « جزيرة » من الارض فى وسط أراضى الاتحاد .

● تبلغ مساحتها ١١٫٧١٦ ميلا مربعا ويبلغ عدد سكانها حوالى ٦٤٢٫٠٠٠ نسمة .

● اللغة الرسمية الانجليزية أما اللغة المحلية فهى الباسوتولية ..

● عاصمتها ماسيرو ..

● عمد الاستعمار البريطانى الى الاحتفاظ بها وزميلتيها بتشوانالاند وسوازيلاند تحت ادارته المباشرة حتى يتخذ منهسا سبيلا لتهديد الشعوب المجاورة ولا سيما أن اقليمى سوازيلاند وماسوتولاند واقعان داخل حدود اتحاد جنوب أفريقية .. أما بتشوانالاند فمتاخمة لتلك الحدود الى الشمال الغربى قليلا .

● دخل الاستعمار البريطانى هذه المناطق فى أوائل القرن التاسع عشر فقد تنكر ـ كعادته ـ فى ثوب المبشرين والتجـار واستغلوا طيبة الشعب الافريقى حتى وثقوا بهم وائتمنوهم على أموالهم وأرزاقهم وفى سـنة ١٨٥٦ وقعت بين الزعيم « **موشيبسن** » وبين حكومة أورانج الحرة حروب امتدت حتى سنة ١٨٦٨ فاستنجد بحكومة الكاب على أعدائه ، فلبى حاكم الكاب هذا الطلب بشرط أن تعترف هذه القبيلة برعاية انجلترا لها وأن أرضها انجليزية .. وأجبر على هذا فاعترف .

وفى سنة ١٨٧١ ضمت هذه البلاد الى مستعمرة الكاب ، وفى سنة ١٨٨٤ حصل خلاف بين حكومة الكاب والباسوتو انتهى باستلام حكومة الكاب الحكم فى البلاد .. وعند ما استقلت الكاب اعتبرت باسوتولاند محمية انجليزية .. وهكذا صارت الباسوتولاند محمية بريطانيـة حتى الان .. يقـود حـزب مؤتمر باسـوتولاند الوطنى برياسة الزعيم اندوسو خيخلى باسوتولاند للكفاح ضد السيطرة الاسـتعمارية ويحاول جهده بالعمل على خلاص البـلاد من أيد المستعمرين ..

● التعليم .. ان شعب البوسوتو محـروم منه ، فالتعليم قاصر على رجال الارساليات التبشيرية الذين يقومون بتعليم الناس ومن المعروف أنهم لا يهتمون بالثقـافة والعلم بقدر اهتمامهم بنشر العقيـدة الدينية ..

وشعب البوسوتو محروم من الاتصال بالعلم الخارجى وذلك بفعل السـتار الحديدى الذى يفرضه المستعمر حتى لا تتسرب مخازيه الى العالم ، فالجهل والمرض والفقر هناك حتى يبقى الشعب

تحت رحمتهم ، ومستودعا لامدادهم بالايدى العاملة للعمل فى مناجم ومشروعات جنوب أفريقية بأجر زهيد ..

● اقتصاديات باسوتولاند .. تعتبر باسوتولاند من أغنى الاراضى بالخير ففيها المناجم البكر التى لم يستغلها المستعمرون .. ابقاء للشعب الباسوتولاندى تحت رحمتهم .. ليرسلوهم الى العمل فى اتحاد جنوب افريقية وذلك كالاتفاق المبرم بين الانجليز واتحاد جنوب أفريقية .. فيضطر الشعب الباسوتولاندى الى العمل هناك بأجر زهيد يكاد أن يسد حاجته الى الطعام ..

فلقد دلت الابحاث الجيولوجية على وجود مناجم فحم وذهب وماس .. ولكن المستقبل للشعب الباسولاندى حينما يحصل على استقلاله .

● يقوم بعض أفراد الشعب بالزراعة ولو أقيمت السدود واستصلحت الاراضى لعم الخير البلاد ، ولكن السياسة الاستعمارية تعمد الى ابقاء الشعب تحت سيطرتهم لشعورهم بالحاجة دائما نحوهم . وكذلك يقوم الشعب بتربية الحيوانات وتصدر الباسوتولاند كثيرا من حاصلاتها ولا سيما الحيوانات والصوف والقمح والحمص .

● يشترى المستعمرون هذه الحاصلات من الاهالى .. بأثمان بخسة ثم يبيعونها لهم بالاسعار الفاحشة .

● يحكم البلاد مندوب سامى بريطانى ويساعده موظفون انجليز يسيطرون على الشعب ويقمعون الحركات التحريرية التى يقوم بها حزب المؤتمر ..

● فى عام ١٩٥٩ اضطر الشعب الباسوتولاندى الانجليز على مشاركتهم فى الحكم واصبحوا أعضاء فى المجلس التشريعى والتنفيذى .

● ولقد كان استخدام الموظفين البريطانيين منذ أن وضعت البلاد تحت حمايتهم عام ١٨٦٨ نقمة على البلاد ، فلقد أثبتت الايام أنهم كانوا غير أمناء فى ادارة دفة أمور التنمية السياسية والاقتصادية والتربوية . وقد نتج عن الادارة البريطانية لهذه البلاد :

● حرمان الاهالى الوطنيين من ممارسة حقوقهم عن طريق اقامة جهاز حكومى ديمقراطى ..

● اقامة الستار الحديدى حول باسوتولاند لجعل العالم الخارجى على جهل تام بما يدور هناك ..

● ممارسة الكبت والقمع ضد الوطنيين الاحرار .

● محاولة ضم المحميات الثلاث فى جمهورية جنوب افريقية بدون استشارة الشعب .

● توقيع اتفاقية عسكرية مع جمهورية جنوب افريقية العدو اللدود لباسوتولاند .

● عدم انشاء طرق فى جميع أنحاء البلاد لتسهيل عمليات النقل .. مما جعل الاهالى يعتمدون اعتمادا كليا على دواب الحمل وخاصة الخيل للانتقال فى الطرق الجميلة الوعرة من مكان الى مكان .

((عبد العظيم ماوك))

مختارات من شعر

ليوبولد سيدار سنغور

ياصديقى فى الوجود الافريقى
لقد شعرنا معا بالسعادة
حيث ان أفريقية دائما حولنا
فمن حولنا احتياجاتنا البسيطة
ٱهنا أثاث من غينيا والكونغو
أثاث ثمين ومصقول
أثاث قاتم وفاتح
أقنعة صاقية على حوائط بعيدة
وأن كانت جد قريبة
وهنا عطورنا فذة ومتكبرة
تنساب من حلقات الصمت الملتفة
وهنا وسائد الصمت والاسترخاء
مثل الآبار الهادئة
مثل الآبار الجارية
وهنا الكلمات الخالدة
والاغانى البعيدة المتتابعة
كأنها تمثل أبدا وفى رتابة
جلود أسود من السودان
ياصديقى فى الوجود الافيقى
لقد عشنا معا فى سعادة
وكان الضوء الصديق للمروءة الزرقاء
يهدىء ـ دائما ـ من ضغط هذا الوجود
فقد كان هناك الضوء الاسود
وكان هناك الضوء الابيض
وكان هناك الضوء الاحمر
.. أو ما أعجب مثل هذا الضوء الاخير
فهو تماما مثل تربة أفريقيا

كتاب الشهر
الرقص الافريقي



بقلم بيرل بريماس

عرض وتقديم العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم

قد يكون من الضروري أن أشير هنا الى أن الكتاب قد صدر ضمن مجموعة من الكتب صدرت معا وطبعت « بديجون » من أعمال فرنسا سنة ١٩٥٨، وان كانت المجموعة كلها قد كتبت بالانجليزية فى الولايات المتحدة وقدمها الاستاذ الدكتور جون ديفس وهو أستاذ جامعى زنجى منح عدة اوسمة من من حكومتى هاييتى فى أمريكا اللاتينية ، وجمهورية ليبيريا فى غرب افريقية فى سنتى ١٩٤٨ و ١٩٥٥ على التوالى عند توليه رياسة لجنة المعونة الفنية الامريكية فيهما ، وكانت تشرف على الاصدار « جمعية الثقافة الافريقية » وتولته دار نشر تعنى بمؤلفات الكتاب الزنوج فى العالم الجديد ، وقد جاءت هذه المجموعة من الكتب فى مجلد ضخم كبير للدراسات الافريقية .

والمؤلفة الاستاذة « بيرل بريماس » نالت اجازتها العلمية من جامعة نيويورك ، وتعد حاليا رسالتها لدرجة الدكتوراه فى مادة الانترويولوجى (علم الانسان وأعماله) من جامعة كولومبيا ، والاستاذة بير بريماس زنجية ، وهى بالاضافة الى دراستها العلمية نالت شهرة فى عالم الفنون وتكتب مقالات كثيرة فى المجلات الفنية الامريكية ، وتنشر مجلة « فوج » الكثير من مقالاتها عن الفن الافريقى وبخاصة فن الرقص .

فالكتاب اذن على صغر حجمه يعتبر دراسة واعية لناحية هامة من نواحى الحياة الافريقية ثم انها كانت جزءا من الانتربولوجيا الاجتماعية التى تخصصت فيها المؤلفة ومن ثم كان البحث الذى كتبته جيدا فى تركيز غير مخل وفى اختزال أو ايجاز يعتبر اعجازا فى الحقيقة : والمؤلفة تقول فى تقديمها لكتابها : « ان الرقص الافريقى هو النبوغ الذى استمد منه الوحى فيما اكتب من دراسات عن الحياة والناس فى افريقية . ويختلف الرقص الافريقى من الحركات العنيفة التى تعزف فيها أعضاء الجسم موسيقى صاخبة عنيفة فيها دينمائية قوية الى أبسط الحركات التى تعتبر فى بساطتها نوعا من العبادة الهائلة ولا يحدد الرقص بالمسافة فالراقص قد يثبت فى الهواء لعدد من الاقدام وقد يلتصق بالارض حتى ليكاد فى تكور جسمه أن يكون جزءا منها لا يبرز عنها كثيرا ولا تتحدد حركات الرقص بجزء واحد من أجزاء الجسم فأحيانا

يحرك الراقص أدق وأصغر عضلات جسمه وقد يبطيء الراقصون فى رقصانهم حتى لتبدو اجسامهم متصلبة جامدة وأحيانا تكون هذه الحركات سريعة حتى لا تستطيع الاعين أن تسجل ما يحدث أمامها فى ونبات خاطفة

« لست استطيع أن أفكر فى افريقية دون ان اسمع ثانية دقات الطبول العالية . ودون أن تمر أمام عينى حشود الراقصين ويخيل الى اننى أقف مشدوهة امام الجريان السريع لمياه نهر الكنغو او افكر فى نفسى كأننى اركع على ركبتى أمام « أونى » زعيم الايفى فى ـ لاسمع من بين شفتيه كلمة (اومو والى) أى الطفلة التى تعود لوطنها ان هذه الذكريات التى تدور امام عينى لتبدو لى وكأنها تمسك بذراعى واعية لناحية هامة لى وكأنها تمسك بذراعى الساعة معطلة مسير آلة الزمن ، وعندما تبدو كل هذه الذكريات أمام عينى اتوقف عن الكتاب لاهدىء هذا الجانب من روحى الذى يصرخ بى قائلا .. « ارقصى » .. « ارقصى »

ـ ٢ ـ

كيف عالجت المؤلفة موضوعها ؟

ومع أنه من العادة عندما يناقش امر ما خاصا بافريقية ان تقسم القارة ـ على مثال ما يفعل علماء الانتروبولوجيا ـ الى المناطق الثقافية التسعة ، أو أن تقسم الى الاقسام الثلاثة الكبرى التى يقسمها اليها أولئك الذين يدرسون الفنون الافريقية تبعا للحضارتين الإصليتين فى شرق وغربى القارة وتأثرهما بالحضارة القديمة التى جاءت من الشمال الشرقى حضارة مصر القديمة .

ولكن المؤلفة تقسم افريقية الى قسمين أصليين تقسيما اختياريا هو « المدينة » و « الغابة » ، وان كان الافريقيون فى الواقع لا يحبون كلمة « الغابة » لانهم يشعرون بتفكير الغربيين الاجانب فيها نتيجة افلام السينما التى تصور داخل قارة افريقية كمناطق مخيفة لا طرق فيها مليئة بالحيوانات الضارية التى تغير على القرى ، مع رجال أكثر وحشية من الحيوانات الضارية يدمر كل منهم الآخر ، ولكن المؤلفة قصدت بكلمة « الغابة » كل ما هو ليس فى المدن . فهى تعرف ان جزءا صغيرا من افريقية لا يزيد عن ربعها هو الذى تغطيه الغابات الحقيقية وان ربعا آخر من القارة تغطيه البحيرات الصحارى على حين أن نصف القارة تغطيه الحشائش بدرجات مختلفة ، ولكن المؤلفة تفضل استخدام كلمة « الغابة » لانها تذكر بموسيقى داخل القارة ، موسيقى سواء أكانت من أصوات البشر أو الطيور او الآلات العازفة ، أو الانهار أو حتى الصمت والسكون .. ففى هذا السكان موسيقى دائمة .

والكتابة عن الرقص الافريقى فى الواقع تتطلب مجلدات ذلك لان الرقص كان ولا زال له أهميته الحاسمة فى حياة الافريقيين ، وان كان الذى يخفف من العبء أنه فى العادة لا يكتب الكثير من الرقص فى المدن ، فكثير من المدن الافريقية شديدة الشبه بأجزاء من أمريكا وافريقية ، والكثيرون من الناس يرتدون الملابس الاوربية ويناقشون المسائل العالمية بحماس وقوة أو يسافرون جيئة وذهابا للكثير من بلاد العالم بقصد الدراسة أو العمل أو لاغراض عامة مختلفة وهم عندما يرقصون يرقصون « الفوكس تروت » و «الرومبا» و «الفالس» بل وحتى « اللندى هوب » ، والرقص الوطنى يحرمه الموظفون فى المدن تحريما عاما ، وحتى الرقص الذى ينتشر على الساحل الغربى حاليا والذى يعتبر طابعا افريقيا لرقص « الكاليبسو » ، فعلى حين انه مثير وفيه متعة الا انه يحسن ان لا نتقيد به وان نعنى بالرقص فى المناطق التى لا تزال كل مرحلة من مراحل الحياة فيها تجىء مصحوبة بالرقص .

وهنا يستخدم الراقصون اجسامهم كآلات يعرضون بها العواطف والحوادث ، والنتيجة أن يحدث تزاوج غريب بين الحياة والرقص وهما لا ينفصلان ، فعندما يولد طفل يقام الرقص وعندما يوارى رجل التراب يقام الرقص ، والناس يرقصون عندما يلقون

البذور فى الارض وعندما يحصدون المحصول وعندما يخرجون للصيد وللحرب ، ويرقصون للمطر وللشمس ، للزواج واللعب ، للحب وللكراهية ، للخوف والسرور ، للاسى والاسف الامتهان والاعجاب ، كل هذه وغيرها من العواطف يعبر عنها بحركات متزنة متوازنة .

وتبدو أجسامهم وكأنها تطورت مع القرون للرقص ، فأشعة الشمس وكفاح الحياة لا يكفيان لعرض مشاعرهم ومن ثم فانهم يوجدون ألحان الموسيقى العنيفة والاغانى المليئة بالقوة لتصحب حركاتهم ، ورجال الدين والمحاربون وصائدو الوحوش والذين يعملون فى العلاج والطب بالسحر والشعوذة واستخدام الاعشاب والحشائش كل هؤلاء يجب أن يكونوا اولا واساسا من الراقصين ولقد كان احد الذين اشتهروا فى افريقية الاستوائية بالقدرة على استخدام الاعشاب لعلاج المرضى راقصا ممتازا كان يثبت فى الفضاء كما تثب النار وكان يلتف حول جذوع الاشجار مستخدما ذراعيه الطويلتين وعنقه حتى ليبدو كالافعى ثم يتخلص من الشجرة فى حركات ملتوية ويلتف حول المريض كما تفعل الافعى التى هى رمز لاشياء كثيرة منها القدرة على العلاج .. ويدور ويرقص ويلتف على المريض حتى يبدو وكأن روحه قد خرجت من جسده ، وكل هذا على نغمات موسيقى ترتفع وتنخفض طبقا لسرعة أو بسط حركاته الراقصة .

– ٣ –

اسباب لعقد حلقات الرقص

والرقص هو جزء من كل معقد ، وهذا الكل المعقد هو الحفل نفسه ذلك لان الحفل يتطلب الفنانين المهرة الذى يخططون ويلونون الاقنعة التى يرتديها الراقصون ، وهؤلاء الفنانون يخرجون بنماذج غريبة مدهشة أما الموسيقيون فيلتقطون الالحان من كل مكان

على أننا عندما ننظر الى الرقص واتجاهاته نجد انه قد يكون من الاصلح أن نجمع مناسبات الاخصاب ، والميلاد ، والتكريس ، والخطوبة، والزواج ، والموت أن نجمع هذه المراحل التى يمر كل فرد من افراد القبيلة فى مجموعة واحدة هى المجموعة الخاصة بسير الحياة من البداية الى النهاية ، وهذه الاحتفالات فى غالبيتها دينية فى طابعها .

وتتعدد ألوان الرقصات الخاصة بمناسبات الاخصاب ذلك لانه لا تتماثل الاساليب الشعبية فى قبيلتين ، وان كانت تتماثل فى الغرض ، فالعادة ان كلا من هذه الرقصات انما هى صلاة تسبق وضع البذور فى الارض وذلك لكى تشتد جذورها وتنمو قوية مثمرة فى بعض المناسبات يعتقد بأن الرقص يطارد كل الشرور ومن ثم يسمح للبذور أن تبدأ نموها .

على أنه بالاضافة الى الجمال الساحر لهذه الرقصات فان هناك نظرية لها أهميتها وهى أن من يقوم بالصلاة لا يمنح فقط الاخصاب للنبات والحيوان ، بل والاخصاب للذهن ومن ثم فانه اذا انتهى زعيم الى قرار حكيم فى أمر يعنى قبيلته استدعى الراقصون للرقص وبذلك فان عقله يزداد اخصابا ويحقق مزيدا من الآراء القوية .

والنهر بالنسبة للناس الذين يعيشون على ضفتيه رمز الاخصاب بالنسبة لهم ، فالنهر يفيض على الارض وبذلك يروى تربة الارض ويكسبها خصبا ، وينبع النهر أحيانا من منبع غير مرئى ويسافر لمسافة طويلة حاملا الحياة الى أن يبذر الحب وتلقى البذور تجىء النسوة متدثرن فى أشياء خضراء اللون مما تنبت الارض ، ويتحركن كما يتحرك نهر لا نهاية له وأجسامهن متلاصقة ويتحركن معا كل الارجل وكل السواعد فى اتجاه واحد، وهاته النسوة اللائى تحملن البذور يصدن النهر الذى يسير فى طابع توجد التقاليد .

وتختلف احتفالات الميلاد بين القبائل وتقع فى عدة مستويات :

١ – حفلات الرقص لشكر الله على تعدد المواليد وعلى المحصول الجيد فى الموسم السابق ، وهذه حفلات للمجتمع كله وتحدث مرة واحدة كل عام فى موسم الزرع .

٢ ـ حفلات الرقص التى تقيمها الاسر فرادى للاحتفال بمولد طفل أو لطلب المعونة اثناء المرور الطويل للطفل الذى لم يولد بعد حتى يصل الى عالم الحياة .

٣ ـ حفلات الرقص الذى تقوم به النسوة الحاملات التماسا للولادة الجيدة وللاخصاب المستمر وللنعمة المستمرة .

٤ ـ حفلات الرقص التى يطلق فيها اسم على المولود ذلك لان الطفل لا يعتبر فردا من قبل حتى يطلق عليه اسم .

على أن هذا الحديث عن أنواع الرقصات لا يشتمل على الرقصات التى تقوم بها الجمعيات السرية ولا التى يقوم بها الموفى أو المتطببون الذين يزعمون الدراية بشئون الطب ، ولا يشتمل كذلك على الرقصات التى تجرى فى المناسبات الفردية فالماكبا مثلا لا يعقدون حلقات الرقص الا عند مولد التوائم

ـ ٤ ـ

الرقص عند التكريس للشباب من الجنسين

ويقال للمجموعة التاليةمن الحفلات الدينية المظيمة بمجموعة التكريس أو بالمعنى الاصح فترة التكريس التى تعرف باسم فترة البلوغ، وربما كانت هذه أهم الفترات التى يجب أن يمر بها الرجل .

ويستخدم هذا الاصطلاح بالنسبة لكلا الجنسين .

ويعنى التكريس بالنسبة للرجل فى بساطة : أن الرجل لا يستطيع العيش فى خوف ، وانه يجب أن يواجه الخوف وان يقهره لا أن يقهر به ، وكيان الجماعة يتوقف على الافراد داخل هذه الجماعة ، والشخص ضعيف موضع تهديد لهذه الجماعة التى هو من أفرادها ومن ثم فان الفرد من صباه يعد جسمانيا وسيكلوجيا لاحتمال أقصى التجارب ، وفى وقت محدد يختلف باختلاف القبيلة فانه يوضع فى مواجهة الخوف ، وقد يكون فى صورة الراقصين الذين يضعون الاقنعة على وجوههم ممثلين عودة الاسلاف الى الحياة ، أو أن يكون فى صورة الصمت والوحدة ، أو قد يكون ممارسة التخويف والاخافة بالالم البدنى والجوع والظمأ ، أو بالنصف المرتفع كالرعد من أشياء مرئية وغير مرئية ، ومهما كانت الصورة التى يجىء فيها الخوف فانه يجب أن يقهر ويتم القضاء عليه .

وأولئك الذين ينهزمون أمام الخوف يظلون طوال حياتهم معتبرين كأطفال ولا يتزوجون ويكونون دائما موضع امتهان المجتمع ، أما الذين يتغلبون على الخوف فانهم ينتقلون الى مرحلة تالية كرجال ونساء فى مكتمل النمو على اتم استعداد للقيام بدورهم ودورهم فى الحياة ، وتتم عملية الطهارة عادة مع عملية التكريس ، وفى بعض المناطق لا تزال تجرى عملية قطع الزوائد للطهارة .

والشخص الذى يكرس رجلا كان او امرأة يرقص بقوة وزهو لانتصاره على الخوف ، وهذه الرقصات مليئة بالنشاط والحركة وفى طابع مستحدث حتى لتبدو وكأنها بنت ساعتها . ولكن الحقيقة أن الطفلة والطفل اثناء طفولته وصباه يعد فى مدرسة الغابة ويعلم هذه الرقصات ، ولا يصحب هذا التعليم فقط بالحرص على دقة التوقيت والتنفيذ بل يحرص أيضا على أن يصل التنفيذ الى درجة الكمال .

والواقع أنه عندما يقهر الشخص الذى يمر بمرحلة التكريس ، عندما يقهر الخوف فانه يضيف الى شخصيته نطاقا جديدا ، فهو قد عاش مرحلة الخوف ، وهو قد وأجه الرعب ، وقد توافرت له فى أعماق نفسه القوى القاهرة فهو اذن أشبه بالبركان البشرى ، وقد جعلت منه هذه التجربة ما يشبه العربة التى يمكن أن تثب بها روحه الى السماء ، وهو اذا كان فى الماضى يثب لانه يستطيع الوثوب بقدر محدود فانه الآن قد قهر قوانين الجاذبية كلها فهو يستطيع أن يدور فى الفضاء وهو يستطيع أن يخترق

الارض لقد غاب عن القرية طفلا ولكنه يعود اليها الآن رجلا .

حفلات الرقص للخطوبة والزواج

وتحتفل بالخطوبة والزواج أكثر القبائل بعقد حلقات الرقص ، وعلى الحواف الجنوبي لارض (أوراندي) فى هضبة البحيرات ترقص الفتيات عندما تتقبلن عروض الزواج وتقلدن الطيور ذوات التيجان فترفص فى دائرة ، ثم فى خطوات أشبه بالوثبات القصيرة تعددن عبر المنحدرات الجبلية الخضراء حتى تختفين فى المزروعات العالية .

على أنه فى أغلب المناطق تعتبر حفلات الزواج هى المناسبات للصوم والرقص ، وقد تكون هذه الحفلات بسيطة ، فبعد ان تتلقى الفتاة من بعض النسوة كبيرات السن التوجيهات عن دورها فى الحياة كزوجة صالحة فانها تحمل متاعها وتتبع زوجها الى منزله .

وأحيانا قد تجتمع القرية كلها للرقص الذى قد يستمر لمدة طويلة حتى بعد أن تكون الزوجة قد ذهبت الى منزلها الجديد .

الرقص عند وفاة عزيز

والمرحلة الاخيرة على ما يقول «اليوشنجو» هى مرحلة العودة ، مرحلة الموت ، واذ ذاك تكون كل أرواح الاسلاف مجتمعة للعودة أما لمساعدة أو لعقاب الاحياء ، وفى بعض القبائل عندما يموت شخص ما فان واجب الاحياء أن يقيموا حفلا راقصا حتى لا تشعر روح المتوفى بالوحدة ، واحيانا لتشجع الروح بالرقص والغناء لتسافر الى مكان الراحة قبل العودة ويقال انه فى بعض المناطق يستمر الرقص لشهرين ونصف شهر بعد وفاة احد زعماء شعب « لامبا » فى روديسيا الشمالية .

والاعتقاد بأن أرواح الاسلاف تظل باقية فى العالم المرئى حول الذين هم سلالتها

كان دائما السبب الرئيسى فى المشاكل والمنازعات بين الاوروبيين والافريقيين عندما كان يراد نقل قرية بسكانها لافساح الارض لشق طرق أو اقامة مبانى لهيئات حكومية أو للاوروبيين ، ذلك لان الارض لا تخص الاحياء وحدهم ، بل تخص الاحياء والاموات معا ، وهذه الارض عقيدة تتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل ، فترك الارض اذن يعنى ترك الاسلاف وهجرهم وكذلك ترك الاماكن التى لها قدسيتها لان فيها بقاياهم ، فالرقص اذن جزء من البقاء والوجود والفناء ، ولا يمكن أن يبقى جزء دون نفوذ ومؤثرات الاجزاء الاخرى التى تكمل معا الكيان كله .

وتكمل دورة الحياة بالعودة لغير المرئى ، والاعتقاد العام بان لا يسمح بالنواح والبكاء عند حدوث الوفاة انما يقوم على أساس عدم الرغبة فى اساءة مظاهر الرقص والغناء ودقات الطبول ومظاهر السرور التى تبدو فى الطابع العام للحفل .

صحيح ان هذا كله يجرى تحت سيطرة بسبب أن التقاليد دائما هى التى تقرر متى يمكن أن يكون البكاء ، وفى الغالبية تستأجر النائحات المأجورات للنواح من ساعة وفاة الشخص حتى مواراته التراب ، وليس لدى الافريقيين شخص او شيء أو موقف ليست له صورة ثنائية فى حد ذاته ، فلا خير بلا شر ، ولا سعادة بلا حزن ولا قوة بغير ضعف ولا كبرياء دون عار وشين ، ولا حياة بلا موت .

وهكذا فان نواح النائحات « وتمرغهن » فى التراب لهو الطابع المضاد للرقص الذى يقوم به كل الافراد الذين يتجمعون من القرية والقرى المجاورة .

أى مرحلة من حياة القبيلة هى مناسبة صالحة للرقص .

ولكن هذه المناسبات لا تكفى للناس الذين يعيشون باللغة السحرية لغة الرقص ، فهناك رقصات تصحب الصيد حتى بين القبائل التى صار الرقص فيها « الان » حرفة من حرف الماضى البعيد ، فهم يتدثرون فى جلود الحيوانات المتوحشة ويمثل البعض الحيوانات التى تختفى فى الغابة على حين يمثل البعض الاخر الصيادين الذين يطاردون هذه الحيوانات .

ومن الرقصات التى تعتبر ايضا من تراث الماضى الرقصات التى يمارسها المحاربون ، واليوم قد بلغ كل هؤلاء المحاربين القدامى

مرحلة متقدمة من السن الا انهم لا يحتاجون الا لاقل الهمسات حتى يســتعدن طاقة الشباب ، صحيح قد بلغ اغلبهم من العمر عتيا ولكن عندما تعلو صرخات الحرب ودق الطبول ويبدأ الغناء فان كل تجاعيد الوجه تغيب وتصير الاجسام قوية وتتفتح الاعين اختراق سجف الحاضر .

والرقص هنا تمثيلى ومع انه لا وجود لعدو الا ان صيحات الحرب ودقات الطبول تجعل هؤلاء المحاربين القــدماء تنصلب عيداتهم وتشتد ، وتهتز الارض تحت وقع اقدامهم وهم يدورون ويتقدمون ويرتدون ثم يشدون على العدو فى اقتحام وقد تجمعوا فى صف واحد كالبنيان فيسقط العــدو الوهمى الذى لا وجود له على الارض وتنتهى المعركة بالنصر .

على أن هناك رقصات لافراد صــناعات خاصة وعلى سبيل المثال لا الحصر هنــاك الرقص الذى يقوم به عمال البرونز من بنين نيجيريا ، وهذه الرقصات هى التى تمكن المشاهد من ان يعرف صناعة الناس الذين يرقصــون .

وبعض الرقصات تكون مصحوبة بقصــة يقصها الراوى على مثال القصص الشعبى الذى يقصه الراوى فى الريف مصــحوبا بموسيقى الرباب ، والقصص الذى يقصه الرواة مع الرقص الافريقى لهو التاريخ القبلى يرويه الراوية بكلمات وتكمل الرقصــات بعض المشاهد التى يصفها الراوية

وللجماعات السرية رقصاتها .

وللمتطببين رقصاتهم الخاصة بالعــلاج والمرض ، رقصات لابعاد الامراض والاوبئة ورقصات لعلاجها .

وهناك رقصات للترحيب بالضــيوف ، ورقصات لتولى الزعامة والرياسة .

ومن اهم الرقصات التى تستحق المشاهدة رقصة « الاتيلوجو » التى يرقصها شــعب « الايبو » فى نيجيريا ، وفى اثناء الرقص يدفع

وهناك رقصـــات للترحيب بالضــيوف ، كل ذكر عقيرته بالصياح لسروره بأنه لايزال يعيش فى العالم ، والراقصون العمالقة من « الواتوسى » بيهم سحر وقوه لهم المطر الجميل الذى للطائر ولونباتهم خفة وسرعة البرق . ويقولون اثناء رقصهم للترحيب بالزعيم الذى يتولى الحكم « انه عنــدما يتكلم لا يستطيعون الحركة فاذا غاب يجب ان لايراهم احد لانهم هم صوته ، وعنــدما يرقصون يهز النبعات التى تغطى رؤوسهم وتهتز الاجراس التى يعقلونها فى ببابهم فتردد الجبال اصداءها وتلمع بشرتهم تحت اشعة الشمس .

ان مناسبات الرقص . ولكننا نستطيع ان نقول فى ايجاز بأن أى مناسبة فى حياه القبيلة هى مناسبة صالحة لعقد حلقات الرقص . وللرقص تاثيره السحرى القوى فهو كالروح التى تجعل الجسم يطير بلا جناحين ،وينشد دون أن تخرج أى أصوات من بين شفتيه ، فالرقص سحر لانه هو الحياة .

الرقص : قيمته ومكانته .

ولكن من هو الراقص الافريقى ؟

وهل يقوم كل فرد بالرقص ؟

وقد يكون من الافضل الاجابة على السؤال الثانى اولا ، ومع ان كل فرد فى القبيلة يقوم بالرقص فى مناسبة أو فى أخرى الا انه لايمكن القول بان كل فرد يرقص ، ذلك لانه هناك كبير فرق بين الراقص المدرب وبين الشخص الذى هو وحده يمكن أن يقول عن نفسه انه يرقص ، وبعض الاخرين هم الذين تعلموا رقصا تخاصة لمناسبة تكريــهم والذين يسرهم أن يتحدثوا بأجسامهم وبعض هؤلاء قد يرقصون رقصا جيدا ولكنهم مع هــذا لا تعتبرهم القبيلة أنهم من الراقصين .

اما الراقص الافريقى المحترف فهو الذى يدرب من طفولته ليكون راقصا ، وهو عندما يبدى مهارة خاصة فى لغة الرقص فان اهله يدفعون به الى راقص درب يكون عادة اكبر الراقصين سنا واقدرهم على الرقص

وبالاضافة الى التدريب على الرقص لمرحلة البلوغ والاكتمال الجسمانى وهو الرقص الذى يدرب عليه كل الاطفال فان الراقص المحترف يدرب على الرقص التقليدى ، وهو يتعلمه

فى ذات الصورة التى تعلم عليها اسلافه وبذلك تنتقل حركات الرقص من جيل الى جيل وتظل لها سماتها الاصلية لا تتغ .

فاذا ما اتم الراقص هذاالتدريبالتقليدى شجع على ان يبتكر داخل الاطار التقليدى العام

على ان الاهم من هذا ، الاهم منالموسيقى والخطوات فانه يعلم اغراض الرقصووظائفها ويقال له انه ليس بفرد واحد بل انه هو القبيلة بكل كيانها ، وان جسمه الة يستطيع ان يتحدث بها لقومه ، وان هذا الجسم لايجب ان يهمل بل انه يجب ان يكون دائما فى لياقة تامة ليقوم بالرقص فى كل وقت .

وفى الايام القديمة كانت للراقص مكانته العالية فى القبيلة ، فهو كان لازما ضروريا لاغنية عنه فى الاحتفالات والاعياد والمناسبات من كل الالوان والصور ، وفى مقابل قيامه بالرقص تتولى القبيلة طعامه وكسائه بلوكل احتياجاته فى الحياة حتى عند البناء بزوجة

وفى خارج المجتمع المباشر الذى يعيشفيه لا يعرفه احد باسمه بل يعرفونه منسوبا الى قبيلته ، فهو الذى يمثل القبيلة وهو المسئول عن سمعة الجماعة ، ومع انمكانة الراقص تقل اليوم فى دنيا الطرق المرصوفة والسيارات والطائرات ، الا انه ولا شك لا زال له احترامه .

ولا يمكن فى الواقع ان نتحدث عنالرقص فى افريقية دون ان نذكر بضع كلمات عنثياب الرقص .. وعن الموسيقى ، وكل لون من الوان الرقص الثياب الخاصة به ، ولاتخرج كلمة الثيات هنا الى المعنى الحرفى أى الى الاردية والكساء من القماش فقد يعنى بالكساء ما يتدثر به الراقص من جلود الحيوانات أو من ريش الطيور أو من الصباغ والالوان التى تغطى وجهه وجسمه

وفى بعض الرقصات يغطى الراقصون كل قطعة من اجسامهم حتى عيونهم تخفى وراء اقنعة من القش احيانا ونجد هذا عند قبيلة « المنجوانى » وعن « البابندى » وفى بعض الرقصات يمكن الراقص من الوثوب فى الفضاء بأن تعد منصات عالية يثب من فوقها على مثال مانجده فى ريف ليبيريا بعيدا عن الساحل ، ويتزين الراقصون أحيانا بحلى من الذهب كما عند شعب « البنيين » فى نيجيريا .

وعند البوشنجو فى كونغو ليبولدفيل يتدثر الراقصون فى الاقمشة الملونة الزاهيةالالوان وراقصو «الاشياكا» عند الواتوسى يتدثرون فى اقمشة بيضاء وسوداء وحمراء وأحيانا فى جلد النمر ويغطون رؤوسهم بأوراق الشجر الموز .

وراقصو «النريبلى» فى جنوب افريقية يصبغون ثيابهم بالالوان الازرق الفاتحوالاحمر والاسود مع حبات من الزجاج الابيضويضعون فى أطراف سيقانهم من اسفل فوق الاعقاب حلقات من النحاس .

وعلى نقيض هذا كله نجد الراقصون الذين يرقصون عرايا بغير ثيابعدا اجسامهم الابنوسية اللون .

وبين هذين النقيضين من الثياب الملونة الى العراء الكامل نجد القماش والخشب والمعدن والريش واوراق الاشجار والاقنعة والاصباغ والعظام فرادى أو مقترنة ببعضها لتكوين مايعتبر كساء رسميا للراقصين

ومع ان هناك رقصات تجرى فى صمت وسكون كرقصات الصيد او الرقصات التى تقوم بها بعض الجماعات السرية الا ان الرقص يصحب عادة بموسيقى ، وتختلفالات الموسيقى وتتعدد ، ومع اننا نجد الدفوف والطبلات والبوق والصفارة والناى الا ان هذا لايعتبر القاعدة العامة ذلكلان كلمايحدث صوتا عاليا يمكن ان يكون له صداه يصلح لان يعتبر الة من الالات التى تحدثموسيقى تصحب الرقص

واصدام الاساور النحاسية وضربات الاذرع المبتلة بالعرق على اجزاء الجسم المبللة به أيضا يمكن أن تحدث أصواتا لها نغماتها

والموسيقى الافريقية مثلها مثل الرقص عملا لايجهد من يمارسه ، وليست الفكرة

هنا ان يعلم الفرد ليستخدم الطبل او الدف او الصفارة أو حتى يطرق رقا من النحاس بيده او بوساطة عصوين صغيرين .. وانما الفكرة هى الموهبة والذى ينغمسر بكلياته وجزئياته فى الموسيقى مسحورا بالرقص والغناء وبذلك يمكن ان يكون حتى للطبل العالى الصوت عندما يدق عليه هو هو النغم الساحر الحنون الذى يستثير من يسمعه ، ولا يكون الشخص فى هذه الحال عازفا على الة موسيقية بل هو يكون هو الالة التى تعزفه لانها تكون قطعة من جسمه ومن روحه .

ان دراسة الرقص الافريقى تتطلب المعرفة والالمام الصحيح بالعقائد الدينية فى افريقية ذلك لان الرقص جزء متكامل مع العقيدة .. صحيح ان الارجل والاذرع والرؤوس والاجسام تهتز ولكنها فى الواقع انما تهتز لتعبر عن شيء اعمق وابعد من المظهر العام الذى لها .

والوان الرقص الافريقى على اختلافها مليئة بالحيوية ، وفيها دينمالية واشعاع سواء اكانت مجرد خطوات وئيدة او كانت وثبات عنيفة قوية فى الفضاء .

وهذه الحركات للوثوب والهبوط والاهتزاز والانكباب على الارض تتطلب مهارة الراقص للتوازن .

على أنه بالرغم من أن الرقص الافريقى يختفى من المدن بل وقد يمكن القول بانه يختفى من الغابة لان حياة المدن تزحف فى كل الاتجاهات الا ان الروح التى كانت مسئولة عن الرقص وعن طوابعه المثيرة بالامس لايمكن ان تضيع وان تزوى بل انها فى يوم ما لابد ان تشب وثبتها القوية واذ ذاك سوف يعود الرقص الافريقى الى ازدهارة وعندئذ سيرحب به العالم ليحل مكانه الصحيح بين القوى الخلاقة المعبرة فى حياة البشر ..

((عبد الفتاح ابراهيم))

رسائل القراء

تلقت المجلة الرسالة الآتيــة من المــواطن الاريتــرى ((ر. مرانت)) ((السيد رئيس التحرير)) ..

أنا أحد أبناء ارتيريا ومن قراء مجلة نهضــة أفريقية التى نالت الاعجاب والتقدير ، وبخاصة من القارة التى أطلق عليها المســتعمر الابيض اسم القارة المظلمة ، أو القارة الســوداء بينمــا هى الان تنفجــر بالــوعى ، وبالنبض الحار ، ويهمنى أن أقــدم المعلومات الآتيــة عن بلدى .. عن أريتريا .

فهى تقــع فى الشرق الافريقى ، وتحــدها من المغرب جمهــورية السودان ، ومن الشرق خليج عدن ، ومن الجنوب أثيوبيا والصومال ، كما يحدها من الشمال البحر الاحمر ..

وقد عرفته هذه البلاد الغزاة من أتراك ، وايطاليين ، وبريطانيين شأنها فى ذلك شأن كثير من الدول الافريقية ، ثم جاءت بعد ذلك أثيوبيا ، وضربت على البلاد ستارا حديديا .

ثم ان الخطير فى الامر ان ارتيريا ستصبح ان عاجلا أو آجلا ((فلسطين أخرى)) فى شرق القارة الافريقية ..

وذلك لان اسرائيل اليوم فى بلادنا تزرع ، وترعى ، وتبيع ، وتشترى ، بكل حرية ، ومن غير أى عائق يقف فى طريقها ، وذلك بعد أن منحتهــا حكومة أثيوبيــا أخصب الاراضى الزراعية الموجودة عندنا ، وذلك بعد أغتصابها من الاهالى ، لتكون ((وطنا)) للمهاجرين الاسرائيليين الذين أخذوا يزرعون فيها بحرية ، ويربون قطعان الماشية التى يشترونها بثمن بخس ، ثم يصدرونها الى اسرائيل بعد ذبحها ، وتعليبها ، بوساطة شركة تسمى شركة ((ماركل كوديل)) فى أسمرة ، وبهذا قضوا على بعض التجار من المصريين ومن اللبنانيين ..

فاذا أضفنا الى ذلك ان اسرائيل تغمر الاسواق بمنتجاتها .. عرفنــا مقدار الخطورة الذى سيترتب على هذا التسلل الاسرائيلى ، ومن هنــا فنحن نهيب بالدول الافريقية العربية من أجل مناصرة قضيتنا .



« اسرة المجلة تستقبل « ماما سعيدة » زعيمة الاتحاد النسائى الكينى
فى زيارتها للقاهرة »

ISSUE No 70 — SIXTH YEAR — SEPTEMBER 1963

RENAISSANCE OF Africa



العدد ٧١ السنة السادسة - اكتوبر ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



زائر من زامبيا



الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وفد زنجبار الى يمينه محمد الشمتى رئيس الوزراء وعيداروس باعليوه وزير الصحة ومولودى مشانجاما وزير التعليم وأحمد ناصر مدير الانتخابات • والى يساره على محسن وزير الداخلية وجمعة على وزير المالية

نهضـــــة افريقيــة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضه افريقية
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
تليفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهوريه العربيه المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .



نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى..

ان الفتنة التى تستعل الآن فى البلد الذى استقل أخيراً ، والذى رفع علمه على دماء مليون شهيد .. يقف اليوم فى محنة ، قد تكون من أقسى المحن الذى مرت به ، لان ((العدو)) هنا ليس عدواً خارجياً مرتعد الأوصال ، يحس أنه يقف على أرض مهتزة ، وانما العدو هنا داخلى من لحم الجزائر ودمها .. العدو هنا يتمثل فى المتمردين الذين أعلنوا عصيانهم من ((جبال القبائل)) ، وفى تلك القوى الرجعية التى تحيل الحدود بين الجزائر والمغرب الى اشرطة من الجحيم ، وفى هذا التوتر الذى يملأ نفوس الناس بالشوك .

لقد فتح شعب الجزائر ذراعيه لاستقبال الحياة بعد أن غرس أيامه فى الدماء ، وأقحم حاضره فى الأشواك من أجل الحصاد ، ولقد كان الحصاد رائعا .. كان جمهورية فتية تحتضن الاشتراكية ، وآمال الشعب ، والنبض الثورى لا فى الشمال الافريقى فقط ، ولكن فى كل أفريقية .

ولكن الزراع الذين ينحنون اليوم على البذور ، والذين يكدحون فى ظلال الزيتون يرون اليوم من يشغلهم عن هذا الحصاد ، من يشوش قلبهم النقى ، وآمالهم الصافية .

وها نحن نراهم اليوم يضغطون على ((القوى المعوقة)) وينصتون الى ((نداء السلام)) الذى أطلقته الجمهورية العربية المتحدة ، من أجل ((جزائر سعيدة)) ومن أجل أفريقية فتية موحدة من الداخل ، رغم أنف الرجعية ، والاستعمار ، وكل أعداء التقدم فى الحياة .

عبده بدوى

فهرس العدد

زائر من زامبيا

بقلم : محمد عبد العزيز اسحق

كان الليل قد انتصف وخيم الصمت والسكون على الصحراء الشرقية الممتدة من مصر الجديدة الى البحر الاحمر .

ولكن بقعة مضيئة هائلة كانت تثقب جلباب الصحراء وتطل منه بآلاف العيون الخفاقة البراقة وتزخر - كخلية النحل - بالمسافرين والمودعين والقادمين والمستقبلين .. تلك هى مطار القاهرة ..

وفى بهو فسيح أنيق أعد للترحيب بالنخبة الممتازة من ضيوف الدولة ، كان مندوب يمثل رأس الدولة يتطلع عبر الستائر الشفافة الى طائرة فاتة تحوم فى الفضاء وتلتمس نزولا آمنا على المجرى الاملس الطويل ..

وام اكن ، فى تلك اللحظة ، أعيش فى البقعة الوضاءة من صحرائنا الشرقية ، وانما كنت أذهب بخواطري الى بعيد ، فى المكان والزمان .. كنت أعود عبر المكان الى ((اكرا)) عاصمة غانا ، وعبر الزمان الى عام ١٩٥٨ .

فى الخامس والعشرين من ديسمبر من ذلك العام رأيت « كنيث كاوندا » لاول مرة .

كان يقف فى احدى ردهات « بيت الشعب » ، الذى انعقد فيه أول مؤتمر للشعوب الافريقية ، ومعه صديق طواه الموت بعد ذلك بعامين ، هو المرحوم «جون كاليه» .

وعرفنى ((جون كاليه)) بالسيد الفارع العود ، اليقظ العينين ، العامر الصوت ، النافر الشعر ، القادم من ((زامبيا)) ...

كان ((كاوندا)) منذ أول لقاء لايسير الى وطنه باسم ((روديسيا)) الذى كان يصمها بالانتساب الى داهية الاستعمار العتيد ((سيسيل رودس)) ، وانما كان يشير اليها ، وهو واثق من النصر فى الامد البعيد ، باسمها الافريقى التاريخى العريق ..

و عند ما انتهى المؤتمر الذى زود قلوب من حضروه من القادة بشحنات من المتفجرات العاطفية الوطنية .

بقى جماعة منهم ((كاوندا)) ، وبقيت كذلك أياما طفت خلالها بمنطقة «الاشانتى»

وعدت الى العاصمة أجول فى أحيائها الوطنية ، وأتأمل أسواقها الشعبية واتذوق مطعوماتها الطريفة الحريفة .. وهناك ، أمام كانون على الرصيف يشوى عليه مواطن غانى — أصابع — او على الاصح — أذرعا من الموز الضخم لمحت « كاوندا » ، ولمحنى فى نفس اللحظة فنفجر ضاحكا وهو يقول :

انني اكتشفت هذا الشواء بأنفى من مسافة بعيدة .. هل لك فى قضمة منه ..؟!

وسرنا معا ، وهو يقول ، بين الجد والدعابة :

انني لا أبذر دراهمى المعدودة فى مطاعم « أكرا » الفاخرة ... ثم انني لا أكل اللحم ، ولن آكله حتى تستقل « زامبيا » ..

وذكر لى « كاوندا » قصة امتناعه عن أكل اللحوم فقال ان حوانيت الجزارين فى بلاده لا يستطيع الوطنيون أن يدخلوها من أبوابها ، وانما عليهم أن يقفوا صفا أمام نافذة نافذة ضيقة خلفية ، مما ربط اللحم فى ذهنه بالمهانة والخضوع .. وهكذا نذر المناضل الوطنى المتصوف ألا يأكل لحما الى أن يستطيع هو ومواطنوه أن يشتروا اللحم كما يشتريه السادة الاحرار .

وكان نسيم البحر يحمل الى أسماعنا موسيقى منبعثة من احد نوادى أكرا الليلية وأظنه المسمى « سى فيو » ، وانبسطت أسارير « كاوندا » وأخذ يترنم بأغنية عاطفية لم أدرك من ألفاظها شيئا — فقد كانت بلغة الـ « نياتجا » — ولكن انسيابها بين طبقات صوت « كاوندا » قد ذهب كل مذهب بأوتار قلبى ..

* * *

وصحوت من خواطرى على هزة يد قوية واشراقة ابتسامة نابضة ، وعاد معنا « كاوندا » الى القاهرة وهو « **الوزير الاول** » الذى يحتفى به الشعب البسيط الفنان المعتز بعقله وشعوره وارادته جميعا .

وفى القاهرة عكف « **كاوندا** » بعقله على مراكز التخطيط والتصنيع و « غزو الصحراء » وأخذ يدرس ويدون ويستوضح ، ويقول لمن يقابله من العلماء والباحثين :

أريد ان أبنى **زامبيا** » على الاسس العلمية التجريبية التى أقامت عليها الثورة المصرية هذه المنشآت العظيمة وحققت بها هذا التطور الاجتماعى والاقتصادى ، ونسقت بها هذه الشبكة الواسعة من الخدمات الصحية ، وحققت بها انتصار ارادة الحياة حينما مناطق من الصحراء الى حقول وبساتين تفيض بالخيرات .

وكانت هذه التجربة المثيرة « **تعمير الصحراء** » هى أشد ما جذب انتباه « كاوندا » ودفعه الى مغالبة الضعف والارهاق ليشهدها بعينيه .. فقد كنت حدثته عن التجربة التى حدثت بمديرية التحرير والتى اعتمدت على شق قنوات للرى من فرع رشيد ، والتجربة التى حدثت بمنطقة وادى النطرون والوادى الجديد ، والتى اعتمدت على المياه الجوفية والابار الارتوازية ، فوطد العزم على أن يزور تلك المناطق بعد أن يطوف — دارسا — بالمعهد القومى للبحوث ومصانع الحديد والصلب وبعد أن يلتقى بالمسئولين فى عدد من القطاعات .

وحل اليوم الاخير للزيارة وقد رسمناه من قبل على أن يكون رحلة من القاهرة الى الاسكندرية ، عبر الدلتا ، ثم عودة من الاسكندرية عن طريق الصحراء .

وعند ما حان الموعد ، كان « كاوندا » فى حالة صحية لا تكاد تأذن بالحركة من الفندق فنصحت له بألا يحمل نفسه ما لا يطيق ، ولكنه أبى وتحامل على نفسه وقضى يوما كاملا يتفقد دلتا النيل ومناطق وادى النطرون دون أن يتذوق طعاما . ولم يفف لحظة عن المشاهدة والتأمل والسؤال والمراجعة عن شئون الارض الطيبة الخضراء والذين يفلحونها بنشاط ومثابرة ولا يتركون لها ، ولا لانفسهم فرصة من الراحة على مدار العام .

وكان « كاوندا » يقول وهو يرى شبكة قنوات الرى التى تسرى كالشرايين وسط الحقول :

كم أتمنى أن يأتي خبراؤكم ((ليفصدوا)) فى بلادنا قنوات من ((نهر الزمبيرى)) وكم أرجو أن يأتى بعض فلاحينا ليروا كيف يعمل الفلاح المصرى العريق ..

ولم يكن وقت « كاوندا » كله منصرفا للعلم والبحث والتدوين ، وانما وجدت السياسة نصيبها من تفكيره حينما دعى الى « الرابطة الافريقية » ووقف على منصة ليواجه صيحة حشد من قادة النضال الوطنى :

ماذا ستفعل بـ ((زامبيا)) وماذا تنوى لاقاليم أفريقيا المستعبدة ، بعد الاستقلال ..؟

وتدفق « كاوندا » متحدثا عن التركة المثقلة بالاعباء والقيود والتبعات ، ولم يخف عن سامعيه ما ينتظره من عوائق تحتاج ازالتها الى نضال لا يقل مرارة عن النضال من أجل الاستقلال ..

قال لهم :

عند ما تستقل « زامبيا » ستجد نفسها دولة لا منفذ لها الى العالم الخارجى الا عن طريق مستعمرات البرتغال : انجولا فى الغرب ، وموزمبيق فى الشرق . وفى شمالنا الكونغو الذى تجتاحه الفوضى ويخيم عليه شبح تشومبى وفى جنوبنا حكومات المستوطنين الاوروبيين العتاة .. بل ان فى صميم بلادنا — فى المناجم الممتدة على طول « حزام النحاس » — سوف نجد كل الخبراء والعمال الفنيين اما من المرتزقة الاجانب أو من مواطنى « فيرفورد » دعاة التفرقة العنصرية واعداء الافريقيين .

ان علينا أن نبنى « زامبيا » بهدوء وثبات حجرا بعد حجر ، وعلينا الا نستجيب للاستثارة أو نتعجل الاحداث . وعلى الدول الافريقية القوية الناهضة ، وعلى رأسها مصر ، ان تدعم نهضتنا واستقلالنا ، ففى ذلك تدعيم لنهضتها معى واستقلالها ..

وعلينا نحن الوطنيين فى « زامبيا » أن نفتح أبوابنا وبيوتنا ومعاهدنا للمناضلين وطلاب العلم من الاقاليم المضطهدة المجاورة وأن نأخذ مكاننا فى «منظمة الوحدة الافريقية» وأن نقتبس من العالم الخارجى ما يغذى وجودنا الثقافى والفنى والسياسى دون أن يطغى على طابعنا القومى أو يضعف روحنا الوطنية .

وعندما ذهبنا نودع ((كاوندا)) الى المطار ذات ليلة أخرى ، نظر من بعيد الى أضوائه المتلألئة وقال وكأنه شاعر حالم :

ليس هذا مطارا فحسب ، وانما هو منار لافريقيا ....

محمد عبد العزيز اسحق



كينيث كاوندا يتحدث الى نهضة أفريقية

فى أثناء زيارة الدكتور كينث كاوندا لمقر هذه المجلة التقى به أحمد سعيد عبد الحليم . . . وكان سؤال وكان جواب :

س : كانت روديسيا الشمالية جزءا من اتحاد وسط أفريقيا ـ روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند ـ وكنت تحارب هذا الاتحاد وتقف ضده الى أن وفقت الى الحصول على قرار بحله ـ لماذا كنت تحارب هذا الاتحاد وما هى الخطوات التى اتخذتها لتخليص روديسيا الشمالية من قيوده .

ح : كنا نحارب هذا الاتحاد ـ الذى يسمى اتحاد الروديسيات ونياسالاند ـ لانه كان يضع كل القوى المادية والمعنوية فى أيدى حفنة من الاوروبيين المستوطنين فى بلادنا . ومعنى ذلك أن السكان الافريقيين لم يكن أمامهم سبيل للرضى بهذا الاتحاد على الاطلاق . وعلى الرغم من أن عددا كبيرا من الافريقيين قد ألقى بهم فى غياهب السجون وبعضهم قد أصيب وبعضهم قد قتل الا أن نتيجة الكفاح سوف تتحقق أو أوشكت أن تتحقق .

ويسرنى أن أعلن الان انه بعد ان نتخلص من هذا النظام فاننا سوف نعكف على خلق مجتمع فى بلادنا يقوم على التعاون الديمقراطى الاشتراكى . وهذا المجتمع الجديد سوف لا يقوم على أى تفرقة أو تمييز بين عنصر وعنصر أو بين قبيلة وقبيلة وانما سيكون الاعتبار الاول للعوامل الانسانية وستكون العدالة هى الرائد الاول فيه .

س : يوجد أقلية بيضاء فى روديسيا الشمالية .. فما هو مستقبل هذه الاقلية بعد حل الاتحاد .

ح : نحن نحاول أن نحذو حذو الجمهورية العربية المتحدة فيما يختص بالمعاملة الانسانية التى تقوم على نبذ التفرقة العنصرية . فاذا كان المستوطنون الاوروبيون سيحترمون قوانين البلاد وأنظمتها ويتصرفون تصرف المواطن الصالح فلن نمسهم بشىء أما اذا لم يحترموا القوانين فسوف لا يكون لهم مكان بيننا . وعلى وجه العموم فنحن نقصد ونعتزم ادارة بلادنا بطريقة أحسن من الطريقة التى كان يدبرها بها الاستعمار . فسوف يكون هناك شعب واحد وقانون واحد ودولة واحدة ومن يخرج على القانون فلا مكان له بيننا .

س : اقتضى منك الكفاح والجهاد دخول السجن أكثر من مرة فهل لك ذكريات فى هذه الفترات .

ح : أذكر أن آخر مرة اعتقلت فيها أن

تم الاعتقال فى منتصف الليل وكان كل الناس نياما وأرسلنا الى مكان بعيد عن المدينـــة وحجزنا هناك ما يقرب من ثلاثة شهور أنا وزملائى . وكنت مسجونا فى مكان ضيق جدا لا أســـتطيع الحـــركة فيه . وقد اشـــاع الاستعماريون عنى قبل أن أصل الى المعتقل انى من أكلة لحوم البشر حتى يخافنى الناس ولا يقدمون لى أى معونة أو مساعدة . وطبعا تبين كذب هذه الاشاعات الاستعمارية . أما فى المرة التالية فقـــد ارسلت الى السجن محكوما على بتســـعة شهور وستة شهور اضافية وكانت المعاملة التى لقيتها معـــاملة السجين العادى .

س : وما هو السبب المباشر الذى جعل الاستعماريون يلقون القبض عليك فى الفترة الاخيرة .

ح : أعتقـــد أن السبب هو الخطـــة الاستعمارية المشهورة التى ترمى الى اعتقال الزعماء لالقاء الرعب فى قلوب أتباعهم . الا أن كل ذلك لا يؤدى الا الى نتيجة واحـــدة وهى مواصلة ونجاح الكفاح الوطنى .

س : بصفتكم وزيرا للشئون الاجتماعية فى روديسيا الشمالية . هل من الممكن اعطاء صورة عن المجتمع فى بلادكم وخططكم لتطوير هذا المجتمع والنهوض به .

ح : عندنا عدد كبير من المشـــاكل التى تنتظر الحل وأهم ملاحظة عامة على حالة المجتمع هى التفاوت الـكبير بين الاقلية الغنية التى تمتلك الثروات وبين الاغلبية الفقيرة . ومن أهم الاهداف التى نرمى اليها فى المستقبل رفع مستوى المعيشة وتوفير العمل للمتعطلين وتوفير الغذاء للمحتاجين . وهناك مشـــكلة كبار السن ومشكلة العجزة الذين يحتاجون للرعاية . وأنا واثق اننا عند ما نتولى السلطة تماما فاننا سوف نجد التعاون التـــام من جميع أفراد الشعب لحل هذه المشـــاكل والقضاء عليها .

س : هل من الممكن اعطاء صورة للحيـــاة الفنية فى بلادكم .

ح : من حسن الحظ أن ماضينا لم يتدثر تماما ولم نتأثر بالافكار المسمومة التى حاول الاستعمار أن يدسها علينا ونشرها عنا من أن أى شىء أو أى فن افريقى هو شىء أو فن متأخر . ان الفنون الشعبية هى فى الواقع الصلة التى تربط شعبنا بماضيه والتى تحفظ هذا الرباط الوثيق بين الشعب وبين ذلك الماضى . وان حكومتنا حينمـــا تتولى الحكم فانما تحاول فى الواقع احياء هـــذا الماضى وتجسيده وابرازه على حقيقته على مدى الحياة .

وتلك حقيقة لم يفهمها الاســـتعماريون عند ما جـــاءوا الى بلادنا ولم يعـــرفوا أن قصدنا من هذه الفنون هو ربطنا بالماضى . والذى أؤكده اننا عند ما نستقل سنعمل على احياء هذا التراث الماضى وسنحافظ عليه .

س : هل لكم أن توجهوا كلمة للشعب الافريقى فى الجمهـــورية العربية المتحـــدة بمناسبة زيارتكم لها .

ح : أود أن أوجه شكرى للحفاوة التى لقيتها من شعب الجمهورية العربية المتحدة ابتداء من الرئيس جمال عبد الناصر ونوابه ووزرائه الى الافراد العاديين الذين التقيت بهم فى الشوارع . وكنت اشعر بهذه الحفاوة فى كل مرة حضرت فيها الى الجمهورية العربية المتحدة . وأود أن أشكرهم على الثقة التى يولونها للمكافحين فى سبيل الحرية والمكافحين للاستعمار عدو البشرية ونرجو أن يتاح لنا الوقت والفرصة للانضمام الى الاسرة الافريقية التى تشمل الجمهورية العربية المتحدة والتى تسعى لرفع مستوى المعيشة والدفاع عن كرامة الانسان .

وأرجو أن ترسل هذه التحية نيابة عنى الى شعب ج . ع . م

* * *

وتحدث الدكتـــور كاوندا الى انصاف رياض مندوبة المجلة عن دور المرأة فى روديسيا الشمالية فى الكفاح الوطنى فى بلاده فقال :

ان النساء فى بلدى قمن بواجبهن الوطنى جنبا الى جنب وعلى قدم المســـاواة مع الرجال . فقد نظمن المظاهرات ، وخطبن فى الاجتماعات الســـياسية ، ودخلن السجن ومنهن من قتل برصاص المستعمرين .

وفى مجال الحياة الاجتماعية تقوم المرأة المثقفة بدور بناء فى توعية الشباب باحداث الحركة الوطنية وبث الحماس فى نفوسهم ، وتعبئة الجماهير بالشعور القومى .

وعلى رأس الحركة الوطنيــة فى بلادنا السيدة « **ماكواى ناكاتيندى** Mukuae nokatende

ومن الطريف أن أذكر لك انها أميرة من بيت ملكى ، فهى شقيقة ملك باروتسيلاند (وهى الجـــانب الغربى من روديســـيا الشمالية) . وهـــذه السيدة التى نالت تعليمهـــا العالى فى جوهانسبرج فضلت بعـــد عودتها الى بلادها أن تترك بيئتها الارستقراطية وأن تنضم الى القائمين بالحركة الوطنية ، وعند ما تقدم لطلب يدها رجل من الشعب لم تتردد فى قبول يده . والسيدة ناكاتيندى عضو فى المجلس التنفيذى للحزب الوطنـى المتحد ومشرفة على التنظيمـــات الانتخابية للحزب .

والسيدة الثانية فى بلادنا هى « جوين كونى Gwen Koni » وهى تشغل الان وظيفة مديرة الخدمات الاجتماعية وتشرف فى نفس الوقت على الدراسات المسائية التى ينظمها الحزب ومنها فصـــول للتـــدبير المنزلى والدراسات العملية كالكتابة على الالة الكاتبة وتعلم الخياطة وأعمال السكرتارية .

وسألت الزعيم القادم من زامبيا الدكتور كاوندا عن حقوق المرأة السياسية فى بلاده ، فقال :

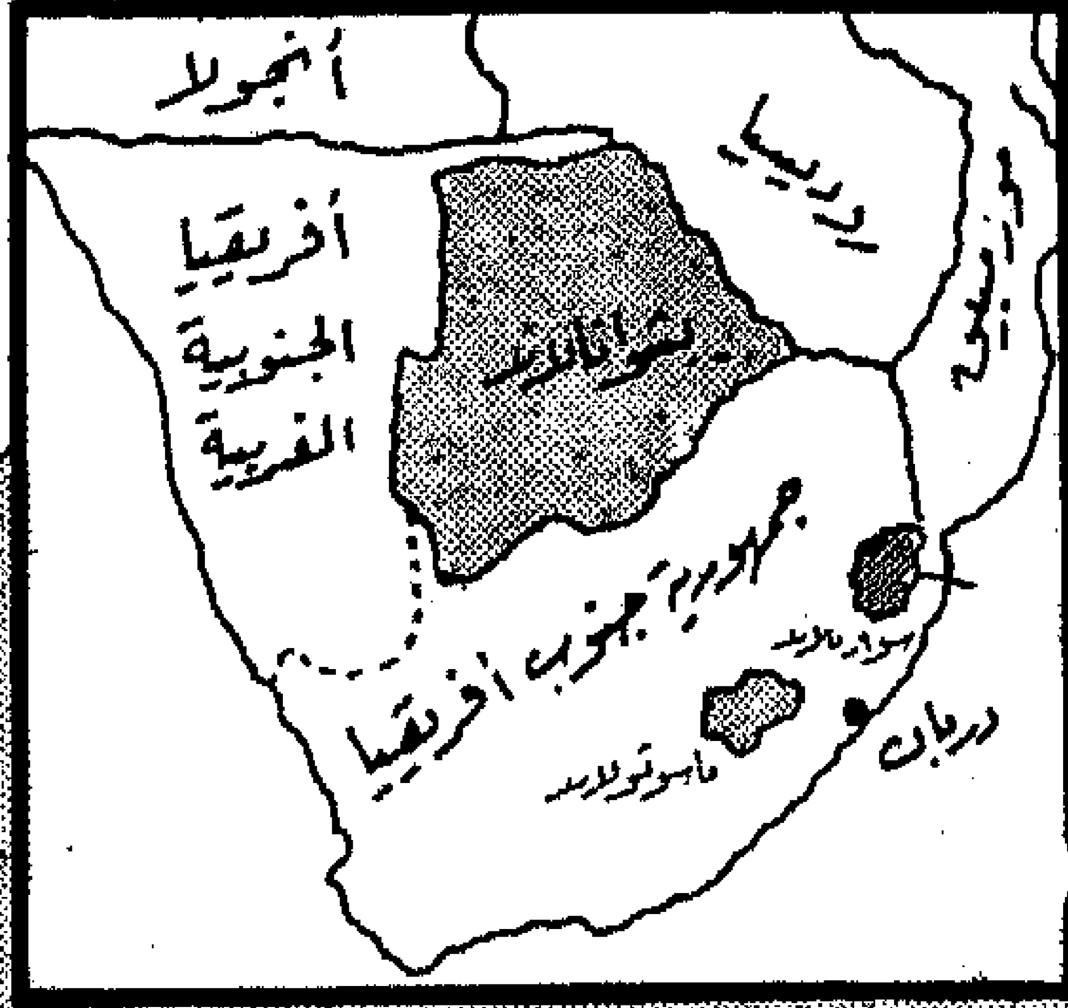
لا يوجد فى بلادنا فارق على الاطلاق يميز المرأة عن الرجل فى الحقوق السياسية او فى الوضع الاجتماعى . وللمرأة عنـــدنا حق الانتخاب وحق الترشيح للبرلمـــان ، وان السيدتان « ناكاتيمبى » و « كوينه » عضوان فى البرلمان .

وعدت أسأله :

وهل تنوى أن تنشىء وزارة للشـــئون الاجتماعية بعد الاستقلال ؟

فأجاب : نعم ، ثم أكساف ضـــاحكا : وسأرشح لها السيدة « جوين كونى » ...





سر الصراع المثلث فى افريقية الجنوبية البريطانية

للدكتور راشد البراوى

فى خارج السيادة الاقليميــــة لجمهورية (اتحاد) جنوب افريقيــة ثلاثة أقاليم هى **باسوتولاند ومحميتا بشوانالاند وسوازيلاند ،** ويتولى مرها منــدوب ســام يعينه التـــاج البريطانى وهــو مســئول أمام وزير علاقات الكومنولث ، ويتبعه مندوب مقيم فى كل من هذه الاقاليم . وحين استبعدت بريطانيا هذه الاقاليم من الاتحاد عند تكوينه فى عام ١٩١٠ واحتفظت فى يدها بالحكم المباشر أدخلتهـــا معه فى اتحاد جمركى واحد على أن تسترد الاقاليم مبلغا ثابتا فى كل عام من الايرادات الجمركية للمنطقة كلها . وأعلن البريطانيون أن سياستهم ترمى الى تهيئة الظروف التى تجعــل فى الامكان ادماج البلدان الثـــلاثة فى الاتحاد ، وظل هذا مظهر تصريحاتهم حتــى نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولكنهم راحوا يعدلون عن هذا الاتجاه بعــد أن وضحت اتجاهات فى موقف الاتحاد ، وهى الاتجاهات التى انتهت باعلانه النظام الجمهورى . ولا شك أن السياســة البريطانية تؤثر الاحتفاظ بسلطانها فى الاقاليم الثلاثة كوسيلة للضغط على الاتحاد اذا ما عمد الى تهديد المصالح الاقتصادية البريطانية على نحو أو آخر

وفى العام الماضى أعلن الدكتور هنريك فيرفورت

أن حكومته لاتعتزم المطالبة بضم المناطق الثلاث ، برغم اتجاهه الى تحقيق هذا الضم منذ عام ١٩٥٤ ، لان المطالبة تعتبر ســـياسة ((غير عملية)) ، ولكنه عاد فى العام الحالى فتقدم الى بريطانيا باقتراح عجيب وهو أن يسمح له بارسال بعثات من قبله تشرح للهيئـــات التشريعية فى الأقاليم الثـــلاثة فكــرة مشروع ((البانتوستان)) الذى يتبناه ومزاياه بالنسبة الى تطوير الافريقيين ، ولها أن تقتنع بسلامته فتنضم الى الاتحاد ولها أن ترفضه فتحتفظ بكيانهـــا الحالى .

واذا كان الاقتراح قد صيغ بلهجة هادئة ، وهو ينطوى فى الواقع على مطالبة غير مباشرة

بالضم ، الا أن المصادر الرسمية والصحفية فى الاتحاد عمدت الى نوع من التهديد الخفى حين راحت تلمح الى أن الاقاليم الثلاثة لا تستطيع الوقوف على أقدامها من الناحية الاقتصادية اذا ما حصلت على استقلالها ، لانها متباعدة بعضها عن بعض ، وواقعة فى داخل أراضى الاتحاد أو محوطة بها ، وليس لها منفذ الى البحر ، وتعتمد معظم تجارتها عليه ، وهى داخلة معه فى اتحاد جمركى واحد منذ عام ١٩١٠ .

وفسر المراقبون هذا التحول الجديد فى موقف فيرفورت بأنه انعكاس لشعور الرعب ، اذ يمكن أن تصبح الاقاليم الثلاثة ملجأ للافريقيين من أهل الاتحاد يهربون اليه وعن طريقة من الاضطهاد الدموى الذى يتعرضون له ، كما يمكن أن تصبح أيضا بعد استقلالها مركزا دقيقا تتجمع فيه كافة القوى الوطنية المعارضة للسيطرة البيضاء فى الاتحاد والقائمة على التمييز العنصرى . وكأنما أرادت المصادر فى الاتحاد أن تدعم موقفها الجديد فراحت تعلن أن السلطات البريطانية تسهل للزعماء الافريقيين الالتجاء الى الاقاليم الثلاثة وتنظيم عمليات التخريب الموجهة الى الاتحاد.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يدرك فيرفورت ورجاله أن فكرة البانتوستان من المستحيل اخراجها الى حيز التنفيذ من الناحية المادية بسبب سيطرة البيض على ٨٧ فى المائة من مساحة الاتحاد بينما المساحة الباقية لا يمكن أن تسمح بانشاء هذه البانتوستانات المزعومة التى يراد منها أن تضم ٣ر١٠ مليون افريقى من مجموع سكان الجمهورية البالغ عددهم ٨ر١٥ مليون نسمة طبقا للتقدير الذى أجرى فى عام ١٩٦٠

فاذا ما انضمت الاقاليم الثلاثة المشار اليها صار فى وسع فيرفورت أن يعلن أن جنوب افريقية سوف تصبح مقسمة بالتساوى بين الاوربيين والافريقيين وان الاخيرين سوف لاتعوزهم الارض اللازمة لاقامتهم وتطورهم حسب الاهداف التى يرسمها لهم البيض ، ذلك ان مساحة الاقاليم الثلاثة تبلغ ٢٨٣٫٤٢٠ ميلا مربعا ولايتجاوز عدد سكانها مليون وربع مليون نسمة طبقا لتقدير عن عام ١٩٦١ كما يتضح من الارقام الاتية :

	المساحة بالميل المربع	عدد السكان
باسوتولاند	١١٫٧١٦	٦٩٧٫٠٠٠
بتشوانالاند	٢٧٥٫٠٠٠	٢٨٨٫٠٠٠
سوازيلاند	٦٫٧٠٤	٢٦٦٫٠٠٠
	٢٨٣٫٤٢٠	١٫٢٥١٫٠٠٠

ومن هذا يبدو واضحا أن ما يدعو اليه الرجل انما يمثل محاولة من جانبه للابقاء على سياسة التمييز العنصر بعد أن أصبحت موضع المعارضة من الرأى العام العالمى .

وقوبل الاقتراح بالاستنكار بطبيعة الحال من جانب الدوائر البريطانية . وبغض النظر عن حديثها عن مسئوليات بريطانيا ازاء أهل الأقاليم الثلاثة ، تلك المسئوليات التى لا تسمح باخضاعهم لحكم البيض بالجمهورية ضد ارادتهم ، وبغض النظر عن دعاوى الاخيرة بشأن اتاحة فرص التطور للافريقيين، فان هناك من الاعتبارات الاقتصادية الحالية والمستقبلة ما يفسر موقف هذين الطرفين .

ولعل فى مقدمة موارد الثروة هى الزراعة. فبرغم ان الجزء الشرقى من باسوتولاند اقليم جبلى للغاية حيث جبال مالوتى وهى فرع من سلسلة دراكنز برج ، وأن القسم الغربى هضبة يصل ارتفاعها الى ٥٠٠٠ قدم ، فان الجو منشط فى الشتاء لوجه خاص ، وتغزر الأمطار فى الصيف ، والتصرف الطبيعى جيد ويبلغ متوسط المطر السنوى ٢٩ بوصة ، ومن هنا اذا أخذنا فى الاعتبار الجزء الآهل بالسكان فان باسوتولاند تعتبر أشد أجزاء جنوب القارة ازدحاما بالسكان . ولقد أمكن فى السنوات الأخيرة حماية ٨١٦ر٦٠٠ر١ فدان من أخطار تآكل التربة وذلك باتباع نظام زراعة المدرجات . غير أن الزراعة الحالية لا تمثل الامكانيات الحقيقية ولهذا يهاجر سنويا ألوف السكان الى الاتحاد للعمل فى الصناعة ومن هنا تتضح أهمية المنطقة للبلد الاخير . وفضلا عن هذا فمنذ عام ١٩٤٢

بدأ بتشجيع الفلاحين على زراعة الاشجار لتزويدهم بالوقود ، وهذا جزء من سياسة يجب العمل على تنفيذها بقصد غرس الغابات حيث تتوافر التربة الصالحة والمياه الكافية.

أما سوازيلاند الصغيرة المساحة فتنقسم جغرافيا الى ثلاث مناطق طولية متساوية تقريبا وتتجه من الشمال الى الجنوب . ففى الغرب اقليم جبلى يزيد ارتفاعه على ٥٠٠٠ قدم ، بينما صل ارتفاع القسم الاوسط الى ٣٠٠٠ قدم ، وهاتان المنطقتان توجد فيهما المياه بوفرة ، وتختلط مجار لا عدد لها بالانهار الكبيرة التى تخترق البلاد من الغرب الى الشرق . وتعتبر سوازيلاند ذات قدرات مثالية من ناحية الزراعة ، وتزرع بهامختلف أنواع المحاصيل مثل الذرة كغذاء محلى ، والفول السودانى والقطن والأرز والطباق وقصب السكر ، كما ينتج الاقليم أنواعا متعددة من فاكهة المناطق المعتدلة والاستوائية أيضا .

ولعل بشوانالاند أقل الاقاليم الثلاثة من ناحية التقدم الزراعى ولذلك فهى رعوية اكثر منها زراعية ، وهذا راجع الى قلة المطر وعدم انتظامه . وتشكل صحراء كلهارى نسبة كبيرة من المحمية وتمتد من نهر أورانج الى ديت فى روديسيا . الا أن هناك من الادلة ما يؤكد أن هذه الصحراء كانت تجود بها الموارد المالية مما يبشر بالامل فى مستقبل زاهر ، ولقد أعد الاستاذ شفارز فى عام ١٩١٩ مشروعا ضمنه كتابه The Kalahari or Thirstland Redemption ، يقضى بتحويل مجرى الانهار مما يتيح الاستغلال من جزء كبير من الصحراء بما يعود كذلك بفائدة محققة على الجو فى شطر ضخم من الافريقية . وكذلك أجريت أبحاث حديثة أبانت امكانية الاستغلال الزراعى فى جهات كثيرة لو وضع برنامج للبحث عن مصادر المياه الجوفية والعمل على الاستفادة منها .

ومن هذا كله نرى أن الاقاليم الثلاثة المتنازع عليها تضم مساحات شاسعة لم يمتد اليها المحراث بعد ، كما أن الظروف المناخية تساعد الى حد كبير على تنويع الانتاج الزراعى بحيث لايقتصر على المحاصيل الغذائية أساسا ، بل ويتضمن أيضا عددا من المحاصيل التجارية لاغراض التصدير أو لتكون قاعدة تقوم عليها عدة من الصناعات المحلية لسد حاجة الاستهلاك المحلى .

ولقد بدأت بالفعل فى سوازيلاند خلال الفترة الاخيرة زراعة قصب السكر كما انشئت مصانع لعمل السكر .

وتلعب الثروة الحيوانية دورا رئيسيا فى اقتصاد الاقليم الثلاثة وبخاصة فى باسوتولاند وبشوانالاند وتعتبر الاخيرة أصلح الاماكن فى جنوب القارة ، من الناحية الصحية ، لتربية الماشية . ويقدر عدد الماشية بنحو ٢ر٢ مليون رأس ، والاغنام والماعز بما يقرب من ٥ر٢ مليون

ولهذا تعتبر الماشية (من حية ومذبوحة) والصوف والجلود ومخلفات السلخانات وغير ذلك من المنتجات الحيوانية من اهم عناصر التجارة الخارجية ، اذ تشكل الصادرات منها ما نسبته ٧٢ فى المائة من مجموع الصادرات الكلية فى باسوتولند ٥٠ ٪ لانه كما يتضح من الارقام الاتية (بالجنيه الاسترلينى) عن عام ١٩٦٠ :

	ماشية	أغنام	ماعز	السنة
باسوتولاند	٣٣١٢٠٣	١٠٣٧٣٧٢	٥٧٩١٦٦	(١٩٦٠)
بشوانالاند	١٣١٩٣٢٧	٣٧٠٠١٤		(١٩٦١)
سوازايلاند	٥٣٥٧٧٦	٣٧٧٦٤	٢١٩١٤٣	(١٩٦١)

	مجموعات الصادرات	صادرات الانتاج الحيوانى
بشوانالاند	**٢ر٧٢٦ر٢٦٩**	**١ر٣٤٢ر٤٦٠**
باسوتولاند	**١ر٤٧٣ر٢٢٦**	**١ر٠٦٠ر٩٦٩**

ولا شك أن فى الامكان زيادة هذه الثروة من ناحية الكم وتحسينها من حيث النوع اذا وضعت خطـة علمية ومنظمة لتربيـة الحيوان بمكافحة الامراض ، وتوفير العلف، وانتقاء السلالات ، وتحسين طرق المواصلات. وبذلك يزداد نصيبها فى الصادرات كما تصلح أساسا لقيام طائفة من الصناعات لانتاج سلع تستورد الان وبخاصة من جمهورية جنـوب افريقية وبريطانيا .

والى جانب أهميـة القطاع الزراعى فى سوازيلاند سواء من ناحية حجم الانتـاج بالنسبة الى المسـاحة المنزرعة او تنوعه على نطاق واسع ، فان لهذا الاقليم أهمية قصوى سـواء فى الوقت الحاضر او بالنسـبة الى المستقبل ، من حيث الانتاج المعدنى الـذى بلغت قيمته أكثر من مليونين ونصف مليون جنيه استرلينى فى عام ١٩٦١ ، وهناك كميات كبيرة من الاسبستوس والحـديد الخام . ولقـد قامت شركة تنمية الحـديد الخـام بسوازيلاند مؤخرا بتوقيع اتفاق مع الشركات اليابانية تستورد الاخيرة بمقتضاه ما قيمته ١٢ مليون جنيه خـلال فترة قدرها عشر سنوات ، وينتظر أن يبدأ التصدير فى نهاية العام القادم . ويضم باطن الارض فى المنطقة المنخفضة من البلاد (والتى لا يتجاوز متوسط الارتفاع فيها ١٠٠٠ قدم) مدخرات ضخمة من الفحم القيرى سوف تكون مصدرا هامـا للوقود الذى تستخدمه السـكك الحديدية ومصانع السكر . كذلك توجد مجموعة من المعادن التى تستغل فى صـناعة الحراريات والخزف والصينى وعلى رأسها الكاولين الذى تتوافر مناجمه . ولا يوجد فى الوقت الحاضر سوى ثلاثة مناجم صغيرة للذهب ، غير أن أعمـال التنقيب التى أجريت فى منطقـة « هوهو » أثبتت وجود مقادير كبيرة مـن المعدن النفيس . الا أن الملاحظ أن هـذه الثروة الضخمة ، وتصدر كلها على هيئـة خام ، لا تستغل بالدرجة الكافية التى تتفق مع المدخرات الثابت وجودها ، وهذا راجع الى قصور وسائل النقـل الى الاسـواق الخارجة . ولهذا بدىء فى منتصف العام الماضى العمل فى مد خط حديدى طوله ١٤٠ ميـلا الى جوبا فى موزمبيق ، ويتوقع الفراغ منه فى نهاية عام ١٩٦٤ . والغرض منه تسهيل نقل الحديد الخام ، ولا ريب أن الدافـع عليه كان الاتفاق المعقود مع الشركات اليابانية والذى أسلفنا الاشارة اليه ، ولهذا نلاحظ أن موعد تصدير أول شحنة من الخام موقوتة بالفراغ من مد الخط الحديدى .

وتعتبر منطقة تاتى tati أهم منطقـة تعدينية فى محمية بشوانالاند وتقوم باستغلالها شركة تحمل هذا الاسم وهى تملك الارض والحق فى كل ما تكتشفه من المعادن والاحجار الكريمة . ومنطقة تاتى جزء مثلث الشكل من اراضى قبائل ماتابيلى انتزعها المستر س.هـ. ادوروز فى عام ١٨٨٧ من الزعيم القبلى فى ذلك الحين ، الملك لوبنجولا . ويبلغ طولها حوالى ٩٥ ميلا ومساحتها حوالى ١٫٣٢٤٫٠٠٠ فدان . ولقد طالب المستوطنون الاوربيون هناك بضمها الى روديسيا الجنوبية وذلك فى عام ١٩٣٨ . وقامت الشركة بالكثـير من الابحاث التى أثبتت وجود معادن عدة مثل النحاس والحديد والرصاص ،كما يوجد بها الذهب والفضة . وتقع مناجم الذهب على الطريق المتجه من المحمية الى بولاوابو فى روديسيا الجنوبية ، وتبعد من هذه المدينة حوالى ١٢٠ ميلا ، غير أن الانتاج من الذهب ما يزال هزيلا وقد تناقص فى السـنوات الاخيرة بحيث لم يتجاوز ١٩٠ أوقية فى عام ١٩٥٦ مقابل ٢٠٠٠ أوقية فى عام ١٨٩٢ . ويعتبر المنجنيز أهم المعادن المستغلة فى الوقت الحاضر وبلغ انتاجه ٢٤٨٢٢ طنا فى عـام ١٩٦١ . الا أن من أهم العقبات القائمة الان صعوبة المواصلات فضلا عن الجفاف الـذى يعم جزءا كبيرا من البلاد وبخاصة فى صحراء كلها رى .

ويجـرى فى الوقت الحاضر البحث عن الماس والمعادن الاخرى فى باسوتولاند وان لم يستغل هذا بعد . والواقع أن من الصعب تقييم اهمية هذا العنصر من عناصر الاقتصاد القومى قبل القيام بعمليات واسعة من المسح والتنقيب .

واذن ، نستطيع ان نتبين ان وراء الصراع بين الاتحاد وبريطانيا ادراكا واعيا لما تشتمل عليه الاقاليم الثلاثة من ثروات تستغل الان بالفعل وان بدا دون طاقتها الحقيقية ، وأخرى كامنة لم تستثمر بعد . غير أن الامر الذى يلفت النظر هو صعوبة الوضع الاقتصادى فى الاقاليم الثلاثة ، فهى أشبه بجزر متناثرة فى داخل جنوب القارة وتعتمد على البلاد المجاورة فى الاتصال بالعالم الخارجى . فباسوتولاند تحيط بها أرض تابعة للاتحاد وأقرب ميناء لها هو دربان على ساحله الشرقى . وتمتد بشوانالاند من ترنسفال وروديسيا الجنوبية شرقا الى افريقية الجنوبية الغربية غربا ، التى يحكمها الاتحاد كما لو كانت مستعمرة تابعة له ، بينما سوازيلاند تتاخمها ترنسفال من الشمال والغرب وموزمبيق الخاضعة للاستعمار البرتغالى ، حليف فيرفورت وعنصريته ، من الشرق . ومن هنا يمكن بعض الانقاذ لهذه الاقاليم أو لاثنين منها على الاقل فى تحرر موزمبيق من جهة ، واضطلاع الامم المتحدة بواجبها من جهة أخرى بتنفيذ نظام الوصاية الدولية على أفريقية الجنوبية الغربية والسير بها نحو الاستقلال أسوة بغيرها من مناطق كانت تسير وفقا لهذا النظام الدولى .

ونقطة الخطر الاخرى اعتماد الاقاليم الثلاثة على الاتحاد من الناحية الاقتصادية ، فهى داخلة فى الاتحاد الجمركى الذى أنشىء فى عام ١٩١٠ ، وبعضها يصدر اليه قوة العمل الافريقى الرخيص اذ تعجز عن العيش فى موطنها كما هو الشأن فى باسوتولاند حيث يهاجر منها سنويا حوالى ٦٠٫٠٠٠ شخص يقضون فى العادة ما بين ستة وتسعة أشهر ، وجزء كبير من التجارة مع الاتحاد وقد يصل الى ٧٥ فى المائة كما فى حالة بشوانالاند .

واقتصاد الاقاليم الثلاثة بوجه عام يعتمد على الزراعة والرعى وان كانت المعادن تشكل قطاعا رئيسيا فى سوازيلاند . ولكن الزراعة عموما متأخرة اذ تتركز على الانتاج الغذائى للاستهلاك المحلى ، وحتى هذا قد لا يكفى أحيانا وتنشأ الحاجة الى استيراد الذرة وما فى حكمها من الاتحاد . والصناعة التحويلية بالمعنى الحديث تعتبر معدومة (اذا استثنينا معامل للسكر أنشئت حديثا فى سوازيلاند) . وبالرغم من الثروة الكامنة نلاحظ أن الاقاليم الثلاثة تعانى من عجز فى ميزانها التجارى بسبب قصور الصادرات عن اللحاق بقيمة الواردات ، كما يظهر من الارقام التالية (بالجنيه) عن سنة ١٩٦٠ :

	قيمة الصادرات	قيمة الواردات
بشوانالاند	٢٫٧٢٦٫٢٦٩	٣٫٢٨٢٫٦٩٢
باسوتولاند	١٫٤٧٣٫٢٢٦	٣٫١٤٢٫٨٧٣

ولسنا نغالى اذ نقول ان المسئول الاول عن تخلف الاوضاع الاقتصادية هو بريطانيا التى تمارس الحكم المباشر منذ عقود طويلة ، فلم تعمل على تنمية موارد الاقاليم حتى تتمكن من الوقوف على أقدامها ، ولم تقدم لها المعونات المالية الواجبة ويكفى أن نذكر أن مجموع المنح فى عام ١٩٦٢ للاقاليم الثلاثة لم يتجاوز ٢٨٠٫٥٥٨ جنيها .

لقد حققت هذه الاقاليم درجة من التطور الدستورى وسوف تقطع مرحلة اخرى تدنيها كثيرا من الاستقلال التام ان لم تحصل عليه فعلا خلال السنوات الثلاث القادمة . واذن الواجب قبل أن يحل هذا الموعد أن تقدم كل ألوان المعونة الاقتصادية والفنية للنهوض بالبلاد حتى يقوى مركزها الاقتصادى وحتى يقل اعتمادها على الغير . ويقدر بعض الخبراء أن هذه الاقاليم الثلاثة فى حاجة الى نحو ٢٧ مليون جنيه لتنفيذ برنامج عاجل للتنمية ينفذ على ثلاث سنوات على الاكثر . ولكن المبلغ المقترح لن يكون كافيا حتى لارساء الاساس التحتى الذى يقوم عليه صرح اقتصادى سليم ومتوازن ، ولهذا يرى المعنيون بالامر أن العملية بحاجة الى ما يقرب من مائة مليون جنيه . ولما كان لا ينتظر أن تقدم بريطانيا هذا المبلغ كله لهذا جرى الاقتراح بأن تتولى الامم المتحدة المسئولية ، فتدرس أحوال الاقاليم الراهنة واحتمالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتضع البرامج اللازمة ، وتشرف على التنفيذ ، وتقدم

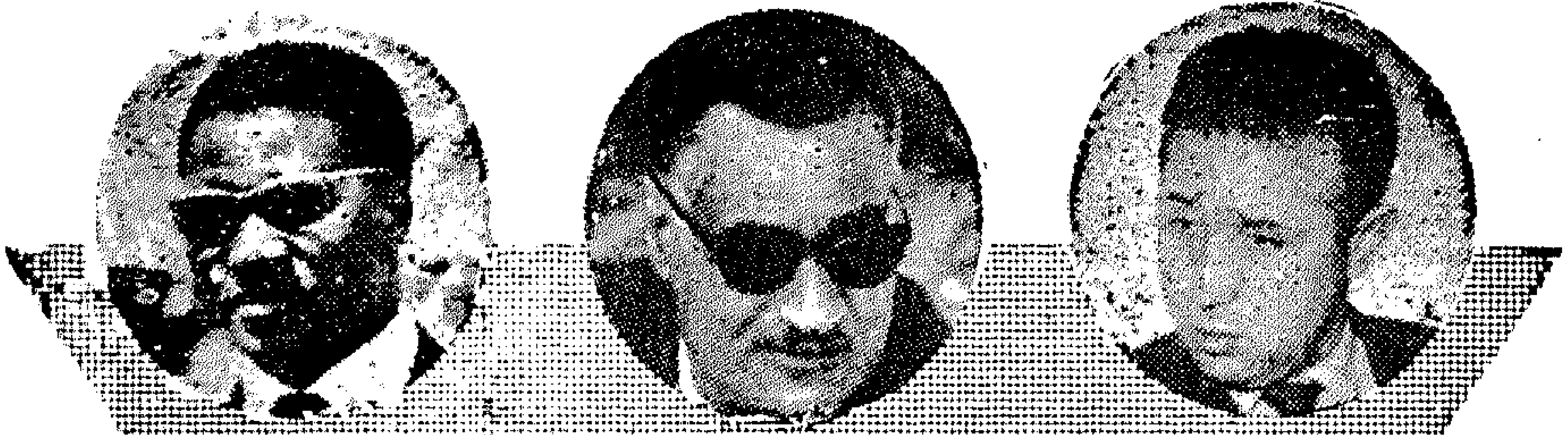
المعونة الفنية . ويذهب أصحاب هذا الاقتراح ايضا الى أنه ينطوى على ميزة أخرى وهى ان اضطلاع المنظمة الدولية بمسئولية التطوير سوف يدفعها بالضرورة الى حماية هـذه الاقاليم من أى عدوان يشنه اتحاد جنوب افريقيا او اى ضغط يحاول ان يفرضه لارغام الاقاليم على الرضوخ لمشيئته . لكن ليس معنى الاقتراح أن توضع هذه المناطق تحت الوصاية الدولية وانما الذى نراه أن توضع النهاية للحكم البريطانى وتضمن الامم المتحدة والدول الافريقية استقلال الاقاليم الثلاثة وتتعاون على النهوض بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية .

وما من شك أن الشـعب فى باسوتولاند وبشوانالاند وسوازيلاند وهو الطرف الثالث فى الصراع ، يرفض رفضا قاطعا الاقتراح الشاذ الذى يتقدم به البيض فى الاتحاد ، لانهم حريصون على استقلالهم ويرونه قريبا وأستطاعوا ارغام بريطانيا على الموافقة على تكوين مجالس تشريعية (وان كانت قاصرة الاختصاص) ومجالس تنفيذية ، ولانهـم يعرفون كل المعرفة حقيقة الاوضـاع التى يعيش فيها اخوانهم فى الاتحاد ويدركون تماما المصير الذى ينتظرهم لو ضمت بلادهم اليه ، وهو ليس ادراكا نظريا فحسب بل انه أيضا وليد التجربة التى يمر بها الالوف ممـن يذهبون منهم للعمل فى مناجم الاتحـاد ومصانعه حيث تسود التفـرقة العنصرية ، ولانهم لو قبلوا الضم او ارغموا اليه فسوف يكون هـذا طعنة للحركة الافريقية القومية فى الجمهورية .

ان مشكلة الاقاليم الثلاثة ليست خاصة ببريطانيا أو الاتحاد وانما هى من مسئوليات الدول الافريقية أولا والامم المتحدة ثانيا . وفضلا عن هذا فهى جزء من كل ، نقصد بهـا انهـا سوف تحل على الوجه السليم اذا ما حلت مشـكلة التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب افريقيا من جهة ، وصفى الاستعمار البرتغالى من جهة أخرى ، وتسلم الافريقيون الحكم فى بلدهم روديسيا الجنوبية من جهـة ثالثة .

((دكتور راشد البراوى))





الاتجاهات الاجتماعيـة في الاشـتراكيـة الافريقيـة

بقلم وليم . هـ . فريدلاند

ترجمة محمد عبد الرازق خليل

لا بد لمناقشة الاشتراكية الافريقيـــة المعاصرة من معالجة أربع اتجاهات اجتماعية أساسية هي : فكرة العمل كالتزام اجتماعى ، وتحويل الاتحادات العماليـــة من منظمات « استهلاكية » الى منظمات « انتاجية » ، والاتجاه نحو تحقيق مجتمع بلا طبقـــات ، والنظر الى المجتمع « كوحدة » أصـــلها واحد وليس « كجماعة » أصلها متعدد .

١ ـ العمل التزام اجتماعى :

وتبرز فكرة العمل كالتزام اجتمـــاعى فى هذه الايام فى أنحاء أفريقيـا المستقلة . وأساس هذه الفكرة هو أن على الانســـان التزام تجاه المجتمع يتطلب منه العمل لزيادة رخاء المجتمع . ولهذا يعتبر التطفل والتكاسل من الاثام الاجتماعية .

ويتركز اهتمام قادة أفريقيا على زيادة الانتاج ، وان اختلفت طرق معالجتهم لفكرة العمل كالتزام اجتماعى . فنجد ، مثلا ، كوامى نكروما ، رئيس جمهورية غانا يعلن مؤكدا أن الدولة قد اخذت على عاتقها حل مشاكل العمال الاقتصادية الاساسية ولهـذا فهم يرتبطون بمسئوليات نحو الدولة . وقد قال الرئيس الغانى فى احد خطبه بعد أن عدد المزايا التى يتمتع بها العمال فى غانا :

« اذا كنا نفعل كل هـــذا لنهيىء للعمال الراحة والرضا فاننـــا نتوقع بدورنا أن نلمس ولاءهم وكدهم من أجل بناء غانا . فليس هناك مكان فى غانا، التى نقوم باعادة بنائها ، للكسالى

والعناصر الهدامة فى الاتحادات العمالية . فعلينا أن نكون مستعدين لبذل التضحيات من أجل مستقبل أفضل)) .

وتتضح فكرة العمل كالتزام اجتماعى كذلك فيما يثار من جدل ضد التطفل ، وان كان فى كثير من الاحيان يختلط الامر فى تعريف التطفل ، فهو يمكن أن يشير الى الرأسماليين (أصحاب وسائل الانتاج) أو الى المشتغلين فى الزراعة المكتفين غير الراغبين فى زيادة الانتاج . وفى أى الاحوال نجد أنه نادرا ما يستخدم التعريف الماركسى للتطفل (وهو تعريف البورجوازيين) حيث أن العمل الخاص لا يزال يحتل مكانا هاما فى معظم اقتصاديات البلاد الافريقية ، كما أن معظم القادة الافريقيين غير مستعدين لان يقوموا بهجوم شامل عليه ، ومع هذا شعورا قويا ضد الرأسمالية يميز معظم ما يثار ضد التطفل .

وغالبا ما يوجه الهجوم على التطفل الى تلك العناصر القائمة فى المجتمع ، القادرة على زيادة الانتاج ولكن لا توجد عندها الرغبة فى القيام بهذه الزيادة . لذلك نجد أن القادة المهتمين بالتنمية الاقتصادية وبرفع مستوى معيشة شعوبهم يهاجمون باستمرار حياة التكاسل والتطفل . ففى تنجانيقا تنقل اجتماعات مجلس الوزراء ، والمؤتمرات والتجمعات السياسية الاخرى الى الضواحى حيث يقوم الزعماء بالاشتراك الفعلى فى العمل اليدوى حتى يعطوا للناس مثالا على أنه ليس هناك ثمة عار من اتساخ يدى العامل أثناء قيامه بعمله .

وغالبا ما يتضمن الهجوم على التطفل أن فكرة العمل كالتزام اجتماعى لها أساس تقليدى . وفى هذا يقول يوليوس نيريرى :

((ان كل فرد فى المجتمع الافريقى التقليدى كان عاملا .. وعند ما أقول أن .. كل فرد كان عاملا ، لا أستعمل كلمة ((عامل)) كضد لكلمة ((صاحب العمل)) فقط ولكن ذلك كضد ((لمتسكع)) و ((متكاسل)) .. والمثل المعروف يقول ((عامل ضيفك كضيف لمدة يومين ، أما فى اليوم الثالث فاعطه فأسا)). وفى الواقع نجد أنه من المحتمل أن يطلب الضيف فأسا قبل أن يضطر مضيفه لاعطائه اياه ـ لانه يعرف ما يتوقع منه ، ويعرف أنه عار عليه أن يبقى كسولا)) .

ويصدق نيريرى عند ما يبرز المسئوليات التقليدية للمساهمة فى انتاج الطعام . ولكنه ، ومعه كثير من الزعماء الافريقيين الذين يرددون نفس الموضوع ، يلزم أكثر من اللازم الالتزام العاجل المرتبط بالعمل فى المجتمع التقليدى . فالنظرة التقليدية أقرب الى نظرة الاغريق الذين كانوا يعتبرون العمل شرا ضروريا للبقاء وليس التزاما اجتماعيا . وحتى المجتمعات الغربية لم تقدر العمل الا فى الازمنة الحديثة وبالنظر الى اقتصاديات معظم المجتمعات الافريقية يتضح أن الاتجاهات التقليدية نحو العمل ليست كافية لتجميع رأس المال .

ونحن نطلق على فكرة الالتزام هذه صفة اجتماعية لسببين : أولهما أن الاشتراكية التقليدية تعارض استغلال الانسان للانسان ، لذلك فكل الناس يشتركون فى مسئولية العمل . والسبب الثانى هو أن العمل أصبح موضوعا هاما فى المجتمعات الشيوعية ، حيث يعتبر التزاما اخلاقيا وقانونيا . وقد وضعت المجتمعات الاشتراكية والمجتمعات التى تسير فى طريق الاشتراكية ، نظما للضرائب تهدف الى عدم تضخم الثروات ، وبهذا تفرض التزاما للعمل . لهذا يمكن اعتبار فكرة العمل كالتزام اجتماعى مثالا اجتماعيا ، وهو يمثل عنصرا هاما فى الاشتراكية الافريقية .

٢ ـ ((الانتاج)) هدف العمل

يرجع أصل الاتحادات العمالية فى القارة الافريقية أساسا الى الصراع السياسى من أجل الاستقلال . ومع أن هذه الاتحادات أساسها اقتصادى الا أن دورها السياسى ذو أهمية كبيرة . ففى مراحلها الاولى ، ولكونها جزء من حركة قومية معادية للاستعمار وللاحتلال الاجنبى ، كانت تركز اهتمامها على أوجه نشاطها ((الاستهلاكية)) : فالاتحادات

تهتم أساسا برفع مستوى المعيشة كوسيله لزياده قدرة أعضائها على الاستهلاك . وقد اتفق هـــذا التنظيم مع الحركة السياسية المعادية للاستعمار لان معظم أصحاب الاعمال كانوا يعتبرون « مستغلين أجانب » مرتبطين بالقوى الاستعمارية .

وبعد تحقيق الاستقلال أصبحت الاتحادات العمالية تشترك في النواحي « الانتاجية » . فقد تحولت تلك الاتحادات بشكل متزايد الى آلات تعمل على زيادة القوة الانتاجيــة وانتاج العمال .

وفي بعض الحالات نجد أن الاتجاه نحو النواحي « الانتاجية » ارادى وداخلى ويقول جون تيتجاه john Tettegah في هـــذا الخصوص :

« لا يتخذ صراع العمـــال دائما نفس الشكل في كل مكان . فقد كان يحدث أن يقوم العمال ، في صراعهم ضد أصحاب العمل، بتحطيم الالات وحرق المصانع .. أما في غانا اليوم فليست المصانع التى نحطمها ، انها مسئوليتنا أن نساعد على خلق المصانع واتاحة العمل لجماهير الناس » .

وفي حالات أخرى نجد أن الضغط يأتى من الخارج . وتلك هى الحالة في تنجانيقا حيث يتصـــارع اتحاد تنجانيقـــا الاهلي tonganyika A feican National Uniap مع اتحاد تنجانيقا العمالى Tanganyika Jederation of labot . ويتضح من هذا الصراع أن اتحاد تنجانيقا الاهلى الافريقى يعمل على ألا تستمر الاتحادات في سياستها « الاستهلاكية » ، لان هذا يثقل خطى التنمية الاقتصادية في تنجانيقا . وقد عبر يوليوس نيريرى عن وجهة النظر « الانتاجية » طالبا الاعتدال في طلبات العمال قائلا :

« ان احد اهداف الاتحادات العمالية هو ضمان نصيب عادل من الارباح للعمال . ولكن هذا النصيب العادل ، يجب ان يكون بالنسبة للمجتمع ككل . ككل فاذا كان هذا النصيب اكبر مما تستطيع الدولة ان توفره من غير ان تضطر الى غبن قطاع اخر من المجتمع ، فانه يكون غير عادل . وليس قادة الاتحادات العمالية واتباعهم ، طالما كانوا اشتراكيين حقيقيين ، ليس بهم حاجة الى ان تضطرهم الحكومة الى الابقاء على مطالبهم في نطاق الحدود التى تفرضـــها احتيـــاجات المجتمع ككل » ..

ومن الواضح ان نكروما ونيريرى ينظران الى الاتحادات العمالية على انها جزء من الحركة المعادية للاستعمار . ومن المفهوم ان الاتحادات كانت ، في فترة ما قبل الاستقلال تقوم باوجه نشاط « استهلاكية » اما الان وقد تحقق الاستقلال فان زعماء السياســـة الافريقيين يشعرون ان نشاط الاتحـــادات يجب ان يتغير عاكسا تطور المجتمع الافريقى الواضح في طريق اللاطبقية . فاذا كان ينظر الى المجتمع الافريقى على أنه في أساســـه بلا طبقات ، وحيث ان الحزب يمثل مصالح العمـــال ، فان الاتحادات ينبغى أن تهتم اساسابزيادة الانتاج وليس المطالبة بمستويات معيشية متزايدة دائما لاعضائها .

ويقول سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا في احدى خطبه :

« اننا نحارب المنصرية ، ولكنها موجودة بيننا . انها قائمة وعلينا ان نضع حدا لها وان نحرر انفسنا منها . فاذا كان الانسان يشكل المجتمع ، فان المجتمع يشكل الانسان هذا هو قانون التعاون وعلى اعضاء وقادة الحزب ان يعملوا على التوفيق بين هـــذه المتناقضات .. لقد خلقت الثورة « الغينية » ثورة مضادة ، فاصـــبح من الضرورى ان نستعيد الزمام حتى يمكننا ان نوجه الاحداث وان نقهر كل الذين يريدون محاربة الثورة الغينية » .

٣ - مجتمع « بلا طبقات » :

ينظر كثير من قادة افريقيا الى الطبقات بنفور ، ويرون ان قيامها « مستورد » من اوروبا . ويرون كذلك ان المجتمع قدتخلص من الطبقات واصبح كما كان في عصر ماقبل الاحتكاك بالمؤثرات الاوروبية ، في ذلك العصر التقليدى المثالى . نفى السنغال ، يقـــول ليوبولد سنجور « ليست هناك طبقات في

مجتمعنا » وفى ساحل العاج ، يذكر فليكس هوافيه - بوانييه كاحد اسباب ابتعاده عن الشـــيوعيين فى عام ١٩٥٠ « ان الصراع الطبقى الذى تقوم عليه الشيوعية ، ليس له معنى فى مجتمع بلا طبقات » .

ويظهر هذا الاتجاه فى اجتماعات الاتحادات العمالية . فعندما قام اتحاد العمل الافريقى العام Confédécation Génerale du Troirul Ablicaine فى عام ١٩٥٦ اعلن قبوله لفكرة « المعقول » ولكنه « .. نبذ الصراع الطبقى بسبب معرفة الجماعات الافريقيـة لظروف المعيشة وعدم وجود طبقات منافسة وليس معنى هذا ان الافـــريقيين لايرون الطبقات فى المجتمع الافريقى ، فهم يفسرون وجود الطبقات ، اذا وجدت ، على انه نتاج الغزو الاجنبى . فالمجتمع الافريقى الوطنى مجتمع متجانس اقتصاديا وبلا طبقات .

ولكن بعض قادة افريقيا يدركون وجـود الطبقات فى المجتمع التقليدى وان كانت هناك تفسيرات اجتماعية لذلك . ويقول نيريرى وغيره ، انه يجب الا يكون هناك طبقات فى المجتمع الافريقى الجديد وانه ، اذا كان لابد من وجود الطبقات فيجب ان يكون عددها قليل وان تكون الفروق بينها اقل ما يمكن

« فالاشتراكى الحق لا يمكن ان يستغل رفاقه .. واذا طالب اعضاء احدى الجماعات فى مجتمعنا بالجزء الاكبر من ارباح الصناعة التى يعملون بها اكثر مما يحتاجون ، فقط لانه حدث انهم يساهمون اكثر من الجماعات الاخرى فى الدخل القومى ، واذا اصروا على هذا رغم ان ذلك يعنى تقليل مساهمـــة جماعتهم فى الدخل العام وبذلك يخفضون من معدل استفادة المجتمع ككل ، فهذا مؤداه ان تستغل هذه الجماعة « او تحـــاول ان تستغل » رفقاءهم فى البشرية . وهذا بدوره يكشف اتجاههم الرأسمالى » .

وقد كان هذا كذلك رأى سنجور عندما واجهه عمال الحكومة فى السنغال بمطالبهم باضطراد زيادة اجورهم . -

وتعتبر مشكلة الفروق فى الدخل مشكلة هامة بالنسبة للزعماء السياسيين . اولا ، اذا تزايدت اجور وارباح العمال باضطراد فان هذا سيؤثر تأثيرا كبيرا على تكوين رأس المال وعلى مستوى معيشة باقى السكان . لهذا يحاول الزعماء السياسيين التحكم فى الاجور . ثانيا ، ان توسع الشقة بين مستوى المعيشة فى المدن ومستوى المعيشة فى الريف يزيد من سرعة النزوح الى المدن التى تعانى من مشاكل البطالة . وان وجود المتعطلين باعداد كبيرة الذى يمكن لمثيرى الشـــغب الانتهازيين استغلالهم لمصالحهم الشخصية ، يخلق المشاكل للمهتمين بالنظام والهـــدوء الشاملين . ومن المفهوم ان زعماء مثـــل سنجور ونيريرى مهتمون بهذه المشكلة وتجدر الاشارة الى ان المناقشات المادية لاضطراد الفروق فى مستوى المعيشة اصبحت تنطلق بلغـــة المساواة الاقتصادية اى بلغـــة الاشتراكية .

هذا وقد حذر نيريرى وغيره من خطر نشوء طبقات جديدة :

« ان فى نجاح القومية تقليل للفرصـــة المتاحة للاوروبيين والاسيويين للاحتفاظ دواما بالمراكز الممتازة فى بلادنا . ولكن هـــذا سيزيد من فرص الافريقيين المثقفين لخلق طبقة جديدة لها امتيازاتها . ومـــع ذلك فسوف لا يتضح هذا جليا طالما ان الاوروبيين والاسيويين أغنى بكثير من الافريقيين . وعلى هذا يمكن للافريقى « الذى يمكن ان يصبح مستغلا » ان يتنكر فى صورة مصلح اجتماعى بتركيز هجومه على الامتيازات التى يتمتع بها الاوروبيين والاسيويين فى البلاد . وقبـل ان نعرف اين نقف ، سنجد ان طبقة دائمة من المثقفين الافريقيين قد حلت محل طبقـة الامتياز التى تسير فى طريق الزوال » .

وترى الحكومة فى تنجانيقا ان تأخـــذ الجمعيات التعاونية دور الوسيط الـذى يقوم به الاسيويون حتى الان . ويمـــكن الاعتقاد انه لا يمـــكن لمن يعملون فى تلك الجمعيات التعاونية ان يخلقوا طبقة متوسطة ولا تعتبر تنمية الجمعيات التعاونية عدائيـة للاسيويين ولكن المقصود من تلك الجمعيات

ان تخلق منظمات مسئولة عن تكوين رأس المال بدون خلق اساس لنظام طبقى جديد.

٤ ـ ((وحدانية)) المجتمع

ونحن لا نستعمل فكرة الوحدانية هذه التى نتعرض لها هنا فى معناها الفلسفى الاصلى ، ولكن فى مفهومها السوسيولوجى المضاد لفكرة التعدد . انها تشير الى مجتمع يوجد فيه لكل التنظيمات مركز تنظيمى واحد وصورة المجتمع هذه هى التى يكونهـا ويستخدمها قادة السياسة فى افريقيا كأساس للعمل . ولهذا يرى الرئيس نكروما ان التنظيمات الكثيرة تتجمع معها فى مركز واحد :

« ان الذين يقفون ضد الحركة العمالية والحركة التعاونية وتنظيمات المزارعين انما يقفون ضدى وضد حزب الشعب Convention Peoplé Rauty فالولاء لايمكن ان ينشق . ولا يمكن لاى شخص ان يعتبر نفسه محاربا صادقا فى جبهة العمل اذا لم يكن عضوا مخلصا فى حزب الشعب ، لان حزب الشعب اساسا هو التعبير السياسى لحركة الاتحادات العمالية » .

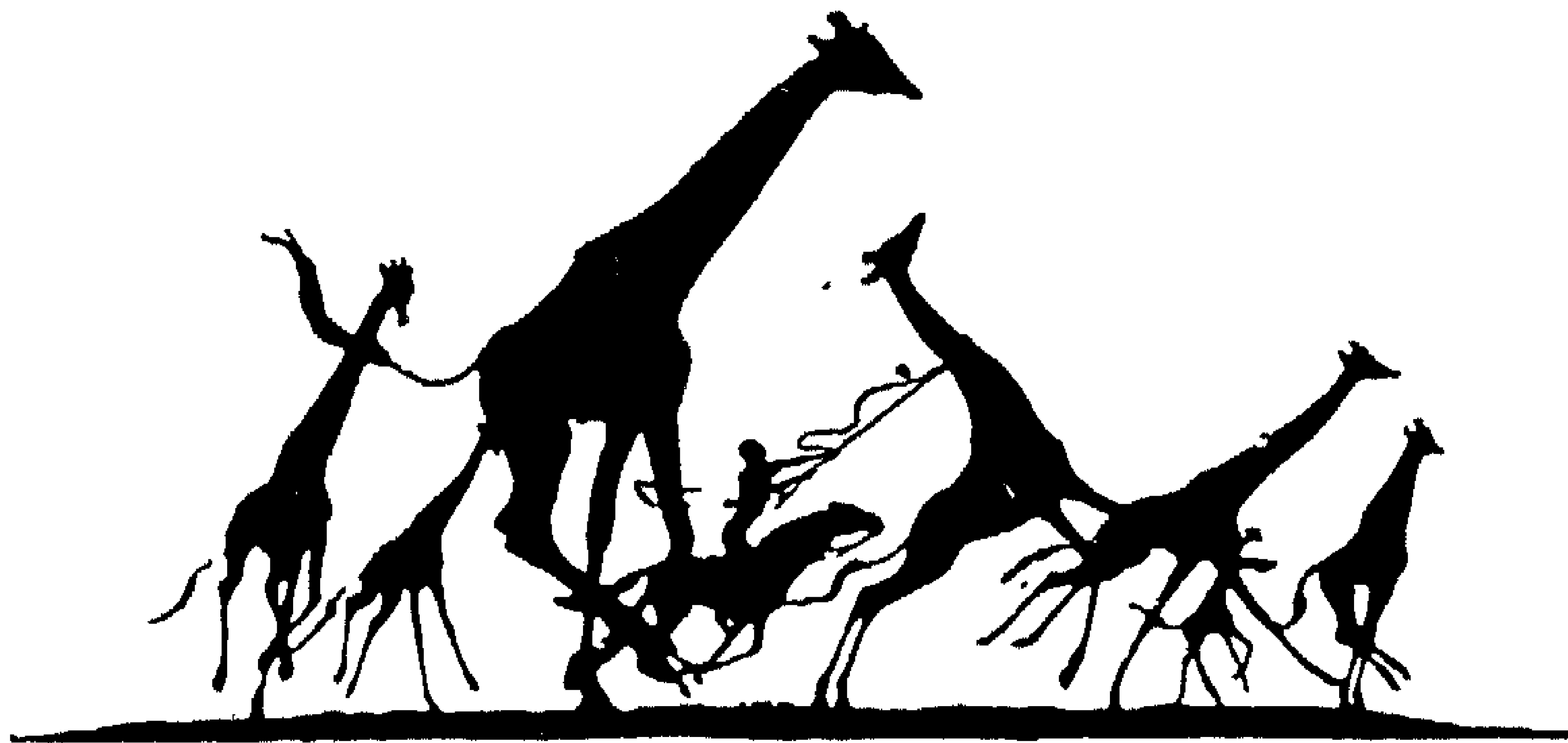
وبالمثل يرى نيريرى ان الاتحادات والحزب يكونون ساقين لنفس الجسد « الا وهو الحركة ضد الاستعمار » ولا يمكن بطبيعة الحال فصل الساقين عن الجسد .

ويختلف التكوين الخاص لهذه الوحدانيه من بلد الى بلد فى افريقيا ، ولكن اساسها واحد وهو تجانس الشعب والنظم والدولة فالشعب يساوى الحزب . الذى يساوى الاتحادات وتنظيمات المزارعين والجمعيات التعاونية والامة باسرها . ويتضح من هذا ان التنظيم الاساسى الذى يبرز كوحدة مركزيه فى هذا التركيب هو الحزب الاوحد .

وبشير تداخل الاحزاب السياسية والتنظيمات الى الاتجاه الافريقى نحو الوحدانية . وهناك اتجاه اخر ذو تاريخ اقدم هو اتجاه قادة افريقيا المحدثين المضاد للقبائلية .

ويرجع الاتجاه نحو الوحدانية كذلك الى الموقف الصعب الذى وجد الزعماءالافريقيون انفسهم فيه . فقد وجدوا ان سكان الريف لاينتجون الانتاج المناسب وان سكان المدن وهم الذين يمثلون قوة اجتماعية هائلة يطالبون بارباح كبيرة ، وقد غمرت هؤلاء القادة الرغبة فى الارتقاء بجماهير الشعب وتهيئة مستوى معيشة مناسب للقرن العشرين لذا وجد هؤلاء القادة انه من الطبيعى استخدام جماهير الشعب الممثلين فى حزب واحد للتحرك بالمجتمع نحو تكوين الرأسمالية الوطنية . .

((محمد عبد الرازق خليل))



منظمة الوحدة الافريقية

١ - ميلادها

للدكتور على ابراهيم عبده

ظهرت سياسة الاستعمار الاقتصادى بوضوح فى العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر ، ففى الدول الصناعية الكبرى انتقلت مقاليد الامور الى طبقات التجار واصحاب المصانع الراسماليين . وتبدلت المثل العليا فى التوسع الاستعمارى الى اغراض تجارية وصناعية ومالية . وكان مؤسس هذه السياسة الاستعمارية فى بريطانيا هو جوزيف تشمبرلين . وقد ذكر بصراحة أن الغرض من الاستعمار هو ايجاد اسواق وعملاء للصناعات البريطانية . وكذلك فى فرنسا نادى رجال السياسة بضرورة الحصول على مستعمرات لنفس هذه الاغراض .

وفى خلال العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر تم تقسيم افريقية كلها تقريبا بين الدول الاوروبية ، فاحتلت بلجيكا الكنغو . واحتلت انجلترا مصر فى سنة ١٨٨٢ ، واعلنت حمايتها على الصومال فى سنة ١٨٨٤ ، وضمت بتشوانالاند فى جنوب افريقية ، ونيجيريا ، وافريقية الشرقية البريطانية ، وتوسعت فى غينيا وسيراليون وساحل الذهب ، واعلنت حمايتها على اوغنده فى سنة ١٨٩٤ ، واستعمرت السودان باسم مصر بعد ذلك بسنوات قلائل . اما فرنسا فقد احتلت تونس فى سنة ١٨٨١ ، وتوسعت فى السنغال ، واحتلت منطقة الكنغو الفرنسية والصومال الفرنسى وساحل العاج ومدغشقر فى هذه الآونة ايضا . وبالنسبة لالمانيا فانها ساهمت فى التوسع الاوروبى فى افريقية من سنة ١٨٨٠ باستيلائها على جنوب غرب افريقيا والكمرون وتوجولاند ، وافريقية الشرقية الالمانية . وتوسعت البرتغال فى غانا البرتغالية وفى انجولا وافريقية الشرقية البرتغالية ، واحتلت ايطاليا الصومال الايطالى واريتريا .

ثم احتلت ايطاليا ليبيا فى سنة ١٩١٢ ، كما ان بلاد المغرب سقطت فريسة للاستعمار فى نفس السنة ، فاحتل الاسبان جزءا من شمالها ، واستولى الفرنسيون على منطقة مراكش ، وخضعت طنجة لنظام دولى . وبعد الحرب العالمية الاولى ، وانهزام الالمان ، واقتسمت الدول الاوروبية مستعمراتها فى افريقيا ، فحصلت بريطانيا على مستعمرة افريقيا الشرقية الالمانية ، التى هى تنجانيقا وعلى جزء من مستعمرة توجولاند اضيف الى مستعمرة ساحل الذهب ، وعلى جزء من مستعمرة الكمرون ضم الى نيجيريا . اما فرنسا فاستولت على الجزء الباقى من توجولاند وضمته الى داهومى ، وعلى الجزء الاكبر من الكمرون وضمته الى افريقيا الاستوائية الفرنسية . كما ان بلجيكا والبرتغال حصلت كل منهما على جزء من مستعمرة افريقيا الشرقية الالمانية . كذلك فاز اتحاد جنوب افريقية بمستعمرة جنوب غرب افريقية الالمانية .

ولم تستسلم شعوب القارة الافريقية للاستعمار ، بل خاضت سلسلة طويلة من

الحروب والكفاح ، دفاعا عن حريتها واستقلالها ضد الاحتلال الاوروبى . وكانت الحرب العالمية الثانية بمثابة نقطة البدء فى العمل الجدى من أجل التحرر والانطلاق ، فلقد اصطلى بنيرانها اكثر من ثلثمائة الف جندى من ابناء افريقية ، وسمعوا من ابواق الحلفاء انهم يحاربون لكى يمنعوا المانيا من استعباد غيرها من الشعوب . وعادوا الى بلادهم ، بعد ان ظهر لهم الرجل الابيض على حقيقته ، وبعدما تبينوا أن مظهره لا يدل على مخبره . وكان لهذا كله أثره البالغ فى نفوس الافريقيين وفى علاقاتهم المستقبلة بالمستعمرين البيض . هذا بالاضافة الى ان الشعوب الافريقية ادركت تماما ان المستعمرين ينهبون ثروات وموارد افريقية ، ويسخرون الاهالى الوطنيين لمصلحتهم الخاصة .

لذلك بدات الثورات من اجل الحرية تندلع فى كثير من البلاد الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن الاستعمار كان يخمد هذه الثورات بقسوة ووحشية ، ويعتقل الزعماء ، ويزج بهم فى السجون والمعتقلات . وبالرغم من ذلك ، فان جذوة الحرية فى قلوب الافريقيين لم تنطفىء ابدا ، وظلت الشعوب الافريقية تتحفز وتترقب الفرصة لكى تضرب ضربتها الاخيرة من اجل الحرية .

وجاء فجر الحرية للقارة الافريقية يوم قامت ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ فى مصر ، تلك الثورة التى كانت من القوة والاحكام ، بحيث سببت ما يشبه الذهول للاستعمار الاوروبى فى افريقية كلها . وحددت هذه الثورة رسالتها فى افريقية ، بأنها لن تستطيع بحال من الاحوال ان تتخلى عن مسئوليتها فى المعاونة بكل ما تستطيع على نشر الثورة والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء ، وانها لن تستطيع بحال من الاحوال ان تقف امام الذى يجرى فى افريقية وتتصور انه لايمسها ولا يعنيها .

وحينما تبين للجميع ان ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ فى مصر تؤمن بوحدة معركة الشعوب الافريقية والعربية ، ادرك الاحرار فى تونس والجزائر ومراكش واوغندة وكينيا والصومات وزنجبار والكمرون وغانا وغينيا وروديسيا وغيرها من البلاد الافريقية ، أن ساعة النصر قد حانت . وسرى التيارالثورى الى كل أنحاء افريقية ، ووجدت كل الثورات الافريقية اكبر قسط ممكن من التأييد لها فى القاهرة . واستطاعت دول كثيرة فى افريقية ان تنال حريتها واستقلالها فى فترات متقاربة وبدأ المارد الافريقى يظهر فى قوة وانتصار ، كما أنه شرع يصنع التاريخ بسرعة جعلتنا نلهث وراءه ، واصبح الانسان يجد احداث يوم ما فى افريقية قديمة فى اليوم التالى .

ونتيجة لذلك تعرضت افريقية لتغيرات شاملة ، فقد سارت شوطا طويلا نحو القومية الافريقية الناهضة ، تاركة وراءها الاستعمار يحتضر . وفى فترة الانتقال السريع هذه اخذت مشكلات كثيرة تتجمع وتظهر فى الافق البعيد لهذه القارة الافريقية . من هذه المشكلات انه ما زال هناك نحو عشرين قطر ومقاطعة تحتالاحتلال الاجنبى ، فالبرتغاليون مثلا — وقد نسوا الدرس الذى تلقونه فى مستعمرة جوا بالهند — اخذوا يدعون فى عناد ورجعية بأن كلا من انجولا وموزمبيق جزء لا يتجزأ من البرتغال نفسها . ومن هذه المشكلات التى اخذت تتجمع ايضا فى أفريقية مشكلة التمييز العنصرى فى جنوب افريقية .

لذلك وجدت الدول الافريقية المستقلة انه لا بد من ايجاد وسيلة لتنظيم تضامنها لمواجهة هذه المشكلات الافريقية العديدة والخطيرة فى نفس الوقت .

وبعد ذلك بذلت جهود صادقة كللت بالتئام رؤساء الدول والحكومات الافريقية المستقلة وترتب على ذلك نشوء تجمعات فى دول القارة فظهرت مجموعات على قدر من التباعد ، كل منها يدعو الى الوحدة بمفهوم . وتجمعتتلك التكتلات فى مجموعتى منروفيا والدارالبيضاء وبذلك بدا المخلصون للدعوةالافريقيةيخشون على التضامن الافريقى ذاته من دعوة الوحدة التى تباينت مفاهيمها ، وشابتها نوازعالتكتل وعندما باءت المحاولة الاولى لوضع لون من

التنظيم الافريقى الشامل فى اجتماع لاجوس فى يناير سنة ١٩٦١ ، لم تكن الظروف قد اكتمل تهيؤها بعد لاجتماع شامل يضم كافة الرؤساء فى مؤتمر عقد فى مدينة اديس أبابا عاصمة الحبشة ، فى المدة من ٢٢ — ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ ، وقد اطلق على هذا المؤتمر اسم « مؤتمر القمة الافريقى » .

وخطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا المؤتمر ، يوضح لنا المشكلات التى تواجه افريقية اليوم ، فقد ورد فى هذا الخطاب ما نصه :

« ولست أظننى فى حاجة الى تفصيل هذه الظروف الصعبة، ولعله يكفينى أن أشير اليها ، وبينها مايطل على القارة من خارجها ، وبينها ما يقبع على أرض القارة ذاتها .

فمن خارج القاره هناك الاستعمار ، الذى لم يقض عليه القضاء النهائى الكامل فى كل أجزاء القارة ، والذى مازال يعاند بشراسة فى بعض هذه الاجزاء ، وفى بعضها الاخر يحاول أن يتنكر وراء أقنعة مزيفة .

هناك الاضطهاد العنصرى والتفرقة ، يفرضهما على بعض أجزاء القارة هؤلاء الذين ينهبون ثرواتها ويسترقون عمالها ، ومع ذلك لا يتورعون عن بيع كراماتها فى أول مظاهرها الانسانية .

وهناك التستر وراء الاحلاف العسكرية لاتخاذ أراضى الشعوب، قواعد لها ..

وهناك الاصرار على تحويل القارة الى مجرد مخزن للمواد الخام بأسعار لا تكفى لسد جوع أهلها ، فى حين أن الفائدة كلها تذهب الى البلاد المستوردة ، التى تحاول أن تجعل من تقدمها الصناعى والعلمى شبه استعمار من نوع جديد ، من حيث هو استغلال غير عادل لثروات الغير دون مشاركة منصفة .

وهناك الوصول الى حد اتخاذ أراضى شعوب القارة ميدانا للتجارب الذرية بغير رضا هذه الشعوب ... وهناك عمليات اغتصاب أراضى الشعوب ، وتحريمها على أصحابها الشرعيين ، واباحتها لمستوطنين جاءوا من بعيد ، ورفضوا أن يكون لهم حق الضيف ، وراحوا ساستعلاءا وارهابا يطلبون جبروت السيف ..

وعلى أرض القارة ذاتها ظروف صعبة أخرى ، فاذا كانت الأرض الافريقية عدلا لا تتحمل مسئولياتها، فان عليها واجبا أن تجد لها أفضل التحاول ، بصرف النظر عن توزيع المسئوليات هناك . فمثلا مشكلة التخلف المروع ، الذى تعيش فى آثاره أغلبية شعوب القارة ..

وهناك مشكلة التفاوت الاجتماعى داخل الوطن نفسه ، وهو وضع لابد أن يصحح نفسه لتطبيق معايير أكثر عدلا تمنح المواطنين داخل الوطن الواحد فرصا متكافئة للحياة .

وهناك مشاكل التنمية لمواجهة آثار التخلف ، ولمواجهة ضرورات العدل الاجتماعى ، وبينها مشاكل التخطيط والتمويل والخبرة ..

وهناك مشاكل الحدود بين دول افريقيا الكثيرة ، وهى حدود نعرف كلنا كيف رسمت فى بعض الاحيان ، وكيف جرى تخطيطها .

وهناك الرواسب القديمة ، التى تركت بقعا كثيرة مظلمة على وجدان قارتنا ، والتى تحتاج الان الى جهود هائلة فى مجالات التربية والتعليم والثقافة ، كى يتم تحرير الانسان الافريقى من كل الاغلال غير المنظورة التى تكبله وتحد من حركته .

وان مواجهتنا لهـــذه الظروف الصعبة من خارج القارة وعلى أرضها، تتم فى جو يزيد الصراع ضدها حدة، وخطورته أننا نمارس صراعنا من أجل تطوير الحيـــاة فى مواجهة تيارات عنيفة)) ...

ويرى السـيد الرئيس جمال عبد الناصر ضرورة وجود ارادة افريقيه حرة واحـــدة لمواجهة هذه المشكلات فيقول :

« تعتبر الجمهورية العربيه المتحدة أن هذه المرحلة من النضـــال الافريقى ، التى عرضت أمامكم بقدر ما استطيع من موضوعية، لا تجنح الى التشـــاؤم ، ولا تترك نفسها للتفاؤل الحالم ، لمحات من وجودها المخصصة . نقتضى أول ما تقتضى وجود ارادة افريقيـــة حرة واحدة . وليس من جدال أن هــــذا المؤتمر فى حد ذاته دليل على وجود ارادة أفريقية حرة واحدة .. »

ثم ينادى الرئيس جمال عبـــد الناصر بضرورة وجود عقل منظم لهــــذه الارادة الافريقية الحرة الواحدة ، فيقول :

« أصل بعد ذلك الى نقطة ثالثة وأخيرة ، لقد قلت أولا أن القارة تواجه أخطر مراحل نضالها ، وانها بعـــد معجزة الميلاد تواجه مسئوليات الحياة والنمو والبقاء القوى . وقلت ثانيا ان مجرد انعقاد هذا المؤتمر دليل على وجود ارادة أفريقية حرة وواحــدة . وأقول ثالثا ان هذه الارادة الحرة الواحدة تحتاج الى عقل منظم ، والى أعصاب محركة لتستطيع أن تصمد لما يواجهها من تحديات، ولتقدر على التقدم بكفاية الى الامال الافريقية العظمى . وهذه هى المهمة التى تنتظر مثل هذا المؤتمر وجهوده . انها خطوة هامة أن نبين حدود مسئولياتنا ، وخطوة أهم أن نلتقى هذه المسئوليات مع ارادتنا الواحدة ، ولكن الخطوة الحاسمة والنهائية ان نضع لهذه الارادة الواحدة محركات قوية تولد الطاقة الخلاقة ، وندفعها مع الاعصـــــاب الحساسة الى ممارسة التعبير الكبير ، الذى نريد به تطوير الحياة على أرضنا الافريقية .

لتكن جامعة أفريقية ، وليكن ميثاق لكل أفريقيه ، لتكن اجتماعات دورية لكل رؤساء دول أفريقية وممثليها الشعبيين ، ليكن أى شىء . وشىء واحد لا تريده الجمهـــورية العربية المتحدة ، هو أن نخرج من هنـا بألفاظ حماســـية أو بواجهـــات تنظيمية شكلية ... »

وبعد مناقشات استطـــاع مؤتمر القمة الافريقى أن يضع ميثاق « **منظمة الوحـدة الافريقية** » .. ووقع هـذا الميثاق رؤســاء حكومات الدول الافريقية المشتركة فى المؤتمر وعددها ٣١ دولة .

وهكذا ولدت هذه المنظمة ، التى يأمل الافريقيون أن تحقق لهم الخير الكثير . وفى مقال اخر سأتحدث عن أهدافها واجهزتها

دكتور
((على ابراهيم عبده))



لمحات من تاريخ الحضارة الافريقية

للدكتور محمد المعتصم سيد

اذا نظرنا للخريطة الحضارية فى أفريقية ، وجدنا أنها لم تكن خالية من الحضارات كما يحلو للبعض أن يؤكد ذلك ، فقد ازدهرت فى أفريقية عدة حضارات مثل حضـــارة ((**أكسوم**)) ، والحضارة ((**الأزانية**)) التى اشتهرت بزراعة مدرجات التلال ، وحضارة ((**زيمبابوى**)) التى تميزت ببراعة المعمـــار الافريقى فى اقامة الحوائط والابراج ، وصنع الابواب الدائرية ، وحضارة ((**مابونجوبوى**)) التى كانت تقع جنوب نهر ((ليمبوبو)) على حدود روديسيا الجنوبيـــة ، والتى تميزت بمخلفات فخارية على درجة كبيرة من المهارة .

كما أن ما يلمع فى تاريخ هذه الحضارات أن ((**الماندى**)) قد وضعوا نظما دقيقة للزراعة فى النيجر الاعلى فى فترات بعيدة تمتد الى ما بين عامى ٥٠٠٠ و٤٠٠٠ قبل الميلاد .

فاذا أضفنا الى ذلك الحضارة المصرية القديمة ، وانتشارها على رقعة كبيرة من افريقية .. أدركنا أن افريقية لم تكن عالة على البشرية ، وانما كانت تضع حاجاتهـــا بفهم وعمق فى ضوء الظروف الجغرافيـــة والاقتصادية التى كانت تحكمها .

ولقد تعرضت أفريقية للغزو من الفينيقيين، واليونانيين ، والرومان ، والفرس ، ولكن كل هذه الخطوات الاجنبية وقفت فى الشمال ، ولم تستطع كسر الحاجز الصحراوى ، وقد كان هذا التقدم من الوعى والذكاء بحيث استطاع تغطية أجزاء كبيرة من أفريقيـــة ، وصلت الى حد قيام عشر دول اسلامية فيما وراء الصحراء هى :

١ — غانا
٢ — مالى
٣ — صوصوفى كانياجا
٤ — صنغاى
٥ — الحوصة
٦ — اليوروبا
٧ — برنو
٨ — الكانم
٩ — أمارات موسى فى داجمبا
١٠ — البمبارا

ويمكن التأريخ لهذه الحضارات من كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين مثل الادريسى ، والعمرى ، وابو الفداء ، ومحمود كاتى ، وابن بطوطة وغيرهم من المؤرخـــين الذين أشعلوا أكثر من ضوء فى هـــذه الفترة من التاريخ .

وقد عاشت أفريقية فى ظلال هذه الفترة ، وساهمت فى تطور الحياة بها ، وكانت تصلها أنباء عن ربط العرب بين الشمال الافريقى وأسبانيا والبرتغال ، كما سمعوا عن اخضاع الاتراك للشمال الافريقى فى القرن السادس عشر ، وعن وصول البرتغال الى الهند عن طريق الســـاحل العربى ، وعن وجــود « مرتكزات » لهم تتمثل فى « الرأس الاخضر » و « لاجيـــوس » و « ناتا » و « بيرا » وموزمبيق .

على أن أفريقية قد استيقظت على أصوات أبنائها الحزينة ، وهم ينتزعون منها ، وعلى هذا الاهتمام المتزايد من الاوروبيين « بأفريقيه المدارية » ابتداء من عام ١٨٧٠ ، وعلى عدد العدد الوفير الذى لا ينتهى من المكتشفين والتجار والمبشرين ، بالاضافة الى عدد كبير من المغـــامرين يتسللون الى الرؤســـاء ، ويحصلون منهم على توقيعات فى مقابل أشياء تافهة ، وكلمات مغرية ، ووعود بالحماية من الجيران .

وفى غمرة هذه الرؤية التى كانت ضعيفة جدا الافريقيون أنفسهم فى وســط معترك تتقاتل عليه بريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا ، وايطاليا ، وبلجيكا ، والبرتغال .

وكانت هناك مقاومة مشرفة لهذا التدخل السافر ، والمنظم فى الوقت نفسه ، فكانت هناك ثورة ((**أحمد عرابى**)) فى مصر ((**ومحمد أحمد المهدى**)) فى السودان ، و((**رابح فضل الله**)) فى برنو ، و((**والوداد محمد عبد الله**)) فى الصومال ، و((**عثمان فوديو**)) فى الشمال النيجرى ، و((**تيبوتيب**)) فى منطقة البحيرات والكونغو .

وكان هنـــاك عدد آخر من الثورات ، ولكنها كانت جميعا تنهار الواحدة بعــد الاخرى ، وكان التغلغل الاوربى الذى يصل الى أعماق البلاد ، ثم يعمل على أن يشــل قواها ، ثم أخيرا يجعلها تتصرف من خلال قوانينه ونظرته للحياة .

وفى ضـــوء هذا يمكن القول بأن أوربا فرضت على القارة نوعا جديدا من الحيـــاة لم يكن ينبع من داخلها ، وانما كان يفرض عليها فرضا ، ولهذا جمدت قوى التحرك فى القارة ، وأصبح كل شىء عاجزا ومشلولا ، ولا يستطيع التحرك والاندفاع ، وانما يجر نفسه جرا .

وقد ظلت الحلقة محكمة على أفريقية الى حد أنه لم تكن هناك دول قبــل عام ١٩٥٥ متحررة سوى مصر ، وأثيوبيا ، وليبيريا ، وظلت كل دولة بعيدة عن الاخرى ولا تحس وظلت كل كولة بعيدة عن الاخرى ولا تحس بها ، الى أن انهار جزء من الجبل الجليدى فى عام ١٩٥٧ ، حين أصبحت غانا مستقلة داخل الكمونولث ثم هبت « رياح التغيير » بعنف بحيث لم تصبح فى القارة الان سوى عدة دول .. بعضها يسير الان الى الحرية الكاملة فى نهاية هذا العام كزنجبار ، وكينيا ، والروديسيتين ، ونياسالاند . وبعضها الاخر فى الطريق الى الحرية كانجولا ، وموزمبيق ، وبعض الجزر الاخرى .

صحيح أن بعض هذه الدول المســتقلة لا زالت تدور فى منطقة « الاسترلينى » ، أو منطقة « الفرنك » ، أو تخضع لسياسة الكمونولث .. ولكن هذه الدول تتحــرر يوما بعد يوم من هذه الضغوط .

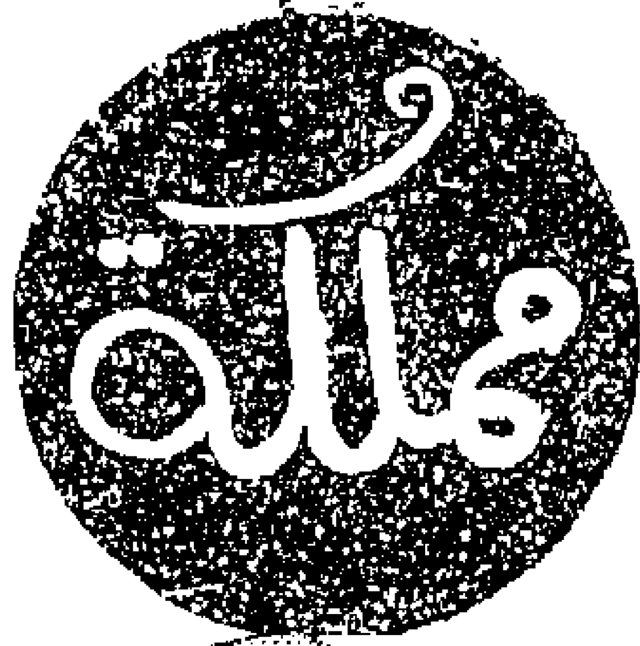
ولقد كان « مؤتمر القمة » الذى عقــد فى « أديس ابابا » ضربة موفقة ، أسرعت بتصفية المخلفات الاجنبية ، والعقــد التى تحكم بعض التصرفات ، وأصبح من غير شك هناك معنى حقيقى للوجود الافريقى .

كل هذا يستلزم ، بل كل هذا يسوقنا الى أن نعتقد أن الحضارة البشرية ستزدهر بالجديد الذى ستضيفه اليها أفريقية .

لقــــد كان العصر الماضى عصر « الرجل الابيض » ولقــــد استطاع بحق أن يضع « بصمته » على كل شىء فى الحياة ، وعلى أن يفتح آفاقا جديدة فى كافة الميـــــادين السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

ولــــكن كثيرين يذكرون اليوم أن هذه « الحضارة البيضاء قد استنفدت أغراضها ، وان العقم قد أصاب أجزاء كبيرة منهـــا . وأنه قد آن الاوان لشخفة جــديدة فى كافة ميادين الحياة ، وأن الامل معقود فى كل ذلك على القارة الافريقية .

((بقية الموضوع ص ٣٨))



مملكة الكونغو القديمة

بقلم س . ر . بوكسر
ترجمة عبد الواحد الامبابي

كانت مملكة الكونغو القديمة تمتد أصلا على طول كل من شاطىء نهر الكونغو الى ما بعد المسافة المعروفة الان باسم ستانلى بول Stanley Pool وبعد أن اكتشف البرتغاليون هذا النهر العظيم فى عام ١٤٨٢ لم تعد لملك الكونغو أية سلطة فعالة على المناطق الواقعة شمالية . ولقد أقام هذا الملك عاصمته عند مبانزاكونجو Mbanza Congo على بعد حوالى ثمانية أميال جنوب النهر ، وعلى بعد ١٥٠ ميلا من البحر بالطريق البرى . وكان هذا المكان يقع تقريبا فى وسط المنطقة التى كان هذا الملك لا يزال يسيطر عليها ، فى شبه مربع يحيط به البحر من ناحية كما تحيط به على التوالى من النواحى الاخرى أنهار زايرى ، بينجو وكوانجو Kwango Bengo

ولم تكن الملكية فى الكونغو ملكية وراثية . فقد كان يخلف الملك عادة بعد وفاته أى ابن من أبنائه ولكن الخلافة كانت فى أغلب الاحيان موضع النزاع والتنافس . وكان المطالب بالعرش بعد أن ينتصر ويفوز بكرس الملك يقوم بقتل منافسيه ومن معهم من أنصارهم الكبار .

وكان هذا الملك يتمتع نظريا أو شكليا بسلطة مطلقة على أراضى وممتلكات شعبه ولكنه من الناحية العملية كان مفروضا عليه أن يولى اهتماما بالغا لاراء النبلاء البارزين ووجهات نظرهم . وكان من أكثر هؤلاء النبلاء أهمية حكام المقاطعات الست التى تنقسم اليها مملكة الكونغو ، والذين كانوا مسئولين عن جمع الجزية الاقليمية من الرافيا Raffia (قماش النخيل) والودع أو الكورى Cawry وسلع أخرى وتقديمها الى العاصمة . وكان هذا الودع أو الكورى يمثل الشكل الاساسى للعملة الكونغولية ، وكانت جزيرة لواندا Luanda ، التى تشكل اليوم عاصمة أنجولا البرتغالية ، أهم مصدر لهذا المحار البحرى .

ولقد كان أفراد قبائل البانتو — الذين كانوا خاضعين لحكم ملك الكونغو — يعرفون طريقة صناعة المعادن بما فى ذلك الحديد والنحاس . وكانوا يتميزون بنوع خاص من المهارة الفائقة فى صناعة الفخار ونسج الحصر كذلك . وقد أثارت مهارة هؤلاء البانتو فى هذه الميادين دهشة البرتغاليين

الاوائل واعجابهم الشديد . كذلك استأنسوا بعض أنواع الحيوانات من أمثال الخنزير والاغنام والدواجن وفى بعض مقاطعات أخرى استأنسوا أيضا الماشية ، وان لم يكونوا ينتفعون بألبانها وزبدها وجبنها . أما بيوتهم التى يعيشون فيها فقد كانت عبارة عن أكواخ مبنية من مواد متواضعة يقيمونها على شكل مربعات .

وتكاد تنحصر الالات التى تعودوا أن يستخدموها فى الزراعة ، أن تنحصر فى الفأس والبلطة وكانت القوانين والعادات القبلية هى التى تحكم حياة البانتو اليومية وكان للسحرة والاطباء مكان مرموق واجلال عظيم داخل المجتمع البانتوى . ولم يكن الكونغوليون يعرفون الكتابة ، ويبدو أيضا أنه لم تكن لهم علاقات مع العناصر الاخرى الاكثر منهم تقدما وأعنى بها العناصر التى كانت تعيش على الامتدادات العليا لنهر النيجر حيث كانت توجد جامعة تمبكتو المزدهرة فى القرن الخامس عشر الميلادى .

ولقد وصف المكتشفون والرواد البرتغاليون الاوائل المواطنين البانتويين من سكان هذه المملكة بأنهم أكثر وعيا وذكاء من أى عنصر زنجى آخر التقوا به . فقد اظهر الكونغوليون فى أول الامر استعدادا طيبا لاتباع أساليب الحضارة الغربية ، خاصة فى عهد حكم الملك دون الفونسو Don Alfonso الذى دام من عام ١٥٠٦ الى عام ١٥٤٨ وهذا الملك كما يفهم من اسمه قد تحول الى المسيحية بل وبذل مجهودا كبيرا لغرس هذا الدين الجديد فى مملكته . لقد أراد هذا الملك أن يجعل من شعبه شعبا أوربيا فى وسائل الحياة وطرق المعيشة .

ولم تكن السفارات والبعثات البرتغالية الى الكونجو تضم القسس والرهبان فقط بل كانت تضم كذلك عددا من العمال المهرة والصناع الفنيين مثل الحدادين والبنائين والعمال الزراعيين ، وحتى من الالمان أيضا هاجر الى الكونجو فى عام ١٤٩٢ اثنان من عمال المطابع متطوعين ومعهما ماكينة طباعة ، ولكن التاريخ لا يخدثنا بشىء عما اذا كان هذان الرجلان قد قاما بطباعة أى شىء فى منطقة افريقيا الاستوائية قبل أن تنتهى حياتهما . غير أن طائفة من الكتب ومعظمها من الكتب ذات الطابع الدينى كانت تصدر بصفة منتظمة من البرتغال الى مبانزا كونجو العاصمة .

وفى بداية حركة الاندفاع العارمة الاولى أرسلت الى الكونغو مجموعة من السيدات البيض لكى يقمن بتدريس الاقتصاد المنزلى على النحو الذى كان معمولا به فى أوربا يومذاك للسيدات السود من مواطنات البلاد ، كما أرسل الى لشبونة عددا من شباب الاسر النبيلة الكونغولية لتلقى العلم هناك خاصة فى كلية « سانتوالبو » التى كانت تضم معظم هؤلاء الشباب . ثم حدث فى عام ١٥١٣ أن زارت البابا بعثة كونغولية على رأسها اثنان من سلالة البيت الملكى الكونغولى حيث تم تكريسه مطرانا لاوتيكا تحت الحاح عمانويل ملك البرتغال وعاد الى الكونغو فى عام ١٥٢١ ومعه عدد آخر من الزنوج الذين تم تعيينهم فى وظائف قسس . ووجد حينذاك أن الدعوة الى المسيحية فى الكونغو لم تكن موضع حماس والده بل ان عمته التى كانت تبلغ من العمر سبعين عاما قد فتحت مدرسة خاصة تدرس فيها للفتيات الكونغوليات .

ولقد تعلم دون الفونسو اللغة البرتغالية قراءة وكتابة ، وكان يعكف على الدراسة بها فى بعض الاحايين الى الحد الذى كان ينام فيه وفى يده كتاب من شدة الانهاك والتعب . وأقام بلاطه على نمط بلاط لشبونة فمنح الزعماء والنبلاء القاب مركيز ودوق وكونت الخ وأنشأ سكرتيرية برتغالية وقلد الاتيكيت البرتغالى حتى فى ملبسه ودرس القوانين البرتغالية فى مراجعها الاصلية وكان ينتقد العقوبات التى توقع على الجانى بسبب ارتكابه عملا صغيرا وفى يوم من الايام سأل المبعوث البرتغالى مازحا : كاسترو ما هى عقوبة الشخص الذى يضع قدميه على الارض فى القانون البرتغالى ؟

وكان يشرف على بناء الكاتدرائية وبعض الكنائس الحجرية الاخرى فى عاصمته ، ويشجع الشعب على اقامة الكنائس والمدارس البسيطة المبنية من الاختشاب المتواضعة فى مملكته .

كما أصبح يطلق على « مبانزاكونجو » — التى تسمى الان « سابو سلفادور » — باللغة الوطنية اسم اكونجو ديانجونجو Ekongo dia Ngungo ومعناها « مدينة أجراس الكنيسة » .

وعلى الرغم من أن كل الاعمال التى قام بها هذا الملك الكونفولى قد تلاشت بموته ، فان ذكراه لا تزال حية . فقد كتب أحد المبشرين الرومان الكاثوليك فى الكونغو عام ١٨٨٩ يقول :

« ان أى زنجى من أبناء الكونغو لا يعرف من أسماء ملوكه سوى ثلاثة منهم فقط هم : الملك الحاكم وسلفه والملك دون الفونسو الاول » .

ويدعى بعض المؤرخين أن البرتغاليين خلال هذه الفترة ، بل وخلال فترة طويلة أخرى بعد ذلك لم يحاولوا أن يستحوذوا على السلطة السياسية فى مملكة الكونغو أو يفرضوا نفوذهم فيها بقوة السلاح ، بل انهم قد ذهبوا الى هناك لنشر الديانة المسيحية والحضارة الغربية عن طريق هيئات التبشير والمبعوثين الدبلوماسيين والفنيين الزائرين وكانوا يعاملون ملك الكونغو كحليف لا كتابع .

وهنا نتساءل : اذا كان الامر كذلك فلماذا اذن لم تصبح مملكة البانتو هذه مملكة غربية فى طابعها ونظامها منذ أربعة قرون ونصف حين كان ينظر كل من الملكين الاوروبى والافريقى الى هذه العملية على أنها موضع الرغبة من جانب كل منهما ؟

الاسباب لذلك كثيرة ومتعددة ومن الممكن أن نلخصها هنا فى سرعة عاجلة :

أولا — لم يوجد العدد الكافى من المبشرين والفنيين البرتغاليين الذين يمكنهم نشر التعليم الدينى والفنى بين أبناء الكونغو بطريقة ايجابية مثمرة . وكثيرا ما طالب الملك الفونسو بتزويد بلاده بأعداد من هؤلاء المبشرين والفنيين ولكن الافواج التى جاءت منهم كانت قليلة للغاية ، وحتى معظم الذين وصلوا الى الكونغو سرعان ما لقوا حتفهم — مثل عاملى الطباعة الالمانيين — نظرا لعدم ملاءمة جو المنطقة الحارة لهم ، ولم يكن أصل علاج حمى الملاريا وغيرها من أمراض المناطق الحارة معروفا يومذاك .

ثانيا — كان معظم الذين حضروا الى الكونغو من النماذج المهزوزة التى ليس لديها احساس حقيقى برسالتها الدينية ، لان الاحساس المعنوى بالروح الكهنوتية كان فى حالة من الانحطاط التى يرثى لها أثناء الفترة الاولى من القرن السادس عشر فى البرتغال وكذلك فى مختلف دول أوربا أيضا .

ثالثا — كانت التزامات البرتغال الواسعة المتزايدة فيما وراء البحار بعد اكتشاف الطريق البحرى الى الهند وجزر التوابل وكذلك قيامها بالحروب فى مراكش وفى الوقت نفسه بذلها جهودا جبارة لاحتلال البرازيل، كان كل ذلك سببا فى صرف عنايتها واهتمامها الى الكونغو أولا . فقد كان ملك البرتغال جون الثالث مثلا الذى استمر حكمه من عام ١٥٢١ حتى عام ١٥٥٧ لا يبدى اهتماما كبيرا بالكونغوا ، وهو ميدان التبشير المأمول ، كثيرا ما كان هذا الملك البرتغالى يترك طلبات ملك الكونغو وخطاباته دون أن يرد عليها ربما عدة سنوات وحتى عند ما كان يجيب له طلبا أو يحقق له رغبة كان ذلك قليلا وبعد فوات الاوان .

والى جانب هذه الاسباب السابقة التى أدت الى فشل البداية المرجوة لنشر المسيحية والحضارة الغربية فى الكونجو كان هناك من غير شك سبب رئيسى آخر تمثل فى ظهور العلاقة الوثيقة التى نمت بسرعة بين رجال الارساليات وتجار الرقيق . وهذه قصة أخرى لا يتسع لى المجال هنا لسرد كل تفاصيلها الا أنه على الرغم من وجود كل هذه العقبات التى ذكرناها آنفا لا يمكن أن نقول ان جهود البرتغاليين الاوائل قد ضاعت فى يوم أوحتى فى جيل واحد ففى استطاعتنا هنا اعتمادا على

الاوصاف التى ذكرها بعض الذين استوطنوا مملكة الكونغو القديمة أو زاروها من الاوربيين فى عام ١٥٨٨ أو بعض الرهبان الايطاليين الذين كتبوا لناعنها فى عام ١٦٤٩ فاستطاعننا أن نقول ان « مدينة أجراس الكنيسة » قد ظلت لفترة طويلة من الزمن مدينة اجراس الكنيسة فعلا وكان التاجر البرتغالى دبوراتى لوبيز يقدر عدد سكانها باعتبارها العاصمة فى ذلك الوقت بـ ١٠٠,٠٠٠ (مائة الف) نسمة ، على الرغم من أن القصر الملكى وكاتدرالية المدينة كانا المبنيين الرئيسيين فيها فقط وكانت منازلها عبارة عن أكواخ مبنية من الطين ومسقوفة بالبوص .

ويقول هؤلاء الذين شاهدوا شعب الكونجو فى القرن الخامس عشر أو الماكس كونجو Muxi-Congo كانوا يطلقون عليهم — ان أفراد هذا الشعب كانوا أكثر تفوقا من حيث بنيتهم الجسمية وقدراتهم العقلية من كل طوائف الزنوج الاخرى .

وأعجب الرهبان الايطاليون بما كان عليه هذا الشعب فى حياته اليومية من روح المرح والبهجة التى كانت تتسم بالطابع الفلسفى وبزهدهم الحقيقى فى التهافت على الثروة أو الاشياء الدنيوية الاخرى .

وعلى الرغم من أنهم ظلوا يحتفظون بأساليبهم البدالية فى الزراعة فانهم نجحوا فى زراعة الحبوب ونبات «الكسافا» Manioc وفضائل الموالح مثل البرتقال والليمون واللارنج والفواكه والبطاطس وغيرها .

كما تعلم المحاربون منهم طريقة استخدام البنادق الا ان ملك الكوجو بومذاك لم يكن يسمح لاحد بحملها أو استعمالها الا لافراد حرسه أو للجماعة التى كان منوطا بها عملية الدفاع عن المستنقعات الشرقية ضد هجمات وغزو الجاجاز Jagas وكان القضاء يسير فى مملكة الكونجو القديمة طبقا للقوانين والعادات القبلية ما دام النزاع محصورا بين الكونغوليين أنفسهم أما النظر فى القضايا التى تكون بين برتغالى وكونجولى فقد كان ينظر فيها القاضى البرتغالى المقيم اذا كان صاحب الشكوى افريقيا وينظر فيها القاضى الكونجولى اذا كان صاحب الشكوى أوربيا .

وفى القرن السابع عشر ساءت العلاقات بين ملوك الكونجو والبرتغاليين الذين كانوا موجودين فى أنجولا ولم يأت القرن الثامن عشر حتى انتهت هذه العلاقات السيئة الى حروب واضحة مكشوفة .

ويرجع تاريخ الانهيار الحقيقى الذى قضى على مملكة الكونغو الى معركة « أمبيولا » التى وقعت فى عام ١٦٦٥ ومات فيها ملك الكونغو وهو يدافع عن بلاده ضد نفوذ البرتغاليين وسيطرتهم .

« ترجمة عبد الواحد الامبابى »

الكونغو والحرب العالمية

بقلم عبد السلام شحاته

انقذت الكونغو بلجيكا حين انهارت اقتصادياتها فى الحربين العالميتين . كما أنقذتها من قبل وجعلت لتلك الدويلة الصغيرة وزنا فى العلاقات الدولية

وفى الحق ان الدول الاوربية المسيطرة على السفارة الافريقية كانت تلجأ الى هذه الاخيرة فى ازماتها لتبتز ثرواتها ومواردها . وفطنت هذه الدول الى الموارد الضخمة التى تمد بها الكونغو بلجيكا ، حتى ان ألمانيا قبيل الحرب العالمية الاولى كانت تحلم بتكوين امبراطورية ممتدة الاطراف فى وسط افريقيا تشمل الكونغو او جزء منه وقيل ان هذه الاطماع الالمانية كانت احد الاسباب التى ادت الى احترام حرب عام ١٩١٤

وقد اظهرتنا الحربين العالميتين على ظواهر تستحق التأمل ، فان بلجيكا كرست مواردها الضخمة من الكونغو خلال الحربين لخدمة قضية الحلفاء ومع ذلك فما تكاد تضع الحرب اوزارها حتى يختلف هؤلاء الحلفاء وتتسلل اطماعهم حالة بخيرات الكونغو وموارده الاستراتيجية أو يحسدون بلجيكا على ماتنعم به من ثراء ، وهذا أضعف الاطمال .

وما ان انتهت الحرب الاولى حتى رأينا بريطانيا التى كانت مساهمة فى استثمارات مناجم كاتنجا تنادى باعادة النظر فى اتفاقية برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ وتبحث فى مدى شرعية تنازل الملك ليوبولد الثانى عن الكونغو للحكومة البلجيكية . ورأت فرنسا مطامع الدول الاوربية فى افريقيا فحرمت استثمار الاموال غير الفرنسية فى مستعمراتها الافريقية

وفطن المفكرون عام ١٩١٧ الى ما تمثله أفريقيا من خطر فى اثارة الخلاف بين الدول الاوربية فنادى هـ . ج ويلز بأن ينأى المتحاربون عن الزج بالقارة الافريقية فى النزاع وبأن تفتح ابواب القارة للاستثمارات الاوربية بلا قيد .

واتجه حزب العمال البريطانى خلال الحرب الاولى اتجاها مشابها فنادى بحياد افريقية وضرورة اخضاعها لهيئة دولية محايدة تسيطر على القارة كلها وتفتح أبواب الاستثمار لجميع الدول الاوربية وتحمى الافريقيين من التعصب القبلى وتخصص الارباح لمشروعات التنمية داخل القارة . وقدمت مشروعات مماثلة الى عصبة الامم فلقيت نقدا مريرا واعلن الجنرال سمطس مثلا انه من المستحيل على اية لجنة ان تسيطر على تلك المساحات الواسعة وتلك الاقاليم المتباينة التى تثير الخلافات المستمرة والمتاعب الدائمة .

ولم تغفل الدول الحليفة عن أهمية الكونغو فطالبت بامتيازات كثيرة ثم انتهى بها الامر الى السكوت الى حين . ومن الغريب ان يحدث هذا من حلفاء بلجيكا فى الحرب الاولى بعد أن ساعدت قضيتهم بثروات الكونغو ورجاله فقد كرست تلك الموارد الكبيرة لهم ، وعلى سبيل المثال كانت بريطانيا تستورد من الكونغو أربعة الاف طن من المعادن قبل عام ١٩١٦ فتضاعفت هذه الكمية خلال الحرب ووصلت الى ١٣ الف طن (**وبلغت الكميات المصدرة من المعادن من الكونغو الى**

بريطانيا فى الفترة الاولى من الحرب العالمية الثانية الى ١٤٤ الف طن) .

وساعدت قوات الكونغو جيوش بريطانيا فى افريقيا فى طرد الالمان من غرب افريقيـــا وشرقها . ففى الغرب اسهمت تلك القوات مع ابناء نيجيريا وساحل الذهب وسيراليون فى اجلاء الالمان عن الكاميرون والتوجو . وفى الشرق ساعدت فى اجلائهم عن اقليم رواندا اورندى « الذى عهدت به عصبة الامم فيما بعد الى بلجيكا » وذلك فى الفترة من ابريل الى يونيو عام ١٩١٦ . وقد قدم ذلك الاقليم الذهب والقصديروالمعادن النادرة والحاصلات المدارية الى الحلفاء خلال الحرب الاولى .

كما اسهمت قواد الكونغو فى اجلاءالالمان عن ذلك الاقليم الذى سمى تنجانيقا فيمابعد وذلك فى عام ١٩١٦ ايضا

ومع هذه الخدمات لم تسلم بلجيكا من أطماع أعدائها فى الكونغو الذى ظهر لهم مدى ما يملك من موارد خلال الحـــرب وكوفئت بلجيكا اخر الامر على خدماتها فعهد اليهـــا بادارة رواندا ورندى

وبعد الحرب الاولى خافت بلجيكا اطمـاع حلفائها فى الكونغو فعملت على ضغط قبضتها على الكونغو فحالت بينه وبين الاتصـــــال الخارجى وحاربت التيارات الثقافيةوالفكرية وكانت الكونغو تخضع لاوامر بروكسل مباشرة كما عملت على انشاء الشركات الضـــخمة لتكديس الثروات .. كأنما لمست بلجيكا ان خطرا ما يهدد كنزها الذهبى الذى تؤثر به نفسها وتريد لذلك ان تستغله الى اقصى حد وان تخفى امره عن عيون الحاسدين .. وساد السلام والاستغلال ونهب ثروات الكونغو فى الفترة التى فصلت بين الحربين

ولكن ..

بواكير الحرب الثانية اجتاحت الجيوش الالمانية اقليم بلجيكا فهربت حكومتها الى لندن لتسهم فى الحرب الى جانب الحلفاء وذلك بما تملكه من كنوز فى افريقية .

ولاول مرة فى تاريخ الاستعمار البلجيكى اخذت تلك الحكومة الشريدة تتغنى بمزايا الكونغو وثرواته وبمدى اسهامه فى نصرة قضية الحلفاء وذلك فى نشرات صغيرة اعدت خلال تلك الحرب بلندن

وذكرت النشرات فوائد الاستعمارالبلجيكى الذى جعل الكونغو قادرا على مناصرة قضية الحرية .. ولا نعلم عن وجه اليقين ما اذا كان البلجيك قد اذاعوا دعايات تشبه تلك التى نادى بها الحلفاء فى الحرب الثانية بين ابناء الكونغو الذين كانوا يعيشون فى عزلة عن العالم ، وان كنا نعلم ان هذا اللون من دعايات الحلفاء ذكر انهم يدافعون عن الحرية وان هتلر ينادى بالتمييز العنصرى ، مما جعل الشعوب الخاضعة تنساق لتأييد جلاديها فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل ويصف لنـا سيتهول فى كتابه «القومية الافريقية »ماتصوره الافريقيون من تناقض بين اقوال الحلفـــاء ودفاعهم عن الحرية وبين افعالهم التى سلبوا بها حرية الافريقيين . وبهذه المناسبة فان تاريخ تلك الحرب يبين لنا ان جنوب افريقيا التى يجابهها الاستعمار اليـــوم رغم انكار العالم لها ولـسياستها فى التفرقة العنصرية لم تؤيد قضية الحلفاء تاييدا كاملا بل كانت بها بعض النزعات الناصحة لنظرية هتلر فى التمييز العنصرى . والمهم ان بلجيكا حين صارت ارضها مستعمرة المانية خلال الحرب ولم يبق لحكومتها غير الاسم انضوت حكومتها هذه تحت لواء بريطانيا فى الفترة الاولى من الحرب قبل انضمام الولايات المتحـدة الى صـــف الحلفاء وكرست بلجيكا الجهود كى تخصها بريطانيا بخيرات الكونغو فجعلت الانتاج يرتفع الى اقصى حد واعادت تنظيم وسائله ليكون فى خدمتها .

كانت بريطانيا فى حاجة الى الذهب لتشترى به السلع من الولايات المتحدة وغيرها فعملت بلجيكا على استغلال مناجم الذهب فى الكونغو الى اقصى حد . ولما انضمت اليها الولايات المتحدة ولم عد للذهب قيمته الكبرى فى تلك المرحلة من الحرب هيأت اكبر الوســـائل لاستغلال المعادن والمواد الاولية الاخرى من الكونغو . ذلك انه بعد سقوط الهند الصينية وتايلاند والملايو وجزر الهند الشرقية التى كانت تابعة لهولندا وبورما فى يد اليابان ظهرت

الحاجة الماسة الى المواد التى كانت تصدرها هذه البلاد الى بريطانيا مثل القصدير والمطاط والتونجستن . وأصبحت الكونغو البلجيكية ضمن كتلة الاسترليني النقدية فحددت الاستيراد من المناطق الاخرى ووهبت ثرواتها الى بريطانيا بابخس الاسعار وبالاضافة الى المواد المذكورة صدرت الكونغو النحاس والقطن والكوبالت والفول السوداني وزيت النخيل والسكر وذلك بنفس السعر الذى تحصل به بريطانيا على هذه السلع من مستعمراتها ، وزيدت كمية زيت النخيل بانواعه التى يستخرج منها الجلسرين والمواد المتفجرة وهذه الكميات كانت ترد اصلا من مناطق الشرق الاقصى التى استولت عليها اليابان .

وعقدت اتفاقيات بين بلجيكا وبين بريطانيا تتضمن شروط التعاون بينهما اولاهما اتفاقية عام ١٩٤١ واخرى بعد ذلك بعام واحد وتبعها كل من انطونى ايدن وهنرى سباك ونص احد من شروطها على ضرورة توفير عناصر الانتاج التى من ضمنها مطالب العامل الافريقى فاشارت الى توفير الحلى الصناعية والحلوى التى تروق للافريقيين باعتبارها من العوامل المشجعة على توفير المواد الاستراتيجية اللازمة للحرب !

ولسنا نريد ان نعدد انواع السلع والمقادير التى صدرت خلال الحرب ويكفى القول بأن الكونغو قد استغلت الى اقصى حد فى هذه الحقبة لصالح بريطانيا ولصالح الحلفاء عامة

واسهم العامل الكونغولى فى جمع التبرعات لشراء الاسلحة وللترفيه عن البلجيكيين ومشوهى الحرب من البريطانيين وغيرهم وبلغت التبرعات حتى عام ١٩٤١ فقط ماقيمته ٢٥٠ مليون جنيه استرليني .

وليس هذا فحسب ، بل اكتسبت الكونغو أهمية دولية تفوق اهمية المستعمرات الاخرى بل تفوق اهمية اية دولة اخرى . وهذا مما جعل الكونغو محط الاطماع الى يومنا هذا .. وقد وفد اليها خلال الحرب رجال يقصدون منجم شنكولبوى فى كاتنجا .. ومنذ ذلك اليوم الى الآن وهذا المنجم سر لا يعرف كنهه احد اذ يحوطه رجال مسلحون .. هذا المنجم اشرف عليه ادجار سنجيه البلجيكى اشهر رجل فى الحرب العالمية الثانية وان كان لايعرفه الناس . وسنجيه له هذه الشهرة لانه هو مورد مادة اليورانيوم التى صنعت منها قنبلتى هيروشيما ونجازاكى ، وبهما هزمت اليابان وانتصر الحلفاء .

وهكذا اكتسبت حكومة بلجيكا الشريرة فى لندن اهميتها على حساب الكونغو .. وهكذا انقذت الكونغو بلجيكا فى أزمتها اعظم انقاذ مما اثار حسد الحلفاء على ما تمتلكه هذه الدويلة الصغيرة . ومما جعل هؤلاء الحلفاء يحمون المصالح البلجيكية فى الكونغو اذ مالاح خطر على مصالح بلجيكا ومصالحهم فيها .

وهكذا اكتشفت مادة الانتصار فى افريقية . وكأن افريقيا كلها كانت تكتشف من جديد خلال تلك الفترة .. فمثلا بعد ان دارت المواقع الهائلة فى شمال افريقيا واقفل البحر الابيض المتوسط اكتشف الحلفاء أهمية مدينة فريتون فى سيراليون باعتبارها وسيلة الاتصال الجوى بين شرق افريقية وبين المحيط الاطلسى وأوروبا .. وكما اكتشفت مادة النجاة فى الكونغو أعيد اكتشاف القوة الحربية الهائلة التى تتمثل فى الجنود الافريقيين الذين ساعدوا فى اماكن وجبهات متعددة فى القتال واعادوا الى الاذهان جهودهم فى طرد المانيا من مستعمراتها عام ١٩١٦ .

وابناء الكونغو مثلا اسهموا فى اجلاء قوات ايطاليا عن الحبشة من جهة الغرب ، فقد كانت قوات بريطانية تهاجم القوات الايطالية من الشمال ومن الجنوب اما الغرب فكان فى نظر القادة الايطاليين حصينا بصحرائه وصخوره .. وارتحل جنود الكونغو من بلادهم الفى ميل بالقوارب ثم ساروا برا ثم عبروا النيل الابيض وحاصروا القوات الايطالية فى منطقة سابو مما اضطر هذه القوات الى التسليم واسرت القوات ستة آلاف جندى من الجيش الايطالى . كما ساعدوا فى انتزاع أسوسا من الايطاليين واسروا خمسة آلاف جندى .. فمن دماء وتضحيات الكونغولى عاشت بلجيكا خلال الحرب وكان لها كيانها . فالكونغو هو الذى انقذها فى محنتها .. فماذا كان جزاء هذا المنقذ ؟

كان الجزاء هو زيادة الاستغلال ! فان بلجيكا قد تحطمت اقتصادياتها اثناء احتلالها فى الحرب ورات ان تعوض خسائرها على حساب الكونغو . واهتدت الى وسيطة تخفى بها أغراضها وهى خطة السنوات العشر لتطوير الكونغو الاقتصادى التى بدات عام ١٩٥٠ . واستثمر فى الخطة ٥٠ بليون فرنك بلجيكى اشتركت فيها بلجيكا بنسبة ٥٠ ٪ واسهمت فيها الولايات المتحدة وسويسرا والبنك الدولى للانشاء والتعمير . وكما ان بلجيكا لجأت لانشاء الشركات الضخمة لتعويض خسائرها فى الحرب الاولى كذلك لجأت الى هذه السياسة لتعويض خسائرها فى الحرب الثانية .

والرعاية الابوية التى تجلت خلال هذه الخطة ، وهى الرعاية التى تزعم بلجيكا ان سياستها فى الكونغو قامت على اساسها ، انما هدفها هو الاستئثار بالكونغو وعزله عن العالم والبعد به عن تيارات الفكر والسياسة وجعل التعليم مهنيا لتوفير العمال المهرة بأرخص الاجور . والادعاء برفع المستوى الاقتصادى للعمال مع التدخل فى ادق شئون حياتهم وتكبيلهم بالقيود كما هو الحال فى مناجم كاتنجا حيث تصرف الشركة على المسكن والمأكل والمشرب وساعات العمل وساعات الفراغ الخ .

والمشروعات الاساسية للتنمية الاقتصادية مثل الطرق والنقل ومحطات القوى الكهربائية انما رسمت لاغراض الاستغلال المباشر لا لصالح الكونغو كدولة واحدة ، وحسبنا ان ندرك ان المواصلات توصل من مناجم كاتنجا الى البحر ثم لا نجد وسيلة اخرى منظمة للمواصلات تصل بين اطراف الكونغو .

ولنضرب مثلا واحدا يدل على السياسة الكامنة وراء خطة التنمية البلجيكية فقد اهتمت الخطة ضمن ما اهتمت بالتنمية الزراعية وذلك بتوفير المخصبات الزراعية والالات الميكانيكية مما يرفع من كمية الانتاج ويشجع المزارعين الذين هجروا مزارعهم الى المدن على العودة للاعمال الزراعية . مما يؤدى الى زيادة كمية الصادرات الى بلجيكا من الحاصلات .

ولكننا نعلم ان المدن فى افريقية وفى كل مكان هى مركز الحركات السياسية والعمالية وان مدينة مثل ليوبولدفيل كان فيها حركات عمالية سمح البلجيكيون بوجودها ، تجنبا للكبت والضغط . ولكى تخفف بلجيكا من وطأة مثل هذه الحركات فهى تعمد الى تقليل عدد سكان المدن . وليوبولدفيل من المدن التى تضاعف عدد سكانها وارتفع فى وقت قصير نقد كانت تضم ٤٠ الف نسمة عام ١٩٣٩ واصبحت خلال الحرب تضم ١٠٠ الف ، ثم صارت بعد ٣٠٠ الف .. فالعمل على تشجيع الزراعة بالاضافة الى هدفه الاقتصادى المباشر يخفف من كثافة السكان وبالتالى يخفف من

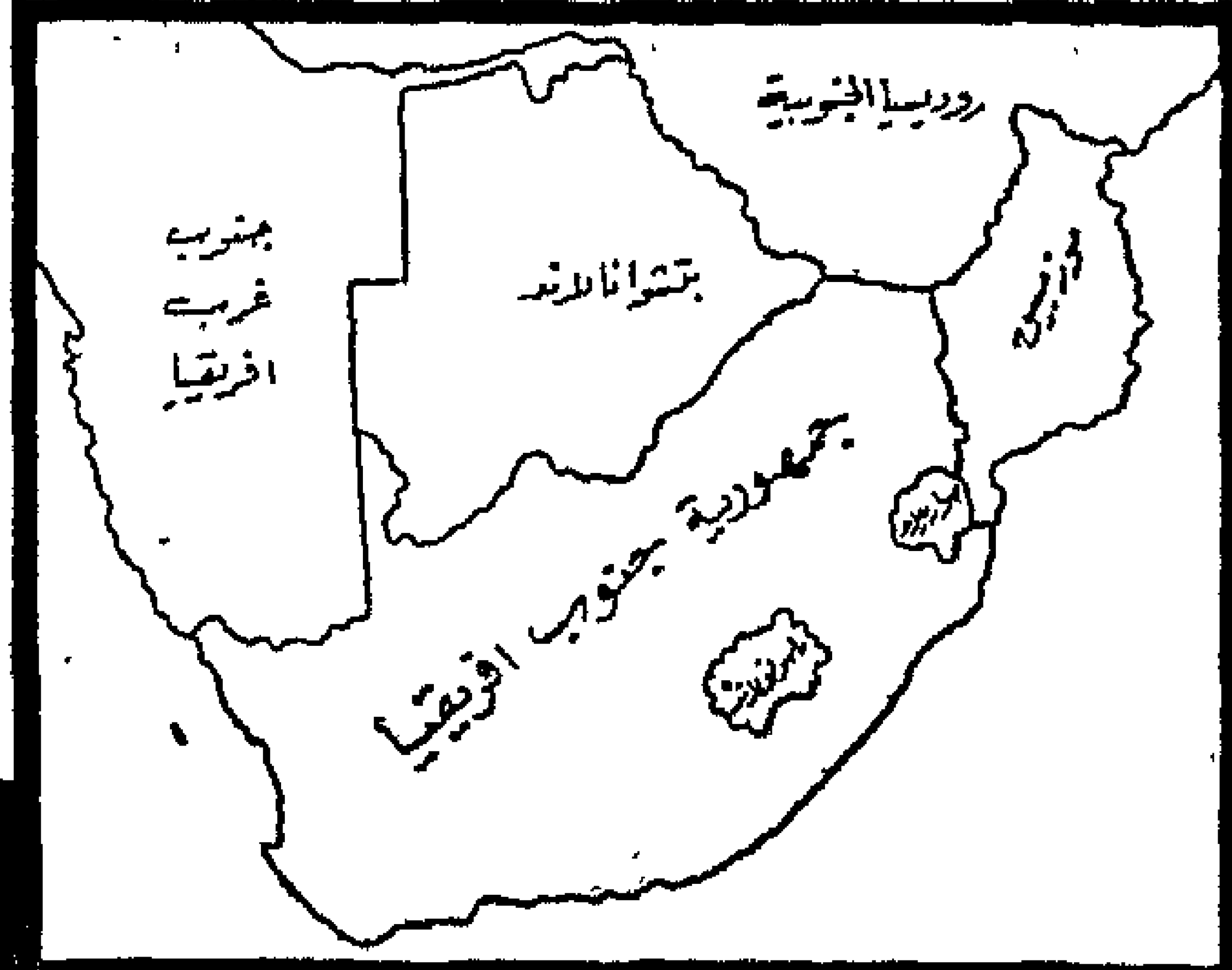
* * *

ولكن الم تفد الكونغو من الحرب .. ؟

لقد افادت الحرب فى كل مكان .. فالاختلاط بالاجناس الاخرى والافادة من وسائل الاعلام والتنبه للدعاية للحرية والتنبه الى تناقض الاستعمار بين اقواله التى دافع بها عن الحرية وبين افعاله التى جثم بها على صدر الشعوب الاخرى .. وتطور الاحداث فى العالم وتطور القيم .. كل ذلك قد نبه الاذهان . ومن ناحية اخرى فان اختلاط الجنود الافريقيين من ابناء الاقطار المختلفة التى قد يبعد كل منها عن الاخر آلاف الكيلو مترات وذلك خلال القتال وفى التدرب عليه .. هذا الاختلاط قد جعلهم يشعرون شعورا مشتركا رغم تباعد بلادهم واختلاف لغاتهم وعاداتهم وثقافتهم .. شعروا بوقداك شعورا موحدا يؤلف بين قلوبهم فى وجه الرجل الابيض . وهذا ما جعل القول بالوحدة الافريقية فيما بعد كلاما تتجاوب له نفوس الافريقيين لانه كشف عن دافع وحقيقة كان يحجبها الاستعمار .

* * *

واذا كان جزاء الكونغو جزاء سنمار كما يقول المثل العربى القديم فان سنمار الحديث يعرف كيف تبقى مصير زميله القديم ويشيد لنفسه لا لغيره بعد ان كشف قوته وثروته .



فيروورد وبريطانيا والمحميات في جنوب افريقية

بقلم أحمد صوار

في النصف الجنوبي من قارة افريقيا تقع ثلاث مناطق مازالت تحت الاستعمار البريطاني هي بتشوانالاند وباسوتولاند وسوازيلاند .. وقد اصبح واضحا اليوم اكثر من ذي قبل ان استقلال الاقاليم الثلاث تحفه الاخطار والاطماع من جانب حكومة البيض في جمهورية أفريقيا الجنوبية . ففي الوقت الذي يسعى فيه سكان هذه الاقاليم لنيل الاستقلال ليلحقوا بركب الحرية الذي انضمت اليه معظم شعوب القارة يعلن « فيروورد » رئيس وزراء حكومة جنوب افريقيا والعدو الاول للافريقيين ان بلاده تنوى ضم المحميات الثلاث اليها . ولكى يبرر « فيروورد » أطماعه أمام الرأى العام الافريقى اضاف بان رغبة حكومته هى تحويل هذه الاقاليم الى اماكن مخصصة لسكنى قبائل البانتو مع اعطائها نوعاً من الحكم الذاتى .

ومعنى هذا ببساطة الحال ان يحرم السكان فى هذه المحميات من حريتهم واستقلالهم ويصبحوا اسرى حكومة البيض فى افريقيا الجنوبية التى يرأسها فيروورد المعروف بتعصبه الاعمى ضد الافريقيين ، أما عن شعوب بتشوانا وسوازى وباسوتو التى تقطن الاقاليم الثلاث فقد عارضت بشدة اتجاه فيروورد وحكومته البيضاء واستنكرت نداء المجانين من البيض فى جنوب افريقيا الذين حلت عليهم لعنة شعوب القارة من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ومن طرفها الشرقى الى طرفها الغربى واوصدت هذه الشعوب فى وجوههم ابواب المحافل والمؤتمرات ، ولم يعد لهم مكانا بيننا نحن الافريقيين

ومن اغرب الامور حقا ان بريطانيا وهى الدولة التى تتمسك حتى اليوم باستعمار شعوب هذه الاقاليم لم تحرك ساكنا ولم تنطق بكلمة بل اكتفت بوضع رأسها فى الرمال كأنما هناك اتفاقا بينها وبين فيروورد حول تسليمه شعوب المناطق الثلاث لقمة سائغة فى افواه العصابة البيضاء التى تتحكم فى حياة ثلاثة عشر مليونا من الافريقيين

وقبل أن نلقى باضوائنا على هذه المؤامرة التى تحاك لسكان المحميات الثلاث الذين يعيشون فى اقصى الجنوب من قارتنا الحبيبة

نود أن نعود الى الوراء قليلا لنتذكر قصة الاحتلال البريطاني لهذه البلاد وكذلك طريقة حكم بريطانيا التى كادت تقضى على حياة هذه الشعوب التى لم تكف عن الكفاح والنضال منذ ان وطئت اقدام بريطانيا اراضيها

الاستعمار البريطاني واسلوب الحكم :

ان بتشوانا لاند تعتبر بحق اكبر المحميات رغم ان نصف مساحتها تشغلها صحراء كلها رى التى يعيش فيها حتى يومنا هذا قبائل البوشمن والهوتنتون اقدم السلالات الافريقية التى عمرت القارة . ومساحة المحمية حوالى ٢١٢ الف كيلو متر مربع اى انها تقرب من مساحة انجلترا : اما لدول المحيطة بها فهى من الغرب اراضى جنوب غرب افريقيا ومن الشمال روديسيا الجنوبية ومن الشرق والغرب جمهورية جنوب افريقيا . وسكان البلاد يقدرون حتى عام ١٩٦٠ باكثر من ٣٥٠ الف نسمة والعاصمة مالكنج .

اما من سوازيلاند فتصل مساحتها ٦٧٠٤ ميل مربع ويحدها من الشرق مستعمرة موزمبيق البرتغالية اما عن باقى الجهات فتحيط بها جمهورية جنوب افريقيا . والبلاد مشهورة بمناخها الاستوائى ، كما يصل سكانها الى أكثر من ٢٤٥ الف نسمة والعاصمة هى « مبابين »

الا ان احسن الاقطار الثلاث هى باسوتولاند اكثر من ١١ الف ميل مربع وتعرف بسويسرا افريقيا نظرا للارتفاع التى تتميز به اراضيها فمنها تبدأ سلسلة جبال دراكنزبرج والتى يصل ارتفاعها الى اكثر من ١٢ الف قدم . وباسوتولاند مثل جزيرة بيضاوية الشكل وسط جمهورية جنوب افريقيا وتضم اكثر من ثلاثة ارباع مليون نسمة وعاصمتها «ماسيرو»

ويرجع تاريخ استعمار هذه الاقطار الى القرن التاسع عشر الميلادى فقد انتهز الانجليز فرصة انشغال سكان باسوتولاند فى حرب مع البوير وسيطروا على البلاد فى عام ١٨٦٨ متظاهرين بحماية سكانها من البوير ووقعت ملكة بريطانيا يومئذ فكتوريا على معاهدة تضمنت حماية بريطانيا لاراضى باسوتو . وقد عجز شعب باسوتو تحت قيادة زعيمه موسيشن عن الصمود امام قوات بريطانيا بسبب تفوقها فى السلاح والرجال . وبعد عشر سنوات من الاحتلال ثار الأهالى عام ١٨٨١ ولم تتمكن بريطانيا من اخماد الثورة الا بشق الانفس بعد ان فقدت البلاد الالاف من ابنائها .

وقد جرى غزو بتشوانا لاند بنفس الحجة فارسلت بريطانيا قواتها فى عام ١٨٨٤ لاخراج البوير واحلال جنود بريطانيين محلهم ، وقد علم فى عام ١٩٠٣ من وثائق سوازيلاند والمحفوظة فى سجل الوثائق بلندن كيف اشترى البريطانيون هذه الاراضى من حاكمها فى ذلك الوقت موباندرزينى فى مقابل مشروب الجن وكلاب الصيد .

ونفس الخدعة التى احتلت بها بريطانيا بتشوانا لاند و باسوتولاند احتلت بريطانيا ايضا شعب سوازى .

وبعد احتلال الاقطار الثلاثة خصصت احسن الاراضى للمستوطنين البيض فمثلا فى سوازيلاند يوجد ٨٠٠٠ اوروبى اكثرهم من البريطانيين ويشكلون نسبة قدرها ٣٪ من سكان البلاد مع أنهم يمتلكون ٤٢٪ من اراضيها الخصبة وفى بتشوانالاند استولى المستوطنون البيض على مايقرب من ٧٠٪ من الاراضى الزراعية

والان لا يوجد فى البلاد مايكفى من الاراضى الزراعية للسكان الاصليين ، ولذلك يعيش الشعب فى فقر مدقع اضطرت غالبيتهم للعمل فى مناجم الذهب ومناطق المناجم فى جنوب افريقيا حيث تستغلهم الشركات الاجنبية مقابل أجور زهيدة . فمثلا يغادر من الاقطار الثلاثة مايقرب من ٢٠٠ الف شخص سنويا للعمل فى افريقيا ويوقعون على عقود مدتها من ثلاثة أشهر الى سنة كاملة . وفى حالة انتهاء العقد يعودون ثانية الى موطنهم الاصلى وهذا العدد يشكل ٣٧٪ من مجموع القوة العاملة التى هاجرت اليها .

ويجب الا ننسى ان العمل فى مناجم جنوب افريقيا لايختلف عن العبودية فليس هناك ادنى اهتمام بالعمال ولا باحوالهم ممايتسبب

عنه الكثير من الكوارث ويذهب ضحيتها الاف العمال واحسن مثال على ذلك الكارثة التى حدثت عام ١٩٦٠ عندما دفن مايقرب من ٤٠٠ افريقى وهم احياء فى احدى الحفرات

وفى الخمس سنوات الاخيرة بدأ تدفق رءوس الاموال الامريكية واليابانية لاستغلال مناجم هذه البلاد وخاصة فى سوازيلاند حيث مناجم الذهب والحديد وبذلك فان مصادر الثروة الزراعية والمعدنية جميعها ملكا لشركات اجنبية بينما شعب البلاد يقاسى الجوع والحرمان

وقد جاء فى تقرير عام ١٩٣٩ الصادر عن الادارة بصدد الوضع فى المناطق الثلاث ان صحة اهالى البلاد وتركيبهم الجسمى ليس على ما كان عليه فيما مضى بسبب سوء التغذية . وجاء فى تقرير نشرته منظمة الصحة العالمية عام ١٩٥٩ ان مستوى باسوتولاند كان ضعيفا ومازال فى وضع أضعف .ونفس الطريقة تشاهد فى المستعمرتين الاخرتين .

اما عن نظام الحكم البريطانى فالشاهد انه لا يسمح لهذه البلاد على تطويرها سياسيا فمثلا نظام رؤساء القبائل هو الركيزة التى تتكىء عليها بريطانيا وتعتمد عليه ايضا الحكومة المحلية التى تحمى بها حكمها الاستعمارى . وبموجب بنود الدستور الذى منح لباسوتولاند فى نهاية عام ١٩٥٩ جىء بمجلس وطنى عين اعضاؤه الثمانون من كبار الشخصيات المحلية من قبل الحاكم البريطانى . ومن حيث الوجهة الرسمية فقد زود المجلس بسلطة استشارية ولكن من حيث الممارسة فلا يمكن تحرير قانون واحد ضد ما يوافق عليه المندوب السامى . ومعنى ذلك ان كل السلطات التنفيذية فى يد المندوب السامى البريطانى . اما المجلس الوطنى الاستشارى فكما ترى بالتعيين وليس بالانتخاب .

اما دستور عام ١٩٦١ فقد منع الافريقيون دخول المجلس التشريعى لبتشوانالاند والمجلس مؤلف من الاوروبيين او من بين الاشخاص الذين هم من أصل اسيوى والغريب ان الدستور ذكر بان الوقت لم يحن بعد لكى ينتخب المواطنون الافريقيون ممثلين منهم للمجلس التشريعى انما يحق للافريقيين ان ينتخبوا للمجلس الافريقى الذى يلعب الدور الاكبر فيه كبار زعماء القبائل . وحتى على هذا الشكل فليس للمجلس الافريقى اية حقوق لانه ليس الا لعبة فى يد المندوب السامى البريطانى .

ويوجد مجلس مماثل فى سوازيلاند الا انه بسبب ضغط من حركة التحرر الوطنى اضطرت لندن ان تتنازل وسميا عن بعض الامتيازات وتكونت لجنة لتحقيق بعض الاصلاحات الدستورية . وحتى هذه اللجنة لم يسمح لاى افريقى ان يدخلها . وبهذه الوسائل والاصلاحات الصورية وما يشبه الشكل الدستورى تريد بريطانيا ان تقوى مراكزها فى تبشوانالاند وسوازيلاند وباسوتولاند

وفى عام ١٩٤٧ طلب سيرتيس خاما جواز سفر الى نيويورك ليضع موضوع مستقبل بتشوانالاند وسوازيلاند وباسوتولاند على مائدة مجلس الوصاية التابع لهيئة الامم المتحدة فرفض البريطانيون منحه جواز السفر وسرعان ما نفوه الى الصحراء . ومنذ ذلك الوقت أصبحت المطالبة باطلاق سراح خاما شعارا للحركة الوطنية . وفى الصيف الماضى عاد خاما الى بتشوانالاند

وفى شهر سبتمبر من العام الماضى أثناء انعقاد المجلس التشريعى وجه حزب مؤتمر باسوتولاند تحت زعامة نتسو موخيله رسالة الى شعب باسوتولاند مطالبا بالاستقلال فى عام ١٩٦٣ . وعند ما حل ميعاد الاقتراح الخاص بالحكم الذاتى كانت دهشة بريطانيا أن جميع الاعضاء م جانب الحكومة داخل المجلس عضدوا ذلك وهكذا اتحدت جميع العناصر الوطنية فى وجه الاستعمار .

وفى شهر أكتوبر عام ١٩٦٠ بدأت موجة من الاضطرابات والتذمر فى ماسيرو عاصمة باسوتولاند بعد أن أصدرت احدى المحاكم حكمها بترحيل أحد الاعضاء البارزين وهو موكيتيمى الى جمهورية جنوب أفريقيا بحجة

أنه لم يولد فى باسوتولاند وفى ماسيرو العاصمة قام البوليس بالقبض على ١٨ عضوا من حزب المؤتمر .

ورغم كل هذه الاضطهادات والاسلوب العنصرى الذى هو أساس الحكم البريطانى فى هذه الاقطار استطاع سكان البلاد رغم الحصار الذى فرضته بريطانيا عليهم ان يوصلوا قضية بلادهم الى الرأى العام الافريقى والعالمى . واضرب عمال المناجم فى شهر يونيو الماضى وجاءت بريطانيا لهم بقوات من كينيا واعتقلت أكثر من مائتى شخص بعد أن استخدمت العصى الغليظة والقنابل المسيلة للدموع . وقد ناشد الوطنيون الامم المتحدة والدول الافريقية المستقلة بالاحتجاج على أساليب التسلط البريطانى التى تهدف الى اخماد التعبير عن المظالم من جانب الشعب المضطهد فى المحميات الثلاث واستنكر الافريقيون جلب قوات من الخارج لتهديد المواطنين ضد الاجور المنخفضة والدستور العنصرى .

هل هناك اتفاق بين بريطانيا وفيرورد ؟

ان جميع الشواهد تدل على أن بريطانيا قد اتفقت مع فيرورد بصفته ممثلا لحكومة جنوب أفريقيا على اعطائه المحميات الثلاث لتصبح جزءا من جمهورية جنوب أفريقيا فالمعروف حتى الان أن بريطانيا تتباطأ فى اعطاء سكان هذه الاقاليم الثلاث الاستقلال رغم أنه فى شهر ديسمبر عام ١٩٦٢ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة باعطاء سوازيلاند وبتشوانالاند وسوازيلاند الاستقلال . وينص هذا القرار على دعوة بريطانيا الى اجراء الانتخابات فى هذه المناطق الثلاث على وجه السرعة . **وقد جاء أيضا فى مشروع القرار الذى وافقت عليه الجمعية العامة ان اجراء الانتخابات أمر ضرورى بسبب التهديد الذى تتعرض له هذه المناطق بشأن ضمها الى جمهورية جنوب افريقيا .**

والحقيقة أن اتحاد جنوب افريقيا عندما شكل عام ١٩٠٩ احتفظت بريطانيا بالثلاث مستعمرات وهذا الاحتفاظ قد جرى بتحفظ ذلك أن سكان المحميات فضلوا البقاء بعيدا عن اتحاد جنوب أفريقيا . وعلى هذا الاساس ظلت الاقطار الثلاث خارج هذا الاتحاد بناء على رغبة الاهالى رغم المادة « ١٥١ » من الاتفاقية التى أنشىء بمقتضاها جنوب أفريقيا وهى عودة ادارة هذه الاراضى الى الاتحاد . وقد رات الحكومات البريطانية طوال حكمها للبلاد أن ضم هذه المحميات الى جنوب افريقيا لا يمكن أن يتم الا بعد اجراء مشاورات مع شعب المحميات . وهكذا احتفظت بريطانيا بالمحميات ولم تتخذ الا خطوات قليلة لتطويرها كما سبق القول سواء من الناحية الاقتصادية أو المنظمات السياسية . ومنذ أن وضعت الحرب أوزارها وبدأت حكومة البيض فى جنوب أفريقيا اتباع سياسة التفرقة العنصرية بات واضحا أن المحميات لا ترغب فى الخضوع لجنوب أفريقيا وانه لا يمكن لحكومة بريطانية أن تفكر فى عملية التنازل عن هذه المحميات لجنوب أفريقيا . بل ان مشروع قرار الجمعية العامة كما رأينا نص على ضرورة اجراء انتخابات فى البلاد تجنبا لمطامع جنوب أفريقيا فى ضم المحميات اليها حتى تنال البلاد استقلالها بسرعة ولكن بريطانيا كما نرى لا تريد أن تفى بالتزاماتها ازاء رغبة شعوب المحميات فى البقاء بعيدا عن جنوب أفريقيا وربما يرجع ذلك الى أسباب توجزها فى الاتى :

- **ان بريطانيا تريد أن تتخذ من هذه المحميات قواعد عسكرية جديدة لها بعد أن أصبحت قواعدها فى كينيا مهددة بالخطر والزوال وخاصة عند ما ينال شعب كينيا استقلاله .**
- **المعروف أن هناك اتفاقية عسكرية بين بريطانيا وحكومة جنوب افريقيا تتيح لبريطانيا استخدام مطارات وأراضى جنوب افريقيا لنقل قواتها عبر القارة الى مناطق نفوذها فى آسيا وخاصة فى منطقة الخليج العربى وجنوبى شرقى آسيا .**
- **ان استقلال المحميات بعيدا عن جنوب أفريقيا، لن يتيح لبريطانيا استخدام أو انشاء**

قواعد عسكرية لها هناك ولـــكن انضمام المحميات الى جنوب أفريقيـــا لا شك أنه سيتيح لبريطانيا نقل قواتها من كينيا الى قواعد جديدة وخاصـــة فى باسوتولاند أو اســـتخدام أراضى المحميـات فى الاغراض العسكرية .

● ان مصالح بريطانيا داخـل أراضى جنوب أفريقيا تمنعها من الوقوف بجـانب شعوب المحميات فيكفى أن نعلم أن بريطانيا تستثمر أكثر من ٨٦٠ مليون جنيه والتى يحصل البريطانيون منها على ما لا يقل عن ١٣٠ مليون جنيه من الارباح سنويا .

● ان رعايا بريطانيا الموجودين داخل اتحاد جنوب أفريقيا يصـاون الى أكثر من ثلاثة أرباع مليـــون شخص ومعنى ذلك أن بريطانيا تعرض رعاياها للطرد لو فكرت فى الاستجابة لنداء شعوب المحميات فى البقاء بعيدا عن الاتحاد ..

من ذلك نستطيع القول بأن بريطانيـــا أدخلت المحميات ضمن تحفظاتها يوم أنشأت الاتحاد فى عام ١٩٠٩ ويوم انفصل الاتحاد عن الكومنولث لم تفكر بريطانيا فى تغيير الاوضاع بين البلدين بل ظلت كما هى بل ان السفير البريطانى داخل لاتحاد هو المسئول مسئولية مباشرة عن نظام الحكم فى هذه المحميات . ان لكل محمية طابعها الخاص المميز ولا بد وأن يسمح لها باستمرار فى تحديد مصيرها كما تنال شعوبها الاستقلال والحرية لتلحق بركب الحرية فى أفريقيا .

((أحمد صوار))

لمحات من تاريخ الحضارة الافريقية

((بقيـــة المنشـــور ص ٢٥))

وهذا الكلام لايبدو غريبا ، ولايبدو مستحيلا ، فقد تحقق فى كثير من الفنون ، وبخاصـــة فى النحت ، والموسيقى ، والرقص ، فحين أجدب الوجدان الغربى فى كثير من هـــذه الميادين : وجه فكرة . الى افريقية ، وكان أن اكتسب ألوانا كثيرة أثرت الفن ، وعمقت مفاهيمه ، واعطته نكهة جديدة هى نكهة افريقية العظيمة

واليوم تحتاج الى مثل هذا فى كثير من الميادين ، تحتاج الى مثل هذا فى السياسة ، والعلم ، ولن نجد الا أفريقية .

وليس هذا من قبيل ترديد الشعارات ، ولكن الذى يتتبع تاريخ هذه القارة ، ويتعمق السطور السريعة التى ألمحنا بها الى قلبها النابض ، حين كانت تعتمد على نفسها فى ممارسة الحياة ، وحين كانت تتلقى تطعيما من الطاقة الاسلامية التى وصلت الى أعماقها ، وحين أصابها العقم .. الذى يتتبع هـــذا يدرك أن القارة ستعطى جديدا للبشرية وأن الدور قد حان لتقوم بدور قيادى فى كافة الميادين . وليس هذا القول جديدا ، ولكنه على ألسنة كثير من المفـــكرين المعاصرين ، وهكذا يراهن العالم اليوم على أفريقية .. وكل الدلائل تؤكد أنها ســـتعطى أكثر من الامل المعلق عليها .

((دكتور محمد المعتصم سيد))

التكالب الأوربي على افريقية

بقلم عبدالرحمن صالح

تعرف فترة الربع الأخير من القرن التاسع عشر بفترة ((التكالب)) الأوربى على أفريقيا. ففي تلك الحقبة من الزمن بدأ الصراع عنيفا بين القوى الأوربية كل منها تريد أن تفرض سيطرتها ونفوذها على أي جزء تستطيع اختطافه من القارة العذراء دون ما اهتمام بشعوبها أو ارادة تلك الشعوب .

والحق ان التوازن كان مفقودا فى تلك الفترة بين كل من القارتين فبينماكانت اوربا قد أخذت تقترب بسرعة من قمة القوة والتفوق العلمى والفكرى والحضارى . . كانت افريقيا — وتشترك معها الى حد ما قارتا اسيا وامريكا الجنوبية — قد وصلت الى درجات قصوى من الضعف والانهيار والهوان .

وفى سنة ١٨٧٩ كانت نسبة ضئيلة من القارة الافريقية هى التى تقع تحت السيطرة الاوربية .. فكانت الجزائر قد خضعت منذ ١٨٣٠ لفرنسا .. وكانت تونس ومصر فى طريقهما للوقوع تحت التأثير الاوربى . أما فى غرب افريقيا حيث كان الاوربيون قد أنشأوا علاقات تجارية مع شعوب الساحل خلال أربعة قرون سابقة .. فقد كانت السنغال قد خضعت لفرنسا .. وساحل الذهب « غانا » قد خضع لانجلترا .. أما فى الداخل الافريقى فلم يكن الاوربيون قد توغلوا بعد الا فى السنغال حيث توغل الفرنسيون بضع عشرات من الاميال . ولم تكن المستعمرات البريطانية مثل جامبيا وسيراليون ولاجوس غير مراكز صغيرة تحيط بها حكومات أفريقية حرة . وفى المنطقة التى تدعى الان غينيا البرتغالية كان هناك نفوذ برتغالى ولكن لم يكن هناك حكم أواستعمار برتغـال فعلى . كما أن مستعمرة جابون الفرنسية لم تكن الا محطة بحرية صغيرة وبضع مئات من الارقاء المحررين يعيشون فى لسيبرفيل . بل أن انجولا وموزنبيق لم تكن مستعمرتين برتغاليتين بالمعنى المفهوم باستثناء خمس أو ست مدن ساحلية ولكنها كانت مجرد مراكز تجارية ممتدة نحو الداخل الافريقى .. بل ان شمال موزنبيق سواء الساحلى أو الداخلى لم يكن قد مسته بعد أية قوة اوربية سياسية .

وفى الشرق الافريقى كان النفوذالبريطانى قويا فى زنجبار . وكان الفرنسيون قد احتلوا جزر كومورو كما كانوا قد اتخذوا موطىء قدم لهم فى جزيرة مدغشقر . وكانت بريطانيا قد احتلت عدن وانشأت قاعدة لها هناك عند مضيق باب المندب وذلك بعد افتتاح قناة السويس .. كما كانت فرنسا قد استولت أيضا على قاعدة اوبوك على الساحل الصومالى . والحقيقة ان التوغل الاوربى فى افريقيا كان يوجد بأجلى مظاهره فى جنوب القارة حيث كان البريطانيون قد ثبتوا أقدامهم بالرغم من مظاهر العداء والاحتكاكات التى كانت بينهم وبين البوير.

وعلى كل حال .. فانه بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ « ١٨٧٩ » وفى أوائل القرن العشرين كان النفوذ الاوربى قد امتد الى اربع وثلاثين وحدة سياسية من الاربعين وحدة التى كانت القارة تنقسم اليها فى ذلك الحين ولم يكن هذا التقسيم لافريقيا فى نهاية القرن التاسع عشر نتيجة لتدخل الاوربيين خلال الخمس والعشرين عاما الاولى من هذا القرن .. ذلك ان قليلا جدا من المستكشفين هم الذين أرسلتهم الحكومات الاوربية خلال هذه الفترة الى القارةالعذراء ليمهدوا لاحتلال بعض مناطقها .

والحق ان اقتسام افريقيا كان نتيجة لظهور قوتين أوربيتين جديدتين فى القارة لم يبديا من قبل اهتماما بها . وكانت نتيجة ظهور هاتين القوتين قلبه ميزان القوى فى القارة اثارة ما يشبه الهستيريا لدى الدول الاوربية فاندفعت تطالب بالسيادة والنفوذ فى أجزائها المختلفة وأخذت تساوم بعضها البعض للاعتراف بملكيتها لهذا الاقليم أو ذاك .

وأول هاتين القوتين كان حاكما أوربيا يعمل لحسابه الخاص هو ليوبولد الثانى ملك بلجيكا الذى دفعته أطماعه فى تأسيس امبراطورية لنفسه فيما وراء البحار الى الاتفاق مع ستانلى « المستكشف البريطانى» سنة ١٨٧٩ والاستيلاء على الكونجو من مصب النهر صعدا لمسافة الف ميل حتى شلالات ستانلى . وبذلك فان ستانلى وليوبولد هما المسئولان الاولان عن خلق جو « التكالب » على أفريقيا .

والقوة الثانية هى ألمانيا التى اخذت منذ نهاية سنة ١٨٨٣ حتى مطلع عام ١٨٨٥ تتسلل الى القارة ونجحت فى ضم اربع مناطق واسعة اليها هى جنوب غرب افريقيا وتوجولاند والكمرون وتانجانيقا فى الشرق الافريقى . وكان الزحف الالمانى هو الذى أطلق «التكالب» الاوربى على افريقيا من عقاله حتى تم اقتسامه القارة كلها .

والحق أن مفتاح هذا الموقف الجديد لعلاقة أوربا بأفريقيا كان يوجد فى مصر .. ففى سنة ١٨٨١ تحطم النفوذ البريطانى الفرنسى فى مصر بقيام الثورة الوطنية بقيادة الزعيم البطل أحمد عرابى . ومن ثم وضعت بريطانيا وفرنسا خططهما المشتركة للقضاء على هذه الثورة . ولكن بريطانيا وحدها هى التى قامت بالعمل بعد انسحاب فرنسا نتيجة لقيام ازمات داخلية بها . فقد قامت بريطانيا بغزو مصر واحتلالها سنة ١٨٨٢ .. وبقيت تسيطر عليها بحكم الامر الواقع دون أى سند شرعى وقد أثار احتلال بريطانيا لمصر غضب فرنسا فعملت على توسيع مستعمراتها فى غرب افريقيا . ورأت المانيا أيضا ان الفرصة سانحة لان بريطانيا لم تكن تستطيع البقاء فى مصر الا بمساندة اغلبية الدائنين الاعضاء فى صندوق الدين الدولى الذين اوقعوا مصر قبل ذلك فى حبائلهم « فى عهدى سعيد واسماعيل » ولما كانت أغلبية الدائنين تخضع لالمانيا فقد تمت الصفقة بينها وبين بريطانيا بأن تساند الاحتلال البريطانى لمصر مقابل أن تترك لها حرية العمل فى باقى القارة .

وبذلك انضمت قوتان اوربيتان جديدتان الى القوى الثلاثة التى كانت موجودة فى القارة من قبل « بريطانيا وفرنسا والبرتغال » .. وهاتان القوتان هما حاكم اوربى يبحث عن المجد لشخصه هو ليوبولد الثانى ملك بلجيكا .. ثم الامبراطورية الالمانية التى كانت

فى ذلك الوقت حديثة التكوين حيث قامت نتيجة للوحدة بين الدويلات الالمانية العظيمة والتى كان بينها وبين فرنسا ثأر لا ينسى بعد هزيمة الاخيرة فى الحرب السبعينية وضياع الالزاس واللورين .

وبعد قليل انضمت قوتان جديدتان الى صفوف الدول الاوربية المستعمرة لافريقيا هما ايطاليا واسبانيا .

والحق ان تقسيم القارة بعد التكالب الاوربى عليها قد اصبح صورة للتنازع بين السياسات الدولية فى أوربا .

وكما حدث فان أول من استطاع ان يحصل على اعتراف دولى بامبراطورية افريقية كبيرة كان ليوبولد الثانى ملك بلجيكا . ففى سنة ١٨٨٤ بعد ان اتاح الملك ليوبولد للتجار البريطانيين فرصة نهب ثروة الكونجو بالاشتراك معه عارضوا رغبة حكومتهم فى الاعتراف بمطالب البرتغال فى حوض الكونجو الادنى ولذلك فقد لجأت البرتغال الى فرنسا والمانيا طالبة تأييدهما .. ورأت فرنسا هذا الطلب فرصة سانحة لمضايقة انجلترا فوافقت على اقتراح بسمارك بمناقشة مسألة الكونجو فى مؤتمر دولى يعقد فى برلين . بل ان فرنسا قبل ذلك كانت قد اعترفت للملك ليوبولد الثانى بملكية حوض الكونجو الذى سمى « دولة الكونجو الحرة » .

وفى ديسمبر سنة ١٨٨٤ عقد مؤتمر برلين واصدر قراراته فى اوائل سنة ١٨٨٥ ومن بين هذه القرارات ما يتعلق بتجارة الرقيق وما يتعلق بحرية التجارة الاوربية فى القارة . وقرارا هاما ينظم عمليات الاستعمار لافريقيا يقضى بضرورة اثبات الاحتلال الفعلى لاية منطقة بافريقيا قبل ان تعلن اية دولة اوربية ضمها اليها .. والحقيقة ان الشهور الستة التى سبقت انعقاد المؤتمر والتى كانت الاستعدادات تجرى خلالها لعقده قد شهدت اكبر عمليات السطو الاوربى على القارة . . وكانت المانيا هى ابرز اللصوص خلال تلك الفترة . فخلال انعقاد المؤتمر اعلن بسمارك ان حكومته قد فرضت حمايتها على شرق افريقيا حيث استطاع الرحالة الالمانى كارل بيترز ومرافقوه الحصول على معاهدات صورية من الرؤساء المحليين عن طريق الخديعة وخلال رحلة لم تستغرق سوى اسابيع قليلة. وبذلك اصبح واضحا للدول الاوربية التى حضرت المؤتمر انه لا بد من تقسيم القارة كلها .. وما كاد المندوبون يعودون الى بلادهم حتى اخذت كل دولة تبحث عن مناطق جديدة فى القارة لضمها واحتلالها .

وفى سنة ١٨٨٣ انتهت الحرب الشعواء التى كانت فرنسا قد شنتها ضد السلطان احمد بالسودان الغربى والتى بدأتها سنة ١٩٨٧ وبذلك وصلت الممتلكات الفرنسية الى اعلى حوض النيجر ثم اخذت القوات الفرنسية تزحف بعد ذلك على طول النهر متجهة الى بسفل ببطء حتى انها لم تستولى على تمبكتو الا سنة ١٨٩٣ وذلك بسبب المقاومة الرائعة التى ابداها بطل وطنى اسلامى خالد هو الامام احمد سابورى تورى الذى لم تستطع فرنسا هزيمته الا سنة ١٨٩٨ ، وفى السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر وسعت فرنسا حدود مستعمراتها حتى وصلت الى بحيرة تشاد ثم شمالا بشرق حتى اوبندى فهددت بذلك اعالى النيل .

أما بالنسبة لبريطانيا فان سياسة التوسع لم تكن واضحة مثل سياسة فرنسا .. فمثلا جنوب افريقيا كانت تصلح لان تكون نقطة بداية للتوسع .. ولكنها كانت فى نفس الوقت منطقة للصراع بين الانجليز والبوير كما أن احتلال ألمانيا للمنطقة الغربية الجنوبية قد جعل هنالك احتمالات للصدام بين الانجليز والالمان .. ولذلك فقد ضم البريطانيون بتشوانالاند ضمن محمياتها سنة ١٨٨٥ ليتخذوا منها حاجزا ضد احتمال اتصال الالمان بالبوير فى جنوب افريقيا . ثم لعب سيسل رودس المستوطن البريطانى الذى كون ثروة هائلة من مناجم الماس بكمبرلى فى جنوب افريقيا دورا كبيرا فى ضم اراضى حوض الزمبيزى الى بريطانيا حيث كونت مستعمرتى روديسيا الشمالية والجنوبية ومحمية نياسالاند .

وقد بنى لورد سالسبورى رئيس وزراء

بريطانيا ووزير الخارجية فى تلك الفترة الحاسمة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٢ سياسة بلاده فى القارة على اساس الاحتفاظ بمصر .. وقد ادى هذا الى استمرار زحف فرنسا فى غرب القارة حتى احاطت بالمناطق الافريقية الاربع الموجودة على الساحل الغربى وهى سيراليون والكاميرون وساحل الذهب « غانا » ونيجيريا . وفى سنة ١٨٨٦ استطاع سالسبورى ان يوجد مناطق نفوذ لبريطانيا فى كينيا وان يفتح بابا جنوبيا على السودان ومصر باحتلاله لاوغندا . وفى نفس الفترة اقرت بريطانيا احتلال ايطاليا للصومال .

ومن ابرز مظاهر فترة « **التكالب** » على افريقيا ان كل تقسيم القارة كان يتم فى اوربا فقد كان السياسيون والدبلوماسيون يجتمعون فى مكاتبهم او يلتقون فى منازلهم الريفية وامامهم الخرائط ثم يضعون حدود المناطق التى يحتلونها او يرغبون فى احتلالها على الورق دون اى اعتبار لطبيعة المناطق الجغرافية او لمصالح السكان والقبائل التى تسكنها .

وكانت المستعمرات والمحميات تحكم بواسطة الهيبة الشخصية ليس الا .. فمعظم المناطق لم يكن يديرها الا قنصل اوربى ومساعدان له ومعهم حفنة من الجنود من اهالى المنطقة. وكثيرا ما كانت تقع الاحتكاكات بين ممثلى القوات الاوربية بعضها وبعض فى القارة .. فمثلا بعد ان احتلت فرنسا داهومى سنة ١٨٩٣ حاولت الاستيلاء على اقليم بورجو فى نيجيريا ولكن بريطانيا اسرعت فاحتلت هذا الاقليم قبل وصول القوات الفرنسية اليه كما احتلت امارتى نوبى وايلورين فى الشمال النيجيرى وهى فى الطريق للاستيلاء على بورجو .

وفى سنة ١٨٩٦ حاول القومندان مارشان أن يحقق حلم فرنسا وهو ان تمتد مستعمراتها متصلة دون انقطاع من سواحل القارة الشرقية على المحيط الهندى الى سواحلها الشمالية على البحر المتوسط الى سواحلها فى الغرب على المحيط الاطلسى بحيث تكون كلها مناطق فرنسية متلاحقة .. ولذلك اندفع مارشان ومعه ثلة من الجنود الوطنيين من جابون الى فاشودة على النيل الابيض والتى تبعد عن الخرطوم مسافة ٤٠٠ ميل جنوبا . ولكن كتشنر الذى كان على راس القوات التى ارسلتها بريطانيا لاستعادة السودان من رجالات الثورة المهدية عندما سمع بوصول مارشان الى فاشودة أسرع الى هناك وطالبه بالجلاء محتجا بأن فاشودة ارضا مصرية لا يصح الاعتداء عليها وكادت هذه الحادثة ان تؤدى الى الصدام بين فرنسا وبريطانيا لولا اتفاق الدولتين على انسحاب مارشان من موقعه على النيل الابيض .

ان هذه الفترة الدقيقة فى تاريخ القارة كانت فترة سوداء فى تاريخ الحرية .. فقد هجمت فيها الدول الاوربية على القارة كالذئاب الضارية كل منها تنهش بضعة منها .. واخذت تستمتع بالتهام الفريسة طوال خمسين عاما بعد ذلك .. حتى كانت الصحوة الافريقية المفاجئة فى الخمسينيات من هذا القرن لتعود الحرية مرة اخرى الى اصحابها

عبد الرحمن صالح

اكتشاف مناجم غنية بالماس في جنوب افريقية

عن الالمانية ترجمة : حسين البشارى

أعلن أحد الجيولوجيون منذوقتاكتشاف مصادر غنية بمناجم الماس فى اقليم Namagualapd

ويقع هذا الاقليم فى أقصى الجنوب الغربى لمقاطعة الكاب جنوب مصادر الماس الحالية عند نهر otaple وتقع هذه المناجم الجديدة خلف أراضى الشواطىء ، وهذه الارض مملوءة بالمياه والطمى الكثير الى حد ان اعتقد الكثيرون فى السنة الماضية ان هذه المصادر لاتوجد الا حيث يتخلل الطمى مناجم الماس . وعلى الشواطىء التى توجد مغطاة بكثير من الحصى والذى يتكون فى حدود خمسين عاما على شكل ملفت للنظر .

والابحاث المتصلة الناجحة تحت المياه كانت طبيعية وقوت الاهتمام بهذه البقعة من الارض ، وأحدثت يقظة فيها ، وركزت الانتباه عليها ..

وقد أعلن ذلك العالم الجيولوجى فى احد الاجتماعات السرية مع بعض الدوائر المالية التى اهتمت بهذا الامر — والذى لم يشأ ذكر اسمه — انه على ما يلوح سيكون لاكتشاف هذه المصادر الماسية الغنية اهمية بالغة لجنوب أفريقيا ، اذ لم يحصل فى المائة عام الأخيرة ان اكتشف مثيل لها ولسوف تجعل مناجم الماس فى كمبرلى Kimberly تتوارى فى الظل .

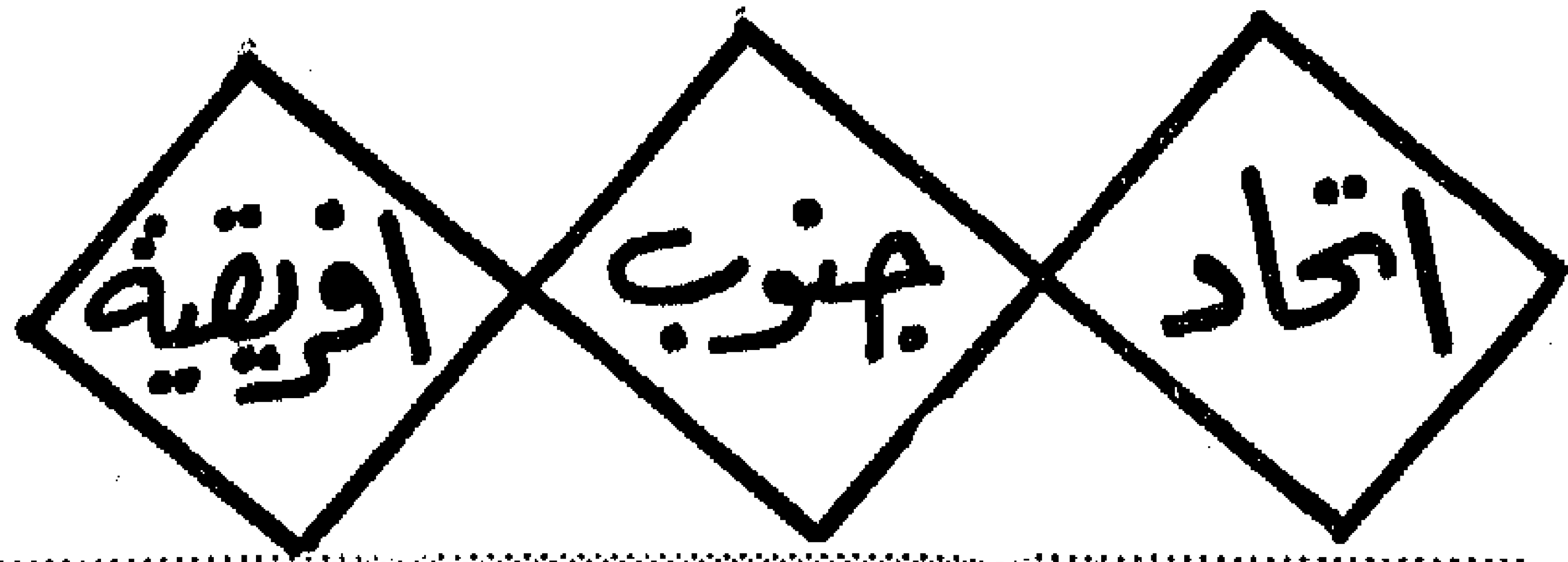
وهذا « الجيولوجى » كان المساعد الخاص للعالم الجيولوجى المعروف lr-merensky وقد اهتم هذا العالم الالمانى بالبحث وراء مصادر الماس على شواطىء جنوب افريقيا ، كما انه اكتسب سمعة علمية طيبة فى هذا المجال حتى ان الجماعات المالية التى تهتم بشئون المناجم أبدت استعدادها لتمويل هذا المشروع .

ومكتشف مصادر حقول الماس الجديدة له نشاط منذ ١٩٢٢ فى مواصلة هذه الابحاث ، وعندما كان dx mexepoky يزاول ابحاثه لم يعتقد ان هذا الماس من النوع الجيد ومن النوع المتكون فى لطمى لوجود داخل المتشققات تحت المياه ، حيث ان هذه الشقوق لم تكن — بالمعنى الجيولوجى — سوى مخلفات بركانية ، وفى عصر التكوين البركانى ملئت هذه الشقوق بالطمى الذى تفتت بدوره بفعل عوامل التعرية وكون ما يسمى — الارض الزرقاء المعروفة — والتى تحوى هذا الماس ، مع ملاحظة انه ليست كل الشقوق المعروفة والموجودة فى جنوب افريقيا تحتوى على الماس .

وأهم هذه الشقوق الحالية هو الفجوة الكبيرة لمناجم « كمبرلى » .

ويسلم أحد المستوردين بحقيقة وجود ستة عشر شقا أمكن اكتشافها فى مساحة

البقية على ص ٤٨





بلد الذهب والتفرقة العنصرية

بقلم ابراهيم ابراهيم حمروش

أهمية المعادن في اقتصاد الاتحاد :

يمثل الانتاج المعدني جانبا عظيم الاهمية من جوانب الانتاج بالاتحاد ولقد كان للصعوبات البشرية والطبيعية التي تعترض الزراعة الى جانب ما يحققه الانتاج المعدني من أرباح ما دفع السكان ـ وبخاصة العناصر البيضاء ـ الى الاشتغال بالتعدين حيث يعتبر العصب للاقتصاد هناك . ويعد الاتحاد اكبر دول القارة انتاجا للمعادن فهو ينتج ٤٢٫٦ ٪ من مجموع انتاج القارة المعدني .

ويعتبر الذهب أهم الاقتصاديات فالاتحاد ينتج منه ما يقرب من ٨٠ ٪ من انتاج القارة الذي يزيد عن ٦٠ ٪ من الانتاج العالمي كما ينتج الاتحاد ما يزيد عن ١٦ ٪ من الانتاج العدني والكروم وينتج ما يقرب من ٢٠ ٪ من الانتاج العالمي بالنسبة للماس هذا عدا بعض المعادن الاخرى مثل الحديد والنحاس والبلاتين والفحم والمنجنيز . وقد بلغت قيمة الصادرات المعدنية بالاتحاد ٢٢٠ مليونا من الجنيهات . كما يعمل بمهنة التعدين عدد يصل الى ٦٢٤٫٠٠٠ الف عامل من مجموع العمال البالغ عددهم ما يقرب من ٢ مليون عامل بمختلف القطاعات في ضوء احصائيات عام ١٩٦٢ .

وهذا يوضح لنا مدى أهمية هذا القطاع بالنسبة لاقتصاد الاتحاد الذي ينعكس تأثيره على نواحي الحياة المختلفة بالاتحاد .

مشاكل العمل والعمال :

ونظرا لما للتعدين من تأثير كبير في الحياة الاقتصادية للبلاد كان الجانب الاكبر من تشريعات السكان البيض المختلفة تتجه ناحية الانتاج المعدني . فسياسة الاتحاد الاقتصادية وتشريعاته تهدف الى تهيئة الاعداد الكبيرة من العمال الوطنيين للعمل بالمناجم والتحكم في أجورهم والسيطرة على أحوالهم الاجتماعية بقصد التحكم في كمية الانتاج المعدني وكمية التصدير وبالتالي التحكم في أسعاره المحلية والعالمية .

والواقع أن النظام الاقتصادي للاتحاد قائم على أساس من التفرقة الذي يعتبر الاساس لنظام التفرقة العنصرية في حياة البلاد والذي يرمي الى المحافظة على تفوق العناصر الاوروبية في كافة نواحي التنمية الصناعية . وهذه السياسة تحرم العامل الافريقي من فرصة الحصول على أجر أو عمل مناسب كما تمنع تمثيله بالمجالس الصناعية .

ونوع العمل ودرجته والاجور تتحدد

حسب الجنس لا حسب القدرة والمهارة ، كما أن فرص العمل تتوقف ايضا على جنس العامل .

نظام العمل :

ونظام العمل وتقسيمه بالاتحاد نظام غريب تتمثل فيه التفرقة بأقوى صورة فالعمل المهنى الدقيق يقوم به الاوروبيون فقط . والعمل الاقل درجة يقوم به الملونون والاسيويون . فالعامل الملون يقف بين العامل الاسود وهو أقل الدرجات وبين الابيض الذى يحارب لمنع الافريقى من الوصول اليه درجة . وهو أمر يبدو مستغربا اذ لا يزيد عدد العمال البيض على ٦٦ر٥٩٠ عاملا من مجموع العمال بينما يبلغ عدد العمال الملونين والوطنيين ٥٥٧ر٦١٠ حسب احصاء ١٩٦٢ .

هذا وقد أخذ العامل الملون يثبت قدرته على صناعات معينة مما أدى الى زيادة الطلب عليه كما يبدو فى صناعات الغزل والنسيج ، « مدينة كمبرلى » وقد أصبح هذا العامل عنصرا أساسيا فى التنمية والتصنيع مما خفف من القيود المفروضه عليه .

القيود المفروضة على العمال الوطنيين :

ترجع القيود المفروضة على العمال الافريقيين الذين يقومون بأعمال دقيقة تنافس الايدى البيضاء الى أوائل عهد التصنيع ؛ واتسع نطاقها مع ظروف العمل فى صناعة المناجم . وقد حاولت قوانين الاتحاد وتشريعاته دائما تأكيد هذه الفروق . فعلى الرغم من أنه كان من الممكن تحريم تشغيل الوطنيين كعمال مهرة بموجب قانون المناجم فقد نص قانون الوطنيين المعدل عام ١٩٤٩ أن شهادة « الكفاءة » لاية وظيفة بالمناجم تعطى فقط للاوروبيين . وهذا القانون يعد اللون عائقا قانونيا يحول دون اشتغال الافريقيين بالاعمال المتخصصة .

وقد أعقب تولى الحزب الوطنى للحكم عام ١٩٤٨ صدور عدد من القوانين التى تؤكد وتعمل على التفرقة ..

فصدرت قوانين عمال المبانى عام ١٩٥١ وقانون ١٩٥٥ وغيرها من القوانين التى فرضت القيود على مزاولة الوطنيين للاعمال التى تتطلب شرط المهارة والكفاءة واعتبرت هذه الاعمال قاصرة على الاوروبيين فقط .

الهجرة العمالية الافريقية المستمرة لمناطق المدن الاوروبية :

وعلى الرغم من القيود المفروضة على العمال الافريقيين فان هناك تيارا مستمرا من الهجرة الوطنية الى مناطق المدن الاوروبية كمهاجرين أو كمستوطنين .

وهنا نشير الى أن الاتحاد قد تعرض لموجة كبيرة من الهجرة الافريقية من روديسيا ونياسالاند حيث جذب ارتفاع الربح والبحث عن المستقبل بالمدن الصناعية بالاتحاد .. الافريقيين من هذه البلاد ، الامر الذى أدى الى وجود وفرة من العمال السود غير المهرة بالبلاد ..

وعلى الرغم من وجود عجز فى الايدى البيضاء العاملة فان حاجز اللون وقف عقبة أمام وصول هذه الايدى السوداء لمرتبة العمال المهرة هذا وقد سببت هذه الهجرة الكثير من المشاكل الاجتماعية .

ولما كانت الحاجة الاقتصادية لهجرة الافريقيين الناشئة عن النمو الصناعى بالمناطق البيضاء .. تحول دون احكام التفرقة الكاملة . فرضت الحكومة رقابة دقيقة على هجرة العمال الافريقيين فأنشأت مكاتب للعمل لتشغيل العمال الى جنب قيامها بعدم اعطاء تصاريح للافريقيين تسمح لهم بالعمل .. وقد كان على العمال الافريقيين ابلاغ مكاتب العمل خلال ثلاثة أيام من تعطلهم يرحلون بعدها الى أماكن المتعطلين . ومن ناحية أخرى نجد أن القانون يحرم على السود العمل فى أى مكان اذا لم يكن مسجلا لدى الشرطة .

الفصل الصناعى :

اتبع الاتحاد سياسة تهدف الى الاستعانة بالهجرة العمالية من الخارج للعمل فى المناجم وفى الصناعة والزراعة . وهذه السياسة جزء من برنامج ناجح يسمى « فصل المناطق » لتطبيق التفرقة العنصرية . وقد طبقت خطة

الفصل الصناعى تبعـــا لقانون التهدئة العنصرية الصادر عام ١٩٣٤ والذى عدل عام ١٩٣٧ ثم عام ١٩٥٦ وهو يخول لوزير العمل على تخصيص « فئات العمل » بالنسبة لكل الاجناس ، كما يخول له سلطة « تحـــديد نسبة العمال » من كل جنس لكل صناعة أو مهنة • وحرم القانون التسجيل المختلط لاتحادات العمال • كما أنه لا يجوز للاتحادات المختلطة الباقية بعد ذلك التوسع فى نشاطها خارج نطاق أعمالها الحالية الا اذا كان ذلك لصالح جنس معين •

وعلى الرغم من أن هذا القانون يرتكز على مبدأ التعاقد الجماعى بين العامل ورب العمل فان العمال الافريقيين وهم يكونون الاغلبية فى اتحاد العمال استثنوا من أحكامه فلا يجوز للافريقى أن يكون ممثلا للعمال فى أى مجلس صناعى •

هذا ولا يتمتع العمال الافريقيون بمزايا التحكيم والتوفيق وذلك تبعا لقانون تسوية منازعات العمل بالنسبة للوطنيـين والذى صدر عام ١٩٥٣ • وعلى الرغم من عدم وجود نص صريح يحرم انشاء اتحاد عمالى أفريقى الا أنه لا يمكن تسجيله حتى يعترف به •

وهنا يجدر بنا أن نشـير الى أنه كان للافريقيين هيئات تمثلهم وتتحدث بلســانهم ولكن الحكومة حلتها عام ١٩٦ •

وهكذا يسلب العامل الافريقى فى بلاده من كل الحقوق التى تتاح لغيره من الاجناس الدخيلة على بلاده المستغلة لثرواتها •

أهم المعادن توزيعها ومشكلاتها :

يقف الذهب على رأس قائمة المعادن التى ينتجها الاتحاد فهو يحتل قائمة صـادرات الاتحاد ويساهم بنحو ٧٥ ٪ من الانتـــاج العالمى للذهب •

.. ويتركز انتاج الذهب فى عدد من الحقول أهمها « واترسراند » وهو الحقل الرئيسى لانتاج الذهب بالاتحاد ويمتد لمسافة ٥٠ ميلا من مدينة « سبرنجز » الى « راندفونتين » ويقسمه الى أربعة حقول كبرى •

وقد اكتشف هذا الحقـل عام ١٨٨٤ وظهر انتاجه بصورة واضحة ١٨٨٦ وقد ظل انتاج الاتحاد من الذهب يتركز بهذا الحقل فى الفترة من ١٨٨٤ الى ١٩٤٩ حيث تقدر قيمة ما أنتجه فى هذه الفترة بحوالى ٥٠٠ مليون جنيه كما أن نسبة انتاج الذهب فى هذه الفترة بلغت ٨٠ ٪ من انتاج القـارة الافريقية •

هذا وكان يعمل بهذا الحقل أول الامر ٥٧٥ شركة لانتاج الذهب اندمجت فيما بينها نتيجة لعوامل المنافسة فأصبح عددها الان ٥٧ شركة تسيطر عليها ٦ بيوت ماليـــة • وتلبغ تكاليف اســتخراج الطن من الذهب شلنا وتسع بنسات وهو معــدل غاية فى الرخص •• وهو يفسر لنا اصرار الحكومة على اتباع سياسة التفرقة والعمـــل على المحافظة على الاجور المنخفضة بالنسبة للعمال الافريقيين وكذلك مساندة الحكومة للشركات فى اتباع سياسة عدم ادخال العناصر الوطنية الى هذا الميدان وايضا مساندة الشركات للحكومة [*]

ولعل مشكلة العامل هى أهم ما واجه المعدنين البيض هنا فقد استخدم الجندى الابيض أولا ثم العمـــال الصينيين الذين ما لبثوا أن عادوا الى بلادهم ثم استخدم الافريقيون كعمال غير مهرة حيث لاقوا الكثير من المشاكل الاخرى التى أهمها عدم كفاية المياه الصالحة للشرب بالاقليم •• والى جانب حقل « واترسراند » توجد مجموعة من الحقول الاقل أهمية وأهمها حقول أودندا السيروس ومناجم ليدنبرج •

وبعد عام ١٩٤٩ بداية التحول فى انتاج الذهب فقد زادت أسعار الذهب بالاتحـاد نتيجـة لنقص الجنيـه الاسترلينى فحدث نشــاط فى انتاجه على الرغم من ارتفاع تكاليف الاستخراج •

ويأمل المسئولون فى الاتحاد أن يظل الاتحاد منتجا للذهب بنفس المستوى الحالى لمدة كبيرة • وتدل الدلائل على أن الاتحاد يمكن أن يستمر على نفس معدل الانتاج السنوى الحالى لمدة ربع قرن آخر وتقـــدر قيمة

الاحتياطى الموجود بالاتحاد بحوالى ٦٦٣٦ مليون جنيه بالاسعار السائدة .

هذا وقد وصل انتاج الذهب بالاتحاد عام ١٩٦٢ الى ٢٥٫٩٤٢ بينما بلغ عام ١٩٦٠ ٢١٫٣٨٢ بآلاف الاوقيات .

الحكومة ومشكلات انتاج الذهب :

ولما كان الذهب يمثل اهم صادرات الاتحاد كان على المسئولين العمل على اجتذاب رءوس الاموال الجديدة دائما لاستغلاله . وحتى يمكن ايجاد توازن بين انتاج المناجم الجديدة والقديمة التى قاربت على النفاذ . ولعل أهم العوائق التى تصادف هذه الحرفة هى توقف انتاج المناجم الجديدة لفترة كبيرة بعد اكتشافها وهذا يرجع الى توقف رءوس الاموال عن الاستمرار فى عملية تمويل هذه المناجم .

منذ اكتشاف منجم جديد تنهال رءوس الاموال أول الامر ثم تتوقف فترة عن التمويل نظرا لعدم حصول أصحاب رءوس الاموال على الارباح الكثيرة المتوقعة . وعلى هذا تمر فترة كبيرة بين مرحلة الاكتشاف وعملية الاستغلال الحقيقة . الامر الذى يؤدى الى غلق بعض المناجم وتراكم فوائد رءوس الاموال مع عدم وجود رأس المال اللازم لتشغيل المنجم ، وتحاول الحكومة عن طريق المساعدات والقروض المساعدة على الاستمرار فى عمليات الكشف والانتاج بشرط الا تزيد هذه القروض عن ٨٠ ٪ من انتاج المنجم .

والمشكلة الاخرى التى تواجه انتاج الذهب أيضا هى تدفق رءوس الاموال أيضا فى فترات ارتفاع الاسعار وقلتها فى فترات الانخفاض ولهذا كان لا بد من وجود توازن بين نسبة الطلب على الذهب ومقدار رءوس الاموال المستثمرة . وقد أدى عدم وجود هذا التوازن الى غلق ٦٩ شركة لتعدين البلاتين من مجموعها البالغ ٨٩ شركة عام ١٩٤٦ .

الماس :

ينتج الاتحاد ما يقرب من ١٦٫٢ ٪ من الانتاج العالمى للماس وقد أنتج الاتحاد عام ١٩٦٢ ، ٣٫٩٥٨ قيراط . واهم مناطق استخراجه فى كمبرلى والاورنج والكاب والترنسفال وتهدف سياسة الاتحاد الى تحديد الكمية المستخرجة منه لمنع تدفقه الى الاسواق العالمية حتى يمكن لها التحكم فى أسعاره هذا ويحقق الماس للاتحاد ربحا لا يقل عن ٨٠ مليون جنيه سنويا .

والى جانب الذهب والنحاس ينتج الاتحاد مجموعة أخرى من المعادن الهامة مثل اليورانيوم ويتركز بالاتحاد فى مناجم واترسراند الذى يحتوى على أعظم احتياطى فى العالم من اليورانيوم .

هذا وقد قامت الدولة باستخراجه بتمويل بريطانى وأمريكى ويجرى الان سداد هذه القروض . وتبلغ كمية ما ينتجه الاتحاد من اليورانيوم ٤٫٩٥ طنا .

ويعد الاتحاد أهم الدول الافريقية انتاجا للفحم فبينما أنتجت القارة عام ١٩٥٥ ، ٣٨ مليون طن من الفحم كان نصيب الاتحاد منها ٣٥ مليون طن .. وزاد انتاج الفحم بالاتحاد الى ٤٥ مليون طن عام ١٩٦٢ وللفحم أهمية خاصة فى جنوب القارة فهو يعتبر دعامة لقيام كثير من الصناعات التعدينية الاستخراجية كالذهب فضلا عن بعض الصناعات التمويلية التى تزداد أهميتها فى الاتحاد . ويقوم الاتحاد بتصدير جزء من انتاجه الى بعض الدول الافريقية مثل موزمبيق ومدغشقر والسودان .

وقد قامت عدة شركات باقامة مصنع لاستخلاص البترول والغاز من الفحم ، الامر الذى يساعد الاتحاد فى الاعتماد على انتاجه من البترول وأيضا فى استغلال الانواع الرديئة من الفحم ..

ويساهم الاتحاد بما يقرب من ٣/٤ انتاج القارة من الحديد والصلب وقد بلغ انتاجه من الحديد الخام ١٩٦٢ مايقرب من ٤٫٧٠٠ طن كما بلغ انتاجه من الحديد فى نفس السنة ٤٨٥ طن كما يقدر الاحتياطى بحوالى ٣٧٠٠ مليون طن وهى كمية ضخمة .. وقد كان لوجود خام الحديد بالاتحاد الاثر الكبير فى

ظهور صناعة الحديد والصلب ولكن الاتحاد يضطر فى بعض السنوات الى استيراد كميات من الحديد والصلب .

وبعد .. فعلى الرغم من ضخامة ثروة وامكانيات الاتحاد فان مستقبله الاقتصادى لا يدعو الى التفاؤل . وذلك بسبب سياسته الاقتصادية والاجتماعية . فعلى الرغم من ارتفاع قيمة الصادرات من المواد المصنوعة والزراعية فى السنين الاخيرة ، فما زالت المعادن تمثل النسبة الكبرى من صادرات الاتحاد الامر الذى يجعل اقتصاده خاضعا لتقلبات السوق العالمى . فالاتحاد ما زال يعتمد على تصدير منتجاته المعدنية فى صورة خام وهو الامر الذى يؤدى أيضا الى استنفاذ الاحتياطيات المعدنية بالاتحاد . وكذلك ما زالت تتحكم فى اقتصاديات البلاد سلعة التصدير الاولى وهى الذهب وهو الامر الذى يجعل اقتصاده أيضا تابعا لتقلبات الأسواق العالمية ، وعلى الرغم من محاولة الاتحاد تنويع صادراته وزيادتها من السلع الاخرى فما زال الذهب يمثل أكثر من ٧٠ ٪ من الصادرات . وهذه الاوضاع الاقتصادية ينعكس آثارها على التقدم الصناعى فى البلاد.

واذا أضفنا الى العوامل السابقة سياسة الاتحاد فى التفرقة فى العمل والعمالة بين الاجناس المكونة لسكان الاتحاد « أدركنا الى أى مدى سينهار هذا النظام الاقتصادى بالاتحاد طالما ظل متبعا لهذه السياسة .

ولن يتمكن الاتحاد من المحافظة على ثروته الاقتصادية وتنميتها الا اذا تغيرت سياسة التفرقة جذريا حتى يمكن التطور مع متطلبات العصر وحقوق الوطنيين فى بلادهم وثرواتهم .

((ابراهيم ابراهيم حمروش))

بقية مقال مناجم الماس

قدرها ٧٥ كيلو متر مربع ، وان الابحاث تبشر بنتائج طيبة وهذا الحقل يوجد على بعد مائة كيلو متر من الشاطىء ويرتفع عن سطح البحر بمقدار ٦٠٠ متر .

وانصبت ملاحظات هذا الجيولوجى على ان الطمى الغنى بالماس يوجد بالقرب من مصبات الانهار ، ويختلط هذا الماس فى التى تكونت فى الاراضى الخلفية لهذه الشواطىء بفعل البراكين فى العصور الجيولوجية .

هذه الانواع من الماس تعتبر ذات قيمة عالية وتعتبر جزءا من ماس حقول كمبرلى حيث توجد هذه الاصناف الممتازة مختلطة بالتربة الزرقاء .

ولم تعرف حتى الان الجماعات المالية التى ترغب فى تحويل هذا المشروع والتى عملت على تكوين شركات فعلية لهذا الغرض ، ومع ان هذا لم يعلن بعد نجد ان الشركات الحالية للماس تعيش مهددة من هذا الدخيل الجديد .

وقد طالب أحد المسئولين وهو من الشخصيات القيادية والذى حضر أول اجتماع لبحث هذه الشئون انه لابد من زيارة ومعاينة هذه الارجاء ونرى بأنفسنا المكان ونلقى نظرة استطلاعية حتى نقف بأنفسنا على امكانيات هذا الحقل الجديد وما يحويه من خيرات قبل ان يجازف الانسان بأموال طائلة على غير طائل .

المستعمرات الاسبانية في افريقية

بقلم محمود حشمت

. فى الشهر الماضى (اغسطس ١٩٦٣) اعلنت اسبانيا عزمها على منح الحكم الذاتى للمستعمرتين الاستوائيتين التابعتين لها فى افريقيا وهما ريوموفى ، وفرناندومو .

والشىء المؤكد ان هذا القرار الاسبانى جاء نتيجة لضغط المد التحررى الافريقى الذى أعقب مؤتمر اديس ابابا . والامل ان يكون هذا القرار خطوة نحو الاستقلال . وليس مجرد مناورة سياسية هدفها الاحتفاظ بالمضمون الاستعمارى مع تغيير شكله ومظهره .

أما المستعمرات الاسبانية الاخرى التى لم يشملها القرار الاخير وهى افنى ، والصحراء الاسبانية ، وسبته ، ومليلة ، فان المغرب تطالب بها باعتبارها أراض مغربية . وان كانت الانباء الاخيرة تشير الى قرب حدوث نوع من التفاهم بين المغرب واسبانيا حول افنى والصحراء الاسبانية ، مقابل تخلى المغرب عن سبته ومليلة اللتين تتمسك بهما اسبانيا أشد التمسك . حتى انها أعلنت اخيرا انهما سيندمجان عما قريب وبصورة نهائية فى اقليمى قادس ومالقة الاسبانيين .

ولكن الشعب المغربى أعلن رفضه لتساهل حكومته ، وعدم تمسكها بهاتين المدينتين التاريخيتين اللتين ناضل من أجل استعادتهما أكثر من أربعة قرون .

والجدير بالذكر ان جدول اعمال لجنة تصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة والتى استأنفت اجتماعاتها فى الخامس من هذا الشهر (سبتمبر) قد تضمن مناقشة الوضع فى المستعمرات الاسبانية ، ووضع تقرير عنها لرفعه للجمعية العامة لمناقشته فى دورتها الحالية .

وتبلغ مساحة المستعمرات الاسبانية فى افريقيا حوالى ٣٣٦ ألف كم٢ ، ويصل عدد سكانها الى ٤٤٦ ألف نسمة ، منهم حوالى مائة الف أوربى . وما زالت أسبانيا تحكم هذه المستعمرات حكما عسكريا مباشرا . بل ان الحاكم العام لهذه المستعمرات التى تعتبرها اسبانيا أقاليم تابعة لها ــ يقيم فى مدريد . وتمارس أسبانيا فى مستعمراتها كل أساليب التفرقة العنصرية ضد المواطنين الافريقيين الذين لا يلقون أى رعاية اقتصادية أو اجتماعية أو تعليمية .

غينيا الاسبانية

وغينيا الاسبانية ، أو الاقليم الاستوائى الاسبانى ، يتكون من المستعمرتين اللتين قررت أسبانيا منحهما الحكم الذاتى ، وهما مستعمرة جزر فرناندوبو وانوبون ، التى استولت اسبانيا عليها سنة ١٧٧٨ ومستعمرة ريو موني التي استولت عليها ١٩٠٠ .

فأما مستعمرة ريوموني

فتشمل منطقة قارية داخلية تقع بين الكمرون وجابون . كما تشمل جزر : الوباى جراند Elobey Grade والوباى تشيكو Chico وكورسكو Corisco التى تقع فى خليج غينيا .

وتبلغ مساحة المستعمرة حوالى ٢٦ الف كم٢ ، ويبلغ عدد سكانها ١٨٣ الف نسمة منهم ٣ الاف أوربى . ومدينة باتا هى العاصمة التى يعيش فيها ٢٧ الف نسمة

وأما مستعمرة فرناندوبو

فهى جزيرة فى ساحل الكمرون ، وتضم أيضا فى أقصى جنوبها جزيرة صغيرة جدا هى جزيرة أنوبون Appobon

وتبلغ مساحتها حوالى ٢٨ ألف كم٢ ، اما سكانها فيصلون الى ٢٢ ألف نسمة منهم ٤ آلاف أوربى . وسانتا ايزابيل santor isabel هى العاصمة التى يعيش فيها ٣٧ الف نسمة وهى فى نفس الوقت عاصمة كل الاقليم الاستوائى الاسبانى ، وتوجد فيها الادارة الاسبانية التى تتكون أساسا من الحاكم العام يساعده حاكمين مساعدين و١٢ مستشارا أقليميا ، الى جانب حاكم عسكرى خاص لمستعمرة ريوموني ، وكل الادارة الاسبانية تابعة مباشرة للحاكم العام للمستعمرات الاسبانية فى مدريد .

التفرقة العنصرية

وتمارس الادارة الاسبانية سياسة التفرقة العنصرية ضد المواطنين الافريقيين فى غينيا الاسبانية وخاصة فى النظام القضائى حيث يوجد لكل من الافريقيين والاوربيين محاكم خاصة بهم ! . وحتى الصحف والمجلات التى تصدر هناك كلها تقريبا باللغة الاسبانية . وهذه الصحف هى : بانتو banto الشهرية (٣٠٠ نسخة) . وابانو ebano اليومية (٧٥٠ نسخة) وبوتوبوتو Poto Poto الاسبوعية (٨٥٠ نسخة) وغينيا الاسبانية الشهرية (ألف نسخة)

la Cwinea Eopanla وهى مجلة أدبية علمية تصدرها البعثة الكاثوليكية منذ سنة ١٩٠٣ .

وتوجد فى غينيا الاسبانية بعثات تبشيرية اسبانية وأمريكية وانجليزية ، تحاول نشر المسيحية بين الافريقيين الذين ما زالوا يحتفظون بدياناتهم الاصلية البدائية .

ويلاحظ على توزيع الصحف انها ضعيفة الانتشار ، ويكاد لا يقرأها سوى الاوربيين ، أولا لانها بالاسبانية ، وثانيا لان الجهل منتشر بين الافريقيين الذين لا يلقون أى اهتمام تعليمى أو تثقيفى . فمع ان عدد سكان غينيا الاسبانية يزيدون عن ٢٤٦ الف نسمة ، فانه لا يوجد هناك سوى ١٣٢ مدرسة ابتدائية صغيرة بها ٢٣٢ مدرس — أى يخص كل مدرسة أقل من مدرسين ! و٢٠٣٢٤ تلميذا الى جانب بعض الفصول الثانوية والمهنية ، ولا يوجد أى دراسات عليا .

والملاحظ ان التعليم فى هذه المستعمرة والمستعمرات الاسبانية عموما لا يقصد به التثقيف أو رفع المستوى العلمى للمواطنين ، وانما يهدف الى تسهيل الاستغلال الاستعمارى ولذا فهو يقتصر على التعليم الابتدائى . وبعض الفصول الثانوية والسيطرة الاسبانية والمهنية !

ورغم ان غينيا الاسبانية هى أغنى المستعمرات الاسبانية فى افريقيا ، فان سكانها الافريقيين ما زالوا يعيشون فى مستوى معيشى منخفض للغاية بينما تنعم الادارة الاسبانية والستة آلاف أوربى الذين يعيشون فيها بكل الثروات . ففى سنة ١٩٦٠ مثلا انتجت مستعمرتى غينيا الاسبانية: ٩٫٤٢٧ طن من البن ، ٢٧٩١٠ طن من الكاكاو ، و١٨٧٫٥٦٣ طن مترى من الخشب ، و٥٫٨١٤٫١٦١ كيلووات ساعة من الكهرباء ، و٨٦٩٫٥٥٠ كيلو جرام من السمك .

وكان لديها ٢٫٥٩٦ من قطعان الماشية .. وبلغت صادراتها من البن والكاكاو والخشب ، والتى تتجه كلها لاسبانيا ، أكثر من ضعف

وأرداتها .. اذ بلغت هـذه الصادرات ٢٫٠٠٩٫٦٨٥٫٠٠٠ فرنك ؛ بينما لم ترد وارداتها عن ٩٢٠٫٦٠٢٫٠٠٠ فرنك .

مستعمرة افنى

افنى ifni هى احدى مستعمرتى أفريقيا الغربيةالاسبانية ، التى كانتمستعمرة واحدة حتى عام ١٩٥٨ . وفى يوليو منذلك العام قسمت الى مستعمرتين : افنى ، والصحراء الاسبانية ، وكلاهما تحت ادارة الضباط الاسبانفى القاعدة البحرية فىجزيرة كنارى .

وافنى مقاطعة ساحلية على شاطىء الاطلنطى على بعد ٣٠٠ كم من تيتوان tetuap وهى فى جنوب مراكش وتحيط بها الاراضى المراكشية ويجاورها من الجنوب نهر اساكا Asaka

وقد انتزعتها اسبانيا من مراكش فى سنة ١٨٦٠ ، ولكن احتلالها ظل احتلالا اسمياحتى ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ حينما ارتفع العلم الاسبانى عليها لاول مرة . ومنذ ذلكالحين تحكمها اسبانيا حكما مباشرا . ويوجد بها حاكم عام مسئول عن الشئون المدنية والعسكرية ، ومسئول امام الحاكم العام للمقاطعات الاسبانية فى مدريد .

وتبلغ مساحة المستعمرة ١٫٩٢٠ كم٢ ، أما سكانها فيبلغ عددهم ٥٠٫٢٣٣ نسمة منهم ١٥ الف من البدو و ٢٦٥١ أوربى ، وسيدى افنى sidi ifni هى العاصمة التى تصدر بها صحيفة اسبوعية بالاسبانية !

ومعظم الافريقيين فى هذه المستعمرة يدينون بالاسلام . وهم يعيشون كذلك فى مستوى معيشى منخفض رغم ان المستعمرة انبتت سنة ١٩٦٠ مثلا : ١٦٫٧٥٠ كنتال مترى من الشعير و ١٫١٧٠ كنتال مترى من الحبوب الاخرى ، و ٢٫٠٦٨ كنتال مترى من الخضروات ، و ١١ الف هكتار من شجر النويا ، و ١٫٣٦٦٫٨٦٠ كيلوات ساعة من الكهرباء ، ٣٥٤ الف كيلو من لحوم البقر و ١٥٫٥ الف كيلو من لحوم الغنم ، وكان لديها ٧٦٫٣٠٥ من الماعز ، و ٤١٫٣٠٠ من الغنم و ١٨٫٥٠٠ من قطعان الماشية .

كما تصنع بعض الملابس والموازيكو mosico ، وتعد بعض المواد الغذائية والمياه المعدنية محليا ..

ولا يوجد فى المستعمرة سوى ٨ مدارس ابتدائية بها ٢٣ مدرس والف تلميذ ، ومدرسة ثانوية واخرى مهنية .

الصحراء الاسبانية

هى احدى مستعمرتى افريقية الغربية الاسبانية ، وقد عرفت كمستعمرة «مستقلة» سنة ١٩٥٨ .. وهى اقليم ساحلى ضيق جنوب مراكش ، وتبلغ مساحته ٢٨٠ الف كم أما لسكان فيصلعددهم الى ٢٣٫٧٩٣ افريقى و ٥٫٣٠٤ اوربى .

والمستعمرة مقسمة الى اقليمين : ساقية الحمراء « ٨٢ الف كم٢ » وريو دى اورو « ١٨٤ الف كم ٢ » . أما الشريط بين درجة ٢٧٫٤٠ شمالا وولودرا waddraa جنوبا فقد اعادته اسبانيا الى مراكش فى ابريل سنة ١٩٥٨ . ومدينة العيون eed aiun « ٦ آلاف نسمة » هى العاصمة ، واهم المدن هى سيمارة semara « ١٢ الف نسمة » وفيلاسيزنروس villa csneros « ٣ آلاف نسمة » التى يوجد بها الميناء الرئيسى ، كما يوجد بها هى والعيون بعض المطارات .

ولا يوجد بالمستعمر سوى عربتان فقط و ١٤٦ لورى ، كما يوجد بها ٢٣ مدرسة بها ١١١٥ تلميذ ، و ٤ فصول للبالغين بها ٣١٠ طالب .

ونظرا لطبيعتها الصحراوية ، فلا يزرع بها سوى الشعير الذى أنتج منه سنة ١٩٦٠ ١٠ آلاف كنتال مترى . كما يوجد بها ٢٠٠٠ نخلة ، والرعى هو الصفة الغالبة على حياتها الاقتصادية ، وفى سنة ١٩٦٠ كان يوجد ٤٩٫٨٤٨ من الجمال و ٤٨٫٩٠٨ من الماعز ، و ٢٦٫٢٦٨ من الغنم .. كما يعمل بعض السكان فى صيد السمك .. وقد بلغ قيمة ما أنتج منه سنة ١٩٦٠ حوالى ٢٫٥ مليون فرنك .. ومعظم السكان يدينون بالاسلام .

مليلة melilla هى أقدم المستعمرات الاسبانية فى افريقيا ، اذ استولت عليها أسبانيا منذ سنة ١٤٩٧ ، وهى ميناء على البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق . ولا تزيد مساحتها عن ١٢٫٥ كم٢ بينما يبلغ عدد سكانها ٩٠ الف نسمة ، منهم ١٠ آلاف افريقى فقط ، و ٧٠ ألف اسبانى و ٣ آلاف يهودى .

ونلاحظ أنه نظرا لكثرة عدد الاسبانيين المقيمين فيها فقد زاد اهتمام الادارة بالتعليم فيوجد بها ٢٥ مدرسة ابتدائية ، دينية ومدنية ، و ١٢ مدرسة ثانوية ، و ٨ مدارس عليا وكليات . وهى المستعمرة الاسبانية الوحيدة التى يوجد بها مدارس عليا وكليات

ويحكم المستعمرة الصغيرة ، عمدة المدينة وهو بمثابة الحاكم العام لها .

وتقوم الحياة الاقتصادية فيها اساسا على الصيد الى جانب دورها كميناء اقتصادى هام على البحر المتوسط . وفى سنة ١٩٦٠ بلغ قيمة انتاج السمك ٢٥٫٢١٥٫٦٠٠ فرنك . والسمك هو اهم صادرات المستعمرة ، الى جانب الحديد الخام « الذى يأتى من المناجم المراكشية » .

وفى الوقت الذى تأتى فيه معظم الواردات من اسبانيا ، فان ٦٠ ٪ من صادرات هذه المستعمرة — على خلاف كل المستعمرات الاسبانية ، تتجه الى دول أخرى غير أسبانيا

سبته

سبته Ceuta ، هى ميناء على البحر المتوسط مواجه لجبل طارق ، الى القرب من مليلة . وقد استولت أسبانيا عليها سنة ١٥٨٠ ، وتبلغ مساحتها ١٩ كم٢ بينما يبلغ عدد سكانها ٧٠ الف نسمة منهم عدد كبير من الاسبان الكاثوليك وقليل من اليهود . اما الافريقيون فيدينون بالاسلام .

ونظرا لكثرة عدد الاسبان فيها فانه يوجد بها ٩٥ مدرسة ابتدائية بها ٥٢٥٣ تلميذا و ١٠ مدارس ثانوية وفنية ..

وهى مثل مليلة يحكمها عمدة المدينة ، وهو فى نفس الوقت عضو فى البرلمان الاسبانى فى مدريد .

وتعتمد فى حياتها ، أيضا مثل مليلة ، على الصيد ، وبلغ قيمة انتاج السمك فيها سنة ١٩٦٠ — ٣٦٫٨٤٨٫٠٠٠ فرنك . ويبلغ معدل تجارتها الخارجية سنويا حوالى ٣٠ مليون فرنك . « ٨٠ واردات ، ٥٠ صادرات » وتدور معاملاتها التجارية مع اسبانيا وجزر باليرك وكنارى ، ومليلة .

وهناك مستعمرات اسبانية اخرى صغيرة جدا ، وهى :

١ — بنون دى فيلز دى لاجوميرا .

٢ — فيلاسانجورجو .

وتقعان على ساحل البحر المتوسط بين سبته ومليلة .

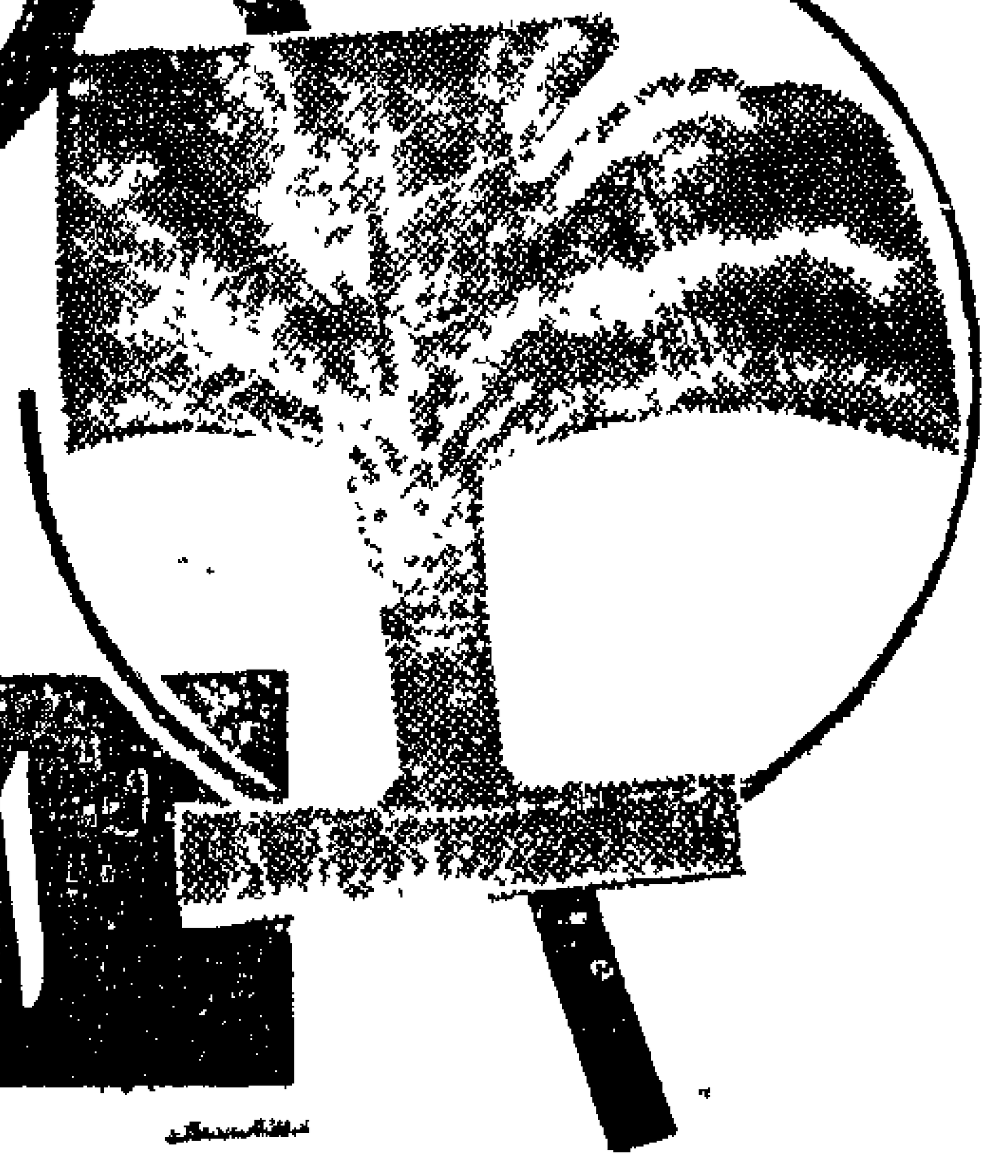
٣ — جزر تشافارنياس .

وتقع شرق مليلة ، قرب الحدود الجزائرية ، وهى غير مأهولة بالسكان بصفة منتظمة .

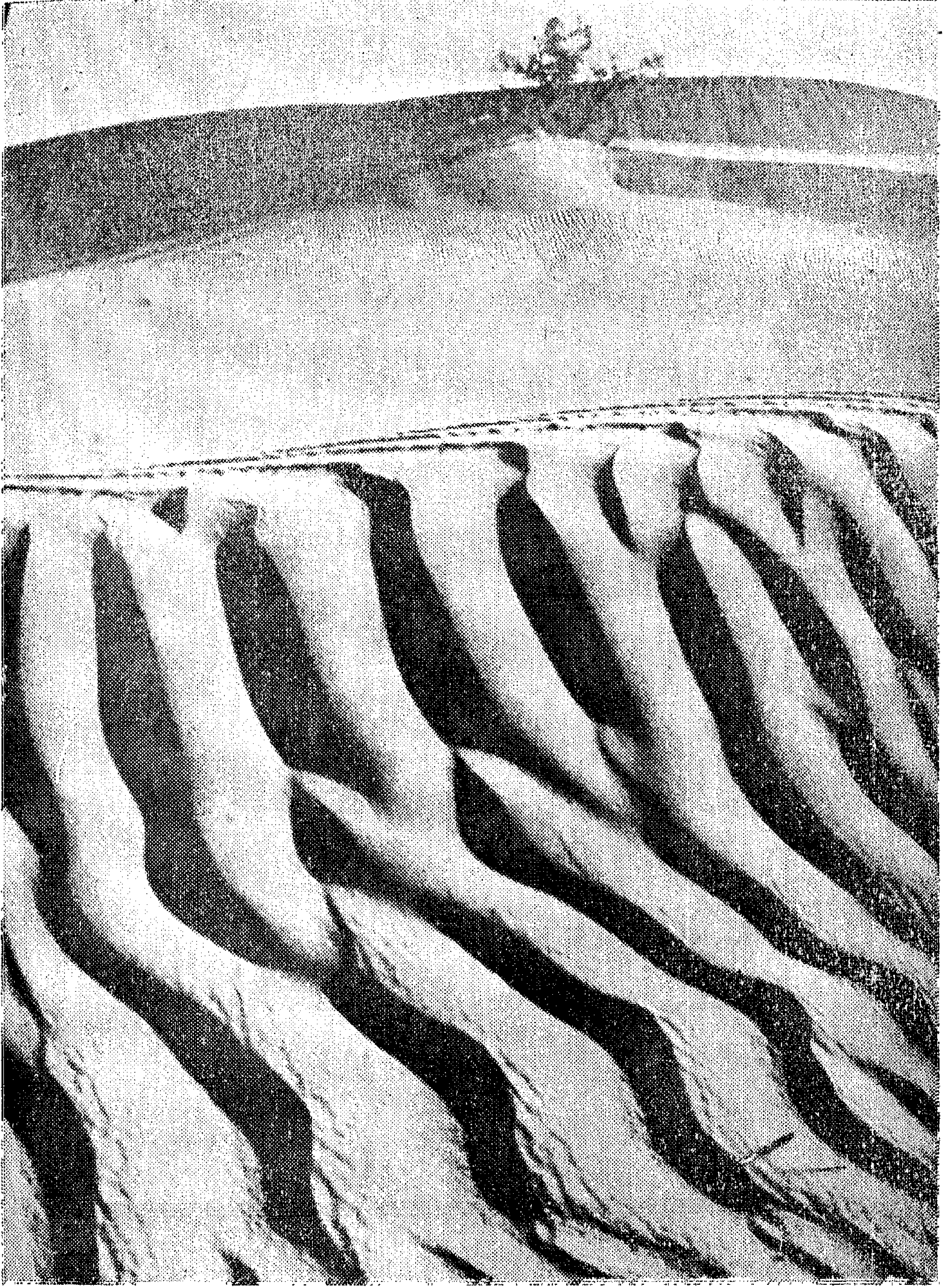
وبعد ، لا شك أن المد التحررى الافريقى الذى اضطر اسبانيا الى اعلان عزمها على منح الحكم الذاتى لمستعمرتين من مستعمراتها .. سيضطرها حتما — باتساعه وضغطه وتأججه — الى التخلى عن بقية مستعمراتها فى افريقية .

محمود حشمت

الصحراء الكبرى



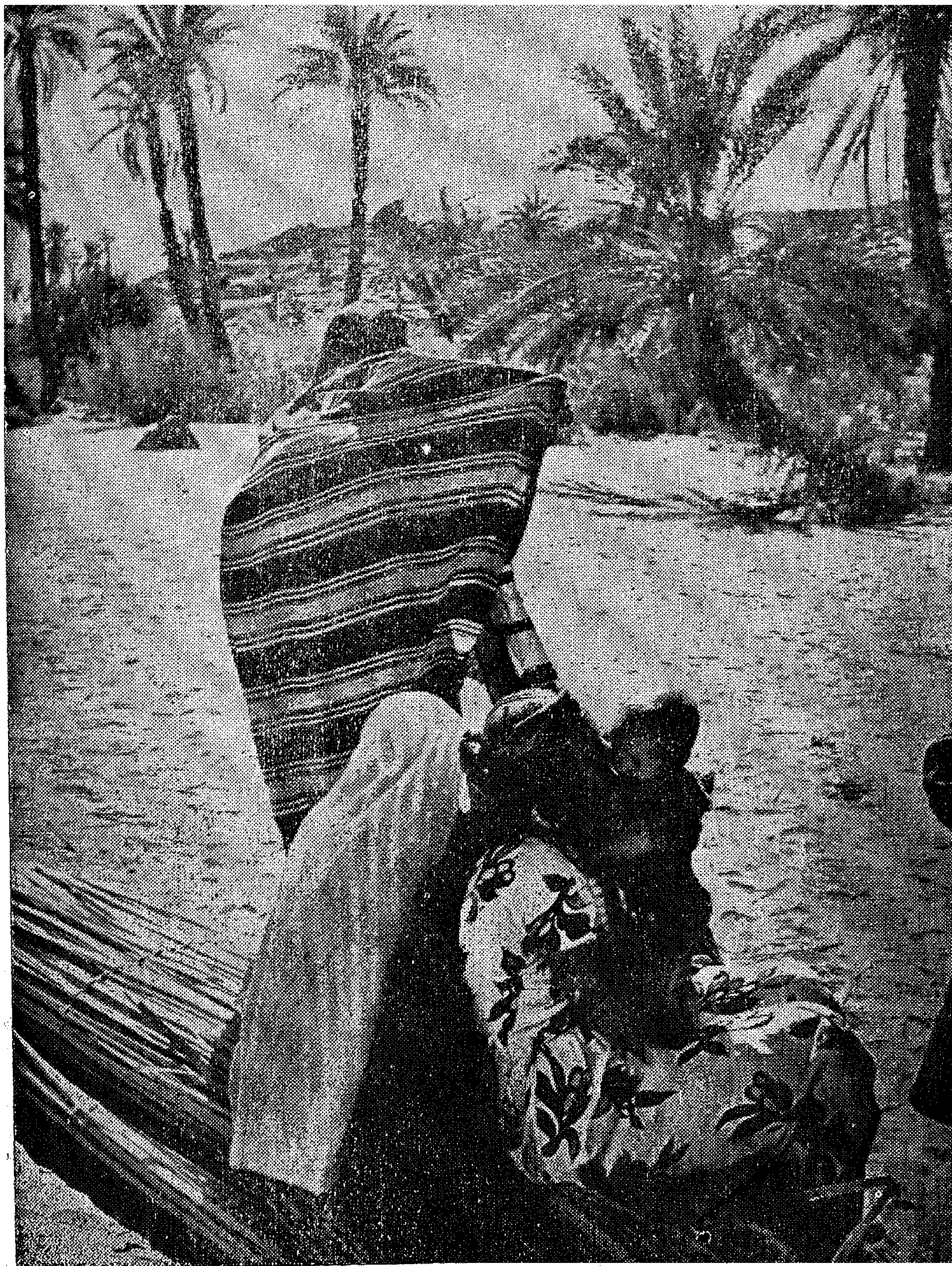
حيث تتلاقى احدى عشرة دولة افريقية : ج٠ع٠م٠ وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسنغال ومالى والنيجر وتشاد والسودان ٠٠٠٠٠



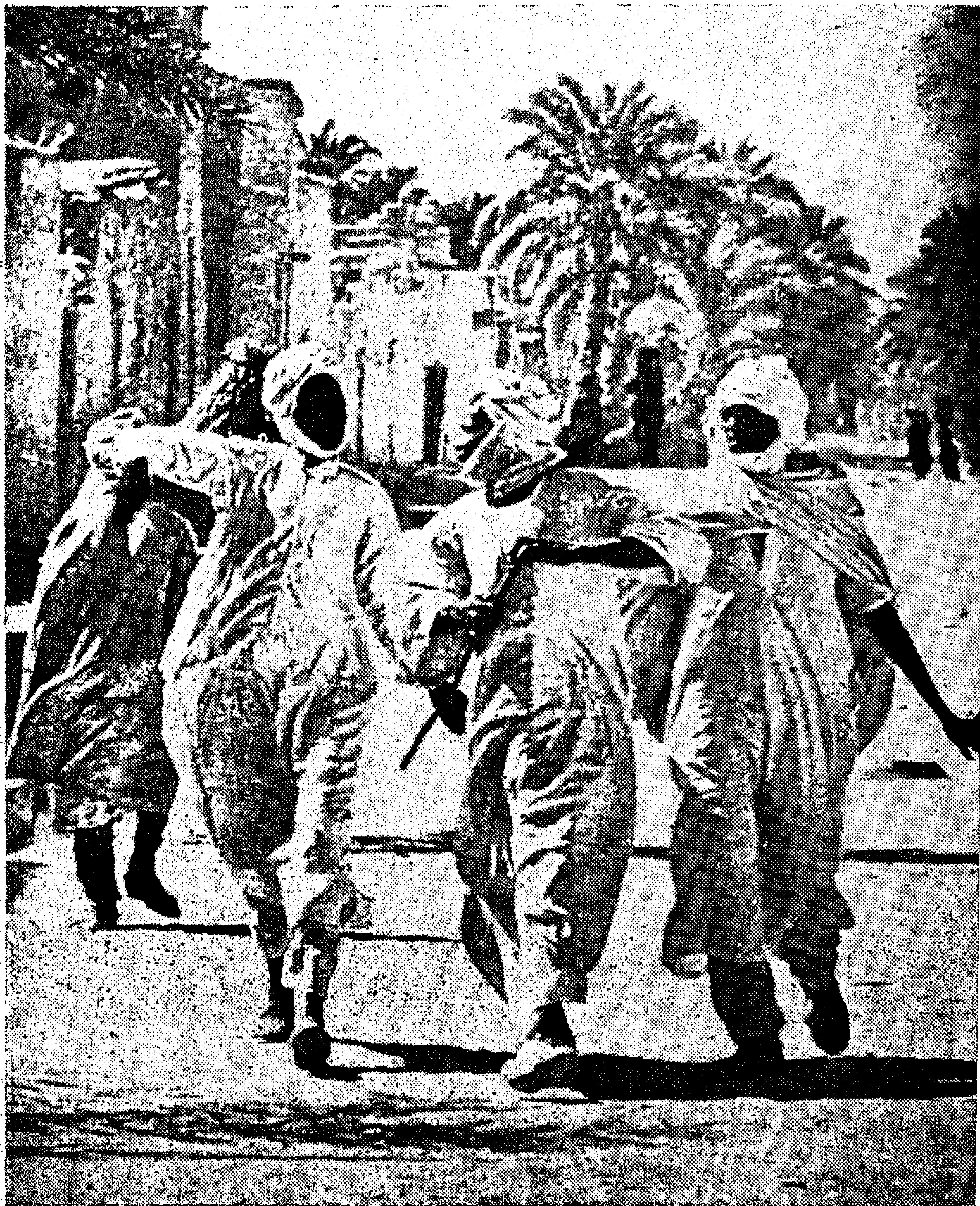
((على شــط بحر الرمال ....))



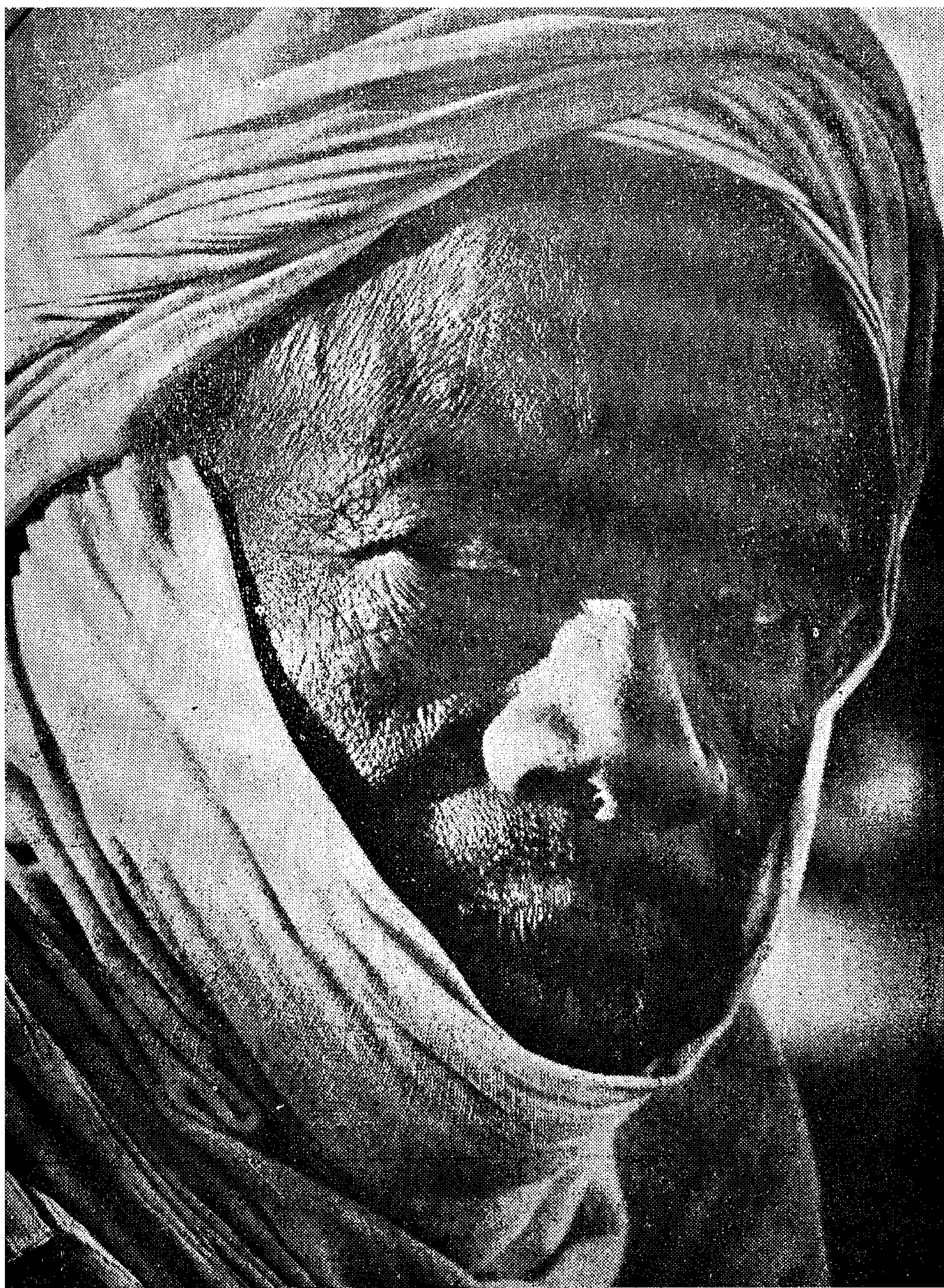
« تختلط عيدان النخيل بأعواد العذارى .... »



« ويولد الانسـان حراً ٠٠٠٠ »



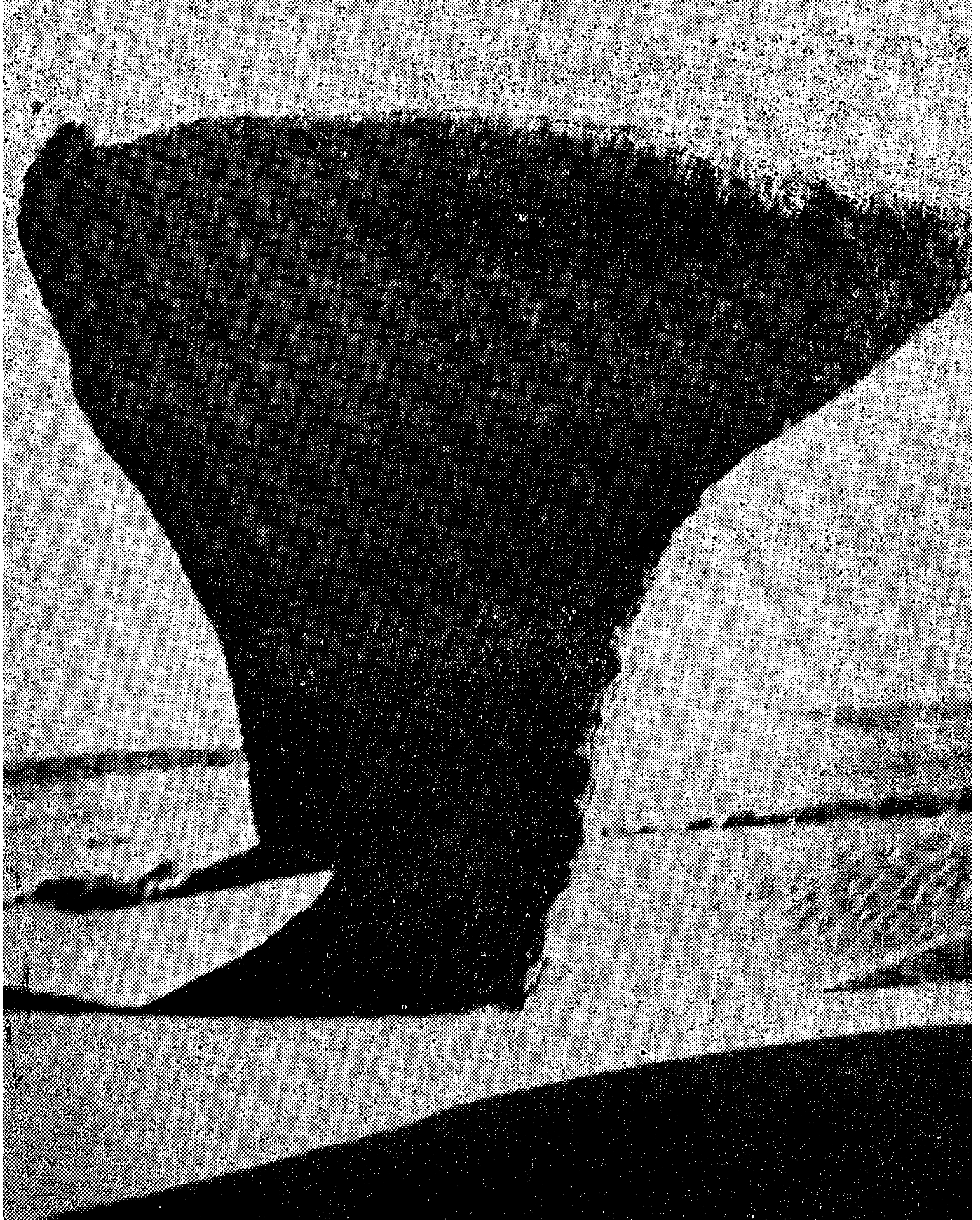
« ويشب على نسائم الحرية ... »



((ويتمرس بالتجربة كهلا ....))



((وتصوغ الطبيعة من المرأة ....))



« كما تصوغ من الجبل .... عملا فنيا .... »



زامبيا فى سبيل التحرر

من الملاحظ أن الزعماء الافريقيين بارعون أشد البراعة فى الترجمة لانفسهم ، ولبلادهم من خلال ما يكتبونه عن انفسهم ، ونحن حين نستعرضهم واحدا واحدا نجد لهم مجهودا كبيرا فى هذا الميدان ، على أن هذا الميدان لا يقتصر على الجانب السياسى فقط ، وانما يتعداه الى الجانب العلمى والفنى كذلك .

والكتاب الذى بين أيدينا الان هو « زامبيا فى سبيل التحرير » لزعيم روديسيا الشمالية « كينيث كاوندا » ، الذى كان أخيرا فى زيارة الجمهورية العربية المتحدة ، والذى يعتبر واحدا من أصدقائها المقربين .

والكتاب يقدم حيات هـذا الزعيم فى طفولته ، وفى سنى الدراسة ، ثم فى وظيفة التدريس ، الى أن وقف أخيرا على قمة التنظيم السياسى فى بلاده ، واعتبر صاحب الكلمة الواعية الذكية فى البلاد ، والذى تتعلق به الامال وهو يشد فجر الحرية الذهبى شدا على بلاده التى تتهيأ الان ، وتفتح له وجدانها بحب وفهم .

* * *

والكتاب يقدم طفولته فى « لوبوا » ، وكيف أنه سمى فى أول الامر « بوشيزيا » لانه جاء على غير انتظار ، فقد جاء بعد زواج والده بعشرين عاما .

وقد ولد فى عام ١٩٢٤ فى « لوبوا » التى تقع على خط تقسيم المياه بين نهرى « لوانجوا » و « سمبيزى » ، لقسيس أفريقى يدعى « دافيد كاوندا » بعثت به بعثة لفنجستون فى نياسالاند للتبشير بين قبائل البمبا .

وقد مات والده وهو فى الثامنة من عمره ، وكان أن حزن عليه حزنا أرهق قلبه الصغير ، وعينيه السوداوين ، ذلك لانه كان شديد التعلق به ، وكان لا ينسى « تربيته والحنان به ، والفرح الذى كان يغمض عينيه عليه رفرف النوم على عينيه .

وحتى حين غضب الطفل من أبيه حين ضربه ضربا مبرحا لانه اعتدى على طفل صغير مثله ، وجد أن « وجع الضرب » يهدأ ليحل محله صوت أبيه العميق وهو يذكر له فى نبرة دينية جليلة **«انه لاينبغى للانسان أن يدخل فى نزاع ، أو أن يدخل فى مشاجرة مع اخيه الانسان ، لان البشرية جميعا أسرة واحدة »** ، ثم وهو يدلك بيديه الطيبتين جسمه الصغير بالدهون والزيوت فى الاماكن التى تلقى الضرب عليها .

وقد كان طبيعيا أن يعيش مع أسرته فى جو لا ينتهى من الاناشيد والصلوات ، وكان أشد ما يفتنه من كل هذا الموسيقى والتراتيل التى كانت تصاحبها ، وبخاصة أن هذه التراتيل كان لها سحر خاص لانها كانت بلغة « البمبا » الرقيقة ، ثم انها فى الوقت نفسه كانت لغة أمه .

ولقد كان بيت والده ملتقى للمبشرين

الاوربيين الذين لم يكونوا يرتاحون لعظاته الدينية ، ولابناء أصدقائه الذين لم يكن في استطاعتهم النفقة على أولادهم ، ولكل المحتاجين في المنطقة .

ولما كان مرتب القسيس لا يفي بهذا ، فانا نراه يعتمد في نفقاته على ما تغله عليه حديقه كبيرة مزروعة بألوان عديدة من الخضر والفاكهة ، وعلى ذلك الرصيد الذي كان يتوفر من صناعة أمه للصابون ، بالاضافة الى ملكية حقل من الارز ، ومزرعة تبعد عدة أميال عن « لوبوا » ، وقد كان هذا يعتبر ثروة لا بأس بها في روديسيا الشمالية .

وقد سعدت الاسرة بكل هذا ، ولكن هذا اللون من السعادة سرعان ما جف حين مات الوالد ، ولكن الاسرة عملت على التماسك والمحافظة على كيانها الاقتصادي بكل ما تستطيع ، وكان من نصيب «كينيث كواندا» في هذا العمل المتواصل في البيت وفي الحديقة وفي نقل المياه من الابار التي تبعد مسافة ميلين ، كما كان يضيف الى هذا أن يجلس الى الطاحونة لطحن « الدخن » لوجبة العشاء ، وأن ينظف آنية المطبخ ، ويغسل ملابسه ويكويها ويجمع الحطب من الغابة ، ويحضر فروعا من الاشجار المنتشرة لبناء مخازن الحبوب وحظائر الدواجن .

وقد كان يتذكر في كل هذا أن والده كان يطمع في توصيله الى أقصى مرحلة يمكن أن يصل اليها أفريقي في التعليم ، ولكن الظروف أجبرته الى ان يتعلم كأولاد الافريقيين ، فكان يجلس معهم تحت شجرة تعلق عليها قطعة كبيرة من القماش مكتوبة عليها الحروف الهجائية للغة الانجليزية ، ولا يزال يذكر أن عجز مرة عن مصاريف « مدرسة الشجرة » هذه التي كانت لا تتجاوز مبلغ اثنى عشر قرشا ، الى أن سمع بذلك جار فأسرع وقدم للاسرة هذا المبلغ .

ثم انتقل الى المدرسة المتوسطة وكان عليه أن يدفع ثلاثين شلنا في السنة ، ولما كان هذا أمرا شاقا نراه يعمل في العطلات كما نراه يبرع في هذه الفترة في العزف والغناء على القيثارة ، وفي لعبة كرة القدم .

* * *

وحين أفتتحت أول مدرسة ثانوية في عام ١٩٤٠ في مونالى » بمنطقة « اوزاكا » ، وقع عليه الاختيار مع تسعة وعشرين طالبا ليكونوا من ضمن طلبة هذه المدرسة ، وهكذا وجد نفسه أمام فكرة الخروج من اقليم « شنزالى » الى مدينة « مونالى » ، وعلى الطريق بين هذين الاقليمين شاهد القطار لاول مرة . ومعمل الطبيعة والكيمياء ، ووجد نفسه مضطرا الى أن يكره مادة التاريخ التي كان يحبها لانه وجدها لا تتحدث الا عن « جنوب أفريقية » ، كما وجد نفسه يعمل على حماية الطلبة الصغار ، وعلى أن يدلى خصلة من الشعر على حاجبه مما جعل زملاءه يطلقون عليه لقب « هتلر » ، وأن يوثق صلته بمدرس يسمى « دانيل سونكويشى » من أبناء جنوب أفريقية ، فمنه قد سمع لاول مرة كلمة «التفرقة العنصرية» ولا يزال يذكر صوته « اسمع يا كينيث .. قد نكون نحن الافريقيين في اتحاد جنوب أفريقية قد أضعنا الفرصة للمحافظة على حقوقنا ، أما أنتم فلا يزال الوقت متسعا امامكم ، وعليك أنت وأمثالك من الشبان ألا تسمحوا بألا تتكرر عندكم مأساتنا في اتحاد جنوب أفريقية » ، وهناك اصطدم بأحد الحكام الانجليز حين فقد تصريحه ، فقد تحدث اليه بالانجليزية ولكن الرجل ترفع عن أن يتكلم معه بها ، وكان يطلب من سكرتيره ترجمة أقوال « كينيث » الى لغة البمبا .

* * *

ثم كان تعيينه مدرسا بمدرسة البنين في « لوبوا » ، وهكذا وجد نفسه يعود الى مسقط رأسه ، ويعمل على انشاء مؤسسة الرعاية الاجتماعية للافريقيين التي كانت تعمل بعيدا عن السياسة ، وحين حاولت توسيع مفاهيمها أجاب الحاكم « أن الطبقة المتعلمة الافريقية لا تمثل الا نفسها ، وكان هذا أول حافز لخوض معارك الحرية ، وفي خلال هذه الفترة سعت أمه الى تزويجه من

« بيني باندا » ، على أنه سرعان ما استشعر الملل ، مما دعاه الى أن يقدم طلبا للالتحاق بالجيش .

* * *

ثم تأتي بعد ذلك « مرحلة التجول » التي تبدأ بسفره للتعليم في « تنجانيقا » وهناك وجد مزرعة لاشجار الصمغ يديرها افريقي وأوربي ففكر « **ولماذا لا نزرع أشجار الصمغ في بلادنا** » على أن العمل لم يرقله ، وقد ألحت عليه العودة الى بلاده حين علم أن وحدات الجيش في « لوزاكا » تحتاج الى مدرسين مؤهلين ، وكان أن عاد وتسلم العمل ببلاده .

ولكن الرحلة شاقته من جديد وكان أن تقدم بطلب الى وظيفة مدرس في روديسيا الجنوبية ، وهناك عمل باحدى مدارس جيش الخلاص قرب مدينة « سالسبورى » ، ثم انتقل الى مدرسة أخرى ، ولاول مرة هناك تعرض الى تقديم « البطاقة الشخصية » حين قرر العودة الى روديسيا الشمالية ، وكم كانت سعادته وهو يعبر الى بلاده نهر « الزمبيزى » ، ثم وهو يرى في بلاده ظهور حركة نقابية سوداء ، وكيف تآمر البيض عليها وعملوا على ضمها لنقابتهم ، ثم وهو يعمل كاخصائي اجتماعي في منجم تشانجا ، وأخيرا كمدرس في « موفوليرا » .. وفي هذه المدينة عين نائب سكرتير فرع المؤتمر الوطني الافريقي ، كما اختاره المدرسون ليمثلهم في المجلس الاستشارى للمدينة ، وفي عام ١٩٤٩ انتخب عضوا في المجلس الاقليمي .

* * *

وفي « موفوليرا » شعر بالحاجز اللوني ، فلم يكن يسمح للافريقيين الدخول الى المتاجر الاوربية الا من فتحة في الجدار الخلفي ، وقد صمم على تحدى شعور الاوربيين وكان أن صحب زملاءه وتلاميذه ثم أوقفهم بعيدا ، ودخل باب صيدلية من الباب الامامي ، وكان أن دهشت الفتاة التي تجلس الى الالة الحاسبة ، وصاح صاحب الصيدلية « أخرج » ، وتطوع اثنان من العمال البيض لطرحي خارج المحل ، ولكن تلاميذي وزملائي ملأوا الجو بالصياح ، وحين ذهبت الى الحاكم المطقه قال لي « سأعطيك توصية للدخول ما شاء من المحلات » ولكني صحت : ان التوصية ترتبط بوطني كله .

ومرت الايام وحين جاء عام ١٩٥٧ تكرر مثل هذا الحادث حين طلبت طعاما في مدينة « كيتوى » ، ولكن مما أثلج صدره أن كثيرا من المواطنين احتجوا على هذا الحادث .

* * *

ثم قرر العودة من « موفوليرا » الى مسقط رأسه « شنزالى » ، وهناك تردد بين العمل بالزراعة أو التجارة أو السياسة ، ولكنه لما كان مؤمنا بالحركات التعاونية أنشأ مزرعة تعاونية مع فئة من التعاونيين وأطلق عليها «الجمعية الزراعية لشباب شنزالى» ، وجمع من جديد حوله أفراد أسرته .

ثم كان أن بدأ نشاطه الحقيقي في عالم السياسة في عام ١٩٤٩ ، فقد اتصل بالسكرتير العام لحزب المؤتمر الوطني في روديسيا الشمالية ، وطلب منه افتتاح فرع للحزب في « شنزالى » ، واختير سكرتيرا له ، وكان يقوم مع زميلين له بعملية توعية تجرهم الى الغابات وكان دائما يسائل قومه « كيف تقومون بالامس بالدفاع عن بريطانيا ، ثم تعودون اليوم لتقطعوا الخشب في الغابة ، وتحملوا الماء من الابار في القرية .. انكم لا تستطيعون الجلوس الى المائدة التي يجلس اليها البيض ، ولا تستطيعون أن تجاوروهم في الفنادق لان عملكم فقط يقتصر على اعداد المائدة والسرر للرجل الابيض ؟ »

وكان يذكرهم بدور « العسكرى » الافريقي في الدفاع عن المدنية الغربية والقيم المسيحية ، وبالشعارات التي تقول « غير مسموح للكافر بالدخول » وبالوعود المضللة .

ثم كانت معارضته « للاتحاد المزيف » بين أفريقية الوسطى ، ومواجهة السلطات ومن هذا اليوم وحكومة روديسيا الشمالية تعامل الشعب بالشدة وتعمل على تفريقه .

ثم كان اختياره سكرتيرا تنظيميا للاقليم الشمالي ، ثم سكرتيرا عاما للمؤتمر الوطني الافريقي ، ومن منصبه هذا عارض بشدة اتحاد أفريقية الوسطى » ، ورد على الذين

قالوا « انه حقيقة واقعة » ، وعمل على انشاء « نشرة شهرية » تسمى « انبـاء المؤتمر » في اكتوبر عام ١٩٥٣ ، وعلى تحطيم فكرة انشاء حكومتين واحدة للبيض والاخرى للسود .

ثم كان القبض عليه لعمله على نشر مجلة « افريقية ودنيا الاستعمار » في روديسيا الجنوبيةبعد ان منعت من روديسيا الشمالية حقا لقد كان عام ١٩٥٥ عاما عصـيبا لانه قبض على اغلبية الاعضاء العاملين في المؤتمر الوطني الافـريقي ، وفي عا م١٩٥٦ نظمت حركة لمقاطعة متاجر البيض .

وفي عام ١٩٥٧ قام باول زيارة للممـلكة المتحدة بناء على دعوة وجهت اليه من حزب العمال ، وقد انتهز هذه الفرصة وقام بدعاية ضد « اتحاد وسط افريقيا » ودرس النظم السياسية البريطانية ، وعـرف ان الرأى العام البريطاني لايعرف شيئا عن قضـايا بلاده ولكنه كسب كثيرا من هـؤلاء الى صفه .

ثم عاد بعد ان اعلن الحاكم العام « آرثر بنسون » انه على استعداد للاجتماع مع ممثلي المؤتمر للبحث في الدستور الجـديد المقترح للاقليم ، واعد رئيس الحـزب « نكوسيولا » المقترحات في ضوء « للرجـل الواحد صوت واحد » واخذ في تحدى « روى ويلنسكي » الذى كان يصف مبدأ المشاركة بانه يقوم كما تقوم العلاقة بين الحصـان وراكبه .

ثم كان انفصاله عن « نكوسيولا » لانه رأى ان السير في سياسته يعتبر انحارا سياسيا وطنيا ، وكان ان عمل على الانفصال عنـه وتكوين « مؤتمر زامبيا الافريقي » في عام ١٩٥٩ ، وحين اكد المؤتمر دوره قبضت عليه السلطة ، واشاعت بين الاهالي ان رجال الحزب الجديد من اكلة لحوم البشر ، وان « لحم الاطفال » يفتنهم اكثر من غيرهم من من اللحوم ، ثم كان الغاء « مؤتمر زامبيا الافريقي » ، ولكنه خرج اكثر تصميما على المبادىء ، وكان مما قاله :

((أنا خرجت من السـجن أكثر تصميما على السعى لتحقيق استقلال بلادى ، أما السـجن والتعـذيب والاعتقال وفرض القيود على تنقلات الافريقيين فانها وان كانت تؤجل يوم الحرية ــ الا أنها لن تستطيع منعه))

وقد اوضح هذا الموقف ان الاتحاد لن يمكث طويلا ، وان لابد من الحكم الذاتي ، وان البعثات التبشيرية موجهة ضد الشعب « واني هنا اتساءل : كيف تعلمنا الكنيسة المسيحية اننا اخوان في الله ثم تتنكر لنـا كلما توسلنا الى الله ان يكشف عنا البلاء ! »

وفي فبراير عام ١٩٦١ اصدر بيانا بعنوان « **لقد سئم قومي** » وذكر فيه أن الشعب يتهـدد غاصبيه ، واستنكر المقترحات الدستورية الجديدة ..

ثم يقول في ختام كتابه :

((طالمـا دعوت قومي في روديسيا الشمالية أن يتذرعوا بالصبر ، وأن يتجنبوا العنف ، ولـكني اليـوم احـذف عبـارة الصبر من قاموس حياتي ، أنا من أشد الناس أسـفا على أعمال العسف ولكن اخواننـا في المديرية الشمالية لم يكن أمامهم الا أن يموتوا مدافعين أو مستبسلين ، ففضلوا الأولى عن الثانية .

وماذا كانت نتيجة العنف الذى حدث في المديرية الشـمالية ؟ لقـد أعادت الحكومة البريطانية النظر في سـياستها ونحن الآن في عام ١٩٦٢ قد حصلنا على دستور جديد ولقد عقدنا العزم على أن نستخدم هـذا الدستور في تطبيق مبدأ حكم الاغلبية في ((روديسيا الشمالية)) ولاول مرة في تاريخنا قد نستطيع أن نستخدم صـندوق الانتخـاب لتحطيم ذلك الجهاد الفاسد الذى يسمونه الاتحاد الفيدرالي لافريقية الوسطى .

ثم يختم كتابه بهذه العبارة المؤثرةفيقول

البقية ص ٦٧



حديث مع كاشاموورا

فى الزيارة السريعة التى قام فيها السيد « أنيست شاموورا » بزيارة الجمهورية العربية المتحدة .. تم لقاء بينه وبين أسرة مجلة نهضة افريقية ، وكان هذا الحديث

● مجلة نهضة افريقية تحيى دورك فى الكونغو ، وترحب بك فى مقرها ، ويسعدها أن تجمع بينك وبين القراء على صفحاتها ، فهل نطمع فى هذا

— انا سعيد بوجودى فى الجمهورية العربية المتحدة ، وبأنى سألتقى بالقراء العرب على صفحات مجلة نهضة افريقية .

● ما تأثير الاحداث فى الكونغو برازفيل على الكونغو نفسه ؟

— الحركة الوطنية فى « برازفيل » كان لها تأثير على الراى العام فى الكونغو ، ولكن فى الوقت نفسه لم يكن لها تأثير مباشر على الطبقة الواعية فى مجتمع « ليوبولدفيل » وهى الطبقة التى كان يمكن ان تقوم بحركة مشابهة للحركة التى تمت فى برازفيل ، وليس لهذا من سبب سوى ان نظام الحكم فى (الكونغو — ليوبولدفيل) يضغط على الافكار هناك .

● وما دور تشومبى الأخير ؟

— تشومبى فى ذاته شخصية ليس لها خطر سياسى ، فهو انسان بلا ضمير ، وكل قيمته أنه « دمية » وضعت مؤقتا على الرف ، الى ان يرى الاستعمار ان منه فائدة مرة اخرى ، فنتحرك « الدمية » .

● ما دور القوى النقابية فى الكونغو ؟

— الحركة النقابية ليست منظمة بالمعنى الثورى المعروف فى الكونغو ، فمنذ ايام الحكم البلجيكى الاستعمارى ، والحركة النقابية كانت تتشكل بصورة تخدم معها الاستعمار فى البلاد ، فرغم انها ترفع « لافتة اشتراكية » الا ان مثلها فى ذلك مثل النقابات العمالية الموجودة فى أمريكا ، والجمعيات التعاونية الموجودة فى اسرائيل ،

وبعض الاحزاب العمالية فى أوربا الوسطى ، وغيرها من الهيئات التى تأخذ - فى الظاهر - طابعا اشتراكيا ، بينما تستخدم فى الواقع لمحاربة الاشتراكية .

ولعل ما يؤكد هذا ان زعماء الحركة النقابية فى النقابة تدفع لهم مرتبات من الدوائر الاستعمارية الامريكية !

وفى ضوء هذا لا يطالب الزعماء النقابيون فى الكونغو بمطالب اشتراكية اساسية مثل تأميم الشركات الاجنبية الكبرى ، ووسائل المواصلات ، ومصادر الانتاج ، فكل همهم « الهاء » الجماهير العمالية بعوامل تهدئة سطحية مثل زيادة الاجور ، والخدمات الصحية ، ونقص ساعات العمل .. الخ .

● ما دور اسرائيل فى الكونغو ؟

- من المعروف ان الاستعمار يشتغل بسلاحين الاول مباشر ، والثانى غير مباشر ، وان اسرائيل بوصفها دولة مصطنعة ، تقوم بدور « الوسيط الاستعمارى » فى افريقية وآسيا معا ، وتؤكد كذلك « النظم الرجعية » حتى يتمكن الاستعمار من مواصلة استنزافه للثروات الوطنية .

ولقد كانت اسرائيل حينما استقل الكونغو اول دولة اسرعت بعرض خدماتها على « لومومبا » ، ولكن الحكومة فى هذه الفترة رفضت تلك العروض ، رغم محاولة امريكا اقناعنا بأن اسرائيل دولة صغيرة مثلنا ، وانه ليست لها مطامع فى افريقية ، وان المشاكل التى تواجهنا تشبه المشاكل التى تواجهها .. وعلى كل فنفوذ اسرائيل فى الكونغو يتمثل فى ناحيتين اولاهما :

محاولة التسلل الى الجيش ، ومن المعروف ان اسرائيل قد توددت الى « موبوتو » ودعته الى زيارتها ، ومنحته وساما رفيعا ، وارسلت اليه بعد زيارته مجموعة من « الجنود المرتزقة » لتدريب الجنود الكنغوليين .

واما الناحية الثانية فتتمثل فى المنظمات التعاونية ، فهذه المنظمات تقوم بتشكيلها اسرائيل ، ولكن التى تمولها هى الولايات المتحدة الامريكية ، وهى ترمى بالطبع الى السيطرة على « الاقتصاد الشعبى » شيئا فشيئا .

وفى نظرى انه عندما تقوم ثورة وطنية ، فاننا لن نكون موجهة ضد الكونغوليين الرجعيين وحدهم ، وانما ستكون موجهة اليهم ، والى الاسرائيليين ، وسادتهم الامريكان .

● مادور الكونغو فى الاحداث ؟

- الكونغو ليست له سياسة ، وانما « تصنع » له السياسة ، وقد يبدو لك ان الكونغو له سياسة افريقية ، بصفته احد الدول الموقعة على ميثاق « اديس ابابا » ولكن الواقع ان الكونغو وقع على الميثاق ليتفادى « المهانة » فى الاسرة الافريقية .

ولكنه بعد التوقيع لم ينتهج اية سياسة فعالة ازاء افريقية ، وازاء المشكلات العالمية الكبرى .

● وما دور الكونغو فى معركة أنجولا ؟

- قبل سقوط « يولو » كان هناك اتفاق مدبر بينه وبين « كازافوبو » للسيطرة السياسية على « انجولا » لكى يكون فى يدهم زمام الموقف فى « افريقيا الوسطى » والآن بعد سقوط « يولو » اصبحت سياسة الكونغو اجاء انجولا ذا وجهين .

وجه يشفق من احتقار الوطنيين والشعوب الافريقية اذا ما خذلت الكونغو ثوار انجولا

والوجه الآخر هو موقف المدفوع من الامريكان لمساعدة الثوار على السيطرة عليهم لحسابهم بعد انتصارهم فى خدمة الاستعمار الامريكى .

والنتيجة ان حكومة الكونغو غير جادة فى معاونة الوطنيين الانجوليين ، واكبر دليل على هذا انها لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية حتى الآن بالبرتغال .

● وما دور الحركة الادبية والفنية فى الكونغو ؟ وهل للكونغو شعراء عظام كسنغور وديوب

ـ هناك حركة ادبية وهناك شعراء ..

ـ لكن حينما تكون مصائر الامة فى ايدى الاجانب ، فانهم يعملون باستمرار على اطفاء جذوة الفن والموهبة ، وقد عمل الاستعمار فى الكونغو على اطفاء اية نزعة ادبية .

وساعدهم على ذلك ان التعليم كله كان وما زال فى ايدى البعثات التبشيرية ، وقد حدث ان بعض المبشرين كانوا يقومون باغراء الشعراء لكى يصرفوهم عن الشعر العاطفى والوطنى ، وليحولوهم تماما الى الاشعار الدينية اللاهوتية .

اما من ناحية الكتاب فعندنا فى الكونغو عدد لا بأس به اذكر منهم « توماس كنزا » و « كالانجا » ، وكذلك يوجد عدد من الصحفيين يكتبون باللغة الفرنسية .

« بقية مقال نقد الكتب »

« طالما وقفت بين قومى فى الظلام ونحن نهتف « كواشا » ـ اى الفجر ـ وهانذا ارى الظلمة تتبدد فى الافق ، وان الصبح ليس منا ببعيد ، ولسوف تتحرر زامبيا » .

تلك قصة هذا الزعيم الذى كان اخيرا فى زيارة الجمهورية العربية المتحدة ، والذى يعتبر واحدا من اصدقائها المخلصين ، والذى يجيد « الكلمة » فى السياسة وفى التأريخ لقضايا بلاده ، ولعل هذا يدفع بعض الزعماء الكبار فى الشرق الى ان يقدموا حياة شعوبهم من خلال اشخاصهم ، ومن خلال كلمات ينبض بها وجدانهم وهم فى المعارك الواعية فى الحياة .

ولقد كانت لمحة ذكية من « الدار القومية » ان تقوم بتوقيت نزول هذا الكتاب فى الفترة التى كان يزور فيها بلادنا ، فى صورة صادقة نقلها الاستاذ حسين الحدة وراجعها الاستاذ حمدى حافظ ، ونحن حين نذكر هذين الاسمين نعرف ان الثقافة الواعية الملاحقة للاحداث مدينة لهما بالكثير .

« عبده بدوى »



التنوع في المعمار الفني الافريقي

بقلم عبد المنعم الحفني

تتنوع جغرافية القارة الافريقية بقربها أو بعدها من البحر أو البحيرات الكبرى أو بحكم ارتفاعها أو انخفاضها أو بمرور خط الاستواء بها أو بعده عنها . ومع تنوع الجغرافيا والمناخ يتنوع النشاط الفنى وتختلف أساليبه الفنية .

ولعل أغزر بقعة افريقية انتاجا للفن والفنون هى منطقة السفانا الافريقية ، وهى المنطقة التى تشمل السودان حتى سواحل غينيا وغابات الكنغو .

والسلالات السكانية لهذه المنطقة ليست سلالات خالصة ، فلا توجد سلالات خالصة بها . وهذه المنطقة بالذات ــ منطقة السفانا ــ عرضة لهجرات مستمرة ، وغزوات متصلة ، امتزجت فيها الدماء الزنجية بالحامية ، بالحبشية ، سلالات البحر الابيض المتوسط ، بالسلالات السامية والعربية . وهذا الامتزاج ، أو التهجين السلالى ، كان له أثره البعيد على الدفع الحضارى عندها .

ونلاحظ أن أكبر حركة تهجين كان مصدرها سكان الشمال الافريقى ، العرب والمغاربة والتواريج والبربر ، وعندما كانت امبراطورية قرطاجنة زاهرة فى عنفوانها ، كان السودان يتاجر معها ، ويرسل اليها العاج والذهب والعبيد ، عبر الخطوط التجارية الصحراوية . وكان يطلب لقاء سلعة الملح والنحاس والمنسوجات ، ونشأت أسواق حيث مراكز التجارة التى تجتمع اليها القوافل المسافرة . ولم يكن تجار الشمال مجرد حاملى سلع ، ولكنهم كذلك كانوا ناقلى أفكار وحرف ومفاهيم جديدة فى كل شىء ، ولما ازدادت معارفهم بحكم احتكاكهم بالامم الاخرى ازدادت ثقتهم بأنفسهم فكونوا الممالك ، وأقاموا العروش وبنوا صروح حضارات مجيدة ، يقص علينا قصتها البكرى (فى القرن الحادى عشر) ، وياقوت الرومى فى (القرن الثالث عشر) ، وابن بطوطة ، وابن خلدون (فى القرن الرابع عشر) . ويصف

هؤلاء الثروات الضخمة ، والامجاد الرائعة التى وجدوا عليها العواصم الافريقيه وذلك الحين البعيد . وكانت هناك مثلا مملكة أسستها البربرة وامتدت بين القرن الرابع والقرن الثالث عشر حتى شملت كل المنطقه الواقعة بين السنغال والنيجر الاعلى . وقامت فى القرن الحادى عشر مملكة كبرى ، كانت تسمى مملكة مالى أو مالى ، وبلغت ذروة مجدها تحت حكم الحاج منسى موسى ، وكان مسلما ادى فريضـــة الحج سـائرا حتى مكة ، واستغرقت رحلته من سنة ١٣٢٤ حتى سنة ١٣٢٦ . وكان موسى ملكا مثقفا ، طلب لامته المجد الاثيل فأعطاه لها ، وانشأ المدارس حتى شملت المملكة كلها ، واستقدم المدرسين لها من مصر حيث كان الازهر الشريف يزرع أشجاره دائمة الخضرة فى عواصم كثيرة من افريقيا ، كما استقدم المهندسين من البلاد العربية ، ومن مصر خاصة ليبنوا له الجوامع والقصور ، وليضيفوا الى التراث الافريقى تراثا جديدا ، ويهجنوه بعناصر قوية عميقة من حضاراتهم . ثم ظهرت مملكة أخـــرى تنافس مملكة مالى ، فى اقليم سنغاى ، وكبرت المملكة واتسعت وبلغت أوجها تحت حكم الملك اسكيا فى القرن الثالث عشر . ونلاحظ أن قبيلة الماندى هى القبيلة التى سيطرت على مالى وأسستها ، ولما راح ريحها وانفثأ مجدها ، هزمتها قبيلة البنبارا ، وأقامت مكانها سنة ١٦٦٠ مملكة السيجو والكعارتا ، وانضمت المملكتان بعد ذلك فى مملكة واحدة برئاسة الحاج عمر . وفى القرن الحادى عشر قامت على نهر الفولتا الاعلى مملكة موسى – داجومبا .

ولم يقتصر أثر التيارات الحضارية الغريبة على الممالك والمناطق السابقة ولكنه شمل كذلك اقاليم قبـــائل الاشانتى والداهومى والافو والبنين . ولم يكن من الممكن أن تزدهر كل هـــذه الامجاد لولا اشراف افريقيا على البحر الابيض المتوســط والشرق الادنى . وكان اقليم تشاد هو أهم البوابات الافريقية للقوافل القادمة من كردفان ودارفور ، من وادى النيل ومن أثيوبيا ، وعن طريقة دخلت دماء جديدة الى سلالات البنو والنيـــجر والكاميرون والكونغو . ولذلك نقـــد تميزت الممالك التى نشأت على ضفاف النيجر بسمات خاصة تغالب بها على غيرها من الممالك . وعدد السمات هى التى أعلت من قدر ممالك اليوروبا والبنين والنوب والدوكى والبورنو والفولانى والهاوسا .

ولم تدم هذه الممالك طويلا كلها بعضها ما تهـــاوت واندثرت . أو تحـــولت الى ديكتاتوريات تمارس الطغيـــان ويهرب من أمامها أفراد الشعب مهاجرين الى أقاليـــم ومناطق أخرى . ومع ذلك فانها قد ساعدت على التطوير الفائق فى السودان ، فى مجاليه الفكرى والمادى . ونلاحظ التغير الهائل فى شكل الاكواخ للشعوب الزنجية القديمة ، فبعد أن كانت مستديرة صارت ذات أسقف مسطحة ، والحق بها مخازن حبوب ، تشبه القلاع ، وصارت هناك قصور عظيمة لها أفنية داخلية مبنية بالطوب النيىء .

وفى اقلـــيم السافانا ، نجـــد لذلك أن الحضارتين ، أو الثقافتين، القديمة والحديثة يتعايشان . وتقوم الحضارة القديمة على الاسرة الابوية التى تعيش داخل نطـــاق محدود ، والتى يمارس السلطة فيها مجلس الشيوخ ، وهو مجلس منتخب ، على رأسه شيخ الاسرة ، وهو السلطة العليا فيها وممثل التقاليد والحفيظ عليها . والملكية فى الاسرة ملكية جماعية ، تتبع مباشرة سيد الارض وهو شيخ الاسرة .

أما المجتمع ، أو الحضارة الجديدة ، فهو مجتمع قد طور نظام المشايخ الى أقصاه بأن أقام ودعم المملكة ذات الفرد الواحد . وتأثرت الحضـــارة والمجتمع الجـــديدين بالاسلام ، ولكن الاسلام لم يستطع أن يلغى الروح والتقاليد القديمة ، واختلطت تعاليم الاسلام بالاساطير والتقاليد ، وخلقت قيمـا خاصة فى المجتمع الافريقى المسلم لا نجدها فى المجتمع العربى المسلم أو الاسيوى المسلم . وخلق الاسلام سدا منيعا ضد تقدم المسيحية وتوغلها فى القارة الافريقية وخاصة فى منطقة

السافانا . وكره الافريقيون المسيحيةلارتباطها بالتاجـــر المسيحى والمبشر المسيحى الذى يؤاذر التاجر ويمكن له على أرض افريقيا .

ولما استقر الاســلام فى أفريقيــا خلق أنظمة مستقرة كذلك ، والنظام صنو الحضارة ، وبدون نظام لا يمكن أن تكون هناك حضارة ، فاذا استقرت المجتمعات ، استقرت كذلك نفــوس الناس ، واستطاعوا فى زمن الســـلم والهدوء والامن الاجتماعى أن يخلقوا ويبدعوا ، ولذلك تطــورت الفنــون الحرفية واليدوية ، ومارسوا صناعة النسيج ، وتعلم النساء غزل خيوط القطن ، بينما أتقن الرجال نسج هذه الخيوط وصبغها .

وتشتهر قبائل الهاوسا والماندنجو بأشغال الجلود ، وفى افريقيا الاستوائية يغزر المطر، ولا توجد فصول جافــة ، وتكثف الاحراش والغابات ، وتصعب المواصــــلات ، وتعيش القبائل عيشة منعزلة فى أسر صغيرة ، ولذلك تنتشر الجمعيـــات السرية ذات التقاليـــد والطقوس الخاصة والاسرار الفنيـــة التى تنفرد بها وحدها ولا تفصح عنها الا لاعضائها. وفى المدن يشكل الحرفيون شبه نقابات أو جمعيات خاصة بهم ، وهم لا يتزوجون الا من انفسهم . أما فى الغابات فالحياة القلقة تطبعهم ، ومصارعتهم لعناصر الطبيعة من حرارة ورطوبة وذباب التسى تسى والامراض المعدية وحميات المستنقعـــات ، كل ذلك يفقدهم كرامة الانســـان . ومع ذلك فان الانسان الذى فيهم دفعهم الى ان يحرقوا مســاحات من الغابات ، زرعوها بالاتهـــم البسيطة ، وعرفوا المحاصــيل والفصـــول فعرفوا المواقيت ، ومن ثم انشأوا الحضارات

ومن اكثر القبائل تقدما فى غرب السودان قبائل « البامبارا » ، ويقرب تعدادها من المليون نسمة ، وهى قبائل تنتمى سلاليا الى عناصر الماندنجو ، ومن الناحية اللغوية الى الماند . وهم أطول قامة من بقية السلالات الساكنة الى جوارهم نظرا لاختلاطهم بالدم الاثيوبى ، وهم شعب زكى معتز بنفســـه محافظ على كرامته ، لهم ماض حربى مشرف. وهم يعملون اليوم فى الزراعة ، ويعيشون فى دعة وسلام . ومن قبائل البامبارا يمتد الى قبائل أخرى مثل قبــائل الخاســـونك والمالينك والماركا والمانيانكا . ولا تستخدم البامبارا الالوان فى تماثيلها ، ولكنها تضيف اليها الكثير من الحلى ، والزينة، والاصداف، والخرز للعيون ، وبعض مثاقيب النحاس فى الاذنين والانف . وهى تصـــور الفخـذين كالخطين المنحنيين ، والزراعين ممتدين فى استقامة ، والانف مستقيما عريضا من اسفل، والوجه مستطيلا ، والشعر متساو فى ضفائر وخطوط مشدودة . أما تماثيل المانليك فانها أكثر جرأة ، والفم مستطيل كفم الضفدع ، والشعر اكثر زينة .

وتبدع البامبارا تشكيل الاقنعة، واشكالها أشكال تجريدية ، وتعطيها البامبارا اســـم « البولى » ، والبولى هى كل الاشكال التى يصنعها الانسان لتسكن فيها أرواح الارض ، وهم يصوغون البولى ويضعونها فى الحقول كى تطرد الحيوانات الشريرة عن المحاصيل، مثل الافيال وابناء آوى وغيرها من حيوانات ضارة بالمحاصيل .

وهم يصـــنعون الكراسى بالنحت على مساندها ، وكذلك يزينون الاقفال وغابات الناى وغيرها من الادوات برسوم تصـــور وجوها وحيوانات . وفى اقليمى الموبتى والسان يصنعون عرائس يعرضونها فى الاحتفـــالات والمهرجانات .

ولقد اشتهرت البامبارا « بالشى وارا »، وهى نحت على الاقنعة فى هيئة الغــزلان ، فالغزلان هى رمز قبيلة البامبارا . وقـــد كما قد تكون فى وضع الفقى وقد يترك فم الغزلا نمفتوحا وقد يترك مقفولا ، ولكنه فى أغلب الاحيان مقفـــول . وليس هنـــاك واحـــد من هـــذه الاقنعـــة يشـــبه الآخر مما يقوى الدليل على أن هذه القبيلة لا تستوحى نموذجا تصنع عليه اقنعتها ، ولكنها تستوحى خيالها . واهم ما يلاحظ فى هذه الاقنعة هو شكل البروفيل ، فالبروفيل

فيها قد أولى رعاية كبيرة ، وصمم فى رقة متناهية . وهى أقنعة تميل الى المذهب التجريدى والسريالى فى الرسم والتصوير عنها الى المذهب الطبيعى ، وليس فيها ما يشبه الطبيعة أو يوحى بالشبه مع الطبيعة سوى القرون والرقبة .

وتنتج أقنعة الغزلان كذلك مناطق السيجو والسان والكوتيالا والمانيكانكا. وتولى هذه المناطق عنايتها للرقبة لانها الجزء الذى يصل القرون بالجسم الصغير . ولعل أجمل ما رأى العالم من نحت بلغ حد الروعة الفنية هذه التماثيل التى تصل حيوانا آخر بالغزال، فطريقة اتصال الاثنين تتم بطريقة طبيعية جدا ، وبشكل تجريدى مذهل ، يختلف من منطقة لمنطقة ، ومن شعب لشعب .

ويرقص الراقصون رقصة الشى وارا الرائعة فى كل المناسبات الهامة ، وعند ما يسترجمون الآله أن ترسل عليهم المطر ، أو يخصبون الارض ، أو قبل الصيد ، أو عند الجنازات ، أو الاحتفال بتدشين شيء جديد، ويؤديها الرجال من الشباب ، وتقف الفتيات يرقبنهم وقد تزين بالاصاف وأخذن يصفقن مصاحبات الرقص بالايقاع .

ويلقب الغولان قبيلة الدوجون بالهاب ومعناها الكفرة . والدوجون هاجروا منذ مئات السنين ، واستوطنوا الهضبة الصخرية لانحناءة نهر النيجر جنوب تمبوكتو بين بندياجارا وهومبورى ، واعتصموا بهذه القلعة الطبيعية التى لا يستطيع أحد أن يصل اليها الا بواسطة الحبال يرتقيها كالسلم .

ولا توجد فى هذه المنطقة الا قطعة ارض صغيرة صالحة للزراعة تكاد تروى بالمياه بصعوبة بالغة ، ويزرعونها شعيرا وبعض الخضروات .

وفن عبيلة الدوجون فن يتميز بسمات فردية قوية ، كصفات القبيلة التى انتجته نفسها ، ولذلك فهو أحد العلاقات الكبرى فى تاريخ الفن الافريقى ، وأقدم فنونها هو تماثيل « التيليم » ويرجع تاريخها الى مائة سنة مضت وأعضاء تمثال التيليم تتميز بالذراعين الطويلين والكفوف العريضة الضخمة ، والا[illegible] المفلطحة ، والشفتين [illegible] البارزة . وكل ذلك منحوت [illegible] الصلب الذى تشبه [illegible] .

ويقع موطن شعب [illegible] شعب الدوجون ، وهو [illegible] مستقرة ، وكانت مدنه مراكز [illegible] وهؤلاء يصورون تماثيلهم [illegible] أذنين ، وأحقاف مستطيلة . و[illegible] مستطيلة كذلك .

أما شعب البوبو الذى يسكن [illegible] العليا فهو يحب الاقنعة أكثر من أى [illegible] آخر ، وقناع البوبو عليه رموز شبيهة [illegible] العفاريت ، والارواح الشريرة فى الجنازات ، وفى فصول الزراعة .

وتماثيل السينا تصور الانسان اما [illegible] أو جالسا فوق أحد الغزلان ، وهى [illegible] مدينة وليست دينية فى هذه الحالة ، وتستخدم لتزيين الادوات المنزلية ، وتحمل الفتيات بعض تماثيل الالهة كى تفوز [illegible] فتلد البنين والبنات .

ويستخدم السينا رسوم الطيور ، و[illegible] يصورونها بلا أجنحة ، أو بأجنحة غير منشورة .

وكل هذه المناطق السابقة قد يكون من بينها مناطق تأثرت بالاسلام ولكن الاسلام مع ذلك لم يصبغها الصبغة الكافية ، غير أننا لو انتقلنا الى مناطق ساحل الاطلنطى الغربية لوجدنا المراكز الاسلامية الكبرى ، وهى المراكز التى أشعت الاسلام وأثرت على الفنون الافريقية تأثيرا بالغا ، وهى لذلك تختلف عن غيرها من فنون المناطق الاخرى التى سبق أن عالجناها فى تاريخنا ودراستنا هذه .

« عبد المنعم الحفنى »

من الفولكلور الافريقي

ترجمة انصاف رياض



كان الاسد « نتامبو » اكثر وحوش الغابة غدرا وخيانة ، فهو يتظاهر بالصداقة ويتملق ضحيته حتى يفترسها . وذات يوم دعا اليه « بنجى » والد الصغير « وارت هوج » قائلا ايها الصديق لماذا تجلس هكذا بعيدا عنى ، هلا اقتربت منى لنتجاذب اطراف الحديث ونكون اصدقاء . ثم اردف قائلا : لطالما تناهى الى سمعى الكثير عن براعتك كطبيب ولا شك انك تعلم اننى ايضا صائد ماهر .. فلماذا لا يستفيد كل منا من خبرة زميله ، اننى لاوافق على اطعامك على ان تقوم مقابل ذلك بعلاجى عندما أكون مريضا .

واخذ بنجى يناجى نفسه قائلا : انه اذا ما كان مريضا حقا فلن يكون فى استطاعته ان يؤذينى ، ومن ثم اجاب الاسد : لك ذلك يا نتامبو ، سوف اعنى بك عندما تمرض . غير انى اليوم فى عجلة من امرى ولا استطيع التأخير ، فالى اللقاء .

وما ان مضت ايام اذا بالاسد ـ حيث لم يحصل ذات يوم على شىء من الطعام وبات صغاره جياعا ـ يرسل احد صغاره الى كوخ « بنجى » داعيا اياه على الفور لعيادته اذ هو مريض .

وما ان سمع بنجى النبأ حتى اخذ يعد ادواته تلبية للطلب ، ولكن شكا ساور زوجته فى ان تكون هنالك خدعة دنيئة . فحذرت زوجها من الذهاب .

ولكن هذا الجدل ترامى الى سمع الصغير « وارت هوج » فتقدم الى والده قائلا ضعنى يا أبى فى قدر من الفخار وان يعرف احد اننى بالداخل فان جسمى صغير ، ثم احكم فوهة القدر الا فتحة صغيرة تسمح لى بالتنفس ، وابعث بالقدر الى « نتامبو » واخبره انك ذاهب لعيادته بعد ان يضع قليلا من شعيراته خلال فتحة القدر اذ ان ذلك لازم لاعداد الدواء . وبهذه الطريقة يمكننى ياوالدى ان اعرف ما اذا كان هنالك اى تدبير شرير يعد لك .

ومن ثم وضع الصغير فى القدر فورا وما ان احكم الغطاء حسب الخطة حتى سلم القدر لابن الاسد حيث كان ينتظر بالخارج ومعه رسالة ودية تفيض بالطيب من المشاعر تجاه والده الاسد .

وما ان وصل ابن الاسد الى بيت العائلة حتى اصيب الجميع بخيبة امل وصاحوا

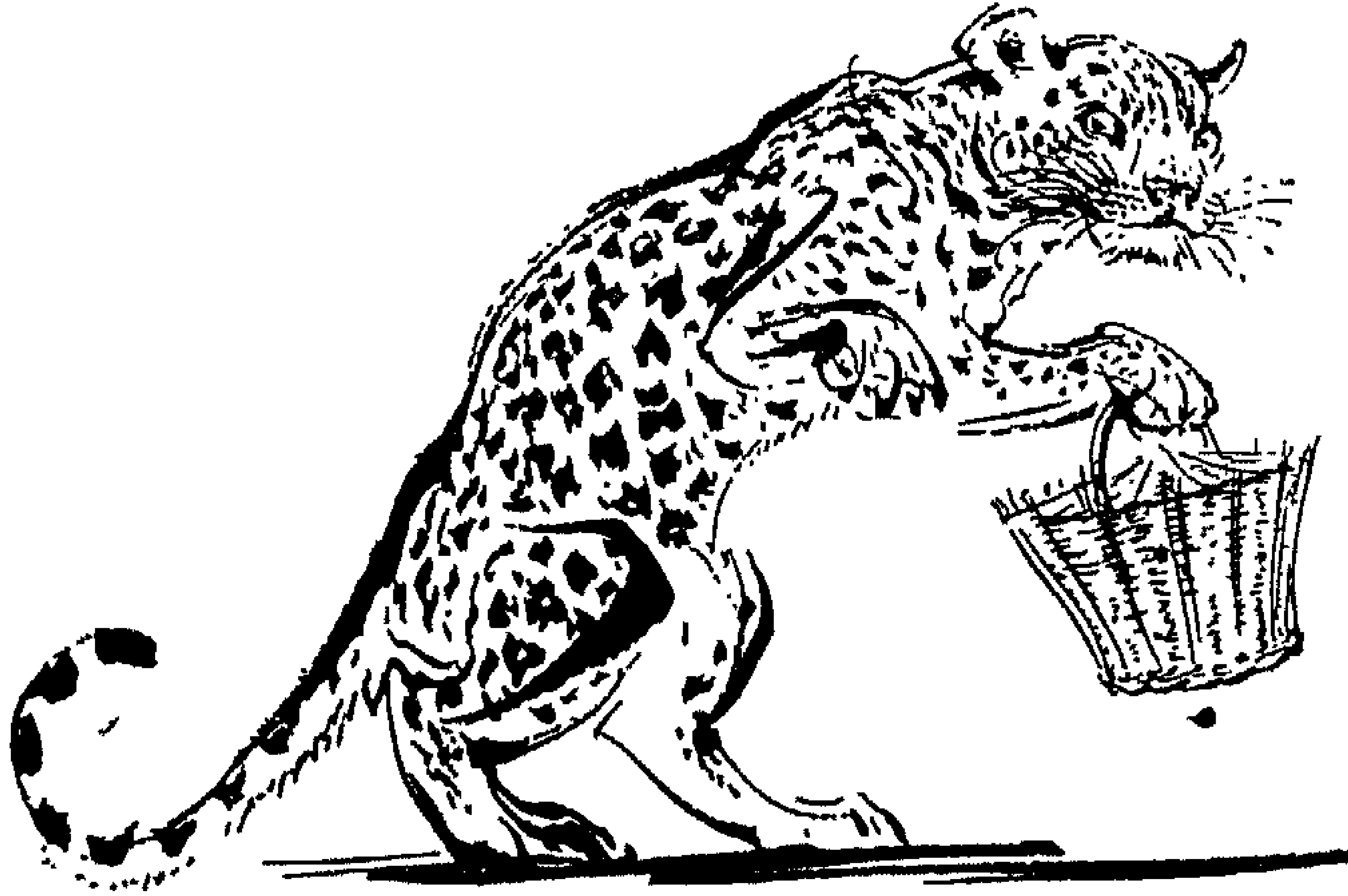
جميعا به : لماذا لم تحضر تتامبو لتأكله فى الافطار ؟ فأجابهم : انه قادم فى الحال فقد احضرت معى قدر الدواء ، غير انه يريد اولا ان نضيف بعضا من شعيرات ابى الى بقية العناصر بالقدر ، ثم نرسله له مرة ثانية ليتم تركيب الدواء ، وسوف يأتى بنفسه ليقوم بالعلاج .

وتم وضع الشعيرات فى القدر من خلال الفتحة الصغيرة ، ووجد المسكين ابن « بنجى » صعوبة كبيرة فى حبس سعاله فقد دخل شعر الاسد انفه وفمه وعينه . أما ابن الاسد فقد هتف بهم عند رحيله : ضعوا آنية الماء على النار وسأعود حالا ومعى « بنجى » فسنحصل على اكلة شهية . ولم يكن يعلم ان كل ما قيل قد سمعه الصغير القابع بقاع القدر .

وفى الكوخ اخذت زوجة بنجى القدر الى داخل الكوخ وما ان فتحتها حتى صاح الصغير وهو يبعد شعر الاسد عن وجهه لا نذهب ابدا يا ابى ناحية كوخ « تتامبو » فان صداقتهم زائفة وهم يضعون قدر الماء على النار لطيهوك فيه .

وكان من الطبيعى ان يرسل « بنجى » رسالة رقيقة الى بتامبو » يقول فيها : ان شهيتك المفتوحة جدا لالتهامى تجعلنى اعتقد انك لست مريضا الى الحد الذى يدعونى ان اكون فيه طبيبك .

الفهد وقاطع الشجر يشتريان عبلة



كان الفهد ((نجى)) فقيرا جدا ، حتى انه لم يكن يستطيع شراء طبلة . ولكنه دبر ذات يوم خطة جهنمية تمكنه من شرائها ، فدعى اليه ((جولنجو)) قاطع الشجر ، وقال له : دعنا نذهب معا فى الغد الى سوق القرية لشراء طبلة ، وسوف ندفع ثمنها لحوما ، فقابلنى عند شروق الشمس فى مفترق الطرق .

وما ان اشرقت الشمس حتى كان «جولنجو» جالسا ينتظر عند مفترق الطرق ، أما «نجى» فقد كان يرقبه من بعيد منزل « جولنجو » وما ان رآه يغادره حتى اسرع هو الى داخله وفى يده سلة . وقال لزوجة جولنجو . ان زوجك يريد ان يأخذ ولديه التوأمين معه الى القرية . أرجو أن تضعيهما فى هذه السلة ، ولم تشك الزوجة فى الامر واحضرت ولديها ووضعتهما فى السلة بعناية فقد كانا نائمين ، وطرحت فوقهما بعض العشب كغطاء وما ان تم ذلك حتى اسرع الفهد بالسلة الى مفترق الطرق ، حيث وجد جولنجو فى انتظاره ، وبدءا الرحلة معا .

وقبل ان يمضيا بعيدا ، وكان قد حل الدور على « جولنجو » فى حمل السلة هبط اليه سنجاب من اعلى الشجرة وهمس

فى اذنه « ايها الاحمق انك تحمل طفليك فى هذه السلة لتبيعهما من اجل شراء طبلة .
وما ان سمع جولنجو هذا الكلام حتى قرر فتح السلة . فتصنع العرج مدعيا ان شوكة انغرست فى قدمه وتلكأ متظاهرا باخراجها حتى ابتعد الفهد . ونظر بداخل السلة فتحقق من وجود صغيريه . وهنا ساورته فكرة فبادر مسرعا الى منزله فترك طفليه وحمل السلة فارغة الى زوجة الفهد مدعيا ان زوجها يريد صغاره ليأخذهم معه الى القرية . وما ان وضعوا فيها حتى هرع بها الى « نجى » .

ولما اقتربوا من القرية فكر « نجى » لو استيقظ الاطفال وصرخوا فستكتشف خطتى فاقترح على جولنجو ان من الخير ان يبيعا اللحم مطهوا ، فغلى ماء وصبه على السلة بما تحتويه . ولم يكن الشقى يدرى انه بذلك يقضى على اولاده هو .
وفى سوق القرية استبدلا فى الحال سلة اللحم بطبلة . وعند مفترق الطرق فى طريق العودة تريث « نجى » حتى ابتعد جولنجو فصاح به : أيها الاحمق انك مخلوق غبى فقد بعت أولادك من اجل طبلة .

فمضى « جولنجو » فى طريقه مسرعا حتى اذا ما اصبح فى مأمن من الفهد « نجى » صاح به عاليا : ايها الفهد الغبى الابله اننى لست مثلك فانك قد طهوت اولادك انت لا اولادى انا .
وأسرع الفهد الى منزله حيث اكتشف غلطته ونال ما يستحقه من جزاء على خداعه وخيانته **ولا ريب ان من يحفر حفرة لاخيه سيقع فيها ان آجلا او عاجلا .**

البط والسلحفاة

بينما كانت السماء تمطر وزوج من البط يمرح ويلهو فى بحيرة ضحلة اذ تقدمت اليهما سلحفاة وطلبت منهما متوددة ان يتقبلا رفقتها لهما فى ماء البحيرة ، فأجاباها ان اهلا وسهلا وعلى الرحب والسعة ففى البحيرة متسع للجميع .
بيننا يوجب علينا ان لا يخفى احدنا شيئا عن الاخر . فاجاباها : اننا يا اختاه نزمع الرحيل الى النهر « **لوالوابا** » طائرتين حيث الماء وفير وانت لا يمكنك الطيران . فردت قائلة : ولكننا صرنا اصدقاء ، فكيف يطاوعكما قلبيكما على تركى وحيدة فى مثل هذا الجفاف والحر اللافح ؟ ان لدى فكرة رائعة هى ان يمسك كل منكما بطرف عصا واقبض انا عليها بفمى من منتصفها وبذلك نصل جميعا الى « لوالوابا » .

وبينما كانت البطتان تحلقان فى السماء وبينهما السلحفاة تفكر سعيدة بطيرانها على وما ان لبثو يمرحون فى الماء حتى توقف هطول المطر وسطعت الشمس فى كبد السماء واوشكت مياه البحيرة ان تجف . وعندئذ اقترحت احدى البطتين على الاخرى ان يرحلا الى النهر . فترامى همسهما الى السلحفاة فقالت عما تتهامسان ؟ ان حق الصداقة هذا الارتفاع الشاهق وبمثل هذه السرعة فوق القرى والمساكن اذ ترامى اليها صياح اطفال القرية : انظروا ، هل رأى احدكم سلحفاة تطير ، ان مكانها هنا على الارض .
فاستشاط غضب السلحفاة وصممت على ان تؤكد لهم انها سعيدة فى وضعها هذا وانهم جد مخطئون اذ يظنون ان مكانها الارض فقط والزحف عليها . وما ان آلتفتت الى الارض وفتحت فمها لتوبخ الاطفال حتى انفلتت العصا من فمها فسقطت بين اعالى الاشجار وتحطمت صدفتها فجرى اليها الاطفال وحملوها الى والدتهم لتكون طعاما هنيئا لهم ..

فروبنيوس

من الأساطير الافريقية التى جمعها

عن الفرنسية ترجمة محمد شريف

تصور هـذه القصـة شخصية البخيل . تلك الشخصية الموجودة بين شعوب العالم أجمع . ولكن هذه الشخصية تبرز لنا بعض الصفات الحميدة التى يتميز بها الافريقي عن غيره . فنرى فيها أن الافريقى انسان قوى ، عنيد ، صلب الرأى ، يصرعلى موقفه مهما كانت العواقب . انهـا صفات لو أصقلت وطورت تطويرا ملائما لخلقت منه شخصية ممتـازة يعتز بها ويعتمد عليها كل الاعتماد .

وكذلك المرأة الافريقية تتمتـع بمميزات نادرة ، لو نمقت وحورت ، وهذبت ، لوصلت بهـا الى أعلى المستويات فهى وفيـة ، مخلصة ، مطيعة الى أبعد حدود الطاعة ..

يحكى أن رجلا ثريا من أهالى غينيا كان مغرما بكنز المال ، فاشتهر الى حد بعيـد بالبخل الشديد حتى أصبح الناس يتقـولون عليه ، وينسجون عنه القصص الخيالية ، المبالغ فيها والبعيدة عن الصدق والتصديق .

فذات يوم أراد الزواج ، فاختار من بين ذويه وعشيرته فتاة وسيمة الطلعة ، مرموقة القوام ، حميدة الخلق ، وعلى قسط وفير من الجمال ..

قبلت الفتاة الزواج من هذا الثرى دون أن تعلم ما يخفيه من بخل وراء هـذا الغنى الفاحش . لقد ظنت أن السعادة كتبت لها وأن الجاه أصبح حليفها . ولكن ما قاسته من تصرفات زوجها فى أيامها الاولى جعلتها فى جحيم وجهاد ..

ففى اليوم الاول لزواجه ، ذهب الرجل ، كعادته قبل الزواج ، الى المكان الذى يختزن فيه غلته ، فهو يملك صومعة غلال فسيحة الارجاء لا تبعد كثيرا عن منزله ، ثم عاد بعد فترة ليست بالقصيرة الى زوجته ومعه حفنة من الحبوب قدمها اليها فى رفق وحنان وقال لها : « اصنعى من هذه الحبوب ، بمهـارتك الممتازة ، سبع كرات متساوية الحجم »

فما كان من الزوجة المطيعـة الا أن أخذت الحبوب فغسلتها وصحنتها جيدا ثم خلطتها باللبن على الطريقة الشعبية ثم قسمت العجينة الناتجة الى سبعة أجزاء متساوية ، كورت كل جزء منها بعد ذلك فأصبح لديها سـبع كرات . وبذا تحققت رغبة الزوج وتنفـذت تعليماته ..

عند ما عاد الزوج من عمله فى المسـاء ، استقبلته زوجته والابتسامة تعـلو شفتيها والفرح باد على وجهها . فما كان منه الا أن نظر اليها نظرة سريعة ولم يعرها انتباهه ، وقال لها فى لهجة عاجلة : « احضرى الطعام » فقامت ، على الفور والابتسامة تملأ فاها ،

بتقديم الكرات السبع . فأخذ يتأملها ويدقق النظر فيها ثم بدأ يعـــدها ، ولما تأكد من صحة عددها التهمها بمفرده على مرأى من زوجته دون أن يدعوها لمشاركته الطعام ..

ياله من تصرف عجيب معيب ، قالت الزوجة فى نفسها ان حياءها يمنعها من الكلام ، وطاعتها العمياء لزوجها تحول دون الشكوى والتذمر . لقد اعتصمت بالصبر وقضت ليلتها وهي تخفى جوعها ..

وما هو أدهى وأمر أن تصرف الزوج فى اليوم الثانى لم يخرج عن تصرفه فى اليـــوم الاول . وهكذا انقضت أربعة ايام طوال دون ان يحيد الزوج عن طريقته . فكان يذهب كل صباح الى صومعة غلاله ليحضر منها حفنـــة من الحبوب يسلمها لزوجتـــه فتقوم بطهيها وتقسيمها الى سبع كرات بأمانة وشرف ، وفى المساء تقدمها اليه ليأكلها بمفرده بشراهة ونهم دون أن يتعطف على زوجته بكرة واحدة تحد من جوعها وتهدىء من نفسيتها الثائرة .

وفى اليـــوم الخامس من الزواج ، ذهب البخيل كعادته الى مخزن حبوبه ليحضر منه الكمية المتادة ، ولما عـــاد بها وأعطاها الى العروس الصبورة لتعد له منها الكرات السبع التى يأمل التهامها دون معين ، عنـــد عودته فى المساء ، أخذت الزوجة المسكينة الهزيلة تعد الوجبة المألوفة وصدرها مملوء بالغيظ مستعينة بالكتمان ، واذا بامراة عجوز من سكان المزرعة المجاورة تدخل عليها لتطلب منها وقودا ، فوجدتها فى حالة يرثى لها : هزيلة القوام ، شاحبة اللون ، ضعيفة البنية ، لقد أصبحت مثل الهيكل العظمى من قسوة الجوع وعدم التغذية . فما ان رأتها على هذه الصورة حتى تألمت لحالتها وعطفت عليها وبادرتهـــا بقولها : « مالك يا عروس ..؟ لقد جف عودك وبرز عظمـــك .. » فأجابتها الزوجة الصابرة على حكم زوجهـــا فى صوت حزين منخفض وقد أغرورقت عينـــاها بالدموع : « انى محرومة من الطعام .. » ثم بدأت تقص عليها قصة زوجها .. حتى انفجرت بالبكاء ، بينما المراة العجوز ، وقد أعارتهـــا كل انتباه واصغاء ، وما كادت تنتهى منهـــا حتى بدأت تفكر فى حل لانقاذ حيـــاة هـــذه المسكينة التى سوف تموت نتيجة لوفائهـــا واخلاصها لزوجها .

مرت دقائق معدودة ساد خلالها الصمت والسكون ثم قالت المرأة العجوز فى نصـــح : « ان كانت كمية الحبوب التى تعطى لك لاتكفى لاكثر من سبع كرات فاحتجزى منها واحـــدة وقدمى لزوجك الستة الباقية فان أدرك ذلك اشرحى له الامر وان لم ينتبه فاشبعى بهـــا جوعك » ..

أبدت الزوجة استحسانها لهـــذا الرأى وأيدت الفـــكرة قائلة : « انها فكرة طيبـــة حقا .. » فهدأت نفسيتها الثائرة وانشرح صدرها وعادت الابتسامة المفقودة الى فيها . ثم استمرت فى اعداد وجبة الطعام ..

لما اكتمل صنع السبع كرات أخفت منها واحدة ووضعتها جنبا . وفى المساء عنـــد ما عاد الزوج من عمله قال لها كعادته فى بساطة ويسر : « آتنى بالطعام » .. فأقبلت عليـــه وقد بدت كالزهرة الذابلة ، تحمل ست كرات فقط بدلا من سبعة ..

وما كان الزوج الشره يجلس أمام الطعام ويعد كراته حتى ضاع عقله وذهب لبه . لقد جن جنونه .. انه لم يجد أمامه سوى ست كرات بدلا من سبعة ..

ياللهول .. كيف تجرؤ زوجته وتقتص من طعامه دون علمه .. انها لمغالطة وخيـــانة فنادى فى الحال على عروسه وصاح فى وجهها قائلا لها فى قسوة وعنف : « من أخذ الكرة السابعة ..؟ »

ارتبكت الزوجة المسكينة لهـــذا السؤال المفاجىء ، ولما جمعت شتات نفسها أجابت فى خوف واضطراب قائلة : « جاءت عنزة فسرقتها » فأجابها الزوج على الفور فى لهجة بها تهديد ووعيد : « ان لم أر اليوم هذه الكرة السابعة فسوف أموت .. لا أريد أن احيا مع امراة تخوننى وتقتص من طعامى دون علمى » فقالت الزوجة وقد سيطر عليها الارتباك : « لا بد أن العنزة أكلت الكرة .. فكيف تريد أن اعيدها لك ثانية ؟ » فأصر الزوج على رأيه واخذ يكرر قوله : « ان لم أر اليوم هذه الكرة المفقودة فسوف أموت »

بقية المقال ص ١٠١

الاستعمار





فى افريقية

بقلم ميشيل مسيحة

لقد قدمت هوليود للاستعمار فى افريقيا بلا شك اكبر خدمة ممكنة باخراجها افلاما تكون رأيا عاما عالميا يتحيز للاستعمار ضد الافريقيين .. ولكن الحكومات الاستعمارية لم تكتف بذلك بل آثرت فى كثير من الاحيان ان تمسك بيدها اللعبة وتديرها بنفسها .

بينما كانت هوليود تلعب دورها فى الخارج كانت السينما الاستعمارية تكمل الدور فى الداخل . ورغم ان جهاز السينما الاستعمارية يبدو ضئيلا الى جانب جهاز هوليود الضخم فانه ليس عديم الاثر ، ولا شك انه يستحق الدراسة كاحد الاجهزة التى عمد الاستعمار

الى استخدامها لتثبيت اقدامه فى افريقيا .

ويبدو من دراسة السينما الاستعمارية فى افريقيا ان الدول التى استخدمتها كانت كلها متفقة تقريبا من حيث المبدأ والاهداف التى تسعى الى تحقيقها وان اختلفت اختلافا بينا فى أسلوب العمل . وقد كانت تهدف بوجه عام الى الدعاية للاستعمار بأنه الخير كل الخير للشعوب الافرقية المتأخرة والتى لا تستطيع تولى امرها بنفسها ، وان الادارة الاستعمارية قد جلبت السعادة للناس وناصرت المظلوم ضد الظالم وحققت الامن والطمأنينة للجميع ، كل ذلك فى مقابل القليل الذى تأخذه والذى لا يعد شيئا يذكر اذا قيس بالجهود المضنية التى تبذلها فى سبيل رفاهية المستعمرات واهلها !! ولكننا نستطيع ان نقول مقدما ان دورها كان مكشوفا منذ البداية ولم تنجح جميع الجهود التى بذلتها فى التمويه على الافريقيين ، ليس المتعلمين منهم فحسب بل الاميين ايضا .. ولذلك فالفرق هائل حقا بين ما فعلته هوليود وما فعلته السينما الاستعمارية المباشرة .

وقد اختلفت اساليب السينما الاستعمارية باختلاف المستعمرين فالبريطانيون كعادتهم دائما يرسلون امهر وادهى رجالهم الى المستعمرات وقد انعكس ذلك فى استخدامهم للسينما فى افريقيا اذ ارسلوا اشهر واكبر رجال السينما لديهم للقيام بالمهمة الخطيرة التى كلفوا بها . اما الفرنسيون فهم لا يرسلون الى المستعمرات سوى الاغبياء وطريدى المدارس — او كما يسمونهم بالفرنسية Lestêtes bwlees باعتبارها انسب مكان لهم ، وقد انعكس ذلك ايضا على نشاطهم السينمائى فى افريقيا . أما نشاط البلجيكيين فقد كان موزعا بين جهتين متساويتين فى الاهمية وهما الحكومة والارساليات واشترك الطرفان فى عمل افلام سينمائية المستعمرات البلجيكية .

وسوف نتناول فيما يلى دون كل من الاستعمار البريطانى والفرنسى والبلجيكى بالنسبة للسينما فى افريقيا .

اولا : دور الاستعمار البريطانى :

لم يهتم البريطانيون فى اول الامر بتولى شئون السينما بانفسهم فى المستعمرات فتركوها لغيرهم وخاصة للامريكيين . ولكنهم فى نفس الوقت وضعوا كل شىء تحت رقابتهم الشديدة ، فاذا ما اطمأنوا الى ان الافلام التى ينتجها هؤلاء انما تحقق اهدافهم الاستعمارية عملوا على تشجيعها بكل ويكفى لنضرب مثالا لذلك فيلم Sanderoof the River الذى اخذ عن قصة ادجار ولاس Sonday the Strong وظهر عام ١٩٣١ وهو من اخراج زولتان كوردا ولعب الدور الرئيسى فيه للاسف الفنى الزنجى الامريكى المشهور بول روبسون وقد أخذت بعض مناظره فى نيجيريا وفى احراش الحيوانات فى كينيا وصور الباقى داخل الاستوديو فى هوليود . وتتلخص قصة الفيلم فى ان حاكما انجليزيا فى احدى المستعمرات — ويدعى ساندرز — استطاع ان يخمد ثورة الاهالى ضده ويخضعهم لسيطرة بريطانيا بفضل شاب قوى من الاهالى يدعى « بوزامبو » — بول روبسون — الذى وقف الى جانب ساندرز وأنقذه من فتك الاهالى به .. ومن اجل ذلك خصص الجزء الاخير من الفيلم لتمجيد بوزامبو واحاطته بمظاهر البطولة .

وقد تحمس المستعمرون البريطانيون لهذا الفيلم حماسا شديدا حتى قال عنه صراحة معلق التايمز اللندنية : أن هذا الفيلم يثبت أقدام الاستعمار البريطانى . ولذلك عملت الحكومة البريطانية على نشرة على أوسع نطاق سواء داخل المستعمرات أو خارجها فى جميع أنحاء العالم ، مستغلة كون بول روبسون الفنان الزنجى المحبوب لدى الجماهير وخاصة الافريقيين قد لعب الدور الرئيسى فيه . وقد علقت على ذلك صحيفة الديلى هيرالد — وكأنها تتهكم — بقولها : ان بول روبسون بوسامته وجاذبيته يستطيع أن يحل مشاكل الاستعمار . أما بول روبسون نفسه فقد ندم أشد الندم على قيامه بهذا الدور وأعلن فيما بعد أنه لن يقوم بمثله طول

حياته . وشاركه كثير من النقاد أسفه للقيام بهذا الدور فكتب روبرت ستينز فى مجلة نيو شيستر عدد يوليو سنة ١٩٣٥ يقول : « لقد أجبر واحد من أكبر فنانينا الموهوبين والمبرزين فى فى هذا العصر على القيام بدور مسخ بين قومه » .

على أننا يمكن أن نرجع بدء اهتمام المستعمرين البريطانيين بالسينما فى افريقيا الى عام ١٩٢٩ ففى ذلك العام تم عمل أول فيلم فى نيجيريا ، وكان هدفه الدعاية لمحاربة وباء الطاعون الذى انتشر فى لاجوس العاصمة . وقد نجح الفيلم فى افهام الاهالى بأن الفئران هى سبب انتشار المرض وبذلك تمكنوا من القضاء عليه . وشجع هذا النجاح البريطانيين على الاهتمام بالسينما كوسيلة للدعاية . وفى عام ١٩٣٩ عند ما نشبت الحرب العالمية الثانية وفكرت الحكومة البريطانية فى استغلال الافريقيين فى الجهود الحربية وجدت أن أفضل الوسائل لتحقيق هذا الهدف هى الدعاية بالسينما ولذلك أرسلت الى نيجيريا وحدة سينمائية باسم Colonial film unit وعلى رأسها واحد من كبار رجال السينما البريطانيين هو « وليم سلرز » . وقد قامت هذه الوحدة بنشاط هائل لانجاز المهمة التى وكلت اليها أثناء الحرب . وبعد انتهاء الحرب استمرت فى عمل أفلام الدعاية ولكن موضوعها هذه المرة كان الدعاية لبريطانيا نفسها . وأهم الافلام التى صدرت من هذا النوع مسلسلة بعنوان « السيد الانجليزى فى بلده » Mister English at home وفيلم « أفريقى فى لندن » An African in london من اخراج جورج بيرسون .

وقد امتد نشاط الوحدة السينمائية البريطانية فشمل فيما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٠ أكثر من ثمان بلدان أفريقية من المستعمرات وبلغ عدد نسخ الافلام الموزعة أكثر من ١٢٠٠٠ نسخة كانت تعرض جميعا فى مختلف أنحاء البلاد .

على أنه اذا كانت أفلام الدعاية الصحية قد نجحت تماما ، وحققت أفلام الدعاية للمساهمة فى الجهود الحربى بعض النجاح فان أفلام الدعاية المباشرة لبريطانيا قد فشلت فى اجتذاب الجماهير — ولا عجب .. فمتى كانت الشعوب تحب المستعمرين .

ولكن ذلك الفشل أثار اهتمام المسئولين فى بريطانيا واقلعتهم . وفى عام ١٩٥١ سافرت لجنة من المتخصصين الى نيجيريا للبحث فى أسباب فشل افلام الدعاية البريطانية وكانت هذه اللجنة تضم خبيرا فى السينما وأستاذا فى علم الاجناس .. وانتهت اللجنة الى أنه لنجاح تلك الافلام فى أفريقيا جب الا تلجأ الى التمويه بل تصور الحقيقة للافريقيين مع احترام رغباتهم . ولكن ذلك بالطبع كان معناه قلب خطة السينما الاستعمارية رأسا على عقب .. ولذلك فلم يمض وقت طويل حتى توقفت الوحدة السينمائية الاستعمارية البريطانية عن نشاطها فى أفريقيا بعد أن أعلن المسئولون أنها استنفدت أغراضها هناك .

وتحولت الوحدة بعد ذلك الى « مركز الافلام والتليفزيون لما وراء البحار » Overseas films & Television Center

الذى اتخذ لندن مقرا له ،

وتولى رئاسته وليم سلرز نفسه . ويجب الا يستهان بأهمية هذا المركز فى التأثير على صناعة السينما فى أفريقيا حتى وقتنا الحاضر ، وخاصة أنه يتولى اعداد السينمائيين الافريقيين وغيرهم ويقدم المساعدات لمن يطلبها من السينمائيين فيما وراء البحار ، كما أن اغلب مؤسسات السينما فى بلاد افريقيا (التى كانت مستعمرات بريطانية) لها مندوبون بصفة دائمة لدى ذلك المركز ، والافلام التى تنتجها هذه المؤسسات يتم طبعها واعدادها فيه .

وفيما يلى احصائية بالافلام التى تم انتاجها عام ١٩٥٨ باشراف المركز المذكور كما جاءت فى تقرير لمديره سلرز :

١ — افريقيا الغربية : فى نيجيريا وجامبيا وسيراليونى ١٠٠ فيلم (٣٥ مم) و١٥٠ فيلما (١٦ مم) .

— يقدر عدد المتفرجين عليها بنحو

١٥ مليونا .

٢ ــ أفريقيا الشرقية :

١٠ أفلام (٣٥ مم) و٧٨ فيلمــــا (١٦ مم) .

ــ يقدر عدد المتفرجين عليها بنحو مليون شخص .

وتجدر بنا الاشارة هنــــا الى وحدة سينمائية بريطانية نشأت فى غانا على غرار الوحدة السابقة ولكنها لامر ما ظلت مستقلة عنها تماما . وقد عمل فى وحدة السينما فى غانا أيضا واحد من كبار رجال الســـينما البريطـــانيين هو جريرسون ، وتبعه سين جراهام مساعده الذى أخرج فيما بين عامى ١٩٥٠ و١٩٥٥ بمعاونة المصور الكندى جورج نوبل عددا كبيرا من الافلام ومن أشــهرها

Jaguar (Hisflife The Kumasenu

ومن الافلام التى عملت لاغراض معينة فيلم

Progress in Kojogron

الذى يهدف الى حث الاهالى على دفع الضرائب وفيلم

Mr. Mensah bullt his house

وهو فيــــلم للدعاية للمساهمة فى قرض للتعمير . وقد توقف نشاط وحدة السينما البريطانية فى غانا عقب الاستقلال مباشرة وعاد سين جراهام الى بلاده .

وهكذا نجد السينما الاستعمارية تهرب مذعورة كلما بزغت شمس الاستقلال والحرية .. وعلى كل فليس هذا بمستغرب فمـــا السينما الا سلاح كغيرها من الاسلحة التى يستخدمها المستعمرون فى محاولاتهم اليائسة للابقاء على ظلام الاستعمار أكبر وقت ممكن .

ولعله من الطريف هنـــا أن نذكر تأثير حركة ماو ماو فى كينيـــا على الســـينما الاستعمارية ، فقد أصابتها ــ كما أصابت الاستعماريين أنفسهم ــ بالجنون .. وراح العاملون فيها يبذلون أقصى جهودهم لعلهم يستطيعون أن يثيروا الكراهية والحقد ضد الحركة الوطنية الجارفة .. ولكن هيهات . ويكفى أن نضرب هنا بعض أمثلة لافلام عملت لهذا الغرض .

ففى الفيلم المسمى

Somethung of Value

من اخراج بيتر بروكس والذى ظهر عام ١٩٥٣ نجد الفكرة الاساسية فيـــه هى خيانة زعيم وطنى لقومه . أما فيــــلم Simba من اخــراج برياس دزموند هرست عام ١٩٥٥ فيصور مأساة شاب أفريقى انتحر عند ما اكتشف أن أباه عضو فى جماعة ماو ماو !!

على أنه اذا كانت السينما الاستعمارية تهرب ــ كما قلت ــ عند ما ينتشر نور الحرية فان تأثيرها لا يختفى تماما مرة واحدة بل يظل مدة قد تطول أو تقصر حسبما يبذل من جهد فى سبيل القضاء عليـــه .. فرغم تحرر السينما فى البلاد الافريقية التى انزاح عنها كابوس الاستعمار البريطانى فان بعض السينمائيين هنـــاك ما زالوا ــ للاسف ــ ولم يتخلصوا منه .. ففى فيلم Leprosy متأثرين بما رسبه المستعمرون فى أذهانهم ، الذى أنتجته فى نيجيريا جمـــاعة كلها من السينمائيين الافريقيين يظهر الرقص الشعبى فى صورة همجية على نحو ما تفعل الافلام الاجنبية . وقد أثير هذا الموضوع فى مناقشة حامية أثناء انعقاد المهرجان الدولى فى بروكسل فى يوليو سنة ١٩٥٨ وعلق أحد النقـــاد السينمائيين على ذلك بقوله : « أليس مما يخجل أن نرى الافريقيين أنفسهم يسخرون من فنونهم الشعبية فى الوقت الذى هم فى أشد الحاجة لتعريف بقية العالم بها » .

ثانيا : الاستعمار الفرنسى

لم يتبع المستعمرون الفرنسيون الاسلوب المنظم الخطير الذى اتبعه البريطانيون ولم ينشئوا وحدات سينمائية استعمارية على نحو ما فعل هؤلاء وانما تركوا الامر للجهود والمغامرات الشخصية ، وان كانوا قد وكلوا هذه الجهود تحت رقابتهم ، فشجعت الادارة الاستعمارية الافلام التى تخدم مصــــالحها وصادرت ما يهدد هذه المصالح . ومن أشهر الافلام التى شجعتها الادارة الاســـتعمارية وعملت على نشرها فيلم

C'etait le premier chont

من اخراج كارلوس فيلاردبو

وموضوعه أن موظفا فرنسيا بالكاميرون عاش مكرسا كل جهده لتحسين حال أهالى احدى القرى الذين أفقرهم جدب الاراضى وانعدام الرغبة فى العمل لديهم .

أما فيلم Faniors le tyrou فموضوعه أن طاغية أسود قد جعل يستبد بالفلاحين فى منطقة الفولبا ولم ينقذهم من شره سوى الادارة الاستعمارية التى أعادت اليهم السعادة والطمأنينة .

وعند ما شعر المستعمرون الفرنسيون بنشاط البريطانيين واستغلالهم السينما كوسيلة جبارة للدعاية لبلادهم فى المستعمرات قاموا هم أيضا بعمل أفلام للدعاية لفرنسا وفى عام ١٩٥٨ كلف وزير المستعمرات الفرنسى المخرج Pierre Eourré بعمل سلسلة أفلام عن الحياة فى فرنسا لعرضها فى أفريقيا على نحو ما فعل الانجليز فى مسلسلة التى عملت لهذا الغرض

Bonjour Paris unpetit Port de pecle formcais l'eluoge du monton

أما أفلام الدعاية التى صورت فى أفريقيا نفسها فمنها فيلم « الراهبات السود » Soeurs noires وهو ناطق بلغة الزولو وفيلم Autour de Iraopzairlle عن ارتباط الكونغو الاوسط بفرنسا الحرة ابان الحرب العالمية الثانية .

وجدير بالذكر أن فرنسا أنشأت مركزا سينمائيا بباريس أسوة بمركز الافلام والتليفزيون لما وراء البحار فى لندن ، ليمارس نفس العمل بالنسبة للسينمائيين الافرقيين من أهالى المستعمرات الفرنسية التى استقلت وانتهى باستقلالها عهد السينما الاستعمارية هناك .

ثالثا : الاستعمار البلجيكى

بدأ النشاط السينمائى البلجيكى فى الكونغو عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة . وقد اقتسمت هذا النشاط – ككل شىء فى الكونغو البلجيكى – الارساليات والحكومة . واعتمدت أفلام الارساليات على القصص الترفيهية والتوجيهية أما الافلام التى تولتها الحكومة فقد كانت الدعاية فيها مكشوفة لدرجة كبيرة كما كانت تصور الافريقيين دائما على أنهم غير قادرين على تولى أمرهم بأنفسهم مما نفر منها الاهالى واضطر المسئولين فى أغلب الاحيان لان يستبدلوا بها أفلاما أخرى وخاصة من انتاج وحدة الافلام الاستعمارية البريطانية فى روديسيا .

ونستطيع أن نقول ان السينما الاستعمارية البلجيكية فى الكونغو كانت فاشلة الى حد كبير وقد توقفت تماما بمجرد حصول الكونغو على استقلاله كما قطع السينمائيون الكونغوليون كل صلة لهم ببلجيكا وهم يتجهون فى الوقت الحاضر الى ألمانيا للدراسة والحصول على الخامات .

وبعد ، فهذه أهم مراكز السينما الاستعمارية التى تطهرت منها القارة وقد بقيت هناك جيوب أخرى أقل شأنا .. ففى جنوب أفريقيا مثلا ما زالت حكومة التفرقة العنصرية تستعمل السينما كوسيلة لتحقيق أغراضها . كما يستغل البرتغاليون فى أنجولا وموزمبيق السينما – وان كان ذلك فى نطاق ضيق – فى محاولتهم اليائسة لمد أجل الاستعمار هناك . وسوف تختفى هذه أيضا فى القريب العاجل عند ما يصبح الافريقيون وحدهم أصحاب السيادة فى جميع أنحاء القارة .

« ميشيل مسيحة »

الافريقيون المضطهدون في أمريكا

بقلم لمعي المطيعي

لم يكن المؤرخ الكبير « ارنولد توينبى » مغاليا عندما توقع فى واحد من ابحاثه ، أن حركة تحرر المجتمع الامريكى سيقوم بهـا الزنوج فى امريكا . والقول صادق وذكى الى حد بعيد ، ففى الفترة الاخيرة عندما بدأت السيرة الزنجية الكبرى نحو البيت الابيض ، سارت مصاحبة لها حركة كبرى تدين أى اضطهاد بسبب اللون او العنصر او الدين وكانت هذه الحركة لها صداها العميق لدى شعوب العالم ولدى العقليات المتحررة داخل امريكا واثارت اكبر مناقشة حول قضـيـة الزنوج منذ الزحف المماثل الذى قام به الزنوج منذ ستة اعوام وفى اثره خصصت مجلة « لايف » الامريكية بحثا خاصا حول قضية الزنوج منذ ان خرجوا من قارتهم الاصلية افريقيا .

ففى ١٧ مايو من عام ١٩٥٧ ، كان خمسة وثلاثون الف زنجى يحتلون ميدان البيت الابيض وفى عيونهم بريق يدل على العـزم والتصميم .. ولاول مرة تشـعر الدوائـر الرسمية بخطورة التنظيم الذى مكن هؤلاء الزنوج من ان يحشدوا هذا العدد الهـائل فى البيت الأبيض وينظرون الى النصب التذكارى لابراهام لنكولن وتمثال جورج وشنطون ، وسرعان ما مزق هذا الصمت الرهيب صوت « روى ويلكنز » سكرتير الاتحاد الوطنى لتقدم الشعوب الملونة قائلا :

اننا لم نات الى هنا فى تجمع سياسى ، وانما نحاول ان ننقذ انفسنا ، ونحاول ايضا ان ننقذ بلادنا وننقذ مثلها العليا .. اننـا ندعو الامريكيين جميعا على اختلاف مذاهبهم السياسية وعقائدهم ان يقفوا الى جانب الزنوج فى نضالهم من أجل حقوقهم

وكان مؤتمر الاتحاد الوطنى لتقدم الشعوب الملونة قد طالب الرئيس الامريكى السـابق « ايزنهاور » بان يذهب الى مناطق الزنوج ويقف على مشاكلهم ، ولما لم يصلوا الى نتيجة ايجابية نظم الاتحاد الزحف المشـار اليه – وهو الذى قد نظم الزحف الاخير ايضا واصدر بيانا يقول :

اذا كان رئيس الدولة مشغولا جدا بحيث لايستطيع زيارة الزنوج فان الزنوج قد قرروا ان يذهبوا اليه باسم الزنوج جميعا .

وعندما وصل الزحف الى البيت الابيض كانت قوات البوليس تحيط بهم وطائرات الهليكوبتر المزودة بالمدافع الرشاشة كالذباب فى سماء الميدان ، وصاح « مارتن لوثركينج » أحد قادة الزحف الاخير أيضا ، وهو قسيس زنجى قائلا :

اننا نعلن بكل فخر ان ثلاثة ارباع شعوب العالم من الملونين ، وانه لمن دواعى فخرنا ان نرى فى جيلنا حركة التحرر والاستقلال تعم اسيا وافريقيا

وان الترابط بين الزنوج ونضال الشعوب الملونة ليضرب جذوره فى أعماق التاريخ منذ ان اختطف الرجل الابيض الزنوج من قارتهم افريقيا الى امريكا .. ولم يكن من المستغرب عندما اندفعت جموع الزنوج الى مجلس الامن تصرخ مطالبة بمحاكمة كل الذين تقطر من اصابعهم دماء شهيد افريقيا ، « باتريس لومومبا »

وبالنسبة لنا — نحن العرب — شهدنا مواقف مشرفة من جانب زنوج امريكا ،تعاطفاً مع قضايانا الوطنية . فعندما تآمرت القوى الصهيونية فى امريكا على تفريغ السفينة العربية كليوباترة ، وقفت القوى الزنجية الشجاعة تصرخ فى حزم « سوف نفرغ السفينة العربية بالقوة .. ونمدها بالمئونة اللازمة .

وفى اعقاب ١٤ من تموز عام ١٩٥٨ بعد احداث العراق وتدخل الاسطول الامريكى فى لبنان ، والقوات البريطانية فى الاردن ، خرجت الصحافة الزنجية فى امريكا تندد بهذا العدوان .

فقالت — بالتيمورافرو أمريكا » عدد ٢٢ من يوليو ١٩٥٨

اننا نتدخل فى ارض العرب التى تسكنها شعوب ملونة ، والتى ظلت مقسمة ومستغلة لفترة طويلة من قبل اوربا وامريكا حيث اقاموا حكاما يعطونهم النفط بابخس الاثمان ولا تاخذ شعوب هذه المنطقة اكثر من بضعة سنتات فى اليوم .

وقالت « فيلادلفيا تريبيون » :

خلف المغامرات الانجلو امريكية يكمن عجز الرجل الابيض عن ان يدرك ان الشعوب الملونة هى الاخرى من البشر ، ويحق لها مقاعد متساوية على المائدة

وبهذه المواقف المتعاطفة مع حركات التحرر للشعوب الملونة اصبح زنوج امريكا دعاة نظريين للتحرر ومناضلين عمليين فى سبيل الاستقلال . لا عن مجرد موقف متحيز ،وانما امتدادا لموقف انسانى شامل يرتكز على قاعدة اساسية هى ان من عانى الالم والاضطهاد يجب ان يحارب القهر والطغيان ايا كان منبعه ومصدره .

وانه لمن سخرية القدر ، فى الوقت الذى ينطلق فيه الانسان الى الفضاء ، ان يكون على الارض عقليات تفرق فى التمييز العنصرى وقد سجل الكاتب الزنجى الامريكى «دى بوا» وقد توفى اخيرا فى اكرا — فى كتابه « انبثاق الفجر» تصريحا لحاكم جورجيا يقول فيه :

ان الزنوج فى الولاية يطردون كما تطرد الحيوانات المتوحشة

وسجل « البر كاهن » فى كتابه «الخيانة العظمى» تصريحا قديما لنائب كارولينا الجنوبية ما يزال دستورا للمتعصبين من البيض — يقول :

ان كل رجل ملون تراوده رغبة التمتع بالمساواة السياسية ليس لديه ما يفعله فى الجنوب ، اننا هنا بلاد للبيض وستظل على الدوام كذلك

بل لقد بلغ الهوس ان اصبحت بعض العناصر فى ولاية « جورجيا » لا تعترف بأمريكية السود ، وتطلق لفظ أمريكى على البيض فقط ، ويحرم على الزنوج أن يعيشوا فى الاحياء التى يعيش فيها البيض ،ولايصرح لهم بركوب أى قطار ، بل ان هناك قطارات بذاتها بها مقاعد خاصة بالسود وعليهم ان يدخلوا من أماكن خاصة بالملونين وفى الحدائق وعلى شواطىء البحار والاسواق هناك اماكن مخصصة للسود وعليهم ان يشربوا من الصنابير المخصصة لهم .. ولعل الاخبار الاخيرة التى وردت من « الاباما » مازالت مائلة فى الاذهان حيث منع حاكم الاباما دخول ابناء الزنوج مدارسها مما اضطر الى تدخل الجيش الاتحادى .. ولكن الاغرب من ذلك ان الموت الذى يسوى بين جميع ابناء البشر يعرف التفرقة العنصرية فى بعض ولايات امريكا فاذا مات زنجى يدفن فى مقابر خاصة بالسود ، حتى الدين الذى يفترض فيه السماحة والتاخى يقف عاجزا امام هوس العنصرية فى بعض الولايات حيث توجد كنائس للبيض لا يدخلها السود .. بل لعل من المضحك ان تكون هناك بعض السجون لا تقبل الزنوج فى زنازينها

وناهيك عن التفرقة العنصرية فى الوظائف ومتوسط الاجور والتعليم وعصابات « كوكلوتس كلان » التى تباشر الارهاب علنا وبشكل ادي الي ان يقول احد زعمائها :

لن تكون هناك اية مساواة بين البيض والسود فى ولاية ميسسيبى ولا بعد مائة عام بل ربما الى الابد

وتصريح زعيم العصابة هـــذا يتضاءل الى جانب تصريح مندوب ولاية جورجيا فى الكونجرس الذى ينم عن عقلية لاتمت الى الانسانية بصلة :

اننى انذر الزنوج بانهم لو اصروا عـلى مواصلة جهودهم لالغاء حواجز العنصرية فى الجنوب ومزج دماء العنصرين ، فســيرونها ممزوجة فعلا ، لا فى الاجيال القادمة وانما فى الشوارع

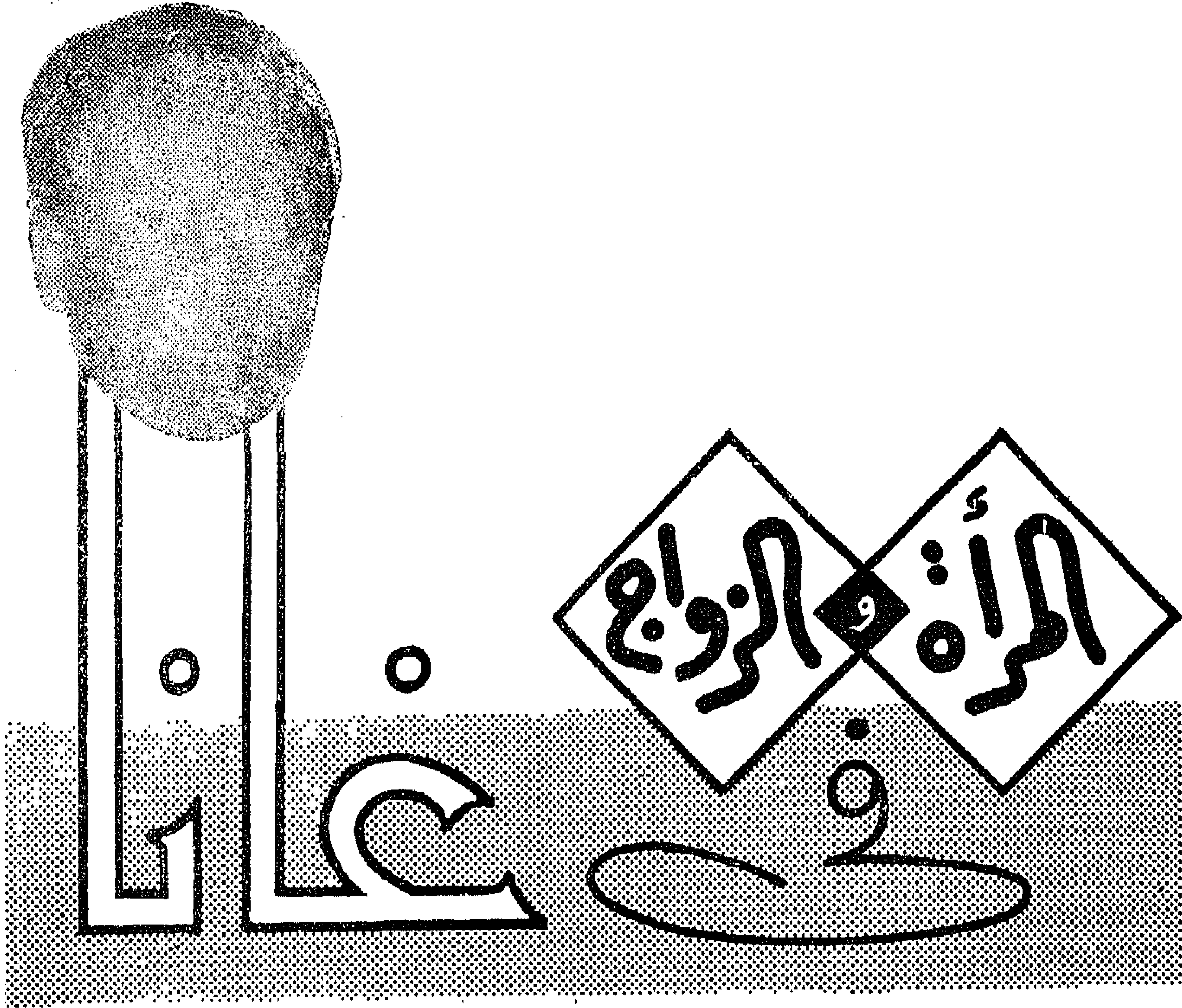
ومثل هذا التصريح وغيره لن يوقف حركة الزنوج لتحرير انفســـهم وتحرير المجتمع الامريكى من رواسب المجتمعات العبودية ، فقد عرفوا التضحية منذ ان اختطفوا من ارضهم افريقيا الى امريكا .. وقد ســجل العدد الاول من مجلة « لايف » فى اكتـوبر عام ١٩٥٧ المأساة منذ عام ١٤٤٤ حينما ذهب الاستعماريون البرتغاليون الى شاطىء افريقيا الغربى ووصلوا الى ساحل العاج عام ١٤٧١ ومن سخرية القدر ان يقيم البرتغاليون عام ١٤٨٢ قلعة باسم القديس « سان جورج » ويستخدم البريطانيون فى الوصول الىافريقيا عام ١٥٦٢ سفينة تسمى « يســـــوع » وترسل الكنيسة الكهنة الى ارض افريقيـا يصلون على كل زنجى يختطف من افريقيـا الى امريكا وعندما اشتد النزاع بينالبرتغال واسبانيا حول تجارة الزنوج تدخل البـابا « اسكندر السادس » عام ١٤٩٣ واصــدر مرسوما بابويا بتقسيم الاراضى بين البرتغال وأسبانيا ، ثم دخل الهولنديون منافســـا خطيرا - تجارة الزنوج .. وتكاثر تجار البشر فدخل فيهم البريطانيـــون والدانيماركيون والسـويديون واشتدت قبضـــة البريطانيين الذين خصصوا ما يقرب من مائتى ســفينة لتجارة الزنوج وخصصوا ٤٠ مخزنا للعبيد لحين ترحيلهم

وكانت الرحلة تستغرق ما يقرب من ثلاثة شهور ، يموت خلالها ما يقرب من ٦٠٪ حتى تصل قافلة التجارة من قلب القـــارة الى شاطئها .. وكان التجار يدفعون ٩٠ دولارا للعبد فيما بين الثامنـة عشرة والخامســـة والثـــلاثين . ثم يكدس الزنوج فى مراكب صغيرة ويخصص للواحد ١٨ بوصة حتى ان التجار كانوا يقومون بحرق كل مركب بعد افراغ شحنته على شاطىء الدنيا الجديدة ، بسبب رائحة العفونة الشديدة الناتجـة عن الازدحام طوال الرحلة .

وبرع الامريكيون بدورهم فى تجارة الزنوج ففى عام ١٧٢٠ كان لهم ما يقــرب من ٢٠٠ سفينة تعملفى هذه التجارة ، وكانتالسفينة الواحدة تربح فى الرحلة الواحدة اكثر من ٣٥ الف دولار .

ان الثمانية عشر مليـونا من زنوج امريكا اليوم هم سلالة عشرات الملايين الذين سيقوا فى رحلة من اعزب الرحلات التى عرفتهـــا البشرية وماتت الغالبية فى الطريق ..ولكنهم اليوم يواصلون الطريق .. طـــريق ارجاع الكرامة الى الانسان من حيث هو انسان .. الانسان فى جوهره الذى لا يعرف التفــرقة بسبب اللون او العنصر او الدين .

((لمعى المطيعى))



بقلم انتونى كوبمان — ترجمة كامل عبد المجيد

يعتبر الزواج مشكلة المشـــاكل فى كل مجتمع ، وليتغلب الغانيون على هذه المشكلة المعقـدة رجعوا الى معتقـداتهم الدينيـــة وتقاليدهم القديمة التى تنص على أن الله قد منح الرجل والمراة حرية العيش سويا أو منفصلين ، لذلك كان من الواجب أن تكون روابط الزواج التى تجمعهما مرنة بحيث يمكنهما الانفصال اذا أراد أحدهما ذلك . ولذلك كان الطلاق جائزا من الناحيتـــين الاجتماعية والدينية فى غانا .

والهدف الاول من الزواج عنـــد الرجل الغانى هو انجاب الاطفـال وتربيتهم ، وقد أعطى هذا الهـدف اعتبـــارا كبيرا للقدرة على انجـاب الاطفال فى شتى صور المجتمع الغانى لذلك كان العقم والاخصاب السبب الاول فى تحطيم أو تدعيم كثير من الاسر فى غانا . بل لقد دفعت الاهمية المعلقة على الامر الكثيرين ، فى المجتمع الغانى الحديث ، الى ممارسة الوسائل غير المشروعة — سواء من جانب الرجل أو المرأة — للتأكد من المقـدرة على الانجاب عند الزواج . وهناك سبب تقليدى آخر يمكن خلف تلك الرغبة الحاسمة التى تتحرك فى نفوس ابناء غانا للانجـاب وهو انه من الواجب على الابناء تحمل نفقات جنازة الاب او الام عند وفاة احدهما اما الشخص الذى لم ينجب فيتحمل أقارب الاب او الام نفقات جنازته .

ولهذا السبب ينال جثمان المتوفى العقيم عند وفاته بعض العقاب فى مرحلة معينـــة

من مراحل الجنازة ويتمثل ذلك فى ادخال كرة كبيرة مكونة من بعض المواد المؤلمة — مثل الفلفل وبعض النباتات الحريفة — فى فتحة الشرج . لذلك كان هدف الجميع الانجاب سواء بطريق مشروع أو غير مشروع .

والرجل الغانى يفضل الموت على أن نكتشف زوجته الجديدة انه عقيم ، كما ان الزوجة العقيم تؤثر الموت على الحياة ، لانهما فى هذه الحالة — وطبقا لتقاليد غانا — يكونان فى حالة من الخزى الشديد ، ويعتبر هذا صورة من صور السلوك المشين فى المجتمع الغانى .

وتلعب القاعدة الاجتماعية الاساسية التالية ، التى تعتبر أساسا للميراث والسلالة ، دورا كبيرا فى نظام الزواج ، فكل المجتمعات الغانية تقوم على مبدأ هام وحيوى وهو أن الغنى والقوى يعيش حياة تسمح للفقير الضعيف أن ينال حظه من الحياة ، أو بمعنى آخر لا يملك الغانيون ما يملكون لانفسهم أو لافرادهم فقط ولكن أيضا من أجل الفقير والضعيف .. وهذا يعنى أن المحظوظ أو الموهوب من ابناء غانا يستغل موهبته لخدمة الاخرين الاقل منه حظا ، ولذلك تقدم المرأة الغانية على الزواج وفى مفهومها هذه المبادىء كلها الى جانب هدف انجاب الاطفال ، فالمرأة هناك تعيد من ممتلكات الزوجية لخدمة بيتها وأولادها — والى جانب ذلك — لصالح أقاربها ، وكذلك يفعل الرجل وان كان يقل فى ذلك عن الدرجة التى تصل اليها المرأة فى هذا المضمار .

ومن هنا نستطيع أن نخلص الى أن هناك هدفا روحيا تسعى اليه المرأة وتحصل عليه بالزواج الى جانب الاهداف الاخرى ، ولا يتحقق هذا الهدف — طبقا للتقاليد فى غانا — الا بالرجل .

وبذلك يمكن تلخيص أهداف الرجل الغانى من الزواج فى أنه ينتظر من زوجته وأولاده أن يقوموا على خدمته طيلة حياته ، بل ان هذه الخدمة تمتد حتى بعد مماته اذ يتحمل أبناؤه نفقات الجنازة التى تتركز فى شىء عادى هو النعش الذى يجب أن يتحمل نفقاته الابناء .

واذا استعرضنا بعض الامثال الغانية المأثورة نستطيع أن نلقى بعض الاضواء على نظرة الغانيين الى الزواج ومنها :

١ — ((المعاملة السيئة للزوج تفسد المرأة الصالحة)) فى هذا القول تجد المرأة المخلصة ، التى تضطرها سوء معاملة زوجها الى الانحراف ، العزاء .

٢ — ((ان رابطة الزواج رابطة صداقة أكثر منها صلة دم وقربى))

يردد هذا القول الرجل المطلق أو المرأة المطلقة ، حينما يغادران المحكمة التقليدية الغانية بعد اتمام مراسم الطلاق ، يرددان هذا المثل تعليقا على ما حدث .

٣ — ويردد الشاب أو الشابة اللذان يجبرهما الاب على الزواج بمن لا يحب هذا القول :

((ان أفضل الزواج هو ذلك الذى ينبع عن الحب)) .

٤ — تنصح المرأة العجوز المجربة الشابة التى تشكو من عدم تقدير زوجها لاخلاصها وعملها فتقول ((ابنتى الفاضلة ، لقد تحملت أعباء الزوجية من أجل الزواج فقط)) .

٥ — وتقول الزوجة التى يلومها زوجها لاحتمال فشل زواجهما وهى تنظر اليه بنصف عين رافعة رأسها :

((ان الزواج لا ينجح الا اذا أراد الزوج له ذلك)) .

٦ — ويقول الوالد المجرب لابنته وزوجها لحظة توديعهما الى بيت الزوجية :

((ابنى وابنتى .. ان رحلة الزواج طويلة)) .

٧ ـ تنصح الأم الفاضلة ابنها المقبل على الزواج بالاعتناء بزوجته ورعايتها فتقول :

« ان منظر الزوجة الحسن وجمالها يضمنان الزوج المديح » .

وهى أيضا تنصحه بالصبر فتقول .

« ان الزواج ينجح وينمو فقط فى مزرعة الصبر » .

٨ ـ يقال للفتى أو الفتاة الذين يندفعان الى الزواج ثم يلجأن الى الطلاق سريعا :

« ان الزواج أعظم من أن تكون خمرا تذاق ثم تلفظ » .

٩ ـ يقال للزوج الذى لا يصبر على تبرم زوجته : « ان نجاح الزواج يعتمد على الصبر فى المعاملة » .

نصائح وتقاليد بالنسبة للشخص المتزوج :

لا ينبغى للمتزوج أن يقلم أظافره عقب الاكل مباشرة ، وأن فعل فالمعتقد ان ذلك يسبب موت أطفاله . وكذلك يجب عليه أن لا يغنى أثناء الاستحمام خشية أن يفقد أو تفقد شريك الحياة . واذا لجأ الزوج أثناء غضبه الى قلب وعاء الطعام الذى اعدته له زوجته فان ذلك يكون سببا فى احلال اللعنة عليه . وكذلك لا يجوز للشخص المتزوج أن يستحم أكثر من مرتين فى اليوم لان هذا لا يجوز فقط الا للعانس أو الارملة التى لها الحق فى الاستحمام ثلاث مرات

ومن الطبيعى بالنسبة للمتزوج ـ اذا كان لم يفقد شريك حياته ـ أن يدهن كل جسمه بالتراب الاحمر . واذا سارت الاسرة مجتمعة فى جنازة ما فيكون ترتيب السير البنت أو الابن الاصغر أولا ثم الاكبر فالام وأخيرا الاب ، وقد اتبعت هذه القاعدة طبقا للقول المأثور « تحتمى الزوجة والابناء تحت ذقن الزوج » .

وحينما يصل الزوجان الى مكان ما لا يصح أن تجلس الزوجة قبل أن يجلس الزوج وكذلك لا يجوز للابن الاصغر أن يجلس قبل الاكبر ، وكذلك لا يجوز للبنت أن تجلس قبل الولد ، والرجل هو المكلف بمسئولية الرحلة ذهابا وايابا .

وحين يريد الزوج أن يعبر عن حزنه لوفاة زوجته يربط حول وسطه حبلا أو فتلة يعلق بهما مفتاح الباب .

لا يجوز للزوجة أن تمل وخاصة خارج منزلها بدون منديل على رأسها ، ويمكنها أن تفعل ذلك فقط أثناء سيرها فى جنازة زوجها ، ولا يجوز للزوجة أن تجلس فى وجود زوجها وهو يحيط رقبتها بيديه ، كذلك لا يصح لها أن تحيط وسطها بحزام مربوط فيه مفتاح .

وأيضا لا يجوز للشخص أن ينظر الى امرأة تجلس على الارض وقد مدت رجليها الى الامام واضعة قدميها على مقعد صغير ، فهى لا تجلس هكذا الا اذا كانت حزينة على موت زوجها ، وكذلك تقضى التقاليد بالنسبة للزوج أو الزوجة الذى يفقد شريك الحياة الا يراه أحد وهو يتناول طعامه مبكرا طيلة الاسبوعين اللذين يعقبان الوفاة . وأى امرأة تسير وعلى رأسها منديل ذى لون غير الابيض به ريشة فى الخلف ، فهذا يعنى أنها فقدت زوجها ، وليس عاديا بالنسبة لزوجة فقدت زوجها منذ زمن ليس بقصير أن تشكر صديقة لها نظمت لها شعرها . وأخيرا ليس من حق أى زوجة أن تطالب بشىء من امرأة اعتدى عليها زوجها ، بل يمكنها أن تطالب زوجها بتعويض على فعلته ، غير أن هذا التعويض يعد بسيطا اذا قورن بالتعويض الذى يطلبه الزوج من الشخص الذى يعتدى على زوجته .

والاقوال التالية توضح ما يجب على المرأة الغانية ألا تفعله فى المجتمع :

ـ على المرأة المتزوجة أن تنام خلف زوجها عند ما تذهب الى سريرها ليلا وأن يكون السرير مواجها لاقرب حائط وبعيدا عن اقرب باب .

ـ الجريمة لا ترتكبها امرأة ولذلك فهى تعتبر شيئا مكروها اذا ارتكبتها امرأة .



ليوبولد سيدار سنغور شاعرا

بقلم علي شلش

من الحقائق الجديرة بالاعتبار أن معظم زعماء حركات التحرير التى شملت القارة الافريقية عقب الحرب الثانية من المثقفين . فلا غرو ان كانت الثقـــافة ــ وما تزال ــ سلاحا هاما من أسلحة الوعي بالمأساة التى تعرضت لها القارة ابان عهـــود السيطرة الطويلة الماضية . ولقد سبق أن أشرت ــ فى غير هذا المكان ــ الى هـــذه الحقيقة ، وأضفت الى ذلك أن معظم هؤلاء الزعمـــاء والساسة قد مارسوا الكتابة وعرفوا القلم قبل أن يعرفوا السياسة على الصعيدين : الشعبي والرسمي ، وأن هذه المعرفة قد اتخذت فى معظمها سبيل الخلق الفنى فى شتى صوره من نظم ونثر . ولعل أبلغ مثـــال واضح لهذه الحقيقة هو رئيس جمهـورية السنغال وشاعرها الكبير ليوبولد سيدار سنغور .

فليوبولد ســـنغور شاعر قدرته أوربا واحتفت بشعره قبل أن يشتغل بالسياسة وقبل أن يحتفى به العالم كرئيس لاحـــدى جمهورياته الجديدة . وما أجدرنا نحن الذين « نحرس الباب الشمالي للقارة » أن نتعرف الى هذه الموهبة الكبيرة التى تعيش فى قارتنا اليوم بعد أن عاشت فى أوربا بالامس تناضل من أجل حرية افريقيا ، وتنقل صوتها الى العالم شعرا أطربه وأثرى تراثه .

لقد ولد سنغور فى عام ١٩٠٦ بمستعمرة، جوا البرتغالية الصغيرة ، من قبيلة سنغالية . وكان أبوه تاجرا صغيرا يدين بالكاثوليكية ، دين الاقليـــة فى السنغال (الاغلبيـــة من المســـلمين) والتحق فى طفولته بمدرسة « الليسيه » ، لكنه لم يلبث أن أظهر تفوقا ونبوغا أهله للسفر الى باريس فى سن الثانية والعشرين ، حيث التحق هناك بليسيه لويس الاكبر . ثم أكمل تعليمه بالسوربون ، ونال منها درجة الاجريجاسيون (الاستاذية) ، فكان أول أفريقي من غرب القارة يحصل على هذه الدرجة الرفيعة .

وفى تلك الفترة كانت باريس تعيش فى تجارب فنية غريبة أنتجتها ظروف الحـرب الاولى وخيبة الامل التى حلت بالانســـان الاوربى اذ رأى قيمه وتراثه نهبـــا لارادة

الحرب . وراح الشعراء والفنانون يستبطنون ذواتهم ويغيبون فى متاهات ذهنية وعاطفية ، كان لنا منها فى النهاية ما يسمى بالدادائية Dadaiam والســـــيريالية — بل والوجودية — وغير ذلك من نزعات ومذاهب فنية وفكرية مستحدثة .

وفى باريس أيضــــا كان يعيش عدد من الطلبة ، وفدوا اليها من أفريقيا وجزر البحر الـــكاريبى ، وأدركتهم حرفة الادب بتأثير الـــسيريالية وغيرها . وكان من بين هؤلاء شاب من جزر المارتينيك يدرس الادب وينظم الشعر ، يدعى اتيين لبرو . لكنه ما لبث أن ضاق ذرعا بدراسة الادب فتحول عنه الى الفلـــسفة تحت ضغط ما كان يعانيه من طموح وقلق على مصير بلادق . وقد أسس هـــذا الطالب القلق المرهف الحس بالاشتراك مع زميليه جيل مونيرو ورينيه مينيل صحيفة أدبيـــة فى أواخر الثلاثينيـــــــات باسم : Legitime Défene أى « الـــدفاع الشرعى » . وجعل منها صرخة ثورية حرة ، وجمع حوله كثيرين من أبناء أفريقيا وجزر الهند الغربية ممن كانوا غيورين على أوطانهم . ويكفينا سنغور نفسه مؤنة البحث عن أثر هذه المجلة فيما كتبه عنها ، اذ يقول : « لم تكن « الدفاع الشرعى » مجرد مجلة بقـــدر ما كانت حركة ثقافية . فقد بدأت بتحليل ماركس للمجتمع فى جزر الهند الغربيـــــة ، واكتشفت فى البحر الكاريبى — عن طريق هذا التحليل — أحفاد العبيـــــد من زنوج أفريقيا الذين عاشوا ثلاثة قرون بالحـــــالة المزرية المتناقضة التى تعيش بها البروليتاريا . وقد أثبت ليرو أنه لم يكن بالوسع انتشالهم من المحرمات Taboos والتعبير عن حالتهم هذه الا عن طريق السيريالية »

غير أن ليرو لم يعش طويلا ، فقد مات قبل أن يحقق أفكاره ، وعلى الرغم من أنه اتخذ السيريالية سبيلا ، الا انها لم تحقق على يديه المفعول الذى كان يرجوه لها . ثم جاء زملاؤه فحاولوا تجربة سلاحه ، وكان أن أثمرت التجربة هذه المرة . كيف ؟ .. لقد أدرك هؤلاء الشعراء الافريقيون والكاريبيون أن اللغة الفرنسية تتميز بطاقة تحليلية ودقة منطق ، جعلتاها تتفوق على غيرها من اللغات الاوربية فى القدرة الفائقة على التجريد دون التعبير عن المحسوس . بل انها أكثر اللغات تجريدا كما وصفها سنغور الذى وجد أن الدافع الذى يحكمه — ويحـــــكم غيره من الشعراء الافريقيين — يتميز بطاقة انفعاليـــة وحســـة أولا وأخيرا . ومن ثمة كان عليهم أن يقبلوا التعبـــــير بهذه اللغـــة الغربية عن تكويناتهم ، وأن يعودوا الى أنفسهم فيمــــا يكتبون أو يفكرون .

ولقد كانت الفترة الواقعـــة بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٥ — بالنسبة لهؤلاء الشعراء — حافلة بالتجارب والثراء فى الابداع الشعرى بوجه خاص . لكنها أوضحت تأثرهم البالغ بالشعراء السيرياليين من أمثال بليز سندار (١٨٨٧ —) وجيل سوبر فييل (١٨٨٤ —) ووليم أبولينير (١٨٨٠ — ١٩١٨) وغيرهم من السيرياليين الذين كانوا أكثر — من غيرهم — قربا بالنسبة للافريقيين . وذلك لان هؤلاء الثلاثة قد أحسنوا الى الشعر الفرنسى — كما يقول سنغور — حين ساحوا فى البـــلاد الاستوائية وجددوا فيها طفولتهم وشربوا من أنغامها وايقاعاتها ، وأثروا الشعر الفرنسى ، على الرغم من أنهم « **كسروا عنق البـــلاغة الفرنسية** » .

ولقد كان من تأثير هذه الفترة أيضـــا أنها أظهرت نغمة جديدة ، أو قل نزعة جديدة سرعان ما أصبحت « ميثاقا » يلتزم به كل الشعراء الزنوج الذين يكتبون بالفرنســـية وأعنى نزعة « الزنجية»
فما هذه النزعة ؟ وما خطوطها ؟ .. أحسب أولا اننا ينبغى أن نفهم هـــذه النزعة حتى نستطيع ان نتذوق شعر سنغور وغيره ممن يكتبون ويفكرون بالفرنسية من الافريقيين ، السود بوجه خاص ، تمييزا لهم عن زملائهم الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية أيضا . وأحسب ثانيا أن الحديث ليطول لو فصلنا القول فيها ، ومن ثمة أكتفى هنا بمجمـــل صورتها ، على أن نعود لتفصيلها فى مقـــال آخر .

وأوجز فأقول ان مصطلح « الزنجية » - فيما يبدو - قد نشأ أول ما نشأ فى البحر الكاريبى خلال العشرينيات من هذا القرن كرد فعل لاحساس الانسان Negeiomo بالضياع فى كوبا وهايتى وبورتوريكو والمارتينيك ، وبالتالى كان عليه أن يستمسك بلونه وأن يفخر بانتمائه الى أجداده الافريقيين السود . غير أن هذا المصطلح لقى كثيرا من العناية على أيدى المثقفين والشعراء الافريقيين السود المغتربين فى أوربا وفرنسا بوجه أخص ، كمحاولة لاثبات الوجود واستعادة الثقة بالنفس التى كاد الاستعمار أن يقضى عليها عن طريق سياسة التذويب - مثلا - التى اتبعتها فرنسا فى مستعمراتها .

وكانت « الزنجية » لدى المثقفين والشعراء الافريقيين فى باريس محورا تدور حوله احاديثهم ، ومن ثمة كتاباتهم . اذ آمنوا بأنهم أفريقيون أولا وأخيرا ، بل وزنوج ، وان رسالتهم تؤمن - كما قال سنغور - بالوحدة الروحية بين محل الزنوج ، وبضرورة تجميعهم تحت راية المطلب الجماعى ، الغربة والنفى ، وأمن بمصير بنى جنسه ، حتى ينجحوا فى استرداد كرامتهم الانسانية ، بغير عنصرية ، وحتى يحققوا ذاتهم فى عالم اليوم متسلحين بمبدأ الحضارة العالمية والمذهب الانسانى الشامل .

* * *

ولقد التقى سنغور - باريس بزميليه اللذين رافقاه فى رحلته الفكرية والوجدانية ، وهما ايميه سيزير شاعر جزر المارتينيك ، وليون داماس شاعر غينيا الفرنسية . وكان الاخير أول من ظهر فى هذا الثلاثى المشبوب المتنفعل المتألف ، عند ما نشر ديوانه الاول : Pigments (الاصباغ) فى عام ١٩٣٧ . ثم ظهر بعده سيزير وتبنى دعوة «الزنجية» وعد شاعرها الاول ، وتمكن ، بموهبته ، من ربط التكنيك السيريالى - القائم على التداعى - بالايديولوجية الزنجية . وفى الوقت نفسه راح سنغور يكتب أيضا بلدات اللغة ، لكنه تميز بقدرة بيانية وبلاغية ممتازة ، تجعل الشجن يسرى فى نفس المتلقى بدلا من أن تصدمه أو تفاجئه .

وفى شعره ، كما فى أشعار زملائه ، طاقه انفعالية خصبة .. انه يسخط ويتألم لكنه لا يحقد .. يأمل ولا ييأس ، يحب ولا يكره ، يحترم الجماعية ولا يتنصل منها . وهو شاعر ملتزم Engagé عانى من الغربة والنفى ، وأمن بمصير بنى جنسه ، وبحقهم فى أن يعيشوا فى سلام لا تعكره حرب كما عكرت سلام أوربا طوال النصف الاول من القرن الحالى . ففى قصيدته « لوكسمبورج عام ١٩٣٩ » - ولوكسمبورج هنا هى حدائق باريس الغناء التى طالما تغنى بها ولجأ اليها وأحب تحت خمائلها شعراء فرنسا - احساس عارم بضرورة السلام من أجل خير البشر .. فالحرب تطرق الابواب وحدائق اللوكسمبورج خاوية على عروشها .. يقول سنغور :

« لا تجد متسكعين ، لا ماء ، لا قوارب فوق الماء ، لا أطفال ، لا زهور » وانما تجد « طفلين عجوزين فقط يحاولان لعب التنس » بينما الجنود نصبوا البنادق وحفروا الخنادق فى كل مكان . ويربط الشاعر هذه الصورة بالخريف وسقوط أوراق الاشجار وذبول زهور سبتمبر ، ثم ينهى القصيدة بقوله :

« اننى أشهد الاوراق تسقط
فى المخابىء ، فى الحفر ، فى الخنادق
حيث يتدفق دم جيل
فأوربا تدفن خميرة الامم
وأمل الاجناس الجديدة »

وهو لا ينسى ما فعله البيض بأهله وبلاده ، وانما يذكر آثامهم دائما ، ويكاد صوته يقطر حزنا وهو يرسم صورة لبعض هذه الاثام فى قصيدته « باريس فى الجليد » ، فيقول :

« اجتثوا الغابة العذراء
كى يلوا الى « فلنكات »
السكك الحديدية
اجتثوا غابة افريقيا

كيما ينفذوا المدنية
التى كانت تفتقر الى الرجال .))

ومن ثمة فهو يخشى فى نهاية القصيدة أن « هذه الايدى البيضاء التى حشت البنادق ودمرت الممالك » ، « قد تستخدم غدا اللحم الاسود فى المقايضة » لكنه لا يخشى معتقدات القبيلة ، وانما يحترمها ويعترف بهـــا . فقد جرت العادة ــ مثلا ــ فى بلاده أن تتخذ كل قبيلة شعارا لها وعلامة من الحيوان أو النبات تعتبره كأحد أفرادها . ومع ذلك فهو يقول فى بساطة ضمن قصيدته «الطوطم » :

لابد أن أخفيه
فى قاع شرايينى
. . . .
حامى حماى الحيوان ،
لابد أن أخفيه
حتى لا احطم حدود العار :
فهو دمى الصادق الذى يطالب
بالوفاء
اذا يحمى زهوى العارى
من نفسى ومن لوم الاجناس
الاسعد حظا .

وفى قصيدة « الميت » نجده يصـــور مأساة مواطنيه الذين اشتركوا فى الحرب مع القوات الفرنســـية ، ويصف أسرى بلاده الذين شاهدهم ممدودين على تربة فرنسا ، بقوله انهم :

((الزهرة السوداء
ببسمتها الجادة الوقورة
مأساة العصـــور السابقة على
التاريخ .

وقد زار سنغور نيويورك وتجول فى حى هارلم حيث يعيش الزنوج ، فخرج بقصيدة من أروع شعره جعل عنوانها : « نيويورك » ، وفيها يصف الحيرة التى أصابته فى البداية من جراء جمال المدينة وفتياتها ذوات السيقان الذهبية الطويلة . لـــكنه سرعان ما أحس بالخجل اذ تكشفت له الصورة القبيحة المطلية بالناطحات و « أبواق السيارات التى تعوى فرارا من ساعات الفراغ » .. انه يشـــكو لنفسه من انعدام الحياة الانسانية فى المدينة الكبيرة .. لماذا ؟ : يقول :

ليس ثمة صدر أم ،
وانما سيقان من النايلون فحسب
سيقان وصدر بلا عرق ولا رائحة
وليس ثمة كلمة رقيقة تقال
لانه ليس ثمة شفاه ،
وانما قلوب صناعية فحسب ،
تعطى لمن يدفع بالنقد

لمد أرق وسهد فى مانهاتن .. ولم يعد يطيق المكوث أكثر من أســـبوعين ، فالحمى تنقض عليه انقضاضة الفهد ، ولا يملك الا أن ينادى نيويورك علها تصغى الى صـــوت ضميرها .. الصوت الاسود فى هارلم .. بل يناديها فى النهاية :

نيويورك ! أقول لك :
دعى الدم الاسود يانيويورك
يتدفق فى دمك
عساه يزيل الصدأ عن مفاصلك
الصلبية ..

وسنغور فى شـــعره كله تقريبا مفتون بأرضه وبلاده ، بصوره واستعاراته المستمدة من بيئته الافريقية الخالصة ، حتى عند ما يتغزل ويتشبب . ففى قصيدته « سأنطق اسمك » يقول :

سأنطق اسمك ، يانابيت ،
سأنشدك يانابيت !
اسمك ناعم كالقرفة ، يانابيت
انه العطر الذى يرقد فيه
سرب أشجار الليمون ،
نابيت ، اسمك هو الصفاء
المحلى بالسكر ،
صفاء أشجار البن المزهرة
وهو يشبه السافانا ، اذ تزهر
فى ظل مخولة شمس الظهيرة
هو اسم الندى ، أنضج من ظلال
التمر هندى ،
أنفذ حتى من مغيب الشـــمس
القصير
اذ تسكن حرارة النهار

وهكذا تناول سنغور فى شعره عديدا من الموضوعات ، لكننا نجملها فنراه يصـــور التخريب الذى لحـــق بأفريقيا القديمـــة وثقافتها على يدى أوربا البيضاء ، وجفـــاف

الغرب المعاصر وحاجته اليائسة الى المقومات الافريقية ، كما نرى لديه صورة جمال المرأة الافريقيـــة الدافىء المزهو ، وحبه وفهمـه العميق لاظهر مآثر الغرب ، والحاجة على أن يكون هو بنفسه « مزيجا ثقافيا مولدا » من ثقافتي أوربا وافريقيا .

غير أن هناك ايضــا ثمة وجهــا آخر لسنفور الشاعر ، وهو وجه يسلكه فيمصاف الدارسين والنقاد . فمما يحمد له أنه كان من أوائل الدارسين الجادين الذين عنـوا بدراسة الشعر الافريقي وتقديمه للنـاس وتعريف العالم به ، وعلى الاخص مجموعته التى قدم لها جان بول سارتر وجمع فيها كثيرا من روائع شعر الافريقيين المعـاصر ، وعنوانها :

Nowelle Amthologie de la Roésie Négce et malagache.

هذا بالاضـافة الى دراساته فى النقد وعلم الجمال ، ونثبتها هنا بعناوينها الفرنسية لمن يرغب فى الاســتزادة ، وكذلك دواوينــه الشعرية :

Lomgage et poésie mégro Africaine L'apport de la poesie Nègre Esthéticpie negro Africaine.

اما مجموعاته ودواوينه الشعرية فهى :

اغانى الظلال (١٩٤٥)

اغنيات الى نايبت (١٩٤٩)

Chomts d'ombre

Chamts Pour Naitt

Ethiopiques

Nocturmes

Hosties noires

حبشيات (١٩٥٦)

الدياجير (١٩٦١)

القرابين السوداء (١٩٤٨)

أما مجموعاته ودواوينه الشعرية فهى :

أغانى الظلال ((١٩٤٥))

أغنيات الى نايبت ((١٩٤٩))

حبشيات ((١٩٥٦))

الدياجير ((١٩٦١))

القرابين السوداء ((١٩٤٨))

ويرى بعض النقاد أن ليوبولد سنفور قد صمت عن الشعر فى السنوات القـلائل الماضية وأن « ينبوع الزنجيــة » قد بدأ ينضب ، وأن ســنفور نفسه قد شــغلته السـياسة عن الشعر . والحقيقــة أنه من الصعب التكهن — فى الفن خاصة — بنهـاية الشاعر أو الاديب أو الفنان ، وانما يمكن فقط رسم خط بيانى لنمـــوه . وأيا كان الامر فسنفور مازالنشيطا ، وآخر دواوينه : « الدياجير » صدر منذ عامين فقط . ومن ناحية أخرى فان اشتغاله بالسياسة لم يمنعه من قبل عن نظم الشعر ونقده . فالثابت أنه — قبل أن يرأس جمهورية بلاده — قد شغل عدة مناصب رسمية فى فرنسا . فكان نائبا عن السنغال فى الجمعية الوطنيــة ووكيل وزارة ثم وزيرا ، الى ان انتخب فى عام ١٩٦٠ أول رئيس لاول جمهورية فيالسنغال. فليس بالسياسة وحدها — ان صح التعبير — يحيا الانسـان ، وخاصة فى هذه المنـاطق الشاسعة من قارتنا التى يحل فيها النغم والايقاع بالانسـان ويمتزجان بتكوينه .

((على شلش))

بهوذا فى نادى الشياطين

.. اوصد ابى الابواب عليه منذ اول الليل على غير عادته وامر الخدم الا يدخلوا عليه احدا .. لم يكن لديه وقت لاستقبال ضيف او زائر ... ارتمى على مقعد وثير كان بالردهة كأن عضلاته انهارت وعجزت عن حمله .. زفر زفرة حارة وغرق فى ثورة ملتهبة

« لا .. لن يحدث لى ماحدث لغيرى لن اقبل اساءة من احد حتى ولو جاءت فى شكل نقد نزيه .. تلك هزيمة .. ولن اقبل هزيمة مهما تكن النتائج .. لا .. لا .. الانتحار افضل ان لم تعجل بالموت السماء .. »

القى نظرة فى الساعة التى على معصمه واستانف صراعه مع نفسه ..

« لم يحن الوقت بعد .. دعهم يقولون ما يشاءون لم يكن ذلك سوى حدس وتخمين الحقيقة ترقد فى صدرى .. فى صدرى انا وحدى .. صحيح سأخون زملائى واخوانى وانصارى .. واخون المثل العليا والاخلاق الفضلى ، ولكن احمى شخصى . اصون سمعتى .. احفظ مجدى .. مجدى الذى امضيت حياتى كلها ابنيه طوبة طوبة دون اى شريك او قريب .. مجدى الذى عرضنى لاقسى مايتعرض اليه بشر .. اخطار جسيمة أزمات عاتية ! موت محقق .. خرجت منها جميعا منتصرا ، وتسلمت اسمى منصب تطمح اليه نفسى !! »

عوى كلب فى الدار فنظر ابى للمرة العشرين فى ساعته ، وكانت الثانية بعد منتصف الليل ، فخف الى سيارته .. وبينما كان يوصد باب الجراج تسللت دون ان يرانى الى داخل السيارة واختفيت فى الجزء الخلفى منها

اخترقت بنا السيارة شوارع المدينة النائمة كالسهم .. وهناك امام نادى الشياطين توقفت .. دخل ابى النادى وتحدث دقائق قليلة مع أخشيد وعملوش وحرشوف ثم عدنا للدار .. وكان ابى راضيا .. تنبىء اسارير وجهه عن فرحة مكبوتة ابتلعت الاضطراب الذى كان يعانيه فى اولى ساعات الليل .

دلفت الى سريرى وظللت مستيقظا ادير فى نفسى كل الاحتمالات . كيما انفذ الى ما ينطوى عليه صدر ابى من اسرار .. اسرار لاشك فى خطورتها .. ولكن ذهبت محاولاتى سدى ..

تثاءبت الشمس وملأ ضوؤها الارض نسمع صوت غريب يدوى فى الراديو عبر الاثير .. صوت لم يسمعه احد من قبل صوت كبير الشياطين - عملوش - ينذر ويزمجر واحيانا يوعد ويؤمل .

« لقــد ضقنا بحياة الانس فوقنا .. حرمونا الراحة .. سـلبونا الاطمئنان .. افسدوا علينا الامور حتى كدنا نضـيع ، لان السقف بدأ ينذر بالسقوط .. لهذا فضلنا ان نقتحم عليكم الارض . ونرسلكم الى اسفل .. نقصيكم من كل شيء حيوى تماما كما كنا معزولين عن كل شيء .. ولكن لن نفعل بكم ما فعلتم بنا ، وانما تجدون منا كل معـاملة مختلفة .. سنسلك بكم طريقا جد مختلفة حسب ما تملى علينا عقولنا النظيفة البيضاء .. والموت لمن ينبس منكم ببنت شفة ! نحن رسل انقاذ لا مطمع ولا مطمح لنا .. أيام قليلة وبعد نعود الى عزلتنا القاصية !! »

نظرت الى ابى بعد ان توقف الصـوت الغريب ، فقرأت فى وجهه الرضا والانشراح وبدت عليه علامات الاطمئنان ، فعلمت انه هو الذى دبر كل ذلك .. دبره دفاعا عن نفسه ، عن شخصه ، عن مجده قبل اى شيء اخر .. مجده الذى يخشى عليـه الضياع .. ولكن هل ظل مجده فى مامن من الضياع ؟!!

مضت ايام طويلة بطيئة وسـلطان الشياطين قائم لا يريم .. استشرت الزلفى والنفاق ، وانهارت القيم حتى كاد الهواء فى الجو يتلوث من كثرة المكروب والعفونة غدت المثل اموراً تافهة .. والتفاهة مثلا عليا .. انقلبت الاوضـاع تبعا لطبيعة الشياطين التى تختلف عن طبيعة البشر .. غدا كل شيء يسير فى نظام وحركة كالالة ، لان السلطان مفطور على الالية .. حياة كل فرد صيغت فى قالب ، وجميع القـوالب متماثلة كالطوب .. حتى المسائل المعنوية كالحب اخضعت للالية .. اصبح الانسان لا يحب الا بعد ان ياذن له السلطان .. ولا يمارس احد الحب الا فى مواعيد معينة رغما من ان للانسان وقت فراغ كبير قد يطول مدى العمر كله .. انعدمت الحرية لانهم راوها وثيقة الارتباط بالجريمة !! ولكن عمليا ما اختفت الجريمة ، انمـا الحرية اختفت ..

نصت اول مادة فى دستور الشياطين .. « سعادة بغير حرية او حرية بغير سعادة » وفسر لى ابى هذه الحكمة فقال :

الاغبياء فى العهود الماضية اختاروا الحرية ففقدوا السعادة . ولذلك ظلوا يشـتاقون الى الاغلال .. وهذا سر شـقائهم .. والشياطين اليوم يحاولون ان يحققوا لهم ما كانوا يشتاقون اليه .. وبذا تمضى الحياة فى خط مستقيم وهو اعظم الخطوط لانه عقلها !.. »

فقاطعته .. « وطبعا من اختاروا السعادة عاشوا كالحيوانات ان لم يكونوا انقلبوا الى حيوانات بالفعل ، وفقدوا ادميتهم ! بذا يتم طرفى المعادلة الجبرية وهى ايضا ضرب من ضروب الرياضـيات .. الخط المستقيم الخ الخ ..

واستطرد ابى يقول :

« ومن يحاول الخروج على هذا الخط المستقيم المرسوم والذى يحف به مراقبون اشداء ، وحراس غلاظ لم يكن نصيبه غير الموت او على الاقل السجن .. »

قلت « ولكن أليست الحياة كلها انقلبت سجنا ؟ لان السجن فى معناه الاصيل حالة ذهنية قبل ان يكون مبنى له جدران .. قد يجوب الانسان الارض كلها .. ولكنه يظل يحس وكانه فى زنزانة داخـل مبنى السجن ، وذلك حين تنقلب حياته كلها الى شيء من الرياضيات .. خطوط مستقيمة ومعادلات جبرية وزوايا حادة ودوائر مفرغة

— دعك من هذه الفلسفة الجوفاء .. انها افسدت عليكم كل شيء .. عقولكم ، اخلاقكم ، سلوككم ، كلها فسدت بهـذا الهراء .. واعلم ان الشياطين اعداء هذه الاتجاهات الفلسفية ، لانهم عمليون ورياضيون ولا شان لهم بالفلسفة او الفكر .. واخشى ان يؤذوكم فى يوم من الايام .. ولا تنس انك من هؤلاء الشياطين بحكم مركزك وعملك

وذات يوم ملأ المدينة همس عجيب ، همس خافت ، قيل ثورة فى نادى الشياطين اختلاف خطير شب بين الاعضاء ، تهديد

ووعيد من فريق ضد فريق .. وقيل ان عنصرية معينة دخلت النادى وافرخت فى بعض الرءوس ولهذا هرب السلام من الباب الاخر .. ولكن فريق المتمردين اختفى على حين غفلت ، وابتلعته الاغوار المظلمة وخلا النادى للعنصرية .. انتصر فريق عملوش وحرشوف وكلهم من اعوان الكاهن ماسون ، حاخام الشياطين القديم .. ماسون الذى انفق حياته الطويلة بجانب كل سلطان جديد .. له فى كل زمان فتوى جديدة يلبس لها وجها جديدا .. ولكن المتهامسين بالمرصاد ..

قال الكاهن ماسون .. الالية تعلم الاخلاق الفاضلة والسلوك الحميد ، اذليس للالة عقل يميز ولا ضمير يحس ، ولهذا لن ترتكب الالة جريمة ، وانما هى مطيعة خاضعة لسيدها ومن لا يخضع لسيده يخرج عن طاعة الرب فيصيبه العذاب فى الدنيا ويبوء فى الاخرة بالخسران المبين .»

وسالت ابى ذات يوم .. اين فلان وفلان وفلان .. مالهم لا ياتون اليك كعادتهم ، ولا اراك تذهب اليهم ؟ ماذا جرى بينكم ؟

سحب ابى نفسا عميقا وقال :

ـ مالك ولهذا ، لا تفكر فيه ، ارع واجباتك كاحد الشياطين .. وحاول ان تنسى فلانا وفلانا وفلانا الذين ذكرتهم ، وانزعهم من مخيلتك ما استطعت .. فان المطامع الشخصية افسدت قلوبهم فابتعدوا عنى وحسنا فعلوا .. اوصيك بالحذر ان اردت النجاة لنفسك ، والزم صاحبتك أمينة انشغل بها ، وانها جديرة ان تشغلك عما انت غارق فيه .. حين كنت فى سنك كان همى الوحيد ان استمتع بشبابى وعليك ان تكون كأبيك ودع عنك المسائل التى هى اكبر من سنك .. »

ـ الله ! لى موعد معها كدت أنساه .. اشكرك ، مع السلامة ..

وخرجت لالتقى بالحبيبة الفاتنة .. كان الموعد فى مكان قرب الشاطىء ، تحسست هندامى ولمست ربطة عنقى واسرعت الخطى الى الجنة التى لا ارضى بها بديلا ، آه ! كم كان ذلك اليوم سعيدا حين التقينا لاول مرة فى الملعب الانيق الذى شيده الشياطين ليشغلوا به جماعات البشر عن مشاكلهم الحيوية وليصرفوهم عن اهدافهم السامية بتلك الفنون الغثة والمؤذية والتى احتقرها كل من شاهدها وكان له ذرة من عقل يفكر او ذوق يحس .. فنون صرفت الناس ليفكروا فى شهواتهم الدنيا لانها تشعل فى نفوسهم الغرائز البهيمية .. الم اكن انا احد ضحاياها وألم تكن امينة ضحية اخرى؟ وما اكثر امثالنا ! ! لقد خدعتها ذات ليلة بعد خروجنا من الملعب وقد ثارت غرائزى واشتعلت غرائزها ايضا بفضل ما شاهدناه من عرض ماجن . فاعتديت عليها واهديتها جنينا ، لم تكن هى راغبة فيه ولا انا حريصا عليه ، ولهذا تخلصنا منه قبل موعد خروجه الطبيعى !!

هناك فى المكان المعين وقفت امينة كزهرة يانعة ملا شذاها الارجاء ، وتلونت الارض تحت قدميها برواء جميل .. حقا كانت تنسينى فيما مضى هموم الحياة .. اما فى هذا العهد المسموم ، عهد الرقابة والرقباء عهد التجسس والحراس ، العهد الذى حرمت فيه القوانين الاجتمات باكثر من واحد او واحدة كانما البشر غدوا حيوانات يمكنها العيش فراادى

ـ حبيبتى .. اعبدك .. اننى مفتون بك حتى صرت لا احس بشىء مالم تكونى بجانبى .. ولكنى اخشى ان نتغير كما تغير كل شىء فى هذا العهد الذى كان يصفه بى لحين قريب انه احذق العهود واعقلها .. اننى اعيش فى العهود القديمة ، لانها كانت مجيدة ، فهل لنا امل او رجاء فى عودتها ؟ متى ؟!

ابتسمت فاتنتى ابتسامة عذبة مشرقة وكانها ترد لى تحيتى ثم قالت : « قلت كان أبوك يصفه لحين قريب » لم اعد افهم شيئا ؟ هل تغير موقف ابيك ؟ هل اصطدم بالصخرة

التى سد بها الطريق ؟ أنصح سالتك بحق مابيننا من مقدسات .

ــ نعم انني احس بشيء من هذا ولكنه مصر على عدم مصارحتي بالحقيقة ..العلاقة بينه وبين الشياطين فسدت ، وبينه وبين اصدقائه القدامى فسدت ايضا ، وبقى وحده دون نصير .. ولكن العجيب فى الامر ان الشياطين ما انصرفوا عنه الا بعد ما وثقوا انه يقف وحيدا دون نصير .. لقد حرموه كل شيء حتى ابسط حقوقه المدنية وغدا فى نظرهم جرثومة لايرجى منها غير الاذى والفساد !! نعم فقد أبى كل شيء ، ولكن لابد لى ان انتقم له

لمعت عينا امينة لمعانا غريبا ما شهدت مثله قط ثم قالت :

ــ يا حبيبى ، ابوك انتحر ومن ينتحر لا يستحق دمعة تذرف عليه

ــ دعينا من هذا الآن .. خبــرينى عن حقيقة اولئك الشبان الذين تعرفنــا عليهم فى منزل اخيك عثمان .. هل هم جادون فيما يفعلون .. اخشى انهم مدفوعون بالغريزة ضد القيود والحياة المرسومة بالتفصيل

ــ من الخير ان تذهب اليهم .. وحاول ان تعرف منهم حقيقة ما ينطوون عليه .. ومع كل فانهم مجتمعون الآن فى نفس المكان .. وقبل حضورى اليك تركتهم يبحثــون امرك ..

ــ ماذا قالوا عنى ؟

ــ شيء كثير . ولكنهم لم يفقدوا فيــك الامل بعد ؟

ــ احس انهم يريدون الاســتفادة من مركزى بين الشياطين .

ــ افضل ان نذهب اليهم ان كنت تريد

وما ان دخلنا حتى خفوا الينا مرحبين ومسلمين ثم استأنفوا ما كانوا يجادلون فيه .. سمعت احدهم يسأل :

ــ ما هى السعادة .. كل ما كان معروفا عن السعادة قد انتهى .. غدت الدنيا فى مظهر جديد-ولكنــه غير مستساغ .. كل ما تحتويه تنفر منه النفس ويأباه العقــل ولا يتذوقه الذوق ظللت صـــامتا استمع ولكن فى داخلى صراعا مشبوبا .. غــير ان امينة اضطرتنى على الكلام حين وجهت لى الحديث وقالت :

ــ ابدأ المحاولة وقل شيئا .

ــ قلت .. هذا جنون .. ما تقــول يا اخى جنون لا تنتج عنه شيء .. انــكم تدركون ان ما تنوون عمله انما هو ثورة ، والثورة امر مستحيل ، لان ثورة الشياطين هى آخر الثورات .. كل امرىء اليــوم مدرك لهذه الحقيقة ومستسلم لها ! !

ــ قال فتى آخر .. لا يوجد شيء لهــذا مطلقا ليسمى آخر الثورات عدد الثورات غير محدود ، ولو نظرت الى الجوانب التى تستدعى نشوب الثورات لهالك العــدد ، ولظهر لك انها لا تحصى ولا بتقدير الزمن .

عندئذ احسست برعدة هزتنى كأنمــا لمستنى كهرباء ، صمت كتمثال من رخام وشاهدت عيون الجميــع ترمقنى وارهفت الآذان لتسمع ما ســأقول .. ولمــا طال صمتى قالت امينة ..

ــ هل تعتقد ان ما نحن فيه الآن ثورة حقيقيــة ؟

ــ هكذا يقولون على الاقل !

ــ ولكن ما كل ما يقال صحيح بالضرورة .. للثورات قسمات تفرق بينها وبين أشكال الانقلابات الاخرى .. واكبر فارق يميز هذه من تلك ، انما هو التغيــرات النوعية التى تجيء كنتيجة مباشرة للثورة .. اما ان جاء سلطان جديد بتغييرات تنتفى فيها صـــفة النوعية فانما ذلك نظام سمه كما تشاء الا ثورة .. على هذا الاساس قارن بين الحالين وحاول ان تلمس النوعية فى التسييرات التى حدثت هل نحن فى تقدم نحو الامام ، ام نحن فى حالة رجوع الى الخلف ؟

ــ مهما يكن يا حبيبتى فنحن فى ظل ثورة ومن لم يقل بذلك فهو مريض بداء ملــكة الخيال ، ويلزمه اجراء عملية لاستئصــال ملكة الخيال لينجو من هذا الداء العضال !

ساد المكان صمت ، واحسست بالصراع فى داخلى يقوى ويلتهب صراع بين الواقع المر الذى تقاسيه فى حياتنا العامة وبين ولائى لسلطان الشياطين الذى انا واحد منهم كما قال ابى ..

قطع احد الزملاء الصمت فقال :

ـ عجبا .. الخيال مرضى ! الخيال الملكة التى يتصور بها الانسان المستقبل .. الملكة التى ينبعث منها الامل .. الملكة التى تحبب فى التضحية وتحرك الناس للعمل .. هذه الملكة مرضى ! ! واختطفت الكلمة امينة وقالت ..

ـ اتظن ان فى مقدور العلم او اية قوة اخرى استئصال ملكة الخيال ؟

ـ قلت .. لم تسمعى صوت المذيع يكرر النداء ليلا ونهارا من داخل سيارة مصفحة .. النداء الذى امتلأت به الصحف والجدران ويعتبره عقب كل فاصل محطة الاذاعة .. انه اختراع جديد اكتشفه أحد دهاقنة الشياطين ..

ـ اجل سمعت النداء وسمعه كل الحاضرين .. ولكنها خديعة .. اكبر خديعة لكشف المتمردين من المستسلمين والعملية مجرد علامة تميز الاغنام من المواشى ..

وعندئذ ملأ اسماعنا النداء من خارج المنزل

« انك يا اخى مريض .. مريض بداء الخيال .. وهو آخر صخرة فى طريق سعادتك .. افرح .. لقد انتصرت على الداء العضال .. الطريق امامك مفتوحة للشفاء .. بالعمل المضنى ليلا ونهارا من اجل سعادتك اكتشف المسئولون مركز ملكة الخيال .. مركز الداء الذى تشكو منه .. اسرع الآن لاستئصاله فى اقرب مستشفى من مكانك الذى انت فيه .. وبعدها ستنعم بالسعادة الى الابد .. بالقوة كالحيوان ، بالعافية كالآلة .. ونؤكد ان الشفاء مضمون مائة بالمائة .. »

ما ان انتهى المذيع حتى بدات بحق احس بتغيير كبير فى داخلى .. وبدات بالفعل اميل الى منطق هؤلاء الاصدقاء .. ولكن التدريب الذى تلقيته زهاء سنوات ما زال يشدنى نحو الطرف الآخر ..

اخذت أجيل فى نفسى .. المبادىء .. الاخلاق .. المثل .. كلها تشقى الانسان .. ولكن الانسان لا يكون انسانا الا بالمبادىء .. بالاخلاق .. بالمثل .. وبسرعة صممت على شىء وقلت :

ـ ايها الاصدقاء .. حقا ان الظلم يقلب العاقل الى مجنون .. وشدة الضغط تولد الانفجار ، ولا بد للانفجار ان يدوى فى يوم من الايام .. مدوا ايديكم لنتعاهد على ضرورة العمل دفاعا عن انسانيتنا ان لم تكن دفاعا عن اى شىء آخر .

أم السعد

من القصص الشعبي السوداني

بقلم : عباس خضر

كان زوج « فاطمة » عاملا فقيرا ، وكان عندهما سبعة اولاد ، فكانت مضطرة الى معاونة زوجها في كسب الرزق ، حتى يستطيعا ان يربيا اولادهما ويكفلا لهم ضرورات العيش ولهذا جعلت تتردد على سيدة اسمها « خديجة » لتقوم لها بغسل الملابس وحمل ابنتها الوحيدة التى كانت دميمة الوجه قبيحة المنظر . وذلك مقابل بعض الطعام وقليل من النقود .

ولما كانت فاطمة على وشك ان تضع مولودها الثامن ، فقد شعرت بالتعب واضطرت الى الانقطاع عن الذهاب الى الحمام فقصدت الى خديجة وطلبت منها قليلا من النقود كى تدفعها اجرا للحمام فأبت الجارة ان تعطيها متعللة باعذار واهية فعادت الى بيتها متألمة واهنة .

ولما عاد زوجها في المساء اخبرته بماحصل فقال لها :

« **اذهبى غدا الى الحمام وساحاول ان احصل لك على اجرته واتى اليك هناك** »

وفى الصباح ذهبت فاطمة الى الحمام وقضت فيه يومها وهى تنتظر زوجها ، ولكنه لم يحضر حتى جاء المساء . ورفضت حارسة الحمام ان تسمح لها بالخروج قبل ان تدفع الاجر واطفأت النور واغلقت الباب وتركتها وحدها في الظلام وانصرفت .

اخذت فاطمة تصلى وتدعو الله ان يأتيها بالفرج . وبينما هى تعانى الام المخاض مستسلمة لقضاء الله وقدره اذا هى ترى الحائط ينشق ويدخل منه اربع جنيات يحملن سريرا من ذهب وفراشا من حرير ، وقد اضاء نورهن المكان .

فوضعت الجنيات السرير في وسط الحجرة وحملن فاطمة برفق وارقدنها على الفراش الناعم الوثير .

ووضعت فاطمة طفلة جميلة ، حملتها الجنية الاولى في حنان وقالت لها :

« **انى اهبك جمالى الفاتن وشعرى الذهبى** » .

ثم تناولتها الثانية وهى تقول لها :

« **فلينزل من وجهك الذهب والفضة عندما يغسل ، وينزل من رأسك اللؤلؤ والمرجان عندما يمشط** » .

وضمتها الثالثة الى صدرها وقالت :

« **ليسقط الورد والياسمين من جنبيك والنرجس والسوسن عندما تمشين** » .

ثم قبلتها الجنية الرابعة في عينيها الزرقاوين وقالت :

« **لتمطر السماء يا طفلتى عندما تبكين ، ولتشرق الشمس عندما تبتسمين** » .

ونظرت فاطمة فلم تجد اثرا للجنيات . فقامت واخذت قليلا من الماء وغسلت به وجه ابنتها ، فسقطت قطعة ذهبية من خدها الايمن وقطعة فضية من الخد الايسر . .

ففرحت ورفعت وجهها الى السماء وهى تقول :

« شكرا لك يارب »

ولما جاء الصباح ، وفتح الحمام ، وجاءت الحارسة ، اعطتها فاطمة القطعة الفضية ، وأخذت طفلتها بين احضانها وخرجت متجهة الى منزلها ، حيث وجـــدت زوجها حائرا وأولادها يبكون لغيابها . فقال لها زوجها :

ــ اين كنت ؟ لقد ذهبت الى الحمـــام فوجدته مغلقا . وقد تعبت كثيرا و ..

فلم تدعه يكمل بل قاطعته بقولها :

ــ لا عليك .. لا تحمل هما ، فقد وهبنا الله رزقا كثيرا .

ــ كيف ؟ ما الذى حدث ؟ ومن هـــذه الطفلة الجميلة ؟

ــ ابنتنا الحبيبة .

ــ الثامنة ؟

ــ نعم الثامنة ، لقد اتت برزقها ورزقنا معها .

وقصت عليه ما حدث لها فى الحمام ، فدهش وقال فى مزيج من العجب والسرور

ــ يا الهى : هل هذا صحيح يا فاطمة ؟

ــ أجل صحيح ، ولماذا اكذب ؟ هـــذه قطعة الذهب فخـــذها وقم ، اسرع الى السوق واحضر للاولاد طعاما . قل لى اولا ماذا نسميها ؟

ــ نحن جائعون ، والاولاد كانوا يصرخون من الجوع قبل حضورك ، وسأذهب اولا واحضر الطعام ، وسأفكر فى الاسم وانا فى الطريق . ولكن هل الامر يحتاج الى التفكير ؟ فى اسم جالبة الخير والسعادة « أم السعد »

قالت خديجة لخادمها :

ــ الا تعرف شيئا عن فاطمة ؟

ــ فاطمة الغســالة ؟

ــ نعم فقد مضت مدة طويلة لم تحضر فيها ولم نعلم عنها شيئا .

ــ رأيتها ــ ولعلهـــا لم تكن فاطمة فى السوق . كانت تلبس ملابس غالية ومعهـــا طفلة جميلة .

ــ هذا غير معقول ..

ــ وهذا هو الذى منعنى من ان اكلمها ، خشية ان تكون ســـيدة أخرى تشبهها . ورأيتها تركب عربة كانت فى انتظارها ، وبينما كنت اتردد هل اكلمها أو لا اكلمها .. اذ فرقع الحوذى بالسوط وانطلق الجـــودان بالعربة .

ــ ما هذا الذى تقوله ؟ هل تقص على رؤيا رأيتها فى المنام .. ؟

ــ كلا يا سيدتى . لقد رأيت ذلك وانا فى تمام اليقظة .

ــ لابد أن تكون سيدة اخرى تشبهها كما قلت . وعلى كل حال ــ يجب ان تبحث عنها وتأتينى بخبرها .

ــ اننى أعرف منزلها وسأذهب اليهـــا وارى بعينى .

قصد الخادم الى الجهة التى فيها المنزل الذى كان يعرف ان فاطمة تسكنه ، فـــلم يجده ، فقال فى نفسه : ربما اكون قد تهت عنه .. وبحث هنا وهنا .. ثم عاد الى المكان الذى يعهده وتأمل فرأى موضع المنزل القديم قصرا منيفا تحيط به حديقة ذات أشجار وازهار .. فسأل نفســـــه : الم اشاهدها فى ملابس غالية وتركب عـــربة فاخرة ؟ اذن لابد هذا قصرها ! ولكن قصر من وعربة من ؟ فاطمة الغسالة ! عجيب ولماذا لا أسأل ؟ ولماذا لا اقابلهـــا ؟ وماذا يحدث لو تبين انها سيدة اخرى ؟ لن يحدث شيء ، سأطلب مقابلتها وليكن ما يكون .

استقبلت فاطمة خادم خديجة بالترحيب واكرمته ومنحته بعض المال ، وسألته عن سيدته وطلبت منه ان يبلغها الســـــلام ، وقالت له انها تريد ان تسر بزيارتها .

جاءت خديجة لزيارة فاطمة ، وقد اسرعت الى هذه الزيارة بدافع الفضول كى ترى بنفسها ماحدثها عنه الخادم . ورحبت بهـا فاطمة ودعتها الى الاقامة معها فى قصرها هى وابنتها ، فقبلت خديجة .

ولم يكن عسيرا على خديجة أن تعرف من صاحبتها الطيبة فاطمة سر غناها وثروتها فقد حكت لها فاطمة كل شيء .

وكانت خديجة تنتهز فرصة غياب فاطمة ، فتأخذ « أم السعد » وتغسل لها وجههـا

وتمشط شعرها ، وتأخذ ما ينزل من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان .

كبرت « أم السعد » واكتمل حسنها فتقدم لخطبتها كثير من الامراء والفرسان ، واختارت من بين من تقدموا لها ولى عهد الهند .

احتارت فاطمة .. هل تذهب مع ابنتها الى الهنـــد ، أم تمكث مـــع باقى أولادها وزوجها ، فقالت لها خديجة :

-- لا تتعبى نفســـك ولا تقلقى بالك ، أذهب أنا مع أم السعد ، وكونى مطمئنـــة نسأكون لها مثلك تماما .

-- أشكرك يا خديجة ، وسأرسل معـكم ولدى « أحمد » .

ركب الجميع سفينة الى الهند ، وأخذت خديجة معها ابنتها الدميمة .

وفى أثناء الطريق نفذت خديجة ما دبرته .. حبست أم السعد فى حجرة ضيقة مظلمة فى قاع السفينة ، ومنعت عنها الطعـام . فلما جاعت أم السعد رجت خديجـــة أن تعطيها قليلا من الطعام ، فرفضت القاسية أن تعطيها شيئا الا اذا قبلت أن تخلع عينيها اليمنى ، فوافقت المسكينة وفضلت أن تعيش بعين واحدة على أن تموت جوعا .

فنزعت خديجة عينها اليمنى ، ولفتهـــا فى قطعة من القماش ووضعتها فى صندوق .

وبعد مدة جاعت الفتـــــاة من جديد ، وأبت المرأة أن تقدم لها أي شيء حتى تخلع عينها اليسرى ، فرفضت اولا ، ثم اضطرت أن توافق عند ما اشتد جوعها واوشكت على الهلاك ، واحتفظت خديجة بالعين الثانيـــة مع الاولى فى الصندوق .

اقتربت السفينة من بلاد الهند ، وقبل أن ترسو على الشاطىء كانت خديجة قـــد اتفقت مع البحار على أن يرمى بأم السعد فى البحر ، ومنحته مبلغا كبيرا من المال ، ولكن البحار أشفق على الفتـــــاة فاكتفى بانزالها فى مكان قريب من الشاطىء .

* * *

لمح صياد سمك كان على الشاطىء فتـــاة ضريرة تبكى وتصرخ وقد نشر الهواء شعرها الذهبى الطويل على جسمها البديع ، ولطخ الطين ملابسها الحريرية ، فرق لها قلبـــه وأخرجهـــــا من الماء وأخذها الى منزله ، وطلب من زوجته أن تعنى بها وتطعمها لانها بنت مسكينة ، فقالت الزوجة :

أننا فقراء وأصحاب عيال لا نكاد نجد ما يكفيهم ، فكيف تأتى لنا بشخص جديد .

-- ان الرزق بيد الله ، وعسى الله أن يرزقنا جميعا .

فأخذتها زوجة الصياد ، وغسلت وجهها من الطين ، فتساقط منه الذهب والفضة ، فاندهشت المرأة وأخبرت زوجها ، وفرحوا بها وأكرموها وقدموا لها أحسن الطعام .

نزلت خديجة مع ابنتها فى أحد قصـــور الملك بعد أن طردت « أحمد » شقيق أم السعد . وبعد يومين حضرت الملكة لرؤية العروس ، وكانت أمها قد زينتها بمختلف المساحيق والعطور . أمرت الملكة الفتاة أن تســــير ، فراحت وجاءت ، ولـكن الورود والازهار لم تسقط من جانبيها ثم أمرتها أن تغسل وجهها ، فغسلته ولم يسقط منـــه ذهب ولا فضة ، بل ساحت المساحيق وظهر وجهها الدميم على حقيقته ، ثم أمرتها الملكة أن تمشط شعرها ، ففعلت ولم ينزل منـــه اللؤلؤ والمرجان .. قالت الملكة :

-- هل هذه هى أم السعد التى سمعنا عنها ؟!

-- نعم أيتها الملكة السعيدة .

-- اذن لماذا لم تسقط منهـــا الازهار والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان ؟

أجابتها الماكرة :

-- يا سيدتى الملكة . كان معنا فتى اسمه أحمد ركب السفينة دون أن نشعر به لانه متعلق بابنتى ورفضنا تزويجها له ، فسحرها .

و ين احمد هذا ؟

-- لقد طردته بعد نزولنا من السفينة .

صدقت الملكة كلامها وأخبرت به الملك ، فأمر بالبحث عن « أحمد » واحراقه بالنار فى وسط الميـــدان . وعثر رجال الملك على أحمـــد ، وأودعوه السجن وعينوا موعدا لاحراقه .

وانتشر الخبر فى المدينـــــة وتحدث به الناس ، فلمـــا سمعت به أم السعد بكت

وطلبت من الصياد ان يصحبها الى الميدان وقت تنفيذ الحكم .

وفى اليوم المحدد ذهبت أم السعد مع الصياد الى الميدان ، فسمعت أخاها يصرخ ويستغيث ، فصرخت وبكت بكاء شديدا ، فسقط المطر وانطفأت النيران ... ولما كفت عن البكاء انقطع المطر فأوقدوا النار من جديد ، فصرخ أخوها ، فبكت ، فنزل المطر .. فعجب الناس من أمر هذه الفتاة التى تبكى فيسقط المطر ، وتسكت ، فيكف عن النزول ... وأخذها رجال الشرطة .

مثلت أم السعد أمام الملك ، وقصت عليه قصتها ، فأراد الملك أن يتحقق من صدقها فأمرها أن تمشى ، فمشت ، فتساقطت الورود والازهار من جانبيها . وكان ينظر من النافذة الى السماء الغائمة فقال لها وهو يلاطفها :

((ابتسمى يا عروس ولدى الجميلة)) .

فابتسمت ، فانقشع الغمام ، وسطعت الشمس ..

أمر الملك باحضار الصندوق الذى وضعت فيه خديجة عينى أم السعد ، ووضعت الفتاة كل عين فى مكانها ، فأبصرت باذن الله .

وأمر الملك بنفى خديجة وبنتها من البلاد . وأقيمت الافراح والليالى الملاح احتفاءا بزواج أم السعد من أمير الهند المحبوب ، وعاشت معه فى نبات ونبات وأنجبا كثيرا من الصبيان والبنات .

عباس خضر

بقية قصة البخيل

ترددت الزوجة مدة طويلة أمام هذا الموقف العنيد .. هل تستمر فى كذبها وتنصت الى جوعها أم تشفق على حال زوجها فتعطيه الكرة السابعة ..

اشتد العناد بين الطرفين وأصر كل منهما على موقفه ولا يريد أن يحيد عنه قيد أنملة . ان صلابة الرأى تحول دون ايجاد حل للموقف ..

انهارت أخيرا أعصاب الزوجة فأخذت تصيح : ((يا رفاق .. ان زوجى مصر على الموت بسبب كرة فقدت من طعامه . فهل يرضى أحدكم عن هذا التصرف المميت ..؟)) ثم أخذت تردد هذه العبارة عدة مرات الى أن وصل جميع افراد اسرتها واسرة زوجها .. فأخذت تقص عليهم القصة من بدايتها الى أن اختتمتها بقولها : ((مادام زوجى مصمم على الموت فاحفروا له حفرة وادفنوه فيها)) .. لقد ظنت أن هذا التهديد علاج للموقف .

قالت الزوجة هذه العبارة وهى تقاسى الامرين .. انها تعانى صراعا داخليا بين حبها لزوجها وبين الاصغاء لجوعها .. انها تحاول عدم ازاحة الستار عن كذبتها .. لقد تجمد عقلها وانشل تفكيرها .. وبدت كالخرساء المذهولة ..

وذهب بعض الاقارب ليحفر القبر وبينما ذهب البعض الاخر ليحضر الكفن .

وما ان رأت زوجها وقد لف بالكفن حتى همست له فى أذنه : ((انك فى طريقك الى المقبرة .. فهل ترضى لنفسك ان تدفن حيا من أجل قطعة من الطعام ..؟)) فأجابها الرجل بصوت خافت : ((أجيبى أولا على سؤالى .. هل احضرت الكرة السابعة التى خطفتها العنزة ..؟))

ازاء هذا الاصرار وهذا العناد وصلابة الرأى لم تجد الزوجة بد من أن تقول للحاضرين : ((ادفنوه)) ..

حمل الناس الرجل على الاعناق وساروا به الى المقابر .. وهناك أرادت الزوجة أن تعطى للزوج فرصة أخيرة لانقاذ حياته .. فطلبت من المشيعين الابتعاد قليلا عن زوجها واقتربت منه وانحنت عليه فى رفق وحنان وتوسلت قائلة : ((ان الموضوع أصبح جدى ، كما ترى ، أنت بجوار المقبرة .. هل يرضيك أن تدفن وتموت من اجل الكرة المفقودة ..؟))

فما كان من الرجل الا أن قال لها فى صوت خافت : ((هل أحضرت الكرة السابعة ..؟))

ولما انصرف الناس اقتربت الزوجة من الثقب الموجود بالمقبرة وقالت لزوجها من خلاله : ((ها أنت قد دفنت فهل تقبل الموت بشىء تافه كهذا ؟)) فأجابها الرجل من داخل المقبرة : ((هل أحضرت كرة طعامى ..؟))

((ترجمة محمد شريف))

أضواء على أوغندا واقتصادياتها



الجغرافية الطبيعية :

ظواهر اوغندة الطبوغرافية متنوعة جدا ففيها السهول الفسيحة والهضاب العالية فهي تشمل القسم الشمالي من الهضبة الافريقية بارتفاع ٤٠٠٠ قدم وبها قمم جبلية اهمها جبل الجن ارتفاعه ١٣٦ر١٤ قدم وعلى الحدود الغربية مجموعة جبال رونزورى ، وتخترقها الانهار العديدة .

ونجد أن عدم وجود تغير واضح فى فصول المطر يجعل الزراعة ممكنة طول العام ، رغم ان هذا النوع من المناخ لايرحب به الاوروبيون بل يثير اعصابهم العام ، رغم أن هذا النوع من المناخ لا يرحب به الاوروبيون بل يثير اعصابهم وصفوة القول ان هذا المناخ يلائم التقدم الزراعى لكنه لا يلائم الاستيطان الاوروبى .

ومن ناحية الحياة النباتية نجد انها تقع داخل نطاق منطقة الاعشاب السائدة فى شرق افريقية اما الغابات الموجودة فى الجهات الغربية فتنتمى الى غابات افريقية الغربية . وفى اقليم البحيرات والجبال تسود اعشاب السافانا الطويلة ، وفى المستنقعات تنمو نبات كالبردى والبوص والحلفا .

وكذلك نجد ان التربة من اهم العوامل التى تؤثر فى اقتصاديات الدولة فالدراية الواسعة بالتربة تساعد على تخطيط المشروعات الزراعية على اساس تكوينها وخصوبتها .

ونجد ان سكان اوغندة يتكيفون اقتصاديا متخصصين كل فى حرفة او ميدان اقتصادى فالوطنيون رعاة وزراع والاوروبيون حكام واصحاب اقطاعيات والهنود والاسيويون تجار اغلبهم .

موارد الثروة :

تتمثل هذه الموارد فى انواع مختلفة من الانتاج الزراعى ــ الحيوانى الثروة الطبيعية التى يمثلها استغلال الغابات ــ الثروة السمكية ــ الثروة المعدنية .

اولا ــ دراسة الانتاج الزراعى :

يساهم الانتاج الزراعى بأكبر نصيب فى اقتصادها اذ انه يمثل حوالى ٦٠ ٪ من صافى الدخل النقدى وتنقسم المحاصيل الى ا .

١ ـ الغلات الغذائية ممثلة فى المحاصيل الورقية (اليام والكسافا والبطاطا) .

٢ ـ الموز بنوعيه ..

٣ ـ الحبوب الغذائية (الذرة بأنواعها) .

٤ ـ قصب السكر ..

٥ ـ الغلات البقولية ..

٦ ـ الفاكهة والخضروات ..

ثانيا ـ المحاصيل النقدية :

وتتمثل فى القطن ـ البن بنوعيه ـ الشاى ـ الطباق ـ الغلات الزيتية .

بالنسبة للغلات الغذائية يمكن تقسيم البلاد الى قسمين :

١ ـ فى الجزء الاكثر رطوبة والاخصب تربة والذى يضم بوجندة والمراكز المجاورة نجد أن الموز هو الغلة الغذائية الرئيسية ..

٢ ـ اما فى النصف الثانى الاكثر جفافا لا تلائم الظروف الطبيعية الموز فيحل محله الذرة ..

وفى كل من المنطقتين نجد الغلات الغذائية الاخرى مثل البطاطا ـ الكسافا ـ اللوبيا ـ الفول السودانى ـ البقول ـ السمسم ، والبولو يعتبر الغلة الغذائية فى الاجزاء الجنوبية من المديرية الشرقية والشمالية . ولقد رات الحكومة اهمية هذه الغلات فأجريت التجارب للتقدم فى انتاجها جنبا الى جنب مع الغلات التجارية فى مراكز التجارب المختلفة .

البقول :

الاقليم الوحيد بالمحمية الذى يزرع به البقول هو كجيزى حيث يكون غذاء رئيسى وكذلك تزرع فى بوغندة وبسوجا ومعظمها تزرع للبيع المحلى .

وبالنسبة للفواكه والخضروات يمكن القول انه بفضل المناخ تعتبر أفضل الاقاليم الاستوائية ، وعلاوة على ذلك فان معظم أجزائها معتدل لدرجة تمكن لنمو زهور وخضروات .. اهم الفواكه الموز ـ الكمثرى ـ الليمون ـ البرتقال وغيرها من الفواكه الجيدة النوع ونجد ان المانجو اكثر الفواكه انتشارا بالمحمية .

بالنسبة للغلات النقدية :

نجد ان القطن سيد المحاصيل واهم الغلات .. واهم مناطق زراعته بوجنده وفى المديرية الشرقية حيث يعتبر المحصول الرئيسى وهو لا يزرع فى شمال المحمية حيث المطر اقل ولا تلائم الظروف المناخية زراعته هناك.وبالنسبة لمركز المحمية فى تجارة القطن فانها تحتل مركز الصدارة فى قائمة الصادرات ، ويتأثر كسائر الغلات التجارية بالاحوال الاقتصادية فى العالم . فلانتاج القطن مركز ممتاز وان كان لا يزيد عن ٢ ٪ من الانتاج العالمى ، كما ان مركزها بين المستعمرات البريطانية يعتبر الاول وهى المنافسة الوحيدة للسودان بين الدول التى تعتمد عليها انجلترا ، ومتوسط الصادر منه سنويا ٨٠ ٪ من قيمة الصادرات كلها .

البن :

يلى القطن فى الاهمية بين الغلات الاقتصادية ولقد صدر من اوغندة سنة ١٩٠٣ وشجعت الحكومة زراعته كمحصول نقدى بجانب القطن خصوصا أثناء الازمة التى اعقبت الحرب العالمية الاولى ، وتعتبر البلاد من اكثر البلدان المنتجة للبن ، وهو يحتل فى تجارتها المركز التالىللقطن مباشرة فى قائمةالصادرات ونجد ان مقدار الصادر كان فى تزايد مستمر منذ ان بدىء فى زراعته الامر الذى ادى للتوسع فى زراعته وانتاجه ، ولقد دخل فى قائمة الصادرات لاول مرة سنة ١٩٠٢ ويزرع نوعين هما البن العربى وبن الروبستا ، ويختلف كل منهما عن بعض فى مميزات النبات والزراعة وتطور الانتاج .

الشاى :

أدخلت زراعته مع الاستعمار سنة ١٩٠٠ وتتركز زراعته فى ايدى الاوربيين وبدأ يصدر سنة ١٩٣٠ وله مركزه البارز فيحتل المركز الرابع فى الاهمية بين الغلات النقدية .

الطبـــــاق :

كما انه يعتبر محصولا نقديا هاما فى بعض الجهات وهـــو فى ذلك يلى القطن والبن ويفـوقهما .

الثروة الحيوانية :

تعتبر البلاد فى الاصل بلادا رعوية ، فالرعى هو الحرفة السائدة اذ تغطى الحشـــائش الطويلة ٨٧٪ من المساحة الكلية ونحو ١٠٪ مناطق حشائش قصيرة او اعشـــاب وتصلح جميع هذه المناطق لرعى الماعز والاغنام ، أما الماشية فالمساحة التى تصلح لرعيهـا ٣٨ ٪ من مساحتها ومعظم المناطق تصلح للزراعة الى جانب الرعى عدا مناطق الشـــمال الشرقى (مساحة قدرها ٨٠٠٠ ميل٢) .

ولا يلعب الانتاج الحيـــوانى دورا هاما كمورد للغذاء او كغلة تجارية لانتشار ذبابة تسى تسى فى كثير من اجزائها ، وتسود تربية الماشية واستخدام الثيران فى الحـــرث فى الجهات الخالية من الذبابة ، وهـــذه تعتبر موردا هاما للحوم وبالتالى للجلود .

ويعتبر الصـــــيد حرفة هامة لدى بعض الجماعات فى الجهات الشمالية ، والشمالية الغربية وهناك نوعان من المناطق :

١ ــ مناطق محرمة : لا يجوز الصيد فيها ..

٢ ــ مناطق مباحة : وتعطى مصلحة الصيد ــ التى انشئت لتنظيم هـذا العمل ــ تصاريح للصيد فيهـا بمساحات محدودة

واهم الحيوانات البرية ، ذات القيمـــة الاقتصادية الفيلة التى توفر ثروة عظيمة من العاج تلعب دورا هاما فى اقتصاد البـــلاد وتحتل مركزا هاما فى قائمة الصادرات ..

ثالثا ــ الثروة الطبيعية :

نظرا لوفرة الامطار اصبحت البيئة صالحة لنمو الغابات فى معظم جهاتها باستثناء جهاتها الشمالية والشرقية القليلة المطر ، ولا توجد فى الوقت الحاضر مساحات بهـا نباتاتهـــا الطبيعية الاصلية سوى جهات محدودة مثل غابات المابيرا وبودونجو وسفوح الجبال العالية وذلك بسبب ازالتها للزراعة ، واخشـــاب هذه الغابات ذات أهمية اقتصادية ، فبالاضافة الى استخدامها فى اغراض الوقود واعمـــال السكك الحديدية ، تصـــدر الانواع الممتازة منها واهمها الايروكو والماهوجنى . ولقـــد ادركت الحكومة خطورة ازالة الغـــابات ، فعملت على تحديد ذلك بتحصيل ضريبة عن كل منطقة تزال منها الغابات ، وذلك بانشاء مصلحة الغابات التى تتلخص سياسـتها فى المحافظة على الغابات واعادة تشـــجير بعض المناطق بأنواع الاشجار ذات الاخشاب العظيمة القيمة .

رابعا ــ الثروة المائية :

تتمثل أهم هـــذه الثروة فى أنها مورد للاسماك ، اذ ان بحيرة فيكتوريا تعتبر أكبر مصايد اسماك المياه العذبة فى العالم ، كما أن الاسماك لها أهميتها فى سد النقص الغذائى فمعظم الانتاج يستهلك محليا باستثناء الصادر الى الكونغو البلجيكى والى الدول الاخرى بشرق افريقية .

وبالاضافة الى أهمية المسطحات المائية فى انها وسيلة سهلة للنقل ومورد للاسماك فهناك ناحية اخرى تفوقها اهمية وهى المساقط المائية واستخدامها فى توليد القوى الكهربائية وفى طليعتها سد اوين سنة ١٩٥٤ الذى يعتبر اول عمل من اعمال ضبط النيل فى منطقة المنابع الاستوائية ، وبلغت تكاليفه الكلية ٣٠ مليون جنيه . وهذا السد يقع على بعد ٣ اميال من جنجا . واما عن توليد الكهرباء فلهذا السد تأثيره الكبير على اقتصاديات المحميـــة ، ولن يقتصر عمل القوة المولدة منه على خلق حركة صناعية بها لصناعة المنسوجات وغيرها فحسب وانما سيكون هناك فائض من القوى الكهربائية يمكن تصديرها الى الجهات المجاورة . وبذلك يصبح هذا الاقليم الاستوائى من أكبر مراكز تصدير الكهرباء فى العالم وبالنسبة لمصـــادر الوقود بالمحمية نجد انهـــا تحظى بنصيب ملموس من موارد الوقود المحلية ، غـير ان مصادر القوى المائية السابق الاشارة اليهـــا اصبحت تضيف الى اقتصـــادياتها وسيلة متزايدة من القوى المحركة ..

بعد هذا العرض الاقتصادى بأوغندا يجدر ختام المقال بتقسيمها الى وحدات اقتصادية

كل منها يتميز تمييزا خاصا يعتمد فى تحديدها على اساس طبيعى وبعضها ليس الا وحدات ادارية .

١ ـ اقليم بحيرة فيكتوريا :

يعتبر من اكثر مناطق اوغنـــدة كثافة فى السكان اذ يضم اكثر من نصف سكان البلاد ومن أهم المناطق فى الانتاج الاقتصادى اذ يتركز فيه زراعة القطن ومساحات كبيرة منه تزرع بالبن يضم اهم المدن التى تعتبر مراكز المواصلات والاسواق الكبرى .

٢ ـ اقليم كيوجا :

يتميز بأن امكانيات التقدم الاقتصـــادى متوفر وتوجد به مناطق مستنقعات يمكن بعد تجفيفها ان تتحول الى مناطق هامة فى الانتاج الزراعى حيث يتوفر المطر اللازم .

٣ ـ اقليم جبل الجن :

يعتبر من مناطق الزراعة النشـــطة الى جانب اهميته فى الرعى ، ونجد ان منحدراته تمتاز بأنها مناطق يصعد اليها السكان فى هجرتهم الفصلية فى فصل الجفاف .

٤ ـ اقليم كاراموجا :

من اقل الجهات مطرا فهى منطقة غـــير صالحة للزراعة بل هى للرعى فقط ، ومن ثم احتل مركز كراموجا اهمية نسبيةفى الحيوانات التى يحتويها وهو من اكثر المناطق فى احتوائه على مشكلات الارض .

٥ ـ الاقاليم الشمالية والشمال الغربى :

من المناطق القليلة السكان وتعتبر من اكثر جهاتها تعرضا لذبابة تسى تسى ولذا كانت بها مناطق المحافظة على الحيوانات البرية ، ونجد ان الزراعة قليلة بالنســـبة للرعى ، ويعتبر الدخن الغلة الرئيسية بها والطباق من الغلات التجارية الهامة واذا اضفنا انها من اهم مناطق الصيد امكننا أن ندرك انها منطقة متنوعة الغلات ولها مستقبل هام فى اقتصاديات اوغندا .

٦ ـ الاقليم الغربى الاوسط :

يعتبر من الغلات التجارية مثل القطن والبن والشاى .

٧ ـ اقليم تورو :

نجده من مناطق الزراعة الهامة الوطنيـــة والاوروبية بالاضافة الى انه من المناطق التى تكثر بها الاغنام لاعتدال جوها نوعا ، وهى من مناطق الاستيطان الاوروبى لاعتدال مناخها بسبب الارتفاع ، وفيما عدا مناطق انتشار الذبابة فى الجنوب يعتبـــر اقليم من اغنى المناطق واكثرها ملائمة للنشاط وبذل الجهد ومناطق الجنوب من مناطق المحافظـــة على الحيوانات البرية .

٨ ـ اقليم الانكولى :

يضم طبقة الباهيما الحاكمة والطبقـــة الثانية العامة من البانتو وهم الزراع فالزراعة حرفة ثانويةممثلة فى الغلات الغذائية باضافة الى الطباق ، وبه اهم المعادن بالبلاد ممثلة فى اقليم كجيزى ، كما ان بحيراتها مصدر للملح .

وختاما لهذا القول تمتاز اوغندة بأنهـا قطر زراعى رعوى لم تعمل فيه يد الاستغلال المنظم الا منذ عهد قريب . ولهذا فليس به من الصناعات الحـــديثة الا ماله ارتباط بنهضة الزراعية. فهى بلاد بكر ذات امكانيات وفيرة لم تستغل اقتصاديا على الوجه الاكمل ولا يزال مجال التقدم واسعا امامها . فلقد تألف اخيرا اتحاد اوغندا للتنمية الاقتصادية لتصميم وتنفيذ المشروعات الاقتصادية الجديدة ويعتبر سد اوين لتوليــــد الكهرباء اعظم المشروعات الاقتصادية ، ولا يقتصر نفعه على اوغندا فحسب بل ليتعداها الى غيرها من دول افريقية المجاورة ، فبفضله تصير بحيرة فيكتوريا اعظم خزان للمياه فى العـــالم ، ويضاف الى ما تقدم ان هذا المشروع سيؤمن مركز اوغندا الاقتصادى ازاء التقلبات العالمية فى الاسعار خصوصا فى القطن والبن

« محبات امام الشرابى »

جولة فى افريقية

بقلم بشرى فريد

« حزب الشعب الافريقى بكينيا »
يعضد حكومة كينيا

قام مستر « بول نجى » رئيس حزب الشعب الافريقى بتغيير مركزه السياسى فبعد أن كان من احزاب المعارضة أعلن رسميا انه يعضد الحكومة وقد بدأ مستر نجى خطته بأن أدلى هو شخصيابيان رسمى ألقاه امام الاعضاء قال فيه : « انه هو وزملاءه فى الحزب السياسى يريدون الاتحاد مع الحزب الحكومى لذلك فهم يريدون الانضمام الى حكومة كينيا الوطنية اذ انها حكومة تهتم بالمصالح الوطنية الى أقصى درجة » .. وبذلك أصبحت المعارضة تتكون من ٣١ مقعدا مقابل ٧٢ مقعدا تحتلها الحكومة كما ان تغير موقف حزب الشعب الافريقى قد منح الحكومة نسبة ٧٥ ٪ التى تحتاج اليها بالنسبة لاعضاء مجلس النواب كى تتمكن من الموافقة على تغيير وتعديل الدستور .

وقد اغتبط أعضاء الحكومة واعضاء المعارضة على السواء وهللوا للتطورات التى حدثت فى سياسة حزب الشعب الافريقى . أما سبب اغتباط الحزب الحكومى فمفهوم اذ أن تعضيد هذا الحزب له قد منحه الاغلبية العظمى فى مجلس النواب أما سبب اغتباط المعارضة فهو من أجل تخلصها من هذا الحزب الذى كان يعارض مطالبتها بالسياسة الاقليمية .

جزائر كومورو
تطالب بالاستقلال

هبت جزائر كومورو تصيح فى وجه فرنسا تطالب بالاستقلال العاجل وقد اتسمت هذه الصحية بصورة من القوة والشدة . ففى أغسطس الماضى قامت مظاهرة عنيفة خارج السفارة الفرنسية بدار السلام تطالب بالاستقلال ثم بعث مستر « أ.م صفير » السكرتير العام لحركة التحرير الوطنية فى كومورو . وهى الحركة التى قامت بالمظاهرة المشار اليها ، بعث برسالة شديدة اللهجة الى الرئيس ديجول يستحثه فيها بسرعة استقلال جزائر كومورو وقد اشتدت هذه الرغبة عند سكان هذه الجزائر فى أوائل هذا الصيف وقام الخطباء باثارة المشاعر عندهم هذا فضلا عن شعورهم بتخلفهم عن البلدان التى انتزعت استقلالها وتنعم الان بحريتها .

مشاكل تواجه
الرئيس هوفوى بوانيه

هناك ثلاثة مصادر معارضة للرئيس هوفوى بوانيه تتلخص فيما يلى :

١ — **نقابات العمال :** يسود النقابات العمالية سخط شديد بسبب تجميد الاجور فى وجه الزيادة المستمرة فى نفقات المعيشة .

٢ — **رجال الفكر من الشباب :** وهؤلاء الشباب يتوقعون ان تسند اليهم مناصب تتناسب ودراساتهم وفى آبيد جان يشغل الفرنسيون كثيرا من المناصب التى كان يمكن لهؤلاء الشبان أن يقوموا باعبائها .

٣ — **اقليم سافوى :** هناك على الحدود المشتركة مع غانا حركة قائمة من أجل اقامة حكم ذاتى لسافوى فى هذا الاقليم وهذه الحركة تحظى بتأييد اكرا حيث يعيش كثيرون من زعماء سافوى وكانت نتيجة هذه المعارضة مؤامرة « يناير » التى قمعتها الحكومة غير ان السخط بدأ مرة أخرى يسود بعض القطاعات وقد عمدت الحكومة

الى تكوين ميليشيا من الفى رجل من قبيلة باءوونى وهؤلاء يقفون حراسا فى جميع الاماكن الرئيسية فى ابيدجان .

الاسلام ينتشر بسرعة فى دول افريقيا السوداء

قام مستر « دافيد هابنود » عضو معهد الشئون العالمية الراهنة بجولة فى أفريقيا استغرقت سنتين حاول فيها الوقوف على كثير من الظواهر الافريقية الجديدة وعقب عودته الى نيويورك صرح بأن الدين الاسلامى اخذ ينتشر بسرعة فى دول افريقيا السوداء كما أكد بأن الاسلام يعتبر الدين المسيطر فيها وقال ان احساسهم تجاه العرب مازال متأخرا كما ان معرفتهم بالزعماء الافريقيين ليست بالصورة التى أصبحت حقيقة ثابتة يتمتع بهما معظم الزعماء الافريقيين مثل الرئيس ناصر والرئيس بن بيللا .. ويعكف الان مستر « هابنود » على وضع كتاب يشمل ما جمعه من معلومات عن أفريقيا .

حول قوات الامم المتحدة الموجودة فى الكونغو

لقد ارسلت الامم المتحدة ١٩٫٠٠٠ جندى الى الكونغو لحفظ النظام والامن عندما اشتعلت نيران الحرب الاهلية هناك . ولم يبق الان فى الكونغو سوى ٥٠٠٠ جندى وقد طالب يوثانت بتسريح تلك القوة من الكونغو ذلك لان العمليات الحربية فى الكنغو قد كلفت الامم المتحدة نحو ٣٤٠ مليون دولار، أضف الى ذلك أن الكتلة الافريقية الاسيوية اصبحت تعتبر القوة الدولية فى الكونغو احتلالا لهذا الاقليم .

ولكن بريطانيا وامريكا وبلجيكا تخشى ان يؤدى الانسحاب الى عواقب وخيمة للاسباب الاتية :

١ — لقد كان لتشومبى فى كاتانجا ٢٠٫٠٠٠ جندى لم ينضم منهم الى جيش الحكومة المركزية سوى ١٠٠٠ والباقون طلقاء رغم أنهم مسلحون .

٢ — ان هناك تنازعا وتناحرا بين القبائل ويقول أحد موظفى الامم المتحدة انها على وشك الاشتباك وقتل بعضها بعضا فى منطقة لوالايا ..

٣ — حقا ان تشومبى فى الخارج ولكن يحتمل أن يقوم أذنابه فى الداخل بحركة ..

٤ — ان التوتر لايزال سائدا فى كل مكان ..

٥ — ان جرائم النهب والسرقة والاغتيال منتشرة وقد يشترك فى ارتكابها أحيانا بعض جنود الحكومة المركزية ..

٦ — أن الحكومة البلجيكية ليست مطمئنة من ناحية سلامة ٦٠٫٠٠٠ من رعاياها هناك .. أن الامم المتحدة اذا فكرت فى سحب قواتها من الكونغو قبل أن تنتهى المهمة التى من أجلها أرسلت قواتها هناك فانها بذلك قد خسرت الكثير من سمعتها الدولية ..

((بشرى فريد))

كتاب الشهر

اتجاهات فى الشعر الافريقى

بقلم صمويل آلين

عرض وتقديم

* الاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

العرض العام للشعر الافريقى

والشعر الافريقى أو بمعنى أدق الشعر الذى نظمه أفريقيون لحماً ودماً بوحى افريقية وللتعبير عن مشاعر الافريقيين له كل سمات القصيد فى اللغات التى كتب بها فضلا عن قوته البيانية وعن طاقته البلاغية كأحسن ما كتب بلغة الفرنسيس أو باللغة الانجليزية .. ، ولكن الطابع البارز فيه هو قوة الثقة بالنفس فى التعبير عن الجنس والثقافة ، كما تبرز فيه أيضا صورة التحامل نحو الاتجاهات الغربية ، والشاعر الافريقى بالرغم من انه قد ينظم قصيدة بالفرنسية أو الانجليزية انما يكتب بدرجة أكبر لنفسه وللافريقيين بأكثر مما يكتب لعامة القراء من الغربيين ، ولا يخلو انتاج شاعر افريقى من حديث الالم الواقعى لتحطيم أسلوب الحياة القديمة فى الطابع الذى عرفه الاسلاف القدامى ، ومن ان سنغور يبدأ دراساته بقصيدة ليون داماس شاعر غيانا الفرنسية فى أمريكا الوسطى (٢) الا أنه كانت هناك قصيدة أصلح من شعر « دافيد ديوب » من شعراء السنغال والتى يقول فيها :

● ((لقد سطعت الشمس فوق كوخى ...

وكانت زوجاتى المطواعات الجميلات

يهززن اجسامهن كما يهتز سعف النخيل مع هواء المساء ..

وقد نشرها « أولمب باصير » فى كتابه « دراسة لشعر غرب افريقية » اصدار مطبعة جامعة ابيدان بنيجيريا سنة ١٩٥٧ ص ٥٤ .

وفى هذه الصورة وغيرها من المجموعة التى اختارها ليبولد سنغور تبدو افريقية « الفردوس المفقود » لذكريات شباب قد غاب وحضارة تبدو فى طابع مبهم من وراء سجف حضارة جديدة غريبة عن خيالات الشاعر وعن مصادر وحيه والهامه ، **وهنا يبدو بوضوح أن الشعر الافريقى يعنى اكثر مما يعنى بواجب استفادة صورة العالم الافريقى قبل غزو القارة وقبل استرقاق أهلها ، الصورة التى هى الجزء المتكامل مع الاصل قبل ان يعدل من الكيان العام للأرض وللناس الفكر الاوروبى .**

والشاعر لا ينسى هنا أنه هو نفسه يكتب ليعبر عن آرائه وينظم القصيد ليبرز أصداء نفسه ولكنه يكتب بلغة أجنبية عنه غير أصيلة بالنسبة له ، ثم انه يجد قصيدة ينظر اليه احيانا على انه حلقة من تطور اللغة التى يكتب بها ، هذه اللغة التى وجد مع تحرره انها لغة المستعمر الذى أرغمه على أن يتعلمها وسط صدمات أسلافه الذين قتلهم المستعمر وحرق قراهم ، ولكنها - هذه اللغة - لم تلبث أن صارت الوسيلة للتحرر من هذا المستعمر الغاصب .

واللغة فى الواقع مسألة لها حساسيتها

الاستعمارية لأنها كانت الوسيلة التي مكنت الشاعر الافريقي من أن يعبر عن مشاعره ومشاعر اخوانه المتطلعين الى الحرية التي تبرز من وراء الافق في السهل .. وفي الغابة وفي الجبل ... في كل ركن من أركان القارة التي عرفت الضوء ولم تعد تلتحف بالظلام .

على ان انشغال الشاعر الافريقي بأمر اللغة في خضم عالم له ثقافته الغربية عنه .. قد أدى الى ميلاد طابع جديد في اللغة والاصطلاح في الواقع بالاصطلاح السهل الفرنسية « طابع الزنجية Negritude التعريف والتوضيح بل انه في الواقع يخدم عدة أغراض مختلفة متباينة بالنسبة لأولئك الذين يستعملونه ، فهو قد يعني من جانب محاولة الشاعر الافريقي الزنجي لأن يستعيد « الجنسية » لاخوانه ذاتية عادية .. وأن يستعيد لنفسه ثقة سبق ان فقدها من قبل ، وان يحقق لنفسه ولاخوانه دورا هاما في العالم ، « وطابع الزنجية » ليس هدفا يقصد الوصول اليه وادراكه وتحقيقه بقدر ما هو فكرة .. مثالية .. اتجاه .. سمه ما تسمه .

وقد يكون خير من عبر هذا هو «رومان» وهو زنجي أمريكي من منطقة البحر الكاريبي ، وهو يقول في قصيدة له نشرها سارتر في « اورويفورس الاسود » :

« أن لروحك انعكاسات في الحياة الهامسة ..

حيث مال اباؤك بوجوههم الداكنة »

« وهذه الحركات الخفية تغمرك مع الامواج ..

على حين ان الرجل الابيض الذى جعل منك خلاسيا »

« لم يعد شيئا اكثر من زبد تافه .. مثل بصاق ملقى على الساحل .. »

ولكن لم يعد الامر يتطلب هذه المقارنة بين انسان وانسان ولم يعد الافريقي في حاجة الى أن يتسامى ويتعالى ليقف امام الرجل الأبيض موقف الند للند ... بل أنه يخرج من نطاق الحديث عن البشر ليتحدث عن الله سبحانه وتعالى الخالق القادر الذى صنع الرجل الأسود ... وابدع خلقه وتصويره ...

وهنا نجد ارماتو armattoe الشاعر الذى عاد من أوربا الى وطنه غانه ليقول :

« ان الاهنا أسود
أسود في دكنة لا نهاية لها : »
« وله شفتين غليظتين
وشعر فاحم مفلفل مع عينين رماديتين »
« ومن صورته هذه خلقنا نحن
ان الاهنا أسود » ..

ويحقق « سنغور » تعبيرا جماليا أكبر في قصيدته « المراة السوداء » :

« اينها المراة العارية .. اينها المراة السوداء

المتدثرة في لونك الذى هو الحياة»

« في صورتك الجميلة ..

نموت في ظلك .. واعمت عيني حلاوة يديك »

« وهنا في وسط الصيف وفي منتصف النهار

وجدت الارض الموعودة »

« ان جمالك يملا اعماق نفسي في سرعة خاطفة

كما يصيب الرعد النسر الذى يعلو في كبد السماء »

على ان هذه النماذج انما توضح لنا الوسائل التي يستطيع بها الشاعر الافريقي أن يصور بها خيالاته في عالمه الذى يعيش فيه ، دنيا تستمد من الحياة السابقة لثقافاته المتحطمة حياة قريبة من الأرض ومن العناصر التي تختلف وتتباين عن طابع الأرض الجديدة التي لمستها يد التصنيع ، حياة مقتطفة من الطبيعة التي كان كل مظاهر نموها هذه الحاصلات التي تجيء مع الحلقة الدائمة الدوران مع فصول العام ..

ولقد أوضح الأب بلاسيد بتمبلد في كتابه « فلسفة البانتو » ان العالم بالنسبة للفرد من البانتو انما هو « روح » ، قوة

وانما هى هذا المخلوق ، وهـــذا الشيء نفسه ، وان كل ما يزيد من هذه القــوة الحاسمة لهو خير ... وكل ما يقلل منها لهو شر ، وان الانسان ... الحجـر ... النمر ... كل شيء على سطح الأرض أو فى أعماق البحر انما هو مظهر من مظاهر هذه القوة الحاسمة التى تنمو وتزداد أو تقـل وتضمحل بالحوادث ، ولا يوجـد أى شيء منفصل عن الآخر فان العالم هو استمرار لهذه القوة التى يتفاعل فيها ردفعلالوجود عندما يصاب أو يتأثر أى جزء منه .

والانسان فى هذا الكون هو أسمىتجسيد لهذه القوة الحاسمة ، وأنه بواسطةأو عن طريق السحر أو الطقوس الدينية ... أو استخدام الدمى أو ارتداء التعاويذ ... وغير هذا يستطيع « هذا الانســان » أن يؤثر فى مختلف مظاهر هذه القوة ... ذلك لأن هذه المظاهر المختلفة تتناسق معـا ــ برغم تباينها واختلافها ــ تتناسق روحانيا.

ويتوسل سنغور الى قوة « العاصفة » العاتية :

« قبلى شـفتى ابنهــا الروح ، وانفخى .. »

« فى أوتار الاسنتى الموسيقية .. »

« حتى تسموا غنيتى نقية كذهب

« جالام »

وهذه الفكرة عن « كون » الانسان فيه واحد بين آحاد أخرى من صور قوة الحياة للطبيعة مكنت الشاعرة « افوا مورجى » من غاية أن تنتفع من «رمز الافعى والعذراء» فى قصيدتها الاخاذة « التخلص من العبودية » والقصيدة من القصيد الرمزى الطويل .. وقد تكون أهم سطورها : (٥) .

« الافعى التى يجب ان تمتص رحيق الحياة من بيض الدجاج

انك تشم عبير العذراء حواء

ومن الضرورى ان تستجيب »

« لقد وقفت على قيـــد خطوة منى

واستدارت نحوى روح مزقت كيانى

حتى التف جسمى فى كومة لا قدرة لها

وتساقط السم الذى كنت استخدمه لسلاح ودرع

وتجمد كل مافى تحت وقع النظرات النفاذة

التى كانت تنبعثمن روحهاالمتخلصة من العبودية والاسر »

ومن الجلى الواضح أن هذه هىخيالات أناس يعيشون على الارض أناس يرتبطـون بالأرض ، ويتصـــلون وثيقا بالطبيعــة لا اصطناع فى حياتهم ، انهم هم جسمالعالم .. الجسم المكون من لحم وعظام ودم .. ولكنهم هم كل ما فى العالم من روح ...

الانتفاع بالمادة الخـــام فى القصص الشعبى وفى التقاليد الاجتماعية

على ان هذا الارتبـــاط الوثيق بالارض صحبته عناصر أخرى وضـــحت فى بعض الصور الجنسية التى تتحدث عن أجزاء من جسم المراة وعن مشاعرمثيرة يحس بهـــا الشاعر ، يكتب سنغورة فى قصيدة له عن (الكونغو التى ترقد فى فراش من الغابات ملكة على إفريقية المستعبدة) ويصف فى مرة أخرى « الغرود اللينة » التىيتسلقها، ويكتب غيره عن (علائم الانوثة الناضـجة التى تتوسط الصدر مصنوعة من الستان الاسود مليئة لامعة تحت ابتسامة بيضـاء وعينين ســـوداويتين تضيئان فى الوجـــه الاسود) ، والستان الاسود هنا هوالبشرة الجميلة السمراء .

والشاعر هنا ــ على ما يقول صموئيل آلن فى ص ١٨٩ من دراسته ــ أبعد مايكون عن منطق الجدل فى مناقشة سحر الحسناء التى احبها ،ويتغزل فى قطع من هنا ومن هناك من الجسم اللدن الجميـــل ، ولكن شيئا آخر له أهميته يجب أن نعنى هنـــا بمناقشته ، ذلك هو « الجنس » فى المعنى لكلمة sex ، فلقد كانالجنس بلا شك مصدرا من مصادر الالهام للقصيد فى

أوربا أيضا ، ولكن بمقارنة الكثير من الشعر الافريقي بمثيله من الشعر الاوروبي التقليدي في نفس الضرب من القصيد فاننا نجد في الشعر الافريقي تعبيرا عقليا بدرجة أكبر وبخاصة عندما يتجه للحديث عن « الممنوع » « المحرم » ويتعرض سارتر في كتابه « اورفوس الاسود » الى د . هـ . لورنس ويقارن ماجاء في رواياته الطويلة عن الجنس والعلاقات الجنسية بها في كثير من قصيد الشعراء الافريقيين ، بل أنهم ليصلون الى درجة من المعرفة تفوق تلك التي حققها الغربيون .



على ان دنيا « القوة الحاسمة » تبدو في بساطتها وفي صورة طبيعية في قصيدة الشعراء الذين يتتبعون السر الشفوى للقصص الافريقي الشعبي ، ورواة القصص يجلسون في هدوء الى جوار النيران في الامسيات الصائفة يقصون القصص عن الآباء ، ويذكر الرواة الكثير من الاساطير التي يتناقلها الناس الذين جاء منهم ، وتمتلىء قصصه بالكثير من المعرفة عن التقاليد القبلية وعن تاريخ الناس في مختلف مراحل حياتهم مع عرض جيد للحوادث الكبيرة الاهمية في تاريخهم ..

وفي هذا السرد يعرض الرواة فضائل ومساوىء أفراد مختلفين من القبلية مع الاشارة الى أعمال الاسلاف الذين يتجسمون الآن في صور الحيوانات والرياح واشجار الغابة وعدة صور أخرى ..

ومن المحتمل أن لا يكون هناك في هذا الضرب من القصيد الذي يستند الى القصص من هو أشهر من بيراجو ديوب Ciraga diop من السنغال والذي لم يخترع ولم يبتدع بل أن كل ما صنع هو أنه نقل الى الفرنسية في قصيد فوزون نقص قصص امادوكومبا Amadou-Kouonba

ويقول ديوب في واحدة من هذه القصص التي وسمت بعنوان les mamelles

((وانتظرت ((كهادى)) متلهفة يوم الجمعة عندما يكون القمر بدرا ، وبدا مكان هذا اليوم ان يجيء ، فان الشمس في سيرها البطيء طوال اليوم بدت غير متعجلة لتعود الى منزلها وتعطل مجيء الليل حتى يتركها لتسوق أمامها هذا القطيع من النجوم لتذهب به الى المرعى .

((وأخيرا جاء يوم الجمعة ذلك لان كل شيء يجب ان يجيء))

((وفي ذلك المساء لم تتناول كهادى عشاءها ، وقابلت كومبا ليكرر على مسامعها النصيحة والتعليمات التي ألقتها عليها العجوز الطويلة الشعر والتي تحمل على رأسها قطن شجرة التمر الهندي))

ويقص ديوب حديث أرواح الأسلاف التي تتجسد في « أشياء » لا في «كائنات» في صوت النيران ... في صوت الماء ... في الرياح ... في بكاء الحشائش ... انها ارواح الاسلاف ...

الى الاشياء والكائنات
التي توحي بها أصوات النيران
واستمع الى صوت المياه
واستمع الى النسيم
وحفيف الاشجار في أنين
هي تنهدات الأجداد

ويستخدم بلاجو ديوب ، وليبولد سنغور من السنغال وابيدوى بابلولا وافوا مورجو من غانا وكثيرون غيرهم ، يستخدمون المادة الخام من قصص الرواة ليقدموا الى القراء باللغتين الانجليزية والفرنسية في انطلاق متحرر من كل انحياز او تحامل جنسي اتجاها ثقافيا واسع المدى ، اتجاها من الممكن ان يشق نافذة يمكن التطلع منها الى الماضي السحيق .

والواقع ان الكثير من التقاليد لمختلف صور حياة الناس تعرض في هذه القصص وبالتالي تنقل في هذا الضرب من القصيد ويقص « بابالولا » القصة الفكهة قصة « اوجو » الذي يحب المتاعب ..

«انه يجب زواج نسوة الرجال الآخرين »

« وهكذا فانه يواجه المتاعب دائما فى منزله »

« ذلك لأن بعض زوجاته اللاتى يسرقهن من أزواجهن »

« تكون لهن طاقات اكتسبنها من هؤلاء الازواج »

« وذات مرة تزوج امرأة شانجو»

« وشانجو هو اله الرعد .. »

« فلما أن جاءت الى منزله سببت له المتاعب »

« فهى تنفث النيران من فيها كلما تكلمت

على انه من المستحيل ان ننتقل من هذه المادة الخام التى ترجع بأصولها الى حياة الشعوب الافريقية من عصور معرقة فى القدم سابقة لوقت الغزو والاستعباد دون ان نلاحظ الفرق الكبير بينها وبين القصيد المستمد من الحياة اعاصرة التى تأثرت بالعالم الغربى ، والشاعر — على مايقال — هو روح الشعب ينقل فى قصيده احاسيس الناس ويعكس صور حياتهم من قلق .. فزع ... خيبة امل ... ، ولقد وقفت عند حد هذه الصور القاتمة الأليمة لأنها فى الواقع مسيطرة على الشعراء الافريقيين يقول « شاكا » عن وصول الاوربيين الى بلاد السنغال وكان الالم نصيبى

الألم الذى يملأ الصدر ويحز فى النفس (١٠)

ويقول دافيد ذيوب فى صرخته :

« فلتقاسى أيها الزنجى المسكين

ان أبناءك جياع

ومنزلك خاو مقفى من كل شىء

فلتقاسى أيها الزنجى

الزنجى الأسود كالحزن الذى يملأ قلبك »

والواقع اننا عندما ننظر الى هذا الشعر الافريقى منقولا الى اللغة العربية فى سطور متتالية تغيب عنا ناحية هامة هى ناحية الصياغة والوزن وان كانت لا تضيع عنا الاصيلة والمعانى ، ونحن عندما نريد ان ندرك مدى الطاقات الجمالية للصياغة والوزن فاننا نرجع الى آراء النقاد الذين عنوا بدراسة هذا القصيد فى اللغات التى جاء فيها ولقد امتدح الكثيرون من النقاد هذا القصيد واجمعوا على انه من ناحية الصياغة والوزن يعتبر فى مرتبة عالية بين القصيد باللغتين الفرنسية والانجليزية مقارنا بالانتاج العام بهاتين اللغتين .

ولقد كتب بيتار جوبرنيا
Petar Guberipa
من جامعة زغرب فى دراسته القومية للشعر الزنجى ، ان القصيد الزنجى الاصيل لقصيد يغنى ويسير مع دقات الطبول ونغمات الآلات الموسيقية المختلفة ، ولكن هذه الموهبة للبروز بانتاج ادبى مكتوبا بلغة تفرض فرضا على الشاعر لهى لا شك موهبة قوية لا يمكن ان توجد فيه بين عشية وضحاها ..

على ان « بيتار جوبرنيا » قد اشار الى ان الشعراء الزنوج من سكان جمهوريات امريكا اللاتينية فى الاراضى التى تحف بالبحر الكاريبى وان كان شعرهم فى غالبيته افريقى الطابع والاتجاه الا ان صياغته واسلوبه تحاكى نماذج الشعراء الانجليز فى القرن التاسع عشر وفجر القرن العشرين ، ويقدم قصيدة لارمانو يتحدث فيها عن العودة ويراها لا تعبر عن « العودة الى الأصل » هذه العودة التى كانت تتضح فى كل مكان آخر من افريقية .

على ان هذه الظاهرة ... ظاهرة العودة الى اصول الثقافة الافريقية تبدو واضحة فى الواقع فى الشعراء الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، وبخاصة فى « الوزن » و « الايقاع » الذى يشبه دقات الطبول الثائرة ،

وبعد ...

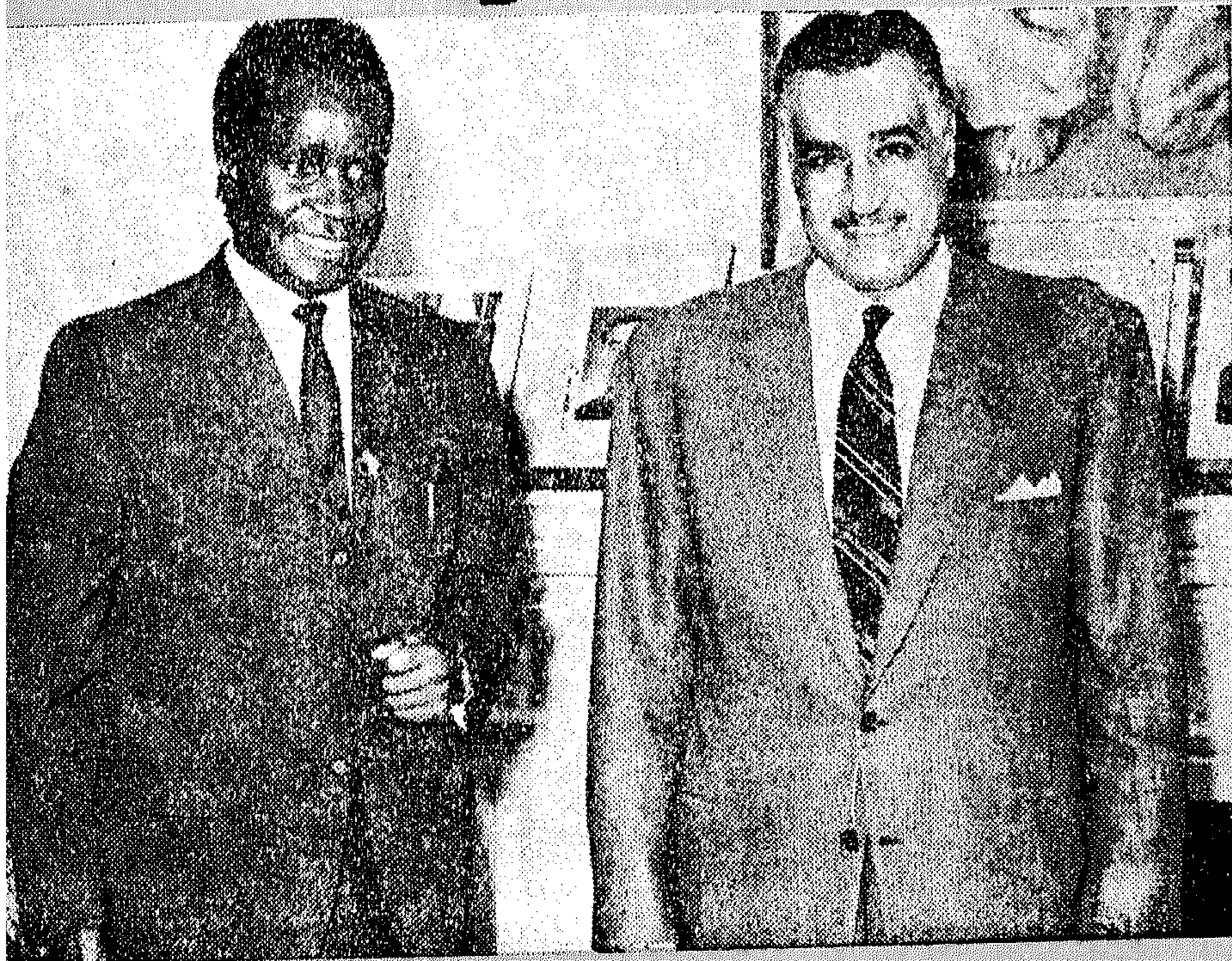
هذه دراسة عاجلة « لاتجاهات الشعر الافريقى » على ما امكن ترجمته ودراسته وتحليله من المختارات التى قدمها المؤلف وان كان من الضرورى ان اشير هنا الى انها فى الواقع جاءت وقفا على غرب افريقية بين السنغال وانجولا ..



((على صبري رئيس المجلس التنفيذي يستقبل محمد الشمتي رئيس وزراء زنجبار))

ISSUE No 71 — SIXTH YEAR — OCTOBER 1963

RENAISSANCE OF Africa



العدد ٧٢ السنة السادسة - نوفمبر ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

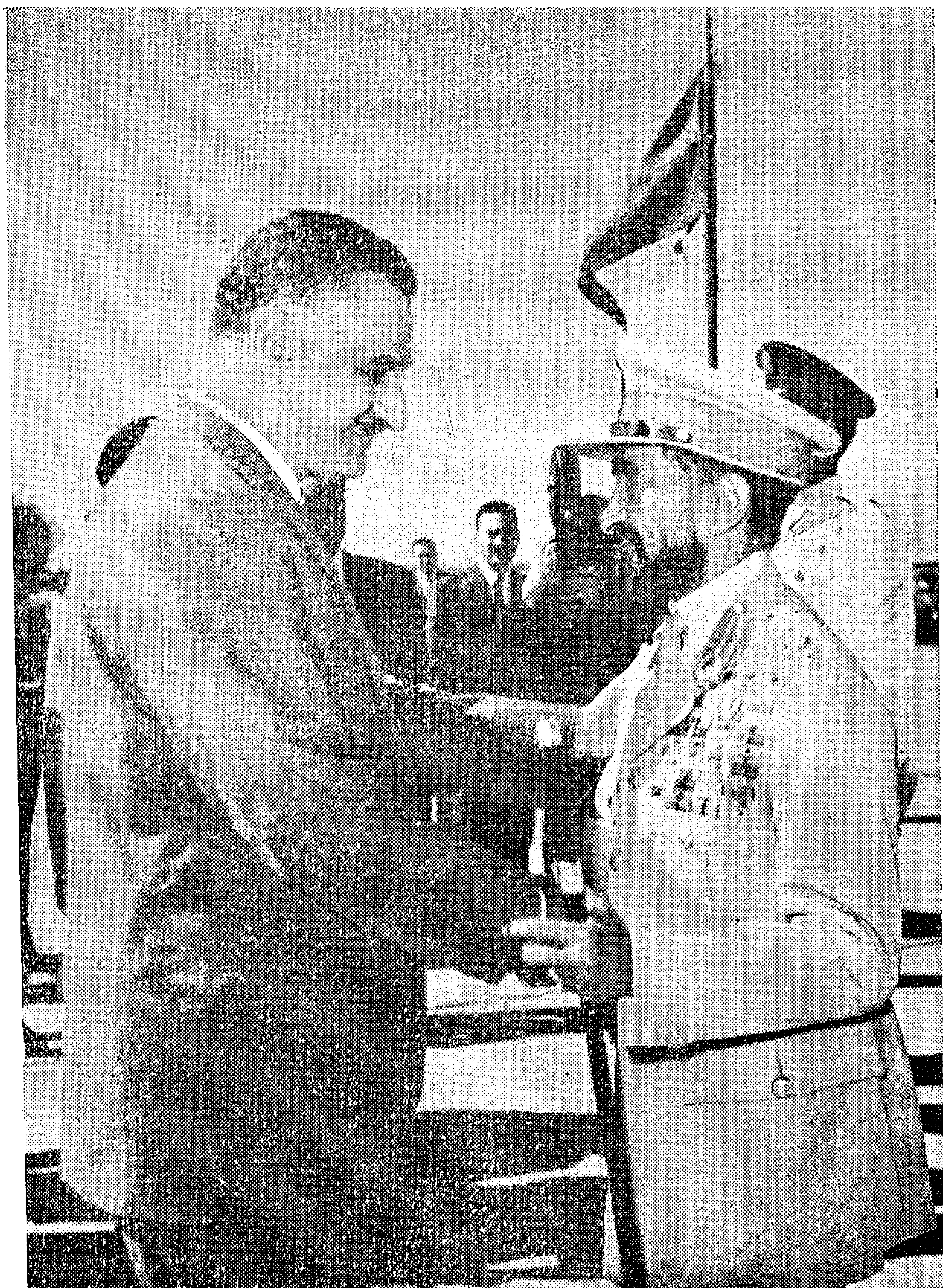
نهضة افريقية







ثلاث نقط ساخنة



((الرئيس عبد الناصر يستقبل وسيط السلام ...))

نهضـــــة افريقيـــة

تهدف هذه المجلة الى :

١ - تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية -
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
تليفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافه بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .



نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

رأى ..

ان مشكلة الحدود التى قامت أخيرا بين الجزائر والمغرب لا ترجع الى ((التوتر)) الذى قام بين البلدين بقدر ما ترجع الى مشكلة جذرية تضرب فى أكثر الاعماق الافريقية .. هذه المشكلة هى مشكلة الحدود بصفة عامة .

ذلك لان أكثر هذه الحدود كانت ترسم بقلم رصاص فى حجرة مقفلة ، دون مراعاة لما يترتب عن هذا فى المستقبل ، وان خطوط الطول وخطوط العرض هذه لا تجرى على الورق بقدر ما تجرى على لحم البلاد ودمها .

ولقد وضعت الشعوب الافريقية يدها أخيرا على احدى هذه المشكلات ، وكان انعقاد مؤتمر ((باماكو)) ، والجهود الموفقة التى قام بها الامبراطور هيلاسلاسى والرئيس موديبو كيتا وكل هذا يدل على أن روحا جديدا يسيطر الآن على افريقية ، وان ((الشروخ)) التى تحدث هنا وهناك تجد دائما من يعمل على ((لحمها)) بحيث تبدو القارة أبدا صلبة أمام الاخطاء التى ارتكبت فى حقها .

وهكذا نرى أن مشكلة الحدود الجزائرية المغربية كانت ((مجرد ((نذير)) المشكلات التى تماثلها فى القارة – وهى كثيرة – ولكن الوعى الجديد حولها الى قضية يسكت فيها الرصاص ، ليتحدث المنطق الافريقى .

عبده بدوى

فهرس العدد

ثلاث نقط ساخنة

بقلم المحرر الدبلوماسي

عقلية العلال :

وراء الصدام الجزائرى المراكشى عوامل ظاهرة وعوامل خفية .

أهم العوامل الظاهرة ثروة الصحراء من حديد وبترول .

وأهم العوامل الخفية عقلية العلال الفاسى زعيم حزب الاستقلال .

وهذا هو الجانب الخطير من جوانب المشكلة ، فان ثروة الصحراء يمكن الاتفاق بشأنها بطريق أو بآخر ولكن العقلية المسيطرة على أقدم حزب منظم فى مراكش هى التى تمثل ينبوعا مستمرا للمشاكل ومصدرا دائما للصدام .

ان العلال أكبر الزعماء السياسيين المراكشيين سنا وأكثرهم هيبة لدى الجماهير التقليدية المسلمة وهو يعتبر أحد أساطين اللغة والفقه الاسلامى « على مذهب الامام مالك » ، وهو رجل ذو تاريخ طويل فى كفاح الاحتلال الفرنسى ، وفى تثبيت دعائم الحكم « السلطانى » على حد سواء .

رأيته لأول مرة منذ عشرين سنة تقريبا فى ((مكتب المغرب العربى)) بالقاهرة ، مع الحبيب بورقيبةوعبد الكريم الخطابى وصالح بن يوسف فجمعتنا واياه ، فى ذلك الحين ، كراهية الاستعمار والنضال فى سبيل الحرية ولكن شيئا ما ، كان يقف بيننا ..

كان العلال صاحب تشبثبالحق والباطل متعصبا لأفكاره الموروثة متعاليا على عباد الله ، من المثقفين وغير المثقفين ، ضعيف الشعور بالوفاء وعرفان الجميل ..

ومرت الايام ، وقدمت مصر للعلال ولقضية التحرر فى مراكش أقصى ما يقدمه أخ لأخيه ، واستقلت مراكش وتونس ، واندلعت ثورة الجزائر ، وقامت لها حكومة مؤقتة فى القاهرة ...

وفى ذات ليلة كنا نتحدث مع وزير الخارجية الجزائرى عن « اجتماع طنجة » الذى تم قبل استقلال تونس ومراكش ومثلت فيه أقطار المغرب الثلاثة ، وتعهد الزعماء على أن يوحدوا جهودهم ضد الاستعمار الفرنسى حتى يحصلوا على استقلال بلادهم فى وقت واحد ويعلنوا تكوين « المغرب الكبير » ...

وقال وزير الخارجية :

((لقد استطاعت فرنسا أن تفرق صفوفنا فمنحت مراكش استقلالا ((أعرج)) وقدمت لتونس استقلالا ((أعور)) وسكت حكام البلدين عن معونتنا وها نحن نواجه فرنسا وحدنا فى الشمال الافريقى ... وحتى المعونات التى تأتينا من القاهرة يتوقف أكثرها الان ويضيع قبل أن يصل الينا على على حدود تونس ...

وسألته عن سبب النكسة فقال :

((عقلية العلال ... ان هذا الرجل الذى يقود حزب الاستقلال المراكشى ويحظى بعطف السلطان ، صاحب عقلية انعزالية غريبة الاطوار ، فهو يؤمن بالاسلام وينفر — فى الوقت نفسه — من العروبة ، وهو يرى بعينيه تجانس أقطار المغرب وكيف

يمكن أن يتكون من اتحـــادها دولة عظمى ، ولكنه ينصرف عامدا عن الحقــائق الملموسة ويفتش فى كتب التاريخ عن خرائط ((المغرب القديم)) و ((مغرب المرابطين)) و ((مغرب الموحدين)) ، ويطالب الآن بضم الاقاليم التى كانت تشملها تلك الخرائط الى مراكش ، وتلك الاقاليم لا تشمل أجزاء الصحراء التى هى جزء من الجـزائر وحـسب ، وانما هى تشـمل كل موريتانيا وأجـزاء واســعة من السنغال ومن جمهورية مالى)) ...

واستطرد الوزير يقول :

((لقـد بلغ من عراقة الرجعيـة فى تفكير العـلال انه يعتبر الرجل ((السلفى)) أى المنصرف الى تقليد الاجـداد القـدامى فى أقوالهم وأفعـالهم تقليـدا أعمى ، يعتبره عصريا تقـدميا ... ولهـذا فهـو يهـاجم ((الشيخ محمد عبده)) وأمثاله من المصلحين الدينيين الذين يدعون الى تغير النظرة الى الحياة بتغير الظروف والملابسات ...

ولعل أغرب مظاهر هذه العقلية الانعزالية السلفية أن يرى صاحبها جيش بلاده قد أمسك بزمامه قادة أجانب ، ويرى اقتصاد بلاده حكرا للشركات الاجنبيـة ويرى أرض بلاده يتقاسمها « القواد » و « الباشوات » ويرى شعب بلاده أسير الأمية والخرافات ، ولا يعير كل ذلك التفاتا ، وانما يتلفت الى بيوت جيرانه ويدعو لاغتصابها ولو بالقـوة الغاشمة ...

سجين بولابمبا :

فى جزيرة صغيرة على مقربة من مصب نهر الكونغو ــ على المحيط الاطلنطى ــ اسـمها « بولا بمبا » يقبع انطوان جيزنجا ، رئيس حزب التضامن الافريقى ونائب أول رئيس وزراء فى الكونغـــو المســـتقل : باتريس لومومبا .

ومن وراء أسوار سجنه يحـاول جيزنجا أن يمد بصره الذى أرهقه الضنى والعذاب ، الى بلاده الضخمـــة الفسيحة وهى تغلى بالسخط وتنذر بالانتفاض ...

لقد كان الكونغو ــ عند استقلاله ــ يتكون من ست مقاطعات ، انفصلت عنه مقاطعــة « كاتانجــا » ونصف « كاســاى » فأصبح الآن ٢٢ مقاطعة ، لكل منها حكومة ورئيس اقليمى وبرلمان ...

وكان الفـرنك الكونغولى يساوى بضعة قروش فأصبح الآن قريبا جدا من المليم ..

وكان للكونغو برلمان فصدرت أوامر بتعطيله أكثر من مرة ، ولم تنفـذ قراراته الهـامة ــ وعلى رأسها قرار بالافراج عن جيزنجا ــ ثم صدر الأمر أخيرا بحله ، على وعد باجراء انتخابات جديدة فى العام القادم ...

وكانت الحكومة المركزية تمد يد التعاون والاخوة الى افريقيـا فأصبحت تمدها الان الى أوربا وامريكا واسرائيل ...

وكانت حكومات الاقاليم خاضعـــة تماما لاشراف الحكومة المركزية ، فأصبحت النفعية والانتهازية هى الروح السائد لدى المسئولين فى الحكومات الاقليمية ... وفى آخر الانباء يتهم رئيس البرلمـان المحـلى فى « كيفـو » رئيس حكومة المقاطعـــة بأنه اختلس نصف مليون من الجنيهات الاسترلينية وهرب أربعة أطنان من العـاج الى الخـــارج عن طريق كينيا ...

وكانت النقـــابات تؤدى دورها الوطنى المنتظمة فى الحياة العامة فأصبحت الاضرابات شــاملة فى كل القطاعات ... وقد أضربت نقابة معلمى المدارس الأولية بضعة أسابيع لأن متأخـــرات رواتب أعضـــائها ــ لدى الحكومة ــ بلغت ستة ملايين من الجنيهات .

وكان رجال السياسة يساهمون فى الحياة البرلمانية وفى تكييف مصير البـلاد فاستقر أكثرهم فى الســـجون ، وعلى رأســـهم « جيزنجا » و « جبينى » و « بوشيلى » والسعيد منهم ــ مثل « كاشامورا » ــ هو الذى استطاع الفرار الى خارج البلاد ...

وانتشرت البطالة انتشارا ذريعا ، واختل الأمن اختلالا فظيعا ...

وقد حدثنا صديق قادم من ((ليوبولدفيل))

عن السجن الرئيسى الذى حطم النزلاء أبوابه وتدفقوا على العاصمة وعاثوا فيها نهبا وفسادا ...

وعن رجال الشرطة الذين أضربوا عن العمل وقرر وزير الداخلية تسريحهم ونسى أن يسترد منهم ملابسهم الرسمية ، فكونوا من انفسهم عصابات للسلب والنهب ، ترتدى ملابس الشرطة وتقطع الطريق على السيارات والمارة فى الطرقات العامة ...

وفى وسط هذه الدوامة يقف « سيريل أدولا » ، رئيس الحكومة المركزية ـ فى حيرة مربكة ـ وحوله خمسة وعشرون وزيرا ..

نذير من بولاوايو

كانت نقط الضعف الكبرى فى الحركة الوطنية فى روديسيا الجنوبية هى طابع « المسالمة » التى بلغت حد « السلبية » فى القيادة السياسية .

كان ذلك طابع **« تاكاويرا »** أول رئيس لحزب المؤتمر الوطنى الافريقى كما كان طابع « انكومو » الذى خلفه فى رئاسة الحزب ، والذى اشتهر ، الى وقت قريب ، فى الصحافة المحلية بلقب **« انكومو الحذر »** ..

وحينما عرضت بريطانيا ـ منذ سنتين ـ مشروع دستور لبروديسيا الجنوبية يمنح المائتى ألف مستوطن أوربى خمسين مقعدا فى البرلمان ، ويعطى الثلاثة ملايين افريقى خمسة عشر مقعدا ، وافق « انكومو » فى أول الامر على تلك القسمة الجائرة .

ولكن الاحداث المتوالية فى افريقيا قربت مراكز الاعاصير الوطنية من روديسيا الجنوبية فانه بعد انتعاد « تشومبى » عن حدود الروديسيات الشمالية ، وبعد استقلال « تنجانيقا » و « رواندا » و « بورندى » « أوغندا » ، وظهر فى الافق استقلال « كينيا » و « زنزبار » ، وتكونت منظمة الوحدة الافريقية التى انبثقت منها « لجنة التسعة » بامكانياتها المادية والمعنوية ، لم يقدر « اتحاد وسط افريقيا » على الثبات فى مكانه انتظارا للمصير المحتوم .

وهكذا رأينا « باندا » يوفق فى ضغطه على بريطانيا فتوافق على خروج بلاده « نياسالاند » من الاتحاد وتلاه « كاوندا » فحصل على وعد كذلك ، بالخروج ، ونظمت بريطانيا اجتماع « شلالات فكتوريا » ، منذ شهرين حيث اجتمع حكام الاقاليم الثلاثة ونظموا عملية « فك الاتحاد » وتوزيع مخلفاته من الاجهزة والمعدات ، وحددوا الموعد النهائى لزواله فى آخر ديسمبر القادم ..

ولقد كان من المفارقات الاستعمارية المألوفة فى هذه التطورات أن الزعماء الافريقيين لروديسيا الجنوبية لم يشتركوا فى تلك المباحثات وانما اشترك فيها ، نيابة عن الاقليم وزراء الاقلية البيضاء ، وظل الزعماء الوطنيون بعيدا عن المسرح ، كما كان أكثرهم بعيدا عن البلاد ، حيث استقروا ـ على مقربة من الاحداث ـ فى دار السلام ..

وفى الوقت الذى كان يفكر فيه « انكومو » بصفته رئيسا للحركة الوطنية المتمثلة فى « اتحاد زمبابوى الوطنى الافريقى » (ويختصر اسمه الى « زانو ») فى تكوين حكومة فى المنفى ، فى دار السلام ، انشق عليه زميله « سيتهولى » وكون حزبا جديدا باسم « اتحاد زمبابوى الشعبى الافريقى » (ويختصر اسمه الى « زابو ») .

وهكذا وجمت افريقيا فى اللحظة الحرجة وابتهج المستوطنون الاوربيون ، من ضفاف الزمبيزى الى رأس الرجاء الصالح ، وهم يرون بوادر الصراع بين « زانو » و « زابو »

وعاد « انكومو » من دار السلام الى العاصمة الاقليمية لبلاده « بولا وايو » وهو يرتدى « زى المحارب » الافريقى وقد عول على أن يخوض المعركة فى جبهتين : « جبهة المستوطنين » و « جبهة سيتهولى » ..

وما لبث « سيتهولى » أن عاد الى بلده أيضا وتملكت الحيرة جماهير الشعب ، كما تملكت « لجنة التسعة » التى وقفت فى مأزق حرج

وهى تحاول أن تمـــد يد المساعدة للوطنيين الافريقيين فى روديسيا الجنوبية .

واذا كانت المساعى الحميدة التى يبـذلها أصدقاء الوطنيين الافريقيين لم تؤد الى نتيجة حتى الان فان التدابير الحمقاء التى اتخذتها حكومة المستوطنين البيض تنـذر بانفجار قد ينجلى عن حركة وطنية موحدة .

لقد سنت تلك الحكومة من قوانين العقوبات ما يجعـــل الافريقى الذى يرمى حجرا على سيارة رجل أبيض عرضه للحكم عليه بالاعدام

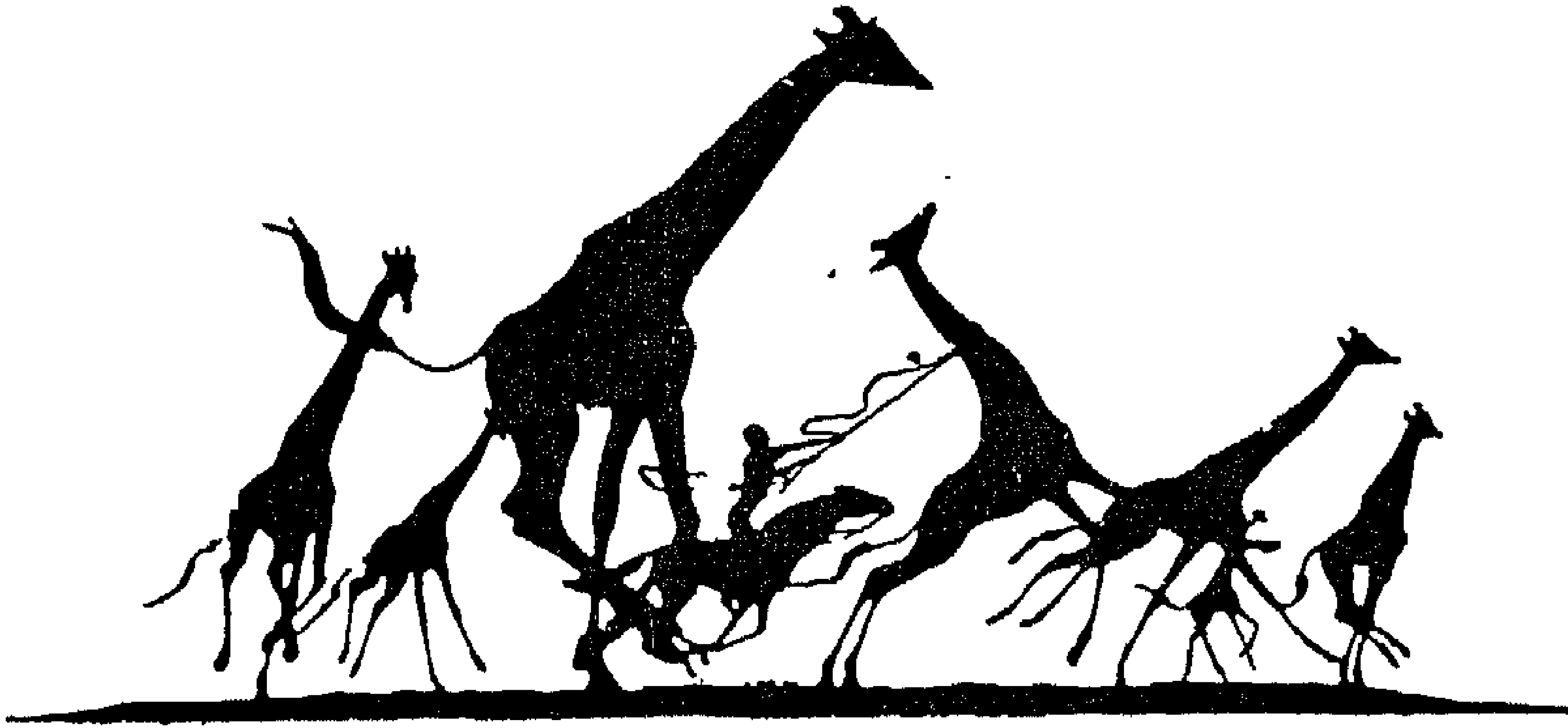
وانتهت مهزلة ((المشـاركة)) التى حاول السادة البيض تمثيلها على المسرح الروديسى وأسفرت التفرقة العنصرية عن وجهها المقيت الذى يشحن نفـوس الملايين من الافريقيـين بالغيظ ويدفعهم الى التمرد والانتقام .

وأصبح اعتقال الزعماء وسجنهم بتهم تافهة هو أكبر شاهد على تزعزع أعصاب الحـكام وتخبطهم فى مواجهة التيار الزاحف الرهيب .

ان ((انكومو)) معتقل الآن بتهمة ((التحريض)) و ((سبتهولى)) معتقل بتهمة حيازة تقرير عن روديسيا الجنوبية سبق أن تقدم به حزبه الى الامم المتحدة ..

وفى الامم المتحدة نفسها تتملص بريطانيـا من مسئولية الحـالة فى روديسيا الجنوبية — دون مال — أن تلك البلاد قد نالت ((الحكم الذاتى)) منذ عام ١٩٢٢ .. !

واذا صـدق قيـاس الحالة فى روديسيا الجنوبية بما سبق أن حدث لدى جيرانها فى ((الكونغـو)) ، وفى ((حزام النحـاس)) فلا منـاص السـادة الحكام فى ((بولاوايو)) من تهيئـة آذانهم وأعصـابهم لانفجـار قريب ...



الأرض والمجتمعات الافريقية

للدكتور راشد البراوى

فى كتاب Facing Mount Kenya يتحدث مؤلفه جومو كنياتا ، زعيم كينيا الكبير ورئيس وزرائها الحالى ، فيقول « ان الكيكويو ينظرون الى الارض باعتبارها أم القبلية .. انها التربة التى تغذى الطفل فى اثناء حياته ، ثم هى بعد الموت التربة التى ترعى أرواح الموتى الى الابد . واذن فالارض اعظم قدسية من كل من يعيش فيها أوعليها » .

وامام لجنة الاراضى بافريقية الغربية ، عام ١٩١٢ ، قال احد زعماء نيجيريا « انى ارى ان الارض ملك لاسرة ضخمة ، الكثرة من افرادها قد ماتت ، والقلة منهم على قيد الحياة ، وأعداد لا حصر لها لم تولد بعد » .

واذن فالارض جزء أساسى من ثقافة وحضارة المجتمعات الافريقية ، ولسنا نعدو الواقع اذ نقرر ان بين الارض والانسان علاقة خفية أو « صوفية » يتعذر فهمها على المجتمعات التى لا تزيد الارض فى نظرها على كونها سلعة قابلة للتداول فى مختلف صوره . وفى هذه المعانى يقول ملفيل ج . هيرسكوفيتس Melville J. Herskovits انه حيث تسود عبادة السلف فان السلف هم الرابطة بين الانسان والارض ، وحيث يسود تعدد الالهة فان اله الارض أقواها وأعظمها شأنا وأعلاها مركزا .

أما من الناحية المادية التى تتصل بالبقاء ، فالارض مصدر العيش والرخاء . فمن الارض والغابات والانهار والمجارى المائية ، يستمد الافريقى المواد اللازمة لغذائه ، ومنها أيضا يحصل على الغلات النباتية المعدة للتصدير كى يشبع مطالبه المتطورة ، كالقطن والبن وزيت النخيل والمطاط والكاكاو والاخشاب . ومن باطن الارض يستخرج المعادن لبعض أغراضه ، أو للتجارة فيها مع المجتمعات الاخرى أو العالم الخارجى ، وفى كل ضروب النشاط هذه مجال يوفر له العمل .

والحقيقة أن منتجات الارض ، من الزراعة أو الاشجار أو الغابات أو المياه ، تشكل النسبة الكبرى من المنتج القومى فى معظم بلاد القارة الافريقية . ففى نيجيريا مثلا تمثل هذه المنتجات ٦٦ر١ ٪ من المنتج القومى

موزعة على النحو الاتى (فى المائة) :

المحاصيل الحقلية	٤٤ر٨
« الشجرية	١١ر٣
« الحيوانية	٥ر١
محاصيل الغابات	٤ر٠
الثروة السمكية	٩ر٠

وفى أنجولا كانت الصادرات من هـذه المنتجات تمثل ٦٨ر٨ فى المائة من مجموع الصادرات الكلى فى عام ١٩٥٧ (البن ٤٢ر٧ ، السيسال ٥ر٧ ، القطن الخام ٢ر٧ ، الاسماك ٤ر٦١ ، الخشب ٢ر١) ، وكان البن والفول السودانى يمثلان ٤٩ر٩ فى المائة من صادرات افريقية الغربية الفرنسية ، والنسبة فى نيجيريا ٦٦ فى المائة ، كما يشكل الكاكاو حوالى ٦٥ فى المائة من صادرات غانة . وسوف يظل انتاج الارض العامل الاساسى الذى تعتمد عليه البلاد الافريقية لسنوات كثيرة قادمة ، فى تحقيق التنميـة الاقتصادية بعناصرها المختلفة ، والتنمية الاجتماعية .

نظام ملكية الارض

اما عن الملكية الزراعية او ملكية الارض ، فان نظرية المجتمعات الافريقية تعبر عنهـا هـذه الفقرة الموجودة فى كتاب « الملكيـة العقارية فى افريقية الغربية الفرنسية » . لمؤلفه روجيه دوبلير : ان (الارض) لم يصنعها انسان ، ولم تصنعها اية مجموعة بشرية حتى فى البدايات الاولى للاشياء . ولا ينبغى اعتبارها ثمرة أى عمل من جانب الانسان . انها ملك لنفسها ، ونتيجة لهذا فانها ليست ملكا لاحد » .

فالنظرية السائدة هى أن الحق فى الارض ينحصر فى الاسرة ، أو فى الجماعة فى بعض الحالات . هـذه الفكرة دفعت البعض من الكتاب الغربيين الى القول بأن الملكية جماعية أو مشتركة ، وهـذا التصور غير دقيق الى حد كبير على ما يقول القانونى النيجيرى ت . الياس فى كتابه « الحكم والسياسة فى افريقية » ، ذلك انه فى داخلها ملكية الجماعة او الاسرة « توجد فى العادة حقوق ومصالح فردية ، فى الارض ، وهى حقوق واضحة ومحددة » .

فحيث يتولى الامر زعيم تدين له الجماعة بالولاء ، فان فى مقدمة المسئوليات التى يضطلع بها ، توزيع الارض على رؤساء الاسرات التى تتكون منها الجماعة ، وهؤلاء بدورهم يقومون بتوزيعها على أفراد كل أسرة للعمل فيهـا واستغلالها . فاذا تبقت ارض فائضة بعـد ذلك فانها تظل فى أيدى الزعيم ، نيابة عن الجماعة ، الى ان يطلبها اعضاء جدد . وفى المجتمعات التى لا تأخذ بنظام الزعماء أو الرؤساء الكبار ، فهنا نجد الاسرة هى أساس الحيازة والاشراف على الارض والغابات والاجام والاراضى التى لم تخصص لاحد بعد ، وفى هـذه الحالة يقوم بالتوزيع على افراد الاسرات مجالس محلية من الشيوخ وكبار السن .

الا أن ما للافراد — بحكم التوزيع — من حقوق ومصالح فى الارض ، ليس معناه وجود الملكية الفردية أى الخاصة ، بالمعنى القانونى المعروف فى البلاد الغربية مثلا ، وانما هـذا الحق هو فى حقيقة الامر حق انتفاع فقط ، ولذلك اذا ثبت أن فـردا ، أو أسرة ، لـم يستغل الارض الممنوحة ، استغلالا انتاجيا ، لفترة طويلة وبدون أى سبب أو مسـوغ ، فان للزعيم أن يسترد الارض ويحتفظ بها ، باسم الجماعة ، الى أن يطلبها ويحتاج اليها افراد آخرون أو أسرات أخرى ، بقصـد استغلالها والاستفادة منها .

واذن فالارض ليست ملكا للزعماء ، أو لرؤساء الاسرات ، يتصرفون فيها كما يشاءون كأنها من المقتنيات الخـاصة ، ولكنهم فى الحقيقة لا يعدون كونهم وكلاء عن جماعاتهم لحماية الارض ورعايتها وتوزيعها مما يكفل استفادة الجميع منها . ومعنى هذا بالتعبير القانونى ان للافراد ملكيـة « المنفعـة » ، وللجماعة ملكية « الرقبة » .

الزحف الابيض :

وحل العصر الاستعمارى ، وراح المستعمرون يقسمون القارة العذراء فيما بينهم ، بالحيلة والخـداع والتآمر والحرب والارهاب . وسارعت الشركات الكبرى الى الحصول على الامتيازات المتعلقة أساسا باستخراج الثروات

المعدنية التى سبق ان أسهب فى الحديث عنها وبيان ضخامتها وأهميتها الرحالة والمستكشفون والتجار ، من قبل . ووفدت على القارة أمواج متتالية من البيض بقصد الاستيطان الدائم ، حيث الاحوال المناخية مناسبة لاقامتهم ، وراحوا بدورهم يطالبون بان توفر لهم الدول التى ينتمون اليها وسائل الاستيطان والعيش ، وهنا برزت مشكلة الارض ونشأ الصدام بين الحقوق القديمة الثابتة وبين المصالح الاستعمارية الوافدة . هذا الصدام لا يمكن بأى حال من الاحوال ان يغفله أو يقلل من شأنه ، كل من يبحث فى الصراع السياسى الذى نشب فى القارة ، أو فى الحركات القومية التى حدثت وتجمعت وازدادت قوة حتى انتهت باجبار الاستعمار على التخلى عن دعاويه فى السيادة والسيطرة .

قلنا ان الشركات الكبرى كانت حريصة على نيل الامتيازات*، وأخذ بعضها يغرى أو يحمل الزعماء الافريقيين على التوقيع على اتفاقيات ومعاهدات تمنح هذه الامتيازات فى المناطق التى يحكمونها ، كما فعل سيسل رودس متصلا مع الزعيم الاكبر لوبنجولا . وحين وافق الزعماء على تلك العقود والاتفاقيات لم يفهموا منها الا انها مجرد رخصة للتنقيب عن المعادن ، دون ان يمس هذا حقوقهم وحقوق جماعاتهم فى الارض ، ولكن الذين استطاعوا الحصول على الامتياز سرعان ما كشفوا عن حقيقة نواياهم وأهدافهم، فأعلنوا ان حق السيادة قد انتقل اليهم ، وان هذه السيادة تشمل الارض كلها بما فيها وما عليها ومن عليها ، ثم أخذوا بعد ذلك يتعدون أهل البلاد الحقيقيين عن أرضهم ويحشرونهم فى معازل خاصة لا يتجاوزونها ولا يجوز لهم تملك أى أرض فى خارجها ، بل ولا مزاولة أى عمل فى خارجها الا باذن وطبقا لحاجيات العناصر البيضاء . حدث هذا فى اتحاد جنوب افريقية (جمهورية جنوب افريقيا الان) وفى روديسيا الجنوبية مثلا .

وفى المناطق التى جرى فيها الاستيلاء عليها بالقوة والحرب ، أو بمقتضى اتفاقيات الحماية التى فرضتها حكومات البلاد الاستعمارية ، عمدت هذه الحكومات الى أسلوب بسيط يمكن لها من تحقيق أهدافها وهى منح الامتيازات للشركات وتوفير الاراضى اللازمة لاقامة المستوطنين ، فأعلنت ان الارض انتقل الحق فيها فأصبح محصورا فى التاج أو فى الدولة . ففى انجولا مثلا نجد ان الاراضى التى كانت فى حوزة الافريقيين فى عام ١٩٣٣ لم تتجاوز ١٨٠ر٤٠١ فدان من مجموع كلى قدره مايقرب من ٣١ مليون فدان ، وكان الباقى معتبرا من املاك الدولة ، والمقصود بها الدولة البرتغالية .

وفى ساحل الذهب (غانة حاليا) صدر قانون عام ١٨٩٧ لتنظيم عملية انتقال الارض وكانت الحجة الداعية الى اصداره مالوحظ من ان الزعماء أخذوا يمنحون الامتيازات للشركات مقابل ايجارات سنوية وعائدات يحصلون عليها ، وبذلك أخذوا يثرون ويملأون جيوبهم بالمال على حساب أفراد الجماعات التى يتولون الامر فيها ، وبذلك اخذت هذه الجماعات تفقد ما كان لها من حقوق ومصالح تقليدية . ولهذا نص القانون على عدم جواز اجراء هذه العمليات من جانب الزعماء الا بعد التشاور مع رؤساء الاسرات أو كبار رجال الجماعة . غير ان القانون ، والذى أريد منه – كما قيل فى حينه – حماية أراضى الاهالى ، تضمن نصا غريبا وهو اعتبار الارض حقا للتاج ، وهنا ثار الزعماء وغيرهم اذ اعتبروا مثل هذا النص مقدمة لسلب الارض لصالح المستعمر ، وعم السخط ، وتكونت فى أكرا جمعية لحماية السكان الوطنيين التى سرعان ماقامت فروع لها فى لاجوس وفريتاون، وهكذا اصبحت الارض المحور الذى يدور عليه الصراع السياسى . وكذلك بعد اعلان الحماية على سيراليون فى عام ١٨٩٦ بادرت السلطات الى فرض « ضريبة الكوخ » فكان هذا التصرف العامل الرئيسى فى الثورات التى قامت بها قبائل مندى وتمنى ، اذ اعتبروا الضريبة دليلا على انهم يستأجرون الارض من التاج البريطانى وانهم بذلك فقدوا الارض التى يملكونها من أقدم العصور .

وعلى كل ، فقد استطاع المستعمر أن يمنح عن طريق هذه السياسة ، مساحات واسعة للشركات المشتغلة بالزراعة أو الانتاج المعدني.

ولكن المسألة اتخذت شكلا أشد خطورة في جنوب افريقية وفي شرقها ، اذ ترتب على الهجرة الواسعة من جانب البيض ، انتزاع مناطق شاسعة من أيدي القبائل والجماعات الافريقية ، وكلها من أجود الاراضي وأشدها خصوبة ، واعطائها للمستوطنين ، والبيان التالي يوضح نسبة (في المائة) ما كان يملكه الاوربيون الى المساحة الكلية :

البلد	نسبة ممتلكات البيض (٪)
اتحاد جنوب أفريقية	٨٩
سوازيلاند	٤٩
روديسيا الجنوبية	٤٩
كينيا	٧
بشوانالاند	٦
أفريقية الجنوبية الغربية	٥

واذا بدت النسبة صغيرة في كينيابالقياس الى روديسيا الجنوبية أو سوازيلاند مثلا ، فيجب أن نذكر انها كلها في اقليم المرتفعات وهو أخصب جزء في البلاد وأصلحها لمختلف أنواع المزروعات .

ونلقى الشيء ذاته في اقليم المغرب بصورته الكلية ، فكان الاجانب ، ومعظمهم من الفرنسيين يمتلكون ما يقرب من ربع المساحة المنزرعة فعلا في مراكش ، وبلغت مساحة ملكيات الفرنسيين في الجزائر وتونس مليون فدان ومليونا ونصف مليون فدان على التوالي .

وكان البيض يبررون عملية الاستيلاء بقولهم ان الاراضي التي أخذوها كانت في الغالب مهملة لا تستغل ، وأن الافريقيين عاجزون عن استثمارهم بسبب أساليبهم البدائية في الزراعة ، كعدم اتخاذ الاحتياطات ضد تآكل التربة ، وتبوير الارض ، والاسراف في تربية الماشية ، وغير ذلك . ولكن الحقائق تنكر هذه المزاعم ، اذ كانت الاراضي المستولى عليها آهلة بالسكان فعلا ، أما ان أساليبهم كانت بدائية وانه لم تتوافر لهم الامكانيات التكنولوجية والمالية ، فهنا تقع المسئولية على السلطات التي اصبحت صاحبة الامر ، اذ كان من واجبها أن تعمل على ادخال الاساليب الحديثة وتعويد الاهالي على استخدامها وامدادهم بالمال اللازم لشراء الالات والمعدات ، اذ لو فعلت ذلك لكانت منطقية مع نفسها اذ تدعى أنها جاءت الى القارة لنشر الحضارة بين أهليها .

وفي بعض البلاد الافريقية لجأت السلطات الاجنبية الحاكمة الى أسلوب آخر ، يؤدي الى استغلال الاراضي في انتاج المحاصيل التجارية التي يشتد عليها الطلب من جانب البلاد الصناعية ، ولكن دون نزع ملكية الارض من أصحابها ، من الناحية القانونية ، ومن المشروعات التي طبق فيها هذا الاسلوب مشروع الجزيرة بالسودان ، حيث تكونت شركة لاستغلالها وحصلت على مساحة كبيرة من أصحابها عن طريق منحهم انصبة فضلا عن ايجارات سنوية بوصفهم من الملاك . وكان الوسيط بين الطرفين هو السلطات المحلية ، كما كان مفهوما في الوقت نفسه أن المشروع سوف يؤول بكليته الى السودانيين بعد انقضاء فترة زمنية معينة . وهناك أيضا مشروع موكوا الزراعي ، وكان الفرض منه تخصيص مساحة كبيرة من الارض في الاقليم الشمالي من نيجيريا ، للزراعة الكثيرة على الاسس التجارية ، على ان تقسم الارباح بين الحكومة وهيئة تنمية المستعمرات ، وهنا نلاحظ اختلافا بين المبدأ الذي طبق في مشروع الجزيرة بالسودان .

الملكية الفردية :

وحاولت السلطات الاستعمارية تشجيع نظام الملكية الفردية الخاصة في صفوف الافريقيين ، وكانت الحجج التي تستند اليها في محاولة دعم هذا الاتجاه ، ان على الافريقيين ان يتولوا زراعة المحاصيل التجارية الجديدة التي تلقى رواجا في الخارج . ولما كانت هذه الزراعة لايمكن ان تتم بكفاية وفق الاساليب التقليدية ، لهذا لا بد من استخدام أساليب الزراعة الاوربية الحديثة . غير ان الزراعة الحديثة تتطلب المال ، وهذا المال لا وجود له عند الافريقيين بسبب فقرهم أو هبوط

مستوى معيشتهم ، كما أنهم لا يستطيعون الحصول عليه من المصارف والمؤسسات الائتمانية المختلفة الا اذا استطاعوا تقديم الضمان الكافى . ولهذا فاذا أريد الاستفادة من هذه التسهيلات الائتمانية فلا بد من ان يمتلك الفلاح ملكية كاملة قطعة الارض التى يستغلها فى الانتاج ، وفى هذه الحالة يصبح من السهل عليه أن يقترض حاجته من المال بضمان الارض أى رهنها .

ولكن هذه المحاولة كانت تحمل فى طياتها أهدافا خبيثة :

١ ـ أن اقرار مبدأ الملكية الخاصة يتيح لرؤوس الاموال الاجنبية ان تدخل فى الميدان وتحصل على الاراضى التى تستغلها فى هذه الحالة لصالحها .

٢ ـ وفى حالة حرية التصرف فى الارض فان الفلاح الافريقى ، الفقير الموارد ، سوف يضطر عاجلا أو آجلا ، وتحت ضغط المنافسة ، الى التصرف فى الارض ببيعها وبخاصة حين تتراكم عليه الديون وفوائدها ويعجز عن سدادها . هذا وان مصر لتقدم لنا مثالا نموذجيا على ما نقول اذ بهذه الوسيلة الاخيرة ـ اى الاستدانة ـ انتقلت مساحة واسعة من الارض الزراعية الى ايدى الشركات الاجنبية أو المغامرين الاجانب .

وثمة نتيجة أخرى تترتب على نظام الملكية الخاصة والقضاء على النظام التقليدى الذى شرحناه ، ذلك هو التمهيد لظهور الاقطاع الذى يسرى بقاءه رهينا بوجود المصالح الاجنبية . ففى أوغنده نصت اتفاقيات الحماية (التى اعلنت فى يناير ١٩٠٠) على طائفة من الضمانات التى تحول دون انتقال الارض الى أيدى الاجانب . ولكن مالبث ان نشأ اسلوب جديد وبخاصة فى بوجندا ، حيث قسمت مساحات كبيرة من الارض الى قطع ، وراحت السلطات تمنح صكوك الملكية لمن يستطيع ان يثبت أن له حقوقا قديمة فى القطعة أو القطع التى يريد ان يحوزها وبهذا ادخل نظام الملكية الفردية طبقا للمفهوم القانونى الانجليزى . وراح هؤلاء الملاك الجدد يقيمون الاسوار او الاسيجة حول ارضهم فلا يستفيد منها أعضاء الجماعة الذين هبطوا الى منزلة العمال الاجراء . غير ان النتيجة النهائية والخطيرة فى الوقت نفسه ، كانت انتقال مساحات شاسعة من اراض هى ملك للجماعة او الاسرة ، بصورتها الكلية ، الى ايدى فئة قليلة من الزعماء والرؤساء ، فكأن النظام الجديد أسفر عن خلق طبقة اقطاعية ذات ثراء ونفوذ .

وهكذا احدث الاستعمار الاضطراب فى نظام الارض عند المجتمعات الافريقية ، وعمل على تحطيم الاسس التى يقوم عليها تماسك هذه المجتمعات ، وراح يقطع الصلة الروحية بين الانسان والارض التى هى أم القبيلة على حد قول الزعيم جومو كنياتا .

دكتور راشد البراوى

منظمة الوحدة الافريقية ٢

أهدافها وأجهزتها

للدكتور على ابراهيم عبده

تحدثت فى مقال سابق عن مولد « منظمة الوحدة الافريقية » ، وعن الظروف التى دعت الى انشاء هذه المنظمة ، وبينت المشكلات التى تواجه افريقية اليوم ، والتى تقضى ، كما يقول السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، بضرورة وجود ارادة افريقية حرة واحدة لمواجهة هذه المشكلات ، وبضرورة وجود عقل منظم لهذه الارادة الحرة الواحدة ، حتى تستطيع أن تصمد لما يواجهها من تحديات ، ولتقدر على التقدم بكفاية الى الامال الافريقية العظمى . وذكرت ان مؤتمر القمة الافريقى ، الذى عقد فى أديس ابابا فى شهر مايو من عام ١٩٦٣ ، وضع ميثاق هذه المنظمة . وسأتحدث فى هذا المقال عن أهدافها وأجهزتها .

يقصد بالاهداف الافراض ، التى يجب على منظمة الوحدة الافريقية تحقيقها . وتنحصر هذه الاهداف — كما ورد فى المادة الثانية من ميثاق المنظمة — فيما يأتى :

(ا) تنمية وحدة دول افريقية وتضامنها .

(ب) تنسيق وتقوية تعاونها وجهودها لتحقيق حياة أفضل لشعوب افريقية .

(حـ) الدفاع عن سيادتها ، وسلامة اراضيها واستقلالها .

(د) القضاء على الاستعمار فى جميع أشكاله من القارة الافريقية .

(هـ) تشجيع التعاون الدولى ، مع الاخذ فى الاعتبار ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان .

ولتحقيق هذه الاهداف ، نصت المادة المذكورة من الميثاق على أن ينسق أعضاء المنظمة سياساتهم العامة ، ويعملون على التوفيق بينها ، وبخاصة فى الميادين التالية :

(ا) التعاون السياسى والدبلوماسى

(ب) التعاون الاقتصادى ، بما فى ذلك النقل والمواصلات .

(حـ) التعاون التربوى والثقافى .

(د) التعاون الصحى ، والرعاية الصحية والتغذية .

(هـ) التعاون فى الدفاع والامن .

واذا دققنا النظر فى هذه الاهداف وفى أهداف جامعة الدول العربية ، نجد تشابها كبيرا بينهما . فكذلك تنص المادة الثانية ، من ميثاق جامعة الدول العربية ، على توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسية ، تحقيقا للتعاون بينها ، وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها . كما ان هذه المادة من ميثاق الجامعة العربية ، تنص أيضا على أن من أغراض الجامعة تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا — بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها — فى الشئون الاتية :

(ا) الشئون الاقتصادية والمالية ، ويدخل

فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة ، وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شئون المواصلات ، ويدخل فى ذلك السكك الحديدية ، والبرق ، والطيران ، والملاحة ، والبرق والبريد .

(ج) شئون الثقافة .

(د) شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات، وتنفيذ الاحكام ، وتسليم المجرمين .

(هـ) الشئون الاجتماعية .

(و) الشئون الصحية .

وتقوم « منظمة الوحدة الافريقية » على المبادىء الاتية :

١ — المساواة فى السيادة بين جميع الدول الاعضاء ، وفى حقوق هذه الدول وواجباتها .

٢ — عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء

٣ — احترام سيادة كل دولة ، وسلامة أراضيها ، وحقها الثابت فى كيانها المستقل .

٤ — التسوية السلمية للمنازعات عن طريق التفاوض ، والوساطة ، والتوفيق أو التحكيم .

٥ — الاستنكار المطلق لاعمال الاغتيال السياسى فى جميع صوره ، وكذلك ألوان النشاط الهدام ، التى تقوم بهـا الدول المجاورة ، أو أى دول أخرى .

٦ — التفانى المطلق لقضية التحرر التام للاراضى الافريقية ، التى لم تستقل بعد .

٧ — تأكيد سياسة عدم الانحياز تجاه جميع الكتل .

وهناك تشابه كبير ، وتوافق يكاد يكون تاما ، بين المبادىء التى تقوم عليها منظمة الوحدة الافريقية ، والمبادىء التى تقوم عليها جامعة الدول العربية ، والتى تتلخص فيما يأتى :

١ — المساواة بين الدول الاعضاء فى مجلس الجامعة ، وفى لجانها المختلفة . ورئاسة المجلس حق لكل دولة تمارسه بالتناوب .

٢ — عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء ، وهذا المبدأ نصت عليه المادة الثامنة من ميثاق الجامعة .

٣ — احترام سيادة الدول الاعضاء . وقد أشير الى ذلك فى مقدمة ميثاق الجامعة وفى المادة الثانية منه .

٤ — فض المنازعات بالطرق السلمية . وقد نصت المادة الخامسة من ميثاق الجامعة على أنه « لايجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة، فاذا نشب بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ، والتجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف ، كان قراره عندئذ نافذا وملزما . وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينهـا الخلاف ، الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس فى الخلاف ، الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة ، وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها ، للتوفيق بينهمـا ، وتصدر قرارات التحكيم ، والقرارات الخاصة بالتوسط ، بأغلبية الاراء » .

ونلاحظ ان من المبادىء ، التى وردت فى ميثاق « منظمة الوحدة الافريقية » ولم يرد ذكرها فى ميثاق جامعة الدول العربية ، مبدأ « تأكيد سياسة عدم الانحياز تجاه جميع الكتل » . وهنا يجب أن نضع فى الاعتبار عامل الزمن . فميثاق الجامعة العربية وضع فى عام ١٩٤٥ ، بينما ميثاق منظمة الوحدة الافريقية وضع فى عام ١٩٦٣ ، ومبدأ الحياد وعدم الانحياز لم يظهر ، بصورة واضحة ، الا فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ . ويرجع الفضل الاكبر فى تدعيم هذا المبدأ ، وفى نشره فى آسيا وافريقية وأوروبا ، الى ايمـان مصر — بعد ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ — به ايمانا صادقا . بل ان سياسة الحياد وعدم الانحياز عند الجمهورية العربية المتحدة الان لا تعنى البعد عن الدخول فى كتل دولية فحسب ، بل تعنى أيضا بذل الجهد الايجابى للتقريب بين هذه الكتل . وفى ذلك يقول الميثاق :

« ان العمل من أجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعار عدم الانحياز والحياد الايجابي ؛

ان ارتفاع هذا الشعار اليوم ، على قارات كثيرة من العالم ، هو تحية عظيمة لاخلاص شعبنا فى خدمة السلام . ان الدعوة الاولى لاول مؤتمر لدول عدم الانحياز ، هذه الدعوات التى صدرت من القاهرة ، ولقيت استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب ، كانت فى نفس الوقت تقديرا انسانيا للمنهج الذى سلكناه فى خدمة السلام ، بعد ايماننا به ، واخلاصنا له .

بل ان الذين يحاولون اليوم استغلال شعار عدم الانحياز والحياد الايجابى ، ليستروا به أمام شعوبهم انحيازهم الى معسكرات الحرب والاستعمار ، انما يقدمون اطراء غير مباشر لشعبنا ، الذى كان رائدا فى رفع هذا الشعار عن ايمان ، وفى النضال من اجله عن حاجة حقيقية اليه ، نابعة من صميم كفاحه لاحراز التقدم » .

وتتكون أجهزة منظمة الوحدة الافريقية — كما نص عليها ميثاقها — ما يأتى :

١ — مؤتمر رؤساء الدول والحكومات ،

وهو الجهاز الاعلى للمنظمة . ويقوم — وفقا لاحكام الميثاق — بمناقشة المسائل ذات الاهمية المشتركة لكل الدول الاعضاء ، بغية تنسيق السياسة العامة للمنظمة . ويجوز له ، بالاضافة الى هذا ، اعادة النظر فى تكوين جميع أجهزة المنظمة واوجه نشاطها ، أو أوجه نشاط اية وكالات متخصصة ، تنشأ وفقا لاحكام الميثاق .

ويتكون المؤتمر من رؤساء الدول والحكومات ، ومن ممثليهم المعتمدين . ويجتمع مرة — على الاقل — كل عام ، بناء على طلب اية دولة عضو ، وموافقة أغلبية الدول الاعضاء . ومن الممكن أن يجتمع المؤتمر كذلك فى دورات غير عادية ، كلما دعت الحاجة الى ذلك .

ولكل دولة عضو فى المنظمة صوت واحد فى المؤتمر . وتصدر جميع قراراته بأغلبية ثلثى أعضاء المنظمة . أما المسائل المتصلة بالاجراءات ، فيبت فيها بالاغلبية المطلقة . ويقرر ما اذا كانت مسألة ما ذات صبغة اجرائية ام لا بأغلبية مطلقة لاعضاء المنظمة .

ويكون انعقاد المؤتمر صحيحا — فى أى اجتماع له — اذا حضره ممثلون لثلثى أعضاء المنظمة .

٢ — مجلس الوزراء :

ويتألف من وزراء الخارجية ، أو أى وزراء آخرين ، تعينهم حكومات الدول الاعضاء . ويجتمع هذا المجلس ، فى دورات عادية ، مرتين فى العام على الاقل ، بناء على طلب أية دولة عضو ، وموافقة ثلثى الاعضاء .

ويكون مجلس الوزراء مسئولا أمام مؤتمر رؤساء الدول والحكومات . ويعهد اليه بالاعمال التحضيرية لاجتماعات المؤتمر . كما يقوم بتنفيذ قراراته ، وتنسيق أوجه التعاون الافريقى ، طبقا لتوجيهات رؤساء الدول والحكومات ، وفقا للمادة الثانية من ميثاق المنظمة .

ولكل دولة عضو فى المنظمة صوت واحد فى مجلس الوزراء ، وتصدر جميع قراراته بالاغلبية المطلقة لاعضائه ، ويتألف النصاب القانونى له ، فى أى اجتماع ، من ثلثى أعضائه .

٣ — الامانة العامة :

وهى الهيئة الادارية للمنظمة . وتنص المواد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من ميثاق المنظمة على أن يكون لها أمانة عامة ، تتألف من أمين عام ، وأمناء مساعدين ، وعدد كاف من الموظفين . ويكون تعيين الامين العام والامناء المساعدين بقرارات تصدر من مؤتمر رؤساء الدول والحكومات . كما ان هذا المؤتمر ، هو الذى يحدد أيضا ، مهام الامين العام والامناء المساعدين ، وغيرهم من الموظفين ، وشروط خدمتهم ، وفقا لاحكام ميثاق المنظمة ، واللوائح التى يقرها مؤتمر رؤساء الدول والحكومات .

ونصت المادة الثامنة عشرة من الميثاق على أنه « على الامين العام الادارى وهيئة الامانة العامة الا يطالبوا ، أن يتلقوا فى أثناء قيامهم بواجباتهم ، تعليمات من أية حكومة ، أو من أية سلطة خارجة عن المنظمة . وعليهم الامتناع عن القيام بأى عمل يمس مركزهم ، باعتبارهم موظفين دوليين ، مسئولين أمام المنظمة وحدها » .

البقية ص ٤١

ضوء على دور مصر

الثقافى فى افريقية

للدكتور محمد المعتصم سيد

يذكر المؤرخون ان كل دور حضارى قام فى مصر كان يأخذ « خطا راجعا » الى افريقية وان هذا الخط كان يستمر فى شبه موجات تظل تتدافع حتى تصل الى أعماق الوجود الافريقى .

ذلك لان مصر كما يقول « سيليجمان » كانت تحتفظ دائما باربعة طرق تصل بها الى أكثر من مكان فى افريقية . وانه حين تتلمس الينابيع الاصلية للعائد ، أو الانظمة الاجتماعية بين الافريقيين يجب ان تتلمس فى الوقت نفسه « مصر القديمة » .

فما زال القوم فى جنوب السودان يلوون قرون البقر كما كان يفعل قدماء المصريين . وفى الكونغو يحتفظون الى الان ببعض المظاهر الخارجية للتحنيط الذى يمت بسبب الى التحنيط المصرى . وقد عثر بعض اهالى « ستانلى فيل » منذ سنوات على كمية من أوراق البردى وعليها نقوش هيروغليفية ولكن المبشرين الموجودين فى الكونغو حصلوا على تلك الوثائق التاريخية ثم عملوا على حرقها بدعوى انها من بقايا السحر والشعوذة ..

فاذا اضفنا الى هذا ان الالات الموسيقية الموجودة فى غرب افريقية هى نفس الالات المنقوشة علي جدران المعابد الفرعونية ادركنا ان هناك تأثيرا حقيقيا للحضارة المصرية القديمة فى افريقية .

وفى اوغندا لايزال « البصقر » هو الشعار الملكى ، وفى الوقت نفسه عرفت فى اكثر من مكان بافريقية الاهرامات والالهة المصرية والهياكل بل ان بعض هذه العادات كانت تتطور فى مصر ، ولكنها كانت تحتفظ بخصائصها الاولى وبنفس الملامح فى بعض البلدان الافريقية ، مما يمكن القول معه ان اية دراسة عن المعتقدات لن تكون كاملة الا اذا تم نوع من الدراسة المقارنة بين ما كان متبعا فى مصر القديمة وما يوجد الى الان من بقايا فى بعض أنحاء القارة .

على ان هذه الصلة لاتقف عند هذا فقط وانما تتعداها الى الادب والفن أيضا ولعل ما يقرب الينا هذا ما نعرفه فى الادب الفرعونى من قصة « الملاح الغريق » التى تدور حول ملاح مصرى غادر مصر ، وما زال يضرب بمجدافه فى المياه حتى قامت عاصفة فألقته الى احدى القرى الافريقية وفى هذه القرية تعرف الى « حية » ذكرت له قصتها وذكر لها قصته ، وكان ان تعاطفا ، وحافظت على سلامته ..

والنقوش المصرية ترينا صورة لملك الصومال

وزوجته واولاده ، وترينا كذلك المرح المصرى حين يصور حمارا هزيلا يقف بجوار الزوجة السمينة ثم يكتب تحت الحمار سطر يقول « الحمار الذى تركبه زوجته »

ثم اننا نعرف بعد ذلك أن القارة الافريقية قد أستعصت من قبل على الفرس ، وخمدت خطواتهم عند مصر ، ونعرف ان الرومان لم يتجاوزوا عدة نقاط فى الشمال الافريقى ، ولكن بلادنا فتحت قلوبها للعرب ، لا عند مجىء الاسلام — كما هو معروف — ولكن قبل الاسلام بكثير حتى ان سيناكول فى كتابه **« شرق افريقية فيما قبل التاريخ »** يؤكد ان الحفريات قد كشفت عن طريقة الحيـــاة المتشابهة بين الاسيويين والافريقيين مما تأكد معه وجود صلات برية قبل ان يتكون المعبر المائى المسمى الان البحر الاحمر .

ولعل هذا النوع من التقارب يلقى الضوء على التقدم العربى بعد الاسلام فى افريقية لافى الشمال فقط وانما جنوب الصحراء كذلك فقد قامت باسم هذا التقدم جنوب الصحراء دول غانا ، وصوصو ، ومالى ، وصنغاى واليوروبا ، وبرنو ، والهوسة ، والكانم ، وموسى ، وبمبارا .

وفى ضوء هذا نرى ان العرب قد ظهروا على الحدود الشرقية لمصر فى عام ٦٣٩ ، وانه لم يجىء عام ٦٤١ حتى كان العرب قد استخلصوا مصر من أيدى الرومانيين .

ومن مصر صارت تتحرك الجيوش العربية وتتقدم حتى اصطدمت فى اول الامر بالمحيط الاطلسى ، ثم تجاوزته بعد ذلك الى اسبانيا ذلك لان العرب لم يهدأوا فى مصر ، انمـا كانت « الرسالة » التى يحملونها تؤرقهم ، ومن هنا كان تقدمهم الموفق بعد ستة أعوام الى الشمال الافريقى ، كما ان عيونهم لم تغفل عن الجنوب ، وفى هذا نرى ان مصر عملت فى جبهتين كبيرتين احداهما الى جنوبها والثانية الى غربها .

وعلى هذين الطريقين الهامين وبعض الطرق الاخرى ، عبرت « الثقافة » الى افريقية ، وكان هذا التراث الضخم الذى نراه الان بيننا ، والذى ندعو الى بعثه من جديد ، والذى يتمثل فيما كتبه هؤلاء الرواد الكبار الذين يتمثلون فى البكرى ، وابن بطوطة ، والاصطخرى ، والمسعودى ، وابن حوقل ، وابن خلدون ، وجلال الدين السيوطى ، والادريسى ، وابن ســـعيد ، والحميرى ، والتونسى ، وابن خرداذبة ، والمقدسى .. الخ هؤلاء الذين يمكن القول بانهم يمثلون تمام التمثيل الثقافة العربية فى افريقية ، وانهم قد اصبحوا الان الشاهد الوحيد على تلك العصور الفائتة ، بحيث لا يمكن النظر الى تاريخ هذه الفترة المتقدمة الا من خلال اعمال هؤلاء المفكرين والرحالة .

ولعل مما يقرب الينا هذا قول **« توماس هودجكن »** — « بانه ترتب على انتشار الاسلام نتائج هامة بالنسبة لغرب افريقية فقد كان معناه توثيق الصلات عبر الصـــحراء بين العالمين العربى والافريقى ، ونمـو التعاليم الاسلامية والبحوث العلمية والحقيقة اننا استقينا معظم ما نعلم عن هذه الممالك القديمة مما كتبـــه الجغرافيون العـرب ، أو من الدارسـين الافريقيين الذين كانوا يكتبـون باللغة العربية ، على ان الذى يبرز الينا من هذا ان وجه مصر يزاحم كل الوجـوه التى أثرت فى افريقيـــة ، وانها كانت وراء كثير من الملامح الثقافية فى افريقية .

ففى شرق افريقية نجد هـــذا الفرمان المصرى الذى يركز على العلوم والفنـــون فيقول :

«فقد صرتم كأهالى الديار المصرية من كافـة الرعايا ، تتمتعون بالأمن وسائر المزايا ، ويتســاوى الضعيف فى الحقوق والقوى ، والكل يسلكون المنهج القويم السوى ، وان شاء الله تعالى نجتهد فى تعميم التعليم ، ونشر العلوم فى ذلك الاقليم ، لانه لولا العلوم والفنون ، لما وصل الى المطلوب الامم المتمدنون » ..

ومثل هذا يمكن رؤيته فى كثير من دول الشمال ودول الشرق الافريقى ذلك لان مصر كانت تقابل الضاربين فى الارجاء الافريقية ، ولانها باصالتها فى التعليم الدينى المتمثل فى الازهر كانت تشد الكثيرين اليها ، ولانهـا كانت فى الطريق الى مـكة ، ثم لانها كانت

لا تنعزل عن افريقية ، وانما تبعث بالرسل بعد الرسل الى هذه البلاد لنقل ملامح الثقافة المصرية الى ارجاء القارة .

ولقد كانت الخطوة الثقافية الصادقة هي تلك الخطوة التي تمت بعد الثورة المصرية ومع ان هذه الخطوة تمت في ظلال الخطوة السياسية الظاهرة الا ان التأثير الثقافي كان من اوضح ما قدم الى القاهرة في شكل مراكز ثقافية ، وجامعة شعبية ، وفروع للتعليم المصري بكافة مستوياته ، والامداد بالاعداد الوفيرة من المدرسين ، كما ان الكتاب المصري يعتبر الان من **((الزاد الافريقي))** وان الاذاعة التي تقدم في القاهرة لها مستمعون بكافة اللغات في جميع أنحاء القارة الافريقية .

ومما يؤكد أن هذه الخطوة طبيعية ، وامتدادا للتاريخ الثقافي لبلادنا ما تقرأه في كتاب فلسفة الثورة الذي يلقي ظلا حقيقيا على الصلات الحقيقية التي تربطنا بالقارة فقد جاء فيه :

((.. لن نستطيع بحال من الاحوال ، حتى ولو أردنا أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في أعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين .. لن نستطيع لسبب هام وبديهي ، هو أننا في افريقية .

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجي كله ، ولن نستطيع بحال من الاحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا في المعاونة بكل مانستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء)) ..

من هذا نرى ان بيننا وبين افريقية **((وحدة الفكر))** وان هذه الوحدة تظهر يوما بعد يوم ، وانها ليست جديدة وانما تدعمها التطورات التاريخية الضاربة الجذور في الصلات بيننا وبين افريقية .

وانه لكي تستمر الصلات بيننا وبين افريقية ، ولتكون هذه الصلات فوق متناول الاستعماريين والرجعيين .. فانه يجب ان ندعم « وحدة الفكر » هذه ، وان نفتح لثقافتنا النوافذ لكي تطل على اخوان لنا بعمق وفهم ..

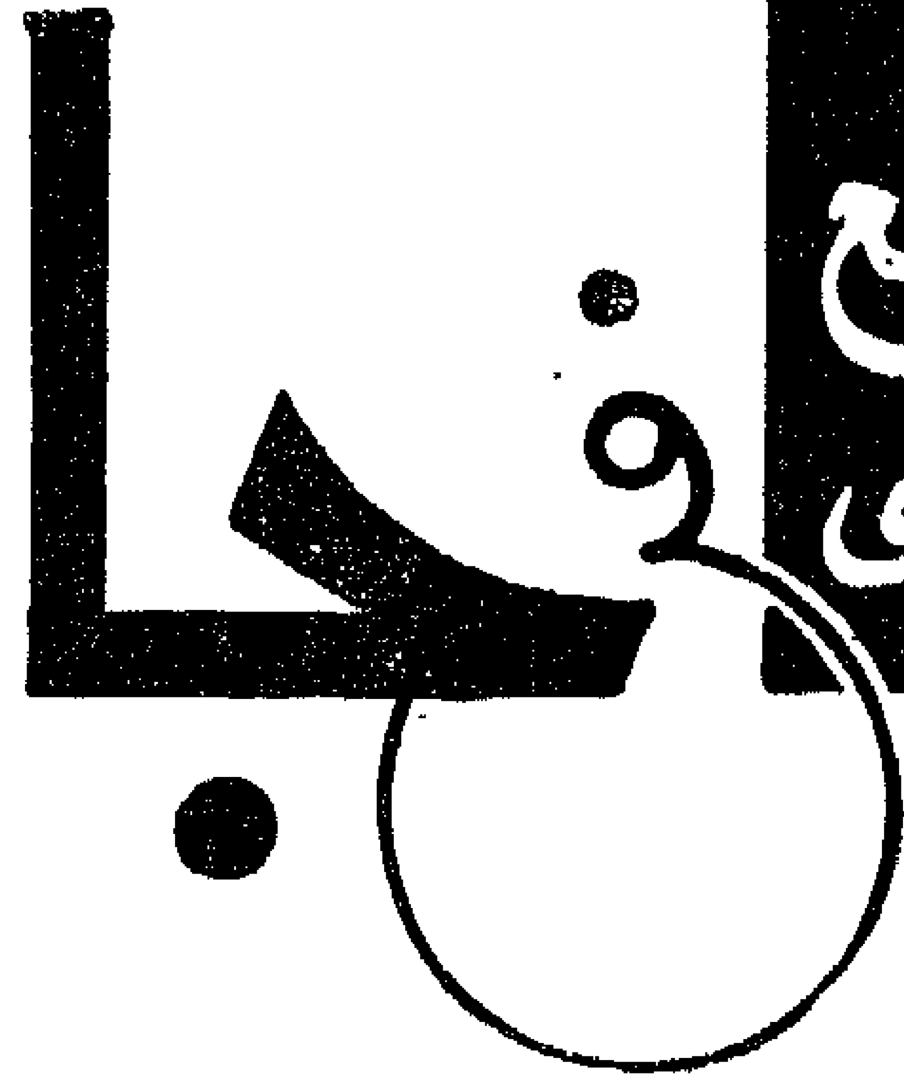
ومما يؤكد مستقبل هذه الثقافة انها ليست دخيلة على القارة وأنها ليست مستوردة على ظروفنا وتاريخنا ، فاذا اضفنا الى هذه أنها تمت بصلة الى العمق الانساني وانها تحرس التقدم ، والتطلع الى الرخاء .. اذا أضفنا هذا ادركنا ان علينا مسئولية نشر هذه الثقافة بين اخواننا الافريقيين ، والتضحية من اجل ان يكون « الزادالعربي» في متناول الشقيق الافريقي ، واحسب اننا سائرون في هذا الطريق ..

ان شعراءهم لا يزالون يتغنون بحضارة مصر القديمة ، ونحن نسمع منهم غناء شجيا وهم يقفون في وجه الحضارة الغربية ، فهم يسمعون أول ما يسمعون بتاريخ مصر القديمة وقد رأينا هذا في اكثر من شاعر ولعل في مقدمتهم الشاعر الغاني « ميشيل دي انانج » الذي يقول :

((افريقية السوداء !
أنا الذي رفعت اهرام الملوك
ووضعت قبضتي القوية على ثورات القياصرة المهزومين
افريقية السوداء !
التي ربت طفل الحضارة الكثير التساؤل
على الشواطيء المتعرجة لنهر النيل واهب الحياة
وكان لها الفضل على عالم الغرب المزدحم
بما وهبته من ثقافة اليونان ..

وغدا نسمع الكثير عما تقدمه اليوم الى افريقية من ثقافة انسانية، وفكر رحيب .

المجتمع السياسى فى جابون



بقلم عبد السلام شحاته

نسبت جابون الى رافد صغير يسمى الجابون وقد أطلق هذا الاسم على النهر بواسطة البرتغاليون فى القرن السادس عشر والكلمة فى البرتغالية Gabo وتطلق على نوع من الثياب له أكمام ورقبة ، وأعطى الاسم لتشابه النهر مع شكل الثوب . ولم تنسب الجابون مثلا الى نهر أوجويه الذى هو نهر كبير يمتد فى قلب الاقليم ٧٠٠ ميل وثلثه صالح للملاحة فى بلد مشكلتها الاولى صعوبة المواصلات .

وعرف الفرنسيون سواحل الجابون فى فترة مبكرة نسبيا بالنسبة للمناطق الاخرى التى كانت تعرف بافريقية الاستوائية الفرنسية وذلك عام ١٨٣٩ حيث استوطنوا الى منطقة ساحلية عرفت باسم مدينة الحرية « ليبرفيل » التى صارت عاصمة للاقليم فيما بعد . وقد أطلق هذا الاسم فى الغالب لأن الفرنسيين حرروا بالمنطقة شحنة من العبيد .

وحاول الفرنسيون ربط فكرة الحرية بقدومهم فى جابون ، الأمر الذى جعل المؤرخين الغربيين يؤكدون الصلات الثقافية بين فرنسا والجابون ، وهى تشبه صلة السنغال بفرنسا ، ثم كانت هناك من ناحية أخرى صلات قوية ثقافية وادارية بين السنغال والجابون .

واكتسبت الجابون مكانة ممتازة فى علاقتها بفرنسا كما قيل وذلك قبيل تكوين الاتحاد الادارى لافريقيا الفرنسية الاستوائية الذى ضم جابون وتشاد والكونغو الاوسط « برازافيل » وأوبانجى تشارى التى صارت اليوم جمهورية افريقيا الوسطى . وكانت فرنسا قد بدأت هذا النظام الادارى عام ١٩١٠ وخسرت فيه جابون مكانتها الممتازة لأن العاصمة الادارية للأقاليم انتقلت الى برازافيل فى حين كانت مدينة الحرية « ليبرفيل » عاصمة لا للجابون وحده بل للجابون ولداهومى حين استولت عليها فرنسا . كما خسرت جابون مكانتها الثقافية

الممتازة ، بالاضافة الى خسائرها فى مواردها الاقتصادية من وراء هذا الاتحاد الذى كان يخدم مصالح فرنسا وحدها . وأثر هذا الوضع تأثيرا سيئا على علاقة جابون بأقاليم اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية .

ولكى نستكمل الصورة التى تمثل حقيقة العلاقات بين جابون وجاراتها يجب أن نذكر ان سكان جابون ينتمون ثقافيا واجتماعيا الى شعب الفانج الذى لا يعيش أفراده فى أقاليم افريقية الفرنسية الاستوائية وانما يعيشون فى الكاميرون وفى غينيا البرتغالية .

وشعب الفانج شعب له تاريخ ، عاش حياة شبه رعوية وعرف الزراعة والتجارة كما أحرز النصر فى الحروب . وعرف أفراد منه كيف يمارسون التجارة بالمناطق الساحلية قبيل الاستعمار فكانوا يستبدلون المطاط والعاج بالملح وغيره من السلع التى تحتاجها البلاد فى الداخل .

وقيل أن شعب الفانج كان يعيش فى مناطق الاحراج ولكن غارات قبائل البيولا المستمرة عليه فى القرن الثامن عشر حملته على النزوح الى الجنوب . وهكذا انتقل من شمال الكاميرون الى جنوبه وخاصة الى جابون وغينيا البرتغالية ، وقد لوحظ بعد الاستعمار توقف التجار الذين ينتمون الى الفانج عن ممارسة تجارتهم بالمناطق الساحلية كما لوحظت من ناحية أخرى كثرة الهجرة الى المناطق الداخلية التى تكسوها الغابات والهجرة الى جنوب الكاميرون .

ومع أن غالبية سكان الجابون ينتمون الى أصل واحد الا أنهم عانوا فى القرنين الأخيرين من التفرق والتشتت كما تناقصت أعدادهم نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية سببها الاستعمار فى غالب الأحوال سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت الحاجة الى الوحدة ولم الشمل بتأثير حركات التحرر والقومية التى سرت فى انحاء القارة . فما هى سمات الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء السكان وما أثر ذلك فى الحياة السياسية الداخلية ؟ وما هو أثر الاستعمار فى هذه الأوضاع ؟

ويحسن أن نحدد المشكلتين الرئيستين اللتين نعرض لهما فى هذه السطور .

المشكلة الأولى هى صلة الجابون بجاراته الافريقيات وأثر الاستعمار فى هذه الصلات الخارجية .

والمشكلة الثانية هى مشكلة شعب النانج فى الجابون وأثر الاستعمار والظروف المختلفة لتفرقته وتمزقه ثم أثر هذه التفرقة فى الحياة السياسية الداخلية .

والمشكلة الثانية هى مشكلة شعب الفانج بجاراته تظهرنا باديء ذى بدء على جناية التقسيم الاستعمارى على الأقاليم الافريقية التى كانت نهبا لمطامع الدول الاوربية فكانت هذه تتقاسمها هى على أساس المصالح وحدها دون مراعاة لطبيعة المجتمعات البشرية والروابط الثقافية واللغوية والعادات والتاريخ المشترك .

ولم تفطن لدول الأوربية الى أهمية هذه الروابط وربما تعامت عنها بل الأرجح انها لم تدركها أصلا اذ حسبت الافريقيين قطعانا من الانعام يحيون حياة الحيوان فليس لهم تاريخ ولا ثقافة ولا آمال مشتركة .

واذا كان المستعمرون قد فطنوا الى الحقائق فانهم عمدوا الى تمزيق الشعوب واضعافها لامكان السيطرة عليها بأسهل الطرق ولأطول وقت ممكن .

ووجود الحدود المصطنعة الملفقة التى وضعها الاستعمار لظروف وأحداث طارئة تتعلق بمطامعه تؤدى اليوم الى الخلاف والتناحر بين الدول الافريقية المتجاورة التى استقلت حديثا . وهكذا بذر الاستعمار بذور الشر فيما مضى حتى باتت اليوم تمثل مشكلة خطيرة تهدد أمن الجارات وتثير أحقادا وتستنزف جهودا كان يجدر أن تبذل فى علاج اقتصادياتها وسائر أحوال عمرانها المتخلف .

والجابون انضمت الى نظام ادارى وضعته فرنسا عام ١٩١٠ ليضم سائر أقاليم افريقية الفرنسية الاستوائية مع أن الجابون ينتمى ثقافيا الى الفانج الذى يسكنون غينيا

البرتغالية والكاميرون كما رأينا ذلك من قبل وكانت لها مكانتها الثقافية وكانت ليبرفيل عاصمة ادارية لكل من جابون وداهومي . وبعد ذلك انتقلت العاصمة الادارية الى برازافيل . وبدأت ميناء بوانت نوار تحتل مكان ليبرفيل .

وكانت حاصلات الجابون من الاخشاب والمطاط وزيت النخيل وما اليها تجعلها أكثر تفوقا من الناحية الاقتصادية بالنسبة للأقاليم التي اشتركت معها في الوحدة الادارية الجديدة التي وضعها الحكم الفرنسي . كما أن جابون أقل سكانا من هذه الاقاليم وكثافة سكانها أقل بالنسبة لمساحتها .

ونحن في ذكرنا للتفوق في الثروة التي يمكن تصديرها من الجابون نتحدث عن الحاصلات الاستوائية التقليدية التي كانت المصدر الوحيد المعروف في ذلك العهد . ولم يكن قد عرف بها البترول الذي اكتشف في السنوات الأخيرة والتي صدرت منه جابون ٩٠٠ ألف طن عام ١٩٦٢ ولم يكن قد اكتشف بها الأورانيوم والمنجنيز والفحم وهي السلع التي ينتظر أن تصدر منها كميات كبيرة أيضا في المستقبل القريب .

صارت بوانت نوار هي الميناء المعد لتصدير حاصلات الاقاليم الاربعة في الاتحاد كما عني الفرنسيون بامدادها بالمنشآت الخاصة باعداد الحاصلات والمواد المصدرة ، ومدوا الخطوط الحديدية التي تصل بين الساحل وبين داخل الكونغو الفرنسي ، كما أخذوا ينشئون المطارات وغيرها . وهكذا كان التعمير في الكونغو الاوسط وحده وحرمت جابون أهميتها التي كانت لها من الناحية الثقافية والادارية كما حرمت من وسائل المواصلات التي تفتقر اليها أشد الافتقار ومن المنشآت الخاصة باعداد السلع للتصدير الخ .

وفي الوقت نفسه فان الادارة الفرنسية كانت تجبي الضرائب من الجابون لتنفقها على مشاريع الاتحاد وتحابي الكونغو وتؤثرها بمشروعات العمران .. كل ذلك آثار حقد أبناء جابون على اخوانهم الافريقيين وأخذوا يرددون في خطبهم السياسية بعد الحرب العالمية الثانية الظلم الذي وقع عليهم من جراء الاتحاد الذي حرمهم أموالهم لينفقها على مشاريع لا تخدم الا الاستعمار وحده . وقد قوى من روح السخط ديون الحرب التي كان على أقاليم الاتحاد أن تدفعها .

وهكذا أدرك أولئك المتحمسون للروابط التي تربط فرنسا بالجابون أن فرنسا انما كانت تخدم مصالحها وحدها ، وان هذه الروابط هي أسطورة سخيفة وخدعة لا تجوز ، كما أدركوا كيف أدت سياسة فرنسا الى بذر الكراهية بين الشقيقات الافريقيات .

أما المشكلة الثانية التي تتعلق بتشتت وتفرق شعب الفانج وتناقصه وأثر الاستعمار في ذلك ، فلكي يمكن ادراكها يجب أن نذكر صعوبة المواصلات نظرا لكثافة الغابات التي تنتشر في أنحاء الجابون فضلا عن صعوبة المواصلات النهرية .

وقد حول الاستعمار شعب الفانج المحارب الى شعب مهاجر ، فسكن الغابات فريق كبير منه وتكونت قرى نائية متفرقة متباعدة يصعب الاتصال بينها ، وقد فرض الاستعمار عليها نظما اقتصادية لم تألفها فحين أراد الحكم الفرنسي عام ١٩٠٦ مثلا أن يفرض ضرائب نقدية على الأفراد لاذ عدد كبير من سكان المناطق الساحلية الى الغابات والى الكاميرون .

وفي تلك المناطق النائية تعيش القبائل متمسكة بتقاليدها وترى في تمسكها هذا رمزا لشخصيتها وحريتها وتستميت في المحافظة عليها في وجه النظم الجديدة التي أدخلها الاستعمار والتي لم يألفها شعب الفانج . وفي مثل هذه المناطق تنتشر الامراض ، ولا يتوفر الاستقرار ولا تتيسر أسباب الزواج نظرا للمغالاة في المهور ، وهكذا صارت هذه القرى تحت سيطرة الطاعنين في السن الذين احتكروا التجارة والنساء مما أدى الى تناقص النسل .

وقد هال السلطات الفرنسية ذلك باعتبار

أن الأيدى العاملة عنصر أساسى فى الانتاج الاقتصادى وفى استغلال ثروات المستعمرة فكانت تدفع الشبان دفعا للتعاقد مع شركات استغلال الغابات وغيرها فيضطر هؤلاء الى الارتباط مع هذه الشركات لمدة عامين يصبح بعدها الرجل الافريقى الذى غير أسلوب حياته السابق خاضعا خضوعا تاما للشركات الاحتكارية التى تتحكم فيه كيف شاءت .

وليس دفع الافريقيين دفعا الى العمل بالشركات غير نوع من السخرة فى الواقع ، وكانت مشكلة الشركات المستغلة على الدوام تتلخص فى قلة الأيدى العاملة .

ولهذا سيقدم الحكم الفرنسى خلال هذا القرن دفعات من العمال من داهومى ومن نيجيريا بشروط معينة للتغلب على قلة الايدى العاملة . كما أنشئت فى أعقاب كل من الحربين العالميتين لجان لحل مشكلة السكان والاسرة والزواج . وكان من الواضح ان العامل الافريقى الذى ينتقل من قريته الى معسكرات العمل تتشاكل لديه اراء مخالفة لاراء قبيلته وعائلته ، فهناك انفصال فكرى بين هؤلاء العمال وبين عائلاتهم ، بالاضافة الى انعزال كل قرية وانقطاع الصلات بين أطراف البلد الواحدة ، فضلا عن الهجرة الدائمة وعدم الاستقرار للابتعاد عن سلطات الاستعمار ونظمها

ومن التوصيات التى قدمت فى أعقاب الحرب الاولى الاهتمام بتقوية أواصر الاسرة وتسهيل الزواج وتخفيض المهور ، وتقييد الطلاق وفرض عقوبات على العلاقات غير الشرعية . أما بعد الحرب الثانية فقد بحثت اللجنة أسباب تفتت العلاقات فى المجتمع كله والوسائل المؤدية الى وحدة شعب الفانج وتوفير رؤساء منتخبين للمعاونة فى حل مشكلاته نظرا لقلة جدوى الرؤساء الذين تعينهم السلطات الاستعمارية . وكان لهؤلاء الرؤساء المنتخبين أثر كبير فى توفر التعاون لتحقيق المنافع العامة كالطرق والمدارس والمستشفيات وخاصة فى الشمال . وكان الشمال قد عرف الاستقرار الاجتماعى خاصة بعد ادخال زراعة الكاكاو عام ١٩٣٠ أثر نجاح زراعته فى الكاميرون ، وما أن تحقق الفانج فى الشمال من فائدة زراعة هذا المحصول حتى أظهروا تفوقا كبيرا فى العمل الزراعى وفى تجارة المحصول وتوسعوا فيه واستغلوا النساء فى تجارته فى حين تفرغ الرجال للزراعة ، وقلت الهجرة واستقرت الاوضاع .

فاذا أضفنا الى هذا النجاح وجود زعماء منتخبين يعملون على توفير المنافع العامة ، فان ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية يصبح أمرا لا شك فيه .

ومما يلاحظ ان هذا النجاح كان على أساس وحدة شعب الفانج فنادى الشمال باحياء الروابط والثقافة الخاصة بهذه الجماعة ونشروا تعاليم القبيلة . وظهر زعماء الفانج فى الشمال وعلى رأسهم « م.جين أوبام » الذى أسهم فى نشاط الجماعة التى تبغى وحدة الفانج وتنتظم القرى والمدن فى سلسلة من القواعد الادارية المشتقة من ثقافتهم .

وقد هال الاستعمار نجاح هذه الجماعة حين أحرزت تقدما ملحوظا واستطاع أن يقاومها ويقضى عليها .

أما حركة الجنوب التى تزعمها ليون مبا فلم تكن حركة مشتقة من تعاليم الفانج وحدهم بل دخلتها عناصر غربية كما ان الحركة تأثرت بعقيدة البيوتية Biwiti وكان زعماء الحركة يختلفون عن ابناء الشمال الذين كانوا زراعا مستقرين مخلصين لثقافة الفانج ، اذ قامت حركة الجنوب على أيدى الجنود المسرحين من الجيش والصناع والتجار .

ومع ان كلا من الفريقين نادى بهدف واحد هو وحده شعب الفانج الذى عانى من التفكك والتمزق منذ أن عرف الاستعمار ، الا أن كلا منهما سلك طريقا مختلفا . وعمل الاستعمار على اثارة الغيرة والخلافات الشخصية الى جانب اختلاف الطابع الاقليمى لكل من الشمال والجنوب فى حياته .

ومما يذكر ان نجاح الزراعة فى الشمال يرجع الى ان هذا النوع من العمل لم يكن

قريبا على شعب الفانج وان الاصلاح يكون بتطوير ما هو معروف ، مما أدى الى الاستقرار ، والى الاصلاح على أساس احياء تقاليد الفانج .

وحين رأى الاستعمار ان يقضى على حركات الاصلاح وخاصة فى الشمال حيث اتهم الحركة الاصلاحية بأنها حركة يسارية نجح فى القضاء عليها ولم ينجح فى الجنوب لان الجنوب استغل عقيدة البيوتية فدافع عنها وعن حركته السياسية التى سارت فى ركابها .

وهكذا فان الاستعمار حين واجه الاصلاح الحقيقى الذى يؤدى الى زيادة السكان واستقرارهم ، وهو الامر الذى ظل الاستعمار سنوات طويلة يدعى انه يعمل له ، لم يستطع عليه صبرا وانما قاومه فى غير هوادة

وانتهى الخلاف الطويل بين الشمال المحافظ والجنوب المتطور الى وجود حزبين سياسيين يمثلان الشمال والجنوب .

أما الجنوب فان حزبه المسمى « الكتلة الديموقراطية الجابونية » فيرأسه ليون مبا الذى تولى الحكم عام ١٩٦١ . وليون مبا له مشاركة طويلة فى حركات الاصلاح الاجتماعى والسياسى .

ويمثل الشمال حزب «الأتحاد الديمقراطى الاجتماعى الجابونى » وعلى رأسه جين اوبام

وقد اشتد الخلاف بين الحزبين سنوات بفعل الدسائس الاستعمارية بالرغم من شدة حاجة شعب الفانج الى توحيد الجهود السياسية والاجتماعية بعد أن مزقه الاستعمار وكاد أن يقضى عليه سواء بطريق مباشر أو بطرق غير مباشرة وفعلا وجد المسئولون ان المصلحة القومية تقتضى التآلف فتألفت الجبهة الوطنية من الحزبين عام ١٩٦١ أثناء الاقتراع العام الذى أجرى خلال ذلك لانتخاب الجمعية التشريعية .

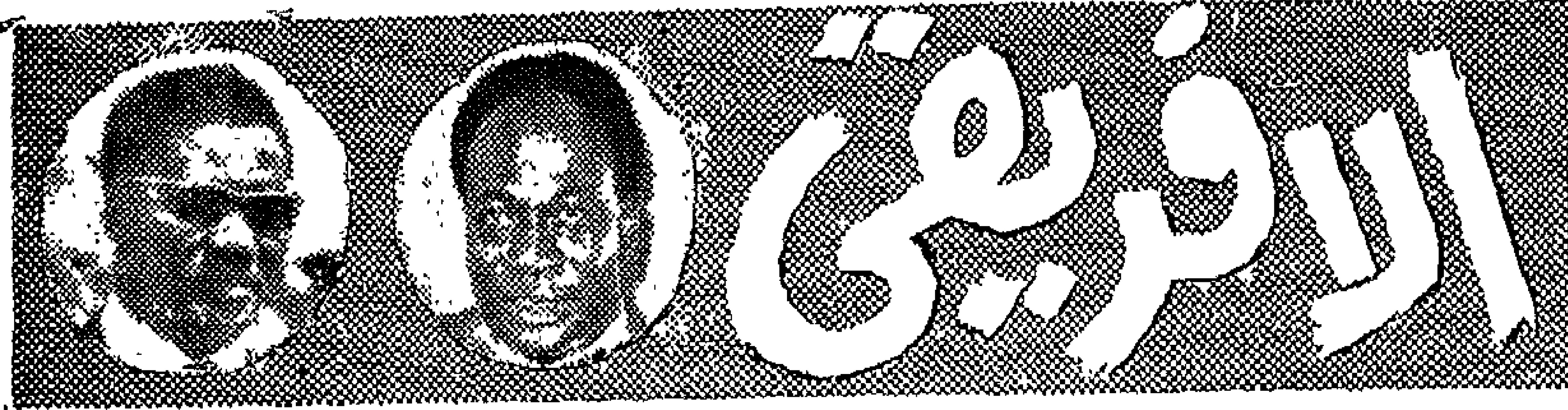
*

ومن المنتظر أن ينقلب الشعب الجابونى على عوامل الفرقة والتمزق لتحقيق الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى وتوفير المواصلات لتسهيل الاتصال بين طوائف الشعب ، وحل أزمة الاسرة وقلة عدد السكان ونشر التعليم وبث معانى القومية فى النفوس والعمل على تحقيق التنمية الاقتصادية .

ومن المنتظر كذلك ان تزول تلك الاحقاد المصطنعة بين الجابون وجاراته للتعاون فى ظل الحرية والسير فى ركب التحرر الافريقى لتحقيق الوحدة الافريقية الشاملة .

عبد السلام شحاتة

من مشاكل الاقتصاد الافريقي



للدكتور محمد عبد الرحمن برج

ليس هناك من شك فى أن أولى المشاكل التى واجهت الدول الافريقية التى نالت استقلالها حديثا مشكلة التنمية الاقتصادية بعد أن عانت من التخلف الاقتصادى سنين طويلة تحت وطأة الحكم الاستعمارى البغيض.

ولقد أدرك الزعماء الافريقيون (نذكر منهم على سبيل المثال نكروما عقب استقلال بلاده فى عام ١٩٥٧ ونيريرى رئيس وزراء تنجانيقا بعد أن تحققت لبلاده حريتها السياسية عام ١٩٦١) أهمية التنمية الاقتصادية لبلادهم وضرورة التخطيط الذى يكفل زيادة الدخل القومى .

لقد أدرك الثوار الافريقيون الذين قادوا بلادهم الى النصر فى معارك الحرية أن الاستقلال السياسى — متى تحقق — يجب أن يكون مقدمة لاستقلال اقتصادى وبدونه ستظل الدول الافريقية تبدو وكأن علمها الوطنى لم يرتفع خفاقا فوق الارض الافريقية — فى حالة تبعية اقتصادية للدول الاستعمارية .

ولكن هناك عددا من الصعوبات التى لازالت تعترض طريق العديد من الدول الافريقية المستقلة نحو تحقيق تطورها الاقتصادى ، ولعل أولى هذه المشاكل وأهمها **هى مشكلة الاعتماد على الزراعة كمورد أساسى للدخل القومى .**

ذلك أن الظاهرة المشتركة لدى غالبية الدول الافريقية المستقلة حديثا هى مشكلة الاعتماد على زراعة وتصدير محصول رئيسى واحد ومثال ذلك غانا التى تنتج الكاكاو وتصدره ويعتمد عليه اقتصادها القومى كمصدر أساسى للدخل . وفى نيجيريا يحتل الفول السودانى رأس القائمة فى المنتجات والصادرات الزراعية . ويعتبر البن بالنسبة للحبشة ودول أفريقيا الشرقية المحصول الرئيسى بينما يكون المطاط حوالى سبعين فى المائة من صادرات ليبيا . وفى السودان احتلت الصادرات الزراعية وفى مقدمتها القطن حوالى واحد وتسعين فى المائة من جملة صادراتها وذلك عن المدة ما بين عامى ١٩٥٧ — ١٩٥٩

واعتماد اقتصاد الغالبية من الدول الافريقية على تصدير محصول رئيسى واحد له خطورته الكبيرة ذلك أنه يجعل اقتصادها مرتبطا تمام الارتباط بالسعر الذى تحدده السوق الخارجية لذلك المحصول مما يجعله عرضة لتقلبات الاسعار والتحكم فيها من جانب الدول المستوردة لهذه المنتجات الافريقية .

ولعل ماحدث للسودان فى الثلاثينات الماضية

حين انخفض سعر القطن حيث تأثرت اقتصادياتها لحد كبير لاكبر دليل على خطورة اعتماد أي دولة على انتاج محصول رئيسي واحد .

وقد واجه الاقتصاد غانا في سنة ١٩٥٧ الذي واجهه الاقتصاد السوداني حين انخفض سعر الكاكاو الذي يمثل ثلاثة أرباع صادرات تلك الدولة ومن ثم واجهت الدولة في أولى سنوات استقلالها تدهورا في اقتصادياتها بسبب انخفاض سعر تلك المادة الرئيسية الغذائية .

الى جانب ذلك كله فان اعتماد دولة ماعلى تصدير محصول رئيسي واحد وارتباط اقتصادها بذلك يجعلها عاجزة عن أن تخطط لاقتصادها لسنوات طويلة مقبلة بسبب عدم موارد ثابتة لدخلها القومي بسبب تحكم الدول الاستعمارية في اسعار المحصول الرئيسي للبلاد الافريقية النامية فضلا عما قد يتعرض له المحصول الرئيسي ذاته من انخفاض في الانتاج لسبب أو لآخر .

ومن ثم كانت المشكلة الاساسية في معظم البلاد الافريقية التي استقلت حديثا هي ضرورة تنويع منتجاتها وعدم بقائها تعتمد على انتاج محصول رئيسي واحد وذلك يقتضي ضرورة دراسة اسس ومصادر الثروة بتلك الدول الافريقية وبحث الوسائل الكفيلة بتطوير اقتصادياتها ومدى امكان تحسين وسائل الري والصرف ودراسة التربة والمحاصيل الملائمة والتي يمكن أن تجود زراعتها بغلات وفيرة تساعد على تقدم الاقتصاد القومي .

وفي مجال تطوير الزراعة وتنويع الانتاج منها ينبغي اهتمام الدول الافريقية بانتاج الحبوب والمواد الغذائية التي تكفل سد حاجة السوق المحلي بدلا من استيرادها من الخارج، الامر الذي يوفر لتلك الدول الكثير من العملات الصعبة ، فضلا عن ان انتاج المواد الغذائية وتوفيرها لسد حاجة الاستهلاك المحلي يضمن رخص اسعارها وهو من أهم الامور التي يجب على الدولة ان تكفله لافرادها .

ولعله من نافلة القول أن نذكر أنه كلما خطت الدول الافريقية المتحررة حديثا خطوات سريعة تجاه اللحاق بركب المدنية الذي سبقته اليها غيرها من دول العالم ازدادت حاجتها للمواد الاستهلاكية كأمر طبيعي لارتفاع مستوى المعيشة . ومن الضروري للدول الافريقية وهي تعمل على تنمية اقتصادياتها في المجال الزراعي الا يفوتها الاهتمام بالثروة الحيوانية وقد قطعت تشاد ومدغشقر شوطا في هذا السبيل .

كذلك اتجهت روديسيا والسنغال لزيادة انتاج الاسماك كمادة غذائية تساعد في سد النقص في اللحوم .

وينبغي الا تترك تلك السواحل الطويلة للقارة دون استغلال هذه الثروة الهامة وتصدير ما يفيض عن حاجة الدول الافريقية الى الخارج كوسيلة لزيادة الدخل القومي .

وفي مجال التصنيع فان المشاكل التي تواجه الدول الافريقية المستقلة حديثا أكثر وأخطر من تلك التي تواجهها في مجال الزراعة ذلك انه من المعروف ان الدول الاستعمارية كانت تقاوم كل نهضة صناعية حتى تضمن بقاء القارة الافريقية مصدرا للمواد الخام ومقرا لتصريف منتجاتها الصناعية . ومن ثم أصبح أمام الدول الافريقية شوط طويل عليها أن تقطعه حتى تلحق بالركب الصناعي المتقدم الذي بلغته غيرها من دول العالم .

وأولى المشاكل التي تواجهها في هذا السبيل نقص الخبرة الفنية لدى القوى العاملة الافريقية حيث حرص المستعمرون على بقاء العمال الافريقيين دون خبرة ودن تدريب حتى لاتتوافر لدى تلك الدول الافريقية قوة عاملة لديها من الخبرة والكفاءة مايؤهلها لادارة حركة العديد من الصناعات . ومن ثم اتسم الانتاج الصناعي في معظم الدول الافريقية بضآلة مداه وصغر عدد المؤسسات الصناعية وبالرغم من توافر المواد الاولية التي بدونها لايمكن أن يكون هناك نهضة صناعية كالحديد والفحم ، وبالرغم من توافر مساقط المياه في

مناطق كثيرة من القارة حيث يمكنها أن تمد الصناعات بالقوى الكهربائية اللازمة كما هو الحال فى أوغندا حيث توجد مساقط أوين وفى روديسيا ونياسالاند حيث توجد مساقط كاريبا ، الى جانب ذلك تزخر القارة بالعديد من المناجم التى ان استغلت يمكن أن تساهم فى تقدم الصناعة تقدما ملموسا . الا انه مازال هناك العديد من العقبات أمام استثمارها كما هو الحال فى روديسيا ونياسالاند . أما الكونغو فقد حرمت من الاستقرار السياسى عقب حصولها على الاستقلال وحرص المستعمرون البلجيكيون على اشاعة الاضطرابات فيها وبث الحركات الانفصالية فيها وخاصة فى كاتنجا الغنية باليورانيوم ومازال استثمار المناجم الافريقية فى حاجة الى المزيد من الابحاث الطوبوغرافية والجيولوجية وعمل الخرائط المساحية . واذا كان المسح الجيولوجى الذى تم فى بعض مناطق افريقية قد بشر بنتائج عظيمة فان اتمام المسح الجيولوجى لباقى مناطق القارة لازال فى حاجة الى تقدم فى مجال التصوير الجوى والمزيد من الفنيين المهرة مهندسين كانوا أو عمالا .

وقد أجرى العلامة جون نون بحثا فى كتابه الذى سماه مشكلة العمال فى افريقية ذكر فيه أن القارة الافريقية لا تعانى من نقص فى الايدى العاملة بل لديها من تلك القوى العاملة ما يكفى لكل المشروعات الصناعية المقبلة التى تنوى الدول الافريقية اقامتها ، لكن الحاجة ليست الى اعداد من العمال بقدر ما هى فى حاجة الى الفنيين منهم والمهرة والمدربين تدريبا تاما .

يرتبط بتطوير الصناعات ضرورة تطوير النقل فى داخل القارة ، فمن المعروف انه ليس من شىء يمكن أن يخدم الاقتصاد ويساعد على تطويره سواء فى ميدان الزراعة أو الصناعة وكذلك التجارة مثل الاهتمام بالنقل والعمل على تحسينه وتطويره . واذا كانت وسائل النقل عبر مناطق كثيرة من القارة لازالت بدائية فضلا عن انه لم يتم بعد قهر الطبيعة القاسية فى مناطق كثيرة من القارة ، الامر الذى يجعل حرية الانتقال بين الدول الافريقية عسيرا للغاية خصوصا عبر المناطق الصحراوية التى تمتد عبر مساحات شاسعة فى القارة .

ولم يكن من المتوقع أن يحاول الاستعمار بعد ان سيطر على القارة منذ منتصف القرن الماضى أن يهتم بتقدم وسائل النقل ويعمل على شق العديد من الطرق . ذلك ان بقاء القارة بمعزل عن الاتصال الخارجى ثم صعوبة الانتقال فيما بينها أمر يخدم الاستعمار قبل غيره .

ولكنه لم يعد باستطاعة أفريقية ان تبقى وسائل النقل على ماكانت عليه فقد أصبح تقدم وسائل النقل ضرورة واجبة لا فى ميدان الاقتصاد فحسب ، بل لضرورة الاستقرار السياسى ، وتنمية روابط القومية ونمو سلطة الولاء للدولة . ولذلك فان الحاجة تبدو ماسة لدى العديد من دول القارة للقيام بتخطيط لشق الطرق والسكك الحديدية والقيام بالدراسات والابحاث اللازمة لتطور وسائل النقل البرى والجوى وكذلك المائى . ولتحقيق ذلك لابد أن يكون لدى القائمين بتلك المشروعات خبرات فنية وأن تعد لهم برامج تدريبية على جميع المستويات من أول كبار المهندسين الى العمال ويرتبط بذلك ضرورة تنظيم الجهات والمصالح الحكومية التى يوكل اليها أمر الاشراف على الطرق والنقل .

كذلك فان معظم الدول الافريقية فى حاجة الى مساعدات فنية فى قطاع التطور المدنى : فى تخطيط المدن والتخطيط الصحى والاسكان وكافة مرافقه .

ومع استعراضنا لتلك المشاكل التى تواجه العديد من دول القارة فى تطورها الاقتصادى وحاجتها الى مساعدات فنية وخبرات اجنبية ومدهم بالقروض والمعونات التى تساعد على التطور الاقتصادى يجدر بنا أن نسأل من أين يمكن أن تجد الدول الافريقية المجال لذلك .

هناك من يؤكد ضرورة أن يتم تقديم تلك المعونات المادى منها والفنى عن طريق الامم المتحدة بسبب رئيسى هو ان الدول الافريقية التى عانت من الاستعمار وويلاته والتى لاتزال أجزاء من القارة تعانى الخضوع لسياسة

استعمارية ممقوتة وتفرقة عنصرية بغيضة ، أصبحت تلك الدول لديها حساسية كبيرة فى علاقاتها الخارجيـــة وأصبحت لا تريد تلقى معـونات يشتم منها اتجاه لفــرض تبعية سياسية .

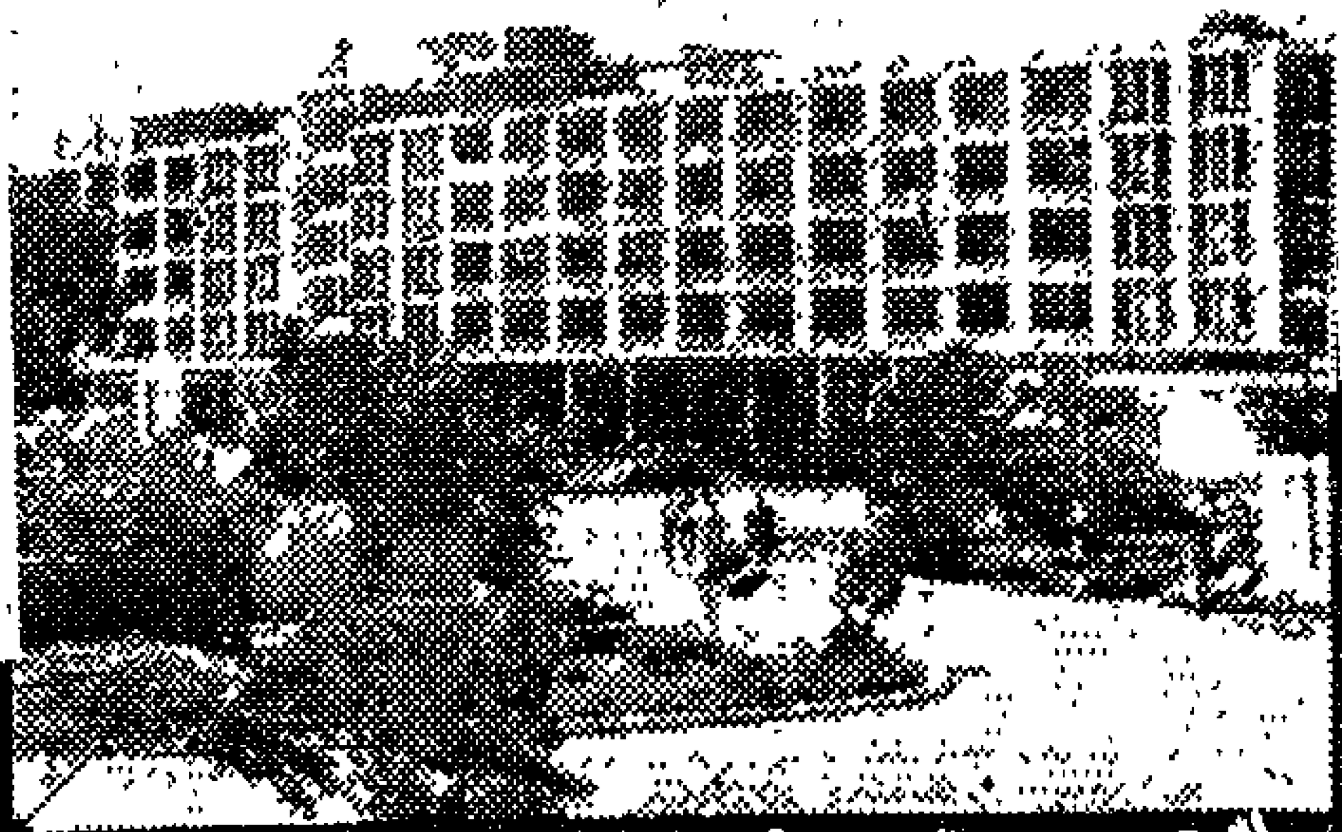
وينبغى القــول أن اشراف الامم المتحدة على أمور التنميـــة الاقتصـــادية فى الدول الافريقية ومدها بالمســاعدات يقتضى اعادة تنظيم هيئة الامم المتحدة بحيث تمثل الدول الافريقية فى تلك الهيئةالدولية تمثيلا يتناسب مع زيادة عدد الدول المستقلة فى القارة خلال الســنوات الاخيرة حتى يمكن أن يســـدى ممثلوها فى تلك الهيئة الوسيلة المثلى لتقديم تلك المعونة والخبرات .

ولكن يجب ألا نغفل حقيقة هامة وهى أن الدول الافريقية عليها أن تعتمد على نفسها فى تطورها الاقتصادى ولعل خير الجهودالتى بذلت فى هذا السبيل تلك التوصيات التى اقرتها اللجنة الاقتصادية الافريقية التىعقدت اجتماعها فى أديس أبابا فى مارس ١٩٦١ اذ حبذت اللجنة فكرة التعاون الاقتصادى بين الدول الافريقية . وفى مؤتمر الدار البيضاء الذى عقد عام ١٩٦١ تقرر تشـــكيل لجنة اقتصادية تضم وزراء اقتصاد دول أفريقيا المستقلة وتقرر أن تجتمع بصفة دورية لاتخاذ القرارات اللازمة الخاصة بالتعاون الاقتصادى الافريقى . وعقدت تلك اللجنة الاقتصـــادية أول اجتماعاتها فى ١٧ يوليو ١٩٦١ فى كوناكرى عاصمة غينيا وكان أهم قراراتها انشاء مجلس للوحدة الاقتصادية ووضـــع مشروع اتفاقية للمعونة الفنية فضلا عن السعى لانشاء بنك افريقى للتنمية وانشـــاء اتحاد أفــريقى للمدفوعات لمجموعة دول الدار البيضاء .

وخاتمة القول أن على الدول الافريقية التى تقدمت اقتصاديا تزويد زميلاتها من الدول التى استقلت حديثا وان تأخذ بيدها وتضع كل خبراتها وثمرة تجاربها تحت تصرفها وقد قـــدمت الجمهورية العربية المتحدة أحسن المثل لذلك فهى وقد خاضت نفس الظروف التى ماتزال بعض الدول الافريقية تمر بها لا تبخل عليها بالمســاعدات الفنية ومـــدها بالخبراء وقـــد بادرت الجمهورية العربية المتحدة الى عقد اتفاقات اقتصادية معالعديد من دول القارة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تلك التى عقدتها مع كل من مالى والصومال وجمهورية غينيا وذلك كله تنفيذا لما جاء فى الميثاق :

أن شعبنا يعيش على البـــاب الشمالى الشرقى لافريقية المناضـــلة وهو لايستطيع أن يعيش فى عزلةعن تطورهـــا السياسى والاجتمـــاعى والاقتصادى

ومن الجهود الطيبة تلك التوصيات التى تقدم بها وفد الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر التجارة والتعريفة الجمركية الذى عقد فى جنيف فى أواخر مايو ١٩٦٣ والتى تضمنت ضرورة توقف الدول الكبرى عن فرض قيود جديدة على صادرات الدول النامية وعـدم زيادتها والغاء التعريفة الجمركية على المواد الاولية الهامة التى تنتجها الدول النامية ، وقد صرح الدكتور القيسونى وزير الخزانة فى الجمهورية العربيـــة المتحدة بتـــاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩٦١ ان الدول الافريقية لاينالها من الدول الكبرى الا هوان الاسماء : معونات، ساعدات بينما هذه الدول الصناعيةالكبرى خففت من القيود التى فرضتها وخففت الضرائب الجمركية التى أخضعت لها واردات الدول الافريقيـــة الناميـــة لما احتاجت تلك الدول لما تسميه الدول الكبرى بالمعونات .



التحول المدنى فى غرب افريقية

عرض شوقى الخشاب

لعل من أهم النتائج التى أسفر عنها دخول الانظمة الاقتصادية لافريقيا المدارية عامة ، تلك الظاهرة التى يطلق عليها أساتذة علوم السكان تعبير التحول المدنى Urbanization ويقصد بالتحول المدنى — فى معناه الواسع — تلك التغيرات الاجتماعية والديموجرافية التى تصيب الجماعات الريفية على أثر استخدام المستحدثات الصناعية والتجارية الاوربية فتسفر عن حدوث « انتقال » الجماعات الى المدن مع تخليها عن « الزراعة » كوسيلة للمعيشة الى التجارة أو الصناعة وغيرها من أوجه النشاط الاقتصادى الذى يرتبط عادة بالمدينة ، كما يعبر التحول المدنى — فى كثير من الاحيان — عن الظواهر الاجتماعية التى تصيب المجتمع القبلى التقليدى كنتيجة مباشرة للاقامة « الدائمة » فى المدينة .

ودراسة درجة التحول المدنى للجماعات الوطنية فى غرب أفريقيا تكتنفها — فى الواقع — صعوبات ناشئة عن عدم توفر المواد الاحصائية عن النسب الدقيقة لسكان المدن ونسبتهم الى المجموع الكلى للسكان ، وكذا متوسطات مدة الاقامة فى المدن ومدى استقلال الافراد الذين يسكنون المدينة عن ذويهم الريفيين وغيرها من المعلومات الاساسية التى يمكن بمساعدتها — معرفة درجة التحول المدنى .

واذا اعتبرنا المدينة هى التجمع السكانى الذى يزيد على ٥٠٠٠ نسمة — فان نسبة السكان المدنيين فى افريقيا المدارية يصل الى ٨و٥٩٥و٠٠٠ نسمة — أى حوالى ٧١ ٪ من المجموع الكلى للسكان . ومن وجهة النظر التاريخية فان معظم المدن الحالية فى غرب افريقيا يعزى وجودها الى أنها كانت محطات بين طرق التجارة — مثال ذلك كانو وأغادس ، ثم كان للعامل الدينى (انتشار الاسلام) أثره الكبير فى قيام مراكز مدنية مثل دجنه وموبتى Mopti أو عواصم قديمة مثل جوا وواجادوجو وكوماسى وبنين فى اقليم السودان الغربى . ومن ناحية أخرى فقد قامت مدن نتيجة للغزو الحضارى الاوربى وما استحدثه من أوضاع سياسية واقتصادية جديدة كبرازافيل وايدجان ومنروفيا وفريتون وغيرها .

وقد قام الاستاذان تربرارتا وزيلنسكى فى بحثهما الشهير عن السكان فى افريقيا بدراسة السكان المدنيين وخرجا بالاحصائية التالية أ

الدولة	عدد سكان المدن بالالاف	نسبتهم المئوية الى المجموع الكلى للسكان
الكمرون	١٧٢	٥ر٨
توجو	٤٩	٤ر٨
افريقيا الاستوائية الفرنسية	١ر٥٣٧	٩ر٦
غمبيا	٢٠	٧ر٧
غانا	٩٤٤	١٢
نيجيريا	٢ر٩٣٦	٩ر٤
غينيا البرتغالية	٧	١ر٤
ساو تومى وبرنسيب	٦	٩ر٣
سيراليون	٩٦	٤ر٨
غينيا الاسبانية وفرناندبو	١١	٥ر٨
ليبريا	٢٠	١ر٢

ولعل من الواضح أن نيجيريا تتمتع باعلى نسبة من السكان المدنيين ، ويبلغ نصيبها ٩ر٤ ٪ من مجموع السكان كما أن بها نحو ١/٤ عدد المدن فى افريقيا المدارية كلها .

ومن حيث « حجم » المدينة فالاحصائية التالية تبين عدد المدن من حيث عدد السكان سنة ١٩٥٥ (١) :

حجم المدينة	عدد المدن	مجموع السكان بالالف	نسبة السكان المدنيين للمجموع الكلى للسكان
٥ر٠٠٠ — ١٠ر٠٠٠	٢٢٧	١ر٦٥٦	١٦ر٤
١٠ر٠٠٠ — ٢٠ر٠٠٠	١١٠	١ر٤٧٤	١٤ر٦
٢٠ر٠٠٠ — ٣٠ر٠٠٠	٤٢	١ر٠٥٧	١٠ر٤
٣٠ر٠٠٠ — ٥٠ر٠٠٠	٣٥	١ر٣٨٨	١٣ر٧
٥٠ر٠٠٠ — ٧٥ر٠٠٠	١٢	٧١٥	٧
٧٥ر٠٠٠ — ١٠٠ر٠٠٠	١٣	١ر١٢٩	١١ر٢
١٠٠ر٠٠٠ — ٢٠٠ر٠٠٠	١١	١ر٣٩٧	١٣ر٨
اكثر من ٢٠٠ر٠٠٠	٥	١ر٢٩٩	١٢ر٨
المجموع	٤٥٥	١٠ر١١٥	١٠٠ ٪

(١) الاحصائية تمثل افريقيا المدارية كلها ، نقد عن كتاب

Kimble, Tropical Africa's P, 97, Vol. I.

ويعتبر الاتجاه المدنى Urbanization أحد خصائص الحياة الافريقيـــة فى الوقت الحاضر ، ورغم أن « التمدن » ليس أمرا مستحدثا فان السرعة الهائلة التى يسير بها التقدم المدنى يعتبر شيئا حادا فعلا ، ففى خلال السنوات العشر الأخيرة تضاعف حجم بعض المدن كداكار وغيرها . وهذا التحول المدنى من شأنه أن يؤدى الى زيادة الضغط السكانى على المدن الصغيرة التى تتحول الى أسواق تجارية ومراكز لتجمع العمال مما ينتج عنه مشاكل متعددة .

وفى السنغال مثلا نجـــد أن ١٨ ٪ من السكان الوطنيين يعيشون فى مدن تزيد على ٢٠٠٠٠ نسمة (احصاء ١٩٤٣) ، و١٤ ٪ من السـكان الوطنيين فى ساحل الذهب يعيشون فى مدن تزيد على ٥٠٠٠ نســمة (احصاء ١٩٤٨) .

ومما لا شك فيه أن التحول المدنى ــ الذى أصبح أحد سمات التطور الاجتماعى الافريقى الحديث ــ قد غير الصور التقليدية لافريقيا المدارية ، وكان محل اهتمام كبير سواء من الانثوبولوجيين الذين لفت انظارهم ظاهرة التحول الحضارى Acculturation أو علماء الاجتماع .

والمدن الافريقية ــ تبعا لظروف نشأتها وتطورها ــ يجب اعتبارها مجتمعات متنوعة تحاول أن تبدو بالصورة التى هى عليهـا الآن . والمدن القديمـــة فى غرب أفريقيا اضمحل غالبيتها لعدم قدرتها على التطور ، وتعتبر أبدان ــ مدينة اليوروبا الشهيرة ــ المدينة القديمة الوحيـــدة التى استطاعت أن تتطور وأن ترقى الى مستوى المدن الحديثة ذات الطابع الاوربى التى يطلق عليها بعض الـكتاب « مدن بناها البيض ليسكنها السود » .

وهناك مظاهر عامة تشترك فيهـا المدن الافريقيـــة ــ وباستثناء مراكز الاستقرار الاستعمارية القديمة مثل سانت لويس ــ كالطابع العام Layout ودرجة النمو ومدى اجتذابها للفلاحين وبساطتها .

ويمكن تقسيم المدن فى غرب أفريقيا الى أنماط تبعـــا لنشأتها ، وهو مقياس سليم ما دامت ظروف النشــأة كانت العـــامل المسيطر عند قيام هذه المدن . فهناك مدن ادارية Adminis tpative مثل فريتون وغيرها من مدن الساحل ، وهنـــاك المدن الريفية وهى منتشرة فى السودان الغربى ، ومدن المواصلات والمدن الصناعية .

وهذا التصنيف تقريبى الى حد كبير نظرا لتعدد المدن وتنوعها واختلاف سكانها

ومن الناحية الطبوغرافية فان أول مايلفت النظر فى المدينة الافريقيـــة تلك الفواصل الحادة بين أجزاء المدينة وخاصة بين الاجزاء « البيضاء » و « السوداء » . ويقوم كل جزء من هذه الاجزاء بدور مستقل منفصل . والتناقض الكبير بين الاحياء المختلفـــة فى المدينـــة يساعد على اظهار مدى الهـــوة الاجتماعية التى تعانيها المدينة الافريقية . وعلى هذا فالمدينة ــ وهى عادة مركز احتكاك دائم ــ تصبح فى غرب أفريقيا مصدرا دائما لتوتر وقلق دائمين .

ويمكن أن نذكر الخصائص التالية للمجتمعات المدنية فى غرب افريقيا :

١ ــ الاتساع السريع : ومن الممكن معرفة معدل النمو ودرجـــة الاسكان على أساس حساب متوسط عدد السكان بالنســبة لكل وحدة سكنية Housing unit

٢ ــ عدم الاستقرار السكانى سواء من حيث ورود أعداد متلاحقة من المهاجرين الى المدينة أو من ناحية التحليل العـددى تنوع المسكن ، فعدد ما يطلق عليه مسكن « دائم » لا يمثل الا نسبة قليلة من الوحدات السكنية . ففى غانا مثلا ــ رغم تطورها الحضارى ــ نجد أن ٢/٣ سكان المدن الكبيرة بها لا ترجع سكناهم لهذه المدن لاكثر من خمس سنوات . وعدم الاستقرار ينشأ عن تلك العجلة التى اتسعت بها المدن والى الظروف الاقتصادية التى صاحبت هذا الاتساع ، فالطلب المتهافت على الايدى العاملة دون أن يكون هنـــاك تنظيم ما شجع طوفانا من السكان القرويين

على ترك القرى والنزوح الى المدينة . ومع زيادتهم عن الاحتياجات المطلوبة فان صلتهم بقراهم تظل وطيدة .

٣ ـ أن سكان المدن لا يصلون الى مرحلة التمدن الكامل فى وقت واحد ، ويمكن معرفة درجة التمدن عن طريق النسبة المئوية لمدة اقامة بالمدينة والنسبة الجنسية Sex Ratio وفئات السن واحصائيات التأهيل المهنى (كدرجة المهارة مثلا) .

٤ ـ وبما أن المدينة لا بد أن تمر بمرحلة من الاندماج بين العناصر التى تسكنها ـ فان من المفيد أن نعرف الدور الذى يلعبه اختلاف الجنس Race ومدى تأثره بالمجتمع المدنى المتحرر ، اذ أن المدينة تعتريها فى العادة تغيرات فى القياس العددى الذى يؤثر بصورة مباشرة على الجماعات الجنسية وعلى علاقتها المتبادلة .

هذه هى الملامح العامة للمدينة فى غرب أفريقيا ، وما من شك فى أن الدراسة التفصيلية تساعد كثيرا فى تفهم الاوضاع الاجتماعية لكل مدينة على حدة .

وسنحاول فيما يلى أن نلقى بعض الضوء على أهم المدن فى غرب أفريقيا وظروف نشأة كل منها :

١ ـ ميناء سكوندى / تاكورادى

وهى الميناء الرئيسى لدولة غانا ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٤٤٫٠٠٠ نسمة ـ بينهم ٨٠٠ من غير الافريقيين . وتقع فى نهاية خط حديدى هام يستخدم فى نقل منتجات الذهب وغيره من المعادن خاصة اقليم تاركوا الذى يبعد عن الميناء بنحو ٤٠ ميلا فقط الى الشمال الغربى ، كما ينقل الكاكاو من اقليم اشانتى وتتجمع كل هذه المنتجات فى الميناء تمهيدا لتصديرها . كما تصل الميناء بالمنطقة الخلفية الغنية hinterland بعدة طرق برية .

وتتألف الميناء من قسمين أحدهما قديم وهو سكوندى والاخر حديث وهو تاكورادى وقد فقد القسم القديم من الميناء اهميته بعد أن ظل مزدهرا حتى أوائل هذا القرن حين انشئت تاكورادى لتواجه الدور الذى تقوم بها الميناء لتصدير المحصولات الرئيسية لغانا . وتعتبر الميناء مركزا تجاريا يجتذب كثيرا من السكان من المناطق الداخلية ، فضلا عن نسبة كبيرة من الموظفين الحكوميين (يوجد حوالى ٢٢٠٠ يعملون فى السكك الحديدية) ، ٨٠٠ فى المستشفيات ، ٦٥٠ فى الاشغال العامة ، ٥٠٠ فى الميناء نفسها ، ٣٠٠٠ فى أعمال البنوك والتجارة وغيرها) . ولذا فغالبية سكان المدينة من المهاجرين كما يتضح من احصائية سنة ١٩٤٨ ـ اذ تبين أن ٢٥ ٪ فقط من السكان من مواليد المدينة ، ٥٠ ٪ مهاجرين اليها من مناطق أخرى خارج المدينة ، ١٥ ٪ أتوا من اقاليم أخرى داخل غانا ، ١٥ ٪ ينتمون لوحدات سياسية خارج غانا .

ولا يوجد ارتباط معين بين العناصر المختلفة والاقاليم الجغرافية ، الا أن الاوربيين يسكنون عادة الاحياء الراقية ، بينما يقطن السوريون والهنود فى الاحياء التجارية الشعبية . ويختلف سكان سكوندى عن سكان تاكورادى لانها ـ وهى الجزء القديم ـ كانت مركزا لقبيلة « اهانتا » ـ ولذا فهناك نوع من الوحدة فى حين نجد اختلاطا جنسيا فى تاكورادى بحكم حداثة نشأتها .

وقد تضاعف سكان المدينة منذ سنة ١٩٤٣ ـ وقد صاحب هذا مشاكل الازدحام الشديد التى تصادفها سائر المدن الافريقية الحديثة ، وقد اعترفت الادارة الانجليزية فى أحد تقاريرها ان كل « حجرة » فى أى بيوت الميناء يسكن فيها عدد لا يقل عن شخصين ، وقد اعتبر التقرير أن الحوانيت والردهات « حجرات » من الناحية السكنية ، وعلى هذا الاساس فان ٤٠ ٪ من المجموع الكلى للسكان الذين يعيشون على شكل أسر يتراوح عددها بين ٢ ، ١٠ أفراد فى المتوسط ـ يعيشون فى حجرات من هذا النوع . ولعل هذا ما يعطى فكرة عن المستوى المعيشى المنخفض .

٢ ـ داكار

عاصمة دولة السنغال وكانت عاصمة لاتحاد أفريقيا الفرنسية الغربية (A.O.F.)

ورغم أنها تقع فى مستوى سطح البحر وقربهامن خط الاستواء فان داكار مدينة أوربية الطابع والاحياء الاوربية تبتلع غالبية المدينةفضلا عن ضخامة الاقلية الاوربية وهى ظاهرة فريدة فى غرب أفريقيا . فمن ناحية فعددالفرنسيين كبير .

ومن الناحية الطبيعية تقع داكار فىطرف شبه جزيرة كيب فرد وهى منطقة سهلة المواصلات الجوية والبرية . وميناؤهاطبيعى جيد محمى من التيارات البحرية وهذا يجعل منه جبل طارق آخر فى غربأفريقيا .

ويبلغ عدد السكان نحو ۲٥۰ر۰۰۰ نسمةوهى بذلك أكبر مدن السنغال ومن أكبر مدن غرب أفريقيا ، وكما هو الحال فى سائر المدن فى غرب أفريقيا فمعظم السكان فى داكار لم يولدوا بها . وقد قام الدكتور Mercier بدراسة لمدينة داكار من الناحية الاجتماعية وقد خرج من دراسته بأن السكان الاصليينلا يتجاوز عددهم عن ۹ ٪ من مجموع السكانالحالى وهم جماعات الليبو Lebu أحد فروع الولوف . وبقية السكان غرباء عن المدينة (من البرتغاليين بصفة خاصة) وهماما عمال أتوا من جهات خارج السنغال كداهومى أو توجولاندا أو من جهات أخرىمن السنغال . وهذا يفسر أن غالبية سكان المدينة من الشباب كما يتضح من الجدولالتالى وهو مأخوذ عن عينة مؤلفة من ۱۰٤ رجال و۱۰٤ نساء :

فئة السن	رجال		نساء	
	المجموع	النسبة المئوية	المجموع	النسبة المئوية
أقل من ١٥	صفر	صفر	صفر	صفر
من ١٥ ــ ١٩	٣	٣	١٣	١٢ر٥
من ٢٠ ــ ٢٤	٣	٣	٢١	٢٠
من ٢٥ ــ ٢٩	٢١	٢٠	٢٤	٢٣
من ٣٠ ــ ٣٤	٢٠	١٩	١٢	١١ر٥
من ٣٥ ــ ٣٩	١٧	١٦ر٥	١٦	١٥ر٥
من ٤٠ ــ ٤٤	١٤	١٣ر٥	٨	٧ر٥
من ٤٥ ــ ٤٩	٢٠	١٩	٦	٦
أكثر من ٥٠	٦	٦	١	١
غير معروف	—	—	٣	٣
المجموع	١٠٤	١٠٠	١٠٤	١٠٠

٣ ــ باثورست

عاصمة غمبيا ــ وتقع عند مصب نهرغمبيا ، وهى منطقة لفتت أنظار التجار البريطانيين منذ وقت مبكر (سنة ١٦١٨)منذ أن تألفت شركة « مغامرى لندن للتجارة فى أفريقيا » التى فطنت الى أهمية مصبالنهر فبنت حصنا أطلقت عليه اسم Fort James على جزيرة جورى Jorée تبعد نحو سبعة عشر ميلا عن مصب النهر الى أن جاءت معاهدة باريس سنة ١٨١٤ فاعترفت بالسيادة البريطانية على ضفتى نهر الغمبيا . وبعد الغاء تجارة الرقيق سنة١٨٠٧ استخدمت جزيرة جورى كقاعدة لمحاربة تجار الرقيق ، الا أن استعادة فرنسالجزيرة جورى جعل انجلترا تفكر فى موقع آخر يكون مركزا تسيطر منه على مصب النهرفاختير كموقع مدينة باثورست الحالية وتم ايصالها بالشاطىء بواسطة عدد منالجسورالرملية .

والمدينة يحدها من الجنوب مساحات هائلة من أحراش المجوروف Mangrove بالاضافة الى انها محميه من أعاصير المحيط الاطلنطى . ولذا فهى من الناحية الحربية ذات موقع ممتاز — الا انها كعاصمة تعتبر معزولة الى حد ما فضلا عن معرض الجسور الرملية التى تربطها بالشاطىء لطغيان أمواج المحيط . وكميناء لا تسمح المياه لسفن تزيد حمولتها عن ٢٠٠٠ طن .

٤ — منروفيا

عاصمة دولة ليبريا — وهى مدينة حديثة ولدت عندما قامت الجمعية الاستعمارية الامريكية « باختيار موقع ليبيريا Free Land لنقل الرقيق الامريكى المحرر اليها » وكانت منروفيا أول منطقة انزل بها الرقيق الامريكى نظرا لصلاحيتها لرسو السفن . وتقع منروفيا فى مواجهة راس ميسورادو Cape Mesorad. وكميناء لا توجد بها أرصفة صالحة لرسو السفن الحديثة بل تظل السفن خارج الميناء ثم تنقل البضائع والمسافرون بواسطة قوارب صغيرة تفاديا للالسنة الرملية ، وكعاصمة (١٠٠٠٠ نسمة) فانها لا تعدو عن كونها مجموعة كثيفة Ayglomeration من المساكن التى تفتقد للوسائل الصحية أو المدنية الحديثة .

وتتألف غالبية السكان فى المدينة (حوالى ٧٠٠٠ نسمة) من الرقيق المحرر الذى استقر بها منذ فترة غير بعيدة ، أما بقية السكان فهم غرباء عن المدينة .

٥ — لاجوس

العاصمة الاتحادية لنيجيريا — وتقع على الساحل فى منطقة مليئة بالبحيرات الداخلية حيث تختلط المستنقعات بالاحراش الى الشرق من مخرج نهر النيجر بدلتاه العظمى المتعددة الفروع ، ولاجوس واقعة فى طرف احد البحيرات الداخلية Lagoon تتصل بالمحيط بممر مائى حديث وتنقل البضائع من السفن الى المدينة عن طريق خط حديدى وترجع أهمية الميناء الى غنى المنطقة الخلفية بالمحصولات الاستوائية الزراعية فضلا عن المنتجات المعدنية .

٦ — كانو

وهى احدى المدن التاريخية القديمة اذ انها كانت حاضرة الممالك والامارات الاسلامية العريقة فى شمال نيجيريا ، وهى تعتبر أكثر مدن غرب افريقيا سكانا اذ يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة ولو أنه يتبعها من الناحية الادارية عددا اخر يقرب من المليون . والمدينة مقسمة الى نحو ٤٠ قسما مسورا منفصلا عما عداه ولذا فهى تعرف باسم مدينة الاسوار . والمدينة تتطور بسرعة — ففى احصاء سنة ١٩٤٦ لم يكن يزيد عدد السكان بها عن ١٠٠٠٠٠ نسمة أصبحوا حوالى المليون فى أواخر الخمسينيات . ويزيد عدد السكان بها فى مواسم معينة من السنة هى فترات الحصاد ، وبالاضافة الى ذلك فقد قدر عدد القادمين الى المدينة بغرض التجارة ما لا يقل عن ٢٥٠٠٠٠ نسمة يوميا . وتعتبر منطقة كانو من اخصب اجزاء نيجيريا الزراعية ، اذ تتألف تربتها من مشتقات الجرانيت الغنية وهى تربة خفيفة سهلة الخدمة ولذا فهى تزرع طول العام تقريبا .

وقد ظلت كانو احد المراكز التجارية الرئيسية فى غرب افريقيا طيلة ثلاثة الاف سنة وقد اشتهر الحوصا الذين كانوا يسيطرون على المنطقة باستخراج الحديد الخام .

وقد اشتهرت المدينة بكثرة الحدادين وصانعى الجلود بها ، ولذا فكانت تجتذب القوافل المسافرة . ومعظم المنازل بالمدينة مصنوعة من اللبن وكذلك اسوارها الشهيرة ، وحتى مبانيها الحديثة يميزها هذا الطابع .

ويتوسط المدينة قصر الامير الذى يقع فى الحى الراقى الذى يشغله قصور الامراء والوزراء وهو عبارة عن مدينة منفصلة تماما اما بقية احياء المدينة فهى مقسمة حرفيا فهناك حى للغزالين ، واخر للنساجين وهكذا .

وخارج اسوار المدينة القديمة توجد مدينة اخرى حديثة بناها الانجليز وبها المبانى الحكومية ويقيم فيها الاوربيون .



أثناء زيارة على محسن زعيم زنجبار لمكاتب « نهضة افريقية » أجاب على سؤال لمندوبة المجلة انصاف رياض :

س : طالما سمعنا المثل الشهير ان افريقيا ترقص على طبول زنجبار، فما معناه ؟ وما الدور الذى لعبته زنجبار لصالح الافريقيين بشكل عام ؟ فأجاب :

هذا لأن زنجبار قامت بدور كبير فى حركة التوجيه المعنوى والفكرى والثقافى لجميع الشعوب الافريقية المحيطة بها . فمنذ أمد بعيد كان لزنجبار القيادة والتوجيه فى ميادين العلم والدين والتجارة والاقتصاد ، وأيضا فى ميادين الفن والأدب . فما كان على زنجبار فى ذلك الوقت الا أن تدق الطبول حتى ترقص الشعوب الأخرى ، بمعنى أن الشعوب الافريقية كانت تقلد زنجبار فى كل شىء .

أما عن الشق الثانى من السؤال فقد أجاب عليه الزعيم على محسن بقوله :

لقد كانت زنجبار هى حجر الأساس الذى أدى لتقدم شرق افريقيا . فقد استخدمت بلادنا كل الوسائل والامكانيات التى يمتلكها الانسان لنشر الثقافة ومحو الأمية وتعليم الدين والقرآن . وقد اتخذت البعثات التبشيرية زنجبار كمحطة ترسو فيها ، باعتبارها عاصمة شرق افريقيا ، ومنها كانت تنشر تعاليمها على العالم الافريقى المواجه . وقد قامت كثير من الدول الافريقية بتقليدنا فى قضائنا على التفرقة العنصرية ، وقد قمنا أيضا بتعليم فن التجارة والاقتصاد لكثير من الشعوب .

الكشاف

بحيرة تنجانيقا

ترجمة سعد زغلول

اكتشاف بحيرة تنجانيقا

كان « ريتشاردفرانسيس بيرتون » ضابطا من الجيش البريطانى . وبعد خدمة أربعة عشر عاما فى الجيش وقع عليه الاختيارليكون رئيسا لبعثة كشفية فى وسط افريقيا تمولها الجمعية الجغرافية الملكية كان من مهمتها « التوغل فى الداخل ابتداء من منطقة على الساحل الشرقى ومحاولة الوصول عبر أحسن الطرق الى البحيرة المشهورةالعظيمة بالداخل » .. وكانت البحيرة « المشهورة العظيمة بالداخل » هى نفسها البحيرةالتى أرسل بشأنها كل من « كراف وريبمان » التقارير الى لندن . ولقد كان برفقة « بيرتون » زميله « جون هاننج سبيك » . ولقد وصل الاثنان الى «زنجبار » فى ديسمبر سنة ١٨٥٦ ولم يكن الوقت مناسبا للسفر الى الداخل ومن ثم لم تغادر البعثةمخيماتها الا فى الثانى من يوليو سنة ١٨٥٧ . وكانت بلدة « زونجوميرو » هى أول مكان توقفت فيه البعثة فى الحادى والعشرين من الشهر نفسه .

وهذه مقتطفات من مذكرات البعثة التى دونها « بيرتون » عن الرحلة : —

بداية البعثة

« تعتبر زونجوميرو ، ملتقى الطرق فى المنطقةالشرقية .. مثلها فى ذلك مثل أوجيجى وأونيانيمبى فى المنطقتين الغربية والوسطى . وحيث انها تقع على الطريق الرئيسى فلا بد للقوافل الصاعدة أو الهابطة من أن تمر بها . ولقد يحدث فى فصل السفر فيما بين شهرى يونيو وابريل ان يعبر هذا الطريق المار « بزونجوميرو » بضعة آلاف من المسافرين كل أسبوع .

ويضرب التجار العرب فى العادة خيامهم مفضلين اياها على أكواخ الأهالى المليئة بالدجاج والحمام والفئران والثعابين والسحالى والصراصير وصرار الليل والبعوض والذباب والعناكب ذات الشكل المفزع . وحيث القاطنون فيها محاطون دائما بالحشرات والهوام . وحيث يتعرضون كثيرا لاخطار الحريق . ولقد جرت العادة على أن يستأثر العبيد المسلحون الذين يرافقون القوافل بأحسن الاكواخ التى قد يشاركون فيها بعض سكانها بينما يلجأ الحمالون فى القافلة الى ظلال هذه الأكواخ يحتمون بها من الحرارة . واكثر مايغرى المرء بهذا المكان هو وفرةالمؤن فيه . فالحبوب فيه على درجة من الوفرة بحيث يكاد سكان « زونجوميرو » ان يعيشوا

على الـ « يومبى » (Bombe) أو البيرة الوطنية التى تبعث النشوة والتى سرعان ما يقلدهم فيها زائرو المنطقة . كما أن نباتات « البهانج والداتورة » التى تنمو شيطانيا فى هذه المنطقة ، تضيف اليهامزيدا من الجاذبية .

ونفس المظاهر والاسباب التى تغرى اوائل التجارة بالمرور أو الاقامة فى زونجوميروتغرى كذلك جيوشا من قطاع الطرق واللصوص الذين يمارسون عمليات السلب والنهب خلال انتظارهم لوصول تجار العاج . ولقدانتشر وباؤهم عبر المنطقة التى تسكن فيها قبائل « الهواكهوكو » الذين لم يكن لهم حاكم يجمع كلمتهم حوله كما هو الحال بالنسبة لقبائل « وازاراموا » .

ولم يكن هناك فى قرية « زونجوميرو » من سكانها الاصليين سوى عائلات ثلاثة أواربعة تسكن أحقر أكواخ البلدة حيث وضع قطاع الطرق أيديهم على احسن الاكواخ .

ولقد كان قطاع الطرق هؤلاء ، يتألفون من رجال هاربين من البؤس والفقر او من العقوبة والموت على الساحل . وكانوا مسلحين بالبنادق والسيوف والاقواس والسهام والخناجر والهراوات ذات العقد . ومزودين بكميات من الذخيرة مما يجعل بأسهم شديدا على أبناء البلاد الأصليين .. ومما يتيح لهم التحكم فيهم وفى ممتلكاتهم وزوجاتهم وأطفالهم .. وكثيرا ماكانت هذه العصابات تحرق القرى بالمنطقة ، وتبيع أبناءها لاول قافلة للتجارة تمر بها .

مسيرة عبر ((أوجوجو))

غادرت البعثة قرية « زونجوميرو » فى السابع من ابريل سنة ١٨٥٧ . وكان كل من « بيرتون وسبيك » قد أصيبا بمرض شديد ربما بعدوى الملاريا .التى كان يظن فى ذلك الوقت انها نتيجة هواء فاسد رطب . وفى ١٨ سبتمبر وصلت البعثة الى سهول « أوجوجو » وهناك كتب « بيرتون » يقول :

حثثت الخطى نحو « أوجوجى » لكى أزود الجماعة بأمداد جديدة ومؤن تكفى اربع مسيرات طويلة فى الصحراء . ولقد كان واضحا أن « أوجوجى » كانت مليئة بالمؤن ولكن الاهالى رفضوا فى البداية أن يعطونا حبوبا أو ماشية حتى ولو بأغلى الاسعار . وفى نفس الوقت شكا المرافق العسكرى للبعثة الذى زودنا به سلطان زنجبار من « عدم نظافة أسنانه » ! وقد زارنى فى «أوجوجى» سلطان « ماكاندى » المدعى «انجوما امروما» وهو معروف فى منطقة الساحل الشرقية . وقد جاءنى لكى يقدم لى خدماته ولكنه طلب فى مقابل ذلك كل ماوقعت عليه عيناه من أدوات البعثة . وطلب الى أن أسلك أكثر الطرق الثلاثة اتجاها الى الشمال ، وهو الطريق الذى يؤدى الى بلدة «أوتيامويزى» حيث يوجد فى منطقتها ما لا يقل عن ثمانية سلاطين وصفهم لى « كيدوجو » بأنهم أكثر جوعا من بعضهم البعض ! ثم ما لبث هذا السلطان ان اختفى ..! وقد علمت بمزيد من الارتياح انه اختفى لكى يحصل على نصيب من لحم فيل عثر عليه ميتا فى منطقته : .

« وتقع أوجوجى على ارتفاع ٢٧٦٠ قدما من سطح البحر .. وتمتاز بطقسها الممتع وهوائها الجاف . وكان زميلى (سبيك) قد استعاد صحته .. وأصبح بمقدوره أن يصطاد عديدا من طيور القطا .. ومن الدجاج السمين الذى اعتاد ان يتنقل بين قمم الاشجار الباسقة ويتردد صدى أصواته بين الصخور وهو ينادى على صغاره .. وبدأ المرافق العسكرى والحمالون ينسون شكاواهم التى كانت ولا شك نتيجة المتاعب التى صادفتهم على قمم الجبال . »

« والمسافة بين أوجوجى وزيوا أو يوند » وهى الاطراف الشرقية لمنطقة « أوجوجو » تبلغ أربع مسيرات يمكن قطعها فى أربعة أيام حيث لا تكاد المياه ان توجد الا فى مكان واحد منها فى فصل الجفاف . وتعرف الصحراء البسيطة فيما بين أوجوجى وأوجوجو باسم « مارينجا امكهالى أو مياه براكيش » ، ولا ينبغى الخلط بينها وبين المنطقة التى تعرف بنفس الاسم فى « اوزاجارا » .

« ولقد غادرنا أوجوجى فى الساعة الثالثة من مساء الثانى والعشرين من سبتمبر بدلا من ساعة الظهيرة . »

« وقد وصلنا فى الساعة الثامنة تقريبا الى أحد النجوع المغطاة بالحشائش الصفراء تكون مسطحا سهلا وسط الاعشاب الشائكة حولها اقمنا فيه ليلتنا مستمتعين بالراحة وسط برودة التلال المحيطة . »

« وفى اليوم التالى تابعنا العمل استعدادا لمرحلة من الرحلة متعبة .. وعندما كنت أتطلع الى ما حولى فى ضوء الشمس لم أكن الاحظ سوى اختلاف الالوان فى الارض التى تحيط بنا . فعلى بعد غير قليل كان السهل أصفر اللون لامعا تكسوه الحشائش الصفراء أو الحنطة .. أو بنيا غامقا تتناثر خلاله الغابات ذات الاشجار العارية من الاوراق التى تنبت فى ارض صلبة متربة . وكلما اقتربنا .. كلما تحددت معالم هذه الالوان وحدودها اكثر واكثر .. وعبر السهل كانت هناك اكوام من الحجارة الجرانيتية ربما تكسو قممها فى بعض الاحيان الحشائش البيضاء. ولقد بدأنا نعانى من المضايقات والاشواك.. كان بعض هذه الاشواك ناعما اخضر اللون ، وكان بعضها الاخر طويلا كالاصابع .. رفيعا خشبيا كالابر متناثرا فى اجزاء كثيرة من المنطقة — وكان بعض هذه الاشواك ذا قواعد منتفخة ، بينما كان البعض الاخر مقوسا أو مزدوجا .. أو قصيرا مقوسا فى شكل سنارة الصيد ، قويا حادا بدرجة تمزق اكثر الاقمشة متانة . »

« وصعدنا عبر المرتفعات الشرقية بصعوبة، ووجدنا انفسنا وجها لوجه مع شبه طريق ممهد ربما يبلغ عرضه مائة وخمسين قدما تغطى ارضه المنحدرة غير المنتظمة مستنقعات داكنة الخضرة كئيبة المنظر ناتجة عن مياه الامطار التى تنحدر فى سيول مخلفة وراءها أحيانا حفر من الطمى تنبت حولها الحشائش .. والمسافرون عبر هذه المنطقة يشربون من هذه المياه بلا خوف .. بينما كانت تبدو آثار الحيوانات البرية كالغزلان والجاموس والزراف والخرتيت على أطراف هذه المستنقعات التى تجف أحيانا فى الفصل الحار فيتسبب جفافها فى موت الكثيرين من الحمالين من شدة العطش .. وتابعنا الصعود .. ثم ضربنا خيامنا على ارض مدرج صغير فى المنحدر » .

وفى ٢٦ سبتمبر وصلت بعثة « بيرتون » الى بحيرة « زيوا » وكان من حظ أفرادها أن وجدوا بغيتهم من الماء فيها .

((هونجو)) فى ((أوجوجو))

« فى « زيوا » بدأنا نعانى من التهديدات (الكوهونجا) . فحتى ماقبل وصولنا اليها كان رؤساء القبائل يرضون بما نقدمه لهم من هدايا قليلة .. ولكن « أوجوجو » كانت تأخذ فى العادة ماتريد .. حتى ولو بالقوة. ولا يمكن هناك التهرب من الدفع ! والحمالون أنفسهم يرفضون متابعة السير الا اذا ارضينا جميع رؤساء القبائل هناك خشية ان يقطعوا طريقنا فى المستقبل . وعندما كانت تنشب مشاجرة بيننا وبين الرؤساء كان الحمالون يركنون الى الفرار بعيدا . ولقد كانت « اوجوجو » هى الطريق الوحيد التى يمكن ان يسلكه المرء وسط قبائل « الواهومبا » و « لواماسى » .. ومن ثم فقد كان سلاطين منطقتها يعتمدون على امكان سد الطريق امام القوافل . ولم تكن هناك تعريفة أو ضريبة محددة . فقد كان ذلك يتوقف على طبيعة المسافر التى يعرفها كل سلطان فى المنطقة عن طريق عبيده الذين يسافرون معه ! ولقد كانت القوافل الصاعدة تتعرض للاغتصاب والسلب أكثر من القوافل العائدة الهابطة التى كان يكفى كتعريفة لمرورها ، رأس أو رأسان من الماشية ، أو بضع فؤوس أو اشياء أخرى تافهة القيمة . اما بالنسبة للاوروبى (الوازونجو) الذى يسافر عبر هذه المنطقة لاول مرة فان الضريبة كانت تبلغ خمسين ثوبا لرئيس القبيلة الواحد فى الذهاب والعودة .. بدعوى ان البيض نادرا ما يسافرون فى هذه المنطقة ومن ثم يضطر رؤساء القبائل الى أخذ أكثر ما يمكن اخذه منهم . ».

« وعلى أية حال فان نظام « الكوهونجا » ليس ظالما ، فهو يمثل فى هذه المناطق الضرائب الجمركية للحكومة والسلطان يتقبلها

لنفسه ظاهريا فقط ، فهو مضطر الى توزيع ما يأخـذه على أفراد عائلتــه ومستشاريه ومرافقيه وكبار السن فى القبيلة » .

ولقد صادفنا فى زيوا متاعب كثيرة . فقد زارنا يوم وصولنا اليها السلطان « ماريما » التى تقع منطقته على بعد بضع مئات من الياردات الى الشمال الغربى من زيوا . وعنفنا « لجلوسنا فى الغابة » وأشار الينا لكى نتبعه الى قريته . وحينما قلنا له أننـا على وشك الانتقال من ذلك المكان الى أوجوجو عن طريق اخر ، طلب منا ان نقدم له نوعا من الضريبة التى مالبث أن اعلن «كيدوجو» (مرافقنا العسكرى التابع لسلطان زنجبار) رفضه لها . وهـددنا السلطان « ماريما » بانه سيلجأ الى العنف .. ولكننا لم نعبـأ بتهديداته وبدأنا فى وضع احمالنا على ظهور الحمير فتغيرت لهجتــه من التهـديد الى الاستعطاف والسؤال ، فمنحه « كيدوجو » ثوبين مطرزين ببضعة خيوط من الخرز مفضلا ذلك على سيل من السهام التى يمكن ان توجه الينا فى الظلام !

ولقـــد كان رأيه فى ذلك العمل صائبا . فسرعان ما ظهر ابناء المنطقـة الذين هرعوا الينا وقد احضروا معهم العجول والخراف والماعز والدواجن والبطيخ والقرع والعســل واللبن الرائب ، وكمية كبيرة من الحشائش الخضراء ، ودقيق جوز الهند .

وفى ٥ اكتوبر كنا قـد أصبحنا فى وسط منطقة « كانيينى » وهى منطقة مكشوفة يبلغ قطرها حوالى عشرة اميال . وهناك تأخرت اربعة ايام لكى ارتب أمور الضريبة المفروضة مع الزعيم « ماجومبا » أقوى زعماء قبائل « الواجوجو » .

كان « واجوجو » هذا رجلا اسود كبيـرا مجعد الوجه ، معقدا يسيل اللعاب من فمه . نصف أصلع . يزين راسه من الخلف ومن الجانبين ببضـــع بريمات لفتح ســـدادات الزجاجات . ويرتدى معطفـــا زيتى اللون ويتشح بقطعة من القماش أحالها الدهن من اللون الازرق الى الاسود ، ويزين عنقه ببضعة عقود من الخرز ويضع حول قدميه اساور من الأسلاك النحاسية مفرودة ومجدولة ومثلها حول رأسه . أما قدماه فقـــد وضعهما فى « صندل » قديم بال وقذر .

جاءنا وهو يلوك مضغـة تبغ فى فمـه ، ويتنخم البلغم فى صدره بقسوة ويوجه أسئلة كثيرة وسخيفة .. ويضع عينيه على هـدفه الاساسى ! طلب الينا أن نعطيه خمس قطع من القماش حددها بنفسه . فأعطيناها له بعد ان اضطررت الى المبادلة عليها مقـابل أجر اضافى للمرافق العســكرى والحمـالين العبيد . بالاضافة الى ذلك أعطيناه لفة من الاسلاك النحاسية ، واربع قطع من القماش القطنى الازرق وعشر دجاجات .. بلغـت قيمتها جميعا خمسين دولارا على الاقل بمقدار ثلثى حمولة الحمال الواحد . وأخذنا نحن منه مقابل ذلك كله عجلا أعجف .. وحين قاد ابن السلطان هذا العجل الى مخيمنا أعلن عن رغبته فى الحصول على ثلاث قطع أخرى من القماش القطنى ! .

وقبل ان نغادر المنطقة استخلص «ماجوميا» من افريقيا «كيدوجو» قسما مغلظا بالا يفسد « الوازونجو » (أنا ـ الاووربى) ارضـه بأقدام حمير البعثة ، معلنا أن كل شىء نملكه يمكن ان يكون فى قبضة يده . ولقد كنت اعلم منذ البداية حتى النهاية انه لو حـدث أى صدام فلن اجد بجانبى من كل من معى سوى زميلى (سبيك) .. فان كل الباقين كانوا سينجون بأرواحهم . وكان من الممكن ان نهلك أنا وزميلى .

وكانت الضريبة تدفع فى كل مكان نتوقف فيه ، وكان المرض والمتاعب مع الحمالين كل يوم اختبارا جديدا لمدى تحمــل « بيرتون وسبيك » وبعد ان غادرت البعثة «اوجوجو» فى اخر شهر اكتوبر .. عبرت خلال منطقـة « اونيامويزى » .

الوصول الى « كازيه » (تابورا)

فى السابع من نوفمبر سنة ١٨٥٧ ـ وهو اليوم الرابع والثلاثون بعد المائة من تاريخ مغادرتنا للساحل الشرقى ـ وبعد مسـيرة ستمائة ميل على الاقل ، اعددنا العدة لدخول « كازيه » المركز الرئيسى « لاوينامويزى » الشرقية وعاصمة تجار عمان وفى الثامنة صباحا

أسرعنا لدخول القرية الصغيرة .. وكان ظهورنا فيها رائعا وملوكيا حقا ! حيث تقدم الحمالون فى صف طويل ملتوكالثعبان يحملون الاعلام وينفخون فى الابواق ويطلقون النار من بنادقهم ويرفعون أصواتهم التى غطت على كل ما عداها من الاصوات . بينما امتلأ الطريق على جانبيه بالناس الذين بدءوا يرفعون أصواتهم كذلك. وعندما تقدمت انا ، أبصرت ببعض التجار العرب واقفين على جانب الطريق .. وحيونى بتحية المسلمين ورافقونى الى مسافة بعيدة . وكان من بينهم التجار الكبار : سناء بن أمير ، وسعيد بن ماجد وهو عمانى من قبيلة من النبلاء ، ومهنا بن سليمان الذى كان يسافر الى وسط افريقيا مرة كل عام برغم اصابته بداء الفيل ، وسعيد بن على الحناوى . »

« وطلبت الى سعيد بن سالم ان يقودنا الى « تيمبى » المكان الذى أعده « عيسى بن حجى » لاقامتنا .. ولكن الحمالين قادونا خطأ الى منزل « موسى امزورى » التاجر الهندى المقيم فى « أونيانيمى » والذى كنت احمل اليه معى خطاب توصية من صاحب السمو والامير السيد ماجد فى « زنجبار » .. ولما كان « موسى » غائبا فى ذلك اليوم فى رحلة تجارية الى « كاراجوا » . فان وكيله « سناء ابن امير » العربى . تقدم نحونا ليقوم بواجب الضيافة وقادنا الى منزل خال يملكه « الابيض بن سليمان » الذى كان قد عاد مؤخرا الى « زنجبار » .

« واقمت يوما للراحة .. وطردت الحمالين الذين تفرقوا عائدين الى بلادهم .. ودعانى التجار العرب — وكان يبلغ عددهم آنذاك اثنى عشر تاجرا — للاحتفاء بى ، حيث عرفوا بأمر خطاب التوصية الرسمى القادم من أمير زنجبار والحق يقال ، اننى لم اجد اروع من استقبال العرب العمانيين لى طوال رحلتى .. ولقد كان استهلال ضيافتهم وترحيبهم بى ، عنزة وحمولة من الارز الابيض الذى ينبت فى المنطقة .. كذلك فقد ألمحت انا الى حاجتى الى كميات من البصل والموز والحمضيات والخضروات وكعك التمر هندى ، والبن .. واشياء اخرى زودونى بها على الفور .. وكان مجرد اشارتى الى دفع ثمنها اهانة بالغة لهم كذلك فان « سناء بن امير » اراد ان يعبر عن مزيد من حسن الضيافة والكرم ، فأرسل الى عنزتين وعجلين لمرافقتا العسكرى ولاولاد « رامجى » . ولقد كان « سناء بن امير » هذا منذ ستة عشر عاما بائعا للحلوى فى مسقط ، ثم أصبح الآن واحدا من أغنى تجار العاج فى شرق افريقيا ولما كانت صحته قد اصبحت لا تسمح له بالسفر ، فقد اصبح وكيلا عاما فى بلده « كازيه » (تابورا .. حاليا) حيث شيد قرية تضم مخازنه التى يحفظ فيها اقمشته وبضاعته من الخرز والعاج . والحق اننى اجد من واجبى ان أشير الى بعض افضاله على . فقد عمل على تخزين كل ما احمله معى . كما انه قام بنفسه بالاشراف على استعدادى لاتمام الرحلة . وكان يمضى كل امسياته معى .. ويزودنى بكثير من المعلومات التى تضمها الصفحات التالية من هذه المذكرات . فقد سافر ثلاث مرات ما بين « اونيامويزى » والساحل . الى جانب ابحاره فى بحيرة تنجانيقا العظيمة وزيارة مملكة « كاراجوا » الشمالية واوغنده . لقد كان رجلا متوسط العمر ، قوى البنية ، ذا عينين حادتين غائرتين ، غير ملتح تقريبا ، قمحى لون البشرة ، فارع الطول يميل الى النحافة .. وكان واضحا انه قرأ كثيرا لتثقيف نفسه مثله مثل اى شرقى ، وليس لمجرد التسلية . وكان ذا ذاكرة قوية مدهشة اما لغته وتعبيراته فقد كانت قوية الى حد مذهل .. ومجمل القول فيه انه كان رجلا شريفا .. جديرا بكل احترام وتقدير » .

وصف يوم نموذجى فى الرحلة الطويلة

« فى الثالثة صباحا ، كان يسود صمت كالقبور ، حتى الحارس الليلى كان يومىء برأسه الى جوار النار . وبعد ساعة واحدة بدأ الديك ذو الوجه الاحمر ينشر جناحيه ويصيح محييا الفجر بصوت مرتفع : ما لبث ان رد عليه كل اترابه فى المخيم » .

« وفى الخامسة صباحا ، كان المخيم كله قد استيقظ بينما لاحت اضواء الشمس خافتة .. ولقد كانت هذه لحظة حرجة ، فقد

وعدني الحمالون بأنهم سيستيقظون مبكرا ليبدأوا مسيرة مرهقة فى الرحلة . ولكن الصباح البارد جعل منهم غير هؤلاء الرجال الذين كانوهم فى المساء الدافىء .. وربما كان واحد منهم قد اصيب بالحمى . كذلك فان فى كل قافلة بعض الكسالى ذوى الاصوات العالية الذين يصعب التفاهم معهم ويحبون خلق المتاعب . وهم يجلسون عادة حول النار لتدفئة ايديهم واقدامهم ويستنشقون الدخان ورءوسهم مائلة يحدقون فى صاحب القافلة القلق وهو يدخن . وهنا لا نستطيع ان نفعل شيئا .. ومن ثم لا نجد امامنا سوى العودة الى خيمتنا .. اما اذا كانت هناك قسمة بيننا وبينهم ، فسرعان ما يتحركون ...وعندها سوف ترتفع الاصوات « كويشا ! كويشا ! باكيا ! باكيا ! هوبا ! هوبا ! » وهى تعنى « اجمع .. اجمع .. ! هيا بنا .. » .. او « سافارى ! سافارى ليو ! » وهى تعنى « السفر .. الرحلة اليوم ! » الى جانب كلمات اخرى افريقية « بهوندا ! انجامى ! » وهى تعنى « أنا جمل ! » كناية عن الاستعداد والقوة . فى صيحات عالية مصحوبة بالطبول والصفارات والنفخ فى الـ « بارجهسومى » (الابواق) .. ويتقدم ابناء « رامجى » لرفع خيامنا وليرفعوا بعض الاثقال الخفيفة .. واحيانا يولينى « كيدوجو » شرف مناقشة برنامج اليوم .. أما الحمالون فهم يطفئون النيران ويبدأون فى جمع الامتعة المكومة أمام خيامنا ويأخذونها بعيدا عن المعسكر او القرية . ثم أركب أناوزميلى حمارينااللذين يقودهما بعض حملة البنادق الذين يحملون كل ما يلزم لمواجهة العنف .. وللدفاع عن القافلة ، وحين نتعب من ظهور الحمير فاننا نوضع على محفتين يحمل كل منهما رجلان ».

« وعندما يصبح كل شىء على ما يرام ، ينهض الدليل (الكيرانجوزى) ويضع احماله على كتفه ، وهى غالبا اخف الاحمال . ثم يرفع علمه الاحمر الذى يدل على القوافل القادمة من « زنجبار » والذى يكون ممزقا بسبب الاشواك . ويتبعه مباشرة حمال (باجازى) يدق على طبلة تشبه الى حد كبير زجاج ساعة اوروبية رملية .. وحين يتقدم بعض الحمالين كثيرا ، فهم يلقون بأحمالهم فى ظلال الشجر وينتظرون وصول الكسالى والاولاد الصغار . وعندما تبدأ الرحلة وتأخذ البعثة مسيرتها ، فانها تتقدم بسرعة كثعبان ضخم فوق التلال والوديان والسهول » .

« وفى الثامنة صباحا ، عندما تعلو الشمس الاشجار وتظهر بحيرة ماء صغيرة او مكان ظليل ، فان العلم الاحمر يرتفع ، او يعلو صوت البوق معلنا استراحة قصيرة ! وهنا يكوم الحمالون امتعتهم ويتمددون بضع دقائق وهم يغنون ويشربون ويدخنون الطباق والبهانج وهم يسعلون ويبصقون ويتنازعون حول طبيعة مكان راحتهم فى ذلك اليوم . فاذا ما امتدت المسيرة حتى قرب الظهيرة فان القافلة تعانى كثيرا من المشقة . وان كان من النادر ان ينهار الرجال من التعب . والقافلة الافريقية – مثلها فى ذلك مثل القوافل الهندسية – تفضل انهاء اليوم بصعود تل او اجتياز مجرى مائى عن ان تبدأ يومها بذلك . كذلك فهى تفضل المسير فى أطراف الغابات لضمان السلامة والامان الى جانب الراحة فى الظل . وهى تتجنب قدر الامكان الأماكن القريبة من الصخور .. وعندما تحتم الضرورة السير فى الصحراء فهى تختار الارض المتدرجة فى الارتفاع حيث برد الليل اقل قسوة منه فى الاراضى المنخفضة » .

« وعندما نصل الى نهاية مرحلة من الرحلة .. تتوقف القافلة ويهرع كل واحد من افرادها يبحث عن كوخ له فى القرية . ثم يبدأون فى الغناء حين يجتمعون حول النيران .. ولقد سمعتهم يرددون الحية وضعوها خصيصا من أجلى تقول كلماتها :

« الرجل الابيض الشرير ! يغادر الساحل .. »

الكورس : الدوده ! الدوده !..

« ونحن سنتبع الرجل الابيض »

الكورس : الدوده ! الدوده !..

« طالما هو يعطينا طعاما جيدا »

الكورس : الدوده ! الدوده !..

« ولسوف نقطع التلال والانهار »

الكورس : الدودو ! الدوده !..

« مع قافلة هذا التاجر العظيم »

الكورس : الدوده ! الدوده !..

***

وفى الثامنة مساء ، يرتفع صوت يقول : « لا لا .. لا لا » أى « النوم .. النوم » والكل يطيع هذا الامر فيما عدا النساء فى القافلة .. وشيئا فشيئا يسود القافلة سكون ويصبح المشهد رائعا حقا ، خاصة اذا كان معسكر القافلة فى غابة حيث تكون أضواء النيران المنعكسة على اشجار الغابة مجموعات من الاشكال والمناظر المختلفة .. بينما السماء داكنة مشوبة باللون الارجوانى ، مرصعة بنقاط ذهبية لامعة . وكأنها قبة تحيط بالارض وتضمها اليها اربطة يضيقها قتام الليل . وهناك فى الافق الغربى هلال متألق يسبح فى الفضاء الرحب ، فى عظمة وجلال تدلان على سمو الخالق » .

بحيرة تنجانيقا

غادرت البعثة « تابورا » فى ١٥ ديسمبر ، وظلت بعدها تتقدم ببطء مدة من الزمن بسبب مرض كل من « بيرثون وسبيك » بالحمى ، ولم يكن فى مقدور « بيرثون » بالذات ان يسير او ان يركب ظهر حماره .. ومن ثم كان يحمل على المحفات .. اما « سبيك » فقد اصابته الحمى بالعمى المؤقت .

« بدأ اليوم العاشر من فبراير سنة ١٨٥٨ بممر نهر « جوجوفو » حيث كانت مؤننا قد تلفت وأصبحت كالعصيرة ! وقد حصلت على قليل من الحنطة من قبيلة مارة بالطريق أعطيتها فى مقابلها لحوما..ورسالة لجانب من البعثة كان قد تخلف فى الطريق. وبعدمسيرة فى الصحراء وصلنا الى نهر « اوفونجوى » الضحل الملىء بالطمى .. ووجدنا على ضفته اليسرى كوخا كبيرا .. وبعد ليل بارد ممطر تابعنا السير بالخوض فى نهر « اوفونجوى » لم ما لبثت أن جاءت مرحلة مرهقة من الرحلة كان علينا فيها ان نقتحم طريقنا خلال الاعشاب الشائكة كأنها الحراب ، ووسط الغاب الكثيف ونبات السمار واشكال متنوعة من السرخس لم ار مثيلا لها من قبل ، ونباتات أخرى ممتلئة صلبة،وكان علينا ايضاان نصعد سلسلة من التلال المتتابعة المتشابهة والمرتفعات التى كان هبوطها دائما . انعكاسا لصعودها . وكانت الممرات فيها غير ممهدة ومنحدرة ومليئة بالحفر العميقة ، ورغم ان اعيننا لم تقع على انسان هناك فلقد كانت المزارع والحقول المتناثرة فى المنطقة تدل على أنه لابد وان تكون هناك قرى قريبة هنا او هناك . ولقد كان من الممكن ان نعثر على ماء عذب بين شقوق الطمى الضيقة . يخفف من توتر عضلات الحمالين .. وحيوانات البعثة المثقلة بالاحمال وبعد الظهيرة بوقت طويل ، أبصرنا بالقافلة تتوقف من التعب عند منحدر بالقرب من احد المستنقعات : وكانت قد بدأت نذر عاصفة شديدة ، وبينما كان نصف السماء ارجوانيا مشوبا بالسواد كانت الشمس تلمع من خلال الاجزاء الخالية منها » .

« وفى اليوم الثالث عشر من شهر فبراير تابعنا السير خلال ارض مكسوة بالحشائش الخضراء اللينة .. وبعد مسيرة ساعة من الزمان — وكنا قد دخلنا ارض السفانا — رايت الدليل يجرى الى مقدمة القافلة ويغير اتجاهها . وتبعته أنا ورايته يرقى تلا صخريا شديد الانحدار مكسوا بالاشواك .. وكانت الحيوانات المتعبة قد بدات ترفض السير وكأنها تطلب التوقف للراحة . وهناك توقفنا لحظات على قمة مرتفع .. « ولكن .. يا الهى .. ما هذا الشريط من الضوء الذى يبدو تحتنا من بعيد ..؟ » وسألت « سيدى بومباى » الذى اجاب يقول « هذه مياه .. هذه مياه » .. وأخذت أحدق فى فزع وآثار ما أصابنى من عمى ، وغلالة الاشجار وذلك الشعاع العريض من اشعة الشمس يسقط على جانب من جوانب البحيرة .. ولا يكشف لى منها الا جزءا ضئيلا ، كل ذلك جعلنى العن نفسى على المخاطرة بحياتى وصحتى مقابل هذه الجائزة التافهة الضئيلة وجعلنى كذلك العن مبالغات العرب واعد العدة بينى وبين نفسى للعودة بأسرع ما يمكن حاملا معى نتيجة كشف البحيرة .. البحيرة الشمالية ! ولكننى حين تقدمت من مكانى بضع ياردات ، انكشف المنظر كله امام عينى فى صورة ملأتنى بالاعجاب والدهشة والسرور

وحيثما القيت ببصرك ، فهناك القرى والارض المزروعة . وقوارب الصيادين على صفحة مياه البحيرة .. فاذا اصخت السمع . ، فسوف تتناهى اليك اصوات تكسر الموجات المتتابعة على الشاطىء تضفى شيئا من التغير والحركة للحياة على ذلك الساحل الذى لا يحتاج الى أكثر من لمسة فنية - مساجد واكشاك صغيرة ، قصور وفيللات . حدائق وبساتين تنافس فى منظرها اروع ما يمكن ان تقع عليه عيناك فى اية منطقة كلاسيكية .. الحق ، انها متعة للروح والبصر .. ولقد نسيت ساعتها كل متاعب الرحلة .. ونسيت التفكير فى امر العودة .. واحسست بأننى مستعد لان اصادف ضعف ما صادفته من متاعب ومشاق .. وشاركنى فى احساسى هذا كل افراد البعثة الذين فرحوا قدر ما فرحت . اما زميلى « سبيك » الذى كان مصابا وقتها بعمى مؤقت من أثر الحمى ، فلم يكن فى مقدوره ان يرى اكثر « من ضباب .. ولمعان امام عينيه » بينما بدا « سعيد بن سالم » سعيدا مبتهجا .. وبدا الجميع يهنئوننى .. ويسلمون على » .

سعد زغلول

منظمة الوحدة

بقية المنشور ص ١٣

كما نصت هذه المادة أيضا على ان «يلتزم كل عضو فى المنظمة باحترام الصفة المطلقة لمسئوليات الامين العام الادارى وهيئة الموظفين ، وان يمتنع عن التأثيرات عليهم فى قيامهم بمسئولياتهم » وسينظر مؤتمر رؤساء الدول والحكومات ، المزمع عقده فى تونس فى مايو سنة ١٩٦٤ فى تعيين الامين العام .

٤ - لجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم :

ومهمتها تسوية جميع المنازعات التى تنشأ فيما بين الدول الاعضاء بالوسائل السلمية. ويكون تشكيلها ، وتحديد شروط الخدمة فيها، بمقتضى بروتوكول يوافق عليه مؤتمر رؤساء الحكومات . ويعتبر هذا البروتوكول جزءا لا يتجزأ من الميثاق .

٥ - اللجان الفنية :

وقد نصت المادة العشرون من الميثاق ، على تأليف لجان فنية ، لتحقيق التعاون بين الدول الافريقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والعلمية والفنة والصحية ، مسائل الدفاع .

وتتألف كل لجنة من هذه اللجان المتخصصة من الوزراء المعينين ، أو من وزراء آخرين ، أو من مفوضين تعينهم حكومات الدول الاعضاء . وتكون مباشرة هذه اللجان، وفقا لاحكام ميثاق المنظمة واللوائح ، التى يقررها مجلس الوزراء .

هذه هى أهداف ومبادىء واجهزة منظمة الوحدة الافريقية ، وفى مقال آخر سأتحدث عن تعاونها مع المنظمات والهيئات الدولية الاخرى .

دكتور
على ابراهيم عبده

شرق افريقية

والدبلوماسية الأوربية في القرن التاسع عشر

بقلم عبد الرحمن صالح

عند مطلع الربع الاخير من القرن التاسع عشر .. كان شرق افريقيا ما يزال مجهولا تقريبا من العالم الخارجى وخاصة فى اوربا . ولم يكن يعرف الداخل ويطرقه دائما غير التجار العرب والهنود الذين كانوا يقومون برحلات دائمة من مراكز التجارة على الشاطىء الى الداخل .. كما كانوا قد أقاموا مراكز لهم فى الداخل مثل تابورا وغيرها حول بحيرات تانجانيقا ونياسا وفى بوغندا . وقد يقول البعض ان المستكشفين الاوربيين قد نجحوا فعلا منذ الربع الثانى فى كشف الكثير من المناطق الداخلية مثل بحيرات تنجانيقا ونياسا وفكتوريا والبرت على أيدى الرواد كرانب وربمان الذى اكتشف جبل كليمانجارو ثم بيرتون وسبيك وكذلك دافيد ليفنجستون ثم هنرى مورتون ستانلى .. الذى سنراه بعد ذلك فى بداية الربع الاخير من هذا القرن ينجح فى ازالة الغموض عن جزء كبير من الداخل الافريقى .. قد يقول البعض ذلك .. ولكن الحقيقة أن المستكشفين كانوا يلتزمون فى تحركاتهم طرقا ممهدة مطروقة من قبل على أيدى التجار العرب .. كما أن مساحات شاسعة كانت لا تزال مجهولة تماما بالنسبة لهم وللعالم الخارجى .

ولذلك فان أوربا لم تبدأ محاولات الاستيلاء على أجزاء من شرق القارة واستعمارها فى تلك الفترة الا فى الاماكن الساحلية مثل جزيرة موريتيوس التابعة لبريطانيا و « جزيرة فرنسا » وجزيرة البوربون وأجزاء من مدغشقر بالنسبة لفرنسا . وكذلك كانت القوى الاوربية وخاصة بريطانيا تحاول تدعيم نفوذها السياسى والعسكرى فى جزيرة زنجبار والاراضى التى يمتد عليها نفوذ سلطانها العربى .

أما المحاولات الحقيقية للتوغل داخل القارة وضم أجزاء منه .. فقد قامت بها دولة افريقية تحتل أهم موقع فى القارة ولها تاريخ طويل عريق مجيد فى تدعيم صلتها بالداخل وفى ايصال نور العلم والحضارة اليه منذ آلاف السنين .. ألا وهى مصر وقد بدأت أولى المحاولات المصرية فى الربع الاول من

القرن التاسع عشر حين قامت بتوحيد السودان معها فى عهد محمد على .. وفى عهد اسماعيل توغل النفوذ المصرى حتى وصل الى شواطىء فكتوريا تقريبا أى الى القلب الافريقى نفسه عند هضبة البحيرات .. وبذلت جهود جبارة للقضاء على تجارة الرقيق فى تلك المناطق الداخلية وايصالها بالعالم الخارجى وذلك على أيدى الضباط والجنود المصريين والسودانيين . وقد استخدم اسماعيل عددا من الاجانب فى تلك الاماكن على رأسهم صامويل بيكر وجوردون باشا والالمانى ادوارد شنيترز الذى تسمى باسم أمين باشا .. وبالرغم من الجهود التى بذلها هؤلاء الاجانب فى ميدان الاستكشاف وتعريف أوربا بهذه المناطق .. الا أنهم فى نفس الوقت كانوا فى الحقيقة يمهدون لاحلال النفوذ الاوربى محل النفوذ المصرى ولذلك فقد أنكروا على مصر كل جهودها لرفع مستوى المواطنين الحضارى والثقافى فى تلك المناطق ولم ينشروا عنها الا الاكاذيب التى تسم حكم المصريين بأنه حكم تجار الرقيق ، مما أساء الى سمعته فى العالم الاوربى والامريكى .. أما المدارس والمستشفيات والطرق والمدن وغيرها التى نشرها المصريون وأقاموها وحملت الى هذه المناطق لاول مرة منذ مئات السنين نور العلم والمدنية فقد أغفلها معظم الكتاب الاوربيين عن عمد .

وعند قيام ثورة المهدى سنة ١٨٨١ التى كانت أسبابها الحقيقية هى ازدياد النفوذ الاجنبى فى مصر وخضوع الخديوى له ووقوفه ضد مطالب الشعب بزعامة البطل عرابى وانعكاس هذه الحالة السيئة على السودان .. مما جعل محمد أحمد المهدى يجعل هدفه الاكبر أن يطهر السودان أولا من النفوذ الاوربى ثم يثنى بعد ذلك بمصر وهو ما حاوله فعلا خليفته عبد الله التعايشى .. عند قيام هذه الثورة اهتبلها البريطانيون فرصة لاحلال استعمارهم محل النفوذ المصرى فى السودان .. وكانوا قد استطاعوا احتلال مصر بمساعدة الخديوى الخائن وزعماء الاقطاع .. لذلك فقد أمروا بانسحاب الجيش المصرى من السودان ثم عادوا ليغزوه مرة أخرى بجيش جنوده مصريون وضباطه انجليز . كما أمروا بسحب القوات المصرية التى كانت منتشرة على طول البحر الاحمر حتى مقديشيو وكيسمايو فى الصومال . وبذلك انحسر ذلك المد الحضارى الافريقى الخالص الذى كان يقوم برسالة فتح منافذ القارة أمام التيارات الجديدة .. واستأثر النفوذ الاوربى بالقلب الافريقى .. بل بالشمال الافريقى أيضا بعد احتلال مصر والسودان وغيرهما من بلاد المغرب العربى .

ولقد مهد اثنان من المستكشفين الاوربيين الطريق أمام الاستعمار الاوربى الكامل للقارة كلها . أول هذين هو القسيس البريطانى دافيد ليفنسجتون الذى استطاع أن يشعل الحماس فى كل أوربا لارسال مئات البعثات التبشيرية الى الاجزاء الداخلية منها .. ولم تقم هذه البعثات بنشر الدين قدر قيامها باستكشاف ما حولها ودراسة عادات الاهالى .. وتمهيد الطريق أمام الاحتلال العسكرى الذى زحف بعدها بقليل .

أما ثانى هذين المستكشفين فهو هنرى مورتون ستانلى ذلك الصحفى البريطانى المولد الامريكى جنسية الذى بدأت صلته بافريقيا منذ سنة ١٨٧١ حين قام برحلة من الساحل الشرقى الى أوجيجى ليتصل بليفنجستون وينقذه من ورطته . وفى سنة ١٨٧٤ أوفدته جريدتا الديلى تلجراف والنيويورك هيرالد تريبيون لاستكشاف منطقة بحيرة فكتوريا . ولكن رحلته الكبرى من الساحل الشرقى الى الساحل الغربى بين عامى ١٨٧٤ و ١٨٧٧ واكتشافه حوض الكونجو كان لها دوى كبير فى العالم أجمع بفضل المقالات الطنانة التى كانت تنشرها له الصحف الاوربية والامريكية . كما حركت هذه الرحلة أطماع ملك صغير فى أوربا هو ليوبولد الثانى ملك بلجيكا وتطلع الى أن يهتبل من أرض افريقيا ما يعوض ما يحس به من نقص وضآلة . وقد أسرع ليوبولد عقب قراءته لانباء رحلة ستانلى فى افريقيا الى تأليف الجمعية الافريقية الدولية التى أرسلت بعثات الى شرق افريقيا لانشاء محطات على طول الطريق من الساحل

حتى بحيرة تانجانيقا بالداخل .. ولكنها فشلت في تحقيق أية مشروعات أخرى .. وأصبحت مخصصة لتحقيق أحلام ليوبولد الاستعمارية . وقد كان نجاح ستانلى فى الوصول الى مصب الكونجو فى أغسطس سنة ١٨٧٧ سببا فى تفكير ليوبولد فى اتخاذ نهر الكونجو طريقا للتوغل داخل القارة مستخدما ستانلى لتنفيذ هذا المشروع . وبذلك فان تطور الاحداث فى شرق افريقيا قد تحول لفترة من الوقت منذ سنة ١٨٧٦ بحيث أصبحت بروكسل هى الموجهة للاحداث ثم بعد ذلك تولت برلين هذه المهمة .

وفى يناير سنة ١٨٧٨ حين نزل ستانلى فى ميناء مرسيليا وجد رسل الملك ليوبولد فى انتظاره ولكن اللقاء لم يتم بينه وبين الملك الا فى يونيو . وفى نوفمبر عقد اجتماع هام حضره أعضاء الجمعية الافريقية الدولية وستانلى والملك وأسفر عن تكوين « لجنة دراسات أعالى الكونجو Comité des Etudes du Haut Congo » ثم تمت الدراسات الخاصة بمشروع استعمار الكونجو والشرق الافريقى وجمع الاموال اللازمة له فى اجتماع آخر عقد فى يناير سنة ١٨٧٩ . ولكن ما كاد ستانلى يصل الى مدخل نهر الكونجو فى نفس السنة وهو يرفع علم الجمعية الدولية الازرق ذا النجمة البيضاء حتى تقرر الجمعية اعادة الاموال الى أصحابها .. ولكن ستانلى يستمر فى مشروعه تابعا لاتحاد آخر حل محل الجمعية القديمة هو « الاتحاد الدولى للكونجو » وقد نجح ستانلى نجاحا باهرا وسريعا فى عقد الكثير من الاتفاقيات مع زعماء القبائل حتى جعل من أحلام ليوبولد الثانى فى السيطرة على أراضى الكونجو حقيقة واقعة .

وقد دفع اقتحام ليوبولد الثانى ميدان الاستعمار فى افريقيا كقوة جديدة ناجحة .. دفع ذلك فرنسا الى توسيع أراضيها وممتلكاتها هناك .. فأرسلت حملة بقيادة الضابط « بيير سافورنان دى برازا » ومعه آخر يدعى « جولس فيرى » واستولت على حوض نهر « أجوى Ogowe » شمال الكونجو .. بل ادعت أيضا ملكية الجزء الشمالى من حوض نهر الكونجو نفسه . والحق أن اندفاع « جولس فيرى » الفرنسى يعتبر المسئول الاول عن الضيق الذى أحست به القوى الاوربية الاخرى واندفاعها الى اقتسام القارة بما يدعى « بالتكالب على افريقيا » الذى أدى الى عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤/١٨٨٥ .

وكانت أولى القوى الاوربية التى أعلنت احتجاجها على الاندفاع الفرنسى .. تلك الدولة الصغيرة التى تعتبر أقدم الدول الاوربية اتصالا بالقارة وهى البرتغال . فقد كانت تدعى ملكية الساحل الغربى لافريقيا فيما بين خطى عرض ٥ ، ٨ شمالا بما فى ذلك مدخل نهر الكونجو . ولكن القوى الاوربية الاخرى لم تكن تأبه لهذا الادعاء وكان التجار البريطانيون والفرنسيون والهولنديون يتعاملون بحرية طوال قرن مضى دون الحصول على تصريح من البرتغال .. ولكن أيضا بدون أن يدعوا هم أنفسهم حقا على المنطقة . ولم يثر البرتغال تدخل ليوبولد فى الكونجو بقدر ما أثارها تدخل فرنسا .. لان ليوبولد كان يعمل لحسابه الخاص .. بعكس فرنسا التى كانت تعمل كدولة بصفة رسمية .

وقد اتجهت البرتغال الى بريطانيا لتؤازرها فى هذا الادعاء .. وبعد مفاوضات طويلة اعترفت بريطانيا بادعاء البرتغال فى منطقة مدخل الكونجو مع وجود ملحق خاص بالملاحة فى النهر . وقد أثار اعلان هذا الاتفاق سنة ١٨٨٤ عاصفة من النقد .

وفى نفس الوقت اتجهت قوة أوربية جديدة لاستعمار أجزاء من القارة هى ألمانيا . وكانت ألمانيا تؤازر فرنسا فى احتلالها للجزء الذى أخذته من الكونجو وذلك لتشغلها عن الثأر لهزيمتها منها فى الحرب السبعينية . وقد استولت ألمانيا أول الامر على جنوب غرب افريقيا رغم معارضة بريطانيا . ثم استولت أيضا على الكاميرون وتوجولاند سنة ١٨٨٤ .. وأخيرا فى نفس السنة طلب بسمارك عقد مؤتمر برلين لمناقشة مطالب البرتغال فى حوض

الكونجو والاتفاق البريطانى البرتغالى بهذا الخصوص وكذلك نشاط الاتحـــاد الدولى للكونجو الذى كان يرأســه ليوبولدفيل . وقد حضر المؤتمر الذى عقد فى نوفمبر أربع عشرة دولة من بينها الولايات المتحدة ، ولم يرسل الاتحاد الدولى للكونجو مندوبا عنه لعدم تحديد صفته الرسمية بعد وان كانت اتصالاته بمندوبى الدول وتأثيره عليهم لم تكن خافية على أحـــد . وانتهى المؤتمر بقراراته المعـــروفة التى سبق أن بيناها بالتفصيل فى العدد الماضى من المجلة .

أما فى شرق افريقيا .. فقد اتخذ مغامر ألمانى فى الثامنة والعشرين من عمره الخطوات الاولى لوضع يد ألمانيا على أجزاء من هذه المنطقة .. هو كارل بيترز . وكانت الاصوات قد ارتفعت فى ألمانيا مطالبة بأن تكون لها مستعمراتها التى تستطيع فيهـا تصريف انتاجها الصنـــاعى والفائض من الســكان وتستورد منها المواد الخـــام اللازمة لها والتى يمكن صبغها بالصبغة الجرمانية بدلا من المهاجر التى ينزح اليها آلاف الالـــمان فى البرازيل واستراليا والولايات المتحـدة حيث يذوبون فيهـا ويفقـــدون مقوماتهم الوطنيـة . ومن ثم اتجهت الأنظـــار الى افريقيا بعد أن نشرت مغامرات المستكشفين الأوائل ومن بينهم الالمانى « فون در دكن » الذى كشف نهر جـوبا ودعا الى استعمار ألمانيا للمنطقة سنة ١٨٦٤ .

وقـــد بدأ كارل بيترز بتكوين جمعيـــة « الاستعمار الالمـــانى » .. ثم ذهب الى زنجبار فى نوفمبر سنة ١٨٨٤ ومعه اثنان من زملائه هما الكونت « جواشيم بفيـــل » والدكتور « كارل جولك » مدعين أنهم عمال ميكانيكيون حتى لا يمنعهـــم الانجليز أو القنصل الالمانى من التسلل الى الداخل . وفعـلا نجح الثلاثة فى التوغل بعيـــدا عن الشاطىء ووقعوا معاهدتهم الأولى مع أحـد الزعمـــاء الافريقيين بالنيـــابة عن جمعية الاستعمار الالمانى . وبذلك رفرف العـــلم الالمـــانى مرة فوق أراضى الشرق الافريقى . ثم سار الثلاثة على طول نهر وامى وعقدوا مزيدا من المعاهدات فى أوزاجارا وأوزيجوا ونجورو وأوكامى . وقد جاء فى المعـــاهدة التى وقعها السلطان مانجوجو رئيس اقليم موفيرو فى أوزاجارا أنه يقبـل « اعطاء كل أراضيه بما عليها من سكان وممتلكات الى الدكتور كارل بيترز الى الابد .. » بينما تعهد بيترز « بأن يعير اهتماما خاصا الى موفيرو عند استعمار الاقليم » . وواضح من ذلك أن هذه المعاهدات لم تكن مفهومة من قبل الرؤســاء الافـريقيين الذين كانوا يبصمونها ولكنها على كل حال لم تكن أيضا أكثر سوءا من المعـاهدات التى اعتاد كثير من المستكشفين الآخـرين من دول أوربيـــة اخرى عقدها مع الرؤساء القبليين . وكان هدف بيترز من هذه المعـاهدات هو ايجاد دليل أمام القـوى الأوربيـة الاخرى يؤكد أسبقية المـانيا فى وضع يدهـــا على هذه المناطق .

وأسرع بيترز بعـد ذلك عائدا الى ألمانيا وأنشأ شركة شرق افريقيا التجـارية ونقل اليها كل المعاهدات التى عقدها كما حصل من القيصر الالمـــانى على مرســـوم بفرض حمايته على كل الاراضى التى حصلت عليها جمعية الاستعمار الالمـانى فى شرق افريقيا كما يمنح حقوق الرعايا الالمان للمقيمين بها .

وفى نفس الــوقت كان زميـــلا بيترز مستمرين فى عقد المعـــاهدات مع الرؤساء الافريقيين . ولكن انجلترا أسرعت بالتدخل محتجة بالدفاع عن حقوق وممتلكات سلطان زنجبـار . وفى الســابع من أغسطس سنة ١٨٨٥ وصل أسطول المانى الى زنجبار وهدد بتـدمير قصر الســلطان فاضطر للاعتراف بالممتلكات الالمانية فى المنطقة . واخيرا وبعد مفاوضات عديدة تم عقد اتفـاق انجليزى ألـــمانى قسمت بمقتضاه مناطق النفـوذ فى شرق افريقيـا وحـددت ممتلكات سـلطان زنجبار بشريط ساحلى ضيق يمتد من خليج تونغى حتى جنـوب كيبينى عند مدخـــل نهرتانا . وفازت المانيا من هذه المغامرة التى التى كان بطلها بيترز وزميلاه بقطر شاسع المساحة والثروات .. بتانجانيقا ..

عبد الرحمن صالح

التعريف بالصومال



بقلم محمود متولى

بعد سنوات طويلة من استعمار قاس طاغ مستبد عانت منه البلاد الويلات نجح الصوماليون بالكفاح المضنى والنضال المرير فى ان يجبروا الاستعمار على ان يحمل عصاه ويرحل بعيدا عن بلادهم التى سلبها واستنزف خيراتها ولم يكد فجر أول يوليو سنة ١٩٦٠ يضىء العالم بأشعته معلنا طلوع النهار حتى كان مؤذنا معه بميلاد دولة جديدة فى « الصومال » التى جاءت الى عالم الحرية عقب وحدة الصومال الايطالى والصومال البريطانى بعد حصول كل منهما على الاستقلال التام .

ويجب أن ننوه ان دولة الصومال الجديدة ليست الا خطوة أولى نحو تحقيق فكرة « الصومال الكبير » ومعنى هذا أن يضم لها : ـ

١ ـ الصومال الفرنسى ويضم حوالى ٦٠٠ر٠٠٠ نفس .

٢ ـ الصوماليون الموجودون فى كينيا الشمالية وتعدادهم ١٠٠ر٠٠٠ نفس .

٣ ـ منطقة أوجادين بأثيوبيا ويسكنها حوالى ٥٠٠ر٠٠٠ صومالى .

الموقع الجغرافى :

تقع الجمهورية الصومالية شرق افريقيا فى منتصف المسافة بين خط الاستواء ومدار السرطان تقريبا مابين خطى عرض ١٣ر٥° شمال خط الاستواء ، ٢ر٥° جنوبه وبين خطى طول ٤١° ـ ٥٢ر٥° شرق خط جرينتش . ويطل الصومال على المحيط الهندى بساحل طوله ١٨٠٠ ك . م وعرضه يصل الى ٤٥٠ ك.م ويطل ساحله الشمالى على خليج عدن بساحل طوله ١٢٠٠ ك.م وبعرض ١٧٠ ك.م فالصومال يشمل الاجزاء الساحلية التى تبدأ من مدينة جيبوتى شمالا حتى نهر جوبا جنوبا ويمتد داخل القارة فيشمل عدة هضاب منها هرجولا كما يشمل الاراضى الواقعة شرق بحيرة رودولف . ويحد الصومال من الغرب أثيوبيا ومن الجنوب والجنوب الغربى كينيا ومن الشمال الشرقى باب المندب ويفصل خليج عدن بين الصومال وشبه الجزيرة العربية . ويمر بالصومال نهران هما نهر جوبا ونهر شبيللى .

المساحة :

تبلغ مساحة الصومال ٦٦٠ر٦٨٧ر٦ ك.م٢ اى مايقرب من ٢٤٦ر١٣٥ ميل مربع .

السكان :

قدر عدد السكان فى سنة ١٩٦٢ بحوالى ٢ر٣ مليون نسمة الا أنه لاتوجد احصائيات دقيقة لتعداد السكان وذلك لان المستعمر لم يكن يهتم بعمل مثل هذه الاحصائيات وفيما يلى تقديرات الامم المتحدة فى نشرتها الشهرية لتعداد الصومال بالمليون نسمة

ورغم انه من المعلوم أن معدل السكان وزيادته مرتفعة ارتفاعا كبيرا بالنسبة للمناطق المتخلفة الا اننا نجد أن الزيادة طفيفة فى السكان فى الصومال ولعل ذلك قد يعود الى أن الوفيات أكثر من المواليد أو أقل قليلا وذلك لعدم اهتمام المستعمر بأى شىء يفيد أهالى البلاد فلم يكن له من أهداف الا سلب ونهب خيرات الصومال .

ولقد ظهرت جناية الاستعمار واضحة فى انه ابقى على هذا الشعب بصورة بدائية بالسة فلقد تعمد المستعمر ان يخرب اقتصاديات الصومال وامكانياته البشرية وان يترك الزراعة والثروة الحيوانية فى حالة من البدائية والتأخر أضعفت من انتاجها وابقت الشعب فى حالة من البؤس والفقر الشديد والتشرد حتى لقد كانت المجاعات والسيول العارمة ضمن أسباب النقص وعدم زيادة السكان زيادة كبيرة فكثيرا ما أهلكت السيول كل محصول الذرة الشامى والذرة الرفيعة والقطن والسمسم وقد حدث فى سنة ١٩٦٢ أن أهلكت السيول أكثر من ٧٥ ٪ من محصول الموز فى الصومال الذى يعتبر من المحاصيل النقدية الهامة التى يعتمد عليها السكان مما جعل كثيرا منهم يترك أرضه ويرحل الى المناطق المجاورة .

وتوجد ٤ جاليات فى الصومال لعل اهمها الجالية العربية وتعتبر أكثر الجاليات انتشارا فى الاراضى الصومالية ويصل تعداد العرب هناك الى أكثر من ٥٠٫٠٠٠ نسمة ومعظمهم من اليمنيين والحضرميين .

والجالية الثانية هى الجالية الهندية والباكستانية وهؤلاء يقطنون المدن وتقوم هذه الجالية بدور الوساطة فى المعاملات والمبادلات التجارية أما الجالية الثالثة فهى الجالية الايطالية ويقدر تعداد الجالية الايطالية حتى سنة ١٩٦٠ بحوالى ٦١٣٥ شخصا وهناك أيضا الجالية الاوربية وتتكون من الانجليز والامريكيين ولا يزيد تعدادهم عن ١٫٠٠٠ شخص . وسكان الصومال موزعون حسب نشاطهم كالاتى

- ٤٣ ٪ رعاة رحل يرعون الابل والماعز والماشية والاغنام .
- ٢٨ ٪ رعاة مستقرون يتخذون حرفة الزراعة الى جانب حرفة الرعى وهم يقطنون دائما قرب مناطق المياه .
- ١٩ ٪ مزارعون يفلحون الارض ويوجدون على الخصوص فى أحواض نهرى شبيلى وجوبا .
- ٦ ٪ يشتغلون بأعمال حرفية بسيطة كالصناعات البدائية .
- ٣ ٪ يقومون بالاعمال التجارية .
- ١ ٪ يشتغل بالقنص والصيد ولا زالوا يعيشون عيشة بدائية داخل الغابات .

المواصلات :

وسيلة المواصلات الوحيدة هى السيارات التى تسير على طرق أغلبها غير مرصوفة ويصعب استعمالها فى وقت سقوط الأمطار لذا ما زالت الصومال فى حاجة الى تخطيط للمواصلات بها ولا يوجد بالصومال بأكملها سوى طريقين فقط مرصوفين ولا توجد بتاتا أية خطوط حديدية كذلك لاتوجد مطارات تجارية والمطار الوحيد موجود فى مقديشيو العاصمة ولكنه لايتسع لنزول الطائرات الكبيرة كما أنه غير مزود بالامكانيات الحديثة هذا الى جانب أن امكانيات الموانىء الموجودة حاليا ضعيفة سواء من ناحية العمق أو قدرة معداتها على التفريغ والشحن .

على انه يجب أن نقول أن المواصلات شىء هام بل وضرورى لربط البلاد بعضها ببعض وتشجيع حركة نقل البضائع من الداخل الى الخارج وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية معا ومن حسن حظ الصومال أن أراضيها تصلح لاقامة المطارات الكبيرة الضخمة ولها سواحل طويلة على المحيط الهندى يجب الاهتمام بها لكل ذلك يجب على الصومال ان تهتم برصف طرقها البرية وبمد خطوط حديدية تربط بين أجزاء الصومال كذلك

تعمل ما فى جهدها لاستغلال سواحلها على البحر الاحمر والمحيط .

التقسيم الادارى والمدن الهامة :

الصومال من الناحية الادارية مقسم الى ثمانية أقاليم هى : ـ

١ ـ هيران ، ٢ ـ بنادر ، ٣ ـ جوبا العليا ، ٤ ـ جوبا السفلى ، ٥ ـ المديرية الشمالية الغربية ، ٦ ـ المديرية الشمالية الشرقية ، ٧ ـ الماجورتينا ، ٨ ـ مودوك .

وتضم المديرية الشمالية الغربية مدن (هرجيسيه ويسكنها حوالى ٣٥ الف نسمة ـ بربرة ويقطنها حوالى ٤٠٫٠٠٠ نسمة ـ بوراما ٤٥٠٠ نسمة) .

وتضم المديرية الشمالية الشرقية مدن (براو ويسكنها ١٢ ألف نسمة ـ ايراجافو ٤ آلاف نسمة ـ لأسى أنود ٢٥٠٠ نسمة) .

والعاصمة هى مدينة مقديشيو (عاصمة الصومال الايطالى سابقا) ويسكنها حوالى ١٠٠٫٠٠٠ نسمة وتعتبر من أهم موانىء الصومال .

والموانىء الاخرى الهامة هى ميركا ـ كسمايو .

وقبل ان ندخل فى اقتصاديات الصومال لابد أن نعرف شيئا عن تاريخه وصراعه مع الاستعمار الى أن فاز بالاستقلال وفيما يلى عرض تاريخى :

بدات طلائع الزحف الاستعمارى على الصومال على يد البرتغاليين بعد أن عرفت أوربا هذه المنطقة بظهور الرحالة « فاسكوداجاما » سنة ١٤٩٨ فى المحيط الهندى . وقد استولى البرتغاليون على السواحل الصومالية وذلك أثناء محاولتهم السيطرة على المحيط الهندى بهدف اتخاذ القرن الافريقى كنقطة ارتكاز لحصار التجارة الخارجية للعرب فى ذلك الوقت . ولما اتخذ العرب مركزهم فى زنزبار فى القرن ١٦ سعوا الى تحرير المنطقة الصومالية من البرتغال ونجحوا فى ذلك بعد خوض معارك قتال عنيفة استمرت أكثر من نصف قرن . وقد كان الصومال فى نطاق الامبراطورية المصرية منذ عام ١٨٥٧ الا أن بريطانيا انتهزت فرصة ضعف مصر وبدات عن طريق عقد معاهدات غير متكافئة عبارة عن اتفاقات تجارية ومعاهدات حماية السلاطين بشروط لم يفطنوا الى فحواها لغة وكتابة مع حكام تلك المنطقة ذلك لانها كتبت باللغة الانجليزية وقد تذرعت بريطانيا عن طريق هذه المعاهدات لتفرض نفوذها وتبسط سيطرتها على الصومال وتحتل أجزاءه وتنهب أرضه وتسلب امكانياته الطبيعية وتستغل طاقاته البشرية . ولعل السبب الذى حدا ببريطانيا الى أن تستعمر الصومال يرجع الى : ـ

١ ـ الموقع الاستراتيجى الهام الذى يتمتع به الصومال اذ يتحكم فى مدخل البحر الاحمر .

٢ ـ تتوفر فيه أراض صالحة لاقامة المطارات الحربية والتجارية بعكس المناطق الافريقية المجاورة المحيطة به .

٣ ـ أرض خصبة بكر يسهل استغلالها .

٤ ـ منطقة تصلح أراضيها كقاعدة ارتكاز للتوسع فى المناطق المجاورة لها .

٥ ـ سوق لابأس به للصناعة البريطانية ومخزنا للمواد الاولية ومزرعة لسكان بريطانيا .

ولكن تنازع المصالح الاستعمارية ووجود ظروف دولية فى غير صالح بريطانيا جعلها تقسم الصومال وفقا لتبادل المنفعة الاستعمارية فى القارة الافريقية ومن ثم نجدها تعطى الحبشة أكبر أقسام الصومال ثراء والسكان نظير وقوفها على الحياد من ثورة مهدى الصومال محمد بن عبد الله وتعطى كينيا جزءا وتساعد ايطاليا على الاستيلاء والسيطرة على أكبر أجزاء الصومال ولا تمنع فرنسا من الاستيلاء على جيبوتى . وهكذا نجد الصومال قد تمزق الى خمسة أقسام هى :

١ ـ الصومال الاثيوبى وهو المنطقة المعروفة باسم « أوجادين » ويسكنها حوالى نصف مليون صومالى وقد دلت الابحاث على غنى هذه المنطقة بالبترول كما انها تعتبر منطقة حيوية من ناحية الثروة الزراعية والحيوانية والخشبية والمعدنية فهو من اكثر مناطق الصومال ثروة ووفرة فى العشب والماء .

٢ ـ الاراضى الصومالية شمال كينيا حيث انتهزت بريطانيا فرصة وجودها الاستعمارى فى كل من كينيا والصومال وراحت لاسباب استراتيجية وعسكرية واقتصادية وسياسية تقيم الحواجز والحدود بين البلدين دون ما مراعاة للظروف القبلية والمحلية السائدة منذ عهود طويلة فى البلدين المتجاورين وكان من وراء هذه السياسة الاستعمارية ان أصبح ١٠٠,٠٠٠ صومالى يتبعون كينيا واصبح جزء كبير من الصومال واراضيها تحت سيطرة كينيا بموجب اتفاق تم عقده بين بريطانيا وحكومة كينيا عام ١٩٥٤ ولعل السبب الرئيسى الذى جعل بريطانيا تفعل ذلك هو انها علمت انها ستضطر تحت ضغط الحركة التى قامت لتنادى بالاستقلال عن طريق الكفاح المسلح والثورات والاضطرابات فأرادت بريطانيا ان تملك منطقة حيوية من الصومال قبل ان يستقل بأكمله .

٣ ـ الصومال الفرنسى وهو مستعمرة فرنسية تطل على المنفذ الجنوبى للبحر الاحمر بين ارتريا والصومال البريطانى وقد استولت عليه فرنسا سنة ١٨٦٢ بمساعدة بريطانيا وعاصمة هذا الاقليم هى « جيبوتى » ويسكنه حوالى ٦٠,٠٠٠ صومالى .

٤ ـ الصومال البريطانى وكان محمية بريطانية تطل على خليج عدن ويقع بين الصومال الفرنسى والصومال الايطالى وتجاوره أثيوبيا من الغرب وعاصمته هرجيسة وهو الذى يعرف الان باسم الاقليم الشمالى من الجمهورية الصومالية

٥ ـ الصومال الايطالى وقد بدأت ايطاليا باستعمار هذا الجزء سنة ١٨٨٦ بعقد اتفاقيات مع بعض السلاطين وتأجير بعض الموانى من سلطان زنزبار وذلك بعد موافقة بريطانيا . وفى فبراير سنة ١٩٤١ استولت عليه القوات البريطانية التى حررت الحبشة وفى ابريل سنة ١٩٥٠ وضع الصومال الايطالى تحت الوصاية من قبل الامم المتحدة على ان تكون ايطاليا هى الدولة صاحبة الوصاية لاعداد الصوماليين للاستقلال فى فترة عشر سنوات ويعرف الصومال الايطالى باسم الاقليم الجنوبى من الجمهورية الصومالية .

وقد كان معنى ذلك التقسيم هو تفتيت وحدة الصومال الى وحدات سياسية واقتصادية واجتماعية متفرقة واصابته فى الصميم ولم يسكت الصوماليون طوال فترة استعمارهم فى أى منطقة من المناطق الخمس السابقة بل ظهرت المقاومة فى كل مكان وقد اتخذت المقاومة عدة صور : ـ

١ ـ صورة قبلية مصحوبة برد فعل النزعة الاسلامية .

٢ ـ صورة قومية تمثل النعرة القومية فى الوحدة لجميع الاراضى الصومالية .

٣ ـ صورة مقاومة شيوخ العرب والاسلام الموجودين فى الصومال وتحريضهم الصوماليين وقيادتهم للثورة ضد الاستعمار وهذه الجالية استطاعت أن تحافظ على اللغة العربية وتحارب أية محاولة تهدف الى القضاء على التراث العربى والحضارة العربية والتقاليد العربية هناك وقد نجحت فى ذلك بالتأكيد حيث فشل الاستعمار رغم امكانياته واستعداداته وبطشه وجبروته .

وأولى صور المقاومة الحية تتضح واضحة فى تلك الحرب العنيفة التى شنها محمد بن عبد الله الذى لقب نفسه بالمهدى وهو أحد ابطال الصومال الذين وقفوا ضد الاستعمار واستطاعوا أن يجبروه على التقهقر وعدم التمتع بالاستقرار فترة ٢٨ عاما وكانت القبيلة التى يقودها فى كفاحه قبيلة من أصل عربى تسمى قبيلة « جبيرة السليمانى » العربية وقد كان لهذا الرجل مكانة دينية كبيرة وقد لقب نفسه بالمهدى لما للفظ من كيان اسلامى كبير وكرامة لدى المسلمين فى انه يقودهم من اجل الخير ومن اجل الكرامة والعزة والوطنية التى ينادى بها دين الاسلام ، وقد تحالفت ضد مهدى الصومال كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا حرصا على مصالح كل منهم الى ان استطاعوا القضاء عليه وعلى حركته حيث

قتل سنة ١٩١١ الا ان ذكراه ظلت تشعل نار الحرب المقدسة ضد الاجانب فى الصومال وظلت حياته تعتبر رمزا للبطولة والفداء . ولم تسكت صور المقاومة ضد المستعمر طوال فترة الحرب الاولى أو خلال مابين الحربين الا ان التنافر الاستعمارى وتضارب مصالح الدول الاوربية فى افريقيا خاصة بين بريطانيا وايطاليا بعد ظهور موسولينى واطماعه واحلامه وبداية حركة التوسع الفاشية فى الحبشة مما جعل اطماع بريطانيا تصطدم مع اطماع ايطاليا سنة ١٩٣٣ ومن ثم اضطرت بريطانيا الى أن تعلن تأييدها للشعب الصومالى فى الوحدة لتجمع مقدراته تحت سلطانها وكان ذلك يعتبر فى الواقع أول اعتراف ضمنى بحق الصوماليين فى الوجود القومى ولم تلبث بريطانيا نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية ووقوف روما جنبا الى جنب مع برلين . لم تلبث بريطانيا ان نادت سنة ١٩٤٢ بوحدة الاراضى الصومالية محاولة بذلك كسب ثقة الصوماليين ولكن بريطانيا اشترطت ان يتوحد الصومال ويستقل فى ظل الكومنولث البريطانى مما جعل الصوماليين لايعتمدون عليها وبدأوا الاعتماد على انفسهم فى طلب الحرية والاستقلال والوحدة والكرامة . وقد كانت بداية الكفاح الصومالى ونمو الحركة الوطنية هى ذلك النشاط الذى قام به نادى الصومال الثقافى وهذا النادى ضم ١٣ فردا من أبناء الصومال وقد تكون سنة ١٩٤١ بداية برامجه الثقافية والتعليمية ، ولكن لم تلبث بريطانيا أن نادت سنة ١٩٤٢ بوحدة الصومال وتخليصه من الاستعمار ولم تلبث ان حولت ذلك النادى الى حزب سياسى سنة ١٩٤٦ وكانت تريد بذلك أن تحتضن نشاط الحزب ولانها كانت لا تزال تفكر فى وحدة الصومال تحت سلطاتها وتهدف الى سند شعبى معتمدة على اثارة الروح الوطنية متخذة ذلك الحزب وسيلة لها توجهه لصالحها ولكن لم تنجح بريطانيا فى هدفها لان الحزب الجديد سرعان ما أعلن اهدافه فجاءت مخيبة لامال بريطانيا وهذا الحزب يعتبر أول أحزاب الصومال وقد عرف باسم حزب « وحدة الشعب الصومالى » وهذه هى أهم أهدافه :

١ ـ توحيد جميع أجزاء الصومال المختلفة فى وحدة مستقلة وتحريره تحريرا كاملا تحت نظام حكم جمهورى ديموقراطى .

٢ ـ تحطيم العوائق ذات الجذور العميقة بين الصوماليين ونبذ الخلافات القبلية ودعم التعاون الطبقى وتشجيع النشاط النقابى .

٣ ـ رفع مستوى معيشة الشعب ماديا وأدبيا والعمل على التطوير الاقتصادى الثقافى وتنمية الثروة الزراعية والحيوانية والعمل على كشف مصادر الثروة المعدنية وموازنة الميزان التجارى وزيادة الدخل القومى فى الخدمات الصحية .

٤ ـ الاهتمام بالثقافة العربية والتوسع فى التعليم وبخاصة باللغة العربية .

٥ ـ أن يكون دين الدولة الرسمى هو الاسلام .

٦ ـ أن يكون هناك تشريع قضائى مناسب مع العقيدة الاسلامية .

٧ ـ الايمان بميثاق الأمم المتحدة وتوثيق عرى الصداقة مع جميع الشعوب الحرة والمحبة للسلام وبخاصة الدول الاسلامية والعربية .

ولا شك ان ذلك يعد من أعظم البرامج والاهداف الرائعة لتحقيق نهضة شعب ويقظة أمة ويعد حزب وحدة الشعب الصومالى حاليا من أكبر الاحزاب وأكثرها انتشارا فى الصومال .

ثم تأسس حزب ثان فى الصومال وهو الحزب الدستورى المستقل وهو حزب محلى وليس له فروع ومبادئه هى :

١ ـ منح الصومال حكومة فدرالية

٢ ـ الطريق الوحيد فى نظر هذا الحزب لوحدة الصومال هو وضع دستور يقوم على أسس مركزية أو فدرالية .

٣ – تطبيق الديمـوقراطية السليمة فى الاقاليم الصومالية المختلفة .

وقد حاولت الحبشة ايجاد حزب يعمل لها ويطالب بالوحدة معها ولكن دعوتهافشلت .. وفى سنة١٩٤٨ازدادت المقاومة الصومالية وازداد كفاح الشعب لطلب الحكم المستقل وطرد المستعمر ومن ثم اضـطرت الدول الاربعة الولايات المتحدة – بريطانيـا – فرنسا – ايطاليا الى عقد اجتماع بينهمـا لتحديد وضع الصومال وكاد الصومال ان يضيع وسـط كثير من عواصـف واطماع السياسة الاستعمارية الاوربيـة وتعـددت الاراء فظهر رأى يريد ان يضم الصـومال للحبشة ورأى ثان يريد ضمهلايطالياوثالث لضـمه الى بريطانيـا ثم رابع ان يظل الصومال ممزقا مهلهلا بين الدول التى تستعمره .. واخـيرا تم الاتفـاق على أن يخضع الصومال الايطالى سنة ١٩٥٠ تحت وصاية الامم المتحدة لمدة عشر سنوات على انتنتدب ايطاليا للوصاية عليه لتهيئة شعب الصومال للاستقلال وقد وعدت بريطانيابمنح الصومال البريطانى استقلاله ١٩٦٠ أيضا تحت ضغط الحركة الوطنية .ولما انتهت الوصاية على الصومال الايطالى وتم استقلال الصـومال البريطانى توحد الصوماليون فى دولة واحدة هى دولة الصومال واصـبح يطلق عـلى الصومال البريطانى الاقليم الشمالى وعاصمته هرجيسيه . وعلى الصومال الايطالى الاقليم الجنوبى وعاصمته مقديشيو . واتخذت المدينة الاخيرة لتكون عاصـمة لدولة الصومال ، وهكذا خرجت دولة جديدة تشارك العالم فى بناء الحضارة الانسانية وتدعم السـلام فى أول يوليو سنة ١٩٦٠ ولم تلبث الصومال أن أصبحت عضوا فى الاسرة الدولية حينما قبلت فى هيئة الامم المتحدة .

العادات والتقاليد الاجتماعية ومدى التقدم الحضارى :

مازال كثير من الصوماليين يعيشون عيشة بدائية تماما . والاصل فى السكان انهم من الجنس الحامى وقد جاءت الى الصـومال هجرات عربية من الجزيرة العربية بالذات من اليمن حيث امتزجت بالسكان الاصليين وحتى الان لازلنا نجد بعض العادات القبلية تسيطر على الارض فى الصومال حيث الارض ملك مشاع لكل قبيلة كما أن الغارات القبلية للسيطرة على منابع الماء ومناطق العشب وعادة الاخذ بالثأر تسيطر على اذهان كثير من الصوماليين ولحسن الحظ ان الصوماليين لم يشعروا بفكرة العنصرية الاوربيـة ذلك لان الاوربيين لايمثلون الا جالية صغيرة العدد ولكن نجـد على عكس ذلك فـكرة العنصرية الطبقية القبلية فالقبائل هنـاك ذات مراتب مختلفة على اننـا عموما لا نشـعر بمشـكلة التعقـد الحضـارى ولا تعقـد الجنس فى الصومال بعكس المناطق المحيطة به كأثيوبيـا وكينيا . ويمارس بعض أهالى الصومال حتى الان عادة القنص والصيد وهؤلاء لازالـوا يعيشون عيشة العصور الاولية فى الغابات ولعل أروع كاتب وصـف عادات وتقاليد الصومال هو الكاتب الدانمركى « جـون بتشهولزر » وقد صور هذا الرجل صورة الوضع الاجتماعى فى الصومال على انه أساسا يعتمـد على القبيلة ومـدى سيطرة شيخها والعرف الذى يسود كثيرا فى حياتها .

ولقد دخل الاسلام هذه البلاد بعد الهجرة بمائة عام واللغة العربية منتشرة منذ ذلك الحين وجميع الوثائق من ملكية وعقود كانت مكتوبة باللغة العربية قبل مجىء الاستعمار . ويلاحظ ان الصوماليين مسلمون فى غالبيتهم ويتبعون المذهب السنى الشـافعى وتصـل نسبة من يعتنقون الـديانة الاسـلامية فى الصومال ٩٩ ٪ من مجموع السكان وتنتشر الطرق الصوفية فى الصومال انتشارا كبيرا وتجد اعتقادا راسخا وأهم الطرق الجيلانية والرفاعية . وهناك نسبة ضئيلة جدا من السكان تدين بالديانة الكاثوليكية . على انه من المهم أن نعلم ان البعثات التبشيرية حاولت الوصول الى الصومال ولـكنها لم تفلح كما ان هناك حقيقة جـديرة بالاعتبار

وهى أن الصوماليين يعتزون بأصولهم العربية ويتعصبون للدين الاسلامى فى قوة وصلابة ولعل السبب فى ذلك يعود الى ان الاسلام لم ينتشر فى تلك البلاد بحد السيف أو بفرض الجزية وانما انتشر مع انتشار قوافل التجارة ومعاملة العرب للاهلين وغيرهم من الزنوج كانت قدوة حسنة لعدم اقامة فوارق اجتماعية أو طبقية بين الاجناس . واللغة القومية فى الصومال هى اللغة الصومالية على انه توجد هناك ثلاث لغات رسمية يتعامل بها فى دواوين الحكومة والمكاتبات الرسمية والمعاملات التجارية وهى اللغة العربية - اللغة الايطالية - اللغة الانجليزية . أما من ناحية التعليم فانه الى جانب تعليم القران الكريم فى الكتاتيب كانت لا توجد الا مدارس أجنبية لم تهتم الا بفرض السيطرة على أبناء الصومال عن طريق محاربتها لحضارة الصومال وتراثهم . ولم يهتم الاستعمار باقامة أى نوع من انواع التعليم الفنى التجارى أو الصناعى كما ان التعليم العالى كان مفقودا تماما .

وما زال كثير من الرعاة بحكم تقاليدهم الموروثة يأنفون من الزراعة ويحتقرونها كمهنة كما لايزال كثير منهم ينظر الى الحيوانات الزراعية كمظهر من مظاهر الحياة أكثر منها كمصدر من مصادر الانتاج . ومما هو جدير بالملاحظة ان الصومال يملك الاستعداد الفكرى والتكوينى لكى يسهم فى بناء بلده لو وجد المجال مفتوحا امامه . لقد وقف المستعمرون ضد أى تقدم فكرى أو حضارى للصوماليين وخرجوا وتركوهم كما كانوا بل لقد كانت جناية الاستعمار كبيرة حينما تركوا كل شىء على ما هو عليه ولابد لكى تنطلق جمهورية الصومال لتحقيق أهدافها ومبادئها لابد أن تتخلص من الرواسب الاستعمارية والسواقط الاجتماعية الموجودة فيها .

الهيكل الاقتصادى للصومال :

الصومال من البلاد المتخلفة التى يمثل الانتاج الزراعى والمرعى المرتبة الاولى فى الانتاج ولم تقم صناعة انتاجية فى البلاد الا بعض الصناعات البدائية التى أجبر المستعمر على عدم مناوأتها وذلك لانها كانت قاصرة على الاستهلاك المحلى . لقد كانت الصومال مسرحا للاستعمار الذى اتخذ منها مزرعة له وسوقا اقتصادية للصناعات التى تقوم فى أوربا . والثروة الرئيسية فى الصومال هى الثروة الحيوانية وتوجد الزراعة فى الجهات التى تخترقها الانهار وكذلك فى بعض الجهات الساحلية وفيما يلى صورة تفصيلية للهيكل الاقتصادى للصومال .

أ - الدخل القومى :

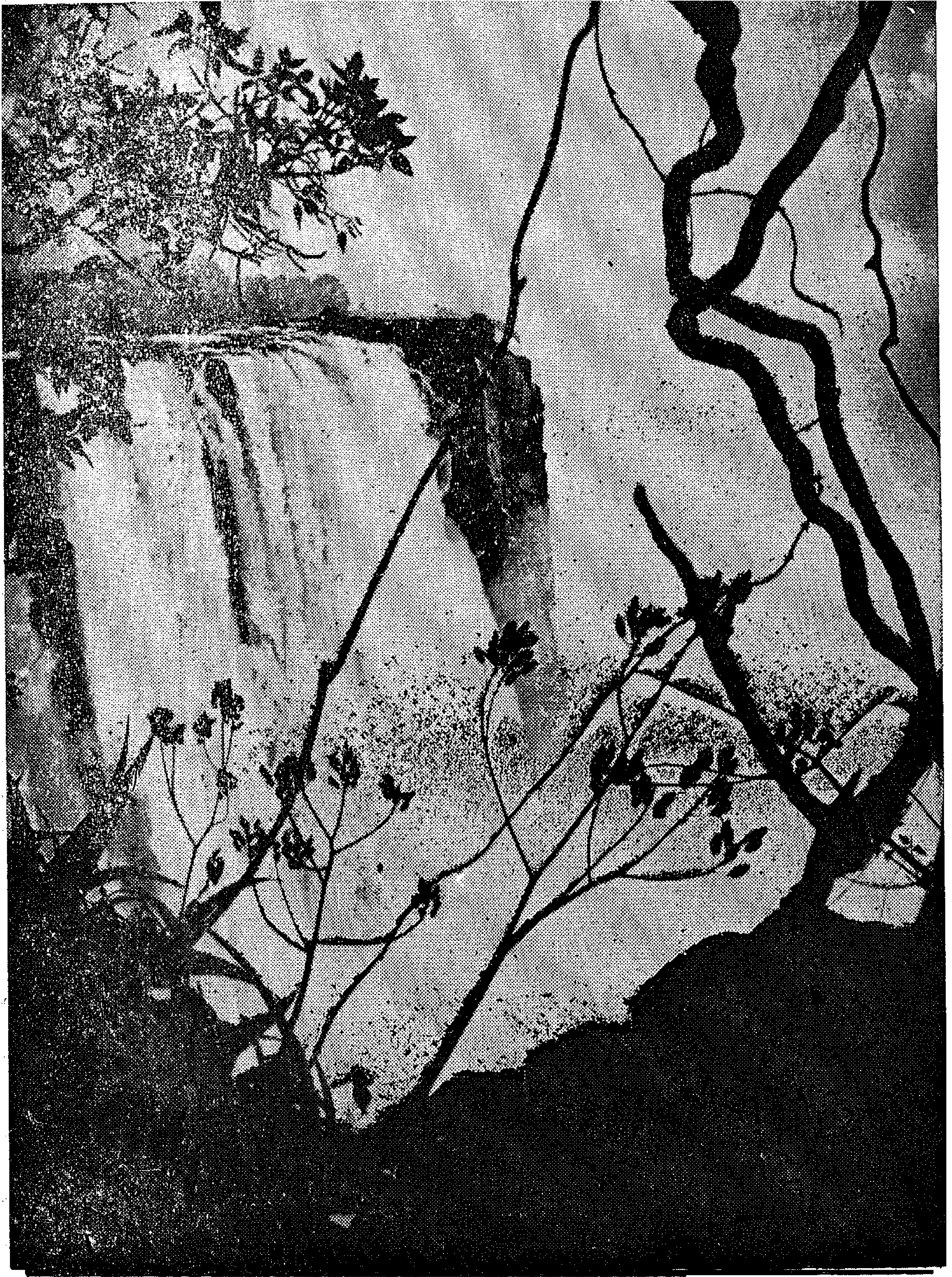
الدخل القومى ضعيف جدا لايتجاوز ٣٩ جنيها للفرد سنويا فالصومال احدى البلاد شديدة التخلف ولقد كانت أولى احصائيات الدخل القومى هى التى قامت بها ايطاليا سنة ١٩٥٥ حيث وصل هذا الدخل الى ١٧٠ مليون شلن صومالى تقريبا . وهذا الرقم يدل على مستوى معيشة منخفض اذا قيس بالنسبة لتعداد السكان . وأهم مصادر الدخل القومى هو الثروة الحيوانية وهى تمثل حوالى ٥٠ ٪ من مجموع هذا الدخل والثروة تمثل ٢٥ ٪ والثروة الخشبية تمثل ٣ ٪ والباقى موزع على الثروات المعدنية والتصنيع والتجارة والمواصلات والنقل والمهن الحرة ويقدر الدخل القومى سنة ١٩٦٢ بحوالى ١٨٤ مليون شلن صومالى .

ب - الميزانية العامة :

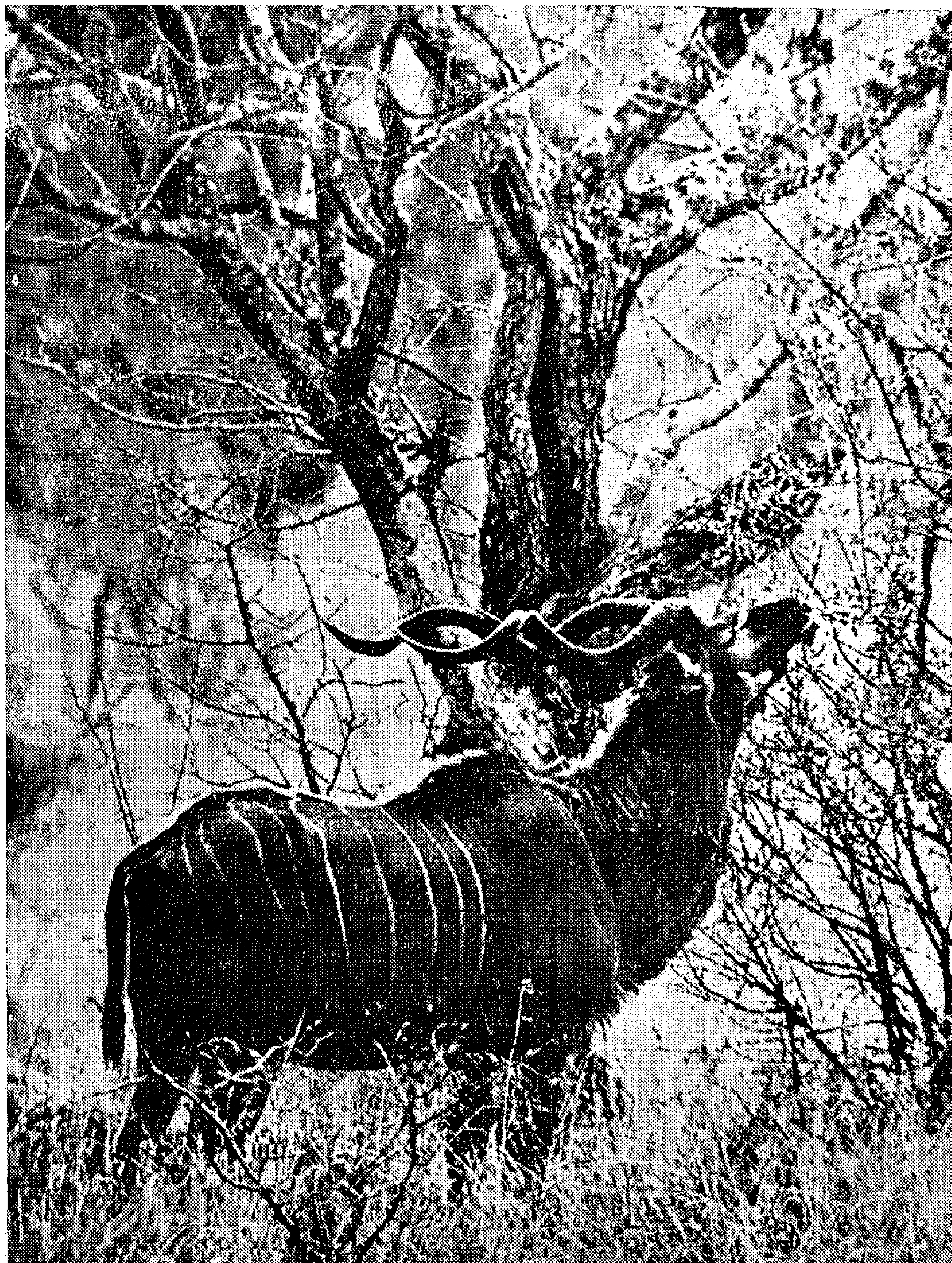
الميزانية العامة فى الصومال كالاتى : -
« بالالف جنيه الاسترلينى »

فى سنة ١٩٥٨ قدرت الايرادات فى الاقليم الشمالى بحوالى ١٦٥ر٢٤٧ر١ جنيه استرلينى والمصروفات بـ ١٣٦ر٩٨٢ر١ جنيه استرلينى . أما بالنسبة لميزانية الاقليم الجنوبى فقد وصل الدخل الى حوالى ٣٧٩ر٦٦٣ر٥ جنيه استرلينى وكان الانفاق العام حوالى ٣٧٠ر٦٦٢ر٥ جنيه استرلينى وقد وصلت الميزانية فى سنة ١٩٦٢ لكل الصومال ٠٠٠ر٩٦٠ر٧ جنيه استرلينى كمصروفات .

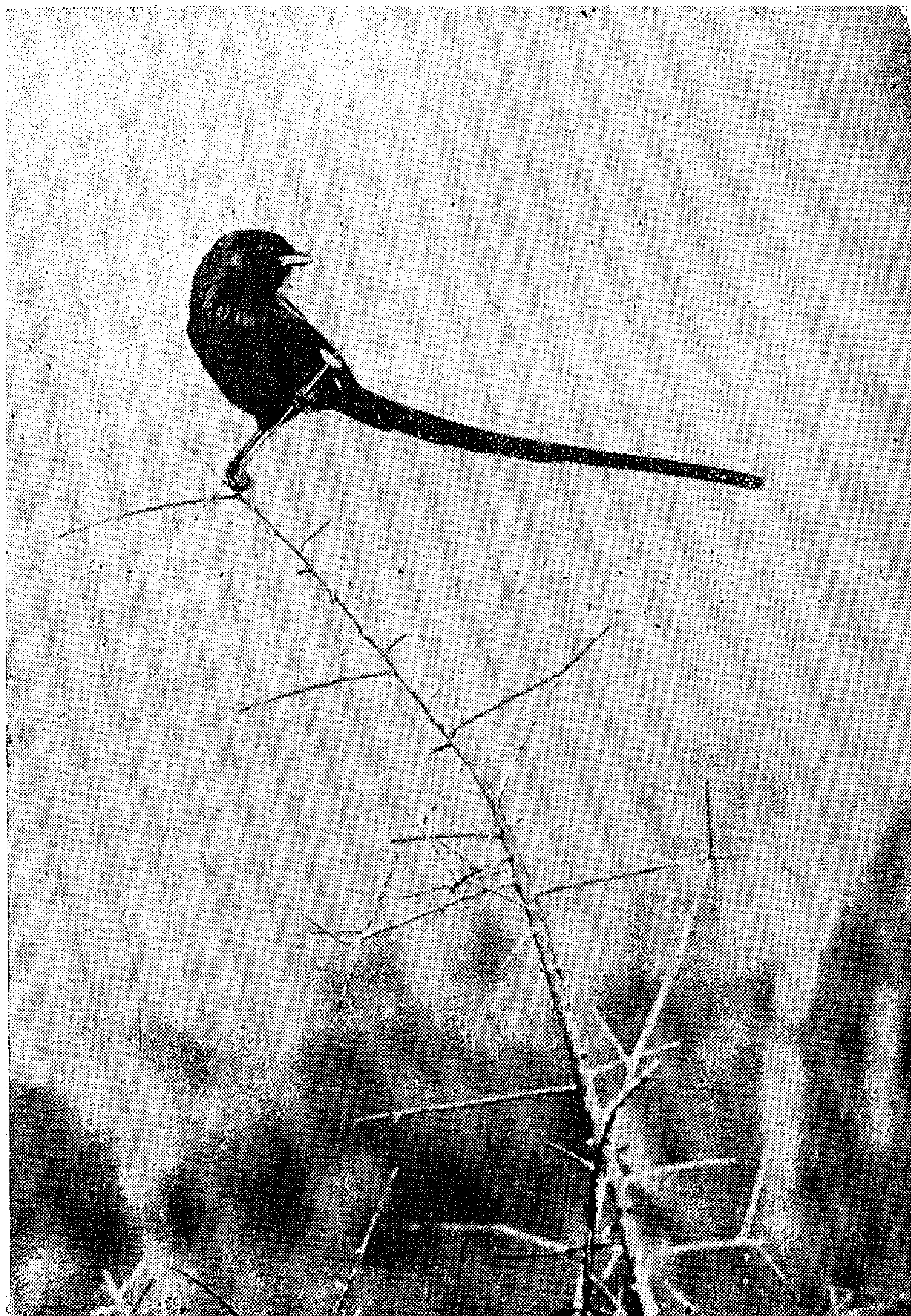
على ضفاف الزمبيزى .



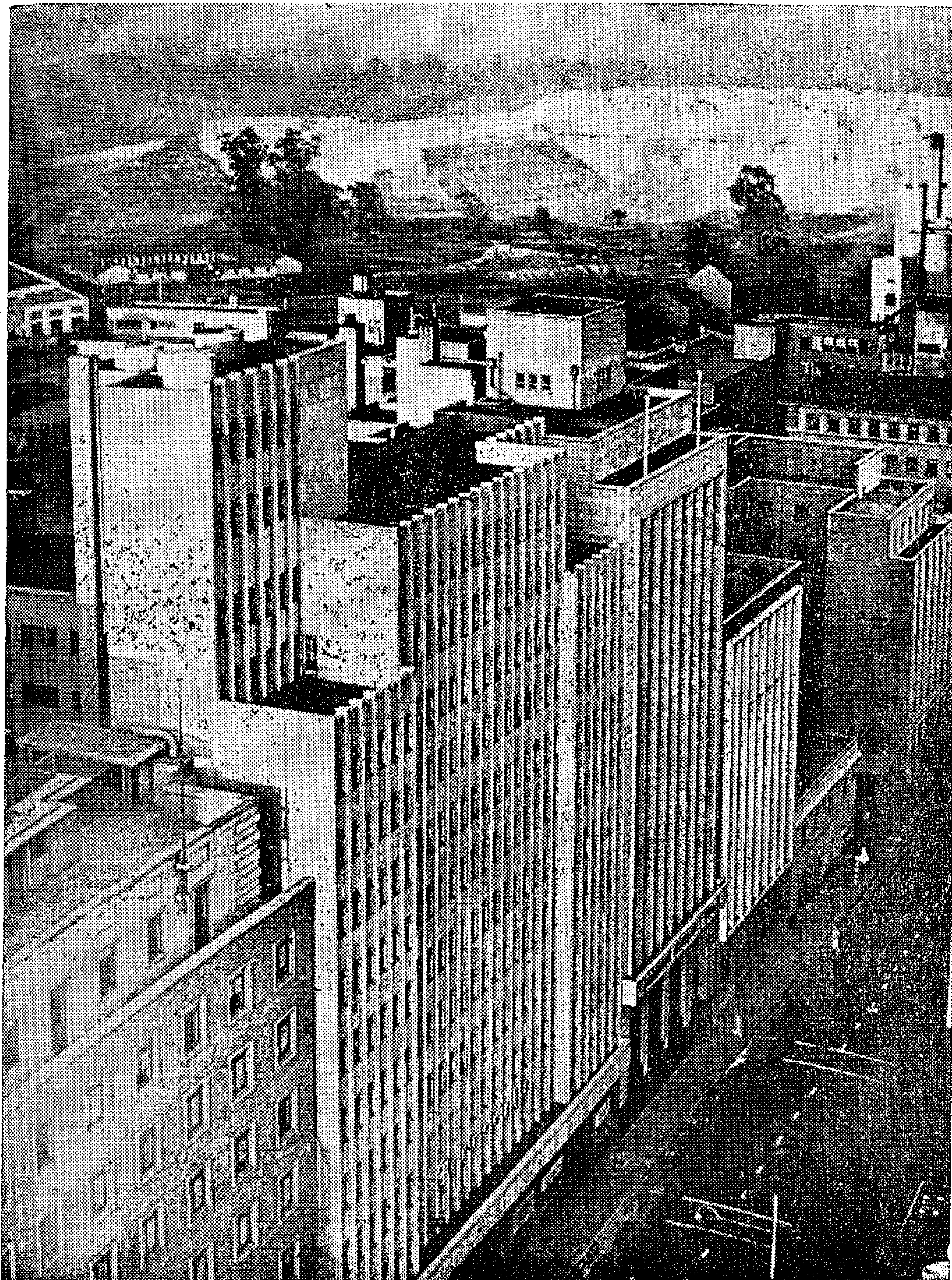
((حيث يتهاوى الموج من الشلال ...))



« ويمرح الوعل الهائل ... »



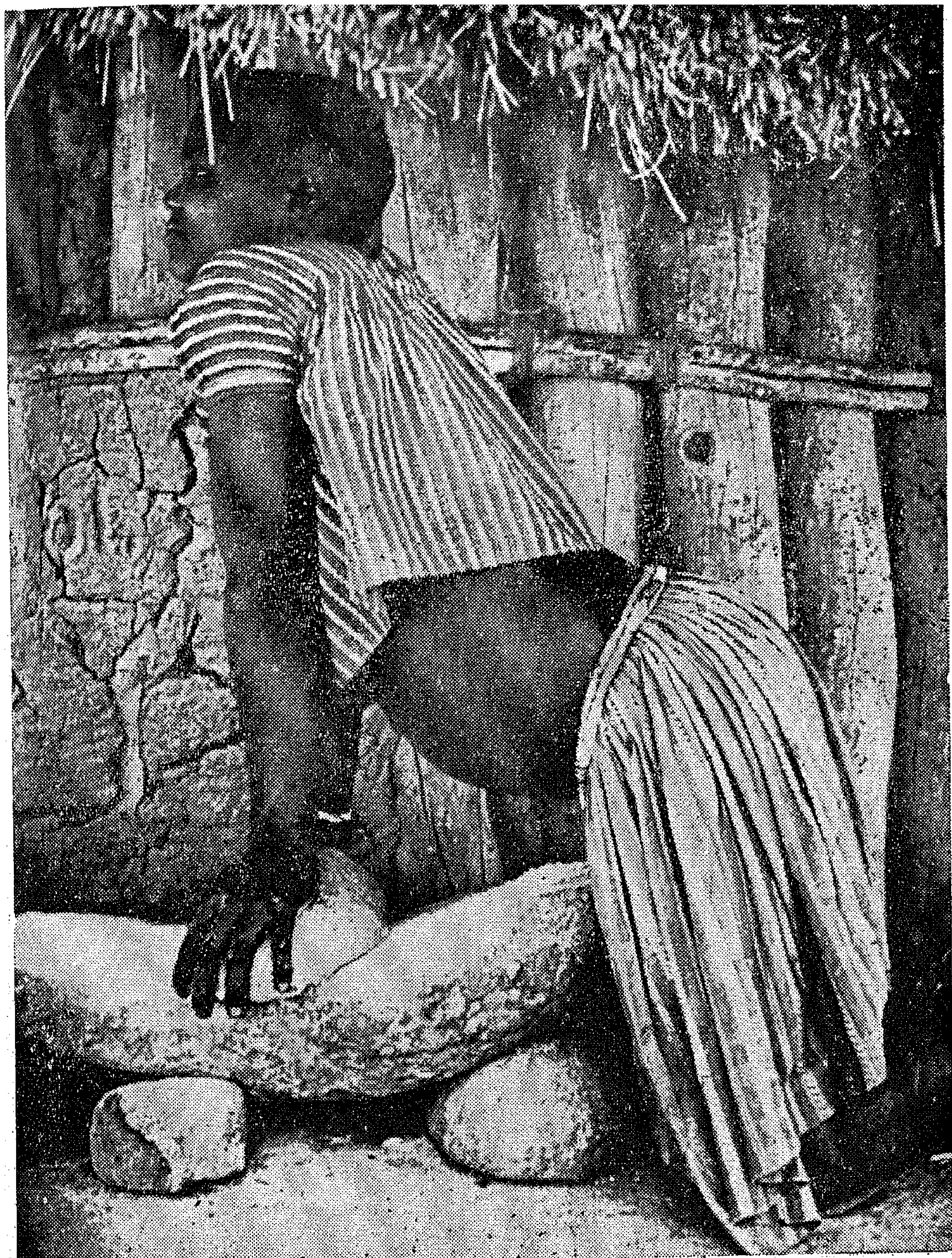
« ويستعرض العصفور أناقته ...



((ويقطن الأوربي ناطحة السحاب ...))



« يسعى الافريقى الى حفنة من الذرة ... »



« تطحنها له الزوجة ... »



((ثم تغسل أطفالها فى العراء ...))



« وتحمل على ظهرها .. مناضل المستقبل .. »



قدمنا من قبل للاديب الجزائرى « محمد ديب » الدار الكبيرة ، ثم الحريق ، ولقد كانت « الدار الكبيرة » فى رأينا « هى الجزائر بفقرها وحرمانها ، وعدم سير الحياة فيها سيرا طبيعيا لعدم وجود الرجال الاقوياء الا فى السجن ، كما أن الفتى « عمر » كان يمثل العقل الجديد المعذب فى الجزائر ، والذى كان يحتاج الى هزة ليدرك بها الاشياء من حوله ادراكا حقيقيا ، واذا هذه الحقيقة هى اعلان الحرب العالمية الاولى » .

أما « الحريق » فقد تعرضت للتوتر السائد بين السكان من جهة ، وبين المستوطنين والفرنسيين من جهة أخرى ، ثم للتوتر السائد بين بعض السكان بعضهم بعضا ، بحيث أصبحنا نرى خلال الاحداث والاشخاص أن هناك حريقا حقيقيا يأكل أشياء كثيرة فى الجزائر .

ومن هنا يسلمنا « الحريق » الى مرحلة جديدة هى مرحلة « النول » التى تمثل الحركة الاخيرة فى تلك السيمفونية الرائعة التى أرخت للجزائر فى جد وفهم حقيقيين .

والبطل « عمر » يقابلنا هذه المرة ، وهو قادم فى اجهاد الى الغرفة التى تعيش فيها أمه وأختاه ، واذا أمه تصيح فى وجهه :

« أين كنت الى هذه الساعة ؟ أين ؟ اين ؟ قل لى ، أؤمزق وجهى أم أمزق وجهك ؟ لقد نبت فيك ريش الشر ، أتظن انك اصبحت رجلا » ومع انهم يتناولون عشاءهم صامتين ، وينطرحون للنوم الا أن صورا عديدة تطوف بذهن عمر ، صور تتمثل فى الموتى الذين يموتون بكثرة فى هذه الايام ، وصور تتمثل أمه وهى تصرخ « تعلم مهنة من المهن ، فلن تجديك كتبك نفعا » ، ولقد ترك « عمر » المدرسة « اشتغل فى دكان بقالة ، وها هو يتشرد بعد ثلاثة أعوام من اعلان الحرب ، ويلتفت حوله فيرى عدد المشردين يكثر يوما بعد يوم ، ويرى كذلك وجوها عديدة زائغة وراء « الانوال » تعمل فى حركة ، وفى سأم ، ثم أخيرا يرى المدينة وهى تنتصب فى الليل ، وتلوح كأشد ما تكون عداوة ، ونكرا ، ويصيح من يسخر بهؤلاء المساكين فيقول :

« اذا لم تجئنا الامطار فى هذا العام بأى خير من خيراتها المعتادة كما يجب أن نتوقع ذلك ، فانها على الاقل ستدفع الى شوارعنا هذه الانواع من البشر ، هذه الانواع الخائفة الباكية الدكناء كأنها وحوش الغاب ! »

* * *

وقد جاهدت أمه حتى ألحقته بمصنع للغزل ، وقد قابله العمال فى أول الامر بجفاء وخشونة ، وبمجرد دخوله هذا المكان الرطب أحس أنه فقد حريته ، وأحس أن العمال لا يحبون صاحب العمل ، وأن بعضهم يتسلط على البعض الاخر .

ومع أنه رجع مهموما الى البيت الا أن أمه لخصت ما تلاقيه الاسرة بقولها « على هذه الارض اللعينة ولدنا كما يولد العار ،

وأكلنا كما تأكل الحثالات ، وتركنا كما يترك المنبوذون ، حتى خبزنا أسود كسواد هذا الليل الذى يلفنا ظلامه ! »

فى العمل كان يستمع الى شكوى العمال ، والى معاكساتهم ، ثم كان يراهم وهم صامتون يدفعون « المكاكيك » ، ويخبطون « الامشاط » وقد تجهمت وجوههم ، الى حد أنه كان يجد نفسه راغبا فى الفرار ، وماهى الا لحظات حتى يستمع الى التوتر السائد ، فهذا عباس يقول « هناك لحظات لا ينصب فيها المرء على العمل بقلبه ، فاليدان تعملان ، ولكن الفكر شارد فى مكان آخر ، يقول بعض الناس الانسان .. الانسان ، فمن هو الانسان الذى يعنونه ؟ هل يعنون بيتان ؟ هل يعنون روتشيلد ؟ أم هم يعنوننى أنا ؟ لا تحاولوا أن تقنعونى بأننى أتعذب لاننى خلقت للعذاب »

ويقول حمزة « ما نعرفه عن الحياة هو أننا لسنا بشر كسائر البشر ! »

ومع أن اليوم ينتهى بمعركة بينه وبين العامل « حمدوش » الا أن « عمر » سرعان ما يهدأ حينما يصحبه العامل « عكاشة » ويلقى عليه بعض الوصايا المتعلقة بالعمل .

ويعود آخر الاسبوع سعيدا الى أمه لانه يحمل معه أجر الاسبوع الذى يبلغ عشرين فرنكا ، ولاول مرة يسمع صوت أمه هادئا وديعا يقول :

« الله يسعدك شكرا يا بنى ! »

وقد سعد « عمر » بهذا الى حد أنه حين ذهب الى العمل فى اليوم التالى ، وسمع زميلا له يغنى أغنية مطلعها « أواه يا أمى الحبيبة » اهتز ، وارتعش وكأن الجو قد ازداد بردا على حين فجأة .

* * *

وفى يوم من الايام ولد الربيع فجأة ، وأخذت المدينة تتنفس بعمق ، حتى المتسولون أصبحوا فى هيئة لا ترفضها العين ، وفى المصنع أخذ الغناء يتردد فى نشوة ، أما «عمر» فقد أصبحت نفسه أقل ظلمة وحزنا ، وأصبحت المعاملة السيئة لا تترك فى نفسه ذلك الاثر الذى كانت تتركه فى أول عهده بالعمل .

وفى عودته فى أحد الايام رأى تجمعا من الناس ، وعرف أن السلطات نظمت حملة للقبض على المتسولين وصاح أحدهم « سوف نطهر المدينة منهم ، لا بد من استئصال هذه الحشرات » ويرد آخر بحماس « هؤلاء ليسوا حشرات ، ان الحشرات التى انقضت على بلادنا هى التى صيرت اخوتنا الى هذه الحال » ويقول ثالث « يا لهذا العصر الذى نعيش فيه ! » ويصرخ رابع « ان هذه الازمات تكشف عن الجرح ، ولكن الجرح ينزف من عشرات وعشرات السنين ، كل ما هنالك أننا اليوم نرى الجرح رؤية أوضح » ، كل هذا كان يتردد ، والمتسولون يحشرون فى عربات تذهب بهم بعيدا عن المدينة ، ولكن المدينة ماكادت تتنفس حتى كانت جموع أخرى — من الداخل — تحتلها من جديد ، ولما كان المستوطنون لا يمارسون الصدقة ، فانا نراهم يتكدسون فى الاحياء الوطنية ، ولقد عبرت عن هذه المأساة أم عمر بقولها :

« هؤلاء اخوتنا دما ، وضيوف أرسلهم الله الينا فأهلا بهم وسهلا ، ولسوف نستقبلهم ولو لم يكن فى بيتنا ما نقدمه لهم غير الماء ، وسيفهمون أن بنا من الفقر والعوز مثل الذى بهم تقريبا ، ما يزال فى هذا العالم رحمة ، لن يقال اننا طردنا اخوتنا لاننا نملك مأوى ولا يملكون » .

كما عبر عنها حزنه حين استنجد بالمصنع أحد المتسولين ، فاذا بالشرطة يخرجونه فى عنف ، واذا « عمر » يحس كأن حبلا يلتف على عنقه ويخنقه !

* * *

ويستمع «عمر» الى مشكلات الفلاحين من عدة السنة فى المصنع ، فهذا واحد يقول « ان البشر هم الذين تكاثر عددهم ، هل كان فى الماضى مثل هذا العدد من الفلاحين » وهذا واحد يرد عليه « لماذا لا تذكر الاراضى التى سرقت منهم ؟ » وهذا صوت عميق يفصل فى الموضوع بحسم فيقول « لو عرفوا كيف يدافعون عن أراضيهم لما استطاع أحد أن يأخذ منهم شيئا ؟ ان الله قد أربى عددنا وأضل عقولنا ؟ انظر كيف يزداد انتشارهم

فى شوارعنا ؟ » ويصرخ صوت « سـيأتى الاوان » .

وفى المقهى كان يجلس مع الناس المدحورين وكان يستمع الى آرائهم فى الحرب ، وفى الحياة ، وقد ألقى أذنه فسمع هذه الكلمات .

ـ لقد لقى ((هتلر)) من يقف فى وجهه فى الشرق

ـ سوف يعلمه الروس كيف يعض التراب

ـ يتفق لى أحيانا كثيرة أن نتساءل عن أنفسنا ما نحن ؟

ـ ما أكثر ما يبدو فى هؤلاء الناس من تفاهم وسرور ، فهل تظن أنهم فى سلام مع أنفسهم ؟ من الذى يستطيع أن يعرف شيئا عما يختفى وراء هذا السلام الظاهر ؟

* * *

وتروع نفس « عمر » فى أحد الايام ، فبينما هو فى المصنع يسمع بموت زميله العـامل « زبيش » بالتيفوس ، ويسمع تعليقا على هذا يقول « ولدوه ، فعاش ، ولعب ، وتحرك فى الحياة ما شاء له هواه أن يتحرك ، ثم ماذا ؟ ها هو قد مات ، وكأنه لم يكن ! » ويذهب الى بيت « زبيش» ليعـلن قدوم صاحب المصنع ، ويرتعـد حين يرى حزن أم « زبيش » على ولدها ، ولكن « زبيش » ما لبث أن انتهى الحزن عليه ، فى البيت ، وفى المصنع ، وفى نفوس زملائه .

* * *

وأمام هذا يغرق أيامه فى المقهى ، ويسمع أشياء جديدة عن المجاعة فى الريف ، ويسمع الاحاديث وهى تدور مع واحد من القـادمين من الريف :

ـ حتى عصافير ربنا تموت هناك

ـ العصافير ؟ آه .. آه .. آه ..

اذن لم يبـق على الاشجار ثمار ، ولا بقيت بذور برية ! أتيتم أنتم على كل شىء

ـ هل يمكن أن تنال المجاعة من انسان يعمل ؟ أنتم أناس تؤثرون أن تستعطفوا على أن تبـذلوا شيئا من جهد

ـ الارض لا بد أن تنتج دائمـا ، الا أن تكون الايدى التى تعمـل فيها خبيثة ، وعندكم قد خبثت الايدى ، وخبث القلب ، ان المرء يستطيع أن يستنبت الصخر نفسه اذا أراد !

وفى الوقت نفسه كان يحس أن « العمال » يتطلعون الى شىء لا يعرفونه تماما ، وها هو زميله « عكاشـة » يتحدث عن الهجرة الى المدينة ، ويرى بقية العمال يتحدثون عن أنفسهم باشمئزاز ، ويرون أن الاوربيين يعتقدون أنهم بلا مثل أعلى ، وانهم جهلاء مستسلمون ، كما يرون هذه النظرات من صاحب المصـنع ، وقد وصل بهم الحال الى أن أصبح لسان حال بعضهم يتمثل فى العامل « حمدوش » وهو يقول :

« لست أدرى أين أضع قدمى ؟ النتيجة : لا أصلح لشىء ، عبثا طفت فى كل اتجاه : لا شىء .. لا الاخلاق تجدى ، ولا الحض على الخير ، لا شىء من ذلك كله ينفـع ، لست أتورع عن شىء ، لست أتورع عن بيع العالم كله ببصلة ، يا لها من تعاسة ، اننى أشـبه بالدوارة التى تدل على اتجاه الريح ، أدور ثم أدور فى جميع الاتجاهات »

وقد دفع كل هذا « عمر » الى أن يحس بمسئولية الحيـاة من حوله ، وقد تحددت تماما هذه القضـية حينما أخذ يتجول مع زميله عكاشة ، فاذا عكاشة يقول له :

ـ عمر .. ما قولك فى أننا مسئولان عن هذه الحياة البائسة التى يعيشها اخواننا ؟

طبعا ليس ذنبنا أن الناس يحيون هـذه الحياة الشقية ، ومع ذلك أحس دائما أن لنا فى ذلك يدا ، لن يستطيع أحد أن ينتزع هذه الفكرة من رأى .

كما أن هذا قد تحدد أكثر حينما تحدثا عن السلاح ، وعن أنه يجب أن يمتلك جميـع الناس فى البلاد السلاح ، وعن أن الشعب قد أصبح شـديد الاحساس بآلامه ، شـديد الاحساس الى حد يصعب ادراكه ، ويكمل « عكاشة » وهو يتحدث الى «عمر» : وأصبح شعبنا أيضا شديد الاحساس بكرم النفس وكلمات المودة ، لا شك أن هـذا كله كان

موجودا فى الماضى ، ولكن قلب شعبنا يخفق اليوم كما لم يخفق فى أى يوم مضى ، فما الذى سيخرج من ذلك ؟ أرجو أن يخرج منه خير .

وينتهى الامر بالصديقين الى أن يفترقا لان « عكاشة » لم يعد يطيق الحياة فى الجزائر ، وفى الركود المخيم على الناس ، ومن هنا قرر أن يسافر .. أن يبتعد عن دائرة الركود .

* * *

« تحتك حياة عمر بزميله « حمدوش » ويلتقيان فى احدى الامسيات على حافة التوتر الانسانى ، ويصيح « حمدوش » فى أذن عمر : هل تريد أن أفضى اليك بأمر ؟ اننى أشعر احيانا كأننى وحيد فى هذا العالم ، وكأنه لا وجود لاحد من الاحياء غيرى ، يجب أن نكون مرهبين لا بمظهرنا فحسب ، بل بطبيعتنا أيضا ، يجب أن نكون مرهبين ، ويستوى بعد ذلك أن نغلب أو يغلبنا غيرنا .

أما عمر فقد أحس بفراغ حياته كالشارع الذى يخترقه ، كما أحس أن قلبه يتسع للخوف والقلق يوما بعد يوم ، ولكنه تمتم لنفسه : ان حريتك ملك له ، وأن عليه أن يتصرف فيها على النحو الذى تمليه عليه ارادته .

* * *

وظل الحال فى المصنع على ما هو عليه ، ما عدا اختفاء العامل حمزة ، وسفر عكاشة ، وصياح حمدوش فيهم وتحريضهم على أشياء جديدة يجب أن تحدث فى البلاد ، وفى الوقت نفسه عدم انتظامه فى العمل ، وحين سأل عليه صاحب المصنع وذهب للسؤال عليه عرف أنه يعزم على تنفيذ أشياء مثيرة ، وانه قد اشترى لهذا الغرض مسدسا .

وحين عاد حمدوش الى المصنع اصطدم بصديقه عمر بلا سبب مقنع ، وأدى الى اشتباكهما ، مما اضطر صاحب المصنع الى أن يصيح فى وجهه « اذهب ، ولا ترنى وجهك فى هذا المكان بعد اليوم »

* * *

وعاد عمر الى دار « سبيطار » أو بعبارة أخرى الدار الكبيرة ، وهو يتميز من الغيظ والالم ، ولكن الرؤيا أصبحت واضحة فى ذهنه أكثر من قبل الى حد أنه أحس أنه نام بها هذه الليلة وهو صبى ، وحين أفاق من نومه وجد نفسه رجلا يقابل قدره وجها لوجه

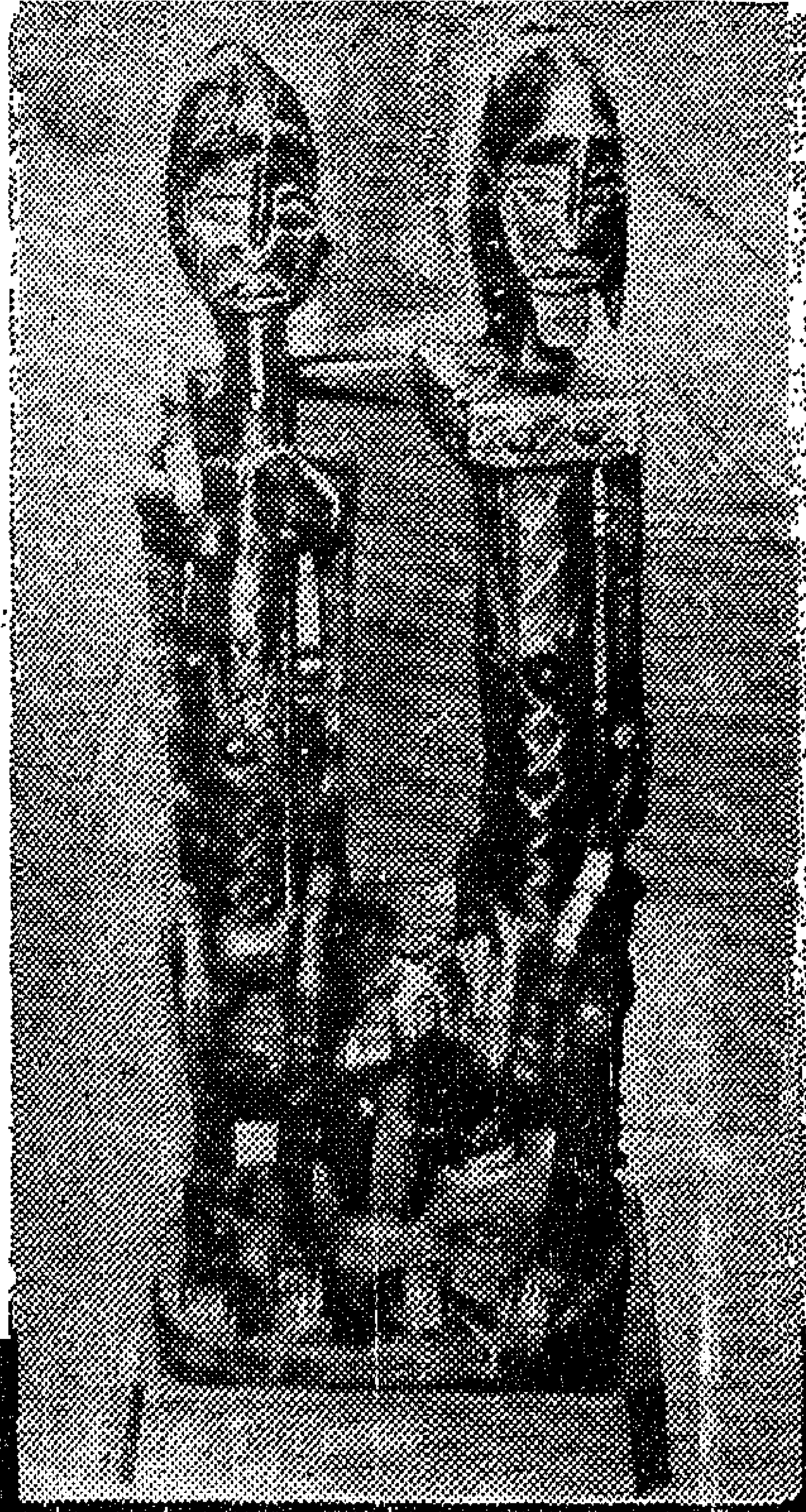
كما أنه وجد نفسه يفكر فى عكاشة المسافر ، وفى ثورية حميد سراج المعتقل ، وقامت به رغبة الى أن يستحم فى النهر ، وحين نزل النهر وجد سيارة جنود تهز المكان من حوله ، ووجدها تقف ، وتقدم جندى اليه بقالب شيكولاتة ، وسارت العربة ، وتبعها صف طويل من العربات ، وصول بقول « الامريكان » .. وخرج من الماء ، وارتدى ملابسه ، وسار فى الطريق المؤدى الى المدينة جادا مفكرا ، لا شك أن شيئا هاما قد حدث فى العالم

((.. كان يسير بخطى سريعة حتى ليكاد يركض ركضا ، وقد اشتدت قامته بسروال طويل أزرق، وسترة ضيقة ، وانتصب فوق جسمه الطويل المهيأ للتخلع بطبيعته من قبل ذلك ، رأس حاد تنعثر فيه عينان صغيرتان سوداوان ، أما جبينه المستقيم المنبسط فكان أشبه بآجرة كثيفة قامت فوق الحاجبين تظللهما كثة من شعر خشن ، وكانت أجفانه تصطفق على ايقاع سريع ، وكانت نظرته تقفز من شىء الى شىء آخر ، وكان فى وجهه تعبير عن جديد يوشك أن يكون قاسيا عنيفا))

* * *

تلك قصة « النول » التى يمثل عمر فيها قلب الجزائر النابض ، وكيف أن هذا القلب كان عرضه للمستوطنين ، وطبقة أصحاب العمل ، والثوريين ، والمهادنين ، وانه قد حمل كل هذا الرصيد ، ليجد الى جانبه رصيدا آخر عالميا هو انتهاء الحرب العالمية ، وكيف أنه وثق بمستقبل بلاده حين شد قامته ، وربما كان فى ذهنه أن الاستقلال سيقدم اليه كهدية ، وربما كان فى ذهنه أنه لم يعد هناك أمل فى بقاء الفرنسيين ، وفى وجوه تلك الطبقة التى تستنزف دم الشعب ، وتقتله يوما بعد يوم .

البقية ص ٩٥



الفن فى افريقية الغربية الاسلامية

بقلم عبد المنعم الحفنى

انتشر الاسلام فى افريقيا ، وامتد الى مصر والسودان متغلغلا جنوبا وجنوبا بشرق ، وغربا وصارت له دعاماته القوية فى مناطق عديدة منها السنغال وموريتانيا وتشاد والنيجر ونيجيريا وجامبيا وغانا وغينيا وداهومى وساحل العاج ومالى وفولتا العليا من اقاليم ودول افريقيا الغربية . ولقد كانت اتصالات الاسلام بهذه المناطق فى اول امرها عن طريق التجارة وقوافل التجار التى كانت تعبر كل هذه المناطق من الشمال الافريقى او من السودان عن طريق دارفور الى ساحل المحيط الاطلنطى .. والتجارة وقوافل التجارة هى خير رسل الثقافة ، فبواسطتها تنتقل أساليب الملبس والمأكل ومستحضرات الحضارة العربية ، وبعدها يتخذ بعض الافريقيين من الملتصقين بالتجار طرائق هؤلاء التجار المعيشية ثم طرائقهم الفكرية واقوى مظاهر التفكير هو الدين ، لانه الزابطة التى تربط الانسان بالطبيعة وما وراء الطبيعة ، ولذلك كان الدين الاسلامى وسيلة ثقافية ، بل ارقى وسائل الثقافة الفنية والمعيشية للافريقى فى هذه المناطق .

ولقد تأثرت السنغال بالحضارة الاسلامية كما التوت الاسطورة الافريقية ، والايديولوجية

اللاواعية فى وجدان الافريقى ، بحيث طبعهما الاسلام ، ولكن الدرجة التى اتسم بها هذا الانطباع سواء فى الثقافة الاسلامية أو فى الثقافة الافريقية القبلية المحلية ، اختلف مع كل قبيلة وكل منطقة . ولذلك نجد ان الفن الافريقى فى السنغال قد تأثر بالفن الاسلامى فى الشمال الافريقى ، ونجد أدوات الزينة فى السنغال المصنوعة من النحاس والذهب تشبه الى درجة كبيرة أدوات الزينة الغربية وظلت فنية صناعة الاقنعة كما هى ، ولكنها اتجهت بحكم الاثر الاسلامى ، وفكرة الافريقى الجديدة عن الله والقوى الغيبية وجهة لاتعقد فيها صلات الرهبة والخوف بين الافريقى وبين القوى المتمثلة فى وجوه الاقنعة ، تقول اتجهت وجهة جديدة هزلية ، فلاول مرة نجد القناع الافريقى يثير أحاسيس الهزلية فى نفس مشاهده بدلا من الاحاسيس القديمة التى يمكن ان تثيرها افكار الالوهية فى اية ديانة فى اى مكان فى العالم . ويكفى ان نصف احد هذه الاقنعة فنقول انه يتكون من راس ذى فم بارز وعيون جاحظة ، وبين العينين والفم خطوط فى ثلاثة صفوف كالمسدسات ، ترسم مع العينين المستديرتين شكلا مضحكا يزيده مايركب فى الراس من قرنين كالهلال بينما يتدلى من قمة الراس حتى أسفل الذقن والى ما يقرب من البطن شعر مستعار اشعث . والعيون البارزة الجاحظة المستديرة سمة عامة من سمات الاقنعة ، بالاضافة الى قرون الراس المأخوذة من قرون الجاموس أو القبائل تحليها حبات الخرز الحمراء .

وهذه القرون يرتديها الشباب فى احتفالات الختان ، وعند استجداء الاخرين فى القرى الاخرى .

ولن نجد الفن التجريدى او السريالى الحقيقى فى هذه المناطق التى يبرز فيها الاسلام ، أو التى يلونها بالقليل او بالكثير من اثاره الا فى جامبيا وميناء غينيا وفى المناطق الشمالية من فولتا العليا والسنغال ، وفى المنطقة التى حول «كانو» فى نيجيريا . أما بقية المناطق فيسودها المذهب الطبيعى ، وذلك فى مناطق الساحل فى نيجيريا وداهومى وتوجو وغانا وساحل العاج وسيراليون .

ونحن هنا ، ونحن نتحدث عن مدارس الفن الافريقى ، انما نتحدث عن هذه المذاهب فى افريقيا القديمة أو ما يسمونه africa proper ، اى اننا لا نقصد المناطق الحضارية الحديثة ، التى يلتصق فيها الفن بالفن الاوروبى ويستعين بالالوان والاصباغ الاوروبية الصنع ، ويتسلح بالثقافة الفنية الاوروبية . وحتى فى المناطق المتصلة الاسباب بالحضارة الحديثة نجد المذاهب الفنية التى نتحدث عنها فى افريقيا موجودة أيضا فيما يسمى بالفن الفولكلورى أو الفن الشعبى ، هذا الفن الشعبى هو الذى تنتجه افريقيا القديمة حتى اليوم ، بصرف النظر عن انتاج الفنانين الجدد الذين تربوا فى مدارس تسير على النظم الاوروبية .

فى مصر مثلا ، فى ريفها وصعيدها ، نجد الانتاج الفنى سواء فى الرسم او صناعة العرائس والدمى ، يسير طبقا للمذهبين التجريدى والطبيعى ، وهما المذهبان الرئيسيان فى افريقيا القديمة . والدارس للفن الفولكلورى فى النسيج الريفى ، وفى الزخارف التى تزين بها البيوت ، وفى فن العرائس فى حلاوة المولد والعرائس من الجبس ، نجد المصرى الشعبى يلغى المنطق والعقل ، ويرسم من وحى الوجدان ويحدث نفس الشىء فى الغناء الفولكلورى مما حدا بكاتبنا توفيق الحكيم أن يكتب مسرحيته ((يا طالع الشجرة)) بنفس الوحى واضعا كرائد له الاغنية الشعبية التى تقول ((يا طالع الشجرة ، هات لى معاك بقرة ، تحلب وتسقينى بالمعلقة الصينى .. الخ)) . ويقول توفيق الحكيم ، وبالطبع لا يمكن أن توجد بقرة فوق الشجرة)) ، ومع ذلك فالاغنية مشهورة ، والكل يتغنى بها مع أنها ضد العقل والمنطق . وهذا هو التجريد فى الفن . وهو نفس المذهب السائد فى هذه المناطق ، مع المذهب الطبيعى .

وليست الطبيعة فى الفن الافريقى كالطبيعة التى سادت الفنون الاوروبية فى منتصف القرن العشرين ، فلقد برزت الطبيعة كمذهب فنى فى الرواية ونقلها « أندريه إنطوان » الى

المسرح ، حيث سادت الرواية والمسرح الفرنسى وانتشرت منهما الى فن الرســم والنحت والتصوير ، وامتدت الى الرواية والمسرح وسائر الفنون الاوروبية الى أن تحولت الى الواقعية بعد ذلك ، عند ما مجها النــاس واصابهم منها غثيان بمغالاتها فى الطبيعة حتى صارت رعبا وبشاعة .

والمذهب الطبيعى فى الفن هو المذهب الذى يصور الانسان فى علاقاته بالاخرين عاريا من كل حضارة أو ثقافة أو زواق حضــارى ، بمعنى انه يقدم الانســان بغرائزه وشهواته وجوامحه ، يقدمه كحيوان ناطق ، واذا أراد سعى الى نيل وتحقيق ما يريد بصرف النظر عما فى وسائله من معاداة للقوانين ومجافاة لروح التشريع والاخــلاق . بل انه يعتبر الاخلاق شرعة الاقوياء ، أى صانعى القوانين ، لحماية انفسهم من حقد الضعفاء والمنبوذين ؛ وهو رأى انتشر بين بعض فلاسفة التشاؤم فى هذا القرن من أمثــال شبنجلر ونيتشة وشوبنهور وأكده منطق الفتح والغزو الذى ساد العلاقات الاوروبية ، والعلاقات بين دول أوروبا وبقية أجزاء العالم ، وتقدم الصــناعة وثقة الانسان الاوروبى فى حضارته الصناعية .

غير أن الطبيعة الافريقية تنبع أساسا من حب طاغ للطبيعة وانعكاس لها ولتفاعلها مع الانســان الافريقى ، فليست الطبيعية هى تصوير الانسان الافريقى فى شهواته ودناءاته ، ولكنها تصويره فى بيئته . وفى جزر البيساجو مثلا وهى التابعة لغينيا البرتغالية ، يصور الفنان الافريقى أدواته فى صورة مشاهداته الطبيعية ، فمثلا تنحت مقدمات المراكب فى صــورة رءوس أفراس البحر المخيفــة ، وعند ما يستخدمها الافريقى فى الحرب فانها تعطى احساسا بالرهبة ، وكأنه يقول فى صورة شــعرية جميــلة : انى كفرس البحر قوة وشجاعة وأنا أجول وأصول وسط الماء . انى لا أخشى حرب الماء ، ولا أخشى عدوى ، تماما كفرس البحر ! »

ولقد بثت التقاليد الدينية لدى قبــائل « البديوجو » حب الامهات فى نفوس الابناء ، ورقق هــذا الحب عواطف الشــباب ، فلما أرادوا التعبير فنيا عن انفعالاتهم الخلقيــة صاغوها فى أشكال زخرفية ، واختاروا منها أرقها وأبعــدها جميعا عن مجالات الحرب والصراع والموت . اختاروا أشكال الحلى ، بل واختاروا موضوعات تتناول الام والامومة ليرمزوا بها الى الخصوبة ويستجلبوها من خلالها . وترمز العذارى الى أنوثتهن ، والى أنهن أصبحن فى سن الزواج ، يرمز الى ذلك بوضع أشكال انسانية خلف ظهورهن ، وهى أشكال بسيطة غاية البساطة وقد انفرجت سيقانهن بعض الانفراج . كمــا يســتخدم الاطفال العرائس كدمى يتعلمون من خلالهــا قصــة الابوة والامومة والزواج والتقاليــد الاجتماعية .

ولقد انتقلت قبائل الباجا الى غينيا من المناطق القريبة من منابع النيجر . وتشمل الباجا كذلك قبائل النالو واللاندومان ، وكلها ينتمى ثقافيا الى قبائل البامبارا التى تنحدر من مجمــوعة الماندينجو القريبة التى تقطن السودان . وهذه القبائل اعتنقت فى أغلبها الديانة الاســلامية ، وتأثرت بها وأثرت فى نواحيها الحضارية كما هى فى بيئتها . ومفهوم هذه القبائل للنواحى الغيبية مفهوم تجريدى محض ، وهو تجريدى من النوع الراقى ، ورءوس تماثيلها ضخمة ، والرأس تبرز للامام والانف حادة مستقيمة ، والذراعان متناويان فى جميــع أجزائهما ، مع عدم وجود يدين ، والجسم ثقيــل ويأخذ شــكل البرميل ، والساقان قصيرتان وضخمتان . وتكثر رسوم الانسان من الجنسين فى كل شىء تقريبا ، فى الطبول والتماثيل الدينية . ويكثر استخدام الاقنعة فى الاحتفالات وخاصة لدى الطبقــة الحاكمة أو الدينية . وهنــاك قناع ضخم مشهور بين هــذه القبائل يسمى قنــاع « النيمبا » ، وهذا القناع من الضخامة بحيث يزن نحو ١٥٠ رطلا ويصــل فى الحجم قدر حجم الورقة من هذه المجــلة عشرين مرة . والقناع يصور وجها جميــلا للغاية ، الانف فيــه مستقيم ، والوجه طويل مسحوب ، والرأس بيضاوى ، والقرنان يخرجان من الرأس كالهلال أو التاج وبينهما تاج أو ما يشبهه ، وتسريحة شعر القناع يحددها نوع من الاقواس ويوضع القنــاع وسط الحقل ، ثم يدور

الاعضاء من حوله ، فتحتمى به الحوامل ، وتخصب الارض ، ويسقط المطر . ولعل ما تتميز به قبائل الباجو والنالو من رقة فى الاحساس والشعور يتجلى بصورة واضحة فيما يسمونه « الانوك » ، والانوك عبارة عن رأس ضخم يقف على حاملين بدلا من الرقبة . والانوك هو تراث مجتمع السيمو الذى يبرز منه ما تتحلى به من رقى ثقافى وحضارى عن غيرها من المجتمعات .

أما « النومورى » فهو شكل أسطورى يرجع الى عهود ما قبل التاريخ ، ويمتد حتى سيراليون وليبريا الغربية . وتوجد هذه الاشكال فى الحجارة التى يعثر عليها الاهالى فى الحقول ، ولكنها تمت بسبب للتاريخ القديم وليست لتاريخ شعب المنيد الذى يسكن هذه المناطق الان . ويعتقد شعب المنيد نفسه أن هذه الاشكال تنبت من أصل أسطورى ، وهو لذلك ينسب اليها قوى سحرية ، وعند ما يعثر الفرد على شكل منها فانه يضعه بين أوراق الشجر فى مكان ما من الحقل ، ثم يدعو أهله الى بذل الاضاحى له ، والصلاة كى يعم الرخاء ويقوى المحصول ويشتد النبات . فاذا لم يحدث أن تحقق المطلوب اعتبروا أنفسهم غير مرضى عنهم ، ولذلك يحتفلون بأن يضربوا أنفسهم فى حركات راقصة سريعة ونشيطة .

ويعيش شعب المنيد على الصيد وزراعة بعض الاراضى فى مناطق الغابات الرطبة ، ويتحدث لغة الماندو . وهو يزين أكواخه المستديرة بالرسوم ، وتسيطر الجمعيات السرية على حياته الدينية والفنية . وهناك جمعيات : البورو للرجال ، والساندى للنساء وهناك غير ذلك جمعية ياسى وهى الجمعية التى تختل مزيدا فريدا بين أفراد القبيلة لانها الوحيدة التى تمارس الطب بالسحر ، وتستخدم فى ذلك التماثيل المعروفة باسم تماثيل « المينسرية » .

ويتكون تمثال « المينسرية » من شكل نحيف مستدير ذى رأس ضخمة مفلطحة القمة ، وجبهة عالية . وتمسك القسيسة او الكاهنة بالتمثال ، وتروح فى شبه غيبوبة ، ثم تلقى على التمثال أسئلة يجيب عليها بأن يهتز فى يد الكاهنة المنومة . ولكى تدخل الكاهنة هذه التجربة لا بد أولا أن يدلك التمثال بالزيوت المقدسة .

وتشبه أقنعة شعب الفاى الاقنعة المماثلة لدى المنيد ، وتصنع من الخشب ، وترمز الى الروح التى ترشد الجمعية النسائية السرية التى تعد الفتيات لحياة الزوجية والامومة المستقبلة . وتظهر الروح المرشدة فى احتفالات التدشين مجسدة فى احدى الكاهنات .

ويلون شعب الكيسى حيطان بيوته بالالوان المفرحة ، ويستخدم كتعاويذ تماثيل طويلة كالعمدان تتصل بسبب الى الاعضاء الجنسية وهم يعتقدون أن هذه الاشكال كانت فى يوم من الايام بشرا ، وعادت الى الحياة فى أشكالها الحالية ، وهم لذلك يضعونها فى مكان الصدارة فى بيوتهم أو على مقابرهم ، حيث تنحر عندها الذبائح عادة . ويضع رجل الغيب من هذه القبيلة أحد الاشكال على رأسه ويسأله الاسئلة ويجيب عليها الشكل بأن يميل الى أحد الاتجاهات .

والأسلوب السودانى فى الفن أسلوب متوحد متميز . ونجد هذا الاسلوب أول ما نجده فى منطقة غرب افريقيا بين اقليم السوفانا وأقاليم الغابات ، على حدود ليبريا الشمالية الغربية وغينيا وسيراليون ، فى شكل أقنعة اللاندا التى يستخدمها شعب التوما ، وهى اقنعة بسيطة كل البساطة وتكعيبية المذهب . والقناع الانثوى المقابل لهذه الاقنعة هو قناع النيانجباى ، وهو قناع يصور قطة من القطط البرية ، وله أحزمة من المعدن وفراء حقيقى .

وتسيطر جمعية البورو السرية على مساحات شاسعة من غابات شمال شرق ليبريا ، والاجزاء الغربية من ساحل العاج ، وحدود غينيا . ولا تعتبر هذه الجمعية بالاعتبارات السياسية التى تقسم المنطقة الى دول ومناطق سياسية ، وتعتبر احد عناصر قلاقل الحدود بين دول المنطقة .

ولما كانت عقائد سكانها تنبع من الجمعية رغم الاختلافات العنصرية التى بينها ، فانها تتفق عموما كذلك فى التجسيدات الفنية لهذه

الأفكار العقائدية . وفنان البورو الذى يصوغ تماثيلها وأقنعتها يجد تجارة رابحة فى انتظاره فى المنطقة لاتساعها ، وبذلك يغزر انتاجه ويخصب ، ونجده ينتج يوميا عددا من هذه الاقنعة ، وهو لا يستطيع بالطبع أن يخلقها جميعا بمقاسات واحدة ، ولذلك فهى تتنوع وتختلف شكلا وحجما مع أنها قد تستخدم فى أغراض واحدة ، ولا بأس على الفنان أن يصنع عددا من الاشكال لاستخدامها فى نفس الغرض ، وهو يتدرج فى فنه من الطبيعية الخالصة الى التدريجية المسرفة والتكعيبية ، وهو فى كثير من الاحوال يمزج التدريجية بالتكعيبية .

وتقع مراكز الحفر على الخشب فى المنطقة الواقعة بين ساساندرا العليا وكافالى . وقناع القبائل التى تسيطر على معظم المنطقة وهى قبائل الدان بسيطة ، وهى بيضاوية ، والعينان فيهما خطان رفيعان توحيان بالرهبة ، أو هى دوائر . وعند ما تكون دوائر فانها توحى بالحركة . والتمثال الموجود فيها فى مجموعة زيورخ من أجمل التماثيل فى دنيا الاقنعة حقيقة ، ويصور الوسامة بعينها فى التراث الجمالى الافريقى .

والقناع الانثوى أرق وأبسط من القناع الرجالى ، ومن العجيب أن يضاف الى القناع الانثوى شارب ولا يضاف الى القناع الرجالى والشارب يشمل بالطبع الشارب واللحية بالحجم الطبيعى . أما بقية شعر القناع فتركب فى خروم فى الدرع .

وتعطى أقنعة قبائل الكران الاحساس بأنك حيال مخلوق فوق الطبيعة ، وهى تجسد أرواح الغابة فى أشكال حيواناتها المفترسة كالنمر والخنزير البرى .

ولقد أدى البحث الدينى والاجتماعى فى أصول أقنعة الدان والكران الى معرفة الينابيع الدينية التى تستقى منها نظرياتها ، وكلها تنتمى الى الاله ذلان الذى يدخل القناع بمجرد الانتهاء منه وتدشينه ، وكلما قدم القناع وكثرت الاضاحى التى نحرت أمامه كلما كان أكثر فاعلية ، وكمية فاعليته تنتسب الى مركز جمعية البورو السرية ، والى الدور المخصص له ، فهناك أقنعة للقضاة ولجامعى الديون وللمتنبئين . والاقنعة تنهى المشاجرات وتفض المنازعات ، وتؤثر فى سير الحروب وتنهيها وترشد البرق والرعد . وهى حامية وهادية الصيادين والحدادين والتوائم والمسافرين وتمنع الشر والحسد والمفسدين ، وتحفظ أهل البيت والحوامل والاطفال ، وتشفى المرض . وهكذا تلعب الاقنعة دورا اجتماعيا ودينيا خطيرا فى حياة هذه المنطقة .

عبد المنعم الحفنى

الايقاع في الموسيقى الافريقية

عن الفرنسية ترجمة محمد شريف

أن الطلبة هى الآلة الموسيقية الشائعة الاستعمال فى افريقية ، فعليها الاعتماد الاساسى فى تأدية الايقاع الموسيقى ، وطالما استحث صوتها خيال الغربيين لما لها من تعبير يوحى بالاحاسيس الصادقة فى امانة تامة ومعنى واف دقيق .

ولهذه الآلة الموسيقية أنواع عدة مختلفة أشهرها « طبلة النذير » المستعملة فى الحروب بصفة عامة ، كما تستعمل أيضا فى النداءات المختلفة بصفة خاصة ، حيث تمثل الوسيلة المفعالة لنقل الاخبار عبر البلاد والقرى . وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة الصوتية « اللاسلكية » غير مستعملة حاليا اللهم الا فى عدد قليل من الشعوب البدائية . فان قرع هذه الطبلة لايزال يسمع فى الادغال الى وقتنا هذا ..

وطبلة النذير فى حد ذاتها ليست الا جزع شجرة مفرغة من الداخل ، وحفر به شق أحد أطرافه أكثر اتساعا من الطرف الآخر . الامر الذى يمكن معه أحداث أنغام صوتية مختلفة الشدة ذات مقامات متفاوتة ..

لذلك فان لطبلة النذير طريقة خاصة للقرع ، فدقاتها المتنوعة تحمل كل منها معنى خاصا كما وأن لكل ايقاع تعبيرا معينا بل وان للنغمة الواحدة أكثر من معنى ، تبعا للطريقة التى تؤدى بها . فان النغمة الحادة مثلا تحمل معنى مخالفا للنغمة الهادئة وكذلك النغمات المتوسطة فلكل منها أيضا

مدلول خاص متفق عليه . فان لقارع الطبول مصطلحات عديدة أشبه إلى حد كبير بالشفرة المستعملة فى الارسال اللاسلكى . ونجد ان بعض الشعوب على علم تام بما تعنيه كل طريقة من الطرق المختلفة للايقاع حتى صارت أنغام تلك الطبول لغة التخاطب فيما بينهم .

ولعله من الامور التى تدعو الى العجب حقا ، انه يمكن تبليغ رسالات مفصلة ومطولة بطريقة قرع الطبول هذه ، لمقطع مسافات طويلة تبلغ عدة كيلومترات ، وقد تصل الى مئات الكيلومترات ، اذ يمكن اعادة نقلها عبر الادغال بنفس تلك الرموز والمصطلحات التى أبلغت بها الى أن تصل فى النهاية الى مستقرها المنشود ..

ومن نفس هذا الجزع الخشبى المفرغ تصنع أيضا – عدا طبلة النذير – أنواع أخرى مختلفة من الطبول متفاوتة الاحجام والاطوال ، يشد عليها رق من الجلد وتصدر أنغاما عديدة مختلفة تبعا لطريقة الايقاع ..

انه من الصعب تحديد المكانة الرفيعة التى تحتلها الطبلة عند الشعوب الافريقية فهم يولونها عناية خاصة ، ولها فى نفوسهم منزلة مرموقة ، كما لو كانت من الكائنات العليا . انهم يحفظونها فى أماكن ذات طابع مميز ، مجهزة خصيصا لهذا الغرض، ومحاطة بجو سحرى ، روحانى ، ولها طقوس معينة فى حفظها لا يجرؤ أحد على مخالفتها ..

أما الطبالون فى افريقية فيعتبرون من الشخصيات الهامة الممتازة ، ذات النفوذ القوى ، لا يفوقهم أحد فى الجاه والسلطان سوى رؤساء الطبالين الذين يقودون الفرق ويلوحون بعصيهم امام القارعين ، كما يفعل عادة قادة الاوركسترا ، فيتمتع هؤلاء السادة بمنزلة خاصة ويشار اليهم بالبنان فى كل مكان .

ولن أنسى شابا أنس فى نفسه ذات يوم الكفاية والمقدرة فى شغل وظيفة الطبال بما تتطلبه من كفاءة وموهبة وكانت الوظيفة شاغرة فهو ولا شك من السعداء المحظوظين ، اذ أن هذه الفرصة النادرة لا تتأتى الا اذا توفى أحد الطبالين الموجودين على قيد الحياة لان عدد هؤلاء الطبالين الرسميين محدود ولا يجوز التعيين فى هذه الوظيفة الا عقب وفاة شاغلها مباشرة . فعلى أثر وفاة الطبال يمكن تنصيب طبال آخر خلفا له من بين المتقدمين لشغل هذه الوظيفة الشاغرة ، مطمع الكثير من الناس ..

وللتعيين فى وظيفة الطبال طقوس خاصة وتقاليد معينة ، فلا بد قبل نقل جثمان المتوفى الى مقره الاخير من تعيين خلف له ، لذلك يدعى الى بيت الفقيد من وقع عليه الاختيار فى التعيين . ويتقدم رئيس الطبالين نحو جثة الطبال الراحل ويضع فى يده ، وهو ممتد فى كوخه على فراش الموت ، العصا التى كان يقرع بها الطبلة فى حياته ، بينما تنقل امامه الطبلة التى كان يستخدمها فى تأدية وظيفته، ثم يحرك ذراعه رويدا رويدا الى ان تلمس حافة العصا رق الطبلة ، وفى هذه اللحظة يتقدم – سعيد الحظ – المرشح للوظيفة ، فيأخذ العصا بدوره من يد سلفه ويلمس بحافتها رق الطبلة فى نفس المكان الذى لمسه سالفه الراحل فيصبح بذلك خلفا له ويمثل هذا العمل اهم طقوس التنصيب لوظيفة الطبال .

بذلك نجد ان للطبلة اذن مكانة مرموقة لا يقدرها الاجنبى الا اذا اعتاد على نغمتها حالما يصغى اليها طويلا ويتذوق الكثير من ايقاعات الطبال الافريقى المتنوعة الالحان ، الزاخرة بالاثارة الموسيقية ، والتراث الفنى وحينئذ يستطيع ان يحكم على المستوى الموسيقى الافريقى ويبدى رأيه فى صدق وامانة وصراحة تامة وسوف يضع الطبلة بعد ذلك فى المنزلة الفنية اللائقة بها من بين الالات الموسيقية الاخرى المحبوبة اليه لانه حتما سوف يتأثر بتلك الاحاسيس والمشاعر متى اعتاد ان يستمع الى طبال منفرد أو الى فرقة من الطبالين تقرع الانغام العذبة المختلفة وتبرز تلك الكنوز النفيسة التى تتيح لنا بعناصرها المختلفة ان ننفذ اليها .

يقال ان منشأ الشعوب الافريقية وموطنهم الاصلى هو جنوب شرق اسيا . ويمكن تأكيد هذا الظن وتأييده اذا فحصنا الالات الموسيقية التى تصدر النغم بواسطة الطرق والمستعملة فى كل من افريقية وجنوب شرق آسيا فهناك

تشابه تام فى طريقة الايقاع والاوزان المتداولة والانغام المألوفة فى كل من هذين الجزأين من العالم . كما وان الالات الموسيقى الخشبية المستخدمة فى افريقية تشبه الى حد بعيد تلك الالات الموجودة فى جنوب شرق آسيا .. فنجد مثلا « الاكسولوفون » فى افريقية عظيم الشبه بآلة « الجاملانج » المعروفة لدى الموسيقار الاندونيسى ، وأبعد من ذلك وجه الشبه التام فى التركيب الداخلى لكل من الالتين .. فان مكثفات الصوت فيهما مثبتة تحت الاسياخ الرنانة كما وان الجسم كله (الهيكل الخارجى) مصنوع من الخشب . ومما لاشك فيه بل ومن الامور المشهود بها ، والقاطعة للجدل ، ان الشعب الاسود يعزف الحانا بديعة وألوانا متنوعة عديدة بمهارة تامة ، وقدرة فائقة ، على هذه الالات الموسيقية ، سواء بطريقة فردية أو فى مجموعات صغيرة أو فرق كثيرة العدد .

ولم تقف الثروة الفنية للالات الموسيقية الافريقية عند هذا الحد ، بل هناك مصادر نغم اخرى عديدة مثل : البيانو والهسارب والقيثارة والطنبور .

أما « المعزف » المعروف لديهم ، فهو عبارة عن قطعة من الخشب تسمى لوحة التصويت بها صندوق رنين صغير مثبت فيه اوتار معدنية يلمسها العازف ويحركها على سجيته كما تحرك الحبال فتحدث اهتزازات ينتج عنها اصوات . وهذا النوع من الالات الموسيقية تكون الاوتار فيه مرصوصة بنظام تام فى صف واحد أو فى صفين متوازيين ، فتعطى انغاما متعددة ومتنوعة ذات درجات صوتية معينة تختلف باختلاف طريقة الايقاع وقوة الشد .

وتوجد ايضا انواع مختلفة من « الهارب » « والقيثارة » و « الطنبور » والات موسيقية اخرى ذات اوتار عديدة يقوى صوتها ويزداد غلظة بسبب الصندوق الرنان الملحق بجميع الالات الموسيقية الوترية . وتوجد تسجيلات حديثة تؤكد ان هذه الانواع المختلفة من الالات مستعملة حتى الان بشكل يفوق ماكنا نتصوره .. وان استعمال الافريقى لهذه الالات لا يقل عن استعماله لالات النقر والقرع كالطبلة مثلا .

ولا ننسى — علاوة على ماذكر — فرق المنشدين — تلك الفرق ذات الاصوات المتعددة الدرجات ، المتنوعة النغم ، المختلفة المقامات ولا يفوتنا فى هذا المقام الاشادة بجمال القصائد الشعرية وقصص البطولة المسجوعة التى يغنيها الشعراء . وهم ليسوا سوى منشدين متجولين يجوبون القرى والادغال ويحكمون المعارك والانتصارات . انهم يشبهون شاعر الربابة الى حد بعيد ..

ويجب الملاحظة ايضا ان الموسيقى الافريقى يستطيع ان يؤدى الحانه على آلة موسيقية بدائية للغاية يصنعها بيده فى الحال وفى التو واللحظة متى احتاج اليها . كما يجب الا ننكر ان الثروة الموسيقية فى افريقية غنية للغاية مثلها فى ذلك مثل الموسيقى الاوروبية والاسيوية .

ان الموسيقى والغناء والرقص والادب فى افريقية مرتبطة برباط وثيق ولا يتأتى مطلقا ان نتأمل كلا من هذه العناصر الفنية متفرقة كل منها على حدة .

ومهما يكن من شيء فلا بد ان نحافظ جديا بطريقة ما أو بأخرى على هذا التراث الموسيقى الثمين ولعل انتشار المسجلات (الريكوردر) والتوسع فى صناعة الاسطوانات يهيىء لنا الحصول على تسجيلات اصيلة من هذه الموسيقى البدائية الجميلة الزاخرة بالمعانى الوفيرة .

محمد شريف



الأفلام التسجيلية وأهميتها التاريخية في أفريقيا

بقلم ميشيل مسيحة

اذا كنا نأخـــذ على الكثير من الافلام الاجنبية كونها تسيء الى الافريقيين بوجه عام ، فاننا لا يمكن أن ننظر نفس النظرة الى الافلام التسجيليـــة ، اذ أن الافلام التسجيلية أيا كان مصـــدرها تعتبر ثروة للدارسين فى الحاضر وفى المستقبل ، وخاصة فى أفريقيا حيث تتطور الحياة بسرعة تكاد تسـبق الزمن نفســه وحتى فى بعض الافلام التى تعتبر ســيئة تماما من وجهة النظر الافريقية نجد جانبـــا تسجيليا يستحق الاهتمام . ففى فيلم « كنوز الملك سليمان » مثلا ، نجد تسجيلا لرقاص التوتسى برواندا أوريلدى ، وفى فيلم « ناجانا » نجد تسجيلا لبعض صور الحياة فى الكاميرون ، وفى فيلم « رجال افريقيا » لجريرسون صور من شرق افريقيا ، وفى فيلم « بونجولو » لاندريه لوفان صور من الكونغو ، وفى فيلمى « الفالبون » و « اجمل حياة » لكلود فرمويل نجد صورا تسجيلية من جابون وغينيا .. ففى هذه الافلام وغيرها بعض الصور الصادقة فعلا ، ولكن هذا يجب ألا يجعلنا نغفل عن صور أخرى كاذبة فى الحقيقة وان بدت فى شكل واقعى ، مثل صور الجماجم والهياكل البشرية فى فيلم « القـــارة المفقودة » الذى تم تصـــويره فى جابون ، فان تلك الجماجم والهياكل المزعومة قد صنعت من البلاستيك فى روما واستحضرت خصـــيصا من اجل الفيلم .

هذا وجدير بالذكر أنه فى كثير من الاحيان يكون من الممكن وضع حد دقيق بين الافلام التسجيلية وغيرها من الافلام ، ففيلم مثـل Men of two Worlds من اخراج نوروك ديكنسون سنة ١٩٤٦ يصعب تحديد نوعه ، فهو ليس فيلما تسجيليا ولكنه فى نفس الوقت يضم تسجيلا واقعيا عن افريقيا مما جعل اثيل فيشر يكتب عنه فى مجلة Film Qurterly سنة ١٩٤٦ : « ان هذا الفيلم

ينفرد بأنه يعطينا صورة صادقة عن افريقيا اليوم » . ولذلك نجد النقاد يدرجون مثل هذا الفيلم فى نوع جديد يطلقون عليه « الافلام شبه التسجيلية Semi-docum entary

وترجع أولى محاولات عمل أفلام تسجيلية عن افريقيا الى ما بعد الحرب العالمية الاولى بقليل ، حيث قام ليون بواربيه بعمل فيلمين ، الاول (قابيل) فى مدغشقر ، والثانى (رجل النيجر) - بالاشتراك مع هارى بور - فى دلتا نهر سيجو . وكان لبواربيه وبور الفضل فى أنهما ولاول مرة لم يلجآ الى الحيل بل صورا الواقع على حقيقته معتمدين على الطبيعة والاشخاص الحقيقيين فى الديكور والمناظر الخلفية ، ولذلك فليس من المستغرب أن قيمة العناصر المختلفة فى هذه الافلام قد تغيرت بمرور الزمن ، فأصبحت الاهمية الكبرى للديكور والمناظر الخلفية أما الممثلون والموضوع فعناصر لم تعد لها نفس الاهمية . وفى أكتوبر سنة ١٩٢٤ قام ليون بواربيه أيضا بأول رحلة بالسيارة من شمال القارة الى جنوبها ، خرج منها بفيلم (القرصان الاسود) . ورغم أن الهدف من الفيلم لم يكن سوى تصوير المغامرة نفسها بالسيارة الجديدة « الستروين » الا انه ضم كثيرا من الصور الحية عن حياة الشعوب التى مرت الكاميرا بأراضيها ، ومنها الجوما والطوارق والهاوسا والكوتوكو والبيناراباكا والبايا وغيرها .

على أن الافلام التسجيلية بالمعنى الصحيح لم تظهر بافريقيا الا منذ عام ١٨٩٢ ، فقد سافر مارك اليجريه مع الكاتب الفرنسى الكبير أندريه جيد فى رحلته الى افريقيا الاستوائية وعاد بصورة واقعية للحياة هناك فى فيلم (رحلة فى الكونغو) وهو الانعكاس السينمائى لكتاب أندريه جيد الذى يحمل نفس الاسم والذى شن فيه الكاتب الكبير على الاستعمار أشد الهجوم . وكان من قوة تأثيره على الرأى العام الفرنسى أن ارسلت صحيفة Le Petit Parisien اليومية مندوبا للتحقيق - هو البرت لوندر ، أحد كبار محرريها . وكانت النتيجة أن عاد المحرر بتقرير لا يقل فى ادانته للاستعمار عما كتبه جيد وصوره اليجريه .

وقد جاء فى تقرير لوندر أن ١٧٠٠٠ افريقى فقدوا حياتهم فى سبيل مد ٤١٠ كيلو مترا من السكة الحديدية ، حيث عملوا بالسخرة فى ظروف بالغة القسوة بين الادغال ولم تقدم اليهم أية تسهيلات أو آلات تساعدهم فى العمل

ويعتبر كثير من السينمائيين أن فيلم (رحلة فى الكونغو) هو أول فيلم عن افريقيا يتحرى فيه مخرجه الصدق والامانة فى التصوير ، وانه لذلك قد لعب بالنسبة لافريقيا الدور الذى لعبه بالنسبة لاسيا فيلم (عاصفة على آسيا) لبودوفكين سنة ١٩٢٨ والدور الذى لعبه بالنسبة لامريكا اللاتينية فيلم (عاصفة على المكسيك) لايزنشتاين سنة ١٩٣١ .

وفى عام ١٩٣٠ قام جماعة من السينمائيين الالمان بجولة حول العالم لتصوير أفلام تسجيلية عن الشعوب المختلفة ومن بينها الشعوب الافريقية ، صدرت فى مجموعة . UFA & Tobis

وقد بدأ اهتمام البريطانيين بعمل أفلام تسجيلية عن افريقيا منذ عام ١٩٣٠ تقريبا ، وكان ذلك ضمن برنامج عام شمل جميع أجزاء الامبراطورية ، وقام بأكبر دور فى عمل الافلام عن افريقيا المخرج جريرسون ، وهو من كبار رجال السينما التسجيلية فى بريطانيا

على اننا نستطيع ان نقول ان الفرنسيين كانوا أكثر من اهتم بالافلام التسجيلية فى افريقيا ، وقد استمر ذلك الاهتمام حتى اليوم .. ولا شك أن الدوافع السياسية كان لها أكبر نصيب فى خلق ذلك الاهتمام .

ومن رواد السينما التسجيلية الاوائل فى افريقيا البروفسور جريول ، الذى صور كثيرا من الافلام عن حياة الشعوب الافريقية ، وكذلك شافنر وليريس ، وقد اشتركوا جميعا فى رحلة عبر القارة من المحيط الاطلسى الى المحيط الهندى فيما بين داكار وجيبوتى ، خرجوا منها بعدد من الافلام التسجيلية القيمة .

وفى عام ١٩٣٨ قام جريول برحلة ثانية وصور فيلمين تسجيليين ناطقين ، أولهما (فى بلاد الدوجون) وهو يصور فى ١٥ دقيقة بعض مظاهر الحياة اليومية وعادات العمل

والطقوس الدينية عند الدوجون ، أما الفيلم الثانى واسمه (تحت الاقنعة السوداء) فيصور الاحتفالات الجنائزية فى احدى القرى الساحلية وقد سجل فيه جريول بوجه خاص كيفية صنع واستخدام الاقنعة الكبيرة التى تستعمل فى الرقص فى تلك المناسبة والتى تساعد روح المتوفى على أن تلحق بأرواح أسلافه فى الاخرة

وفى عام ١٩٣٦ صور جان داسم فى شرق نيجيريا فيلما باسم (القافلة الكبرى) سجل فيه رحلة قافلة من مستخرجى الملح «الازلاى» فيما بين آجاد وبلما حيث توجد مناجم الملح وفى نفس العام صور بلانشون فى غينيا فيلما باسم (مغامرات كوليبالى) وقد تناول فيه ظاهرة هامة فى حياة سكان افريقيا الغربية الا وهى الهجرة من مناطق السفانا الى السواحل . وموضوع الفيلم هو سفر الشاب كوليبالى من غينيا العليا بقصد الحصول على مهر خطيبته واشتغاله عاملا بالميناء فى كوناكرى ثم عاملا بمنجم فى سيجيرى وأخيرا عودته الى بلده . والفيلم يعتبر ذا أهمية تسجيلية بالغة رغم أن مخرجه قد أفسده الى حد كبير بمحاولته اقحام الدعاية للمدنية الغربية فيه.

ومن الافلام التسجيلية التى عملت فى تلك الفترة أيضا فيلم (صيادو واجينيا) الذى صوره سوربك فى ستانلى بول بالقرب من ستانلى فيل بالكونغو .

هذا وقد نشطت حركة عمل الافلام التسجيلية فى افريقيا على أوسع نطاق بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة . ففى عام ١٩٤٦ صور جاك ديبونت (رقصات من الكونغو) و (فى بلاد الاقزام) و (زوارق على الاوجوى) ، وهى تعتبر من أهم الافلام التسجيلية التى عملت فى افريقيا السوداء ، اذ تناول أولها الرقصات التقليدية فى الكونغو ، وتناول الثانى الحياة اليومية لدى أقزام البابنجا ، أما الثالث فعن الانتقال بالزوارق من مساقط لاستورفيه الى لامبرينه على نهر الاوجوى . كما صور فرانسوا فيليير فيلم (الصداقة السوداء) وهو عن التراث الثقافى لشعب تشاد .

وفى نفس العام أيضا تم تصوير فيلم (فى طرق القبيلة) فى الجزائر ، لحساب Actualités Françaises وهو يصور الحياة فى منطقة القبيلة ، من تيزى اوزو الى ميشليه ، وفى جوجورة حيث قوافل الجمال . ورغم ان الافلام التى صورها البرت ماهوزير فى تلك الازمة عن تشاد Actualités Françaises قد لاقت نجاحا كبيرا فى فرنسا وبلجيكا الا انها ليست ذات قيمة كبيرة حيث كان الاهتمام الرئيسى فيها بتصوير حياة عائلة ماهوزير اثناء الرحلة .. وقد اشتركت فيها زوجته وأولادهما التسعة .

وفى عام ١٩٤٧ صور فرانسوا توكفرد فيلم (رمضان) فى تونس سجل فيه احتفالات الشعب بشهر الصيام وعيد الفطر ، متنقلا بين صفاقس والقيروان وتونس وبنزرت . وفى عام ١٩٤٨ صور فيليب ايست فيلم (مولاى ادريس) بالمغرب حيث سجل الاحتفال بالمولد الكبير الذى يشترك فيه اكثر من مائة الف زائر يفدون من جميع انحاء البلاد . كما صور سيرج ديبيك فى المغرب ايضا فيلم (رقصات مغربية) وهو دراسة هامة للرقص الشعبى فى المغرب . وفيما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٢ قام السينمائيان جان روش وروجر روزفلدر بتصوير عدة افلام عن النيجر أهمها : فيلم (معركة فى النهر الاكبر) وهو عن صيد السودوكو لفرس البحر من نهر النيجر ، وفيلم (مدافن اللاحة) وهو عن الطقوس الجنائزية لدى الدوجون فى بندياجرا ، وفيلم (صانعو المطر) وهو عن الاحتفال بعيد المطر « اليننـدى » الذى يقيمه السونغاى والولما فى اليوم السابع من الشهر القمرى السابع من كل عام .

وقد نشطت فى هذه الاثناء حركة الرحلات فى افريقيا لتصوير الافلام التسجيلية .. فقام فرانسوا بلسان برحلة بالسيارة فى صحراء كلهارى حيث صور فيلم (القرصان الاحمر) عن الحياة فى بتشوانالاند . وقام بيير ولويز جنتيل برحلة فى مدغشقر حيث صورا فيلم (ألوان من مدغشقر) عن مظاهر الحياة فى الجزيرة . كما صورت آن فيليب وفيفيان باك فيلم (ابناء الفيل) اثناء

رحلتهمـا فى جنوب السودان . وقام جان سانتنى برحلة عبر غرب افريقيا زار فيهـا غينيا وماك وساحل العاج ، صـور اثناءها فيلم (مشاهدات فى غرب افريقيـا) الذى عرض عام ١٩٥٤ وفيه تسجيل لبعض مظاهر الحياةوالعادات لدى الكونياجوى والبسارى والكابرى والسومبا والدوجون .

ويلاحظ ان اهتمـام الفرنسيين وغيرهم من الاوربيين بتسـجيل أفلام عن افريقية قد اشتد بصفة خاصة بعد قيام حركاتالتحرر القويةمنذ عام ١٩٥١ تقريبا ، وذلكلمصلحتهم هم اذ انهم فوجئوا بشـدة تلك الحركات وأحسوا لاول مرة انهم يواجهون فى افريقيا ماردا جبارا قد استيقظ فجأة بعد سبات طويل .. واصبح عليهم ان يعرفوا كل شىء عنه حتى يستطيعون فهمه والتعامل معه . وكانت الحكومات الاستعمارية بلا شك وراء ذلك الاهتمام وخاصـة فى فرنسا . وقـد قامتهناك بالفعل مدرسة سينمائيةتسجيلية من المهتمين بالشئون الافريقية . وكان هؤلاء يعملون اما بمـفردهم واما بالاستعـانة بالسينمائيين المتخصصين . وأهم رواد هذه المدرسة من العلماء « كابرون » الذى عمل بالاشتراك مع السينمائى سيرج ريس فيـلم Noces d'Eau وهـو عن طقـوس الخصوبة لدى البوبو والبامبارا باقليمسان مالى . وفيلم Bobo-Oulé عن الحياة اليومية لقبائل البوبو اولى التى تسكن عند الحدود بين فولتا العليا ومالى . اما ايجوردى جارين فقد عمل وحده فيـلم Gourrouna, Bergers Sacrés وفيلما Les Hommes du Logone عن الحياة اليومية والطقوس الدينية لدى أهالىتشاد. وعمل كلود ميليه فيلما عن طقوس الختـان لدى المونجوم . وصور روبير ومونيك جسان فيلما ملونا باسم Les temps du Coméléon عن حفـلات التكريس الكبرى لدى قبـائل الكونئجى عند حدود غينيا والسنغال بعد ان عملا دراسة مستفيضة عن هذا الوضـوع واصدرا كتابا عنه . وقام جى ليمولى عالـم الاجناس ومدير معهـد بحوث فولتا العليـا بعمل فيلم باسم Masques de feuilles عن دور الاطفـال فى الطقوس الدينية التى تستخدم فيها الاقنعة ، وذلك أثناء انشغاله باعداد بحث عن البابوفنج ، كمـا اشترك ايضا فى عمـل بعض الافلام التسجيلية فى افريقيا البروفسور زاهان استاذ التـاريخ الطبيعى للانسان بجامعة ستراسبورج .

وكان نتيجة لنجـاح الافلام التسجيليـة التى عملها هؤلاء الاساتذة ان ادخلت مادة الفن السينمائى ضـمن برنامج الدراسـة لطلبة علم الاجناس فى فرنسا .. وقد ثبت ان السينما اصبحت من الوسائل الضرورية لخدمة هذا العلم .

اما فى محيط السينمائيين المتخصصين فقد اتجه كثير منهم للعمل فى ذلك الميدانأيضا ، وعلى رأسهم جاك ديبونت الذى اشترك فى البعثة التى سافرت لعمل أفلام تسجيليـة فى الكونغو سنة ١٩٥١ وصور فيلم La Foret Sacrés فى غرب الكاميرون ، وهو عن احتفالاتاختيار الرئيس لدى الباملكة . وقد اشترك فىتلك البعثة أيضا « بيير دومينيك جيسو » الذى عمل عدة افلام عن قبائل التوما والبسارى والنالون ثم قام بعـد ذلك مـع زميل له بتجربة مثيرة ، اذ انضموا الى احـدى الجماعات السرية لدى التوما .. وخـرجوا من هذه التجربة بفيلم الغـابة المقدسـة lafaret sacre's وهو فيلم طويل يصور كيفية الانضمام الى الجمعيـة ورسمالنقوش على الوجه ، ثم طقوسالتطهر قبل الدخول الى الغابة المقدسة .. وقـد وقف القيام عند هذا الحـد اذ لم يسمح لبيير وزميليه بدخول الغابة المقدسة . ومن الافلام التسجيلية الهـامة التى اخرجهـا السينمائيون المحترفون فيلم Pays Mondingue وفيلم Saison Séche لجاك داريباهود ، وهماعن الحياة اليومية للممالك فى اقليم سيجيرى وفيلم Forgeron du Desert لجورج بوردلون عن الحـرف اليدوية فى

الصحراء وفيلم
En regardant passer le Tchadd
لتيير ايشاك عن اهالى تشاد ، وفيلم لفييفيه عن الحياة فى نيجيريا .

ويلاحظ فى السنوات الاخيرة ان التسجيل السينمائى فى افريقيا قد بدأ يجتذب اليه الى جانب الفرنسيين كثيرا من السينمائيين من اوربا وامريكا .. ففى عام ١٩٥١ قام البروفسور جابوس مدير متحف الاجناس البشرية بنيوشاتل بايفاد السينمائى هنرى براندت فى بعثة لمدة عام لدى قبائل البدو الرحل فى النيجر عاد منها بفيلم
Les Nomades du Soleil
الذى يصور حياة هذه القبائل . وفى عام ١٩٥٤ صور السينمائى النمسوى كندلر فيلم Omaru فى جبال المندرة بين قبائل الكيريدى والتيله . وفى عام ١٩٥٩ صور المخرج الامريكى ليونيل روجوسن فيلم Come back Africa فى جنوب افريقيا ويعتبر هذا الفيلم من اهم الافلام التسجيلية من الناحية التاريخية ، اذ لعب دورا كبيرا فى اثارة اهتمام الاوربيين بمشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا بعد ان كانوا قد نسوها او تناسوها .. وقد علق عليه احد السينمائيين بقوله :

((ايا كان الموقف الحقيقى للمخرج فان الحقائق قد فرضت نفسها عليه فرضا .. ولذلك فافريقيا هى التى تتكلم فى هذا الفيلم)) .

ولم تتوقف حركة الافلام التسجيلية فى افريقيا بعد نجاح حركات الاستقلال فى القارة، ذلك أن الدول الافريقية لم تكن من التعصب بحيث تقف فى وجه مثل هذه الحركة المفيدة للثقافة الانسانية ، بل لقد شجعت هذه الدول عمل الافلام التسجيلية بمختلف الوسائل وقدمت لذلك كل التسهيلات الممكنة. وفى كثير من الاحيان استدعت بنفسها السينمائيين الاجانب لهذا الغرض . ففى عام ١٩٥٧ تم تصوير فيلم عن غانا اخرجه سين جراهام . وكلفت وزارة الاستعلامات فى جمهورية تشاد السينمائية الفرنسية «سوزان بالافلام . بارون » التى سبق لها اخراج عدة افلام من افريقيا بعمل فيلم ملون عن تشاد سنة ١٩٦٠ . وفى نفس العام تم تصوير فيلم عن الاصلاح الزراعى فى مالى . وفى عام ١٩٦١ اخرج اندريه كوفين فيلما عن الكونغو بعد استقلاله . كما دعت حكومة السنغال بعض السينمائيين الاجانب لعمل افلام تسجيلية بها تم منها فيلم Dakar à un Siéle وقامت فرقة فرنسية بعمل فيلم عن موريتانيا بعد الاستقلال ودعت مصلحة الاستعلامات فى ساحل العاج المخرج الفرنسى جان رافل لعمل فيلم عنها . كما ذهب الى هناك لنفس الغرض ايضا المخرج جان روش الذى عمل فيلمين (Le Pyramide Humaine)
(Moi, Unnoir)

وفى داهومى اشرفت مصلحة الاستعلامات على عمل مجموعة من الافلام التسجيلية منها فيلم
J'étais un Tilapia
حصل على الجائزة الاولى فى مهرجان افلام الـ ١٦ مم بسان كاست بفرنسا سنة ١٩٦١ . وقام سج ريش بعمل عدد من الافلام عن فولتا العليا . وفى النيجر تم عام ١٩٦٠ عمل فيلم باسم (النيجر) من اخراج كلودجوتزاء وقد اشترك فى انتاجه المركز القومى للسينما بكندا . كما دعى سينمائيون اجانب مثل جان روش وهنرى براندت لعمل افلام اخرى هناك .

هذا ويلاحظ ان نشاط الافريقيين انفسهم كان للاسف محدودا جدا فى ميدان الافلام التسجيلية بل وهو لايكاد يذكر الى جانب النشاط الهائل للاجانب ، وحتى فى الدول الافريقية التى عرفت صناعة السينما منذ وقت طويل ــ مثل مصر ــ لم يهتم المشتغلون بالسينما بعمل افلام تسجيلية عن افريقيا. على ان اليقظة الافريقية التى شملت كل شىء فى افريقيا قد شملت السينما ايضا وبدأ السينمائيون الافريقيون يولون الافلام التسجيلية ما هى جديرة به من اهتمام .. وخاصة ان الافريقيين بلا شك اقدر من الاجانب على فهم الحياة فى افريقيا ومن ثم فسوف يكونون اكثر دقة وعمقا فيما يسجلونه

ميشيل مسيحة

من القصص الشعبي الافريقي

ترجمة أنصاف رياض

١ ـ كاليمى الطيب

كان « كاليمى » الطيب الابن العشرين لأب يتولى زعامة القرية ، وقد تزوج جميع اخوته من فتيات صالحات . وكانوا جميعا لايفكرون الا فى سعادتهم ، وكانت تسودهم روح الانانية فلا يبالون بمن عداهم ، يدعون الجائع يئن من وطأة الجوع ، والاعرج مبتلى بعرجه يتلمس منهم عونا فلا يبالون به ، والأعمى لايجد من يقوده ، وهكذا الا طيب القلب « كاليمى » .

وكان ذلك مدعاة للوم أبيه واخوته ، ولاستهجانهم ، اذ أنه لايطيق رؤية مخلوق ، انسانا أم حيوانا ، فى محنة أو مأزق . وعندما استقر عزمه على الزواج ، تبين له أن جميع فتيات القرية قد تزوجن ، الا برصاء منكودة ، ولم يتردد لحظة وانما تزوجها راضيا . فكان ذلك ذريعة للوم أبيه واخوته، وتعييرهم اياه : كيف تؤوى فى بيتك زوجة برصاء منحوسة ؟ فأجابهم : ان هذا يعنينى وحدى ولا شأن لكم فيه .

وذات يوم سرق أحد الكلاب قطعة لحم ، وأوشك الاهالى أن يفتكوا به ، لولا انافتداه « كاليمى » بمقطع من القماش ، وصحبه الى داره وللمرة الثانية عيره أبوه واخوته : كيف تقتنى كلبا سارقا فى بيتك !؟ وأجابهم : اننى أقتنيه فى بيتى لا فى بيتكم .

وسرعان ما توالت الاحداث ، فقد انقض صقر على دجاجة ، فاذا طعم أوقعه فى الفخ المنصوب . واذ هم الاهالى بقتله ،، افتداه « كاليمى » الطيب بطير آخر . وللمرةالثالثة عيره أبوه واخوته ، ولاموه : من يتصور عاقلا يفتدى صقرا عديم الفائدة بطير سمين شهى ! ما عساه يفعل هذا المعتوه ؟ وكدأبه رد عليهم : انه شأنى وحدى .

وفى يوم آخر أعمل فأر أسنانه الحادة فى قرض ثياب أحد الاهالى ، فتربص به حتى أوقعه فى الفخ ، وأخذ يذيقه ألوانا من العذاب قبل أن يقضى عليه . وما أن علم « كاليمى » حتى هب مدفوعا بوازع من الشفقة والرحمة ، مفتديا اياه بخمسة من الفرنكات ،وتبعه الفأر الى داره .واستشاط غضب الأب والاخوة ، فزمجروا مستنكرين : أيها الابله ، كيف تلقى بخمسة من الفرنكات من أجل فأر أثيم ! ؟ فأجابهم : وما يعنيكم فى هذا ؟ انما تحبون ان تنفقوا أموالكم على أنفسكم فقط ،ولكنى أحب أن أجلب بنقودى السعادة للمكروبين .

وذات يوم ترامى الى سمع « كاليمى » اذ يمر باحدى طرقات القرية صوت صراخ وضجيج ، ثم رأى حشدا من الناس يتعقبون ثعبانا ، محاولين قتله ، وكدأبه على حب الخير تحركت فيه نوازعه ، فوهبهم عقدا من الخرز ، مفتديا الثعبان من موت محقق،

ثم استصحبه معه الى داره . وهنا أخذت أباه واخوته موجة انفعال من الغضب ، فهدروا ساخرين : ان هذا حقا قد فاق كل تصور ! لقد جاء الى داره بزوجة برصاء نكداء ، وكلب سارق ، وصقر عديم الفائدة، وفأر أثيم وغد .ثم هاهو يضيف الى صحبة أهل داره ثعبانا ، فماذا وراء ذلك ؟ وما عساه سيجد من أمور !

وكم دهش « كاليمى » عندما عاد الى منزله فوجد الثعبان منتصبا على ذنبه ، وقد بدت منه قدمان نظيفتان ، وانفعل عجبا لما سمع صوت رجل يتحدث اليه : هلا علمت يا « كاليمى » أننى ابن زعيم كبير ! حولتنى ساحرة فاجرة الى ثعبان بغيض ، لا يشفق عليه أو يرحمه انسان

وفى الغداة — وقد عادالثعبان أميرا جميلا، يرتدى من الثياب أزهاها وأفخرها ،وتتدلى من عنقه عقود القواقع والخرز الملون ، حتى أوحى كل مافيه بما يجرى فى عروقه من دماء عريقة — بدآ رحلتهما معا . وفى الطريق قال الأمير الصغير « نيوكا » لزميله « كاليمى » :اذا عرض أبى عليك ملكا فأرفضه ! أو وهبك ألف زوجة فأعرض عنهن! وحتى لو عرض عليك الزواج من أجمل امرأة فى البلاد ، فلا تقبل ! أما اذا عرض عليك مجموعة خواتمه « الملكية » فأعرض عنها ابتداء من الخاتم الأول حتى السادس، أما السابع فرحب به ، وأقبله رغم مايبدو عليه من حقاره ، فانه من حديد ، ضئيل الحجم ، متآكل الجوانب ، قبيح المنظر ، صدىء .

وطالت الرحلة حتى وصلوا الى مدينة كبيرة ، لم ير « كاليمى » مثيلا لها طوال حياته ، فالشوارع الرحبة مكتظة بالزوار الوافدين من كل مكان ، ليرحبوا بأميرهم المفقود وقد عاد ، وذاع الخبر فى كل مكان، ولما علم الزعيم بعطف « كاليمى » وطيبة قلبه ، أمر له بكوخ ينزل فيه ، وبأن تعد له وليمة حافلة .

وتوالت أيام الحفلات والطرب والرقص ، ولكن « كاليمى » ضاق ذرعا بذلك ، وتاقت نفسه الى العودة الى داره . وعلم الزعيم بذلك ، فدعاه اليه وعرض عليه أن يتولى امارة ، فأباها . فخيره بين الزواج من أجمل امرأة فى البلاد أو قبول ألف زوجة ولكنه رفضهن جميعا قائلا : ان زوجتى طيبة ولا أريد بديلا عنها ، ثم ان كثرة الزوجات توجب النزاع والشجار . فعرض عليه خاتما بديعا مجدولا من أسلاك النحاس الأصفر ، ولكن « كاليمى » رفضه . وعندئذ عرض الزعيم عليه مجموعة من أجمل الخواتم المصنوعة من الفضة المطعمة بالعاج ، ولكنه أعرض عنها أيضا ، واخيرا عرض عليه خاتما من حديد ، رديء الصنع ، كئيب المنظر ، علاه الصدأ ، يبدو عديم الفائدة ! فتقبل « كاليمى » الخاتم وانحنى شاكرا ! وكان هذا هو الخاتم السابع بين ما عرض عليه من خواتم .

وكان سلوكه مثار دهشة الزعيم ، الا أنه قال له : لقد أحسنت الاختيار يا ولدى ، وما عليك الا ان تمس به المريض فيشفى لتوه ! واذا دلكته بين أصبعيك متمنيا أية أمنية ، فهى محققة لفورها ، ولكن حذار ان تدعو الى دارك امرأة غريبة ، فانك ان فعلت ذلك سوف تفقد كل شيء .

وعاد « كاليمى » الى داره ، فمس زوجته بالخاتم فشفيت فور مسها ، وأصبحت أجمل نساء القرية . وما أن تمنى لو أصبح أهل القرية يعيشون فى أكواخ مريحة ، ترفرف عليها السعادة ، بدلا من تلك الحقيرة المتهاوية ، حتى هبوا ينشئون قرى جميلة تتخللها الحدائق الغناء ، ويحوطها البالغ من الاشجار الباسقة .

ولما رأى والده واخوته كيف أنه كوفىء جزاء شفقته وعطفه ، نهشت الغيرة قلوبهم ، وازدادوا كرها وعتوا ، خاصة للفأر والصقر والكلب .

وذات يوم ترامى الى سمع « كاليمى » صوت عويل وصراخ ، مس شغاف قلبه العطوف ، فمضى صوبه ، حيث وجد امرأة كاد الجوع يقتلها ، وكانت قد حطت رحلها الى البر من أحد الزوارق الكبيرة ، ونالها كثير من قسوة وعنت أخوة « كاليمى » ، وفى غمرة عطفه عليها نسى تحذير الزعيم والد

الأمير « نيوكا » ، فدعاها الى داره ـ شفقة عليها ـ حيث المأوى والطعام الوفير .

وأبدت المرأة عرفانا لهذا الجميل ، فقد غمرها « كاليمى » وزوجته ضروبا من العطف والحنان ، فكررت امتنانها ، وأعجبت بجمال داره ، وأثنت على روعة القرية ، واذ لمحت الخاتم قالت ساخرة : ياله من خاتم متآكل، كم هو سخيف المنظر ! هلا أريتينه ؟ فقدمته لها ، وما أن أمسكت به ، حتى صك السمع دوى صوت طبل يدق بعنف من أحدالزوارق، وما أن سمعته حتى أجفلت وهبت منتصبة ، وهرعت خارج المنزل والخاتم فى يدها ،وكان الزورق قد اقترب من الشاطىء ، فقفزت اليه ، وما كادت حتى أخذ يبتعد ، حاملا المرأة ومعها الخاتم ، وخلفوا « كاليمى » المسكين وراءهم .

ولما عاد الى داره ، فوجىء بأصدقائه وقد فروا جميعا ، وحل الدمار بالقرية فأصبحت خرابا بأكملها ، وعاود الوباء زوجته بأسوأ مما كان ، واختفى كل جميل نضير فى حياته .

وبينما كان «كاليمى » قابعا علىالشاطىء، مشتعلا بالهم والحزن ، اذ تقدم اليه كل من الصقر والفأر ، مستفسران عما ألم به ، فأشار الى الزورق الذىأخذ يتوارىبسرعة، بعيدا عن ناظريه ، يحمل بين جنباته المرأة اللعينة ومعها الخاتم جلاب الحظ !

وسرعان ما حمل الصقر الفأر بين مخلبيه، محلقا به فى الجو ، قائلا له : انى هابط بك فوق طرف القارب ، فعليك أن تبحث عن الخاتم فى القارب ، فاذا ما وجدته عدت به الى نفس الطرف ،، وسأرقبك من الجو لأنقض لالتقاطك والخاتم معك فى الحال .

وتسلل الفأر الى كل ركن فى القارب ، نابشا الملابس ،متسللا الى الادراج والسلال، مراقبا جميع الركاب ، متربصا بعيدا عن أعينهم حتى لا يلمحه أحد ، وبعد جهد غير قليل عثر على الخاتم ، فالتقطه بين فكيه وتسلق حافة القارب ، وما أن لمحه الصقر ، حتى انقض والتقطه بين مخالبه قبل أن يلحظ الركاب .

وأثناء عودتهما ، قال الصقر للفأر وهو معلق بين مخالبه : انى سأعيد بنفسى الخاتم الى « كاليمى » جزاء وافيا لانقاذه لى من الموت . ولكن الفأر اعترض قائلا : انىأحق منك بهذا ، فأنا الذى عثر على الخاتم ، و« كاليمى » أنقذ حياتى ، ولسوف أعيده له بنفسى .

وغضب الصقر وقال : انك يا هذا لاتستطيع العودة دون معاونتى ، واستمر يحلق حتى أشرف على الغابة فانفرجت مخالبه ، وأفلت الفأر والخاتم بين فكيه ، وعاد ليبلغ « كاليمى » أنه فقدهما معا بالغابة .

وعصر الألم « كاليمى » ، فبدا حزينا أكثر مما كان ، فهو يحب زوجته ويتلمس لها الشفاء ، واستسلم لهمه ، واضعا رأسه بين كفيه ، واذا كلبه الصغير وقد وعى النبأ الذى جاء به الصقر ، يقول : أى سيدى ، ان لى أنفا شديد الحساسية ، ذا قدرة خارقة على الشم ، وسأعثر على الخاتم مهما كان بعيدا .

وأخذ يتشمم هنا وهنالك ، قافزا منمكان الى آخر ، متتبعا أثر الخاتم حتى وصل الغابة بعد أيام ،وأدرك الفأر المسكينوالجوع يكاد يقتله ، وما زال الخاتم بين فكيه . والتقطهما الكلب برفق بين أنيابه ، وأخذ يعدو ويعدو بسرعة ، حتى حل بالقرية والليل وشيك الهبوط ووضع الفأر والخاتم عند قدمى سيده !.

وما أن اطمأن « كاليمى » الى سلامة صديقيه ،، حتى التقط الخاتم بلهفة بالغة ومس به زوجته فبرئت فى الحال من مرضها، ثم دلكه بأصبعيه فعاد جميع أصدقائه وعاودت الطمأنينة الجميع ، وعم الخير وذاعت شهرة « كاليمى » فى أنحاء البلاد ، حتى أباه واخوته لانت قلوبهم القاسية ، وعاش وزوجته فى سعادة غامرة ، وأصبح لهما أطفال يملأون عليهما رحاب حياتهما أنسا واشراقا .

ولم يسمحا بدخول أية امرأة غريبة الى دارهما . وهكذا ظل « كاليمى » وفيا لمبدئه حتى آخر أيامه ، رحيما عطوفا شفيقا بالناس والحيوانات .

٢ ــ الصديقان المتحابان

كانت مدينة « كوبيندا » مقر الزعامة بوادى « سالوى » عند ما تسلل أفعوان هائل ضخم الجسم مغيرا على البلاد ملتهما كل ما صادفه من الاخضر واليابس من أشجار وأكواخ تعترض طريقه . وقد كان له فم كبير واسع كأنه كهف « كواندا » ولم يفلت من الالتهام من الاهالى غير رجلين فقط تسلقا تل « لوكوى » واختبئا بين الصخور .

وفى هذا الوقت ثارت فضيحة فى مقر الزعيم اذ اتخذ ولده صديقا له من بين ابناء العبيد مما أثار غضب اهل الراى من رجال القبيلة فقر عزمهم على أن يبثوا الفرقة بينهما فان الأمير الصغير لا يليق به أن يتخذ أصدقاءه من غير أبناء طبقته .

ولهذا اقبلوا على زعيم القبيلة ناصحين : ان أفقأ عين ابن العبد حتى يبدو بشع المنظر ، منفرا لصديقه . وما ان تم ذلك حتى فزع الامير الصغير الى أبيه متوسلا ان يفقأ له احدى عينيه هو الاخر فهو لا يطيق ان يعيش سليما متكامل الاعضاء بينما يعانى صديقه تشويه خلقته ونقص احدى عينيه . ورفض الاب قائلا أن تقاليد التقبيلة لا تسمح لزعيم بعين واحدة أن يتولى الحكم . غير أن الصغير لجأ لامه مهددا بانه اذا لم يفقأوا له عينه فسيموت حزنا وكمدا على صديقه ان لم يكن قد انتحر فعلا .

ووجد أهل الرأى الفرصة سانحة ليتولى احد ابنائهم الحكم فأشاروا على الزعيم أن : أفقأ عين ابنك لتنقذه من الموت . وزادت عرى الصداقة رسوخا عما قبل بعد أن نفذ الامر .

ودعا ذلك الزعيم للتفكير فى تدبير وسيلة أخرى للتفريق بينهما . واشار عليه مستشاروه من اهل الرأى : ان اكسر ذراع العبد ، وتم الأمر فى الغابة بعد خطفه بواسطة رجال متخفين فى أقنعة من جلد البقر الوحشى والح الامير الصغير كما حدث فى المرة الاولى أن يكسروا له ذراعه ولما رفضوا لجأ الى امه مهددا بأنه سينتحر فى الغابة بحبل تام بجدله . وأشفقوا عليه من ان ينفذ الامر فكسروا له ذراعه وازدادت أواصر الصداقة والمحبة بين الامير الصغير والعبد رسوخا على رسوخ .

وتساءل الزعيم باكيا نائحا ما العمل لتفرقتهما ؟ واذا بفتاة ذات جمال باهر من أهل القرية ــ كانت محط أنظار جميع الشباب للفوز بها زوجة ــ ترامى الى سمعها ما حل بالزعيم فأعلنت ان بامكانها ان تباعد بين الصديقين المتحابين متوسلة ببث الغيرة فى نفسيهما من أجلها . ووعد الزعيم بأن يزوجها ابنه ان نجحت فى ذلك .

وفى ظل احدى الشرفات استلقت الفتاة على فراش وثير حتى اذا مر بها الصديقان أومأت الى العبد أن يوافيها حتى اذا جاءها مستطلعا ما تبغى تضاحكت عابثة مهمهمة ببضع كلمات غير مفهومة . فأخذ يستوضحها مرة بعد مرة وهى تعابثه مغمغمة تارة وهامسة أخرى بغير المفهوم من الكلام حتى يئس وانصرف متعجبا من هذا السخف ، لاحقا بصاحبه الامير الصغير الذى رأى بعينيه كل شىء وهو ينتظر صديقه وسأله : ما الامر وماذا تبغى منك الحسناء ؟ فأجابه : انها تهمهم بكلام غير مفهوم . فأجابه : انه لامر عجيب ، لماذا تخفى عنى ما دار بينكما من حديث ؟ اننى لم أعاملك بمثل هذا أبدا . واحتدت المناقشة وتفاقم النزاع حتى افترقا وقد انفصمت عرى الصداقة التى كانت بينهما .

وبدا كأن خطة الفتاة قد نجحت اذ عاد كل من الصديقين الى منزله مشتعلا بالغضب ومحملا بالحزن والهم ، ولم يعر أحد منهما الفتاة أى اهتمام ، بل كانا يتوقان للعودة الى سابق عهدهما . ولم يطق الامير صبرا على هذا الحال فتمنطق بسكين حاد وأعلن الذهاب الى الوادى ليقتل الافعوان الضخم أو يقتله الافعوان .

وما ان أشرف على تل « لوكوى » حتى صاح به الرجلان المتخفيان بين الصخور :

ياهذا ، لاتذهب بعيدا فان الافعوان مفترسك لا محالة . ولكنـــه أجابهما : هذا ما ابغى فلا رغبة لى فى الحياة . واستمر فى طريقــه

غير عابىء فاذا به وجها لوجه امام الافعوان الفاغر فاه ككهف « كوندا » ولم ينتظر الامير حتى يتحرك الافعوان وانما قفز على الفـــور داخل الفكين المفتوحين .

وفى نفس الوقت ، وقد برح الحزن بالعبد حتى انه تمنطق هو الاخر بســـكين مرهف وأعلن ذهابه الى الوادى ليقتل الافعوان الذى عاث تخريبا فى الوادى أو يقتله الافعوان .

وما ان اشرف على تل « لوكوى » حتى صاح به الرجلان المختبئان : قف يا هذا ولا تقترب فان الافعوان سيبتلعك فى الحال . ولكنـــه

واصل ســيره قائلا : هذا ما أبغى ، هــذا ما أبغى . وما هى الا خطـوات حتى وجد نفسه وجها لوجه امام الافعـــوان المخيف

ذى الفك الفاغر ككهف « كوندا » وقبل أن يتحرك الثعبان اتخذ طريقه الى فمه حيث تلقفتـه احضان صــديقه القديم . ونسى

الصـــديقان فى غمرة فرحتهما ما بينهما من خصومة وعانق كل منهما الاخر بحرارة ثم تقدما الى داخل جسم الوحش ، وعجبا لوجود الاهالى أحياء يتلمسون الخروج ، وكلمـــا تدافعـــوا الى فم الثعبـــان يبغون الخروج ازدردهم مرة أخرى .

وصمم الصديقان على قتله . وقالا ولو أن كلا منا بذراع واحدة الا انه بشىء من الجهد والعزم سوف يتم القضاء عليـــه .

ولما أعياهما البحث عن كبده ليبتراه اختارا مكانا يبدو انه أسهل وبدآ العمـل منـاوبة

فكان اذا نال أحدهما التعب حل الاخر محله ، وكان الثعبان يتلوى من الالم حتى ان الاهالى رجوهما أن يوقفا التقطيع فى جسد الافعوان

فهم يترجرجون داخل جسم الافعوان الهائل من ناحيـة الى أخرى وما لبث الوحش أن سقط قتيلا وتدافع الاهالى خارجين من فمه مهللين فرحين من السعادة بالنجاة والتفـوا

حول الصديقين مهللين : لقد أنقذتمونا ، لقد أنقذتمونا . وســـاروا جميعـــا الى الزعيم المسكين وكله ندم على قسوته فقرر أن يهب البطلين الحكم معا والرواتب السخية .

أما اهل الرأى فى البلاد فقد اعترضوا على هذا القرار قائلين أنه ليس من المألوف أن يتولى الحكم امير مبتور الذراع مفقود العين اذ كانوا طامعين فى أن يتولى الامر واحد من

أبنائهم ولكن الزعيم العجوز لم يعر اعتراضاتهم أية أهميـة وعزز قراره بأنهما معا يملكان عينين وذراعين وان صـداقتهما قد انتصرت انتصارا باهرا وسيتوليان الحكم معا .

وهكذا حكم البلاد ابن الزعيم وابن العبد « **نجويمانى** » معـا وقد أحبهما وقدرهمـــا الشعب كله منـــذ أن أنقذاه من الافعـوان

الرهيب . ولكن لا ننسى ان احدا من الصديقين لم يخطر بباله قط ان يتزوج من الحسناء العابثة التى أوشكت أن تبث الفرقة والعداء بينهما .

انصاف رياض

الكيان الاجتماعى الجديد فى افريقية

بقلم لمعى المطيعى

تعتبر الكاتبة الانجليزية « لوسى مير » فى كتاب صدر لها حديثا بعنوان (الامم الجديدة) أن تحقيق الشعوب الافريقية للاستقلال السياسى هو أهم ركن فى الكيان الاجتماعى الجديد الذى تشهده القارة الافريقية فى السنوات القليلة الماضية .. والاستقلال السياسى لغالبية الدول الافريقية يعتبر فى حد ذاته تغيرا اجتماعيا هائلا وباعثا كبيرا على التقصير الاجتماعى فى الوقت ذاته . وهذا يدعو الباحث الى ان يعالج أمرين رئيسيين :

الاول — الكيان الاجتماعى ومظاهره فيما بعد مرحلة الاستقلال السياسى .

الثانى — الاوضاع الاجتماعية طوال مراحل الاستعمار .

ومن البديهى أن دراسة الاوضاع الاجتماعية لا يمكن فصلها بشكل آلى على فترات زمنية اذ أن التغيرات الاجتماعية متشابكة معقدة تمثل تيارا واحدا ، وانما المقصود التركيز على المظاهر الاكثر تبلورا فى هذه الفترة أو تلك .. كذلك فاننا عندما نعرض للعوامل الرئيسية التى أدت الى ابراز كيان اجتماعى جديد فى افريقيا ، فليس معنى هذا ان هذه العوامل ينفصل الواحد منها عن الاخر وانما لمقتضيات البحث فقط نعرض لها فى نقاط محددة .

الاستقلال السياسى :

على الرغم من ان الاستقلال السياسى نتاج لعدة عوامل بعضها اجتماعى وبعضها ينصرف الى مظاهر اخرى .. وعلى الرغم من ان الاستقلال السياسى فى افريقيا قد لعبت فيه دورا قوى مختلفة بعضها يرغب فى تغيير اجتماعى شامل وبعضها يؤثر التدرج فى الخروج من الاطار الاجتماعى القديم .. الا ان المسلم به ان الاستقلال السياسى فى افريقيا قد حدد من الناحية التاريخية حدودا فاصلة بين مرحلتين اجتماعيتين .. مرحلة ما قبل الاستقلال بكل علاقاتها الاجتماعية وصراع بعض القوى الاجتماعية الافريقية من اجل التغيير ومرحلة ما بعد الاستقلال حيث أصبحت القوى التى كانت تناضل ضد

الاستعمار ومن اجل كيان اجتماعى جديد اصبحت هذه القوى هى التى تمسك بزمام السلطة وفى وسعها انجاز التغيرات الاجتماعية التى ناضلت من اجلها .. وقد صاحب حركة التحرر الافريقية دعوى التغيير الاجتماعى اذ ان حركة التحرر الافريقية لظهورها فى فترة سادت فيها الاشتراكية كظاهرة عالمية، ولان كثيرا من قادتها تربوا على افكار اجتماعية جديدة ، ولسبب نضوجها فى مرحلة انهيار الاستعمار كظاهرة .. لهذه الاسباب ولغيرها كان على عاتق حركة التحرر الافريقية ان تعمل على تغيير وجه المجتمع الافريقى والا تقف عند حد المطالب السياسية الوطنية .

الوضع العالمى :

منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة وميزان القوى العالمى قد تغير بشكل رئيسى ، فلم تعد الثورات السياسية ثورات داخل اطار النظام القديم وانما اتخذت شكلا جديدا.. وأصبح من الميسور قيام ثورات وطنية ديموقراطية من نوع جديد تهدف الى أوضاع اجتماعية جديدة بعيدا عن النظام الرأسمالى اذ ان النظام الرأسمالى ارتبط بشكل رئيسى فى اذهان الشعوب الافريقية وغيرها بالنظام الاستعمارى الذى قاست منه شعوب افريقيا القهر والاستغلال والجوع والتشرد والحرمان والعبودية .. وفى السنوات القليلة الماضية والتى نضجت فيها الثورة الافريقية أخذت الشعوب تحفظ لنفسها طرقا اجتماعية مستقلة بعيدا عن حتمية هذا النظام الاجتماعى أو ذاك .. واصبح قيام اشتراكيات محلية ظاهرة جديدة على المسرح الاجتماعى العالمى .. هذا وقد تبلورت الثورة الافريقية فى ظل اوضاع اجتماعية جديدة أتاحت لها ان تعمل على بلورة كيان اجتماعى افريقى يجد الفرصة المواتية لينمو ويتطور حسب ظروفه التاريخية وحسب ثمرات القارة وتقاليدها .

التقدم العلمى :

من اكثر الظروف مواتاة للمجتمع الجديد فى افريقيا تلك الظروف الخاصة بالتقدم العلمى فى كافة أوجه النشاط البشرى .. وأصبح امام القارة خبرات العالم كله وكل نتائجه التقدم الصناعى والتكنولوجى وقد اصبح العالم مترابط الاجزاء بفعل تقدم وسائل المواصلات .. وكما قال « كوامى نكروما » فى كتابه (لابد وان نتحد افريقيا) انه ليس من الضرورى على شعوب افريقيا ان تبدأ سلم التطور الاجتماعى البشرى من بدايته وانما فى وسعها ان تغير من مظاهر التقدم العلمى الهائل من حيث انتهى الى أرقى درجاتها .. ولا يخفى ان افريقيا كما أوضح نكروما فى كتابه هذا تحتوى على امكانيات معدنية وغيرها لا حدود لها .. وقد أشار البروفسور « جلكمان » استاذ جامعة مانشستر فى بحث له عن التقدم الصناعى واثره على العلاقات الاجتماعية فى افريقيا الى الجديدة التى بدأت تنتشر فى المجتمعات الافريقية من حيث أهمية العلم والصناعة والتكنيك الفنى .

الطبقة العاملة :

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية زادت سرعة اجتذاب ملايين الافريقيين الى نطاق الطبقة العاملة وتحول عدد هائل من الافريقيين الى الفئات العمالية التى هاجرت من مكان الى آخر .. وقد لعبت الطبقة العاملة الافريقية دورا رئيسيا فى حركة الاستقلال الوطنى . واعطت الحركة الوطنية الافريقية طابعا جديدا هو طابع الثورة الاجتماعية .. ذلك لان عمال افريقيا قد تشبعوا بكثير من الافكار الاجتماعية التقدمية ، ولانهم مارسوا الاستغلال بشكل مباشر انحازوا بشكل صريح وحاسم نحو الافكار الاشتراكية التى تحرر الفرد من العبودية والاستغلال .. صحيح أن نسبة عمال افريقيا فى المجتمع لاتزيد حاليا عن ٨ ٪ الا انهم يزدادون باطراد . ولقد مكنهم وعيهم الطبقى والوطنى واشتراكهم فى المنظمات الوطنية وتركزهم فى المدن من التأثير بعمل كبير فى صياغة المجتمع الجديد فى افريقيا .. وقد ادرك البروفسور «شوب» الاستاذ بجامعة فيلادلفيا ، هذه الاهمية فعكف على دراسة تحول الكثيرين الى عمال

وأثر ذلك فى طابع المدنية الافريقية الجديدة وخرج بنتائج على جانب من الاهمية . وكما سجل البروفسور « فان فلتس » بمعهد شرق افريقيا للابحاث الاجتماعية ان هذه الاهمية تعود الى أن العمال الافريقيين فى المناجم والسكك الحديدية والموانىء وغيرها يحتكون احتكاكا مباشرا بالعناصر الاوربية فاستطاعوا ان يقفوا على تفكير الرجل الاوربى ومكنهم هذا من مواجهته مواجهة حاسمة .

رأسمالية محدودة :

من الظواهر التى تسترعى الانتباه ان التطور الاقتصادى فى افريقيا لم يصل الى الدرجة التى تنشأ فى ظله طبقة رأسمالية بالمعنى الطبقى المعروف .. صحيح أن هناك أفرادا أثروا فى ظل الحكم الاستعمارى .. .. الا انه يمكن القول انه لم توجد فى افريقيا طبقة رأسمالية محددة المعالم .. ويمكن القول ايضا ان الطبقة الرأسمالية الافريقية فى طريق النمو الا ان الاوضاع الاجتماعية الجديدة والاتجاه المتزايد نحو الاشتراكية لن يتيح الفرصة للرأسمالية الافريقية ان تستكمل نموها فى الطريق التقليدى .. ولهذه الظاهرة اهمية كبرى اذ أنها تعتبر احد العوامل الهامة فى تشكيل الوضع الاجتماعى الجديد فى افريقيا .. اذ ان وجود طبقة رأسمالية محددة المعالم فى المجتمع تحدد طبقة المجتمع وتفرض وسيلة تغييره وهذا مالم يتوفر كثيرا فى افريقيا .. فشاهدنا نوعا من التضامن الطبقى امام الاستعمار بدلا من انقسام المجتمع الافريقى .. وشاهدنا نوعا من التعاون فى الاصلاحات الاجتماعية الجديدة بدلا من الصراع الطبقى العنيف الذى يستوحيه انقسام المجتمع الى طبقات حادة محددة المعالم .

طبيعة التعليم !

كان التعليم فى أزمنة ما قبل الاستعمار يتجه أساسا الى سد احتياجات القبيلة وسد احتياجات المجتمع وكانت محدودة وقتئذ ، وكان يكاد يكون محصورا فى تعليم الصبيان الحرف اليدوية ويتوارث الكبار الخبرة والتجربة فى العلاج وضرورة الزراعة والبيئة الجغرافية .. وعندما جاء الاستعمار اتجه الى تعليم الافريقيين الاعمال الكتابية التافهة أى بالقدر الذى يسمح باستكمال دورة الانتاج مع الاحتفاظ بالتعليم الفنى والعالى لابناء الاوربيين فضلا عن ذلك فان التبشير وارسالياته أشرفت بشكل كبير على التعليم واتجهت الى تعليم الصبية ولكن بغرض فرض العقيدة عليهم وجرهم الى مناطق نفوذ الحضارة الغربية .. ومما لاشك فيه أن هذه النظم الغريبة التى نقلها بعض الافريقيين عن طريق التعليم ، قد أحدثت تصدعا فى البناء الاجتماعى الافريقى ، كما سجلت ذلك الباحثة « مرجريت ريد » فى كتابها (التعليم والتطور الاجتماعى فى المناطق الحارة) .. كل هذا جعل التعليم فى الفترة الاخيرة يتجه أساسا الى التخلص من عقدة النقص والى احياء التراث الافريقى المشرق والى الافادة من مختلف الحضارات دون الذوبان فيها فأصبح التعليم الجديد فى افريقيا عاملا رئيسيا فى خلق مجتمع افريقى جديد يقوم على احياء التراث والاهتمام بالارض الفكرية الافريقية وفتح النوافذ لكل الثقافات دون شروط ودون التقيد بمذاهب أصحابها .

المثقفون :

حمل المثقفون الافريقيون مسئولية الافكار الاجتماعية الجديدة .. ولعبوا دورا رئيسيا فى ربط الحركة الوطنية بالحركة الاجتماعية . وقد أحس الاستعمار بخطورة الدور الذى يلعبه المثقفون فى افريقيا ، فعمل كما يقول « سيكورى » على ترويج نظرية (الدمج) وهى تهدف الى ذوبان المثقفين الافريقيين فى قيم الحضارة الغربية وبذلك يسهل عزلهم عن المجتمعات الافريقية الا ان جماهير المثقفين الافريقيين الواعين ارتبطوا بالارض الافريقية وأدركوا أن حياتهم فى الالتصاق بالشعب .. وبذلك استطاعوا ان ينفذوا آرائهم الاجتماعية وساعدهم على ذلك أن غالبية الذين تولوا السلطة بعد الاستقلال من المثقفين فأخضعوا

أجهزة الدولة من أجل الأصلاحات الاجتماعية الجذرية ، فكانوا بذلك احدى القوى التى شكلت الوضع الاجتماعى الجديد في افريقيا . وقد كانت امامهم الفرصة متاحة اثناء تلقيهم العلم خارج القارة فى الاتصال بالحركات الاجتماعية وفى الاطلاع على الافكار الجديدة وكان دورهم الهام فى تمثل هذه الافكار وهضمها وفى بلورتها حسب الواقع الافريقى .

الوحدة الافريقية :

تعتبر فكرة القومية الافريقية اقوى ظاهرة افريقية فى القرن العشرين .. وقد رفع المثقفون الافريقيون خلال ٢٥ سنة خلت شعار الوحدة الافريقية وعقدوا عدة مؤتمرات فى لندن ونيويورك حتى تبلورت الظاهرة فى السنوات الاخيرة على ارض افريقيا فى مؤتمرات اكرا والقاهرة واديس أبابا .. وأهمية شعار الوحدة الافريقية بالنسبة للاوضاع الاجتماعية الجديدة فى افريقيا انه يضرب بشكل رئيسى الحدود المصطنعة التى رسمها الاستعمار فى افريقيا وتقسيم العنصر الواحد الى عدة دويلات وصرف المعركة الى صراع حول هذه المنطقة أو تلك . وأدرك الافريقيون ان قبائلهم الاولى التى عرفت التعاون محال ان تتجزأ حسب خطة مرسومة استعمارية . وبذلك بدأت عقلية افريقية جديدة تتشكل . عقلية تؤمن بوحدة القارة وعقلية تؤمن بخرافة الافكار الانفصالية وعقلية تستمد جذور فكرة الوحدة والتعاون من التربة الافريقية ذاتها .

وهانحن قد عرضنا لثمانية من أهم العوامل التى أثرت فى ايجاد كيان اجتماعى افريقى فى السنوات الاخيرة .. على أن استجابة الشعوب الافريقية لهذه العوامل سواء الداخلية منها أو الخارجية لم تكن على درجة واحدة ولا بحالة كيفية واحدة .. واختلف مستوى التغير الاجتماعى حسب عمق هذا المؤتمر أو ذاك وحسب ظروف هذه المنطقة أو تلك .. الا أن المتفق عليه أن ثمة مظاهر عامة تشكل الكيان الاجتماعى الجديد فى افريقيا وسوف نعرض فيما بعد الى اهم هذه المظاهر .

الاشتراكية :

أصبحت الاشتراكية من أهم أسس الكيان الاجتماعى الافريقى الجديد .. اذ أن الشعوب الافريقية بعد أن نفضت عنها الغبار الاستعمارى رفضت الثوب الرأسمالى نظاما اجتماعيا لها .. كما أنها بدأت الوقت أخذت تطبق القواعد العلمية للاشتراكية حسب الاصول والمطالب والمقتضيات الافريقية .. ولهذا السبب نجد أن الاشتراكية تسير بالتدريج فى افريقيا نظرا لان القطاع الخاص ما زال قويا الا أن تيار التعاون المنحدر من الاصول الافريقية القديمة يخفف كثيرا من علواء القطاع الخاص .. كما أن لاهمية الارض وارتباطها بشكل أساسى بحياة الافريقى جعلت الاتجاهات الاشتراكية فى افريقيا تضع نصب عينيها الاهتمام بالمشكلة الزراعية ذلك لانها تمثل المسألة الاساسية لجماهير الشعوب الافريقية .. على أية حال فان الطابع الاشتراكى يحل بالتدريج محل الطابع القبلى الذى كان سائدا فى المجتمع الافريقى منذ سنوات طويلة .

التطوع الواعى :

وثمة ظاهرة جديدة فى المجتمع الافريقى لا نعتقد أنه يوجد مثيل لها فى مجتمعات أخرى .. وتلك التى تحدث عنها بشكل رئيسى «يوليوس نيريرى» رئيس تنجانيقا والتى تعرف بالعمل الاختيارى أو التطوع الواعى .. ذلك لان البلدان الافريقية فى حاجة الى جهود متواصلة لبناء القارة وخاصة بعد أن تركها الاستعمار دون خيرات ودون مهارات فنية .. وأوضح « أدين » وهو أستاذ بمعهد نيجيريا ظهور اتجاه أخلاقى جديد يدعو الانسان الافريقى أن يباشر التزامه ازاء وطنه الافريقى .. وذلك بأن يعمل على زيادة الانتاج ويسهم فى رخاء المجتمع وسعادة مواطنيه .. وصاحب هذه الدعوى دعوة أخرى ضد التراخى والاتكالية وحث الجماهير على العمل فى فترات دون أجر بالتطوع والاختيار الادارى .. على أن الروح التعاونية ليست جديدة على الشعب الافريقى وانما هى من أصول حياته القديمة حيث التعاون فى الصيد

والزراعة والرعى ومجابهة أخطار الطبيعة ، وليس من الغريب أن نجد فى كتابات زعماء أمثال « سيكوتورى » وغيرها اشارات واضحة الى الروح التعاونية الافريقية الاصيلة .. ونجد فى الفترة الاخيرة بعض قادة تنجانيقا ينزلون الى المجالات الشعبية ويشاركون فى الاعمال اليدوية وهم بذلك يضربون المثل على التعاون وعلى احترام العمل اليدوى بذات الوقت وتكريم القائمين به والتخلص من رواسب المجتمعات القبلية .

التضامن الطبقى :

ان من يتناول مراكز القسوى فى المجتمع الافريقى الجديد بشكل علمى يلمس بوضوح درجة كبيرة مما يمكن أن تطلق عليه (التضامن الطبقى) .. فهذا النوع من التضامن الطبقى أن الثورة الافريقية يدفعه ايجابية هائلة .. وبذات الوقت ساعد على تشكيل الصورة الجديدة للمجتمع الافريقى .. والدارس للكتابات كثير من زعماء افريقيا يلمس الى أى مدى كان المجتمع الافريقى القديم ينبذ الفوارق الطبقية الصارخة ويعيش على نوع بدائى من التعاون الذى كانت تفرضه طبيعة الحياة والبيئة والاوضاع الاقتصادية .. ثم بدأت هذه الفوارق بشكل صارخ تجد طريقها الى المجتمع الافريقى بدخول الاستعمار واحتكاره للارض وتقربه الى بعض العناصر فيغدق عليهم المال والمناصب ويحاول شراء ذمم بعض الكفايات الى آخرهذه الاساليب .. الا أن الحركة الوطنية الافريقية استطاعت أن تستعيد أرضها الافريقية الاصيلة .. فلم يكن من الغريب أن يتضامن العمال والفلاحون والمثقفون والفئات الرأسمالية الناشئة وحتى كثير من زعماء القبائل .. وهذه ظاهرة هامة انعكست آثارها على الاوضاع الاجتماعية الجديدة فى افريقيا .

احترام العمل :

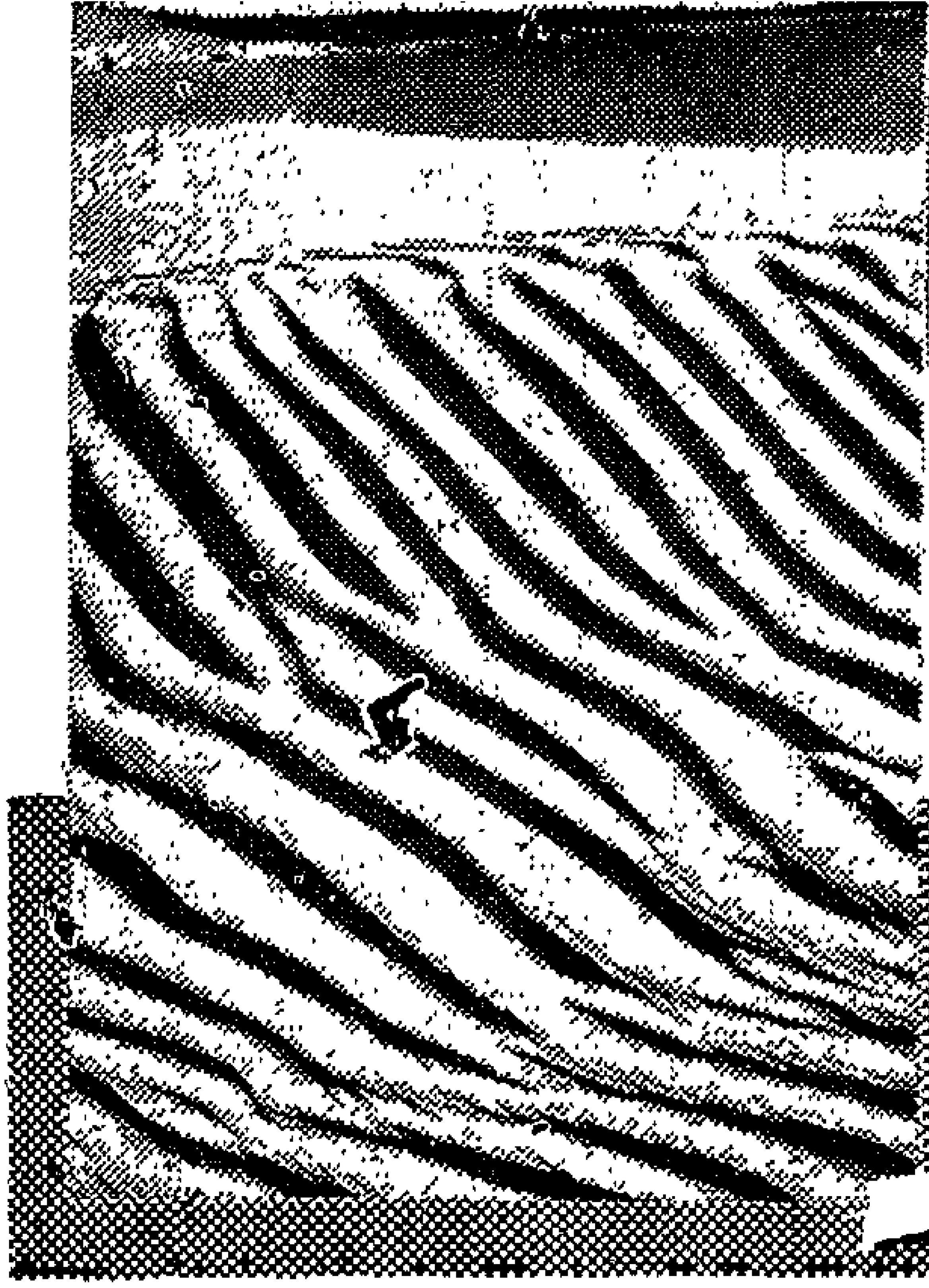
الظاهرة التى بدأت تبرز وهى خاصة بالدعوة الى احترام العمل ليست جديدة على افريقيا ، فأهالى افريقيا الغربية يحترمون الحداد والحدادة ، وقبائل البانتو جنوب خط الاستواء يضعون النجارة فى صف أعمال النبلاء .. ويبلغ من احترام قبائل البالوبا لهذه المهنة أيضا ، أنهم يضعون على رأس النجار فأسا تزينه رأس ، وهو زى يرتديه الملك أيضا .. وجاء الاستعمار فأصبح العمل من اختصاص الرجل الاسود والتفكير من اختصاص الرجل الابيض ، ونظروا للعمل باحتقار كنظرتهم للقائم به .. ويخشى أن تكون هذه العقلية قد أفسدت نفوس بعض الافريقيين أنفسهم .. لهذا اشتدت فى السنوات الاخيرة الحملة لاحترام العمل حتى أصبحت العقلية التى تحترم العمل جزءا رئيسيا من المجتمع الافريقى .

المرأة الجديدة

فى محاضرة للرئيس سيكوتورى فى كوناكرى أشار الى أن الاستعمار رتب الرجل والمرأة هكذا .. الرجل الابيض فالمرأة البيضاء فالرجل الاسود فالمرأة السوداء وأوضح أن الرجل الاسود ورث عقد النقص من معاملة المرأة البيضاء له فراح يضطهد المرأة الافريقية .. الا أن المرأة الافريقية فى المجتمع الافريقى الحقيقى لم تعرض الاضطهاد وكانت جماعات كثيرة تسمىباسم المرأة تكريما لها ..

وبمشاركة المرأة الافريقية بدور ايجابى فى الحركة الوطنية استطاعت أن تسعى لتسترد مكانتها الحقيقية وتصبح المرأة الافريقية الجديدة عنصرا هاما فى الكيان الاجتماعى الافريقى الجديد .

« لمعى المطيعى »



صحراء الجزائر

عرض وتلخيص خديجة قاسم

تبلغ مساحة صحراء الجزائر ٧٥٠٫٠٠٠ ميل مربع تقريبا .. وتمتد صحراء الجزائر الى الشمال حتى تصل الى الارض الزراعية للجزائر ، والى الغرب حتى المغرب والصحراء الاسبانية وموريتانيا ، والى الجنوب (مالي) والنيجر وتشاد ، الى الشرق حتى ليبيا وتونس .

وقد تم احتلال بعض الواحات مثل واحة الاغوات Laghouat سنة ١٨٤٤ ، وواحة وارجلا سنة ١٨٥٢ ، ولكن القوات الفرنسية لم تصل الى توات Tuat وجورارا ، وكولومب بيشار الا فى عام ١٩٠٠

وتم الاتصال بتشاد فى نفس العام تقريبا ، ثم صدر قانون فى عام ١٩٠٢ بانشاء منظمة خاصة للاراضى الجنوبية ومن ناحية أخرى ، لم يتم احتلال تلك المنطقة التى كانت معروفة من قبل باسم صحراء المغرب الا حين تم احتلال مراكش نفسها ، ولم تتدخل القوات الفرنسية « تاندوف » Tanduf الا عام ١٩٣٤ ولذلك ظلت المنطقة الغربية تحت ادارة « عين صفره » لاسباب ادارية وان كانت من الناحية العسكرية تتبع القيادة العسكرية لمراكش والجزائر ، والتى كانت مركز قيادتها فى جنوب مراكش ، ثم أصبحت بعد ذلك فى أغادير ، فى أقصى الشمال ...

الجغرافيا :

كثيرا ماوصفت هذه الصحراء فى الكتب ، وكثيرا ماصورت فى الصور الفوتوغرافية أو السينما ، وظهرت خطوطا عريضة من الرمال والصخور ، حتى تعود عليها القراء . وللصحراء أيضا مرتفعاتها التى تسمى بالحماوات كما توجد فى جنوبها الشرقى سلسلة مرتفعة من الجبال ، تسمى الحجار Haggar وهى ترتفع ٩٫٨٤٣ قدما.

كما أن درجة الحرارة تتغير من جهة لاخرى باختلاف الفصول ، فبينما يسقط الجليد فى الشتاء فى تندوف تصل درجة الحرارة الى ٥٧ مئوية (١٣٥ فهرنيت) كما أن درجة الحرارة تختلف بين الليل والنهار. ودرجة الجفاف شديدة ، والامطار غير منتظمة ونادرة ، وتهب الرياح على الرمال فتدفعها وتشكلها على هيئة مرتفعات تظهر فى الفضاء.

أما الزراعة فنادرة لانها تعتمد على المياه التى فى باطن الارض .. وتظهر بظهور المطر غير المنتظم ...

السكان :

قليلون نسبيا ، فهم أكثر قليلا من ٨٠٠٫٠٠٠ نسمة كلهم من المسلمين ، ماعدا قلة من الموظفين الاوربيين والتجار والفنيين.

وهؤلاء السكان موزعون ، ويعيشون حول واحات النخيل التى تضمن الزرع ، وتحمى القرى المعروفة « بالقصور » مثل واحةالمدن السبعة فى مزاب Mazab أشهرها واحة « الفاردية » وبقية السكان من الرحل وأغلبهم يملكون الأبل ومن بينهمسكان الطوارق التى اشتهرت بأن أهلها يلثمون وجوههم ، كما اشتهرت بالرمح والسهم والدرع .

وكأغلب المقيمين فى الصحراء ، يتحدث هؤلاء السكان اللغة البربرية أيضا .

ولقد احتفظ سكان الطوارق بتنظيم اجتماعى تلعب فيه المرأة دورا هاما ، لعله من مخلفات النظام الامو ى كما ان لهم حروفا تشبه حروف اللغة الليبية القديمة ويطلقون عليها تفيناغ « Tifinagh

وقد صدرت المؤلفات الرومانتيكية الأدبية وظهرت أفلام سينمائية حول الرجال الملثمين ، ونادرا ماكانت تحوى نقدا لهم .

ومع ذلك فان نوع الحياة التقليدى فى الصحراء يصور كحياة الأسكيمو — قمة من القوة الفريدة للجنس البشرى التى تمكنه من التلاؤم مع عالم ملىء بالعداء والقسوة .

الادارة :

كانت الصحراء الجزائرية مقسمة الى أربع مناطق عسكرية :

عين صفرة ، وغاردية ، وتوجورت ، والواحات وفى عام ١٩٥٧ ضمتهذه المناطق ، وأصبحت منطقتين — الواحات فى الشرق وعاصمتها الآغوات وساورهفى الغربوعاصمتها كولومب بيشار .

أما المواصلات فهناك خمسة طرق تعبر الصحراء من الشمال الى الجنوب :

تندوف — السنغال وهو الطريق رقم (١) وموريتانيا — كولومب بيشار — جوا الطريق رقم ٢) .

الجوليا — تحوا (رقم ٣) .

وارجلا — تحوا (رقم ٤) .

ويتصل بالطريق رقم (٣) فى شمال تمتحاسيت ، (تونس) — قلعة سانت بيلما (رقم ٥) .

الموارد :

مكنت المناجم فى منطقة «كولومب بيشار» بالقرب من الحدود المراكشية مكتب تنظيم الصناعات الافريقية الذى أنشىء فى عام١٩٥٢ من تشغيل « منطقة التنظيم الافريقى » ، حيث تنتج مناجم الفحم فى كينادسا اكثر من ٣٠٠٫٠٠٠ طن .

وأهمية هذه المنطقة الاستراتيجية ترجع الى انشاء مركز تجربة « الآلات الخاصة »، وتضم أكثر من ١٠٠٠ فنى وهناك كثير من الاكتشافات الاخيرة، التى غيرت تمامامستقبل الصحراء الاقتصادى .

فهناك أولا الحديد فى « جاراجبليت » فى جنوب غربى تيندوف بالقرب من الحدود المغربية .

وهناك مناجم تشبه مناجمالحديد «كيرونا» فى السويد وتوجد هذه المناجم قريبا من سطح الارض ، وتقدر بثلاثة آلاف مليون طن ... ولا بد من نقل هذا الحديد ، عنطريق السكة الحديد غالبا على طول ٥٠٠ كيلومتر، بحيث تنتهى بالقرب من فوهة نهر « درا » Dra ، ويتكلف هذا المشروع ٨٥ مليار فرنك لينقل مالا يقل عن ٥ مليون طن .

بل ان البترول بعث آمالا أكبرمنالحديد، اذ يوجد فى جانبى مسعود ، جنوب غربى وارجلا ، احتياطى لايقل عن ٣٠٠ مليونطن فى مساحة عرضها ١٥٠مترا وعمق ٣٠٠٠متر.

وهناك خط أنابيب بترول قطره ٦بوصات من جانبى مسعود الى توجورت ، وقد بدأ خط حديدى من ميناء الجزائر الى فليفيل. فى يناير ١٩٥٨ ، وانتهى كذلك من مد خط أنابيب قطره ٢٤ بوصة من جانبى مسعود الى بوجى .

وهناك أيضا مستودعات علىالحدود الليبية فى العجيلة وتنجنتورين Tinguentourine

وتستطع الان نقل ٤ ملايين طن فى العام بواسطة أنابيب البترول .

وفى جنوب عين صلاح ، فى وسط الصحراء تماما ، يوجد جيب ضخم من البترول ، ويبدو ان هذا الجيب يحوى ١٠٠٠٠٫٠٠ مليون متر مكعب من الغاز (يساوى ١٠٠ مليون طن من البترول) أى يبلغ ربع الغاز فى فرنسا (فى منطقة لوك) — وهذا التقدير طبقا لاحصائية لأندريه لابارت ويبلغ ضعف الغاز الموجود فى وادى بو Po وهذا الغاز يمكن ان يلعب دوراحاسما فى تصنيع الجزائر، كما لعبت منطقة الميثين نفس الدور فى ايطاليا .

ويتكلف انشاء خط أنابيب غاز يصل الى الشاطىء ٢٥ مليار فرنك . **ونظرا لبعد هذا المكان فلا يزال غير مستغل حتى الان .**

وأخيرا ، يوجد فى جانبى رميل فى منطقة لانجوات ، والتى تبعد ٤٥٠ كيلو مترا عن الجزائر والتى اكتشفت فى عام ١٩٥٧ ، مالا يقل عن ١٠٠ مليون طن من البترول ، أو مايوازيها من الغاز .

وبذلك يقدر احتياطى الصحراء ، الذى اكتشف ٥٠٠ مليون طن ، وسيعطى ٢٥ مليون فى السنة لو استخدمت الوسائل العادية لاستخراجه .

وقد أدت هذه الارقام الى اقناع مهندس يسمى أميل بليم الى المطالبة فى وقت مبكر، أى فى عام ١٩٥١ بتأميم الصحراء .

فقد فرغ هذا المهندس من توزيع هذه الثروة الضخمة بين مقاطعتين جزائريتين ، وبين تونس ومراكش وبين الاراضى الواقعة الى الجنوب فى اتجاه النيجر ومالى ، وقد قام المتحمسون لتنفيذ مشروع « الصحراء الفرنسية » بحملة أدت فى النهاية ، وفى يناير ١٩٥٧ الى اصدار قانون من البرلمان بانشاء المؤسسة المشتركة للمناطق الصحراوية»

Organisation Commune des
O.C.R.S. Regions Sahariennes.

وتشمل هذه المؤسسة منطقة واسعة من الاراضى اذ تضم الى الصحراء جزءا من (مالى) والنيجر ، وتشاد أما موريتانيا ، وهى مأهولة بالسكان نسبيا ، فقد عارضت الانضمام الى هذه المؤسسة .

وتشمل هذه المؤسسة أراضى واسعة ، تبلغ مساحتها ٤ كيلو متر مربع ، ويسكنها مليونا نسمة ، وكان المفروض أن يشرف على هذه المؤسسة مجلس أعلى يتكون من ٣٢ عضوا ، نصف الاعضاء من سكان الصحراء ونصفهم من فرنسا .

وعلى أن يتولى السلطة التنفيذية مندوب عام ينفذ قرارات اللجنة العليا ، ويمثل الجمهورية الفرنسية ، ويضمن النظام . وامن أراضى الصحراء ويمكن لهذه المؤسسة ان تبحث عن انضمام الاراضى المجاورة وان تعقد معها الاتفاقيات .

وقد بدأت منذ عام ١٩٥٣ اربع شركات فى التنقيب :

الشركة الاهلية للابحاث واستغلال البترول فى الجزائر SN. Repal والشركة الفرنسية لبترول الجزائر C.F.P.A. وشركة بترول الجزائر C.P.A. وتمتلك فيها شركة شل ٦٥ ٪ ، وشركة الابحاث واستقلال بترول الصحراء Creps

وقد تجددت تصريحات التنقيب التى انتهت عام ١٩٥٧ وبدأت الشركات الامريكية المستقلة فى منافسة المصالح الفرنسية ، وبدأت أول شركة فرنسية فى مفاوضة شركة ستاندارد أويل أوف نيويورك الامريكية .

ويبدو أن العقبات الفنية قد ذللت ، وهى قلة الماء والمناخ والنقل ، والى حد ما القوة العاملة .

ولا شك أن مشكلة حرب التحرير الجزائرية أثرت فى مشروعات نقل البترول الى الشاطىء واستلزمت مشروعات عسكرية لحماية أنابيبه من التخريب . ونتج عن ذلك وضع نظام بوليسى شمل المنطقة كلها ولم يفلح هذا النظام وتبين انه لايمكن ضمان نقل البترول الا فى حالة واحدة وهى عودة السلام الى الجزائر والى الصحراء .

وتعتبر الحكومة الفرنسية اكتشاف منابع القوى الهامة فى الصحراء فرصة كبيرة لضمان كفاية حاجة فرنسا الى البترول .

وقد بلغ استهلاك فرنسا فى عام ١٩٥٧ للبترول ٢٤ مليون طن وهو يقل عما يحتمل استخراجه من الصحراء سنويا . ولا بد من حساب الطاقة الذرية ، ولكن البترول

سيظل قوة لا تحل محلها قوة أخرى ، على الاقل فى الصناعات الخفيفة .

ولا شك أن اكتشاف البترول سيسهل قيام صناعات فى الجزائر ذاتها ، اذا أظهرت فرنسا روح التعاون والاخلاص مع الحكومة الجزائرية .

ولا بد ان ندخل فى الاعتبار الدول المجاورة ، تونس ومراكش لان تونس هى نهاية خط انابيب البترول (العجيلة) ولان مراكش مركز تصدير حديد تندوف .

وقد حدث تطور جديد فى هذا الموضوع حين قررت حكومة تونس فى صيف ١٩٤٨ بناء خط انابيب بترول من العجيلة الى الميناء التونسى « سخيرة » . وقد أثارت هذه الاثناء احتجاج جبهة التحرير الجزائرية التى قالت ان هذا القرار انتهاك لقرارات مؤتمر طنجة ، التى نصت على التنسيق بين السياسات الخارجية لتونس ومراكش وجبهة التحرير الجزائرية .

وطلبت الجبهة عقد اجتماع سريع للسكرتارية الدائمة للجمعية العامة ، وهى سكرتارية تقرر تكوينها طبقا لقرارات نفس المؤتمر . ثم قامت حكومة مراكش بعد ذلك بانذار الشركات الاجنبية التى تبحث عن الحديد فى فورت جورو بموريتانيا ، وقالت ان هذه الشركات تقوم بابحاثها على مسئوليتها الخاصة نظرا لمطالب المغرب فى موريتانيا .

ومهما يحدث فلا مجال للسؤال ، ولا بد من حرمان الصحراء ليست عالما « فارغا » وليست عالما بمفرده .. اذ لايمكن فصلها بعيدا عن شواطئها .. وقد كان السكان الرحل يحتاجون دائما الى مبادلة السكان المقيمين ،فيأخذون حبوبهم وبلحهم ويعطونهم ملحهم وحيواناتهم . ولا زالت مشكلة الماء اللازم للزراعة لم تحل ، ولا يزال ٩٠ ٪ من عدد السكان محرومين من الأرض القابلة للزراعة . كما ان الرحل يتعرضون لنقص المياه ، وقد فقدوا نتيجة ذلك من ٤ الى ٥ ملايين رأس غنم بين عام ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ .

وتبلغ الميزانية المتوسطة فى عام ١٩٤٦ فى الحجاو ١٠٥ كيلو جرام من الحبوب ، ٦٠٠ فرنك لرأس الغنم وللرحل ١٤٥ كيلو من الحبوب ، ١٢٠٠ فرنك .

وهذا المجتمع التقليدى فى طريقه الى التحلل . وظهور الصناعة سوف يعجل بهذه النهاية .

والقوة العاملة فى هذه المناطق هى القوة العاملة الوحيدة التى تستطيع احتمال حرارة الجو فى كل الفصول ، ومن السهل تشغيلهم وهم لا يكلفون غالبا . فمن بين ٣٠٠٠ عامل يعملون فى شركة « جنوب وهران » يوجد ٢٢٠٠ من الرحل .

وقد التزمت المؤسسة المشتركة للمناطق الصحراوية O.C.RS باطعام الاهالى ، وهذا يحتم البحث عن موارد مائية وضرورة ترك الناس يعيشون فى جو يناسب طباعهم وضرورة الاهتمام بالمعونة الصحية . ولا بد من توفير التعليم الاولى . فحتى عام ١٩٤٥ كان عدد التلاميذ فى مدارس الجزائر الجنوبية ٢٠,٠٠٠ طفلا .

ويجب ألا ننسى ان ١/٢٠ من نفقات التنقيب يمكن ان يغطى نفقات تغذية سكان واحات الصحراء ، وحماية البدو الرحل من المجاعة .

ولا بد من اشراك أهالى الصحراء فى الاستغلال ذاته ، وفى المكاسب غير المباشرة التى قد تعود من الصناعات فى المستقبل ، ولا بد من استشارة هؤلاء الذين يهمهم الامر ، لان من حقهم أن يدلوا أيضا بآرائهم .

خديجة قاسم



أضواء على مدينة منروفيا

بقلم : عواطف عبد الرحمن

أنشئت مدينة مونروفيا فى ٢٥ يوليوسنة ١٨٥٧ وسميت باسم الرئيس جيمس مونرو الرئيس الخامس للولايات المتحدة الامريكية الذى أيد فكرة انشاء وطن للزنوج الامريكيين على الساحل الغربى لافريقيا .

وقد كتب أحد قباطنة البحر كابتن ا . شيرمان سنة ١٨٣٠ يقول عن منروفيا (فى خلال العامين الاول عاش المهاجرون فى منازل مسقوفة بالقش ومنذ حوالى ٥ أعوام أقيم أول مبنى شيد من الخشب والالواح أقيم فى مكان المدينة الحالى فى وسط غابة من الاشجار وتتكون منروفيا حاليا من ٩٠ مبنى ومخزن ومبنيين للعبادة ومبنى للمحكمة ويبلغ عدد سكانها ٧٠٠ نسمة) .

وعندما زارها الرحالة المشهور سير هارى جونستون سنة ١٩٠٥ وجدها مدينة يغلب عليها طابع متشابــه فى المساكن وتخطيط الشوارع مسورة بأدغال من الاشجار والحدائق تحيط بمعظم البيوت وتشــبه الى حد كبير ولايات امريكا الجنوبية وكان عدد الســكان حينئذ ٢٥٠٠ نسمة . وقال جونستون عنهــا انها كانت اعلى فى المستوى الصحى من سيراليون وســاحل العــاج وســاحل الذهب (غانا) ولاجوس رغم انه لاحظ وجود البعوض والملاريا بشكل واضح ..

وعندما زارت البعثة الامريكية (بعثــة هارفارد) مدينة منروفيا سنة ١٩٢٧ كتبت تقول ((مدينة منروفيا مقــامة على طول ٥ شــوارع تمتد بموازاة بحيرة ميســورادو وتتقاطع هذه الشوارع الخمس بزوايا مستقيمة مع أربعة شوارع أخرى وهى فى العادة ثلاثية غير مستوية وكى يصل الشــخص الى الجزء السكنى فى المدينة لابد أن يصعد طريقا مليئا بالاحجار يرتفع الى نحو ٢٠٠ قــدم وشارع واحد فقط هو المرصوف اما الباقى فيحتوى على قليل او كثير من الحشــائش او الخضر المزروعة وبعض هذه الشوارع صخرى وغير مستوى فى بعض اجزائه وهــذه الشوارع ليست لها ارصفة ولكن يوجــد على جانبى الشوارع قنوات تمتلىء بالمياه فى بعض فصول السنة حيث تصبح مستودعا للبعوض الذى يترتب عليه انتشار امراض الملاريا والحمى الصفراء)) ومعظم المساكن مبنية من دورين واحيانا ثلاثة ، وهى عموما من الخشب رغم انها احيانا من الطوب وتحتوى على اســقف وجدران مطعمة بالحديد وهذه المساكن لها فراندات واسعة مغطاة لحمايتها من المطــر والشمس وكثير من هذه المنازل لها حدائق صغيرة وهى عموما مساكن مريحة مثل مبنى المجلس التنفيذى الذى يعد نموذجا للمبانى فى منروفيا والى الان لا تملكه الحكومة ولكنها تستأجره مقابل ١٢٠٠ جنيــه استرلينى فى العام وكذلك هناك عــدد كبير من الشركات الاجنبية والبعثات الدبلوماسية تحتل مساكن

مريحة ومشيدة بشكل ثابت ومن المبـــانى الضخمة العظيمة فى منروفيا مبنى كليـة منروفيا التى تبعـــد عن منروفيا ١/٢ كيلو تأسست سنة ١٩٢١ باشراف اسقف كنيسة ميتوديست الافريقية وهى تحتل مبنى ثابتا مكونا من ٣ أدوار محـاط بالفراندات وقد تكلفت مبالغ ضخمة . ولا يوجد فى منروفيـا مرفق مياه عمومى ولا نظام حديث للمجارى ومياه الشرب تأتى اساسا من الابار وصهاريج المياه التى تتجمع فيها مياه الامطار وهنـاك جزء من الحى السكنى يوجد به مستنقعغير صحى يستخدم فى غسـل الملابس ويعد مأوى للبعوض وخاصةبعوضة الانوفيليس ــ وتمتاز منروفيا بوجود اشجار الفواكه الاستوائيـة وشجيرات الزهور واشجار السنطوالياداباب والموز والبرتقال والليمون وجميـــع انواع النباتات والفواكه التى لا تحتاج الى عنـاية او موالاةموجودة فى منروفيا وذلكلان الاديكوـ لبيريون ليسوا زراعا ممتازين وهم يعيشون على الاغذية المحفوظة المستوردة وفىالاسواق

لايجدالشخص كميات كبيرة متنوعة منالخضر الطازجة والماشية نادرة ولكن الماعز متوفر . ويوجد فى منروفيا شبكة كهربائية صـــغيرة ومصنع للثلج كما انها تتمتع بخدماتسلكية ولاسلكية مع العالم الخارجى وهناك هيئـة بريد حكومية فى منروفيـا وليس من الامان ارسال الخطابات عن طريق هيئة البريدحيث يتم الاستيلاء على الطـوابع الموضوعة عـلى الرسائل وبالتالى تختفى الخطاباتوالاجانب عادة يفضلون ارسال خطاباتهم عن طـريق البواخر والسفن التى تبحر منالساحل . هنـــاك بنك وحيـــد فى منروفيا هو البنك البريطانى لغرب افريقيا ويستخدم اللغـــة الانجليزية فى معاملاته وهناك حوالى مائة او مائة وخمسين رجلا ابيض يعيشون فىمنروفيا اغلبهم امريكيون وانجليز والمان وعـــددهم يتعرض للصعود والهبـــوط بين آن وآخر ومعظمهم يعملون فىالشركات الاوربيةوالامريكية ويمكن القول ان ١٠ ٪ من اعمال منروفيـــا هى فقط فى ايدى الاديكو ــ لبيريون .

واى انسان يدخل منروفيا منذ نشـأتها الى الان يلحظ ان سكانها من هواة الذهاب الى الكنيسـة واول كنيسـة اقيمت فىمنروفيا كنيسـة البروفدنس بايتست ســنة ١٨٢٢ ويوجد بها الان ٦ كنائس ضخمة ولا يوجد فى منروفيا دار كتب ويسكن منروفيا بالاضافة الى الاديكو ليبريون عـــدد من الزنوج من المستعمرات البريطانية على ساحـــل غرب افريقيا مثلسيراليونوساحل الذهبونيجيريا وهناك قليل من سكان جزر الهند الغربيـــة وغيانا البريطانية . ويدير مدينة منروفيـــا محافظ يساعده مجلس بلدى مكون من مدير الامن ومدير الاشغال العامة ومفتش الصحة الذى لا يلم بأى معلومات طبيـة . وموارد المدينة من العقارات الثابتة والضرائب وطبقا للتقديرالنهائى عنعاداتمنروفيا منالضرائب فهى تزيد عن ٦٥ الف استرلينى ورغم عـدم وجود سينمات ومسارح وفنادق فى منروفيا فى ذلك الوقت منذ كانت تصدر بها صـحف موسمية وجاءت اول مطبعة الى مونروفيـــا سنة ١٨٢٦ وصدرت فيها اول صحيفةافريقية (**لبيريا هيرالد**) سنة ١٨٣٠ تستخدم مدينة منروفيا نظاما كهربائيا غريبا فبدلا مناستخدام نظام الاضاءة بالميتر فانهـا تجبى ضريبـة الاضاءة بقيمة دولار فى السنة من كل مواطن فىمنروفيا وضواحيها سواء استخدمالكهرباء أم لم يستخدمها وهذه الضريبة تلقىمعارضة قوية من جانب قبائل الكرد التى تســـكن مدينة كروتون ولا يستخدمون الكهرباء على الاطلاق .

يقول مستر سميث همبستون فى كتـابه (افريقيا الجديدة) ان اول سيارة دخلت منروفيا بعد سنة ١٩١٦ وذلك لان الطـريق المرتفع ظل حتى سنة ١٩٤٨ مكونا من حوالى ميل وربع فقط من الطرق المرصوفة وكان الليبريون ذوو النفوذ ينتقلون فى الداخـل على سرائر من الشبك يحملها العبيـــد اما باقى السكان فكانت كل تنقلاتهم علىالاقدام وكان ارسال برفيـــة من شركة فايرستون للمطاط الى اكرون او اوهايو (حيث بينهما اتصال لاسلكى) يستغرق وقتـــا اقل من ارسالها الى منروفيا التى لاتبعد عن شركـة فايرستون اكثر من ٤٠ ميلا .

وقد وصف العالم السياسى لورد هيلى مدينة منروفيا **بأنها مستودع دائم للامراض وتقدر اصابات الملاريا بين سكانها حوالى ٧٠ ٪ واحصائيات الوفيات بين الاطفال ٢٥ ٪ ولا توجد احصائيات دقيقة) .**

نحو مدينة منروفيا

اى كتابات عن مدينة منروفيا قبل سنة ١٩٥٠ كانت تذكر الطرق غير المرصوفة التى تعترضها الصخور وعدم وجود فنادق وتليفونات وسيارات اجرة ولا مجارى ولا مبانى حديثة وكل هذا كان صحيحا فى ذلك الوقت ولكن انتعاش اقتصادها فيما بعد غير كل جوانبها وان لم يرفعها الى مستوى مدنية مثل باريس او حتى بتسبرج فى افريقيا .

فقد اتسعت العاصمة وامكن ربطها بجزيرة بشرور عن طريق كريدى على نهر ميسورادو واصبحت جزيرة بشرود ضاحية صناعية تزخر بالنشاط التجارى حيث يوجد ميناء منروفيا الحر ومصايد للاسماك ومصنع للصلب ومصنع الثلج ومعملين لعصر البذور وعدة جراجات ومصانع للاثاث ومخزن لخام الحديد من تلال يومى وفى الطرف الاخر من المدينة توجد مامبا بوينت التى يبلغ ارتفاعها ٨٠٠ قدم فوق المحيط الاطلسى ويوجد فيها السفارات الاجنبية والفنادق الفاخرة وتمثال د ح . ج روبرتس أول رئيس لجمهورية ليبريا وهناك منطقة كامب جونسون وهى حى آخر فى المدينة ينمو بسرعة يقع فى الطريق الى بلدية منروفيا ووجد به مبنى البرلمان والمحاكم ومصلحة الاستعلامات ويبعد عنها بقليل حى سنكور الذى كان يوما ما مقر قبائل النساى pais ولكنه الان موطن للمساكن الحديثة وعلى طول الطريق يوجد مطار جيمس سيرجس باين .

اما فى قلب المدينة فتوجد دار الحكومة ومقر رئيس الجمهورية ويعد بمثابة مركز الاعصاب بالنسبة لمنروفيا ويوجد بالقرب منه المبنى التاريخى (البهو المئوى) الذى اعلنت منه ليبريا استقلالها سنة ١٨٤٧ واقسم فيها اول رئيس لليبريا ج.ج روبرتس اليمين وخلفه باقى رؤساء ليبريا وهو ايضا مقر اذاعة ليبريا وفيها محطة اذاعة ليبريا الجديدة التى تصل الى جميع دول غرب افريقيا والعاصمة الصغيرة بها نظام آلى حديث للتليفونات ومحطة للبرق عبر المحيط ويوجد بها الان ١٠ فنادق جميعها مزودة بالمياه الجارية واجهزة تكييف الهواء .

ومنروفيا لها الان مطارها (روبرتس فيلد) تكلف انشاؤه ٥ ملايين جنيه استرلينى قامت بدفعها الولايات المتحدة الامريكية وقبل ذلك كان المسافرون يأخذون طائرة من روبرتس فيلد الى منطقة كبيرة من منروفيا ثم يسيرون فى طريق صخرى غير مرصوف يبلغ طوله ٥٠ ميلا حتى يصلوا الى منروفيا .

وفى خلال هذه الفترة تم تنفيذ اهم مشروع فى تاريخ ليبريا وهو بناء ميناء منروفيا سنة ١٩٤٨ فقد تأكدت الولايات المتحدة الامريكية بعد قيام الحرب الثانية من اهمية ليبريا الاستراتيجية وكانت أهمية ليبيريا من الناحية الاستراتيجية قد وضحت لامريكا منذ زمن حتى قبل مشروع شركة فايرستون للمطاط سنة ١٩٢٦ الخاصة باقامة ميناء ولكن ارجىء المشروع عندما تبين انه سيتكلف اكثر بكثير من ٣٠٠ الف استرلينى وهى القيمة التى حددتها فايرستون فقد كانت تدرك امريكا جيدا ان اتخاذ ليبريا مكانا للزنوج لن يفتح لها بابا الى داخل القارة الغنية فحسب بل سيهيىء الارض الملائمة لاقامة قاعدة بحرية لن تمكن امريكا من السيطرة على الساحل الغربى لافريقيا فقط بل وسوف تقصر المسافة مع جنوب امريكا .

وتم توقيع اتفاق بناء الميناء فى منروفيا فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ويعطى الولايات المتحدة الحق فى انشاء واستخدام وابقاء جميع تجهيزاتها العسكرية فى الميناء من أجل حفظ مصالحها فى جنوب الاطلنطى ولا ينص العقد على موعد انتهاء السيطرة الامريكية على الميناء واعادته الى ليبريا ويبدو أن ذلك لن يتم الا بعد الوفاء بكل تكاليف الميناء للحكومة الامريكية .

كانت جميع الاعمـــال التجارية فى ايدى اللبنانيين اما الان فقد بدات الشركات الالمانية السويسرية والايطالية والامريكية تدخل الميدان والمراكز التجارية فى منروفيا هى ووترستريت وطريق كامب جونسون . ولا شك ان الشركات الاجنبية زودت منروفيا بالحـركة النـامية بالاضافة الى المراكز الساحلية الاخرى وهى هاربر وجرين فيل وبوكانان وروبرتس بورت وداخل البلد .

ويجرى العمل فى محطـة توليد الطاقة فى جزيرة بشرود بينما تجرى المفاوضات لتمويل مشروع الكهرباء الذى سيتكلف ٣٠ مليـون استرلينى .

اما الطرق ففى سنة ١٩٣٨ لم يكن يوجد فى ليبريا كلها اكثر من ٢٠٠ ميل من طـرق السيارات غير المرصوفة ارتفعت سنة ١٩٥٢ الى اكثر من الف ميل وقد تم رصف نصف الطريق المرتفع الرئيسى الذى يمتد من العاصمة الى الحدود الشمالية والطريق المرتفـع من هذه النقطة الى حدود سيراليون ثم رصفه ايضا وكذلك الطـريق المرتفع الدائرى من اقصى الشـمال الى اقصى الجنوب عند نهاية المدينة على وشك الانتهاء منه اما الطـريق من منروفيا الى بوكانان فقد تم رصفه وتم أيضا مد خط حديدى طوله ٤٥ ميـلا من منروفيا الى تلال بومى حيث منـاجم خام الحديد .

ومن معالم منروفيا الحـديثة دار البلدية التى تم تخطيطها فى سنة ١٩٥٦ وبدا العمل فيها فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ وتم اكمالهـا فى اغسطس سنة ١٩٥٩ وقد حضر حفل افتتاحها فى ديسمبر سنة ١٩٥٩ جميـع عمد غـرب افريقيا والمبنى الجديد يشمل مسرح وحجرة للاجتماعات الدولية وقد خطط المبنى عـلى اساس اتصاله بالاذاعة والتليفزيون .

عواطف عبد الرحمن

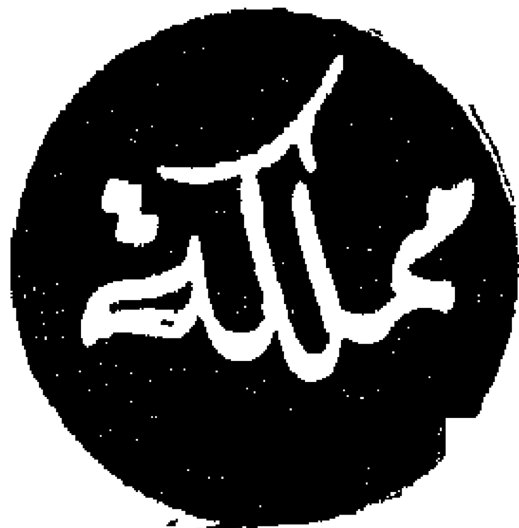
بقية مقــال نقد الكتب

لقد كبر « عمر » ورفع عنه وصاية أمه ، ووصاية صاحب المصنع ، ووصاية زملائه من العمال ، وأصـبح نورا جديدا يمتد ويمتد على كل الجزائر

فاذا أضفنا الى هذا مهارة « محمد ديب » فى رسم الشخصيات ، وفى تلاحم الاحداث فى « كادرات » سريعة ، وفى رسم صورة ذكيـة للزمان والمكان ، ثم لما يدور فى النفوس .. أمكننا أن ندرك أن ثلاثية محمد ديب عمـل عربى يقف الى جوار ثلاثية نجيب محفوظ ، وأن العربية قد كسبت بهذين الاديبين الشىء الكثير حين قدما لنا الصراع بوجهيه فى مدينتين عربيتين ، مع الخصائص المميزة لكل منهما .

ومرة أخرى نطالب بعودة أعمال الكتـــاب الجزائريين الى اللغة العربية بحماس ، ولعل أحد المسئولين يستمع الى هذا النداء .

« عبده بدوى »



أكسوم

بقلم ج . و . ب . هنتنجفورد

هناك على مقربة من الطـــرف الجنوبى للبحر الاحمر تقف بلاد اليمن التى تقع فى جنوب غرب الجزيرة العربية فى مواجهـــة الهضبة المرتفعة القائمة على المنطقة الرئيسية من أفريقيا والتى تسمى الآن أثيوبيا .

وينفصـــل هذه الهضبة عن البحر الاحمر شريط من الاراضى الصحراوية او الواطئة المحرقة التى تقع أجزاء منها تحت مستوى البحر ومع هذا فلم يكن لهذه المنطقة فى العصور القديمة سوى ميناء واحد يمكن الاتصال بهـــذه المنطقة عن طريقه وأعنى به ميناء أدوليس زولا Adulis Zula وهو مكان قريب من مصوع الحديثة . ولم يكن من الممكن الوصول الى الجهات الاخرى من الحبشة الا بواسطة الرحلات البرية الشاقة جـــدا ولذلك كان الاتصال بهذه البلاد فى العالم القديم من أكثر الامور صعوبة ، بل الواقع انها ظلت منعزلة عن العالم حتى العصور الحديثة .

وفى تاريخ يرجع الى القرن السابع قبل الميلاد بدأت موجات الهجرة من بين الشعوب السامية التى كانت تسكن اليمن والتى كانت فى ذلك الوقت على مستوى نسبى من الحضارة وبدأت هذه الموجات المهاجرة تستقر فى المناطق المرتفعة من الحبشة حيث يبدو انهم أقاموا قبل الميلاد بقرنين أو ثلاثة قرون مركزا لهم فى المكان الذى يسمى أكسوم ومن هـــذا المركز الاول تطورت مملكة أثيوبيا . وواضح جدا أن الاسباب التى دفعت هؤلاء المهاجرين الى الاستقرار فى المناطق التى ذهبوا اليها كانت من أجل التجارة ، لان الوثيقة الافريقية التى يرجع تاريخها الى القرن الاول بعـــد الميلاد وهى الكتاب الذى يسمى « رحلات حول البحر الاريترى » يحـــدثنا أن حاضرة الاكســـوميين أو عاصمتهـــم التجـــارية Metropolis كانت مركز التجميع للعاج الذى كان يأتى من افريقيا الداخلية نظرا لوقوعه على احدى الطرق التى تبـــدأ من الساحل عند أدوليس وتصل الى الداخل . وقد وجد هؤلاء الساميون ، الذين وفدوا من اليمن حين جاءوا الى هذه البلاد ، شعبا من أصل حامى سكنها كما وجدوا فى المناطق

المنخفضة الحارة جماعة من الرعاة البدو أما المناطق المرتفعة التى كانت أكثر برودة فقد كانت تسكنها شعوب تشتغل بالزراعة .

وهؤلاء القادمون الجددالذن كانوا يطلقون على أفسهم اسم « حبشات » (الكلمة التى جاء منها قطعا اسم الحبشة) نشروا فى هذه البلاد لغتهم « الاثيوبية » أو «الجيز » Geez كما هو اسمها الصحيح ومع ان هذه اللغة لم تعد لغة الحديث اليوم الا انها اللغة التى لاتزال تستعمل فى الكنائس والكتابات الادبية كما كانت اللاتينية فى أوروبا . وأثناء الفترة الاولى من حياة المملكة الاكسيومية — على الاقل من النصف الاول للقرن الثالث قبل الميلاد — كان هناك نشاط واسع ملحوظ من جانب البطالة فى مصر على طول الساحل الافريقى للبحرالاحمر حيث كانوا يقومون بصيد الافيال وجمعها لاستخدامها فى الحروب . وكان يقوم بمعظم هذه العملية أناس من الاغريق الذين سجلت النقوش الاغريقية كثيرا من أسمائهم ومع ان هذا النشاط التجارى الذى كان يقوم به البطالة لم يحدث نفوذا أو تأثيرا كبيرا على تطوير أو على الشئون الداخلية لمملكةاكسوم الا أنه قد أدى الى ادخال اللغة الاغريقية الى هذه المنطقة على أنها لغة التجارة والدبلوماسية وليس من شك فى أن هذه اللغة الاغريقية كانت تستخدم فى السجلات الرسمية حتى القرن الرابع الميلادى على الاقل .

ولم يقنع حكام أكسوم بمملكتهم الجديدة فى أفريقيا فقاموا فى فترة مبكرة بعدةمحاولات لاستعادة سلطانهم على موطنهم الاصلى الاول. وقد وجدوا لانفسهم مكانا فى المنطقة الغربية من اليمن حين عقدوا محالفات مع القبائل المحلية المختلفة هناك لمحاولة استعادة نفوذهم فى الجزيرة العربية . ولعل هذه المحاولات قد ظلت قائمة وان لم يكن ذلك على نحو دائم لفترة طويلة من الزمن لاننا نعثر على شواهد أخرى يرجع تاريخها الى بداية ومنتصف القرن الثالث الميلادي تمثل غزوا قام به هؤلاء الاكسوميون على ساحل الجزيرة العربية . وفى حوالى نهاية هذا القرن نفسه غزا ملك اكسوم المدعو « افيلاس » الجزيرة العربية لان اعتداء قد وقع هناك على ممتلكاته والى هذا الملك الذى غير الكتاب العرب اسمه فى قصصهم الشعبى من « افيلاس » الى « الفيل » ترجع مسئوليته فى اشعال ما يسمى بحرب الفيل التى ذكرت فى القرآن .

ويدعى ملوك اثيوبيا انهم من سلالة سليمان عن طريق ابنه مينيليك من ملكة سبأ وهو الذى نقل لوحتى الشهادة Ark of the Law من القدس الى اكسوم . وهناك وصف تفصيلى لهذا الحادث نجده فى الادب الاثيوبى، غير أن الحادث بكل مايحويه من تفصيلات ليس سوى أسطورة بحتة وقصة نسجها الخيال .

ومع هذا فان ملوك الحبشة يعتقدون اعتقادا جازما بأنهم أنفسهم من سلالة سليمان ويشار اليهم على انهم اسرائيليون ولكن الاكسوميين كانوا لايزالون حتى القرن الرابع بعد الميلاد على الوثنية ولم يكن اله اسرائيل هو الههم الذى يعبدونه ، بل كانوا يعبدون آلهة منطقة جنوب الجزيرة العربية حتى اذا كان عام ٣٣٣ بعد الميلاد قام رجل سورى يدعى فرومينتيوس Frumentius بادخال الديانة المسيحية الى مملكة اكسوم وطبقا للاخبار المتواترة ، وكذلك طبقا لما يقول به مؤرخو الاغريق واللاتين قام فرومينتيوس بعد أن أدخل الدين الجديد الى اثيوبيا بزيارةالقديس أثاناسيوس بطريرك الاسكندرية الشهير حيث عمده هذا القديس رئيسا للكنيسة الاثيوبية الجديدة والملك أصبحت طقوس كنيسة الاسكندرية وعقائدها هى نفس الطقوس والعقائد التى كانت تطبقها كنيسة اثيوبيا ولا تزال تطبقها منذ ذلك الحين حتى الان . ولهذا السبب نفسه يطلق على الكنيسة الاثيوبية فى كثير من الاحيان اسم « الكنيسة القبطية » وقدكان ملك اكسوم الذي تحول الي المسيحية على

يد فرومنتيوس يسمى عزانا Ezana وهو الذى جعل من المسيحية بعد أن اعتنقها الدين الرسمى لمملكته واستمر هذا الدين حتى يومنا هذا يمثل قوة ذات سلطة كبيرة فى كل أرجاء أثيوبيا ، بل انه الدين الذى ينفذ الى كل مجالات الحياة الاثيوبية .

ويظهر تأثير الدين الجديد بصورة تلفت النظر فى هذه النقوش التى تسمى نقوش عزانا المسيحية فان هذا الملك قبل أن يتحول الى المسيحية كان يبدأ بياناته الرسمية « وكانت تنقش على الحجر » بهذاالاسلوب التقليدى » ملك اكسوم وحمير وكيسووصابا ووايدين ، ملك الملوك ، وابن مارس آله الحرب الذى لايقهر » أما بعد أن يدخل المسيحية فان تغييرا سريعا يحدث فتصبح عبارة الافتتاح على هذا النحو :

« بعون سيد السماء والارض ... نحن عزانا ملك اكسوم الخ »

كما نجد اشارات أكثر الى« سيدالسماء» والى « سيد المجتمع » ويدل هذا التغيير فى الاسلوب على مظهرين هامين : أولهما الدلالة الواضحة على الغاء الوثنية وثانيهما ان الابقاء على سلسلة الالقاب لم يصبح له مدلول سياسى دقيق بل لم يكن سوى مجرد ابقاء على تقليد من تقاليد القرن السابق . فليس ثمة دليل على ان هناك أية محاولة قد قام بها ملوك اكسوم بعد عصر « افيلاس » حتى القرن السادس للهجوم على اليمن وليس فى نقوش عزانا أيضا اية اشارة بالمرة الى أى نشاط لاكسوم هناك ، ومعنى ذلك ان نفوذ مملكة اكسوم وسيطرتها قدتوقفتماما عند حدودها ، وليس فىبقاءالالقابالتقليدية التى احتفظ بها ملوك اكسوم سوى تذكرة لهم بممتلكاتهم التى فقدوها .

ومن ناحية أخرى تسجل كل نقوش عزانا الحروب التى قامت بها اكسوم فى أفريقيا وقد كتبت هذه السجلات باللغة الاثيوبية وهى وصف لحركة اخماد الثورات التى اشتعلت فى كل من شمالى وجنوبى اكسوم، كما أنها تتضمن كذلك ذكرا لمملكة مروى التى تجاور اكسوم من ناحية الغرب ، والتى تقع بين نهر عطبرة والنيل الازرق .

والمعروف ان مملكة مروى هذهقداصبحت مملكة مستقلة ذات طابع افريقىبعدأنكانت اقليما من الاقاليم التابعة لمصر وفى هذه النقوش المسيحية يوجد وصف تفصيلى لاحدى الحملات التى قامت بها اكسوم فى السودان ونص هذا الوصف كما جاء فى هذه النقوش المسيحية بعد حذف التفاصيل التى لا محل لها هنا والتى وضعنا مكانها نقطا لا تعنى وجود فجوات فيه — كما قد يفهم القارىء — نص هذا الوصفيقول : « بعون سيد السماء ، الذى يقهر الجميع فى السماء والارض ، نحن عزانا بن اللاميده، عضو « جماعة » هالين ، ملك أكسوم وحمير وريدان وصاباه وصالحين وتسيامو والبجة وكاسو ، ملك الملوك .. الذى لم يقهره عدو من أعدائه ... بقوة سيد الجميع أعلنت الحرب على النوبة . شرعت بقوة سيد الارض وحاربت فى تاكازى وبعد أن خضت نهر كيما لكى .. حرقت مدنهم ، والتى كان بعضها يتكون من المنازل الحجرية ، وبعضها الاخر يتكون من أكواخ القش ، وقد نهبت « جيوشى » ما كان عندهم من قمح وبرونز وحديد ونحاس ، وحطمت ما كان فى بيوتهم « معابدهم » من تماثيل كما حطمت كذلك ما عندهم من مخازن القمح والقطن والقيت بكل ذلك الى أعماق نهر سيده .. وصلت الى الكاسو ، هؤلاء الذين حاربتهم وأوقعتهم أسرى عند نقطة التقاء نهرى سيده وتاكازى. وفى اليوم التالى بعثت بجيوشى ... فى حملة أعلى نهر سيده الى المدن المبنية من الحجارة والقش واسماء المدن المبنية من الحجارة هى علوه ودارو .. ثم بعثتجيوشى بعد ذلك ... أسفل نهر سيده الى قرى النوبة الاربع المبنية من القش والى الملك. أما مدن الكاسو المبنية من الحجر والتى أخذتها مملكة النوبة « فقدكانت » تابيتو وفرتوتى وسارت جيوشى الى مسافة بعد النوبة الحمراء .

ومن هذا النص يمكن أن نفهم ان الملك عزانا قد وصل الى نهر تاكازى . وهو النهر الذى أصبح يعرف باسم نهر عطبرة والذى يتصل بالنيل الازرق ، وأن نهر سيده Seda

قريب من عطبره وانه كان يوجد فى جزيرة مروى شعب الكاسو Kasu شعب «كوسن» وربما كانت علوة Alwa التى تقع عند أعالى النهر من عطبرة هى مروى نفسها « شندى » ولو أن مكانها عند السوبا Soba على بعد اثنى عشر ميلا جنوبى الخرطوم ولعل دارون Daron هى دارون التى ذكرها بطليموس الجغرافى ولعلها أرباجى Arbagi التى تقع على بعد ثمانين ميلا جنوب شرق الخرطوم . أما النوبة الحمراء فهى النوبيا التى ذكرها سترابو شمالى مملكة مروى . أما تابيتو فهى غير فيرتولى .

وهذه الحملة التى تضمنها النص هى فى الواقع الحملة التى أكمل فيها الملك عزانا تحطيم مروى كما تعتبر كذلك قمة سلسلة الهجمات التى قام بها أجداد هذا الملك على مروى من قبل ، ولقد ترك احد اجداد هذا الملك نقشا باللغة الاغريقية فى مدينة مروى نفسها يسجل فيها ما يفيد استيلاءه على السكان .

ومن المسائل التى تدعو الى شىء من الدهشة والملاحظة ان مملكة اكسوم وهى تقع بين منطقة نفوذ البطالمة فى الشرق ومملكة مروى فى الغرب لم تأخذ شيئا من هذه الحضارات الاجنبية عليها سوى استخدام اللغة الاغريقية فى سجلاتها الرسمية . فحضارة اثيوبيا كانت فى أولها حضارة جنوبى شبه الجزيرة العربية ثم نمت فى جو أثيوبى محلى خالص . ولذلك ترى الاسلوب المعمارى فى مبانيها يتميز باستعمال الحوائط المتدرجة والمسلات العملاقة التى حفرت من كتل واحدة من الحجر على شكل قلاع كثيرة الطبقات والتي يصل ارتفاع احداها الي ستين قدما ثم العروش الملكية المبنية من الحجر وكذلك القصور المعدة للقتال . كذلك ترى ان الهندسة المعمارية فى الكنائس ذات طابع خاص تتميز أثيوبيا به .

وفى القرن السادس الميلادى ـ قبل ظهور الاسلام طبعا ـ بدأ سكان اليمن يضطهدون العناصر المسيحية فيها ، وفى حوالى عام ٥٢٨ كان كالب Kaleb ملك اكسوم يحارب هناك . واستطاع الاثيوبيون أن يفرضوا لانفسهم سيطرة مؤقتة كانوا يمارسونها فى اليمن عن طريق وكلائهم ومندوبيهم فيها . ولكن لم يمض الا وقت قصير حتى طرد هؤلاء الاثيوبيون من هناك وانتهت سيطرتهم التى كانوا قد كسبوها من قبل وبذلك كانت هذه المغامرة آخر مغامرة للأثيوبيين فى الجزيرة العربية . وخلال هذه الفترة قام احد النواب والولاة الاثيوبيين المحليين فى اليمن ويدعى أبرهة ـ وقد كان عبدا سابقا ـ بهجوم على مكة وهو مايسمى بحرب الفيل التى ذكرناها آنفا .

ثم يأتى بعد ذلك فى تاريخ اثيوبيا عصور مظلمة لاتكاد تعرف عنها سوى اسماء ملوكها ومع هذا يظهر فى نهايتها شعاع من ضوء ، ففى أوائل القرن العاشر الميلادى يظهر على المسرح شعب حامى يعرف باسم شعب الفالاشا يطرد الاسرة الحاكمة التى كانت تدعى أنها من سلالة سليمان ويتولى هو الحكم فى اثيوبيا . الا أن شعب الفالاشا ينهزم امام أسرة حاكمة جديدة أخرى هى أسرة زاجيو Zague وتكون نتيجة وجود هذه الاسرة فى الحكم هو أن تهاجر الاسرة التى تدعى نسبا بسليمان ، الى شوا Shoa فى الجنوب وتفقد اكسوم طابعها كعاصمة سياسية وان كانت قد ظلت مركزا دينيا يتوج فيه الملوك . والواقع ان اثيوبيا لم تكن لها عاصمة دائمة وظلت كذلك حتى تاريخ القرن السابع عشر .

جولة في افريقية

بقلم بشرى فريد

موضوع الوحدة بين غمبيا والسنغال

تتخذ الان خطوات ايجابية بشأن قيام وحدة بين السنغال وغمبيا فقد وردت أنباء تفيد بأن الامم المتحدة اوفدت اربعة من الخبراء لبحث مشاكل الوحدة ، منهم خبيران سويسريان وآخران هولنديان . ويحاول هؤلاء الخبراء دراسة مشروع الوحدة والمشاكل التى تكتنفها وليس من المنتظر ان تنتهى ابحاثهم قبل نهاية السنة الحالية .

وقد اشار الدكتور جاوار رئيس وزراء غمبيا الى موضوع غمبيا مع السنغال فقال :

« ان غمبيا سوف تحتفظ فى ظل هذا الاتحاد بشخصيتها المستقلة وثقافتها العريقة التى بنتها على مر العصور على الا يحول ذلك طبعا دون ربط اواصر الصداقة والتعاون والاشتراك مع السنغاليين الذين هم اخواننا وشركاؤنا .

*

جمهورية مالى تحتفل بالعيد الثالث للاستقلال

احتفلت جمهورية مالى بالعيد الثالث لاستقلالها ، وقد أعلن الرئيس موديبو كيتا فى استعراضه للخطة الخمسية ان مدارس مالى ستقبل هذا العام ١٠٥ر٠٠٠ طفل مقابل ٢٣ر٠٠٠ طفل فى عام ١٩٦٠ ، كما ان انتاج القطن قد زاد هذا العام بنسبة ٤٥٪ وكذلك استكشفت فى البلاد مقادير من البترول والرخام .

*

الانتخابات فى غينيا

أقبل الجمهور الغينى على الانتخابات التى اجريت فى غينيا اقبالا شديدا وكانت نسبة من ادلوا بأصواتهم تبلغ ٩٩ ٪ تقريبا وقد جرت الانتخابات فى العيد الخامس للاستقلال واسفرت عن تأييد شعبى لحزب الرئيس سيكوتورى الذى قال بعد اعلان النتائج العامة : « ان الانتخابات دارت فى جو من الهدوء والسكينة دون ضغط أو اكراه » .

وبعد انتهاء الانتخابات اجريت بعض التعديلات الوزارية عين فيها السيد/عمر الدين كامارا حاكم اقليم « فريا » سابقا وزيرا للخارجية بدلا من السيد/فرويه سسيه الذى عين حاكما لاقليم « فريا » .

*

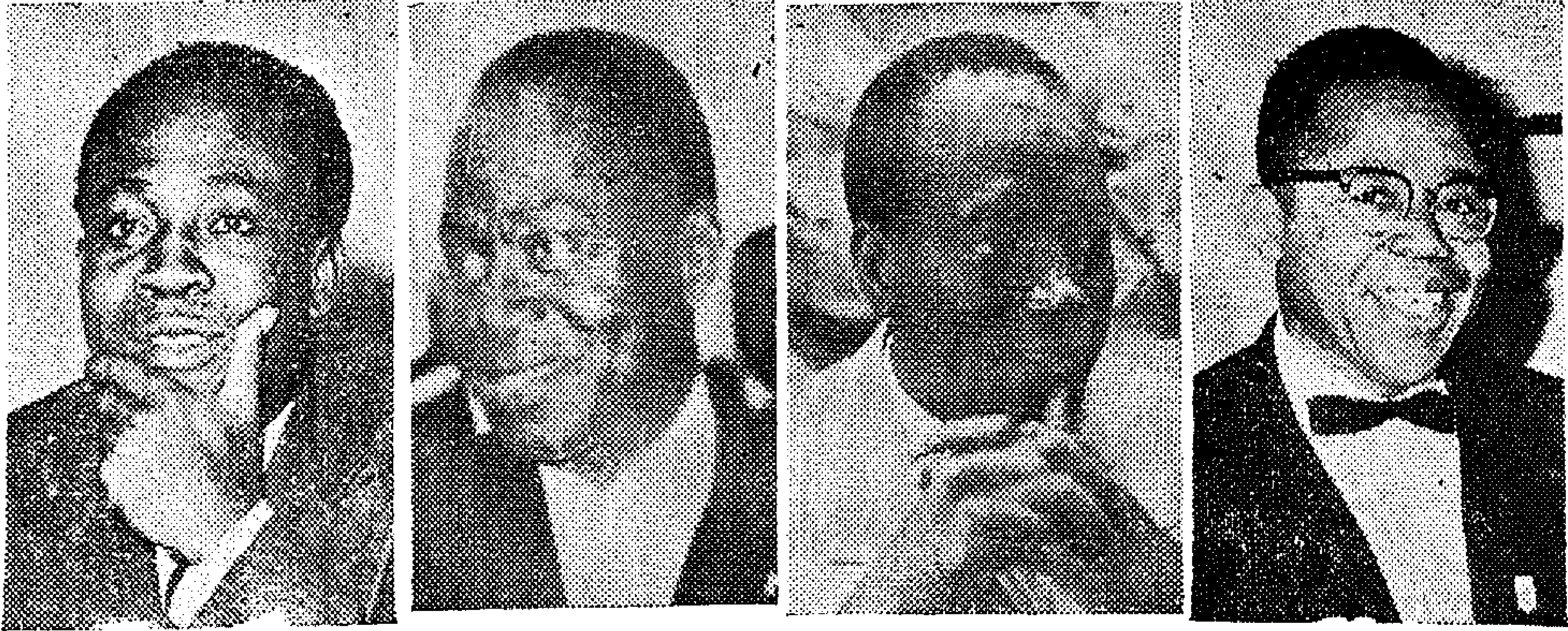
اضطراب الامور فى الكونغو

اصدر كازافوبو امرا بحل البرلمان الكونغوى فى دورته الحالية ووضع جميع السلطات التشريعية فى يد سيريل ادولا .

وقد اذاع كازافوبو خطابا بالراديو قال فيه : ان الحكومة ستؤلف لجنة لوضع دستور جديد يعرض على الشعب لابداء رأيه فيه عن طريق الاستفتاء العام .

وسيزاول ادولا جميع السلطات التنفيذية والتشريعية الى أن يتم اصدار الدستور الجديد واجراء الانتخابات وقد علل كازافوبو حل البرلمان الكونغوى بقوله :

« ان هذا البرلمان قد استدعى فى دورة خاصة لوضع دستور للبلاد يحل محل القانون الاساسى الذى جرى العمل به بصفة مؤقتة منذ ان ظفرت الكونغو باستقلالها فى عام ١٩٦٠ الا أنه لم يضطلع به كما كلف به وأهمل واجبه » .



وتقول المصادر المتصلة بالرئيس كازافوبو ان الشعب سوف يستفتى فى الدستور الجديد قبل نهاية السنة .

*

رئيس ساحل العاج يتحدث عن سياسة بلاده الخارجية

عقب مؤامرة آبيدجان ، نظم الحزب الديمقراطى فى ساحل العاج اجتماعا فى «استاد» آبيدجان لاظهار الولاء لحكومة الرئيس هوفويت بوانيه الذى خطب فى المجتمعين قائلا :

« ان بعض الدول الاجنبية قد دبرت المؤامرة الاخيرة واشتركت فى تنظيمها ، وسيعلم الوطنيون الذين اشتركوا مع الاجانب فى هذا التدبير الاجرامى ان الجريمة فى ساحل العاج لاتفيد . »

ولخص الرئيس سياسة بلاده الخارجية فيما يأتى :

١ ـ الاخلاص للدول الصديقة .
٢ ـ التعاون الدولى على أساس المساواة .
٣ ـ عدم التدخل فى الشئون الداخلية لدولة أجنبية .
٤ ـ الالتجاء الى المفاوضات لحل المنازعات
٥ ـ السعى من أجل السلام .
٦ ـ تنفيذ قرارات مؤتمر اديس ابابا وعلى الاخص محاربة الاستعمار والتفرقة العنصرية والعمل على توطيد الوحدة الافريقية .

*

دفاع المتهمين بالخيانة العظمى فى غانا

أمام هيئة المحكمة التى شكلتها حكومة غانا لتحاكم المتهمين بالخيانة العظمى وقف مستر « أجى » وزير الخارجية الاسبق فى غانا يقول مدافعا عن نفسه :

« يا الهى .. انى فى حيرة من امرى .. ولست ادرى على اى وجه تسلسلت الاحداث حتى وصلت الى هذا الحد .. وكل ما اذكره انى فى عام ١٩٤٧ عرض على حزب ساحل العاج المتحد ان اضطلع بمنصب السكرتير العام للحكومة فأبيت واخبرت الزعماء بأن لى صديقا حميما يقيم الان فى لندن ويدعى نيكروما وهو احق منى بهذا المنصب لما له من كفاية ودراية فوافق الكل على اقتراحى وقدم نيكروما من لندن وتبوأ هذا المنصب فى ديسمبر عام ١٩٤٧ .

وكذلك وقف « اوامافيو » وزير الاستعلامات السابق فى غانا يدافع عن نفسه ويقول : « ان نيكروما طردنى من مجلس الوزراء قبل اعتقالى بأسبوعين فى عام ٩٦٢ ولقد كنت أول من وضع مبدأ « نيكروما لا يخطىء » هذا المبدأ الذى اعتنقه كثير من قادة الشباب الغانى .

((بشرى فريد))



جنوب افريقيا ــ ١٠ أكتوبر ١٩٦٣

تقوم المحكمة العليا فى جنوب افريقيا بمحاكمة أحد عشر شخصا بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم فى جنوب افريقيا عن طريق القوة .

كينيا ــ ١١ أكتوبر ١٩٦٣

طالب حزب كينيا الديمقراطى الافريقى المعارض « كادو » بانشاء جمهورية مستقلة داخل كينيا ، وعارض الحزب تصميم اتحاد كينيا الوطنى الافريقى الحاكم الذى يتزعمه كينياتا على اقامة حكومة مركزية .

الأمم المتحدة ــ ١٢ أكتوبر

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع قرار تقدمت به مجموعة الدول الافريقية والاسيوية بوقف المحاكمات والافراج عن المعتقلين السياسيين فى جنوب افريقيا .

القاهرة ــ ١٣ أكتوبر

اعترفت أمس حكومة الجمهورية العربية المتحدة بحكومة جمهورية أنجولا فى المنفى التى يرأسها هولدن روبرتو .

القاهرة ــ ١٣ أكتوبر

يبحث محمد شامتى رئيس وزراء زنجبار مع المسئولين فى القاهرة المساعدات الفنية التى ستقدمها حكومة الجمهورية العربية المتحدة لزنجبار .

الأمم المتحدة ــ ١٥ أكتوبر

قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة مطالبة بريطانيا بوقف نقل القوات العسكرية الى الحكومة الحالية فى روديسيا الجنوبية التى تمثل الاقلية « الاوربية » وبالغاء الدستور الحالى واعداد دستور جديد يشترك فيه ممثلو الشعب ، واقامة حكومة تمثل جميع المواطنين قبل منح المستعمرة استقلالها .

الجزائر ــ ١٥ أكتوبر

هاجمت أمس قوات مغربية الاراضى الجزائرية وعبرت الحدود الجزائرية فى منطقة كولومب بيشار وهاجمت المراكز الجزائرية فى منطقة حسى بيضا وتندوف .

الجزائر ــ ١٦ أكتوبر

تحولت اليوم حوادث الحدود بين قوات المغرب وقوات الجزائر الى معارك واسعة النطاق ، وتعدى القتال منطقة حسى بيضا وتندوف الى الشمال والجنوب .

القاهرة ــ ١٦ أكتوبر

وجهت الجمهورية العربية المتحدة نداء الى كل من حكومتى المغرب والجزائر دعت فيه الحكومتين الى العمل على وقف القتال .

القاهرة ــ ٢١ أكتوبر

بعث الرئيس جمال عبد الناصر برسائل الى كل من : الملك الحسن ملك المغرب ، والسيد ادريس السنوسى ملك ليبيا ، والحبيب بورقيبة رئيس تونس ، والرئيس احمد بن بيللا رئيس الجزائر بمناسبة القتال بين الجزائر والمغرب لايجاد مخرج للأزمة التى بينهما .

أثيوبيا ــ ٢٢ أكتوبر

يشترك الامبراطور هيلاسيلاسى اشتراكا

شخصيا فى المساعى التى تبذلها الدول العربية والافريقية للعمل على وقف القتال بين الجزائر والمغرب .

الأمم المتحدة ــ ٢٨ أكتوبر

سيرشح فى الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة ثلاثة افريقيين لاختيار أحدهم لتولى رئاستها ، وستوحد الدول الافريقية فى الأمم المتحدة جهودها لتأييد أحد هؤلاء المرشحين .

الدول العربية ــ ٢٨ أكتوبر

نجحت المساعى التى تبذلها الدول العربية والافريقية فى الاتفاق على عقد مؤتمر « باماكو » عاصمة مالى يلتقى فيها الملك الحسن وبن بيللا والامبراطور هيلاسيلاسى وموديبو كيتا لايجاد حل لأزمة الحدود الجزائرية المغربية .

موزمبيق ــ المكتب السياسى بالقاهرة ــ ٣٠ أكتوبر

أعلن المكتب السياسى لموزمبيق فى القاهرة ان حكومة البرتغال الفاشستية قد تعاقدت مع اسرائيل على شراء أسلحة لاستخدامها فى ضرب الحركات الوطنية فى انجولا وموزمبيق وغينيا .

باماكو ــ ٣١ أكتوبر

وقع بن بيللا والملك الحسن فى باماكو أمس اتفاقا يقضى بوقف اطلاق النار على الحدود الجزائرية المغربية فى منتصف ليلة ٢ نوفمبر .

بريتوريا ــ ٣١ أكتوبر

صدر قرار بابطال جميع التهم الموجهة ضد عشرة أشخاص من الـ ١١ شخصا الذين تجرى محاكمتهم بتهمة القيام بأعمال التخريب والاعدام للقيام بثورة مسلحة ضد جنوب افريقيا .

الأمم المتحدة ــ ٣١ أكتوبر

طالبت الجمهورية العربية المتحدة ، نيابة عن الدول الافريقية بزيادة عدد المقاعد لدول القارة فى لجنة حقوق الانسان بالأمم المتحدة .

أكـرا ــ ٢ نوفمبر ١٩٦٣

أعلنت لجنة الدفاع التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية أن الدور الرئيسى للجنة هو تنمية التعاون الداخلى لافريقيا حول مسائل الدفاع ، وستعمل اللجنة كجهاز استشارى لتقديم التوصيات الى الدول الافريقية .

القاهرة ــ ٥ نوفمبر

وصل الى القاهرة أمس الامبراطور هيلاسيلاسى فى زيارة رسمية ، وقد بدأت المحادثات الرسمية بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر استعرض الامبراطور خلالها الجهود التى بذلها لحل مشكلة الحدود الجزائرية المغربية .

الجزائر ، المغرب ــ ٥ نوفمبر

توقف القتال بين المغرب والجزائر صباح أمس ، وتحتفظ كل من البلدين بالمواقع الموجودة بها لحظة وقف القتال .

القاهرة ــ ٧ نوفمبر

صدر أمس بيان مشترك عقب المحادثات الرسمية بين الرئيس جمال عبد الناصر والامبراطور هيلاسيلاسى جاء فيه :

١ ــ الترحيب باتفاقية حظر التجارب الذرية .

٢ ــ الاتفاق على ضرورة عقد اجتماع لمجلس وزراء منظمة الدول الافريقية لايجاد حل سلمى للمشكلة بين الجزائر والمغرب .

٣ ــ الاتفاق على ضرورة عقد مؤتمر رؤساء الدول الافريقية .



للشاعر محمد الجبار

حينما فرت النسائم في الفجر خلال المشانق المنصوبه
وارتمى الفجر وهو أول فجر يعكس الظل عن جراح خصيبه
ناقلا للسماء من لمة الجرح بريقا .. كصرخة منسوبه
وبدا كل هالك كنبي مد كفيه ، ثم ضم صليبه
يا أخي : رجفتي انتفاضة شعب سوف يمشي لأرضه المنهوبه
يا أخي : هل مشانق الظلم تقوى أن ترد الحقوق يوما سليبه
يا أخي : في رحاب كينيا ، قضاياك في دمي قضايا العروبه
هذه الشمس موعد نتلاقى في لظاها ، بضم كل حبيبه
يا أبي : هل نسيت يوم زرعنا قطننا في الدجى ، فشع سناه
ثم جاء اللصوص ، وانتهبوا القطن ، وصاحت سياطهم في العراه
« انسجوا يا عبيد منه خيوطا ، فيها تصنع الحبال العتاه
الحبال التي سيشنق فيها من ينادي بحقه في ذراه »
يا أبي : كم ذكرت بين لداتي أن لي والدا كظل الاله
قامة تبسم المهابة فيها ، وجبين له تخر الجباه
يا ابن تلك السفوح ، يا رافع الطود ، أهل صرت جثه في رباه ؟
أبدا ما فنيت يا غارس الدوح ، فانت الذي يصوغ الحياه
أنت في مخبأ الظلام لهيب زاحف .. زاحف لوجه الطغاه
أنت في صرخة الرياح وعيد راح يعدو ماوحا للعداه
.. ان ليل الطغاة في الصبح أعشى ، انه ماض وفي يديه عصاه

كتاب الشهر

طبقات جديدة فى افريقية الاستوائية
بحث فى الانتروبولوجيا الاجتماعية
عن الأرض والناس

بقلم : جى هنتر

عرض وتقديم : السعيد محمد عبد الفتاح ابراهيم

١ ـ كيف عالج الرجل موضوعه

قبل أن نبحث كيف عالج « جى هنتر » موضوعه قد يكون من الضرورى أن نلاحظ بأنه عند البحث فى مثل هذا الميدان الافريقى الواسع لا يمكن تفهم الحوادث دون تفهم حال المجتمع الذى تدور فيه هذه الحوادث ومن غير الممكن تفهم المجتمع دون أن نتفهم العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية الروحية التى تؤثر فيه والتى تكونه ، صحيح انه من الممكن أن ينظر الاخصائى الاقتصادى الى احصائيات تطور الانتاج على انها ناحية مستقلة تعينه ، وقد يبحث الادارى عن مستوى العدالة وعن النظام ، وقد يبحث رجل الدين عن المستوى الروحى .. ولكن هذه الدراسات المستقلة من زوايا مختلفة فى الواقع تتضارب نتائجها لان هناك عوامل اخرى مؤثرة لم تبحث بما تستحق من العناية

والشىء الآخر الذى نلاحظه أن الكتاب الذى تجاوز الثلاثمائة والخمسين صفحة لم يعن العناية الواجبة بوصف الثقافة الاسلامية فى اقليم السافانا بغرب افريقية ، كما انه لم يطرق بالبحث أى شىء عن سيراليون وغمبيا وليبيريا .

ولقد بدأ الرجل كتابه بمقدمة تاريخية شكلت ستا وأربعين صفحة تحدث فيها عن ((**التقاء عالمين**)) ، عن ((**الاوروبيين ومشكلاتهم**)) ثم عن ((**الافريقيين فى مرحلة اعتمادهم على الاوروبيين ، ثم فى انتقالهم لمرحلة الاعتماد على أنفسهم**)) ويذكر فى عرض الحديث قصة جرت فى مشروع الجزيرة فى السودان عندما كان القرويون يقولون للبيض : « انتم تصدرون لنا الاوامر والا فاننا سنشتجر معا » ولكن بعد وقت اتجه القرويون الى أقصى الطرف الاخر وكانوا لا يقبلون التدخل بتقديم النصيحة من جانب البيض .

وهذا القسم هو فى الواقع تمهيدى للقسم الثانى الذى يزيد على الثلاثمائة صفحة والذى يعرض فيه المؤلف هنتر ..

- الاقتصاديات الافريقية وتطورها
- من الثقافة القديمة الى ثقافة جديدة
- التطور القروى والريفى
- التاجر الافريقى
- تطور الصناعة
- العامل الافريقى والمدير الافريقى

ويقدم المؤلف فى ثلاثة عشرة صفحة أسماء مائتين واثنين وخمسين كتابا وخمسة عشر تقريرا رجع اليها بالاضافة الى البحث العملى فى الميدان .. وأوضح قرين كل كتاب الصفحات التى استند اليها منه ، وهذا البيان للكتب والدراسات والتقارير لهو فى حد ذاته بحث قيم فى المؤلفات الافريقية المعاصرة حرى بالعناية والاهتمام من كل الباحثين فى الشئون الافريقية .

٣ ـ ماذا يقول المؤلف عن الموضوعات العامة التى ناقشها

والواقع أنه قد يكون من الضرورى أن نذكر بأنه كلما مرت سنة كان من الصعب أن نذكر كيف كان تغير افريقية ، ونحن عندما نرجع

الى الوراء قبل مائة سنة عندما كان **ليفنجستون** يتقدم فى **باروتسلاند** الى جوار عربة تجرها الثيران ، أو الى ستين سنة عندما كان ديلاميريسير فى أرض **المازاى** بين اساد كينيا ، أو حتى الى تاريخ أحدث عندما كان **ويليامسون** يجلس اسفل شجرة مستظلا بها من الهجير .. عندما نفعل هذا نجد أن التطور كان بطيئا بالرغم من أن العمل المضنى قد تطلب تنظيم الادارة والتعليم ، وشق الطرق وتمهيدها ، وتجربة محاصيل جديدة وتعلم لغة الاهليين .. وفجأة جاءت وثبة واسعة فى حقبتى السنين بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٦٠ ، وكانت هذه الوثبة الواسعة وليدة السياسة الجديدة للتطور هذه السياسة التى غيرت من القارة تغيرا واسع المدى فى مختلف الميادين .. فكيف كان هذا

● الاقتصاديات الافريقية وتطورها :

بالرغم من ان الاخصائيين ينظرون الى اقتصاديات افريقية على أنها اقتصاديات فقيرة الا أنه من الضرورى أن نذكر بان امكانيات جديدة قد برزت الى الميدان ، ففى سنة ٩٢٠ كان يقال بأن السنغال ليس فيها أية موارد معدنية ذات اهمية ولكنها تصدر الان ما قيمته ١٦ مليون جنيه من الماس وماقيمته اكثر من أربعة ملايين جنيه من الحديد الخام سنويا ، ولا يوجد فى قلب افريقية نطاق النحاس فحسب ، بل يوجد ذهب الاشانطى وتنجانيقا ، وماس تنجانيقا وغانا والكونغو وسيراليون ، ونطاق الالومنيوم الذى يجرى لمسافة ١٧٠٠ ميل من غينيا الى انجولا فضلا عن الكثير من المستودعات المعدنية التى لم تستغل بعد ، وتوجد حقول للبترول فى دلتا النيجر وفى الصحراء الجزائرية وفى انجولا وربما فى اماكن اخرى ، وفى افريقية ٤٠٪ من جملة احتياطى القوى الكهربائية المائية فى العالم ، والارض التى عولجت علاجا صحيحا قد أوضحت قوة مذهلة فى الاستجابة والانتاج

ومن الحقائق التى لا خلاف عليها أن الحكومات الاستعمارية — على الاقل فيما قبل الحرب العالمية الثانية — قد فشلت فى أن تطور من مستعمراتها الافريقية ، فان موظفى الحكومات المستعمرة كانوا ينظرون الى الامر من وجهة نظرهم الادارية ، ومن ناحية ضرورة الاهتمام باقتصاديات المناطق الريفية، وعنيت شركات التجارة على الساحل الغربى لافريقية للعناية أساسا بالانتاج الذى يصلح للاتجار ، وكانت شركات التعدين والزراع البيض وراء كل نفوذ سياسى ، هذا فضلا عن ان دول اوروبا نفسها كانت طوال المدة من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٦ تمر بأزمة زيادة الانتاج فى أرضها ، وكانت سياسة الخزانة البريطانية أن المستعمرات يجب أن توازن ميزانياتها ، وقد اتبعت هذه السياسة بدقة .

على أن التطور الذى جاء بعد سنة ١٩٣٩ كان مختلفا بين بلد وآخر ، فعلى سبيل المثال فى المدة بين ١٩٥٢ — ١٩٥٤ وبين ١٩٥٧ — ١٩٥٩ زاد الدخل القومى فى كينيا بنسبة ٥٦٪ وبنسبة ٢٨٪ فى تنجانيقا وبنسبة ١٥٪ فى أوغندة ، على اننا لو قدرنا الامر فى ضوء زيادة عدد السكان لكان معدل الزيادة ٤٠٪ فى كينيا واقل من ٢٠٪ فى تنجانيقا وفى نفس المعدل الاصلى فى أوغندة ..

ومع ان الاحصائيات تدل على أن الدخل فى روديسيا الجنوبية أكثر منه بالنسبة لاوغندة الا أن الكثير من المناطق الريفية فى أوغندة أكثر رخاء من كثير من المناطق فى روديسيا التى ليست على الخط الحديدى .

وتواجه المجتمعات الافريقية فى الوقت الحاضر واجبا يمكن أن يتقسم الى اربعة عناصر :

أولا : تدريب الافراد لزيادة المهارة والطاقة وايجاد قوة الابتكار التى بدونها لا يكون راس المال انتاجيا

ثانيا : ايجاد رأس المال للداخل والخارج

ثالثا : تقرير الاولوية بين الصناعة والزراعة

رابعا : الاحتفاظ بمعدل للتكليف الاجتماعى فى اطار من الاستقرار السياسى الذى يسمح بالتطور .

وايجاد رأس المال يتطلب الاقتصاد فى الاستهلاك أو أن يقترض من الخارج .. أو أن تستثمره هيئات أجنبية استثمارا مباشرا وهنا تشب الى الضوء مسألة ان رخاء الاستثمار

الاجنبى لا يتم الا على أساس انخفاض مستوى الاجور وانخفاض التكاليف الاجتماعية للانتاج والا ضعف عن منافسة الانتاج الاجنبى ، ولقد كانت الفوارق فى الاجور بين البيض والافريقيين عاملا من عوامل الشعور المضاد للاستعمار ، ولكن عندما يكون الفـارق بين الافريقيين أنفسهم فان هذا يكون جزءا من السياسة الداخلية

على أن هذه الاقتصاديات فى تطورها قد ابرزت عدة نقـاط حرية بالنظر قمينة بالتفهم :

١ ـ الاقتصاديات الافريقية وحـدها فى العالم هى التى تحل مشكلة العمل وعـدم البطالة

٢ ـ تطور الزراعة يجب أن يسـهم فى تخفيض هجرة العمال الظاهرة الفذة فى وسط افريقية الاستوائية

٣ ـ التطور الزراعى يجب أن لا يحمل عبء مستوى الاجور للاوروبيين .

٤ ـ الزراعة هى فى مقدمة الصـناعات الرئيسية وتليها صناعة التعدين فصـيد السمك ، وكل ما عدا هذا من الصناعات يعتبر صناعات ثانوية .

من الثقافة القديمة الى طابع ثقافى جديد

والتصنيع أسلوب ونهج فى الحياة كما انه اسلوب فى الانتاج والتوزيع ، وكل ثقافة تضع عدة قيم معينة لاسلوب حياة الناس ، وكلمة التصنيع هنا لا تعنى فى بساطة جمع المعرفة العلمية مع التطبيق الفنى فحسب بل تعنى الدوافع والقيم للمجتمع الذى تتوافر فيه الرغبة لاستخدام هذه المعرفة وتطويرها ، والذى تعكس نظمه وتعضد هذه القيم والدوافع

على أن هذا أوجد بعض تعارضات ، فلقد تقبل الزعماء السياسيون الافريقيون هدف التطور الاقتصادى ، ولكن المجتمعات الافريقية التى صاغت وشكلت احتياجاتها المختلفة طبقا لما تشعر بضرورته لها .. لم تسلك كلها فى هذا الاتجاه حديثا متطورا .. فلايزال بعضها يتبع الطابع القديم .. **والفكرة ليست أن يحس الفرد بالحياة بين عالمين بل وان يعيش فى نفس الوقت فى هذين العالمين .**

والواقع ان انتشار النفوذ الغربى لم يكن منظما فى استواء « وبعض المجتمعات الافريقية لا فى أعماق الغابات ولا فى باطن الصحراء بل وحتى على خطوط المواصلات ... لا تزال حتى اليوم تعيش فى عزلة ، والطائرة من « كاريبا » الى «ليفنجستون » تمر فوق وادى « جويمبا تونجا » الذى غمره فيضان البحيرة فبقيت المنطقة بغير طرق ولا حتى للدواب بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٥٠ ، ولكن حتى بعد سنة ١٩٥٠ كان من الضرورى أن تنقل المتاجر من اقرب مورد على الزمبيزى بوساطة الحمير فى رحلات ليومين أو ثلاثة أيام ، ولكن لا زال هنـاك كثير من النسوة لم يشـعلن عود ثقـاب ولم يمسكن ببطارية كهربائية ولم تعرفن ابرة الحيـاكة ، وكل ما يشـغل الناس هو الثيـاب والملح ومن النادر أن يفكروا فى أى شىء آخر »

على أنه لايجب ان يجعلنا القول بعـدم استواء انتظام النفوذ الغربى ان نغفل عن حقيقة اخرى وهى أن بعض الثقافات قـد قاومت فعلا التغير الوافد مع النفوذ الغربى اكثر من أى شىء آخر ، وذلك على مثـال **مقاومة الثقافة الاسلامية فى اقليم السافانا بغرب افريقية ، كما ان بعض المجتمعات قد تقبلت ـ مع التحفظ ـ بعض الثقافات الغربية داخل الاطار التقليـدى لثقافتها الاصـيلة على مثال ما حـدث فى رواندا أوراندى ،** ولـكن لماذا تعارض ثقافة محلية أى تطـور أو تغيير جديد على حين تتقبله ثقافة محلية اخرى ؟ ! .. أو ... لماذا يهجر مجتمع ما عادة أو تقليدا على حين يتشبث بعادة اخرى او بتقليد اخر ؟ .. ولماذا نجد نتائج مختلفة لطابع ما من الثقـافة الغربيـة فى مجتمعين افريقيين لايفصل بينهما اكثر من خمسـين ميلا ؟ .

ومع أن البعض يرى ان العامل الاساسى هو الاتصال ، وان اولئك الذين نالوا حظا من التعليم والذين هاجروا من قراهم للعمل كجنود وعمال قد رحلوا بعيدا وقد تأثروا بآراء جديدة وطوابع جـديدة للسلوك .. وان هذا هو الذى جعلهم اميل لتقبل التغيير والتطور ثم انتقل تأثرهم منهم الى غيرهم فى

منطقة .. وعطلت منـــه دوافع فى منطقة اخرى ، بالرغم من هذا المنطق المقبول نوعا الا أن العائق فى الواقع هو العقيدة الدينية التقليدية ، ولا يعتبر هذا جديدا بالنسبة لافريقية ، فان غرب اوربا لم يكن ليعـرف استعمال البرق لولا قهر الكنيسة المسيحية للوثنية ، ولكن فى افريقية فانه مع وجـود الاسلام والمسيحية الا ان الناس لم يتخلصوا بعد من التقـاليد الوثنيـة ومن الاعتقاد فى السحر ، ولا زالوا يمارسـون عادة عبـادة وتقديس الاسلاف ،ونفوذ ارواح الموتى قوى فى أفريقيةالاستوائية قوته فى بعض الثقافات الحديثة كالثقافة الصينية ، وفكرة عبـادة الاسلاف تتعمق فى العـــادات القبليـة وفى الطقوس وقواعد حياة الاسرة .

اما عن السحر فان الخرافات نفسها لم تمت تماما فى أوربا بل انها لتظهر وتتجـدد فى اوقات الحروب والقلق وعدم الاطمئنـان ومن ثم فليس بغريب ان يترك رجل افريقى وصـل بجـده الى مركز كبير .. ان يترك المدينة ليعود الى القـرية لانه يخشى على حياته بتهديد السحر .

والارتباط بالاسرة هوطابع المجتمعالافريقى على اساس انه هو الضمان الاجتماعىالمطلق ولا يمكن ان تضيع هذه التقاليد الا عنـدما يبدو نظام تبادل اخر للامن الاجتماعى .

ثم شىء اخر هو ان المجتمعات فىافريقية الاستوائية تخضع الىرياسة دعامتها السن أو العشيرة أو القبيلة ومكانة الافراد منهذه او تلك .. ولكن العمل فى المصانع يقومعلى المهارة والفن والخبرة والاقدمية فى العمـل ولا علاقة لهذا كله بالعشيرة ولا بالقبيلة ولا بالسن .

وهنا أيضا تثب الى الضوء مسألة أخرى لها دورها فى الصراع بين الثقافتين القديمة والحديثة .. هى مكانة المرأة فى المجتمعات الافريقية التقليدية ، وفيما عدا الجماعات الاسلامية فان للمرأة دورها الكبير فى الكثير من الشعوب الافريقية ، وعلى سبيل المثال لاالحصر فانللمرأة عند اليوروبا فىغربافريقية استقلالها الاقتصادى والاجتمـاعى ، وليس هـذا بقـاصر على المجتمعات الاموية ــ أى المجتمعات التىينسب فيها الاطفال الى الام ــ فحسب بل انه يخرج منها الى غيرها ، وللمرأة مملكتها الخاصة بها وعليها مسئولية زراعة الارض واعداد الطعـام مع كل تقاليـده الخاصـــة به ، وعليها الطقوس الخاصـــة بالاخصاب ، وهى التى تقرر الرأى فى عروض الزواج لصغار السن مع ما يتبع هـذا من ارتباطات ، ومن ثم فانها ــ فى ضوء هـــذه الاعباء والمسئوليات ــ ذات مركز آمن قوى فى الاسرة وعند زوجها .

وبالنسبة لهذا الحديث عن دور المرأةفى زراعة الارض فان الاوروبيين دائما يخطئون فيما يقولونه عن كسـل الافريقيين ، ولـكن غاب عنهم فى الحقيقـــة ان المسألة ليست مسألة كسل بقدر ما هى مسألة ان الافريقى ــ تبعا لطبيعة حياته وللالتزامات التى تربطه بها الاسرة والقبيلة ــ لا يعرف التقليد الذى يقول بأن « الوقت من ذهب » والافريقى ينظر الى الارض نظرة غير النظرة التجارية ومهما كان نصيب الارض من الخصب فهـو ينظر الى أرضـه نظرة فيها معنى التقديس فهى نصيبه من الغذاء المقدر له وهى التى تضمن له البقاء ، وأى تنقل يفصله عنهـا انما هو انقسام لكيانه .

المزيج الحالى :

على ان هذا التصادم فى القيم فى ميادين فسيحة ، فى الدين والاسرة ، والسلطـة ، والارض والعمل والزواج ، بل فى الشخصية نفسها ، كل هذا التصادم قد اوجدسلسلة من المتناقضات .

والواقع اننا نجـد فى احد طرفى الميزان الرجل القبلى يلتف بثقافته التقليدية ، وفى الطرف الاخر نجد سليل اسرة ثرية قد أتم دراسته فى أمريكا او بريطانيا ويحيا حيـاة غربية الطابع الى اخر حـدود هذا الطابع المتحضر ، وهنا تبرز أولى صور الاضطراب فى المجتمع ذلك لاننا لانجد طبقة وسطىوعلة هذا أن المجتمع يتغير بسرعة كبيرة ولم يتوافر بعد الوقت الكافى لتتبلور الطبقات ولتتوافر الوسائل للتفرقة بينها .

ولكننا فى الحقيقة نجد طبقة وسطى فى غرب افريقية حيث نجد زراع الكاكاو والموظفين ممن يعيشون فى الضواحى الجديدة فى لاغوس أو ابديجان كما نجد طبقة وسطى من الزعماء فى شرق افريقية وفى قلب القارة وجلهم من أعضاء مجالس البلديات ومن قادة اتحادات العمال وحركات الشباب .. وهم صورة أخرى غير زعماء القرى الذين هم عادة من كبار السن والذين يعيشون بين الاهلين فى اكواخهم المصنوعة من القش المجدول أو من الغاب .

والتباين بين الطبقات قد احدث تعديلا واسع المدى فى بعض التقاليد الخاصة بالزواج واقامة الزوج مع أسرتها أو الانتقال الى أسرة زوجها .. والعلاقات الجنسية بين الرجل والمراة فى شتى الوانها .. ومع أن الطابع المعنوى قد اضطرب مثله مثل الاضطراب الذى مس كل مجتمع فى العالم بسبب الحروب وبسبب الهزات الاقتصادية الا أن ما يقدمه المؤلف فى ص ٨٦ من كتابه عن تكسب الفتيات عن غير الطريق السوى فى الواقع ليس بالطابع البارز فى المجتمع بالقدر الذى تراه يستحق منه هذا التقدير الذى اعطاه له بلا سبب .

تطور الاقتصاديات فى افريقية الاستوائية

والوصف العام للحياة فى المجتمع القروى الافريقى يبدأ بالطبيعة باقتصاديات الرزق ، قوام العيش ، اقتصاديات هى اقتصاديات المجتمع الجزرى اى المجتمع الذى يعيش فى جزيرة منعزلا عن جيرانه بسبب الخلافات القبلية او بسبب تباعد الشقة بين القرية والمدينة .. ومن ثم كان القروى ملزما بان يحصل على كل احتياجاته فى مستوى منخفض دون أن يحاول الاتصال بالعالم الكبير الذى يقوم وراء حدود المنطقة التى يعيش هو فيها ، ولكن الواقع ان هذه الاقتصاديات تتضاءل الان بسرعة فى افريقية الاستوائية فقد جاء التطور باقتصاديات النقد ، وحتى مجتمع « جويجى جولجا » فى وادية السحيق قد بدأ أفراده يعرفون التجار الذين يجيئونهم بالثياب والملح ، وشبانهم يذهبون الى مناجم النحاس للحصول على أجور من النقود ، والنقود ـ هى القليل منها ـ اللازم لسداد الضرائب للاوروبيين يحدث ثغرة فى اقتصاديات « قوام العيش » كما انه يمكن الحصول على النقود من بيع الانتاج أو من أداء الاعمال بالهجرة لوقت قصير ولمسافة قصيرة .

والشىء الذى يجب أن نلاحظه هو أن الناس فى افريقية الاستوائية كانوا .. ولا زالوا الى حد ما .. قليلى المطالب ، والرجل يتدبر امره وامر اسرته فى حدود إقتصادياته ، وكان الافريقيون يقولون عن الاوروبيين أنهم مصابون بمرض « الحاجة والمطالب » ، ولكن يبدو أنه فى السنوات القليلة القادمة سيصاب الافريقيون بعدوى « الحاجة والمطالب » لا من الاوروبيين بل من الافريقيين الاخرين .

ومن ثم احتاج الناس حتى فى المجتمعات المنعزلة النقود ، لدفع الضرائب ولشراء الاقمشة القطنية ثم ارتفع المستوى فاحتاجوها لشراء بعض الادوات المنزلية ولسداد نفقات التعليم فى المدارس ولشراء القليل من اللحم أو السمك بسبب عدم توافر الصيد ، واخيرا لشراء دراجة أو راديو .

على أن بعض المجتمعات الريفية فى افريقية الاستوائية قطعت شوطا طويلا فى الاقتصاديات المزدهرة وبخاصة فى المناطق التى يزرع فيها القطن والبن والكاكاو ، وأن كانت هذه المجتمعات تتفاوت بل وتوجد فيها صورة كاملة للتباين الطبقى ، فان كبار زراع البن الذين يبيعون من انتاجهم كل عام بين خمسة وبين خمسين طنا يصلون الى ٢ ٪ من الزراع ثم نجد ١٩ ٪ من جملة الزراع يبيعون بين نصف طن وبين خمسة اطنان سنويا وهؤلاء يستخدمون الايدى العاملة للزراعة والحمل ،

وفى مقابل هؤلاء وهؤلاء نجد ٢٧ ٪ من جملة السكان يبيعون بين مائتى رطل والف رطل و ٣٢ ٪ لايبيعون شيئا لانهم لايملكون أرضا ولا يعملون فى ارض الغير الا عاما ، ثم ٢٠ ٪ من العمال الذين يمكن أن يقال بأنهم يعملون لدورات كاملة فى اشبه استخدام دائم ..

وهذه الصورة متماثلة فى الشرق والغرب

فى مناطق مختلف ألوان الزراعات الرئيسية فى البلاد .

على أنه من الضرورى ان نلاحظ بان أهم عوامل التطور فى افريقية الاستوائيةهوادخال زراعات جديدة جيدة الانتاج ، « فالكاسافا » (وهى نبات يصنع من جزوره دقيق يصنع منهالخبز « التيوكا ») قد جاء من أمريكا الجنوبية ، وما نزرعه كينيا من القمح والارز والبن والشاى والموز والتبغ والقطن والاناناس جاءها كلهـا من خارج كينيا ، فاذا أضـفنا الكاكاو والفول السودانى والمطاط وجدنا أن كل الحاصلات التى تسـتند اليها اقتصاديات افريقيـة الاستوائية قد جاءت من خارج القارة ، جاء بها العرب والاسيويون من الهنود والصينيين وكذلك جاء بهـا البرتغـاليون على فترات مختلفة .

يقول هولينجسوورث فى كتـابه « تاريخ مختزل للساحلالشرقى الافريقى » : « ولقد قيل بأن القادمين الاولين من الشعب الزنجى الذين نزلوا أرض افريقية قد جاءوها من جنوب آسية ، وكان هؤلاء الناس سودالبشرة بأنوف عريضة مسطحة ، وقد ادخل هؤلاء الى أفريقية الموز وغيرهذا من النباتات ذات الجزور التى تؤكل وقد زرعوها فى البـداية على حواف انهار جزيرة زنجبار ، وكانهؤلاء أسلاف الزنوج الذين يعيشون اليوم فى جنوب السودان ، وفى تاريخ لاحق جاء اخرون من منطقة للشمال الغربى من آسيا حاميو الجنس وجاءوا الى افريقية بالماعز والكلاب وبعض أنواع الحبوب » .

ويقدم الاستاذ جورج بيترموردوك أستاذ علم الانثروبولوجى بجامعـة ييل فى كتـابه (افريقية : سكانها وتاريخهم الثقافى) يقدم جدول من النباتات التى جاء بها الى افريقية من ... على سبيل المثال لا الحصر .

من جنوب غربى أسية : الشعير ـ القمح العـدس ـ البنجر ـ العنب ـ البطيخ ـ البلح ـ الكتان ـ الزيتون .

من جنوب شرقى أسية : الارز ـ الموز ـ جوز الهند ـ قصب السكر ـ ألزنجبيل ـ المانجو ـ الباذنجان .

من أمريكا : الذرة ـ الفول السودانى ـ اللوبيا ـ الاناناس ـ الببار ـ الـكاكاو ـ الفلفل الاحمر ـ التبغ ـ البطاطا .

كثافة السكان

على أن الحديث عن اقتصاديات الزراعة والحاجة الى « النقود » أى الى القيـام بالعمل المأجور عند الغير يجبرنا الىالحديث عن « كثافة السكان » لتقدير نصيبالفرد .

ومع معرفتنا بأن نسبة الكثافة فى انجلترا وويلز هى ٣٠٠ للميـل الواحد وأنها ١١١ للميل فى الهنـد و ٢٢ فى الولايات المتحـدة فانها :

فى غرب افريقـة كـكل ١٣ر٣ للكيلو متر المربع .

فى شرق افريقية ككل ٣ للكيلو متر المربع .

فى غرب افريقية قرب السـاحل من ٢٠ الى ٥٠ للكيلو متر المربع .

فى نيجيريا ١٠٠ للكيلو متر المربع .

فى كينيا ١٠ للكيلو متر المربع .

فى أوغنده ٢٣ للكيلو متر المربع .

فى أرض الكيكويو على ضـفاف بحـيرة فيكتوريا ١٦٠ للكيلو متر المربع .

فى رواندا أورندى وحواف بحيرة نياسـا ٨٠ للكيلو متر المربع .

فى قلب افريقية وجمهورية وسط أفريقية ٢ للكيلو متر المربع .

فى روديسيا الشمالية ٣ للكيلو مترالمربع .

فى الكونغو ٥ للكيلو متر المربع .

وتكشف لنا هـذه الارقام المتفـاوتة بعض المشكلاتالرئيسية فى شرق افريقية وبخاصة فى أرض الكيكويو ، مع ملاحظـة أن نسـبة الكثافة الكثيرة فى نيجيريا انما تستوعبهـا المدن والمنطقة الساحلية حيث تتوافر الاعمال غير اعمال الارض والفلاحة .

ويجب أن نلاحظ هنـا بأن الارض ملك للقبيلة فلا يوجد نظام قائم للوراثة ، والارض تستغلها الاسرة أو العشيرة ، ولـكل فرد فى العشيرة أو الاسرة حقه كاملا فى الارض ، ومن ثم فاننا لا نلقى العامل الذى يؤجر للغـير

الا عند الحاجة للنقد .. هذه الحاجة التى نشأت منذ أن فرضت الضرائب النقدية ، وأرغم الافريقيون على العمل أو بمعنى أدق الى الهجرة الموقوتة للحصول على النقد ثم يعودون لقراهم عندما يستطيعون ان يحصلوا على حاجتهم منها .

ولا توجد أدلة على الهروب من النظام القبلى أو الفكاك من الالتزامات القبليـــة ، والكثيرون يعودون الى مجتمعاتهم القبليـــة بعـد فترات تطول او تقصر حسب الحاجـة الى النقد وعلة هذا انهم فى المدن يعيشون غرباء ويعملون لدى اجانب عن تقـاليدهم وبيئاتهم ثم يدفعون الكثير لغذاء غير كاف ، ومن ثم فان الكثيرين يفضلون العمل المحلى على العمل البعيد حتى ولو بأجر اقل وذلك لضمان بقاء الارتباط القبلى على مثال قبائل تونجا ومميوي فى روديسيا الشمالية وعلى الهضبة بين بحيرة نياسا وبحيرة تنجانيقا .

التاجر الافريقى

والواقع أنه من الصعب أن نقدر بدقة طبيعة التجارة فى داخل افريقية الاستوائية قبل أن ينفذ الاوروبيون والعرب والاسيويون للداخل اللهم فيما نعرف من قوافل التجارة عبر الصحراء فى أزمان معرقة فى القـــدم ، على أنه من الضرورى ان نتصور اساســيا أسلوبا مضطربا من الاغارات والمقايضـــة ، كانت هناك مجتمعات متقدمة ما فى هذا من شك ، صناع وصناعات ، صناع يعملون فى الذهب والآنية الفخارية وعمـــال يطـرقون النحاس ، صناعات يدوية ، وفى مراكز الاقامة الكبيرة وفى مناطق الامراء والزعماء القبليين كانت التجارة والاغارة توجدان أسـواقا متطورة ، وتوجدان حضارات حول الامراء فى المناطق التى نزلها العرب بشرق ووســط القارة أقرب الى حضارة الشرق الاوســط منها الى حضارة أفريقية الزنجية . وقامت فى أحواض أنهار النيجر والفــولتا حضــارة (قديمـة ولا شك .. ولكن الذى لا يمكننا من تحديد تاريخها هو انعدام الســجلات الاثرية المخطوطة على جــدران الهيــاكل والمعابد ، صحيح أن الحفريات قد كشفت عن تحضر قديم فى هندســة البناء ، وعن استخدام المعادن وبخاصة الحديد فى صناعة الاسلحة وفى صـــناعة الآلات البدائية لتشق الارض للزراعة .. وحضـــارة الزراع هى حضارة تابعة لحضارات الصياد والراعى وهى الحضارة المهدة لحضارة الصناعة ، وصحيح ان بعض هذه الحفريات يدل على ان ما يمكن الحصـــول عليه من اثار يرجـع الى آلاف السنين الا أنه من المشكوك فيه ان تكـون حضارة النيجر والفولتا ســابقة للحضــارة التى قامت فى حوض النيــل أو فى حوض الدجــلة والفــرات أو حوض الجـــانج بالهند) .

فالتاجر الافريقى عرف التبادل مع الغرباء من خارج القارة أولئك الذين يجيئون بالبحر مع الرياح الموسمية أو ينتقلون بقوافـــل حيوانات الحمل حتى قبل عصر الجمل وقد عرف هذا منذ أبعد العصور للمبادلة بالذهب وبسن الفيل قبل ان يعرف التبادل بالمادة البشرية فى تجارة الرقيق .

وعنـدما جاء الاوروبيون بدأوا ولا شـك بالرقيق والعاج وأحيانا بالذهب ، وحملوا معهم للتبادل الاســلحة النارية والاقمشـة والمنســوجات ، وبذلك أوجـدوا ســوقا للمصنوعات الاوروبية فى قلب القارة وفى غرب افريقية فى منطقة السافانا وفى بعض منـاطق الغابات ، ونشأت فى مناطق التبادل هـذه مدن بدائية راحت تنمو مع الايام .. ولكنها كانت هى الاصل السابق للاسواق العظيمة القائمة اليوم .

على أنه عندما بدأ التجار الاوروبيون فى الشراء والانتاج بدأ الفرق بين شرق وغـرب افريقية يزداد ويتسع ، ففى غرب افريقيـة كان المحصول الرئيسى يملكه الافريقيون . . ثم ان الانهار كانت تفتح الطريق لداخل البلاد، وهكذا كانت التجارة تتم بسرعة ، فان ما يقدمه الاوروبيون منمنتجات فىالمبادلة مع الحاصلات والمواد الخام كان يصل الى أيدى الافريقيين والى اسواقهم الداخلية بسرعة ، وامتـدت للداخل شركات البيع والانتاج ، ووجدت هذه الشركات الافريقيين الذين يمكن ان يجيئـوا

بالانتاج وأن يوزعوا المتاجر والمصنوعات الاوروبية حتى فى أصغر القرى .

ولكن الموقف فى شرق ووسط افريقية كان مختلفا ، فلم يكن هناك محصول افريقى رئيسى للتصدير بكميات كبيرة ، وكان على التجارة ان تنتظر الاختراق البطىء لداخل القارة واقامة المستوطنات ومحاولة تطوير الحاصلات والمعادن ومد خط حديدى لنقل البضائع للساحل (١)

ولم تكن هناك تجارة رئيسية ولا تجارة بسيطة بعد توقف تجارة الرقيق وكان الاسيويون يقومون بتجارة التجزئة «القطاعى» للافريقيين والاوروبيين على السواء ، وسيطروا على هذا اللون من التجارة ، ثم قاموا بعد ذلك بزراعة قصب السكر وحلج القطن ..

ومع أن سيطرة الاوروبيين على المناطق الداخلية على الساحل الغربى لافريقية لم تسبق السيطرة على قلب وشرق القارة بوقت طويل الا أن توافر المحصولات الافريقية الصالحة للتصدير وسهولة النقل والاتصالات التجارية الاولى المبكرة اعطت الساحل الغربى بداية طويلة فى الاسهام الافريقى فى تنمية التجارة ، واعطت المدن الجديدة داكار ، ابديجان ، لاغوس ، برازيفيل ، ساليسبورى نيروبى فرصا مختلفة للتجار الافريقيين الذين كونوا مجتمعات كبيرة من رجال الاعمال وأصحاب الحرف اليدوية التى تحتاجها هذه المدن ، ومع هذا فان هذه المدن الجديدة يمكن أن توضح الخلاف بين درجتى التطور بين الساحلين الشرقى والغربى ..

وكانت آخر مراحل التطور عند ما بدأ الافريقيون فى شرق افريقية يتحدون السيطرة الاسيوية فى ميدان التجارة ، كما بدأ الافريقيون على الساحل الغربى يتملكون المصانع الاوروبية ويسيطرون على اقتصادياتهم .

وقد عرضنا لهذا فى بحث كامل عند الحديث عن « المدخل الى الاقتصاد فى هذا المكان من مجلتنا الحبيبة » « نهضة افريقيا » قبل شهرين .

نمو الصناعات

ولكن الخطوة الواسعة فى التطور الاقتصادى فى الواقع هى الخطوة التى صحبت نمو الصناعة ، ولقد اعتمدت اقتصاديات افريقية الاستوائية حتى سنة ١٩٣٩ اصلا على الزراعة لقوام العيش ، وعلى تصدير الانتاج الزراعى وتصدير المعادن وبخاصة من مناجم روديسيا وكاتنجا فى نطاق « الكوبلت » ومناجم غانة ، ولم تكن هناك غير صناعات قليلة ثانوية ، وكانت الميزانيات تعتمد أول ما تعتمد على رسوم الاستيراد والتصدير ، وكانت هناك بعض المدن الكبيرة بصناعاتها وتجارتها القليلة مع مستوى محدود للتطور التجارى فى الغرب

ولكن منذ سنة ١٩٤٥ جاء — فى سرعة غريبة — نمو صناعى مطرد أكبر توزعا وان كانت البلاد لا تزال زراعية الاقتصاد أى تقوم اقتصادياتها على الزراعة ، فالنمو الصناعى جاء ولا شك نتيجة زيادة الدخل الذى يرجع هو الآخر بدوره أساسيا الى التقدم الزراعى التدريجى كما جاءت نتيجة جهود متواصلة فى شق وتمهيد الطرق ونشر التعليم ، وقد صحبت هذا مؤثرات خارجية كزيادة الاستثمار من وراء البحار وانتعاش اقتصاديات اوروبا بعد مؤثرات الحرب العالمية الثانية ، ثم زيادة المحاصيل الافريقية أثناء الحرب الكورية لسد مطالب تلك الحرب ، وذلك عن سنة ١٩٥٩ وهى آخر الاحصائيات الدقيقة الموجودة فى مراجع يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها

---

(١) اللهم عدا الذهب وسن الفيل وكان المصريون القدامى قبل عصر الدولة القديمة يستوردون البخور للهياكل وحفلات دفن الموتى من أرض بونت على الساحل الشرقى لافريقية ، وقد بعثوا السفن للتجارة ، كان ذهب زفر معروفا من الاوروبيين قبل عصر داود عليه السلام ، وفى سفر الاخبار « براليبوين » قصة سفن سليمان عليه السلام التى نقلت من زفر اربعمائة وعشرين ثلاثا أى وزنه من الذهب « المترجم » .



« أطفال الجزائر .. يتأملون الحرب .. »

ISSUE No. 72 — SIXTH YEAR — NOVEMBER 1963

RENAISSANCE OF Africa







العدد ٧٣ السنة السابعة - ديسمبر ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة أفريقية





((الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد ملتون أوبوتي))
وابتسامتان من أجل مستقبل أفريقية

نهضــــة افريقيــة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضه افريقية
٢٧ شــارع عبـد الخالق ثروت
تليـفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبـار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .



نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

– ١ –

ان المغزى العميق الذى يدل عليه استقلال زنجبار وكينيا والرحيل عن بنزرت هو فى صميمه « التصفية » التى توشك أن تكون نهائية للاستعمار فى افريقية ، وهو فى الوقت نفسه استجابة سريعة لأمواج الحرية التى تتلاطم فى القارة ، والتى تغطى فى نهاية الأمر كل الجــزر المستعصية ، ثم تنحسر عن أفريقيــة جديدة مضيئة كالسماء بعد المطر .

والذى على الدول الافريقية الآن أن تعمل على قطع « جسور التسلل » التى يمكن منها العودة بأى شكل الى هذه الدول ، كما أن عليها أن تساند القــوى الجديدة فى حرب ما بعــد الحرية ، حتى يمكن للقــارة كلها أن تنتظم فى واقعها الجــديد من أجل التقدم والسلام والرفاهية .

– ٢ –

لقد كان لقاء ذكيا هذا اللقاء الذى تم بين الرئيس جمال عبد النــاصر وبين وزراء العمل الافريقيين فى قلب القاهرة ، مما يتأكد معه أن القــارة تصوغ مقدراتها من جديد ، وأنهــا تضع لكل مشكلة حلا افريقيا ، وفى ضوء هذا تتأكد – كما ذكر الســيد الرئيس – الشخصية الافريقيــة ، وروح الانطــلاق الى العمل الافريقى الموحد .

عبده بدوى

فهرس العدد

الثورة العريقة

بقلم المحرر الدبلوماسي

كان يتحدث معنا أبناؤه فى الوطنيـــة : أودنجا وكوينانجى وموروميى ، عندما جاءوا الى القاهرة منذ بضعة اسابيع ..

وكان أول سؤال أجابوا عليه عن صـحة كنياتا :

انه فى أحسن صحة ، جسميا ونفسيا .. ان سنوات السجن والعـذاب لم تفلح فى القضاء على الاب الشجاع ولا فى اضـعاف روحه المعنوية .

وانفتـحت أبواب الذكـريات عن كينيـا وكنياتا ...

ان ثورة كينيا بدأت مع الثورة المصرية الاولى التى اندلعت عام ١٩١٩ ، وان كان شمل « الكيكويو » لم يلتئم الا بعد ثورتنا بثلاث سنوات ولئن بدأت الثورة الـكينية على هيئة « جمعية »متواضعة تضم عصب الشعب الكينى ، « وهم الكيكويو » الا ان تلك البذرة التى زرعها كنياتا عام ١٩٢٢ قد تولدت منها ، بعد ثلاثين عاما ، أى فى عام ١٩٥٢ أعظم ثورة وطنيةعارمةعرفتها أفريقيا الشرقيـــة ، وهى الثورة التى أســماها الاستعمار فيما بعد « ثورة ماو ماو » .

ويعتبر سلوك كنياتا أثناء توجيهه لنشاط ((الكيكويو)) السلمى قبـل ((ماو ماو)) وفى أثناء فترة الـكفاح المسلح ، وفى أثناء فترةالسجن سبع سنوات ، وفى أثناءالاعتقال التعسفى التى تلت الافراج عنـه ، وفى أثناء الانتخابات المتعددة التى جـرت فى كينيا فى السنتين الاخـيرتين تحت اشراف الادارة البريطانية ، وفى أثناء اشتراكه فى الحكم نائبا ووزيرا ، وفى أثناء مفاوضاته فى لندن مع ممثلى الحكومة البريطانيةوممثلى المستوطنين الاوربيين .. يعتبر سلوك كنياتا فى خلال هذا كله ، أى فى فترة تزيدعلى الاربعين عاما ، نموذجا للسـياسى والمناضل الثورى ورجل الدولة على حد سواء .

لقد بدأ كفاحه من « الارض » فوقفعلى القاعدة الصلبة التى صورها أجمل تصوير فى كتابه « فى مواجهة جبل كينيـا » ومن « عقيدة الارض » التى رواها فى نفوس مواطنيه تدرج الى الافكار والمثل الوطنية العليا ، الى الحرية والاستقلال ووحدةشرقافريقيا والوحدة الافريقية الشاملة .

ولقد تجلت البراعة السياسية الاصيلة لدى كنياتا فى فترة الكفاح المسلح الذى كان يوجهه بالفعل فى كينيا . ففى الوقت الذى كان العالم كله يعرف انه قائد ذلك الكفاح وملهمه وواضع تخطيطه ، كان خصومه من حكام كينيا الاجانب فى عجز كامل عن وضع أيديهم على الخيوط الدقيقة التى يحرك بها كنياتا عناصر الثـورة ، ولـما اسـتبدت بهم الحيرة ، واصبحوا سخرية افريقيا والعالم لم يسعهم الا أن يلفقوا قضية لكنياتا ، وان يستأجروا شاهدا ـ نضـحهم فيما بعـد واعترف بقبض الرشوة ـ وأن يستصدروا حكما بالسجن من قاض اجنبى يطبق قانونا غير شرعى .

وفى فترة الطوارىء التى استمرت حوالى تسع سنوات والتى حرم فيها على الشعب الكينى أن ينتىء أحزابا سياسية وطنية ، وكان أقصىما سمح به انشاءمنظمات اقليمية هى أشبه بالنقابات المهنية المحلية ، كان كنياتا السجين على صلة وثيقة بتلك المنظمات وكان زعماؤها يتصلون به ويستشيرونه ويستلهمونه ويدبرون-باشرافه- ربط الجماعات المتناثرة ، فى هيئة واحدة ، فى اللحظة المناسبة ، وما أنحانت تلكاللحظة حتى تكون « اتحاد كينيا الافريقى الوطنى » المسمى اختصارا « كانو » ، وكان كنياتا قد خرج من السجن « قانونا » ولكن ظل « تحت التحفظ » وأقصى الى معتقل صحراوى فى أقصى شمال كينيا ، على حدود الصومال .

وهنا برزت عظمة كنياتا مرة أخرى ،حينما قرر الزعماء الوطنيون فى نيروبى ، اختياره زعيما للحزب وانتخاب«جيشورو»نائبا عنه ، وهكذا ظلت الحركة الوطنية الكينية محتفظة بقائدها وواضع قواعدها منذ عام ١٩٢٢ .

وفى مواجهة التيار الوطنى الافريقى الذى تدفق من مؤتمر اكرا » للدول الافريقية المستقلة ثم مؤتمر الشعوب الافريقية « عام ١٩٥٨ » قررت وزارة المستعمرات فى لندن ان « تهيىء » مستعمراتها للحكم الذاتى « تمهيدا » للاستقلال .

وفى مؤتمر عقد فى لندن منذ سنتين فقط ، وكانت الكلمة العليا فيه لموظفى وزارة المستعمرات ولقادة المستوطنين البيض فى شرق ووسط أفريقيا اتفق على « التدرج » بتنجانيقا حتى تصل الى الاستقلال فى عام ١٩٧٠ « ... ! » على أن تستقل كينيا فى موعد ما ، بعد عام ١٩٧٥ ..!

وفى سبيل « تخدير » الشعور الوطنى الافريقى المتزايد تقرر نقل كنياتا منمعتقله فى أقصى الشمال الى معتقل يقع فى منتصف المسافة الى نيروبى ..

ولكن ذلك الشعور لم يتخدر ، بل زاد اشتعالا ، وخاصة بعد أن اشترك فىالحكومة الكينية ، لاول مرة ، وزراء أفريقيون .

ولقد كنت فى « دار السلام » فى أوائل عام ١٩٦١ حينما اشتدت مطالبة الزعماء الكينيين بالافراج عن كنياتا وشهدت — على مقربة من مسرح الحوادث — فصولا من التراجع الاستعمارى المصحوب بالتهديد والوعيد .

فقد أعلن « حاكم كينيا » أنه « لن يفرج عن ذلك الرجل الذى يعتبر رسول الشر والظلام » .

ومرت أسابيع أعلن بعدها من لندن ان هناك تفكيرا فى الافراج عن كنياتا .

ثم أعلن من لندن عن تغيير الحاكم العام البريطانى فى كينيا .

وجاء الحاكم الجديد فأعلن النية فى السماح للزعيم المعتقل بالعودة الى نيروبى بعد فترة من الوقت تسمح بانشاء مسكن له، اذ انه لا « يملك » مسكنا فى العاصمة .

وتبرع « كوينانجى » ببيته فى العاصمة ليسكن فيه كنياتا .

وعاد الزعيم الى العاصمة ليرأس حزب ((كانو)) وليرشح نفسه للانتخابات وليرأس الاغلبية البرلمانية وليفاوض بريطانيا على قدم المساواة وليخوض معها — على مائدةالمفاوضات فى الصيف الماضى — معركة سريعة حاسمة ، كانت تدور بين دعاة الاقليمية الكينيين ، ومن ورائهم وزارةالمستعمرات ، وبين دعاةالوحدة الوطنية وعلى رأسهم حزب ((كانو)) .

وتراجعت وزارة المستعمرات وقبلت حلا وسطا فيه ثغرة تسمح للاغلبية البرلمانية الكينية بأن تعدل الدستور فى المستقبل تعديلا يضمن تحقيق الوحدة الكاملة .

واضع القلم الآن لكى أتخذ طريقى الى نيروبى تلبية لدعوة الزعيم كنياتا لحضور حفلات الاستقلال ومن هناك سوف يبدأ حديثنا القادم .

الاستعمار الجديد وتحرير الوطن والمواطن

بقلم حسين فهمى

لا جدال فى ان التغييرات الموضوعية التى طرأت على ميزان القوى الدولية والطبقية فى العالم قد عجلت بتحلل الاستعمار ومن تلك التغيرات النمـــو السريع لقـــوة المعسكر الاشتراكى ، ومولد قوى جـديدة هى قوى التحرر الوطنى فى البـلاد التى عانت مرارة الاستعمار ، ومنها وعى عالمى بقضية السلام .. هذه التغييرات الموضوعية كان من شأنها أن تعجل بنهاية الاستعمار، وبانتصار حركات التحرر الوطنى ، كما كان من شأنها أن تجنب العالم أكثر من مرة ويلات حرب ذرية ..

ولكن هذه الحقائق لا ينبغى أن تدفعنا الى الاطمئنـــان أو التراخى ذلك ان الاستعمار بالرغم مما منى به من خسائر ما زال يملك من أسباب السيطرة والتدخل الشىء الكثير ، ومن القــدرة على الاستغلال وسرقة الشعوب الشىء الأكثر .. ان الـكثير من الدول التى نالت استقلالها ما زالت خاضعة لنير عبودية اقتصادية فرضها عليها المستعمر .. والكثير من الشعوب ما زالت خاضعـة لأبشع ألوان الاســتغلال الاجنبى والاضطهاد العنصرى .. والكثير من الشعوب فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينيـة وان كانت قـد حققت اسـتقلالا سياسيا ما زالت تعيش بين شقى الرحى .. سيطرة أجنبيـة استعمارية من الخـارج ، ورجعية واقطاع ورأسمالية ظالمة فى الداخل !!

ذلك هو الاستمار الجديد .. ان الاستعمار القديم القائم على العـدوان الغاشم والنهب المفضوح قد تحطم على صخرة حرب السويس .. صخرة تضـامن قـوى التحـرر الوطنى

والسلام والاشتراكية فى العالم كله .. ولكن استعمارا جديدا ما لبث أن رفع رايته .. لقد تحررت شعوب كثيرة من الاستعمار القديم لتسقط فى شراك الاستعمار الجديد !!

والاستعمار الجديد الذى يختفىوراء مبررات الدفاع ، والقواعد العسكرية ، والمساعدات الاقتصادية والفنية ، والتسلل عن طريق دول لم يكن لها ماض استعمارى فى افريقيا .. ان هذا الاستعمار يهدف الى تجميد الاستقلال السياسى .. والى محاصرته ، والى تحويله الى مجرد رمز .. كالسلام الوطنى ، ان هدف الاستعمار الجديد مواصلةالسيطرة ثم مواصلةالاستغلال ثم الحفاظ علىالحكومات والمجتمعات الرجعية التى أنشأها فىمستعمراته .. ان الاستعمار الجديد يخشى اندلاع الثورة الاجتماعية ، وبالتالىفان الاستقلالالاقتصادى هو أخشى ما يخشاه الاستعمار الجديد .. ذلك لأن التحرر الاقتصادى لا يعنى النمو والتطور الاقتصادى الذى يهدد مصالح الاستعمار فحسب ، وانما يعنى كذلك تهيئة الظروف الاجتماعية والطبقية التى تؤدى الى التحول الاشتراكى .. أى الى نسف المصالح الاستعمارية من جذورها ..

ولذلك فان التحرر الوطنى فى عصرنا يتغير تغيرا جذريا .. لم يعد الاستقلال السياسى هو قضية التحرر الوطنى لان الاستقلال السياسى يصبح مجرد غلالة شفافة للسيطرة الاجنبية ، اذا لم يكن مدعما بتحرر وطنى اقتصادى واجتماعى وثقافى من ناحية ، واذا لم يكن قائما على تحرير الفرد من السيطرة والاستغلال والاضطهاد والتخلف من ناحية أخرى .

وعلى أرض الجزائر الباسلة تدور معركة تاريخية من معارك الاستعمار الجديد فى قارتنا الافريقية .. فالاستقلال الجزائرى يخوض معركة ضارية من أجل ان يتحول الى تحرر وطنى حقيقى .. قائم على تحرير الوطن وتحرير المواطن ، ولكن الاستعمار الجديد ، بالتعاون مع الرجعية والبرجوازية ، وبالتضامن مع احتكارات البترول والرأسمالية الفرنسية فى فرنسا والمغرب العربى ، يواصل مؤامراته ضد الثورة الجزائرية .. ويواصل حصاره للاستقلال وضربه للاشتراكية .

ان شعب الجزائر حين يحقق فى أقل من عامين كله هذه الانتصارات لايمكن الا أن يشكل خطرا حقيقيا على مصالح الاستعمار الجديد فى المغرب العربى ، والوطن العربى، والقارة الافريقية وغيرها .. ان تأميمأراضى الفرنسيين وممتلكاتهم والقضاء على الاقطاع وتطبيق نظام التسيير الذاتى فى الزراعة والصناعة ، وتحويل جبهة التحريرالجزائرية الى حزب اشتراكى ثورى ... الخ لايمكن أن يرضى الاستعمار الجديد ، ولا الرجعية المغربية ، ولا الرجعية والبراجوازية الجزائرية ، ولا احتكارات البترول العالمية التى تسرق بترول الجزائر .

وعلى الصعيد السياسى فان سياسة الثورة الجزائرية — كسياسة أى دولة أخرى — انما هى انعكاس للنظام الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع الجزائرى الجديد .. ان موقف عدم الانحياز ، والايمان العميق بالسلام والتعايش السلمى ، والاصرار على التحرر من القواعد الاجنبية والاستغلال الاجنبى ، والانضواء فى معركة الوحدة المغربية والوحدة العربية الشاملة علىأسس اشتراكية ثورية .. نقول ان هذا كله انما هو التعبير الصحيح عن مصالح جماهير الشعب الجزائرى ، والانعكاس الطبيعى للمجتمع الجديد الذى ترسى الثورة الاشتراكية الجماهيرية الثورية أسسه ، ودعاماته .. كذلك موقف النضال الايجابى لتحرير القارة الافريقية والذى ذهب الى حد تدريب الاف الثوار فى المستعمرات البرتغالية على

الكفاح المسلح .. هو الاخر تعبير عن ايمان ثورة الجزائر بدور التضامن الافريقى فى معركة التصفية النهائية للاستعمار ، وبوعيها بخطر الوجود الاستعمارى فى أى ركن من أركان القارة على استقلال الجزائر ، وباعترافها بجدوى هذا التضامن والدور الخطير الذى أداه لتحرير الجزائر نفسها .

كل ذلك .. الثورة الاجتماعية ، والموقف الدولى والسياسة المغربيـة والعربيـة ، واقصاء الاقطاع والبرجوازية عن مراكز القيادة .. والسيطرة الاقتصادية والاجتماعية .. فضلا عن كونه نسفا للمصالح الاستعمارية والرجعية فى الجزائر والمغرب العربى ، فهو تهديد لمصالح الاستعمار الجديد الهائلة فى القارة الافريقية .

ان الاستعمار الذى عجلت الثورة الجزائرية الظافرة بانسحابه من أغلب دول افريقيـا ، يؤمن بمدى الاخطار والخسائر التى سيمنى بها اذا انتصرت الثورة الاشتراكية فى الجزائر فهو أعلم من غيره بمدى ما تحظى به ثورة الجزائر من شعبية أصيلة فى كافة البلاد الافريقية ، ومن اعجاب وتفاعل القوى الثورية الافريقية .

ان الجزائر ستصبح حينئذ مثلا يحتذى .. فتمتد ألسنة الثورة الاجتماعية الى القارة المنهوبة ، المضطهدة ، المتطلعة الى تحرير الوطن والمواطن .

والسياسة العربية لثورة الجزائر هى الاخرى تهديد لمصالح الاستعمار الجديد فى الوطن العربى .. وبالاضافة الى ما تحظى به الثورة الجزائرية والتجربة الاشتراكية الجزائرية من احترام الطليعة الثورية العربية ، فان سياستها المتحررة وثورتها الاجتماعية التقدمية انما هى تهديد مباشر لمصالح الاستعمار الجديد فى الوطن العربى .. وعلى رأس هذه المصالح ، بل وفى طليعة هذه المصالح وقيادتها ، مصالح احتكارات البترول العالمية والدولية والخاضعة للرأسمالى الامريكى والاوربى .

ان التأميم والاشتراكية ، والتحرر الاقتصادى فى الجزائر تهديد مباشر لهذه المصالح .. أما الوحدة العربية الاشتراكية الثورية فهى القضاء المبرم على هذه المصالح .. ذلك ان وطننا العربى كله يسبح فوق بحار البترول ، ويخضع لقوى بترولية عالمية ضخمة هى التى توجه سياسة الاستعمار القديم والجديد فى وطننا بالتعاون مع الرجعية المحلية .

تلك الاحتكارات هى التى تحيك المؤامرات لمعسكر الثورة الاشتراكية الوحدوية ، وهى التى تدمر أسافين الخلافات بين الحكومات العربية ، وهى التى توجه سياسة حكوماتها فى وطننا .. وهى على رأس القوى التى تحيك المؤامرات ضد ثورة الشعب الجزائرى وشعب الجمهورية العربية المتحدة وشعب اليمن .. دفاعا عن سيطرتها ، واستغلالها .. وحفاظا على الحكومات التى تفرضها ، والمجتمعات التى تخلفها ، ان شركة واحدة كشركة بترول العراق تحقق أرباحا سنوية تبلغ ثلثمائة مليون دولار .. ومن هنا يبطل العجب حول أى محاولة استعمارية لتمزيق وحدة الصف العربى ، أو حماية المجتمعات الرجعيـة والحكومات العميلة .

بيد ان الاستعمار الجديد ليس كالاستعمار القديم .. فهو لا يضيق بالشعارات التقدمية .. بل ويرفع — فى كثير من الاحيان هـذه الشعارات .. فهو يحتويها ويحاول مسخها وتحويلهـا عن أهدافهـا مع الافادة من شعبيتها ..

وفى القارة الافريقية مثلا يعمد الاستعمار الجديد الى امتصاص ارادة الوحـدة التى

تتأرجح فى قلوب الافريقيين ، فيحاول انشاء وحدات مصطنعة زائفة لاتستند الى أى أساس من اللغة أو الجنس أو الدين او المصالح او الظروف المادية ..وحدات خاضعة لحكومات تابعة ، ومن أجل الحفاظ على المجتمعات الاستغلالية التى انشأها .

والشىء نفسه يحدث فى الوطن العربى .. عندما يعلو مطلب الوحدة الاشتراكية ، فان الاستعمار الجديد ومن ورائه شركات البترول يهب الى انشاء اشتراكيات زائفة لا تأميم فيها ، ولا تخطيط ، ولا استرداد لثروات الجماهير المنهوبة ، ووحدات ليس فيها من الوحدة غير مصالح تجمع الحكومات الرجعية والانتهازية .

والدور الذى تؤديه شركات البترول فى الوطن العربى ، تؤديه الاحتكارات الدولية والعالمية التى تسيطر على ثروات أفريقيا ، والسوق المشتركة الاوربية التى تواصل نهب هذه الثروات .

وهكذا يشهد العالم مرحلة جديدة من مراحل الصراع من قوى التحرر والاستعمار هى مرحلة الاستعمار الجديد .. والاستعمار الجديد مازال يملك الاسلحة الهائلة ، ومازال يمثل خطرا على سلام العالم ، ومازال يواصل استغلال ونهب الشعوب .. ولذلك فان العمل على التعجيل بالتصفية النهائية والحاسمة لهذا الاستعمار هو الضمان الوحيد لحماية الاستقلال ، والقضاء على ما تعانيه شعوب أفريقيا من استغلال واضطهاد وتخلف ... وكما ان الوحدة العربية ضد الاستعمار الجديد هى الطريق الوحيد للتخلص من سيطرة واستغلال وتدخل احتكارات البترول، كذلك الوحدة الافريقية هى طريق شعوب افريقيا الى التحرر الوطنى الصحيح والافلات من نير الاحتكارات العالمية والدولية التى تحكم افريقيا ، ولذلك فان الاستعمار الجديد يلتزم من الوحدة العربية ، والوحدة الافريقية موقف العداء والحرب المكشوفة .

ومن هنا تبدو بوضوح أهمية التضامن العربى والافريقى من هذه المرحلة التاريخية الراهنة من مراحل النضال ضد الاستعمار والحرب .. ان الشعوب التى حظيت باستقلالها وتحاول تدعيمه وحمايته ، والشعوب التى تبنى اشتراكيتها ، والشعوب التى تؤمن بالارتباط العضوى بين قضية السلام وقضايا التحرر الوطنى ، والشعوب التى تنشر التطور وازالة وهمات التخلف ... ان كل هذه الشعوب،ومن ورائها قوى السلام والديمقراطية فى العالم أجمع تقف وراء شعوبنا الافريقية فى هذه المعركة التاريخية التى ستبزغ بعد النصر فيها على العالم شمس السلام الدائم ، والحرية ، والتقدم .

((حسين فهمى))



تجارب فى اقتصاديات غينيا

للدكتور راشد البراوى

تقع جمهورية غينيا على الساحل الغربى من القارة الافريقية ، متوسطة سيرا ليونى التى انتزعت استقلالها من بريطانيا ، وغينيا التى لا تزال تئن تحت وطأة الاستعمار البرتغالى . وتبلغ المساحة الكلية ٩٥ الف ميل مربع = (٢٤٥ر٨٥٧ كيلو مترا مربعا) ، وقدر عدد السكان فى عام ١٩٦٠ بحوالى ٢ر٧ مليون نسمة .

وعندما قام الجنرال ديجول بزيارة عاصمة البلاد ، كوناكرى (١١٣ الف نسمة) ، قطع على نفسه وعلى بلاده العهد التالى بقوله :

« واقول هنا ، بل وبصوت أعلى منه فى أى مكان آخر ، ان الاستقلال فى متناول غينيا ، تستطيع أن تحصل عليه ، وتستطيع أن تحصل عليه فى ٢٨ سبتمبر بأن ترد بكلمة «لا» على الاقتراح المعروض عليها ، واذ تقول هذا أضمن أن باريس لن تقيم عقبة فى وجهها » .

وفى ٢٨ سبتمبر كان جواب شعب غينيا فى الاستفتاء على دستور ديجول الجديد ، هو كلمة « لا » ، وفى الثانى من أكتوبر عام ١٩٥٨ أصبحت غينيا رسميا جمهورية مستقلة على رأسها سيكو توريه الذى لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره ، والذى ينتمى الى أسرة من الفلاحين المسلمين الفقراء ، وهو حفيد ساموري ، الزعيم الاسطورى الذى ظل طويلا يحارب القوات الفرنسية بعد أن تمكنت من اخضاع بقية البلاد .

حقيقة لم تثر حكومة باريس اعتراضا على قرار غينيا بالاستقلال التام والخروج من نطاق الكومنولث الفرنسى ، ولكنها عمدت الى أسلوب آخر هو توقيع العقوبات الاقتصادية ، فسحبت الموظفين الاداريين والفنيين بحيث لم يحل الاسبوع الأول من نوفمبر حتى لم يبق فى البلاد الا أقل من عشرين شخصا من مجموع قدره أربعة آلاف من الفنيين والمدرسين والأطباء والقضاة ، وكان الهدف من الاجراء العنيف شل الحركة فى البلاد أو جهازها الادارى كله واشاعة الفوضى والاضطراب . ولم يقف العقاب عند هذا الحد ، بل قطعت فرنسا كل أنواع المساعدة الاقتصادية مما لابد منها لحسن سير الحياة الاقتصادية ، ثم أوقفت تقريبا العلاقات التجارية فامتنع المستوردون الفرنسيون عن استيراد المنتجات الغينية ، وتراكمت المقادير الضخمة من الموز مثلا على الارصفة حتى تفسد ، والموز من المنتجات الرئيسية المعدة للتصدير أساسا ،

بحيث يبلغ الانتاج منه أكثر من ٦٦ الف طن في السنة ، ولم تحاول الدول الغربية أن تسد الفراغ الناشيء ، مراعاة لشعور فرنسا أو رعاية لمصالحها .

وهنا تقدمت دول أخرى بالعون العاجل ، فدفق المعلمون من السنغال حتى لا توصد المدارس أبوابها ، وعرضت حكومة غانة قرضا قدره عشرة ملايين من الجنيهات الاسترلينية ولم يمض وقت حتى قدم الاتحاد السوفييتي قرضا آخر قدره خمسة وثلاثون مليون دولار من دولارات الولايات المتحدة الامريكية . وعمدت غينيا الى عقد الاتفاقات التجارية حتى يتسنى لها تنويع نمط تجارتها الخارجية وفتح أسواق جديدة ، بحيث لم يحل عام ١٩٥٩ ، حتى كان ١٥ في المائة من التجارة الخارجية مع بلدان المعسكر الشرقي . وفي عام ١٩٦٠ زار رئيس جمهورية الصين الشعبية حيث حصل على قرض قيمته ٩ ملايين جنيه ، بدون فائدة وعلى أن يسدد بحلول عام ١٩٧٩ ومن الدول أيضا التي أسهمت في اغاثة غينيا ، الجمهورية العربية المتحدة واتسع نطاق التبادل التجاري بين البلدين .

وهكذا تمكنت الجمهورية الناشئة من التغلب على آثار المقاطعة الاقتصادية من جانب فرنسا . وكان طبيعيا أن تتهم بالوقوع داخل النفوذ الشيوعي ، وهي دعاية بادر المسئولون الى انكارها ، فأمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في أكتوبر ١٩٦٠ ، أعلن توريه أن « الذين يخشون أن افريقية سوف تخضع لكتلة وأنهم سوف يفقدون امتيازاتهم القديمة ، انما يضيعون وقتهم . ان افريقية لم تعد غنيمة أو عظمة للصراع عليها » .

وفي حفل افتتاح المعرض التجاري السوفييتي ، وأمام أنستاس ميكويان ، نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي ، أعلن سيكوتوريه أيضا ان غينيا ليست لديها نية الارتباط بالكتلة السوفيتية أو الغرب ، وهي اذ تقبل المعونة من أي بلد ترفض أن تجبر على الانحياز الى أي من الكتلتين في صراعهما من أجل القوة والسلطان ، ومن أجل هذا أكدت ان الثورات لا يمكن استيرادها أو تصديرها ، وانما هي ثمرة ارادة الشعب .

وعلى ضوء هذا الاتجاه وجدت الارض المشتركة التي تلاقت فوقها السياستان في غينيا والجمهورية العربية المتحدة .

وأدرك الغرب عقم سياسته ، ولهذا أعلن في أوائل فبراير من عام ١٩٦٢ ان المانيا الغربية منحت غينيا قرضا قدره خمسة وعشرون مليون مارك ، ثم خمسة ملايين أخرى الى البنك المركزي الصيني لأغراض توفير الماء النقي وتوسيع شبكة الطرق . وعرضت الولايات المتحدة المعونة الفنية للمساعدة على تحقيق التطوير الاقتصادي والاجتماعي ، كما اضطرت فرنسا في نهاية الأمر الى الاعتراف بالواقع وسافر وفد غيني الى باريس من أجل الوصول الى اتفاقات اقتصادية وتجارية لمصلحة البلدين .

واتخذت غينيا اجراءات أخرى لتحرير اقتصادها من التبعية للمصالح الخارجية ، وتمشيا مع سياستها الاشتراكية من حيث السيطرة على قمم النظام الاقتصادي . ومن أهم القرارات التي اتخذت في هذا الصدد القرار الصادر في يناير من عام ١٩٦٢ بتأميم جميع شركات التأمين وبنك افريقية الغربية وكان البنك الخاص الوحيد في كوناكري . وفي ٢٤ فبراير من العام نفسه سحبت الحكومة أكبر امتياز باستغلال البوكسيت في العالم ، من شركة « بوكسيت الوسط » Bauxites du Midi وهي الفرع الفرنسي من شركة كندا للألمنيوم ليمتد . وكان السبب في الالغاء كما ورد في القرار الجمهوري بشأنه ، أن الشركة لم تنشيء مصنعا في غينيا لمعالجة الخام وسياسة الحكومة تقوم على ضرورة معالجة وتصنيع جميع المعادن في داخل البلاد كجزء من برنامجها التصنيعي ، بعد أن كانت المعادن تصدر على هيئة الخام الى الخارج .

ورغبة في دفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية قدما ، وارساء أسسها على قواعد علمية مدروسة ، ونظرا لعدم توافر رأس المال الوطني اللازم للنهوض بالعبء ، وايمانا بضرورة اضطلاع الدولة بدور ايجابي فعال في تطوير حياة المجتمع ، أخذت غينيا بأسلوب التخطيط فوضعت مشروعا لسنوات ثلاث (١٩٦٠ — ١٩٦٢) قدرت تكاليفه بمبلغ

١٢٠ مليـــون دولار « من دولارات الولايات المتحدة الامريكية » وهو رقم كبير فى الواقع بالنسبة الى شعب لا يتجـاوز تعداده ٧ر٢ مليون نسمة ، كما سبق لنا القـول ، ولكن ضخامته الظاهـرية تبدو ضرورية من أجـل استغلال الامكانيات المتاحة بالبلاد . وجرى توزيع الاعتمـادات المخصصة للمشروع على النحو الآتى :

٥٠ فى المائة للانتاج .

٣٠ فى المائة لاغراض الرفاهية الاجتماعية .

٢٠ فى المائة للادارة .

ويؤمن المسئولون أن مزيجا من الحمـاس الشعبى والادارة الحـازمة الفعـالة ، كفيل بتشغيل الألوف من أبناء البلاد فى الاعمـال الانتاجية ، وهذه هى التجـربة التى تعمـد اليها بعض البـلاد المتخلفـة ، فهى تستثمر القـوة البشرية العاطلة فى انشـاء عـدد من الصناعات الصغـيرة التى تستطيع أن تسـد جانبا من الاحتياجات المحلية ، وشق الترع والمجارى المـائية ، وانشاء الطرق ، وبنـاء المدارس وما فى حكمها من المـرافق . وهذا الاسـلوب فيه نوع من التعـويض عن نقص رأس المـال وبخاصة رأس المـال الاقتصادى والاجتماعى غير المباشر ، أى أن تشغيل القوة البشرية على هذا النحو يمكن أن يسهم بدرجة طيبة فى توفير الكثير من المرافق والخـدمات الاساسية بشكل غير مباشر بالنسبة الى عملية التنمية الاقتصادية .

والواقع ان فى غينيـــا ، بالاضـافة الى الطاقات البشرية ، امـكانيات وموارد مادية وطبيعيـة كبيرة ، لم تستغل من قبل أو كان استغلالها دون الحد الأمثل أو موجها وجهة معينة ، خلال العصر الاستعمارى . وتشكل الزراعة نحو ٩٠ فى المائة من الانتاج القومى ، وتمثل الحرفة الاساسية لغالبية السكان . الا أنه من الضرورى العمـــل على ادخــال الاساليب الحديثة اذا أريد توسيع قاعـدة الانتـــاج الزراعى ورفع مسـتوى معيشـة الشعب . ولقد أقيم عدد من محطات التجارب فى أماكن عدة من البلاد ، فهناك محطات لزراعة الفـاكهة فى كاميون « القريبة من العاصمة » وكينديا ودالابا ، ومحطتان لانتقاء التقـاوى الجيـــدة للأرز فى كانكان وكوبا ، ومحطة للكينين فى سيريدو .

وأهم الغلات الزراعية المعدة أساسا للغذاء الذرة والكاسافا والمانيوك والموز . الا أنه تجرى فى الوقت نفسه تنمية زراعة الارز فى مساحات واسـعة بغينيا العليـا والسـفلى ، حتى يعاون هذا المحصـول فى توفير الغـذاء للاستهلاك الشعبى من جهة ، وفى توفير فائض للتصدير الى الخارج من جهة أخرى . وقد أسفرت هذه السـياسة عن نتـائج ايجابية واضحة فارتفع الانتاج من هذا المحصول الى مايقرب من ٣٠٠ ألف طن فى السـنة .

ومن الغلات الزراعية الاساسية من وجهة نظر التجارة الخارجية ، الكاكاو وجوز الهند وزيت النخيل والاناناس ، والمـوز « برغم كونه من أنواع الغـذاء الشعبى » ، والبن ، ويوجد البن فى مناطق الغابات ، وتجرى الآن زراعة أنواع على جانب كبير من الجـودة . ويقدر الانتاج السنوى بحوالى ١٥ ألف طن ، ولكن امكانيات التوسع فى المستقبل وافرة . والواقع ان السياسة الزراعية لحكومة غينيا تقوم على الأسس الآتية :

١ ـ التوسع فى الزراعة من الناحية المطلقة ، وتنويع الانتاج .

٢ ـ استحداث الاساليب الجديدة لزيادة الكفاية الانتاجية .

٣ ـ توجيه اهتمام كبير الى انتاج المحاصيل النقدية « الى جانب التوسع فى زراعة الغلات الغـذائية » مما يساعد بالضرورة على تنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية .

٤ ـ تطبيق النظام التعاونى للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير من جهة ، وللحيلولة دون نشوء أى استغلال من جهة أخرى .

وفى البلاد ثروة حيوانية طيبة ، فى مقدمتها الماشية التى بلغ عدد رؤوسها ما يقرب من مليونى رأس فى عام ١٩٥٩ ، وتتركز تربيتها فى منطقة فوتاجالون ، ثم تليها الاغنام والماعز ويبلغ عددها أكثر من نصف مليون رأس . ومما يسـاعد على تربية المـاشية خلو البـلاد من الحشرة الفتاكة المعروفة باسم تسى تسى ، كما تبذل العناية البيطرية الكافية .

وللثروة المعدنية اهمية كبيرة بالنسبة الى

الاقتصـــاد الغينى وهى تبشر بآمال كبيرة . ويلاحظ ان السياسة الاقتصـادية تقوم على أساس التوسع فى الانتاج الى أكبر حد تسمح به الامكانيات المتاحة ، والعمـل على معالجة وتصنيع الخامات المعدنية فى داخل البلاد ، بقدر الامكان وبشرط توافر الاسواق اللازمة وبخاصة فى الخارج ، ومن هنا نلمس الارتباط الوثيق بين قطاعى التعدين والصناعة . ويتركز معـدن البوكسيت فى جـزر لوس ، ومناطق بوكيه ، كينديا – تيليميليه ، وبلغ الانتـاج ٧ر١ مليـون طن فى عام ١٩٦١ « كمـا تنتج البلاد مايقرب من ٣٠٠ ألف طن من الالومينا» غير ان استغلال البوكسـيت فى صناعة الالمنيوم يتطلب أولا وقبـل كل شىء توفــير الكهرباء بسعر رخيص جـدا ، لأنها فى الحقيقة تمثل أهم وأكبر عنصر من عناصر التكلفة فى هذه الصناعة . ولهذا يجرى حاليا تنفيذ مشروع ضخـم على نهر كونكوريه سـوف ينتج عند انجازه خمسة بلايين كيلوات سـاعة . وهذه الطاقة الكبيرة سوف تجعل من الميسور انتاج ٥ر١ مليون طن من الالمنيـوم ، تصـدر الى الخارج حيث يتزايد الطلب باطراد على هذه المـادة .

ويتولى تنفيـذ هـذا المشروع الحيـوى كونسورتيوم دولى على رأســه شركة أولين ماتيسون الكيماوية Olin Mathieson Chemical Corproration وتقدر التكاليف اللازمـة لتنفيـذ المشروع المتكامل « توليـد الطاقة الكهربائية واقامـة مصـانع الصهر » بنحو ٢٥٠ مليون دولار . وعند ما يتم انجازه تصبح غينيا من الدول الرئيسـية بالعالم من حيث انتاج وتجارة الالمنيوم . **الا أنه لما كانت غانة بدورها تحتوى على البوكسـيت ولديها برنامج لانتــاج الالمنيوم بعد اتمام مشروع الفولتا ، ولما كانت هناك بلاد افريقية أخرى تنعم بهذه المـزايا ، لهذا نرى ضرورة قيـام هذه البلاد بتنسيق سياساتها وأهدافها من ناحية الالمنيوم ، منعا لمنافسة مستقبلة قـد تعود عليها جميعا بالضرر ، خاصة وأن بلادا أخرى فى العـالم تعمـل الآن على التوسع فى انتاج الالمنيوم .**

وفى غينيا مدخرات كبيرة من خام الحديد ، ويتميز الخـام بارتفاع نسبة المعـدن فيه . ونعتبر شبه جزيرة كالوم أكبر مناطق تعدينه فى الوقت الحاضر ، وبلغ الانتـــاج أكثر من ٥٤٠ ألف طن فى عام ١٩٦١ ، الا أن السياسة التعدينية المرسومة تهدف الى رفع الانتـاج بحيث يبلغ ٣ ملايين طن فى السنة . والهدف من التوسع هو التصدير أساسا ، نظرا لان اقامة صنـاعة للحـديد والصلب ليست من الأمور اليسيرة فى الوقت الحالى بسبب ضيق السوق المحلية بل والاسواق المجاورة .

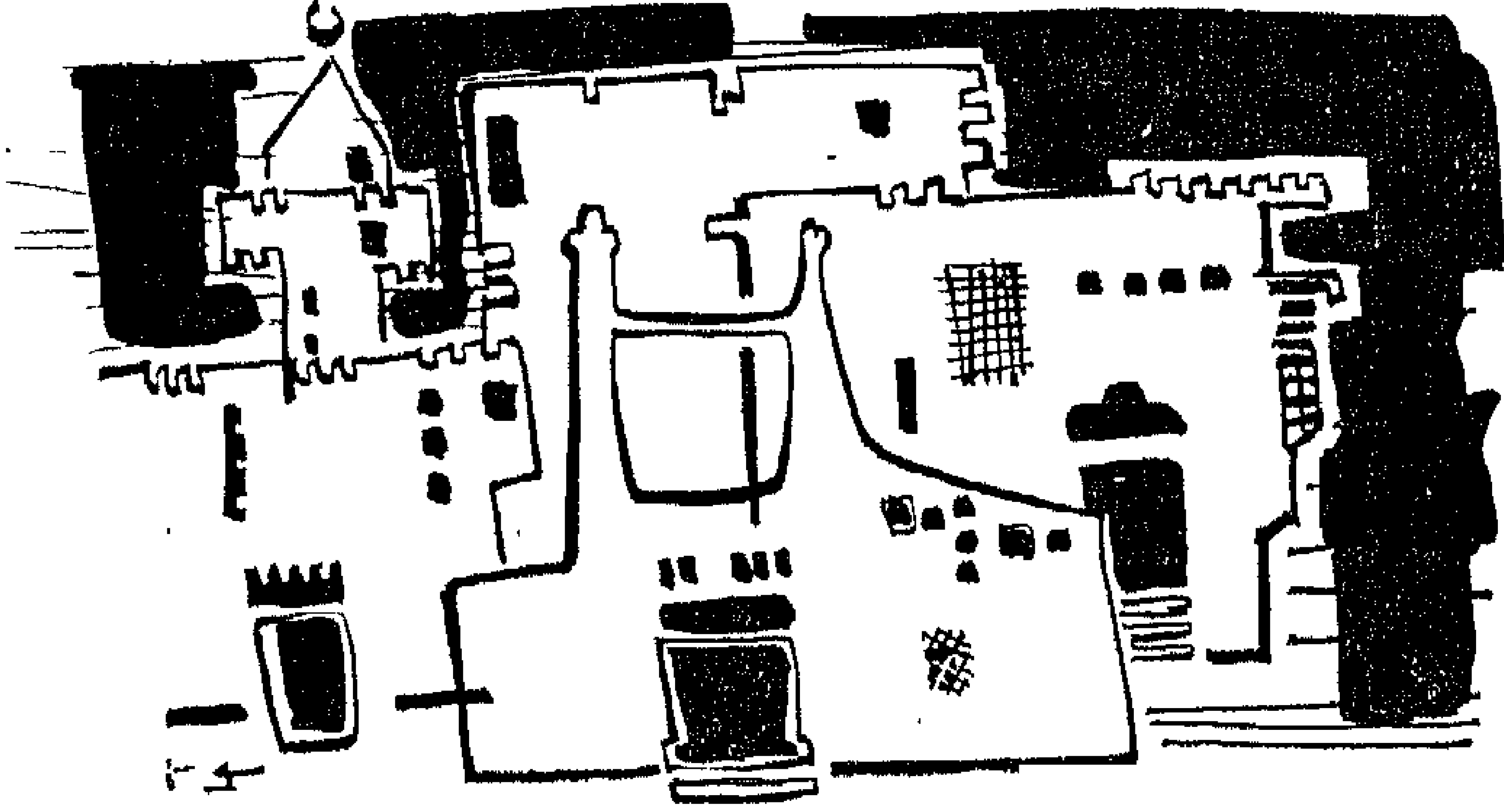
ويستخرج الماس من منطقة ماسنتا بصورة أساسية . وقد شهدت هذه الصناعة توسعا يلفت النظر بشكل ظاهر منذ أن حصلت البلاد على استقلالها ، ومما يشهد بها ارتفاع قيمة الانتاج السنوى من ٦٤ ألف دولار فقط فى عام ١٩٥٨ الى حوالى عشرة ملايين دولار فى العام التالى .

ومن الصناعات التى تلقى الاهتمـام عمل الأسمنت لمواجهة الحركة الانشائية الجديدة ، كمـا تعمل الحكومة على التقليل من استيراد عدد من السلع الصناعية الاستهلاكية عن طريق تصنيعها محليا .

وينعكس الانتـاج الغينى على التجـــارة الخارجية ، فمعظم الصـادرات من المنتجات الزراعية والمعـدنية ، مثل المـوز والاناناس وجوز الهند وزيت النخيل وخام الحـديد ، كمـا تصـدر مقادير طيبة من الألمنيوم . أما الواردات فأهمها المشتقات البترولية والأسمنت والأرز والسكر ، الا أنه من المنتظر أن تقـل الواردات البترولية بسبب التوسع فى توليد الطاقة الكهربائية ، كما أن السيـاسة الزراعية المرسومة سوف تؤدى فى النهـاية الى وقف الاستيراد من الأرز بل والى تصدير الفائض منه عن حاجة الاستهلاك المحلى .

وهكذا رسمت غينيا تطورها الاقتصـادى على أساس تنويع الانتـاج ، وزيادة حجمه ، وارسـاء قاعـــدة سفلية للتصنيع ، وذلك بالاعتماد على الموارد الداخلية مع الاستعانة بالقروض والمعـونات غير المشروطة واستغلال الطاقات البشرية العـاطلة ، وذلك فى اطار سيطرة أو اشراف المجتمع على أدوات الانتاج وفى ظل من التخطيط العلمى .

العواصم الافريقية



بقلم الدكتور جمال حمدان

نغمة دالة ذات تردد حاد تتواتر فى أغلب ما يكتب الغرب عن القارة المظلومة افريقيا، ونقول نغمة دالة لانها تكاد تكون علما على مؤلفها : حين نسمعها يمكنك ان تخمن جنسينه وجلدته بغير كبير عناء . انها تلك الدعوى التقليدية من أن أفريقيا لم تكن قط منبعا لحضارة ، وانما مجرد مصب كانت . أخذت ولم نعط ، واستعارت دون ان تؤصل ※ . والمدينة ـ ذلك النصب التذكارى القمى للحضارة ـ مجال خصب عند الغربيين لتطبيق نظريتهم المبتسرة . فعندهم ان افريقيا المظلمة لم تعرف مصابيح حضارة. المدن الا فضلا وفضلة من نور الغرب وقبسه .

واذا كانت العواصم هى ارستقراطية المدن أو هى كالملوك بينها ، فانها أكثر من غيرها ـ هكذا يقولون ـ هدية أوربا الى افريقيا ، لا هدية السيد للسيد ولكن لمولاه . لا بل اذا كانت خطوط الملاحة البحرية واسلاك المواصلات السلكية .. الخ . هى الحبل الصرى الذى ربط القارة « الام » بالوليد الحضارى الجديد فى افريقيا ، فمن غير العواصم تكون الصرة نفسها ؟ انها بوابة الغذاء الحضارى ومدخل الزاد الثقافى الذى تمد به الام « الرؤوم » ابنها الرضيع ! هى باختصار أبرز بصمات أصابع أوربا على صفحة اللاندسكيب الحضارى فى افريقيا : أكثر من أى ارث آخر هى « أوربا فى افريقيا » ..

هكذا يصورون ويتصورون ..

ولكن لهم دينهم ، ولنا دين ..

فالذى يتعمق القضية قليلا يجدها لا تصدر الا عن قصر فى الذاكرة وقصر فى النظر معا . قصر فى الذاكرة لأن المدينة فى البداية والأصل مخلوق حضارى من صنع الشرق الاوسط القديم بعامة وقطاعه الافريقى بخاصة . تلك شهادة التاريخ الوثيق التى لا تحتمل النقاش . ومن ذلك الموطن الأصلى صدرت الى جنوب أوربا ـ أيضا بشهادة التاريخ ـ ومنها كانت دورة غطت القارة . فاذا كانت المدينة تعود اليوم الى أجزاء افريقيا فانما هى بضاعتنا ردت الينا ـ

※ اتهامهم هو ان أفريقيا «بالوعة حضارة» لا « نافورة حضارة » .

هى دين طويل الأجل تأخر سداده قرونا ..

أما أن القضية المزعومة قصيرة النظر فذلك لان أوربا حين طرقت أبواب افريقيا لاول مرة كانت حضارة المدن تغطى نصفها على الاقل ــ العالم العربى كنواة فى الشمال تحف بهــا هالة عريضة فى كل النطاق السودانى ممتدة من السنغال حتى موزمبيق ، وتوشـــك ان تتسلل الى الغابة . واذا كان لاوربا أى دور فى هذا النطاق فهو لم يكن دورا زرعته المدن ، وانما دور حصدة المدن ، فمباشرة وغير مباشرة أى دخول الرجل الابيض الى واد كثير من تلك المدن والعواصم الوطنيــة واندثارها أو ذبولها . وفيما عدا ذلك فقط فيمكن لاوربا أن تدعى انها دخلت أرضا بكرا عطلا من حياة المدن وحضارتها . أما بالنسبة للقارة كــكل فان دور أوربا لم يزد عن دور ((**المكـشف**)) ولكنه قط لم يكن دور ((**المولد**)) المطلق .

تلك كانت مقدمة لابد منها لنثبت أن المدنية الافريقية ليست اضافة أوربيـــة من فيض الرجل الابيض كما يزعم أحيــانا ، ولكنهــا ــ وهى فى هذا تختزل كل كيان افريقيـــا الحضارى المعاصر ــ ثمرة التفاعل بين التراث الافريقى الاصيل والطارىء الاوربى الدخيل.

خذ الموقع . لن تجد عاصمة افريقية واحدة بالكاد تحتل مكانا سليما من رقعة دولتها . فاذا بحثت فانت واجد السبب فى التوجيـــه الاوربى الدخيل الذى قلب القارة ((بطنــا لظهر)) . ثم الحجم : لن تفهم سر ضـآلة وقزمية حجم العاصمة الافريقيـــة الا اذا وضـــعت عينك على لنـــدن أو باريس أو بروكسـل .. الخ . هنا فقر الدم وهزال حتى الشلل ، وهناك التخمة التى تكاد تصل الى حد انفجار الشرايين : هنا المدن القزميـــة أو الميكروسكوبية ، وهنـــاك المدن المليونيـــة أو ((**المليونيرة**)) . وبحسبنا أن نعلم أن كــل عواصم افريقيا الخمسين مجتمعة لا تصــل الى حجم لندن وحدها ! وليست العلاقة بين الطرفين عفوية عشوائية ، ولكنها علاقة السبب بالنتيجة ، والجمع بالطرح .. فهذا الافراط المدنى فى أوربا يرجع مبـــاشرة الى المكاسب الخيالية التى امتصتها من افريقيا وغــير افريقيا ، يرجع ــ يعنى ــ الى التفـــريط المدنى فى افريقيا . تلك قصة لا تقتصر على المدن وحدها ، فهى تتكرر فى الســـكان ، فى الانتاج ، فى الدخل ، فى مستوى المعيشة . فى كل جانب من جوانب الحياة ستجد التمييز دائما بالموجب فى أوربا وبالسالب فى افريقيا. وانما يتكثف الوضع ويتبلور خاصة فى المدن والعواصم باعتبارها أبرز عناصر الحضـــارة المادية للانسان . ولنفس هذا السبب فان المدن والعواصم أكثر من أى شىء آخـر فى افريقيا تثبت انها القارة المظلومة لا المظلمة، القارة السليبة لا السلبية ، كمـا تثبت أن اوربا ليست القارة السـيدة بقدر ماهى القارة القرصان .. المدن والعواصـــم أكثر من أى شىء آخر لاثبت أن أفريقيا عالة حضـــارية بقدر ما تثبت ان أوربا طفيلية سياسية ..

والمناقشة الموضوعية الهادئة خير منطق . ونحن هنا سنعرض للعواصم الافريقية فى هذا الضوء وفى اطار هذه الفلسفة ، سنعرضها من جوانب ثلاثة : التطور التاريخى لنحـــدد الاصول والنشأة وأين يبدأ ((فضل)) أوربا المبالغ فيه وأين ينتهى ، ثم نناقش مواقـــع عواصمنا لنرى مدى كفايتها لخـدمة بلادها والمشاكل التى تواجهها ، وأخيرا نحلل أحجامها ونحدد نقاط ضعفها وامكانياتها فى المستقبل. وسنقصر حديثنا اليوم على الجـــانب الاول وهو التطور التاريخى ، على ان نعود الى بقية الموضوع فى فرصة أخرى .

التطور التاريخى

يمكن من حيث الاصول والتطور التاريخى ان نميز فى القارة الافريقية بين انماط اربعة من العواصم السياسية هى العواصم التاريخية، والوسيطة ، والاستعمارية ، وعواصم مابعـــد الاستعمار .

العواصم التاريخية

فالعواصم التاريخية تقتصر على العـــالم العربى حيث ظهرت الدولة القومية منذ فجر التاريخ فى اجزاء منه وظهرت معها العواصم التاريخية الوطنية التى بلغت درجة عظيمة من النفوذ والحجم ، وكانت تعبر تعبيرا عميقا عن الكيان الوطنى حتى أصبحت عواصم خالدة رغم بعض التقطع الزمنى الذى كانت تتخلى فيه عن العاصمية . ولهذا فان لها تاريخا الفيا يعطيها الان ثقلا ووقعا كبيرين . ولعل

القاهرة هى أقدم العواصم التاريخية الافريقية منذ ان كانت منف (طيبة) أو هليوبوليس (أون) ثم الفسطاط أو القاهرة، واذا كانت دمشق فيما يظن أقدم عواصم العالم التى ظلت عاصمة بلا انقطاع ، فان القاهرة قد تكون أقدم عواصم العالم وان يكن بانقطاع . ويمكن ان نقول ان عمر القاهرة كعاصمة قد يزيد اليوم عن مجموع أعمار كل العواصم السياسية فى افريقيا المدارية أو افريقيا جنوب الصحراء . أما من حيث الحجم ففى اكثر من مرة ومرحلة من تاريخها كانت القاهرة أكبر مدينة فى العالم - عاصمة الدنيا كما قد نقول - كما عرفت علامة المليون منذ الف سنة على الاقل . كذلك كانت تونس - منذ قرطاجنة - عاصمة تاريخية كبرى ، بل لقد كانت فى العصور الوسطى من كبريات مشاعل الاسلام تنافس القاهرة أو تكاد . أما الجزائر فأحدث نسبيا حيث انها بدأت عاصمة مع الاتراك فقط فى ١٥٢٠ ، حيث ظلت عاصمة الجزائر من حينها . ولكن للجزائر كمدينة أصولا تاريخية أقدم من ذلك ، فقد استمدت جذورها من "التاريخ البربرى القديم . وللرباط تاريخ مشابه الى حد ما . فهى كعاصمة سياسية ظاهرة حديثة السن جدا منذ الاستعمار الفرنسى ، ولكنها مدينة قديمة أصلا ظهرت منذ عهد المرابطين حين كانت «رباطا» دينيا - حربيا نجح نجاحا مرموقا.

هذه هى العواصم التاريخية العريقة فى قارتنا . قد تكون أقلية معدودة عدديا حقا ، وقد لا تغطى الا قطاعا محدودا من القارة مساحة . لكننا لانغالى اذا قلنا ان مجموع أعمارها قد لايقل كثيرا عن مجموع أعمار عواصم منطقة كأوربا الغربية مجتمعة .. اكثر من هذا هى أستاذة العاصمة الاوربية ، عنها أخذت وعليها تتلمذت ، وأغلبها كان قد دخل التاريخ أو صنعه حين لم تكن عاصمة واحدة فى أوربا قد خرجت عن نسميالمستقبل أو برزت من مضاحل مستنقعاتها ومخاضاتها. وهى بهذا فخر افريقيا حضاريا ، ترد لها اعتبارها تاريخيا وتنوب عن شقيقاتها الافريقيات الصغيرات فى اثبات وجودها امام العالم الخارجى .

العواصم الوسيطة

هذه تمثل فى الواقع حدا وسطا بين العاصمة التاريخية والعاصمة الاستعمارية ، وتعد من الناحية التاريخية عواصم وسيطة لانها ظهرت فى الاعم الاغلب فى أواخر القرون الوسطى بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ، بينما يرقى بعضها الى أوائل العصور الوسطى بالفعل . وهى تتوزع فى النطاق الذى يرسم زاوية قائمة حول افريقيا المدارية فى الهامش السودانى والساحل الشرقى ، هذا الذى تأثر أساسا بالمد العربى من الشمال والشرق حتى اصبح بحق وعن جدارة « **ظل العرب** » فهنا ظهر نوع من العواصم - المتواضعة نسبيا - منذ العصور الوسطى قد يمكن أن نصفها بالعواصم الاهلية . وهى لم تكن عواصم ثابتة قوية ، لا ولم تكن دولها واضحة الحدود أو الابعاد دائما . والامثلة الرئيسية هى تمبكتو ووالتا وجاو ومالى وكانو فى السودان الغربى ، وبعضها يصل عمره الان الى ألف سنة . ولقد كانت ايبادان أول عاصمة أهلية آهلة فى الغابة الحقيقية أثارت دهشة المستعمرين الاول بضخامتها النسبية وأهميتها حين رأوها لاول مرة فى فترة الكشف . الا ان ايبادان اذا كانت أضخم العواصم الاهلية فى السودان الغربى فهى احدثها على الاطلاق ، وعمرها لايزيد على قرن أو اثنين . أما فى السودان الشرقى فهناك سنار عاصمة الفونج السلطنة الزرقاء ، وهناك الدامر وشندى ، وأخيرا أم درمان ، وكلها واضح كيف يتجمع فى دائرة واحدة هى دائرة الجزيرة . ويخطىء من يظن أن أم درمان - بايحاء من شهرتها الافريقية ودورها الوطنى - عاصمة قديمة النشأة : فالحقيقة انها لاتزيد عمرا عن توأمها الخرطوم ، وكلا من بنات نهاية القرن الماضى . واذا انتقلنا الى شرق افريقيا فثمة تلقانا من هذه الفئة من العواصم جوندار وبربرة وأديس أبابا فى القرن الافريقى، ومرة أخرى يخطىء من يظن أديس أبابا مدينة قديمة ، فهى قد أنشئت فى وقت حديث نسبيا . وفى ساحل الزنج كانت العواصم الاهلية أيضا من صنع المؤثرات الخارجية خاصة العرب الذين أسسوا زنجبار

ـ بر الزنج ودار السلام وممبسة ومالندى وسفالة ـ ظفارمحرفة، وأحياناظفارالزنج) . وكانت كلها عواصم ناجحة متألقة حين أتى البرتغال . وأخيرا فالى هذه المجموعة ينبغى أن نضيف تناناريف فى مدغشقر فقد أسسها المهاجرون المرينا من جنوب شرق آسيا فى العصور الوسطى لتكون قاعدة حكمهم للجزيرة .

هذه هى المجموعة التى نقصدها بين العواصم الافريقية حين نقول ان دخول أوربا كان له أثر عكسى مدمر . فأغلبها تمزق امام ضغط القوى الاقتصادية والمادية والسياسية التى صاحبت الاستعمار الاوربى ، فكان على يديه وأدها واندثارها . فقد خلق الاستعمار من العواصم الجديدة ما سحب من هذه وظائفها وورث دورها . فداكار ورثت كل عواصم السودان الغربى الداخلية فى افريقيا الغربية الفرنسية ، ولاجوس ورثت ايبادان فى نيجيريا . وفى الشرق أزال الاستعمار من أم درمان العاصمة الوطنية الى عاصمته الخرطوم ، ومن بربرة الى هرجيسة فى الصومال البريطانى . والقلة القليلة هى التى أفلتت من هذا المصير الحزين واتخذها الاستعمار نقطة ابتداء لعاصمته هو ـ مثال ذلك دار السلام وتناناريف .

العواصم الاستعمارية

هى تلك التى خلقها الاستعمار لتكون قاعدته الجديدة. ويشمل نطاقها الى حد بعيد افريقيا المدارية أو افريقيا جنوب الصحراء . أى انها تحتل أغلبية رقعة القارة ، وتمثل أغلبية عواصمها عدديا . هذا هو النطاق الذى يجوز للاستعمار الاوربى لاول وهلة أن يمتن به ـ ولكننا سنرى على الفور الى أى حد والى أى حين .. العواصم هنا بوجه خاص ـ والمدن فى الحقيقة بوجه عام ـ تعتبر بكرا ونبتا جديدا لاول مرة . ولكنها فى نفس الوقت تمتاز بسمات وقسمات تعد عليها أكثر مما تعد لها ، وتدمغ الارث الاستعمارى بالشيطانية والارتجال والشذوذ . فثمة خصائص ثلاث تميز العاصمة الاستعمارية وتعنى فى الغالب نقاط ضعف وعدم استقرار .

أولى هذه الخصائص هى حداثة السن المطلقة ، فكلها لا يزيد عمره فى الغالب عن قرن أو أقل ، منذ أو بعد ((تكالب)) الثمانينات . والقلة وحدها هى التى ترجع الى أوائل العصر الاستعمارى فى القرنين ١٦ ـ ١٧ ، وهى لذلك ساحلية بصرامة مثل لورنسو ماركيز (١٥٤٤) ، لواندا (١٥٧٦) ، الكاب (١٦٥٢) . وعلى العكس من هذا يلاحظ أن أحدث العواصم الاستعمارية عمرا هى تلك التى تقع فى الداخل ـ بل تكاد تكون هذه العلاقة طردية . فمثلا نجد أن بريتوريا أنشئت فى ١٨٥٥ ، ومفكنج فى ١٨٨٥ ، بينما العواصم فى الشمال أحدث : فكل من سولسبرى وكمبالا أسس فى ١٨٩٠ ، وكل من بولاوايو وعنتبة فى ١٨٩٣ ، بينما تأتى نيروبى والخرطوم معا فى ١٨٩٩ ، وتتأخر فور لامى الى ١٩٠٠ ، ولفنجستون الى ١٩٠٥ . والخلاصة أن أغلب العواصم الاستعمارية فى افريقيا هى بنت القرن الماضى على الاكثر ان لم تكن وليدة قرننا هذا مباشرة .

الملمح الثانى الذى يتبدى فى كيان هذه العواصم هو عدم الاستقرار . لقد كانت زرعا غير ثابت غير واثق أو مستقر ، يمتاز أساسا بكل خصائص نطاق الريادة من تجربة وخطأ . فما أكثر ما تحركت هذه العواصم المزروعة من موقع الى آخر بل الى ثالث أحيانا ، بصورة تدل على عدم الاستقرار وتوحى بأنها لم تكن أحيانا الا مغامرات جغرافية مرتجلة أو مضاربات مدنية فاشلة . وهى فى كل هذا تذكرنا ـ على نطاق أكبر ـ بتجربة البرازيل المشهورة فى هذا الصدد . ولهذا تكثر هنا العواصم ((**الحضرية أو الميتة**)) بشكل واضح بل مثير فى قارة شابة كافريقيا . ولقد كانت حركة تلك العواصم الاستعمارية نتيجة عادة اما لاسباب طبيعية أو سياسية واما لتغير وسائل المواصلات . ولكن خلفها جميعا لن تخطىء أصابع الاستعمار : مصالحه ، مخاوفه ، صفقاته ، أو ارتجاله ـ كما تشير قصة هجرة العواصم فى القائمة التالية .

فى غينيا البرتغالية تحركت العاصمة ثلاث مرات : فحتى ١٨٩٠ كانت جيبا وكانت متوسطة الموقع جدا ولكنها مدارية ، ولهذا انتقلت الى بولاما ، ثم فى ١٩٤٢ انتقلت الى بيساو على جزيرة كثيفة السكان فى مصب جيبا لتصبح القلب الاقتصادى للبلد ،

بينما تركت العاصمة الاولى جيبا أنقاضا لتغزوها الحشائش والادغال .. بالمثل على ساحل العاج ظلت العاصمة فى جراند باسام حتى ١٩٠٠ ، ثم بعد عدد من الاوبئة والطاعون انتقلت الى بنجر فيل ، وفى ١٩٣٤ انتقلت الى أبيدجان . كذلك كانت سانت لويس عاصمة السنغال وافريقيا الغربية الفرنسية فى البداية ثم نقلت الى داكار . وفى أغلب هذه الحالات كان تحرك طرق التجارة واستبدال الطرق المائية الداخلية بالسكك الحديدية عوامل حاسمة فى تغيير موقع العاصمة . والى الشرق ظلت زندر عاصمة النيجر حتى ١٩٢٦ ، ولكن موقعها الصحراوى رغم توسطه جعل العاصمة تنتقل الى نيامى التى تعد متطرفة جدا ولكنها تقع على النيجر وفى شريحة المعمور الضيقة الوحيدة . كذلك فى الكمرون كانت بوبا على المرتفعات فى الداخل محطة صحية وعاصمة معا أيام الالمان ، ثم نقلت العاصمة الى دوالا ، ثم عادت مرة ثالثة الى الداخل فى ياؤندى . وبالمثل فى الكنغو (الفرنسى) المجاور نقلت العاصمة من بوانت نوار على الساحل الى برازافيل على نهر الكونغو فى الداخل . وثمة حركة موازية حدثت فى الكنغو (البلجيكى) فى ١٩٢٩ حين حولت العاصمة من بوما الى ليوبولد فيل ، ومنذ ١٩٢٦ أصبحت نوفا لسبوا على هضاب الداخل عاصمة اسمية أو رسمية لانجو وقيد الاعداد لتحل محل لواندا الساحلية المنخفضة غير الصحية . وغير بعيد الى الشرق فى روديسيا الشمالية — قبل الاتحاد — ظلت لفنجستون عاصمة حتى ١٩٣٥ حين نقلت الى لوزاكا . وأخيرا فى موزمبيق حلت لورنسو ماركيز محل مدينة موزمبيق كعاصمة منذ ١٩٠٧ . وسنرى من هذه القائمة أن غرب افريقيا بوجه خاص يعد جبانة ضخمة للعواصم الميتة . كما سنرى أن من أكثر العواصم الاستعمارية قلقلة وعدم استقرار العواصم البرتغالية ، وذلك رغم أن (أولان ؟) الاستعمار البرتغالى أقدم استعمار فى القارة تقريبا .

ثالثا وأخيرا تبدى بعض العواصم الاستعمارية ملامح شاذة بطريقة أو بأخرى مما قد ينبىء عن قدر من الشذوذ السياسى . من ذلك ازدواج أو تعدد العواصم فى نفس الدولة أو الوحدة السياسية . فحتى الامس القريب كان لليبيا عاصمتان طرابلس وبنغازى انعكاس مباشر لانشطار المعمور الى «جزيرتين» منفصلتين هما طرابلس وبرقة . لكن المغرب فريد حقا فى أنه يختص بتعدد خماسى غريب : فالعاصمة السياسية الرسمية هى الرباط ، ولكن الدار البيضاء عاصمة اقتصادية ، وبينما تعد فاس العاصمة الدينية تجد مراكش عاصمة تاريخية ، وأخيرا جدا أضيفت طنجة رسميا كعاصمة صيفية ! وقد يعد البعض أم درمان والخرطوم ازدواجا بين عاصمة وطنية وعاصمة حديثة . وفى أوغندة نجد كمبالا عاصمة اقتصادية وعنتبة عاصمة سياسية . هذا بينما فى اتحاد جنوب افريقيا تعد الكاب وبريتوريا عاصمتين سياسيتين ، الاولى مقر البرلمان والثانية مقر الحكومة ، وكلاهما انعكاس لثنائية الانجليز والبوير التى تمزق جنوب افريقيا البيضاء الاستعمارية . ولا يعلم الكثيرون أن سفاكو يمتد فى جنوب غرب افريقيا تعد عاصمة صيفية اليها تنتقل الحكومة لعدة شهور من العاصمة الدائمة وندهوك .

ويترتب على هذا كله أن بافريقيا عواصم أكثر مما بها . فهناك من الاخيرة خمسون وحدة (بما فى ذلك الجيوب والارسافين ولكن باستثناء زنجبار وموريشس وكومورو) بينما أن العواصم السياسية بمعنى الكلمة تبلغ ٥٢ ولكن بصرف النظر عن العدد ، ثمة فى افريقيا ظاهرة أخرى من أبرز مظاهر الشذوذ السياسى ، وأعنى بها ((**استعارة العواصم**)) فحتى الامس القريب كان بافريقيا حالتان ((تستعير)) فيهما الدولة عاصمة لها من وحدة سياسية أخرى خارج الحدود ، وهى حالة يوشك الا يكون لها نظير فى العالم . فقد كانت موريتانيا تحكم من ساى لوى بالسنغال ، كما كانت بتشوانالند تدار من مفكنج بالاتحاد . ولا يخفى أن كلا من الحالتين ينصرف الى وحدة تخلو من الاساس الطبيعى للدولة الحقيقية — كلا منهما ((**صندوق من الرمال**)) كما يقال ..

عواصم ما بعد الاستعمار

أو ما بعد الاستقلال . وهى فى أغلبها من العواصم الاستعمارية الموروثة مضافا اليها

تعديلات جديدة ترتبط بتغيرات الخريطة السياسية العنيفة التى صاحبت مرحلة التحرير أو ما ارتبط بها من تميع فى اللاند سكيب السياسى المعاصر مابين اتحادات وانفصالات . وهذه السيولة السياسية الراهنة عامل يلعب بشدة بمصاير العواصم الافريقية ، ويبقى على ظاهرة عدم الاستقرار والثبات التى عرضنا لها من قبل . فمن ناحية أدى خلق دول جديدة فى القارة الى عملية « ترقية » فجائية لكثير من المراكزالتى كانت مجرد عواصم ادارية ، فأصبحت فى يوم وليلة عواصم سياسية . وكثير منها لم يكن يصلح أصلاللوظيفة الجديدة ، وبعضها أقرب لاشك الى القرى ، ولكنها فرضتعليها فرضا بحكم الضرورة ، ولذا جاءتفىالحقيقة عواصم خام ، عواصم « بالامر » ومن « عواصم الضرورة » . مثل هذا نلقاه فى بعض حالات وحدات الامبراطورية الفرنسية فى غرب افريقيا سابقا . وآخر عاصمةخلقها الانشطار السياسى هى كيجالى فى رواندا . وقليل من هذه الحالات لم يكن له عاصمة أصلا ، ولذا أصبح عليه أن يخلق الآن عاصمة جديدة تماما من لاشىء مثل نواكشوات فى موريتانيا ، ومثل بتشوانالند التى هى الان بلا عاصمة بعد ان خرجت جمهورية جنوب افريقيا من الكومنولث ، ولهذا بدأت تفكر فى عاصمة خاصة لها لعلها سيروى . وأقلية من دول افريقيا الجديدة كانت أحسن حظا فورثت عواصم وحدات سياسية أكبر مثل السنغال التى ورثت عاصمة كل افريقيا الغربية الفرنسية داكار ، ومثل الكنغو (الفرنسى سابقا) التى ورثت عاصمة كل افريقيا الفرنسية الاستوائية برازافيل .

من ناحية أخرى أدى ظهور بعض اتحادات فى القارة الى عملية اختزال « وتنزيل » لبعض العواصم السياسية ، ولكن هذه ظاهرة محدودة الانتشار . فأسمرة فقدت حيثيتها السياسية كعاصمة لارتريا بعد أن أصبحت هذه « اثيوبيا الشمالية » . وبالمثلأصبحت هرجيسة مجرد عاصمةادارية للصومال فى دولة الصومال الجديدةالموحدة. وفى أتحاد وسط افريقيا كان طبيعيا — وهو صناعة وصنيعةبيضاء — أن تكون سولسبرى (عاصمة روديسيا الجنوبية «النواة النورية» التى فرضت الاتحاد) هى عاصمة الاتحاد كله ، بينما أخذت لوزاكا فى روديسيا الشمالية تتراجع الى الخلف قليلا .

وسواء ورثت الترقية أوالتنزيل ، فأغلب عواصم مابعد الاستعمار تواجه مشكلة مشتركة : وهى وصمة التاريخ الاستعمارى والتوجيه الاستعمارى البحرى . والمشكلة عرفتها دول اسيا المستقلة من قبل منذنحو عقد وبعضعقد . وقد فشلت أغلب محاولات دول أسيا فى تأصيل عواصم « وطنية » جديدة تخلو من هذه الوصمة وتكون رمزا تعبر عن الكرامة القومية . والسبب فى هذا انالامكانيات الحضارية المتراكمة التىتكدست فى العاصمة الاستعمارية والبيئة الحضارية المعقولة التى نميت فيها ، ليس من السهل تكرارها ببساطة ، وليس من الممكن التخلى عنها واستبدالها بعواصم خام فقيرة غير كفء . يضاف من الناحية الاخرى أن هذه العواصم التى كانت رمزا للاستعمار قد أصبحت فى نفس الوقت رمزاللتحرير ، لانها كانت معاقل الحركات الوطنية التى حققت الاستقلال . لهذا كله فالارجح ان أغلب العواصم الحالية الموروثة ستظل كما هى دون استبدال . واذا كانت بعض الدول تبحث الان عن عواصم جديدة فهذا لاسباب طبيعية أو داخلية غالبا . فليبيا التىواجهت مشكلة ازدواجالعاصمةاتخذت لنفسها أخيرا عاصمة جديدة بدأت فى تنميتها هى الدار البيضاء ، وذلك بعد فترة من البحث تناولت مواقع عدة منها الشحات والبيضاء وغيرهما . كذلك قررت أثيوبيا ان تنقل العاصمة منأديس أبابا لان شدة ارتفاعها وتخلخل الهواءفيها تجعلها غير صحية . وقد استقر الاختيارعلى جوندار على كنتور أوطأ شمالا بحيرة طانا قليلا حيث كانت من قديم عاصمة لاحدى ممالك الحبشة .

« جمال حمدان »



للدكتور علي ابراهيم عبده

تحدثت فى مقـــال سابق عن مولد « منظمة الوحدة الافريقية » وفىمقال آخر عن « أهدافها ومبادئها وأجهزتها » ، وسأتحدث فى هذا المقال عن « تعاونها مع المنظمات والهيئات الدولية الاخرى » .

أشار ميثاق « منظمة الوحدة الافريقية » الى ميثاق هيئة الامم المتحدة ، والى ضرورة احترام أهداف هذه الهيئة ومبادئها ، فقـد ورد فى ديباجة ميثاق المنظمة ، على لســـان رؤساء دول وحكومات افريقية الذين وقعـوا هذا الميثاق ، ما نصه :

« مقتنعين بأن ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان ، اللذين نؤكد هنا من جديد التزامنا بما تضمنا من مبادىء يهيئان أساسا متينا لتعاون سلمى ايجابى بين دولنا ، تحدونا الرغبـة بأن نرى من الآن جميع دول افريقيـــة متحدة لتكفل الرفاهيـة والرخاء لشعوبها ، مصممين على تقوية الروابط بين دولنا ، وذلك باقامة منظمات مشتركة وتقويتها قد اتفقنا فيما بيننا على ... الخ » .

كما أن الفقرة (هـ) من المادة الثانية من ميثاق « منظمة الوحدة الافريقية » ، التى تحدد أهدافها ، نصت على : « تشجيع التعاون الدولى ، آخذين فى الاعتبار ميثـــاق الامم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان » .

واذا نظرنا الى ميثاق الامم المتحدة نجد أنه اقر التنظيمات الاقليمية ، فقد خصص الفصل السابع منه لوصف المنظمات الاقليمية ، ووظائفها وعلاقتها بالمنظمة العالمية . وهو يعهـد الى هذه المنظمات الاقليمية بواجب صيانة الامن والسلام بأقاليمها المختصـــة . ويطلب الى أعضاء الامم المتحدة فض نزاعاتهم المحلية بطرق سلمية عن طريق هـذه المنظمات الاقليميـة حيثما وجدت . وتوصى الامم المتحدة باستعمال هذه الطريقة قبل اللجوء الى مجلس الامن ، ويشجع المجلس ما تقوم به المنظمات الاقليمية

من مساع لفض النزاعات والخلافات الاقليمية ويكون هذا التشجيع اما باحالة المسائل من المجلس الى المنظمات الاقليمية المختصة ، أو حث البلاد على العمل على تسوية النزاع قبل الالتجاء الى المجلس .

وطبيعى أن هاتين الطريقتين هما داخل اطار روح الميثاق ومبادىء الامم المتحدة .

وطبقا للمادة الثالثة والخمسين من ميثاق « هيئة الامم المتحدة » لمجلس الامن أن يستعين بالهيئات الاقليمية فى تنفيذ عمل ما يدخل فى نطاق اختصاصها . ويضاف الى ذلك أن المادة الرابعة والخمسين تنص على أن على الهيئات أن تخطر مجلس الامن بالاعمال التى تقوم بها ، أو التى تنويها ، لصيانة السلام والامن الدوليين .

لذلك أصبح من الضرورى أن تتعاون « منظمة الوحدة الافريقية » باعتبارها منظمة اقليمية مع هيئة الامم المتحدة ، ومع الوكالات المتخصصة المرتبطة بها ، مثل منظمة الاغذية والزراعة ، ومنظمة العمل الدولية ، ومنظمة الصحة العالمية ، وهيئة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) .

ومجالات التعاون بين المنظمتين واسعة جدا فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وبهذه المناسبة أذكر أن هناك تعاونا كبيرا بين الامم المتحدة ومنظمات اقليمية أخرى مثل جامعة الدول العربية ، فقد اعترفت الامم المتحدة رسميا بالجامعة العربية باعتبارها منظمة اقليمية فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ . ويقوم السيد الامين العام لجامعة الدول العربية بحضور جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة كمراقب . وتعمل الجامعة على أن تكون لها سياسة موحدة فى الامم المتحدة ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بتمثيلها فى فروعها المختلفة ، وفى طريق معالجة المشاكل المعروضة عليها . كما أن الجامعة العربية تتعاون مع الوكالات المتخصصة للامم المتحدة تعاونا واسعا ، فمثلا أبرم اتفا بينها وبين منظمة العمل الدولية فى مايو سنة ١٩٥٨ ، ينص على عقد اجتماعات منتظمة بين الهيئتين ، وعلى تبادل المعلومات والوثائق عن الامور ذات المصلحة المشتركة بأسرع ما يمكن ، وعلى تمثيل الجامعة الى أقصى حد فى مؤتمر العمل الدولى ، وتمثيل هيئة العمل الدولية فى اجتماعات الجامعة العربية التى تهتم بشئون العمل .

كما أبرم اتفاق فى نوفمبر سنة ١٩٥٧ بين الجامعة وهيئة اليونسكو ، ينظم التعاون الثقافى بين الهيئتين . كذلك أوضحت منظمة الصحة العالمية المعونة الفنية فى بعض الاوقات الجامعة العربية فى خطابات تبودلت فى ابريل سنة ١٩٥٤ ، بين الامين العام للجامعة العربية والمدير الاقليمى لهيئة الصحة العالمية . وهذه الخطابات هى الوثائق التى بمقتضاها يستمر التعاون بين المنظمتين ، وهو يشمل تبادل المشورة وحضور كل منظمة منهما اجتماعات المنظمة الاخرى ، كما يقضى بأن تقدم هيئة الصحة العالمية المعونة الفنية فى بعض الاوقات كما وقعت اتفاقية بين الجامعة ومنظمة الاغذية والزراعة ، تقرر أسس التعاون المتبادل بينهما ومداه وتنظيمه .

هذا فيما يخص ضرورة التعاون بين « منظمة الوحدة الافريقية » و « هيئة الامم المتحدة » الافريقية » و « جامعة الدول العربية » ، فأرى أن هذا التعاون حتمى وضرورى للاسباب الآتية :

أولا : أن هناك ست دول عربية افريقية تشترك فى كل من المنظمتين ، وهذه الدول هى :

(أ) الجمهورية العربية المتحدة ، وتبلغ مساحتها ٣٨٦٫٠٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها نحو ٢٧ مليون نسمة .

(ب) جمهورية السودان ، وتبلغ مساحتها ٩٦٧٫٥٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها نحو عشرة ملايين ونصف مليون نسمة .

(جـ) المملكة الليبية ، وتبلغ مساحتها ٦٨٠٫٠٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها نحو مليون ونصف مليون نسمة .

(د) جمهورية تونس ، وتبلغ مساحتها ٤٨٫٣٢٩ ميلا مربعا ، وعدد سكانها نحو أربعة ملايين نسمة .

(هـ) جمهورية الجزائر ، وتبلغ مساحتها ٨٤٧٫٣٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها نحو عشرة ملايين نسمة .

(و) المملكة المغربية ، وتبلغ مساحتها ١٧٤٫٥٥٣ ميلا مربعا ، وعدد سكانها نحو عشرة ملايين ونصف مليون نسمة .

وان الجمهورية العربية المتحدة ، وهى أكبر دولة عضو فى جامعة الدول العربية من حيث الامكانيات البشرية والاقتصادية والفنية ، وهى أيضا دولة كبرى لها وزنها فى منظمة الوحدة الافريقية ، قد حددت رسالتها بوضوح تام فى كل من الناحيتين العربية والافريقية .

فبالنسبة للناحية العربية ورد فى الباب التاسع من الميثاق الوطنى ، الذى قدمه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية مساء يوم ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ما نصه :

« ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الامة العربية كلها .

ان الامة العربية لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة ، وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته .

يكفى أن الامة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل .

ويكفى أن الامة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان .

ويكفى أن الامة العربية تملك وحدة الامل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير » .

وبالنسبة للناحية الافريقية ، فقد ورد فى كتاب « فلسفة الثورة » للسيد / الرئيس جمال عبد الناصر ما نصه :

« اننا لن نستطيع بحال من الاحوال ـ حتى لو أردنا ـ أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف ، الذى يدور اليوم فى أعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين . لا نستطيع لسبب هام وبديهى ، هو أننا فى افريقية . ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله . ولن نستطيع بحال من الاحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء » .

وليس هناك أى تعارض بين الرسالتين ، وفى ذلك يقول الميثاق :

« واذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية ، فهو يؤمن بجامعة افريقية ، ويؤمن بتضامن أسيوى افريقى ، ويؤمن بتجمع من اجل السلام يضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ، ويؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى ، ويؤمن بانتمائه الى الامم المتحدة وبولائه لميثاقها الذى استخلصته آلام الشعوب فى محنة حربين عالميتين تخللتهما فترة من الهدنة المسلحة .

ان الايمان بهذا كله لا يتعارض مع بعضه ، ولا يتصادم ، وانما هى حلقات سلسلة واحدة .

ان شعبنا شعب عربى ، ومصيره مرتبط بوحدة مصير الامة العربية .

ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لافريقيا المناضلة ، وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهو أبرز سمات القرن العشرين .

ان شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ، ويعتقد فيه كضرورة حيوية . ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد .

ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان ، وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء .

ان شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء الانسانية السامية ، التى كتبتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الامم المتحدة .. أن فقرات كثيرة فى هذا الميثاق كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب » .

ثانيا : التضامن والتعاون لمواجهة الاستعمار الذى لا يزال باقيا فى مناطق جنوب الجزيرة العربية والخليج العربى ، وكذلك فى ثمانى عشرة مستعمرة افريقية . ومن الملاحظ ، بل من المؤكد ، أن سياسة انجلترا مثلا فى جنوب الجزيرة العربية وفى امارات الخليج العربى ، وكذلك سياسة البرتغال فى أنجولا ، أو موزمبيق أو غينيا البرتغالية ، لم تكن فى يوم من الايام سياسة تهادن ، أو تمهيد لاية تسوية سلمية

من شأنها الاعتراف بحق تقرير المصير لهذه البلاد .

فان انجلترا بالرغم من قيام لجنة تصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة بأعبائها ، وحصول بعض البلدان التى كانت فى حوزة الاستعمار على استقلالها ، فانها لا زالت تفكر بعقلية القرون الوسطى ، ولم ترضخ حتى الآن لقرارات الامم المتحدة التى تحتم اعطاء تلك الشعوب حقها فى تقرير مصيرها ، ونيلها حريتها واستقلالها .

وقد كشفت بريطانيا القناع عن مخططها الاستعمارى الجديد فى الجنوب اليمنى المحتل وهو ما يسمى فى عرف السياسة الاستعمارية « اتحاد امارات الجنوب العربى » ، وكذلك فى سلطنة مسقط ، ثم عدوانها على امامة عمان واستمرار سيطرتها على امارات الخليج العربى . هذا المخطط يتجلى فى ارغامها أولئك الامراء والسلاطين على عقد اتفاقيات جائرة تزيد من نفوذ بريطانيا العسكرى والسياسى فى المنطقة بأسرها ، ثم محاولاتها فى ايجاد اتحادات زائفة ، لا ترضى عنها تلك الشعوب ، وبموجبها سمح لبريطانيا بانشاء القواعد العسكرية والمطارات الحربية فى المراكز الاستراتيجية ، والجزر الهامة فى البحرين الاحمر والعربى . وقد قامت بريطانيا بنقل قوات ضخمة من جوية وبرية وبحرية الى تلك المناطق . مما يؤكد أن السياسة الاستعمارية لا زالت تسيطر عليها العقلية البريطانية العتيقة .

هذه الاجراءات الخطيرة التى يجب أن توقفها الدول الافريقية والاسيوية جميعا ، لان تلك القواعد ستكون مصدر تهديد لسلامتها واستقلالها ، وستظل سيفا مصلتا يعرض حريتها وأمنها لاخطار جسيمة . وعلى الدول المستقلة التضافر لاقتلاع النفوذ الاجنبى ، وتوحيد جهودها ومساعيها فى تبيان الحقائق الرهيبة فى المنطقة مؤكدة أن الاستعمار لا زال على أشده . وأنه يضمر شرا ويستعد لمعركة جديدة رهيبة . وعليها ألا تخدع بالوعود الكاذبة ، والتصريحات البراقة بأن الدول الاستعمارية على استعداد للتخلى على تلك البلدان .

كما أن البرتغال تستميت للبقاء فى مستعمراتها فى افريقية ، وقد صرح أخيرا هذه المستعمرات الى « أقصى حد تسمح به الطاقة البشرية وموارد البلاد » . ولا ريب فى أن هذا التصريح ليس الا انعكاسا مباشرا للسياسة العنيدة ، التى ظلت البرتغال تتبعها لسنوات عديدة فى الماضى .

وبالرغم من أن سياسة البرتغال العنيدة العقيمة البالية قد أفقدتها عطف وصداقة معظم الدول الافريقية المستقلة ، واستنفدت مواردها بصورة خطيرة ، وزعزعت مكانتها فى الامم المتحدة ، فانها تصر على البقاء فى هذه البلاد ، وكرست جهودها وقواتها من أجل اخماد الحركات الوطنية فيها ، وشن حرب سلازار رئيس وزرائها بأنها سوف تدافع عن الابادة ضد الرعايا الافريقيين المظلومين .

ثم ان الاستعماريين الذين اضطروا أن يحملوا عصيهم على كواهلهم ويغادروا مناطق شاسعة من افريقية والعالم العربى ، يحاولون بشتى الطرق ابتكار وسائل جديدة لشق طريقهم مرة أخرى الى داخل افريقية والعالم العربى تحت أقنعة مختلفة زائفة .

لهذا وجب على « منظمة الوحدة الافريقية » و « جامعة الدول العربية » أن تتعاونا وتكرسا جهودهما لتحرير البلاد العربية والافريقية التى لا زالت تئن تحت نير الاستعمار ، وأن تتضافرا لمواجهة الاستعمار فى شتى صوره واشكاله .

ثالثا : نشاط اسرائيل العدائى للعرب ولافريقية . ولا يجهل أحد عداء اسرائيل للعرب وأطماعها التوسعية فى البلاد العربية ، وكيف أنها جسم متطفل غريب فرض على العالم العربى فرضا ، الامر الذى أدى الى تشريد عدد كبير من أهل فلسطين أصحاب البلاد الحقيقيين ، وجعل القضية الفلسطينية من أبرز القضايا التى تعمل من أجلها جامعة الدول العربية .

كما أن عداء اسرائيل لافريقية واضح أيضا ، على مسرح الاحداث السياسية فى افريقية نفسها ، وفى المحافل الدولية . فاسرائيل هى التى باعت الاسلحة لتشومبى عميل الاستعمار البلجيكى ، وهي التى تصنع الاسلحة التى

تستخدمها البرتغال ضد الثوار الوطنيين في انجولا . واسرائيل هي التي اقترعت في هيئة الامم المتحدة ضـــد استقلال تونس في عام ١٩٥٢ ، وضد استقلال المغرب في عام ١٩٥٤ ، وضد استقلال الجزائر في كل مرة عرضت فيها هذه القضية على هيئة الامم . واسرائيل هي التي أيدت فرنسا ضد اجراء انتخابات حرة تحت اشراف الامم المتحدة في الكميرون .

ولقد تنبهت الشعوب الافريقية الى حقيقة الدور الذي تلعبـه اسرائيل كأداة للاستعمار وأصبح الرأي العام الافريقي يعي تماما خطورة التغلغل الصهيوني في افريقية . وتتضح هذه الحقيقة من موقف ممثلي الدول الافريقية في المؤتمرات الدولية التي عقدت أخيرا ، ففي مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي ، الذي عقد في موشي بتنجانيقا في شهر فبراير ١٩٦٣ استنكر ممثلو الشعوب الافريقية والاسيوية التغلغل الصهيوني في دول افريقية وآسيا ، ووجهوا نداء الى شعوبهم والى الحكومات المعنية بأن تكون أكثر حذرا من الاشـــكال الجديدة التي يتخذها الاستعمار بواسـطة اسرائيل والصهيونية . وصدرت قرارات هذا المؤتمر تؤكد اعتبار اسرائيل قاعدة للاستعمار تهدد السلام والامن ، ليس فقط في منطقـة الشرق الاوسط وانما في العالم كله . كما أن مؤتمر الصحفيين الاسيويين والافريقيين الذي عقد في جاكرتا في شهر مايو ١٩٦٣ اتخـذ قرارات تنص على أن المؤتمر يعتبر اسرائيـل قاعدة خلقهـــا الاستعمار ، وأن الصهيونية العالمية تهدف الى تهديد أماني الشعب العربي وتشكل خطرا على السلام العالمي .

ومع ذلك فلا تزال اسرائيل تعمـل بجـد ونشاط في الميدان ، ولا تزال تعلق آمالا كبارا على نجاح خطتها في التغلغل الاقتصـــادي والسياسي والثقافي في افريقية ، خصوصا في الدول الافريقية حديثـــة الاستقلال . وقد بلغت خلال السنوات الست (١٩٥٧ ــ ١٩٦٣) الاستثمارات والقروض الاسرائيلية لاثنتي عشرة دولة افريقية ٢٠٠ مليون دولار . وهـذه الاســـتثمارات يشرف عليـــها ما يزيد على خمسمائة اسرائيلي ذوي خبرات متعـــددة ، وممثـــلة في ٤٢ شركة ومشروعا ، موزعة على فروع النشاط الاقتصادي المختلفة ، كالاسكان والمرافق العامة ، وأعمال التخطيط ، وتنظيم موارد المياه ، والتسويق ، والتوزيع التجاري ، والنواحي الزراعية ، وصيد الاسماك . وفي الميدان الثقافي وجدت اسرائيل فرصة مواتية مثمرة لدعم نشاطها ، فقامت بعقد المعاهدات الثقافية ، وبانشاء المكاتب والمراكز الثقافية ، وتكوين جمعيات الصداقة والجمعيات اليهودية وتبـــادل الزيارات والاشتراك في المؤتمرات والمعارض ، وانشاء المدارس والمعاهد والكليات والقاء المحاضرات ، وتقديم المنح الدراسية .

واذا ماعلمنا أن ظروف اسرائيل الاقتصادية لا تسمح لها بتـدبير الاموال التي تغطي تلك الاستثمارات الاقتصادية والمشروعات الثقافية من مواردها الخاصة ، لادركنا على الفور أن هنـــاك من الدول الاستعمارية ما يوجهها ويعاونها ماديا وأدبيا في استغلال هذا النشاط لمصلحة الطرفين .

لذلك أصبح من المحتم على « منظمة الوحدة الافريقية » و « جامعـــة الدول العربية » التعاون والتضـــافر لمقاومة اسرائيل ومنـــع تغلغلها ، فهي أكبر خطر على الدول العربية ، ورأس جسر للاستعمار في افريقية .

رابعا : يحتم التضامن الاسيوي الافريقي التعاون بين « منظمة الوحدة الافريقيـــة » و « جامعة الدول العربية » . وقد بدا هذا التضامن واضحا في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، حتى أن صحيفة أورور الفرنسية كتبت في ٢٢ ابريل ١٩٥٥ مقالا تحت عنوان « الكولونيل ناصر ينجح في أن يقرر مؤتمر باندونج بالاجماع التنديد بسياسة فرنسا في افريقية الشمالية » حذرت فيه الدول الغربية من تضـامن الدول الاســـيوية الافريقيـــة للدفاع عن مصالحها المشتركة ، وأهابت بالدول الغربية أن تتكتل أمام هذا الخطر ، وأن تثوب الى رشدها ، وتتبين أن هنـــاك أخطارا كبيرة تهدد كيانها فيما وراء البحار .

وفي القاهرة عقد مؤتمر الشعوب الاســيوية الافريقية في المدة من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧

الى أول يناير ١٩٥٨ ، لبحث المسائل الدولية عامة ، والقضايا التى تهم الشعوب الاسيوية الافريقية بصفة خاصة . وكان هذا المؤتمر فى الواقع حدثا تاريخيا فريدا ، فلاول مرة يجتمع ممثلون للشعوب الاسيوية الافريقية ، ومن بين أبنائها ليبحثوا مشكلاتها ، ويرسموا خطط المستقبل لها . واذا كان مؤتمر باندونج اجتماعا لحكومات مثلت فيه برؤسائها ووزرائها ، فان مؤتمر الشعوب الافريقية الاسيوية ، الذى عقد فى القاهرة ، كان اجتماعا لشعوب هذه الحكومات ، وانطلاقا لطاقات الملايين من أبناء آسيا وافريقية ، من أولئك الذين امتص الاستعمار الغربى دماءهم خلال عشرات السنين .

وقد بحث هذا المؤتمر الكثير من المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الخاصة بالشعوب الاسيوية والافريقية ، واتخذبشأنها عدة قرارات عامة ، منها مايتعلق بالاستعمار واستنكاره فى كل صوره ومظاهره ، ومنها ما هو خاص بالتفرقة العنصرية وبقضايا فلسطين والمستعمرات الافريقية . هذا بالاضافة الى القرارات والتوصيات التى اتخذها المؤتمر من أجل التبادل التجارى بين البلاد الافريقية والاسيوية والتنمية الزراعية والصناعية بها ، والتعاون الثقافى والاجتماعى بينها .

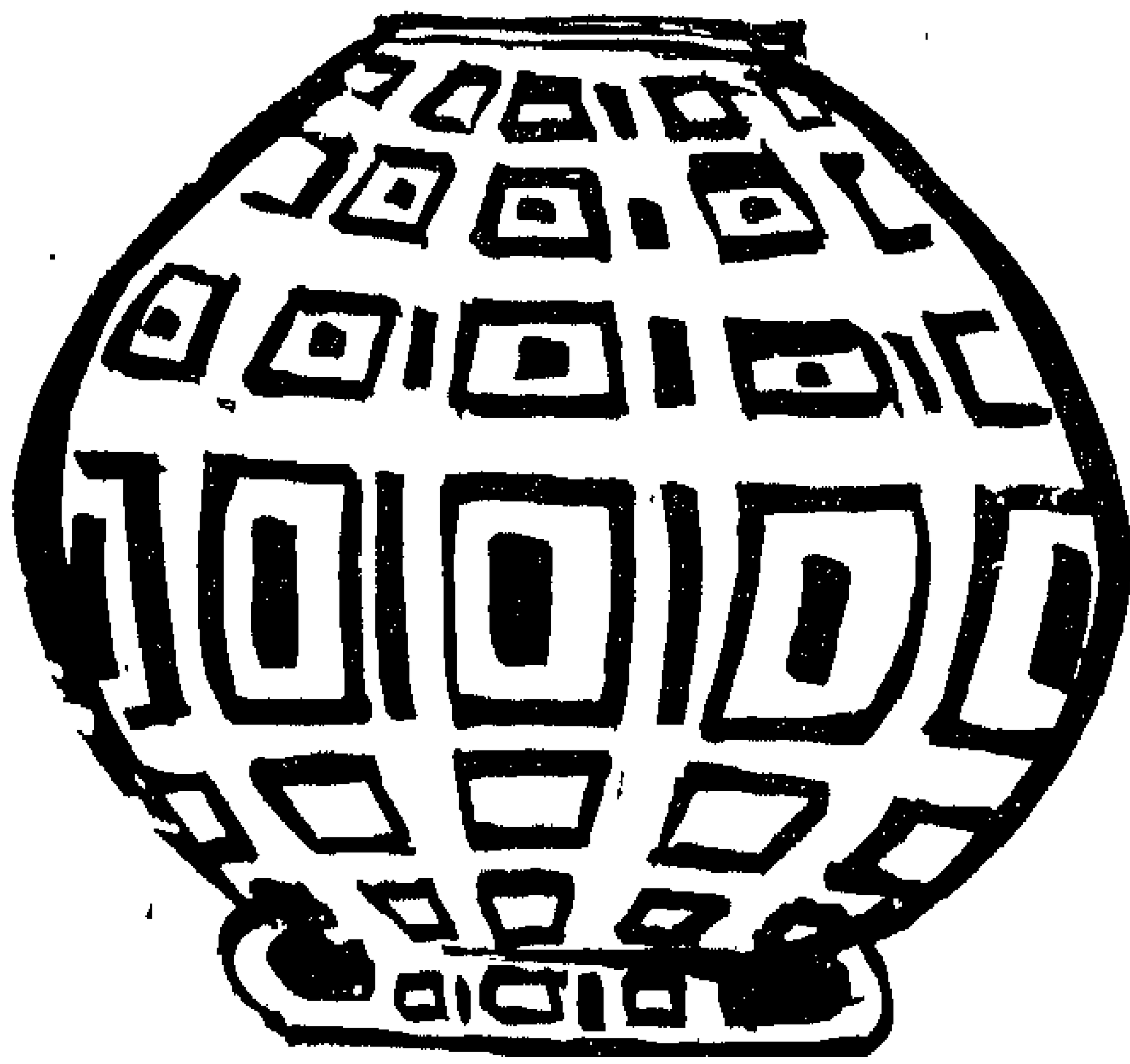
كما أن مؤتمر التضامن الاسيوى ألافريقى ، الذى عقد فى موشى بتنجانيقا فى شهر فبراير ١٩٦٣ ، اتخذ مثل‌هذه التوصيات والقرارات.

وهكذا نجد أن التضامن الاسيوى الافريقى أمر واقعى ، مما يحتم على « منظمة الوحدة الافريقية » و « جامعة الدول العربية » التعاون فى تنسيقه وتأييده وتقويته .

خامسا : العمل على تقدم ورفاهية الشعوب العربية والافريقية يجعل من الضرورى أن تتعاون « منظمةالوحدة الافريقية » و « جامعة الدول العربية » فى الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية . ومجالات التعاون فى هذه الميادين واسعة الى أبعد الحدود . ومن الممكن أن‌يجتمع خبراء من المنظمتين لوضع خطط هذا التعاون وتنسيقه .

والامل كبير فى أن يأتى تعاون « منظمة الوحدة الافريقية » مع جامعة الدول العربية و « هيئة الامم المتحدة » بالخير العميم على الشعوب الافريقية والعربية بل وعلى الانسانية جمعاء .

« دكتور على ابراهيم عبده »



افريقية الاستوائية والكونت برازا

بقلم عبد السلام شحاته

(هذه لمحة عن الاستعمار فى افريقية الاستوائية الفرنسية ، وقصة مكتشف خدعته شعارات الحرية والاخاء والمساواة .. فكان دون كيشوت باسم جديد)

لا نكاد توجد وثائق لتاريخ تلك المنطقة التى كانت تعرف باسم افريقيا الاستوائية الفرنسية وهى التى تتكون اليوم من أربع دول مستقلة هى تشاد وجابون والكونغو الاوسط وأوبانجى تشارى (التى صارت الان جمهورية افريقيا الوسطى) . ولا شك أن المناخ استوائى حال دون وجود هذه الوثائق كما حالت الغابات وصعوبة المواصلات دون تكوين وحدات سياسية كبيرة فى هذه المناطق .

وكانت تسكن الاقاليم الشمالية لهذه المنطقة أى فى اقليم السفانا جماعات ينتمى أغلبها الى الملونين الذين اختلطوا بالعرب والبربر وقد انتشر فيها الاسلام وكان له تأثير بعيد فى حياة هذه الجماعات ، وكان شيوع الاسلام فى تشاد خاصة ، حيث مكنت التجارة عن طريق القوافل من الاتصال بالاقاليم الاستوائية المجاورة كالسودان وفزان وشمالى نيجيريا .

وقد تكونت وحدات سياسية فى الاقاليم التى انتشر فيها الاسلام ووصفها المؤرخون العرب ، وعملت فرنسا على تحطيم النفوذ الاسلامى فى القرن الماضى وخاصة فى اقليم تشاد حيث قضت على السلطان رابح بجيوش ثلاثة تقابلت فى فورت لامى واستطاعت أن توسع حدود مستعمراتها وأن تجعل من بحيرة تشاد مركزا لامبراطورية تمتد من شمال افريقية الى قلب الاقاليم الاستوائية . وزعمت فرنسا حين دخلت افريقيا الوسطى الاستوائية أنها تعمل على تحرير العبيد وأنشأت مدينة ليبر فيل فى جابون مشتقة اسمها من الحرية .

وفى هذه السطور أحاول الاشارة الى كيفية بدء الاستعمار فى المنطقة وأعمال فرنسا وجهودها للاستيلاء عليها وتكوين امبراطورية واسعة الاطراف ، واختتم هذه السطور بذكر نشاط الشركات الاحتكارية الفرنسية وكيف جنت على الافريقيين فى ظل الحكم الفرنسى الذى تجرد من أبسط مبادىء الانسانية والذى جنى على هذه الاقاليم جناية لا تقل عن جرم الدول الاستعمارية الاخرى . وخلال هذا العرض نتبين جهود الكونت برازا فى كشف أقاليم فرنسا التى أحسن الظن بها فى العطف على الافريقيين .

قصة الاستعمار بدأت على أيدى البرتغاليين فى حوض الكونغو فى القرن الخامس عشر وقد أعد هؤلاء مراكز على السواحل لاعمال التجارة وأطلقوا الاسماء على الاقاليم التى ألموا بسواحلها مثل جابون فان الكلمة نفسها ترجع الى أصل برتغالى .

ثم نجدهم فى القرن التالى يوسعون أسباب التجارة ويدخلون زراعة بعض المحاصيل ويحاولون تحسين انتاج الحيوان . وكانت التجارة أساسها المبادلة فكان الافريقيون يأخذون الاقمشة والاسلحة والادوات الحديدية والتبغ والكحول بدلا من الذهب والعاج وزيت النخيل والاخشاب الثمينة . ثم وجدوا أن

هـذه التجارة لا ترضى أطمـاعهم فأخذوا فى الاتجار بالرقيق وأنشأوا مراكز لتنظيم أعمالهم على السواحل .

وبدأت المنافسة مع الهولنديين والانجليز والفرنسيين وحين قامت الثورة الفرنسية كان فى جابون أكثر من سبعين شركة فرنسـية تمارس تجارتها . وهذه الدول كانت تتسابق للحصول على الرقيق الذين سيقوا من داخل الاقاليم الافريقية . وهكذا استنزفت هـذه التجارة زهرة الشباب الافريقى وحرمت البلاد قواها البشرية .

وساير هذا النشاط حركات التبشير التى بدأت بها البرتغال فى نفس الوقت الذى بدأ فيه احتكاكها بالمنطقة . وحين اهتمت فرنسـا بهذه الاقاليم أوفدت جماعات للتبشير اليها والى غيرها من أقاليم الشرق الاقصى .

ورأت هـذه البعثـات أن تدرس المنطقة ليكتب لها النجاح فبدأ الاب بروبار عام ١٧٧٦ بدراسة تاريخها وعاداتها وخاصة فيما يتعلق بالمناطق الساحليـة التى لم يكن الفرنسيون يعرفون غيرها اذ ذاك . ومهما يكن من أمر فقد اثبتت هذه الدراسات أن بعض الاقاليم كانت فيما مضى على درجة عظيمة من التحضر .

وفى القـرن التاسـع عشر أخـذت الدول الاوربيـة تعلن عن محاربتها لتجارة الرقيق لـكنها فى نفس الـوقت راحت تعمـل على استقرارها فى هذه المناطق فقررت فرنسـا عام ١٨٣٠ انشاء مراكز دائمة للتجارة والتبشير فى الجابون ولتكون هذه المراكز موانى لسفنها فى طريقها الى الشرق الاقصى .

كما كانت هذه المراكز بمثابة الركائز التى تنقض منها الى الداخل حين تريد . وبدأت تعقد المعاهدات فى حوضى الاجوية والجابون التى سلم بمقتضاها شيوخ القبـائل بحق فرنسا المطلق وسيادتها التامة عليها .

وظلت أعمال الكشف تجرى بغية البحث عن الثروات الخيالية التى يحلمون بها حتى بدأت مغامرات الكونت برازا الايطالى الذى التحق بالبحـرية الفرنسية أثناء حربها مع بروسيا ، وقد نال التأييد من فرنسـا التى ساءها انتصار ستانلى فى الكونغو ، واستولى الكونت برازا على تلك المنطقـة التى أطلقت عليها الجمعية الجغرافية الفرنسية فيما بعد اسم برازافيل كما كشف الكثير من معـالم الكونغو الأخرى ونهر الاوجوية وجعلها خاضعة لفرنسا وذلك عن طريق المعاهدات مع شيوخ القبائل لظنه بأن فرنسا ستعمل على اشاعة الحضارة والمدنية فى تلك الاقاليم .

وقد عملت الدول على بسط الرقعة التى تسيطر عليها لا للأسـباب السـابقة فحسب ولكن لان قنـاة السـويس قللت من أهميـة السواحل باعتبـارها مناطق صالحة لانشـاء الموانى للتجارة ولتموين السفن فى طريقها الى الشرق الأقصى ومن هنا أخذت الدول الأوربية تعنى باحتلال المناطق الداخلية والتوغل فيها بغية الاستيلاء على ثرواتها .

وعقدت فرنسا اتفاقية مع البرتغال عـام ١٨٨٥ اتفقتا فيها على الحـدود الجنوبية الشرقية للكونغو الفرنسى كما عقدت معاهدتين أخريين مع ولاية الكونغو الحرة عامى ١٨٨٧ ، ١٨٩٢ اتفق فيها على أن يكون نهر الا[illegible] هو الحـد الفاصـل بين الولاية وبين الاقليم الفرنسى .

أما الحدود فى الشمالين الشرقى والغربى فقد وجدت فرنسا صعوبة فى تحديدهما .

ونجد أن برازا نادى عام ١٨٨٧ بأن يكون الاقليم الواقع شـمال الأوبانجى منطقـة فرنسـية ، لأنه أراد توحيـد المسـتعمرات الفرنسية فى غرب افريقية والجزائر والكونغو الفرنسى فى امبراطورية واسـعة مترامية الاطراف تتوسـطها بحـيرة تشـاد . وهكذا احتلت القوات الفرنسـية الاقليم الذى عرف فيما بعد باسم أوبانجى شارى وأنشأت مركزا للحكومة فى بنجوى . لكن التوسع فى أقاليم السودان شرقا لقى معارضة من انجلترا كما أن التوسع على حدود الكاميرون لقى معارضة من المـانيا . واضطرت فرنسـا للاعتراف لانجلترا بأن حدود نيجيريا تمتد حتى الضفة الغربية لبحيرة تشاد عام ١٨٩٠ وبعـد ذلك بأربع سنوات اعترفت فرنسا لألمانيا بأن تمتد حدود الكاميرون الشمالية حتى بحيرة تشاد كذلك .

وهكذا لم تجد فرنسا مجالا للتوسع الا فى الاقليم الذى يعرف الآن باسم تشاد . وتشاد

تحوطها أقاليم افريقيا الفرنسية الغربية من الغرب وكان يحكمها السلطان رابح وهو زعيم وطني مسلم عمل على نشر الاسلام فى صحرائها الواسعة . وكانت فرنسا تقدر قوته وسطوته فوجهت له ثلاثة جيوش التقت فى فورت لامى، وسمى هذا اللقاء : موعد فى تشاد .

وتغيرت معالم الحدود مع الكاميرون مرة أخرى فقد اضطرت فرنسا أن تتنازل لألمانيا عامى ١٩٠٨ ، ١٩١١ عن مساحة قدرها ٢٧٥ ألف كيلو متر مربع دخلت ضمن اقليم الكاميرون وكان ذلك ابان الأزمة المغربية لكنها ما لبثت أن عوضت هذه الخسارة بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى .

واستقر الامر لفرنسا فى الكونغو الفرنسى وجابون فى فترة مبكرة نسبيا وأمكن أن يحكم اقليم أوبانجى شارى حكما مدنيا الا أن اتباع السلطان رابح فى تشاد اولئك الذين أشاع فيهم الاسلام روح المقاومة والدفاع عن الوطن فانهم قاوموا السيطرة الفرنسية مما جعل الحكم فى هـذا الاقليم بيد السلطات العسكرية الفرنسية . ووحدت الاقاليم الاربعة : الكونغو واوبانجى والجابون وتشاد فى نظام حكم مركزى مع الابقاء على الاستقلال الاقتصادى لكل اقليم الا أن الحكم المركزى كان صاحب اليد العليا والسلطة الفعلية .

وقد مثل الكونت برازا دور دون كيشوت بالنسبة للاستعمار الفرنسى للكونغو ، فقد قيل ان الرجل خلال رحلاته الكشفية قد تآلف مع الافريقيين مما جعله يعطف عليهم ويرى ضرورة معاملتهم معاملة انسانية وألا يكون الحكم الفرنسى وسيلة للاستغلال البشع ولكن القائمين بالامر ضربوا بكلماته عرض الافق .

وحين اعترض برازا على الامر الصادر فيما بين عامى ١٨٩٨ — ١٨٩٩ الذى يقضى بتحويل ملكية الاراضى ومجرى الانهار والمياه من الافريقيين الى الحكومة الفرنسية كان موضع سخرية من جانب الحكام الفرنسيين . فقد رأى هؤلاء أن يستغلوا المنطقة الى أبعد حد بعد أن لمسوا أمثلة لنجاح استثمارات الشركات الاحتكارية التى شجعتها بلجيكا فى الكونغو وشجعتها انجلترا فى نيجيريا ، وعزوا نجاحها الى ضخامة رأس المال والمنفعة المباشرة .

وشجعت فرنسا الشركات الاحتكارية على استغلال أراضى المنطقة لمدة ثلاثين سنة على ان تدفع الضرائب ونصيبا من الارباح للحكومة . وقد أظهر استغلال الشركات الاحتكارية مخالفة لمبادىء الحرية الدولية للتجارة ، الامر الذى حمل بعض التجار الانجليز فى المناطق الساحلية للجابون على الاحتجاج وطلب التعويض .

وثمة ظاهرة أخرى وهى الاستغلال البشع للسكان الافريقيين من جانب هذه الشركات ، وقد توفرت لها الاسباب لتضرب بحقوق الانسان عرض الافق ، فهى لم تر أصلا ان الافريقيين آدميون مثل الاوربيين ولكنهم جنس وضيع ، وهى شركات أجنبية غرضها وهدفها الاستغلال وجنى الربح بأى ثمن .

واذا كان بعض الكتاب الفرنسيين ينقدون ظلم الدول الاخرى للشعوب الافريقية فان الحق الواضح على ألسنة فريق من المفكرين الاحرار الفرنسيين أنفسهم يشهد بأن فرنسا وشركاتها خلال تلك الحقبة قد ارتكبت جميع أنواع الاستغلال والتعذيب ، فهى لم تحترم حقوق الانسان . كما يمكن ان نسمى بعض أعمالها اليوم بأنها جرائم لابادة الجنس .

وبدأت تظهر هذه الحقيقة عام ١٩٠٥ حين نشرت جريدة «لوماتن» مقالا أشارت فيه الى مدى الوحشية فى معاملة الافريقيين على يد الشركات الاحتكارية الفرنسية . ونتبين من المقال ان تلك الشركات أخذت بنظام السخرة وأعادت نظام الرق فى شكل آخر وسجنت الاطفال والنساء فى معسكرات للتعذيب ، وقتلت عددا كبيرا منهم فضلا عن الرجال .

واضطرت الحكومة الفرنسية ازاء هـذه الفضائح الى اعادة الكونت برازا الذى كان يقيم فى الجزائر منذ عزل — وهكذا عاد الرجل مرة أخرى الى الكونغو ولكنه وجد تقاعد رجال الحكومة والشركات عن مساعدته فقد توجسوا خيفة منه .. بل لقد وجد مقاومة من طائفة أخرى وأعنى بها طائفة رجال الدين من الكاثوليك .

وكان شعور العـداء الذى أظهره مستشار الحكم الفرنسى جنتيل « الذى سمى باسمه ميناء بوان جنتل فى جابون » ورئيس البعثة الكاثوليكية لبرازا واضحا جليا مما حمل هذا الاخير على اعداد تقرير كشف فيه عن الجرائم المخزية . ولم تستطع الحكومة الفرنسية نشر هذا التقرير على الناس مطلقا . أما الكونت الذى قيل انه أحب الافريقيين فانه مات بحسرته بعد أن رأى المأساة وكانت وفاته بداكار عاصمة السنغال عام ١٩٠٥ .

واستطاع مساعده شالاى أن ينشر مقتطفات من تقرير أستاذه ، ومنه نتبين ان برازا رأى ان السياسة الاستغلالية التى اتبعت ازاء سكان أفريقيا الاستوائية أدت الى تناقص عددهم والى شيوع البؤس والفقر بينهم ، وعزى ذلك الى تشغيل عدد كبير منهم كحمالين والى أجورهم التى لاتسد الرمق كما أشار الى معسكرات الاطفال والنساء .

وثمة قصة كتبها أديب ملون بعد ذلك هو « رينيه ماران » الذى نال بها جائزة الجونكور وهى تصور طرفا من حياة الافريقيين فى أوبانجى شارى ومدى ما يعانونه من البؤس والقسوة . وقد أثارت القصة حملة على الشركات الاحتكارية فى أفريقيا الاستوائية غير أن المستوطنين الفرنسيين حاولوا التخفيف من وطأة هذه الحملة فزعموا أن ماران لا يعرف الكثير عن حياة الافريقيين لانه من جزر الهند .

وقام الكاتب الفرنسى أندريه جيد برحلة الى الكونغو الفرنسى فيما بين عامى ١٩٢٥ و١٩٢٦ وكان بذلك يحقق حلما من أحلام صباه ولم يتوقع ان يكون بيت القصيد فى حديثه عن الرحلة التى قام هو قسوة أبناء وطنه ازاء الافريقيين .. ووصف فيما نشره بصحيفة « ريفو دى بارى » عام ١٩٢٧ الكثير من مظاهر القسوة التى أشرنا اليها ووصف اسراف أبناء وطنه فى ظلمهم لانه رآهم مثلا يحملون الاطفال والنساء على العمل فى صيانة طريق لايسلكه رجال الشركة الا لماما . ووصف كيف ان الاهتمام بالنواحى الاستغلالية جعل الفرنسيين يهتمون بجمع المطاط واهمال زراعة المحاصيل الغذائية وتشتيت أهالى قرى كثيرة بأسرها ..

ورأى أن هذا النظام الاستغلالى الاحتكارى لم يؤد الى تطوير المستعمرات وتحسينها وانما أدى الى ابتزاز ثرواتها وانهاك قواها البشرية .. وذكر أنه عنى بهذا الموضوع فى ذلك الوقت « عام ١٩٢٧ » لان موعد اعادة النظر فى عقود الشركات كان قد حان وانها تطالب بتجديد امتيازاتها .

وأرسلت الصحف الفرنسية الكبرى فى ذلك الحين أكثر من مرة بعثات من مراسليها وكتابها لتحرى الحقيقة التى أثارت الرأى العام ورأى البعض ان الشركات لم تكن وحدها المسئولة وانما تشاركها الحكومة فى أعمالها فان نسبة وفاة الافريقيين ارتفعت فى الوقت الذى سخرتهم الحكومة لمد الخط الحديدى بين برازا فيل وبوان نوار فى الكونغو الفرنسى ، وأشاروا الى أن مد مائة واربعين من الكيلومترات فى هذا الخط كلف أبناء الكونغو الفرنسى حياة سبعة عشر ألف افريقى بالاضافة الى من ولوا فرارا الى الاقاليم المجاورة . فقد كان العمال يعملون بأيديهم دون الات حديثة للحفر وبلاطعام ولا مأوى ولا خدمات صحية ولا مواصلات .

وعلى أثر هذه الحملات بدأت تصفية الشركات الاحتكارية . الفرنسية فى المنطقة . . ثم كانت الحرب العالمية الثانية والاحداث التى تلتها حتى اليوم مما قد يكون موضوع حديث آخر .

لكنا نتأمل مأساة الكونت برازا وكيف أحسن الظن بفرنسا التى كانت تنادى بالحرية ثم نتبين أن الاستعمار الفرنسى خالف مبادىء الحرية والمساواة والاخاء فى افريقيا كما خالفها فى كل مكان حل به .

الا تذكرنا سيرة الكونت الطيب بالمأسوف عليه دون كيشوت الذى حارب فى سبيل قيم لا وجود لها فى عقول الناس ؟

((عبد السلام شحاته))

الاتصالات الاوربية الاولى بالشرق الافريقي



عرض
عبد الرحمن صالح

فى سنة ١٨٤٠ نقل السلطان سيد سعيد مقر حكمه من عمان فى جنوب شبه الجزيرة العربيـــة الى جزيرة زنجبار على الشاطىء الشرقى لافريقيـــا مدفوعا الى ذلك بخصوبة أراضيها وجو السلم والطمأنينة الذى يشملها ثم بموقعها الجغرافى الهام الذى جعل لهـــا أهمية تجارية خاصة .

ولقد وجد الاوربيون الاوائل الذين اتصلوا بالسلطان ســـيد سعيد بفرض التجارة مع الشاطىء الافريقى الشرقى ترحيبا حارا منه .. ذلك أنه كان حريصـــا على تنمية ثروة الجزيرة بكل وسيلة ممكنة . ولقـــد كانت الزراعة بالجزيرة ضعيفة متأخرة حين وصول السلطان سيد سعيد .. ولكنه ما لبث أن اهتم بها الاهتمام كله وذلك باعتبـــاره المالك الاول ونشر زراعة القرنفـــل التى ازدهرت بالجزيرة ازدهارا هائلا حتى أصبحت زنجبار تمون العالم هى وشقيقتها بمبا بأكثر من ٩٠٪ من احتياجاته من القرنفل . وفى نفس الوقت كان البحارة العرب يسافرون بسفنهم الى الهند بل وصلوا الى الصين أيضا لنقل البضـــائع وأنواع المتاجر مساهمين بذلك فى تدعيم ثروة الجزيرة وسلطانها الكبير .

وفى الســنوات الاولى من القرن التاســـع عشر كان الامريكيون هم التجار الاجانب الذين احتلوا المرتبة الاولى بالجزيرة . وحتى فى السنوات التى سبقت انتقال السلطان سيد سعيد الى الجزيرة كانت السفن الامريكيـــة

مألوفة فى الجزيرة وفى باقى موانىء الشاطىء الشرقى . بل ان السلطان سيد كانت له اتصالات بالامريكيين قبل انتقاله الى زنجبار .. ففى سنة ١٨٣٢ كلف الضابط الامريكى « كابتن ادموند روبرت » بالابحار إلى الشرق الاقصى وعقد معاهدة مع الحكام الوطنيين هناك . وفى عمان تقابل هو والسلطان الذى رحب به وعقد معه معاهدة للصداقة والتبادل التجارى فى سبتمبر سنة ١٨٣٣ . وقد نصت تلك المعاهدة على السماح للمواطنين الامريكيين بالاتجار الحر فى كل الموانىء الخاضعة للسلطان وذلك مقابل ضريبة مقدارها ٥ ٪ فقط يحصلها السلطان على البضائع الامريكية . كما سمحت المعاهدة أيضا لرئيس الولايات المتحدة بتعيين قناصل يقيمون فى أى ميناء تابع للسلطان . وكان طرفا المعاهدة راضين كل الرضا عن نصوصها نظرا لما تحققه من فائدة متبادلة .

وعلى كل حال فان عدد الامريكيين بالشاطىء الافريقى لم يكن كبيراً على الاطلاق . وهم الذين استطاعوا ادخال ونشر الاقمشة القطنية البيضاء التى كانت تنتجها مصانع ماساشوستس والتى نافست الاقمشة الانجليزية منافسة خطيرة حتى تحولت على طول الطرق التجارية الداخلية الى نوع من العملة تعرف باسم « الامريكانى » . وكان الوسطاء بين الامريكيين والمستهلكين هم التجار الهنود الذين كانوا يعرفون باسم «بانيان Banyans

وبعد فترة من حضور الامريكيين .. جاء الالمان ـ وكان معظمهم من هامبرج ـ للاتجار مع زنجبار سنة ١٨٧٤ . وقد اشتغل الالمان أيضا بتصدير العاج والقرنفل والصمغ وجلود الحيوانات كما كانوا يستوردون أشياء متنوعة منها المصنوعات الحديدية والمرايا والخرز والصابون . وقد قوبل الالمان أيضا بحفاوة وترحاب من السلطان سيد سعيد وذلك لانهم أظهروا عزوفهم عن التدخل فى ادارة الاقليم كما انهم كانوا يساهمون فى تنشيط وامتداد التجارة بالجزيرة . وفى سنة ١٨٥٩ عقد اتفاق للتجارة مشابه للاتفاق الذى عقد مع الامريكيين بين ممثلى جمهوريات لوبيك وبريمن وهامبرج الالمانية وسلطان زنجبار « ماجد » الذى خلف السلطان سعيد بعد وفاته .

وقد انعكست آثار هذا النشاط التجارى الواسع ليست على ثروة السلطان وحده وانما على زنجبار كلها .. فبعد أن كانت قبل سنوات مضت مجرد قرية قليلة الاهمية .. أصبحت مركزا تجاريا هاما يتفوق على « كيلوا » .

أما اهتمام الفرنسيين بالساحل الشرقى لافريقيا .. فقد فاق فى قدمه وسعته اهتمام كل من الامريكيين والالمان . ذلك أن الفرنسيين كانوا يزاولون بجانب التجارة المشروعة تجارة العبيد أيضا . فبعد أن انهارت العلاقات بينهم وبين السلطان سيد سعيد خلال حروب نابليون .. أظهر الفرنسيون لهفتهم على تجديد الصلات التجارية مع ممتلكات السلطان عندما سنحت لهم الفرصة الملائمة . وقد عقدوا فعلا اتفاقية تجارية مع السلطان سيد سعيد سنة ١٨٢٢ . ثم عند ما علموا بشروط الاتفاقية التى عقدها الامريكيون معه سنة ١٨٣٣ .. تطلعوا للحصول منه على امتيازات مشابهة . ولكن السلطان توجس شرا من اندفاع الفرنسيين لتحقيق أغراضهم . ومع ذلك فقد قبل عقد اتفاقية تجارية جديدة معهم فى نوفمبر سنة ١٨٤٤ كما وافق على تعيين قنصل فرنسى فى زنجبار . وقد كان الفرنسيون بالرغم من صدور القانون القاضى بالغاء الرق سنة ١٨١٨ .. وتشديد عقوبته بالقانون الصادر سنة ١٨٢٧ .. كانوا يزاولون هذه التجارة غير المشروعة لامداد مزارعهم فى جزيرة فرنسا Ue de France وجزيرة البربون Jsland of - Borbon بالايدى العاملة . ولما أخذت السفن الانجليزية تضيق عليهم الخناق .. أخذوا يتظاهرون باستيراد أيد عاملة حرة يتعاقدون معها للعمل وان كانت فى حقيقتها ليست الا رقيقا يتولى جمعهم وكلاء الفرنسيين على طول الساحل الشرقى . وأخيرا قبل الانجليز سنة ١٨٥٩ أن يسمحوا لفرنسيين باستيراد عمال من الهند أسوة بما فعلوا هم فى موريشيوس .

ولم تكن تجارة الرقيق فقط هى التى بددت الطمأنينة فى نفس السلطان سيد سعيد من ناحية الفرنسيين . وانما أيضا تطلعهم الى ايجاد موطىء قدم لهم على الساحل الشرقى لافريقيا أو على احدى الجزر المجاورة له .

ذلك أن الفرنسيين كانوا فى موقف سيىء فى المحيط الهندى وشبه الجزيرة الهندية .. فالمدن القليلة التى كانت ما زالت فى قبضتهم بالهند كانت محاصرة من كل جانب بالاراضى الخاضعة للبريطانيين . وكان تقدمهم جد بطىء فى مدغشقر . كما كان الانجليز فى موريتيوس يشكلون تهديدا خطيرا على مستقرهم فى جزيرة بوربون . ولذلك فقد كانوا يتطلعون كما أشرنا الى احتلال أجزاء من الساحل الشرقى لافريقيا . وفعلا فى سنة ١٨٤٠ أرسلوا سفينة حربية الى زنجبار طلب قائدها السماح باقامة وكالة لهم فى الجزيرة وبناء قلعة وبعض المنشآت الاخرى فى مقديشيو وبراوا . ولما كان السلطان سيد سعيد غائبا عن الجزيرة فى ذلك الوقت لذهابه الى عمان .. ولما كان ابنه قد أعطى الفرنسيين اجابة لم ترضهم .. فقد ذهبوا خلف السلطان الى عمان ليعرضوا عليه مطالبهم .. ولكنه لم يعطهم اجابة حاسمة .. وان كان قد أزعجته مطامعهم فى الساحل الشرقى للقارة . ثم أعقب ذلك أن استولى الفرنسيون على جزيرة « نوسى بى » القريبة من الطرف الشمالى لمدغشقر . ولما كان هو قد سبق أن أعلن تبعية هذه الجزيرة لممتلكاته بعد أن أهدى أهلها أحد اعلامه .. فقد بادر فى الحال الى ارسال احتجاجه على احتلال الفرنسيين للجزيرة الى لورد بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا . وكانت لحظة مواتية للسلطان سيد سعيد. اذ أن لورد بالمرستون فى ذلك الوقت على خلاف شديد مع فرنسا بسبب تأييدها لمحمد على فى مصر ضد سلطان تركيا . ولذلك فقد كتب بالمرستون الى سيد سعيد يحثه على مقاومة أى ضغط من فرنسا . ولكن بالمرستون تراجع بعد بضعة أيام بسبب خوفه من أن يؤدى ذلك الاحتكاك المستمر بفرنسا الى نشوب الحرب بين الدولتين . وما لبث تأييد بريطانيا لسيد سعيد ضد فرنسا أن اختفى تماما حين ذهب اللورد بالمرستون وحل مكانه لورد أبيردين .

ولم تكن لانجلترا علاقات اقتصادية وثيقة بالساحل الشرقى لافريقيا .. وكل ما كانت تهدف اليه من توثيق علاقاتها بالسلطان سيد سعيد وخلفائه هو تأمين الطريق الى الهند . ولذلك فقد عينت لها فى زنجبار سنة ١٨٤١ وكيلا بريطانيا وقنصلا عاما . ولكن التجار الهنود الذين كانوا يمسكون فى أيديهم بزمام التجارة فى الجزيرة والساحل الشرقى كله كانوا من الرعايا البريطانيين باعتبار أن بريطانيا كانت تحتل شبه الجزيرة الهندية ، وباستثناء الاقمشة القطنية الامريكية التى كانت واسعة الانتشار .

وكان أول وكلاء بريطانيا فى زنجبار هو الكابتن هامرتون .. وقد كان بتحذير السلطان سيد سعيد من مطامع القوى الاجنبية الاخرى فى الجزيرة . والحق أن سلطة السلطان ونفوذه كانا مركزين على الشاطىء فقط .. أما فى الداخل فلم يكن له نفوذ ملحوظ . وقد كان يحتفظ بحاميات قوية فى مومباسا التى كانت مركزا لخروج القوافل واتجاهها نحو الداخل ، وكذلك فى تانجا كانت له قوة عسكرية ولكن كان يحد من فعاليتها سلطة حاكم أوزومبارا المجاور والذى كان السلطان سيد سعيد حريصا على حسن العلاقات معه ، أما فى جنوب رأس دلجادو كان سكان الساحل يعرفون السلطان بدرجات متفاوتة بين القوة والضعف .. اذ كان السلطان عازفا عن توسيع رقعة ممتلكاته لتشمل مثل هذه الاماكن النائية ولكنه كان حريصا على أن يحتفظ بما فى يده ويبعد المطامع عنه .. ويمنع تدمير علاقاته التجارية مع الداخل . ومع ذلك وبالرغم من أنه لم يكن استعماريا بالمعنى المعروف للكلمة فقد كان تأثيره ونفوذه ظاهرين على طول الطرق الداخلية الممتدة الى الغرب حتى بحيرة تانجانيقا والى الشمال حتى بحيرة نياسا .. فكان حاملو رسائله يتلقون مساعدة التجار العرب المقيمين خلال هذه الاماكن .

ولقد اتخذت انجلترا من مسألة منع تجارة الرقيق حجة لها وأداة لتحقيق هدفين :

الاول — هو مضايقة فرنسا والثانى — هو التدخل شيئا فشيئا فى شئون زنجبار وفرض النفوذ البريطانى عليها .

واعتمدت فى تنفيذ مخططها السابق على أسطولها البحرى بالمنطقة الذى كان مكونا من أربع أو خمس مدمرات بجانب السفن التابعة

لحكومة الهند .. وأخذت بعد ذلك تلح على السلطان سيد سعيد ليقوم بمنع رعاياه من مزاولة تجارة الرقيق والتعهد بذلك فى معاهدة يعقدها مع البريطانيين . وقد جاهد السلطان سيد سعيد طويلا ليتفادى عقد مثل هذه المعاهدة وذلك لمعرفته بالمكاسب الضخمة التى يجنيها رعاياه من هذه التجارة التى سيؤدى منعهم بالقوة من مزاولتها الى ثورتهم ثورة جامحة . ولكنه أخيرا اضطر لتوقيع المعاهدة سنة ١٨٤٥ على أن يبدأ تنفيذها سنة ١٨٤٧ يتعهد فيها بمنع تجارة الرقيق فيما عدا المنطقة من « لامو » الى « كيلوا » . وبرغم ذلك فقد استمرت التجارة ولم تثر المعاهدة غضب رعاياه لعلمهم أن حكومة السلطان عاجزة عن تحقيقها فعلا .

وقد استطاع الوكيل البريطانى فى زنجبار « هامرتون » أن يتقرب من السلطان سيد سعيد حتى أصبح يصطحبه معه فى كل زياراته الى عمان .. بل انه فى سنة ١٩٥٣ حينما زار أسطول فرنسى زنجبار وكان السلطان على وشك السفر الى عمان .. طلب السلطان من هامرتون البقاء فى الجزيرة ليراقب الفرنسيين ويمد ابنه خالد الذى ناب عنه فى ادارة الامور بنصائحه . وعلى كل فقد توفى السلطان سنة ١٨٥٦ حينما كان فى عمان وانتهت بذلك حياة واحد من أعظم الحكام العرب الذين استطاعوا عن طريق الدهاء والدبلوماسية البارعة أن ينشئوا لانفسهم ملكا عريضا ونفوذا واسعا على الشاطىء الشرقى لافريقيا وأن يبعدوا عنه عوادى الاطماع الاوربية الاستعمارية .

وخلف السلطان سيد سعيد على أريكة الملك فى زنجبار ابنه ماجد . ولكنه كان على خلاف أبيه شخصية ضعيفة فتعرض لاطماع أخويه سيد برغش وصوان (الذى تولى حكم عمان) وأخذا يحيكان ضده المؤامرات ويثيران الفتن والدسائس ، كما انتشر فى أول عهده وباء الكوليرا والطاعون فأبادا عددا كبيرا من سكان الجزيرة . وقد استعان ماجد بالبريطانيين ضد أخويه اللذين كانا يستعينان أيضا بالفرنسيين . وبذلك زاد نفوذ الانجليز الى درجة خطيرة . وقد حاول الفرنسيون سنة ١٨٦٠ بناء قلعة لهم فى الجزيرة زاعمين أنها مقر لبعثة تبشيرية ولذلك وقع الصدام بين فرنسا وبريطانيا من جراء ذلك حتى كادت الحرب أن تنشب بينهما ، وأخيرا تراجعت فرنسا وصدر تصريح مشترك فى ١٠ مارس سنة ١٨٦٢ باحترام استقلال سلاطين زنجبار وعمان .

وقد زاد نفوذ بريطانيا زيادة كبيرة فى عهد قنصلها الدكتور كيرك الذى وصل الى زنجبار سنة ١٨٦٦ ، وأصبحت هى الموجهة تماما لسياسة السلطان حتى مات سنة ١٨٧٠ وظل نفوذ بريطانيا فى ازدياد فى عهد خلفه السلطان برغش وتكونت قوة عسكرية جديدة للسلطان من الهنود بقيادة ضباط انجليز على رأسهم ضابط بحرى هو وليام ماتيوز الذى أصبح بدوره شخصية مسيطرة على السلطان وسياسته بعد أن أصبح وزيرا له . كما قامت بريطانيا ببناء قلعة للسلطان على الشاطىء الشرقى للقارة .

محاولات التوغل الاوربى داخل القارة بعيدا عن الساحل الشرقى لافريقيا

كانت أولى القوى الاوربية التى اهتمت باكتشاف الداخل هى البعثات التبشيرية وذلك خلال القرن التاسع عشر . وقد بدأ حملات الاستكشاف الاوربية الالمانى لودفيج كرايف الذى ولد سنة ١٨١٠ . واقام كرايف فى زنجبار شهرين كان خلالهما موضع اهتمام السلطان سيد سعيد ثم ذهب الى ممباسا وأقام مع زوجته وأخذ يتعلم اللغة السواحلية . ولكن الملاريا هاجمته هو وزوجته وما لبث أن قضت على الاخيرة هى وابنها الذى وضعته قبل وفاتها . ورغم ذلك فقد استمر كرايف فى عمله ووضع أبجدية لاتينية للسواحلية وقاموسا لها .كما بنى مركزا للبعثة فى قرية « ربيع » بعد أن انضم اليه مبشر آخر هو « ريمان » وفى سنة ١٨٤٧ بدأ ربمان رحلته الاولى فى الداخل الافريقى مزودا بخطاب توصية من حاكم ممباسا . وفى ابريل سنة ١٨٤٨ قام ربمان برحلته الثانية للاتصال بقبائل التشاجا . وفى ١١ مايو من نفس العام اكتشف ربمان جبل كليمانجارو حيث قابل ماساكى أحد زعماء التشاجا . ثم عاد فى ١١ يونيو الى ممباسا . وفى أواخر العام نفسه

قام برحلة أخرى للاتصـــال بأكبر زعمـــاء التـاجا الذى كان يدعى « مانكينجا » . وقد قابله الاخير بحفاوة . وبعد ذلك عاد الى « ربيع » فى فبراير سنة ١٨٤٩ .

وقد أحدث اكتشافه لجبـــل كليمانجارو ضجة كبرى بين الجغرافيين فى أوربا ولم يصدق الكثيرون أن هناك جبلا يمكن أن تغطى الثلوج قمته بينما يقع على خط الاستواء .. وقال البعض انه بريق نوع من الصخور اللامعـــة أو الكوارتز التى تغطى قمم بعض الجبـــال الاستوائية .

ولم يكن كليمانجارو هو المكتشف الوحيد للبعثة التبشيرية فى « ربيع » .. بل ان لودويج كرابف اتجه شمالا بغرب الى كيتوى Kitui حيث اكتشف جبل كينيا الذى كانت الثلوج تتوج قمته هو الاخر .

ثم قام كرابف بعد ذلك برحلة أخرى سنة ١٨٤٨ لزيارة مملكة أوزامبـــارا القوية حيث استقبلها حاكمها القوى «كيمويرى» بترحاب .

وشجعته نتائج الرحلات السابقة على التفكير فى انشاء مقر للبعثة التبشيرية بين قبـــائل الواكامبا تكون فاتحة لسلسلة من المحطـــات داخل أراضى القارة بعيدا عن الساحل . وفى سنة ١٨٥١ بدأ رحلته لهذا الغرض .. ولكن شغف أفراد قبائل الواكامبا بما كان يحمله من حاجيات وفضولهم البـــالغ وطمعهم فى هداياه جعله يغادر المنطقة ومعه أحد الرؤساء المدعو كيفوا محاولا الوصـــول الى نهر تانا واكتشـــافه . ولكن اللصوص هاجموهما فى الطريق وقتل كيفوا بينما هرب كرابف بجلده وظل يتجول بحثا عن الماء حتى عثر صـــدفة على نهر تانا فكان اكتشافا مثيرا . وساعده الحظ بعد ذلك فقابل بعض أفراد الواكامبا الذين ساعدوه حتى استطاع العودة الى مقر البعثة فى « ربيع » بجوار مامباسا .

وكان كرابف يأمل العثور على منبع للنيل مع محاولته اكتشاف نهر تانا . والحق أن هذا الامل كان يداعب أحلام الكثير من الرحالة والمستكشفين . وقد كان نشر خريطة رسمها « ايرهاردث » فى لندن سنة ١٨٥٦ للمنطقـــة المحصورة بين الساحل و « البحر الداخلى العظيم » هو الذى جذب المستكشفين «. برتون وسبيك » الى شرق افريقيا سنة ١٨٥٧ .

ويرجع الفضل للتجار العرب فى وصول الرحالة والمستكشفين الاوربيين الى الاماكن التى أعلنوا اكتشافها .. فقد قادوهم فى طرق للقـــوافل التجارية ممهدة مطروقة وذلك بفضلهم وفضل اقتحامهم للداخل الافريقى منذ قرون طويلة مضت

وكان كل من ريتشارد بيرتون وجون سبيك على خبرة كبيرة . فقد كانا من الضـــباط العاملين بشركة الهند الشرقية .. بل ان بيرتون كان مشهورا بمعرفته للغات وبخاصـــة اللغة العربية .. وقد قام متنكرا برحلة الى مكة والمدينة سنة ١٨٥٣ وبرحلة أخرى سنة ١٨٥٤ الى هرر بالحبشـــة . وكان يداعب خياله أمل اكتشاف منطقة البحيرات فى وسط افريقيا . وفى سنة ١٨٥٦ حصـــل على موافقة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن على أن يقود بعثة لاكتشـاف قلب القارة وســـاهم مكتب الشئون الخارجية بمبلغ ألف جنيه فى نفقات الرحلة . وكان سبيك يشاركه نفس الميـــول الاستكشافية فتعاون الاثنان لاتمام مغامراتهما المثيرة

وقبل البدء فى رحلتهما الرئيســـية زارا مومباسا وقابلا « ربمان » . وفى رحلة العودة ذهبا بواسطة نهر « بانجانى » الى « فوجا » عاصمة دولة « أوزومبارا » وعند عودتهما من فوجا أصيب الاثنان بحمى الملاريا . وفى يونيو أرسلا دليلا عربيا أمدهما به سلطان زنجبار الى الاراضى الرئيسية بالقرب من « باجامايو »

وأخيرا بدأت الرحلة فى أول يوليو ســـنة ١٨٥٧ .. ورغم المصاعب التى قابلاها فقـد قطعا ١١٨ ميلا فى ثمانية عشر يوما . وفى ٢٥ يوليو وصلا الى « زونجو ميرو » وهى محطة قوافل هامة . وبعد أربعة أيام استأنفا السير . وقد أصيب كلاهما بالملاريا .. كما تركهما بعض الحمالين ، ولكن قوافل التجار العرب الذين كانوا يقابلونهما كانوا يمدون اليهما مساعدات جمـــة . وفى ٧ نوفمبر وصلت الرحلة الى « كازى » التى كانت فى موقع تابورا الحالية حيث قدر بيرتون عدد العرب المقيمين بحوالى خمسة وعشرين ذلك أن معظم العرب الباقين كانوا مسافرين مع القوافل التجارية . وقد كان هؤلاء العرب المقيمون فى منتهى الكرم تجاه بيرتون وسبيك وقدموا لهما مساعدات كبيرة .

وقد علما فى « كازى » أن البحيرة الكبيرة التى يبحثان عنها ليست فى الحقيقة الا ثلاث بحيرات وفى الثالث من ديسمبر استأنفت القافلة سيرها . وفى ١٣ ديسمبر سنة ١٨٥٨ وصلت القافلة الى شاطىء بحيرة تانجانيقا وكانت صدمة حين وجدا أن النيل لا ينبع منها . كما وجدا أن مدينة « أوجيجى » التى سمعا عن ضخامتها واتساعها لم تكن غير بضعة أكواخ . وقد أقاما فى منزل احد التجار العرب . وظلا هناك بضعة أشهر يستكشفان شواطىء البحيرة ويستريحان من الرحلة . ولكن نظرا لان تموين الرحلة كان يتناقص بشكل مستمر فقد قررا العودة الى «كازى» .. وفعلا بدأ رحلة العودة فى ٢٦ مايو بطريق آخر غير الذى قدما منه ووصلا الى «كازى» فى ٢٠ يونيو . فى هذه الاثناء كانت العلاقات بين الاثنين قد أصبحت سيئة للغاية وظهرت الفروق واضحة بين شخصية كل منهما .. واتسعت هوة الخلاف بينهما .. فبينما كان بيرتون يريد العودة الى زنجبار .. كان سبيك مصرا على السير قدما لاكتشاف البحيرتين الباقيتين اللتين تقعان فى شمال بحيرة تانجانيقا ولذلك فقد افترق الاثنان وذهب سبيك فى طريقه تاركا بيرتون ينتظر كازى .

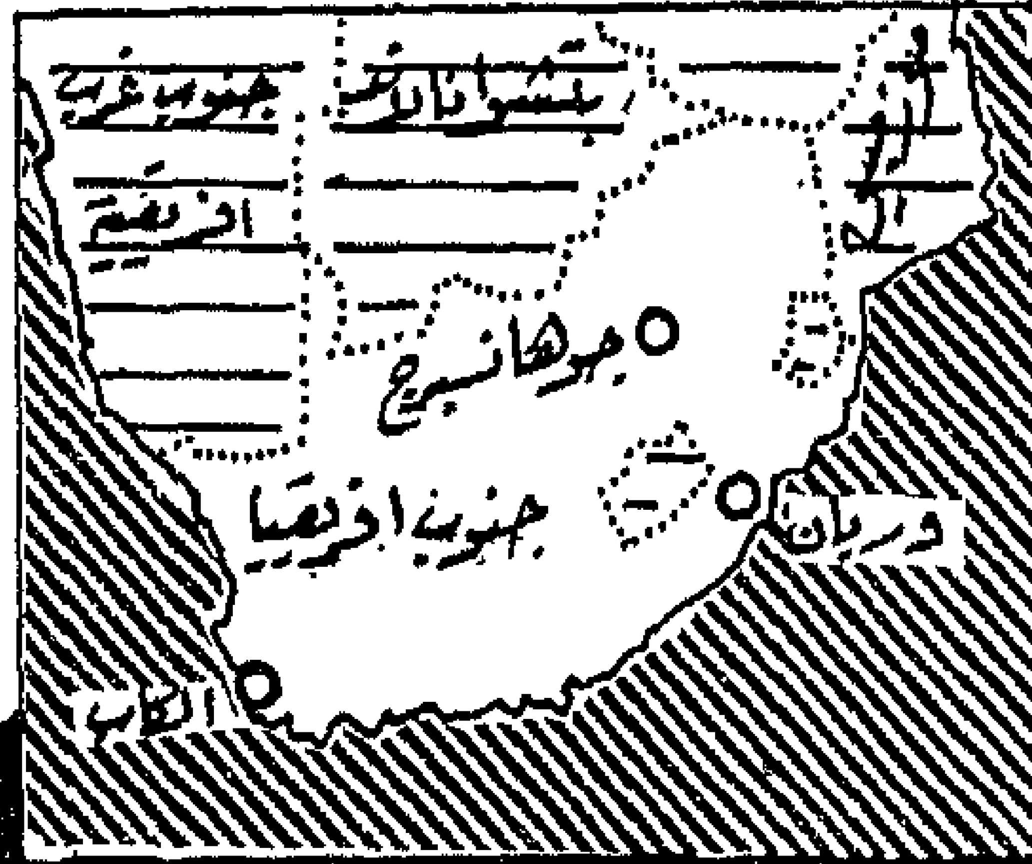
وفى ٣٠ يوليو سنة ١٨٥٩ وصل سبيك الى الطرف الجنوبى لبحيرة فكتوريا وسار بحذاء الجانب الشرقى لخليج توانزا حتى تحققت له اللحظة التى طالما تمناها فى اليوم الثانى من أغسطس حين رأى البحيرة تمتد تحت قدميه هائلة رائعة مجيدة .. فكتب يقول « لست أشك لحظة فى أن هذه البحيرة التى تمتد عند قدمى هى التى تلد ذلك النهر المدهش .. الذى كان منبعه موضوعا للكثير من الاساطير .. وهدفا للعديد من المستكشفين المغامرين » ، وقد كان هذا اليوم هو نقطة تحول فى تاريخ سبيك الذى سرعان ماقفل عائدا الى كازى حيث قابل بيرتون هذا الانتصار الرائع ببرود تام . ومن ثم زادت العلاقات سوءا بينهما . وقفلا الى الشاطىء . وترك سبيك بيرتون مريضا فى عدن وأسرع الى انجلترا حيث أعلن نبأ اكتشافه الخطير .

وكان لهذا النبأ دوى خطير وأثار كثيرا من الجدل كما تعرض سبيك لنقد عنيف وخاصة لسلوكه نحو بيرتون الذى كان القائد الرسمى للرحلة

وفى ١٧ أغسطس سنة ١٨٦٠ وصل سبيك وجرانت الى زنجبار .. وفى أوائل اكتوبر بدآ رحلتهما . وخلال هذه الرحلة نشر بيرتون مذكرات الرحلة السابقة وهاجم فيها سبيك هجوما قاسيا ومكذبا اكتشافه لبحيرة فكتوريا ومنابع النيل . ولم يستطع سبيك بالطبع الدفاع عن نفسه لانه كان هناك على بعد أربعة آلاف ميل . . فى قلب القارة الافريقية .. وعلى كل فقد وصل سبيك وجرانت الى بحيرة فكتوريا ورسما الشاطىء الشمالى الغربى للبحيرة بعناية

ولكن نجاح سبيك قوبل بعاصفة هوجاء من التشكيك وعدم الثقة فى انجلترا .. وكان على رأس المهاجمين زميله السابق بيرتون . وفى يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٨٦٤ الذى كان محددا لاقامة مناظرة بين كل من بيرتون وسبيك قتل سبيك نفسه خطأ وهو يصطاد . وظل الشك يحوم حول نسبة النيل وخروجه من بحيرة فكتوريا . ولذلك قامت الجمعية الجغرافية بارسال ليفنجستون فى رحلة لاكتشاف المنطقة المحصورة بين بحيرة نياسا وبحيرة تانجانيقا وكذلك ما اذا كان أحد الانهار ينبع من شمال بحيرة تانجانيقا ليتصل بالنيل . وكذلك فى سنة ١٨٧٤ ذهب الكولونيل « شاليه ـ لونج » وهو أميركى كان يعمل مع جوردون باشا حاكم المديرية الاستوائية بالسودان فى ذلك الوقت .. فى مأمورية لزيارة « موتيزا » حاكم بوجاندا .. وخلال عودته من الرحلة أبحر فى النيل من بولوند وجانى النقطة التى كان قد وصل اليها سبيك .. حتى وصل الى بحيرة « كيوجا » وبذلك اكتشف هذه البحيرة كما أزال الغموض الذى أحاط بجزء من خريطة سبيك . وفى سنة ١٨٧٦ قام جوردون بنفسه بمسح حوض النيل من دوفيل الى بحيرة كيوجا . وفى ابريل سنة ١٨٧٦ قام الايطالى « جيس » بالابحار حول شواطىء بحيرة البرت التى كان بيكر قد اكتشفها . وبذلك لم يبق شىء مما ذكره سبيك يحتاج لاثبات الا مساحة بحيرة فكتوريا والقول بانها منبع نهر النيل .. وكانت هذه هى المهمة التى نجح فى القيام بها « هنرى مورتون ستانلى » .





الأمم المتحدة وجنوب أفريقية

بقلم رضا خليفة

ان الرأى العام العالمى لم يعد يحتمل موقف حكومة جنوب افريقيا واستخفافها المثير بقرارات الهيئة الدولية وبالرأى العام العالمى . فقد دأبت الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٦ حتى الآن على ادانة سياسة التفرقة العنصرية « الابارتيد » البغيضة . وبدلا من تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، فان حكومة فيروود تشدد قبضتها على الغالبية العظمى من الشعب .

ولم يبق أمام الامم المتحدة سوى قبول التحدى والعمل على وضع حد لهذه السياسة المجنونة التى ستؤدى حتما الى وقوع انفجار مروع لن يسلم منه البيض او الملونون : من شأنه ان يهدد السلام والامن فى افريقيا والعالم أجمع .

وقد كلفت الأمم المتحدة لجنة من أعضائها يمثلون ١١ دولة بدراسة الاوضاع فى « اتحاد » جنوب افريقيا وتقديم تقرير شامل عنها لعرضه على الجمعية العامة ومجلس الامن .

وتضم هذه اللجنة ممثلون عن الجزائر وغينيا وغانا ونيجيريا والصومال وهايتى والفلبين ونيبال والمجر والملايو وكوستاريكا ، برئاسة ممثل غينيا ديالللوتللى المرشح لمنصب السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية .

وقد استغرق اعداد التقرير سنة كاملة . وقامت سكرتيرية الامم المتحدة منذ أيام بتوزيعه على الاعضاء تمهيدا لمناقشته .

وتقدم « نهضة افريقيا » عرضا موجزا لأهم الحقائق التى يتضمنها التقرير والتوصيات التى تقترحها اللجنة الدولية لمواجهة تحدى حكومة جنوب افريقيا .

حكومة فيروود تستعد

لسفك الدماء

ويقول التقرير ان حكومة جنوب افريقيا

تتجه فى تحديها لقرارات الأمم المتحدة والرأى العام العالمى اتجاها شديد الخطورة ، فهى تجهز الأهالى البيض للحرب وتدربهم على سفك الدماء . لكى تحمى بالحراب استمرارها فى امتصاص دماء الافريقيين وتحقيق الأرباح الجشعة .

وقد أقلقت هذه الاستعدادات العسكرية الهائلة منظمة الدول الافريقية ومنظمة الأمم المتحدة . فهذه الاستعدادات العسكرية تعكس حالة التوتر المتزايدة فى البلاد ، وتجسم الاخطار التى تهدد السلام فى المنطقة وفى العالم .

ومع بداية عام ١٩٦٠ بدأت حكومة جنوب افريقيا فى تشكيل وحدات عسكرية جديدة ، وهى الكوماندوز الجوية وحرس الوطن واحتياطى البوليس . كما بدأت فى تدريب المدنيين البيض على حمل السلاح ، وفى انشاء شبكة واسعة من اللاسلكى لتربط جميع مراكز البوليس فى البلاد . ورصدت الاعتمادات الهائلة لشراء صفقات كبيرة من الأسلحة الحديثة .

وقد تضاعفت ميزانية الدفاع فى جنوب أفريقيا أربع مرات خلال السنوات الثلاث الماضية ، بينما زادت الاعتمادات المخصصة للبوليس بمقدار الثلث .

وتشير أرقام الميزانيات الرسمية الى ان الجزء الأكبر من هذا الزيادة تستهلك فى شراء أسلحة وذخائر سواء عن طريق الاستيراد أو بالتوسع فى الانتاج المحلى للأسلحة والذخيرة .

٤٠ ألف مسلح

كما زادت قوات الجيش العامل فى الفترة ما بين ١٩٦٠/٦١ و ١٩٦٣/٦٤ من ٠١٩ر٩ ضابط وجندى الى ٢٨٨ر١٥ .

وهناك أيضا قوة المواطنين . وهى تتكون من نحو ١٠ آلاف رجل توجه اليهم الدعوة كل عام لاداء الخدمة العسكرية لمدة أربع سنوات . أى ان هناك ما يقرب من ٤٠ ألف رجل فى حالة استعداد وتأهب ويمكن استخدامهم فى أى وقت .

ومدة التدريب العسكرى هى تسعة أشهر متصلة فى العام الأول وثلاثة أشهر فى الأعوام الثلاثة الاخرى .

وقد كانت الزيادة الكبرى فى القوات المسلحة من نصيب فرقة الكوماندوز . وحسب القوانين الجديدة يتحتم على كل مواطن — لم يشترك فى قوة المواطنين — ان يخدم فى الكوماندوز أربع سنوات . وهم يتدربون على استخدام الأسلحة وعمليات الهجوم ويمكن دعوتهم لحمل السلاح فى أى وقت .

كما صدر فى أوائل هذا العام قانون بتشكيل فرقة الكوماندوز الجوية . ومهمتها معاونة القوات المسلحة والبوليس فى عمليات نقل الجنود والمعدات ، والقيام بعمليات الاستطلاع الجوى ، والتأييد الجوى للعمليات التى تقوم بها وحدات الكوماندوز البرية .

ويوضح البيان التالى الزيادة المطردة فى مخصصات الدفاع والبوليس ، أى ميزانية الامن ، بعملة جنوب افريقيا « راند » ويوازى عشرة شلنات انجليزية .

السنة	الدفاع	البوليس	المجموع
٦٤/١٩٦٣	٤٣ر٥٩١ر٠٠٠	٣٦ر٢٠٠ر٠٠٠	٩٧ر٧٩٦ر٠٠٠
٦٢/١٩٦١	٧١ر٥٥٠ر٠٠٠	٣٨ر٣٩٦ر٠٠٠	١٠٩ر٩٤٦ر٠٠٠
٦٣/١٩٦٢	١١٩ر٧٥٥ر٠٠٠	٤٠ر٨٠٠ر٠٠٠	١٦٠ر٥٥٥ر٠٠٠
٦١/١٩٦٠	١٥٧ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٠ر٨٧٠ر٠٠٠	٢٠٧ر٨٧٠ر٠٠٠

وهدف حكومة جنوب افريقيا ، كما جاء على لسان وزير دفاعها المستر فوشى ، « هو تدريب كل شاب على الخدمة العسكرية سواء كانت قدمه مفرطحة أم لا . وسيكون لدى جنوب افريقيا ٤٠ ألف رجل يلبسون الزى العسكرى فى نهاية عام ١٩٦٤ .

وبالرغم من ان الزيادة فى القوات البوليسية ليست كنسبة الزيادة فى قوات الجيش ، الا ان البوليس أصبح يعتمد على احتياطى البوليس وعلى تأييد القوات المسلحة فى مواجهة الاضطرابات الداخلية .

وقد اهتمت الحكومة اهتماما خاصا بتدعيم ادارة الأمن « البوليس السرى » . التى تضاعفت ثلاث مرات فى الفترة ما بين يناير ويوليه من هذا العام . وتنوى الحكومة تقوية هذه الادارة الى أقصى حد .

كما أصدرت الحكومة قانونا فى مايو ١٩٦٣ يسمح لافراد قوة المواطنين والكوماندوز بالقيام بمهام البوليس ، ويمكن دعوتهم لمعاونة البوليس اذا استلزم الأمر ذلك .

ويدعى المسئولون البيض فى جنوب افريقيا ان هذا التوسع العسكرى الضخم موجه للدفاع ضد الاخطار الخارجية وليس للأغراض الداخلية . وهذه النغمة الجديدة لم تظهر الا بعد موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة على تحريم بيع الاسلحة لجنوب افريقيا .

وتحاول حكومة جنوب افريقيا بادعاءاتها الكاذبة ان تستمر فى استيراد الاسلحة من الدول الغربية الكبرى . ومهما كانت هذه الادعاءات ، فان الغرض الأول للتوسع العسكرى هو تأمين النظام الداخلى الذى يقوم على مبدأ التفرقة العنصرية .

وتشهد على كذب هذه الادعاءات أقوال وزير الدفاع فوشى أمام البرلمان الابيض . فقد قال فى تصريح له فى ٢٤ يونية الماضى ان هناك ثلاث مهام للقوات المسلحة ، أولاها « معاونة البوليس فى اقرار النظام الداخلى »

وقد نجح ممثلو الدول الافريقية والدول الاعضاء فى الأمم المتحدة فى الحصول على وعود من الدول الثلاث الكبرى — امريكا وبريطانيا وفرنسا — بعدم تصدير الاسلحة الى جنوب افريقيا .

فقد أعلن ممثل الولايات المتحدة الامريكية فى مجلس الأمن بأنه من المعتقد ان توقف حكومته بيع المعدات العسكرية لجنوب افريقيا فى نهاية هذا العام .

كما أعلن ممثل بريطانيا بأن حكومته توافق على عدم تصدير الاسلحة التى يمكن استخدامها فى تدعيم سياسة التفرقة العنصرية . وأعلن ممثل فرنسا ان بلاده ستتخذ كافة الاجراءات التى تراها ضرورية لمنع الاسلحة التى قد تستخدمها حكومة جنوب افريقيا فى الضغط على الافريقيين .

وازاء هذه التطورات فقد أولت حكومة الأقلية البيضاء عنايتها للانتاج المحلى من الاسلحة والذخيرة . وارتفعت اعتمادات انتاج الاسلحة المحلية من ٣٦٨ر٠٠٠ راند عام ١٩٦٠/١٩٦١ « الراند = ١٠ شلنات » الى ٢٣ر٥٧٢ر٠٠٠ راند فى ميزانية ١٩٦٣/١٩٦٤ .

وقال وزير الدفاع ان مصانع الاسلحة والذخيرة ستقوم فى بداية العام القادم بانتاج الاسلحة الاوتوماتيكية ، وستعمل بكل طاقاتها لمضاعفة الانتاج . كما تنوى الحكومة تدريب علمائها على انتاج الصواريخ .

٨٠ ألف جلدة للافريقيين

فى نفس الوقت الذى تستعد فيه الحكومة البيضاء الفاشية لسفك دماء الافريقيين ، فانها تعاملهم بوحشية وقذارة لا حدود لها . وهى لا تكتفى بفرض نظام السخرة الذى ادانته منظمة العمل الدولية ، ولكنها توقع على الافريقيين والملونين أشد العقوبات التى تحرمها دول العالم أجمع .

وتشهد السيدة سوزمان عضو البرلمان الابيض بأن عقوبة الجلد قد تضاعفت ثمانى مرات خلال الـ ٢٠ سنة الماضية . اذ يبلغ معدل عقوبات الجلد ٨٠ الف جلدة توقعها المحاكم البيضاء على ١٧ الف افريقى سنويا .

وفى خلال السنوات العشر الماضية أصدرت المحاكم فى جنوب افريقيا أحكاما بالجلد بلغ مجموعها ٨٥٠ ألف جلدة . وقد جمعت السيدة سوزمان هذه الارقام من المحاضر الرسمية للدولة .

نسبة الأجور ١٥ : ١

وقد اهتمت اللجنة الدولية التابعة للأمم المتحدة بجمع الحقائق البشعة فى جنوب افريقيا ، وتصوير الاوضاع الرهيبة التى يعيش فيها الافريقيون والملونون . فبينما تتمتع الاقلية البيضاء بأعلى مستوى للحياة فى العالم ، يحرم الافريقيون والملونون من كل شيء .

وتبلغ الاجور التى يتقاضاها البيض المشتغلون فى صناعة المناجم - وهى أهم صناعة فى البلاد - بالنسبة لأجور الافريقيين ١٥ الى ١ وتقول الاحصائيات الرسمية للدولة ان البيض الذين يبلغ تعدادهم ١٩٫٣ ٪ من مجموع السكان يحصلون على ٦٧ ٪ من الدخل القومى . بينما يحصل الافريقيون « ٦٨٫٤ ٪ من السكان » على ٢٦٫٥ ٪ من الدخل القومى . وفى عام ١٩٥٩ كان دخل الفرد الابيكى ٤٢٥ جنيها فى السنة، والافريقى ٣٩ جنيها والملون والاسيوى ٥٤ جنيها .

وقد قامت جامعة ناتال ببحث اجتماعى للعائلات الافريقية فى منطقة ديربن . ويتضح من هذا البحث ان متوسط دخل العائلات الافريقية يوازى ثلاثة أخماس الحد الأدنى للتكاليف الضرورية للحياة . وان ما يقرب من ٥٥ الى ٦٠ فى المائة من العائلاتالافريقية تعيش فى حالة دائمة من الاستدانة .

كما جاء فى بحث اجتماعى آخر ان ٦٠ فى المائة من العمال الافريقيين فى منطقة ديربن أيضا لا يتناولون طعام الافطار على الاطلاق . وان غالبية الاطفال الافريقيين الذين يذهبون الى المدارس لا يتناولون طعاما على الاطلاق سوى وجبة العشاء .

وفى بحث ثالث يتضح ان ٥٤ ٪ من الاطفال غير البيض فى منطقة الكاب يعانون من نقص شديد فى وزنهم ، وان ١٧ ٪ منهم يعيشون فى حالة من المجاعة الحقيقية .

معدل وفاة الاطفال الافريقيين ٤٠٠ طفل فى الالف

ويقول الدكتور هانش بجامعة الكاب ان معدل الوفاة بين الاطفال الافريقيين «البانتو» يزيد ٢٥ ضعفا عن الاطفال البيض . وفى تقرير لوزير الصحة فى جنوب افريقيا ، فقد بلغ عدد الوفيات بين الاطفال بسبب مرض السل ٩٫٤٦٩ طفلا تحت خمس سنوات ، وذلك فى عام ١٩٦١ .

ويبلغ معدل الوفاة بين الاطفال فى المدن أكثر من ٢٠٠ طفل فى الألف . وفى الريف يرتفع المعدل الى ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ طفل فى الألف .

وقد اهتمت حكومة جنوب افريقيا التى تمثل الأقلية البيضاء بهذه الظاهرة . فشكلت لجنة مركزية لبحث مشكلة نقص التغذية واعداد تقرير عنها . وبعد ثلاث سنوات من الدراسة ، أعلن وزير الصحة الابيض ان المشكلة فى الواقع ليست مشكلة نقص التغذية لأن المأكولات متوفرة وتكفى الجميع . ولكنها مشكلة جهل الافريقيين أنفسهم ، لانهم لا يتبعون نصائح البيض ويصرون على اتباع عاداتهم القديمة . وان « التدهور الخلقى » لدى الافريقيين هو المسئول الأول عن نقص التغذية .

ويرد البيض أنفسهم على هذه السخافات بقولهم ان المسئول الحقيقى هى سياسة « الابارتيد » التفرقة العنصرية . وحقيقة ان هناك كميات هائلة من المأكولات تفوق احتياجات الأقلية البيضاء ، لكن الحكومة تصدرها بأبخس الاثمان ، وتهلك ما يتبقى منها ، بدلا من استخدامه فى مواجهة المجاعة التى يعيش فيها الافريقيون .

انفجار حتمى

وينتهى تقرير اللجنة الدولية الى ان حكومة الأقلية البيضاء التى لا تمثل الشعب، قد سدت كل السبل أمام التغيير السلمى . وان كل يوم يحمل معه اجراءات تعسفية جديدة ، مما زاد من خطر وقوع انفجار مروع ستكون له آثار دولية بعيدة المدى .

وهكذا يتحتم على الامم المتحدة اتخاذ اجراءات فعالة دون ابطاء ، متمشية مع ميثاق الأمم المتحدة ، وذلك بفرض عقوبات سياسية ودبلوماسية واقتصادية ، وحرمان جنوب افريقيا من المزايا والحقوق التى تتمتع بها بصفتها عضو فى الأمم المتحدة وفى وكالاتها المتخصصة .

وترى اللجنة – كما أشارت فى تقريرها – انه من الضرورى تبصير البيض بأن سياسة حكومتهم لن تأتى الا بأوخم العواقب . وبأن ادعاءاتها بحتمية الاختيار بين السيطرة البيضاء أو نهاية المجتمع الابيض لا أساس لها من الواقع على الاطلاق . لأن المنظمات الكبرى غير البيضاء تؤيد المساواة بين المواطنين دون نظر الى جنسيتهم .

الطرد لممثلى جنوب افريقيا

ومع كل ذلك فان الرأى العام العالمى يزداد اصرارا على ضرورة القضاء نهائيا على سياسة التفرقة العنصرية البغيضة .

ففى الدورة ال ١٦ للهيئة الصحية العالمية فى مايو ١٩٦٣ ، اتخذت الدول الاعضاء قرارا بادانة سياسة التفرقة العنصرية ، ووصفتها بأنها تتعارض مع مبادىء المنظمة .

وفى يونيه ١٩٦٣ اتخذ مكتب العمل الدولى قرارات باستبعاد جنوب افريقيا من منظمة العمل الدولى ، وبدعوة المدير العام للمنظمة للتعاون الكامل مع الأمم المتحدة فى اجراءاتها ضد حكومة جنوب افريقيا ، وقرارا ثالثا بتشكيل وفد يرأسه المدير العام ليعرض على السكرتير العام للأمم المتحدة القلق الشديد الذى تشعر به الدول الاعضاء ازاء مشكلة الابارتيد .

وفى ٣٠ يولية اتخذت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية قرارا بعدم اشتراك جنوب افريقيا فى اللجنة الاقتصادية لافريقيا ، الى أن تغير الحكومة هناك سياستها العنصرية .

وقد أعربت اللجنة الدولية فى تقريرها عن قلقها البالغ ازاء المعاملة التى يلقاها الوطنيون من أبناء جنوب افريقيا الذين يلجأون الى الاقاليم المستعمرة المجاورة التى تديرها المملكة المتحدة .

ففى الشهور الثلاثة الأولى من عام ١٩٦٣ قامت السلطات الاستعمارية فى اتحاد روديسيا ونياسالاند « الذى سيدفن قريبا » باعتقال ٤٦ افريقيا وسلمتهم الى بوليس جنوب افريقيا .

وفى أول ابريل ١٩٦٣ اعتقل البوليس الاستعمارى فى باستولاند احد عشر وطنيا من جنوب افريقيا .

وفى ٢٣ مايو اعتقلت سلطات الهجرة الفيدرالية التابعة لاتحاد روديسيا ونياسالاند ١٢ وطنيا من جنوب افريقيا بدعوى انهم غير مرغوب فيهم . واحتجت سلطات روديسيا الشمالية بشدة على هذا الاجراء ، الى ان تم الافراج عنهم فى ٤ يونية .

وفى ١١ أغسطس ١٩٦٣ قامت السلطات البوليسية فى جنوب افريقيا باختطاف أربعة من الوطنيين الذين لجأوا الى بتشوانالاند .

وفى ٢٩ أغسطس انفجرت احدى الطائرات فى مطار بتشوانالاند . وكان من المقرر أن تحمل هذه الطائرة عددا من اللاجئين من أبناء جنوب افريقيا الى تنجانيقا . وقد الحت صحف جنوب افريقيا بأن الحكومة البيضاء قد تتخذ وسائل غير شرعية لكى يفقد الافريقيون احساسهم بالأمن فى الاقاليم المجاورة .

كما أشارت اللجنة فى تقريرها الى أن عددا من الدول لا تزال تقيم علاقات دبلوماسية مع حكومة جنوب افريقية ، وان بعض هذه الدول تزيد من حجم تجارتها مع الحكومة البيضاء . كما قامت الدول الاستعمارية بمنح حكومة جنوب افريقيا تسهيلات جديدة للطيران وغيره من وسائل النقل .

توصيات اللجنة الدولية

وفى ختام تقريرها قدمت اللجنة الدولية الخاصة بسياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ، عددا من التوصيات لدراستها فى الجمعية العامة ومجلس الأمن .

وقد جاء فى هذه التوصيات ما يلى :

أولا – انه نظرا لعدم استجابة حكومة جنوب افريقيا لقرارات الجمعية العامة فى العام الماضى وتحديها لقرارات مجلس الامن ، فان اللجنة ترى ضرورة بحث الموقف دون ابطاء على ضوء التزامات جنوب افريقيا التى تنص عليها المادة ٢٥ من الميثاق .

ثانيا – ترى اللجنة انه فى غاية الأهمية ان تقوم كل من الجمعية العامة ومجلس الأمن بالآتى :

١ – متابعة التدهور المستمر فى جنوب افريقيا الناتج عن اصرار الحكومة البيضاء على فرض نظم التفرقة العنصرية والاجراءات

التعسفية ، التى تتعارض مع التزاماتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن .

٢ ـ ان تؤكد ان سياسة جنوب افريقيا وأعمالها لا تتفق مع عضويتها فى الأمم المتحدة .

٣ ـ اعلان اصرار الأمم المتحدة على اتخاذ كافة الاجراءات المنصوص عليها فى الميثاق لوضع حد للأخطار الحقيقية التى تهدد اقرار السلام والأمن العالميين .

٤ ـ مطالبة أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة وجميع الدول الاعضاء باتخاذ الخطوات اللازمة للضغط على حكومة جنوب افريقيا لتغيير سياستها العنصرية .

ثالثا ـ مطالبة الدول الاعضاء باتخاذ كافة الاجراءات العاجلة لتنفيذ قرار الجمعية العامة ١٧٦١ وقرار مجلس الأمن الصادر فى ٧ أغسطس ١٩٦٣ .

رابعا ـ مطالبة الدول المسئولة عن ادارة الاقاليم المستعمرة المتاخمة لجنوب افريقيا ، بتوفير حق اللجوء للوطنيين من جنوب افريقيا ومساعدتهم ، أولئك الذين يضطرون الى مغادرة بلادهم بسبب سياسة التفرقة العنصرية . وان تمتنع هذه الدول عن تأييد سلطات جنوب افريقيا فى سياستهاالعنصرية .

خامسا ـ انه نظرا لاضطهاد آلاف الوطنيين من أبناء جنوب افريقيا لمعارضتهم سياسة التفرقة العنصرية ، والمصاعب الكبيرة التى تواجهها عائلاتهم ، ترى اللجنة ان الواجب الانسانى يحتم على المجتمع الدولى ان يوفر لهم أسباب الغوث والمساعدة .

وتوصي اللجنة بدعوة السكرتير العام للأمم المتحدة لبحث أسباب توفير هذه المعونات والمساعدات عن طريق الوكالات الدولية .

سادسا ـ مطالبة الدول الاعضاء الامتناع عن معاونة حكومة جنوب افريقيا ـ سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ـ فى انتاج الاسلحة والذخائر ووسائل النقل الحربية . والامتناع أيضا عن تقديم المواد الاستراتيجية أو المساعدة الفنية أو حق الاختراع .

وتوصي اللجنة ان تمتنع الدول الاعضاء عن تدريب العسكريين من جنوب افريقيا ، وان تمتنع عن القيام بأى شكل من أشكالالتعاون مع القوات العسكرية أو البوليسية لجنوب افريقيا .

سابعا ـ تقترح اللجنة ان تبحث الجمعية العامة ومجلس الأمن فى اتخاذ اجراءات جديدة للضغط على حكومة جنوب افريقيا لتتراجع عن سياستها العنصرية ، بما فى ذلك :

١ ـ اصدار التوصيات لجميع الوكالات الدولية باتخاذ الخطوات اللازمة لحرمان جنوب افريقيا من المساعدات الفنية ،باستثناء ضحايا السياسة العنصرية .

٢ ـ اصدار التوصيات بأن تتخذ الدول الاعضاء فى الامم المتحدة الخطوات اللازمة لتحريم وعدم تشجيع الاستثمارات الاجنبية، وعدم تقديم القروض لحكومة جنوب افريقيا أو لشركات جنوب افريقيا .

٣ ـ اصدار التوصيات بأن تمتنع الدول الاعضاء عنتقديم التسهيلات للسفنوالطائرات القادمة من جنوب افريقيا أو المتجهة اليها .

٤ ـ اصدار التوصيات بأن تتخذ الدول الاعضاء الاجراءات اللازمة لمنع مواطنيها ـ أو على الاقل عدم تشجيعهم ـ للهجرة الىجنوب افريقيا . اذ أن حكومة جنوب افريقيا تستحث الهجرة اليها لتدعيم سياستها العنصرية .

٥ ـ دراسة الوسائل اللازمة لضمان فرض حظر فعال على تصدير الاسلحة والذخيرة بما فى ذلك البترول الى جنوب افريقيا ، ولفرض حصار عليها تحت اشراف الأمم المتحدة اذا لزم الأمر .

وترى اللجنة الدولية ان تقوم الدول الاعضاء بالدعاية القصوى للجهود التى تبذلها الأمم المتحدة فى هذا الشأن . وان تتخذ الدول الاعضاء الخطوات الفعالة لعدم تشجيع ومناهضة الدعايات التى تقوم بها حكومة جنوب افريقيا .

ونظرا لخطورة الموقف فى جنوب افريقيا فان اللجنة ترى اتخاذ اجراءات جديدة عاجلة ـ بموجب ميثاق الامم المتحدة ـ لفرض عقوبات سياسية ودبلوماسية واقتصاديةأكثر شدة ، وتعطيل الحقوق والمزايا التى تتمتع بها جنوب افريقيا بوصفها عضوا فى المنظمة الدولية ، وطردها من الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة .

((رضا خليفة))

البرتغال وغرب افريقية والكونغو



بقلم : اقبال عبد السلام

● أثارت سياسة البرتغال الاستعمارية استنكار العالم أجمع وسياسة البرتغال فى أفريقيا يمكن أن تكون الوحيدة فى العالم التى تلقى الاستهجان من جانب الشرق والغرب على السواء فضلا عن جميع الدول المحايدة الافريقية والاسيوية .

● والبرتغال كانت وما زالت من أشد الدول الاوربية تخلفا فدخل الفرد فيها لايزيد على ٧٠ جنيها فى السنة ونسبة الوفيات ٠٠ فى الالف ونسبة الامية ٤٠ ٪ ، ورغم هذا التخلف فان البرتغال تسيطر على امبراطورية مساحتها ٨٠٠٠٠٠ر٨٠٠ ميل٢ ، أى ما يعادل مساحتها ٢٣ مرة .

● وقد ادى هذا التخلف الى عجز البرتغال عن استغلال مستعمراتها كنظام امبريالى متطور وانحصرت مهمتها فى تجارة العبيد ولما حرم الرق باتفاقيات دولية استبدل بنظام المتطوعين وهو لا يختلف فى شىء عن نظام العبيد الذى ألغى على الورق فقط .

● وهناك عدة ملاحظات جديرة بالذكر قد تساعد على فهم مشاكل المستعمرات فى الماضى والتى ما تزال قائمة حتى يومنا هذا .

نظرة الى الماضى

فى سنة ١٨٠٧ هربت العائلة المالكة البرتغالية الى البرازيل فرارا من الجيوش الفرنسية التى دخلت البلاد أعقب ذلك ظهور بعض الحركات التحررية وظهور أحزاب جديدة ، ثم أصبحت البرتغال ملكية دستورية فى الفترة ما بين سنة ١٨٢١ وسنة ١٩١٠ وفى بداية هذه الفترة قامت حرب أهلية انتصر فيها ساوابانديريا وفى هذه الفترة نعمت البرتغال بالهدوء والاستقرار ولكن الامور لم تدم على هذا الحال اذ تبعتها حكومة اوتوقراطية .

● وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حل بالبرتغال ضائقة مالية وكانت البلد فى وضع لاتستطيع فيه اقحام نفسها فى ميدان الصراع حول أفريقيا ولكنها فى لحظة تهور تدخلت فى مسألة موزمبيق وفى نهاية القرن ١٩ كان قد تم الاستعمار .

● وفى سنة ١٩٢٦ قامت ثورة مسلحة كان على رأسها الجنرال داكوستا ثم خلفه الجنرال كارمونا الذى أقام حكومة جديدة ولكنه لم يستطع ان يحل الازمة الاقتصادية التى كانت تمر بها البرتغال فى ذلك الوقت .

● وفى سنة ١٩٢٨ تولى أستاذ القانون والاقتصاد فى جامعة كومبراد د. سالازار منصب وزير الاقتصاد وأصبح له مطلق التصرف والسيطرة التامة على الدخل القومى ، وفى خلال سنتين تحسن الاقتصاد وارتفع الدخل القومى ، وبعد ذلك بأربع سنوات أصبح رئيسا للوزراء وأصبح سالازار دكتاتورا للبرتغال .

● وفى افتتاح الدورة الجديدة فى البرتغال القى د. بربيرا مساعد سالازارخطابا قال فيه :

اننا نعيش فى عصر النهضة الذى يتصل اتصالا وثيقا بالماضى والذى سنحاول ان نمده الى المستقبل .. وان الوحدة والسيادة اللتان تحملان معا أجزاء الوطن البرتغالى لن تضعفا أبدا لن يضعف شعور شعبنا بهما أبدا .

ثم نعود الى البداية ..

● فى سنة ١٤٣٤ أبحرت بعض السفن البرتغالية الى كاب بوجادور ثم الى ريودى أورو ثم كاب بلانكو وفى سنة ١٤٤٦ وصلت قوافل أخرى الى السنغال وكاب فرد وفى سنة ١٤٦٠ وصل بقية المستعمرين الى سيراليون .

● وفى سنة ١٤٨٣ وصل الكابتن كاو الى مدخل نهر الكونغو وبعدها بأربع سنوات وصل بارثلميوديان الى رأس الرجاءالصالح ثم فاسكو داجاما الى شمال افريقيا تم الى المحيط الهندى حتى وصل الى تاكتا .

مفتاح القوة

حتى سنة ١٥٥٠ كان اهتمام البرتغال منصبا على اكتشاف الاراضى الواقعة بين كاب بلانكووالكاميرون ثم اكتشف جوا الثانى حوالى ٢٠٠٠ ميل٢ من الاراضى الجديدة والتى عرفت بعد باسم غينيا .

● وفى سنة ١٥٠٠ أقامت البرتغال بينها وبين غرب أفريقيا تبادلا تجاريا فكانتتصدر اليهم الملابس والزجاج فى مقابل الذهب والفضة والصمغ العربى والعاج .

● وتتجمع مراكز نفوذ البرتغال فىارجيوم وسانتياجو وساو جورج وأمتيا وساو تومى وتعيش ارجيوم على تجارة العبيد ويسافر منها أكثر من ١٠٠٠ عبد سنويا الىالبرتغال.

● وفى خلال القرن ١٦ كانت البرتغال قد فرضت سيطرتها التامة على غربافريقيا وكانت الدولة الاستعمارية الوحيدة المحتكرة لتجارة العبيد ، وأمام حاجة أمريكا الملحة للايدى العاملة أخذت البرتغال تصدر اليها اعدادا كثيرة من العبيد لسد هذا النقص .

تم أخذ يقل احتكار البرتغال لهذه التجارة بعد أن تدخلت شركة الهند الغربيةالهولندية وأصبح ساحل الذهب فى قبضتها ثم دخل فى هذا الميدان شركات أخرىانجليزيةوفرنسية وكان الصراع على أشده بين هؤلاء جميعا .

● وفى ذلك الوقت تطور مجرى الاحداث فى أفريقيا فاستردت البرتغال ساوتومى كما سيطرت فرنسا على التجارة فى السنغال وسيطرت انجلترا على غامبيا .

قصة الكونغو

● بدأ تدخل البرتغال فى الكونغو بعد تدخلها فى غرب افريقيا وسيطرتها على التجارة ، ويتلخص تاريخ الكونغو فى أبشع صور الاستغلال لموارده الاقتصادية ، وقد نجحت البرتغال فى اقامة علاقات ودية مع الزعماء الافريقيين وعن طريق هذه العلاقة تمكنت البرتغال من نشر الثقافة الاوربية والتبشير بالمسيحية .

● وقد بدأ التدخل الفعلى عندما وصل ديجوكاو الى مدخل نهر الكونغو سنة ١٤٨٣ ونجح فى عقد صلات متينة مع زعماء قبائل الكونغو ومع الملك الذى جمع نفرا من رجاله وأرسلهم الى البرتغال ليتلقوا تعليمهم هناك .

● ووصلت أول بعثة من الجزويتتتألف من ٣ رهبان ومدرس قاموا بتعليم ٦٠٠ طفل من أبناء الكونغو ثم رحلت البعثة ، وقامت حرب أهلية بين البيض والافريقيين بسبب سياسة التفرقة العنصرية التى كان ينتهجها البيض .

● وفى هذه الفترة تحولت تجارةالرقيق من الكونغو الى أنجولا .

● ثم بدأت بعثات الكابوشان الايطالية تغزو الكونغو لتبشر بالدين المسيحى وتبعتها بعثات أخرى من أسبانيا .

● بدأ يقل تدخل البرتغال الاقتصادى ولكن ظلت تجارة العبيد كما هى وحتى سنة ١٨٣٢ كانت تجارة العبيد تمثل ٨٠ ٪ من مجموع تجارة أنجولا .

ولم تفق الكونغو من اثار هذه النكبةالتى ابتليت بها والتى سلبتها على أقل تقدير ٣ ملايين من شبابها بيعوا فى أسواق العبيد .



((بقلم وهبى غبريال))

يبدأ برنامج السنوات السبع للتنمية فى غانا اعتبارا فى اكتوبر ١٩٦٣ وهو تاريخ بدء السنة المالية فى غانا ، ومن أجل هذا الغرض دعت حكومة غانا ١٤ خبيرا عالميا فى شئون التخطيط لحضور مؤتمر التخطيط الذى عقد فى ابريل الماضى والذى ساهمت مؤسسة فورد بمبلغ ١٠٫٠٠٠ جنيه فى تمويل نفقات اقامته .

وقدرت تكاليف برامج التنمية خلال السنوات السبع (١٩٦٣ — ١٩٧٠) بحوالى ٨٤٠ مليون جنيه ، خصص منها ٤٥ مليون جنيه لاكمال مشروع سد نهر الفولتا وحصلت القطاعات التالية على النسب الاتية من مجموع الانفاق : —

١ — الصناعة والزراعة ٣٦٫٨ ٪

٢ — الخدمات الاجتماعية والمواصلات ٦٣٫٢ ٪

وتهدف هذه البرامج الى زيادة الدخل القومى ومحاولة موازنة ميزان المدفوعات ، كما ستتيح العمل المباشر لحوالى ٥٠٠٫٠٠٠ عامل .

ومن أجل تحقيق أهداف هذه الخطة تعمل غانا على الحصول على كافة المساعدات والمعونات الفنية والاقتصادية من كافة بلاد العالم ،

وقد تم انشاء بنك للاستثمار الاهلى يهدف أساسا الى المعاونة فى تنفيذ مشروعات خطة التنمية الاقتصادية ، ويبلغ رأس مال هذا البنك ١٠ ملايين جنيه غانى ساهمت الحكومة فى ٣/٤ رأس ماله وطرح الربع الباقى للجمهور . وسيتولى هذا البنك منح القروض قصيرة الاجل وطويلة الاجل للمشروعات الحكومية أو المشروعات الحكومية والاجنبية المشتركة أو للجمعيات التعاونة .

وقد ساهمت الولايات المتحدة عن طريق وكالة التنمة الدولية فى هذا المشروع بتقديم مكتبة كاملة واعارة ٤ خبراء تتولى دفع نفقاتهم عن طريق منح أعطيت للبنك مقدارها ٢٦٦٦ جنيها . والمتوقع أن تحظى المشروعات الصناعية بنصيب الاسد من القروض التى سيمنحها البنك وذلك لحاجة غانا الى اقامة المصانع التى تنتج السلع الاستهلاكية للحد من تيار الواردات الذى يتزايد عاما بعد عام .

والملاحظ ان تنفيذ برامج التنمية يعتمد أساسا على القطاع العام ، ولا يساهم القطاع الخاص وأغلبه من الاجانب الا بالقدر الضئيل .

وتشترك الحكومة الغانية مع كثير من

الدول الاجنبية فى تمويل مشروعات خطة التنمية الاقتصادية ، وقد تم اقامة مصنع للزجاج تبلغ تكاليفه حوالى ٥ر٣ مليون جنيه وتبلغ طاقته الانتاجية حوالى ٧٠٠٠ طن من الزجاجات ، ٤٨٠ طن من الاوانى الزجاجية بالاشتراك مع احدى مؤسسات المانيا الغربية ، كما ساهمت أيضامؤسسات اخرى كثيرة المانية فى انشاء عدة مصانع هامة مثل مصنع المنتجات الغذائية الذى بلغت تكاليفه ٥ر٤ مليون جنيه ومصنع النسيج الذى بلغت تكاليفه ٣ ١/٢ مليون جنيه وتبلغ كفاينه الانتاجية حوالى ٢٠ ملون ياردةمربعةسنويا، ويعتمد هذا المشروع مبدئيا على القطن المستورد الى أن يتم نجاح مشروع زراعة القطن محليا والذى اثبت الخبراء صلاحيته.

القطن محليا والذى اثبت الخبراء صلاحيته.

كذلك ساهمت عدة شركات انجليزية فى تمويل عدة مشروعات مثل مصنع البطاريات الذي بلغت تكاليفه ٣٠٠٠٠ر٣٠ جنيه وكفايته الانتاجية ٢٠٠ بطارية سنويا ، ومصنع الصابون الذى بلغت تكاليفه ٢ مليون جنيه وطاقته الانتاجية فى عامه الاول بلغت ٥٧٠٠٠ طن .

هذا ويجرى العمل حاليا فى انشاء مصنع للبلاستيك بمعاونة بعض الشركات الايطالية وكذا مصنع زبدة الكاكاو بمعاونة احدى مؤسسات المانيا الغربية ومصنع للطباق برأس مال مشترك بين الصين وغانا وتبلغ تكاليفه ٣٥٠٠٠ جنيه .

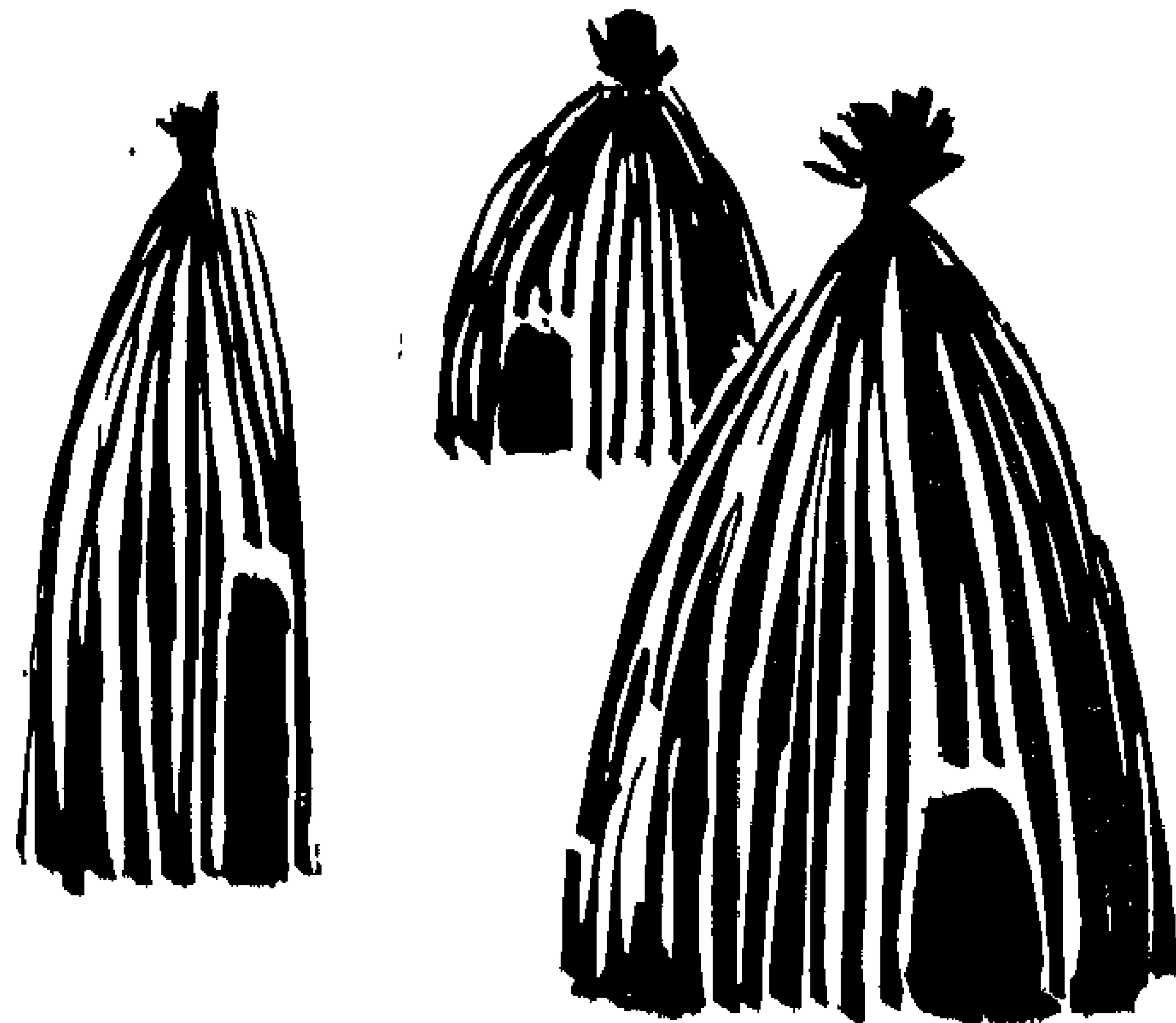
وقد حصلت غانا أيضا على معونة مالية من صندوق النقد الدولى قدرها ٢٨٧٩٦٤ جنيه للمعاونة فى تنفيذ برنامج تخريج المدرسين المؤهلين فى العلوم والفنون ، كما ساهمت الولايات المتحدة أيضا بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه لتزويد غانا بالمعونة الفنية فى مشروعات تكرير المياه والاسماك وتشذيب بحرى نهر الفولتا .

هذا وقد قدم خبراء منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة تقريرا هاما لحكومة غانا .

وجاء بهذا التقرير انه يمكن الحصول على ٢٤٠٠٠ لزراعة الارز للاستهلاك المحلى والتصدير وجاء بهذا التقرير انه يمكن الحصول على ٢٤٠٠٠ طن من السكر سنويا من زراعة ١٠٠٠٠ فدان من هذه الاراضى ، ١٠٨٣ طن من الارز من زراعة مساحة قدرها ١٠٠٠٠ فدان ، وتقع هاتان المنطقتان على جانبى نهر الفولتا .

وهكذا نرى ان برامج التنمية الصناعية والزراعية تسير جنبا الى جنب فى غانا بهدف الوصول الى زيادة الدخل القومى ورفع مستوى المعيشة وتحقيق الاشتراكية التى آمنت بها دول أفريقيا المتحررة .

((وهبى غبريال))



انتاج الدخان في روديسيا

عن الألمانية ترجمة : حسين محمد البشاري

انعقد فى روديسيا المؤتمر العالمى لسلع الدخان وتصنيعه خلال النصف الاول من عام ١٩٦٣ وقد حضره أكثر من ثلاثمائة من الوفود الاوربية وحدها قدموا الى سالسبورى بروديسيا بالطائرات وقد انعقد هذا المؤتمر لثالث مرة حسب رغبة الدوائر المهتمة بهذا الموضوع. وقد تصادف مع انعقاد هذا المؤتمر فترة اقامة المزاد السنوى الذى يعرض فيه محصول التباك السنوى لبيعه فى مزاد عام والفترة التى يستمر فيها هذا المزاد هى ستة أشهر تبدأ من شهر مارس حتى شهر سبتمبر ويستمر البيع فيه يوميا .

وقد انتهز المشتركون فى هذا المؤتمر وطالبوا باعداد برنامج حتى يتيسر لهم زيارة ومشاهدة مراكز زراعة الدخان وتهيئته فى انحاء روديسيا حيث يعد للاسواق العالمية .

لقد أخذ انتاج صناعة الدخان فى الاتحاد الفيدرالى بين كل من روديسيا ونياسالاندا فى الارتفاع المستمر خلال العشرين سنة الاخيرة — ففى عام ١٩٣٩ كان المحصول ٢٥ و٣٣ مليون رطل ارتفع هذا المحصول فى الموسم الماضى الى ٢٦٠ مليون رطل (مائتين وستين مليون رطل ٦٢/٦٣) وبهذا تضاعف المحصول فى هذه الفترة عدة مرات فى روديسيا . وقد سنت الحكومة قانونا عام ١٩٣٦ بالزام عرض نوع فرجينيا من التباك فى سوق مزاد بيع الدخان والذى يستمر البيع فيه يوميا حيث يعرض يوميا حوالى مليونين من بالات الدخان وقد نالت روديسيا المركز الثالث في سوق الاتجار بالدخان العالمي لاستمرارها بالقيام بعمل ابحاث لتحسين أنواع الدخان أكسبها شهرة مرموقة .

أقامت روديسيا أول معهد لابحاث الدخان عام ١٩٣٨ وصلت الان الى خمسة معاهد — أهمها محطة ابحاث Katsage

ويتوافر خبراء هذه المعاهد على زيادة الانتاج الرأسى للدخان ومكافحة امراض النباتات التى تصيب الدخان وكذلك عملية التهجين للسلالات والتصنيع وقد أثمرت هذه المجهودات المتواصلة لمعاهد الابحاث فاكسبت روديسيا مركزا ممتازا فى قطاع زراعة الدخان وتعتبر صادرات روديسيا من الدخان الى العالم الحر فى المركز الذى يلى مركز الولايات المتحدة الامريكية وقد ارتفعت صادرات روديسيا من الدخان خلال السبع السنوات الاخيرة من ٧ ١/٢ ٪ الى ٤ر٢٣ ٪ فى النسبة العالمية بينما هبطت نسبة الولايات المتحدة فى نفس الفترة من ٣و٦٦ ٪ الى ٥٨ ٪ فى النسبة العالمية .

وتعتبر الولايات المتحدة الاولى فى الصادرات للدخان وتليها روديسيا ويأتى بعدها الهند ثم كندا ومقدار الانتاج ونسبته على التوالى لعام ١٩٦١ — ٤٠٩ ملايين رطل (٥٨ ٪) — ١٦٥ مليون رطل (٤و٢٣ ٪) — ١٥ مليون رطل (٢و٩ ٪) — ٣٦ مليون رطل (١و٥ ٪)

والاسواق الاوربية فى مجموعها تسبب بعض المشاكل لروديسيا فى تجارة الدخان .

فمثلا كون روديسيا من ضمن أعضاء دول الكومنولث تكتسب امتيازات جمركية فى الاخرى ووجدوا ان هذه التوليفة ذات ميزات لا يستهان بها .

صادراتها الى بريطانيا وعلى هـذا النحـو تحاول ان تكون على علاقة وثيقة مـع دول مجموعة السـوق الاوروبية المشتركة حتى تحتفظ باسواقها كما هو حاصل معبريطانيا ولو انها فى كلا الحالين محتفظة بالاسـواق الاوربية والعمل على تثبيتها ونموها .

وقد زادت فعـلا صـادرات روديسيا فى السنوات الاخيرة الى كل من المانيا الغربيـة ودول البينولوكس . فبينما نجـد المانيـا الغربية استوردت دخانا عام ١٩٥٦ مقـداره ٣/٤ مليون رطل ارتفع هذا المقدار عام١٩٦٢ الى ٢٤ مليون رطل وعلى هذا تعتبر المانيـا العميلالثانى فى استيراد الدخان منروديسيا أما العميل الاول فهو بريطانيا والعميل الثالث هو هولندا ثم اليابان (حسب احصائيـات ١٩٦٢) .

ويصدرحوالى ٩٥ ٪ من محصولروديسيا من الدخان الى خمسين دولة تقدر قيمـة الصادر اليها بحـوالى ٤٢ مليون جنيـه استرلينى - يصدر منها الى بريطانيا حوالى ٦٤ ٪ مقدارها (١٠٢٥٣٠ رطل) .

ودخلت اليابان هـذا المضمار فاكتسبت مركزا متقدما فى استيراد الدخان منروديسيا فقـد استوردت اليابان عام ١٩٦٢/١٩٦٣ ما مقداره ٢٢ ٪ من روديسـيا من الدخان هذا غير ٦٠ ٪ من انتاج النحاسفىروديسيا مما جلب الكثير من العملة الصعبة للبلاد والاقبال على التدخين فى العـالم فى زيادة مستمرةفقد زاد الاستهلاك السنوى فىتدخين السجائرمن ١٩٦١ الى ١٩٦٢ بحوالى ٢و٥٪ وعلى العموم يعتبر متوسط الزيادة السنوية فى التدخين بحوالى ٤ ٪ لهذا تتوقعروديسيا مستقبلا زاهرا لتجارة الدخان .

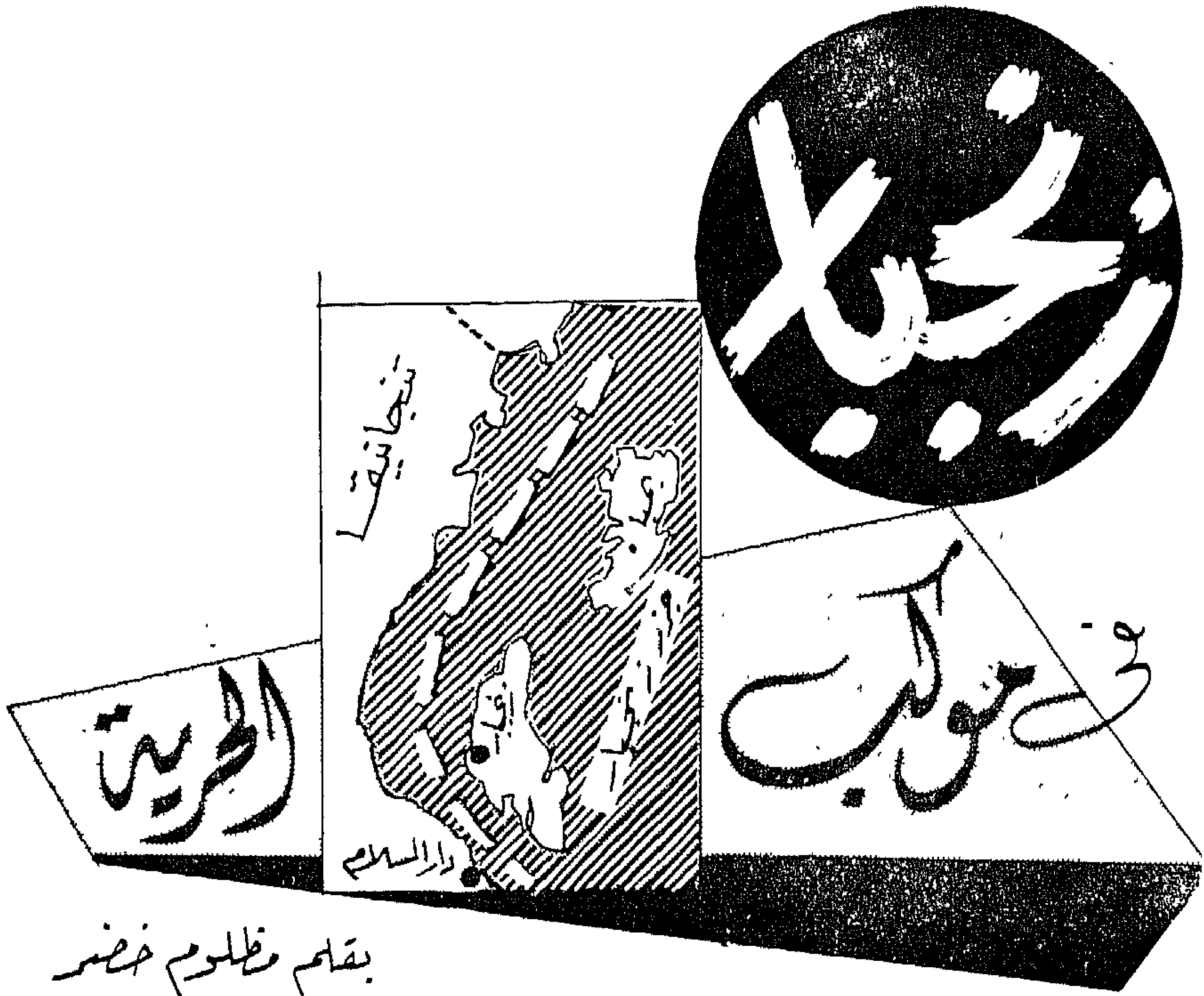
ويعتبر الدخان الوارد من روديسيا لدى الاوربيينذا نكهة محببة الى النفس وذاطبيعة حاوة لدى المدخنين ولسوف يكون مستقبلا فاتح اللون ويحتوى على القليـل من مادة النيكوتين ولسوف يكون دخان روديسيا ذا علاقةوثيقة بصناعة السجائر الشرقيةالاصلية حتى تضـمن رويسيا الاسـواق الشرقية التى تقوم بتصنيع السجائر الشرقيـة وجب ان تعمل روديسيا على تحسين الانواع التى تقوم على زراعتها وترتفع بمستوى انتاجها.

وتعملروديسيا على تسهيل وصولالدخان المصنع الى الاسواق الاوروبية والعمل عـلى التوسع فى تسويقه فى تلك البلاد حتى تحتل البلاد مركزا ممتازا فى قطاع تجارة الدخان ويرجـع حسن سمعـة الدخان الوارد من روديسيا الى جودة أوراقه ورخص اسعاره لدى المشتغلين بتجارة وصناعة الدخان وقد اعترف الجميع وشهدوا بذلك .

وقد اكتسب أخيرا التباك الروديسىرائحة زكية نتيجة ما طرأ عليه من تطور .

ومن اجل طعمه المحبب الى النفس أخـذ كثير من رجال صناعة السجائر فى خلطدخان روديسيا بغيره من التباك الوارد من البـلاد الاخرى ووجدوا ان هذه التوليفة ذات ميزات لا يستهان بها.





بقلم مظلوم خضر

أخيرا وبعد الكفاح الوطنى الطويل من جانب شعب « زنجبار » أسفر مؤتمر لندن الذى عقد فى اكتوبر الماضى بين ممثلى كل من كينيا وبريطانيا وزنجبار عن اعتراف بريطانيا باستقلال « زنجبار » استقلالا كاملا فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٣ ، على أن تتنازل زنجبار عن الشريط الساحلى لكينيا المستقلة — الذى كان خاضعا لسيادة سلطان زنجبار — فى مقابل تأمين مصالح رعايا زنجبار فى تلك المنطقة .

على أن دولة « زنجبار » ومعناها بالفارسية « ساحل الزنج » تتكون فى العصر الحاضر من جزيرتى « زنجبار (العاصمة) وجزيرة بمبه » وهى مواجهة لشاطىء تنجانيقا على الساحل الشرقى لافريقيا ويبلغ عدد سكانها حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة معظمهم من المسلمين ، منهم حوالى ١٨ر٠٠٠ من الاسيويين ، ٥٠٨ من الأوربيين .

ويرتبط تاريخ « زنجبار » ارتباطا وثيقا بتاريخ الكفاح المشترك بين كل من شعبى زنجبار والشعب العربى فى مسقط وعمان فى أواخر القرن السابع عشر — وتعاونهما فى طرد البرتغاليين المستعمرين من أرض زنجبار، وتمخض هذا التعاون عن ميلاد سلطنة زنجبار فى عهد « السيد سعيد » امام عمان وحاكم مسقط الذى تمكن بفضل نفوذه القوى من توحيد الساحل الشرقى لافريقيا ، واتخذ مدينة زنجبار عاصمة لسلطنته الموحدة فى عام ١٨٣٢ الى أن انفصلت نهائيا واستقلت فى حكمها عن مسقط وعمان فى عام ١٨٦١ فى عهد « السلطان السيد محمد سلطان زنجبار وشرق افريقيا » ، وفى تلك الفترة هاجر الى زنجبار عدد كبير من العرب من حضرموت وعمان ومسقط ، كما وفد اليها عدد من الأوربيين والهنود الذى اشتغلوا بالتجارة لما امتازت به جزيرة زنجبار من موقع ممتاز ساعد على تدعيم التبادل التجارى بينها وبين أوروبا والهند وامريكا فكانت تستجلب الى زنجبار البضائع من داخل افريقيا ثم تحملها السفن التجارية الى أوروبا أو الى امريكا أو الى الهند أو الى شبه الجزيرة العربية ، وأهم المنتجات المصدرة هى : المطاط ، العاج ،

والقرنفل « الذى يبلغ انتاجه بنسبة ٨٠ ٪ من انتاج العالم » كما تصدر أيضا فى الوقت الحالى الاسماك ، والقواقع البحرية ، والبندق ، والاناناس ، والمانجو ، والسمسم ، والصمغ ، والنحاس .

وقد لعبت زنجبار – بحكم موقعها وصلاتها بالعالم – دورا رئيسيا وهاما فى نشر الحضارة العربية والاسلامية فى مختلف أنحاء الساحل الشرقى لافريقيا وفى الاماكن الداخلية فى القارة

ومن ناحية العلاقات الخارجية لدولة زنجبار بغيرها فقد اتجهت اليها أنظار الاوروبيين والامريكيين نظرا لاهميتها التجارية فى عهد السلطان « السيد سعيد » الذى ارتبط مع عدد كبير من الدول الاوربية بمعاهدات تجارية تطورت الى علاقات سياسية ، وانتهت باقتطاع أجزاء كبيرة من تلك السلطنة « التى كانت تشمل معظم أجزاء الساحل الشرقى لافريقيا » ولقد هدف السيد سعيد من وراء تلك المعاهدات الى تأمين سلامة البلاد ، فعقد معاهدات مع الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٣٣ ثم مع انجلترا فى عام ١٨٣٩ ثم مع فرنسا فى عام ١٨٤٤ ، وعينت كل دولة من تلك الدول قنصلا يمثلها فى زنجبار .

هذا بالاضافة الى ما قامت به البعثات التبشيرية الالمانية المسيحية من العمل على ادخال الاستعمار الالمانى الى تلك البلاد ، وأهم تلك البعثات بعثة الدكتور كراف الالمانى فى عام ١٨٤٤ ، والتى مهدت الطريق للدكتور « كارل بيترز » فيما بعد لانشاء « الجمعية الالمانية للاستعمار الافريقى » والتى استولت على بعض أملاك زنجبار فى عام ١٨٨٥ وظلت تستغلها حتى قيام الحرب العالمية الاولى ثم حلت محلها انجلترا بطريق الانتداب

على أن النفوذ الانجليزى فى زنجبار أخذ يتزايد منذ قيام التمثيل القنصلى لها فى زنجبار فى عام ١٨٩٧ ، حتى انتهى باعلان الحماية البريطانية على زنجبار فى عام ١٨٩٠ ، ووضعت انجلترا يدها على كل من جزيرتى « زنجبار وبمبة » .

غير أن مقاومة الشعب فى زنجبار للاستعمار لم تهدأ ، و[illegible] القواد من زعماء البلاد [illegible] الابطال [illegible] « السيد مبارك » الذى أشعل الثورة ضد الانجليز فى عام ١٨٩٧ – والتى قابلتها انجلترا بمنتهى القسوة والعنف ضد أبناء البلاد الذين واصلوا كفاحهم على مرور الايام وكان من ثمراته قيام مجلسين فى البلاد فى عام ١٩٢٥ أحدهما : تنفيذى ، والآخر « تشريعى » لحكم الدولة بجانب السلطان ، وكانت هذه خطوة أولى مهدت السبيل لقيام المجلس التشريعى المنتخب نتيجة للاصلاحات الدستورية التى قامت فى عام ١٩٥٨ ، والتى بموجبها تم تمثيل أبناء البلاد فى هذا المجلس باثنى عشر عضوا يمثلون الاتجاهات القائمة فى زنجبار .

على أن الغالبية العظمى من أبناء زنجبار ويمثلها « الحزب الوطنى » بقيادة « السيد على محسن وزير الداخلية » وحزب الشعب ، تنادى بوجوب تنفيذ برامج الاصلاح العاجلة فى الداخل وتوطيد العلاقات الافريقية وعدم الانحياز لأية كتلة من الكتل الدولية .

ونظرا للصلة الوطيدة والعلاقات القديمة بين كل من شعبى زنجبار والشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة فقد زار القاهرة فى منتصف أكتوبر الماضى وفد زنجبار فى محادثات لندن الأخيرة برئاسة السيد محمد شمتى رئيس الوزراء وعضوية السادة على محسن وزير الداخلية وزعيم الحزب الوطنى ، وجمعة على وزير المالية ، ومولودى شانجان وزير التعليم ، وعيداروس وزير الصحة والاسكان ، وتمت خلال هذه الزيارة الاتفاقات الخاصة بين الوفد وبين المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة من وضع الأسس الكاملة للنهوض بمختلف النواحى ورفع مستوى الخدمات العامة فى زنجبار . وقد وصف السيد محمد شمتى تلك الاجتماعات :

بأنها خاصة بوضع أسس العلاقات بين حكومة زنجبار التى تعلن استقلالها فى ١٠ ديسمبر والجمهورية العربية المتحدة فى التخطيط لاعداد برامج الخطة الأولى فى بلاده ومن بينها انشاء جهاز قوى للاعلام .

كما صرح سيادته أيضا :

وهكذا يشهد يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ ميلاد دولة زنجبار الحديثة التى تمضى بخطى ثابتة نحو الحرية والاستقلال وتنضم الى موكب الحرية فى افريقيا .

((مظلوم خضر))

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

زنجبار والقرنفل

بقلم : محمد الحريري

القرنفل واحد من توابل المنطقة الحارة الذى يتخصص شرق افريقيا فى انتاجه . ويتركز الانتاج هنا فى كل من جمهورية مالاجاش وسلطنة زنجبار . ويكاد يكون انتاج أفريقيا حكرا للسلطنة الاخيرة حيث تنتج مالا يقل عن ٨٠ ٪ من انتاج القرنفل فى العالم وتمونه بنفس النسبة تقريبا .

وموطن شجرة القرنفل هو جزر ملوك من جزر الهند الشرقية حيث لازالت تنمو بها بريا حتى الوقت الحاضر . وقد نقلت الى أفريقيا عبر جزر المحيط الهندى ، بعدما نجح الفرنسيون عام ١٧٧٠ فى تهريب بذورها ونقلها الى جزيرتى موريتوس وريونيون رغم محاولات الهولنديين آنذاك حظر نقل وتصدير بذور النبات وشتلات الى خارج مواطنه التى كانت تحت سيطرتهم . ومن هذه الجزر الفرنسية قام السلطان العربى العمانى سيد سعيد بنقل النبات الى زنجبار فى الفترة بين سنتى ١٨٢٠ ، ١٨٣٠ م .

والشجرة من الطف وأجمل نباتات المنطقة الحارة فهى شجرة دائمة الخضرة باسقة يصل ارتفاعها الى تسعة امتار فى زنجبار وتزدان بأوراق خضراء بيضية الشكل ، وأزهارها قرمزية تفوح منها رائحة عطرية نفاذة تعم الجزر . وتغرس الاشجار فى زنجبار بمعدل يتراوح بين ٦٠ ، ٧٠ شجرة فى الفدان الواحد تبعد فيه كل شجرة عن الاخرى بمسافة ٢٥ قدما . وتثمر الاشجار بعد ست سنوات من زراعتها وتصل الى اقصى انتاج لها فيما بين سن ١٥ ، ٢٠ سنة ، وتستمر فى الاثمار حتى سن السبعين وأحيانا الى المائة . ويبلغ معدل انتاج الشجرة الواحدة

فى السنة حوالى ٣ أو ٤ كيلو جرامات من براعم الازهار .

والقرنفل التجارى هو البراعم الجافة المقفلة لازهار الشجرة ، ويبلغ طول الواحدة منهـا اكبر قليلا من نصف البوصة . وتجمع البراعم اما باليد أو بالخطاف ، اما الاشجار العاليـة فانها تضرب بالعاب او يرقى اليها الانسـان باستعمال السلالم المتحركة . وتجفف البراعم بتعريضها لاشعة الشمس مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وأسبوع ، وهى تغطى ليلا لمنع تساقط الندى عليها . وتتم عمليـة جمع القرنفل الزنجبارى فى الفترة مابين شهرى سبتمبر ومارس .

وللقرنفل وزيته الطيار Volatile ail - الذى يحتوى على مادة الاوجينول Eugenol بنسبة لاتقل عن ٨٢٪ - أهمية كبرى فى عالم الطب والصيدلة والـكيمياء على وجه العموم . ولقد توصل علماء العرب المسلمون فى العصور الوسطى الى استعمالات له شتى ورد ذكرها فى كتب أساطين الطب عندهم مثل اسحق بن عمران . وصناعة العقاقير الحالية فى العالم تدين فى جانب كبـير من موادها الاولية الى التوابل تبعا للقيمة الطبية العظيمة لها والتى لم يغفل عنهـا العـرب المسلمون . فالقرنفل لميزات زيته الطيـار نجد أنه مخدر موضعى ممتاز ، ومن خصائصه قدرته الكبيرة على القضـاء على الميكروبات والبكتيريا . لذلك فهو يستعمل فى العمليات الجراحية وفى تخفيف آلام الاسنان وكعـامل مساعد لتنظيف العدسات . وهـو مهـدىء للاعصاب ، ويستعمل فى حالات التقلصـات المعدية والاضطرابات المعوية كما أنه طـارد لغازات . ويدخل فى صناعات منوعة أخصها صناعة الفانيلين والخمور ومركات الاوجينول التى تستخدم فى علاج مرض السل .

ويأتى معظم تموين العالم من القرنفـل من مزارع علمية واسعة تخصصت فى انتاجه بعدما كان يجمع بريا من جزر ملوك والجزر المجاورة لها . وتوجد أهم مزارعه فى جزيرتى زنجبار وبمبا من سلطنة زنجبار التى تبعد عن شاطىء أفريقيا الشرقى بمسـافة ٣٧ كيلو مترا ، والى الجنوب من خط الاستواء بنحو ست دوائر عرضيـة . ففى هـاتين الجزيرتين الصغيرتين البالغ مساحتهما معـا ٢٦٣٥ كيلو مترا مربعا توفرت ظروف جغرافية ممتازة دفعت بهما الى التخصص فى زراعـة وانتاج القرنفل ، وهى تجمل فيما يلى : -

١ - لم يقتصر الدور الذى لعبه السلطان العربى العمانى سيد سعيد (١٨٠٤-١٨٥٦) على جلب النبات الى زنجبار ، بل تعـداه الى التوسع فى زراعته بها . فقد كان يمتلك مزارع شاسعة للقرنفل ، وكان متحمسـا لزراعته الى درجة أنه كان يأمر بمصـادرة المحاصيل الاخرى . وكان يجبر الملاك العرب الذين توافدوا على زنجبار فى عهده وامتلكوا أراضى الجزيرتين على زراعة القرنفل كوسيلة لاستثمار الارض والا صودرت ممتلكاتهم . وبهذه الطريقـة انتشرت زراعة القرنفل فى زنجبار .

٢ - توفرت فى الجزيرتين البيئة الطبيعية الملائمة لنجاح زراعـة النبات . فالقرنفـل يتطلب كى ينمو بنجاح ان تتوفر بيئة ذات تربة خاصة ولا يكفى تشابه المناخ حتى تكون البيئة صالحة للنمو . وقد نجحت زراعته فى زنجبار تلك الارض المدارية الحارة الشديدة الرطوبة التى لايقل مطرها السنوى عن ٦٠ بوصـة والتى توفرت بها التربة الملائمـة لزراعته .

٣ - توفرت الايدى العاملة اللازمة بالعدد الكافى لمجابهة عمليات الزراعة وجمع البراعم وهى تحتاج لعدد كبير من العمال .

وقد ساعد على ذلك ان السلطان سـعيد والمهاجرين العرب العمانيين الذين توسـعوا فى الزراعة كانوا يشـجعون الايدى العاملة على الحضور الى زنجبار ، فازداد تبعا لذلك وفود الافريقيين اليها للعمل فى مزارع القرنفل .

واليـوم نجد ان زنجبـار منطقة مكتظـة بالسكان حيث يعيش بالسلطنة مالا يقل عن ٣٠٠ الف نسمة . وتعتبر زنجبار منطقـة جذب عظمى لمواطنى الساحل الافريقى المقابل الباحثين عن العمل ، والذين لايجدون طلبـا على أعمـالهم فى الانحـاء الاخرى من شرق

أفريقيا فيما عدا زنجبار حيث يجدون لعملهم سعرا مناسبا .

٤ ــ ولقد ساهمت بريطانيا بعد أن فرضت حمايتها على السلطنة عام ١٨٩٠ على استمرار اتجاهها نحو التخصص فى انتاج القرنفل . فسياسة تخصص المناطق التى كانت خاضعة لهـا فى انتاج احدى الخامات تتفق مع سياستها الاستعمارية الاقتصادية العامة . وفى هذه السياسة تدعيم للاقتصاد الانجليزى ومكاسب لرعاياها ، وفى نفس الوقت ربط لاقتصاديات المستعمرات والمحميات باقتصادها.

والواقع أن اعتماد الاقتصاديات القومية على محصول واحد بدرجة كبيرة اقتصاد أعرج حيث أنه مهدد بأخطار جمة، فقد يقل الناتج، أو تهبط الاسعار العالمية ، أو يظهر فى الافق الدولى ما قد يعوق التصدير والنقل ، فتعجز المنطقة عن الوفاء بالتزاماتها ودفع ثمن وارداتها . ويجدر بزنجبار أن تعمل على تنويع انتاجها حتى تتخلص من مخاطر الاعتماد على محصول القرنفل الذى شجعت بريطانيا التوسع فى زراعته مراعاة لمصالحها الاستعمارية قبلما ترعى مصالح زنجبار والشعب الزنجبارى .

ويتهم البعض تخصص زنجبار فى انتاج القرنفل بأنه لايحتاج فى انتاجه الى التعب وبذل الجهود وأنه « يكفى ان يجلس صاحب البستان فى الظل ليراقب براعمه الصغيرة الخضراء وهى تنمو ثم تتحول الى جنيهات استرلينية كثيرة ، وأن الشجرة ستؤتى أكلها سواء فى سنوات الكساد أو فى السنوات السمان ، فلا داعى اذن والحال كذلك للعمل والجهاد » .

وهذا رأى لايمكن قبوله بسهولة نظرا للميزات الخاصة التى يتصف بها سكان زنجبار . فسكانها يتكونون من عناصر متباينة من العرب والهنود والافارقة سكان السواحل وهؤلاء جميعا من نسل المهاجرين الذين هجروا مناطقهم الاصلية فى الهند وبلاد العرب العمانية وافريقيا سعيا وراء التجارة والكسب والثروة . فكيف يمكن لمثل هؤلاء أن يوصفوا بالكسل والتراخى وعدم الرغبة فى العمل ؟ وهل يعيب الانسان أن ينتظر نتاج كده وعمله بعد الكفاح والاجهاد فى سبيل اعداد الارض وغرس الزرع وتعهده ؟ لقد كان الاجدر بصاحب مثل هذا الرأى أن يقرر صراحة أنه فى الفترات التى لايكون فيها سفن للتجارة ، ولا يكون فيها جمع لمحصول فالطبيعى ان يستريح الانسان من مجهودات العمل لا ان يوصف استجمامه بالكسل .

لقد صارت زنجبار سلطنة القرنفل فى العالم . وفيها أكبر تجمع لاشجار القرنفل اذ يبلغ عددها ٤ ملايين شجرة مزروعة فى مساحة تقدر بنحو ٨٠٫٠٠٠ فدان . وتتركز هذه الاشجار فى « زنجبار » و«بمبا» من مناطق السلطنة. وتوجد ثلثا المساحة المزروعة بالقرنفل وأشجاره فى جزيرة بمبا ، حيث ان أشجار زنجبار كانت قد أصيبت بمرض الموت المفاجىء كما تعرضت لدمار اعصار مدارى ففقدت الجزيرة نحو ثلث أشجارها.

والقرنفل غلة نقدية تنتجها السلطنة للتصدير . وهى أهم الغلات بها حيث تنتج ٨٠ ٪ من انتاج العالم من القرنفل وتساهم فى تجارته الدولية بنفس النسبة تقريبا اذ لايستهلك من المحصول محليا الا النزر اليسير . ومع ان الجانب الاكبر من المحصول يأتى من جزيرة بمبا . الا ان قرنفل جزيرة « زنجبار » يتميز على قرنفل « بمبا » بأنه أكبر منه وبأن لونه أحمر لذا يعرف فى عالم التجارة برءوس زنجبار الحمراء .

وقد بلغ متوسط انتاج الخمسة والثلاثين موسما الاخيرة من القرنفل نحو ٢٣ مليون رطل . وفى زنجبار يتم استخلاص زيت جذع القرنفل الذى يصدر الى الخارج كذلك .

ويعتمد الاقتصاد الزنجبارى على القرنفل بدرجة كبيرة. ففى عام ١٩٥٠ كانت صادراتها من القرنفل وجوز الهند تبلغ نحو ٩٨٫٢ ٪ من صادراتها الكلية ، وكان نصيب القرنفل

منها ٧٦٫٤ ٪ . وفى عام ١٩٦١ صدرت زنجبار ٨٤٠٢ طن بلغت قيمتها ٢٫٤١٣٫٩٧٠ جنيها . وصدرت فى نفس السنة من زيت القرنفل ١٥٤ طنا قيمتها ١٢٢٫٣٣٩ جنيها .

وبذلك فان القرنفل وزيته يستأثران بنحو نصف قيمة صادرات السلطنة ، فقد صدرت ما قيمته ٢٫٥ مليون جنيه منها من جملة قيمة صادراتها التى كانت قيمتها نحو ٥ ملايين جنيه عام ١٩٦١ وبالاضافة الى ذلك فان الميزانية العامة للسلطنة تعتبر الضرائب التى تفرضها على صادرات القرنفل أحد الموارد الاساسية لها . ويتم تصدير القرنفل عن طريق ميناء زنجبار وهو أعظم موانى شرق افريقيا ويقع على الجانب الغربى من جزيرة زنجبار .

ويجدر بزنجبار ان تعمل على تقليل اعتمادها الكبير على القرنفل ومنتجاته وتبحث لها عن غلة بديلة تشجع انتاجها حتى يتوفر لاقتصادها الثبات ولمواطنيها الامن والاستقرار ، وذلك للاسباب الاتية : ـ

١ ـ يهدد أشجار القرنفل بها مرضان خطيران لم يتوصل العلم بعد للمبيدات الحشرية المضادة لهما . أولهما هو مرض الموت المفاجىء Sudden Death **وهو ينتشر بين الاشجار الناضجة التى يزيد عمرها عن خمسين سنة ، وهو يسبب تلفا كبيرا لمزارع القرنفل فى جزيرة « زنجبار » ولدرجة اقل فى « بمبا » ، ولا زالت أسباب هذا المرض وطرق التحكم فيه غير معروفة .**

وثانيهما هو مرض الذبول Die Back **الذى تصيب ميكروباته الجروح المكشوفة فى النبات ، وقد نجحت جزئيا محاولات مقاومته بقطع الانسجة المريضة وتغطية الاجزاء المكشوفة بطلاء خاص .**

والواقع أن هذا الخطر المميت الذى يهدد الثروة القومية والدخل القومى للبلاد بالدمار يستدعى من أولى الامر فيها التفكير الجدى فى ايجاد بديل يعتمد عليه الى جانب القرنفل كما يستدعى الاهتمام بتشجيع الابحاث العلمية للتوصل الى أسباب هذين المرضين وخير الطرق لمقاومتهما .

٢ ـ ان كانت زنجبار تحتكر اليوم انتاج وتموين العالم بمعظم حاجته من القرنفل فانها ليست البلد الوحيد المنتج ، كما أنها لا تنتج أجود الانواع ، بالاضافة الى ان امكانيات التوسع بها قد أصبحت محدودة . لذلك تهددت ثروة البلاد ودخلها القومى عندما شجع الفرنسيون زراعة القرنفل فى مدغشقر حيث الامكانيات الارضية للتوسع تفوق امكانيات زنجبار .

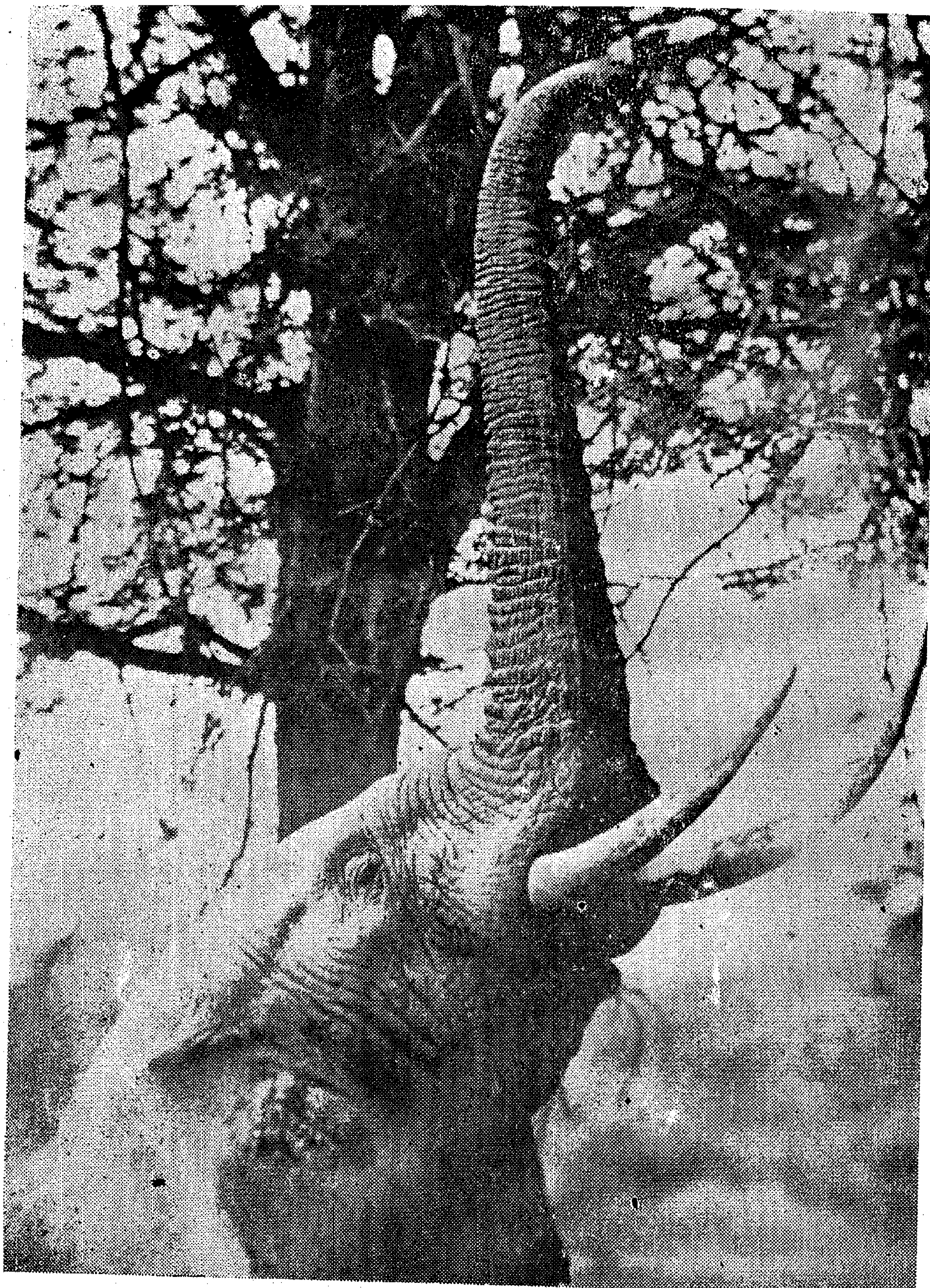
٣ ـ ولقد تمكن عالم اليوم من انتاج مادة الاوجينول صناعيا ، وهى المادة الحيوية الفعالة فى القرنفل وزيته ، ولا بد ان تتاثر تجارة القرنفل وأسواقه بالانتاج الصناعى لهذه المادة .

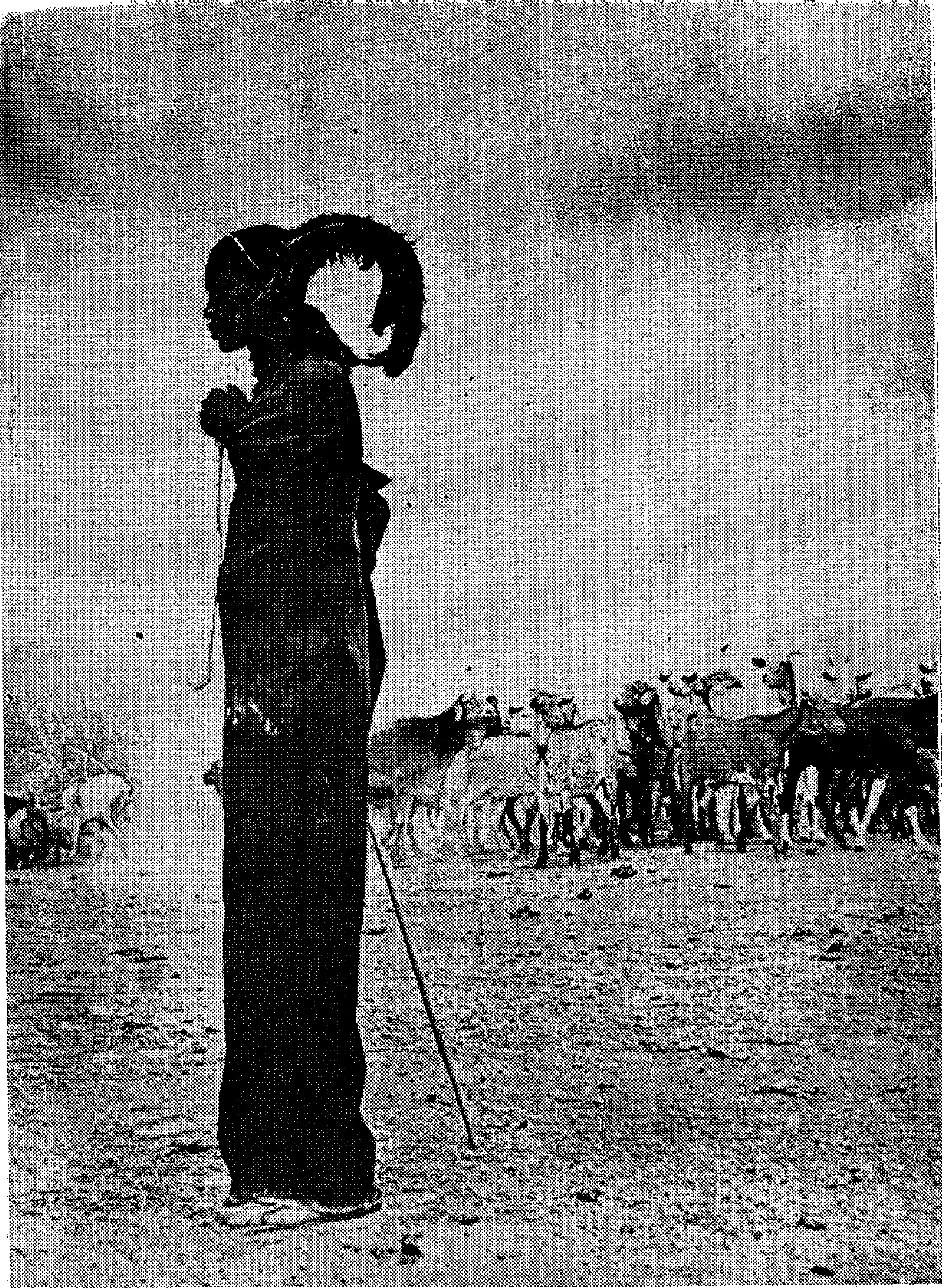
كل هذه الاسباب تحتم على زنجبار أن تعمل على توسيع قاعدتها الانتاجية بتنويع منتجاتها لتقليل اعتمادها على محصول القرنفل وحده خاصة وانه لايوجد اليوم بها بديل له أهمية سوى جوز الهند الذى تقل قيمة صادراته ومنتجاته عن ثلث قيمة صادرات القرنفل ومنتجاته . والواقع أننا نجد ان امكانيات تنويع الانتاج بها عديدة وتتمثل فى التوسع فى صيد الاسماك من البحار المحيطة بها التى تزخر بانواع جيدة من التونة والسردين والبكلاه والمحار ، كما يمكنها التوسع فى زراعة الكاكاو حيث ان الظروف الطبيعية ملائمة لزراعته ، كما يمكنها الالتفات الى زراعة المواد الغذائية والطباق . وهى كلها محاولات لتقليل مخاطر اعتمادها على محصول القرنفل وحده حتى تضمن استقرار أحوالها الاقتصادية . وقد بدأ فعلا الاتجاه نحو التوسع فى صيد الاسماك ، وهناك مشروع لزراعة الكاكاو فى كلتا الجزيرتين للتقليل من الاعتماد على القرنفل وجوز الهند .

« محمد الحريرى »

كينيا اوهورو ...

((فى ١٢ ديسمبر ارتفع العلم ليعلن عن كينيا المستقلة ... أو هورو))

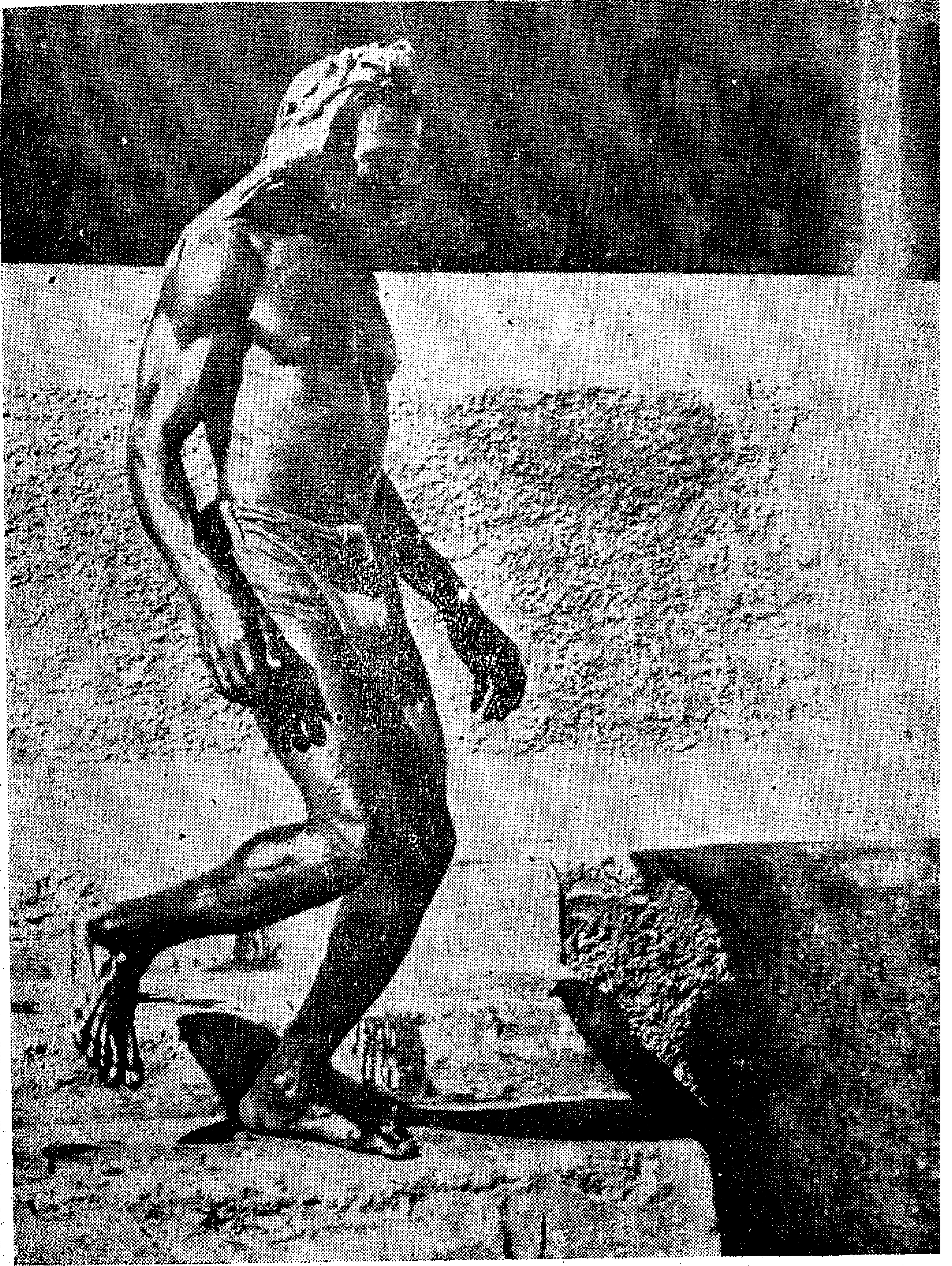




« وتتردد أصداء الحرية بين الماساى على قمم الجبال »



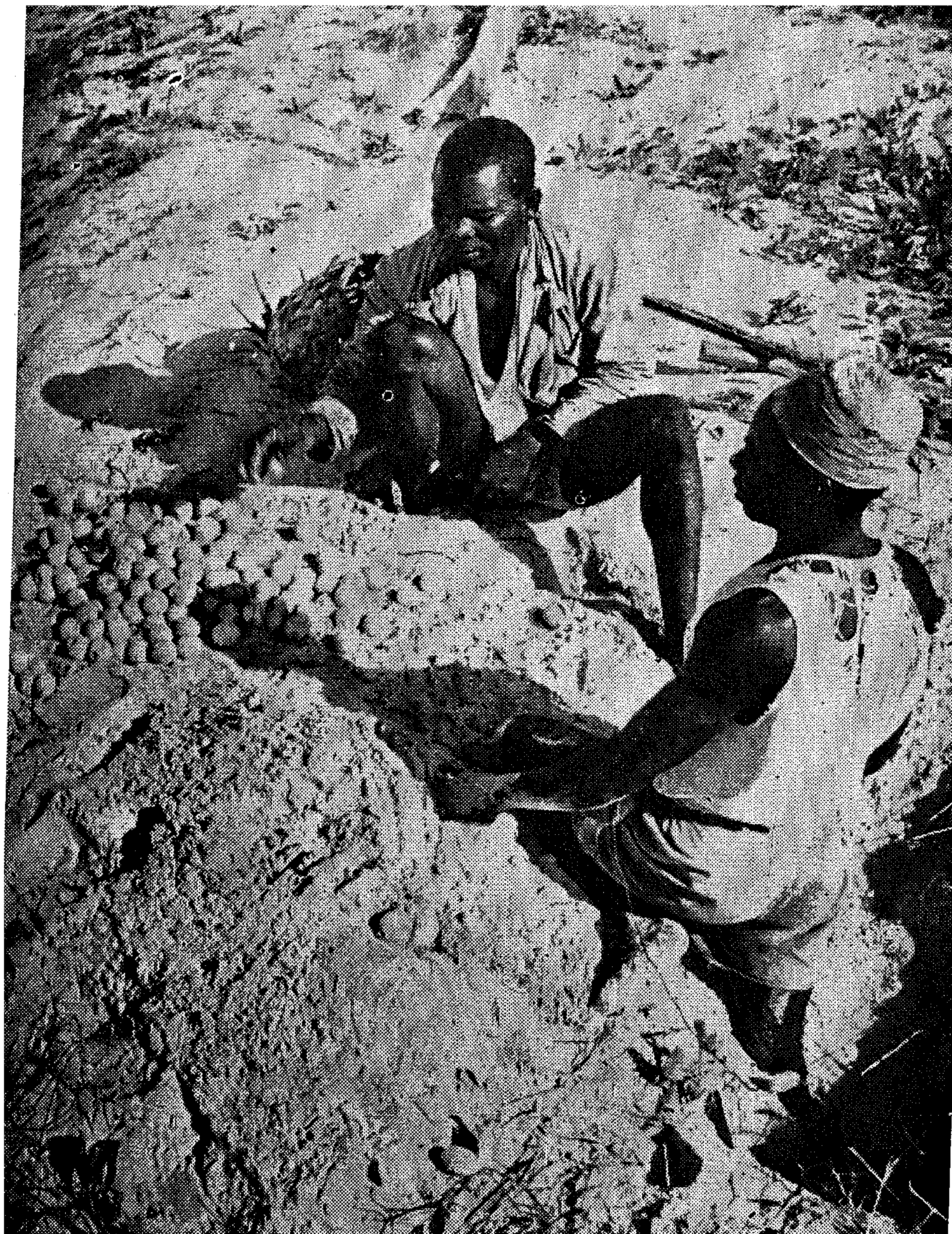
« وعلى أمواج المحيط الهندى .. »



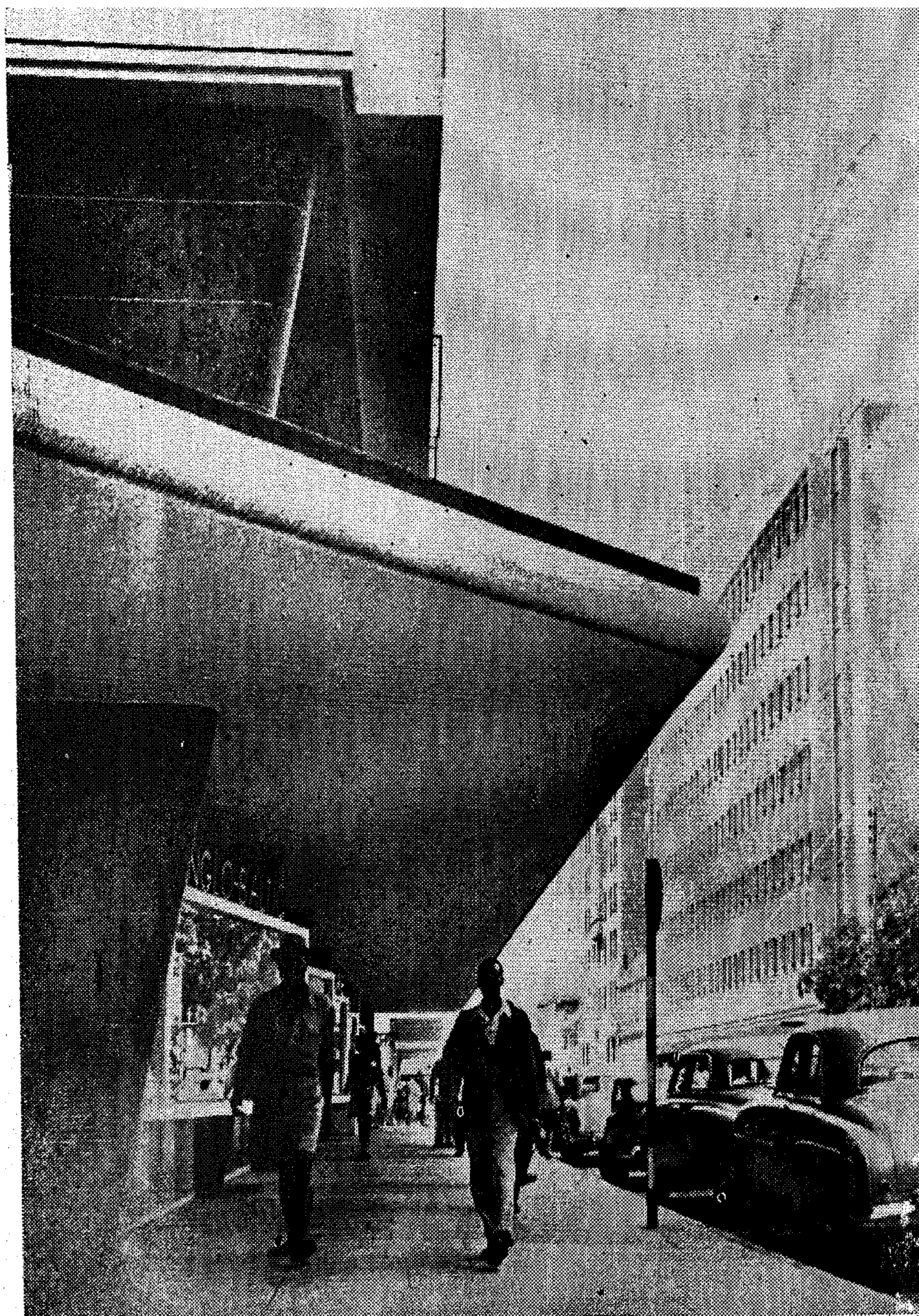
((حيث يكدح العامل الافريقى على أرصفة ومباسا))



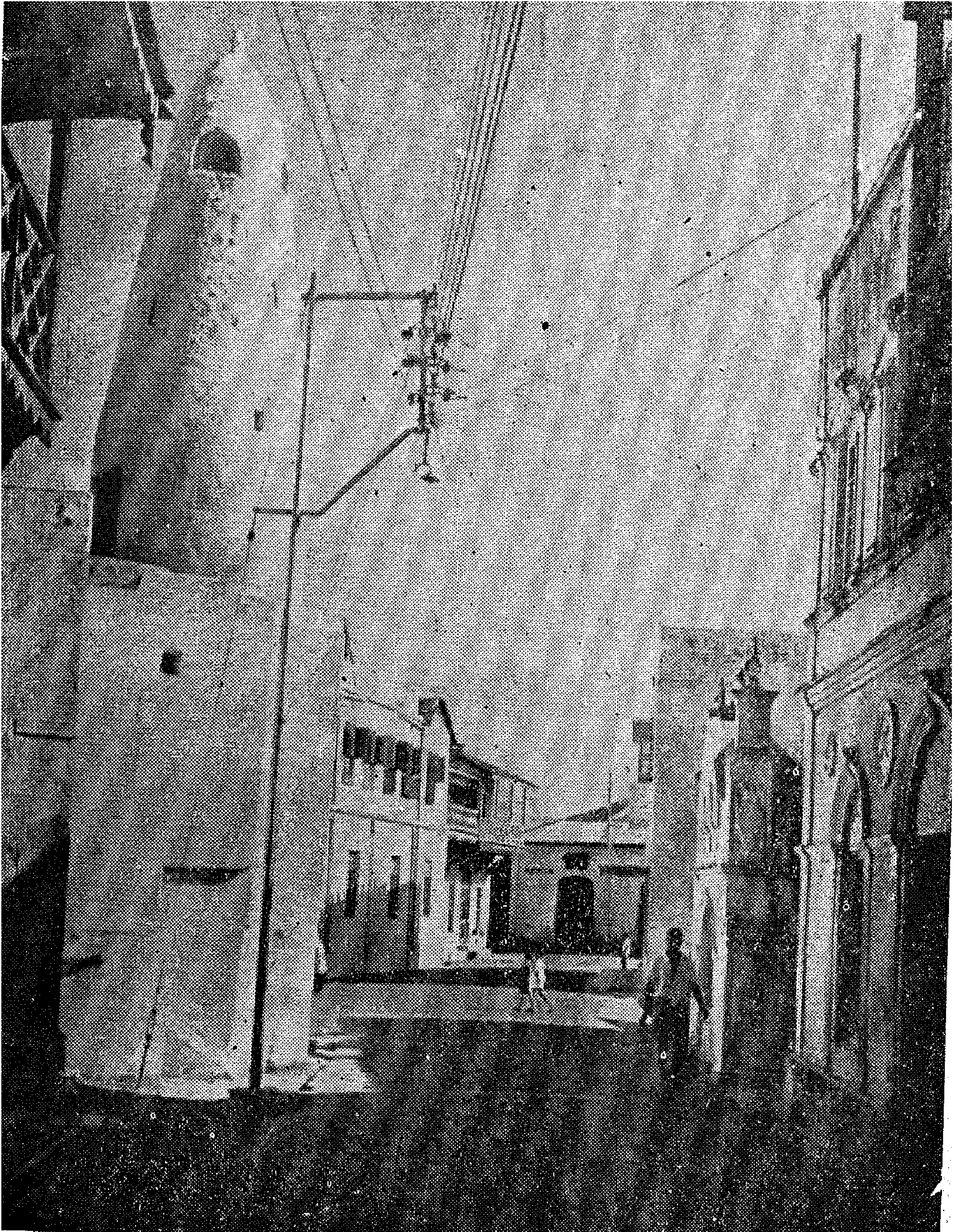
« ويعيش الوطنيون فى الأكواخ .. »



« ويجمعون بيض السلاحف »



« وفى مدينة نيروبى ... »



((يرتفع على المئذنة صوت الحرية ...))



● الملونون فى الولايات المتحـــدة الامريكية

اذا كانت « التفـــرقة العنصرية » قـد أصبحت احدى المشكلات الحادة للعصر ، سوا، فى افريقية أو فى أمريكا ، فانا نرى ان العالم قد أصبح يقف الى جانب هذه القضية .. ويوليها عناية كبيرة ، مما يمكن القول معه بأن هذه القضية لن تتراجع خطـــوة واحدة ، ولقد كانت الثمرة القريبة لهذا هو هذه المقاطعات المستمرة لجنوب افريقيـــة ، وكذلك تقديم قانون الحقوق المدنيـــة الى « الكونجرس » الامريكى الذى يقضى باعطاء السود كافة الحقـــوق الانسانية ، والذى لايقف عند هذا وانما ينص على الوقوف بشدة أمام الولايات التى تتحدى مشاعر السود ، وتعمل على سلبهم حقوقهم الانسانية .

ولقد هزت هذه القضية الضمير العربى ، فكان كتاب « ممنوع الهمس » للاستاذ كامل زهيرى ، ثم كان هذا الكتاب الذى نقدمه الان بعنوان « الملونون فى الولايات المتحدة الامريكية » للاستاذ حمدى حافظ الـذى أثرى الفـكر السياسى المعاصر بالعديد من مؤلفاته .

ولقد بدأ الكتاب بالتحديد الزمنى لمشكلة الزنوج فذكر ان عهدها يرجع الى ما بعـد الحرب الاهلية الامريكية ، كما ذكر انها تطبق فى امريكا لا على السـود وحدهم وانما على غيرهم كذلك من الاقليات .

ولقد كان أوائل القرن التاسع عشر هو نقطة التحرك نحو تحرير العبيد ، وهو النقطة الحاسمة للخلاف بين الشمال والجنوب ، ثم الوصول بعد ذلك الى نتيجتين هامتين همـا : ــ

اولا ــ تمتع الزنوج بجميع ما يتمتع به البيض من حقوق مدنية ، وأن يكون الجميع سواء أمام القانون ، كما أدخل على الدستور تعديل ينص صراحة على الغاء الرق الغاء تاما فى الولايات المتحدة .

ثانيا ــ استقرار المبدأ الذى ينادى بأن الولايات المتحدة أمة واحدة لاتتجزأ

ولكن هذا عند التطبيق أصبح عســـير الحل ، وان كانت أولى الخطوات الطيبة فى هذا الشأن قد تحددت بانتهاء الحرب العالمية الثانية بسبب ما طرأ على حياة السود من تطور وتغيير ، ومن هنا كان الاتجـــاه الى الاخذ بواحد من هذه المقترحـات الثلاثة وهى :

١ ــ **المضى فى سبيل اتباع سياسة المحافظة** على الحاجز الدولى

٢ ــ **الاخذ بسياسة المشاركة المقيدة**

٣ ــ **اتباع سياسة التقسيم والعزل**

ومع انه كانت هناك آراء أخرى تقـول بعودة الزنوج الى افريقية او الى جزائر الهند الغربية ، وبحصرهم فى مناطق بعينها وفرض مهنة الزراعة عليهم ، الا ان هذه المشكلة لم تجد الحل الحاسم لها الى حد قول المؤلف « .. والحقيقة ان الولايات المتحدة الامريكية لم تستطع حل مشكلة الزنوج بعد أن ألغت

الرق ، وبدو ان المشكلات التى أدى اليهـا هذا الالغاء أعقد وأعنف من الرق ذاته » .

ومع ان فى هذا الرأى بعض المبالغة الا أن مما لاشك فيه ان العلاقات بين البيض والسود ظلت متوترة يســودها الحقد ، وتسيطر عليها الانانية ، ويظهر هذا واضحا فى تلك القضايا التى شغلت العـالم والتى حدثت فى خريف عام ١٩٥٧ فى ولاية اركنساس، وفى خريف عام ١٩٦٢ فى ولاية مسيسيبى ، وما حدث فى عام ١٩٦٣ فى مختلف الولايات الامريكية اثر التوتر الذى ساد ولاية الباما فى بداية عام ١٩٦٣

ولقد كان هــذا السبب الواضح لتغير النظرة الى الســود ، ولتلك الاحـكام التى أصدرتها المحكمة العليا بشــأن التفـرقة العنصرية بين الســود والبيض فى مدارس الولايات الامريكية ، فقد كان من ضمن هذه الاحكام ذلك الحكم الذى أصدرته المحكمة الامريكية العليا والذى جاء فيه ان التفرقة العنصرية بالنسبة للاطفال الزنوج فى المدارس العامة — وهى المدارس التى تقـوم مختلف الولايات بتحويلها — عمل غير دستورى ، كما جاء فيها أن التفرقة فيها انكار واضح لما يتمتع به الجميع من مساواة فى حمـاية القوانين لهم ، والذى يســتند الى نص دستورى يقول :

« .. جميع الاشخاص المولودين فى الولايات المتحدة أو الذين اكتسبوا الجنسية الامريكية .. والذين يخضعـون للتشريع الامـريكى ، يعتبرون مواطنين أمريكيين ، كمـا يعتبرون مواطنين فى الولايات التى يقطنون بها ، ولذا فلايحق لاية ولاية أن تسن أو تطبق أى قانون يكون من شأنه المساس بامتيازات المواطنين الامريكيين أو يكون فيه مساس بالحصانات التى كفلها لهم القانون ، كما انه لايحق لاية ولاية أن تحرم أى شخص حقه فى الحياة ، أو تمس حريته أو امـلاكه الا عن طـريق القانون ، كما انه لايحق لاية ولاية أن تنكر على أى شخص ما كفلته له القوانين من المساواة فى حق التقاضى »

وعلى كل فلقد تقفى الرأى العام العالمى هذه المشكلة وقال فيها رأيه ، ولقد قالت أفريقية رأيها بشجاعة ، ومن هـذه الاراء ما تردد فى « أكرا » من ان الزنوج قد نفد صبرهم فى أمـريكا من وســائل الـكفاح السلمى ، وما تردد فى نيجيريا من أن صفحات التاريخ الامريكى قد تلوثت مرة أخرى ، وان كان يخفف من حملتهــا تدخـل الحكومة الفيدرالية فى الحوادث الى حد ارسال قوات عسكرية لحماية القانون من الخارجين عليه .

ولقد كان للرئيس الراحل « كنيدى » موقف مشرف ، تشير اليه هذه الرسالة التى بعث بها الى الكونجرس فى يوم ١٩ من يونيو عام ١٩٦٣ ، والتى جاء فيها :

« من الواضح ان التفرقة التى مازالت قائمة ، والتوتر الذى مازال سائدا ، يستلزمان اتخاذ اجراءات فيدرالية تنير الطريق ، وتعمل على ايجاد حل لهذه المشكلة تنال رضــاء الشعب ، وتكون بمثابة نقطة التقائه ، وغنى عن القول ، أن الوقت قد أزف لان يضــم الكونجرس صوته الى الفروع التنفيــذية والقضائية حتى يعرف الجميع ان العنصرية لا محل لها فى الحياة الامريكية أو القانون الامريكى »

ولقد قوبلت هــذه المقترحات بالثناء باعتبارها خطوة لازمة نحو اصــلاح المظالم المنقادة ، ولكنها لقيت بعض المعارضــة ، ووصفت بأنها اعتداء غير دستورى من جانب الحكومة الفيدرالية على حقوق الولايات .

●

وفى فصل بعنوان « مستقبل الزنوج فى ولايات الجنوب » يضعنا المؤلف أمام وجهة نظر أحد الزعماء السياسيين فى ولاية الجنوب .. نقلا عن مجلة « ى.س.نيوزوورلد » التى دعت حاكم ولاية مسيسيبى ، ثم طرحت امامه المشكلة ، ومن بين الاسئلة التى طرحتهــا المجلة ، والاجابة عليها نستطيع التعرف على مستقبل السود فى ولايات الجنوب .

● هل يجد الزنجى فى مسيسيبى أو فى أية ولاية جنوبية أخرى مستقبلا أمامه من أى نوع ؟

– نعم فان الزنجى الذى يستغل فرصة التعليم المتاحة له ، ويعد نفســـه لتحمل المسئوليات ، لديه كل ما يدفعه الى التطلع الى مستقبل مشرق ، والى مستوى معيشة أفضل فى أى قطاع من قطاعات الجنوب .

● **وما الفرص التى تتــوافر للزنجى فى الجنوب ؟**

– فى المسيسيبى كما فى غيرها من ولايات الجنوب لدينا أكثر من ٢٧ ألفا من الزراع الذين يمتلكون أرضهم ، وفضلا عن ذلك فان لدينا زنوجا يمتلكون أعمالهم الخاصـــة ، وهناك عدد كبير منهم من رجال الاعمـــال الاثرياء ، وفى المسيسيبى هناك أكثر من ٢٧ ألفا من الزراع السود الذين يمتلكون أرضا تقدر قيمتها بنحو ١٠٠ مليون دولار ، وكذلك فان أكثر من ٢٧ ٪ من البيوت الخاصة فى المسيسيبى ملك لهم .

● **وكم عدد الزنوج فى المسيسيبى ؟**

– نحو ٤٣ ٪ من سكان المسيسيبى من الزنوج ، و٥٣ ٪ منهم من البيض ، ومنذ عامين مضيا ، كانت النسبة تبلغ ٤٥ ٪ من الزنوج ، ٥٥ ٪ من البيض

● **هل يعنى هذا ان الزنوج يرحلون عن المسيسيبى ؟**

– نعم لقد غادر بعضهم الولاية ، ولكنهم لايرحلون عنها فى أعداد كبيرة

● **ولماذا يرحلون عن المسيسيبى ؟**

– نحن نعتبر العجز فى مجال العمـل فى الزراعة واحدا من الاسباب الرئيسية لهجرة العمال الزنوج الى المناطق الاخرى

● **وهل تعتقد ان توزيع السكان الزنوج بصورة أوسع خارج الجنوب سيكون شيئا طيبا ؟**

– نعم ســيكون ذلك طيبــا بالنســـبة للجنوب ، وحين ذاك سوف يفهم الشـــمال والشرق مشكلتنا ، بصورة أفضل

● **هل فتح الطريق أمام الاندماج الكامل فى التعليم ؟**

– لا أعتقد ذلك

● **لماذا يعارض الجنوب بهذه القوة الغاء التفرقة العنصرية فى المدارس العامة ؟**

– اننا نؤمن بأن الفصل بين الاجناس فى المدارس العامة افضل شىء بالنسبة لـكلا الجنسين

● **هل تعتقدون بوصـــفكم الحاكم انه سيأتى وقت تختفى فيه التفرقة العنصرية من ولاية المسيسيبى ؟**

– لا ياسيدى : اننى آمل الا يأتى هـــذا الوقت . هل تريد أن تعرف السبب ؟ لاننا نؤمن بتماسك كل جنس ونقائه ، وفى أى مكان حدث اندماج بدرجة كبيرة أو لفترة خطيرة كانت الحضارة تتصدع تصدعا تاما .

● **هل تعتقدون بذلك انكم تنظرون الى الزنوج على انهم أقل درجة ، وانكم تعتقدون ان الزواج بين البيض والسود يقـلل من مستوى الجنس الابيض ؟**

– نعم : وقد حدث ذلك فعلا ، والتاريخ يقول لنا أن هذا قد حدث فى أوقات كثيرة .

من كل هذا نرى ان الزنوج قوة حية من قوى الجنوب ، وان المســـئولين يرحبون برحيلهم ، ويأخذون بنظرية* نقاوة الجنس ، ويزيفون على التاريخ كثيرا من الحقائق ، بل ويتحاملون على الشمال والشرق لانه يتبنى هذه القضية الكبيرة التى تشغل العصر ، ويتعاطف معها .

كما نرى ان الزنوج لهم حياتهم الخاصة ، وان الفصل يكاد يكون تاما فى المطاعم والحدائق وحمامات السباحة ، وأن الزنوج اذا أرادوا أن يدخلوا المسارح فان ذلك محرم عليهم ، ما عدا بعض المسارح التى تخصص لهم « البلكونات » .

وفى الـــوقت نفســـــه نرى أن البيض الجنوبيين عازمون على معارضة مايخالف كل هذه الاراء ، وانهم مصممون على الاحتفاظ بسياسة التفرقة العنصرية « اننى لاأستطيع أن أذهب الى نيويورك واقول للناس مايجب أن يفعلوه ، اننى لاأعرف مشكلاتهم ، وهم لايعرفون مشاكلنا ، لقد اعتدنا أن نعيش مع هذه المشكلات فترة طويلة قبل ان نعرفها ، ولقد اعتدنا ان نعيش مع الزنجى ونعمل معه سنوات طويلة قبل ان نعرفه ، ان هؤلاء الذين هم فى الشمال لايعرفون ما يفعلون ، اننـا

نترك مشكلات الاخرين لهم يحلونها بأفضل طريقة ممكنة ، ونطلب الشيء نفسه لنا ! »

وحين نصل الى الفصل الخاص بعنوان « ماذا يـريد الزنوج الامريكيـون ؟ » نرى المؤلف يضعنا أمام « روى ويلكنز » السكرتير التنفيذى للرابطة الوطنية لتقدم الملونين ، ومن خلال اجاباته عن الاسئلة التى وجهت اليه ، نقف على حقـائق كثيرة ، منها : ان السياسة الان تعكس الاتجاه السـائد بين الزنوج اليوم ، وان هـذا الاتجاه يقوم على أساس التلهف والقلق بالنسبة للخطوات التى تتخذ ضد التفرقة

● أن هناك تيارا يتزعمه السودالمسلمون ويتلخص فى انهـم يريدون من الحكـومة الامريكيـة ان تعطيهـم ولايتين أو ثلاثا ، ويقيمون دولتهم الزنجية داخـل الولايات المتحدة

كما انهم يعتقدون ان مشكلاتهم لن تحل بسهولة ، وانه لابد من كثير من المصادمات لتصفية المتناقضات ، وان السود قد بدأوا يتحركون بنظام « المقاطعة » فاذا عرفنا ان « سوقهم » تقدر بنحـو ١٥ بليون دولار سنويا أدركنا قيمة هذه المقاطعـة ، ثم ان ما يريده السود يتحدد حين نراهم يعملون بصدق على ازالة الخط الذى يفصل بين الالوان ، لان هذا الخط يقيد حقوقهم كمـا يقيد الفرص المتاحة امامهم ، وهم لاينسون فى موقفهم هذا أن موقف الرئيس الراحل « كنيدى كان مشرفا من قضاياهم ، ويذكرون عنه انه فى صبيحة اليوم الثانى لتوليتـه استلفت نظره ان حرس السـواحل الذى مر من أمامه لم يكن فيه وجه أسود

ومن امتع الفصـول ذلك الفصـل الذى بعنوان « قصة الزنوج فى الولايات المتحدة كما تراها الصحافة الأمريكية ، ويعتبـر ما جاء فى « النيوزويك » مجمعا وملخصـا لعملية الاستفتاء التى قامت بهـا ، والتى انتهت الى هذه النتائج الحاسمة :

١ ـ ان الاحتجاج الزنجى يمثل ثورةبعيدة الغور واسعة النطاق ، يدين لها بالولاء معظم العناصر الزنجية ، بصرف النظر عن مواطنهم أو مراكزهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو أعمارهم اذ الكل فيه سواء ، أما زعماء الثورة فقوم متفاوتون فى الصراع دخلوا المعمعـة مختارين أو غير مختارين

٢ ـ ان للزنجى هدفا واحدا لايقبل أقل منه هو « وضع حد للتفرقة العنصرية بجميـع صورها .. فهو يطلب عملا أفضل وأجـرا أحسن ومنزلا أكثر راحة ، كما يطلب الانخراط فى سلك الرجل الابيض من حيث الجـوار والعمل والمأكل والمشرب والمبيت فى الفنادق والصلاة فى الكنائس ، وغير ذلك من الحقوق الانسـانية

٣ ـ ليست الثورة ضد العنصر الابيض بصفة عامة ، بل ضد الابيض المتغطرس

٤ ـ ان الزنجى المسيحى لايوافق عـلى مبدأ الانفصال الذى ينادى به الزنجى المسلم .

٥ ـ لايزال شعار الثورة عدم العنف ، وان كان ٢٠ ٪ من الزنوج يرون انه لامندوحة عن استخدامه اذا ما أريد للثورة النجاح التام

٦ ـ يوجـد حوالى ٦٠ ٪ يتمسـكون بقضيتهم ، ويرون ان هذه القضية لابد أن تكلل بالنجاح

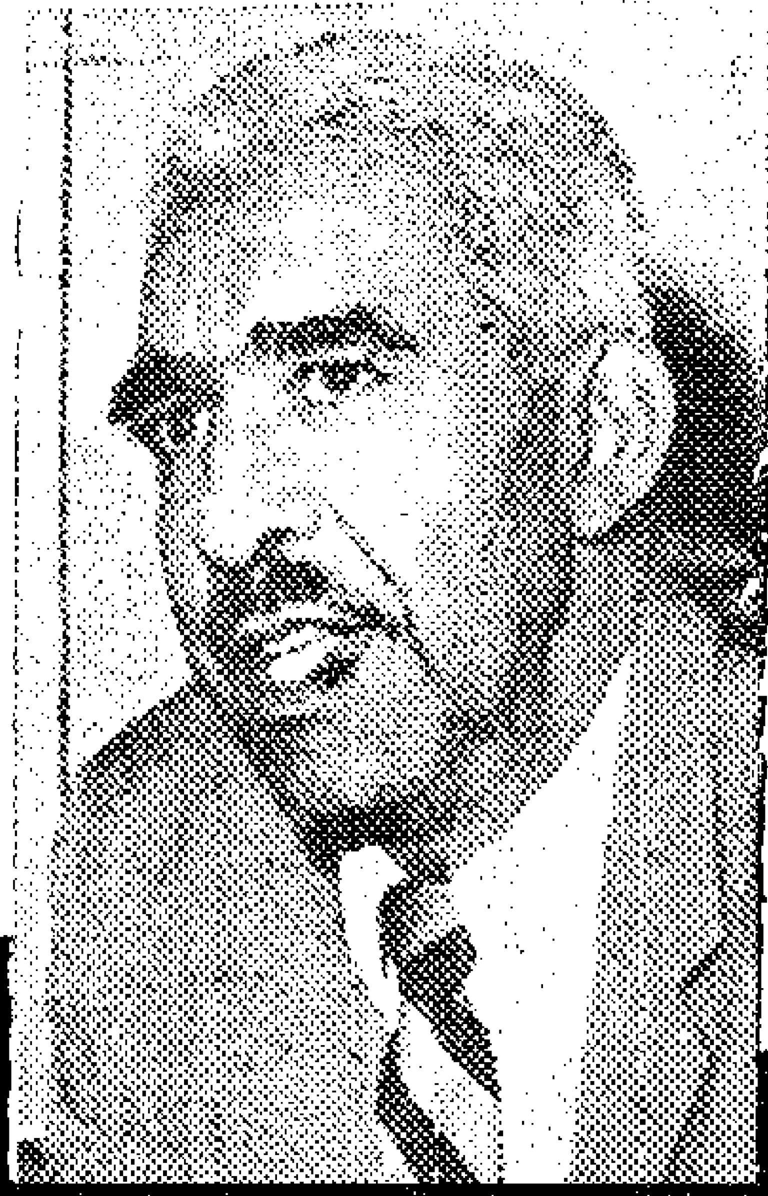
٧ ـ انهم لن يتخلوا عن الثورة ما لم تجب مطالبهم .

ولقد كان من المكاسب القريبة التى قاموا بها عملية الزحف على واشنطن فى يوم ٢٨ اغسطس عام ١٩٦٣ ، وتقديمهم وثيقة بحقوقهم الى الرئيس كنيدى ، وفى ضوء هذا نرى ان وجهة نظرهم واضحة كل الوضوح ، وقد كنا نحب من المؤلف ان يذكر لنا وجهة نظره فى هذه القضية ، وان يقدم لنا حلولا لهـذه القضية ، وان كنا لانعدم فى ثنايا الكتاب تعاطف المؤلف مع موقف السـود ، وتأثره بوجهة نظرهم ، ومما يزيد فى قيمة هـذا الكتاب عرضه للجوانب القانونية للمسألة ، وعدم الاخذ بالتعميم أو الانسـياق وراء العاطفة ، مما يمكن القول معه بأن هذا الكتاب قد أضاء كل جوانب المشكلة .

وهذا مايحمد للمؤلف .

« عبده بدوى »





ساعة مع الدكتور هنتون

بقلم خديجة قاسم

((ازدحمت الاقدام على افريقيا .. انجلترا فى الشرق والجنوب والوسط .. وألمانيا تلازمها فى كل بقعة .. وفرنسا تنتشر بين الشرق والغرب .. بلجيكا والبرتغال متناثرة فى مناطق مختلفة .. لم يعد هناك مكان لقدم .. وبدت القارة الافريقية مزدحمة غريبة على أبنائها .. وأصبح الافريقى غريبا فى موطنه .. وحيدا فى دياره)) .

هذه السطور وردت فى كتاب ((**افريقيا تقرر مصيرها**)) .. لمؤلفه الكاتب الزنجى الدكتور وليام الفيوس هنتون سكرتير عام الموسوعة الافريقية .. والذى نزل ضيفا على الجمهورية العربية المتحدة زار خلالها معالم نهضتنا .. والقى المحاضرات واجاب على الكثير من الاسئلة الخاصة بافريقيا .. والتى وجهت اليه كمفكر افريقى ..

وجلست اكثر من مرة استمع اليه ..

وهنتون من موالد سنة ١٩٠٣ فى ولاية جورجيا بأتلانتا .. حصل على الماجستير من هارفارد والدكتوراه فى الادب والتاريخ من أمريكا .. وعمل ١٧ عاما بالتدريس فى جامعة هاوارد ثم استقال ليتفرغ لمجلس الشئون الافريقية التى كانت تضم المفكرين والادباء والساسة الزنوج للعمل فى صفوف الافريقيين فى كفاحهم ضد الاستعمار فى افريقيا .. وهناك التقى بزميله فى العقيدة الدكتور ديبوا المفكر الزنجى الذى فقدته الاوساط الافريقية منذ شهور .. وكذلك التقى بالدكتور نكروما .. وآزيكو .. وغيرهم من قادة الفكر والثوار الافريقيين .. ولكن الظروف السياسية حالت من نشاط هذه الجمعية فكان مصيرها التجمد .. ثم التفكك .. فاتجه الدكتور هنتون الى الكتابة ليعبر عن آلامه المريرة تجاه التفرقة العنصرية .. والمشاكل التى يعانى منها الرجل الاسود .. فعمل بالصحافة فترة من الزمن لعله بذلك أراد أن يصل الى أعماق مواطنيه ويعبر عن احزانهم المكبوتة وألف كتابه الشهير ((افريقيا تقرر مصيرها)) وضع فيه عصارة آلامه وأفكاره وتجاربه .. وآراءه الشخصية تجاه الاستعمار .. والاستغلال فى بلاده .. وحلل نفسية الرجل الاسود والرجل الابيض ، وتحدث بالارقام عن كل شىء .. وظهر هذا الكتاب فى الوقت الذى كان يجتمع فيه رؤساء ٢٨ دولة افريقية .. فى أول مؤتمر افريقى يعقد فى القارة مؤتمر أكرا .. وكأنه بهذا أراد أن يكشف للزعماء حقيقة

افريقيا بلا رتوش .. مزودة بالادلة والبراهين .. والاحصائيات والارقام .. والوثائق .. ان افريقيا قارة ثرية ولا بد ان تعود الى أبنائها من جديد .. وحينما ضج هنتون بالحياة المملة فى أمريكا .. عاوده الحنين الى أرض أجداده ، وكان من أكثر المؤمنين بفكرة زميله ديبوا .. عودة الرجل الاسود الى موطنه الاصلى افريقيا .. فانتقل الى غينيا مع زوجته التى كانت تعمل مصممة للازياء ولكنها تركت هذه المهنة الى التدريس .. وبعد عامين رحلا الى اكرا .. والتحقا بديبوا وانضما اليه لتحقيق الحلم الجميل.. مشروع الموسوعة الافريقية التى وضع أساسه قبل وفاته ..

وسألت الاستاذ الجامعى السابق ..

● **الاسباب الرئيسية لرحلاتــه فى شرق وغرب وشمال افريقيا ..؟**

وبهدوء شديد أجاب :

ــ لبحث ميزانيــة الموسوعة .. ومدى امكانية الدول من المساهمة فى هذا المشروع الضخم لانه سيكلفنا ربع مليــون جنيه ، وستكون الطبعة الاولى على حسابنا الخاص فلا بد اذا من وجود الامكانيات المادية الى جانب الامكانيات الادبية الضخمة حتى نبدأ فعلا فى هذا العمل الكبير .. فلا داعى للثرثرة ووضع تخطيط شامل وليس هناك اعتماد لتحقيق ما نريد عمله .. ومن أجل هذا سأزور البلاد الافريقيــة وأقوم باتصــالات عديدة لبحث امكانية هذه الدول من المساهمة فى هذا المشروع .

● **ما المساعدة التى ستقدمها غانا لهــذا المشروع ، حيث أنها الآن مقر للسكرتارية ؟**

ــ وعدت بتقديم المساعدة المادية للجهــاز الفنى للسكرتارية الموجودة فى أكرا ..

● **ومتى سيبدأ العمل فيه ؟**

ــ حينما ننتهى من تحديد الامكانيــات والتحقق من وجودها فعلا ، لان المشروع يتطلب الى جانب المجهود الثقافى والادبى جــوانب مادية ضخمة لا بد من توافرها قبل البدء .

ثم قال الفيلسوف الزنجى ..

ــ لقــد ربطت المأساة شعوب القــارة الافريقية وخلقت منهم قوة ضخمة نستطيع به اليوم مواجهة أى عدو أمامنا .

وحدثنى عن تاريخ القارة العظيمة افريقيا وتكلم كأنه يسرد ذكريات حبيبة الى قلبه ..

ــ لقد ظهر فيه اكبر الحضارات .. ففى الشمال عاشت حضارات عربيــة اسلامية وفرعونية والجنوب ظهرت فيه الحضـارة الزنجية الاصيلة .. فتاريخ افريقيا القديم ملىء بالحضارات والمدنيات والامبراطوريات ، وتاريخه الحديث ملىء بالانفعالات والثورات من أجل التحرر والانسانية وتحقيق العدالة البشرية .. وتحطيم القيود التى تقف أمام حقوق الانسان .

وسألت المفكر الزنجى هنتون ..

● **ذكرت فى كتابك « ان افريقيـا دفعت ثمن الحرب العالمية الثانية .. ماذا تقصـد بهـذا ؟ » .**

وعادت الابتسامة تكسو وجهه الدقيق .. وبحماس شديد تحدث ..

ــ افريقيا عانت كثيرا من الشقاء والتمزق .. من أجل دول غريبة عنها .. لا ننسى أيضا أنها قارة غنية .. فقد كانت سببا فى ثراء دول لا حصر لها .. فصناعة المناجم بدأت فى جنوب افريقيا سنة ١٨٥٢ .. فكانت الحكومات ترسل يوميا ١٤٠٠ سجين لاستخراج الذهب والاحجار الكريمة ، وحوالى ٢٦٠٠ الى السكك الحديدية وآخرين الى المزارع للعمل فى خدمة الرجل الابيض وهكذا حتى استطاع هؤلاء من بناء أمجادهم على أكتافنا .. فمثلا استخرجت انجلترا من جنوب افريقيا وحدها أكثر من ١٨٧٤ طنا من الذهب ، وأكثر من ٤٠ طنا من الماس الى جانب الكميات الهائلة من الحديد والفحم والمنجنيز التى امتلأت بها المصانع فى بلدان أجنبية مختلفة .. فافريقيا كانت مصدر تعويض لهذه الديون التى أصيبت بها بعض الدول الكبرى .. لقــد خرج بعضها بديون فادحة ولدفع هذه الديون كان لا بد أن تستنزف خيرات الرجل الافريقى فى أرضه ووطنــه .. ان افريقيا عانت .. والشعوب لاقت .. واليوم لا بد أن تكون مرحلة تعويض لها ترد ممتلكاتها التى سلبت منها .. يجب أن تعمل من أجل افريقيــا

الجديدة فى المجـال السياسى والاقتصادى والثقافى .. فى جميع المجالات لنحميها من عيون الاجانب ونسترد حقوقنا التى اغتصبت منا .. نحن لا نطلب المستحيل ولكننا نطلب حقوقنا المعقولة .. نطالب بأرضنا فقط .

● **وفى المجال الثقافى ؟**

وتكلم الاستاذ الجامعى السابق ..

ـ لا بد من تشجيع التأليف والترجمة للادباء والكتاب الافريقيين .. اننا أغنياء أيضا بأدبائنا ومفكرينا فقد ظهر كبار الكتاب والشعراء فى نيجيريا .. وجنوب افريقيا والسنغال .. وغيره من دول القارة .. انهم يكتبون باللغات الانجليزية أو الفرنسية بدون تعصب .. ولكن روحها افريقية صميمة .. فيها انسانية ورقة .. وفيها آلام عميقة .. فيها انفعالات الرجل الغريب وشعور الانسان المعذب .. وحنين الطفل الوديع الى الوطن الام افريقيا ..

● **والادب الافريقى عموما ؟**

ـ عريق .. وغنى .. لا ينقصه سوى العناية والتوجيه ليصل الى كل دول العالم .. ويقرأه أكبر عدد ممكن من المهتمين بشئون القارة .. حتى يعلم الجميع أن افريقيا لا ينقصها أى شىء .. لدينا الموسيقى الشعبية النابعة من صميم حياتنا ولدينا كتابنا وصحافتنا .. واقتصادياتنا .. الخ . وليس أمامنا الآن الا أن نعمل بايمان وايجابية ..

وانتقل بنا الحديث عن الشباب .. وسألته :

● **ما هى فى رأيك محنة الشباب الافريقى فى هذا العصر ؟**

ـ التسرع أى عدم الصبر .. الذى ادى الى الاصطدام بين الحديث والقديم .. فالتطور السريع بهر شباب هذا الجيل وبدا له كل شىء سهلا .. وبسيطا ولكن سرعان ما يكتشف صعوبته فيصاب بنوع من اليأس الممزوج بالحيرة والتردد .. والتساؤل كيف كان آباؤه ؟ ؟ وعموما .. أقول ان شباب هذا الجيل مندفع .. ومدلل بالنسبة للاجيال السابقة .. لانه وجد فى ظروف سياسية أحسن ..

● **وسألته عن آخر انتاجه ..**

ـ ليس هناك وقت للتأليف .. لا يشغلنى شىء الآن سوى الموسوعة الافريقية .. وحينما ننتهى منها فى المستقبل سأواصل الكتابة عن افريقيا .. وسأبحث فى هذا المؤلف عن الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية فى القرن العشرين ..

وخلال زيارتى للحبشة سأعرض على منظمة الوحدة الافريقية اقتراحا بأن تتبنى اللجنة الثقافية المنبثقة من لجنة التسعة مشروع الموسوعة .. وسيكون هذا نجاحا كبيرا لنا وسيسهل لنا الامور .. فلدينا الآن أكبر الاساتذة المتخصصين فى الشئون الافريقية ..

وقبل أن أترك سكرتير عام الموسوعة سألته :

● هل ستعيش فى أكرا .. أم هناك مشروعات لتنتقل الى بلاد أخرى تعيش فيها ؟

ـ لا أفكر الآن فى الانتقال .. وسيان عندى اليوم أن أعيش فى القاهرة أو أكرا أو كوناكرى .. او لاجوى او غيرها .. لا يهمنى أن أنتقل من مكان الى آخر ما دمت أتنقل داخل افريقيا .. فكأننى أتنقل داخل غرف منزلى .. فافريقيا حبيبتى ووطنى . ومسكنى وكل قطر فيها جزء من نفسى وموطنى .

((خديجة قاسم))

تزاوج الفن الافريقي والفن الأوربى



للدكتور سعد المنصوري

الاصالة هى من أكثر خصائص الفن الافريقى وضوحا ، وهى من أهم مميزاته وخصائصه . والفنون الافريقية بوجه عام صريحة صادقة بعيدة عن الافتعال والتكلف ، وهى حرة منطلقة بسيطة بعيدة عن التعقيد . وقد كان ذلك من الاسباب التى من أجلها اهتم العالم الغربى بالفن الافريقى بأشكاله المختلفة من فنون تشكيلية أو تعبيرية فى أوائل هـذا القرن بعدما وصل الفن الغربى فى أواخر القرن الماضى الى كثير من الضعف والسطحية والى التكلف والتركيز على النواحى الصناعية فيه techniques على حساب المضمون الذى فقد العمق وطرافة الابتكار .

كان الفنان الغربى فى أواخر القرن التاسع عشر أمام أمرين فرضا عليه طبيعة فنـه وأسلوبه ، فقد كان عليه اما أن يخدم طبقة رأس المال الصاعدة بأن تمتد يده الي أساليب الصناعة من حيث أشكال منتجاتها ، وأن يترك بمستواه الفنى الى الحقل التجارى ، أو كان عليه أن يعيش منعزلا بعيدا عن مجتمعه فى « برج عاجى » بعدما اندثرت طبقة الاقطاع التى كان يقوم على خدمتها ، والتى لم تكن ترجو من الفنان غير أعمـال تزين جدران القصور لا تتسم بعمـق الموضوع أو صـور شخصية لاتتميز بغير المحاكاة الرخيصة . فلم يكن الفنان اذن راضيا عن عمله فى تلك الفترة التى كان يمر فيها الفن الغربى عامة بمحنة نتيجة لطبيعة الدوافـع التى أدت اليـه وللاغراض التى كان الفنان مضـطرا الى تحقيقها . وكذلك كانت استجابة المتذوق لعمله فاترة غير مشجعة .

ولقد اكتشفت فى نفس الفترة تقريبا فنون بدائية قديمة كان لها أكبر الاثر كذلك فى اثارة اهتمام فنانى ونقاد العالم الغربي بما أسموه





« بالفن الزنجى » لما يتميز به من خصائص يشترك فيها مع تلك الفنون البدائية القديمة .. خصائص كان يفتقدها الفن الغربى وقتئذ وفى أشد الحاجة اليها . ففى اسبانيا اكتشفت كهوف التاميرا Altamira عام ١٨٨٠ ثم عثر فى فرنسا بعد ذلك بسبعة عشر عاما على كهوف لاسكو Lascaux وعلى جدران هذه الكهوف أعمال تصوير أخذت من اهتمام نقاد العالم الغربى وفنانيه ما كان كافيا لان يوجه الفنان توجيها جديدا وأن يشجعه على الهرب من التقاليد الفنية البالية التى لم يكن يرضى عنها الفنان أو المتذوق حينذاك .

أدت محنة الفن الغربى وقتما اكتشفت تلك الكهوف الى البحث عن نمط فنى جديد يعتمد على البحث أكثر مما يعتمد على التقاليد الفنية الموروثة ، فذهب بعض فنانى القرن التاسع عشر بعيدا يستلهم فنون الشرق — كاليابانية والصينية — من أسباب الروح ما كان يفتقده عالمهم المادى الجديد ، وثار البعض الاخر على تقاليد اللون والشكل الاكاديمية فذهب بعيدا الى فنون افريقيا يعكف على دراستها والاقتباس منها باحثا عن قيم فنية جديدة وعن أساليب حرة مغايرة ، وكان من بين هؤلاء الفنانين كثيرون ممن اسموا أنفسهم « الوحشيين Fauves » و « التكعيبيين Cubisto »

وهكذا اهتم العالم الغربى فى تلك الفترة بالفن الافريقى على اختلاف أنواعه وبدأ تأثيره واضحا على فنون الغرب بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، فظهرت موسيقى « الجاز » التى تعتمد أساسا على « الايقاع » الذى تقوم عليه الموسيقى الافريقية ، وأقيم فى باريس عام ١٩١٩ أول معرض للنحت الافريقى فى أوروبا ، وظهر فى عام ١٩٢٠ بالذات بعض المؤلفات التى كشفت الكثير من نواحى الفنون الافريقية المختلفة بما ترتبط به من أساطير وعقائد وتقاليد وعادات . وظهرت فى نفس الوقت لبعض أساطين الفن الحديث أمثال بيكاسو وجوارجرى وكوكتو واندريه سالمون وغيرهم آراء تبحث فى الفن الافريقى لاتخفى أعجابهم به ،

بعدما أحسوا بما فيه من أصالةومن خصائص سمحت بالفن الغربى الى التطور وبثت فيه الكثير من الحياة .

ولم يهتم الفنان الغربى وحده بالفنون الافريقية ، بل قد اتخذه كثير من الباحثين وعلماء الاجتماع والاجناس كذلك وسيلة الى دراسة الحياة الافريقية وتاريخ الافريقيين دراسة انعكست اثارها على كثير من الفنون الحديثة بشكل واضح .

كذلك بدأت متاحف أوروبا تفسح مكانا للفن الافريقى وتعكس عليه الاضواء وتعتزبه، فاقتنت الكثير من الاعمال وبذلت الجهد والمال فى الحصول عليها . وتكالب الفنانون المعاصرون على شراء الاقنعة الزنجية ونجح بعضهم فى الاحتفاظ بكثير من أعمال الفن الافريقى واقام بها متحفا خاصا ينافس به غيره من الفنانين ، وكان من بينهم المصورون « الوحشيون » مثل هنرى ماتيس Henri Matisse واندريه ديران Andre Derain وقد أثر الفن الافريقى على أعمالهما تأثيرا نحسه فى كثير مما قاما به فى فترة معينة من حياتهما ، وكان من بينهم كذلك بعض الفنانين التكعيبين أمثال جورج Georges Brague وبيكاسو الذى كان له الفضل الاول فى قيام مدرسة فنية حديثة تبعه فيها كثير من الفنانين تقوم أساسا على دراسة الفن الافريقى والاستفادة بما يتميز به من خصائص .

وقد قامت فى ألمانيا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى حركة فنية تبحث فى فنون آسيا وافريقيا بعد ما كادت تموت بين أيدى فنانيها أساليب الفن الغربى التقليدى، فانكبوا على دراسة الفن الزنجي وفن الاطفال والفنون البدائية وبعض الفنون الشرقية القديمة بوجه عام . وكان من بينهم المصور فرانز مارك Frenz Merc الذى اقتفى أثر المصورين « الوحشيين » فاستفاد من الوانهم ومن اهتمامهم بالفنون البدائية ، ثم المصور التعبيزى كاندنسكى Kendinsky الروسى الاصل والذى تحمل أعماله نتيجة ابحاثه خصائص اللون والخط من الناحية النفسية والانفعالية ، وهى أبحاث أوحى بها الفن الافريقى فى تلك الفترة .

ولم تعد افريقيا بالنسبة لرجال الفكر والفن الغربى الحديث منذ عام ١٩١٤ القارة المظلمة ، بل كانت بالنسبة لهم مصدرا كبيرا للمعرفة ومعينا لاينضب يغترفون منه الخبرة والمعرفة والفن . فكان أول كتاب نشر فى علم الجمال خاصا بالنحت الافريقى هو ذلك البحث الشيق الذى أصدره كارل اينشتاين Carl Einstein عام ١٩١٥ تحت عنوان Negerplastik ولقد الهم هذا الكتاب الفنانين المحدثين الكثير من الاعمال الجديدة الهامة التى تقوم أساسا على دراستهم وتذوقهم للفنون الافريقية . اذ قد بين اينشتاين فى كتابه كيف يمكن للمثال الاوربى أن يجد الحل لمشكلة التعبير عن الكتلة والحجم من خلال دراسة النحت الافريقى ، وكان النحت الافريقى فى رأيه النحت الحقيقى الذى يجب أن يتجه اليه مثالو العصر الحديث وأن يعتبره المصدر الاول لالهامهم .

وأصبح للفن الافريقى منذ ذلك الوقت تاريخ يدرس ، يعنى بزمان ومكان الاعمال الفنية المختلفة وبصلتها المباشرة وغير المباشرة بحياة المجتمع الافريقى ، كما أصبحت له أصول جمالية تقوم على المعانى الرمزية التى تعكس النفس البشرية ، وهى تزداد عمقا عند الناقد أو الفنان الغربى كلما نظر اليه نظرة فنية خالصة بعيدة عن التعصب للون أو المدنيته الحديثة . اذ لم تصدق نظرة الناقد الاوربى الى الفن الافريقى عندما كان لايربط ما بينه وبين حياة الافريقيين وتقاليدهم وعقائدهم وعاداتهم .. كانت نظرة خاطئة لاتبحث فى الدافع الذى أملى على الفنان الغربى تلك الاعمال ولا فى الغرض الذى يهدف الى تحقيقه . وكان مثله فى ذلك مثل الناقد الذى يصدر حكمه على الفن الاسلامى دون أن يربط ما بينه وبين حياة المسلمين وعقيدتهم أو على الفنون المسيحية منعزلة عن مبادىء المسيحية ومثلها .

« البقية على ص ٩٠ »

القيم الجمالية في غانا



بقلم أنتوني كوبمان - ترجمة كمال عبد المجيد

يعتبر الجمال شيئا نسبيا ، حيث أن ما يرضى شعبا من الشعوب - عاطفيا وعقليا - فى فترة معينة من تاريخ هذا الشعب ، قد يكون مكروها فى فترة أخرى بالنسبة لنفس الشعب . وعند حديثنا عن الجمال لا يفوتنا أن نذكر القول السائد عن الجمال فى انه يمثل الجانب الايجابى فى قيم الشعوب .

والافكار السائدة عن الجمال - عموما - وعند أى شعب من الشعوب تتغير بتغير الاذواق العامة لهذا الشعب كنتيجة طبيعية ومنطقية لتطور هذا الشعب ومفاهيمه وكذلك كنتيجة حتمية لاحتكاك هذا الشعب بشعوب العالم الاخرى .

ويحفل التاريخ الثقافى للشعوب بأمثلة شتى للجمال المثالى ، فمثلا ، كانت نفرتيتى عند قدماء المصريين ، المثل الاعلى للجمال بأنفها المستقيم ورقبتها الطويلة ورأسها البيضاوى وعينيها الواسعتين العميقتين .

وعند البيزنطيين كان المثل الاعلى للجمال يتمثل فى المحارب المنتصر ، ولذلك كان الرجل الكامل فى نظرهم الذى يمثل الجمال المثالى هو ذلك الذى يتمتع بقوة العضلات ، وسبب ذلك هو اعتماد مثلهم الاعلى على فكرة خوفهم واحترامهم للآلهة ، ولذلك كان هذا الجمال الالهى ينعكس فى تعبدهم الواضح المؤكد لهذا الشعور فى فنون التحف وهندسة المعمار والرسم .

أما المثل الأعلى للجمال عند اليونانيين فكان يتمثل فى الرجل الكامل الذى تتشبع أخلاقه بالطيبة الكاملة ، كما كان اليونانيون أيضا

يعتقدون بأن الشيء يكون جميلا بقدر ارتباطه بكل ما يحيط بالانسان من حيوية .

وكان المثل الأعلى للجمال فى ايطاليا – فى عصر النهضة – يعتمد أساسا على النظرة الذهنية والعملية المثلة فى تمثال فينوس الذى ينظر الى أسفل خجلا من عريه .

كل هذه أمثلة لمقاييس الجمال التى نعضدها بعض الشعوب فى فترة من فترات تاريخها .

أما غانا ، فلها تجاربها الخاصة بنواحى الجمال وقيمه فى حياةشعبها ،وهى – كمعظم شعوب العالم – غالبا ما تعتمد مقاييس الجمال فيها على بعض الرموز والدوافع الاساسية .

ولكن الشعب الغانى – على عكس الشعوب الاخرى – لديه رغبة عميقة لتوضيح المعانى الفلسفية العميقة التى ترتبط بهذه الرموز المستعملة وكذلك نجد عند الغانيين رغبة الربط بين الجنس والرمز المستعمل ، وهم يقصرون بعض هذه الرموز على الذكروالبعض الاخر على الانثى .

واذا حاولت البحث والتوفيق فى التخطيط الغانى التقليدى للجمال فلن تجد شيئاقبيحا أو جميلا الا اذا كان هذا الشيء يرتبط فى مظهره بأحد الرموز المذكرة أو المؤنثة . ورموز الذكورة فى غانا هى : الدائرة والمربع والاعداد الزوجية والقمر فى تمامه والنجم ذو الزوايا الاربع ، أما رموز الانوثة فهى : المثلث والشكل البيضاوى والاعداد الفردية والهلال والامواج والنجم ذو الزوايا الخمس .

ويعتبر الغانيون الجمال فى الدين مذكرا ، ولذا فجميع أشكال الجمال فى هذا الميدان يرمزون اليها ، بالمربع والدائرة ، اماالجمال بالنسبة للدولة أو المجتمع فيتطلب وجود كلا الرمزين : المذكر والمؤنث ليكون جمالا كاملا .

وترمز اليد اليمنى فى القيم الجمالية الغانيةالى الذكورة بينما تجد أن اليداليسرى تدل على الانوثة . وينظر الغانيون الىجمال العقل على أنه شيء مذكر ويرمزون اليه براسين أو أكثر متصل بعضهما ببعض ، كما يرمزون الى جمال المأوى أو الحماية برمز مذكر .

من هذه العجالة يتبين لنا أن فكرةالجمال فى غانا ترتبط بمقاييس الجمال فى الشكل الانسانى ، ونعتبر هذه الفكرة عالمية ، لانها ترتبط فى غانا لاول وهلة ، بملامح الانسان والرموز الرئيسية المتصلة به .

جمال التكوين الانسانى فى غانا :

هناك رموز معينة ومحددة تعبر عن جمال الشكل الانسانى ، فكل جزء من أجزاءالجسم ينظر اليه بالنسبة للدائرة أو الشكل البيضاوى ، فحينما ينظر الى الجسم من أحد الجوانب (البروفيل) أو من الامام يجب أن يبدو شكل الرأس والرقبة من أعلى الرأس حتى نهاية الذقن كالبيضة بحيث يكون الجزء المتسع العريض الى أعلى ، وحينما ينظر اليه من (البروفيل) فيجب أن يكون وضع الرأس على الرقبة بزاوية قدرها (٣٥) درجة بحيث تكون القمة متجهة الى الخلف لان اتجاه الرأس الى الخلف يؤثر فى عين الناظر – بحيث لو طبقت مقاييس المنظور عليه – لبدا هذا الجزء الاعلى من الوجه أكثر اتساعا ، الامر الذى يعطى منظرا أكبر وأكثر اتساعا لو نظر الى الرأس من أمام . وربما كانت هذه الفكرة هى التى حاول النحات التقليدى فى غانا اظهارها فى الدمية المؤنثة التى تمثل الخصب فى غانا والتى يطلقون عليها اسم (أنوبا) .

ويتضح ذلك فى وصف الغانيين للوجه الجميل بقولهم « ان له وجها جميلا يزداد عرضا كما تفعل المرآة » .

وهم يعتقدون أن العنق المجعد يجب أن يكون بيضاويا فى استطالته بحيث يتجه الجزء الاصغر منه ناحية الرأس ، كما يجب أن يكون عدد التجاعيد الموجودة عليه فرديا ليبدو كامل الجمال .

وكذلك يرون أن التمثال النصفى ، الذى يبدأ من الكتف وينتهى عند الوسط ، يجب أن يكون بيضاوى الشكل بحيث يكون الجزء الاكبر منه ناحية الرقبة . وفى التماثيل الكاملة يؤمن النحات الغانى بأنه يجب أن

يبدو الفخذان من الخصر حتى الركبة فى شكل البيضة بحيث يكون الجزء المتسع ناحية الخصر . وربما كانت هذه النظرة الجمالية هى السبب الذى يجعل الغانيين من الرجال يفضلون الافخاذ والارداف المتلئة فى النساء .

ويسرى هذا الاعتقاد بين الغانيين حتى بعد تخرجهم من المدارس والمعاهد العليا والجامعات وحصولهم على قسط وافر من التعليم يعرفون منه أن المثل الاعلى للجمال عند الغربيين يمثل فى الشكل المستقيم . وربما كان هذا هو الدافع الذى يجعل الغانيين يطوحون بأردافهم — عن قصد أو دون قصد — أثناء سيرهم ، لكى يظهروا جمال تكوينهم .

ولهذا فان مما يلفت النظر فى غانا ، أن ترى سيدات غانا المتعلمات ، عند خروجهن من الكنيسة ، يبذلن مجهودا كبيرا لتحريك أردافهن أثناء سيرهن لكى يظهرن جمال تكوينهن ، ويساعدهن على اظهار حركة أردافهن ، ما يرتدينه من الملابس الغربية الضيقة .

ولذلك ، فلكى تكون المرأة جميلة فى المفهوم الغانى ، يجب أن تكون سيقانها بيضاوية الشكل بحيث يكون الجزء المتسع ناحية الركبة والجزء الضيق فى اتجاه الفخذين ، وحينما يضم القدمان الى بعضهما فيجب أن يكونا شكلا بيضاويا بحيث يكون الجزء المتسع ناحية القدمين .

وهناك عادة غانية شائعة لا تخلو من طرافة نذكرها فى هذا المجال : تقوم الام فى غانا — منذ الطفولة — بربط حبات من الخرز عند المفاصل الرئيسية لوليدها : عند قاعدة الرقبة والخصر ، ومفصل الكوع ، والرسغ ، وتحت الركبتين وعند الكعبين ، وهى تحرص على هذا أشد الحرص اذا كان المولود أنثى ، حيث أن الغانيين يرون أنه من الضرورى للانثى أن تنشأ فى منظر جميل ، أما بالنسبة للرجل فالجمال ليس ضروريا ، وعند ما تبدأ الام فى الباس الطفل ملابسه بعد الحمام ، تضع البودرة على المفاصل التى أحاطت بها حبات الخرز .

وهذه المجهودات والاحتياطات لا شعورية ، الدافع الوحيد عليها هو الرغبة فى أن تنمو عضلات الطفل وأجزاء جسمه المختلفة بطريقة سليمة ومباشرة لكى يتمتع بعد ذلك — حين ينمو — بالجسم اللائق والمنظر الجميل الذى يتناسب وقيم الجمال الشائعة فى غانا . وهذا يذكرنا بعادة أخرى مشابهة وشائعة فى بلاد الشرق الاقصى ، فى الصين واليابان ، حين تربط الام قدمى الانثى بعد ولادتها فى لفافات ضيقة لكى تمنع قدميها من النمو ، حتى تبدو جميلة بعد ذلك ، اذ أن جمال المرأة اليابانية والصينية يعتمد هناك أساسا على صغر قدميها .

أما بالنسبة لبقية أجزاء الجسم التى تضم الحواس والاعضاء التناسلية ، والتى تبعد عن فهم الانسان العادى ، فيعتبرها الغانيون أجزاء مقدسة وتوصف بأنها (دائرية) . فالاجزاء التى تحيط بالخصر والتى تقع فى المنطقة بين الخصر وأسفل العجز يجب أن تكون مستديرة ليتوفر لها شرط الجمال . وكذلك الوجه لا يكون جميلا الا اذا كان دائريا .

ولا يقتصر الجمال فى غانا على الشكل الانسانى بل أنه يبدو ممثلا فى كثير من نواحى الحياة بالرغم من أنه يبدو فى البداية مرتبطا بشكل الانسان . فهو يبدو فى قيم الناس الاجتماعية ، والعادات المفضلة ، وكل ما يؤدى الى النظام والتوازن والسلام فى المجتمع ، وكذلك هنالك عنصر جمالى فى الفضيلة ومدى ايمان الناس بها ، وكذلك فى حتمية الواجب وفى العادات بشكل عام وكيفية تطبيقها .

وانه من الضرورى أن تقدم بعض الصور التى توضح الى أى حد يوجد الجمال فى هذه النواحى من الحياة الغانية ، ولكن ... فليكن ذلك فى حديث آخر .. فالى اللقاء .

((كامل عبد المجيد))



للشاعر محمد التهامى

مارد الادغال ألقى قمقمه ... افتحوا الباب والا حطمه
لا تظنوا الامن فى جدرانكم ... ان تصدى لجدار هدمه
لا تطيلوا القول فى تضليلكم ... لم تعد أرضى بلادا منظمه
لم تعد دار الاساطير التى ... صغتموها والاحاجى المبهمه
لم تعد فيها ظلال تختفى ... فى حناياها الايادى المجرمه
حقنا والله قد حلله ... فى حمانا وعليكم حرمه
همسة الحق لدى افريقيا ... قد تعالت ثم صارت همهمه
ثم غطت كل صوت حولها ... حين ضجت واستحالت دمدمه

وانبرى العملاق من أعماقها   يملأ الانذار للدنيا فمه
لم تعد افريقيا الدار التى   يبتغى الافاق فيها مغنمه
مات الاستعمار فى انحائها   واقمنا فى حماها مأتمه
والذى نلقاه من ضجاته   تلك رقصات الذبيح المؤله
والصراع المر من غيلانه   صحوة الموت الذى لن يرحمه
حربنا ندرى قصارى أمرها   وقصارى أمرها ان نهزمه
جونا يلقى شواظا فوقه   وثرانا ظامىء يبغى دمه
والجبال الشم فى أوطاننا   تستحث الصخر حتى يرجمه
والروابى ان جرى فيها دم   من دمانا أوشكت أن تلثمه
دفنا فى حماها بطلا   اننا فيها غرسنا جمجمه
تنبت الالاف من أمثاله   والثرى فى أرضنا ما أكرمه
نحن أهل الدار والامر الذى   نحن أولى وحدنا أن نحسمه
نحن أهل الحق فى افريقيا   لم تعد آفريقيا بعد أمه
انها الحرة من لم يرضها   فعلينا وحدنا ان نرغمه

* * *

قصة الكونغو وما أعجبها   سرها قد فاتنا أن نفهمه
حين قيل الذئب يرعى حملا   يا لذئب زهده قد كممه
فانخدعنا وتركنا أمرنا   واسألوا العالم عما قدمه
سالح العاصين فى أوكارهم   واجتبى العصيان حتى نظمه
ورأى الخلف قليلا بينهم   فاحتفى بالخلف حتى جسمه
ورأى الظلم ضئيلا قاصرا   فاعتنى بالظلم حتى عممه
عاد الاستعمار فى أوطانهم   مستعينا بالذى قد حرمه

* * *

أيها الطافين ردوا نابكم   جرحكم فينا عرفنا بلسمه
اننا نحمى حمانا وحدنا   وحدة تسعى صفوفنا محكمه
ولدينا ناصر يسعى بنا   فى انطلاق من خطاه الملهمه

● من ديوان (من اجل بلدى) تحت الطبع

شاعران من السنغال

بقلم على شلش

كانت السنغال هى الفريسة الثانية بعد الجزائر فى تاريخ الاستعمار الفرنسى فى افريقيا ، اذ ضمتها فرنسا الى ممتلكاتها فى عام ١٨٤٨ ، وهى بذلك تعد أقدم أجزاء الرقعة الفسيحة التى كانت تعرف باسم « افريقية السوداء الفرنسية » من ناحية ارتباطها بفرنسا .. ذلك الارتباط العضوى الذى حققته فرنسا بتطبيقها لسياسة « التذويب » المشهورة . وقد كان من جراء هذه السياسة التى مارستها فرنسا بتمامها أن فرضت اللغة والثقافة الفرنسيتين على مواطنى السنغال الذين يصل عددهم اليوم الى نحو مليونين ونصف المليون نسمة . كما عملت فرنسا من الناحية الاخرى على استئصال كل أثر للحضارة واللون الافريقيين ، وضحت بكل القيم والمبادىء فى سبيل التغرير بالانسان الافريقى كى ينسى أرضه وقومه .

ورغم ذلك كله لم يكن من السهل على فرنسا أن تقتل الروح الافريقية فى الانسان السنغالى الى الابد . فقد قاوم أبناء السنغال سياسة فرنسا ، وتمكنت طلائع الشباب السنغالى التى وفدت الى باريس فى أعقاب الحرب الاولى للتزود بالثقافة والعلم من الالتفاف والاتحاد تحت راية المطلب القومى الافريقى ، وضرورة العمل على تحرير السنغال بل وتحرير افريقيا كلها .

وقد برز من بين هذه الطلائع نفر من الشباب السنغالى المثقف اتخذ الكلمة سلاحا للوعى بالمأساة والحض على الثورة ، وكان على رأس هذا النفر ليوبولد سيدار سنغور الذى تفتحت أكمام شاعريته فى باريس ، حيث كان يتلقى العلم مع زملائه من أبناء جزر الهند الغربية والبحر الكاريبى . وما لبث هذا النفر أن جذب الانظار الى شعره الذى كتب باللغة الفرنسية ، على النحو الذى أشرنا اليه عند الحديث عن سنغور شاعرا فى العدد الماضى .

غير أن سنغور لم يكن الشاعر الوحيد فى السنغال . وذلك لان السنغال ، من جهة ، غنية بالتراث الشعبى الذى يبدعه ويؤديه قصاصون وشعراء متجولون Gviots بمصاحبة بعض الآلات الموسيقية الوطنية مثل الطبلة و « الخالام » Khalam وهى نوع من القيثار ذى ثلاثة أوتار . كما أنها ، من جهة أخرى ، قد عرفت اللغة الفرنسية ، التى أتقنها أبناؤها ، وأبدع بها شعراؤها شعرا لا يقل عما أبدعه الفرنسيون أنفسهم . والحق أنه اذا ذكر سنغور كوجه للحركة

الشـعرية فى بلاده التى يرأس جمهوريتها ، فانه لا بد أن يذكر معه اثنان آخران ، شاركاه ونال شـعرهما قدرا كبيرا من الاعجـاب والتقدير .

وترجع أهاية هذين الشـاعرين الى أنهما مثلا ــ بالاشتراك مع سنغور ــ النزعة الزنجية Négvitude التى ظهرت فى فترة ما بين الحربين ، ولبثت تشكل الاطار العام للشعر المكتوب بالفرنسية فى غرب افريقيا الى عهد قريب . وهما يشتركان فى الوقت نفسه فى لقب واحد هو « ديوب » ، وان اختلفا بعض الشىء فى الفكر والاداء .

بيراجو ديوب

أولهما هو الشـاعر بيراجو ديوب ، وقد ولد بالعاصمة « داكارا فى عام ١٩٠٦ ، أى فى العام الذى ولد فيه سنغور نفسه . ودرس بالمدارس الفرنسـية المحليـة ثم تخصص فى الجـراحة البيطرية ، وقضى معظم حياته فى فولتا العليـا يطبب الحيـوانات ويداوى جروحها . ويعتبر بيراجو شاعرا مقل الانتاج ، لكنه يتمتع بمكانة مرموقة بين شعراء بلده ، وله ثلاثة دواوين فقط هى :

- حكايات أمادو كومبا (١٩٤٧)
- حكايات جديدة لأمادو كومبا (١٩٥٨)
- هم والغرور (١٩٦٠)

والديوانان الأولان ــ كمـا هو واضح من عنوانيهما ــ من الشـعر القصصى ، وهو لون من الشعر ينظمه ويؤديه الشعراء الشعبيون فى السنغال ، وتدور موضـوعاته حول تاريخ القبائل وحروبها وأنسابها وأخبارها . بل ان أماد كومبـا الذى يتردد اسـمه على غلاف الديوانين وفى تضاعيفهما شخصية حقيقيـة لقصاص شعبى متجول ، عرفه بيراجو ديوب وأعجب بحكاياته ، فصاغهـا فى الديوانين شـعرا فرنسى اللغـة افـريقى الاخيلة والاحاسيس والموضوعات . وقد صوره بيراجو فى صورة الطبيب الذى يداوى بالكلمة والنغم أمراض الناس الاجتماعية والعاطفية عن طريق ما يبثه فيهم من نصائح وتعـاليم ، ترددها عجوز ذات شـعر طويل متهدل على كتفيها بلون القطن . ودورها فى الحكاية قريب من دور أبى الفتح الاسكندرى فى مقامات بديع الزمان ، وأبى زيد السروجى فى مقـامات الحريرى ، مع اختلاف الزمان والمكان . والحق أن بيراجو كان من أوائل الشعراء الافريقيين ــ الذين يكتبون بلغات أوربا ــ الحاحا على التراث الشعبى واستخداما لأخيلته وحيله الفنية .

أما ديوانه الثالث فهو سـياحة منوعة فى حياة بلاده وتاريخها . ذلك لانه مفتون بهذه الحياة ، مستغرق فيها الى حد الذوبان .. تلك الحياة التى تثير الشجن والأسى ، وتشده الى أعماقها ، وتصرخ فى أذنيه شاكية مبحوحة الصـوت . ونمثل له هنا بقصيدة من أرق وأعذب شعره ، يصـور فيها مأسـاة بلاده وقارته الكبيرة ، وهى بعنوان « خيلاء » :

لو أننا قلنا كل ما سينبغى أن نقوله
فى يوم من الأيام ،
لو أننا قلنا ذلك برقة ، برقة
فمن ذا اذن تراه يسمع أصواتنا
دون أن يضحك ،
من ذا حقا سوف يسمع
أصوات الشحاذين الحزينة الشاكية ؟
دون أن يضحك ؟

فبيراجو ديوب فى قصيدته هذه التى تبعث الشجن انما يجسد روح السلف التى قهرها المستعمرون وهم لا يحسـبون أنه سـيجىء عليهم يوم يصرخون فيه فلا تسـمع صرخاتهم ولا « أصواتهم النكراء » .. ان بيراجو هنـا ــ كما فى كل شعره تقريبا ــ يحتضن القارة بأسرها ، ويحرس ذكراها ، ويزهو بانتسابه لها . أما الانسان لديه فهو انسان العـالم أجمع : جنسه مجرد صفة تلحق به ، وروحه ممتدة فى وجوده وفى عدمه على السواء .

دافيد ديوب

أما الشاعر الثانى دافيد ديوب ، وقـد ولد بمدينة بوردو فى عام ١٩٢٧ لابسنغالى وأم كاميرونية . وتنقل منذ طفولته بين فرنسا وغرب أفريقيا ، لكنه ظل طوال حياته القصيرة معتل الصـحة ، نزيل المستشفيات الى ان قتل فى حادث سقوط طائرة فى عام ١٩٦٠ . وقدمه سنغور فى مجموعته المعروفة ، ولكنه

لم يخلف سوى مجموعة شعرية واحدة صدرت فى عام١٩٥٦ ، تحت عنوان : «ضربات هاون »

وقد كفانا دافيد بعنوانه هذا مؤنةالبحث عن خلاصة لشاعريته الثائرة ، اذ لخص شعره فىقوله «ضربات هاون » وقدملدارسيه الفارقالحاسم الذى يميزه عن زميليه سنغور وبيراجو ديوب اللذين يقترب شعرهما من ضربات الطبول بايقاعها البطىء والسريععلى السواء . أما هو فيضرب بعنف ضربات يد الهاون وجلجلتها .. موضوعه الاكبر هو أفريقيا الام ومأساتها ، تلك الام التى يراها فى كل شيء ، حتى فى الغرام والغزل .

ولقد فتح عينيه على كارثة الاستعمارالتى هيجت شاعريته وأحاسيسه . ولعل أحدا من شعراء الفرنسية الافريقيين لم يكتب بالحرارة والثورية التى كتب بها دافيد ديوب ، والتى أذهلت نقاد فرنساومثقفيها ، لدرجة ان جان بول سارتر لم يجد امامه سوى التسليم بأصالة هذه الثورية حين قال : « ليس هناك ثمة شك فى ان السود هم أهم العناصر التى تهتف بالشعر الثورى فى القرن العشرين » .

يصور دافيد مأساة السيطرة الاستعمارية فى القارة ، فيقول ببساطة وحرارة تفضح الاستعماريين :

قتل الرجل الابيض أبى
وكان أبى مزهوا بنفسه
وغرر الرجل الابيض بأمى
وكانت أمى جميلة
وأحرق الرجل الابيض أخى
فى رائعة النهار
وكان أخى قويا
وتحول الرجل الابيض الى
وقال بصوت الغازى :
هاى . أيها الولد !
« اليك مقعدا ومروحة وشرابا ! »

وفى قصيدة أخرى بعنوان « المارق » طرح دافيد قضية الخيانة والنسلاخ بنى جلدتهعن قومهم وارتمائهم فى أحضان البيض ..

وبهذه القدرة على لم خيوط التجربة الشعرية وصهرها فى مرجل الوعى بالمأساة كتب دافيد ديوبكل شعره ، الذى أنضجته المرارة والشجن ، بل ان هذا الحس العنيف بأمة أفريقيا وصورتها المسيطرة عليه قد طبع شعره بطابع الكفاح وما يلف حوله من صلابة وشجن ومرارة . وهو فى كل شعره تقريبا يبحث عن صورة افريقيا الاصلية قبل ان يدهمها الاستعمار ويدنس صفاءها ، وحين يحاول اكتشافها نجده كمن يبحث عنفردوس مفقود .. حتى فى غزله وتجاربه العاطفية كما قلنا .

عود الى الزنجية

وأحسب بعد هذا العرض الموجز لانتاج الشاعرين السنغاليين أن نعود الى قضية « الزنجية » التى تبناها الشاعران وحملا لواءها . ذلك لانهما — بالاشتراك معسنغور أو بعيد بالقارة الافريقية فى ماضيهاوحاضرها، وحاولا أن يعيدا للزنوج الافريقيين مجدهم الغابر وثقتهم الضائعة بالنفس ، وكذلك حاولا أن يفتحا امام اخوانهم ومواطنيهم كل مغاليق العالم الذى يعيشون فيه حتى يمكن لهم المساهمة فى بنائه وتشكيله . غير انه من الضرورىان نقرر هنا ان الزنجية علىمايبدو من معناها الظاهر قد اوحت للكثيرين فكرة العنصرية ، بمعنى انها عنصرية جديدةتقف جنبا الىجنب مع النزعات العنصريةوالعرقية المعروفة ، وهذا ما قامت الزنجية كفكرة — لا كلفظ مجرد — لدحضه ومحاربته . وليس أبلغ مما قال سارتر عنها حين ترد فى تقديمه لمنتخبات سنغور ان الزنجية هى صوت لحظة تاريخية من نوع خاص وانها سجلت انطلاق الجنس الاسود فى التعبيرعن ثورته على السيطرة البيضاء . ومن المعلوم أن عصرها الذهبى فى الشعر الافريقى كان ابان العقد الخامس وأوائل السادس منهذا القرن . أما بعد ذلك فقد تحول التاريخ فى صف أفريقيا ، ولم تعد هناك ثمة حاجة الى التغنى بأمجاد الماضى مجردة بقدر مادعت الحاجة — فى هذا العصر التحررى الذى تمر به افريقيا — الى التفكير فى بناء الحاضر الذى خربته الايدى العابثة فى الماضى ، والى التطلع للمستقبل والتغنى بمآثره .

« على شلش »

التعريف بالصومال



بقلم محمود متولى

— ٢ —

النظام النقدى والمصرفى :

١ — العملة : — وحدة التعامل النقدى هى الصومالو وذلك بعد أن ألغى « جنيه شرق افريقيا » ويعادل الشلن الانجليزى والجنيه الانجليزى يعادل ٢٠ صومالو والجنيه المصرى يعادل ٢٠ر٥١ صومالو وكذلك نلاحظ ان ٢٠ صومالو = ٢ر٨٠ دولار أمريكى .

ويصدر الصومالو فى عملات من ١ ، ٥ ، ١٠ ، ٥٠ سنت ، ١ صومالو وأوراق تبدأ من ٥ ، ١٠ ، ٢٠ ، ١٠٠ صومالو .

٢ — البنوك : — يوجد ٤ بنوك فى الاقليم الجنوبى أولها البنك الاهلى الصومالى وقد أصبح الان البنك المركزى « وهو فى الاصل صندوق تداول العملة الصومالية وقد تحول بعد انتهاء الوصاية الى بنك وطنى » وهذا البنك يشرف على البنوك التجارية وله حق اصدار النقد ويمثل السلطة التنفيذية العليا فى الصومال وبالاضافة الى ذلك البنك يوجد بنك Credito فى مقديشيو ويقوم هذا البنك بدور هام فى الاقتصاد الوطنى حيث له ٨ وكالات فرعية بجميع خدمات البنوك وله ادارات للتسليف ولاغراض البناء والزراعة والصناعات الحرفية وهذا البنك فى تعامله يتعامل باسم الحكومة لذا فهو موضوع تحت اشرافها وتوجد فروع لبنك نابلى وبنك روما فى مقديشيو وفى كبسمايو وميركا وقد افتتح عام ١٩٦١ فرع لبنك بور سعيد المصرى فى مقديشيو . اما بالنسبة للاقليم الشمالى فيوجد بنك

National Overseas Erindlays Bank.

وله فرعان فى هرجيسه وبربرة وسيفتح قريبا فرع للبنك الاهلى الصومالى .

القروض والاستثمارات الأجنبية :

يهتم الصومال بالحصول على القروض بعد حصوله على الاستقلال وذلك لتمويل مشروعات التنمية ومشروعات الخطة وأهم ما يميز هذه القروض انها ثلاثة أنواع قصيرة الاجل اى مدتها لاتتجاوز السنة الواحدة ومتوسطة الاجل اى من سنة الى سبع سنوات وطويلة الاجل اى أكثر من سبع سنوات وهناك قانون يحمى الأموال الاجنبية المستثمرة فى الصومال . ولكل من بريطانيا وايطاليا أموال ضخمة تستثمرها فى تكوين الشركات المشتركة وفى البحث عن الثروات المعدنية خاصة البترول كذلك بدأت المانيا والولايات المتحدة تقدمان تسهيلات ائتمانية ضخمة .

والضرائب :

تتكون الضرائب الحالية من رسوم الوارد ورسوم الصادر ورسوم الصادر ورسوم

استخراج البترول وعوائد المنازل وضريبة الارباح التجارية الى جانب رسوم استخراج المعادن ويمكن تقسيم الضرائب الى الاتى :

١ ــ ضرائب مباشرة وتشمل الضرائب على الدخل وهى شخصية وضرائب على رءوس الحيوانات وحصيلة هذه الضرائب المباشرة تقــدر بنحو ٩ ملايين صومالو ســنويا فى المتوسط والضريبة على الدخل تشــمل الضرائب على التجارة والصناعة وعلى المهن كما تشمل الضرائب على كسب العمل .

٢ ــ ضرائب غير مباشرة وتشمل الضرائب على الخدمات والضرائب الجمركية وكذلك الضرائب الاضافية على المصانع والســلع الاستهلاكية كالمشروبات الروحية والســكر والتبغ والــكبريت والعربات والحيــوانات والضرائب الجمركية تشمل الرسوم المقررة على الواردات والرسوم المقررة على الصادرات والرسوم المقررة على المحلات .

٣ ــ ضرائب البــلدية وهذه تفرضــــها المجالس البلدية .

٣ ــ القطاع الزراعى :

الزراعــة فى الصــومال بدائيـــة وذلك

١ ــ اعتمادها على الامطار اعتمادا كليـــا واختلاف كميات الامطار من عام لاخر تعوق امكان زراعة الارض طبقا لحاجة البلاد وانما طبقا لمنسوب وكمية الامطار .

٢ ــ هبوط مستوى كفاية المشـــــتغلين بالزراعة .

٣ ــ عدم وجود الات زراعيـــة حديثة واستخدام الادوات البــــدائية فى الحرث والجنى والزراعة .

٤ ــ عدم وجود مشروعات رى دائمة .

ومن الملاحظ أن من يعملون فى الزراعــة الى جانب عملهم هذا يقومون بالاعتماد على الرعى على انه يجب ان ندرك ان الصومال كقطر زراعى أرض بكر خصبة من الممكن ان يكون لها مستقبل ضخم لو علمنا أن مياه نهر جــوبا وشبيلى تعطى الصومال فائضا كثيرا هــذا الى جانب ضخامة المساحة القابلة للزراعة فهناك حــوالى ١٧٫١٣٨٫٠٠٠ هكتار أراضى بور دلت احصائيات الامم المتحدة على أنه بالامكان زراعة حوالى ٨ ملايين هكتار منها ١/٢ ١ هكتار فى أحواض نهــرى شبيلى وجوبا .

١ ــ نظام حيازة الاراضى :

تستغل جميع الاراضى وتعتبر ملكا مشاعا للجميع عملا بالمبدأ القــائل أن الارض ملك للخالق وحده هذا بالنسبة للاقليم الشمالى أما بالنسبة للاقليم الجنوبى فتستغل كل قبيلة مساحة من الارض تحــددها بعلامات مميزة وتعتبر أرض القبيلة ملكا مشاعا بين أفرادها ويشترك الجميع فى استغلال مراعيها ومواردها المائية وتنظم القبيلة طرق استغلال وصيانة ابار وأحواض الميـــاه الواقعة فى أراضيها وتفرض غرامات على مخالف هذا النظام . ولكن أيضا يجب أن نعــرف انه توجد ملكية خاصة فى الاقليم الجنوبى فيملك أفراد قبائل الرعاة الاراضى الزراعية التى يقومون بزراعتها هذا وقــد منحت الادارة الايطالية بعض الايطاليين والشركات الايطالية امتيازات فى مساحات من الارض بغــرض استغلالها بلغت فى مجموعها حوالى ٧٠ ألف هكتار كذلك يمتلك بعض العرب مســاحات صغيرة نسبيا وتقوم الشركات بزراعة جزء من أراضى الامتياز كما تقوم بتأجير جــزء اخر للصوماليين ويكون الايجار نقدا أو عينا أو كليهما . وتعتبر الاراضى الزراعيـــة فى الصومال فقيرة فى المادة العضوية وفى عناصر الازوت وأحيانا البوتاس كما يتعرض بعضها للنحت والتعرية بفعل الرياح والمياه ولاسيما فى الاراضى الجبلية فى الاقليم الشمالى .

٢ ــ المشكلات الزراعية التى تواجه الصومال :

يعترض التقدم الزراعى فى الصومال عدة مشكلات رئيسية اجتماعية وفنية نســـوقها فيما يلى :

١ ــ عدم استغلال الامكانيات الزراعيـــة الحالية اذ لا يزال توجد مساحات كبيرة لم

تستغل بعد من الاراضى القابلة للزراعةوذلك رغم امكان زراعة جزء كبير منها على المياه المتاحة حاليا من نهرى شبيلى وجوبا والتى لايستغل الا القليل منها حتى الان فى رى ١٠٠ الف هكتار اضافيا يقع معظمها على نهر شبيلى .

٢ ـ الزراع بحاجة الى وعى وتدريبحيث أنهم لازالوا جهلة بطرق الزراعة الصحيحة ومازالوا يستعملون الادوات البدائية وبمعنى اخر يجب ادخال الالية فى الزراعة والاهتمام بغلة الفدان

٣ ـ يفتقر الصومال الى وجود جهاز فنى متكامل للقيام بالبحث والارشاد والتعليم وتنفيذ القوانين الزراعية والحيوانية

٤ ـ مازال كثير من الرعاة بحكم التقاليد الموروثة يأنفون منالزراعة ويحتقرونها كمهنة كما لايزال الكثير منهم ينظر الى الحيوانات الزراعية كمظهر من مظاهر الحياة اكثر منها كمصدر من مصادر الانتاج ولاشك اناستقرار الرعاة عن طريق توفير المياه اللازمة لسقى الحيوانات بدق أو حفر الابار مما يساعد كثيرا على التخلص من هذه التقاليد الموروثة

وفيما يلى نسوق أهم المقترحات اللازمة لحل مشاكل الزراعة فى الصومال والعملعلى أن تصبح من اهم القطاعات الانتاجية منأجل مستقبل افضل ورخاء دائم للصوماليين :

١ ـ يجب تكوين شركات زراعية لاستغلال الاراضى التى لم تستغل حتى الان

٢ ـ استخدام السماد لزيادة انتاجية الارض واصلاح التربة

٣ ـ وضع نظام محكم للاشراف علىزراعة المحاصيل الهامة كالقطن

٤ ـ حفر بعض الترع وشق القنوات واقامة الجسور والسدود والخزانات على نهر شبيللى وجوبا وفى هذه الحالة ستضمن البلاد موردا دائما من المياه للزراعة . ثانيا ستضمن نجاتها من السيول .

٥ ـ الاهتمام بحيوانات الحقل والاهتمام بتمرين الموظفين الحقليين

٦ ـ الاهتمام بوجود طبقة فنية زراعية عن طريق انشاء مدارس زراعية فنية عالية ومتوسطة

٧ ـ ارسال البعوث الى الدولالصديقة للاشتراك فى البحوث فى حل مشاكل بلادهم

٨ ـ انشاء محطة تجارب زراعية لاختيار اصناف المحاصيل المختلفة

٩ ـ ادخال الالية على نظام الزراعةوانشاء مزارع ارشادية للمزارعين وتقديم الخدمات لهم .

١٠ ـ التوسع فى الائتمان الزراعىواقامة بنوك تسليف زراعية وادخال التعاون فى المجال الزراعى ليقوم بدوره بمد الفلاح بالبذور والسمادوالارشاد والتوجيهومساعدته فى التسويق

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ان الحكومة الصومالية تبذل الجهد الكبير منأجل القضاء على التخلف فى الانتاج الزراعى حيث تم فى عام ١٩٥٤/١٩٦٠ وضع اول مشروع اقتصادى بناءا على توصية من لجنة الوصاية الدولية لمدة سبع سنوات لانعاش اقتصادياتالصومال وقد اعتمد المشروع علىالزراعة كعنصر رئيسى فى تنمية الدخل وانشاء الصناعات المختلفة وزيادة الصادرات الى الخارج للحصول على عملات صعبة فى تمويل المشروعات الصناعية وشراء الالات وينص المشروع على بناء صوامع للغلال وشق ترع ومصارف وحفر ابار ارتوازية وفى عام ١٩٥٧ تم شق قنواتللرى وحفر احواض لخزن المياه وانشاء مرافق لتخزين الحبوب ومراكز للزراعة الالية وحفر ابار عديدة .

ولاشك ان الصومال بعد حصوله على الاستقلال سيبدا عهدا جديدا من النشاط والاهتمام بجميع قطاعات الانتاج خاصة الزراعة .

اهم المحاصيل الزراعية :

١ ـ اللبان (اللامى)

يسمى بالجمهورية العربية اللبانومعروف بالصومال باسم Maidi وهذا الصنف

هو نوع من الاصماغ فى الجمهورية الصومالية وينتج الصومال نحو ٦٠٪ من محصول العالم ومنطقة زراعته فى الشمال الشرقى من الصومال . وهناك اللبان الذكر وهو يختلف عن النزاع السابق لان هذا النوع يستعمل فى الادوية ومطلوب فى امريكا واوربا ولايستعمل فى المضغ مثل الصنف السابق وينتج الصومال نحو ٧٥٪ من محصول العالم . ويصدر الصومال محصول اللبان جميعه الى الخارج

٢ ـ الموز

يعتبر محصول الموز المصدر الاول للانتاج الزراعى فى الاقليم الجنوبى لذا سيطر الاستعمار على اقتصاديات البلاد عن طريق احتكار انتاج وتسويق الموز وتبلغ قيمة المصدر من الموز بما تزيد عن ضعف قيمة الصادرات الاخرى وتقوم شركتان ايطاليتان بجميع الاعمال الخاصة بانتاج وتسويق الموز وتعمل الشركة الاولى فى ميناء ميركا والثانية بميناء

الاقليم	اغنام وماعز	ماشية (ابقار)	جمال
الشمالى	١٠٫٠٠٠٫٠٠٠	٢٥٠٫٠٠٠	٣٫٠٠٠٫٠٠٠
الجنوبى	٣٫٦٤٣٫٠٠٠	٨٤٢٫٠٠٠	١٫٣٠٠٫٠٠٠
المجموع	١٣٫٦٤٣٫٠٠٠	١٫٠٩٢٫٠٠٠	٤٫٣٠٠٫٠٠٠

الثروة المعدنية :

الصومال غنى جدا بمعادنه ولكن المستعمر لم يحاول ان يستغل هذه المعادن الابما يفيده وقد سبق له ان استغل مناجم للكبريت والقصدير والملاحات .الا ان هذا الاستغلال توقف بعد الحرب ، ولقد اعلنت شركة سنكلر الامريكية والتى تقوم بالبحث عن البترول فى جوبا السفلى انها اكتشفت زيت البترول ولم يتبين بعد مدى امكانيات استغلال البترول المكتشف على اننا لا ننسى شيئا هاما وهو ان صوماليا صحراء واسعة هذا الى جانب انها اصلا صخور قديمة فلابد انها تحتوى على كثير من المعادن فيوجد احتياطى ضخم من الحديد فى الجنوب ويوجد جبس فى الشمال وكولومبيت ولكن لم يستغل شيئا حتى الان وقد اكتشف فى الصومال حديثا الملح والصفيح والنيكل والرصاص التى نامل ان تهتم بالبحث عنها حكومة الصومال خاصة بعد الاستقلال الذى حصلت عليه .

القوى المائية :

مما لايحتمل الشك ان القوى المائية لها اهميتها كوقود للصناعة ولكن لسوء حظ الصومال ان مواردها المائية التى قد تتخذ كوقود للصناعة ضعيفة للغاية ونلاحظ ان انتاج الكهرباء لذلك ذو سعر مرتفع حيث انه لاتوجد مساقط للمياه على الانهار الموجودة بالصومال ولكن من الممكن التوسع فى اقامة مشروعات لخزن المياه وتوليد الكهرباء من نهر شبيلى وجوبا خاصة وقت الفيضانات المرتفعة السيول

اهم الصناعات فى الصومال :

لاتوجد بالصومال صناعات هامة وانما توجد صناعات تغذى السوق المحلية . وتتركز الصناعة فى الاقليم الجنوبى بالذات حيث يعمل فى الصناعة حوالى ٥ الاف عامل صومالى ٢٠٠ عامل اوروبى واهم هذه الصناعات

١ ـ **صناعة حفظ اللحوم :** يوجد مصنعين لحفظ اللحوم وتعبئتها فى علب من الصفيح واول هذه المصانع يوجد فى مدينة مقديشيو اسمه I.N.C.A. اما المصنع الثانى فيوجد بمدينة ميركا واسمه Inalse

٢ ـ صناعة حفظ الالبان ومنتجاتها يوجد مصنع حديث كامل المعدات لانتاج انواع من الجبن الامريكى والزبدة .

٣ ـ **صناعة تعليب السمك وحفظة** يوجد على طوال المنطقة الساحلية الشمالية والشرقية للاقليم الجنوبى مصنعين لتعبئة

الاسماك المحفوظة وخصوصا النوع المعروف بالتونة .

٤ ـ **صناعة الكحول** يقوم مصنع السكر في الاقليم الجنوبي من الصومال على شركة عن صناعة القصب لانتاج الكحول ويكفي انتاج هذا المصنع الاستهلاك المحلي ويوجد لديه فائض يستطيع تصديره للخارج ويضطر مصنع السكر الى الغاء فائض المولاس فىالنهر لعدم استطاعت الاستفادة به فى وجوه اخرى

٥ ـ **صناعة السكر** بدات صناعة السكر في الاقليم الجنوبي من الصومال على شركة S.A.I.S. الايطالية اولى المصانع فى جهة « جوهر » وهى منطقة زراعة قصب السكر بالصومال وتعتبر صناعة السكر مع ضيق نطاقها من اهم الصناعات القائمة فىالصومال وينتظر لها تقدما فى السنوات المقبلة وتباع كسمايو كما تقوم شركة ثالثة حكومية بايطاليا لاستلام الموز وتوزيعه باسواقها

٣ ـ **القطن**

محصول القطن الصومالى قليل وهو من انواع متوسطة التيلة وطويلة التيلة ويصدر المحصول جميعه الى ايطاليا بعد حلجه فى محالج متفرقة وصغيرة

٤ ـ **قصب السكر**

يزرع فى منطقة جوهر ويستغل كل المحصول فى انتاج السكر للاستهلاك المحلى

وهناك محاصيل اخرى لا تقل اهمية من المحاصيل السابقة ولكنها لاتزرع بقصد التصدير الخارجي بل بقصد الاستهلاك المحلى مثل الذرة الرفيعة بانواعها والذرة الشامية والخضروات خاصة ان زراعتها بجوار المدن سوق الاستهلاك الوحيد لها . وهناك بعض الحمضيات واللوز والمانجو ويوجد ايضا الصمغ العربى على انه يوجد محصولان هامان هما :

١ ـ الفول السودانى وبدىء الاهتمام بزراعته واستعدادا لتصدير زيته وتصديره

٦ ـ السمسم وعليه طلب كبير من الاسواق الاوربية الا ان انتاجه بصورة كبيرة لم يبدا حتى الان .

الثروة الخشبية :

تبلغ مساحات الاراضى التى تغطيها الغابات فى الصومال حوالى ١٤٫٠٤٠٫٠٠٠ هكتار ولاشك انها مساحة ضخمة وتقسع معظمها جنوب نهر جوبا ويكثر بها الوحوش الضارية وتوجد فى الشمال الشرقى اشجار اللبان والصومال حتى الان لم تقم باستغلال اخشابها على انه من المنتظر بعد حصوله على الاستقلال الاهتمام بالثروة الغابية وخاصة وان نوع الاخشاب لا باس به ومع انه لايصل فى جودته الى بقية الغابات الافريقية الا انه من الممكن استغلاله والانتفاع به .

الثروة السمكية :

رغم ان للصومال سواحل كبيرة على خليج عدن وعلى البحر والمحيط الا ان استغلال الثروة السمكية ضعيفا جدا . اذ يتخذ بعض الاهالى صيد السمك حرفة لهم وتباع هذه الاسماك فى اسواق عدن ومياه الصومال للاسف الشديد تستغلها اساطيل كثير من الدول الاوربية حيث تاتى للصيد فيها ولذا كان اهم واجبات الحكومة الحالية الاهتمام بالثروة السمكية سواء للتصدير اوالاستهلاك المحلى ومياه الصومال غنية بالتونة والسلمون والسردين .

الثروة الحيوانية :

اهم الحرف فى الصومال هى حرفة الرعى وتشترك الزراعة مع الرعى فى تكوين حوالى ٨٠٪ من الدخل القومى حيث تعتبر الثروة الحيوانية هى العمود الفقرى للهيكل الاقتصادى للصومال ويقوم حوالى ٤٣٪ من السكان بحرفة الرعى المتنقل كما يقوم حوالى ٢٨٪ بحرفة الرعى الى جانب استقرارهم للزراعة ويهتم الصوماليون اهتماما كبيرا بالحيوانات التى يرعونها وترعى الاغنام والماعز فى جميع انحاء الاقليم بينما ترعى الجمال فى الجزء الشرقى والجنوب الشرقى . والماشية حيث تتوفر المياه وفيما يلى صورة احصائية لما عليه الثروة الحيوانية فى الصومال :

على انه رغم تلك الثروة الضخمة فان انتاج الحيوانات دون المعدل المرغوب وذلك لعدم

ادخال تحسينات على سلالاتها ولاجهادها من التنقل من مكان الى اخر بحثا على الكلا والماء ولاصابتها بكثير من الامراض ولذا من الواجب الاهتمام بالثروة الحيوانية وخاصة لاهميتها للاقتصاد الصومالى بتوفير الوحدات البيطرية بالعمل على اقامة مراعى مستقرة وبتحسين السلالة .

ثانيا ـ القطاع الصناعى :

الصومال كاى دولة افريقية اخرى ظل الاستعمار جاثما فوق صدرها فترة طويلة يستغل مواردها الطبيعية والبشرية ولذا من المتوقع الا نجد اى نشاط صناعى يعتد به ويمكن الاعتماد عليه وانما الموجود حاليا هو بعض الصناعات الاستهلاكية ولكن من المنتظر بعد حصول الصومال على الاستقلال وبعد عمل خطة التنمية القومية ان يخطو الصومال خطوات واسعة نحد التصنيع الانتاجى ونحو اقامة اقتصاد صناعى سليم

المساحة المنزرعة بالقصب لكل موسم حوالى ٢٠٠٠ هكتار «الهكتار حوالى ٢ ونصف فدان» ويعمل بالمصنع حوالى ٤٠٠ عامل اثناء موسم العصير ، ٢٥٠ عاملا اثناء موسم الصيانة وطاقة المصنع حوالى ٥٠٠ طن قصب يوميا وينتج حوالى ١٢٠٠٠ طن من السكر سنويا ويكفى انتاج هذا المصنع معظم الاقليم الجنوبى ويجب ان نعلم ان اهل الجنوب يحبـــون السكر الخام على السكر المكرر ناصع البياض بينما يفضل اهالى الشمالى السكر المكـرر المستورد من الخارج

٦ ـ **انتاج الكهرباء :** يقتصر على المدن الرئيسية ويكاد يكفى الاستهلاك العـــادى فقط كما ان سعر التيار الكهربائى مرتفع حيث تبلغ قيمة الكيلو وات للاغراض الاستهلاكية نحو ٢ر١ صومالو « حوالى ٦ قروش مصرى» وللاغراض الصناعية ١ر١ صومالو .

٧ ـ **صناعة جمع الجلود** يوجد بالصومال خمس شركات اجنبية لتصدير الجلول الخام وتعمل هذه الشركات على جمع الجلود اما بشرائها من المجازر راسا او من التجار الذين يقومون بتوريد جلود الحيوانات المذبوحة خارج المجازر وتقوم هذه الشركات بتنظيف الجلود وتجفيفها وفرزها كل نوع على حدة وتدريجها تبعا للوزن والنوع والجودة واعدادها للتصدير بجمعها فى بالات ونظرا لعدم وجود اشتراكات خاصة بمواصفات الجلود فان عملية الاعداد من الاهمية بمكان اذ ليس لهذه الشركة من الخبرة الكافية فى تدريج الجلد واعداده للتصدير تبعا لجودته

والى جانب هذه الصناعات التى تعتبر نسبيا هامة وكبيرة فانه توجد صناعات اخرى صغيرة معظمها بدائى كصناعة الثلج ـ حليج الاقطان ـ عصر الزيوت ـ تجفيف وتمليح الاسماك ـ النسيج اليدوى

ولما كانت هذه الصناعات صغيرة ومتفرقة بحيث لا يمكن ان تعتبر نواة لحركة تصنيع فى البلاد لذا فانه من الضرورى استخلاص العناصر الرئيسية التى يمكن على ضـــوئها تحديد الخطوط العامة فى الصومال

امكانيات التصنيع فى الصومال :

الصومال كارض عذراء تحتوى على كثير من العناصر التى تؤهلها لتكون دولة صناعية لهـــا دخل قومى كبير ناتج من الصناعة فيوجد بها :

١ ـ **الخامات :** فالخامات الزراعية يمكن استخدامها فى الصناعة حيث يزرع حاليا فى الصومال من المحاصيل التى يمكن استخدامها فى الصناعة كالقطن وقصب الســكر وبعض الحبوب الزيتية ومن الممكن استغلال اخشاب الغابات فى اقامة صناعات كثيرة ناجحة ، هذا الى جانب ان الثروة السمكية لا باس بهـا حيث ان الصومال له سواحل طويلة على خليج عدن والمحيط الهندى . وهنـــاك الثروة الحيوانية التى يمكن استغلالها فى صناعات حفظ اللحوم ـ الصوف ـ دبغ الجلود . هذا الى جانب انه من المؤكد وجود معادن فى ارض الصومال * وكل هذه الاشياء تؤهل لقيام صناعة ضخمة فى الصومال .

٢ ـ الايدى العاملة : تفتقر الصومال الى العمال المهرة بصفة عامة وذلك بسببين : أولا أنه لا توجد مراكز للتدريب أو مدارس صناعية

لتخريج هذا النوع من العمال وثانيا لأن الصناعة القائمة فى الصومال لا تساعد على خلق هذا الجيل من العمال المهرة وهذا ينطبق أيضا على رؤساء العمال .

٣ ــ الخبرة الفنية : لوحظ ان الخبرة الفنية الموجودة فى الصومال وان كانت على مستوى غير عال الا أنها جميعا اجنبية علاوة على عدم وجود معاهد لتخريج الفنيين كما أن بعثات الصوماليين الى البلاد الاجنبية لا تكاد تشمل فنيين .

٤ ــ الوقود : ــ تستورد الصومال حاليا كل احتياجاتها من المواد البترولية وان كان يوجد بعض الفحم النباتى ولكنه لا يصلح كوقود للصناعة .

٥ ــ المواصلات : ــ ان تعقد المواصلات فى الداخل وعدم الاهتمام يعوق استغلال الثروة ولكل ذلك ومن اجل دفع عجلة التقدم لصالح الشعب الصومالى يجب القضاء على العقبات التى تواجه حركة التصنيع ولذا نوصى بالآتى : ــ

١ ــ انشاء بعض المشروعات لسد حاجة الاستهلاك المحلى وزيادة امكانيات التصدير لمنتجات الثروة الحيوانية .

٢ ــ يحسن البدء باقامة مصنع للنسيج على أن تستورد الخيوط اللازمة من الخارج لحين استنباط الانواع المناسبة من الاقطان ونجاح زراعتها محليا .

٣ ــ يمكن انشاء مصنع جديد للسكر لانتاج نحو ١٣ الى ١٥ ألف طن سكر سنويا ويمكن أن يقام هذا المصنع فى الجهات التى تصلح لزراعة قصب السكر وتتوافر فيها المياه اللازمة .

٤ ــ يمكن اقامة مجزر لذبح الحيوانات تلحق به ثلاجة لتبريد اللحوم تمهيدا لتصديرها كما يمكن أيضا اقامة مصنع للحوم المحفوظة للاستفادة من أجزاء الحيوانات التى لا تصدر ويرتبط هذا المشروع بامكانيات التصدير الى الاسواق الخارجية .

٥ ــ مدبغة للجلود ويقترح اقامة مدبغة للجلود بالطرق الحديثة لتصديرها للخارج .

٦ ــ لا بد من دراسة احتياجات الصومال فى بعض الصناعات الاخرى مثل صناعة بعض مواد البناء وصناعة التجارة والأثاث وصناعة عصر الزيوت .

٧ ــ يجب اعداد الفنيين والعمال اللازمين لحركة التصنيع .

٨ ــ يجب دراسة امكانيات الصومال من ناحية الثروة المعدنية دراسة واعية وذلك بعمل أبحاث جيولوجية لمعرفة هذه الثروة ومدى امكانيات الاستفادة من هذه الثروة .

٩ ــ يجب العمل على توفير العملات الصعبة لاستيراد السلع الانتاجية .

١٠ ــ يجب الاهتمام بالتعليم الفنى واستيراد كل ما يمكن استيراده من المصانع التى تسد حاجة الاستهلاك المحلى أولا ثم تصدر ما يفيض ثانيا .

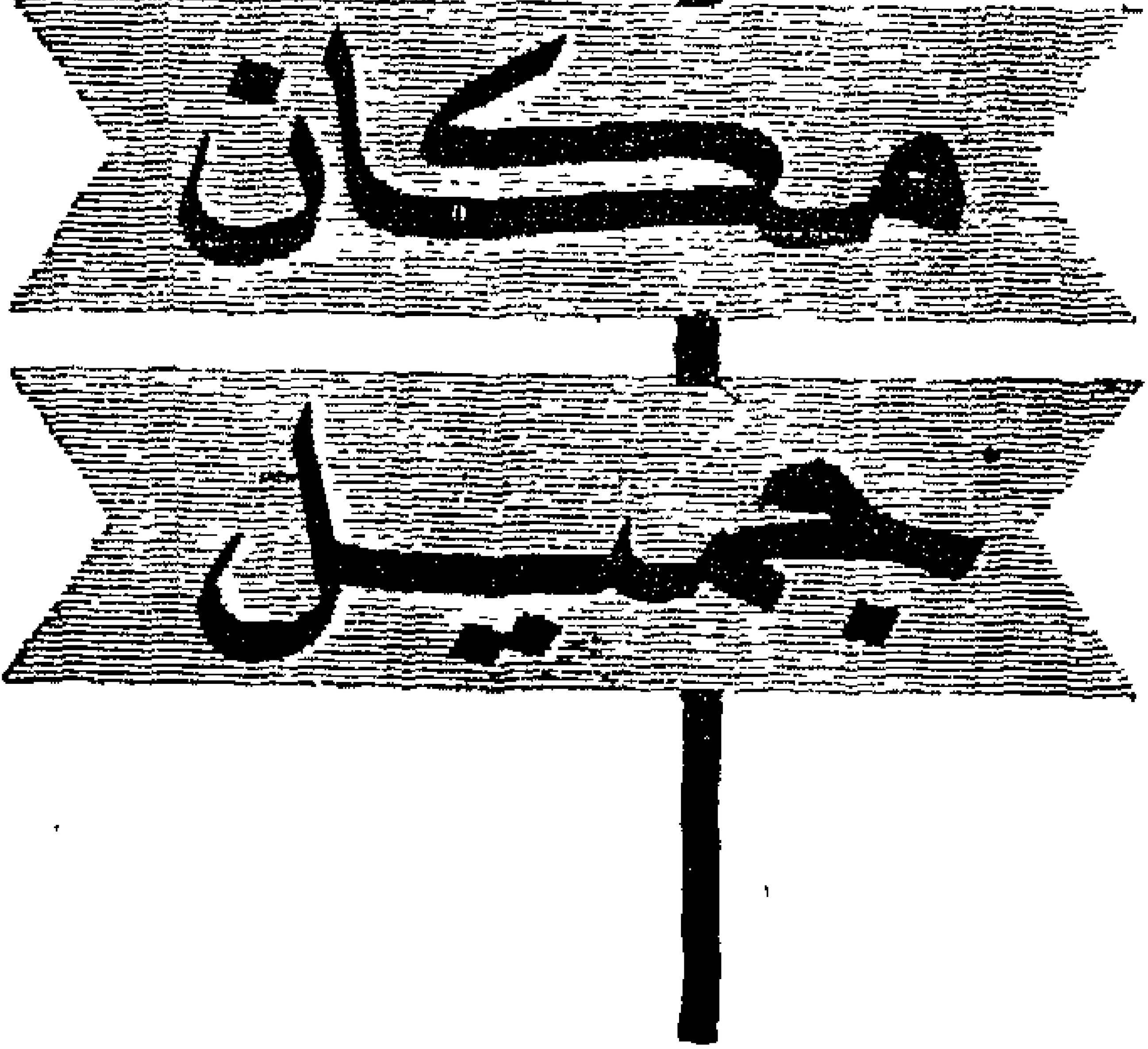
بهذا تستطيع الصومال أن تحقق لنفسها نهضة صناعية رائعة فى التصنيع وتضمن لشعبها الرخاء .

٣

ثالثا : ــ القطاع التجارى : ــ

أولا : ــ التجارة الداخلية

التجارة الداخلية لا تعرف النقود كوسيلة للتعامل خاصة بين القبائل وبعضها الا أن المدن لا زالت فى حاجة الى تخطيط للتجارة الداخلية ولا شك أن وسيلة المواصلات كعامل رئيس فى نمو وازدهار حركة التجارة الداخلية يجعل الصومال عاجزا ومن ثم تجد التجارة طريقها الى موانى التصدير بصعوبة لقلة المواصلات كما أنها تأخذ طريقها الى الداخل بصعوبة أيضا وتعتمد القبائل فى معاملاتها على مبدأ المقايضة والمبادلة ولا شك أن سوق الصومال الداخلية هامة اذا نظرنا الى مايمكن ان يستهلكه سكان تعدادهم ٢ر٣ مليون نسمة . وتقوم الهنود والباكستانيين بدور الوسطاء فى الداخل وهم يربحون كثيرا من ذلك الا أن أساليب التسويق الداخلية خاصة للمحاصيل الكبيرة المعدة للتصدير تتم عن طريق الشركات الكبيرة لا الأفراد ويمارس بعض أفراد الجالية العربية التجارة أيضا كحرفة لهم . ومن المنتظر للتجارة الداخلية فى الصومال مستقبل كبير لو اهتمت الدولة بالمواصلات .



الجنة مكان جميل



بقلم الكاتب الغانى : أدولف اجبادجا
ترجمة : الدكتور أنيس فهمى

ولد أدولف اجبادجا فى ١٩٢٨ فى مدينة دزودزى فى توجولاند حيث كان والده يشتغل ملاحظا للطرق وأمه تشتغل بالتجارة .

وقد أذاع له راديو غانا ثمانى عشرة قصة من أهمها هذه القصة التى ننشرها اليوم .

سمعت صوت الواعظ وهو يقول : « الجنة مكان جميل ، الجنة مكان عظيم ، الجنة مكان مريح . كل من يصل الى الجنة سيتمتع بما لم تسمع به اذن ولم تره عين وما لا يمكن أن يقارن بالاشياء العملية والمادية والمرئية التى نراها فى حياتنا هذه » .

ان المنازل الفخمة والعمارات الشاهقة ، وقصور الملوك والملكات الباذخة والكاتدرائيات الضخمة الجميلة ، والقباب ، والمسارح وجميع المبانى الجذابة على هذه الارض ليست الا تقليدا زائفا للمساكن العلوية فى السماء !

أن التصفيق ، وشرب الانخاب والهتافات والحفلات التذكارية واليوبيلات التى نشترك فيها على هذه الارض ليست الا نماذج ناقصة للتعبير عن عظمة الامجاد السماوية !

أما السيارات الفخمة ، (ومن بينها سيارات ستوديبيكر أويل ، زفير ، جاجوار) ، والاوتوبيسات الفارهة المضيئة ، والقطارات الكهربائية والبخارية ، والطائرات ذات الازيز ، والهيلوكبترات ، كل هذه الاشياء بعظمتها ما هى الا اختراعات صناعية مأخوذة من العالم الروحى .. عالم السماء !

وبمجرد أن يدخل الانسان الجنة أو يصل الى عتبتها ، ينظر فى الحال الى هذه الاشياء المادية والاختراعات الانسانية كشىء تافه لا يزيد فى قيمته عن حبات الرمال .

وكل ملبوساتنا ومفروشاتنا الثمينة الجميلة ليست الا الاوراق المتساقطة على

الارض من قمة شـــجرة الحياة الموجودة فى الجنة !

ومعبودو الانســـان ومعبوداته من الذهب والمـــاس والمنجنيز واليورانيوم التى يسرف الانسان فى تقدير قيمتها لا تخرج عن كونهـا قطرات ورواسب وفضـــلات تطردها الارواح الملائكية .

وكل انواع الفرح والمسرات التى نمارسها أحيانا وننغمس بأنفسنا فيها ليست الابقايا الافراح السماوية المستمرة فى كل الازمان .

أن الذى يقضى يوما واحدا فى الجنـــة ، ويمتع نفســـه بأفراحها الخالدة ، وعطـرها النفاذ ، وموسيقاها الشجية ، ليلعن ويحتقر الف سنة من المسرات الارضية .

وكل شخص ، صغيرا أو كبيرا ، غنيا أو فقيرا ، متعلما أو جاهلا ، طويلا أو قصـيرا يجب عليه أن يحـــارب بلا انقطاع من الان فصاعدا ليحصل على التذكرة أو جوازالسفر أو الشـــهادات التى تؤهله للوصـــــول الى الجنة . وليباركنا الله جميعا .. آمين .

لقد هزتنى كلمات الواعظ وأوصافهالرائعة التى تفوق العقل ، هزتنى من شعر رأسىالى أخمص قدمى بينما كنت استمع اليه بـكل ما فى طاقتى من يقظة وانتباه . لقد دفعتنى التعريفات والاوصاف التى ذكرها فى موعظته الى التفكير بجنون فى كيفية الوصـــــول الى الجنـــــة فى أقصر وقت ممكن لكى اتمكن من المشاهدة والتمتع بالاشياء المباركة الجميلة التى قال الواعظ انها تدور فى الجنة بصفة مستمرة وبدون انقطاع . لذلك جعلت همى الاول الوصول الى الجنـــــة فى أقرب وقت ممكن . وعندما عدت الى منزلى فى شـــارع لابادى توجهت الى والدى قائلا : بابا . . بابا .. أريد أن أسألك بعض الاسئلة :

ــ نعم .. كوفى .. اسأل ما تريد .

ــ (خائفا) حسن .. هــل تستطيع أن تخبرنى عن المكان الذى اشترى منـــه تذكرة توصلنى الى الجنـــــة فى ظـرف ثلاثة أرباع الساعة القادمة ؟

ــ ماذا ؟ ما هذا السخفوالعبثياكوفى ؟ ماذا حدث لك ؟ هل انت جائع فأفقدكالجوع ذاكرتك ؟ وتوجه الاب الى أمى قائلا :

أما !احضرى بعض الطعام لكوفى لانه جائع جدا .

ــ أوه يا والدى العزيز .. لست جائعا ولا على وشك أن أصبح مجنونا .. أبدا .. أنا فى حالة طبيعية جدا . فقط أبحث عن تحقيق أمنيتى الوحيدة وقد لجـــأت اليك أطلب النصح منك بصفتك والدى ..

ــ نعم بالتأكيد أنا والدك وانا مسئول عن تحقيـــق كل رغبـــاتك ، ولـكنك تتكلم كلاما لا معنى له .. من يستطيع الوصـــول الى الجنة بشراء تذكرة ؟

ــ الواعظ قال هذا .

ــ أى واعظ ؟ اذا قال الواعظ هذا فلأن من واجبه أن يعظ عظة روحية .. انزعهذه الافكار من رأسك فى الحال .

ولم يكن بوسعى الا أن أصمت وانسحب تاركاوالدى الذى لم اناقشه فىهذا الموضوع مرة أخرى ، ووضعت كل همى بعد ذلك فى ايجاد الطرق التى توصلنى طائرا الىالسماء لأرى بعينى المجردتين الاشياء التى سمعتها من فم الواعظ يوم الاحد الماضى .

وكنت أشجع نفسى قائلا :

« يجب أن أرى السماء بأى شكل » .

وقد ملأ ذهنى هـــذا الخاطر لدرجة أن والدىواخوتى وأصدقائى بدأت تتكونعندهم فكرة بأنى مريض .

ــ كوفى لا زال هونفسه ولكن عقلهمريض. من ذا الذى يستطيع أن يرى السماء بعينيه المجردتين ؟

هكذا قال أحد اخوتى الصغار بينما كان ينظـــر الى وهو يراقب سلوكى وتصرفاتى ويخبر والدى بكل شىء عنى ، فاستدعانى أبواى ونصحانى بعدم التفكير فى هذهالرغبة العجيبة ، ، وقالا لى انه لا توجد جنة فى أى مكان ولذلك يجب أن أطرد هذه الاحاسيس السخيفة فى الحال .

وكنت أنتهز بعض الفرص لاعتكف وحدى فى المنزل أو اذهب الى بقعة نائية لاتفادى محاولات الاحباط التى يقوم بها الاخرون . وكثيرا ما كنت أقول لنفسى : « الجنة مكان جميل ولذلك يجب على النـــاس أن يحاولوا الذهاب اليها . وسأذهب اليها بنفسى قريبا جدا » .

وفى احـــدى المرات سمعنى والدى وأنا أردد هذه العبارة فقال لى : « هذاسخف . لا يستطيع انسان أن يرى الجنـــة الا اذا مات » ومع ذلك فلم أتخل عن تفكيرى بلعلى العكس ، أخذتالفكرة بمجامع قلبىوأصبحت أفكر فيها بدون انقطاع .

وفى صباح أحد الايام تركت المنزلوأخذت أبحث عن كيفية تحقيق تلك الرغبة الملحـة فأخـــذت أتنقل من مكتب الى مكتب زائرا ومتحدثا مع الموظفين والهيئات المسئولة فى أكرا .

ذهبت أولا الى مكتبالجوازات وقلتلاحد الموظفين هناك بأنى قدمت لاستخرج جـواز سفر الى الجنة ، وما أن سمعنى الضـابط النوبتجى حتى قطب وجهه ونظر الى فى شك وابهام وقال لى :

« اسمع يا هـذا .. اننا لانلعب هنا .. وظيفتنا أن نخـــدم الناس المحترمين الذين يطالبون طلبات معقولة لا أن نخدم أمثالك من أصحاب الرغبات المجنونة » . فحملقت فى وجهه وخرجت من عنده وأنا أحسبالضيق.

ثم أسرعت الى مكتبالتراخيص فىالمطار :

ـ صباح الخير ياصديقى الضابط ..

ـ صـــباح الخير أيهـا الشـاب .. من أنت ؟

ـ أنا لست بخير .. أريد أن أتأكـد اذا كان هذا حقا مكتب التراخيص .

ـ أجل . . انه مكتب الرخص . . ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟

ـ حسنا .. أريد فقط أن أحصل على ترخيص .

ـ أى نوع من التراخيص تريد ؟ نحنهنا نعطى أنواعا عـديدة من الرخص .. رخص سيارات عادية وسيارات نقل وأشياء أخرى .. هل تريد رخصة سيارة ؟

ـ كلا يا سـيدى فلست أملك ولا حتى موتوسيكل .. انى أريد السـفر فى رحلة وأريد ترخيصا للذهاب الى الجنة .. لقد أخبرونى أن أجىء الى هنا للحصول عليها..

ـ لا أعتقـــد اننـا نـستطيع اجابتك الى طلبك ، وعلى أية حال سأبلغ هذه الرغبـة الى المفتش .

وبمجرد أن علم المفتش بهـــذه الرغبة ، خرج من مكتبه وتوجه الى وسألنى بصـوت به رنة عسكرية .

ـ من أنت ؟

ـ أنا كوفى أبودو من لابادى أريد رخصة للذهاب الى الجنة .. لقد أخبرونى بالمجىء الى هنا لاستخراجها .

فابتسم المفتش سـاخرا وأمر اثنين من رجاله باحتجازى ثم اتصل تليفونيابالبوليس لاحضـار سيارة اسعاف لنقلى الىمستشفى الامراض العقلية . ووضع الرجلان أيديهما على وجذبونى الى الحجز ، فأخـذت أصرخ قائلا :

ـ أتركونى وحدى .. ماذا فعلت ؟

ـ أنت مجنون .. لقد أمر السيدالمفتش بنقلك الى المستشفى .

وأخذت فى الصياح أذزى أذزى أذزىوكان صياحى عاليا لدرجـة أن الضابط الابيض خرج من مكتبه وأصدر أمره بأن يخلوا حال سبيلى علىالفور . وما أن أعادوا الىحريتى حتى انطلقت اجرى وأنا أصرخبأعلى صوتى : « أنا مجنون مجنون .. مجنون » .

ثم قصـــدت بعد ذلك سينما أوبرا وكان الوقتظهرا عندما وصلت الى ادارةالسينما. ولما وقفتامام شباكالتذاكر سألنى العامل : « نعم يا سيد .. أية درجـة من درجات التذاكر تريد أن تشترى ؟

ـ أوه .. أى درجة تسرع بى الى أحسن مقعد فى الجنة .

ولكن عامل التذاكر لم يلتفت الى بعـد ذلك . وظللت واقفا عند الشباك أتطلع فى الهواء حاسبا فى رأسى عـدد الكراسى التى يحتمل أن تكون فى الجنة ومحاولا ان أقـدر

حجم عرش الله ..ونظرت ورائى فاذابطابور من الناس ينتظر شراء التذاكر . واندفع واحد منهم وألقى بى بعيدا وهو يقول :

ــ أخل الطريق الى الشباك ودع بقية الناس الافاضل يشترون التذاكر .

كانت رغبتى فى الذهاب الى الجنة تتضخم وتنمو بدون حساب . وخطر لى أن أسافر الى كوفوريدوا وفعلا سافرت فى نفس هذا اليوم ووصلت اليها فى الساعة الخامسة ، وأخذت أمشى فى الشوارع باذلا جهدى فى قراءة الاعلانات . وفجأة وقع بصرى على لوحة كتب عليها بحروف حمراء « المسكن الروحى » وكتب تحت ذلك « كل الراغبين فى الوصول الى الجنة يأتون الى ديوسيزان » بدون ابطاء .

وما أن قرأت هذه اللوحة حتى امتلأ قلبى بالسعادة !

ــ أوه .. شكرا لله .. ها أنا ذا الان أصل الى تحقيق رغبتى أخيرا . ودلفت الى المنزل حيث قابلت مساعد ديوسيزان الذى أخبرته بأمنية قلبى الوحيدة فأرسلنى الى المسكن الرئيسى وهو بناء على شكل قبة ــ حيث رأيت ديوسيزان الاكبر جالسا على مقعد ذى حشايا فى سكون وهدوء .

وما أن وصلت اليه حتى أمرت بأن أجلس أمامه القرفصاء وأن أجيبه بالكلمات التالية التى قلتها فى عصبية : « المجد لقداستك الجالس على المقعد » وجاءنى **الجواب :** « البركة لك يابن اوكانكوى » .

ثم أمرنى بأن اركع امامه وأطلب منه ما أشاء قائلا لى : « ما الذى تبحث عنه أيها الحمل الضال ؟ » فأجبته « منذ عدة أسابيع وأنا واقع تحت سيطرة رغبة ملحة لا أستطيع منها خلاصا ــ أريد الوصول الى الجنة بأسرع طريقة ممكنة » .

ــ هذه مهمة سهلة ــ لقد جئت الى المكان الصحيح . سترى الجنة هذه الليلة فقط . احضر عشرة شلنات دون ابطاء .

وكنت أحمل معى ورقة من فئة الجنيه فأعطيتها له ثم رد الى الباقى وهو عشرة شلنات وأمرنى بالانتظار حتى الثامنة مساء لكي يريني الطريق الي الجنة .

وسررت كثيرا بكلام هذا الرجل النبيل ، ثم أخذت جلستى على أحد المقاعد منتظرا فى قلق اللحظة الموعودة كما لو كنت عريسا أستعد للقاء عروستى الحبيبة .

وأخيرا حانت الساعة التى طال انتظارى لها فأخذنى أحد الخدم الى غرفة صغيرة بالمسكن الرئيسى وأخبرنى بأننى سأنام فيها وحيدا طول الليل ، وحينئذ أخذ قلبى يضطرب من الخوف . وأحضر الخادم لى سريرا من سراير الخيام لانام عليه . كانت الغرفة مظلمة ولم يكن هناك سوى مصباح صغير كان الخادم يحمله معه لينير الطريق ولكنه اخبرنى بأنه سيأخذ معه هذا المصباح اذ لابد أن أنام فى الغرفة وحدى وفى حالة تامة من الاظلام .

وقبل أن يتركنى قال لى : « قبل ان تنام واظب على تلاوة هذه الكلمات « : الجنة .. يا للجنة .. الجنة يا للجنة » وفى وقت معين من الليل بينما أنت تكرر هذه التلاوة ستأخذك الملائكة الى السماء دون أن تشعر وستبقى هناك وستتخذ شكلا جديدا وستظل كذلك الى الابد » . وما أن انتهى من قوله حتى تركنى وانصرف .

ونمت فى الحجرة المظلمة وأخذت أفكر وأعجب مما يمكن ان يحدث لى فى هذه الحجرة المقبضة التى تشبه القبر . وألقيت بجسمى على السرير ولم أحاول النوم فقد أخذت اكرر كلمة « الجنة » حتى أخذتنى سنة من النوم دون أن أدرى .

وعلى حين فجأة دهشت اذ أحسست بضوء شديد فى الحجرة يدخل من شباك صغير مغلق . وفى وسط هذا الضوء المنتشر ظهر شبح متشح بلباس أبيض جعل السرير يهتز من تحتى وأصابنى برعشة شديدة من الخوف ، فرفعت رأسى ولكنى اضطررت الى خفضها ثانية بفعل الضوء الشديد الذى نفذ الى عينى . وانتشر الضوء فى جميع انحاء الغرفة ولشدة خوفى تقلص جسمى فى الفراش . واقترب منى الشبح الابيض فساورنى رعب هائل ، وعندما حاولت أن أقف على قدمى لاجرى من الغرفة منعنى الشبح من الهرب ، ثم سمعت صوتا يقول :

ـ أنا الذى تبحث عنه منذ زمن طويل . أنت تريد ان ترى مسكنى وستذهب اليه اليوم .

وما كاد الصوت يصك أذنى حتى صعقت وانقطعت أنفاسى وأحسست بساقى وقد أصابهما الشلل ولم أحتمل النظر الى عينى الشبح اللتين كانتا تشعان نورا وهاجا . وأكمل الشبح كلامه وهو يتحرك قائلا « اتبعنى » .

وخيل الى اننا ذهبنا فى رحلة ونحن نسير فى طريق ناعم يغمره الضوء الساطع حتى وصلنا أخيرا الى مكان جميل تنبعث منه موسيقى شاعرية . ورأيت جموعا غفيرة من الناس فى ثياب رائعة بيضاء تحيط بمنضدة مستديرة مليئة بالزخارف والنقوش الفخمة، وأخذت أدير عينى فى هذا المكان الذى يجل عن الوصف حيث رأيت كل شىء يبدو فى ألوان زاهية محببة الى النفس . وكانت الزهور والمقاعد والمناضد والاثاث ـ كانت كلها مرتبة بنظام بديع فأحسست بأن الحيوية التى كانت تملأ المكان والاشخاص قد حولتنى كلية من الطبيعة الارضية الترابية الى طبيعة سماوية روحانية . وأعطانى أحدهم لباسا أبيض كالذى يرتديه الملائكة الموجودون حولى، وقال لى : « كما كان فى البدء هكذا الان وسيظل كذلك الى الابد » .

ولم يترك أحد من الحاضرين مكانه الا نادرا حينما كان يطلب اليه القيام بمهمة ما وكان يعود بمجرد الانتهاء منها .

وكان يغمر الجميع ضوء دائم يبهر الابصار وكانوا لا يحتاجون الى الاضاءة الكهربائية أو أى نوع آخر من الاضاءة التى يستعملها سكان الارض ولذلك فانهم لم يعرفوا الظلام اطلاقا ، كما لم يعرفوا سوى المرح والسرور الدائمين .. يالها من حياة مبهجة رائعة .. لا يوجد هناك نار أو طبخ أو أدوات ومع ذلك فهم يأكلون أكلات شهية دسمة ويشربون الشاى جميعا فى أوقات منتظمة . ولايحس الانسان هناك بالعطش أو التعب ولا يوجد شغب ولا كراهية ولا حقد ، وانما هدوء تام .. الهدوء والنظام هما اللذان يسودان المكان .

وفى الحقيقة لايمكننى القول الا بأنه مسكن رائع مبارك . وأحيانا كان يحضر الى رئيس الجلسة ليهمس فى أذنى : « هل أنت سعيد ؟ »

ـ أجل .. فوق كل ما كنت أتصور ...

ـ ستذهب غدا الى ملك المجد فى مسكنه العظيم الخيالى . .

وأخيرا وعلى حين فجأة أفقت على ضوضاء شديدة ، وعندما فتحت عينى وجدت نفسى فى غرفتى الصغيرة فى لابادى خارج الجنة ! !

((أنيس فهمى))

بقية مقال تزاوج الفن

فالفن الافريقى فن له اصالته ، قد يفقد الكثير من قيمة اذا ما عرض فى متاحف الغرب من أجل التذوق الجمالى البحت ، لان من قاموا به فنانون غير محترفين ... بل كان جزءا لاينفصل عن حياة الافريقيين أنفسهم ، وهو تعبير مباشر عن حياتهم بعكس غرائزهم وأفكارهم وكل ما يحسون به كأفراد وكجماعات .

ولما كان الفن كائنا حيا لاينمو الا فى البيئة المستقرة مع الحياة نفسها ، فهو لم يزدهر فى الجهات التى أحس فيها الافريقيون بأن حياتهم مهددة ليس فيها استقرار نتيجة للاساليب الغادرة التى كان يلجأ اليها المستعمر حتى يضمن لنفسه القدرة على استغلال الافريقى والارض الافريقية . ولما كانت الحرية هى الهواء الذى يتنفسه الفنان كى ينتج ، أصبح الفن الافريقى عندما انعدمت حرية الفرد والجماعة فى كثير من أماكن افريقيا فى محنة لاتختلف فى نوعها عن المحنة السياسية التى قاساها الافريقيون أنفسهم فى القرنين الاخيرين .

وهكذا استفاد الفن الغربى بالفنون الافريقية فى وقت فقدت فيه بعض قيمها نتيجة للاستعمار الغربى الذى قاساه الافريقيون وأثر على أوجه حياتهم جميعا .

((دكتور سعد المنصورى))

العمل

من القصص الشعبى السودانى



بقلم : عباس خضر

كانت « نطاطة » قد يئست من زوجهـا الكسلان « حطاطة » بعد أن حاولت كثيرا أن تحمله على العمل وترك الكسل ، فكانت كلما أيقظته فى الصباح ليذهب الى عمله تثاءب وطلب منها أن تدعه نائما ، فاذا ألحت فى ايقاظه شتمها وهددها مرة بالضرب ومرة بالانتحار كى يستريح منها ومن متاعب الدنيا .. فلم تجد بدا من أن تباشر هى العمل . فكانت تذهب الى الحقل وترعى الماشية بنفسها ، ثم تعود الى البيت حيث تجد « حطاطة » لايزال يغط فى نومه لا يقوم منه الا ليأكل ويشرب ثم ينام .

وظلت على هذه الحال تكد وتكدح وترهق نفسها بالعمل ، حتى ضعفت واعتلت صحتها وخاصة بعد أن تقدمت بها السن وكثرت العيال وزادت الاعباء ، فاضطرت أن تعيد محاولتها مع « حطاطة » عسي أن يقلع عن كسله ويشاركها العمل والكفاح من أجل العيش . قالت له ذات صباح بعد أن جهدت فى ايقاظه :

ـ قم يا حطاطة ودع الكسل .

ـ اتركينى يا امرأة فى حالى .

ـ كيف أتركك وأنا قد تعبت وضعفت حتى صرت غير قادرة على العمل .؟

ـ هل قلت لك اعملى واتعبى نفسك .

ـ من أين نأكل وكيف نعيش اذا لم أعمل أنا ولم تعمل أنت .؟

ـ يرزقنا الله ..

ـ ولكن الله أمرنا بالعمل . وكيف يرزقنا ونحن نائمون .؟

ـ يا امرأة دعينى .. قلت لك ..

ـ لن تجد أكلا ولا شربا .

ـ لا أريد .

ـ والعيال ؟

ــ لن أرد عليك أيتها المجنونة !

ولكن « نطاطة » استمرت فى محاولةاقناع زوجها الكسلان وحثه على العمل حتى ضاق بها ذرعا وأراد أن يسكتها عنه فكان يخرج متظاهرا بأنه سيعمل .

حتى عاد مرة الى المنزل . يحمل لفافة ، فدهشت « نطاطة » وقالت له :

ــ ماذا معـــك يا حطاطة ؟ هل أحضرت طعاما ؟ شكرا لك يا زوجى العزيز .

ولكن حطاطة لم ينبس ووضـــع اللفافة جانبا وهو يتأفف ويجفف عرقه ...

فاقتربت منـــه زوجته فى حنان وقالت لتسرى عنه :

ــ لا عليك يا عزيزى ... انك تعبت لانك لم تعمل من زمنطويل فتعود جسمك الراحة . وشيئا فشيئا تتعود العمل وتتحمل الجهد .. بل أنك ستشعر بلذة السعى عندماتجنى ثمـرة كدك وترى أولادك يتمتعون بما تجلب لهم من الرزق والخير ...

ولكنه ظل على صمته لايريد أن يجشم نفسه عناء الكلام .. فتناولت « نطاطة » اللفافة وفكتها فوجدت بها قطعة من نسيج الكتاب وقطعة من الصابون ...

ــ قالت مندهشة !؟

ــ ما هذا يا حطاطة ؟!

ــ كفنى !

ــ كفنك ؟! وهل مت ؟!

ــ نعم سأموت .. استعدى لجنازتى !

ــ ماذا جرى لك يا حطاطة .. هلتناولت سما أو لدغتك عقرب أو شىء مثل هذا ؟ قل لى ماذا جرى ..؟

ــ لم أعد أحتمل العيش معـــك وأنت توقظينى من النوم كل صباح .. لقد يئست من الحياة قال « حطاطة » ذلك وارتمى على الارض .. وراحت « نطاطة » تناديه وتهزه فلم يجبها ولم يتحرك .. فجعـلت تصرخ وتولول ، فسمعتها احدى جاراتها ، فجاءت على عجل وسألتها عما جرى ، فحكت لهـا ما وقع وأضافت قائلة :

ــ ... هذا وأنا أشك فى أنه مات تماما .. لابد أنه يتظاهر بالموت ..

ــ يتظاهر بالموت ؟!

ــ أنت لاتعرفينه ، أنه يفضل كل شىء حتى الموت نفسه على أن يبذل أى جهد أو قوم بأى عمل ..

ــ طيب ، دعيه يموت ..

أدعه يموت ؟!

ــ انتظرى يا نطاطة يا أختى ما سأقوله لك .. استمرى فى صياحك وتظاهـرى بالحـزن وليتم كل شىء كأنه مات حقيقة .

ــ وبعد ؟

ــ سأخبرك بما تفعلينه بعد ذلك ، وماعليك الا أن تأخـذى معك قطعـة من النحاس تكون معك عند القبر .

وغسل « حطاطة » وكفن ووضع فى النعش، وتمت مراسيم الجنازة المعتادة ..

وبعد ما دفن فى القبر عاد المشيعون ، ولم يبق هناك الا « نطاطه » وجارتها ، وكانتا قد اتفقتا على ما تعملان .

وقفت الجارة أمام القبر ، وقبعت الزوجة خلفه ، ودقت الاولى قطعة النحاس بكل قوتها وهى تصيح بصوت قوى نفاذ : « أيها الموتى .. هبوا واسمعوا ما أقول .. لقد أرسلنى الملك اسرافيل لأوقظكم وأخبركم أن جانبا من حائط جهنم قـد تهـدم ، وعليكم أن تعيدوا بناءه » .

وعندما ما سمع حطاطه ذلك النـــداء دق قلبة وقال فى نفســه : « العمـل ورائى .. ورائى هربت منه فى الدنيـــا ، وها هو ذا ينتظرنى فى الآخـرة .. وأين ؟ فى جهنم .. يا للعذاب !! » .

وبعد برهة ردت الزوجة بصوت مبحوح كأنه آت من العـدم : « لقد عملنا فى الدنيا وشــقينا بما فيه الكفاية ، فهـل نشــقى فى الآخرة كذلك .. »

دقت الجارة النحاس دقتين ثم اجابت :

« من كانوا يعملون فى الدنيـــا لا يشملهم أمر سيدى اسرافيل ، فليستريحوا ولينامو

هادئين ، وعلى الذين كانوا فيها كسالى بناء حائط جهنم ، وليعمل كل منهم بقدر ما توانى عن العمل فى الدار الفانية .

« اضطرب حطاطه » وجزع جزعا شديدا ، وقال لنفسه :

« والله وقعت ياحطاطه .. وجاءت وقعتك فى جهنم .. ياليتنى كنت من العاملين فى الدنيا ليتنى أرجع الى الحياة فأعمل » .

ثم تنبه لنفسه وقال :

« ولكنى فى الحقيقة لم أمت ، اننى تظاهرت بالموت فقط ، أى ان الفرصة لا تزال باقية أمامى ولكن كيف أخرج من هذا القبر ؟ لقد رأيتهم يسدون فوهة القبر بحجر كبير ، هل يمكننى ان أزحزح هذا الحجر ؟ لا .. انه يتطلب جهدا لا قبل لى به ، فلأبق فى مكانى وليكن ما يكون » .

وجاءه الصوت المبحوح يقول كأنه آت من العدم :

« هيا أيها الكسالى ، والا حملتكم زبانية جهنم على الاسياخ المحماة ! »

عاوده الفزع فجعل يبكى ويقول :

« الزبانيـة الاسـياخ المحماة .. ويلك ياحطاطه ! قم أسرع .. أتكون زحزحة الحجر أشد من هول جهنم ؟ ألست تريد ان تعود الى الحياة لتعمل ؟ فهيا مرن نفسك فى دفع الحجر والخلاص من هذا القبر » .

واستجمع « حطاطه » قواه وعالج الحجر حتى استطاع أن يزيحه من مكانه على فوهة القبر وخرج .

دق « حطاطه » باب منزله ، فردت زوجته قائلة :

— من ؟

— أنا حطاطه .

— حطاطه ؟! حطاطه مات ودفناه .

— افتحى يانطـاطه .. أنا دفنت الكسل وجيت ..

« عباس خضر »





ترجمة : ميشيل مسيحه

ذهب رجل ذات يوم للصيد فى الغابة فعاد بنسر صغير .. وكان النسر صغيرا جدا فقرر الرجل أن ينشئه كما تنشأ الدواجن . وصار يطعمه الحبوب .. ووضعه فى مكان مغلق لا يخرجه منه أبدا حتى لا يتعلم الطيران .

ومرت الايام .. وكبر النسر .. وصار حجمه ضخما .. ولكنه ظل مستكينا أليفا كما أراد له الصياد . لا يحاول الطيران ولا يأكل سوى الحب .

وذات يوم مر أحد الحكماء بالرجل وقال له : ان هذا نسر .. ولابد أن يطير يوما . فقال الآخر فى سخرية : وكيف يطير ؟ لقد ربيته كما أردت .. وجعلت منه طائرا أليفا مستكينا .. انه لم يعد نسرا .. ولن يستطيع الطيران .. فمكانه هنا على الارض .

وقال الحكيم : كلا انه ما زال نسرا .. وله قلب نسر . وسوف يطير ويحلق فى أجواز الفضاء . فقال الصياد متحديا : لا أصدق !

وأخذ الحكيم النسر .. وأخرجه من المكان المغلق .. ثم رفعه فوق ذراعيه قائلا : أيها النسر .. انطلق .. ان مكانك السماء .. وليس مكانك الارض .

ولكن النسر لم يطر .. بل صفق بجناحيه وعاد الى الارض ثانيا وراح يبحث فيها عن حب يلتقطه .

وضحك الصياد ونشوة الانتصار تملؤه ثم قال للحكيم : ألم أقل لك ؟

وقال الحكيم فى اصرار : ولكنى أؤكد لك انه سيطير .

ومرة ثانية حمل الحكيم النسر وأخذه الى أعلى البيت ثم رفعه من جناحيه قائلا : **أيها النسر .. انطلق .. ان مكانك السماء .. وليس مكانك الأرض .**

((البقية ص ١٠٨))

روديسيا على الطريق

للشاعر محمد السيد شريف

أماه : لن أدع السلاح وأرض روديسيا أسيرة
فضمى يديك على جراحك ، رغم نزفتها الخطيرة
وتحفزى ، حان الخلاص من الشياطين المغيرة
الشعب ـ كل الشعب ـ هب ، فباركى مثلى نفيره
بالرغم مما دبروه ، يداه قد رسمت مصيره

أنا باسم « روديسيا » سأمضى فى الطريق الى مداه
لا أرهب الليل الطويل ، فثورتى قهرت دجاه
انا لست أول من يضىء لشعبه درب الحياة
فالسود فى أفريقيا السمراء لن يحنوا الجباه
داسوا القيود وزلزلوا يا أم أقدام الطغاة

* * *

ما عدت وحدى اليوم يا أمى ، فأفريقيا معى
وصدى معاركها نواقيس تثور بمسمعى . .
وكفاح اخوتى الاسارى كالنشيد الرائع
يحلو لنا الالق الحبيب بفجرنا المتوجع
لله أيد سمرتها الشمس فوق المدفع

فضمى يديك على الجراح ، ولا تبالى بالجراح
الليل يوشك أن يذوب فعانقى نور الصباح
واستنشقى نسمات نصر ، عطرها عبر الرياح
ماعاد شعبك أعزلا عبدا تمزقه الرماح
آسيا وأفريقيا جميعا ، والورى خلف الكفاح

* * *

أنا لن أبالى باللظى المسعور يا أمى هنا
وبنادق الحمقى الذين سطوا على أرزاقنا
سرقوا المناجم والحقول ، وجوعوا أطفالنا
وبنوا قصورهمو المشيدة بالجماجم حولنا
وابوا علينا ان نصعد للضياء جباهنا

سترين يا أمى « روديسيا » كلها ملكا لنا
ستعيش روديسيا وان متنا جميعا هاهنا
حرب الابادة لن تعوق على الطريق كفاحنا
انا عزمنا وانطلقنا اليوم يا أعداءنا
لن تخنقوا فجر الشعوب . . ولن تعيشوا بيننا

« محمد السيد شريف »

شاطئ الزنج

بقلم جيرفيس ماثيو
ترجمة عبد الواحد الإمبابي

يبدأ التاريخ المدون لمنطقة شرق افريقيـة بظهور الكتيب التجارى الذى وضع فى أواخر القرن الاول الميلادى باللغة الاغريقية ، والذى يطلق عليـه اسم كتاب « الطواف البحرى للمحيط الهندى » وحين قمت برحلتى على طول كل الطرق تقريبا ، وأعنى بها تلك الطرق التى وضعها هذا الكتاب أيقنت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الوصف كان وصف رجل شاهدها بعينيه فعلا .

فالواضح أن هذا الرحالة الافريقى قد دار بسفينته فى وقت ما ، ربمـا فى حوالى عام تسعين ميلادية حول رأس التوابل the cape of spices المعروف الان باسم جوار دافيو Guardafu بعد أن خرج من خليج عدن ، فقد أبحر ناحية الجنوب على طول شواطىء المنطقـة المعروفة الان باسم صوماليا وكينيا وتنجانيقا ، وحين يكتب عن سكان هذه المنطقة يصفهم بأنهم كانوا أقرب الى البداوة ، ولكنه حين يصف أسواقهم يقول عنها انها كانت جزءا من الشـبكة الملتحمة لتجارة المحيط الهندى .

وقد كان يوجد هناك عرب يعرفون مختلف أجزاء السواحل ويتحدثون باللغة السـائدة هناك ، وقد أطلق الجغرافيون الأفريق على هذا الساحل الذى يمتـد من الصـومال حتى تنجانيقا اسم زينيز Zingis أو زنجيون Zingion بينما أطلق العرب عليـه اسم الزنج ، ولم يبق له من هذه التسميات الان سوى اسم زنجبار .

وفى كل منطقـة للخط السـاحلى الشرقى لافريقية بما فى ذلك جزره توجد بقايا مدن متهدمة متنـاثرة فى شكل غير منتظم ، وقد أصـبح من الممكن الان ــ وان كان ذلك يتم بصـورة تدريجيـة ــ الكشف عن الفترات والحضارات المختلفة التى ترجع كل من آثار هذه المدن اليها ، والصعوبة تأتى من أن هذه الآثار كلها متشابهة ، وتشير جميعها الى نقاط الالتقاء التى كانت تتم بين الطرق التجارية القادمة من داخل افريقية وحركة تجارة المحيط الهندى التى كانت تأتى مع الرياح الموسمية .

على أن مثل هذه الطرق التجارية تختلف عن الطرق التى وصفها المستكشفون الانجليز فى القرن التاسع عشر ، ولقد حدث فى أواخر القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسـع عشر أن تغلغل التجار العرب وهم يبحثون عن العاج وغيره الى مسافات بعيدة فى المناطق الداخلية من افريقية حتى وصلوا الى البحيرات العظمى ، غير أنه ليس ثمة دليل على أن أى عربى قد اسـتطاع يتغلغل الى ما وراء الساحل جنوبى رأس جواردفيو حتى النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

وكان الذهب والعاج يأتيان من روديسـيا حيث تتم عملية مقايضتهما فى سوفالا فى شرقى افريقيـا البرتغالية الان ، ولا جدال فى أن الطريق التجارى الذى يمتد الى سوفالا ثم عن طريق البحر الاحمر على طول السـاحل حتى كلوه ، لا جدال فى أن هذا الطريق كانت له أهمية حساسة بالنسبة للتطور الاقتصادى لمنطقة شرق افريقية .

وهنـاك بعض الشواهد التى نأخذها من كتاب « أخبار كلوه » تدل على أن حكام هذه المنطقة كانوا يحتكرون التجارة فى أواخر القرن الثانى عشر ، ويبدو أن تجارة الذهب بلغت قمة نشاطها خلال القرن الخامس عشر ، وقد أشار الدكتور « روجر سامرس » الى انه من الممكن تتبع خط للعلاقات التجارية يبدأ من منطقة شعب زيوا فى جنوب روديسيا عبر الزمبيزى حتى كلوة ، وعثرت مسز ليكى على أصداف من الودع من

جزيرة « ماليف » ترجع الى العصر الجليدى موجودة بالقرب من « ناكورو » فى منطقة الارض العالية بكينيا ، مما يجعل من المحتمل الظن بأن ذلك لم يكن سوى نتيجة لعلاقات تجارية كانت قائمة بين شعوب هذا الجزء من افريقية وشعوب جزر مالديف .

ثم أنه بالاضافة الى التأثير الاكسومى كانت توجد مملكة عدال الاسلامية المزدهرة فى القرن الخامس عشر كنتيجة للصلات التجارية التى امتدت غربا حتى الممالك الاسلامية جنوبى الصحراء الكبرى ، وكان ميناء زيلع وهو منفذ هذه المملكة ، كما كان منفذا للحج الى الجزيرة العربية .

ثم ان معلوماتنا عن هذه الفترة فى شرق افريقية تزداد باستمرار عن طريق علم الآثار ، ويبدو أن مدن العصور الوسطى التى كانت قائمة على طول الساحل الافريقى قد ظهرت الى عالم الوجود فى القرن الثانى عشر ، وانها وصلت الى قمة ازدهارها فى عام ١٥٠٠ م

كما أن مما لا شك فيه أنه كان هناك تطور موازٍ على الجانب الآخر من المحيط الهندى ، على أن كل ذلك سرعان ما تحول فجأة حين ظهر البرتغاليون على المسرح هنـاك ، ومن العجب أن هذه الفترة البرتغالية لم تترك سوى تأثيرات قليلة فى منطقة شرق افريقية شمال موزمبيق ، وتكاد تنحصر فى بناء بعض الحصون فى المدن الساحلية ، كما استعادت بعض الكلمات فى اللغة السواحلية ، وكذلك توجد بعض التقاليد مثل مصارعة الثيران فى بمبا شمال زنجبار .

وقد استمرت هذه المرحلة من تاريخ ساحل افريقية الشرقى من حوالى عام ١٦٣٧ الى عام ١٨١٠ ، وقد ظهر هنـاك فى المنطقة ما كان يعرف باسم بلاد الزنج ، كما ظهرت مدن صغيرة تجارية ، وكانت هذه المدن جميعها مدنا اسلامية يتحدث أهلها اللغة السواحلية ، وكان الذى يربط بين مدن هذه الفترة هو ذلك الشكل الموحد للمنازل ، والحصون ، والمساجد ، والمقابر ، وكذلك استخدام كميات كبيرة من الخزف والصينى الازرق والابيض حتى اذا كانت الفترة الاولى من القرن التاسع عشر قضى ظهور زنجبار الجديدة فى ظل حكامها العرب على تجارة هذه المدن ، وفى استطاعتنا أن نستعيد كثيرا مما كانت عليه صورة الحياة فى هذه المدن من قصائد الشعر السواحيلى ومهما يكن من شىء فليس هناك انسان يستطيع أن ينكر أنه كان هناك تجار عرب ، وهنود ، وفارسيون يقيمون اقامة دائمة عند موانى الساحل الشرقى خلال العصور الوسطى ، ولا تزال لدينا سلاسل النسب الطويلة التى كان حكام كلوة فى أوائل القرن السادس عشر يعتمدون عليها فى ادعائهم أنهم سلالة ملوك فارسيين ، ومع هـذا فان بعض المدن التى اكتشفها البرتغاليون كانت ذات أسر ملكية افريقيـة ، وهى المدن التى تحولت الى الاسلام ، وأخذت تدريجيـا بأساليب الدول الاسلامية ونظمها .

ولا شك أن بلاد الزنج كانت تعنى بالنسبة لكل جغرافيى العصور الوسطى « بلاد الزنوج »

وأخيرا فان هناك سببين واضحين أولهما : هو أن تاريخ ساحل شرق افريقية يصبح فقط واضحا ومفهوما حين ندرسه على أنه جزء من تاريخ المحيط الهندى ، والثانى هو أن هـذه المنطقة قد بقيت جزءا من افريقية .

لقد طلع الفجر حقا من الشرق ، ولكنه كان فجرا افريقيا .



القاهرة ـ ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣

سيعقد فى القاهرة خلال شهر ديسمبر القادم أول مؤتمر لوزراء العمل فى الدول الموقعة على ميثاق الوحدة الافريقية ـ ٣٢ دولة .

أديس ابابا ـ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٣

افتتح الامبراطور هيلاسيلاسى أمس مؤتمر وزراء خارجية منمة الدول الافريقية لبحث تسوية النزاع الجزائرى المغربى حول الحدود .

أديس ابابا ـ ١٧ نوفمبر

رفضت الجزائر والمغرب اليوم تغيير موقفهما من مسألة الحدود المتنازع عليها . وستؤلف لجنة اخرى تقوم بتحديد أى من الدولتين هى المسئولة عن بدء الاعمال العدوانية

أكرا ـ ١٨ نوفمبر

قرر مؤتمر الصحفيين الثانى انشاء وكالة انباء افريقية موحدة ، وتدريب الصحفيين الافريقيين فى الدول الافريقية الناهضة فى الصحافة ، كما تقرر انشاء مقر دائم للاتحاد فى أكرا يجتمع مرتين كل عام .

القاهرة ـ ١٨ نوفمبر

سيقام معرض افريقى كبير فى القاهرة فى العام القادم لعرض جميع المنتجات الافريقية، يهدف الى اظهار التكامل الاقتصادى للقارة الافريقية والعمل على زيادة التعاون فى المجال الاقتصادى بين دولها .

أديس ابابا ـ ٢٠ نوفمبر

اختتم وزراء خارجية الدول الافريقية أعماله أمس وأصدر بيانا عبر فيه عن تصميم الدول الافريقية على السعى للتوصل الى حلول سلمية لجميع المشكلات كما ناشد البيان الجزائر والمغرب تجنب القيام بأى عمل يؤدى الى فشل لجنة التحكيم .

ليوبولدفيل ـ ٢٢ نوفمبر

قررت حكومة الكونجو برئاسة سيريل أدولا اعتبار جميع أعضاء السفارة السوفيتية فى ليوبولدفيل أشخاصا غير مرغوب فيهم ، وقد صدرت الاوامر الى اثنين من الدبلوماسيين السوفييت بمغادرة البلاد .

الامم المتحدة ـ ٣ ٢نوفمبر

اقترحت الجمهورية العربية المتحدة انشاء جائزة باسم همرشولد الزعيم الراحل للامم المتحدة تمنح سنويا لمن يبذل أقصى جهد لتقدم قضية التعاون الدولى .

الامم المتحدة ـ ٢٣ نوفمبر

اقترحت الجمهورية العربية المتحدة انشاء جائزة باسم همرشولد الزعيم الراحل للامم المتحدة تمنح سنويا لمن يبذل أقصى جهد لتقدم قضية التعاون الدولى .

نيروبى ـ ٢٦ نوفمبر

أعلنت حكومة كينيا أنها سوف تصادر ابتداء من ١٢ ديسمبر المقبل ـ وهو الوقت الذى ستحصل فيه على استقلالها ـ البضائع القادمة من جنوب افريقيا والبرتغال ، كما وضعت قرارات لوقف العلاقات التجارية بين البلدين .

الامم المتحدة ـ ٢٩ نوفمبر

وافقت لجنة الوصاية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع قرار يدعو مجلس الامن لمناقشة الوقف فى المستعمرات البرتغالية بافريقيا واتخاذ الاجراءات لاجبار البرتغال على منح الاستقلال لكل من أنجولا وموزمبيق .

القاهرة ـ ٢٩ نوفمبر

وصل الى القاهرة أمس السيد ميلتون أوبوتى رئيس وزراء اوغندا تصحبه السيدة قرينته .

الامم المتحدة — ٢٩ نوفمبر

وافقت لجنة الوصاية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع قرار يدعو مجلس الامن لمناقشة الموقف فى المستعمرات البرتغالية بافريقيا واتخاذ الاجراءات لاجبار البرتغال على منح الاستقلال لكل من أنجولا وموزمبيق .

القاهرة — ١ ديسمبر

بدأت أمس المباحثات بين الرئيس جمال عبد الناصر والسيد ميلتون أوبوتى رئيس وزراء أوغندا ، وقد تم استعراض عام للموقف فى الدول الافريقية التى مازالت خاضعة للاستعمار وتناولت المباحثات دعم العلاقات بين البلدين من النواحى السياسية والتجارية كما تم الاتفاق على اقامة سفارة عربية فى كمبالا .

الامم المتحدة — ٢ ديسمبر

سيجرى الدكتور محمود فوزى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة مع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة مباحثات حول مسائل الكونجو واليمن وتصفية الاستعمار .

ليوبولدفيل — ٣ ديسمبر

سيتولى سيريل أدولا رئيس وزراء الكونجو وزارة الخارجية أثر اعتقال وزيرها أوجست مابيكا كالاندا بتهمة العمل ضد سلامة الدولة . الدولة .

داكار — ٣ ديسمبر

تحولت داكار أمس الى ثكنة مسلحة ، فقد حدث اشتباك دموى بين قوات الجيش وعدد كبير من المتظاهرين المعاديين لحكومة ليوبولدسنجور .

القاهرة — ٤ ديسمبر

يزور السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس جمهورية الصومال بعد انتهاء زيارته لكينيا للتهنئة بعيد استقلالها .

الامم المتحدة — ٥ ديسمبر

وافق مجلس الامن بالاجماع على قرار يدعو الى حظر عالمى على تزويد جنوب افريقيا بالمعدات التى تساعدها على توسيع صناعة المهمات العسكرية وذلك أملا فى الحد من سياستها .

داكار — ٦ ديسمبر

أعلن أمس اعادة انتخاب ليوبولد سنجور رئيسا للسنغال وكان المرشح الوحيد للرياسة

الامم المتحدة — ٦ ديسمبر

من المنتظر أن تطلب زنجبار وكينيا ضمهما للامم المتحدة يوم ١٦ ديسمبر وبذلك يصبح عدد أعضاء المنظمة ١١٣ دولة .

الامم المتحدة — ٧ ديسمبر

دعت الدول الافريقية والاسيوية الى عقد اجتماع فى يناير القادم للجنة حقوق الانسان للقيام بحملة جديدة ضد التفرقة العنصرية .

القاهرة — ١٠ ديسمبر

افتتح الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمر وزراء العمل فى افريقية ، وسيحضر المؤتمر وزراء احدى وعشرين دولة افريقية .

زنجبار — ١٠ ديسمبر

وبعد ٧٣ عاما من الحماية البريطانية على زنجبار ، ارتفع علم زنجبار فى سمائها معلنا حصولها على الاستقلال ، وقد سلم دوق أدنبرة السيد عبد الله بن خليفة سلطان زنجبار وثائق الاستقلال أثناء الاحتفالات التى حضرها ممثلو ٧٠ دولة .

جولة في افريقية

بقلم بشرى فريد

دول غرب أفريقيا تعاني من الاضطراب

لقد تعرضت دول غرب أفريقيا لكثير من الاضطرابات ، ففي شهر أغسطس اعتقل في السنغال خمسة أعضاء من مجلس النواب واثنان من الوزراء السابقين وفي فولتا العليا قبض على وزير بتهمة الرشوة . وفي شهر سبتمبر عاد هوفوي بوانيه ليجد نفسه عرضة لمؤامرة كادت أن تودي به واشترك في هذه المؤامرة ستة وزراء وخمسة نواب . وفي شهر مارس الماضي اكتشفت مؤامرة في تشاد حكم فيها بالاعدام على شخصين وسجن ثلاثة عشر . وفي داهومي تمكن الجيش من القبض على زمام الامور بعد أزمة استمرت ثلاثة ايام ، وفي شهر يناير الماضي قتل سلفانوس ولمبيو رئيس دولة توجو .

وترجع هذه القلاقل الى عاملين :

العامل الاول — يتمثل في الكفاح من اجل السلطة والسيطرة .

العامل الثاني — يتمثل في ظهور جيل جديد يحقد على الجيل القديم بسبب مبادئه المحافظة والرجعية ومن بين هؤلاء ، الشبان المثقفون الذين يتحفزون لاحداث تغيير جذري في الاوضاع القديمة .

نياسالاند تترقب ساعة الاستقلال

ان نياسالاند تقترب من ساعة الاستقلال وقد قام دكتور « باندا » برحلة الى كثير من بلدان الدول الغربية استغرقت شهرين .. وعند عودته قال في جموع الشعب الذى استقبله استقبالا حسنا .

« ان الاستقلال ليس نهاية بل بداية أخرى ، لقد ظلت بلادنا مهملة أما اليوم فلدينا سلطة التخطيط لانفسنا ومهمتنا ان نحقق شيئا لهذه البلاد وأن نطورها وننميها وعلينا أن نعمل بجد واجتهاد ولسوف نحصل على مساعدة من أمريكا وبريطانيا والمانيا الغربية وعلينا أن نعمل بجد حتى نثبت أننا جديرون بتلك المساعدة .

وجلي ان نياسالاند أو « فلاوى » تحت حكم دكتور باندا ستعمل من الناحية السياسية على اقامة روابط سياسية واقتصادية دقيقة مع الدول الافريقية الحديثة الاخرى . والمعروف ان محصولها النقدى هو الشاى ثم الطباق . وتوجه الولايات المتحدة اهتماما كبيرا الى نياسالاند وقد تعهدت الولايات المتحدة بتخصيص ٤٧٥٫٠٠٠ جنيه لبناء معهد العلوم السيكولوجية في بلاينتر ويحتمل أن تقدم مزيدا من المساعدة المالية .

ومن الناحية الاقتصادية لايبدو أن هناك ما تستطيع الولايات المتحدة الحصول عليه من نياسالاند ولكن من الواضح ان المساعدة جزء من سياسة الولايات المتحدة لمناهضة الشيوعية .

الكونغو تهتز تحت أقدام أدولا

ان الكونغو تجتاز الان مرحلة خطيرة من مراحل حياتها السياسية المعقدة فقد كشفت الحكومة في الايام الاخيرة معسكرا لتدريب نحو ٦٠٠ رجل من رجال العصابات في اقليم « كويلر » على مسافة ١٠٠ ميل شرقي

ليوبولد فيل وقد ذكرت المصادر الحكومية أن هذه العصابات تحت اشراف الشيوعيين .

كما برزت الى الميدان جماعة تعرف باسم جماعة « بنزا » . وبعد ذلك هددت اتحادات العمال بالاضراب العام وقامت الجماعات الموالية للومومبا فكونت لجنة سمى لجنة التحرير تولت عرض مطالب العمال .

وكان نتيجة ذلك أن أعلن كازافوبو حالة الطوارىء لمدة ستة أشهر فى مدينة ليوبولدفيل كما شكل مجلس من ثلاثة أعضاء للاضطلاع بشئون الحكم وكلهم ينتمون الى جماعة بنزا ومن بينهم وزير الدفاع جيروم أنانى ووزير العدل جوستين بومبوكو ووزير الداخلية جوزيف موبوتو .

الازدهار الاقتصادى والتجارى فى جنوب افريقيا

رغم جهود الدول المتحررة للضغط على حكومة جنوب أفريقيا ورغم انضمام الامم المتحدة لها أن اتحاد جنوب افريقيا يشهد الان مرحلة من الازدهار الاقتصادى والتجارى بفضل مؤازرة الدول الاسيوية ذات المصالح الاقتصادية الواسعة فى تلك البلاد فقد أصبح رصيدها من الذهب والعملة الاجنبية يربو على ٧٠٠ مليون دولار وهو أقصى ماوصلت اليه فى غضون الخمس عشرة سنة الاخيرة كما ان اطراد نموها الاقتصادى الذى تبلغ سرعته نحو ٥ ٪ سنويا ينتظر أن يصل فى هذه السنة الى ٧ر٤ ٪ .

والمساعدات الاجنبية تتدفق عليها ويكفى أن نقول ان الاستثمارات الامريكية وحدها تبلغ هناك ٦٠٠ مليون دولار أى بزيادة ٢٥ ٪ عما كانت عليه منذ سنتين وهناك شركات أجنبية مثل جنرال موتورز قد ازدهرت اعمالها واتسع نطاقها بافتتاح فروع جديدة .

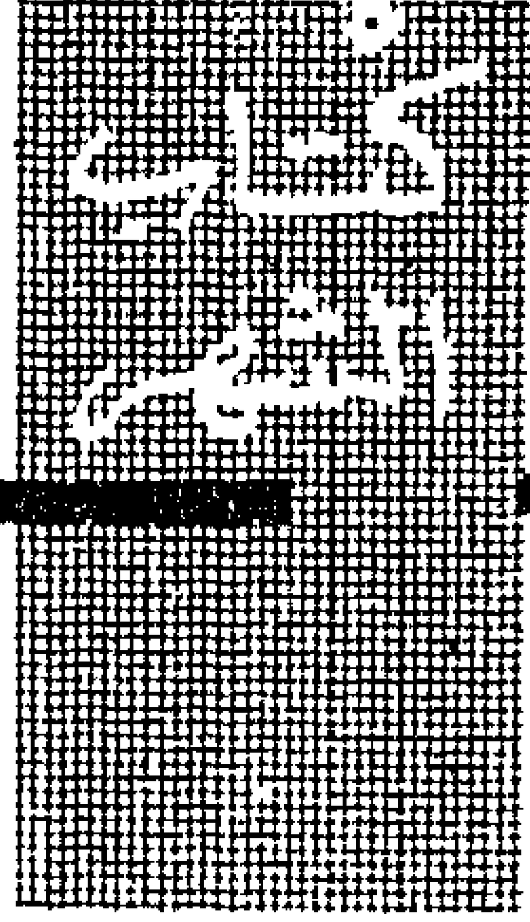
أما عن الذهب والماس وهما أهم منتجات اتحاد جنوب افريقيا فقد اتسع انتاجهما بعد اكتشاف مناجم حديثة للماس . وهذا ما يفسر ما صرح به « هارى أوبنهايمر » رئيس المؤسسة الامريكية الانجليزية حين قال : « ان هذه الدولة تتمتع الان بازدهار لم يحدث من قبل . »

سياسة نيجيريا الخارجية

القى السيد الحاج أبو بكر تافاوا رئيس وزراء ساحل العاج فى مجلس النواب النيجيرى بيانا أوضح فيه سياسة بلاده الخارجية قال فيه :

« تعترف الحكومة الفدرالية عند وضع سياستها الخارجية بأن اول واجب لها هو حماية وتنمية مصالح الاتحاد والافراد .. ويستمر فى القول بأنهم قد سبق وأعلنوا عن نواياهم فى الانضمام الى الكومنولث البريطانى والامم المتحدة . ويجب أن يفهم تماما ان كل عضو فى الكومنولث يتمتع باستقلال تام يتساوى مع كل عضو ولا يخضع لاى تأثير سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية ولكن هناك فائدة كبرى وراء الانضمام الى هذه المنظمة وهى تبادل الافكار والمصالح بين الدول الاعضاء فيها وكذلك الاستفادة من الخبرات التى توجد فى الامم المتحدة والتى لاتتعارض أبدا مع مصلحة نيجيريا .

ويستطرد الحاج أبو بكر قائلا : انهم سيحاولون أن يقيموا علاقات صداقة مع كل دولة تحترم سيادتهم وتعترف بها كما انهم لن يتبعوا أية دولة تبعية عمياء . وعلى هذا الاساس فان سياستهم فى كل مناسبة سيتم وضعها على أسس حيادية مستقلة دون أية مؤثرات خارجية ومن أجل مصالح نيجيريا نفسها وهم يعتبرون أن من الخطأ ارتباط الحكومة الفدرالية بأية دولة أو كتلة بل يجب أن تكون حرية العمل هى الظاهرة الاساسية مع مصالح نيجيريا ومع المبادىء الخلقية والديمقراطية التى ينص عليها الدستور . ويؤكد رئيس الوزراء أنهم سيهتمون باعتناق سياسات واضحة وعملية بالنسبة لافريقيا لان هدفهم هو مساعدة كل دولة افريقية على ايجاد حل لمشاكلها والاهتمام بزيادة التفاهم المشترك بين جميع الدول وخاصة بين الدول الحديثة التى ظهرت فى هذه القارة .



الولايات المتحدة وافريقية

بقلم ثمانية الاخصائيين فى الشئون الافريقية
عرض وتقديم الأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

تهتم الولايات المتحدة بافريقية ما فى هذا من شك ، وافريقية كما قلت فى كتابى « صراع الجبابرة » هى قارة القرن الحادى والعشرين فاهتمام الولايات المتحدة بافريقية اذن ضرورة حتمية بحكم الاوضاع فى الحرب الباردة طابع هذا العصر الذى نعيش فيه ثم بسبب الدور الذى للكتلة الافريقية — الاسيوية فى ميدان السياسة الدولية اليوم .

ولكن الولايات المتحدة تأخرت فى التعرف على افريقية فى الماضى والحاضر ، فلم يطرق أرضها أمريكى مثل هنرى مورتون ستانلى الامريكى بالتبنى فى سنة ١٨٧١ .

وأول مؤتمر دراسى جدى لافريقية فى جامعة كولومبيا سنة ١٩٥٨ مؤتمر استمر لأربعة أيام استمع فيها المؤتمرون وهم أربعة وستون من أعلام السياسة والتاريخ والجغرافية والاقتصاد والاجتماع لمحاضرات فى اليوم الأول ثم ناقشوا فى الايام الثلاثة عدة دراسات كانت قد أعدت لهذا المؤتمر ، وعن هذه الدراسات كان هذا الكتاب الذى نحن بصدده اليوم من أقلام روبرت اميرسون — جيمس كولمان — فيرنون ماكبى — دانييل توماك — اندر وكامارك وليم براون — هايلان لويس وولتر جولد شميدت .

ولقد عالجت هذه الدراسات صلات الولايات المتحدة بالقارة لا فى أسلوب أكاديمى بل فى ضوء واقع الحوادث والاتجاهات فى مختلف الميادين ، وأجمل ما فى هذه المعالجة ان الباحثين قد عرضوا الصورة فى افاضة ولم يحاولوا أن يفرضوا رأيا أو أن يرسموا توجيها .

طبيعة المصالح الامريكية فى افريقية

لا يرجع ادراك الولايات المتحدة — فى طابعه الحالى — لأهمية افريقية لأبعد من الحرب العالمية الثانية عندما أرغمتها السياسة والاستراتيجية والاقتصاد مجتمعة معا على أن تعنى بجزء من العالم هو خمس مساحة الكرة الارضية كانت حتى ذلك الوقت قد أهملته وأغفلته ..

صحيح انه كانت هناك صلات بين الولايات المتحدة وبين افريقية فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، صلات مع الدول التى قامت فى بلاد البربر فى شمال غرب افريقية خاصة بالملاحة وتأمين سير السفن فى بحر يسيطر عليه القرصان ، وصلات خاصة بتجارة الرقيق التى جاءت باسلاف عشر سكان امريكا حاليا ، ثم صلات تبعا لاقامة جمهورية ليبيريا على الساحل الغربى لافريقية فى سنة ١٨٤٧ ، كما أن وفدا من رجالها حضر مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ المؤتمر الذى رسم تقسيم القارة بين الدول المستعمرة .

ولكن كل هذه فى الواقع صلات لا علاقة لها بالصلات الحالية التى بدأت فى منتصف الحرب العالمية الثانية ثم تطورت تطورا عاجلا وعلى نطاق واسع بعد سنة ١٩٤٥ وبخاصة منذ قيام الحرب الباردة ووضوح ماذا يمكن أن تقاسيه امريكا لو اتجهت البلاد الافريقية

الى الفلك السوفييتى ، وكذلك بسبب التغير الكبير الذى لحق بافريقية أثر قيام الحركات المضادة للاستعمار ووضوح أثر الحركات القومية ثم تبعا لاكتشاف امريكا أن مواردها من المواد الخام أبعد من أن تكون بمنجاة من الاجهاد والاجداب ، وهكذا فانها مرغمة على البحث عن حلفاء تتوافر لديهم مستودعات جديدة لم تستغل بعد من هذه المواد الخام حتى يمكن أن توازن بين الامداد والمطالب .

ومن هنا كان من الضرورى أن تعنى الولايات المتحدة بالخطط الكتلة التى كان من الضرورى أن تتشكل ، كتلة « اور ــ افريقية » التى يمكن أن تجمع فى نطاق واحد : رأس المال ــ الطاقة والمهارة ــ احتياطى كبير من المواد الخام لا زالت أمامه سنوات طوالا حتى يبدأ مرحلة الاجهاد .

ومهما كانت قوة الجانب الذى نقف فيه الولايات المتحدة فان هناك حقيقة وهى أن الامريكان ــ سواء أحبوا هذا أم كرهوه ــ يجب أن يقنعوا أنفسهم بأن ما يحدث فى افريقية قد يكون له تأثيره الحاسم على مستقبل وعلى توجيه حياتهم .

وقد لا يكون من محل هنا لمناقشة ما جاء فى الكتاب خاصا بالتقسيم الذى يتحدث عنه بالنسبة لافريقية : افريقية البحر المتوسط ، افريقية الزنجية ، افريقية الجنوبية فى اتحاد جنوب افريقية الذى يعتبره دولة بيضاء لتحكم مليون ومائتى ألف من البيض فى عشرة ملايين من البانتو .

والواقع ان مسألة تقسيم افريقية الى افريقية الشمالية وافريقية لجنوب الصحراء باعتبار الصحراء حاجزا للفصل لمسألة غير صحيحة ذلك لأن الصحراء لم تعطل فى الماضى التبادل التجارى الثقافى ، فكيف يمكن أن تعطلهما فى الحاضر والمستقبل ، ثم كيف يمكن أن يقدر الكاتب روبرت اميرسون هذا فى الوقت الذى يتحدث هو عن اختراق الاسلام عقيدة وافرادا الى عمق كبير لجنوب الصحراء فى غرب وقلب افريقية بأكثر مما كان بالنسبة لشرق افريقية الوثيق الصلة بالعرب والاسلام من تاريخ مبكر سابق .

ولا من محل أيضا لمناقشة مشكلة المستوطنين البيض فى جنوب افريقية وفى شمال افريقية العربى وفى كينيا والروديسيين فقد ناقشنا هذا عند تقديمنا لكتاب « مستقبل الرجل الابيض »

وهنا تبدو ناحية أخرى من المشكلة هى مسألة « المشاركة » ، والمشاركة فى الواقع أسطورة ، ذلك لانه مع وجود بيض فقراء فى افريقية ، الا أن المستعمرين والمستوطنين البيض فى افريقية يعتبرون واحة من الرخاء فى صحراء الفقر الافريقى ، والطابع الاجتماعى فى افريقية يعتبر طابعا بدائيا ، وتتكرر دائرة الفقر حول نفسها تكرارا لا نهائيا ، نقص فى التغذية ، سوء الحال الصحية ، نقص التسهيلات الطبية والصحية ، نقص المهارة ، نقص رأس المال ، اقتصاديات تقوم على أساس مستويات معيشية منخفضة .

ولكن اذا قلنا : « لو أنه لم يكن هناك أى تدخل أوروبى فان افريقية كانت ولا شك ستتغلب على هذا الفقر الطويل العمر » ، فهل يمكن أن نقول : « لو انسحب الاوربيون تماما من افريقية فهل يمكن أن يرتفع المستوى المعيشى للافريقيين بدرجة كبيرة ؟ » هنا تختلف الآراء والكاتب يرى أن افريقية مدينة للمستعمرين الاوروبيين بتقديمها للعلم الحديث ، كما أنه مع كثرة مواردها الأساسية ومع كثرة الامكانيات والطاقات لسكانها فان رأس المال الافريقى واستثمار الموهبة والمهارة للقوى البشرية الافريقية لا يزالان غير كافيين بالقدر الذى يمكن من أن يدفع برامج التطور للأمام دفعة واسعة .

الضغوط السياسية المختلفة فى افريقية

ومن ان فيرنون ماكى يعرض لكل التيارات السياسية المتدفقة من خارج القارة فيعرض للتطور الذى أوجده قيام دول جديدة لها أصدقاء فى العالم السوفييتى وفى العالم العربى ــ الاسيوى مما جعل الغرب يدرك قلة ما يوليه من عناية للمشاكل الافريقية بل وأهمية الحاجة للتعامل مع الافريقيين مباشرة ، وينعكس هذا الادراك من البيان الذى أصدرته

دول حلف شمال الاطلنطى بعد اجتماع ديسمبر سنة ١٩٥٧ والذى جاء فيه :

« وتأمل دول الحلف أن دول وشعوب افريقية ستتعاون فى نطاق العالم الحر لتقوية الجهود التى تبذل لتطور الاستقرار السياسى والاقتصادى لدولة افريقية ، وهذه الدول لتؤكد استعداد شعبها للتعاون مع دول وشعوب افريقية من أجل هذه الأغراض » .

ولهجة البيان لتدل على تحول منسجم من المشاركة القديمة الطابع التى كانت تقوم على أساس عبء الرجل الابيض .

ومصالح حلف شمال الاطلنطى فى افريقية تجمل صورة واحدة من صور النفوذ والتأثير التى تجيء من العالم الخارجى ولها دورها فى تطور افريقية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

ولقد كانت الامم المتحدة أولى القوى المؤثرة ، ولقد وصفت الأمم المتحدة فى يوم ما بأنها المرآة التى تعكس نهضة الشئون الافريقية ، ولكن الأمم المتحدة فى الواقع كانت أكثر من مرآة فقد كان لها دورها المباشر عن طريق لجنة الوصاية التى كانت تفحص أحوال سبع مناطق تحت الوصاية « صارت ستا بانضمام توجولاندلفانا فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ » وفى مناطق الوصاية هذه عشرون مليونا من الناس أى عشر سكان القارة ومساحتها ٧٤٤ر٨٠٢ ميلا مربعا أى ٧ ٪ من مساحة القارة .

وللهند أثرها الكبير فلها سبعمائة الف هندى فى أفريقية أكثر من نصفهم فى جنوب افريقية وبخاصة فى ولاية ناتال على المحيط الهندى وهم من نسل عمال الارض الذين جاءوا الى البلاد بعد سنة ١٨٦٠ ولقد تعددت الشائعات عن موقف الهند مستقبلا وعن تحولها للشيوعية بعد نهرو وعند استخدامها للوثوب الى افريقية التى تتخذ قاعدة لغزو غرب أوروبا مع ان سيادة الهند بالنسبة لافريقية قد وضحها خطاب نهرو فى ١٥ من سبتمبر سنة ١٩٥٣ عندما قال مخاطبا هنود افريقية : « اننا سنساعدكم بالطبيعة اننا معنيون بحمايتكم ، حماية كرامتكم ومصالحكم على شريطة أن لا تقفوا موقفا مضادا لشعوب افريقية لانكم ضيوفهم ، واذا كان الافريقيون لا يريدونكم فيجب أن تتركوا افريقية أنتم وأمنعتكم » .

ويعرض للضغط من جانب مصر ومن جانب « الاسلام » ، ويتحدث عن هذا تحت عنوان « أطماع ناصر » ويعرض لما جاء فى كتاب « فلسفة الثورة » خاصا بافريقية وان « مصر » لا تستطيع أن تظل بمعزل عما يدور فى افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون افريقى سيما ومصر تحرس الباب الشمالى لافريقية وهى صلة اتصال الافريقيين بالعالم الخارجى .

ويعرض للخطوات التى قامت بها « مصر » منذ صدور كتاب فلسفة الثورة ويتحدث عن زيادة التمثيل السياسى وزيادة ساعات الاذاعة باللغات الافريقية وتعدد البعثات التجارية والبعثات الثقافية ، واستخدام الدين الاسلامى والحياة الاسلامية كوسيلة لنشر النفوذ المصرى .

ويعرض لدور « المؤتمر الاسلامى » الذى يطلق عليه اسم « اليونسكو الاسلامى » ويتحدث عن جهود مؤتمر التضامن الاسيوى ـ الافريقى .

ولكن الواقع ان « ماكى » يعنى أكثر ما يعنى بـ « الشيوعية فى افريقية » . ويناقش ازدياد اهتمام السوفييت ويعرض القيمة التى لافريقية فى الاستراتيجية واقتصاديات أوروبا ، ويرى أنه فى ضوء الظروف الحالية فان أهم ما يجتذب انتباه الامريكى هو ازدياد النشاط الشيوعى فى « افريقية » ولكن من الحماقة أن نبحث أسفل فراش كل داعية للقومية على شيوعى ولا أن نعتبر كل من يعمل ضد الاستعمار مطالبا برحلة الى موسكو ، ولكن من الحماقة فى نفس الوقت وبنفس القدر أن لا نقدر بأنه أسفل فراش كل وعاية للقومية المكان الصالح لاقامة العميل الشيوعى ، فان عدم استقرار الطبقة

الكادحة وازدياد نمو طبقة وسطى مع جماعات تتحرك من العزلة الى الاشتراك فى ميدان واسع للاقتصاديات مع تنافس سياسى ومع توافر شوائب أدران عهد الاستعمار ثم « مع بروز دول مستقلة تقوم على أسس مهتزة » (؟) ، وكل هذا يوجد العناصر الصالحة لقيام الشيوعية ...

ولا تفتقر الحال الى الادلة ... فالأدلة كثيرة تدلنا على ازدياد مصالح السوفييت فى افريقية وهى أدلة لا تترك أى شك فى ازدياد النشاط الشيوعى لكسب الشعوب الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال والبارزة لتوها من خضم الاستعمار ، ويعنى فى الاتحادالسوفييتى بدراسة الثقافة واللغات الافريقية ، ويشجع الطلاب الافريقيون على الدراسة فى الاتحاد السوفييتى أو فى بلاد الكتلة الشيوعية ، كما يشجع الطلاب على حضور أعياد الشباب والمجتمعات الترويحية .

وتولى الشيوعيين الأمر فى أى دولة افريقية — وهى تجربة لم تتم بعد فلم تتوافر الفرص التى توافرت فى شرق أوروبا وجنوب شرقى آسيا وامريكا اللاتينية — توليهم الامر يفتح السبيل ويمهد الطريق لخطر تدفق الشيوعيين الى داخل القارة .

ولقد أثبتت الحرب العالمية الثانية أهمية شمال افريقية لأوروبا ، أثبتت أهمية داكار فى السيطرة على خطوط الملاحة عبر الاطلانطيق الجنوبى باعتبارها أقرب نقطة لغزو العالم الغربى من نصف الكرة القديم ، وباعتبار أن أى عملية غزو من الجو يجب أن تتبعها فى أعقابها عملية غزو على نطاق واسع من البحر ومن البر ، كان هذا فى الماضى قبل عشرين سنة ، ومع التطور فى التسليح ازدادت أهمية القواعد الموزعة بالنسبة لقطر الدائرة الذى يعمل فيه الاتحاد السوفييتى مهما طال هذا القطر ... ومهما تغير الشكل من دائرة الى شكل بيضاوى ممتد من الاطراف مع بعض الانبعاجات العمودية على القطر هنا وهناك ، فى ضوء هذه الاهمية للدفاع بعمق وضح أن شبه **جزيرة أوروبا تقف عارية معرضة ما لم تعتمد على العمق الكبير الذى تقدمه افريقية فضلا عن السعة التى تمكن من المناورة بالقدر الكبير الذى تحتاجه صورة الحرب المتوقعة لو جاءت (؟!)**

ومن ثم فان افريقية فى الواقع توجد فراغا استراتيجيا وفراغا اقتصاديا لأوروبا لهما أهميتهما الكبرى ...

ومن المحتمل ان نظرية « اور — افريقية » يمكن أن تجتذب مزيدا من انتباه الأوروبيين ما لم يقطع الافريقيون عليهم الطريق فى خضم الخوف من تجدد الاستعمار تحت ستار جديد .

وأوروبا تحتاج هذا الفراغ الاقتصادى لتجد فيه الأسواق الجديدة لمنتجاتها وكمورد للمواد الخام فضلا عن الامكانيات الصناعية التى لم تكتشف بعد ، وثرواتها من المواد الاستراتيجية كبيرة جدا ، وفى كثير من الصناعات تقف افريقية فى مكان الصدارة أو على مقربة من مكان الصدارة ، وهى منتجة للرصاص والمنجنيز والنحاس والانتيمون كما أن فى أفريقيا احتياطيا كبيرا من الحديدالخام والبوكسيت ، كما أن لأورانيوم الكونغو « ليبولدفيل » الاهمية الكبرى ، وتتزايد فى سرعة المحموم عمليات البحث عن البترول فى اكثر من مكان .

وسائل التسرب السوفييتى

ويعرض « ماكى » الوسائل التى عن طريقها يمكن تسرب الآراء السوفييتية الى افريقيا :

١ — **التجارة** : كانت جملة صادرات الكتلة السوفييتية الى افريقية فى سنة ١٩٥٦ « آخر احصاء رسمى » ١٤٦ر٤٩٢ر٠٠٠ دولار مقابل واردات جملتها ١٧٣ر١٤٠ر٠٠٠ دولار ولكن منذ ذلك التاريخ ازداد ارسال البعثات التجارية السوفييتية الى الدول الافريقية لشراء حاصلاتها الزراعية وامدادها بالمصانع والآلات .

٢ — **الاحزاب الشيوعية** : لم يكسب السوفييت عضوية أحزاب شيوعية افريقية

بسبب ان الاحزاب الشيوعية تعتبر أحزابا غير قانونية فى أغلب البلاد الافريقية .

٣ ـ **اتحادات العمال :** يسيطر الشيوعيون على الاتحاد الفيدرالى العام للعمل الذى تنتشر وحداته فى أغلب افريقية وهذا الاتحاد جزء من الاتحاد الفيدرالى العالمى لاتحادات العمال على أنه لمواجهة هذا دخل الاتحاد الكولفدرالى الدولى لاتحاد العمال الحرة أفريقية وفى يناير سنة ١٩٥٧ عقد الاتحاد الكونفدرالى مؤتمرا فى أكرا برياسة نيكروما حضره ممثلو ثمانى عشرة دولة أفريقية .

٤ ـ **الطلاب الافريقيون وحفلات أعياد الشباب .**

٥ ـ **الاذاعة والصحافة السوفييتية :** تسمع الاذاعة الروسية بالانجليزية حتى جنوب افريقية ، كما زيدت ساعات الاذاعة العربية ـ وتذيع اذاعة موسكو وبكين وصوفيا والمانيا الشرقية بالانجليزية والفرنسية والعربية ، كما تصدر نشرات شيوعية توزع على نطاق واسع ، ويرسل بعضها للأفراد بالبريد أو ترسل بكميات أحيانا عن طريق فرنسا الى افريقية الاستوائية .

٦ ـ **الأمم المتحدة :** ويستخدم السوفييت منصة الأمم المتحدة كوسيلة نافعة بوقوفهم دائما الى جانب الشعوب المستعمرة ، ومن منصة الأمم المتحدة يلقى ممثلو الكتلة السوفييتية دائما ما يميل الافريقيون لسماعه .

الدراسات الافريقية فى الاتحاد السوفييتى

وقد أدى هذا الاهتمام المتزايد من جانب السوفييت الى العناية بتطور البحوث والدراسات الافريقية ، وفى ابريل سنة ١٩٥٦ بعد شهرين من انتهاء المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى قررت أكاديمية العلوم تحويل انتباهها الى جنوب شرقى آسيا والى أفريقية ، والى تدريب المزيد من الأفراد على الدراسات الافريقية والشرقية ، وفى سبتمبر من نفس السنة أعلنت اذاعة موسكو ان قسما خاصا بافريقية سينشأ فى معهد العلوم الشرقية وان العلماء السوفييت سيرسلون الى تلك المناطق للقيام بأبحاث علمية ولزيادة معرفتهم ، **كما وجهت عناية أكبر لدراسة** اللغات الافريقية وبخاصة اللغات الامهرية والهوسا والسواحيلى والزولو .

وفى سنة ١٩٥٧ قام بوتكين برحلة دراسية قصيرة الى غانة ، وكان فى هذا طابع جديد ذلك لأن العلماء السوفييت كانوا يعتمدون فى معرفتهم بافريقية على مؤلفات الغربيين ، وفى سبتمبر سنة ١٩٥٧ نشرت مجلة أكاديمية العلوم السوفييتية مقالا تصف به خطة للبحث مداها خمس سنوات تعنى كلها بالشئون الأفريقية ، وقد نشرت مجلة الانثروبولوجية السوفييتية » فى العدد الثالث من مجلد سنة ١٩٥٧ بيانا ضافيا عن هذه البحوث كان أولها : « كفاح شعب نيجيريا ضد الاسترقاق الامبريالى بعد الحرب العالمية الثانية » مما يدل على طبيعة اتجاهات هذه الدراسات .

مؤثرات جديدة من جانب أوروبا الغربية

ولقد حدث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية تغير فى اتجاهات دول غرب أوروبا فبدلا من السلبية القديمة لمقاومة المطالب الافريقية الفجة غير الناضجة « هكذا !! » جاء نوع جديد من الضغط هو جهد ايجابى لحث الافريقيين على البقاء ضمن الكيان الغربى بعد أن تحقق استقلالها .

وكانت مظاهر هذا ، منح عدة ملايين من الجنيهات وبلايين الفرنكات لبرامج التطور والتنمية ، حث فرنسا لشعوب افريقية الاستوائية على تقبل نوع من الارتباط بفرنسا ، محاولة بريطانيا لجعل كينيا واتحاد روديسيا ـ نياسالاند الفيدرالى « الذى أخفق فيما بعد » يقيم طابعا متعدد الأطراف للتطور السياسى ، وجعل حركة **اور ـ افريقية** تشتمل على البلاد التى لم تستقل بعد ضمن نطاق المجموعة الأوروبية الاقتصادية .

وهكذا جاءت « بالارغام » بدلا من السياسة السلبية للاحتفاظ بالنظام والقانون والاعتماد

على أن تشق كل مستعمرة طريقها الى غاية ما يمكنها من مواردها ، بدلا من هذا جاءت سياسة ايجابية للمعونة المالية لبناء الأسس الاقتصادية والثقافية للحكم الذاتى مستقبلا، وكان الحكم الذاتى هو الوصف المخفف الذى وضعه الغرب بديلا للاستقلال ..

وكلمة « اسبويون » تطلق فى الغالبية على الهندوس والهنود المسلمين والعرب والصوماليين وسكان جاوا فى الهند وغيرهم وينقسمون تبعا للدين واللغة والثقافة ، وعددهم ٨٠٠ر٠٠٠ منهم ٤٣٠ر٠٠٠ فى جنوب افريقية و ١٩٠ر٠٠٠ فى كينيا و ١٠٠ر٠٠٠ فى تنجانيقا و ٦٠ر٠٠٠ فى أوغندة مع أعداد صغيرة فى الروديسيتين ونياسالاند وموزمبيق ، ويعمل غالبيتهم فى التجارة ومن النادر أن يتملك أيهم أرضا أو مزارع ويرجع هذا جزئيا الى حرمانهم من حق التملك مع أنهم يكونون قطاعا هاما فى الطبقة العاملة من المهرة وأنصاف المهرة كما يعمل بعضهم فى الوظائف الحكومية ، وفى مهنتى المحاماة والتدريس ، وبعضهم أثرياء والتجار منهم يسيطرون على التجارة فى كينيا وتنجانيقا ، ويمطل الاوروبيون والافريقيون أحيانا من قوتهم الاقتصادية وصلاتهم بالاوروبيين محدودة بالقدر الذى يتطلبه العمل فى التجارة أو الاعمال الحكومية وينغمرون تماما فى الحياة الافريقية .

وتختلف أوضاعهم من الناحية السياسية فلا حقوق سياسية لهم فى جنوب افريقية ، ويقفون فى تنجانيقا حاجزا بين الاوروبيين والافريقيين ، ولهم فى أوغندة دور سياسى له أهميته ، على أنه من المتوقع أن تضعف قوتهم فى كينيا وتنجانيقا كلما نمت قوة الاوروبيين .

ولاغلب الاسيويين وبخاصة الهنود والباكستانيون صلات ثقافية بأوطانهم مع أن أغلبهم مولدون فى شرق أو جنوب أفريقية ، أن حكوماتهم تعنى بأمرهم . وتقف الهند وباكستان بين مجموعة الدول التى تتبنى الحرب ضد التفرقة العنصرة فى الامم المتحدة .

الثقافة وتغير القيم فى افريقية :

والواقع أنه لكى نستطيع أن نتفهم مستقبل شعب فمن الضرورى أن نتفهم ماضيه ، واذا كان لنا أن نرى الطوابع الحيوية البارزة فمن الضرورى أن نعرف القوى الثقافية التى تشكل وجوده ، ذلك لان أسلوب حياة أى شعب فى أى وقت وفى أى مكان من الارض انما يقوم على أساس عاداته فى الماضى ، فكيف مع الظروف والاحتياجات الحاضرة ، وطوابع الحياة هذه هى التى يسميها عالم « الانثروبولوجيا » ــ علم الانسان وأعماله ــ « الثقافة » .

وقبل أن ننظر الى ثقافة ماضى افريقية يجب أن نتوقف لنقدر معنى الاصطلاح نفسه .

وكلمة « ثقافة » تعنى (الوسائل العادية التى تتم بها الاشياء فى كل مراحل الحياة ، كيف يحصل الناس على الغذاء من الارض ، كيف ينظمون مجتمعهم ، كيف ينظرون الى العالم من حولهم ، كيف يتشاركون فى العواطف والمشاعر ، والشىء الهام هو أن هذه كلها تعلم ولا تورث وهى تنتقل بالتعليم من جيل الى الجيل الذى يليه) .

ويجب أن ندرك بأن هناك ما يقال له نوع من الاستمرار المتصل فى الثقافة ، وكل جزء يؤثر فى غيره ، وأن الاجزاء كلها ترتبط فى كل يتكامل فى طابع موحد من الحياة تحت الظروف العادية ، والاهم من هذا كله هو أن كل شخص انما يتشكل فى ضوء الثقافة التى ينشأ فيها ، ومن ثم فانه :

ماذا هو ؟ ــ فيم يفكر ؟ ــ بماذا يشعر ؟ وماذا يفعل ؟

هذه نتاج وثمار ثقافة ، وليست هذه بالمسألة الغامضة ، ولكنها تجىء تحت أصول تدريجية للظروف من حول الفرد .. والعادة أن الفرد يعتقد بل ويؤمن بأن ثقافته وحدها هى الصحيحة ، وأنها الوسيلة التى لا معدى عنها لعمل الاشياء ، وليست هى مجرد مجموعة من العادات بل انها أسلوب الحياة ، ولكل شعب أسلوبه الخاص فى الحياة .

واذا كانت الثقافة تشكل الفرد فماذا يشكل الثقافة ، هناك قوى كثيرة هى :

١ ــ المعرفة والايمان بالماضى

٢ ـ ما يجيء مع الاجيال من تقاليد
٣ ـ مقومات البقاء
٤ ـ الطابع الخاص للبيئة والارض
٥ ـ استخدام الاسلوب التقليدى
٦ ـ ضرورة تحقيق الافراد لحاجاتهم المادية والحصول عليها .
٧ ـ احتياجات كل مجتمع لقواعد السلوك فى الاعمال اليومية
٨ ـ تأثير الثقافات المجاورة .

وأبرز هذه القوى بالنسبة للتطور الثقافى فى افريقية هو القوة الاخيرة (تأثير الثقافات المجاورة) .

ولقد بدأت أولى هذه المؤثرات فى افريقية الزنجية نقلا عن المصريين القدامى ، فقد عاش هؤلاء منذ قرون معرقة فى القدم حياةزاخرة بكل المقومات وفى تقدم وازدهار عند ماكان المتوحشون يجوبون فى أغلب أرض أوروبا ، كانوا يكتبون على الاحجار وعلى أوراق البردى ويروون الارض ويزرعونها ، وكانت لهم نظم حكومية وفنون وكلها عناصر رئيسية فى الحضارة يحق لافريقية أن تزهو بأن لها قصب السبق فيها .

وانتقلت هذه الحضارة مع التجارة ، لشرق افريقية مع السفن عبر البحر الاحمر حتى (كلوة) و (سوفالية) ، ومع النيل وروافده لقلب القارة ، وعلى طرق القوافل فى الصحراء لغرب القارة .

ثم جاء تطور آخر عند الاتصال بالامم الاوروبية وبخاصة فى المناطق الساحلية .

ومع أن الفائدة من الطابع الثقافى هو التكيف مع الظروف الجديدة فى اتزان الا أنه قد حدث فى بعض مناطق افريقية الغربية بخاصة تطور حاد مفاجيء .

على أنه برغم هذا فان الناس الذين يعيشون فى صحراء كلها رى ، أو فى الاراضى الجافة فى شمال كينيا والاقزام الذين يعيشون فى أعماق غابات حوض نهر الكونغو لم يتأثروا بشيء مما يدور من حولهم .

والشيء الذى يجب أن نلاحظه هو أن التغير الثقافى فى افريقية قد اشتمل على :

١ ـ اضافة عناصر ثقافية جديدة .
٢ ـ ازالة بعض الطوابع القديمة .
٣ ـ احلال بعض صور السلوك الجديد مكان الصور القديمة مع بقاء التقاليد القديمة فى طابع مختلف .

وتوافر هذه الصور الثلاث يوضح اختلاف التكيف الذى تعرض له الافريقيون فى كل منطقة .. ولكل قبيلة ولكل فرد ظروفه الخاصة .. ولكن ما من شك أن عوامل التكيف كانت كما قلت حادة ومفاجئة فى بعض نواحى القارة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر حطمت الهجرة للعمل فى المناجم من الصلات القبلية ، كما حطمت حضارة المدن والمساكن الصغيرة من المجتمعات الاسرية الكبيرة ومن مسألة الضيافة فى مجتمعات الاشانطى وبالرغم من بقاء تقاليد الماشية فى دفع أجور الزوجات عند البناء بهن الا أنه فى كثير من المناطق حلت الاجور النقدية مكان الابقار .

ولهذا معناه الكبير ما فى هذا من شك .

((محمد عبد الفتاح ابراهيم))

((بقية من القصص الشعبى الافريقى))

ولكن النسر لم يطر بل صفق بجناحيه ثم نزل الى الارض . وسخر الصياد من الحكيم ثانيا .. ولكن الحكيم ظل مصرا على رأيه .

وفى الصباح التالى ذهب الحكيم مبكرا الى بيت الرجل .. واخذ النسر الى الفضاء الواسع خارج البلدة .. وكانت الشمس قد بزغت فوق الجبال وملأت بأشعتها الكون .. وقد بدا كل شيء وكأنه يسبح فى ضوئها المشرق الجميل .

وحمل الحكيم النسر بين يديه قائلا : أيها النسر انطلق .. ان مكانك السماء .. وليس مكانك الارض .

وسرت رعشة فى جسم النسر .. واخذ يصفق بجناحيه .. وراح يحرك رأسه من ناحية لاخرى .. وقد لمعت عيناه فى ضوء الشمس .. وفجأة ضرب بجناحيه فى الهواء بشدة .. ثم انطلق .. وطار عاليا .. عاليا .. ولم يعد ..

وتردد فى أرجاء الكون صوت قوى مرتفع . انه صوت النسر .

ميشيل مسيحة

فهـــرس موضـــوعى لمجلة نهضـــة افريقيـــة

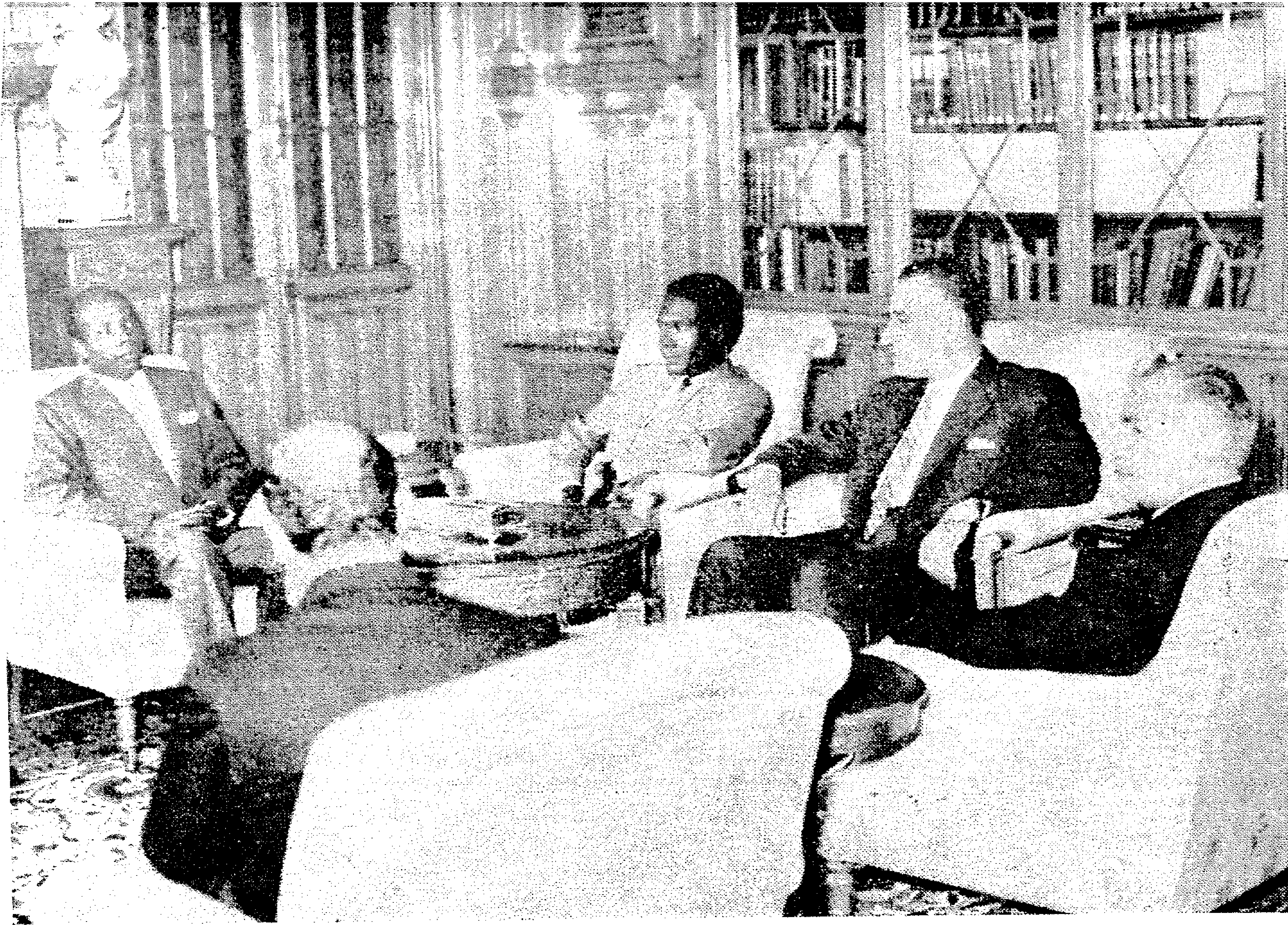
أدب افريقي ـ شعر

أدب افريقى ـ قصص

ارتريا

أنظر أيضا اسماء الدول الاوربية والامم المتحدة - الوصاية

الاستعمار وافريقية



((الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد ملتون أوبوتى رئيس وزراء أوغندا))

ISSUE No 73 — 7 YEAR DECEMBER 1963

RENAISSANCE OF Africa



العدد ٧٤ السنة [illegible] ١٩٦٦ - الثمن ٣ قروش

نهضة أفريقية



سافيمبي يتحدث عن انجولا



كنياتا يحتضن قائد الماو ماو
أو ((العقل)) يحتضن ((القوة))

نهضـــــة افريقيـة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شـارع عبـد الخالق ثروت
تليـفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : **دار اخبـار اليوم للتوزيع**
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا
ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .



نهضة إفريقية
مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

ان مؤتمر القمة الذى انعقد فى القاهرة ، أن تقف قراراته ، وأبحاثه ، ونتائجه عند الجانب العربى الذى يعيش فى آسيا ، وانما سيمتد بفعاليته لا الى الجانب الشمالى فقط من افريقية ، وانما الى كل افريقية .

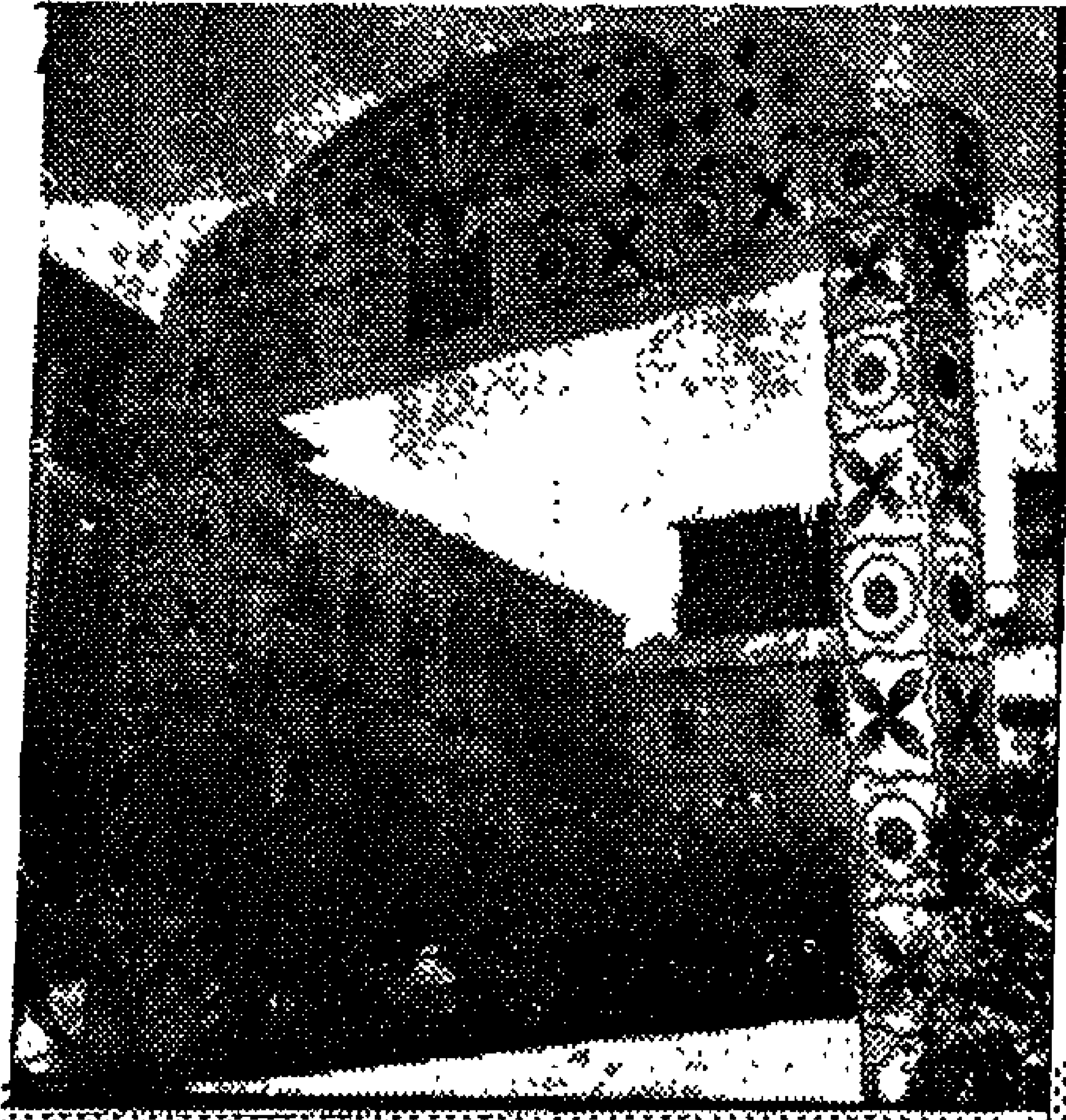
فالقضية الى جانب كونها قضية فلسطين ، هى قضية القارة الافريقية التى تتحرك فيها اسرائيل بخبث ، وبخيوط رفيعة تتلاقى جميعها فى تلك القبضة الرهيبة التى كانت تبسط قسوتها من قبل على القارة .

لقد كان هناك كشف لأعمال اسرائيل فى القاهرة ، وفى مؤتمر الدار البيضاء ، وفى أديس أبابا ، وفى كل مكان كانت الجمهورية العربية المتحدة تتمكن فيه من أن تقول كلمتها .. ولكن هذا المؤتمر العربى فى القاهرة سيلقى النور الغامر على كافة خطوط التسلل التى تتسرب منها اسرائيل ، وعلى عمليات التخريب النفسى التى تقوم بها رغم ((الواجهة)) المضيئة التى تختفى وراءها ، وعلى الخطة الكاملة التى تقوم بتنفيذها لصالح القوة المسيطرة من قبل .

ومهما يكن من أمر ، فانه اذا كان على افريقية أن تقطع الخيوط العنكبوتية التى مدتها اسرائيل الى أكثر من مكان فيها ، فانه على العالم العربى أن يضرب على القلب .. أن يضرب بقسوة وبعنف .. حتى يعم السلام آسيا ، وحتى يورق السلام فى افريقية .

عبده بدوى

فهرس العدد



أفراح الحرية فى أفريقية الشرقية

لمندوبنا الخاص

كتبنا هذا المقال قبل حدوث الانقلاب فى زنجبار . ثم رأينا الا نحدث فيه أى تعديل

لم تلحقنى الدهشة حينما أعلن قائد الطائرة العربية النفاثة ـ بعد اقلاعنا من مطار القاهرة بنحو ساعة ـ أننا نحلق فوق أسوان ،

ولم أدهش كذلك حينما أعلن بعد نحو ساعة أخرى أننا فوق الخرطوم فقد كنت أعلم أن سرعة الطائرة

تقترب من الالف كيلو متر فى الساعة ولكن الدهشة زحفت الى مشاعرى عندما أعلن ـ بعد قيامنا من الخرطوم بتسعين دقيقة اننا نقترب من منطقة جوبا ، فى أقصى جنوب السودان قرب حدود أوغندا ..

ذلك اننى كنت أقيس بمشاعرى تلك المسافة التى سبق أن قطعتها منذ سنوات قليلة على ظهر باخرة نيلية فى خمسة عشر يوما ..

خمسة عشر يوما بلياليها على مراحل شديدة التنوع والاختلاف : من « الخرطوم » الى « كوستى » عبر أرض شبه جرداء ومن « كوستى » الى « ملاكال » عبر مراعى « الشلوك » الطوال الذين تغطى أجسامهم طبقات من « التراب » المتعدد الالوان ومن « ملاكال » الى «بور » حيث تعبر الباخرة بحيرة « نو » من خلال قطعان « سيد قشطة » ، ومنطقة « السدود » حيث تخوض فى تبه من الاعشاب ولا يبدو من مظاهر الحياة الا فراشات تثقب بأجنحتها المضيئة سحب الظلام الحالك ، ومن « بور » عبر أراضى « النوير » الى « جوبا » حيث يترقب مرور « الوابور » ووقوفه فى محطات الوقود المتواضعة حشود من الرجال الاشداء العراة فى أيدى أكثرهم حربة وفى فمه غليون الدخان ، والنساء المشوقات القوام اللاتى

مصريا ممنوع من دخول كينيا » .
وقضيت ليلة باردة على كرسى فى المطار وعلى مقربة منى « مخبر » نشيط ...

وصحوت من خواطرى على صورة تتناقض مع الذكريات القديمة فقد كانت أبواب المطار مفتوحة على مصاريعها للضيوف الاصدقاء ، وكانت قاعات الانتظار وأرض المطارنفسه تموج « بأصحاب الفرح » المنتصرين : « أوجنجا » وزير الداخلية و « كوينانجى » وزير الوحدة الافريقية و « مبويا » وزير العدل و « كيانو » وزير التجارة ، ومئات من شباب « الصف الثانى » لمحت من بينهم أصدقاءنا فى « الرابطة الافريقية » .. « أوكيللو » و « ويرا » .. وفى غمرة الترحيب والعناق أشاروا بحمل حقائبنا الى فندق « امباسادور » فى نيروبى ولكننا استوقفناهم وقلنا اننا ذاهبون أولا الى زنجبار ، فان استقلالها سيكون غدا ، أما أنتم فما زال أمامكم ثلاثة أيام ...

وكانت الأمور تجرى فى بساطة النسيم ، فقد أشار « كوينانجى » الى طائرة صغيرة على مقربة منا وقال : اذن خذوا هذه الطائرة فانها سوف تقلع بعد دقائق ..

وتفحصت الطائرة فاذا بها « داكوتا » من تلك الفصيلة التى لم يصل اليها « تكييف الضغط » ولا أى « تكييف » آخر ، وأوجعتنى « طبلة أذنى » حينما عدت بذاكرتى الى تجاربى معها فى الخطوط الداخلية الافريقية ..

وقلت للسيد « كوينانجى » وهو يصغى بأذنيه وعينيه اللامعتين بالذكاء :

ـ هل تهبط هذه الطائرة فى « مومباسا » ..

قال :

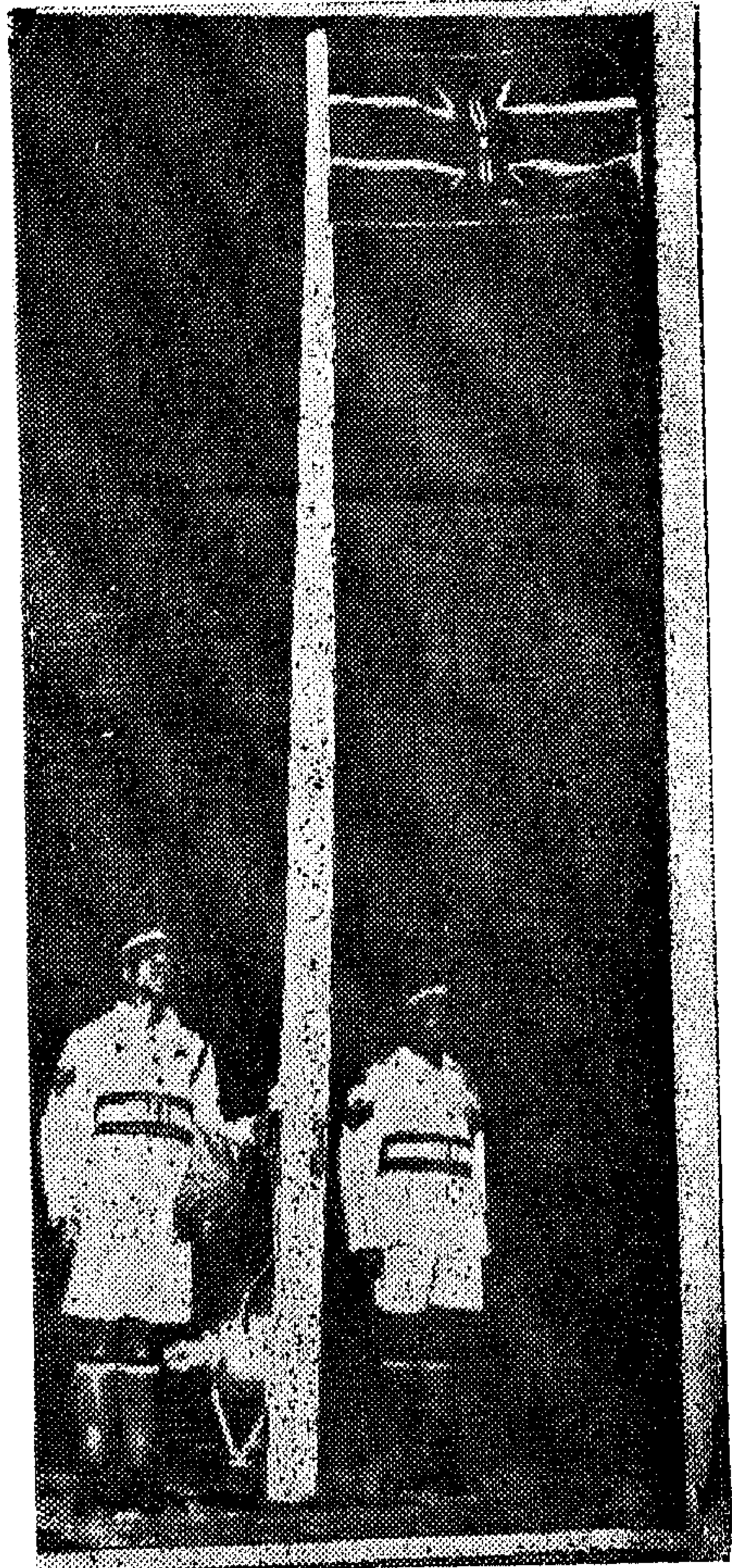
ـ نعم ...

قلت : وهل تهبط فى « تانجا » .؟

قال : نعم ...

وقبل أن استطرد فى أسئلتى الاستنكارية سارع صاحبى يقول :

ـ آه أنت لا تحب ال « داكوتا »



رفع العلم الكينى

لا يغطى أجسامهن الا دهان الزيت اللامع البراق ...

وقد صحوت من خواطرى هذه فى مطار « نيروبى » لأعود الى ذكريات أخرى تعود الى عامين حينما كنت فى طريقى الى « سالسبورى » ومنعت من قضاء ليلة فى نيروبى انتظارا لطائرة « خطوط وسط افريقيا » وتجسد أمام عينى « ضابط الهجرة » البريطانى وهو يقول فى غطرسة وكبرياء .

« كل من يحمل جواز سفر



كينياتا فى موكب ((أوهورو))

... معك حق ... وذهب يستوضح حركة الخط مع زنجبار وعاد يقول :

ــ لقد وجدت لك طائرة ممتازة سوف تقلع بعد نصف ساعة ... انها نوع جــديد استوردناه منذ بضعة أشهر اسمه ((الصداقة Friendship)) وسوف لاتهبط بعد قيامها من هنا الا فى زنجبار ..

والتفت بعينيه الذكيتين مــرة أخرى الى ال ((داكوتا)) وهو يقول:

ــ لقد نجوت من متاعب هــذه العونة .. !

وارتفعت بنا « الصداقة » فى قوة ورشاقة فوق « نيروبى » ومرقت الى الشرق فى اتجاه الساحل ، ثم تركنا وراءنا القارة الافريقية لنشهد عشرات « البقع اليابسة » تتخلل أمواج المحيط الهندى ثم أشرفنا على واحة فسيحة منها تترامى عبر النهر بمروجها الخضراء وشواطئها الصخرية البيضاء التى تتناثر عليها القلاع القديمة والاكواخ الحديثة ذات السقوف الحمراء ..

وفى المطار النموذجى الصغير ، وقف على محسن ورفاقه ، بقلوب وأذرع مفتوحة يرحبون بضيوف الاستقلال وفى سيارة الوزير الصديق ذهبنا الى بيته حيث نزلنا ضيوفا عنده طيلة أيام الاحتفالات ..

كانت روح « أوهورو » (أى الحــرية) ترتسم على ملامح سكان الجزيرة الجميلة وعلى بيوتهم وعلى ملابسهم المتسمة بالطابع العربى القــديم ، وكانت الزينات والأضواء الملونة والمهرجانات الرياضيــة والموسيقى الحماسية والولائم السخية وعبارات المجاملة والترحيب تعكس الحضــارة الزنجبــارية العــريقة التى كانت منار افريقيا الشرقية والوسطى عبر أجيال طويلة ، ومن خــلال مظاهر الافراح الموصولة بعضها ببعض رأينا قصور السلاطين وقلاع البرتغاليين وحوانيت الهنــود و « فيلات » الاوربيين ، وأكواخ الطين والبوص التى تؤوى مزيجا من السلالات الآسيوية والافريقيــة وأبنــاء جزر المحيط

الهنـــدى « سيشل » و « كومـــور » و « مدغشقر » وأبناء الفرس الأوائل وهنود « جوا » الممتزجة دماؤهم بدماء المغـامرين البرتغاليين القدامى ، بل رأينا ملامح من جزر المحيط الهـادى ، وعلى رأسها « جاوا » جاءت بها جميعا « الرياح التجارية » التى ملأت أشرعة السـفن ودفعتهـا من الشرق والشمال ، عبر القرون ، فى اتجاه زنجبار .

وظلت كل مجموعة من هؤلاء تكون « طائفة » منعـزلة عن غيرها على أرض الجـزيرتين الكبيرتين اللتين تتكون منهما دولة زنجبـار والتى لا يزيد عدد سكانهما عن ثلاثمائة ألف نسمة ، الى أن ظهرت الحـركة الوطنية فى السنوات العشر الأخيرة ، وكان « للحـزب الوطنى » بزعامة على محسن ، وحزب الشعب بزعامة محمد الشمتى فضل توحيد العشرات من « الجمعيات » الطائفية تحت لواء دعوة سياسية جديدة ترمى الى استقلال الوطن وامتزاج عناصره فى قومية زنجبارية وطيدة الأركان ...

وقد تجلت الوحـــدة الوطنية فى أعياد الاستقلال ولم يبدر من حزب المعارضة القوى « الآفروشيرازى » أقـل بادرة تعكر صفو الأعياد ، وكانت مدينة زنجبار تتلألأ بعقود الأضواء التى نظمها الأهالى والتجـار على بيوتهم ومتاجرهم ونصبهـا البحـارة على ساريات السفن الراسـية فى الميناء ، ولم تتخلف عن ذلك سفينة حربيـة بريطانيـة أقلعت مسـاء يوم الاسـتقلال وعلى ظهـرها الحاكم البريطانى ..

ولم تتخلف « الطبيعة » عن مجاملة زنجبار فى عيد استقلالها فلم تمطر السماء – على غير العادة فى هذا الفصل المطير – طيلة أيام العيد فتمكنت الجماهير الحاشدة من التجمع فى الهـواء الطلق ، وفى « الاستاد » الكبير لتشهد نزول « علم الاحتلال » وصعود « علم الاستقلال» فى حضرة ضيوف الشرف الذين توافدوا من بقاع العالم وفى مقدمتهم وفد من بلادنا السيد أنور السادات ..

وكان « الاستاد » الرياضى ، طيلة ثلاثة أيام معرضا لفنون الغناء والمسرح والموسيقى، وفى كل حفـل كان الاستهلال آيات يرتلها « شيخ قراء مصر » الشيخ خليل الحصرى .

وفى ختام أيام العيد وصلت من القاهرة « فرقة رضا » للفنون الشعبية فأحدثت دويا فنيا ما تزال أصداؤه تتردد حتى الآن ..

وفى صباح اليوم الثالث من العيد حزمنا حقائبنا وسارت بنا السيارة فى شوارع الحى الحديث الذى يشبه ضاحية « المعـادى » القـاهرية ببيوته المستقلة ذات الحـدائق اليانعة ، وفى أزقة الحى القديم الذى يشبه « الغورية » بحواريه الضيقة المتعرجة ذات الحوانيت الصغيرة المتزاحمة .. وفى المطـار لحقنا باحدى طائرات « الصـداقة » التى حملتنا ، فى مرحلة واحـدة ، من « جزيرة القرنفل » الى « نيروبى » ..

ان عاصمة كينيا هى احدى المدن الافريقية الرائعة : مناخا ونظافة وجمالا وعمرانا ..

فهى تقع على هضبة عالية تجعل من جوها ربيعا دائما على مدار السنة ..

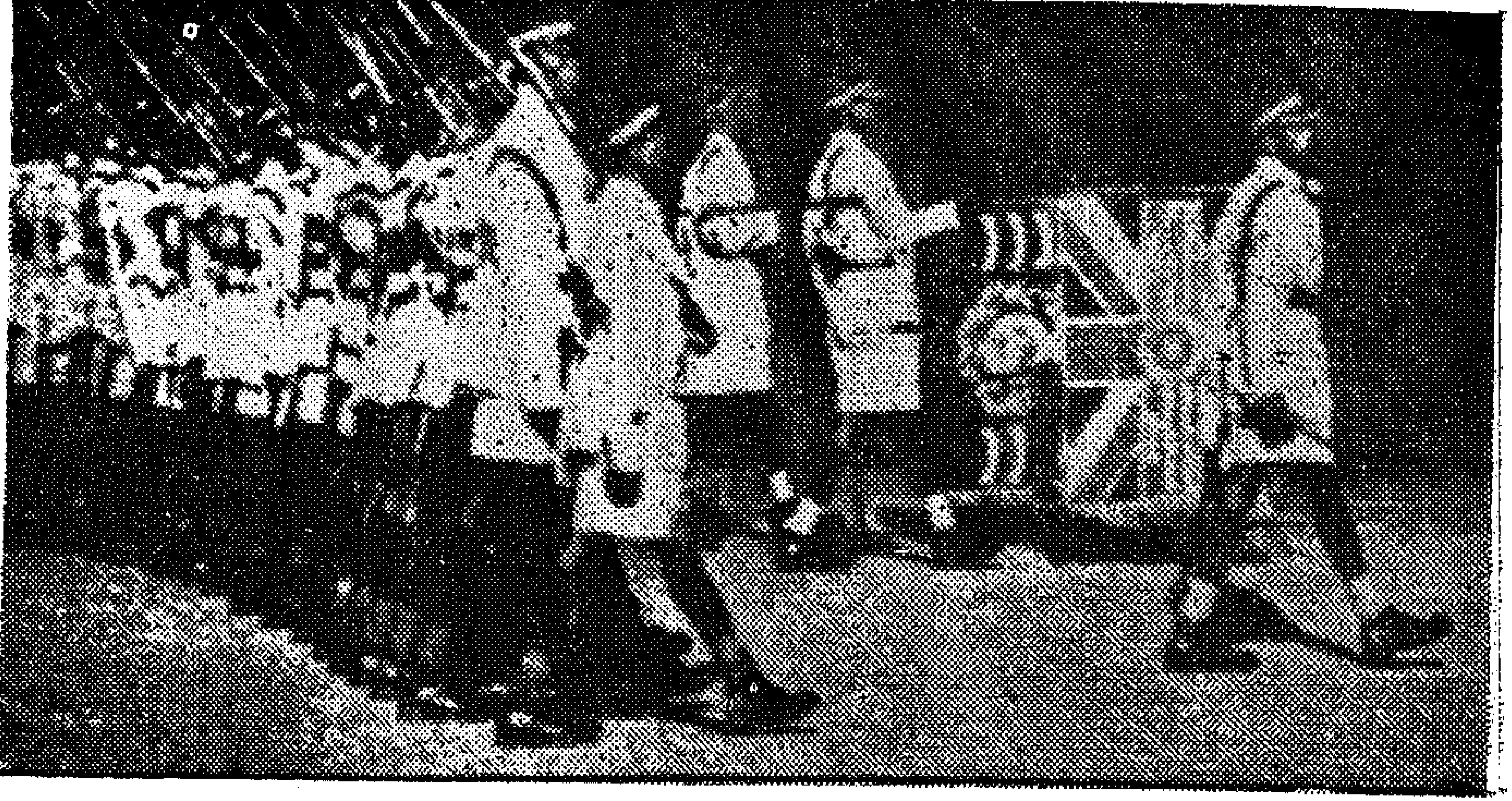
شوارعها فسيحة أنيقة ، وعمائرها شامخة زاهية الألوان ومتاجرها زاخـرة بالبضائع « المرتفعة الأثمان » ..

ولا « يعيب » نيروبى الا أن أكثر مزاياها فى يد المستوطنين الاجانب ، وهو حال لن يدوم بعد الاستقلال ..

لقد أغرى الجو الرائع والأراضى الخصبة عشرات الألوف من الأوربيين ومن سـلالة البوير فى جنوب افريقيا للنزوح الى كينيا واحتكار مصـادر ثرواتها وقـد بلغ من ثراء أحدهم واسمه « بلامير » انه كان يملك نحو مائة ألف فدان وكان لديه عدد من الطائرات الخاصة ينقل عليها منتجات مزارعه « ومن أبينها الثيران » لبيعها فى الكونغو والأقطـار المجاورة ..

وكان أكبر شوارع نيروبى يسمى « طريق ديلامير » .. الى أن جاء الاستقلال وشهدنا تغيير الاسم الى **« طريق كنياتا »** ..

وفى غداة الاستقلال كانت فنادق نيروبى ذات المستوى العـالى تموج بالضيوف من الأجانب ومن رفاق الكفاح الوطنى الافريقى الوافدين من أقصى أركان القـارة .. وقد



نواة الجيش الكينى

حدث أن التقيت فى لحظة واحدة وفى مكان واحد ، هو بهو فندق « نيوستانلى » بالوزير الغانى « ولبك » وملك رواندا السابق « كيجلى الخامس » وقادة الروديسيا « كاوندا » و « انكومو » و « تشيومى » ، وكانت صيحات الدهشة والفرح تتطاير وتختلط فى كل مكان ...

وفى ليلة العيد الأكبر زحف الضيوف ومئات الالوف من الاهالى الى أكبر ملعب رياضى فى وسط افريقية للاحتفال برفع العلم الوطنى ونزول علم الاستعمار ..

وبلغ من تزاحم الطريق الذى لا يزيد طوله عن خمسة كيلو مترات أن قطعناه ذهابا فى نحو ساعتين وعدنا منه بعد الاحتفال فى أكثر من ثلاث ساعات ..

وتحت مظلة شامخة فسيحة من المعدن المطروق جلسنا نشهد الساحة الفسيحة وقد سلطت أضواؤها الباهرة على أفواج لا حصر لها من رجال القبائل ، وهم يؤدون رقصاتهم العجيبة على دقات الطبول ، وكان كل فوج يرتدى زيا مختلفا من الجلد والخرز والريش وهو يقفز ويدور حول نفسه فى الهواء فى سرعة وعنف ورشاقة تأخذ بالالباب ..

وعندما اقتربت الساعة من منتصف الليل وهو موعد رفع العلم واعلان الاستقلال أخذت جموع الراقصين فى الانسحاب من الساحة الكبرى وحدثت مفاجأة لم تخطر لأحد على بال ..

فقد ظهر أمام المنصة الكبرى شخصان كأنهما جاءا من عالم الأشباح ..

كان كل منهما يضع على بدنه « **شرائح** » من الجلد ، وكان كلاهما أشعث الهيئة يتدلى شعره المضفور على كتفيه النحيلتين .. فى حزامه غدارة ، وفى يده خنجر وعيناه اللامعتان تبرقان فى الظلام ..

وسرى الهمس بين الحشود الى أن وصل الى مسامع « **كنياتا** » فترك مكانه فورا وذهب الى الرجلين وعانقهما واغرورقت عيناه بالدموع ..

لقد كان الرجلان من قادة الـ « **ماو ماو** » الذين احتموا بالغابات منذ غلبوا على أمرهم عام ١٩٥٣ ، وظلوا يعانون حياة الشظف والحرمان بين الوحوش عشر سنوات الى أن ترامت الى أسماعهم أخبار الاستقلال ..

ولم يصدق المناضلون المتسترون فى الادغال ما سمعوه فأوفدوا هذين الرسولين للتحقق من النبأ العظيم ...

والتقت عيونهم المتسائلة بعينى كنياتا فقال لهما :

— **نعم ، لقد حصلنا على الحرية ..**

ومد يده فتناول من أحدهما خنجره الحاد ، وأخذ يقلبه فى يده متمعنا ، ثم قال :

– لن نستخدم هذا بعد الآن فى القتال .. سوف نقطع به محاصيل الحقول ونشذب الاشجار ..

وانتصف الليل ، وأطفئت الاضواء ، واختفى الرجلان فجأة كما ظهرا فجأة ، وهبط العلم البريطانى من فوق ساريته فى الظلام ، وانبعثت الاضواء على العلم الكينى وهو يرتفع خفاقا فى الهواء ، ونهض كنياتا ورفاقه يرقصون فى فرح محموم ... وعدنا الى نيروبى ، فى مطلع الفجر ، وفوق رءوسنا صواريخ الألعاب النارية تمرق وتتناثر وتتوهج وتصفر وتنفجر وتزقزق ، وتتدفق فى شلالات من ضياء ...

وفى بلدة ريفية اسمها « نيرى » على مسافة مائة وخمسين كيلو مترا من نيروبى احتشد فى ساحتها الرياضية وفود الضيوف ورجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون من جميع أنحاء العالم وتوافد أهل القرى بطبولهم وأسلحتهم ونسائهم وأطفالهم وعجائزهم وظلوا رابضين فى أماكنهم يومين فى العراء الى أن حلت الساعة الموعودة وبدأت « سيارات النقل » تشق طريقها بين الأجسام المتلاصقة ، بعد أن جمعت المحاربين من مخارج الغابات وجاءت بهم الى مكان الاستقبال ...

وشهدنا للمرة الثانية منظرا عجبا ...

فقد ارتسم الشقاء والحرمان على ملامح هؤلاء المناضلين وأجسامهم و « ملابسهم » بشكل لا يخطر على خيال بشر .. لقد عاشوا فى الغابات عشر سنوات لم يذوقوا فيها طعم الخبز ولم يجدوا مجرد الحماية من «سقف» أو « جدار » .. كانوا يعيشون وجها لوجه مع الوحوش الكاسرة .. تتمزق ثيابهم فلا يجدون « خيطا » يرتقون به الثوب ويعطشون فيشربون من أية « حفرة » من الطين ، ويطول شعر رءوسهم فلا يجدون « مقصا » فيجدلونه ويرسلونه على ظهورهم وأكتافهم ويتعرضون للمرض والآفات والحشرات فلا يملكون لها دفعا ، ومنهم من رأيناه وقد فقد عينه ومن فقد ذراعه وساقه ، ومع ذلك فقد كانوا جميعا شامخى الرؤوس ، منظمين فى جماعات صغيرة لكل منها قائد مطاع يتخذ لنفسه – كما يتخذ أعداؤه – لقبا عسكريا وكان لهم – فى قمة التنظيم – « فيلد مارشال » من الرجال و « فيلد مارشالة » من النساء ..!

ولقد هز مشاعر الحاضرين منظر غلامين – بين هؤلاء المحاربين – عمرهما عشر سنوات .. ولد كلاهما فى الغابة ولم ير منذ ولد ، شيئا غيرها من مظاهر الحياة فكانا يتلفتان فى حذر ورهبة ولا يدريان مما يدور من حولهما شيئا ..

وللمرة الثانية يخطب كنياتا فى عيد الحرية ويقول للمحاربين الذين كانوا القوة الدافعة للحركة الوطنية والذين تجسدت أفكاره وخططه فى أسلحتهم وعزائمهم :

أود أن اطمئنكم أن لا خوف عليكم فى وطنكم الذى تحرر وأصبح فى أيدى حكومة ((قوية)) ..

ان الحكومة التى كنتم تحاربونها كانت حكومة أجنبية ((ضعيفة)) ، ولهذا كانت تحاول فرض الظلم بالقوة ، وكانت تملأ السجون بالابرياء الشرفاء الذين يعلنون كلمة الحق ..

لقد أفرجت ، فى خلال يومين ، عن عشرة آلاف سجين ، لم يكن أحد منهم سارقا ولا مذنبا ، وسوف أهيىء لهم حياة كريمة ..

أما انتم فأنا أعلم ما تريدون ، سوف أعطى كلا منكم جزءا من أرضنا المقدسة التى قاسيتم العذاب فى سبيل تحريرها ..

وفى اليوم التالى ، عندما أقلعت بنا الطائرة فى طريقها الى القاهرة كانت تتابع اسماعنا – الى ما فوق السحاب – أنغام الأغنية التى ملأت أجواء نيروبى :

((آيا يا أوهورو .. آيايا كنيتا)).



كاتب هذا المقال وزير الخارجية فى حكومة انجولا المؤقتة ، وهو صديق قديم لـ ((نهضة افريقيا))

فى أغسطس من عام ١٩٦١ كنت هنا فى القاهرة وكتبت لكم مقالا عنوانه ((كفاح أنجولا)) . وأود الآن أن أتابع حديثى للأصدقاء من قراء هذه المجلة الافريقية المناضلة ..

لقد ذكرت لكم فى ذلك الحين أن عبء القتال فى شمال أنجولا يقع على عاتق أفراد الشعب الذين كانت تنقصهم معرفة أساليب القتال الحديثة ، ولهذا فقد أرسلنا ، فى سبتمبر من ذلك العام ، أول فرقة من الانجوليين الشبان لكى تتدرب فى أحد معسكرات جيش التحرير الوطنى الجزائرى .

وفى نفس الوقت الذى تضخمت فيه الدعايات ضدنا بأننا من ((دعاة الغرب)) ومن أنصار ((الشعوبية)) والتعصب القبائلى حاولنا التقارب مع الحركات السياسية الانجولية الأخرى وحاولنا تكوين جبهة وطنية ، وأفلحنا فى تكوين ((جبهة التحرير)) الحالية التى يتزعمها ((هولدن)) و ((كونيكا)) .

وفى نفس الوقت الذى تضخمت فيه الدعايات ضدنا بأننا من ((دعاة الغرب)) ومن انصار ((الشعوبية)) والتعصب القبائلى حاولنا التقارب مع الحركات السياسية الانجولية الاخرى وحاولنا تكوين جبهة وطنية وافلحنا فى تكوين ((جبهة التحرير)) الحالية التى يتزعمها ((هولدن وكونيكا)) .

ولكن معارضينا من السياسيين الانجوليين الذين رفضوا الانضمام للجبهة اذاعوا فى الاوساط الافريقية والعالمية انهم يقودون كفاحا مسلحا فى انجولا ، وطلبوا ــ تبعا لذلك ــ ان تقدم اليهم المعونات أسوة بجبهة التحرير.

وقد طلبنا من منظمة الوحدة الافريقية ان تتحقق من ذلك ، فأرسلت «لجنة التسعة» لجنة فرعية الى ليوبولدفيل ، وتحققت من انه لاتوجد قوات انجولية محاربة فى داخل انجولا الا قوات جبهة التحرير ، وبناء على ذلك قررت اللجنة توصية مؤتمر وزراء خارجية افريقيا الذى انعقد فى داكار فى اوائل العام الماضى ان يعترف بحكومة الجبهة وان يطلب الى جميع الحكومات الافريقية الا تقدم أية معونة مادية الا لجبهة التحرير الانجولية .

وقد وافق مؤتمر داكار على تلك التوصية كما أوصى الحكومات الافريقية بالاعتراف بحكومة انجولا المؤقتة .

ومن ذلك الحين بدأت كافة العناصر الانجولية التى كانت تتدرب تحت اشراف هيئات مختلفة الانضمام تحت لواء جبهة التحرير الانجولية .

وقد بدأت الحكومات الافريقية فى الاعتراف بحكومة انجولا المؤقتة بعد قرار مؤتمر داكار

فاعترفت بنا تونس والجزائر ومراكش وموريتانيا والسنغال وداهومى والنيجر والجمهورية العربية المتحدة .

هذا عن الوضع السياسى وأما عن الوضع العسكرى فنحن نواصل الكفاح بأقصى طاقاتنا المادية والمعنوية ، وجيشنا يعلم ان جميع الدول الافريقية تؤيده ، ونحن نقوم بعملية توعية مستمرة لرفع روحه المعنوية وارسال أفواج جديدة للتدريب فى المعسكرات الجزائرية .

ومن الناحية الدبلوماسية ، قررنا ان نسارع بتعيين ممثلين لنا فى جميع الدول التى اعترفت بنا وكذلك بارسال مندوبين الى بعض المنظمات الاقليمية كالجامعة العربية ومنظمة التضامن الافريقى الاسيوى وسوف نبعث مندوبا خاصا ليمثلنا لدى « لجنة التسعة » فى دار السلام .

وسيكون أول واجبات ممثلينا شرح القضية الانجولية على حقيقتها بعد ان تعرضت لعمليات تشويه كثيرة خلال السنتين الماضيتين ، وكذلك لكى يبينوا للدول الافريقية التى لم تعترف بحكومتنا الى الان - بعد القرار الاجماعى لوزراء الخارجية الافريقيين فى داكار بضرورة الاعتراف السريع بالحكومة الانجولية ومدها بالمعونات التى من شأنها ان تحقق النصر للشعب الانجولى .

ولا ريب فى ان الحكومات الافريقية تدرك انه اذا ضعف كفاح انجولا بعد تكوين منظمة الوحدة الافريقية وقيام « لجنة التسعة » فان ذلك يعتبر نصرا للبرتغال واضعافا لروح النضال الافريقى فى كل مكان .

فى المجال الافريقى

اننا نريد ان نتعاون مع جميع الحركات المناضلة فى المستعمرات الباقية فى وسط افريقيا وغربها وجنوبها ونعتقد ان الاقطار التى لم تبدأ كفاحها المسلح سوف تستفيد من تجربتنا ، ونتمنى الا يستمر الانقسام من الان فى كثير من الهيئات الوطنية الافريقية المناضلة .

ان لديهم ولا شك ظروفا خاصة أدت الى هذه الانقسامات ولكننا ندرك ان هناك هدفا اسمى من تلك الظروف الا وهو تحرير البلاد .

وسنحاول الا ننصر فريقا على آخر فنرتكب نفس الخطأ الذى ارتكبته معنا بعض الدول الافريقية الشقيقة ، جاعلين مبدأنا ان نؤيد بدون تحفظ ، كل هيئة تقود كفاحا مسلحا على ارض بلادها .

فى المجال الدولى

وفى مجال الامم المتحدة ولجانها المتخصصة المتفرعة من مجلس الوصاية سوف نتبع سياسة افريقية خالصة وسوف نتعاون تعاونا وثيقا مع الدول الافريقية المستقلة لكى نحقق التضامن والوحدة الافريقية .

ان هناك من يشيع اننا نتبع سياسة موالية للغرب ، ولكن أعمالنا فى المستقبل فى سبيل تحرير انجولا سوف تثبت تمسكنا بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وفى خلال كفاحنا ستقبل المعونات غير المشروطة ولن ننضم الى « كتلة من الدول »

وجهة نظرنا فى الوحدة الافريقية

اننا نرى ان أفريقيا تستطيع الاحتفاظ باستقلالها طالما كانت متحدة .

الوحدة الافريقية هى التى تمنع القوى الرجعية والاستعمارية من استعادة سيطرتها على شئون أفريقيا .

وسوف تمنع القوى الاجنبية من الايقاع بين بعضنا وبعض .

ان انقسام افريقيا الى مجموعات دولية قد سمح للمستعمرين ان يدسوا أنوفهم بين تلك المجموعات وأن يصفوا بعضها بالتطرف وبعضها الآخر بالاعتدال وأن يوقعوا بين الدول الافريقية ويسيئوا الى سمعتها فى المجال الدولى .

أن هناك اتجاهين رئيسيين لتحقيق الوحدة الافريقية .

فهناك من يرى تحقيقها مرة واحدة على المستوى السياسى ، وهناك من يرى تحقيقها على مراحل .

الاتجـــاه الاول يرمى الى القفز فـوق المجمعات الاقليمية خشية ان تبقى بعــد الوحدة الشاملة .

والاتجاه الثانى يفضل التجمعات الضيقة التى يؤدى انضمامها ، فيما بعــد ، الى التجمع الكبير .

ونحن نعتقد أنه فى الوسع تحقيق الوحدة الشاملة أولا ثم تأتى بعد ذلك محاولةتذويب الخلافات وتحقيق التناسق بين المصالح المختلفة .

ان السياسة الاقتصادية هى التى يجب أن يكون لها الصدارة فى التنسيق ، فى اطار الوحدة الشاملة .

ان كثيرا من الاقطـار الافريقيـة تنتـج محاصيل متشابهة « قطن وبن وذرة وزيت نخيل وفول سودانى »ولهذا يحسن انىبدأ بسوق مشتركة تســتطيع أن تفرض على السوق العالمية أسعارا مناسبة .

ونجاح مشروع كهذا من شأنه أن يوحد سياستنا الخارجية .

وممـا يسرع بتقريبنا الى الوحــدة ، التعاون الثقافى .

ان لافريقيا ماضيا مشتركا ، وكلنانبحث عن هذا الماضى وعن لغاته وحضاراته .

وفى محاولاتنـا هذه لايجب أن نبحث كل أمة افريقية على حدة ، بل يجب أن نبحث عن ماضينا معا ، وهكذا نسعى ، تلقائيا ، الى ثقافة افريقية تكون أداة للوحدة .

وهذا يجب أن يتمشى مع محاولات توحيد السياسة الخارجية .

ضرر المنظمات الاقليمية

ان وجود المنظمات الافريقيـة الاقليميـة يمكن أن يؤخر تحقيق الوحدة الافريقية ، فانها اذا استمرت فى أعمالها وتركزت أركان أجهزتها ولجانها أصبح من الصعب اندماجها فى الوحدة الشاملة .

بل ان بعض الدول الافريقية سوف تجد نفسها بعيدة عن أى منظمة ، غريبــة عن شقيقاتها التى انضمت الى منظمات .

ونظرا لحاجة أكثر الدول الافريقية الى المعونات فان وجود تلك المنظمات الاقليميـة يسمح للدول الاجنبية بمعونةكل منظمةعلى حدة حسب اهوائها ، ويحرم الدول التى لم تنضم الى احدى المنظمات وهذا من شأنه ان يجعل المنظمات الاقليمية عنصرا من عناصر التمييز والتفرقة .

مشكلة الاستعمار

ان السير نحو الاستقلال قد بدأ ولايمكن للدول الاستعمارية أن تقف فى سبيله ، وقد اجمعت الدول الافريقيــة عـلى محـاربة الاستعمار واستئصاله من أفريقيا .

وسوف يبقى بعد ذلك خطر الاستعمار الجديد ولا شك اننا سوف نتخلص منه كما نتخلص من الاستعمار القديم بالتضـامن القوى بين الدول الافريقية المتحررةوالاقطار التى حصلت حديثا على استقلالها والتى ستحصل عليه فى المستقبل القريب .

وفى النهاية أتمنى أن يوجد المجالللاجتماع بين القادة الرســميين وبين المناضــلين الافريقيين لبحث المشـاكل التى تعترض طريق النضال دون حاجز من البروتوكول .

ولاشك فى ان منظمة « مؤتمر الشــعوب الافريقية » التى تضم قادة الشعوب المناضلة يمكن أن تكون أداة نافعة تعمل جنبا الىجنب مع منظمة الوحدة الافريقيـة التى تضـم رؤساء الدول والحكومات .

ان لقارتنا مستقبلا عظيما فىالعالم الجديد ، وقد أصبحت بالفعل عنصرا ايجابيــا فى اقرار الســلام ، وفى اســتطاعتهـا أن تتغلب على عوامل التأخر .

ولكن المحافظـة على هــذه المزايا تتطلب الوحدة الشاملة .

((جوهانس سافمبى))

افريقية فى عام ١٩٦٤

للدكتور راشد البراوى

سجل العام الماضى نصرا جديدا للقومية الافريقية ، فحصلت زنجبار على استقلالها فى العاشر من ديسمبر ، وبعد ذلك بيومين احتفلت كينيا باعلان الاستقلال ، وشهد اليوم الأخير من العام حادثا على جانب كبير من الأهمية ، ذلك هو حل اتحاد أفريقية الوسطى رسميا الذى فرض على الأغلبية الأفريقية الساحقة ويتميز العام الجديد بخطوات جديدة تقطعها القومية الأفريقية ، فتحصل نياسالاند على استقلالها كاملا فى مايو القادم ، ومنحت روديسيا الشمالية الحكم الذاتى الكامل فى الشهر الحالى ، ولن تمر فترة قصيرة حتى يتحول هذا الضرب من الحكم الى الاستقلال التام .

ولكن الاستقلال ليس مجرد وثيقة رسمية ولكنه يمثل بدء عهد جديد ملىء بالمسئوليات وهى مسئوليات يقع عبء الاضطلاع بها على عاتق الافريقيين أنفسهم ، كما أنه لا يخلو من المشكلات الخارجية والداخلية التى تخلفت عن العصر الاستعمارى او التى خلقها الاستعمار عمدا ، وبعبارة أدق ، فلم تكد كينيا تدخل فى عهدها الجديد حتى بدأت تواجهها مشكلة تتعلق بمصير المنطقة الواقعة على الحدود الشمالية الشرقية ، والبالغ مساحتها ٥٠٫٠٠٠ ميل مربع ، وهى صحراء فى جملتها تغطيها الاعشاب والشجيرات الصغيرة القصيرة . والسبب الكامن وراء المشكلة ان المنطقة وتقيم بها قبائل صومالية، يطالب بها الصوماليون الذين يقولون انها جزء من « الصومال الكبير » الذى يسعون الى تحقيقه ، ويعلنون أن هذه القبائل تطالب بالانفصال عن كينيا وانها ثائرة بسبب عدم استعداد البلد الاخيرة لاجابة هذا المطلب . أما كينيا فترى أن المنطقة هى جزء لا يتجزأ من أراضيها ، وأن هذه القبائل استوطنتها أو وفدت اليها من عهد غير بعيد . هذه المشكلة تشكل خطرا داخليا من جهة اذ يمكن ان تؤدى الى اضطرابات واشتباكات بين الاقلية الصومالية والاغلبية الكينية ، كما أنها تشكل من جهة اخرى مصدر خلاف حاد بين دولتى الصومال وكينيا ، وهو خلاف يأمل الغيورون على سلامة العلاقات بين الدول الافريقية وعلى سلميتها ، الا يتطور الى نزاع مسلح فى وقت البلدان فيه أحوج الى الاستقرار لبناء اقتصادهما منهما الى أى شىء آخر . ولا شك أن من بواعث الامل والاطمئنان ان منظمة الدول الافريقية والتى تولدت عن مؤتمر القمة الذى انعقد خلال العام الماضى فى أديس أبابا ، سوف تبذل جهودها من أجل ايجاد حل سلمى للمشكلة سواء عن طريق اجراء استفتاء تحت اشرافها فى المنطقة ، أو توفير امتيازات وضمانات للصوماليين المقيمين فيها ، او اقناع البلدين بالابقاء على الوضع الراهن

الى أن تهدأ العـواطف الثائرة فيتسنى الوصول الى حل يلقى الرضـاء الذاتى من جانب الطرفين .

وثمة مشكلة داخلية كبيرة تتطلب من قادة كينيا أن يعالجوها بأوفر قدر من الحكمـة وبروح الحرص على وحدة البلاد . هـذه المشكلة والتى لا تنفرد بها كينيا اذ نلقاها فى أكثر من بلد أفريقى ، تتصل اتصالا وثيقا ومباشرا بنظام الحكم المركزى أو الاقليمى . فالمعروف أن هناك وجهتى نظر بهذا الصدد احداهما يمثلها حزب « كانو » وعلى رأسـه أمثال جومو كنياتا وتوم مبويا ، وهو يعارض القبلية والنزعات الاقليمية ، ويدعـو الى قيام حكومة مركزية قوية تدعم الوحـدة الوطنية ، وينادي بالاشتراكية بوصفها حلا يحقق الكفاية فى الانتاج والعـدل فى توزيع فائض العمـل الوطنى ، ويطمع فى النمو الاقتصادي وبخاصة فى مجال التصـنيع ، ويصبو الى أن تتبوأ كينيا مركزا قياديا فى المستوى الدولى . أما حزب « كادو » فيعبر عن وجهة النظر الاخرى وهى اضفاء سلطات واسعة على الحكومات الاقليمية التى تقـوم على اساس التقسيمات العنصرية .

ما من شك أن الوضع الحالى انتصـار لوجهة النظر الاولى ، اذ يستند الى تأثير شخصية كنياتا ، والتحالف بين اكبر قبيلتين وهما كيكويو « ١ر٥ مليون نسمة » وليـو « مليون نسمة » . ولكن الخطر قد ينبعث من ناحيتين وبخاصـة اذا خلا المسرح من الزعيم الكبير والقيت مقاليد قيادة السفينة الى توم مبويا وهو ما يرجحه اغلب المراقبين . الناحية الاولى أن يستغل التحالف الذى أشرنا اليه فى فرض سيطرة القبيلتين عـلى غيرهما ، مما يمكن أن يؤدى الى انشـقاق داخـلى ليس فى مصلحة البـلاد ، والثانيـة هى محاولة اغفال قوة النزعات القبلية قبل أن تكون جماهير الشعب فى مجموعهـا قد استعدت لتقبل فكرة الحـكومة المركزية القوية . غير أن الدلائل توحى بأن القـادة على وعى بهذه الإخطار وانهم مصممون على تجنبها .

والمشكلة الثالثة التى تواجه كينيـا هى المتعلقة بالتنمية الاقتصـادية فى المستقبل وبمعالجة بعض الاوضاع الاقتصادية الحالية. فلا بد أولا من المبادرة الى تدبير العمل للعدد الكبير من العاطلين فى المناطق المدنية وبخاصة فى العاصمة نيروبى ، وتيسير عمليـة توطين الفلاحين فى الاراضى التى تمنح لهم اذ أنهم يفتقرون قبـل كل شيء الى المـال اللازم . والأمر الثانى هو العمل التدريجى المنظم على تخليص البلاد من الوضع الاجتماعى الشـاذ الذى كان قائما وذلك دون اشاعة اضـطراب قد تنعكس آثاره على سير الحياة الاقتصادية. ففى قمة المجتمع ٦٠ر٠٠٠ من الاوروبيـين يحتكرون التجارة والصناعة عمليا ويملكون أكثر من ٧ر٥ ملايين فدان من الارض . ويليهم نحو ٢٠٠ر٠٠٠ من الاسيويين يشغلون الوظائف الثانوية فى الادارة ويسيطرون على تجـارة التجزئة بوجه خاص . وأخيرا هناك ثمانيـة ملايين من الافريقيين ، من العمال والفـلاحين الذين لا ينتجون الا ما يكفى معاشهم ، وهؤلاء يطالبون بالعمل والارض .

فاذا انتقلنا الى موضوع التنمية وجـدنا أن كينيا فى حاجة الى تنمية الزراعة وبخاصة زراعة المحاصيل النقدية التى تعد للتصدير أساسا والحصول على مطالب البـلاد من العملات الاجنبية ، كما أنها فى حاجـة الى التوسع فى انتاج الثروة المعـدنية والى الاهتمام باقامة الصناعات الخفيفة بصـفة أساسية . غير أن العقبة التى تواجه كينيا فى سبيل التغلب على الصـعاب الحالية ومشكلات التنمية هى المـال، وهذا ماتستطيع أن تدبره عن طريق المسـاعدات والقروض الخارجية أسوة بما فعلت دول افريقيـة واسيوية اخرى .

لكن موضوع التصنيع يثير بدوره مشكلة تتجاوز حدود كينيا ، فالصناعة فيها تعتبر متقدمة كثيرا بالنسبة الى بعض البلدان المجاورة لها ، ودفع عجلة التصنيع كما يستهدفه القادة الكينيون الآن ، قد يؤدى الى وجود فائض لا بد من تصريفه ، وهنا تبرز أهمية مشروع اتحاد شرق افريقية اذ يصبح سوقا طيبة أمام الصناعة الكينية . والمفروض بصفة مبدئية أن يضم الاتحاد المنتظر أوغنده وكينيا وتنجانيقا ثم زنجبار بعد أن نالت استقلالها . وينقسم الرأى فى زنجبار حول انضمامها اذ يرى البعض أن مركزها السياسى والتجارى سوف يقوى حين تصبح جزءا من دولة أخرى اتحادية كبرى ، فالمعروف أن زنجبار جزيرة صغيرة طولها ٥٠ ميلا وعرضها ٢٤ ميلا ، وهى تنتج حوالى أربعة أخماس تجارة العالم فى القرنفل وزيته ، كما أن مصدر الثروة الثانى هو جوز الهند ، غير أن بعضه يعتقد من ناحية أخرى أن الدولة الجديدة سوف تفقد اهميتها وتذوب وسط اتحاد ضخم كهذا وان اقتصادها سوف يصبح تحت رحمته .

قلنا أن اتحاد افريقية الوسطى مات رسميا فى ٣١ ديسمبر الماضى ، وان نياسالاند سوف تستقل فى مايو القادم ، وان العام الجديد لن يمر قبل ان تتمتع روديسيا الشمالية بالوضع نفسه . غير ان الحل يثير مشكلات على جانب كبير من الاهمية فى مقدمتها مستقبل روديسيا الجنوبية . فهذا البلد تسيطر عليه أقلية بيضاء تحتكر الحكم والاقتصاد وتمارس التفرقة العنصرية على النمو الذى تطبقه جمهورية جنوب افريقية . وهذه الاقلية تطالب الآن بالاستقلال التام ، وهذا المطلب يلقى المعارضة من الافريقيين ومن فريق من البريطانيين انفسهم ، لان معناه استمرار تحكم البيض مما يؤدى الى اشتداد التوتر بينهم وبين الاغلبية الافريقية،

ومن هنا يعتقد بعض الساسة البريطانيين أن منح الاستقلال يجب أن يسبقه تعديل الدستور على نحو يرضى عنه الافريقيون ، ولكن الامر الذى لا يرقى اليه الريب أن الاخيرين لن يرضوا ابدا بحل يقصر عن المساواة الكاملة وهى المساواة التى تنقل مقاليد الامور الى أيديهم . فهل تظل بريطانيا على تمسكها برأيها أم ترضخ لضغط الاقلية البيضاء والعناصر الاستعمارية المتطرفة فى بلادها ايضا ؟ واذا قررت حكومة روديسيا الجنوبية اعلان الاستقلال والانفصال عن بريطانيا فهناك نجد أمامنا عدة احتمالات ، فاما أن تحاول بريطانيا الحيلولة دون هذا الامر باستخدام القوة ، ولكنا نعتقد ان الرأى العام فى بريطانيا لا يريد ولن يسمح بمثل هذا التدخل العسكرى الذى يلقى على البلاد عبئا ماليا لا تستطيع احتماله ، واذا استقلت روديسيا الجنوبية فسوف تلقى مقاومة عنيفة من جانب اهل نياسالاند وروديسيا الشمالية تأييدا منهما للافريقيين من أهلها ، وقد تعمد الدولتان الى اجراءات اقتصادية تلحق اشد الضرر باقتصاد الاقليم، فتمنع عنه نياسالاند الايدى العاملة ، كما يحرم من أى استفادة من موارد روديسيا الشمالية وبخاصة النحاس . أما الاحتمال الثالث فهو أن تعلن روديسيا الجنوبية انفصالها عن بريطانيا ثم تنضم الى جمهورية جنوب افريقية ، لكن يلاحظ أن نسبة لها وزنها من البيض ، وبخاصة من ذوى الاصل البريطانى ، لا ترحب بمثل هذا الانضمام الى بلد الغلبة فيه للبوير ، وخاصة بعد أن أعلنت جمهورية جنوب افريقية النظام الجمهورى وتوترت العلاقات بينها وبين بريطانيا . أضف الى أن الافريقيين فى القارة لا يمكن أن يسمحوا بهذا الانضمام الذى معناه استمرار السيطرة البيضاء . ان روديسيا الجنوبية مقبلة على احداث خطيرة قد تؤدى الى نشوب حرب اهلية يلقى فيها الافريقيون

من اهلها كل تأييد مادي ومعنوي من جيرانهم خاصة ومن شعوب القارة بوجه عام . ولهذا يرجح المراقبون ان ترضخ الاقلية البيضاء هنا الى أحكام الواقع وتسعى الى التفاهم على وضع دستور يكفل لها المشروع من مصالحها ويقرر المساواة فى الوقت نفسه بين جميع العناصر المقيمة فى البلاد .

وفض الاتحاد بين الاقاليم الثلاثة ، نياسالاند وروديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ، لا بد وان يثير مشكلة اخرى وهى العلاقة بينها من ناحية المصالح والخدمات المشتركة. وهنا نجد آراء متباينة . فثمة رأى يشير الى انضمام نياسالاند وروديسيا الشمالية الى اتحاد شرق افريقية المقترح ، فاذا تحقق هذا ظهرت الى عالم الوجود دولة كبيرة فعلا من حيث مساحتها وعدد سكانها ومواردها الطبيعية ، وتستطيع أن تلعب دورا له أهميته وخطورته فى السياسة الافريقية ، وان يكون قوة تعمل من أجل تحرير الافريقيين فى روديسيا الشمالية وجنوب افريقية . والعقبة القائمة فى وجه هذا الاتجاه أن اتحاد شرق افريقية لم يولد بعد وقد تستغرق اقامته فترة طويلة الى أن يتم الاتفاق على المشتركين فيه وعلى الاسس التى يقام وفقا لها ، كما أن روديسيا الشمالية لا تستطيع التضحية بصادراتها من النحاس وهو مصدر ثروتها الرئيسى الى أن يتسنى ايجاد منفذ على المحيط لهذه الصادرات ، كما أنها تعتمد فى الوقت نفسه على انتاج روديسيا الجنوبية فى سد قدر من حاجتها الى المنتجات والسلع الصناعية . ثم ماذا يحدث اذا لم تنضم روديسيا الشمالية بثروتها المعدنية الكبيرة ؟ لهذا فان هناك رأيا آخر وهو اقامة نوع التعاون الاقتصادى على أساس التكافؤ وتبادل المصلحة بين البلاد الثلاث التى كان يتكون منها اتحاد افريقية الوسطى قبل فضه فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ ، فيوجد مجلس أعلى مشترك للاشراف على الخدمات المشتركة كالسكك الحديدية وتوليد الكهرباء وتوزيعها والموانىء وأن يقام بين البلاد الثلاث اتحاد جمركى ، وهذا الرأى هو الذى يدعو اليه المراقبون ويشيرون الى المزايا الكثيرة التى تمكن أن تترتب على اخراجه الى حيز التنفيذ . غير أن هذا التنفيذ يصطدم بعقبة ضخمة وهى أن نياسالاند المستقلة ابتداء من مايو القادم ، وروديسيا الشمالية ولن يتأخر استقلالها طويلا بعد ذلك التاريخ ، لن تقبلا الدخول فى تنظيم اقتصادى من هذا القبيل طالما تظل روديسيا الجنوبية على عنادها بشأن موضوع التفرقة العنصرية من جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. هذه هى المشكلات الضخمة التى يثيرها حل اتحاد افريقية الوسطى والتى سوف يشتد ظهورها خلال العام الجديد ، وتتطلب سعيا اكيدا الى التماس الحلول العملية لها ، تلك الحلول التى تقوم على رعاية مصالح الافريقيين أولا وقبل كل شىء ودون اجحاف بغير مبرر حقيقى بالعناصر الاخرى ما دامت تقبل العيش على قدم المساواة مع غيرها فى داخل البلد الواحد .

وبرزت جمهورية جنوب افريقية كثيرا على المسرحين الافريقى والدولى حيث لقيت سياستها العنصرية العمياء الاستنكار ، وقررت الدول الافريقية مقاطعتها دبلوماسيا واقتصاديا ، ولهذا ننتظر فى العام الحالى أن تزيد المقاطعة قوة وان تشترك فيها اشتراكا ايجابيا فعالا الدول العربية كلها والاسيوية. ولعل فى مقدمة اجراءات التأديب التى يجب اتخاذها فى هذا الشأن ان تقرر هذه الدول، اذا كانت من بين البلدان المنتجة للبترول ، منع وصول بترولها الى جنوب افريقية وان تطلب الى الشركات القائمة باستغلاله النزول على أحكام مثل هذا القرار ، اسوة بما تتبعه الدول العربية ازاء اسرائيل . كذلك نجد

لزاما على الدول الافريقية والعربية والاسيوية ، أساسا ، أن تمنع جميع الشركات العاملة فى داخل أراضيها أو معها ، من التعامل مع جنوب افريقية ، فاذا رفض بعضها تنفيذ ذلك وضعت فى قوائم سوداء وقطعت المعاملات معها ، وفى هذه الحالة سوف يشعر البيض فى البلد الاخير بوطأة هذه الاجراءات ويضطرون الى النزول على أحكام الحق والعدل . وانا لنأمل أن تتخذ منظمة الدول الافريقية الخطوات الكفيلة بتنفيذ مثل هذه السياسة بعد اجراء الاتصالات الكافية مع البلاد الاخرى .

ولقد طالبت الدول الافريقية بطرد جنوب افريقية من الامم المتحدة ومن جميع المنظمات الدولية الاخرى التابعة لها أو المنبثقة عنها . وهنا نعتقد أن على الدول الكبرى ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وبريطانيا وفرنسا أن تتخذ موقفا واضحا صريحا . قد يعترض البعض فى هذه الدول بأن لها مصالح فى جنوب افريقية وتخشى أن يعصف البلد الاخير بها ، وقد يرى البعض الآخر أن الطرد سوف يزيد من عناد البوير فيشتطون فى متابعة سياستهم . ولكن هذه اعتراضات لا تمت الى الحقائق بصلة ، ذلك ان جنوب أفريقية سوف يثوب الى رشده اذا دول أخرى، قد حزمت امرها واعتبرته « طريد القانون » انه لن يجرؤ على العبث بمصالحها اذا رآها تقف موقفا موحدا منا والا فانه بذلك يلف حبل المشنقة حول عنقه . لقد تدخلت الدول الكبرى بصفاتها الفردية او عن طريق الامم المتحدة فى حالات كثيرة وفى اكثر من مكان بالعالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولا يمكن ان نتصور قضية تنافى العدالة وتتطلب التدخل فيها مثل قضية السياسة العنصرية التى ينتهجها بلد واحد متحديا بذلك الرأي العام العالمى .

وشهد العام الماضى حادثا ضخما هو انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا ، والذى أثبت فى جلاء أن مصالح شعوب القارة متماثلة وان الوحدة الافريقية ضرورة وأنها هدف ليس بعيد المنال . ونعتقد أن العام الجديد سوف يشهد تطورات فى هذا الصدد لها أهميتها ، فيتم انشاء بنك التنمية الافريقى ، وأن يزداد التبادل التجارى بين الدول الافريقية الى جانب التعاون السياسى والثقافى . غير أن الذى يرجوه الجميع أن توفق المنظمة عن طريق مؤسساتها المختلفة الى التوسط لحل الخلافات التى نشبت او التى تنشب بين بعض بلاد القارة ، كالخلاف بين كينيا والصومال وبين الصومال وأثيوبيا وبين الجزائر والمغرب ، بشأن الحدود . كذلك من المتوقع أن يشتد الضغط الافريقى بالطريق المباشر او عن طريق الامم المتحدة لارغام البرتغال على الاعتراف باستقلال الاقاليم الخاضعة لها . وتستطيع المنظمة الافريقية ان تمد الثوار فى موزمبيق وأنجولا بالوسائل التى تمكنهم من مقاومة الاستعمار البرتغالى والقضاء عليه ، وازاء مثل هذا الضغط لن تتمكن البرتغال من الثبات .

ان عام ١٩٦٣ شهد انتصارات واضحة أحرزتها القارة وسوف يتمخض العام الجديد عن سلسلة أخرى من الانتصارات فتتطهر افريقية من آثار عصر فرض عليها التخلف وترك وراءه أينما حل ورحل مشكلات ما تزال تعانى منها الكثير .

((دكتور راشد البراوى))



الاقتصاد المصرى في ظل التخطيط

للدكتور محمد زكى شافعى

يسود التخطيط فى صورة أو أخرى فى مختلف أنحاء العالم على انه لما كان التخطيط انما يجرى فى اطار من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية القائمة ، فان طبيعة التخطيط تختلف باختلاف طبيعة النظام الاقتصادى وخصائص العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التى تتجاوب فى انحائه . ومن هنا يشير الاقتصادى « ميردال » الى الاختلاف الاساسى فى أساليب التخطيط بين روسيا والديمقراطيات الشعبية من جهة ، والبلدان الرأسمالية الصناعية من جهة ثانية ، والدول المتخلفة اقتصاديا من جهة ثالثة . ويرجع هذا الى اختلاف الاطار الذى تتدرج فيه كل طائفة من هذه البلدان فى معراج النمو الاقتصادى ، سواء أكان ذلك من الناحية التاريخية أم من النواحى المادية أم الثقافية أم العقائدية أم السياسية . ومن هنا يجابه التخطيط مشاكل تختلف تمام الاختلاف من طائفة لاخرى سواء أكان ذلك فى تعيين الغايات أم فى اختيار الوسائل أم فى تحديد الاهداف الانتاجية أم فى تنفيذ السياسات العامة ، كذلك تختلف كيفية بلوغ هذه السياسات العامة أهدافها وتتغاير التدابير التى يتعين تطبيقها لوضع هذه السياسات موضع التنفيذ ، وذلك فى كل طائفة من تلك الطوائف الثلاث .

ومن هنا أيضا يختلف المقصود بالتخطيط باختلاف الطائفة محل الاعتبار ، وهكذا لايتجاوز المقصود بالتخطيط فى البلدان الرأسمالية الصناعية ، لئن جاز ان يسمى هذا تخطيطا ، مجرد المحاولة الواعية من جانب الحكومة لتنسيق السياسات العامة على نحو عقلانى يكون من شأنه ان تتحقق بدرجة أكبر من السرعة والكمال ما يراد ان تبلغه التطورات المستقبلة من أهداف . وعلى هذا النحو لايعدو التخطيط فى هذه البلدان أن يكون مجرد عملية جزئية ، لايتهيأ لها الدوام والاضطراد ، ولا تتصف ابدا بالشمول والكمال » .

على أن المقصود بالتخطيط فى محيط البلاد الاخرى لا ينصرف الى مجرد تنسيق السياسات العامة . اذ يذهب المقصود به الى عملية عقلانية مستمرة من جانب الحكومة لزيادة سرعة التنمية الاقتصادية وتوجيهها الى

الاتجاهات المرغوبة ، وذلك عن طريق تحديد شامل وتفصيلى للاهداف ، وتعبئة مناسبة للموارد اللازمة لتحقيقها . ومن الواضح أن هذا التعريف ينطبق بالدرجة الاولى على البلاد الاشتراكية حيث تعد الخطة وتدار مركزيا ، وتتناول كافة القطاعات والانشطة تقريبا ، وتنزل أهدافها وتوزيعها للموارد منزلة القانون سواء أكان ذلك بالنسبة للحكومة أم بالنسبة للمنظمات السياسية القائمة . أما فى البلاد المتخلفة عموما حيث يبقى للقطاع الخاص دوره ، وربما كان هذا الدور هو الدور الاهم ، فان القطاع الحكومى وحده هو الذى يخطط تفصيلا ، أما القطاع الخاص فيمكن النظر الى الاهداف المحددة له على انها مجرد ارشادات أو توجيهات ينخذ من السياسات العامة ما يغلب أن يحفز المشروعات الخاصة بالجملة على تحقيقها .

وعلى أى حال ليس المقصود بالتخطيط بالمعنى المستخدم هنا مجرد التنسيق بين السياسات العامة ، وانما ينصرف المقصود بالتخطيط الى التخطيط الشامل التفصيلى بالمعنى المتقدم . وعلى ذلك تكون الخطة عبارة عن مشروع تفصيلى شامل يتضمن الاهداف الانتاجية للاقتصاد القومى ، وبيان كيفية تأمين الموارد اللازمة لتحقيقها . ومن هنا ، يختلف المراد « بالخطة » عن المقصود « بالبرنامج » أو المقصود « بالمشروع » . ذلك ان اصطلاحات « الخطة والبرنامج والمشروع » انما تشير الى مستويات مختلفة من التخطيط . فالخطة تشير الى الاقتصاد القومى فى مجموعه مقسما الى قطاعات ، وربما الى مناطق جغرافية . أما البرنامج فيتناول تحديد الاهداف الانتاجية التى يتعين تحقيقها فى كل قطاع أو فى كل منطقة طبقا لبرنامج زمنى معين . وأما المشروع فيشكل العناصر المكونة للبرنامج أو اللبنات التى تبنى منها الخطة كلها .

هذا اذن هو المقصود بالتخطيط ـ تحديد شامل وتفصيلى للاهداف ، وبيان بالموارد وبكيفية توزيعها على مختلف وجوه الاستثمار ، وتلك هى مكونات الخطة ـ برامج تتألف من مشروعات . بقى علينا ان نعرف ماهو المقصود بالتخطيط للتنمية الاقتصادية . ذلك ان تخطيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية قد يستهدف غير ذلك من الغايات . فقد ينصرف التخطيط لتعزيز المقدرة الدفاعية للبلاد ، وهو فى أيام الحروب ينصرف قطعا الى توفير المقومات اللازمة لكسب الحرب .

من الواضح أن مدلول التخطيط للتنمية انما يتوقف على المراد بالتنمية . والسائد الان أن التنمية الاقتصادية لايراد بها مجرد النمو الاقتصادى أى زيادة الدخل الفرد الحقيقى ، وانما يقصد بها فضلا عن ذلك تغيير البنيان الاقتصادى والاجتماعى للبلاد . وهكذا يتعين أن يحدث تغيير وصفى جنبا الى جنب مع التغيير الكمى . والواقع ان الامرين مرتبطان بحيث لايمكن أن يمضى أحدهما طويلا دون الاخر . وهكذا فالتخطيط للتنمية الاقتصادية يتضمن التخطيط لتحقيق النمو الاقتصادى ، هذا بالاضافة الى تغيير البنيان الاقتصادى والاجتماعى للبلاد .

على أنه فى هذا العصر الذى نعيش فيه لا يتصور لخطة اقتصادية النجاح مالم تقم على عضد من التأييد الشعبى والولاء . ومثل هذا التأييد لا يتأتى مالم يكن تحقيق العدالة الاجتماعية هدفا جوهريا من أهداف التخطيط الاقتصادى . ومن هنا كان تحقيق تكافؤ الفرص ، والارتفاع بمستوى الطبقات الفقيرة ، وتقليل التفاوت بين الدخول والثروات ، هدفا أساسيا من أهداف التخطيط الرشيد للنمو الاقتصادى .

فى ضوء ما تقدم نستطيع ان نلقى نظرة فاحصة على الاقتصاد المصرى فى ظل التخطيط . ويجب أن يلاحظ بادىء ذى بدىء أن الاقتصاد المصرى انما ينمو فى الوقت الحاضر فى ظل خطة اقتصادية شاملة ،

* * *

وليس بمقتضى برامج جزئية تتناول قطاعا بذاته أو منطقة بعينها . وليس معنى هذا أن مصر لم تعرف مثل هذه البرامج ، فقد سبق الانتقال الى التخطيط الشامل خبرة بالبرامج الجزئية من هذه البرامج ما يرجع لبداية هذا القرن مثل برنامج التحكم في مياه النيل الذى كان يتناول اقامة عدد من القناطر فى ذلك الوقت ، ومنها مايرجع الى عالم مابعد الحرب العالمية الثانية عندما وضع برنامج محدود لعدد من مشروعات التنمية الاقتصادية ، ومن بينها مايرجع الى سنوات قليلة ماضية كبرنامج السنوات الخمس للصناعة (١٩٥٧ - ١٩٦١) والذى اختصر مداه فيما بعد الى ثلاث سنوات .

هذه الخطة الاقتصادية التى ينمو الاقتصاد المصرى الحاضر فى ظلها تشكل خطة طويلة الاجل نوعا ما ، حيث تتناول السنوات العشر ١٩٥٩/١٩٦٠ - ١٩٦٩/١٩٧٠ . وتنقسم هذه الخطة الى خطتين متوسطتى الأجل تمتد كل منهما لخمس سنين ، وتتميز الخطة الخمسية الاولى « ١٩٥٩/١٩٦٠ - ١٩٦٤/١٩٦٥ » بتفصيل أهدافها ، فضلا عن تحديد مكوناتها ووسائلها ، بدرجة لا تتفق بطبيعة الحال للخطة العشرية التى تقتصر على بيان الاتجاهات العامة التى يراد أن يخطو الاقتصاد المصرى فى أثرها .

وتهدف الخطة المصرية الى التنمية، وليس الى مجرد النمو ، هذا بالاضافة الى الانتقال بالمجتمع المصرى الى مجتمع اشتراكى تتكافأ فى ظله الفرص وينتفى الاستغلال - مجتمع لامحل فيه للتفاوت الواسع بين الدخول والثروات أو لسيطرة رأس المال على الاقتصاد القومى ، كما ينتهيأ بين ظهرانيه توفير الحد المناسب من العيش الكريم لجمهور المواطنين . ومن هنا تهدف الخطة المصرية الى تحقيق معدل سريع للنمو الاقتصادى، وبعبارة أخرى ، لزيادة الدخل الفردى الحقيقى فضلا عن تغيير البنيان الاقتصادى والاجتماعى للبلاد - كل هذا بالاضافة الى تحقيق تكافؤ الفرص وعدالة توزيع الثروة والدخل بين المواطنين .

وتعمل الخطة على تحقيق هذه الاهداف كميا عن طريق ما تهدف اليه من مضاعفة الدخل القومى عبر الفترة ١٩٦٠/١٩٧٠ ؛ وبعبارة اخرى ، من تحقيق معدل سنوى لنماء الدخل القومى يقل قليلا عن ٩ ٪ . على ان تحقيق مثل هذا المعدل المرتفع هدف لا تتطلبه الخطة فى سنواتها الخمس الاولى حيث ترسى أسس مقدرة الاقتصاد القومى على الانطلاق نحو النمو الذاتى السريع . اذ لا تتجاوز الزيادة المستهدفة فى الدخل القومى فى الخطة الخمسية الاولى ٤٠ ٪ . ومؤدى هذا النمو بمعدل سنوى يبلغ ٧ ٪ تقريبا . على انه لما كانت الخطة الاقتصادية لا تهدف الى مجرد النمو ، ولكن الى التنمية فهي تتضمن العمل على احداث تغيير اساسى فى بنيان الاقتصاد المصرى . ويكفى للدلالة على هذا أن نشير الى ما تهدف اليه من زيادة الاهمية النسبية للصناعة فى توليد الدخل القومى بحيث تتصدر الصناعة مختلف قطاعات الاقتصاد القومى فى توليد الدخول فى نهاية الخطة العشرية . وهكذا على حين حققت الزراعة عام ١٩٥٩/١٩٦٠ نحو ٣١٫٢ ٪ من الدخل القومى ، وتسنى لقطاع الصناعة والتشييد ان يحقق فى السنة نفسها ٢٥٫٤ ٪ من الدخل القومى ، تهدف الخطة العشرية الى ان يتراجع نصيب الزراعة فى توليد

الدخل القومي الى ٢٤٫٥ ٪ عام ١٩٧٠/٦٩ على حين يتزايد نصيب الصناعة والتشييد فى السنة نفسها الى ٣٤٫٢ ٪ (١) .

أما تكافؤ الفرص وتحسين توزيع الدخل فيتحقق بفضل الخطة ذاتها عن طريق ما تتضمنه من زيادة الخدمات المجانية للافراد « الخدمات التعليمية والصحية مثلا » والامعان فى اعانة سلع الاستهلاك الشعبى — هذا بالاضافة الى النظم والقوانين والاصلاحات التى تسير جنبا الى جنب مع الخطة مستهدفة اعادة توزيع الثروة والدخل التصاعدية ، ونظم الاجور والمكافات ، وتحديد ايجارات المساكن وما الى ذلك .

ومهما يكن من أمر ، فان تحديد المعدل المستهدف للنمو الاقتصادى انما يقوم على أساس تقدير دقيق لعرض عناصر الانتاج فى المستقبل فضلا عن امكانيات التقدم الفنى والتنكولوجى . على انه لما كان رأس المال هو أشد عوامل الاقتصادى انما يتوقف بالدرجة الاولى على مقدار الاستثمارات من ناحية ، وعلى العلاقات بين مقدار الاستثمار والزيادة فى الدخل — وبعبارة اخرى ، على معامل رأس المال / الدخل ، من ناحية اخرى . وهكذا عندما تهدف الخطة المصرية الى زيادة الدخل القومى من ١٢٨٢ مليون جنيه عام ١٩٦٠/٥٩ الى ١٧٩٥مليون جنيه عام ١٩٦٥/١٩٦٤ ، فهى انما تفعل على اساس ما تتضمنه من برنامج استثمارى يتطلب انفاق ١٦٩٦٫٩ مليون جنيه خلال هذه السنوات وذلك بمتوسط سنوى مقداره ٣٣٩ مليون جنيه . ولما كانت الزيادة فى الدخل التى يقدر أن يدرها هذا الانفاق الاستثمارى تبلغ فى المتوسط ١٠٣ ملايين جنيه سنويا ، فان الخطة انما تقوم على اساس ان معامل رأس المال / الدخل يناهز ٣٫٣ .

على ان ما تهدف اليه الخطة من زيادة الدخل القومى خلال السنوات الخمس الاولى بمعدل ٧ ٪ تقريبا لا يعنى بطبيعة الحال أن يتحقق النمو بنفس النسبة فى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى . ذلك ان تحقيق ذلك المعدل العام انما يقتضى تغيير بنيان الجهاز الانتاجى ، بما يتعين معه أن تتفاوت معدلات النمو الاقتصادى فيما بين مختلف القطاعات . ويحتل قطاع الصناعة والكهرباء من هذه الناحية المحل الاول من الاعتبار ، حيث تهدف الخطة الى زيادة الدخل المتولد عنه خلال السنوات الخمس بمقدار ٩٥ ٪ تقريبا . على حين لا يقدر أن يزيد الدخل المتولد من الزراعة بأكثر من ٢٨ ٪ .

وكما يتعين ان يتفاوت معدل النماء فيما بين مختلف القطاعات ، يتعين أن يتفاوت نصيب كل قطاع من الاستثمارات ، ليس هذا فقط لاختلاف المعدل المقرر للنمو من قطاع الى قطاع ، ولكن ايضا لاختلاف معامل رأس المال / الدخل من قطاع الى قطاع . وهكذا تستأثر الصناعة والكهرباء بنحو ٣٤٪ من جملة الاستثمارات ، على حين يبلغ نصيب قطاعات تدعيم البنيان الاقتصادى ٣١ ٪ (١) اما قطاع الزراعة والرى والصرف فلا يتجاوز نصيبه ٢٤ ٪ . وليس فى اتجاه هذه النسبة العالية من الاستثمارات الى قطاع الصناعة والكهرباء ما يدعو للعجب بطبيعة الحال ؛ وذلك بالنظر الى ما تقرره الخطة لهذا القطاع من معدل مرتفع النماء .

وعلى أى حال فما يتأتى للخطة الاقتصادية فى بلد كمصر يعانى من ظاهرة اكتظاظ السكان تركيز الاهتمام على معدل النمو دون ان يؤخذ اعتبار التشغيل فى الحسبان . ومن هنا ، لا تهدف الخطة الى الارتفاع بمعدل النمو

---

(١) انظر ، اطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنوات الخمس ، يوليو سنة ١٩٦٠ — يونية سنة ١٩٦٥ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(١) ينصرف المراد بقطاعات تدعيم البنيان الاقتصادى الى قطاعات النقل والمواصلات والاسكان والمرافق العامة .

الاقتصادى فحسب ، وانما تهدف ايضا الى زيادة عدد المشتغلين خلال السنوات الخمس ٥٩/٦٠ – ١٩٦٥/٦٤ بنحو مليون شـخص تقريبا ، وان استمر قطاع الزراعة المستوعب الاول للاشخاص العاملين ، حيث يقـدر ان يزيد عدد المشتغلين فيـه بمقدار ٥٥٠ الفا تقريبا ، على حين لا يقـدر ان تستوعب الصناعة اكثر من ٢١٥ الف عامل .

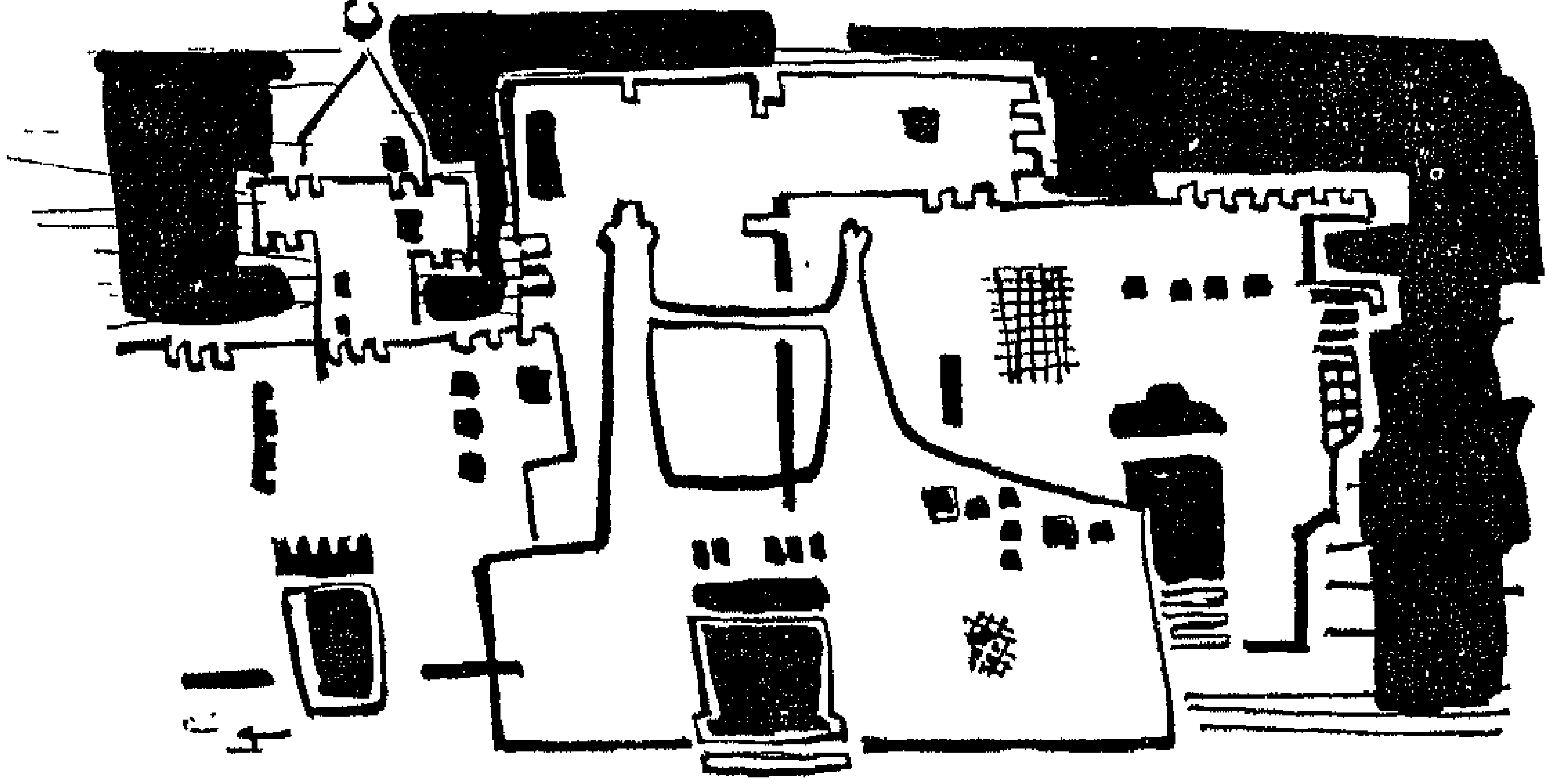
على أنه مما لا شك فيه ان تحقيق معدل مرتفع للنمو الاقتصادى ، فضلا عن اعتبارات تدعيم البنيان الاقتصادى وتكوين قاعـدة واسعة من الصناعة والخدمات الانتاجية بما يتسنى معه الانطلاق الى مرحلة النمو الذاتى قد استأثر فى اعداد الخطة بالمحل الاول من الاهتمام . يسفر عن هذا ان قطاع الصناعة والكهرباء « وتبلغ تكاليف تشغيل العامـل فيه ٢٦٠٠ جنيه تقريبا » قد استأثرت بنحو ٣٤ ٪ من الاستثمارات ، وان قطاعات تدعيم البنيان الاقتصادى « وتبلغ فيها تكاليف تدبير عمل للمشتغل ١٠٠٠٠ جنيه تقريبا » قد استأثرت بنحو ٣١ ٪ من الاستثمارات ، على حين أن الزراعة « وتبلغ بها تكاليف تدبير عمل للمشتغل ٧٠٠ جنيه تقريبا » لم تستأثر الا بنحو ٢٤ ٪ من جملة الاستثمارات .

تلك هى المعالم الاساسية لخطة التنمية الاقتصادية ، اما النتائج التى تحققت منها فتسجلها التقارير السنوية للمتابعة التى تصدرها وزارة الخزانة والتخطيط . ويستفاد من هذه التقارير بالجملة ان البلاد قـد نجحت بدرجة مرموقة خلال السنوات الماضية فى تحقيق الاهداف المقررة للخطة . اذ تسفر الارقام عن أن الاستثمارات التى تحققت خلال السنوات الثلاث الاولى من الخطة الخمسية الاولى قد بلغت ٧٧٦٫٣ مليون جنيه ، وتمثل ٤٩٫٢ ٪ من جملة قيمة الاستثمارات المقررة، ومن ناحية اخرى ، يقدر ان الدخل القومى قد بلغ خـلال السنة الثالثة ١٥٢٢ مليونا بزيادة قدرها ١٩٫٢ ٪ على سنة الاساس ، ويبلغ هذا الرقم ٩٦٫٣ ٪ من المستهدف فى الخطة . وقد ترتب على هذا زيادة فى متوسط دخل الفرد خلال هذه السنوات الثـلاث بنسبة ٨٫٩ ٪ ، وذلك على الرغم من زيادة السكان خلال الفترة نفسها بنسبة ٨٫٦ ٪

ومن ناحيـة أخرى تسفر هـذه النتائج عن اتجـاه البنيان الانتاجى الى التغيير فى الاتجاه المرسوم حيث ارتفـع نصيب الصـناعة فى الدخل القومى خلال تلك السنوات الثـلاث من ٢١٫٣ ٪ الى ٢٢٫٨ ٪ (والمستهدف أن يبلغ نصيبها ٣٠٫١ ٪ عام ٦٤ / ١٩٦٥) ، على حين تراجـع نصيب الزراعة من ٣١٫٢ ٪ الى ٢٧٫٨ ٪ ، وان كان المستهدف أن يبلغ نصيبها عـام ١٩٦٥/٦٤ نحـو ٢٨٫٥ ٪ . ويرجع تراجع نصيب قطاع الزراعة من الدخل القـومى الى ما يتجـاوز المستهدف الى قصور هذا القطاع عن تحقيق أهداف الخطة حيث لم يتجاوز نسـبة المحقق فيه خلال السنوات الاولى ٩٣٫٣ ٪ من المسـتهدف . والواقع ليس يفوق قطاع الزراعـة قصورا من هذه الناحية سوى قطاع التشييد حيث لم تتجـاوز نسـبة المحقق فيـه خلال نفس الفترة ٨٥٫٢ ٪ من المستهدف .

(دكتور محمد زكى شافعى)

العواصم الافريقية



بقلم الدكتور جمال حمدان

— ٢ —

تحدثنا فى المقال السابق عن تاريخ العواصم الافريقية ونشأتها وتطورها ، وبينا فى ذلك دور القارة الاصيل واضافة الوافد الاوربى الدخيل . وقد كشفت لنا هذه الدراسة عن وراء تاريخى وبعد حضارى عريق للقارة ، لا يكذب الاتهام الاستعمارى المتهالك من انها « قارة بلا تاريخ » فحسب ، وانما كذلك يزرى فى جوانب منه بتراث أوربا ذاتها . وقد آن لنا أن ننظر الى عواصمنا من وجهة نظر أخرى هامة لرجل الدولة والسياسة ولرجل التخطيط والتعمير على حد سواء . تلك هى قضية الموقع .

واذا كان موقع المدينة حقيقة خطيرة تعنى كل مشتغل بالحياة العامة والمصلحة الوطنية فهى فى حالة العواصم أخطر ، ولكنها فى أفريقيا المتحررة أشد خطورة . فسنرى فى دراستنا لمواقع العواصم الافريقية ان كثيرا منها لا يزكى نفسه للجغرافى ولا ينم عن منطق اقليمى سليم . وهنا تبرز مسئولية المفكر الافريقى أو الافريقانى (المشتغل بالدراسات الافريقية) فى محاولة تقييم وتقويم هذه المراكز باعتبارها مراكز العصب الحساسة فى الدولة الافريقية النامية . ان من الخطأ ان نتقبل الارث الاستعمارى كتنزيل ماله من تبديل ، وهو المثقل باوزار العشوائية والانتهازية والارتجال . ولكننا سنكتفى هنا بدراسة تقريرية اكثر منها تقديرية ، حتى تشع من الضوء أكثر مما تنفث من حرارة . فنبدأ اولا بتشخيص للصفة الجذرية فى موقع العاصمة الافريقية ، ثم نتقصى الضوابط الكامنة خلفها ، وبعدها نحلل نماذج وعينات حية من المواقع البارزة فى القارة .

قارة العواصم المتطرفة

أهم حقيقة عن مواقع العواصم الافريقية هى بلا شك ذلك **التطرف الصارخ** فى جسم الدولة حتى ليمكن ان نقول بلا خوف من خطأ ان افريقيا هى « **قارة العواصم المتطرفة** » والقلة النادرة — كما تدل نظرة عابرة الى خريطة القارة — هى التى تتوسط العاصمة

فيها رقعة الدولة . ذلك أمر يصدق على العواصم الساحلية كما يصدق على العواصم الداخلية سواء بسواء فمن حيث الاولى لن نجد وحدة سياسية ساحلية فى القارة لاتقع عاصمتها على الساحل الا فى حالات استثنائية معدودة . فهناك ٣٦ وحدة سياسية ساحلية ، بما فى ذلك الجيوب والاسافين والجزر ، ولكن باستبعاد زنجبار وكومورو وموريشس) منها ٢٧ ساحلية العاصمة . أى أن العاصمة الساحلية هى القاعدة السائدة فى افريقيا . وسبع وحدات ساحلية فقط هى التى تمتاز بعواصم داخلية . ولكن حتى فى العواصم الداخلية يظل الموقع المتطرف بشدة هو الملمح الاساسى .

ولسنا بحاجة الى أن نؤكد معنى ومغزى هذا التطرف . فان أثره على صعوبة الضبط السياسى وعلى اضعاف قبضة العاصمة على الاقاليم الهامشية والاطراف وحفظ التوازن بين اقاليم الدولة المختلفة امر واضح كل الوضوح ، لاسيما فى الوحدات الضخمة المساحة جدا ، وبوجه أخص فى ظل النقل المتخلف أو شبه البدائى الذى يسود أغلب اجزاء القارة . كذلك فان العاصمة المتطرفة غالبا ما تجنى على الاقاليم الهامشية البعيدة بالاهمال والتخلف المادى والحضارى . ولا يقل خطرا عن هذا ان العاصمة المتطرفة الموقع ـ خاصة اذا كانت حديثة السن كأغلب العواصم الافريقية ـ تميل الى أن تكتسب طابعا « اقليميا » اكثر منه قوميا . فبحكم الموقع غالبا ما يتألف سكانها من العناصر المحلية أو الاقليمية المباشرة ، وبالضرورة تطغى المصالح الاقليمية احيانا على المصالح القومية ، وهذا فى الدول المتنافرة جنسيا كبعض الوحدات الافريقية قد يجعل العاصمة موضع احتجاج بدل ان تكون عنصر تكامل وضابط ايقاع بين أقاليم وعناصر الدولة . وكمثال لهذا نذكر الخرطوم التى يرى البعض انها « عاصمة شمالية » . كذلك فى نجيريا الاتحادية المفككة لا تكاد لاجوس تختلف كثيرا عن ايبادان عاصمة اليوروبا التقليدية من حيث سيادة عنصر اليوروبا فى سكانها بحكم موقعها فى أقصى الاقليم العربى . بل ان الموقع الهامشى المتطرف للعاصمة الذى يعوق تمثيل كل أبناء الدولة فى سكانها يغرى فى الوقت نفسه العناصر الاجنبية فى الدول المتاخمة بالهجرة اليها والعمل فيها . وبالتالى يضاعف من مشكلة تمثيلها السياسى . ولعل برازافيل عاصمة الكنغو الاسفل هى المثل الحى البارز على ذلك ، ففيها تكافح اقلية من ابناء الدولة أغلبهم من جذور اقليمية ضيقة ، ازاء منافسة حادة من أغلبية من الافريقيين المهاجرين من كل الدول الجارات المحيطة .

ضوابط شتى

وهناك ضابطان اسياسيان أو ثلاثة ترقد خلف هذا التطرف الملح . اولها طبيعى من الداخل ، وهو **تطرف المعمور** فى أغلب وحدات القارة . فرقعة المعمور فى كل وحداتها بلا استثناء تقريبا تمثل كسرا ضئيلا ـ ضئيلا جدا احيانا ـ من مجموع الرقعة السياسية . وتجنح هذه النواة المعمورة فى الغالب الى طرف أو آخر من هذه الرقعة . ولهذا تصبح العاصمة حتى حين تتوسط المعمورة ـ وهو مالا يتحقق دائما بالضرورة ـ تصبح هامشية بالنسبة لمساحة الدولة العامة . وهذا واضح فى دول ساحل البحر المتوسط وضوحه فى دول الصحراء والسفانا ، وهو لا يقل وضوحا فى بقية قطاعات القارة .

أما الضابط الثانى فسياسى مصدره من الخارج ، ونقصد به التوجيه الاستعمارى . فأغلب عواصم القارة عواصم استعمارية تحدد توقيعها ـ كما فى آسيا ـ بطبيعة ومصالح الاستعمار البحرى . فكان يختار عواصمه بالضرورة على السواحل لتلعب دور مواطىء الاقدام فى المراحل الاولى ودور قواعد التوسع فى المراحل التالية . ولكنها ظلت بعد ذلك تمثل من وجهة نظر الاستعمار البحرى مواقع « متوسطة » تماما بين شقين متناظرين : « ظهير » المستعمرة المنظور ، و « نظير » المتروبول غير المنظور عبر البحار . ولقد اكد العامل السياسى أثر عامل المعمور فيما بعد ـ ان لم يكن هو الذى شكله أصلا ـ حين قصر الاستعمار التنمية الاقتصادية

لاسباب مختلفة على السواحل اساسا . ولم يقتصر هذا التوقيع الساحلي على عواصم الاستعمار توجيه القارة وقلبها كما رأينا الوطنية والاهلية القديمة ، ففيها اعاد الاستعمار توجيه القارة وقلبها كما رأينا « بطنا لظهر » ونقل العاصمة من الداخل الى الساحل كما فعل في مراكش من مراكش وفاس الى الرباط ، وفى السودان الغربى من تمبكتو وجاو وايبادان الى داكار واكرا ولاجوس الخ .

هل يلعب المناخ بعد ذلك دورا فى توقيع العواصم فى افريقيا ، وهى قارة تعانى فى اغلبها من المناخ المدارى القاسى ؟ من المرجح ان العواصم تسعى فى الدول ذات المناخ المتطرف الى ان تجنح الى الطرف الانسب أى العروض الاكثر اعتدالا من رقعتها . ومن المؤكد ان الموقع الساحلى فى اغلب الدول الافريقية يحقق هذا الى جانب انه يتفق مع توجيه المعمور وتوجيه الاستعمار . فالموقع الساحلى للدول المدارية يضمن على الاقل جبهة مائية منعشة ومناخا محليا معدلا . أما فى الدول خارج المدارية كالمغرب العربى ابتداء من ليبيا حتى المغرب وكاتحاد جنوب افريقيا فهو يجعل العاصمة فى الجانب الاعدل من الدولة والابعد عن خط الاستواء . ويتأكد هذا السعى نحو العروض الابعد عن خط الاستواء فى العاصمتين الداخليتين القاهرة والخرطوم حيث تجنحان بشدة الى القطاع الشمالى من الدولة أى ابعد ما يكون عن خط الاستواء . وبالمثل ولكن فى ترتيب عكسى تجنح العواصم فى وحدات اتحاد وسط افريقيا السابق الى أقصى الجنوب . وكما تحركت عاصمة البرتغال فى البرازيل فيما مضى على طول الساحل من باهيا فى أقصى الشمال المدارى الى ريو دى جانيرو فى أقصى الجنوب المعتدل ، تحركت عاصمتهم فى موزمبيق فى اوائل القرن الحالى نحو ١٠ درجات عرضية كاملة من موزمبيق فى أقصى الشمال الى لورنسو ماركيز فى أقصى الجنوب فى ابعد قطاع عن خط الاستواء ، بل انها فى الواقع تحتل القطاع الخارج المدارى الوحيد فى المستعمرة .

فى الدول الساحلية

لنحلل الان ابرز حالات الشذوذ أو الاعتدال فى مواقع العواصم الافريقية ، بادئين بالدول الساحلية حيث تطرف العاصمة امر لا مفر منه . ولا شك ان قمة التطرف بين العواصم الساحلية الاستعمارية كانت تتحدد فى كل من افريقيا الفرنسية الاستوائية وافريقيا الفرنسية الغربية قبل تحللهما ، فقد كانتا تحكمان من برازافيل وداكار على الترتيب ، مع أن كلا منهما كان يمتد فى اقصاه من الساحل الى الداخل نحو ٢٠٠٠ ميل كما يطير الطائر ! وهذا تحت نظام المركزية العنيفة فى ظل « الحكم المباشر » .. وفى الوقت الحالى يتضخم تطرف العاصمة الساحلية كثيرا فى الدول الشاسعة المساحة مثل الجزائر وليبيا وموريتانيا ونيجيريا وانجولا وموزمبيق . ففى الجزائر لا تقل المسافة بين العاصمة واقصى الجنوب عن ١٢٠٠ ميل اى كالمسافة بين باريس والبحر الاسود ! بينما فى ليبيا لم يكن ازدواج العاصمة ليخفف كثيرا من تطرفها بالنسبة للهوامش الجنوبية للدولة . وفى موريتانيا لا تتوسط العاصمة الجديدة حتى الساحل نفسه ، بينما كانت عاصمتها قبل الاستقلال تقع كلية خارج الحدود !

وفى نيجيريا لا تقل المسافة بين بحيرة تشاد ولاجوس عن نحو ٨٥٠ ميلا . وقد ادرك الاستعمار نفسه هذا التطرف ، ففى حين ما كادت كادونا عاصمة الاقليم الشمالى من نيجيريا ان تكون عاصمة نيجيريا كلها بدلا من لاجوس ، وذلك حين اراد لوجارد ان يستفيد من توسط موقعها واعتدال مناخها النسبى . الا ان المشروع لم يتحقق . ومثل ذلك حدث فى مراكش حيث فكر الاستعمار الفرنسى حينا فى ان يتخذ من مكناس المتوسطة الموقع عاصمة له ، ولكن بنفس النتيجة . أما فى انجولا فقد اصبحت نوفا لسبوا الداخلية المتوسطة عاصمة اسمية من قبل وان كانت لوندا

الساحلية لا تزال العاصمة الفعلية . وفى الدول الساحلية الشريطيـــة حين تتطرف العاصمة يكون التطرف جامحا كما فى حالة لورنسو ماركيز فى مـــوزمبيق ومقديشو فى الصومال . أما فى اتحاد جنوب افريقيـــا فيعوض ازدواج العاصمة بين الشمال والجنوب من تطرف الكاب الواضح ويخلق توازنا بين الشمال والجنوب ، بين البوير والانجليز ، لان كلا من الكاب وبريتوريا تقع على قرن من قرنى « الهلال الخصيب » لجنوب افريقيا .

واخيرا سنلاحظ ان المستعمرات الاسبانية تمتاز بحالة خاصة من تطرف العواصم . فجيوبها على القارة غالبا ما تحكم من عواصم على الجزر الساحلية المجاورة أو من جيوب اخرى على الاقل . فرغم ان سيدى افنى هى عاصمة افنى الا ان مقر الحكم هو كابوجوبى فى منطقة « مراكش الجنوبية » فى الصحراء الاسبانية . ورغم أن باتا هى عاصمة ريو مونى الا أن عاصمة غينيا الاسبانية (التى تشمل جزرفرناندوبو ، انوبون ، وكوريسكوبالاضافة الى ريو مونى نفسها) هى سانتا ايزابيل فى جزيرة فرناندو بو .

اما عن الدول الساحلية ذات العواصم الداخلية فليس ثمة الا ٩ حالات . ويعلل الموقع الداخلى فى اغلبها اما بالرغبـــة فى الوقوع على نهر شريانى كالقاهرة والخرطوم على النيل ، وليوبولدفيل وبرازافيل على الكنغو ، واما سعيا وراء موقع هضبى مرتفع يصحح المناخ فى العروض المدارية ــ « العواصم المعلقة » ــ مثل ياؤندى ووندهوك وبريتوريا ونيروبى واديس ابابا وتناناريف . وليس من الضرورى ان يحقق هـــذا الموقع الداخلى للعاصمة عنصر التوسط السياسى أو العمرانى فى الدولة . فياؤندى وبرازافيل وليوبولدفيل شديدة التطرف فى دولها ، والاخيرتان تقعان على خط الحدود مباشرة . وليستبريتوريا ونيروبى بافضل حالا بكثير . ولعل وندهوك واديس أبابا وتناناريف هى من أكثر عواصم القارة مركزية وتوسطا الى حد بعيد . واذا كانت الخرطوم يعوزها التوسط الهندسى حيث تجنح بشدة الى الشمال بنسبة ١ : ٢ من الشمال الى الجنوب ، الا انها مع ذلك متوسطة بالتأكيد فى المعمور الفعال . فهى تقع على رأس الجزيرة القلب الاقتصـــادى للسودان الحديث الذى يمثل بدوره قلب « النطاق الاوسط » السكانى (وهو جسم المعمور الحقيقى فى الســـودان) . ومما له مغزاه ان كل عواصم السودان الوطنية قامت دائما فى نفس اطار الجزيرة .

اما القاهرة فهى حالة نادرة سعيدة حقا فى القارة ، بل ربما فى العالم اجمع ، فكما يقول ستامب « من وجهة نظر مصر الحديثة ، ربما كانت القاهرة اكثر عاصمة فى الدنيا منطقا فى توقيعها » . والنظرة الاولى للخريطة قـــد تشكك فى هذا الحكم . فالقاهرة تبدو لاول وهلة غير متوسطة فى المعمور المصرى تماما . فطول الدلتا لا يتجاوز ١٧٠ كم ، بينما يمتد الصعيد نحو ٨٠٠ كم الى الجنوب . ولكن الواقع ان الدلتا ضعف الصعيد مساحـــة وانتاجية ، وان تقاربا الى حد بعيد سكانا . كما ان القاهرة تمثل قمـــة طبيعية لزحف كثافة السكان الصاعدة النظيمة ابتداء من اطراف الدلتا فى الشمال واطراف الصعيد فى الجنوب فى شكل هرم مدرج أو كامل . وهى بذلك تتوسط اكثف قطاع فى الدولة وتعد بمثابة « زر ماسى يمسك مروحة الدلتا ويد الصعيد » . انها باختصار مركز الثقل الطبيعى من الناحية الهندسية ، ومن الناحية الميكانيكية نقطة الارتكاز التى يستقطب حولها ذراعا القوة والمقاومة من شمال وجنوب ، بينما هى من الناحية الحيوية نقطة التبلور الرئيسية .

والدول الداخلية

فى الدول الداخلية ــ وعددها ١٤ وحدة ــ قد ينتظر المرء ان تحقق العـــواصم شرط التوسط الجغرافى الهندسى او الســـياسى العمرانى . ولكن المفاجأة انها كلها تقريبـــا شديدة التطرف بدرجة غريبة ، بل تكاد تقع على الحدود الى حد بعيد كما تفعل بماكو فى مالى ونيامى فى النيجـــر وسولسبرى فى روديسيا الجنوبية ، هذا ان لم تقع عليهـــا

فعلا ومباشرة وتوشك ان تمتطى خط الحدود كما تفعل فور لامى فى تشاد وبانجى فى افريقيا الوسطى ! حتى فى باسوتولند الجزيرة الصغيرة نجد ماسيرو تقع على الحدود الغربية مباشرة وفى دول الصحراء — السفانا الجديدة نجد ان السبب فى هذا التطرف هو اولا شـــدة ضآلة نسبة المعمور ، ثم تطرفه الشديد فى أقصى جنوب الدولة حيث نرى المعمور شريحة دقيقة توازى الحدود الجنوبية من الشرق الى الغرب وتعد فى الحقيقة امتـــدادا لنطاق المعمور الكبير فى السودان الغربى . واذا بدت واجادوجو هنا عاصمة متوسطة — العاصمة الوحيدة المتوسطة — فلنذكر انها من اصغر الوحدات مساحة فى مجموعها كما انها كلها من المعمورة تقريبا . اما فى وحدات جنـوب افريقيـــا البريطانية الثلاث باسوتولنـــد وسوازىلند وبتشوانا لند فان تطرف العاصمة الشديد انما يرجع فى الحقيقة الى تخطيط استعمارى عامد مقصود وهـــو ان تبتعد العاصمة الاوربية قدر الطاقـــة عن محيط الاهالى تحقيقا لمبدأ العزل الجنسى كمـــا يعترف كتاب غربيون صراحة .

وبعد ..

وبعد ، فان هذا المقال سيكون قد حقق اكثر من هدفه اذا نجح فى ان يجسم فى ذهن القارىء حقيقة كبرى واوليـــة وهى ذلك التطرف الشديد فى عواصمنا الافريقية ، وان يلقى بعض ضوء على اسبابه ونتائجه . وهذا التطرف هـــو اختزال بليغ مركز للتطرف العمرانى والبشرى والاقتصادى العام فى القارة ككل . فافريقيا ككل قارات « العالم الثالث » المتخلفة أو النامية تعانى من ان كل ما تم فيها من تنمية اقتصادية ومادية حتى الان تقتصر بصرامة على الاطـــراف والهوامش الساحلية تاركة الداخل « قلبا ميتا » كبيرا ومثل هذا النمط الحلقى شائع عند اصحاب الجغرافيا ويؤكد ان افريقيا « خرقة بالية حواشيها من الذهب » كما يقولون . وايا كانت مسئولية العامل الطبيعى البحت أو العامل السياسى الاستعمارى فى ذلك النمط فهو ان لم يدل اننا ازاء « قارة الشـــذوذ السياسى » فهو يدل على أننا ازاء « قارة القصور الاقتصادى » .

وعلى الدفع القومى الجديد فى أفريقيـــا الجديدة الان ان يعالج هذه التركة بالحكمة والتخطيط الرشيد . والبحث عن عواصـــم جـــديدة غير متطرفة لن يكون نزهـــة تخطيطية هينة تتم فى يوم وليلة ، لان دونها قوة الاندفاع التاريخى وقوة القصـــور الجغرافى فى العواصم بحسبانها رأسمال ثابت منطلق . ولكن زحف عواصمنا نحو الداخل ونحو قلب الدولة الافريقية الجديدة ينبغى أن يكون من اهداف التخطيط القـــومى الاساسية — ينبغى ان يكـــون « بوصلة » التخطيط . وسيكون هذا الزحف اما ايذانا بغزو داخل القارة عمرانيا وحضاريا او علامة عليه . ولافريقيا فى تجربة البرازيل المعاصرة اسوة حسنة . فقد كافحت الحكومات فى البرازيل طويلا من اجل غزو وتعمير الداخل الذى ظل مهملا مهجوراً طويلا ، وكان لابد من نقـــل العاصمة من ريو على الساحـــل الى برازيليا الجديدة فى الداخل استباقا وتحريكا لعملية تحويل مركز الثقل من الهامش الى قلب الدولة . والعاصمة وحدها بما لها من دينامية مشعة غلابة هى التى يمكنها ان تكون خميرة التعمير والتغيير فى المستقبل .

((دكتور جمال حمدان))



تشاد مشاكلها وتطورها

بقلم عبد السلام شحاته

تشاد اقليم مترامى الاطراف وهى منطقة شبه صحراوية منعزلة فى الداخل لاتطل على البحر . وتشاد تعانى نفس المشاكل التى تعانيها دول افريقيا الاستوائية التى كانت مستعمرات فرنسية فيما مضى وهى أوبانجى شارى التى صارت جمهورية افريقية الوسطى والكونغو الاوسط (برازافيل) وجابون وتشاد .

والمشاكل التى تعترض تنمية هذه الدول هى الفقر فى الموارد أو قل عدم الاستغلال الكافى للموارد الاقتصادية بالاضافة الى صعوبة المواصلات التى تربط بين اجزاء كل دولة من هذه الدول . كما تعانى هذه الاقاليم فيما عدا تشاد من قلة السكان وقلة الايدى العاملة اللازمة لمشروعات التنمية الاقتصادية .

وتشاد مثل الجابون يعيش ابناؤها فى جماعات متفرقة ، وقد أدى الى ذلك سعة المساحة وقلة المواصلات ، واختلاف البيئات فغرب نهر تشادى توجد منطقة زراعية هى أكثر من غيرها كثافة فى السكان وتنتشر فيها المعتقدات الوثنية والمسيحية أما المناطق الاخرى الاكثر اتساعا والتى يغلب عليها الطابع الصحراوى فسكانها من الرعاة المسلمين . وتبلغ مساحة تشاد ١٫٢٨٤٫٠٠٠ ك م٢ ويبلغ عدد سكانها حسب تعداد عام ١٩٥٧ ، ٢٫٥٧٦٫٢٠٠ من الافريقيين منهم

٢٥٦٫٠٠٠ر١ من الذكور و٣٢٠٫٢٠٠ر١ من الاناث كمايقطنها ٨٨٠ر٤ أوربى منهم ٢٦٥ر٢ من الذكور و٩١٥ر١ من الاناث .

وهى مثل أوبانجى شارى لاتطل على البحر وتشترك مع جيرانها فى حدود طويلة المسافات، بل ان صلات تشاد بجيرانها أقوى من غيرها اذ يسهل الاتصال بينها وبين السودان وفزان فى ليبيا ونيجيريا والكاميرون والدول التى كانت تسمى افريقيا الغربية الفرنسية وأدى اتصال تشاد الدائم بالدول الاسلامية المجاورة الى انتشار الاسلام والمسلمين فيها واختلطت السلالات العربية بالافريقية بعد ان وفد هؤلاء من الشمال ومن الشرق . وشاعت التعاليم الاسلامية وانتشرت اللغة العربية .

وعرفت تشاد فيما مضى ممالك اسلامية قوية السلطان عزيزة الجانب مثل مملكة كانم التى ظلت أكثر من قرنين تحارب الوثنية فى مجتمعات ساو ، وسلطنة بورنو فى القرن السادس عشر الميلادى ، وسلطنتى الباجرمى والوادى اللتين شغلتا بحرب الوثنية ونشر الاسلام كذلك .

ومن المعروف اليوم ان معظم السكان من المسلمين الا ان المراجع الغربية لاتبين هذه الحقيقة بصورتها الصحيحة . وقد رجعت فى هذه الفقرة الى الجزء الثانى من كتاب أوربا السنوى) لعام ١٩٦٢ وهو يقسم السكان من حيث الدين الى :

٥٢ ٪ من السكان مسلمين .

٤٣ ٪ وثنيين .

٥ ٪ مسيحيين منهم ٢ ٪ ممن يدينون بالمذهب الكاثوليكى .

ثم يفصل المعلومات عن المسيحية وعن نشاط البعثات الكاثوليكية التى يدين بها ٢ ٪ من السكان ولا يذكر شيئا عن النشاط الاسلامى .

ولعل لكاتب تلك المعلومات العذر لان الاسلام كما نعرف انتشر تلقائيا خلال القرون الماضية . وكما ذكرت فى أحاديث سابقة فان الكتاب الاوربيين يحاولون التقليل من نسبة المسلمين فى الدول الافريقية . أو لعل السكان من المسلمين يخشون ادراج احصاءات دقيقة عن أنفسهم فقد يكون المقصود بهذه الاحصاءات التى يقوم بها المستعمرون تحصيل الضرائب على عدد الرءوس أو قد تؤدى الى منع خير يمكن أن يفيد منه المسلمون كاتاحة فرص التعليم وما الى ذلك . ومن ناحية أخرى فان عدد الافراد الذين يدينون بالاسلام آخذ فى الازدياد مما يجعل من الصعب الوقوف عند نسبة معينة لاتتغير .

ومهما يكن من أمر فان وجود هؤلاء السكان المسلمين قد جعل الصلات الثقافية والروحية قوية بينهم وبين الدول الاسلامية الاخرى . وذكرت فيرجينيا تومسون وريتشاد أدولف فى كتابهما (الدول الناشئة فى افريقيا الاستوائية الفرنسية) أن فرنسا ومصر تعتبران من أقوى الدول نفوذا من حيث الثقافة فى هذه المناطق، وفرنسا اكتسبت نفوذها بحد السلاح أما مصر فان صلاتها روحية خالصة .

ولقد بلغ من خوف المستعمرين انهم اتهموا المسلمين الثائرين المطالبين بالاستقلال فى العشر سنوات الاخيرة بأنه يدينون بالولاء للدول العربية وانهم بذلك يعملون لحساب دول أجنبية ! !

وكان لدخول الاسلام أثره من حيث اختلاط السلالات فلا توجد اليوم خطوط بارزة يمكن على ضوئها تقسيم السلالات الى عربية خالصة وأفريقية خالصة .

وقاوم الاسلام الاستعمار الفرنسى وكان السلطان رابح هو الذى حمل لواء المقاومة ومن بعده كانت المناطق الاسلامية أشد الاقاليم مناوأة للاستعمار الفرنسى . وعملت فرنسا ابان احتلالها على استخدام عناصر من الوثنيين فى قواتها العسكرية المحاربة فى افريقيا الاستوائية الفرنسية . ونجد أن أبناء سارا الوثنيين هم الذين كانوا عماد تلك القوات .

ومع ذلك فان أبناء قبيلة كوتوتكو وهى التى تمثل الفريق المسلم من قبائل سارا أرقى من حيث أسلوب حياتهم فهم يعيشون على الزراعة والصيد على شواطىء شارى . والغالبية المسلمة من السكان تتميز بالشجاعة وروح الفروسية وشيوع نظام اجتماعى محكم التآلف كما أنهم يتكلمون العربية التى توحد

بين مشـــاعرهم بينما يتميزون بأداء حرف معينة .

ولقدظلت فرنسا عشرين عاما من عام ١٩٠٠ الى ١٩٢٠ تحاول وضع سياسة واضحة بشـأن الرؤساء المحليين غير أنها حاولت ما استطاعت أن تقلل من هذه السلطة كلما سمحت الظروف ويعتبر حادث سلطان باجرمى مثـــلا يضرب فى هذا الصدد .

ففى عام ١٨٩٧ استنجد سلطان باجرمى بالفرنسيين طالبا حمايته من هجمات السلطان رابح وبعد أن قضت سلطات فرنســـا على قوات السلطان المســـلم عقــدت مع سلطان باجرمى فى تشـــاد أربع معـــاهدات احتفظ السلطان بمقتضاها بسلطته على قومه تحت الحماية الفرنسية ولكنه فقد سيطرته على المناطق الوثنية التى كانت تخضع له وصارت تحكمها القوات العســـكرية الفرنسية حكما مباشرا . ولالتزام الســـلطان بالعمل على تحريم تجارة الرقيق وافقت فرنسا على أن تدفع له عشرة آلاف فرنك كل عام . وهــذه الامتيازات منحتها فرنسا للسلطان الى حين فسرعان ما خفضت الضرائب ثم شكلت حكومة لجبايتها ثم أخذت تقوض من نفوذ السلطان شيئا فشيئا .

واستغرق انشـــاء نظام ادارى فرنسى فى تشاد وقتا طويلا نظرا لسلطة الرؤساء المحليين ولاتساع مساحتها وصعوبة المواصلات وكانت الحكومة العامة لافريقيا الفرنسية الاستوائية مشغولة بانشاء الخط الحديدى الموصل بين داخل الكونغـــو الفرنسى والمحيط فاقتصر الاصلاح فى تشاد على تحسين قليل فى أساليب زراعة القطن وتربية الحيوانات وهما عمـــاد الثروة فى البلاد .

وأهم المدن هى فورت لاما ومونرو وفورت ارشامبولت . ومعظمها مدن تاريخيـــة وان تغيرت أسماؤها . والمواصلات تمثل مشـــكلة كبرى فى تشاد وتوجد بها مواصــــلات نهرية داخلية فى نهرى شارى ولوجون وهما صالحان للملاحة ولكن الى حد محدود .

فنهر شارى صـــالح للمـــلاحة فيما بين أغسطس وديســـمبر وذلك فيما بين مدينتى فورت لامى وفورت شامبولت . ونهر اللوجون يفتح للسفن الصغيرة دون غيرها .

وتتصل تشاد بجمهورية افريقية الوسطى بطريق برى وبالخط الحديدى لاتحاد نيجيريا ومعظم التجارة الخارجية لتشاد تنقل بواسطة الطائرات أو بواسطة خط نيجيريا الحديدى . وبمدينة فورت لامى فى الوقت الحاضر مطار جوى يصلح لاستخدام النفاثات .

وقد أعدت الخطة لانشاء خط حديدى بين جمهورية افريقيا الوسطى وتشاد اوبينها وبين الكاميرون ، وهناك فكرة لاعداد طريق منظم عبر الصحراء يصلها بشمال افريقيا ولكن لم يتوفر المال اللازم لذلك . وعلاقات تشاد بنيجيريا من ناحية المواصلات علاقات وثيقة وقد أحدث قرار نيجيريا عام ١٩٦٠ الخاص بمقاطعة السفن الفرنسية (التى تستخدمها تشاد فى نقل السلع منها واليها) أثرا سيئا فى اقتصادياتها . وقد اتخذت نيجيريا ذلك القرار بعد اصرار فرنسا على اجراء التجارب الذرية فى الصحراء . وعاشت تشاد حيـــاتها التقليدية على اقتصاديات ضـــعيفة وموارد ضئيلة رغم مساحتها الواسعة وأثرت فيـــها الحرارة والجفاف وصـــعوبة المواصلات . وتربى فى بعض مناطها الماشية التى يمارسها العرب الرحل كما توجد حاصلات قليلة من القمـــح والتمر والصـــمغ والملح وفى اقليم الشمانا فى الجنوب والغرب تنتشر تربيـــة الاغنام . وأقــرب ميناء يبعد عنها أكثر من ٢٥٠٠ كـم . وتشترك دول كثيرة فى بحيرة تشاد التى تعتبرها نهاية حدودها مثل نيجيريا والكاميرون ودول افريقيا الفرنسية الغربيـــة وتقـــع البحيرة فى مســـتوى منخفض وتغطى شطآنها أوراق البردى .

والمنتجات الزراعية تشمل الفول السودانى والقطن والارز والماشية ولا توجد منتجات من المعادن وقد أثبتت الدراسات أنه من الممكن تحسين ورفع مستوى الانتـــاج الزراعى اذا تحسنت وسائل المواصلات . ويمكن التوســـع فى تصدير اللحوم المحفوظة .

وفيما يلى بيان بالتجارة الخارجية عن عام ١٩٥٩ بملايين الفرنكات الافريقية علما بأن الفرنك الافريقى قيمته ٢/١٠٠ من الفـــرنك السويسرى الجديد :

ومن ذلك نتبين مدى الارتباط الاقتصادى بفرنسا ودول الاتحاد الفرنسى والسوق المشتركة ونتبين معه نفوذ السياسة الغربية عامة فى المجال الاقتصادى .

واذا كان من المعروف أن تشاد لا تستطيع أن تعتمد على نفسها فى مجالات الاقتصاد وخاصة فى فترة التنمية الاقتصادية لعرفنا مدى السيطرة التى تتمتع بها فرنسا والتى سوف تتمتع بها هى ودول السوق المشتركة الى أن تتغير الاوضاع الحالية .



وتتجلى سيطرة فرنسا من ناحية أخرى فى المجال السياسى وظهر هذا الاتجاه خلال الحرب العالمية الثانية حين كان فيلكس أبويه هو حاكم تشاد وكان متحمسا لقضية فرنسا الحرة متعصبا لديجول . وكان لموقفه تأثير كبير فى أنحاء افريقيا الاستوائية الفرنسية . كما ان تشاد كانت قاعدة لحملة ليكليرك التى عبر فيها الصحراء الى بير حكيم خلال الحرب العالمية الثانية .

وتظهر هذه الاتجاهات الموالية لفرنسا بشكل واضح اذا عرفنا أن الفرنسيين المقيمين هناك لهم أثر كبير فى توجيه السياسة بعد الحرب العالمية .

ومن الملاحظ بشكل عام بالرغم من هذا الاتجاه الفرنسى ازدياد عدد أصوات هؤلاء الافريقيين وضعف النفوذ الفرنسى تدريجيا .

ولقد لعب الصراع السياسى دورا كبيرا تعددت معه الاتجاهات والميول رغم فقر موارد هذا البلد الافريقى المترامى الاطراف . واتهم المعارضين بأنهم متشبعون بأفكار أجنبية ويشايعون الدول العربية مثل أحمد كلم الله وهو تاجر مسلم ينحدر عن أرومة عربية من باجر مى وله علاقات عائلية وتجارية تربطه بالسودان .

وقد شكلت أول حكومة مسئولة عام ١٩٥٧ تحت رئاسة جابريل ليست وهو ملون من جزر الهند الغربية تلقى تعليمه فى باريس بمعهد المستعمرات وشغل مناصب ادارية فى الحكم الاستعمارى الفرنسى وعمل بمراكش والكونغو الاوسط وتشاد . وكان متزوجا من فرنسية وأنشأ الحزب التقدمى التشادى .

وفى عام ١٩٥٨ اختارت تشاد تحت تأثير الساسة الفرنسيين والمشايعين للسياسة الفرنسية أن تنضم الى الاتحاد الفرنسى ، وكان ليست الملون وحليف الاستعمار هو المتحمس لذلك وحمل على سياسة سيكوتورى المتحرر ثم تولى مقاليد الحكم فرانسوا تومبا لباى الذى سرعان ما أبعد ليست وتزعم هو الحزب وصار فيما بعد رئيسا للجمهورية التى أعلنت تشاد مستقلة عام ١٩٦٠ . وكانت تشاد قبل ذلك بعام قد شاركت فى اتحاد اقتصادى فنى مع الاقاليم الثلاثة الاخرى فى افريقية الاستوائية الفرنسية . ورضيت الاحزاب أن تبقى تشاد فى الجماعة الفرنسية وأن تستمر فى تلقى المعونات الفنية والمالية من فرنسا وأن تنسق التعاون بينها وبين جيرانها فى افريقيا الاستوائية الفرنسية . كما اتفق مع فرنسا قبيل اعلان الاستقلال على مسائل التمثيل الدبلوماسى والدفاع . وانضمت تشاد الى الامم المتحدة عام ١٩٦٠ وكانت عضوا مؤسسا فى جماعة برازافيل ومنروفيا الموالية للنفوذ الغربى .

ومؤتمر القمة الافريقى الذى كان دعوة عامة للتحرر ولاقتحام الحواجز التى وضعها الاستعمار بين الدول الافريقية الشقيقة سيكون له أثره بلا شك فى المدى الطويل فى تحقيق التحرر الشامل من النفوذ الاستعمارى

ثم ان التطور الطبيعى للنضج الاجتماعى والسياسى يجعلنا على يقين من أن المرحلة الحالية هى احدى مراحل التطور لتحقيق الحرية الاقتصادية والسياسية .

التسلل الاسرائيلي في افريقية

الدكتور محمد المعتصم سيد

أصبح من الحقائق أن خطط اسرائيل الان فى القارة لم تعد تتم فى الظلام ، ثم ان كل الخطوات التى تقوم بها الان يحوطها الشك والريبة ، وهذا ما يدعونا الى تعرف الخطوات التى قامت بها اسرائيل من أجل التسرب الى جزء كبير من افريقية ؟ ثم كيف كانت الجمهورية العربية المتحدة لهذا التسرب بالمرصاد ؟

ومهما يكن من شىء فان هذا الدور قديم بلا شك ، فانه يرجع الى ما قبل الفترة التى اغتصبوا فيها الجزء الاكبر من فلسطين ، ذلك لان الانجليز فى هذه الفترة المبكرة ، كانوا قد صمموا على أن يكون لليهود وطن مستقل بهم ، وأن هـذا الوطن يجب أن يكون على حساب أى شعب ، وأية قارة .

حقا لقـد كانت فكرة اقامة وطن لهم مما أرق الانجليز ، وجعلهم يصممون على التنفيذ فى الفرصة المتاحة ، وكان اتجاههم الصريح الى اقامة هذا الوطن فى شرق افريقية ، وحين تفاوضوا بهذا الشأن مع « اسرائيل زانجويل » الذى عمل على قيـام « المنطقـة اليهودية الاقليمية » .. نراه يقبل الفكرة ، مما يضطر معه الانجليز الى تحديد المكان الذى سيكون وطنا للاسرائيليين ، ولقد كان هذا المكان فى افريقية ، وفى تنجانيقا بالذات .

على أن الاسرائيليين سرعان ما طمعوا فى تحقيق حلمهم القديم ، وسرعان ما اندمجوا فى التيار الذى ظل ينادي من فترة كبيرة بأن تكون فلسطين وطنا لهم ، ونجحوا فى اقامة الوكالة اليهـودية عام ١٩٠٨ ، ثم أخـذوا يتوافدون على فلسطين ، ويشترون الارض ، ويعملون بكافة الصور على تثبيت أقدامهم .

هذا هو الدور الاول فيما يتصل بوضع عين اسرائيل على افريقية ؟

أما الدور الثانى فقد كان بلا شـك حين عملت الحكومات العربية على حصار اسرائيل اقتصاديا ، وقد كان هذا دافعا لها الى أن تطوف بأعينها على افريقية ، ومن هذه الفترة أخذت تتسلل بخبث الى مناطق كبيرة .

على أنها لم تستطع اقتحام القارة الا فى حماية الاستعمار الذى سرعان ما شق لهـا الطريق ، وتفاوض باسمها ، وأعلن عن منتجاتها ثم أنه كان وراءها فى التبادل الدبلوماسى مع بعض الدول الافريقية .

وقد ترتب على هذا أن اسرائيل تسللت الى مناطق كثيرة من افريقية ، مدفوعة بقـوى التعويضـات الماليـة التى حصلت عليها ، وبايرادات الوكالة اليهودية ، وبالمساعدات الامريكية المتوالية ، وبهذا كله استطاعت أن تنفذ الى :

.. أثيوبيا ، موزمبيق ، نيجيريا ، الكونغو ، غانا ، ليبيريا ، تنجانيقا ، كينيا ، جنـوب

افريقية ، وكذلك الدول التى كانت خاضعة للنفوذ الفرنسى .

ولقد كانت تسبق اسرائيل دعاية تقول :

انها تمثل جزءا من آسيا

وانها دولة وقع عليها من الظلم ما لم يقع على مثلها .

وانها متقدمة صناعيا .

وانها على استعداد لتمويل المشروعات ، وتقديم الخبراء ، واستقدام الافريقيين لتعليمهم وتدريبهم فى بلادها ، وكذلك دعوة الزعماء ، ووفود النقابات ، والعمال ، والطلبة الى قضاء فترة فى أراضيها .

وقد تنبه الى هذا الخطر الافريقيون ، وكان فى مقدمة من تنبهوا الى هذا الخطر الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت لها فى هذا مواقف :

فقد ذكر ممثلها فى مؤتمر « أديس أبابا » ان اسرائيل تلعب دورا فيما يسمى الان « الاستعمار الجديد » ذلك لانها تتحرك باسم الدول التى كانت تستعمر افريقية من قبل ، وكان فيما قاله « انها تقدم معونات اقتصادية الى الدول الافريقية ، فى الوقت الذى تمد فيه يدها الى يهود العالم ، والى بعض الدول الكبرى التى تريد العودة بأى شكل الى تلك الاقطار الناشئة » .

كما تنبهت الى تصويت اسرائيل الدائم فى الامم المتحدة ضد تحرر الدول الافريقية وتقدمها ، وكذلك تصويتها ضد عدم التفجير الذرى فى الصحراء الافريقية ، وضد الوحدة فى الكونغو ، ووقوفها موقفا سافرا مؤيدا لكاتنجا .

ولقد كان من الغريب حقا أن تمنح حق الالتجاء الى بعض الوطنيين الانجوليين اليها فى الوقت الذى تقدم فيه السلاح الى البرتغال كما أن من الغريب كذلك انها تتظاهر بأنها ضد التفرقة العنصرية ، وفى الوقت نفسه تقف وقوفا سافرا الى جانب حكومة جنوب افريقية ، فى سياستها التى تهدر بها القيم الانسانية .

وكان من الضربات المباشرة التى وجهت اليها تلك الضربة التى لاقتها من مؤتمر « الدار البيضاء » فقد جاء فى وقت واحد من قراراته : ان المؤتمر يلاحظ باستنكار أن اسرائيل دأبت دائما على مناصرة الاستعمار كلما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بافريقية ، ولا سيما الجزائر ، والكونغو ، والتجارب الذرية فى افريقية .

ولقد كان هذا القرار بالاضافة الى التصريحات العديدة من الرئيس « جمال عبد الناصر » عن دور اسرائيل فى افريقية هو المصباح القوى الذى أرشد الى هؤلاء المتسللين ، والى دورهم فى عرقلة التقدم فى الدول الحديثة الاستقلال ، ومن هذا قول الرئيس فى أحدى خطبه :

((لقد كانت هناك حملة مسعورة من الاكاذيب تنقلها وكالات الانباء ، تعبر عن رأى الاستعمار والصهيونية ، حتى تجعلنا نؤمن ونعتقد أو نشعر أن الدول الحديثة الاستقلال فى افريقية لا يمكن أن تتحمل مسئولياتها)) .

من كل هذا نرى أن الجمهورية العربية المتحدة كانت مستيقظة لخطى اسرائيل فى افريقية ، وأنها عملت ، وستعمل دائما على تجميد هذه الخطوات التى تعادى افريقية .

((دكتور محمد المعتصم سيد))

شخصية العدد

عبد الحميد بن باديس

للدكتور علي ابراهيم عبده

الشيخ عبد الحميد بن باديس من رواد النهضة الحديثة فى الجزائر ، ولد فى عام ١٨٩٠ بمدينة قسنطينة ، وتلقى بها دروسه الابتدائية . ثم انتقل الى تونس ليتابع دراسته الثانوية والعالية بجامع الزيتونة .

وبعد تخرجه من جامع الزيتونة عاد الى الجزائر ، ثم سافر الى المشرق العربى ، حيث قضى سنتين بالحجاز ، عاد بعدهما الى مسقط رأسه ، عازما على العمل لانقاذ شعبه من براثن الجهل والخرافات بكل ما يملك من ايمان واخلاص .

وكما نعرف كانت سياسة فرنسا التعليمية فى الجزائر تتلخص فى « فرنسة الجزائريين » وابعادهم عن الثقافة العربية ، وعن مناهل العلم الحديث ، حتى يظلوا أميين مستعبدين. وقد وضعت فرنسا التدابير والتنظيمات الكثيرة المتنوعة لتعرقل التحاق أبناء الجزائريين بالمدارس والمعاهد ، فمثلا شروط القبول المقررة كانت مجحفة بالنسبة لهم . كما أن معظم المدارس أنشئت فى المراكز والاماكن ، التى يقطن فيها جماعات كبيرة من الفرنسيين والاوروبيين . هذا الى جانب أن المدارس لا تقبل أحدا من الجزائريين الا بعد قبول جميع من يراجعها من الفرنسيين والاوروبيين . ومن الامور التى تمسكت بها فرنسا أشد التمسك فى سياستها التعليمية فى الجزائر ، هو اهمال اللغة العربية اهمالا تاما ، ثم مكافحة فعالة ، وتركيز الجهود حول نشر اللغة الفرنسية ، وجعلها لغة التعليم لجميع مواد الدراسة فى مختلف مراحل التعليم . هذا وكان فى الجزائر عدد كبير من المدارس الدينية التقليدية ، الكبيرة والصغيرة ، فعملت على تقويض دعائمها واضعافها شيئا فشيئا ، وذلك بالاستيلاء على ما أوقف عليها من عقارات ، وسن القوانين الزاجرة التى تجعل التعليم العربى الحر جريمة يعاقب عليها القانون .

قاوم الشعب الجزائرى بكل ما أوتى من قوة — طيلة قرن من الزمان — وسائل الاستعمار ، التى حاولت القضاء نهائيا على كل ما هو عربى وما هو اسلامى فى أرض الجزائر ، فكانت الكتاتيب السرية ، وكانت الدروس الخاصة ، وكان الاغتراب من أجل العلم والدين ، مثل ما فعل عبد الحميد بن باديس . وجاءت سنة ١٩٢٠ بنهضة تعليمية فردية فى الجزائر ، تحدى رجالها القانون ، وأسسوا بعض مدارس خاصة فى العاصمة وبعض مدن البلاد ، فأقبل الشعب عليها ، رغم ضعفها اقبالا عظيما .

وكان فى مقدمة هؤلاء الشيخ عبدالحميد ابن باديس ، الذى جاب مختلف أنحاء الجزائر ، واختار نخبة من الشبان النجباء ، ولقنهم مبادىء العربية والاسلام ، ووجههم توجيها صالحا ، ليحملوا الامانة وينشروها فى أرجاء القطر الجزائرى . وفتح ابن باديس الكثير من المدارس للبنين والبنات ، والكثير من النوادى والمراكز لتلقين الشبيبة الدين الاسلامى وتاريخ العرب . وكان يقوم بالقاء

دروس فى الوعظ والارشاد لعامة الشعب . وبالقاء الكثير من المحاضرات العامة لتثقيف الناس وتنويرهم .

وفى عام ١٩٣٠ أسس الشيخ عبد الحميد ابن باديس فى الجزائر جمعية اسمها «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» ، وسرعان ما انضم اليها عدد كبير من المثقفين ، وأصبح لها مدارس ودعاة منبثون فى أنحاء الجزائر . وكان غرضها الاصلاح الدينى ، واحياء لسان الضاد ، ونشر الثقافة العربية . وكل ذلك مدعاة الى ايجاد وعى عربى ، ويقظة قومية ، فى قطر كان المستعمر يحارب فيه هذه الامور حربا لا هوادة فيها .

باشرت الجمعية ، باشراف وتوجيهات ابن باديس ، عملية تنظيم وتنسيق التعليم الاسلامى العربى فى الجزائر ، ونشر المدارس فى جميع أرجائها . وكان الاضطهاد الحكومى يتتبع هذه المدارس وشيوخها ، ويفرض عليهم العقوبات الصارمة بالسجن والتغريم . لكن الحركة سارت مؤيدة من الشعب الجزائرى تأييدا مطلقا . وقد تبارت المدن الجزائرية فى بناء هذه المدارس والمساجد والنوادى بواسطة اكتتابات عامة سخية ، تتبرع فيها المرأة بحليها ، ويتبرع فيها الرجل بقوت يومه ، ومنها ما بلغت تكاليف بنائه وتأثيثه مقدارا يتراوح بين ١٥ و ٢٥ ألف جنيه . وكان المتخرجون من هذه المدارس ، وهى كثيرة ، يرسلون الى المعهد الزيتونى بتونس ، والبعض منهم أرسل الى معاهد القاهرة ودمشق وبغداد .

ولم يكتف الشيخ عبد الحميد بن باديس بهذا ، بل عمل على اصدار بعض الصحف والمجلات . وكثيرا ما كانت السلطات المستعمرة تصادر هذه الصحف والمجلات وتمنعها من الظهور . وأخيرا نجح ابن باديس فى اصدار مجلة « الشهاب » الشهرية ، التى انشئت فى عام ١٣٤٣ هـ ، وكان رائدها ــ الوطن قبل كل شىء » . وعملت على ابراز كيان الامة الجزائرية ، وناهضت التجنس بالجنسية الفرنسية ، واندماج الجزائر فى فرنسا ، وناضلت عن الشخصية الجزائرية الاسلامية ، غير مبالية بما يعترضها من غلاة الاستعمار أكلة الامم ، ولا من صرعاهم من ضعاف النفوس ، ولا من صنائعهم خربى الذمم . وقد عانت مجلة الشهاب ، برئاسة ابن باديس من الادارة الفرنسية ، بسبب صراحتها وجرأتها ما عانت ، ولكنها صبرت وصمدت فى وجه تلك الادارة فترة طويلة .

وتتضح اتجاهات ابن باديس من خلال مواقفه التى اتخذها ، وأعماله الرائعة التى قام بها . فقد كانت دعوته صريحة للعروبة والاسلام . حاول قدر استطاعته نشر اللغة العربية ، وطالب الهيئات المستعمرة أن تسمح بتدريسها فى مدارسها ، أو على الاقل عدم مناوأة المدارس العربية الاهلية فى تعليمها . وعمل على احياء مآثر العرب ، وهو الذى يقول فيهم :

« اذا قلنا العرب ، فاننا نعنى هذه الامة الممتدة من المحيط الهندى شرقا الى المحيط الاطلنطيقى غربا ، والتى فاقت سبعين مليونا عدا ، تنطق بالعربية ، وتفكر بها ، وتتغذى من تاريخها ، وتحمل مقدارا عظيما من دمها ، وقد صهرتها القرون فى بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة . هذه الامة العربية تربط بينها ــ زيادة على رابطة اللغة ــ رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الالم ، ورابطة الامل .. »

ودعا ابن باديس فى خطبه وكتاباته الى اصلاح القضاء الاسلامى وعدم خضوعه للقضاء الفرنسى . وأخذ يقنع الجزائريين بأن التخلى عن قانون الاحوال الشخصية الاسلامى ، الذى يلزم للحصول على حق المواطن الفرنسى ، يعنى الارتداد عن الدين الاسلامى نفسه ، وبالتالى يجب أن يحرم « المتجنس » من الصلاة عليه أو دفنه فى مقابر المسلمين . كما طالب ابن باديس الهيئات الحاكمة بعدم التدخل فى شئون المساجد وأئمتها .

ومن أهم الاعمال التى قام بها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكرس لها حياته ، قيامه بتدريس تفسير القرآن الكريم على الطريقة السلفية بالجامع الاخضر بمدينة

قسنطينة . وأتم هذا العمل فى خمس وعشرين سنة متواليات . وقد أقيمت بمناسبة ختمه لتفسير القرآن احتفالات كبيرة فى الثانى عشر والثالث عشر من شهر ربيع الثانى من عام ١٣٥٧ هـ (يونية ١٩٣٨ م) بالجامع الاخضر ، وحضرها الوف من مختلف المدن الجزائرية ، مما يدل دلالة واضحة على انسياق الامة الجزائرية المسلمة الى القرآن ، واستجابتها لدعوته ، واجتماع قلوبها عليه ، وشعورها بلزوم الرجوع الى هدايته ، ومما يدل أيضا على أن الامة الجزائرية عرفت قيمة ما أتم الله على يد ابن باديس ، فاحتفلت بهذا الختم كأعظم ما تحتفل أمة ناهضة بأثر ناجح من آثار جهودها .

وقد تبارى الخطباء والشعراء أثناء هذه الاحتفالات ، فى الاشادة بأعمال ابن باديس الجليلة وبآثاره الحميدة فى التعليم ، وبأنه واضع أسس النهضة التعليمية فى الجزائر ، وبأن عمله فى تفسير القرآن هو أجل أعماله فى التعليم ، وأنه باتمامه لهذا العمل يستكمل مزية الاستحقاق للتكريم والاجلال من أمته ، اذ يكون قدم لها عملا تاما ناضجا ، وصورة كاملة من مجهوداته ، زيادة على ما خرج لها من رجال .

ومن خطبة الشيخ محمد الحسن الورتلانى ، التى ألقاها فى الاحتفال ، مانصه :

« سلام عليك أيها الأستاذ الجليل بما جاهدت فى سبيل العلم والدين والعربية . سلام عليك بما غالبت فى سبيل الثلاثة من صعاب ، وما قاسيت من الأتعاب . سلام عليك بما صبرت وصابرت ، وبما سال به قلمك فى تجليه حقائق الدين ، وبما نفثه لسانك من كلم كانت نجوما للمهتدين ، ورجوما على المعتدين . سلام عليك بما خدمت الأمة الجزائرية فى أبنائها ، الذين هم ذخيرة مستقبلها ، وفى دينها ، الذى هو مناط فخرها ، وفى لغتها التى هى ترجمان مجدها . فشكرا لك منها ، يعبر عنه هذا الاحتفال . وهنيئا لك ما بنيت من الأعمال ، وربيت من الرجال ، وجزاك الله أحسن ما يجزى به عباده الصالحين .

أيها الأستاذ : لقد غرست فى الجزائر غرسا وتعهدته بالسقى والتثمير ، حتى أينع وأثمن واورق وأزهر ، وربت ظلاله . وقد أصبح الشعب الجزائرى كله يقطف الزهر يجنى الثمر ، ويتفيأ الظلال ، فلا عجب اذا رأيناه فى هذا الاحتفال ممثلا فى سرآته ، وعلمائه ، وكتابه ، وخطبائه ، يوفيك حظك من الاعتبار ، ويكافئك بما أنت أهله من التقدير .

أيها الأستاذ : لقد ختمت تفسير القرآن ، واوقفت هذه الأمة المحمدية على أسراره ، ومغازيه ، وحكمه المنطوية تحت معانيه ، واستخرجت لها منه دقائق الهداية ، وجلوت لها منه مطلع النور ، وقدمت لها منه الدواء الشافى لأمراض النفوس والغذاء الكافى لحاجة الأرواح . فهل تظن هذه الأمة أن احدا من أبنائها خدمها بمثل ما خدمت ، أو قدم لها مثل ما قدمت ؟ . »

ومن الشعراء الأفذاذ ، الذين حضروا الاحتفالات ، الأستاذ محمد العيد آل خليفة ، وهو بحق أمير شعراء الجزائر ، ومن يعرفه ويعرف ايمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الاسلامية ، يعرف أن روح الصدق المتفشية فى شعره انما هى من آثار صدق الايمان وصحة التخلق . وقد رافق شعره النهضة الجزائرية فى جميع مراحلها ، وله فى كل ناحية من نواحيها ، وفى كل طور من اطوارها ، وفى كل أثر من آثارها ، القصائد الغر . ومن قصيدته التى القاها فى احتفالات تكريم ابن باديس ، والتى تزيد على السبعين بيتا ، قوله :

بمثلك تعتز البلاد وتفخر
وتزهر بالعلم المنير وتزخر
طبعت على العلم النفوس نواشئا
بمخبر صدق لا يدانيه مخبر
يراعك فى التحرير أمضى من الظبى
وافضى من الاحكام أيان يشهر
ودرسك فى التفسير اشهى من الجنى
وأبهى من الروض النظير وأبهر
ختمت كتاب الله ختمة دارس
بصير لـه حل العويص ميسر
فكم لك فى القرآن فهم موفق

وكم لك فى القرآن قول محرر
قبست من القرآن مشعل حكمة
ينــــار به السر اللطيف ويبهر
وبينت بالقرآن فضل حضارة
أقــر لهـــا كسرى وأذعن قيصر
حكيت (جمال الدين) فى نظراته
كأن (جمال الدين) فيك مصور
وأشبهت فى فقه الشريعة (عبده)
فهل كنته أم (عبده) فيك ينشر ؟
أعد يابن باديس الحديث وأبده
بانعمــك اللاتى بهــا أنت تؤثر

وللشيخ عبد الحميد بن باديس مواقف وطنيـــة رائعـــة كبيرة ، فكبيرا ما عارض الاحتفـــالات التى كانت تقيمهــا سلطات الاحتلال ، وكثيرا ما وقف فى جانب المظلومين من أبنـــاء الجـــزائر ، محتجا على الاهانات التى كانوا يتلقونها من قبـــل الســلطات الفرنسية . وأهم من كل ذلك أنه وقف وقفة قوية مشرفة ضـــد محـــاولة فرنسا ادماج الجزائر ، مبينا فى كتاباته وخطبه أن الأمة الجـــزائرية أمـــة متكونة موجودة كما تكونت كل أمم الدنيا ، ولها تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصـــة التى هى عربية اسلامية ، ولها عوائدها ، وأخلاقها ، وموضحا أن الأمة الجـــزائرية الاســلامية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها وفى دينها ، ولا تريد أن تندمج فيها ، ولها وطن محـــدد معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة . وقال ابن باديس قصيدة مشهورة ، كرد حاسم باســم الشعب الجـــزائرى ضـــد سياسة الادمـــاج ، جاء فيها :

شـعب الجــزائر مسـلم
والى العـــروبة ينتسب
من قال حاد عن أصلــه
أو قال مات فقــد كــذب
أو رام ادمــــاجا لــــه
رام المحـــال من الطلــب

يا نشء أنـــت رجـــاؤنا
وبك الصـبــاح قد اقترب
خـــذ للحيـــاة ســـلاحها
وخض الخطـــوب ولا تهب
واقلـــع جـــذور الخائنـــ
ـــين فمنهم كل العطـــب
واهــزز نفـوس الجامديـــ
ـــن فربما حيى الخشب
واذق نفـــوس الظالمـــ
ـــين السم يمزج بالرهب
وارفع منـار العـــدل والا
حسان واصـــدم من غصب
مـــن كان يبغـــى ودنـــا
فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغـــى ذلنـــا
فـــله المهـــانة والحرب
هـــذا نظـــام حياتنـــا
بالنـــور خط وباللهـــب
حتى يعـــود لشـــعبنا
من مجـــده ما قـــد ذهب

وينهى ابن باديس قصيدته هذه بقوله :

فاذا هلكت فصيحـــتى
تحيا الجـــزائر والعــرب

وقـــد أصبحت الســلطات الفرنســـية فى الجـــزائر بالذعر ، حين لاحظت النفـــوذ المتزايد ، الذى يكسبه الشيخ عبد الحميد ابن باديس وجمـــاعة العلمـــاء المسلمين الجزائريين ، فكانت تناوئهم بشتى الطرق ، وكثيرا ما أصــدرت منشورات تنـــدد بهم ، وتطالب المؤمنين بعـــدم الاســـتماع اليهم أو الصلاة خلفهم ، ولكن تدخل هذه السلطات فى أدق الشئون الدينيـــة فى الجـــزائر أتى بعكس النتيجة التى كانت ترجوها ، اذ ازداد نشاط ابن باديس ، والتف حوله أبنـــاء الجزائر ، عارفين فضله ، ومقدرين مكانته .

وأدركت المنية ابن باديس فى ١٦ ابريل من عام ١٩٤٠ ، بعد ان خدم أمته أجل الخدمات وأصبح اسمه علما من أعلام رواد الاستقلال والنهضة الحديثة فى الجزائر .

((دكتور على ابراهيم عبده))

سر اهتمام العالم بأفريقية

بقلم رضا خليفة

أن ظاهرة اهتمام العالم بأفريقيا تدعو حقا للتأمل والبحث . كيف ومتى بدأ هذا الاهتمام العظيم ؟ ولماذا يلهث الجميع وراء الاحداث والتطورات المتلاحقة فى القارة الافريقية ؟ هل كانت أفريقيا معزولة عن العالم أم أن العالم كان فى عزلة عن أفريقيا ؟ ففى كل عام تصدر آلاف الكتب بجميع لغات العالم ، وكأن شعوب الارض تتلهف على معرفة المزيد عن اخوانهم الافريقيين .

وقد تعرض كثير من الكتاب لهذه الظاهرة بالدراسة والتحليل . وتنقل « نهضة افريقيا » الى قرائها التفسيرات التى أوردها بعض المهتمين بالشئون الافريقية . وتوضح هذه التفسيرات حقيقة التضامن الاسيوى الافريقى التى أرست دعائمه حكومات دول أسيا وافريقيا فى مؤتمر باندونج العظيم .

فقد بدأت أنظار العالم تتجه نحو افريقيا منذ بدء عملية تصفية الاستعمار فى اسيا بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت بريطانيا أول من انسحبت تدريجيا من اسيا محافظة على مصالحها التجارية والمالية ، بينما وقفت كل من فرنسا وهولندا بغباء ضد المد الثورى فى اندونيسيا والهند الصينية ، حتى اضطرت أخيرا الى التسليم امام القوى الوطنية المتدفقة .

وفى الشرق الاوسط أيضا كانت الحرب العالمية الثانية بمثابة نقطة تحول . فشعوب المنطقة لم ترض عن أنظمة الحكم التى اقامتها بريطانيا وشجعتها .. كنظام الملكية الهاشمية فى الاردن والعراق ، وحكم فاروق فى مصر ، وظهرت القومية العربية تطالب بنظام جديد يحقق للشعوب العربية تقوية الروابط بينها ، حتى تقوم بدور استقلالى فعال فى مجال الشئون الدولية .

وجاءت تجربة الدكتور مصدق فى ايران ، الذى أعطى للدول الغربية درسا قاسيا ، وأوضح للدول المتخلفة فى المنطقة انه من الممكن لدولة صغيرة ان تحقق استقلالها الاقتصادى .

وهكذا فقدت ديبلوماسية المدافع جدواها غير أن الدبلوماسيين الغربيين رفضوا هذه الحقيقة ، الى أن جاءت تجربة تأميم قناة السويس ، لتؤكد من جديد أن دولة صغيرة كمصر يمكنها تأميم شركة من أكبر الشركات العالمية ، كما يمكنها أن تكيل التهم للدول الاستعمارية من فوق منبر الامم المتحدة . ولم ينجح العدوان الفرنسى البريطانى الا فى اظهار قوة الرأى العام العالمى بشكل لم يسبق له مثيل .

انتقال الاموال الى افريقيا

وبينما كانت المعارك الضارية تجرى فى آسيا والشرق الاوسط لتصفية الاستعمار ، أحس ملوك المال والصناعة أن الامبراطورية الاستعمارية الكبرى فى تلك المناطق آخذة فى الافول . والتفتوا فجأة الى افريقيا وهى الاحتياطى الاخير لنشاطهم الاستغلالى . وبدأت عملية نقل رؤوس الاموال الضخمة الى كينيا لاستثمارها فى مزارع البن والشاى . وقام أصحاب مزارع المطاط الكبرى فى الملايو باجراء التجارب لزراعة المطاط فى نيجيريا . ونقلت البنوك الفرنسية أعمالها الى غرب افريقيا وافريقيا الفرنسية الاستوائية . كما تدفق المستعمرون الفرنسيون والمزارعون البيض من الهند الصينية واندونيسيا الى افريقيا الفرنسية والبلجيكية ليستنزفوا خيراتها بأحدث الطرق العلمية .

أهمية افريقيا الاستراتيجية

ولم يقتصر الاهتمام بافريقيا على الناحية الاقتصادية وحدها . فقد فطن الاستعماريون الى الاهمية الاستراتيجية للقارة الافريقية فى حالة وقوع حرب عالمية ثالثة . فهى تربط بين أوروبا وأمريكا من ناحية وبين اوروبا واستراليا ونيوزيلاند والشرق الاقصى من ناحية أخرى .

وهكذا احتلت افريقيا المركز الاول من اهتمام العالم . فقد رأت بريطانيا أن تقيم قواعدها العسكرية فى كينيا لضمان سيطرتها على البحر الاحمر والمحيط الهندى . بينما رأت فرنسا أن صحراء الجزائر هى خير مكان للقيام بتجاربها الذرية ، وعملت على تحويلها الى سيبريا جديدة .

وقد كان هناك اختلاف واضح فى الاسلوب الاستعمارى بين كل من بريطانيا وفرنسا . وكان هدف الاستعمار الفرنسى هو تسليم مقاليد الحكم للافريقيين داخل النفوذ الاقتصادى لفرنسا . وفى سبيل ذلك قدمت فرنسا بعض التنازلات للافريقيين بما فى ذلك الاستقلال فى اطار المجموعة الفرنسية .

أما بريطانيا فقد رسمت سياستها الاستعمارية وخاصة فى منطقة شرق افريقيا على أساس خلق طبقة رقيقة من المستوطنين البيض يتولون وحدهم مقاليد الحكم فى تلك البلاد . ومنطق بريطانيا فى ذلك أن وجود المستوطنين البيض واستئثارهم بالحكم هو خير وسيلة لضمان المصالح البريطانية .

الثروة المعدنية فى افريقيا

وهناك عوامل أخرى لفتت أنظار العالم نحو افريقيا . ففى خلال الحرب العالمية الثانية كانت القارة الافريقية موردا لا ينضب للقصدير واليورانيوم وبذرة القطن والكاكاو . كما اكتشف العالم وجود البترول بكميات وفيرة فى صحراء افريقيا ، الى جانب الخامات الاخرى كالحديد والنحاس والمنجنيز والبوكسيت وغيره من المعادن . مما جعل من افريقيا قارة ذات أهمية كبرى .

وكان من نتيجة هذه الاكتشافات العظيمة أن زادت الاستثمارات الاجنبية فى افريقيا بشكل واضح . ومثال ذلك استثمارات شركة

الانجلو أمريكان فى مناجم النحاس فى روديسيا وفى مناجم الذهب بجنوب افريقيا . كما تدفقت رؤوس الاموال الامريكية لاستغلال مناجم الماس فى الكونجو البلجيكى (سابقا) ولاستغلال الحديد الخام فىسيراليون وليبريا ، وفى اقامة صناعة الالومنيوم فى الكمرون ، واستغلال المنجنيز فى جابون وساحل العاج ، وفى البحث عن البترول فى نيجيريا وجابون وساحل العاج .

وتشهد عمليــة تدفق رؤوس الاموال على افريقيا بأن الدول الغربية تعمل بسرعة فائقة لاستنزاف الثروات الطبيعية فى القارة على أوسع نطاق وفى أقل وقت ممكن .

أمريكا وروسيا وجها لوجه

وكان السياسيون يقــولون فى الماضى ان افريقيــا هى الاحتياطى الاخير للرأسمالية المعاصرة . والاعتقاد السائد الان — بعد أن استقلت ٣٤ دولة — أن افريقيا سوف تلعب دورا هاما وحاسما فى العالم الحديث . فقد اختــارت الدول الافريقية عدم التورط فى الصراع القــائم بين الرأسمالية العــالمية والشيوعية الدولية .

ومما لا شك فيه أن بقاء أفريقيا غير منحازة لاى من الجانبين السوفيتى أو الانجلو أمريكى سوف يعجــل بالتصفية النهائية للجيوب الاستعمارية الباقية .

وحتى عهد قريب كانت هذه الحقيقة خافية فقد كان الاتحاد السوفيتى بعيدا كل البعد عن افريقيا . كما كانت منطقة الشرق الاوسط تقف ســدا منيعا أمام التغلغل الشيوعى . وبمجرد أن انهارت هــذه الحواجز أصبحت افريقيا مركزا لاهتمام كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وقد كان اهتمام روسيا قبل الحرب العالمية الاولى مقصورا على الحبشة وحدها ، حيث حاولت مع حليفتها فرنســا ان تكسب بعض النفوذ .

ولم تعرف افريقيا النفوذ الشيوعى الا بعد الحرب . وكان هذا النفوذ قادما من باريس وليس من موســكو . فقد استخدم الحزب الشيوعى الفرنسى الحركة الوطنية فى غرب افريقيا فى صراعه ضد الرأسمالية العالمية .

أول مبعوث سوفيتى لافريقيا

ويمكن القول بأن اهتمام الاتحاد السوفيتى بافريقيــا قد بدأ بزيارة السفير فوليكوف لليبريا بمناسبة تولى الرئيس تابمان رئاسة الجمهورية . وازداد اهتمام الاتحاد السوفيتى بازدياد عدد الدول الافريقية المستقلة وبظهور الكتلة الافريقية فى الامم المتحدة .

وقبل الاقدام علىاقامة أىنشاط اقتصادى فى افريقيا ، شرع الاتحاد السوفيتى فى اعداد دراسات علمية منظمة عن القارة . ولم تتقدم هذه الدراسات كثيرا حتى عام ١٩٥٥ وذلك بانشاء معهــد جغرافية الاجناس ومعهــد الدراسات الشرقية فى موسكو . كما بدأ معهد لينينجراد فى الوقت نفسه بتدريس اللغــات الافريقية على نطاق واسع . وقام المعهد أيضا بترجمة الوثائق العربية المتعلقة بالسودان .

غير أناهتمام هذه المعاهدة كانمقصورا على مصر وشمال افريقيا . وفى عام ١٩٥٧ قام البروفسور الســوفيتى بوتنجين بزيارة غانا حيث قضى شهرين فى دراسات متصلة ، عاد بعدها الى موسكو . ثم أصــدر الاتحــاد السوفيتىمجلة متخصصة فى الشئون الافريقية كما بدأ راديو موسكو فى أداء برامج موجهة لافريقيا باللغتين الانجليزية والفرنسية . كما

تكونت جمعيات للصداقة السوفيتية الافريقية وفتحت جامعات الاتحاد السوفيتي أبوابها لقبول الطلبة الافريقيين .

وفي عام ١٩٥٩ وصل الى افريقيا أول مراسل لوكالة تاس السوفيتية . كما انشأت أكاديمية العلوم السوفيتية معهدا كبيرا للدراسات الافريقية انضم اليه خمسون خبيرا لدراسة التاريخ والثقافة الافريقية والمشكلات الاقتصادية والسياسية في القارة الجديدة .

اهتمام أمريكا المفاجىء

والجدير بالتأمل حقا هو الاهتمام المفاجىء الذى أولته الولايات المتحدة الامريكية للقارة الافريقية . فقد تتابعت زيارات المسئولين الامريكيين الكبار لدول افريقيا ، وكان على رأسهم ريتشارد نيكسون نائب الرئيس الامريكى السابق ، ومن بعده ادلاى ستيفنسون ونلسون روكفلر وميننون وليامز ، كما أصبحت افريقيا فجأة موضوعا دسما للصحف والمجلات الامريكية ، وصدرت كثير من الاعداد الخاصة تتحدث كلها عن افريقيا .

وتتمتع أمريكا بمزية كبرى .. وهى وجود جامعتى لنكولن وهوارد فى أراضيها . فقد تخرج عدد كبير من الشخصيات الافريقية الهامة من الجامعتين . وقد اهتمت الجامعات الامريكية الاخرى ومؤسسة روكفلر بدراسة الشئون الافريقية ، وقامت باعداد الدراسات التحليلية للاوضاع السياسية والاجتماعية فى الدول الافريقية .

وتدفقت رؤوس الاموال الامريكية لاستغلالها فى نزح ثروات افريقيا الطبيعية . واهتم ملوك المال والصناعة الامريكيون بصفة خاصة بالمناطق الغنية بالمعادن فى اتحاد جنوب افريقيا والروديسيتين . كما تدفقت الدولارات الامريكية على المغرب فى شمال افريقيا لاستغلال مناجمها ولاقامة القواعد العسكرية . كما استثمرت الاحتكارات الامريكية أموالها فى ليبيريا وسيراليون وموريتانيا .

الهند تدعم علاقتها بأفريقيا

وقد اهتمت الهند كثيرا بالتطورات فى أفريقيا . والهند تربطها علاقات وثيقة بمنطقة شرق افريقيا حيث توجد جاليات هندية كبيرة منذ سنين عديدة . وقد نشأت حديثا جاليات هندية تعمل بالتجارة فى غانا وسيراليون ونيجيريا وليبريا . ويربط الهند بغرب أفريقيا خط ملاحى هندى . كما تتاجر الهند مع دول غرب أفريقيا منذ قرون عديدة ، وخاصة تجارة المنسوجات الهندية .

وقد كان لكفاح الهند وصراعها الذى اتسم بعدم العنف ضد الاستعمار البريطانى صدى كبير فى أفريقيا . ووصلت تعاليم غاندى ونفوذه الى دول غرب افريقيا وشرقها . وفى الكونجو تبنى الوطنيون سياسة عدم العنف التى صاغها المهاتما غاندى . واهتم الوطنيون الافريقيون بدراسة تجربة الهند فى التغلب على مشكلة الاقليمية وتعدد اللغات .

وقد أنشأت الهند معهدا للدراسات الافريقية . وتدعو الهند الاساتذة الافريقيين لالقاء المحاضرات فى هذا المعهد .

النفوذ الاسرائيلى فى افريقيا

وثمة « دولة » أخرى تهتم بالقارة الافريقية وهى اسرائيل ، قاعدة الاستعمار الجديد . وتعتبر أولى مظاهر التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا ، انشاء شركة النجم الاسود للملاحة .

وتشعر اسرائيل بقلق شديد ازاء الوعى المتزايد بين جماهير الافريقيين الذين يخشون السيطرة الاسرائيلية على اقتصاديات بلادهم . ويتابع الافريقيون بغضب وازدراء عمليات الكسب غير المشروع التى تقوم بها الشركات الاسرائيلية فى الدول الافريقية النامية .

((رضا خليفة))

مشكلات ما قبل الاستقلال فى افريقية

بقلم عبد الرحمن صالح

ان النضال من أجل الاستقلال من أشق الامور التى تحتاج الى تصميم وعزم ، وصعوبته تزداد فى الفترة التى تسبق الاستقلال مباشرة . اذ تتحفز قوى الاعداء للانقضاض على الامة المجاهدة من أجل استقلالها وتدمير ما حققته فى هذا السبيل .. وذلك محافظة على مصالح هؤلاء الاعداء أو طمعا فى الحصول على المزيد منها .

ولقد عانت كل الدول المستقلة حديثا اليوم فى افريقيا وغيرها مشاكل ما قبل الاستقلال هذه . فالكونجو مثلا ما زال يعانى حتى الآن من مشكلة انفصال كاتانجا .. تلك المشكلة التى أثارها الاستعمار البلجيكى . ومن ورائه الاحتكارات الاستعمارية الغربية الاخرى — قبيل خروجه من البلاد .. مستخدما منها معولا لتقويض جهاد الشهيد لومومبا والاحرار الاخرين الذين جاهدوا تحت لوائه . ومصر وغانا عانتا أيضا نفس المشاكل .. بل ان الاستعمار عز عليه أن يترك مصر بعد اثنين وسبعين عاما من نهب خيراتها واستنزاف دماء شعبها .. فما لبث بعد خروج قواته بشهور معدودة فى منتصف عام ١٩٥٦ ان عاد مرة أخرى مستخدما فى هذه المرة القوات المسلحة ليشن هجومه الغادر فى أواخر اكتوبر من نفس العام .. ولكن الشعب العربى الابى فى مصر — ومن ورائه تأييد عالمى على أوسع نطاق شهده التاريخ — استطاع ان يرد المعتدين مخذولين مدحورين . كما استطاع الشعب المصرى أيضا أن يطهر صفوفه من تلك الطبقات التى ترتبط مصالحها بالاستعمار وتعمل متعاونة معه فى السر والعلن كالاقطاعيين والاحتكاريين أصحاب رءوس الاموال الضخمة .

وما عانته مصر وغانا والكونجو من مؤامرات ودسائس الاستعمارية العالمية .. هو الخطر الداهم الذى يهدد الدول الافريقية فى وسط القارة وشرقها والتى على وشك الحصول على استقلالها . وكذلك يوجد هذا الخطر فى الجزائر . فمثلا فى كينيا بشرق افريقيا .. نجد ان الاستقلال مهدد تهديدا خطيرا مالم تتضامن كل القوى المخلصة له معه والقضاء على مصادره . ويتمثل هذا الخطر فى محاولة تقسيم البلاد الى أقاليم منفصلة وبذلك تتعرض الامة كلها لانفصام وحدتها وتصدع كيانها .

وما حدث فى الجزائر ممن أطلق عليهم الرئيس بن بللا اسم « المغامرين » أصبح أشهر من ان يعاد سرده . ولولا حزم الرئيس وتأييد الشعب والجيش له فى كل الخطوات التى اتخذها للقضاء على الفتنة فور وقوعها .. وكذلك لولا استيقاظ ضمائر هؤلاء « المغامرين » فى لحظة مشرقة من لحظات الانابة والندم حين وجدوا ان الاستعمار الذى سول لهم الشر .. قد حرك قوى أخرى أثيمة عميلة لهدم ما بنوه بعد جهاد ثمانى سنوات طوال وضحايا فاقوا المليون من الشهداء .. لولا ذلك لوقع ما لا يحمد عقباه ولفلح المستعمر الاثم فى اعادة البلاد الى حظيرة استغلاله .

والذى يحدث فى روديسيا الشمالية اليوم .. والبلاد تخطو سريعا نحو الاستقلال بعد حصولها على الحكم الذاتى . يمثل نوعا مكررا معادا من المؤامرات الاستعمارية للقضاء على الثمرات الناضجة للحرية قبل أن يقوم الشعب باقتطافها والتمتع بما بذله فى سبيلها من عرق ودم وجهد . فهناك تشهد البلاد قيام حفنة قليلة من أنصار الاستعمار جعبتهم مليئة بالدسائس ضد الشعب وكفاحه .

وهم يريدون نفس ما يريده أعوان الاستعمار فى كينيا .. أى تقسيم البلاد الى أقاليم وأجزاء .. تسيطر عليها العصبية القبلية والتفكك والفرقة .. ولقد ذهب بعض أفراد هذه الحفنة الى أسبانيا أخيرا حيث قابلوا العميل الخائن تشومبى وتزودوا منه بالخبرة الاثمة فى محاولة تفتيت وحدة البلاد والقضاء عليها . بل انهم يريدون أيضا أن يوقعوا الدولة الفتية فى شرك الحزبية البغيضة ويفككوا وحدة الشعب ليكون بأسه بينه شديدا .. فهم يطالبون بنظام الحزبين الذى ثبت من التطبيق العملى أنه لايصلح للتطبيق فى الدول حديثة الاستقلال اذ تحتاج فى مراحلها الاولى الى تكتل الشعب كله خلف زعمائه المخلصين حتى لايضيع الوقت والجهد فى مهاترات وصراع على الحكم والسلطة بدلا من التجمع لاجتياز مشاكل مابعد الاستقلال الشديدة التعقيد . ولا شك ان الشعب الذى يتجمع خلف الزعيم الكبير كواندا وحزبه (حزب الاستقلال الوطنى المتحد) يدرك ذلك تمام الادراك .

والحق أن سياسة الاتحاد الذى أقامته بريطانيا فى روديسيا ونياسالاند تتعاطف تعاطفا كاملا مع حكومة اتحاد جنوب افريقيا وتتعاون معها فى كل ما يتصل باضطهاد أصحاب البلاد الافريقيين وايقاع الأذى بهم وسلبهم حقوقهم ومن ابرز مظاهر هذا التعاون أن الاتحاد يقوم بالقبض على كل اللاجئين اليه من جنوب افريقيا وتسليمهم الى الحكومة البيضاء هناك لتصب عليهم جام غضبها . بل ان الحكومتين اللتين يسيطر عليهما البيض قد عقدتا اتفاقية فى هذا الشأن تستهدف التعاون فى اخماد أصوات الافريقيين فى كل منهما .

وبينما تعم مظاهر الفرحة كل الافريقيين فى القارة لقرب نهاية هذا الاتحاد البغيض .. نجد الاستعماريين فى الاتحاد وفى بريطانيا وغيرهما يبدون قلقهم الشديد ويتساءلون .. ما هو مصيرهم بل مصير البيض كلهم فى تلك المنطقة من القارة بعد ان يحقق الافريقيون هذا الانتصار ؟ والحق أن الاجابة على هذا السؤال فى أيدى البيض أنفسهم . فهؤلاء البيض الذين وطنوا أنفسهم على ان لكل انسان حقه فى الحرية والتمتع بثمرات أرضه دون أن يفتات على حقوق غيره .. والذين سمحوا لانفسهم بقبول حقيقة ثابتة أصبحت من علامات هذا العصر الذى نعيش فيه وهى أن كل الناس متساوون كأسنان المشط لا امتياز لاحدهم على الاخر بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة .. هؤلاء البيض سيجدون فى المنطقة بل فى افريقيا كلها كل ترحيب صادق وكل حب واخاء من جانب أهل القارة وأصحابها . ولكن هؤلاء الذين سيظلون متمسكين بعقائدهم البالية فى الامتياز والتعالى على الافريقيين وفى الاستئثار وحدهم بخيرات القارة وكنوزها .. فليس لهم فى القارة مكان .. بل عليهم أن يحملوا عصيهم على أكتافهم ويرحلوا كما قال زعيمنا البطل جمال عبد الناصر .

ومحاولة منهم لتأخير هذا المصير المحتوم .. يعمد البيض المتعصبون الى العنف لقمع كل حركات التحرر وكبت كل صيحات المطالبة بالمساواة والعدل . ومنذ شهور أعدمت حكومة البيض فى جنوب افريقيا ثلاثة من المطالبين بالحرية .. وهى لا تعلم أن اعدام هؤلاء الشهداء الثلاثة خطوة فى سبيل اختصار أيام الحكم الارهابى لها . بل انها لا تعلم أنه مقابل كل افريقى يعدم يولد اثنان جديدان يتشربان مبادىء الحرية ويعدان للجهاد فى سبيل تحرير أرضهم السليبة .

أن النضال من أجل الحرية سيستمر .. ولن تخمد شعلته .. كما قال ذلك الدكتور كوامى نكروما فى افتتاح اجتماع الجمعية الوطنية بأكرا . لقد قال نكروما أيضا « ان الاستعماريين يجب أن يغادروا القارة الان . ويجب ان يكون واضحا لهم ان الافريقيين يريدون أن يدبروا أمورهم بأنفسهم . وهم اذا كانوا لا يرغبون فى ترك قارتنا بمحض ارادتهم .. فان الافريقيين متحدين متكتلين سوف يرغمونهم على ذلك » والدكتور نكروما بقوله هذا انما يعبر عن آراء كل الافريقيين فى جميع أنحاء القارة .

عبد الرحمن صالح



تعتبر أوغندة احدى دول شرق افريقيا وهى تقع شمالى تنجانيقا وغربى كينيا والى الشرق من الكونغو وتبلغ مساحتها ١٣٥ر٧٦ ألف ميل مربع وسكانهاستة ملايين ونصف مليون نسمة وهى دولة ليس لها سواحل خارجية شبيهة ببعض الدول الافريقية الجديدة فى غربى القارة كتشاد والنيجر . وتنقسم دولة أوغندة الى أربعة أقاليم ادارية أكبر هذه الاقاليم وأكثرها تحضرا هو أقليم بوغندة ثم الاقليم الشمالى والشرقى والغربى ويتولى رئاسة كل منها حاكم يعرف بمستشار الاقليم وينقسم الاقليم الى أحياء يرأس ادارته مستشار الحى ويجمع هذا المستشار بدوره مجلس الحى الذى يتكون من زعماء الحى المعينين والمنتخبين .

اما الحكومة المركزية فيرأسها رئيس الوزراء الذى يرأس المجلس التنفيذى وهناك مجلس تشريعى يضم ممثلين للشعب الاوغندى .

وقد دخل شعب أوغندا المجلس التشريعى عام ١٩٤٥ أولا كأعضاء معينين من قبل الحاكم البريطانى وأخيرا انتخب عدد منهم سنة ١٩٥٨ وكان زعيمهم وأبرزهم شخصية فى المجلس هو السيد ملتون أوبوتى الذى شهدت قاعات المجلس التشريعى صيحاته المدوية بالمطالبة باستقلال بلده وفى مارس ١٩٦١ أصبح عدد المنتخبين فى المجلس اثنان وثمانون عضوا من مجموع أعضائه البالغ عددهم مائة وواحد عضو أما التسعة الآخرون فقد جرى انتخابهم من القوائم التى قدمتها الاحزاب الرئيسية فى البلاد .

وقد أسفرت الانتخابات التى أجريت أخيرا عن فوز الحزب الديموقراطى بأغلبية ضئيلة اذ فاز الحزب بأغلبية ثلاثة وأربعين مقعدا فقط على حزب مؤتمر الشعب الاوغندى الذى فاز بخمسة وثلاثين مقعدا .

وبالرغم من المحاولات التى جرت لتحريض أهالى أقليم بوغندا على مقاطعة الانتخابات وبث الاستعمار سمومه اذ أوحى الى بعض أهالى الاقاليم بالمطالبة بالانفصال عن الدولة الأم أوغندا الا أن المحاولة قضى عليها وفاز الحزب الديموقراطى بعشرين مقعدا من مجموع المقاعد المخصصة لاقليم بوغندا وعددها ثلاثة وعشرون . واذا كانت الاحزاب السياسية فى أوغندة حديثة النمو فان أكثرها تنظيما وأقواها فى البلاد هو الحزب الديموقراطى وحزب الشعب الاوغندى وهناك أحزاب أخرى ولكنها ضعيفة النفوذ مثل حزب الباتاكا .

وأهم المدن فى أوغنده هى عنيتب العاصمة الادارية التى تقع بالقرب من شاطىء بحيرة فكتوريا ثانى بحيرات العالم وبها مطار دولى يربط أوغندة بباقى الدول الافريقية وبالقارة الاوربية وبينها وبين كمبالا التى تعتبر العاصمة التجارية مسافة لا تزيد عن عشرين ميلا وتعتبر كمبالا أكبر مدينة على الاطلاق فى أوغندة من حيث المساحة والسكان الذين يبلغ تعدادهم ٤٧ ألف نسمة ويقيم فيها معظم الاوربيين الذين وفدوا اليها للعمل فى التدريس أو التجارة أو أعمال المقاولات والمبانى وتمتاز أوغندا عن غيرها من دول القارة الافريقية بأنه ليس بها مستوطنون أوربيون ومن ثم لم يعلن شعبها من مشاكل التفرقة العنصرية التى مازال اخوته فى جنوب القارة يعانون مرارتها . ولذلك فان الاوربيين المقيمين فى كمبالا هم مجموعة من المهاجرين سعيا وراء الرزق وليس لهم أى حقوق سياسة مفضلة .

وكمبالا تعتبر من أروع المدن الافريقية بمناظرها الخضراء حيث تشتهر بالحدائق الغناء والتلال التى تحيط بها وأهمها تل ماكريدى واليه نسبت الجامعة التى تعتبر منار الثقافة والحضارة لابناء الجزء الشرقى من القارة . ومن جامعة ماكريدى هذه تخرج الزعيم ملتون أوبونى الذى شرفت الجمهورية العربية المتحدة بزيارته وعندما تخرج من الجامعة حاربه الاستعمار فهجر بلده الى كينيا حيث عمل مزارعا لقصب السكر وهناك فى كينيا تعرف بالزعيم الافريقى جوموكينياتا وشارك فى الحركة القومية فى كينيا وعندما عاد الى أوغندة قاد الحركة الوطنية فى بلاده حتى حصلت على الاستقلال بعد استعمار بريطانى بغيض خضعت له البلاد منذ سنة ١٨٩٠ .

أما عن الحالة الاقتصادية لاوغندة فاننا نجد أن الشعب الاوغندى الذى يعيش فى الجنوب هو أغنى شعوب أفريقية الشرقية حيث تجرى زراعة القطن والبن الذى ينتجه الفلاحون ويصدر للخارج . وقد أدخل القطن لاول مرة فى البلاد عام ١٩٠٣ وتقدر قيمة الصادرات منه بين ١٥ ، ٢٠ مليون جنيه وقد تطورت زراعة البن حديثا مما زاد الصادرات منه بأكثر من ٢٠ مليون جنيه ويجرى العمل على قدم وساق فى أوغندة لتطوير المنتجات الزراعية وتنويعها حتى لاتظل تعتمد على محصول واحد رئيسى وتظل عرضة لتقلبات السوق الخارجية ومن ثم أدخلت حديثا زراعة الشاى والكاكاو وقصب السكر .

وقد بدأت النهضة الصناعية تجد طريقها فى أوغندة كمصدر لتنمية الدخل القومى حيث أمم مصنع للاسمنت ومنجم للفحم وهناك مصانع البن والسجاير والسكر . وهناك مشروع خزان أوين الضخم عند مخرج النيل من بحيرة فكتوريا .

وأمام هذا الخزان أقيمت عام ١٩٥٤ أضخم

محطة لتوليد الكهرباء فى أوغندة تبلغ قدرتها ١٥٠ الف كيلوات حيث تمد كل أوغندا وكذلك كينيا بمعظم ما تحتاجه من القوى الكهربائية ويوجد الان بين الدولتين (أوغندا وكينيا) خط لنقل التيار الكهربائى من جنجا مكان الخزان الى نيروبى عاصمة كينيا طوله ٥٢٠ ميلا ويطلق عليه اسم التكلين . وقد انتهى العمل من انشاء الخط عام ١٩٥٨ وقد ساهمت الجمهورية العربية المتحدة فى بناء الخزان بـ ١٥٠ ألف جنيه هذا الى أنها ستساهم فى تكاليف رفع مستوى بحيرة فكتوريا الامر الذى تحقق لها كمية أكبر من مياه النيل .

ونبشر النهضة الصناعية فى أوغنده بمستقبل زاهر بعد ان يتم بناء السد الكبير الذى سيقام امام مساقط المياه عند ريبون ووضعت الدراسات لاقامة السد بعد ميل ونصف اسفل مخرج النيل من بحيرة فكتوريا وسيرتفع السد الى ٨٥ قدما وطوله ٢٧٢٥ وتقدر مساحة حوضه بنحو ٢٦ الف ميل . وسوف تغمر مياه الخزان عند ارتفاعها شلالات ريبون وان كان شعب اوغندا سيحرم من المنظر البديع الذى يشاهدونه ويشاهده معهم السياح القادمون اليها حين يرون تساقط المياه العميق عند الشلالات وقت شروق الشمس حيث يبدو الماء وهو يتساقط من هذا المرتفع كالواح الزجاج الناصعة البياض وكان التفكير ان يقام السد عند مدخل بحيرة البرت بدلا من مخرج بحيرة فكتوريا ولكن وجد ان التكاليف ستكون باهظة فتبل ان يدخل النيل الى بحيرة البرت هناك مساقط موشيسون ذات المنظر البديع ويمشى النيل فى هذه المنطقة وسط مستنقعات تواردت القصص ان ابنة حاكم هذه المنطقة من قديم الزمان كانت جميلة جدا طاردها رجلان لم تكن تحب أحدهما وحتى تتخلص منهما وعدت أن تتزوج الرجل الذى يعبر هذه المنطقة ذات العمق الكبير الذى يصل الى أكثر من تسعة عشر قدما وكانت على يقين أن أحدهما لن يستطيع وحاول كلاهما عبثا ان يعبرها وبهذه الحيلة تخلصت ابنة حاكم بونيرو (وهى اسم المنطقة التى يجرى فيها النيل قبل دخوله بحيرة البرت) من مطارديها .

والشعب الاوغندى يتطلع بلهفة وتشوق كبيرين لليوم الذى يتم فيه بناء السد شأنه فى ذلك شأننا فى الجمهورية العربية المتحدة فكل من الشعبين المصرى والاوغندى يعلق اكبر الامال فى نهضة كبرى على بناء السدين

واوغندا لديها ما يكفيها من المواد الغذائية ولديها الصناعات التى تقوم على تربية القطيع حيث تغل هذه الصناعات على البلاد ثروة تقدر بثمانية ملايين جنيه سنويا وهناك صناعات الاسماك التى تدر هى الاخرى ثروة قومية لا بأس بها .

وشعب اوغندا ينتمى الى عدد من القبائل أهمها التوغندا التى يزيد عدد افرادها عن مليون نسمة وهى أكثر القبائل تمدينا واصل قبيلة الجيسو من شعب البانتو ولغتهم شبيهة بلغة البانتو تعيش قرب الحدود الشرقية لاوغندا .

والى الشمال من اوغندة توجد قبائل السيبى وهم ينتمون للجنس الحامى اما فى الغرب فتوجد قبيلة تعرف باسم الكيدى .

واوغندة دولة ناهضة تريد ان تسابق الزمن وان تلحق بركب التطور بعد ان عانت من التخلف المميت الذى فرضه الاستعمار عليها سنين طويلة .

((دكتور محمد عبد الرحمن برج))

الهولنديون فى افريقية

بقلم خديجة قاسم

حل الهولنــــديون محل البرتغــاليين فى أفريقيا ، فقد أشعلوا نيران الحرب فى البر والبحر ضد أسبانيا التى كان لهــا نصيب كبير فى أفريقيا ، وأصبح الهولنديون بعــد ذلك أكبر المتــاجرين مع غرب أفريقيـــا ، واستطاعوا أن يشتروا أو يحتلوا بالقـــوة رأس بلانكا ، وجوريه وجوال ، وبورتندال، وتقع جميعها بين السنغال وجامبيا . كمــا استطاعوا كذلك احتلال فورت ناساو ،والمينا فى ساحل الذهب « غانا الان » وكان ذلك عام ١٦٣٧ ، ثم حاول الهولنديون بعــد ذلك ، بشتى الحيل أن يحلوا محل البرتغاليين فى الكونغو ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، ونجحوا فى الاستيلاء على جزء من أنجولا ، واحتلوا موزمبيق لعدة سنوات ، وأقاموا مراكزتجارية هامة على شاطىء مدغشقر .

وفى القرن الســابع عشر ، اســتطاع الهولنديون الاستيلاء على جزيرة سوريفيوس وقضوا على قبائل الدودو التى كانت‌تعيش فى هذه الجزيرة .

واستطاع الهولنديون بعد هذه الغزوات الشاسعةأن يقودا تجارتهم‌البحرية،وأسسوا شركتين كبيرتين واحدة للتجارة مع جــزر الهند الغربية ، والثانية مع جزر الهنــد الشرقية .

وسيطرت شركة الهند الغربية عــلى الشاطىء الغربى لافريقيا وشــاطىء أمريكا الجنوبية . كما احتكرت شركة الهنــد الشرقية التجارة فى شاطىء جنوب أمريكا الذى يطل على المحيط الهندى ويصل الى رأس الرجاء الصالح ، وأصبح لهذه الشركة حاكم عام ، وقنصل يقيم فى جزيرة جاوة.. فى مدينة أطلق عليها فيما بعد جاكارتا ، وهى العاصمة الاندونيسية الان .

ولم يقصد الهولنديون فى البداية اقامة مستعمرات أو التوطن فى جنوب افريقيا . فقد كانت سفنهم تتجه شرقا الى جــزيرة سانت هيلانه « التى احتلها الهولنديون فى عام ١٦٤٥ الى ١٦٥١ » ولكن سفينة هولندية أصيبت بالعطب عام ١٦٤٨ بالقرب من‌خليج المائدة ، فاضطر البحارة الى النـزول الى البر ، والاقامة خمسة شهور‌ينتظرون‌النجدة من سفينة عابرة .

وفى خلال هذه المدة زرع البحارة القمح ، واستطاعوا أن يحصلوا على مساعدات من قبائل الهوتونتوت ، وعندما عاد البحارة الى البحر أقنعوا شركة الهند الشرقية بالاستيلاء على خليج المائدة ، فأرسلت الشركة بالفعل حملة بقيادة جان فان ريبيك ، وهو طبيب مغامر كان يعرف دقائق كثيرة عن افريقيا .

ووصلت ثلاث سفن بقيادة جان فان ريبيك على خليج المائدة فى ٦ ابريل١٦٥٢ ، أى بعد ستة عشر عاما من اكتشاف رأس الرجاء الصالح .

وأشعل الهولنديون الحرب مع قبائل الهوتونتوت ، واستطاع الهولنديون التغلب عليهم ثم اشتروا شريطا على الساحل وبدأت فرنسا فى نفس الوقت تبحث عن موطىءلقدم فى هذه المنطقة ولكن أحدا لم يستطع أو يحاول أن يتدخل فى شئون المستوطنين الهولنديين فى جنوب أفريقيا ، وكان من الممكن أن يتضخم عددالهولنديين فى هذه المناطق فتصبح تماما كحلم البرازيل فى امريكا ، التى كانت موئلا ومقرا للهولنديين.

وظلت حكومة رأس الرجاء الصالح تتلقى التعليمات من مجلس يتكون من ١٧ عضوا ، ينعقد فى أمستردام عاصمة هولندا وأحيانا كانت تتلقى التعليمات من الشركة الهولندية. ولكن هجرة البيض كانت قليلة ، واحتاج الهولنديون الى الايدى العاملة فتاجروا فى العبيد ، وأخذوا ينقلونهم على شحنات من مدغشقر وساحل الذهب « غانا » وموزمبيق.

ولا تزال الان فى جنوب افريقيا أجيال نزلت من هؤلاء الاشقياء الذين نقلتهم الشركة الهولندية كعبيد ، وقد اختلطوا طوال السنوات ، فتجد خليطا من قبائل الكافر ، وفانتى وماكاو ، والهوتشوت .

ورغم ذلك النشاط الكبير ، فقد كان المستوطنون الهولنديون لايزيدون فى البداية عن ٦٥٠ مستوطنا .

ثم نزل ٢٠٠ مهاجر فرنسى فى عام ١٦٨٩ الى رأس الرجاء الصالح ، واستقروا جوار المناجم القريبة من الميناء . وكان لويس الرابع عشر قد طرد هؤلاء المهاجرين وأبعدهم فى عام ١٦٨٥ فاستقروا بعد أعوام اربعة فى هذه المنطقة . وكانت شركة الهند الشرقية قد أدخلت زراعة القمح والكروم ، كما بدأت فى زراعة الغابات على طول الساحل ، ولكن الفرنسيين أدخلوا بعض الاصلاحات العلمية على طريقة الزراعة ، وقرروا الاقامة الدائمة

وفى نهاية القرن السابع عشر قامت حملات لاستكشاف ساحل الجنوب الافريقى من ناماكوالاند ، الى زولولاند وقامت مفاوضات لشراء خليج ناتال من القبائل .

واستطاع الهولنديون فى بداية القرن الثامن عشر من عبور الجبال التى تقع بالغرب من رأس الرجاء الصالح وانتشروا عبر الشمال والغرب .والشرق حتى نهرى بيرج ، وجامتوس وجبال زوارتنبرجين .

واستمر امتدادهم ، الى الشمال ، حتى وصلوا الى نهر الاخيلة .. « ويقال ان هذه التسمية ترجع الى أن الهولنديين فوجئوا بعشرات الالاف من الافيلة تتجمع فى النهر وعلى الشواطىء » وزحف الهولنديون الى الشرق خلال القرن الثامن عشر أيضا حتى وصلوا الى نهر السمكة الكبيرة ، وكونوا مقاطعة جراف رينيت فى عام ١٧٨٥ . ثم اكتشف المجرى الاسفل من نهر أورانج فى عام ١٧٦٠ ، واستمرت الاكتشافات ، حتى وصلت الى المنبع فى عام ١٧٧٩ وقام بها الكابتن جوردون ، وهو ضابط اسكتلندى كان يعمل فى الشركة الهولندية ، ولكن زحف الهولنديين جنوب الشمال لم يصل بعيدا .. فقد ظل حتى السلسلة الثانية من جبال جنوب أفريقيا المعروفة بسينو برجن .

ولم يحاول الهولنديون احتلال خليج ناتال، بعد أن فشلوا فى شراء الخليج فى عام ١٦٨٩ « ويقال ان السفينة التى كانت تحمل الاموال غرقت أو سرقت » ، ولكن الهولنديين أرسلوا حملة لاحتلال خليج دويلوجوا فى عام ١٧٢٠ ، وهناك بنوا قلعة سميت « ليدزامهايد » ثم أرسلوا اكتشافات صوب نهر الزمبيزى ، وكانت هذه البعثات تشترى تراب الذهب من القبائل .

وتوقفت هذه الحملات الشرسة بعد انتشار وباء الملاريا وهجر الهولنديون قساوتهم تماما فى هذه المنطقة فى عام ١٧٣٠ ، وفى عام ١٧٧٠ ، وصل عدد الاوربيين فى جنوب أفريقيا « الهولندية » ، وأغلبهم ينزلون من

الهولنـــديين الى ١٠٫٠٠٠ هولندى ، وألف فرنسى ينزلون من المطرودين من فرنسا .

ومن بين هؤلاء العشرة الاف ، كان منهم ثمانية الاف مستوطن ، والف موظف يعملون فى الشركة الهولندية .

وكانت الشركة الهولندية تفـرض قيودا كثيرة ، وضرائب على الهولنديين المستوطنين أنفسهم ، وكانت الشركة تخضــع لحكومة « المقاطعات الهولندية المتحدة » وكان رئيس الحكومة الهولندية يعين تبعا لذلك ، رئيسا للشركة . وفى عام ١٧٧٨ ، اتصل الهولنديون بقبائل « الكافر » القوية ، التى تقيم على شواطىء نهر السمكة الكبيرة . وقرر الحاكم الهولندى لرأس الرجاء الصالح أن يجعل هذا النهر هو الحــدود التى تفصل بين الهولنديين وهذه القبائل .

وأرادت القبائل أن تطرد المستوطنين الهولنديين فقامت بهجمات شديدة انتهت بحل وسط ، بأن اضطر الهولنـديون الى الموافقة على اقامة القبائل فى غرب نهــر السمكة الكبيرة .

فقـد أحست بأن الحرب بين فرنســا وانجلترا ســوف تنشب ، وأن انجلترا سوف تتذرع بهذا الحرب لتحتل رأس الرجــاء الصالح . كما ان الشركة بدأت تكتشــف خسائر كثيرة نتيجة الحرب مع القبائل .

وفى عام ١٧٩١ ، كان السكان الاوربيون قد وصلوا الى ١٤٫٦٠٠ ، يملكون ١٧٫٠٠٠ « عبد » وقررت الحكومة الهولندية استدعاء حاكم الشركة العام ، وأرسلت مندوبين عنها بدلا منه . فرفض البوير « أى الفلاحين » هذه القرارات ، ونهضوا لانشاء جمعيــة مستقلة تتبعهم ، ولا تتبع الحكومة الهولندية رأس الرجاء الصــالح لمساعدة الثوار ، لفرنسا وانجلترا على الســواء .. لانها هى النقطة الوسط فى الطريق الى الهند . وكانت السفن الفرنسية والانجليزية تضطر للرسو فى الميناء للمئونة والغذاء والماء . وتسلل كثير من الاسكتلنديين والانجليز الى وظائف الشركة الهولندية كما أقام كثير من العلماء الفرنسيين فى هذه المناطق ليكتبوا عنها .

وكان واضحا أن فرنسا ، أو انجلترا سوف تنقض على رأس الرجاء الصالح . وكانت هولندا أقرب الى الانحياز الى جانب فرنسا فى النصف الاخير من القرن الثامن عشر . وحين انحازت هولندة ضد انجلترا فى الثورة الامريكيــة ، انتهزت انجلترا الفرصــة ، وأعلنت أن سفنا هولندية كثيرة تنطلق من رأس الرجاء الصــالح لمســاعدة الثوار ، وهجمت انجلترا على الرأس عام ١٧٨١ .

وتصدى القائد الفرنسى سوفرين لهــذه الحملة ، وأصابها بهزيمة منكرة . واستطاع الانجليز أن يصلوا بالحملة الى مالم يحققوه بالقوة . فحصلوا فى عام ١٧٩٥ على اذن من الامير الهولنــدى اورانج ، باقامة حاميــة بريطانية فى رأس الرجاء الصالح .

وعلى الرغم من أن معاهدة الصلح فى اميان « ١٨٠٢ » أعطت المستعمرة الهولندية ، الا ان انجلترا استولت عليها فى عام ١٨٠٦ .

ومنذ ذلك الحين اختفى العلم الهولندى من جنوب افريقيا ، ولكن عدد السكان الهولنديين ظلوا يتزايدون حتى أصبح عــددهم موازيا تقريبا لعدد الانجليز .

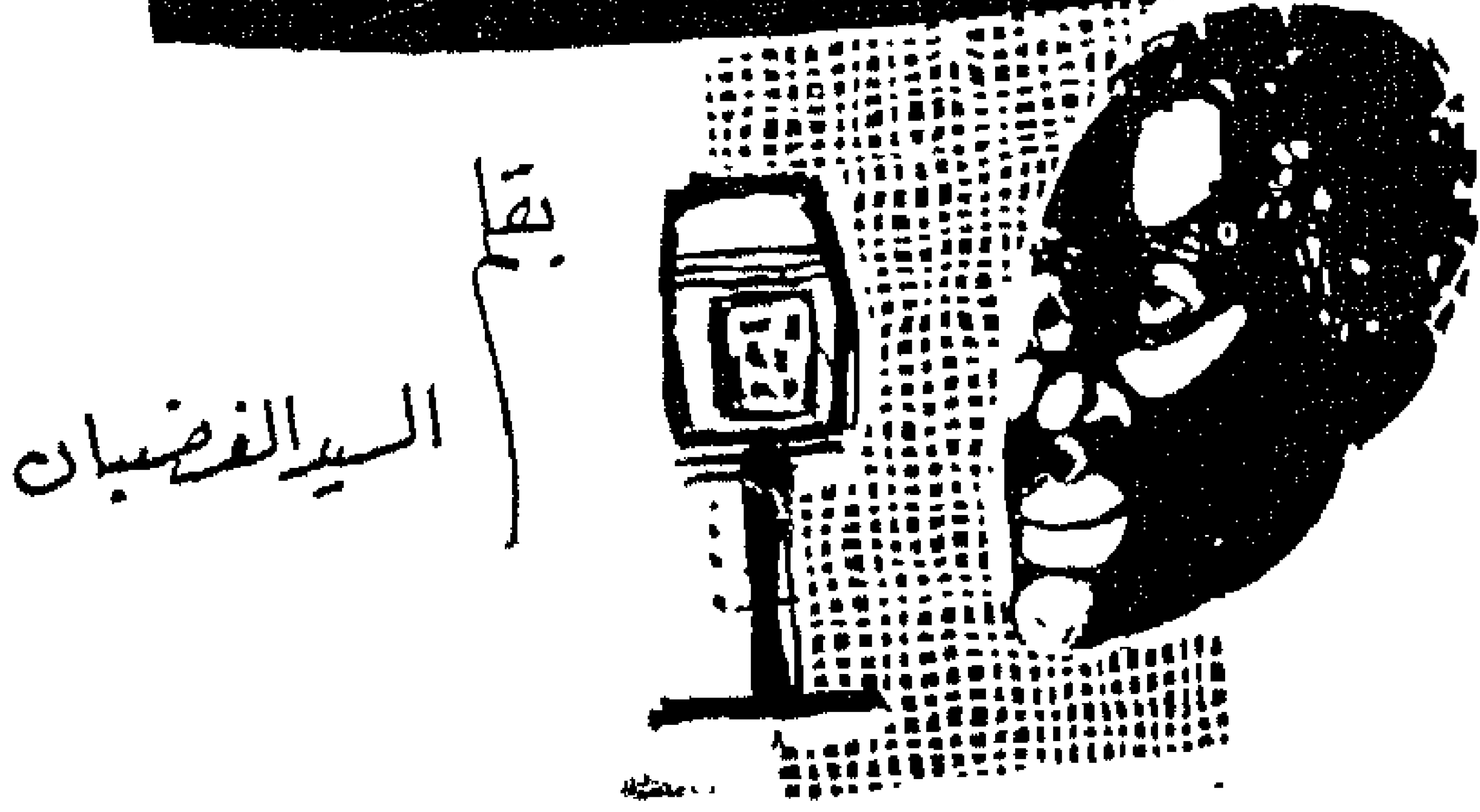
وقد ظل تأثير الهولنديين حتى الان فى هذه المناطق ، لان كثيرين منهم عبروا نـ فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ــ نهرى أورانج وفال ، ووصلوا الى المناطق التى تقطنها قبائل بيشوانا ، والزولو .

وقد أسس البوير منــاطق النــاتال ، واورانجيا والترنسفال . وامتد تأثيرهم الى الشمال حتى نهر الزمبيرى . ثم لعب الالمان بعــد ذلك دورا هاما مختفين تحت علم هولندة .

ولكن تأثير الهولنديين على غرب افريقيـا لم يكن واضحا اذ سرعان مازاحمه نفـوذ انجلترا وفرنســا فاستطاعت فرنسا الاستيلاء (١٦٧٧ ــ ١٦٧٨) على السنغال ، وطردت

(البقية على ص ٦٤)

حرب الإذاعات في افريقية



بقلم السيد الغضبان

فتحت الاذاعــة لرجال السياسة آفاقا جديدة منــذ بدا واضحا ان هــذه الاداة الجديدة تستطيع أن تحمل الكلمة الى أقصى المناطق لا تقف فى سبيلها حدود ولا مسافات

وكان مرد اهتمام رجال السياسة بهذه الاداة الجديدةالرغبة فى استخدامها وسيلة للدعاية داخل وخارج حدود بلادهم على السواء .. ورغــم أن لينين كان من أوائل السياسيين الذين التفتوا الى خطورة الاذاعة كوسيلة من وسائل الدعاية وقال عنها « الاذاعة صحيفة عالمية لاستطيع الحدود منعها » الا انجوبلز

كان أسبق السياسيين فى استخدام الاذاعـة بطريقة منظمة للدعاية للنازية داخل حـدود ألمانيا وخارجها .. وما ان نشبت الحــرب العالمية الثانية حتى كانت الاذاعة سـلاحا

خطيــرا يستخــدمه جوبلز فى الحرب أبرع استخدام ، فيحاول به تحطيم الروح المعنوية لشعوب الدول التى تحارب المانيا ، وبالاذاعات الموجهة الى مختلف دول العالم وبلغات هذه الدول نجح الى حد كبير فى كسب عطف عدد من الشعوب على المانيا وتقديم ألمانيا فى صورة العملاق الذى لايقهر .. وكان طبيعيا انتلفت هذه التجربة نظر دول العالم اجمــع الى أهمية الاذاعة فى حروب الدعاية وأثرها العميق فى الشعوب فاتجهت دول كثيرة بعد الحــرب العالمية الثانية الى تنظيم اذاعاتها وانشـاء الاقسام الموجهة بها والتى تذيع بلغات عدة وتوجه برامجها الى مختلف دول العالم .. وكانت الدول الكبرى أسبق الدول الى الاهتمام بالاذاعات الموجهة لانها بعد النصر كانت بحاجة الى تنسيق بيتها من جديد ، وخاصـة فى مستعمراتها التى عادت اليها أو مستعمرات العدو التى تأمل أن تضمها الى مناطق نفوذها .. وكانت اطماع الدول الاستعمــارية فى افريقيا بالذات تمتد الى كثير من دولها ..

ففرنسا تعود الى شمال افريقيا ، وانجلترا تحاول تدعيم مراكز قواتها فى البلاد الافريقية المستعمرة .. والمستعمرات الالمانية والايطالية فى أفريقيا يرثها الاستعمار الانجليزى والفرنسى .. ومع هذه الظروف كان المد النووى يرتفع بين شعوب افريقيا التى فتحت لها الحــرب العالمية الثانية نوافذ تطل منها على الحيــاة فى الدول الاخرى فتشعر بمدى الغبن والظلم الواقع عليها ، وتنفعــل نفوس الافــريقيين بالثورة على الاوضاع الجائرة التى أقامهــا الاستعمار .

فى هذا الجو تبــدأ الدول الاستعمارية فى التخطيط لوجودها فى القارة ، وتلعب اذاعات هذه الدول دورا أساسيا فى المخطط الاستعمارى الجديد .. فالاذاعة البريطانية على سـبيل المثال تنشىء الاقسام المتعددة فى اذاعاتهــا لتقدم البرامج باللغات الوطنية الافريقية ، وأمريكا تسير باخرة تحمل أحدث الآلات لتكون مركز ارسال عائم تستطيع ان تنقل بواسطته

برامجها الموجهة الى افريقيا بوضوح تام.. وكذلك تعنى روسيا باذاعاتها الموجهة الى أفريقيا عناية فائقة .. ولو أننا أردنا احصاء الدول التى تتجه باذاعاتها الموجهة الى أفريقيا لوجدنا أن العدد كبير للغاية ، ولكننا ذكرنا الدول الكبرى ذات المصالح المباشرة فى القارة .. ولا بد فى هذا المجال من ذكر دول أخرى تولى أفريقيا أهمية خاصة ، وعلى رأس هذه الدول فرنسا واسرائيل ، فنجد أن اسرائيل توجه الى أفريقيا اذاعات تبلغ السبع اذاعات يوميا عدا ما تذيعه موجها الى دول القارة باللغتين الانجليزية والفرنسية .. وكذلك تفعل فرنسا وان كانت الاخيرة تزيد على ذلك سيطرة فعلية على عدد من اذاعات بعض الدول الافريقية التى منحت الحكم الذاتى ولكنها ما تزال ترتبط بفرنسا بعلاقات قوية ووثيقة ، وبطبيعة الحال يمتد النفوذ الفرنسى الى اذاعات هذه الدول لتنطق بلسان السياسة الفرنسية .

فى شمال أفريقيا

ولنبدأ القصة من شمال أفريقيا حيث بلغت حرب الاذاعات على أثيرها ذروة العنف .. والقصة تبدأ عام ١٩٥٣ عندما أنشأت اذاعة القاهرة برنامجا فى نصف ساعة يوميا أطلقت عليه اسم « صوت العرب » ، وبدأ هذا البرنامج يعالج القضايا العربية بوضوح ويهاجم الاستعمار دون مواربة . وكان الشمال الافريقى يغلى بحركات تحررية تبغى الخلاص من الاستعمار الفرنسى .. وحشد الاستعمار الفرنسى كل امكانياته من جيوش الى عصابة اليد الحمراء كلها تواجه حركات التحرر بشراسة ووحشية .. ووجد المجاهدون فى الشمال الافريقى صوتا يؤازر كفاحهم وينقل الى العالم أجمع والعالم العربى بوجه خاص أنباء معاركهم الباسلة ضد الاستعمار الفرنسى .. وهنا التفت الاستعمار الفرنسى الى خطورة هذا الصوت المنبعث من القاهرة وانهالت الاحتجاجات الرسمية الفرنسية تطلب الى القاهرة وقف الحملات الاذاعية على الاستعمار الفرنسى فى شمال افريقيا .. ولم تستجب القاهرة لاحتجاجات فرنسا .. وبدأت فرنسا حربا مريرة ضد اذاعات القاهرة .. صدرت القوانين الاستعمارية فى تونس والجزائر والمغرب تقضى بالسجن والغرامة المالية الضخمة على كل من يضبط وهو متلبس بالاستماع الى اذاعات القاهرة .. وبدأت باريس تزيد من عدد ساعات ارسالها الموجه الى شمال أفريقيا لمواجهة تأثير اذاعات القاهرة ، وأنشأت فرنسا عددا من محطات الارسال أكبرها فى برازافيل أسندت اليها مهمة التشويش على اذاعات القاهرة فى مواعيد نشرات الاخبار والتعليقات السياسية .. وبرغم كل ذلك كانت هناك طوال سنين الكفاح فى المغرب وتونس والجزائر أكثر من معركة رائعة قادتها وانتصرت فيها اذاعات القاهرة .. فيوم اغتالت عصابة اليد الحمراء الفرنسية المجاهد التونسى فرحات حشاد كان هناك تسجيل للبطل الشهيد وصل الى صوت العرب قبل مصرعه بساعات .. وكان التسجيل دعوة لعمال تونس وكل القوى الوطنية بها لتشدد الضغط والكفاح على القوات الفرنسية .. وأذاع صوت العرب نداء الشهيد الى شعب تونس .. واهتزت المشاعر بقوة وعمق وتأججت الثورة وازدادت اشتعالا وتابع صوت العرب الحملة مستخدما صوت الشهيد فى أكثر من برنامج ..

وفى المغرب كانت معركة أخرى عندما أراد الفرنسيون اثارة الشقاق بين البربر والعرب .. والى القاهرة حضر أكثر من زعيم ليقود كفاح شعب المغرب ضد الفرنسيين على أثير اذاعات القاهرة .. أما الجزائر فكفاحها الباسل وحربها المريرة وجدت دائما فى اذاعات القاهرة سلاحا كان له آثاره البعيدة فى معركة التحرير .. فالمؤازرة القوية التى لقيتها حرب الجزائر من كل مواطن عربى ترجع فى المقام الاول الى برامج اذاعات القاهرة ومعها بعض اذاعات البلاد العربية المتحررة ، فهذه الاذاعات تولت طوال حرب التحرير الدفاع الحار عن وجهة نظر مجاهدى الجزائر وعرفت الشعب العربى بحقيقة المعركة الضارية التى

يخوضها أشـقاؤه على أرض الجزائر .. وتوج كفاح شعب الجزائر بالنصر وكان دور الكلمة المذاعة فى المعركة أوضح من ان نسير اليه ويكفى ان اذاعة القاهرة كانت من الاهداف الرئيسية التى ركزت عليها قوى العدوان الثلاثى هجماتها عام ١٩٥٦ لتسكت هـذا الصوت الذى يشكل فى معركة التحرير ضد فرنسا وانجلترا واسرائيل أمضى سلاح .

وبقية القارة ..

ومنذ عام ١٩٦٠ بدأت دول افريقية كثيرة تنال استقلالها وتتحرر من التبعية للاستعمار الغربى .. وآزرت القاهرة كفـاح الشعوب الافريقية فى نضالها ضد الاستعمار واستطاع قادة الكفاح فى كثير من هذه الدول أن يصل الى القاهرة لتنقل اذاعات القاهرة صوته ونداءات الكفاح التى يوجـه بها شعبه عبر الاسوار الحديدية التى تقيمها حول هـذه الشعوب قوى الاستعمار .. ودخلت هـذه القوى المستعمرة معركة الكلمة مع القاهرة بأكثر من أسلوب .. فهى تستخدم الاسلوب المباشر بمحاولات التشـويش على اذاعات القاهرة وتخصيص محطات اذاعة كاملة لهذه المهمة . وهى أيضا تسن التشريعات الجائرة التى تقضى بالسجن وعقوبات صارمة على من يضبط متلبسا بالاستماع الى القاهرة . وجنبا الى جنب مع هذا الاسلوب توجـه الاذاعات الى هذه الشعوب بلغاتها المحليـة محاولة بما تذيع أن تبرر مسلكها الاستعمارى فى هذه البلاد .. واذا كانت حرب الكلمـة على أثير الدول التى ما تزال نيران الكفـاح فيها مشتعلة ، اذا كانت هذه الحرب واضحة وضارية غير انها حرب سـهلة رغم هـذه الضراوة لان جانب الحق فيهـا واضـح والاستعمار فيها يسفر عن وجهـه الحقيقى دون غطاء زائف يستتر خلفه .. أما المعركة القاسية فهى تلك التى تنشب على أثير الدول التى نالت استقلالها بالفعـل وبدأت أول خطواتها على طريق التحرر .. وحرب الكلمة فى هذه المرحلة تختلف عن الحرب السابقة تماما وتدخل حومة المعركة عناصر أخرى كثيرة تغريهـا الاوضاع الجـديدة لهـذه الدول بالاشتراك فى الصراع .

عناصر جديدة ..

وأول هذه العناصر التى سارعت تدخل معـركة الكلمـة « اسرائيل » .. فالدول الافريقية حديثـة الاستقلال تغرى اسرائيل بمحاولة التسـلل اليها لتفلت من خنـاق الحصار العربى الى المجال الافريقى .. وتوجه اسرائيل أكثر من تسع اذاعات يومية موجهة الى الدول الافريقية ، وهى فى هذه الاذاعات تحاول أن تلبس ثوب الصديق الذى يعطف على هذه الدول ويمد لها يد العون فى هذه اللحظات من تاريخها الذى تحتاج فيـه الى كل عون .. ومن خلال هذه الاذاعات أيضـا ترسم صورة براقة لحياة الصهاينة فى اسرائيل وتحاول جهد الطاقة أن تظهر اسرائيل بمظهر الدولة المتقدمة فى جميع المجالات .. ولا تنسى اسرائيل بطبيعة الحـال أن تكرر باستمرار نغمة اضطهاد اليهود وما لاقوه من عنت وظلم لتستدر بهذه النغمة عطف شعوب ذاقت مرارة الاضطهاد وقاست منه الكثير .. وتدخل روسيا وكثير من دول الكتلة الشرقية ميدان الصراع باذاعات كثيرة موجهة الى شـعوب افريقيا ، وتقدم روسيا برامجها الموجهة هذه أكثر من مرة يوميا الى بعض المناطق ، وتعتمد الاذاعات الموجهة من دول الكتـلة الشرقية أساسا على تقديم صور مشرقة للحياة فى ظل النظام الشيوعى ، وتصدر الشيوعية على أنها جنة الطبقة العاملة مستهدفة بذلك استـمالة جماهير المستمعين فى بلاد ما يزال مسـتوى الطبقة العـاملة بها دون المسـتوى المعقول ليعتنقوا الشيوعية مذهبا .. وهذه الاذاعة تستخدم كذلك فى مهاجمـة الحكومات التى لا تسمح للشيوعيين بممارسة نشاطهم ، وتقوم بالدفاع عن الشيوعيين المحليين هادفة بذلك الى بث الطمأنينة فى نفوسهم واشعارهم بأنهم ليسوا وحدهم فى المعركة .. ولا شـك أن الكلمة المذاعة هى التى تستطيع فى مثل هذه الحالات اختراق حدود يحكم اغلاقها وتحدى

احتياطات الامن المشددة لتقوم بدور المساندة والتأثير رغم الاسوار .

أسلوب جديد ...

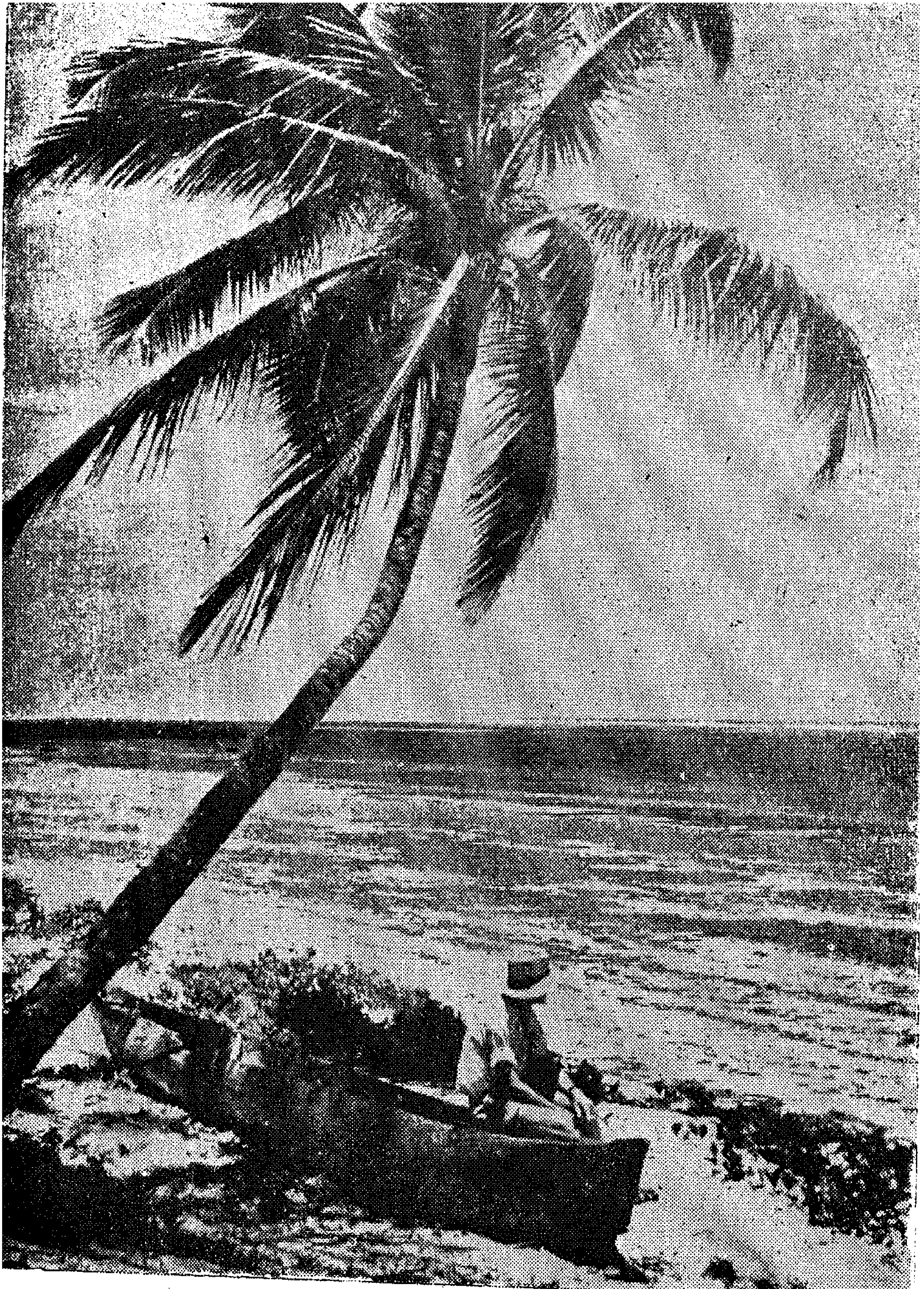
بقيت بعد ذلك الاذاعات العتيدة التى لها فى المنطقة مصالح قديمة وحديثة وارتباطاتها بافريقيا تمتد الى أول أيام الاستعمار .. وقد عدلت هذه الاذاعات — وعلى رأسها اذاعات لندن وباريس — من أسلوبها المباشر فى الدعوة لوجهة النظر الاستعمارية لان الشعوب الافريقية لم تعد تنخدع بهذا الاسلوب أو تتقبله .. ومسايرة للخطة الجديدة لجأت كلتا الاذاعتين — باريس ولندن — الى تزويد بعض اذاعات البلاد الافريقية حديثة الاستقلال والمرتبطة بمصالحها ببرامج تسجل — باللغة المحلية — فى لندن وباريس ، وهذه البرامج لا تتعرض مباشرة للمسائل السياسية فهى فى الغالب برامج ثقافية أو غنائية ، غير أنه من الميسور أن يثبت مقدم البرنامج فى ثنايا برامجه أفكارا ودعوات خبيثة تخدم المصالح الاستعمارية لكل من الدولتين .. ومثل هذا الاسلوب خطير للغاية لاكثر من سبب .. فالطريقة غير المباشرة التى توضع بها هذه الافكار بمهارة يسهل تسربها الى نفسية المجتمع .. ومن ناحية أخرى فان تقديم مثل هذه البرامج تحت شعار محطة محلية تجرد المستمع من شعور العداء الذى يسيطر عليه عند ما يستمع الى اذاعة تحمل صراحة شعار دولة معادية ، فهذه الاخيرة يتشكك المستمع فى كل ما يذاع تحت شعارها لانها تمثل بالنسبة له جهة معادية ، أما المواد التى تقدم من اذاعة بلده فهو لا شك يتقبلها بثقة وبغير ضرر .. ونفس هذا الاسلوب تلجأ اليه « صوت أمريكا » .. بل ان الامر وصل بالولايات المتحدة الى حد انشاء محطات اذاعة كاملة فى بعض البلاد الافريقية لا تكتفى بمجرد مدها بالبرامج بل تنشئها انشاء وتقدم لها كل الامكانيات الفنية .. وأبرز مثال لهذا الاتجاه محطة اذاعة ضخمة أنشئت فى منروفيا عاصمة ليبيريا .. ومن عجب أن دولة صغيرة كليبيريا لا تسمح لها امكانياتها المادية بغير محطة اذاعة متواضعة تقوم فى عاصمتها اذاعة من اضخم محطات الاذاعة فى افريقيا كلها لتحمل الى المستمع الافريقى — وتحت شعار دولة افريقية — وجهة نظر أجنبية باللغات المحلية .. وليست اذاعة منروفيا هى الوحيدة على أرض القارة .. فهناك أيضا «صوت الانجيل» وهى اذاعة تمولها جهات أجنبية وتقوم على أرض افريقية وتتحدث بلغات افريقية ، وتحت ستار الدعوة الى المسيحية تتسلل دعايات مستترة تحاول أن تقنع المستمع الافريقى بحتمية الارتباط بالمصالح الغربية الاستعمارية

وصوت القاهرة ..

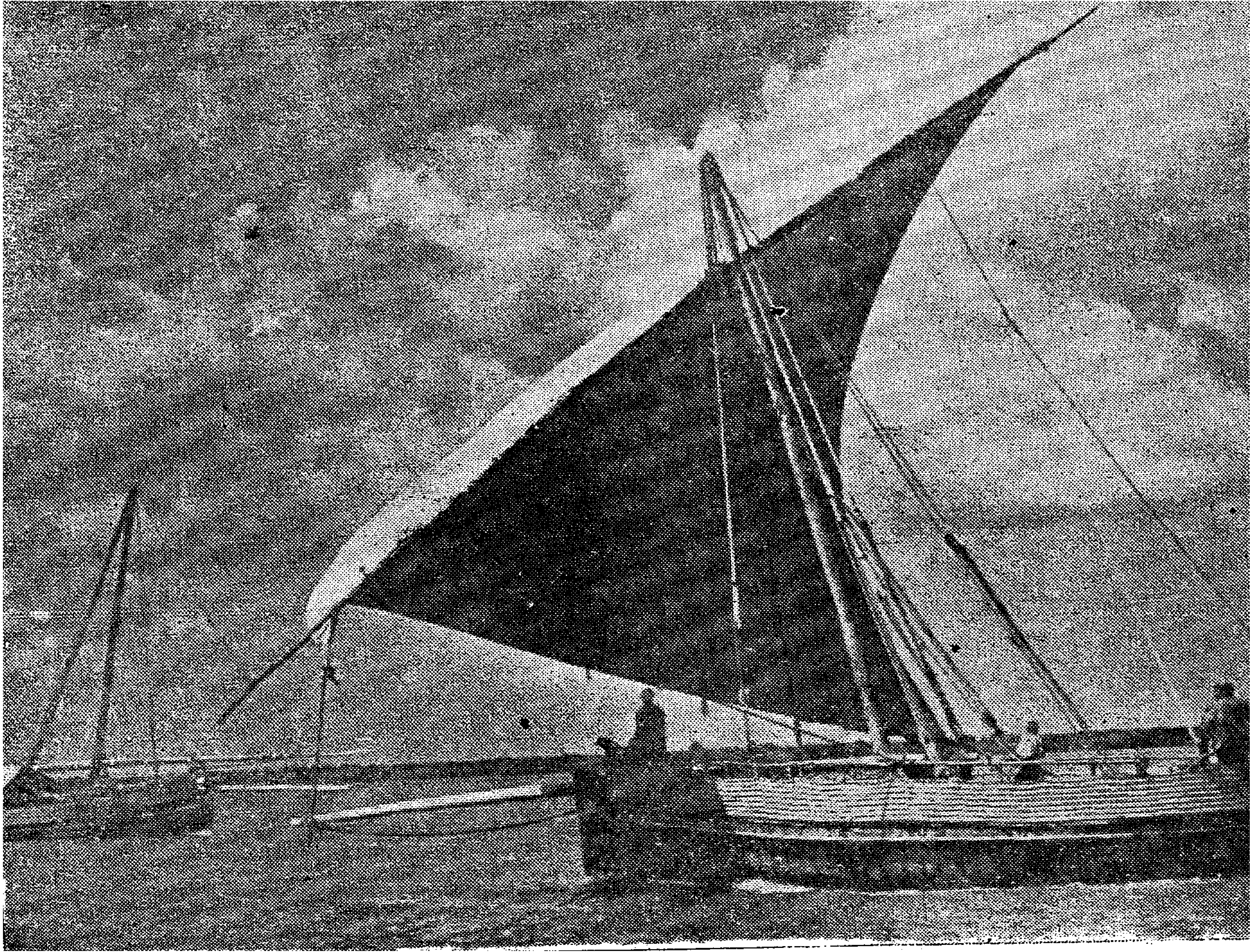
وبين كل هذه الاصوات التى تتزاحم على أثير افريقيا يبقى صوت القاهرة يحمل كلمة الحق الى كل مكان بافريقيا يدعم بها كفاح كل شعب مكافح ، ويوجه الى بقايا الاستعمار طعنات قاتلة ، ويبدد بالحقائق أكاذيب وأباطيل الدعايات الاستعمارية ، ويكشف زيف الادعاءات الاسرائيلية التى تتسلل الى الاثير الافريقى .. وقد بلغت اذاعات القاهرة الموجهة الى أفريقيا احدى عشرة اذاعة بثمانى لغات أفريقية الى جانب الانجليزية والفرنسية ، وتتلقى البرامج الموجهة الى أفريقيا من مستمعى هذه الاذاعات عددا كبيرا من الرسائل التى تؤكد ارتباط شعوب هذه البلاد باذاعات القاهرة .. وسر هذه الثقة يكمن أساسا فى حقيقة يعرفها المستمع الافريقى وهى أن ما تذيعه القاهرة لا يستهدف مصلحة خاصة ولا تستتر وراءه أغراض ملتوية ، فكل مايعنى القاهرة أن تكون اذاعتها منبرا تنطلق من فوقه كلمة حق حرة الى شعوب شقيقة تتشاطر مع القاهرة أرض القارة وتترابط مصائرها كدولة شقيقة وزملاء قارة واحدة .. فدور القاهرة فى هذه المعركة اذن دور رفيق الكفاح والجار الذى سمحت له ظروفه أن يكون فى موقف يمكنه من مناصرة أخيه فى قضية حق .. وهذا الموقف من القاهرة جعل للكلمة التى تصدر عنها صداها العميق لدى مستمعى افريقيا وجعل لها السيادة فى معركة الكلمة على أثير القارة المتحررة .

((السيد الغضبان))

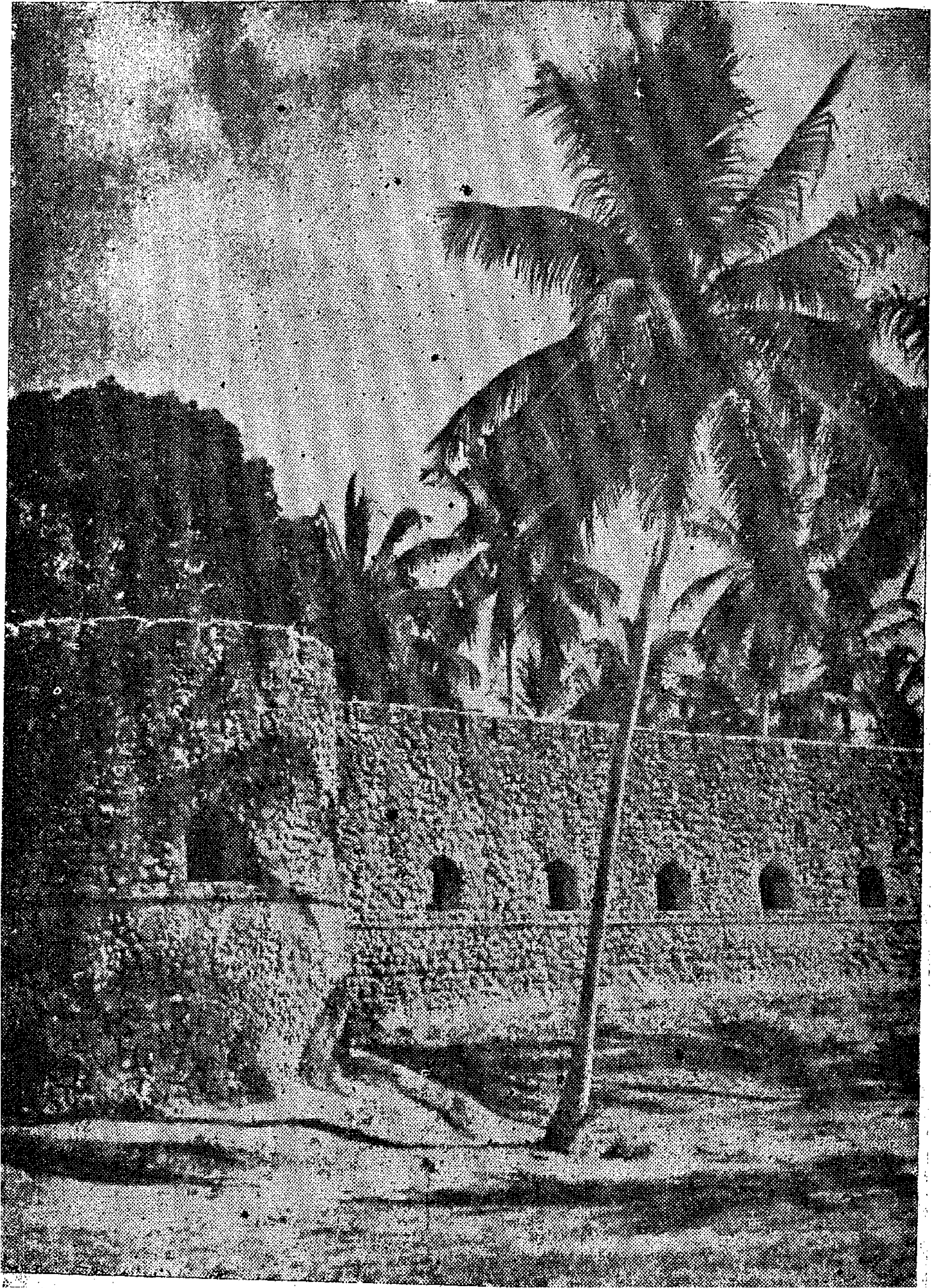
لمحات من زنجبار



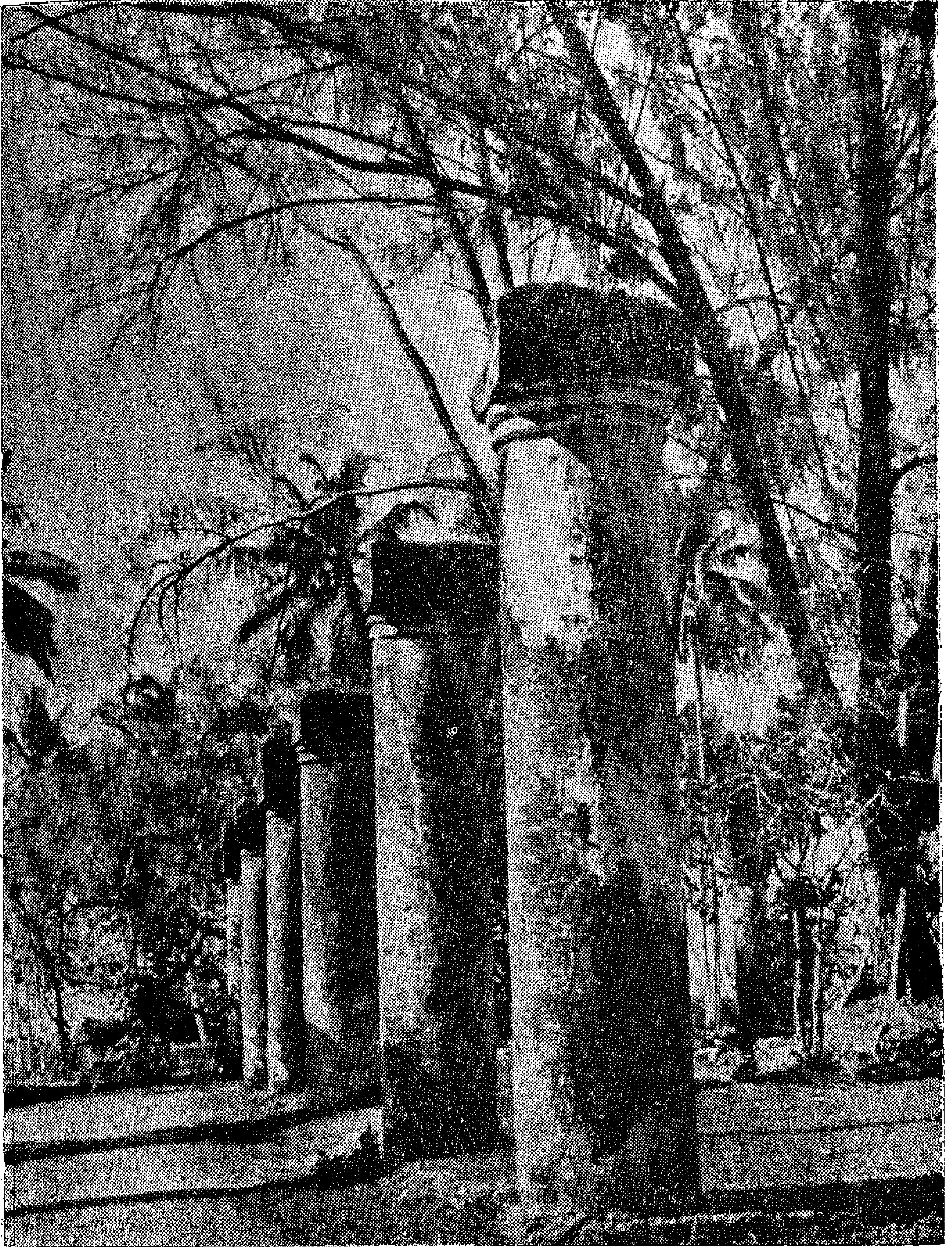
... جاء الافريقيون في زوارقهم الى زنجبار ...



....وجاء الغرب فى السفينة ذات الشراع ...



... واحتلها البرتغاليون قرنين من الزمان...



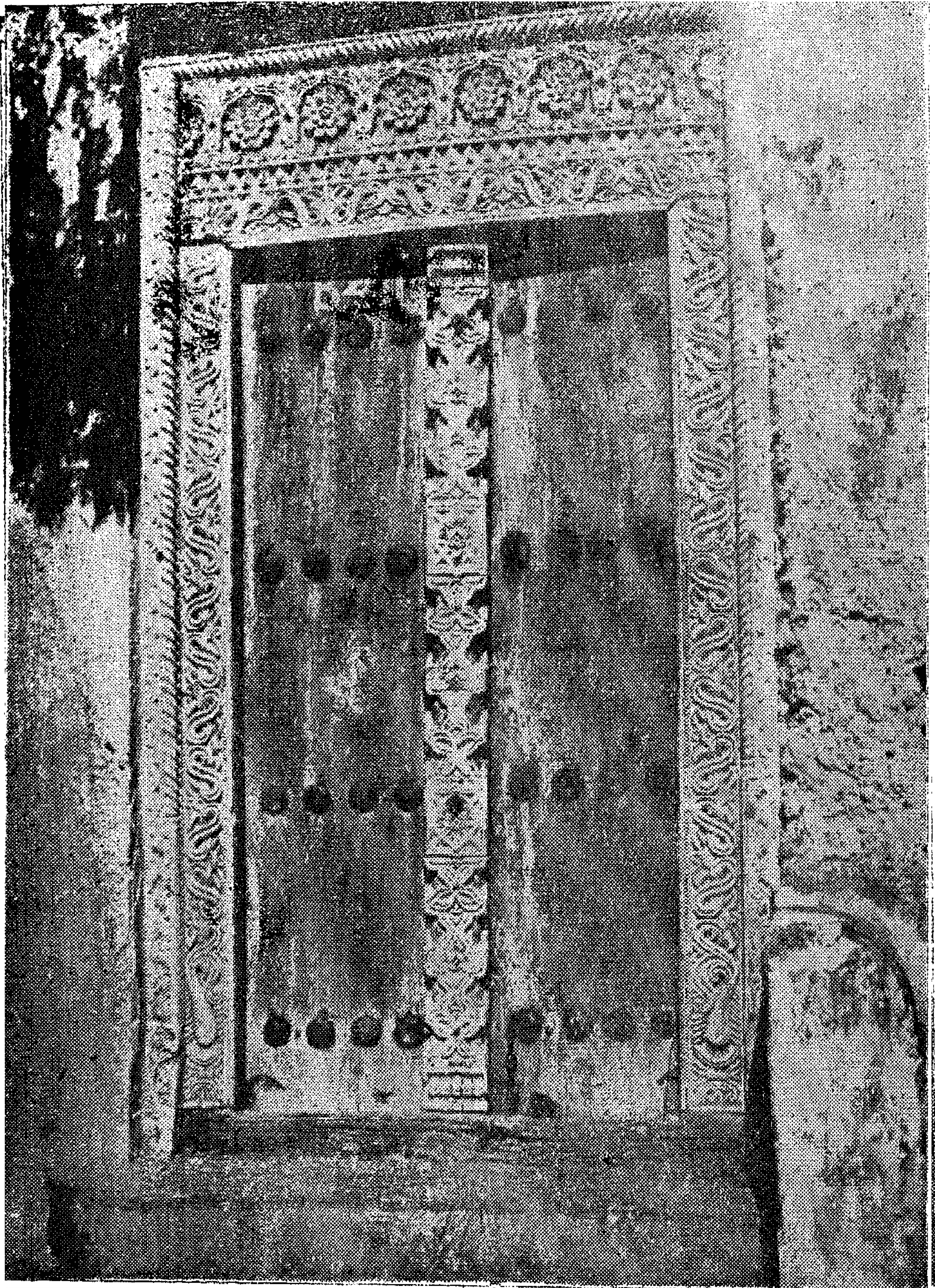
... وانتشر الخراب في كل مكان ...



ثم ارتفع علم الحرية



... والتقت سلالات البشر في الشوارع ...



... وفى الفن ...



...وفى وجه هذه الحسناء ...



● من الأدب الافريقى
● العملاق الأسمر

— ١ —

مؤلف هذا الكتاب من الشبان الذين صمدوا فى ميدان التعريف بافريقية ومن الذين كتبوا فى الاعداد الاولى لمجلة نهضة افريقية التى كان صدورها الميلاد الحقيقى للتعريف بأفريقية فى كافة الميادين ابتداء من عام ١٩٥٧ .

وتمر الايام فاذا بافريقية ، واذا بالثقافة الافريقية مما يشغل العالم ، واذا الحقيقة تؤكد أن القارة لم تكن مفرغة من الحضارات ... لقد استطاع اجدادنا منذ قرون سحيقة ان يقيموا امبراطورية عظيمة قبل أن تكون لبريطانيا أية أهمية فى الوجود ، وقد ظلت هذه الحضارة مزدهرة من « تمبكتو » الى « باماكو » الى شاطىء المحيط ، كانت امبراطورية احترمت العلم ، وغصت بالعلماء ، ومن حولهم كان يرفل الشعب فى المخمل والحرير ، وفيما تصنعه يداه من الذهب والفضة ، والنحاس ، كما انه لم يكن يوجد عندنا التعصب الدينى أو العنصرى او القبلى لان تراثنا الاجتماعى يتنافى مع هذا كله .. واذا الحقيقة تتأكد أكثر حين نسمع « جان بول سارتر » يذكر ان الشعراء الافريقيين والكاريبيين هم الشعراء الحقيقيون لهذا العصر ، وانهم الوحيدون الذين يمتصون كل انفاس الطبيعة ، ويصلون الى جوهرها ، ويعانقون التراث بكل نبضه ..

فاذا اضفنا الى ذلك انهم يمتلكون « لحظة الاحتجاج » كما يمتلكون لحظة الرفض ، ثم انهم العذرية الباقية للشعر ، وانهم كذلك النبض الثرى المتناغم .. اذا اضفنا ذلك تأكد عندنا ان افريقية كبيرة فنيا كما انها كبيرة سياسيا ، واننا مطالبون الآن بأن نضيفها الى اهتماماتنا بعمق وفهم ..

وكتاب « من الادب الافريقى » ثمرة حقيقية لهذا الاهتمام ، ومبادرة موفقة للخوض فى هذا الميدان ، ومع انه مكتوب « بالكاميرا » اكثر مما هو مكتوب بالقلم ، ومسجل بالحماس أكثر مما هو مسجل بالتأمل العقلى ، الا انه — فى الواقع — اضافة ثرية الى هذا النوع من الدراسات ، التى لم يلتفت اليها تماما من الكتاب العرب ..

والمؤلف يوضح القطيعة التى كانت بين شمال القارة وجنوبها ، ويعيب هذه النظرة الاوروبية الذى شطرت افريقية الى شمال الصحراء والى جنوبها ، فهو يقول :

« .. فهم حين يتحدثون عن الأدب الافريقى يقصدون به على وجه التحديد أدب الأقطار الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، وتلك فى الحقيقة مغالطة خطيرة يجب أن ندفعها عن القارة حين نتناول أدبها أو نتعرف عليه ، ذلك لأننا نجد حسب تحديدهم هذا ، أن الأدب الذى ينتجه الافريقيون فى ليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، أو السودان أو الجزائر ، أو غيرها من الأقطار التى

تكتب أو تفكر بالعربية منذ مئات السنين .. ليس فى افريقيا ، ومن ثمة يعزلونه عن القارة حين يتناولون أدبها . »

بينما يقول المؤلف هذا الكلام المنطقى نجد النماذج ، والتطبيق ، ووجهة النظر توافق تلك النظرة التى لم يوافق عليها من قبل ، وتتعارض معها تمام التعارض ، فهو يهمل الشمال تماما ، ولا يدور الا فى دائرة عدة دول فى غرب القارة ولن يعفيه من هذا عنوان الكتاب ما دام قد لمس القضية فى المقدمة هذه اللمسة الذكية .

ويعرض المؤلف منهجه فيذكر أن الفصل الاول خصص للعوامل التى اثرت فى النماذج كالبيئة ، والتعليم ، وطبيعة اللغة ، ثم يأتى بعد ذلك الحديث عن قيمة التراث الشعبى ، ثم تأثير الكفاح الوطنى ، ثم تأتى النماذج التطبيقية

ولاشك أن هذا يتعارض مع مناهج البحث المقررة فى مثل هذه الابحاث ، ولعل الذى أملى وجهة النظر هذه على المؤلف ، ان موضوعات الكتاب كانت مقالات سابقة مستقل بعضها عن البعض الاخر ، وان بعض النقاط كانت تطول فى الكتاب ونقصر نتيجة لهذا ، ولكنا مع هذا نؤكد أن تدبيسها بهذه الصورة — ان صح هذا التعبير — يدل على مهارة وذكاء فائقين

والاستاذ على شلش يجرى مع «دعاية» توجد فى رؤوس كثير من الناس ، وهى ان افريقية غاصة بالغابات ، الى حد انه يجعل الغابة هى الشخصية الثانية بعد الانسان وذلك لانها على حد قوله — تتمتع بنصيب الاسد فى طبيعة القارة ، ثم لانها فى الوقت نفسه تعطينا عنصرين من عناصر التشكيل الفنى وهما الصورة واللون

ولا شك أن هذا كلام جميل وشاعرى ومؤثر ، ومتسرب اليه من كتب « الرحالة » الاوربيين ، ذلك لان الشخصية التى تتمتع « بنصيب الاسد » حقا هى الصحراء التى يعيش فيها كثير من الناس ، والتى نشبهه الى حد كبير طبيعة البيئة فى الجزيرة العربية ، بينما لا يعيش الانسان فى الغابة وانما يمارس حياته على اطرافها ، ولا يدخلها الا فى حذر طلبا للرزق ، او لاصطحاب بعض المغامرين .

واخيرا فانهم يقولون أن الصحراء الافريقية تعكس من الاضواء ما يقرب مما يعكسه القمر نفسه ، ثم انها جغرافيا تزيد على مساحة الولايات المتحدة

وفى ضوء هذا أعتقد ان الادب الحديث للادباء الافريقيين غير مشغول تماما بالغابة ، وانها ليست الشخصية الثانية فى الفن والادب ذلك لان ما يشغل الادباء حقا فى هذه الفترة هو هذا التوتر السائد بين الاشخاص الذين يعيشون فى المدينة ، والذين يفقدون صفاءهم وبساطتهم ، بل ومثلهم ، حينما يصطدمون بالواقع ، وهو أيضا هذا النبض الناشيء من احتكاك القيم الافريقية بالقيم الاوربية ثم محاولة الوصول الى دافع افريقى نابض فى مجاميع العمال والفلاحين

ثم ان المؤلف يعطى لقطات سريعة عن اللغة فى الصحافة . ويقصر التراث الشعبى فى افريقية على الحكاية فى المثل ، والقول المأثور او الاغنية ، بينما يذكر مثلا فى التطبيق شكلا من الاشكال ينطبق عليه مفهوم الاسطورة ، وفى الوقت الذى توجد فيه ملامح شعبية فى لغة كلغة الهوسة مثلا ، الى حد القول بان هناك ملحمة لاتختلف عن ملحمة « أبو زيد الهلالى »

واخيرا يقف بنا المؤلف على نقطة جادة وملتهبة وهى خصائص وسمات هذا الادب وتتلخص فى الاحتفال بقضايا القارة والكشف عن اعماقها ، ثم ان معظم القصص والروايات تجرى على لسان بطلها أو كاتبها ، واخيرا يذكر أن بعض هذه الاعمال غير ناضج ، ولا أدرى لماذا كنت احب للمؤلف ان يستقصى هذه الخصائص والسمات فى جهد اكثر من الجهد الذى بذله .

ثم ان النماذج التى أوردها تكاد تكون جميعا من دائرة « الادب الشعبى » ، فكيف يصح هذا فى مجال القاعدة والتطبيق .

وحبى لهذا الكاتب يجعلنى أقف معه عدة وقفات سريعة عن بعض الملاحظات السريعة

كذلك ، فهو يقول مثلا « الصومال الايطالى والانجليزى والبرتغالى » ، والحقيقة أنه لم يوجد ابدا « صومال برتغالى »

ثم ان جدول الدول التى استقلت يحتاج الى مراجعة جديدة لانه يختلف تماما عن الحقيقة ، وكذلك بعض الاحصائيات التى تتصل بالسكان ، وأخيرا فان القول بان الطبول تؤدى دورا كبيرا يبدأ من اشارات الاعلام ، وينتهى الى الشكل «الاوركسترالى الكامل ، قول اعتقد ان فيه شيئا من المبالغه فالشكل الاوركسترالى الكامل تركيب وتضاد وترجيع وانسجام يحتاج الى الات عديدة محددة موسيقيا ، ولن يستطيع الطبل ابدا الا ان يكون آلة من الالات الثانوية

فاذا اضفنا الى ذلك ان اكثر الكتاب عندنا الآن لا يستقر عند « منهج علمى » ، ثم يتحرك منه الى دراسة شاملة ، وانما يصب طاقاته فى مقالات ، ثم يرجع من جديد ليضعها بذكاء تحت عنوان ما — اذا اضفنا ذلك عرفنا ان هذا النوع من التأليف هو السائد فى هذه الايام ، وان هذا الكتاب يعتبر ملمحا من هذه الملامح .

ولن ننسى هنا طريقة اختيار النماذج الذكية فى الجزء التطبيقى ، فهو يقدم اغنية من ساحل العاج بعنوان « حزن كوديو » ، وهى التى اعتبرها الناقد الاستاذ مصطفى السحرتى نموذجا ممتازا لما يجب أن يكون عليه الاغنية الحديثة التى يجب ان تتشرب كل ما فى الادب الشعبى من نبض ، تقول هذه الاغنية :

كنا فى طريقنا الى العمل
بالمدينة
ثلاث نسوة
ورجال ثلاثة
وأنا كوديو أنجو
وفى الطريق افتقدت زوجتى ناناما
لقد افتقدتها وحدى دون الآخرين
ولحقت بى تلك التعاسة دون
الآخرين
لحقت بى تلك التعاسة دون
الآخرين :
أنا كوديو
أبهر الرجال الثلاثة وأحلاهم
وعبثا ناديت زوجتى
فقد ماتت فى الطريق كما يموت
فرخ دجاجة طليق
كيف لى أن أخبر أمها
كيف لى أن أقص عليها ما حدث ..
أنا كوديو
حين يكون من العسير على
أن أكبح ألمى انا ! !

— ٢ —

أما « العملاق الاسمر » فهو ملحمة شعرية كما سماها الاستاذ « محمد طاهر الجبلاوى » فى المقدمة ، رغم ان الملحمة لها شروط ومواصفات لا تتحقق فى هذا العمل ، الا ان هذا لا يمنعنا من الوقوف امام هذا العمل الذى قدرته الدولة ، وكان اصداره فى مشروع الكتاب الاول عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

للشاعر محمد عفيفى

ولا أدرى لماذا قوبل هذا العمل بالصمت من النقاد ، مما يمكن القول معه بأن هذا الصمت لا بد ان يكون ثقيلا على الشاعر الى الحد الذى يمكن ان ينزعج معه .

فنحن امام شاعر موهوب حقا استطاع ان يثرى الشكل التقليدى بهذا العمل الجاد فهو يعرض قضية وطنية من خلال « عم ياسين » الذى لاقى العذاب النفسى حينما كان يزرع ولا يحصد ، ويعرق ولا يتحول عرقه الى طعام ، ولقد كان عذابه قاسيا حينما مد يده الى احد الثمار الذى استنبتها بدماء قلبه .

سلبونى خبزى وملحى وسدو
كوة الرزق يا بنى عليا
كل يوم ثلاثة من قروش
حطمتنى أبكت دما مقلتيا
كل هذا لأن نفسى اشتهت
حسن ثمار غرستها بيديا !

ومن خلال ولده « حسان » الذي حارب في فلسطين ، والذي حفظ القرآن ، وكان يملأ القرية بالمرح والمواويل

انه شاعر جميل وفلاح يطل النقاء من أهدابه !

والشاعر يبكي وحسان يقتل ، ويصرخ للمآسي التي احاطت بوطنه ، ثم ينبض شعره بالزهو والوطن يقتحم المعارك ثم ينتصر ، وان كان ينتقل نقلات غير فنية كالحديث عن « الكوكايين » ، فلن يقلل من أهمية هذا العمل الجاد في جوهره والذي كان يمكن ان يكون حدثا ادبيا لو جعل الخيوط كلها تخرج من « عم ياسين » ، ولو استطاع التخلص من بعض الصور المفتعلة ، ولو حافظ على التوتر الدرامي من خلال قصة هذا الوطن وهو يشق الطريق الى الفجر الذي طال انتظاره .. على أن هذا كله يبشر بشاعر واعد يحسن الهندسة الفنية لعمله ، ويبتعد عن الطرق والمشاعر المعبدة ، ويستطيع بعد هذا ان يدخل « الملحمة » الشعرية بمعناها الكبير ، كما يستطيع ان يدخل « المسرحية الشعرية » بثقة واعتداد ، فهو قادر على رسم الشخصيات من خلال الحدث النابض ، وان كنت اعتقد ان هذه الكلمة لن ترفع الصمت الذي جثم بتعمد على هذا العمل الجاد لشاعر يحمل بين جنبه قلب الشاعر الأصيل ، والذي ينتظره بلا شك غد مرموق في عالم الشعر .

عبده بدوي

الهولنديون في افريقية

« بقية المنشور على ص ٤٨ »

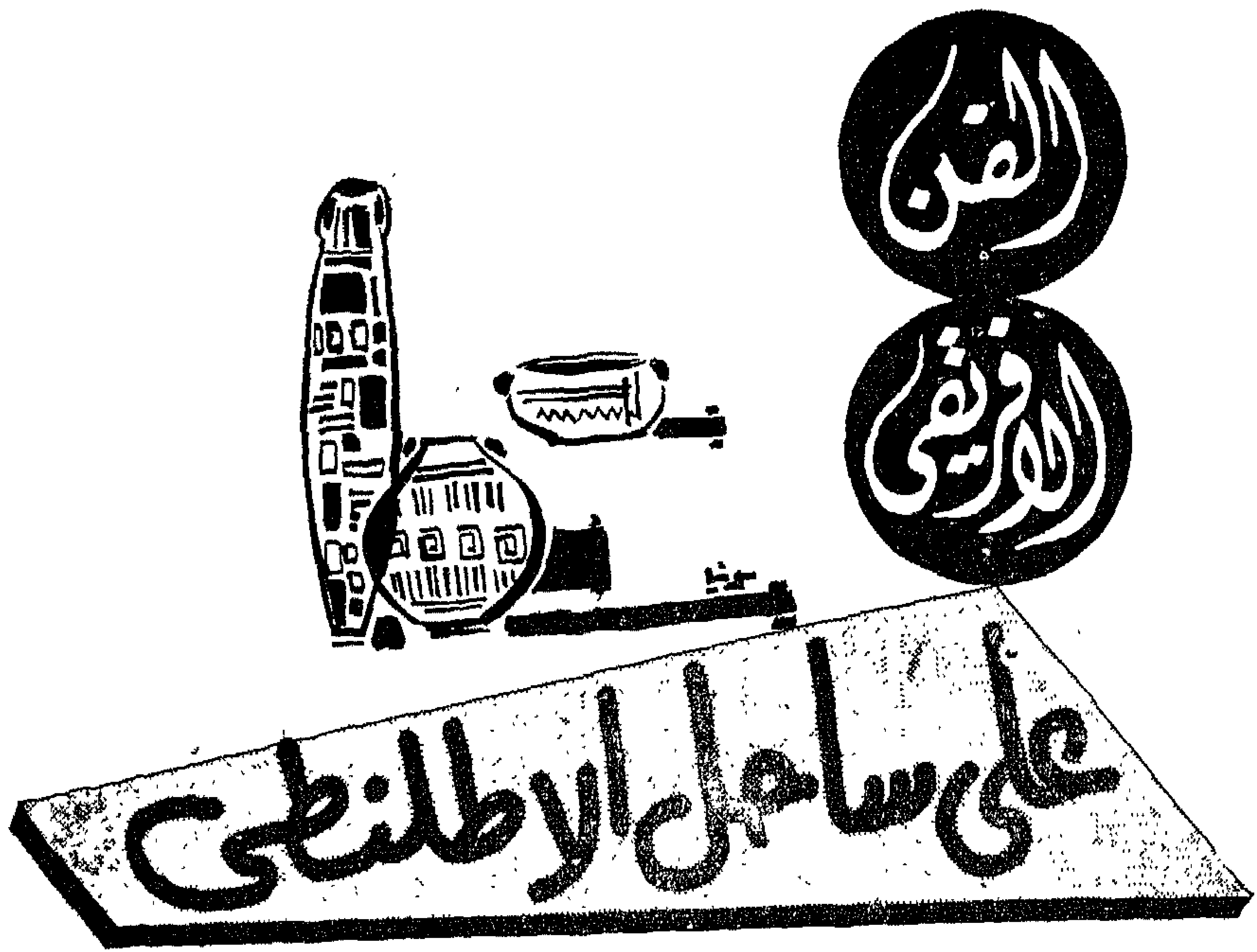
منه الهولنديين ، ثم زاحمت انجلترا بدورها الهولنديين ، وطردتهم من ساحل الذهب (غانا) .

وقد نشط الهولنديون في تجارة العبيد نشاطا يسجله التاريخ بالخزي والعار .

ثم استطاعت انجلترا أن تشتري حقوق الهولنديين في ساحل العاج في عام ١٨٥٠ ، وسلمت القطاع والسوق التي أقامها الهولنديون الى الانجليز في عام ١٨٧١ مقابل بعض التنازلات التي قدمتها انجلترا لهولندة في الشرق الاقصى .

وهكذا اختفت امبراطورية قديمة قامت على القرصنة والحرب وتجارة العبيد ، وجلبت بعض أمراض المدنية الاوربية التي اجتاحت أفريقيا زمنا ، ولكنها الان شفيت تماما بفضل كفاح أبنائها الابطال .. وعادت افريقيا الى أبنائها لتعيد مجدها الضائع وتقيم دعائم الحياة الكريمة فيها .. وانطلق المارد الافريقي ليضيء قارته الذي عاش فيها حقبة من الزمن في ظلام العبودية .. انطلق بقوة وشجاعة وصبر وثبات ليثبت للعالم كله ان أفريقيا للافريقيين .

« خديجة قاسم »



بقلم عبد المنعم الحفني

يجرى نهر الباندام‍ا خلال ساحل العاج ، وبالضبط فى القطاع بين خط العرض ٥٥ وبين خط الطول ٥٥ غربا ، ويصب أخيرا فى المحيط الاطلنطى ، صانعا حدود المنطقتين الغربية والشرقية للساحل الافريقى على المحيط الأطلنطى .

وتقع منطقة الغابات شرقى نهر الباندام‍ا وتقل تدريجيا حتى تنتهى تماما بأراض رعوية تنمو بها السفانا وتساقط عليها الامطار بوفرة . وهى منطقة كما نرى جديدة على الطبيعة الجغرافية لغينيا التى تتبعها ، وهذه المنطقة تتصل بأسباب قوية بالثقافات فى غرب أفريقيا ، تماما مثل العناصر الحضارية فى غانا وداهومى ونيجيريا .

وتعد قبيلة البول Baule على ساحل العاج من أهم قبائل المنطقة وأكثرها تقدما ، وشعبها أحد فروع شعب الانيى anyi ويتحدث لغة الكوا . ويقول تاريخ مملكة الاشانتى ان شعب الانيى قد غادر ساحل الذهب قرابة عام ١٧٣٠ ، وراح يضرب ، تحت زعامة الملكة أورايوكا ، فى أراضى الله حتى استقر فى المنطقة بين النزى والباندام‍ا على ساحل العاج ، واختلط بشعوب المنطقة التى كانت تسكنها ، وهى فى معظمها شعبا الجورو والسنوفو ، وأسس مملكة كبرى .

وأساطير هذا الشعب تدور حول الاله الوروا ، والاله الوروا يشبه زيوس رب الارباب عند الاغريق ، فهو اله الكون والخالق المبدع . وغير الوروا هناك نيامى رب السماء ، والأسى ربة الارض ، والجو رب الرياح ، وهو فى نفس الوقت منظم العالم ومدبره . وهناك غير هؤلاء أولاد نيامى ، وهم أنصاف آلهة ، أو هم أشباه آلهة ، وهم كاكاجى واسمه أيضا جولى وهو روح الموتى ، وجبيكر قرد البابون . وهذا الجمع الالهى يقع أسفله مباشرة فى الهرم القدسى آلهة أقل مكانة وأكثر عددا ويعملون كمساعدين للارباب الكبرى ، فالخروف مثلا هو روح الزراعة . ويتمثل الرب جو رب الرياح فى مجرد قناع انسانى ملحى . أما جولى ابن الرب نيامى فهذا عبارة عن رأس ثور . وكل هذه الارباب، وأشباهها ومساعديها ، يصورها الفن ، أو

تتجسد فى الفن ، وهو فن يغلب عليه طابع قبائل البول والجورو ، وهما القبيلتان الاكثر حضارة ، لانه طبقا لقانون الحضارات فان الحضارة الاعمق والاعرض والاكبر ابغالا فى الزمن تبتلع ما عداها من حضارات أقل وتستوعبها داخلها ، فهى لا تلغيها ولكنها تدخلها فى تكوينها بحيث تصبح جزءا من هذا التكوين ولكنها لا تظهر الا من خلاله ، فالطابع العام للفن يصير هو طابع الحضارة الاقوى مع وجود السمات الحضارية الاقل الاولى .

ولقد استقدم « البول » مع ما استقدموا من مجالات نشاطهم الحضارى صناعة أو فن صب النحاس ، ولكنهم مع معرفتهم بهذا الفن الرفيع لم يكونوا يعرفون النحت على الخشب ، أو هم كانوا لا يعتبرون الخشب من الاهمية بحيث يحتفلون بأن يقدوه ويصنعوا منه شيئا جديرا بأربابهم . ومع ذلك فانهم تعلموا النحت على الخشب ، طبقا لقانون الحضارة الاقوى التى تستوعب دقائق الحضارة الادنى وتطبعها بطابعها ، فمع أن الجورو والبول قد تعاملوا النحت على الخشب حديثا الا أن ما تعلموه طبعوه بطابع حضارتهم فجاء نحتهم رائعا روعة مذهلة جعلت الناقد الفنى وأستاذ تاريخ الفن — الاستاذ الزى لوزنجر — يقول عن هذا الطابع الجديد أنه طابع لا أدرى لماذا لم يشتهر عالميا مع أن كل من رآه أذهل من روعته . وهو طابع شاعرى فلاول مرة يدخل الشعر الفن الافريقى ، وتضيف هذه القبائل الى الفن الافريقى عنصرا جديدا هو عنصر الغنائية الشعرية ، هذه الغنائية التى لم يتساو فى تقديمها الا قبائل الباولا والاوجوى .

ونحن لا نجد فى هذا العنصر الجديد موضوعات الخوف والرهبة والشياطين والارواح الشريرة التى كنا نجدها سابقا ، ولكننا لا نجد هنا الا كل ما هو انسانى ومتحضر ورقيق . لقد استأنسوا الحيوانات ، ولذلك فهم يصورونها فى رسومات تكعيبية ويرمزون اليها برموز من صميم ما ابدعه بيكاسو وغيره فى باريس بعد ذلك بآلاف السنين ، غير أن منطق الدنيا أن نعنى بيكاسو ونهيل عليه الالقاب والشرف وهؤلاء الفنانون من أفريقيا يمارسون ما يمارسه بيكاسو وعلى نفس المستوى وكأنهم يأكلون أو يشربون ، فممارستهم للفن ممارسة تلقائية جدا وعادية جدا ، فالفن فى قلوبهم وعقولهم بحيث يملأ كل حياتهم ، ولا دافع لهم فى عرضه فى المعارض أو الحصول من ورائه على الكسب المادى البعيد ، والادبى الآجل ، فهى ممارسة حقيقية للوجود الفنى .

وعند ما دخلت أوروبا وقيمها القارة الافريقية ، وبدأ اقبال الاوروبيين على الفن الافريقى ابتداء من ثلاثينيات القرن ، واشتد هذا الاقبال بعد الحرب العالمية الثانية ، راجت صناعة الفن عند هاتين القبيلتين ، وصارت مصدرا للربح القومى ، واشتد الاقبال على منتجاتهما الفنية الرخيصة رخصا لا يقارن بأثمان لوحات بيكاسو ، ولعل السبب أن فرنسا ليس لها الا بيكاسو واحد ، ولكن أفريقيا الغربية لديها آلاف من بيكاسو . ولذلك تجمع هؤلاء الفنانون فى شبه مراكز فنية ذاع صيتها وصارت موضع الاحترام من الاهالى والحكومات معا .

ويصور البول والجورو فى تماثيلهم أربابهم ، ولكنهم يصورون كذلك الاشخاص ، ولاول مرة فى تاريخ الفن الافريقى نجد الفنان يتخذ من الشخص المصور حقيقة واقعة يحاول أن ينقلها من خلال فنه ، ثم نجد التمثال يشبه صاحبه مع أنه مصور طبقا لقواعد التكوين التكعيبى .

ويحب الفنان أن يصور الشخصية « على راحتها » جالسة أو واقفة ، واذا أجلسها فانه يجلسها على مقعد . وهو يضع اليدين على قفص الصدر ، أو يلامسهما بالذقن ، ويصور الساقين مستديرتين ، والركبتين منحرفتين نوعا ما تجاه الداخل . ويبدع اظهار عقل الاصابع والاظافر . ويرسم البدن نحيفا مستديرا ، والراس ضخما ، ويجعل من نظام الشعر تحفة فنية فى العناية والترتيب حتى لنخاله من تصفيف أعظم مصففى الشعر فى العالم . والجبين عال بيضاوى أو شبه مستدير ، والعينان فى خطين يبدآن من أسفل

ويتجهان الى أعلى ، أو فى شكل بيضـــاوى ضـيق ، والحاجبان كالاقواس المتجهـة الى أعلى فى استدارة رائعة تكاد تصـــنع نصف دائرة بيضـــاوية ، والجفون ثقيـــلة تسمح بضوء بسيط يدخل العينين ، والانف رقيق مستقيم ، والفم صغير ، والسطح رقيـــق وناعم رقة ونعومة بالغين ، وبعدها يسوده ويلمعه ثم يشربه بالدهن بعد ذلك .

وهم يصـــورون الاله جبيكر المنوط به محاكمة الموتى فى الآخرة فى صورة انسان له رأس قرد . ونحن لا نملك الا أن نذكر تصوير قدماء المصريين لآلهتهم القديمة مثل هـــذا التصوير ، واعتقادهم مثل هذه المعتقدات ، وعندها نقول ما أكثر الشـــبه بين الامس واليوم ، أمسنا ويوم أفريقيا ! وعندها أيضا قد نحزن لاننا تركنا أمسنا بكل حرفيـــاته واتجهنا الى الفن الاوروبى فى الوقت الذى اتجه الفن الاوروبى الى الفن الافريقى !! فهل نعود مع الفن الاوروبى الى افريقيتنا القديمة .. الى أصالتنا ؟ انها دعوة ، دعاها كل فنانى الطليعة فى فرنسا وألمانيا وانجلترا ودول الاراضى الواطئة وبلاد الشمال وايطاليا وأمريكا .. ولكنها ليست الدعوة هنـا فى القاهرة .. فهل تكون هذه المجلة منبرا تدعو هذه الدعوة .. أفريقية فننا ، أو العودة الى الاصالة القديمة التى كانت فينا والتى فقدناها والتى نرجو أن نجدها يوم أن نجد ذاتنا الفنية الحقيقية لا ذاتنا المقلدة . ومن الغريب أن الفنان الشعبى عندنا ينتج نفس هذا الانتاج الافـريقى ، وكل متأمل لعرائس المولد ، وصور الحائط أيام الحج ، وزخارف بيوت بلاد النوبة ، ليجد نفس هذه الخطوط الافريقية ، ولكن ما يسعى اليه الفنان الشعبى عندنا تلقائيا يهجره الفنان المثقف الواعى لانه يريد أن يقلد الكلاسيكية الاوروبية !!

وتبرز تماثيـــل قبائل البول بصـــفة استثنائية لما توليها من عناية فى «التشطيبات» النهائية ، فهناك نجد التفاصيل لا تبين قدر ما تبين عند تماثيل البول ، وكلما تأملنا رقة ما يصورونه حول العينين والرموش والجفون والحواجب ، ثم تصفيفات الشعر العجيبة ، ومحيط الوجه الذى لا يســير فى خطوط طوالية ، كل ذلك يجعلنا نعلى من قدر فنانى قبائل البول وحسهم الرهيف فى النحت .

وتتميز قبائل البول بأسلوبها التجريدى المطلق ، ويتضح هذا فى أقنعتهم التى يصورون فيها الحيوانات ، وأبرز هذه الاقنعة هـذا القناع الذى يصور روح الجاموسة ، فتصوير الجاموسة فيه تصوير تجريدى مطلق .. هناك القرنان كاملان ويلتقيان من أعلى فى شبه دائرة ويكادان يتماسان ، ثم يتصلان من أسفل بالرأس . والرأس بالرقبة عبارة عن خطوط ملونة تأخذ اللونين الاحمر الفاتح والابيض .

ويتدرج اللون الاحمر حتى يصـير فى لون الطوب المصرى . والعينان تبرزان كالكرتين ، مستديرتين وبارزتين وبهما حبتان زرقاوان وهذا القناع يلبسه الافريقى من البول ليلا فيطرد الارواح الشريرة والشياطين ويبتلعها ، ثم انه يحمى الرأس من الرصاص نظرا لمناعته الهائلة .

وطبيعى أن شعبا هذه صفاته الفنية لا يمكن الا أن يصنع من كل شىء تتناوله أيدى أفراده تحفا فنية ، سواء كان ذلك فى المجال الدينى أو المجال الدنيوى . ولقـــد كان المجـــال الدينى هو الغالب يوم أن كان نشاط التجارة محـــدودا ، ولكن نشـــاط التجـــارة اتسع الآن ، وعمقت الحضارة مع زيادة عدد الاجانب الســـائحين وانتشـــار التعليم . ومن ثم فقـد نشط الانتـــاج فى المجـال الدنيوى حتى صار هو المجـــال الغالب ، وتمثل أكثر ما تمثل فى صنع الادوات المنزلية ، واختفت الحدود الفاصلة بين الفن الدينى والفن الدنيوى . غير أن هناك ظاهرة فى انتاج هذه الادوات . وهـــذه الظاهرة هى وجود السمكة والتمساح فى صياغة معظم الأدوات ، حتى أن صورة السمكة والتمساح تصـــبح مثل الموتيف Motive ، اى الصـــورة المتكررة والتى تلح دوما فى رأس الفنـــان الخلاق . والسبب أن فى لاشعور هؤلاء رغم هجرتهم البعيـــدة ما تزال ذكريات أهاليهم القبلية محفورة هناك فى عقولهم اللاشعورية يوم كانوا يسكنون الى جوار نهر الكومو ،

وكانوا يعتقدون فى اله الاسماك والتماسيح ، وكانوا يضحون لهذا وذاك ، للأول كى يرزقهم رزقهم من السمك ، وللثانى كى يبعد عنهم شر التماسيح . وعندما رحلوا الى ساحل العاج ظلت هذه المعتقدات مستمرة معهم حتى لترى صورة السمكة والتمساح فى كثير من الأدوات المنزلية اليوم .

وتستخدم هذه القبائل الذهب بالاضافة الى النحاس . وهى لا تصنع أقنعة خالصة من الذهب ، ولكنها تستخدم الذهب فى تزويق الاقنعه ورسم أشكال حيوانية ترمز الى القوى الغيبية . وهم لا يلبسونها الا فى أعياد الخصب فقط .

وبزرع البول القطن فى أراضيهم ، وهم يغزلونه بأنفسهم ويصنعون منه ملابس ، يصبغونها صباغتهم الخاصة بهم . والمغزل عبارة عن رأس تامة والصدر نصف والباقى مجوف كمحيط المستطيل ، يمتد من أحد ضلعيه عمود ينتهى عند الضلع المقابل ، وهذا هو عمود المغزل . وصباغة القطن تتم بالنيلة .

وهناك منطقة فى ساحل العاج تسمى منطقة غابات ايبرى ، تسكنها قبائل الايبرى . وتتميز تماثيل هذه القبائل بأنها تماثيل منحوتة وأطرافها متميزة وممتلئة ، واليدان مرفوعتان فوق الرأس .

وقبائل الايبرى قبائل هاجرت من الشمال ، وهى لذلك استحضرت معها ضمن ما استحضرت فن النحت . وهناك من النقاد من يرجع هذه التماثيل الى قبائل الألاديا أو الإلانجوا ، وهى قبائل تسكن المنطقة مع قبائل الايبرى وغيرها من القبائل .

ولقد اكتشفت بعض المقابر الأثرية فى منطقة أسينيا فى جنوب غربى ساحل العاج . وهذه المقابر الاثرية ترجع الى عصر مملكة كرينجابو . ووجدت بها تماثيل مصنوعة من الطين ، وترجع الى القرن السابع عشر . وتماثيل الطين رءوسها ضخمة جدا والعينان بها بارزتان ، والشعر كثيف ، والعنق قصير كالحلقة والبدن ثقيل ضخم . وبالطبع لم يكن من الممكن أن تخلد هذه المقابر وتماثيلها كل هذا الزمن لو لم يكن قد بذلت فيها عناية خاصة نظرا لانها تنتسب الى الشخصيات الحاكمة . ومن الغريب كذلك أن يكتشف أن التماثيل صنعتها أيدى فنانات النساء بعد وفاة أصحابها مباشرة . وكانت هذه الفنانات يلبسن تماثيلهن ملابس كاملة ويزينهن ويضعن محميات تحت المقابر المسقوفة .

وتنتسب غانا الى ماض عريق . وكان اسم ساحل الذهب هو الاسم الذى أطلقه البرتغاليون على هذه المنطقة لان قبائل الاشانتى عند ما استقبلت سفن البرتغال استقبلتهم وأفرادها قد تزينوا بالذهب . غير ان غانا وساحل الذهب كلاهما كان منطقة واحدة ، وكلاهما كان دولة موحدة عظيمة هى دولة غانا ، وكانت تقع الى جنوب السودان الغربى . وكان مرجع عظمة هذه الدولة تقدم الفن العسكرى لدى محاربى الاشانتى « بمعنى ان النظام كان طابع هذه القبائل ، والنظام عودها ما نسميه الان فى الجيوش الضبط والربط ، وهما عماد الجيوش الحديثة ، وبسبب الضبط والربط هذين تقدمت الاشانتى وسادت المنطقة وصار لها بلاطها ، ومع الملكية ووجود الارستقراطية الحاكمة عم البذخ والترف ومظاهر الابهة والعظمة .

وعندما اكتشف البرتغاليون ساحل الذهب وانشأوا محطاتهم التجارية به ، أخذت قبائل الاشانتى تتاجر معهم ، ومع غيرهم من الاوروبيين بعد ذلك فى الذهب . ثم ادخلت تجارة العبيد وبدأ استنزاف شباب الاقاليم .

وكان الذهب والتجارة هما احتكار البلاط ، فالذهب رمز الشمس ، والشمس هى مركز الفعالية فى الكون ، والملك كذلك هو مركز الفعالية ، أو هو ممثل الشمس فى

مجتمعه ، فالشمس مركز الكون ، والملك مركز المجتمع . ولقد انتهت اسطورة الذهب فى ساحل الذهب . ولت مع الريح . ربما قد بيع واستنزف ، ربما قد نقله كله الاوربيون مثلما بيع الشباب ، وصدروا الى امريكا الشمالية والجنوبية والبرتغال واوروبا . ولما راح عصب الذهب ، وانقرض الشباب تهاوت دعامتا مملكة الاشانتى العظيمة ، وولت دولة غانا وذهبت ريحها .

وكان صائغ الذهب فى مملكة غانا ذا شأو عظيم . وكان كل الصاغة يسكنون البلاط الملكى ويعتبرون ضمن افراده . وللاسف ان كل ما صاغوه قد ذهب مثلما ذهبوا هم انفسهم ومملكتهم وعظمتهم . ولم يتبق من كل ذلك المجد التليد المؤثل الا « قناع واحد !! سرق الاوروبيون كل شىء » ولحسن الحظ لم يتبق الا هذا الشىء .. قناع الملك كوفى كاكاوى . ويزن القناع ثلاثة أرطال وخمس اوقيات . وان كل من يراه ليذكر حالا الرءوس الملكية المصرية ، فقوة الملامح واللحية الصغيرة ، والرأس الذى يخلو لاول مرة من « بوكيه » الشعر .. بالاختصار كل التمثال مصرى صميم . ولولا المنخران المتسعان والتشذيب حول العينين لظننا التمثال من صنع فراعنة مصر ، فليس هناك البروز المعتاد فى مقدمة الاسنان ، وليست هناك الخواص السلالية للجمجمة !! والصورة تتبع المدرسة الفنية التى تسمى بالمدرسة الطبيعية فى الفن ، وهى بالحجم الطبيعى . ويقول المؤرخون أن اللحية السفلى شىء غير معتاد ، ولذلك فهم يرجحون انها لحية احد الاعداء المهزومين اغتصبت منه ، وركبها الملك لنفسه استعلاء وتذكيرا للاعداء ، والقناع موجود ضمن مجموعة ولاس بلندن .

ولقد عرف البول والاشانتى خلط الذهب بالنحاس ، وعندها صار النحاس المخلوط بالذهب ، أو الذهب المخلوط بالنحاس شيئا مشاعا ، وصارت صور الملكة والالهة من الحلى التى يرتديها ابناء الشعب والتى يسمح لهم بها البلاط . وعندما شاع استخدام النحاس فى الذهب ، استخدم البلاط كذلك تلك الحلى مع فارق واحد هو ان الذهب الداخل فى التركيبة صار اكثر مما يستخدمه الشعب ، وصارت نسبته فيها خمسين فى المائة . ومن الغريب ان التجريد يصير لدرجة ان يمثل الامثال العامية لا مجرد الموضوعات المفردة ، فهناك مثلا تماثيل لفارس يمتطى فرسا ويحمل درعه ، او يمتطى عقربا ، أو تمساحين متقاطعين وكلها امثال عامية ، والتمساحان الاخيران يمثلان مثلا الخلاف العائلى .

ولا تعتقد الاشانتى فى عبارة السلف ، ولكنها تؤمن بالمقعد الصدق ، وهذا المقعد الصدق هو الذى كان يجلس عليه الملك أوسى توتو ، وهو مقعد صدق لانه المقعد الذى انفجر رب الارباب خلال البرق وهبطت قوته من خلاله الى أوسى توتو وهو جالس على هذا المقعد ، فصارت له القوة وأسس دولة الاشانتى الكبرى . ولذلك فان المقعد صار من المقدسات الاسطورية ، وصار يوضع فى تماثيل كثيرة وموضوعات كثيرة ، كأمنية لصاحبه أن ينال من قوة رب الأرباب ما ناله الملك أوسى توتو .

((عبد المنعم الحفنى))





وسائل التطبيق عند الفنان الافريقي

للدكتور سعد المنصوري

انتفع الفنان الافريقي بكل ما منحته اياه الطبيعة من مواد خام تيسر له استخلاصها من أجل أعماله الفنية المختلفة . فاستخدم الخشب والصخر والعاج والمعدن وعظام الحيوان والأسماك فيما قام به من أعمال تحمل معاني حياته وحياة مجتمعة وتقدم له فائدة عملية تعينه في تلك الحياة . فلم يكن العمل الفني بالنسبة له من أجل التذوق الجمالي الخالص قبلما كان من أجل تحقيق أغراض حياته اليومية .

ولم يجد الفنان الافريقي صعوبة في الحصول على الألوان التي احتاج اليها في فنه ، فهي موجودة في كثير من المواد الترابية تمده بها الطبيعة وتعدها له اعدادا لم يحتج بعده غير خلطها بالمواد اللاصقة عند التطبيق الفني ، أو كان يحصل عليها من بعض النباتات التي يغليها حتى تتحلل في الماء ثم يجففها الى أن يتخلف مسحوق معد للاستعمال

.. واستخدم دهن الحيوان والمواد الغروية التي تتصبب من بعض الأشجار كمواد لاصقة يخلطها باللون حتى يسهل تطبيقه وليكتسب صفة البقاء ومقاومة عوامل الطبيعة ..

وربما كان لوجود الغابات في افريقيا أكبر الأثر في نمو وتطور الفنون التشكيلية التي تعتمد على الخشب كمادة خام . فالخشب مادة طيعة تساعد الفنان وتشجعه على الانتاج الكثير المتنوع . ولم يمنع ذلك من أن يستفيد الفنان الافريقي بالخامات الأخرى الموجودة في بيئته والتي كانت عاملا أساسيا دفعه الى النهوض بالفنون الافريقية والارتقاء بها بوجه عام .

ولما كان للبيئة أثر حاسم في طبيعة ونوع الفن الصادر عنها ، فاننا نجد الفنون الافريقية وقد تنوعت من حيث الأداء والتطبيق بتنوع المكان الذي تزدهر فيه ، وهناك من القبائل الافريقية ما برعت في فنون

التصوير وحدها ، وأخرى وقد سيطرت الموسيقى أوساد الرقص عندها على الفنون الاخرى ، وثالثة وقد اشتهرت باستخدام العاج أو المعادن فى أشغال دقيقة وهكذا .

والبيئة الافريقية غنية من حيث مضمون الحياة فيها ، فهى تحمل أسباب الاثارة الحسية والنفسية بالنسبة للفردالافريقى كما هى غنية بما فيها من مواد خام سهلة المنال ، لذلك زخرت الفنون الافريقية بالحيوية الدافقة كما أغتنت أساليب الأداء والتطبيق فيها رغم البساطة التى ينفذ بها الفنان الافريقى أعماله . فالحرية التى يجدها الفرد الافريقى عندما يقطع الأشجار من أجل حياته العملية هى ذات الحرية التى يحسها الفنان الافريقى عندما ينحتالخشب من أجل تعبيره فنيا عن تلك الحياة وهى التى يحسها المتذوق لعمله الفنى منذ الوهلة الأولى .

ويحرص الافريقى عادة على أن يحتفظ بالشكل الطبيعى للخشب الذى يقطعه عندما يستخدمه فى حياته العمليةكبناء الكوخ مثلا ، وهو ذات الحرص الذى يعمد اليه الفنان الافريقى عندما ينفذ عمله الفنى ، فهوينتفع بقدر امكانه باستعدادات الخشب الطبيعية أو بأشكاله التى وجد عليها فى الطبيعةعند التطبيق الفنى . فلقد اعتاد الافريقى أن يحصل من الطبيعة على كل ما يحتاج اليه دون أن يلجأ الى صناعته ، لذلك كانت أشكال الطبيعة بالنسبة له كاملة لايجب التغيير فيها الا بقدر . والطبيعة بالنسبة له كل شىء ، وما عليه الا أن يغترف منها حينما يحتاج الى كل ما تتطلبه أوجه حياته العملية والفنية معا ، فهو يحس أن فى تقطيع الخشب اضاعة لقوته الطبيعية ، وفيه كذلك فقدان لقيمه الجمالية . ويشعر الافريقى بأنه جزء من الطبيعة وأحد مظاهرها ، والاحتفاظ بالكل يتضمن الاحتفاظ بالجزء كذلك . وربما كان ذلك من الأسباب الرئيسية التى يلجأ الفنان من أجلها الى أن يلتزم فى فنه أنماطا تقليدية لايحيد عنها فى كثير من الأحيان ، فهو يحتفظ بكثير من الخطوط والمنحنيات والمسطحات التى صورت عليها الطبيعة قطعة الخشب ، عند التطبيق الفنى محاولا قدر امكانه أن يستغل الشكل الطبيعى لمادته الخام . وساعده على ذلك انه لايهتم اطلاقا بمحاكاة الطبيعة من حيث الشكل الخارجى ولكنه يعبر عنها لينقل الينا فى عمله الفنى ما يعرفه عنها من حيث المعنى والمضمون ثم أثر انفعاله بها حسيا ، وانه بعمله الفنى لايهدف المتعة الجمالية البحتة بل يهدف الى أن يصور لنا حياته مرتبطة بالمجتمع الذى يعيش فيه وبالبيئة التى يتفاعل معها وأن يحقق ما يصبو اليه كل فنان من رضى وراحة نفس .

ولقد كان وجود الخشب بوفرة فى البيئة الافريقية السبب فى أن ينفذ الفنان الافريقى عمله من قطعة واحدة دون أن يلجأ الى توصيل الأجزاء الصغيرة بعضها بالآخر عندما يضع تماثيله ، فهو يفضل دائما أن يحصل على قطعة واحدة بالحجم الذى يريده ليحفرها ويحولها الى الشكل الذى يحقق له هدفه الفنى .

وعند الفنان الافريقى براعة فائقة فى استخدام الخشب فيما يخدم حياته اليومية ، فمنه يصنع الأوانى والأطباق والصناديق والآلات الموسيقية والطبول ثم يزينها جميعا بوحدات زخرفية متنوعة تأخذ من اهتمامه نفس القدر الذى يمنحه أعماله الفنية المختلفة كالتماثيل والاقنعة وما اليها ولم يغب عن المثال أو الصانع الافريقى طبيعة الخشب وميله الى الجفاف كلما امتد به الزمن ، فهو خوفا على عمله من التشقق يعمد الى طلائه من وقت لآخر بمواد دهنية قد تكون زيت النخيل أو ما شابهها ليسد بها المسام الخشبية فيحول ذلك دون أن يفقد العمل صلابته ومقاومته لتقلبات الجو .

والفنان الافريقى لايعترف عند التطبيق بالنسب التى تراها العين فى أشكال الطبيعة ، لانه لايهتم كما ذكرنا بأن ينقل مظاهر الطبيعة الى عين المتذوق لعمله ، ولكنه يعبر عنها

بالطريقة التى تحقق هدفه الفنى ، فهويحس بأهمية الرأس كجزء من أجزاء الجسم عند الانسان ، فهى تشتمل على وسائل الارسال والاستقبال الحسى بوجه عام ، وهى تحمل كل نوافذ الحس عنده ينقل من خلالهـا مختلف المشاعر الانسانية ، لذلك فهو كثيرا ما يعمد الى المبالغة فى حجمها والاهتمـام بتفاصيلها دون باقى أجزاء الجسم اهتماما تلقائيا ليس فيه تعمد أو اصطناع ، وبذلك تنعكس أهمية هذا الجزء على عمله الفنى عند المشاهد له .

وهو بالمثل لايرى ضرورة التقيد عنـد التطبيق ببعض القوانين التى يرتبط بهـا الفنان الغربى كالمنظور والتجسيم والظـل والنور واختلاف الدرجات اللونية وما الى ذلك ، لأنه يكتفى بالتعبير عن أفكاره ومشاعره وما يحدث من حوله فى المجتمع الافريقى تعبيرا بسيطا ساذجا فى غير تعقيد ، ولقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا اذ استعاض عن تلك الوسائل الادائيـة الدافقة والحركة العنيفة والخط القوى وبالقـدرة على التعبير عن الاشياء وبالحرية غير المحدودة وبالخصائص التى لاتعتمد أساسا على طرق الأداء أو على الاعتناء بالشكل دون المضمون .

ولم يكن عسيرا على المثال الافريقى مثلا من حيث التنفيذ أن يلجأ الى محاكاة الطبيعة محاولا نقلها من حيث الشـكل الى عين المشاهد ، فهو ينحت على الخشب بعدما يقطعه حديثا وقبل أن يجف وتتصلب أليافه، ليكون طيعا بين يديه فتسهل عليه عمليـة التطبيق الفنى . ولكنه مع ذلك قد اكتفى بالتعبير عن مضامينها التى ترتبط بطبيعـة حياته . فلم يكن عدم محاكاته للطبيعة قصورا فى الأداء أو عدم كفاية منه عندالتطبيق ولكنه المضمون الذى يتحدد به دائما عمله الفنى والذى تمليه طبيعة الحياة الافريقية عنـد ممارسته الفن .

ويكتفى المثال الافريقى بآلات حادةبسيطة قليلة العدد عند التنفيذ ، احـداها كبيرة يسوى بها الخشب فى أول الأمر ، ليلجأ بعد ذلك الى أخرى أصغر حجما يحاول بهـا الكشف عن تفاصيل عمله وزواياه وانحناءاته الدقيقة .ثم يستخدم آخر الأمر نوعا من ورق النبات الجاف الخشن ليجعل أسطح أشكاله ناعمة معدة للتلوين .

وكثيرا ما ينحت المثال الافريقى تماثيله نحتا مباشرا على الحجر أو الخشب دون اعداد سابق له ، أو دون اسـتخدام رسم تمهيدى يعينه على السيطرة بفكرته عـلى الخامة التى يصنع منها تمثاله . والعمل الفنى فى تلك الحالة يكون أكثر حيوية من العمل الذى يسـبقه تخطيط أدائى لأن الاهتمام بالناحية الصـناعية فى الفن كثيرا ما يكون على حسـاب الحرية والانطـلاق والتلقائية التى تعتبر أساسا يقوم عليه الفن الافريقى من حيث المضمون . وربمـا كان الاهتمام بناحية الأداء من الآثار السيئةالتى انتابت الفن الافريقى عن طـريق الاستعمار السياسى لكثير من الأراضى الافريقية ، فلم يكن يرجو المستعمر الغـربى من الفنـان الافريقى الا عملا متقنا من حيث التنفيـذ ليكون قريب الشبه من الفن الغربى التقليدى الذى كان سائدا فى كثير من بلاد الغرب فى القرن الماضى عندما وصـل الفن الغربى التقليدى الى نوع من السطحية والمحـاكاة السقيمة والى اهتمام بالأداء وطريقة التنفيذ اهتماما أثر على الذوق الفنى عند المتذوق الغربى بشكل كبير .

فلم يعتن الفنان الافريقى اذن بالشكل قدر اهتمامه بالمضمون ولم يكن يهدف أولا وقبل كل شىء الا الى أن ينقل ما يعتمل فى نفسه من فكر وأحاسيس فى عمله ، ولم تكن القدرة الفنية بالنسبة له غير التعبير عن ذلك دون السعى الى تحقيق هدف يصـل الى نفس المتذوق دون أن ينبع من أعماق الفنان قبل كل شىء . فالفنان الافريقى لم يحترف الفن الا بتشجيع المستعمر له على ذلك ، لأن الدافع الاصلى عندالفنان الافريقى هو العمل على تحمل مشاق حياته من خلال

الفن وعلى أن يبعث في نفسه الراحة والمتعة الحسية .

ولما كان الفن الافريقي صورة تنعكس عليه الحياة الافريقية مباشرة ، فان الدافع الفنى لم يختلف من فنان لآخر ، اذ لم تكن للفرد حياة منفصلة عن المجموع ، ولم يعش الافريقي الا كجزء من كل ، يرى نفسه فى الصورة الكاملة لمجتمعه ، لذلك نشابه المضمون الفنى فى الفنون الافريقية المختلفة مهما اختلفت وسائل التطبيق من عمل لآخر وكأنها جميعا بيد فنان افريقي واحد ، بل كثيرا ما نجد المصور وقد استفاد من عمل المثال ، أو نجد مواضيع النحت والتصوير وقد انتقلت فى شكل وشم على أجسام الافريقيين ، أو ان الحلى المعدنية وقد تشابهت مع الاعمال الفنية الاخرى من حيث الطابع وهكذا . ومما يؤكد هذا التشابه وجود الزخارف التى تحلى هذه الأعمال جميعا دون أن تتغير من فن لآخر مهما اختلفت طرق التطبيق أو المواد الخام المستعملة فى الأعمال الفنية المتنوعة .

ولم يكن الخشب هو المادة الوحيدة التى أجاد استخدامها الفنان الافريقي فى عمله رغم وجود الغابات بوفرة فى البيئة الافريقية .. فهو قد وجد المتعة الحسية والقدرة على التعبير فى استخدام الحجر كذلك ، كما نرى فى كثير من الاعمال الحجرية أغراضا جنائزية وعقائدية .

وللعاج حظوة كبيرة عند الفنان الافريقي ، فهو يفضله عادة فى الأعمال التى تتصف بالدقة والتى تحتاج الى كثير من الزخرفة كأدوات الزينة وما تتحلى به المرأة كالأساور والعقود وما الى ذلك ، وكثيرا ما يحتفظ بشكل العاج كاملا بأن ينحته فى تكوين لا يخرج شكله العام عن شكل العاج الاصلى . ولقد كثرت أشغال العاج وزاد اهتمام الفنان الافريقى بها من الناحيتين الصناعية والفنية بتشجيع من المستعمر الغربى الذى يفضلها كخامة على كثير من المواد الاخرى .

ولم يستعمل الفنان الافريقى مادة الفخار فى عمل التماثيل رغم براعته فى صناعة الأوانى منها ، فقد كان يفضل المواد الاكثر صلابة فى أعماله . ولم يكن لديه «الدولاب» الذى يستخدمه الخزاف فى وقتنا الحاضر ولكنه وصل مع ذلك الى مستويات رفيعة من ناحية الاداء فى صناعة الاوانى . ولقد وجد بعض التماثيل الفخارية فى أماكن متفرقة من افريقيا استخدمت فى أغراض جنائزية حيث توضع فى أماكن بعيدة تحميها من الكسر .

واستخدم الفنان الافريقى خامات كثيرة أخرى عند التطبيق الفنى كالقش والخيزران ومنها قام بأعمال تدل على المهارة الفائقة ؛ تزينها وحليات هندسية جميلة ، وكالمعادن التى صنع منها الاسلحة والحلى والاوانى ؛ فنجد البرونز مثلا فى بعض جهات افريقيا مثل نيجيريا والنحاس فى أماكن اخرى تمتد من الكاميرون حتى السودان . واستعمل الذهب أيضا بعد أن يستخلصه بنفسه من بيئته فى أعمال دقيقة قليلة نسبيا ، محفورة تارة ومطروقة أخرى أو فى صفائح رقيقة مضغوطة على قوالب خشبية حفرت خصيصا .

وهكذا يمكن القول بأنه اذا كانت الصناعة أهم مظهر من مظاهر المدنية الغربية ، فان تأخرها فى بعض جهات افريقيا لم يكن عقبة فى سبيل تعبير الافريقيين عن أفكارهم ومشاعرهم تعبيرا فنيا رفيعا استحوذ على أعجاب الناقد الغربى والشرقى على السواء . فالفنون الافريقية دليل بين على رقى الافريقيين الحسى لما تمتاز به من صفات يفتقدها بعض فنون الغرب ، فهى تمس الانسانية وتستمد حياتها ونماءها من جذورها ، وهى لاتعتمد قطعا على الناحية الصناعية أو على الرغبة فى تحقيق مأرب فردى ، ولكنها صافية نقية تنبعث عن أصل الذات الانسانية لتتمثل فيها حياة الانسان بما تحمل من معنى وفكرة .

((دكتور سعد المنصورى))

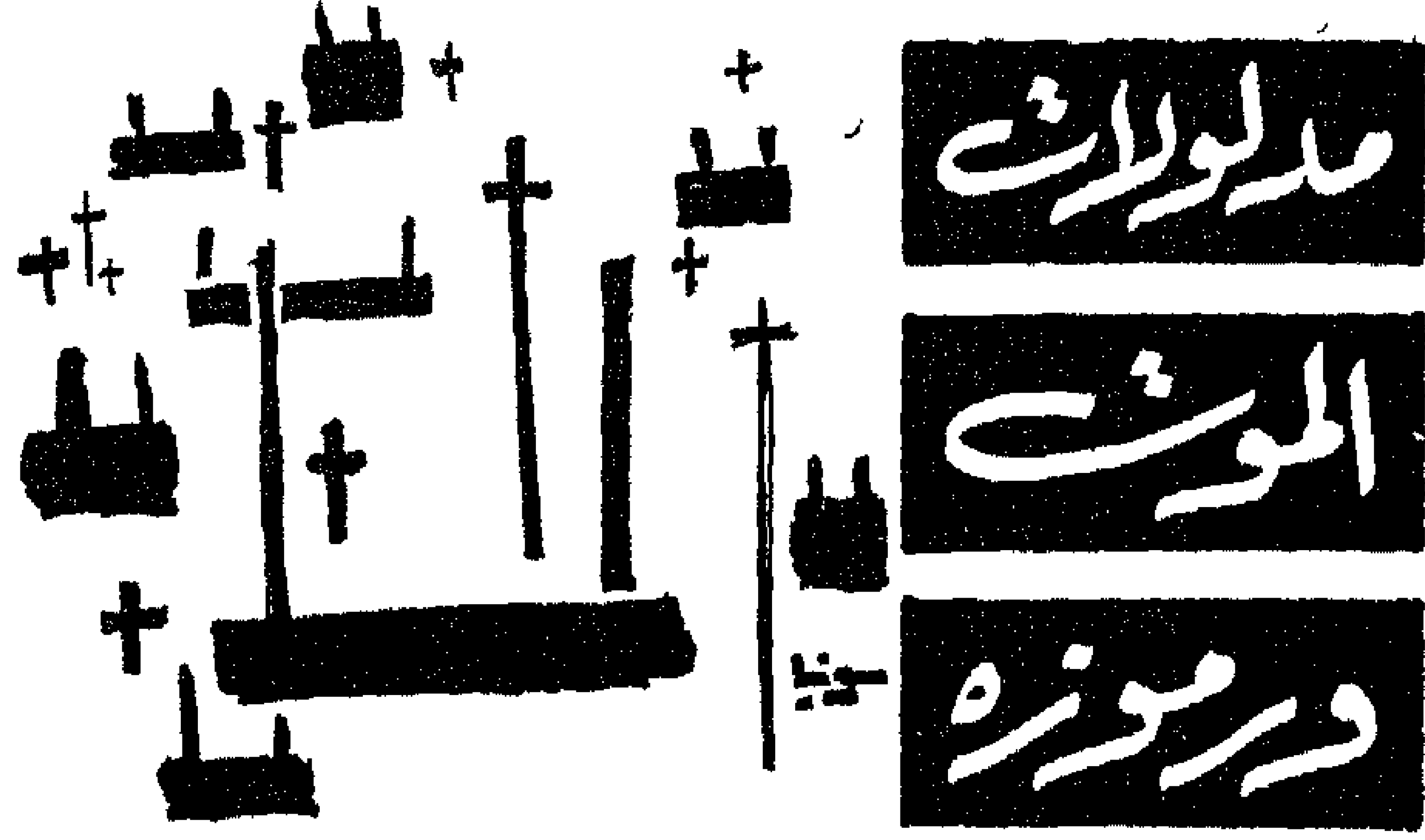


للشاعر كامل أمين

لم يعد فردوس أفريقيا كما ... كان مرعى للغزاة الفاتحين
صارت الجنة نارا حولهم ... وانتهت فيها أماني الطامعين
طالما فتحت عيني فالتقت ... بالعراة الضائعين الجائعين
المساكين المباحين الذين ... يعيشون وهم كالميتين
والاله الابيض المسيح الذى ... صاغه القانون من ماء وطين
كان بالامس الها مزعجا ... ياكل الجوعى ويحمى المجرمين

* * *

أقبلوا فى هيئة التجار فانخدعت ... فيهم قلوب الطيبين
أمم عاشت على الفطرة من ... طيبة الارض ، وطهر الصالحين
سارت التجار فيهم فتنة ... ثم جاسوا فى القرى مستكشفين
وانتهى الامر الى قرصنة ... فاحتكار للتجار الجشعين
فاحتلال جيوش تحمل الموت ... كى تحمى جيوش الناهبين
وانتهت للاجئين الارض ، لكن ... أهل الارض باتوا جائعين
قل لمن فى الغرب ظنوا ... أن افريقيا آلت الى المستوطنين
شعب أفريقيا عليها لم يمت ... لم يمت فيها سوى ((المستفرقين))
ليس عمر المرء يحصى بما ... عاشه الانسان من طول السنين
انما العمر الذى عشناه ... مقدار ما كنا به مستيقظين !



مدلولات الموت ورموزه في غانا

بقلم : انتوني كوبمان
ترجمة : كامل عبد المجيد

لا يجهل أهل غانا حقيقة المـــوت ، فهم يؤمنون ان الموت فترة ضرورية غير دائمـــة تحتسب من حياة كل فرد ، حيث ان الله قدر لكل فرد ان يحيا فترة معينـــة تتفق وخطة مرسومة لنشاطه ، وسواء عاجلا أم آجلا فلا بد للانسان ان يموت ليبعث مرة أخرى ، وقد يكون هذا لاعادة بناء حيوية التجديد . وقد نتج عن ايمان الغانيين بالبعث تسميات جديدة مثل « أبابيو » ومعنـــاها « جاء مرة اخرى » .

وتوجد في مجتمع (الاكان) عادات الوشم وحفر العلامات على الوجه ، أو تشـــويه أطراف طفل ميت وذلك بالنسبة لمن ماتت أطفالهم في الماضي ، اعتقادا منهم ان هـــذا يهب الحياة لمن يأتي من الاطفال في المستقبل

ومن بين افكار اهل غانا عن الحياة بعد الموت ان روح الميت تسافر لفترة شهر مداه اربعون يوما الى (أساحانو) اى « مـكان الانتظار الروحي » الخاص بهـــؤلاء الذين اكملوا حياتهم الجسدية طبقا للخطة التي قدرها لهم الخالق . ومن هنا يجرى الحديث التقليدى عن الذين ماتوا من زعماء غانا على انهم يمكثون في قرية ما بتوقع رجوعهم منها في يوم من الايام .

ومن عادة (الاكان) حتى وقتنا هذا ـ عند وفاة زعيم عظيم ـ ان يقولوا ان المثـــل العظيم لسلالة اجدادنا او اجداد اجدادنا قد سافر الى القرية ، ويعتقدون ان ارواح الموتى تقوم برحلة ما ، ولذلك فهم يعطونها الضروريات التي يحتاجها المسافر ، فمثلا لابد أن يكون معهم الطعام والماء الذى يحفظ حياتهم ويجعلهم اقوياء ، وكذلك تعتبر الملابس والحلى من الاشياء الضرورية كي يظهروا بالمظهر اللائق وكذلك بعض المال لتغطيـــة مصاريف الانتقال اذا اضطروا الى ذلك .

وحتى وقت قريب كان من المناظر المألوفة في قرى غانا ان ترى حفلا جنائزيا به مناضد تحفل بانواع الطعام الطازج امام جثمـــان الميت . وبعد أن يدفن الجثمان يحمل أقارب الميت الطعام الى المقابر ويضعونه على المقبرة ذاتها أو في الخارج على منضدة مؤقتة تسمى (أبا) على يسار الممر المؤدى الى المقابر .

وفي نهاية كل عام يدعى الموتى من (الاكان) الغانيين ليشاركوا اقاربهم الاحياء الوجبة

السنوية ، وهى وجبة ضخمة تجهز من (أتو) أحمر وأبيض وهو عبارة عن بطاطا سائلة ودافئة تخلط بزيت النخيل الى جانب بعض الحساء الخالى من الملح . وهم يضعون جزءا من هذا الطعام فى حجرة مغلقة ليلة كاملة لتأكله أرواح الموتى . وفى يوم الاحتفال يقوم الاحياء من ابناء القبيلة بالصياح والغناء فى ذكرى الاموات . وبذلك تشكل هذه الوجبة بين الاحياء والاموات الجزء الهام من العيد السنوى لدى «الهوموا»

وتتكون الوجبة الكبيرة فى هذا الاحتفال من قمح غير مبشور وحساء دسم مصنوع من زيت النخيل ويحتوى على سمك بدلا من اللحم . وبعد تجهيز هذه الوجبة وقبل أن تمتد اليها أيدى الاحياء ، يبعثر كبار القوم من جميع البيوت ــ مرتدين ملابس الحداد ــ بعض هذا الطعام فى جميع الغرف التى دفن تحتها الاقرباء وفى حدائق المنازل ، ويقولون : « لقد انتهى العام .. فعودوا وكلوا معنا » .

وكذلك يفعل « الكربو » من أهل غانا فى احتفالهم السنوى ، وتتكون أكلتهم من الذرة العويجة المنقوعة فى الماء ومن البطاطا المطبوخة وفى الصباح الباكر ليوم الاحتفال تبعثر حبات الذرة فى الحقول وميادين البلدة او القرية لاستجلاب الخصب للارض والوفرة لمحصول العام الجديد . وتقسم البطاطا المطبوخة الى قسمين ، يترك الاول منها ابيض كما هو ، اما القسم الاخر فيحمر بزيت النخيل . وترش البطاطا البيضاء عند الغداء فى فناء المنزل اما الجزء المحمر فتأكله أرواح الموتى كما يشارك فى تناوله أيضا الاحياء من الاقارب

أما احتفال الغانيين المسمى (جواجو) ومعناه «احتفال المرح » الذى يقام فى مارس من كل عام فتجهز فيه وجبة مكونة من الذرة العويجة وشراب الذرة المسمى (بيتو) ويخصص جانب من كليهما فيوضع فى غرف المنزل لتتناوله أرواح الموتى ويأكل الاحياء الباقى فى مرح وسعادة .

ويفعل (الفرافرا) نفس الشيء خلال احتفالهم المسمى (واجو) الذى يقام فى شهر نوفمبر من كل عام . وهم يستبدلون الذرة العويجة بنوع من البطاطس يخلطونه بالدهن النباتى والفلفل .

ويعتمد مفهوم اهل غانا للحياة على مبدا هام هو « عدم ولادتك خير لك من ان تولد ولا تكون محل اعتبار مجتمعك او نموت غير مأسوف عليك » . ولهذا فانه من دلائل عدم الاحترام والاهانة اضيف ما مهما يكن شأنه الا يودعه مضيفه الى اخر البلدة او على الاقل الى باب بيت المضيف . ولنفس هذا السبب نعتبر وفاة الفرد دون ابداء مظاهر الحزن والاسف دليلا مشينا على عدم قيمته أو اهميته فى مجتممه ، لانك حين تفعل ذلك كانك تقول له « ربما كان العالم احسن حالا اذا لم تولد فيه » .

ولهذا فانه من المهم جدا اظهار الحزن على المتوفى بصوت مرتفع وبصورة علنية ، غير أنه من ناحية أخرى من الخطأ ومن غير اللائق بالنسبة لرجل ما أن يذرف الدمع بصورة علنية . ولذلك فان النساء هن اللائى يقمن بكل مظاهر الحزن من بكاء وصراخ . والنساء ذلك يأتين بحركات ذات مغزى لتترجم عن أحاسيسهن ، وعلى سبيل المثال ، تقول الحزينة من (الاكان) حينما تضع كلتا يديها على رأسها « لقد أصبحت فى حاجة الى العون حينما فقدت عونى الوحيد فى هذه الحياة » . وحينما ترفع كلتا ذراعيها الى أعلى ويداها تشيران الى حيث ترقد الجثة تقول : « أكامينكو أو » أى « لقد تركت وحيدة » . واذا رأيت امرأة وسبابة يدها اليمنى تقفل شفتيها فهى تقول احدى هذه العبارات الثلاث :

« كيف أجرؤ على قولها » أو « أنا خرساء لن أتكلم » أو « أنا أعلن سر وفاتك ولكنى محاطة بالاعداء .. كيف أجرؤ على الكلام ؟ » .

واذا امتدت احدى ذراعى المراة الحزينة ناحية المتوفى والاصابع الخمس محنية الى الخلف فهذا يعنى « لقد غبت عنا طويلا » أو « بالله عد » . أما اذا جلست المراة الحزينة وذراعاها معكوستان على صدرها لتريح يديها على كتفيها فهذا يعنى أنها تقول : » لقد

سقطت امطار غزيرة وأغرقتني « أو « لقد بللتني الامطار وأنا أشعر الان بالبرد » أو « لقد حرمت الى الابد من النار التي تبعث الدفء في أوصالي » .

وهذه أمثلة حقيقية يقوم بها أولاد وبنات وأحفاد وحفيدات المتوفى في جنازة تقليدية لواحد من أهل غانا .

والاقوال التقليدية التي نسوقها فيما يلي تعطي صورة حية لفكرة الغانيين عن الموت .

١ ـ أحب النساء عند الموت ، هي أحبهن عند الاحياء .

٢ ـ ان الموت يحب أكثر الاشياء قربا من نفوس الاحياء .

٣ ـ من طال انتظاره يصل متأخرا ، ان ما تتوقع حدوثه أكثر يتأخر حدوثه . سيأتي الموت حتما ، ولكنه لا يأتي اذا انتظرنا مجيئه بشغف .

٤ ـ ان ما يحبه الانسان يشتهيه الموت .

وتتلى المقدمة القصيرة التالية قبل تنفيذ حكم الاعدام في المحكمة الرئيسية العليا في (داسا) .

ـ حذار حذار لان الموت حي . ها هوذا ، الموت وليد يوم الاربعاء ، فهو الذي يقتتل هنا وهناك ويعيش على هذه الارض .

ـ حذار حذار لان الموت حي . ها هوذا ، الموت وليد يوم الاربعاء ، ان حبه للقتل لا يرتوي وهو الذي يفرق الجماعات .

ـ حذار حذار فالموت حي ، ها هوذا ، فهوعضوفي ال « أبوسوا » ويتبع ال «نوترو» وهو يستعد لتحطيم الكثيرين .

ـ حذار حذار. فالموت حي ، ها هوذا ، وليد يوم الاربعاء ، وهو الذي يزرع في مزرعة اليسار بالرغم من أنه ينمو في أحراش اليمين .

ـ حذار حذار فالموت حي ، اذا كنت لا تعرفه ، فهو يحيا هناك بين الاموات . الموت هو الذي يدخل هنا وهناك ويعيش في كل بيت .

وفيما يختص بأرواح الموتى ، يقول (الآكان) من أهل غانا التعبيرات الاتية : ـ

ـ الرجل الذى أوشك أن يموت لابد أن يقاوم .

ـ الرجل الذى أوشك أن يموت يتلقى نداءات منكررة .

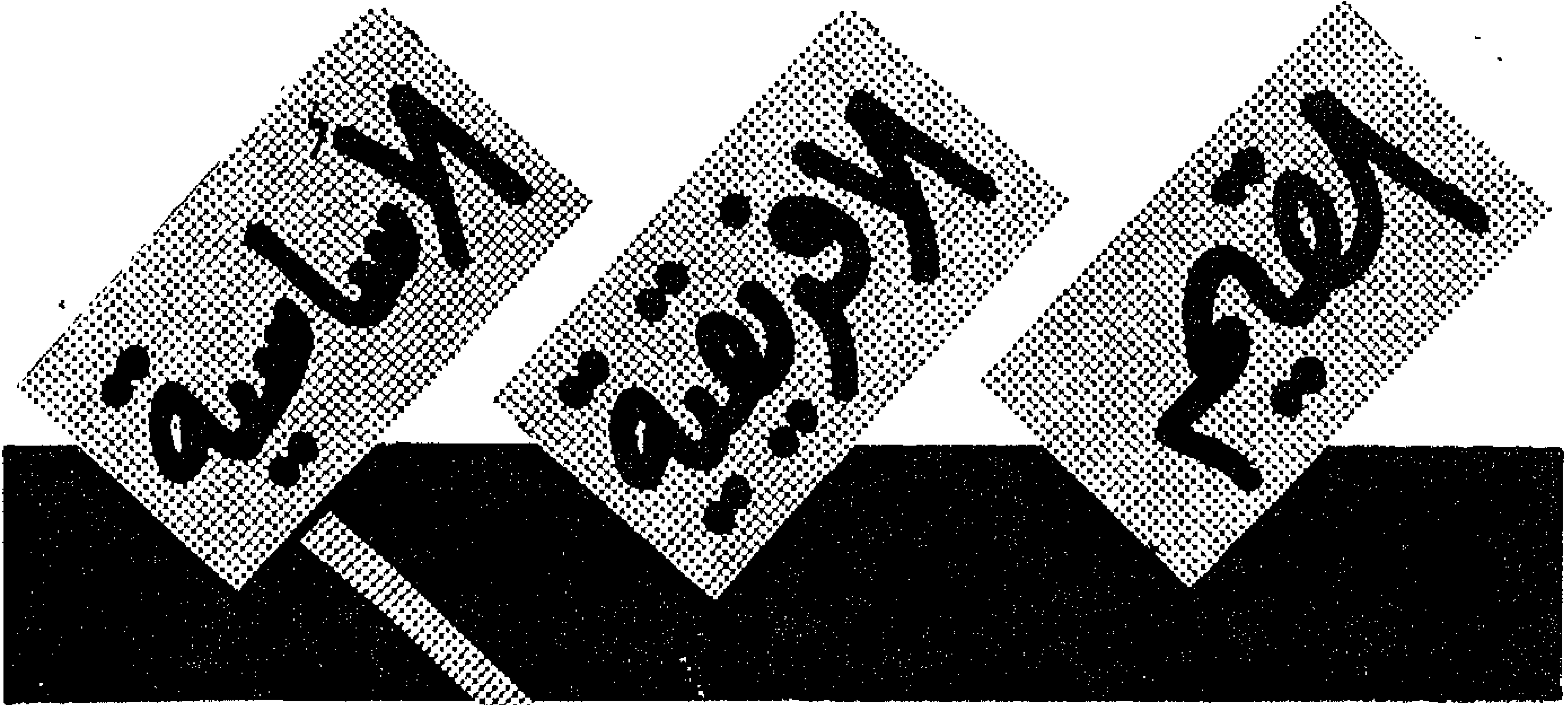
ـ الرجل الذى أوشك أن يموت يشهق كما تفعل المرأة الحامل .

ومن الناحية الرمزية فيعتبر أهل غانا الموت على انه ينتمي لليسار ، متصلا بالحياة الدنيوية ، ولهذا فهو مؤنث في مفهومه .. وهو أيضا يتصل بكل ما ينتمي الى الماضي الرجعي والعهد القديم والسواد الدنيوى والقذارة ، كنهاية حتمية للاتحاد الانتقالي بين الجسد والروح . ولذلك كان أهل غانا قبل اعتناقهم المسيحية يدفنون موتاهم بالطريقة التالية .

كانوا يحفرون حفرة دائرية كما لو كانت حجرة أولى بحيث تسطع أشعة الشمس على الكتف اليمنى لمن يقف في هذه الحجرة ، ثم يحفرون حفرة أخرى ، تقع على يسار من يقف في الحجرة الاولى .. وبعد ذلك يضعون الجثمان في الحجرة الثانية ويضعون معه ـ فيالحجرةالاولى ـ الممتلكاتالشخصية التي يريدون دفنها مع الجثمان .

وحتى يومنا هذا ، ما تزال جميع الاشياء الخاصة بالموتى من الزعماء أو ضحايا الحرب تدهن ـ عن عمد ـ بالسواد . وعلى سبيل المثال تحفظ جميع مقاعد الزعماء الذين يموتون اثناء تأدية عملهم في مكان مقدس وتدهن باللون الاسود وتسمى « المقاعد السوداء » . وكذلكتطلى كل الابواقالرسمية التي كانت تستعمل في عهد الراحلين من الزعماء ، باللون الاسود ، وذلك لكي تتميز عن نظرائها التي تخص الزعماء الاحياء والتي تترك على لونها الطبيعي .

((كامل عبد المجيد))



القيم الافريقية الاساسية

بقلم روبرت . ا . ليستار
عرض عبد العليم السيد منسى

استطاعت ((الروح الافريقيــة)) أن تبنى المجتمعــات الافريقيــة وتحتفظ ببناء هذه المجتمعات لقــرون عديدة ، كمــا استطاعت هــذه الروح أيضا أن تفجــر ينابيع ثورة الحرية فى السنوات العشر القليلة الماضية .

ولمــا كان الرجــل الابيض يتحكم تحكما مستبدا فى الحرية فى العصور الحديثة ، فمن المتوقع ان يكون للأفريقى مفهوم خاص لهذه الحرية يتمثل فى التحرر من الاستعمار بكافة أنواعه ، وفى حرية الفــرد فى ادارة شئونه بنفســه دون تدخل من القوى الأجنبية ، ثم الحــرية فى ان يعتنق ما يشاء من العقائد السياسية .

وللأفــريقى مفهــوم آخــر للحرية ، انها التحــرر من ضغط القــوانين الأوربيــة ، والتحــرر من الكبت الذى تفرضــه قواعد الســلوك الغــربية ، والتحــرر من القيم الأوربية وخلق قيم جديدة غيرها تتناسب مع العالم الجديد الذى يعيش فيه وتختلف اختلافا جذريا عن القيم الرخيصة التى كان يعيش تحت قيودها فى الماضى . ولكن ليس معنى هذا أن يحطم جميع القيم الموجــودة فعلا فى المجتمع واقتلاعها من جذورها ، بل معناه أن يستبعد ما لا يرغب فيه ، ويؤكد ويدعــم فى نفس الوقت القيم التى يود الاحتفاظ بها داخل اطار المجتمع الحديث . والقيم الاخيرة هى تلك القيم التى يكمن فيها الحنين للقديم ، والدعوة الى العودة للقيم المثالية العريقة ، ثم مزج هذه القيم بالقيم المعاصرة .

ولكن مهما كان نوع هــذا المزج الذى تم بين أحســن ما اختير من العصر القـــديم والعصر الحديث فسيكون الشكل والذاتية الجديدة لهذه القيم ((الجديدة)) ذا سمة افريقية فريدة لان الافريقى يريد أن يكون افريقيا لا أكثر ولا أقل .

وفى ضــوء هــذا نرى أن عمليــة اعادة الافــريقى لوضع القيم وتشكيلها ما زالت غير دقيقة فكثير ممن ليسوا افريقيين يطابقون بين شخصيتهم وبين شخصية الافــريقيين أنفســهم ويتصرفون كما لو أنهم افريقيون ، ثم يأخذون على عاتقهم مشقة تغذيةوتشكيل المفاهيم الافريقية الصرفة ، ولكن فى الحقيقة كانت نتائج عملهــم هــذا على غير ما كانوا يتوقعون . ولقد اقتبست هنا فقرة لازعة من مقالة بقلم الزبيث هكسلى البريطانية المــولد والتى تدعى ((بأنها افريقيــة)) ، وكانت قد كتبت هذه المقالة فى يونيو سنة ١٩٦١ فقالت :

((لمــا كانت جــذور الافــريقى قد نمت وترعرعت بين أحضان القبيلة والعائلة ، فقد

أصبح انطوائيا ، مدافعا عن نفسه ، تقوم حياته على أنماط متشابكة من القرابة والمصاهرة . وهذا الشكل من الحياة ييسر له الحماية من عالم دائم العداء له ، ينذره بالاخطار .. ولهذا فهو يتحاشى المسئولية التي يحاول أساتذة المدارس فرضها على الطلبة ، والتي يحاول الجيش فرضها على الضباط ، والتي تحاول الصناعة فرضها على المديرين : أي انه يتحاشى كل ما يجعله يدين بالولاء لقانون أو فكرة معينة ، لانه كرس ولاءه لأناس من دمه ولحمه » .

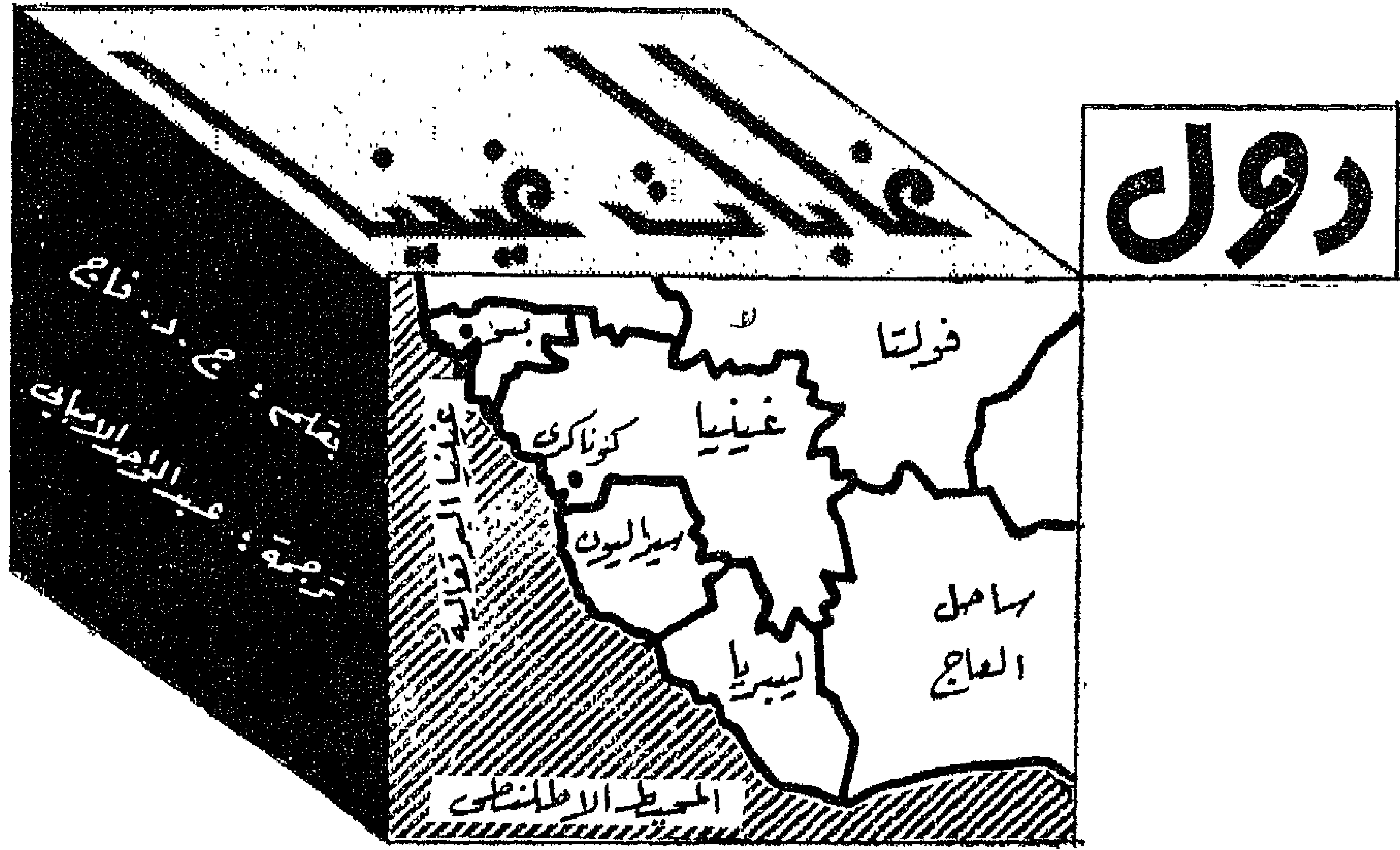
« انها شخصية يغزيها ويتحكم فيها أرواح لا تفرق بين الاشباح والرجال ، ولا يقوم قانون العلية عندها على أساس منطقي بل على أساس من القوى الطبيعية الغامضة وقوى الشر الانسانية ، ولا يقاس الناس بنتائج أعمالهم بل بما هم عليه ، واذا أرادوا ان يرضى عليهم المجتمع فعليهم أن يقدموا له ما يتطلبه منهم من تضحيات . ونقاس أهمية الحياة الانسانية بالنجاح الذي يحرزه الفرد داخل نطاق العائلة والعشيرة ، أما الحياة الانسانية في حد ذاتها فلا تزيد أهميتها عن حياة فأر أو فيل . أما الله يعيش منعزلا عنهم ، ولا يكلف نفسه بتخليص البشر مما علق في نفوسهم . ولهذا فمن الحكمة أن يلهو الانسان ويرقص ويغني مثل الطيور في السماء غير مبال بما سيأتي به الغد ، وبما يخبئه له المستقبل ، ذلك لان الزمن خادم للانسان وليس سيدا عليه » .

« ويكمن في هذه الشخصية الكبرياء والعاطفة ، ولقد تجسم هذان العاملان في زعيم يلبس عقدا من الخرز المذهب يحوطه وزراؤه ورجال بلاطه ومحظياته ، ويقدم أمام هذا الزعيم تضحيات قد تبلغ الآلاف من العبيد . انها شخصية تحب الالوان والزينة ، وتحب الانسان الذي يقلدها . انها تحترم الثروة ولا يستبد بها الورع والتقوى .. ولا تجد فيها بالمرة أسس النقاء النفسي وطهارتها مما علق بها من شرور ، بل ان الكثيرين لا يفهمون ما هي طهارة النفس ونقائها . وقد يكون الاعتدال مقبولا الى حد ما الا ان انكار الذات لا يقبله العقل بالمرة . ويندر ان يستنكر القانون الاخلاقي الشهوة والطمع والجشع والقسوة والكبرياء والعبودية وان كان لا يقبل الخيانة والسحر والغش وعدم الوفاء بالوعد . انها شخصية تحترم كبار السن وتعطف على الاطفال وتنزل من مكانة النساء ولا تساوي بينها وبين الرجال . انها شخصية كهنوتية ، عديمة الرحمة في معظم الحالات ، متأنقة في أسلوبها ، مغرمة بالنقاش والمجادلة » .

« انها شخصية تضع السلوك في منزلة أرفع من المبادىء ذاتها وتنكر الذات والفردية في سبيل العائلة ، وتضحي بالانسانية في سبيل الجنس والقبيلة . انها شخصية تستجيب لمشاعر القرابة جاهلة دائما بنتائج الافعال ، شخصية يمتلىء قلبها بالزهد العميق الذي تفرس جذوره الديانة المبنية على الخوف من المجهول والخوف من النمل الأبيض . ذلك النمل الذي تمتلىء به التربة الافريقية ، وهو ينهب دائما كل ما تحتويه ويهدم كل ما يبنيه الانسان عليها ولا يترك منه شيئا . فالقباب العالية التي تلامس السحب أو القصور الفخمة قد هدمها هذا النمل . اذن فما فائدة المحاولة مرة ثانية ؟ ولا يمكن لأية قوة على ظهر البسيطة أن ترغمهم على بناء قباب أخرى الا قوة واحدة فقط ، انها قوى السحر اللعين ! ولهذا لا نجد أثرا للتاريخ الافريقي القديم لان الحشرات قد فتته وأكلته وتركت روحه داخل صدور النمل الأبيض » .

وتكشف المس هكسلى شيئا أكثر من هذا في الشخصية المركبة التي تحاول تفسيرها ، فتقول أن بعض نواحي هذه الشخصية تبعث السرور والأمل الى قلب القراء الغربيين الذين يتميزون باللطف والفهم .

دول غابات غينيا



حين ننظر نظرة عامة لتاريخ غينيا ، وأعنى بها منطقة الغابات الجنوبية غربى افريقيا ، حين ننظر الى تاريخها خلال الفترة التى تمتد من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر تبرز على الفور حقيقتان واضحتان أولاهما هى أن هذه الفترة كانت فترة تجارة رقيق الاطلنطى ، وهذا الجزء من أفريقيا هو الجزء الذى جاءت منه أغلبية الافريقيين الذى أخذهم الاوربيون وذهبوابهم الى أمريكا للعمل فى مزارعها .

ويقال ان تجارة الرقيق هذه نقلت الى أمريكا عددا من الرقيق يتراوح بين خمسة عشر مليونا وعشرين مليونا ، ومن المحتمل أن يكون عشرة ملايين أفريقى على الاقل من هذا العدد قد تم نقلهم من سواحل غينيا وحدها ، خلال فترة ربما امتدت مائتى عام ابتداء من حوالى عام ١٦٤٠ فصاعدا .

ولقد كان هذا الوقت هو الزمن الذى ازدهرت فيه فى هذه المنطقة عدة ممالك يمكن مقارنتها من حيث عظمتها بالامبراطوريات العظيمة الاولى التى قامت فى منطقة السودان الغربى .

وأحب هنا أن أذكر شيئا سريعا عن أربع دول من هذه الدول ، وأعنى بها امبراطورية شعب اليوروبا المعروفة باسم امبراطورية أويو ومملكة بنين ، كانت كل من هاتين الدولتين تحتلان ما يعرف الان باسم « نيجيريا الغربية » ثم مملكة داهومى التى أعارت اسمها للدولة الحديثة بهذا الاسم ، أما الدولة الرابعة فهى دولة أشانتى التى لايزال موقعها قائما حتى الان الى أقصى الغرب فيما يعرف الان بجمهورية غانا .

وليس معنى هذا أن هذه الدول الاربع هى فقط الدول الافريقية التى قامت فى « منطقة غينيا » ، بل ان هناك دولا هامة أخرى ازدهرت فى نفس هذه المنطقة ، وفى نفس هذه الفترة أيضا ، ومن بينها مثلا دولة « اكوامو » الا أن مما لا شك فيه أن هذه الدول الاربع كانت أعظم دول غينيا على الاطلاق ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن تجارة الرقيق لعبت دورا تدميريا فى تاريخ هذه الدول ، فقد كانت السبب فى تحطيم دولة « بنين » ، كما كانت عاملا مساعدا أدى الى انهيار امبراطورية « أويو » .

ويحدثنا واحد من أوائل الذين كتبوا وصفا لهذه الدولة ، وهو الرحالة البرتغالى « باتشيكوبيريرا » عن وجود مدينة ذات

أسوار يبلغ طولها ثلاثة أميال ، وهي عاصمة لملكة تحتل مسافة تمتد من الشرق الى الغرب حوالى مائتين وخمسين ميلا ، يقول : ان هذه المملكة كانت فى حالة حرب مع جيرانها ومن ثم كان يتوافر لديها عدد كبير من الاسرى مما كان تجارة رابحة يقوم بتسويقها البرتغاليون .

وقد كان السبب الظاهرى لنشوب مثل هذه الحروب ، وحدوث مثل هذا الانهيار والتصدع لمدينة « بنين » هو قيام المنازعات حول العرش ، ولكن الاسباب الحقيقية قد تكون بسبب أن الجماهير قد انتشر بينها نفور متزايد من استمرار الحملات الحربية ، فقد استقلت بعض المناطق الامامية فى امبراطورية « بنين » ومنها « لاجوس » وربما كان تزايد قوة امبراطورية « أويو » سببا آخر فى انهيار « بنين » .

على أنه سرعان ما أصبح من الضرورى وضع حدود معينة للتخوم التى كانت تشترك فيها « أويو » مع « بنين » .

أما « داهومى » فقد استهلت حياتها كدولة فى مجموعة الدول الصغيرة وأقصد بها دول « الفون » و « الادجا » والشعوب المتصاهرة الاخرى ، ولما كانت هذه الدولة قد قامت أصلا كرد فعل للهجوم الذى كانت تتنه أمبراطورية « أويو » فان الاتحاد المعروف باسم اتحاد الاشانتى قد شهد نور الوجود فى أواخر القرن السابع عشر فى منطقة الغابات هذه .

ولربما كان من الغباء أن نفترض أن نمو هذه الدول العظيمة انما كان يرجع أساسا الى رغبتها فى احتكار الرقيق ، فان أصول شعوب كل من أشانتى وداهومى توضح أهمية ومغزى العوامل السياسية المحلية ، ويمكن أن نفترض أن هذه العوامل أيضا قد كانت لها كذلك أهمية عند شعوب كل من مملكتى « أويو » ، « بنين » ولابد أنه كان لهذه الدول الاربع أيضا جذور حضارية وايديولوجية .

واذا كنا اليوم ننظر الى ما كانت تفعله هذه المنطقة من تصديرها لابنائها الى الخارج على أنه عمل غير انسانى ، فان علينا أن نتذكر أن بريطانيا فى خلال القرن التاسع عشر حين كانت فى أوج قوتها فعلت ذلك أيضا حيث أرغمت عددا لايقل عن تسعة عشر مليونا من المواطنين من أبنائها على الهجرة عبر البحار فى ظروف لم تكن بحال من الاحوال أحسن ولا أسعد من الظروف التى نقل فى ظلها رقيق غربى أفريقيا .

ومع هذا فليس مما يدهش أن نعرف أن التوسع التجارى فى أسواق غينيا خلال القرنين ١٧ ، ١٨ قد ساعد على نمو امبراطوريات غينية جديدة ، لم تكن كسابقتها من دول السودان الغربى تتجه فى اقامة أسسها الاقتصادية لتدعيم ثرواتها وقوتها على منطقة الشمال تجاه الصحراء .. بل كانت هى تتجه الى الجنوب ناحية الاطلنطى .

« ترجمة عبد الواحد الامبابى »



سد كاريبا ومستقبل روديسيا

بقلم : لطفى المطيعى

بانتهاء عام ١٩٦٣ تنتهى المرحلة الاولى من مشروع سد كاريبا العظيم .. وان كانت حكومات المستوطنين البيض ومعها بريطانيا تتشدق بهذا المشروع وتعتبره رمزا لما يسمونه الانسانية التى قامت فى افريقيا تحت ظل الرجل الابيض .. فاننا على العكس من ذلك ننظر بفخر الى أيدى عشرة آلاف رجل افريقى تعمل ليل نهار ليرتفع هذا السد الشامخ على أحد أنهارهم العظيمة وبأموالهم التى سرقها الرجل الابيض طوال الازمنة الماضية بوسائل يندى لها جبين الرجل المتحضر .

ومشروع سد كاريبا يتكلف حوالى ٣٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار .. وهنا نرى ظاهرة يجدر التعليق عليها ، اذ أن البنك الدولى للانشاء والتعمير قد أسهم بقرض قدره ٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وهو أكبر رقم خصصه البنك لمشروع واحد .. فى حين أن البنك ذاته أحجم عام ١٩٥٦ عن الاسهام فى تمويل السد العالى على أرض النيل الخالد .. وكان هذا الموقف استهلالا لازمة عام ١٩٥٦ المعروفة بيننا وبين الدول الرأسمالية .. والسبب فى هذا واضح ومعروف يفضح رضاء بريطانيا عن حكومات البيض المستوطنين الذين يباشرون القهر والاستغلال والتفرقة العنصرية ضد الرجل الاسود فى الروديسيات .. وارتباط حكومات المستوطنين بالنظام الرأسمالى عامة .. هذا فى حين وجود حكومة وطنية فى مصر وقتذاك تحارب الاستعمار لا فى بلادها فحسب بل على نطاق القارة الافريقية .. ومن هنا اشتد ضغط الدوائر الرأسمالية على البنك الدولى ليحجم عن الاسهام فى مشروع السد العالى بمصر ، ويوافق على الاسهام فى مشروع سد كاريبا .

ولقد جادت الطبيعة الافريقية بسخائها المعروف على سد كاريبا سواء فى موقعه أو فى جمال الطبيعة التى تحيط به بحيث يمكن أن تكون منطقة سياحية من الدرجة الاولى الى جانب التطورات الاقتصادية التى من شأنه أن يعكسها على روديسيا والمنطقة بأسرها . وقد سجلت الكاتبة الامريكية « جوينر ولين كارتر » صورة قلمية رائعة الحسن لرحلتها حول سد كاريبا ننقل منها فقرات لانها تقرب الصورة الى الذين لم يشاهدوا سد كاريبا أو بناء أى سد آخر .. تقول :

دارت بنا الطائرة فوق سالسبورى .. وقد شاهدت أن المدينة قد تغيرت كثيرا منذ أن رأيتها عام ١٩٤٩ .. وكان مبنى الحكومة يرفل فى الاضواء من أسفل الطائرة .. وفندق مايكل قدأضاف لنفسه بعض الاجنحة الجديدة عما كان من قبل .. ثم اندفعت الطائرة صوب الشمال .. الى كاريبا .. البقعة التى أخذ اسمها يحتل أهمية خاصة .. وكانت الاشجار المتشابكة تغطى جزءا كبيرا من هذه المسافة حتى يظهر أول الطريق الى كاريبا .

وطرنا على طريق تغطيه الاشجار .. ومن تحتنا البحيرة .. بحيرة من المياه المنسابة والاشجار تناثرت هنا وهناك وسط المياه كالقوارب التى تشرف على الغرق .. ولكننا الان نستطيع أن نشاهد المضيق الضيق حيث يندفع نهر زمبيزى بين جانبين من الصخر ..

وهنا يقوم سد كاريبا العظيم . يا له من سد شامخ .. ومنظر المياه غاية فى الروعة .. ان السد يصل بين تلال الجانبين ويتشبث بها تشبثا عنيدا .. وتتناثر المبانى تطل عليه من الجانبين .. ودارت الطائرة فوق السد

وتمكنا من أن نرى من الداخل العيون الثمانى التى يتدفق منها حاليا نهر زمبيزى .. ومن هذه العيون يتدفق مثل نصف كمية المياه فوق شلالات فيكتوريا والى أسفل السد ، يندفع نهر زميزى على تلال جرداء وتسطع

المياه البيضاء الى مسافات بعيدة .. واكراما لنا .. سمح لسيارتنا بان تصل ولاول مرة الى مقدمة السد .. وشاهدنا أكبر قوة لتوليد الطاقة الكهربائية .. ويا لها من قوة هائلة ستغير حياة المنطقة بأسرها .

هذه هى الصورة القلمية التى قدمتها كاتبة حول سد كاريبا .. وهى صورة اهتمت بجمال

الطبيعة والماء الرقراق وخلفية الصورة التى وهبتها الطبيعة لسد كاريبا .. ولعل ما يشوه هذه الصورة اذا عرفنا أن هناك أكثر من ٥٠٫٠٠٠ شخص من قبائل القونجا أرغمهم

البيض على أن يتركوا منطقة السد دون تعويض ودون اهتمام بشئونهم ودون رعاية لماشيهم . فهاموا على وجوههم فى الوادى

يصارعون حيوانات المنطقة التى هامت هى الاخرى على وجوهها أمام زحف مياه السد وأمام العمليات الصناعية التى يستلزمها

انشاء السد . ونحن ندرك بالطبع أن مصالح جزء من البشر لا ينبغى أن تكون عائقا أمام مصالح الغالبية .. الا أننا ندرك أيضا ، أن

هذه الاغلبية التى تنشىء وتقيم السدود من أجل سعادتها عليها واجب تدبير ظروف معيشة لهذه الاقلية التى اضطرت أمام التقدم والتطور أن تغير من أسلوب حياتها وأن تترك

أماكن اقامتها .. وهذا ما فعلته حكومة الجمهورية العربية المتحدة ازاء سكان النوبة الذين كان عليهم أن يغيروا أماكن اقامتهم ازاء تطور العمل فى السد العالى .. فان حكومة

الجمهورية العربية المتحدة قد أقامت لهم القرى الجديدة النموذجية وبنفس أسماء القرى القديمة وأدخلت عليها كل وسائل الراحة والمعيشة المتحضرة ، وأشرفت على

انتقالهم وتعويضهم ، وتمت أكبر عملية هجرة منظمة تشهد برعاية المسئولين للجميع على السواء دون استثناء .

ويقدر الخبراء أن المياه خلف سد كاريبا ستغطى مسطحا تزيد مساحته على ضعف مساحة جزيرة رودس .. وهذا يستتبع سياسة زراعية طويلة الامد تستهدف أمرين رئيسيين :

الاول : التغير الحاسم فى سياسة ملكية الاراضى .. اذ أن البيض وهم أقلية ضئيلة بالنسبة لمجموع السكان يستأثرون بغالبية

مساحة الاراضى .. ليس هذا فحسب بل انهم يستحوذون على أجودها .

الثانى : ادخال زراعات جديدة تتفق وبيئة المنطقة وعدم الاكتفاء بما يزرع أوينبت تقليديا فى المنطقة .

وكما قال « فيليب ماسون » الخبير فى شئون روديسيا ونياسالاند أن أى سياسة زراعية يجب أن تستهدف فى المحل الاول صالح الافريقيين اذ أن الارض أرضهم والبلاد بلادهم

وهم يكدون فيها لصالح الرجل الابيض . ولا عبرة هنا بما يردده غلاة المستوطنين البيض من أن السد فكرتهم الخالصة ، ولا عبرة بالدعاية التى يروجها الاستعماريون من أن بريطانيا اشتركت فى تمويل السد .. وان تطور المستوى الخلقى على النطاق العالمى

أصبح يجبر الذين نهبوا خيرات افريقيا على أن يسهموا فى تطويرها .. فالمستوطنون البيض وفدوا على روديسيا ونياسالاند شراذم من هنا وهناك ولم يكن غرضهم على الاطلاق سوى نهب خيراتها والاثراء بامكانياتها المدفونة فى أرضها ، كذلك أصبحت النظرة بالنسبة

لواجب الدول الاستعمارية ازاء الدول التى استعمرتها .. فعليها أن ترد بعض الدين الذى فى عنقها ازاء الدول الافريقية .

وسد كاريبـــا سوف يولد طاقة أكثر من ضعف مايولده خزان كولى العظيم فى الولايات المتحدة .. ويولد طاقة أكبر من سد جيجا حيث يجرى النيل الابيض من بحيرة فيكتوريا .. وبهذه الطاقة الضخمة سوف يسهم سد كاريبا فى مشروعات صـــناعية بروديسيا .. ومن المعروف أن الروديسيتين تزخران بالمعادن وبالمواد الاستراتيجية .. وانسياسة التصنيع هذه تستلزم اقامة معهد للسد ، يقوم أساسا على تدريب أبناء الافريقيين ليخلق منهم جيلا ماهرا فى المجال الصناعى .

ثم نأتى الى موقع السد حيث يقع أمامه الكوبرى الذى يربط بين روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية .. والحقيقة أن موقع السد ذاته يحتاج الى مناقشة ، لا من الناحية الفنية ، ولكن من الناحيـــة السياسية التى يريد الاســـتعمار وحكومات المستوطنين أن تقحمها على الموضوع .. فالسد من الناحية الرسمية يقع فى حدود روديسيا الجنوبية ، الا أنه فى مجال التطور الذى سيخلقه ستتأثر به المنطقة بأسرها .. وهنا استغلدعاة الاتحاد الفيدرالى بين روديسيا الجنوبية والشماليـة ونياسالاند سد كاريبا فى ضرورة تدعيم الاتجاه نحو الاتحاد الفيدرالى .. على اعتبار أن سد كاريبا يقع فى منطقة وسط بين روديســـيا الشمالية وروديسيا الجنوبية وان عائد السد يجب أن يدعم الوضع الاقتصادى فى الاتحـاد بأسره ..

ومن المعروف أن نياســـالاند البيض فيها أغلبية ضــــئيلة واستطاعت الحركة الوطنية الافريقية أن تحتل مكانا يســـاعدها على أن تباشر مقدرات بلادها . ولم يأبه الوطنيون الافريقيون بصراخ دعاة الاتحاد الفيدرالى بأن نياسالاند فى حاجة الى الامكانيات الاقتصادية الموجودة فى روديســـيا الشمالية ورديســـيا الجنوبية .. وقد اعتبر « هاسينج باندا » سد كاريبا كســـبا حقيقيا للمنطقة الا أنه لا يمكن أن يكون مبررا على أى وجه من الوجوه لتأخير استقلال نياسالاند .

ويشهد العالم اليوم موجة من الاضطهاد العنصرى من جانب المســـتوطنين البيض فى روديسيا الجنوبية للحركة الوطنية الافريقية وهذا دليل كاف على أن استغلال سد كاريبا فى الدعاية للاتحاد الفيدرالى من جديد لن تكون نتيجته الا استغلال البيض لعائد السد ما داموا هم الطبقة المتسلطة فى الاتحـاد ..

والحـركة الوطنيـــة الافريقيـــة سواء فى الروديسيتين أو نياسالاند لا تقف فى وجه فكرة الوحدة بشكل مطلق وانما هى تربط بوعى كامل بين الوحدة والتحرر من الاستعمار .. فلا معنى لوحدة شكلية تحت سيطرة الاستعمار أو تحت سيطرة فئات بيضاء عنصرية .. وكما أوضح « فيليب ماسون » المسألة الرئيسية وهى نوع الســلطة .. فسواء استغل بعض البيض سد كاريبـــا أو اســـتغلوا دعاوى اقتصادية أخرى .. المسألة الرئيسية هى نوع السلطة .. فى يد من ولصالح من ؟

والذين يستغلون مشروع سد كاريبـــا لمصالحهم التوسعية يقولون ان المناطق الثلاث أى روديسيا الجنوبية والشمالية ونياسالاند امكانياتها مشتتة وخيراتها مبعثرة .. وهى فى حاجة الى نوع من الوحدة الاقتصادية .. وهذا القول قد يبدو صحيحا من الناحيـــة المظهرية .. ولكن مرة أخرى هـذه الوحدة الاقتصادية لصالح من ؟

ويســـهم الافريقيون باخـلاص فى بنـــاء سد كاريبا .. ويسهمون باخلاص أيضـــا فى وقف الطغيـــان الابيض .. وان اليوم الذى ستتحرر فيـــه مناطق روديسيا لقريب .. ووقتـذاك يمكن مناقشـــة نوع من الوحدة المتحررة من النفوذ الاستعمارى ، والبعيـدة عن سيطرة المستوطنين .. ووقتذاك تسير الى جانب دعوى الوحدة .. دعوى البناء والتعمير

((لمعي المطيعي))



الثروة الحيوانية في افريقية

عن الفرنسية ترجمة: محمد شريف

تضم القارة الافريقية ثلاث مناطق حيوانية من افريقية الشمالية حتى مدار السرطان ، موطن حيوانات المنطقة الشمالية وحوض البحر الابيض المتوسط (الجزائر ومراكش والصحراء) ثم منطقة مدغشقر وتشمل جزيرة مدغشقر وجزر المحيط الهندى ،واخيرا المنطقة الحبشية وتشمل جزء القارة الموجود فى جنوب مدار السرطان . ويتميز هذا الاقليم بالفصائل الحيوانية ذات العنصر الافريقى المميز . كما أن الاقليم الحبشى بالذات ينقسم بدوره الى مناطق فرعية منها المنطقة الافريقية العربية وتشمل منطقة الاراضى البور ، ثم المنطقة الغربية الافريقية فالمنطقة الجنوبية الافريقية . ولا يقصد من هذه التقسيمات العلمية الانفصال التام بين تلك الاقاليم وبعد التشابه فيما بينها ولكن هناك تقاربا فعلا فى نواح عديدة اذ تغطى أحيانا هذه الاقاليم جميعها دفعة واحدة وقارة أخرى تخضع لعوامل التعرية كما انها تتغير كذلك تبعا للنباتات التى ترزع بها وظروف المناخ التى تعتريها . فمنذ خمسة او ستة الاف سنة مثلا كانت الصحراء القاحلة الجرداء مغطاة ببساط سندسى اخضر وتغمرها الترع والمستنقعات وتجرى فيها القنوات والانهار ذات الفيضانات الموسمية التى تهبط غزيرة وفيرة فى جميع الاتجاهات من مرتفعات «الحوجار» التى كان يسكنها فيما مضى قبائل «التوارق» كما كان أيضا حدود الاقليم الحبشى تقع عند خط تقسيم مياه « الاطلسى » . وهو عبارة عن سلسلة من الجبال المتاخمة لبعضها وتربط فيما بينها مراكز والجزائر وتونس . وكان يعيش عند المنحدرات القبلية لهذه المرتفعات عدد كبير من الفيلة والتياتل والزرافات ، عدد وفير للغاية ، وتؤيد ذلك النقوش الصخرية التى تحملها آثارنا الافريقية وتوضح لنا بالتأكيد صدق هذا القول .

كما يقال أيضا علاوة على ما ذكر ان الفيلة فى عصر الرومان كانت تسير حرة طليقة على بعد خمسة عشر كيلو مترا من جنوب « قرطاجة » التى أصبحت فيما بعد عاصمة كبرى لجمهورية بحرية عظمى عند مرتفعات « ابو قرنين » . وظلت سلالات هذه الفيلة

المستأنسة تعيش فترة طويلة فى الغـــابات الكثيفة المليئة بالاشجار المنتجة للصمغ فى سهل « طحا » حيث يوجد حتى الان الثعبان الاسود الفتاك ذو النظار وكذا الحية المقدسة التى كانت لها منزلة خاصة عند قـــدماء المصريين .

يجب أن نجوب الان الصحراء باكملها أو لمسافة تنوف عن الفى كيلو متر من الشمال الى الجنوب حتى نستطيع ان نلتقى باول أثر للزراعة المستديمة التى تتم على مدار السنة وهى نباتات تسمى الســـاحل أو « الكرام كرام » واذا ما سقط المطر لبضعة ايام فقط بعد سنتين او ثلاث سنوات من التحاريق والجدب والجفاف ، نجد أن ارض الصحراء تمتص فى الحال كمية المياه اللازمة لها لكى تتنشط المزروعات وتتنمى ، كما نجـــد أن الحيوانات التى تعيش فى تلك البقاع مثـــل « اليربوع » و « الفأر النطاط » و «ابن اوى» و «التيتل» و «الرئم» و «مواشى التوبو» و « انغام الطورق » وقطيع القبائل العربية تأخذ فى الانتعاش والظهور وتبدو عليهـــا الحياة والحركة . كما نجد فى نفس الوقت ان الجراد يتوالد ويفقس ويتكاثر ثم يظهر فى شكل جماعات كبيرة حتى تسد قوافله عنان السماء وتكون مجموعاته سحبا كثيفة تحجب نور الشمس وتسير فى الكون زرافات باحثـــة عن غذاء لها ، هالكة ومدمرة كل ما تجده فى طريقها

ان الحياة لم تغب عن الصحراء طالما يعيش فيها الانســـان . ان بها ما ينوف على الخمسين واحة وما يزيد على اثنتى عشرة قرية جبلية فى « تاسيلى » و «الحوجار» و «يتبستى» فى شمال النيجر و «عنيدى» وعند تخوم الصحراء الليبية و «مركن بودل» الذى كان فيما مضى خزانا طبيعيا للبحيرات التى تصب اليوم فى بحيرة «تشاد» فى هضبة افريقية الوســـــطى بالسودان . كما نجد ان فى وسط الصحراء بحيرتين عظيمتين مياههما زرقاء هما بحـــيرة «اوانيانجا» . وبحيرة «ياو» . وتعيش فى تلك البقاع ، علاوة على انواع عديدة من الطيور المختلفة الحجم واللون والصفات والعـــادات والتياتل والغزلان وقطيع الأغنام وهى تجوب المراعي وتتغذى على الاعشـــاب وتمرح فى حرية تامة طليقة من كل قيد . كما تجد هناك ايضا الجمال ذات الاصنام والحمير والماعز وفصائل البقر المختلفة وهذه الانواع المتعـــددة من الحيوانات تمتلكها قبائل « التوبو » وهى تسير بها حتى الجيوب الى ان تصل الى المنطقة التى يبدأ عندها « الكرام كرام » .

وهناك نوع آخر نلتقى به فى كل مـــكان الاوهو الارنب الجبلى وكذا الثعلب الصحراوى أما عن الثعابين والزواحف فمنها أنواع عديدة متنوعة لا حصر لها كما يمكن ايضـــا ونحن بصدد الصحراء أن نصيد فيها الاســـماك من مجارى المياه الجوفية . فبمجرد ان تنقى بالشمس فى الماء نجده فى الحال يلتقط سمكة متوسطة الحجم فى الغالب فضية القشرة لذيذة الطعم مفيدة الاستعمال اذ يستخرج من قشره البراق مادة تستخدم فى عمل اللؤلؤ الصناعى كما يوجد ايضا من بين الثروة الســـمكية التماسيح وهى للاسف على وشك الانقراض

اما عن الفيلة فحدث عنها ولا حرج . فهى تحتل فى افريقية مكانا مرموقا . ففى عـــام ١٩٥٨ وجد مدير خزانات « كينيا » مايزيد على ١٢٨٠ هيكلا عظميا لفيلة لم يبلغ بعد سن المائتى عام سوى عدد قليل منهـــا ، وقد وجدت هذه الهياكل فى مساحة لا تزيد عن ٣٠ كيلو مترا × ٤٠ كيلو مترا — تقع بين «غالانا» وبحيرة « تانا » كما يقدر ثمن العاج الناتج منها ، والمتروك فى المصايد المهجورة هنـــاك وليس لها مالك ولا صاحب ، بمبالغ جسيمة اذ يزيد وزنه عن ١٧ طنا . وقد وجد علاوة على ما سبق ذكره ٢٥٠ كيلو جراما من قرون الخرتيت . ومجمل القول فان هذه الغنيمة تقدر على اسوأ الفروض وابخس العـــروض بعشرة الاف جنيه استرلينى .

وبالرغم من انه يتم صيد حوالى ســـتة الاف فيل كل عام بطرق شتى مختلفة غير قانونية إلا انه فضلا عن ذلك كله يبقى فى تلك البقاع عدد من الفيلة يدعو الى الاطمئنان .

والقول بان الفيل يعيش فترة طويلة ويبلغ عمره احيانا مئات من السنين ، قول مبالغ

فيه للغابة ويعد خرافة لا جدال فيها لان متوسط عمر الفيل لايزيد فى الواقع عن ستين عاما . ومهما كانت القوة الظاهرية للفيل فان لحمه المليء المفتول سرعان ما يتفتت بسرعة فائقة عندما يخر صريعا . ولذا بمجرد ان يعلم الافريقيون بنبأ قتل فيل من الفيلة اسرعوا اليه فى الحال ليلتفوا حول هذا الجبل الشامخ من اللحم ويجتمع لذلك أهل القرية جميعا حول هذه الجثة ويقيموا وليمتهم فيلتهم كل منهم بشراهة فائقة من لحم هذا الحيوان الضخم ما يملا به وعاء بطنه

ومن الحيوانات التى انقرضت ايضا انواع العجول التى كانت معروفة عند قدماء المصريين تلك العجول ذات الاحجام المميزة والاشكال البدائية الخاصة والصفات التى من اجلها كانوا يعبدونها . وكذلك انقرض نوع البقر ذو القرون الطويلة الذى كان موجودا فيما مضى فى سهل شرق افريقية ، فهذه الفصيلة البقرية الطويلة الذى كان موجودا فيما مضى فى سهل شرق افريقية ، فهذه الفصيلة البقرية اصبح لا اثر لها الان فى الوجود . وقد حل محلها فى وقتنا هذا عدد كبير من البقر الاليف المتنوع الاجناس الاحجام ويمكن فى هذا المقام ان نضيف الى تلك الفصيلة البقرية الموجودة حاليا « البقر الهندى » ذو السنام الواحد او السنامين احيانا للتقارب التام فى أوجه الشبه .

وقبل ان نختتم الفقرة الخاصة بالحيوانات التى انقرضت من على سطح الارض نود الاشارة الى الخروف المتوحش الذى اصبح لا وجود له الآن . ولولا تدخل مؤسسات رعاية الحيوانات وجمعيات الرفق بالحيوان لقضى الصيادون منذ وقت طويل على الثروة الحيوانية الموجودة فى العالم .

ان للحيوانات المتوحشة حدودا خاصة لا يخترقونها وأقاليم مميزة لا يخرجون منها ومقاطعات غريزية لا يتعدونها فلا يعتدى أحد على حدود الآخر ولا يخترق مجاله التخطيطى بأى حال من الاحوال بل يحافظ بحاسته القوية على فواصله وحدوده محترما فى نفس الوقت حدود سواه . واذا ما نظرنا الى الغابة من خلال منظار مكبر نجد ان كل نوع من انواع الحيوانات يعيش فى حرية تامة داخل اطاره المرسوم ونطاقه المحدود دون ان يتعداه الا لظروف خاصة . ومن بين هذه الحيوانات التى تحرص على ان تعيش فى نطاق محدود « فرس البحر » فانه سرعان ما يحدد لنفسه مكانا يخططه بعلامات يسهل شمها ثم يقذف بمياه من بطنه تخرج منه على شكل نافورة يحدد به الاطار الذى يريد ان يعيش فيه فاذا فرض مثلا واقترب « فرس ماء » آخر صدفة من تلك المياه الاقليمية التى استقر فيها زميله واحس بذلك فسرعان ما يغير اتجاهه ليبحث لنفسه فى الترع او الخلجان المجاورة عن مكان يخططه لنفسه .

ولكن الاسد له تقليد آخر مغاير تماما لهذا التقليد فهو يعيش فى كل مكان فنجده وحوله أفراد عائلته على طول الطرق التى تؤدى الى الخزانات والتى تخترقها ولا يفوتنا ونحن بصدد الاسود أن نشير الى أن الاسد المراكشى والجزائرى وأسد الكاب قد انقرض نوعه . الا اننا نجد ان الاسود تنتشر وتتكاثر فى وسط افريقية وفى غينيا وفى تنجانيقا وفى جنوب الحبشة وفى المنطقة الاستوائية وهى على كثرتها هذه لا تأتى بأذى بل تجدها دائما يبدو عليها الضيق والملل .

وهناك نوعان آخران من الحيوان لم يكن من الميسور مشاهدتهما بسهولة الا وهما « الغوريللا » و « الشامبنزى » . ان هذين النوعين من الحيوان موجودان فى « ساحل العاج » وفى « الغابون » وهى منطقة مليئة بالغابات الكثيفة . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى النهر الافريقى الذى يجرى فى المنطقة الاستوائية ويصب فى المحيط الاطلنطى

اننا نجد ما ينوف عن ألفى زوج من « الغوريلا » تعيش فى « الكاميرون » وفى اقليم « غابون » كما وان هناك حوالى الف زوج آخر يعيش فى الجبال المجاورة لبحيرة « كيفو » لم تهددها الابداه ولم تتعرض للانقراض . ان ثمن « الغوريللا » غال جدا يبلغ احيانا مئات الدولارات لانه من الصعب صيدها واسرها . وبسبب توقيع المعاهدة

الدولية بشأن « الغوريللا » لم يخش على هذا النوع من الانقراض . فقد اصبحت الغوريللات تعيش فى هدوء دون أن تمتد أيدى الصيادين اليها اللهم الا بعض الغوريللات الصغيرة فقد اختطفت وهربت خلسة الى امريكا لتغذى السراكى الموجودة هناك . مع العلم بأنه ليس باليسير صيد الغوريللا فهى صعبة المنال ولكى يستطيع المرء الحصول على صورة لها وهى واقفة على غصون الاشجار لا بد له من استعمال نظارة ذات ابعاد طويلة وآلة تصوير خاصة ذات عدسات مخصوصة .

اننا نعود فنقول ان الغوريللا تعيش بالقرب من الادغال والاحراش ليسهل عليها الحصول على غذائها الرئيسى وهو « الافراموم » وهو نوع من الفاكهة ذات اللون الاحمر .

أن الغوريللا فى حياتها حرة طليقة تتنقل على سجيتها من مكان الى آخر كما يطيب لها الا ان انثاها اذا ارادت ان توضع صغيرها فلا بد أن تعد له عشا عند تقابل فروع الشجر وتستقر فيه لتؤدى وظيفتها . اما الذكر فيعد لنفسه اريكة من الاوراق الذابلة ثم يجلس فوقها متخذامن جذع الشجرة مستقرا له ، واذا ما اراد النوم اسند ظهره على الشجرة وذهب فى ثبات عميق .

ان للغوريللا نفس حاسة الشعور بالتواجد فى المنطقة او المقاطعة الخاصة بها مثل سائر الحيوانات الاخرى التى سبق ان تكلمنا عنها من قبل لذا نجدها دائما تحتفظ لنفسها بالضفة اليسرى لاقليم « اوبابنجى » فى جنوب « ليبنج » بينما تحتل « الشامبنزى » الغابات البكر الموجودة فى شرق « ليبنج » .

وقبل أن نختتم الكلام عن الثروة الحيوانية نود أن نشير الى أن هناك أيضا نوعا من الغزال يشبه الى حد كبير الزرافة ويسمى « اوكابى » وهو حيوان فضولى قوامه طويل لم يكتشف الا فى عام ١٩٠٠ وهو يعيش فى « الكنغو » وفى « ايتورى » . أن اكتشاف هذا الحيوان يعد فى حد ذاته بمثابة احساس حى بالكائنات النادرة التى تضمها الطبيعة بين ثناياها . فرغم أن هذا الحيوان من فصيلة الزرافة الا انه يبتعد كل البعد عنها فى الصفات وظروف الحياة . فلا يستطيع مثلا ان يعيش هذا الحيوان فى أوربا فقد حاول كثيرون نقله عدة مرات فلم يلبث أن يموت سواء أثناء نقله أو بعد نقله مباشرة أو بعد فترة وجيزة ولم ينقل من هذا النوع منذ سنة ١٩٠٠ حتى اليوم سوى سبعة عشر رأسا فقط نقلت على دفعات الى مدينة « انفرس » فى بلجيكا الا انها كانت تموت بعد دخولها حديقة الحيوان هناك بفترات متفاوتة .

ان هذا الحيوان ذو القوام المشوق يبدى للناظر له وكأنه يرتدى ثوبا من الشبكولاته يغطى جميع اجزاء جسمه فيما عدا الخصر فهو مخطط مثل الحمار الوحشى باللونين الابيض والاسود .

وفى الختام نود ان نشير الى ان انقراض بعض انواع الحيوانات لم يكن مرجعه الصيادون فحسب ولكن هناك ايضا عوامل طبيعية تكون احيانا سببا فى القضاء على عدد كبير منها فمثلا ثورة بركان « نيجورو » قضت على الكثير جدا من الثروة الحيوانية التى كانت موجودة فى « تنجانيقا » وفى «سرنجيتى» فقد مات على اثر ذلك عدد كبير

اننا نجد ايضا فى جزيرة مدغشقر الخنزير الوحشى و « القط الزباد » و « القنفذ المتوحش » كما ان هناك حيوانات اخرى مختلفة ومتعددة تشبه الى حد كبير الاسود انما لا تعيش ولا تظهر سوى فى الليل فى الظلام الحالك . كما ان جزر مدغشقر مليئة بالحيوانات المائية العديدة والاسماك المتوحشة من حيوان الخرتيت وكثير من الاسود وغيرها من الحيوانات المتوحشة المشهورة بالقوة والبأس .

فالعالم مليء بالعجب والله عز وجل هو الحى الباقى يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير . تقول الحكمة الحبشية :

« لا تعتب على الله لانه خلق النمر ، فالأجدر بك أن تشكره لأنه لم يجعل للنمر أجنحة » .

ضوء على جنوب غرب افريقية

بقلم سان نوجوما
ترجمة انصاف رياض

ان جنوب غرب افريقيا ـ كما يدل عليها اسمها ـ هى المنطقة الواقعة فى ذلك الجزء من افريقيا . وقد كان سكانها من الافريقيين .. قبل غزو المستعمرين الالمان لها عام ١٨٨٤ يعيشون سادة فى بلادهم ، مثلهم فى ذلك مثل أى شعب من شعوب العالم . وقد ناضل الافريقيون فى جنوب غرب افريقيا المستعمرين الالمان بكل شجاعة وجرأة مستخدمين فى ذلك الحراب والاقواس والسهام ولكن تلك الاسلحة لم تصمد طويلا امام اسلحة الالمان وعتادهم الحديث المهلك ، فقتلوا عددا كبيرا من الافريقيين بلا هوادة وانتصروا عليهم فى النهاية .

وقد حارب الملك مانديوم المستعمرين البرتغاليين الذين حاولوا دخول جنوب غرب افريقيا عن طريق انجولا وانتصر عليهم انتصارا باهرا واضطرهم الى التراجع الى ما وراء نهر كونيني الذى كان يكون الحدود الطبيعية بين انجولا وجنوب غرب افريقيا .

وفيما بين سنة ١٩١٤ و سنة ١٩١٧ شنت قوات الانجليز والبوير هجوما عنيفا على مانديوم وجنوده الشجعان أثناء قتالهم مع البرتغاليين فى الشمال . وقد كان الملك مانديوم يحارب قوات المستعمرين المجهزة بالعتاد والاسلحة من الشمال والجنوب الى أن نفدت ذخائره فى النهاية واضطر للاستسلام للرجل الابيض ، لكن استسلامه ـ على أى حال ـ كان استسلام الابطال فقد قتل قواده الاربعة ثم وضع حدا لحياته ومات وشفتاه تنطق بهذه الكلمات : « ان الموت افضل من الحياة فى ظل حكم اجنبى » .

وصاية عصبة الامم

وفى اعقاب الحرب العالمية الاولى انتزعت قوات الحلفاء المنتصرة اقليم جنوب غرب افريقيا من المانيا ووضعته تحت وصاية عصبة الامم . وقد عهد بهذه الوصاية الى اتحاد جنوب افريقيا لادارته وفقا لمبادىء عصبة الامم « وعلى اساس النهوض بالبلاد ورعاية شعبها باعتبار ذلك امانة مقدسة » .

وقد وافق « اتحاد جنوب افريقيا » ، بمقتضى البنود الخاصة فى قرار الوصاية ، على تنمية الحياة الاقتصادية والمعنوية والنهوض بالحياة الاجتماعية للسكان كما وافقت حكومة جنوب افريقيا الفاشيستية على الا يسمح بالسخرة الا فيما يتعلق بالخدمات العامة الضرورية ، وعلى أن يتم ذلك فقط لقاء دفع اجر مناسب .

ومن الشروط التى نصت عليها الوصاية هو الا تقام أية قواعد عسكرية او بحرية فى البلاد وعلى اتحاد جنوب افريقيا ان يكفل للاقليم حرية الفكر وحرية العقيدة . ولكن بدلا من ذلك طبقت حكومة جنوب افريقيا بكل عنف وبدون شفقة سياسة التفرقة العنصرية والتمييز بين الملونين وغير الملونين بجنوب غرب افريقيا المتمتع بالوصاية الدولية .

ولم تحنث حكومة جنوب غرب افريقيا فى الوفاء بالالتزامات التى كلفتها بها عصبة الامم فقط بل انها اقامت ايضـــا قواعد عسكرية فى جنوب غرب افريقيا ، وما زالت نواصل تدعيمها وتسليحها يوما بعد يوم ، وذلك امعانا منهـا فى ارهاب الافريقيين واخضاعهم .

وقد حاولت الحكومة القائمة بكل الوسائل ومساعدة البعثات التبشيرية أن يصبح الافريقيون فى جنوب غرب افريقيا متخلفين فى التعليم . ويبدو واضحا ان هدف الحكومة القائمة من فرض نظام « تعليم البانتو » على الافريقيين هناك هو اقامة نوع من التعليم الضعيف ومحو الثقافة الافريقيـة . وهى ترمى من وراء ذلك الى أن يظل الافريقيون أميين حتى لا يستطيعون المطالبة بالحرية ، والاستقلال لارض آبائهم ، وقد وصف دكتور فيدر — أحد افراد البعثات التبشيرية الفاشيستية — ذلك بايجاز فقـال : « ان تعليم اى افريقى كمثل امر يصدر للرجـل الابيض فى جنوب غرب افريقيـا بأن يذبح نفسه بيده ، بل انه تعدى ذلك قائلا : « ان جهل الافريقى يؤكد بل ويضمن الاستمرار والبقاء لسيادة الرجل الابيض » .

هدف دكتور فروورد : اقامة « مخزن عبيد »

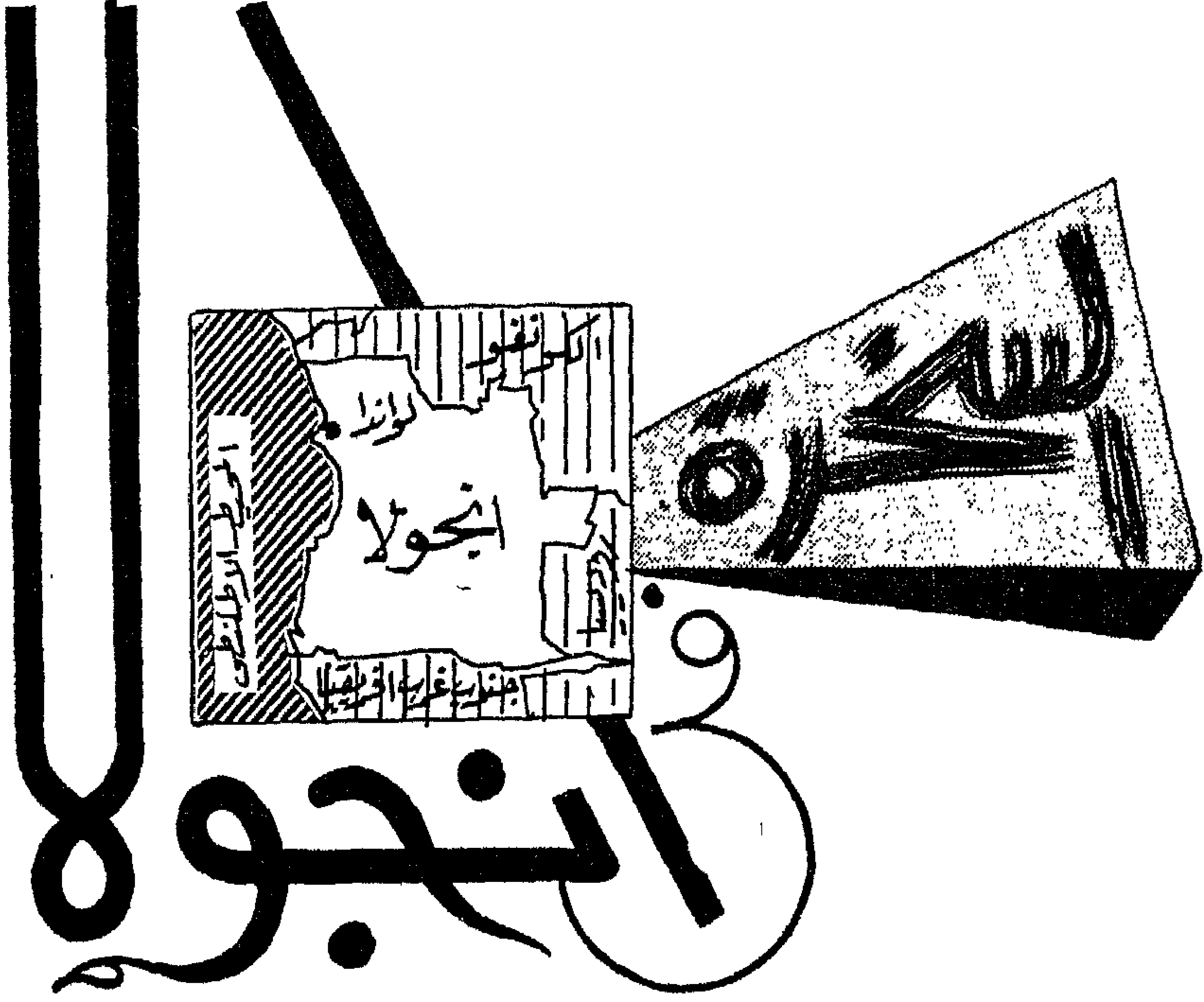
والغـرض من نظـام فروورد فى فرض « البانتوستان » فى جنوب غرب افريقيا ضد رغبات غالبية الافريقيين هو خلق مستودع ضخم للعمال يستمد منه الرجال والنسـاء والاطفال للعمل فى المناجم والمزارع والمنشئات الاوربية الاخرى كعبيد اجراء . فان العمال الافريقيين اليوم فى جنوب غرب افريقيـا لا يحميهم القانون كما هو الحال فى مختلف أنحاء العالم المتحضر .

وقد حكمت اخيرا محاكم غرب افريقيـا على احد الاهالى الافريقيين بالغرامة لقيامه بالاضراب مع رفاقه احتجاجا على ضـآلة اجورهم ، هذا بالاضافة الى ان ما يلقونه من معاملة هى أسوأ من معاملة الحيوانات .

وتلك الظواهر مجتمعة تشير الى ان حكومة جنوب افريقيـا تنكر على الافريقيين أبسط الحقوق الانسانية وانها تواصل ابشع ماعرف من انواع استغلال الانسان لاخيه الانسان .

ان شعب جنوب غرب افريقيا يعـارض بشدة فكرة تقسيم الوطن ، وهم يهبـون مطالبين بضرورة التعجيل بتصـفية ادارة حكومة جنوب افريقيا والاستقلال التـام لجنوب غرب افريقيا بأكملها . واذا مافرضت حكومة جنوب افريقيا « البانتوستان » فى بلادنا ، فعليها ان تتحمل العواقب الوخيمة ومسـئولية ما سيحدث تبعـا لذلك من اضطرابات .

« أنصاف رياض »



بقلم : جاد طه

احتلت أنجولا المكانة الاولى فى بلاط لشبونة بعد تأسيس لواندا فى سنة ١٥٧٦ وبعد حملات « بولو دياز » فى القرن السادس عشر ، وقد قامت البرتغال فى الثلاثة القرون التالية بعدة حملات من اجل تأكيد سيطرتها التجارية هناك .

ومنذ ١٧ ابريل سنة ١٩٢٨ ، عند ما شرع سالازار وزير مالية البرتغال حينذاك فى تكوين الدولة الجديدة Fstads Nous فانه وضع نصب عينيه — كما صرح هو نفسه — أن يعمل على تكوين مجتمع متحد مدعم بالتنظيم الصناعى وبالعمل من « الاجناس الادنى » ، أى ان حجر الزاوية فى سياسة الدولة الجديدة فى البرتغال كان هو اجبار الافريقيين على العمل ، ورغم ما نادت به السياسة البرتغالية كثيرا من انها تعمل على امتصاص أو استيعاب الافريقيين وتحويلهم تدريجيا الى مواطنين برتغاليين ، فان تحقيقها لهذا الهدف تبلور عن استغلال مجهودات الافريقيين بما يعود بالفائدة على الدولة صاحبة السلطان .

وقد ظل العمل همزة الوصل بين الجهاز الادارى وبين سكان المستعمرات ، ويمكننا ان نقسم سكان انجولا الى مجموعتين : تتكون المجموعة الاولى من الوطنيين الخلص والمولدين ، وهؤلاء يشكلون الغالبية الساحقة ، وتنطبق عليهم قوانين التخلف التى وضعتها الحكومة ، أما المجموعة الثانية ، فهى الاقلية الباقية التى تتمتع بحقوق المواطنة وميزاتها . وخوفا من ان تبدو هذه التفرقة القانونية بما لها من دلالات فى شكلها القبيح ، اذا ما تركت عارية مجردة ، فانه كان على البرتغاليين ان يلبسوها حلة من البلاغة الطنانة الزائفة ، وهكذا فسروا مرامى سياستهم تلك بأنها عملية تقريب بين البرتغاليين وبين العناصر المتخلفة كى تصبح فى النهاية جزءا لا يتجزأ

من البرتغال . ويبدو واضحا ايمان البرتغال باكراه الافريقيين على العمل حينما قال مارسيلو كيتانو وزير المستعمرات السابق ومدير جامعة لشبونة حاليا من أنه « من الواجب على الاوربيين أن يقوموا بتوجيه السود فى أنجولا وتشكيلهم فى قوالب .. لان الافريقيين لم يتعلموا كيف يقومون وحدهم بتطوير الارض التى عاشوا عليها آلاف السنين » .

كما تقوم ظاهرة التقدم البشرى فى عرف حكومة سالازار على النظام الصارم والعمل الشاق ، فنجد مثيرا ماقادو وزيرالمستعمرات يصرح فى سنة ١٩٤٣ بانه « من الضرورى ان نوحى فى ذهن الاسود بفكرة العمل حتى يتخلى عن الكسل والخمول ، وذلك اذا أردنا ان نقيم نظاما استعماريا يحميه ! ، فاذا أردنا ان نجعل الافريقى يأخذ بأسباب الحضارة ، فعلينا أن نجعله يؤمن بأن لا حق له فى العيش دون ان يعمل . ان المجتمع المنتج يقوم على العمل المرهق الشاق ، ويجب أن تكون سياسة الامتصاص التى أومن بها سياسة كاملة ، وعلى هذا فمن الضرورى أن تسن قاعدة للسلوك ليسير عليها الاسود ، ولن يكون التهاون مع الزنجى فى شأن ضرورة العمل الا من قبيل العطف الكاذب على الزنوج ! !

وقد أصدرت الحكومة الديكتاتورية وتبعتها حكومة سالازار عدة تشريعات تصحح بها المساوىء الجلية فى نظام العمل فى انجولا ، فقد نص قانون سنة ١٩٢٦ على عدم وجوب تطبيق نظام العمل الجبرى الا لوجه المصلحة العامة . ثم صدر قانون العمل للوطنيين فى عام ١٩٢٨ ، وهو القانون الذى ما زال يتحكم فى العامل الافريقى - انجولا وموزمبيق بعد ادخال بعض التعديلات عليه ، وقد عرف القانون كل مايختص بعلاقات العمل فى المستعمرات ، اما قانون عام ١٩٣٠ ، فقد نص على أن يقدم « نظام عقود العمل للوطنيين على الحرية الشخصية وعلى حق الوطنيين فى الاجور العادلة والمعونة وأن تتدخل السلطات بقصد التفتيش فقط » وقد ترددت هذه العبارة وتأكدت فى ميثاق الامبراطورية سنة ١٩٣٣ وقانون المستعمرات سنة ١٩٥٠ . كما أعلن قانون سنة ١٩٥٤ أن الدولة ستحاول أن تجعل الوطنى يدرك ان العمل عامل لا يستغنى عنه من عوامل التقدم ، ولكن لايجب على السلطات أن تجبره على العمل الا فى الحالات التى ينص عليها القانون (مادة ٣٢) ، كما انه للوطنيين الحرية فى اختيار العمل الذى يريدون القيام به سواء لحسابهم أو لحساب الاخرين (مادة ٣٣) ، ويقوم استخدام الوطنيين فى العمل على كفالة الحرية لهم فى التعاقد والاجر المجزى والمعونة ، وعلى الدولة أن تقوم بالتفتيش على العمل بواسطة أجهزتها المختلفة (مادة ٣٤) .

ومع كل هذا ، فقد كانت هذه التشريعات نظرية بحتة ، وظل العمل الافريقى محور استغلال بشع من قبل الاوربيين .

وبمقتضى قانون ١٩٢٦ ، أصبح « العمل الجبرى » يفرض فقط فى سبيل المصلحة العامة أو الجماعية .. ولتنفيذ احكام العقوبات ، وللوفاء بالالتزامات الاميرية ، وكان هذا يعنى (أولا) انه يمكن اجبار الافريقيين على العمل بزعم تنفيذ المشروعات الحيوية المحلية كانشاء الطرق والمبانى العامة ، و (ثانيا) انه مالم يبرهن الذكر الافريقى على انه يقوم بعمل مفيد للحكومة ، فهو عرضة لاجباره على العمل لمدة ستة شهور لصالحها ، و (ثالثا) أن الافريقى يمكن الزامه بالعمل اذا لم يدفع ضريبة الرءوس المفروضة عليه .

كما نص قانون عام ١٩٣٠ على ان العمل فى انجولا رهن بالارادة الحرة ، وكان الافريقى يخير بين توقيع عقد عمل بنفسه مع مقاول أجنبى أو ان تساعده الدولة على توقيع هذا العقد ، ورغم انعدام الفرق بين الحالتين ، فان الاولى سميت العقد الادارى ، والثانية العقد الالزامى ، وفى كلتا الحالتين كانت المدة تبلغ ستة شهور (باستثناء بعض الحالات كما يحدث فى مناجم الماس ومصايد

الاسماك فى انجولا فكانت المدة هنا تمتد الى سنتين) وكانت كل عقود العمل خاضعة لاشراف الدولة ، ولذلك أنشىء مكتب لشئون العمل للوطنيين ، كان من وظيفته الاشراف على اجراءات التعاقد وظروف العمل .

وكان الذكور فيمـا بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين عرضة للاجبار على ابرام العقـود ، وكان يجب على الافريقى كى يستثنى نفسه منها أن يثبت أنه يشتغل فى مهنة معينة او أن يكون قد سبق أن استخدمته الدولة أو مقاول خاص للعمل بصفة دائمة اوان يكون قد سبق له ان اشتغل لدى الدولة أو مقاول خاص لمدة ستة شهور فى سـنة كاملة وعاد بالربح على أصحاب العمل ، أو يكون قد عمل خلال الستة الشهور الاخيرة فى اتحاد جنوب افريقيا أو فى روديسيا الشمالية أو الجنوبية عملا ينظمه القـانون او أن يكون فلاحا أوفى بكل الشروط التى حددتها تشريعات المزارعين ، واذا فشل أحد من الافريقيين فى تقديم أى من هذه الاثباتات فانه يخضـع لنظام العمـل لدى الحكومة أو يعينوه حتى يبرم عقدا مع مقاول خاص .

كان هذا وما زال هو هدف قانون العمل للوطنيين وجوهره وقد برزت العيوب الكثيرة فى هذا القانون ، هذا بالاضافة الى أن الادارة الاستعمارية فى أنجولا لم تكن تتقيد بنصوص هذا القانون ، اذ كانت المزارع والمصـايد الكبيرة فى حاجة الى رصـيد دائم مأمون من العمـال ويمنح مقاولو الانفـار حق ابرام العقود مع العمال تحت اشراف الدولة بمعدل ١٤ جنيها لكل رأس . وقد حدث أن منـح المقاولون حق جمع ١٨٠٫٠٠٠ رجل فى عام ١٩٥٩ فى أنجولا ، ووصل العدد الى ١٩٠٫٠٠٠ فى سنة ١٦٩٠ ، ورغم ذلك فان الاحصائيات الرسمية تزعم أن عدد المتعاقدين من الافريقيين فى خلال السنتين بلغ ١٢٥٫٠٠٠ فقط .

ويدخل توريد العمال من المناطق الداخلية ضمن اختصاص مدير المديرية ومأمور المركز التابع له ، كما يناط بعمد القرى أن يقدموا عددا معينـا من المقصرين فى دفع الضرائب حيث تبرم معهم العقود ويرسلون للعمل فى أماكن مختلفة من انجولا . وبالطبع نلمح على الفور امكانية الرشوة والفسـاد والاستغلال فى نظام كهذا النظام .

وقد ذاع التقرير الذى أعلنه هنريك جالفاو سنة ١٩٤٧ ، والذى ركز فيه الاهتمام على الجوانب الاقتصادية فى نظام عقـود العمل ، وعلى ماتنطوى عليه من اسـتغلال . وكان جالفـاو حينذاك مفتشا عاما فى المستعمرات ونائبا عن أنجولا فى البرلمان البرتغـالى . وحينما تجاهلت وزارة المستعمرات ما اذاعه جالفـاو عن الفسـاد والعمـل الجبرى ، ألقى خطابا فى الجمعية الوطنية سنة ١٩٤٨ مما أدى الى اعتقاله بعد ذلك فى عام ١٩٥٢ ، فكان أن قضى سـبع سنوات بين السجن والمستشفى ، الى أن استطاع الهرب فى سنة ١٩٥٩ الى أمريكا اللاتينية .

حقيقة لم يأت تقرير جالفـاو بجديد ، الا أن مركز واضعه والمصير الذى لاقاه على يد الشرطة بسببه ، أضفى على التقرير أهمية خاصة . وكان اهتمام جالفاو يتركز على سوء التوجيه الجغرافى لانجولا مما حد من تطورها الاقتصادى ، كما اهتم جالفاو باظهار مساوىء العمل الجبرى التى أدت الى هجرة الافريقيين الى الكونغو ، كما رسم صورا فظيعة لظروف العمل ، وقال ان الدولة نفسها هى المتهمة الاولى فى معـاملتها للعمال الخاضعين لنظام العقود ، كما تحدث عن نظام تجميع العمال :

« ان المشكلة من الصعوبة بمكان ، ولا ينكرها احد ، وهى اليـوم اكثر صعوبة عما كانت بالامس وسوف تكون غدا اصعب مما هى عليه اليوم ، والواقع يقول اننا ادركنا كل هذا منـذ عشر سنوات ، وانه فى غضـون هذه السنوات العشر لم يكن هناك اى اجراء واحد فعال لحل هذه المشكلة ، ولم يكن فى الامكان التوصل الى حل مرض خلال الخمسينات ، ولذلك فان التوسع الحالى فى اقتصاد انجولا وموزمبيق الذى يصحبه ذلك السيل المنهمر من العمال البيض الآتين من البرتغال ، يؤكد لنا ان العامل الافريقى سيظل كما كان دائما مجرد أيد عاملة » .



● تعد انجولا من أقدم المستعمرات الافريقية فقد احتلتها البرتغال سنة ١٥٧٥ عند ما بدأت حملات الاستعمار البرتغالى فى نهاية القرن الخامس عشر وبدأ عصر الكشوف الجغرافية واندفعت كل من اسبانيا والبرتغال فى هذا المجال وقد فتحت هذه الكشوف العصر الاستعمارى واتجهت البرتغال الى سواحل أفريقيا واتخذت من بعض النقط محطات للتزود بالمؤن فى طريق سفنها الى الهند وما لبثت هذه النقط أن صارت قواعد انتشر منها النفوذ والسيطرة الى داخل القارة فأسس البرتغاليون أول مستعمرة لهم بمدخل نهر الكونغو ثم ما لبثت المستعمرات الاخرى أن انتشرت مثل انجولا وغينيا وموزمبيق .

● كانت العلاقة القائمة بين البرتغال وانجولا تحكمها الكشوف الجغرافية وتجارة الرقيق ، وفى سنة ١٥٧٦ أنشئت مدينة لواندا وتكررت رحلات بولودياس توفايس الرائد المشهور فى المستعمرة ، وبعد ذلك تدرجت أهميتها فى المخطط الاستعمارى للبرتغال حتى تساوت مع الكونغو ثم فاقته فى الاهمية فى بداية القرن السابع عشر وذلك عند ما بدأت البرتغال تهتم بها بسبب ماكانت تدره من الرقيق وأخذت تستخدم القوة فى فرض سلطانها على الزعماء الافريقيين .

● وفى الثلاثة القرون الأولى من تاريخ انجولا قامت عدة حروب بين الاهالى والمستعمرين بسبب اتجار بعثات التبشير فى تجارة الرقيق وقد عانت انجولا من الحملات الارهابية التى كانت ترتاد البلاد وتستنزف الموارد البشرية عن طريق تجارة الرقيق الى الحد الذى بلغ حجم هذه السلعة الآدمية أكثر من ثلاثة ملايين زنجى بيعوا لمزارع الامريكتين ، وقد كان لهذه السياسة الدموية آثارها البعيدة المدى والتى تمثلت فى العزلة التامة التى أطبقت على أنجولا وتأصل شعور الحقد والمرارة الذى يكنه سكانها للاوروبيين

ملكة الرقيق :

● وصل ديجوكاو فى رحلته الثانية الى شاطىء انجولا وفى بداية القرن السادس عشر قام تجار ساوتومى بعدة زيارات لجزيرة لواندا ولم تمض سنوات قليلة حتى أرسل زعيم المنطقة الواقعة خلف جزيرة لواندا الى افونسو الاول ملك الكونغو يطلب منه بعثة من التجار ورجال الدين البرتغاليين وقد أدى هذا الى قيام منافسة فى تجارة الرقيق بين كل من أنجولا والكونغو انتهت الى نشوب الحرب سنة ١٥٥٦ بين المغامرين والتجار الاوروبيين فى الاقليمين .

● ثم تتابعت بعد ذلك الاحداث وفى سنة ١٥٦٠ وصلت بعثة يرأسها دياز تتألف من

المنصرين من القسس الجزويت وآخرين من الرهبان تم عادت هـذه البعثة الى لشبونه محملة بالعاج والنحاس والعبيد وهناك أفلح دياز فى أن يقنع البلاط الملكى على تعيينه حاكما لانجولا ومشرفا عليها وذلك فى مقابل أن يقوم بحماية الاراضى التى يتمكن من فتحها وقام بتكوين جيش يتألف من ٤٠٠ رجل ، وقام بنقل ١٠٠ عائلة برتغالية الى انجولا .

● وقد حكم دياز انجولا لمدة ١٤ سنة أسس فيها مدينة لواندا وعددا من القلاع على طول نهر كوانزا وفى هـذه الفترة مد نشاطه الى المناطق الداخلية واشتبك فى معارك دامية مع القبائل الافريقية فقد فيها ألفين من رجاله وقام بمساعدة تجار العبيد على التوسع فى تجارتهم حتى وصـل عدد العبيد الذين صـدروا من لواندا وحدها حوالى ٢٥٠٠ فى هذه السنة ثم ارتفع هذا الرقم الى ثلاثة أضعافه بعد ذلك .

● فى هذه الفترة لم تشهد أنجولا أى تقدم أو أى لون من ألوان التنمية الا الاستغلال البغيض للسـلعة الآدمية الذى مارسه المستعمرون منذ أن وطئت أقدامهم أراضى انجولا ، ولم تضع البرتغال أى مخطط لاى نوع من التنمية فقد قام الرواد الاول وبعثات التبشير فى جمع الرقيق ودار الصراع بينهم وبين الحاكم العام .

● هذا ولم تقم حكومة الادارة فى لواندا بالمساهمة فى رفع مستوى المستعمرة بل كانت عاملا أساسيا فى ازدياد النشاط التخريبى ويرجع ذلك الى العجز المالى الذى كانت تعانى منه البرتغال فى ذلك الوقت وتوقفها عن تمويل حكومة الادارة وقد أدى هذا كله الى انصراف الموظفين الى البحث عن الموارد المالية فى تجارة الرقيق ففرضوا ضريبة الرءوس وطالبوا الزعماء الافريقيين بتسديدها عن قبائلهم .

● تعاون الجزويت مع أعضاء البعثات التبشرية الاخرى وكونوا جمعية رئيسية فى لواندا سنة ١٦٠٠ واستطاعت هذه الجمعية فى فترة وجيزة أن تسيطر على مظاهر الحياة فى العاصمة كما قامت بانشاء بعض المدارس ولكنهم واجهوا شعورا عدائيا من جميـع الطبقات بعد أن قاموا باستغلال الاقطاعيات الزراعية الكبرى .

الاستعمار الهولندى :

● سنة ١٦٤١ وصلت بعض وحدات من أسطول هولندا الى لواندا واستولت عليها بعد مقاومة بسيطة كما استولت على قلعة بنجولا ثم استولوا على ساوتومى وانسحبت الجالية البرتغالية من لواندا وبنجولا ، ثم قامت البرتغال لاسترداد هذه الاراضى فبعثت بالجنرال دى سا على رأس حمـلة حارب الهولنديين وتمكن من الاستيلاء على لواندا وطردهم من ساوتومى وبنجولا واستطاع هذا الجنرال أن يعيد سلطان الدولة البرتغالية فى فترة وجيزة وأوقف نشاط بعثات الكابوشان الايطالية وقام بانشاء عدة قلاع فى لواندا .

نظام الحكم فى المستعمرة :

● كان الحاكم هو أكبر شخصية فى حكومة الادارة وتتركز فى يده جميع السلطات المدنية والعسكرية وله الحق فى تعيين الموظفين وقواد القلاع وتصريف الشئون المالية ومهمته الدفاع عن المستعمرة ويليه فى السلطة قاضى القضاة ويقوم بالاشراف على السـلطة القضائية ويصد غارات القبائل على الحدود .

تجارة الرقيق :

● كانت أنجولا والكونغو فى ذلك الوقت أكبر مصـدر للرقيق فى أفريقية واحتلت لواندا المركز الاول بين جميع الموانىء المصدرة لهذه السلعة فبلغ عدد ما صدر من المستعمرتين ٤ ملايين أفريقى بين سنة ١٥٨٠ ـ سنة ١٨٣٦ ذهب من هـذا العدد ٥٠ ٪ الى البرازيل ، ٣٠ ٪ الى منطقـة الكاريبى ، ١٠ ٪ الى نهر بلات .

جمع الرقيق :

● كان يتم جمعهم بطرق متعددة فكانوا يجمعون كبديل للضرائب المقدرة أو كمقايضة فى مقابل بعض السلع أو عن طريق بيـع

أسرى حرب القبائل المهزومة أو ما يمنحه الحاكم العام للضباط ورجال الكنيسة على سبيل المكافأة ، بعد جمعهم كان يحتفظ بهم فى حظائر المواشى ليستريحوا قليلا بعد المسافات الطويلة التى قطعوها سيرا على الاقدام وحتى تتم اجراءات نقلهم من جهة لاخرى وبعد رحلة تستمر من خمسة الى ثمانية أسابيع يصل الى موانىء البرازيل أكثر من ٧٥ ٪ من جملة الحمولة .

فشل بعثات التبشير فى القرن ١٨ :

● كانت البعثات التبشيرية فى ذلك القرن مرآة تعكس الحالة السائدة فى أنجولا وقد بلغ عدد المبشرين ٢٥ قسا هذا بالاضافة الى ١٦ كنيسة .

● ويرجع فشل هذه البعثات الى قلة الموارد المالية وقلة الرجال العاملين فى هذا المجال وعدم كفاءتهم ولكن كان هناك سبب قوى وهو فشل الكنيسة فى تقديم الانماط الحضارية الاوروبية فقد اكتفت بتقديم عقيدة مجردة لا تتقبل نفوسهم معظم طقوسها .

الغاء الرق :

● فى سنة ١٨٠٧ فرت العائلة المالكة البرتغالية الى البرازيل هربا من غزو نابليون وبعد ذلك بخمسة عشر عاما أعلنت البرازيل استقلالها بينما كانت البرتغال فى دوامة بسبب الصراع الدائر بين الاحرار الدستوريين وأنصار الحكم المطلق ، كان لهذا كله صداه فى أنجولا فقد قامت فيها ثورة شعبية أطاحت بالحاكم العام وتقدمت البرازيل باقتراح يدعو الى ادماج كل من أنجولا وموزمبيق فى اتحاد فيدرالى ولكن لم يلق هذا الاقتراح قبولا وفى سنة ١٨٣٤ عندما نجح الاحرار الدستوريون فى لشبونة عين فيدال حاكما عاما للمستعمرة وبدأت سياسة الدستوريين المضطربة تظهر الى الوجود فألغوا وزارة المستعمرات ثم أعادوها عدة مرات ومنحوا البرتغاليين فيما وراء البحار حقوق المواطن البرتغالى فى الوطن وتغير اسم المستعمرات وأصبح اسمها (الاقاليم البرتغالية فيما وراء البحار) كل ذلك حال دون اتباع سياسة ثابتة تؤدى الى دوران عجلة التقدم والتطور .

● ثم ارتبطت مشروعات الاصلاح المتعددة التى وضعت فى بداية القرن ١٩ باسم المركيز بانديرا الذى تولى رئاسة الوزارة فى لشبونة من سنة ١٨٣٦ ـ سنة ١٨٤٠ وأعلن قراره الجرىء بالغاء تصدير الرقيق من المستعمرات البرتغالية ولكن ظل لتجار الرقيق الكلمة الاولى حتى تدخل الاسطول البريطانى وحاصر الساحل الافريقى وقام بتفتيش السفن البرتغالية وقبض على من فيها من التجار

نهاية المطاف :

● وفى سنة ١٨٥٤ وصل لفنجستون الى لواندا فوجدها فى حالة يرثى لها وكانت رحلة لفنجستون هى السبب فى عقد مؤتمر برلين ودخول انجولا وموزمبيق فى طورها الحديث .

● لم يكن من المحتمل أن تحافظ المستعمرات على مجرد وجودها ازاء مشاكل النصف الاخير من القرن التاسع عشر لولا التغييرات التى أحدثتها قوانين الاحرار الدستوريين وأدت بدورها الى تغييرات أكثر عمقا فيما بعد .

● وفى العقود الثلاثة الاولى من القرن العشرين تغير تركيب المجتمع فى المستعمرات تغيرا تدريجيا فقد ظلت أقاليم شمال انجولا وجنوب موزمبيق منعزلة الى حد ما . وان كانت خرافة الاندماج بين السلالات لم تتحقق وظهرت الفوارق السلالية بوضوح فى المدن والقرى وأصبحت لواندا مدينة أوروبية بكل ما فى الكلمة من معنى ، أما بالنسبة للافريقى فقد عاش منعزلا فى قريته البعيدة أو فى الاحياء المتداعية من المدن ولا زالت مظاهر التمييز العنصرى تزداد تأكيدا بمرور كل عقد من السنين ولا زال الافريقى ينكمش فى عزلته بعيدا عن أى احتكاك بالعناصر الاوروبية فيما عدا دفع الضرائب واستغلال قوته البدنية .

« اقبال عبد السلام »

الحب المستحيل

بقلم كريستين جارنييه

تلخيص : سمير وهبى



استيقظت « ايرين » فجأة . انها لم تتعود بعد على احتمال ليالى افريقية الساخنة . ونظرت الى الرجل الراقد الى جانبها على السرير . وتأملت رأسه الطويل النحيف ذا القسمات المدببة . لقد انقضت ثلاثة أشهر على هذه التجربة .. ثلاثة أشهر فقط .. ورفعت عينيها من « تيرنو » ونظرت الى الجدران التى أطلت منها فى خشوع أقنعة غريبة الشكل ملأت قلبها رهبة ! هذا قناع مرصع بالعصافير ، وثان تبرز منه ستة قرون رمزا للقوة الفارهة . وهذا ثالث ملون بلون الذهب رمزا للانتصار على الاعداء .

وتذكرت كلام تيبرنو ، قبل ثلاثة شهور ، وكانا ما زالا فى بلدتها فى مقاطعة هينو ببلجيكا .

— ان عندى فى داكار اقنعة كثيرة احب أن أطلعك عليها .

تذكرت هذه الجملة التى نطق بها وهى فى الصالون الفخم حيث استقبلته عائلتها . لقد اتى هذا الافريقى الى أوربا . بناء على دعوة البروفسور « فان مولن استاذ علم الاجناس وقدمه الى زملائه :

— ان تيبرنو ، العالم الشاب الذى جاء لحضور مؤتمر الانتروبولوجيا وعندما شاهدهما والد ايرين ، وهو رجل رجعى ومحافظ . صاح فى اشمئزاز :

— انه زنجى .. ان فان مولن اتى لنا بزنجى بغيض ..

ولكن ايرين اسرعت وصححت كلام والدها : — انه اسود يا ابى !

ولكن الذى رأته ايرين لم يكن شخصا اسود ، أو زنجيا فحسب ، وانما رأت فيه انسانا جميلا له وجه ناعم ونظرة جادة . خصوصا عندما يشرب ويغلق عينيه ببطء كما تفعل القطة . نعم انه ليس الا قطا كبيرا .. مجرد قط مستأنس . وعندما صبت له ايرين كأسا من الويسكى رفض تناوله وطلب كوبا من عصير الليمون ، ذلك لانه مسلم !

فمن هو تيبرنو اذن : أسود . مسلم . وعالم اجناس . انه لشىء مثير فعلا !

واستدرجت ايرين وصديقاتها تيبرنو ليحدثهن عن المرأة الافريقية وكن يجدن لذة فى اثارة فضوله :

— ان الافريقيات جميلات بدون شك . ولكنهن اقل انوثة منكن .. حقا ان الازمان الحديثة قد قلبت تفكيرهن رأسا على عقب ولكنهن لا ينظرن مطلقا الى الرجال البيض لانهن يتعلقن بنا نحن السود .

ومنذ اللحظة الاولى ، شعرت ايرين نحوه بشعور يسحرها ويملأ وجدانها باحاسيس مبهمة . وقالت لنفسها : انه يعجبنى وانا مفتونة به ان فيه غموضا وقوة ..

وتصادف ان القرية كانت تحتفل باحد الاعياد .. وذهب الجميع الى هناك . . وشعرت ايرين بلذة طاغية وهى تراقص تيبرنو ..

ثم سافر تيبرنو الاسود مع فان مولن الى بروكسل لحضور المؤتمر العلمى . عندئذ شعرت ايرين فجأة بانها وحيدة فى هذا المنزل الكبير المترامى الاطراف . . وظلت يومين تلازم فراشها وهى حالمة . ظلت تتأمل وتتشكك وتتخيل : هل هذا بداية حب ؟ ياله من جنون ! انه اسود ولم تكن ايرين من النساء اللائى يكتفين بالحب التافه . ان الحب عندها مطلق . انه احساس عنيف طاغ . وفى ذات يوم كانت تناقش والدها الذى افهمها بان سعادته سوف تتم يوم يراها متزوجة . وقالت له يومئذ :

— ان الرجل الذى أحبه يجب أن تجتمع فيه عدة صفات .. يجب ان تكون له ناحية وعرة . مغلقة ، صعبة ، ثم شىء خارق للعادة . كم انا بحاجة الى شىء غير مألوف !

وعاد تيبرنو من بروكسل التى تبعد ستين كيلو مترا من بلدة ايرين .. عاد ليكلمهاعن سحر افريقيا !

— اننا فى الحقيقة نعيش فى قلق وخداع النساء والرجال على حد سواء متمسكون بافريقيا فى اخلاص وحرص . ولكنا لانستطيع ان نقاوم اغراء الثقافة الغربية . . اننا ممزقون .. بعض منا قطع جذور ماضيه ويريد ان ينسى انه اسود .. وهؤلاء اصبحوا صورا كاريكاتيرية للبيض وبعض آخر يتمسك فى عناد وصلابة بتراثه الاسود . وفى بعض الاحيان اتساءل قائلا : لو لم اذهب الى باريس لا تعلم . لكنت الان مع والدى انتظر سقوط الامطار لتروى حقول الفول السودانى .

وصاحت الفتيات فى دهشة : « رجل مثلك .. رقيق وحساس يزرع الفول

السودانى ؟ ولكن ايرين فهمت شعورالضياع الذى يعانى منه تييرنو .. وعندما انصرفت صديقاتها ، طلبت منه أن يظل معها . ولكى يتاهدا جيدا الخشب الذى يحترق فى المدفأة . جلس تييرنو الى جانب ايرين على الكنبة .. ولكنه لم يتفرج على النار .. كان يصوب نظراته على ايرين ويراها شقراء رائعة ذات بشرة فى لون القشدة .. زغب خفيف على ذراعيها .. بقع دقيقة حمراء على خديها وعلى رقبتها الفاتنة واستمعت اليه فى شغف وهو يحدثها عن مهنته وبلاده .. واقترحت عليه ان يخرجا معا : كم احب الخروج ليلا والنوافذ مغلقة .. حتى فى ايام البرد اشعر باللذة ..

وكانت ايرين هى التى قادت السيارة.. انها سيارتها المرسيدس الحمراء الجميلة .. وبالرغم من المطر المتساقط ، فقد ضغطت على البنزين بكل قواها .. وظلت صامتة لان عقلها كان مشغولا .. واسترجعت الموقف فى ذهنها : وهمست لنفسها .

ــ لقد اخبرنى انه سوف يرحل بعد ثلاثة أو اربعة ايام الى داكار .. هذا امر غريب .. لم أفكر فى هذا الفراق السريع .. تخيلت ان الزمن ممتد امامنا ، ولكن الامر جد مختلف .. سوف يرحل وسيكون بالنسبة لى الافريقى الذى يحب الاقنعة .. وسأكون بالنسبة اليه الفتاة البلجيكية ، مثل كثيرات قابلهن قبلى .. ورحلة الليلة ! ما مغزاها ؟ ماذا يمكن ان انتظر منها ، بل منه هو ؟

وفجأة صاح تييرنو : احترسى

لقد قفزت السيارة فى الطريق وخرج تييرنو منها وراح يتحسس الاطارات التى انغرست فى الوحل وتبعته ايرين كمن يخشى أن يفر منها فى الليل البهيم . ولحقت به عند شجرة كان يرفع من تحتها حجرا كبيرا .

ــ يجب ان ننقل بعض الحجارة ونضعها تحت الاطارات .. نحن متعودون على هذا العمل فى افريقيا .. ونظر الى وجهها ثم ضحك وقد ملأه شعور بالثقة يقارب الوقاحة وفكر فى سره :

كلهن سواء ــ انها تنتظر منى أن أقبلها..

أما هى فقد قالت فى سرها وقد شعرت بأن كرامتها أهدرت : ذات يوم سوف يكف عن ضحكته هذه السخيفة ! ولكنه عندما بحث عن أصابع ايرين ، لم تقاوم مطلقا .. وتشابكت الاصابع البيضاء مع الاصابع السوداء وفجأة صار كل شىء سهلا . وامتلأ قلب ايرين بمشاعر غامضة وهى تحت المطر .. وتوقفت أصابع تييرنو الملوثة بالطين على وجهها وداعب خديها ثم شعرها .. وسمعته يقول لها :

ــ أنت رائعة .. منذ اللحظة الاولى أحسست بذلك !

واقترب الاثنان من الشجرة وظلا تحتها متلاصقين .

وعادت ايرين بذاكرتها الى تلك الليلة البعيدة .. « ليلة الشجرة » وهى راقدة الان بالقرب من جسد تييرنو الدافىء فى هذه الليلة الافريقية الساخنة وقد أطلت عليها أقنعة القبائل المعلقة على جدران الغرفة وعادت ايرين مرة ثانية بذاكرتها الى الايام التى تلت ليلة الشجرة . كانت أياما مليئة بالامل والشك . لم يستطع كلاهما أن يؤمن بالسعادة .. ولكنه كان يقول لها دائما « نعم كل شىء ممكن ! » تلك الجملة التقليدية تعود أن يطلقها وهو فى بروكسل كلما حدثته عن السعادة . كانت هذه الجملة نقطة البداية .. وهذا التأكيد منه جعلها تتبعه الى أفريقيا .. وعندما علم والدها بفرارها هاج وماج :

ــ أتتزوجين زنجيا ؟ انك لم تفكرى جيدا .. فكرى برهة واحدة ! انه مسلم ! المسجد .. وشهر رمضان . والزوجات الشرعيات والمحظيات ! لابد انك فقدت عقلك ! والسياسة هناك مجرد مظاهرات واضطرابات لاتنتهى.. انهم لايرغبون الان فى البيض .. وانك تذهبين الى هناك .. كأن أفريقيا هى أرض السعادة !

ولكن قرار ايرين كان قاطعا .. كانت تفكر فيه وحده .. فى جمال جسده الرشيق .. وشخصيته المفعمة بالرجولة .

وهدد الاب قائلا : « أما أنا أو هو .. اذا خرجت من دارى فلن تسمعى عنى بعد الان

.. ولن تكونى ابنتى .. ولا داعى للكتابة الى لانى لن أرد على رسائلك أبدا .. »

وتركته منزلهـا والدموع فى عينيهـا .. وخرجت هاربة مثقلة القلب من القرية التى قضت فيها كل حياتها . صديقتان فقطجاءتا لتوديعها على الباخرة .. ومضى اسبوعواحد كله قلق وتساؤل .. وبعد ذلك تعودت على الجملة التقليدية : « كل شيء ممكن » وهى الان راقدة الى جانب تيبرنو الذى يفوح جسده برائحةالفلفل الممزوج بالليمونالاخضر وظلت مستيقظـة فى الغرفة التى أطلت من جدرانها الاقنعة المخيفة.. لقد تزوجت رجلا اسود . هى ايرين الاوروبية الحسناء ذات البشرة الذهبية والشعر الاحمر الملتهب !

وفى نفس البلدة . كانت هناك أيضاسيدة أخرى لا تنـام . انهـا آوا التى ظلت تتقلب فى سريرها وتسأل : هل صحيح انهـا لن ترى تيبرنو بعد ذلك ؟ وهل صحيح انه تزوج الفتـاة البيضاء الملعونة ؟ فى كل مرة أوصلتـه الى الطائرة فى مطار داكار ، كان يخامرها احساس خفى بأنهقد لايعود . ان تيبرنو جميل ورشيق ومتعلم . وهو رجـل بارز فى أوساط العلم . ذهب مرة الىمتحف الانسان فى باريس ، ثم عمل فى متحف ايفان فى داكار ، ثم سافر عـدة مرات الى أوربا لحضور مؤتمراتعلمية .. ولكن هذا المؤتمر الاخير الذى انعقد فى بروكسل كان أشـدها خطرا . وآوا هذه تبلغ الثانية والثلاثين من عمرها . وهى بلا شـك من أجمل السيدات السود فى كل داكار . انها أرملة تعيش مـع ابنتها ديانا التى تبلغ الثانية عشرة . وهى امرأة عاملة تشغل منصب سكرتيرة فى شركة داكار نيجر وفى امكانها بسبب وظيفتهـا ان تطلب السكن فى احـدى الشقق الحـديثة الموجودة بوسط البلدة .. ولكن آوا فضلت أن تعيش مع جـدتها العجـوز مدام كويه فى الحى الوطنى المسمى بالمـدينة حيث تختلط هنـاك أجنـاس كثيرة . أن آوا أفريقية حقيقية بكل مشاعرها . وفى غرفتها، وفى الحشية التى تنام عليها وفى الوسادة . خبأت أحجبة لتقيهـا شر الامراض والاحزان وتبعد اللصوص وتبقى على الحب . ولـكن هذه الاحجبة لم تكن قوية بحيث تبقى عـلى الحب . ولكنآوا بذراعيها الجميلتينواكتافها الملفوفة فى نعومة ومشيتها المتزنة وجسـدها المتلىء فى غير ضخامة ووسامتها الرشيقـة كل هذه الصفات جعلتها جذابة وأحاطتهـا بكوكبة من المحبين الوالهين .

واذا كان تيبرنو قد تردد فى ربط مصـيره ومودى المرض » الذى يعمـل فى المستشفى الرئيسى والذى يفخر دائما بأنه من نسـل بها .. فان هناك فى المدينة كثـيرين يتمنون رضاهاويتقربونمنها . منهم«كريم» البيطرى القائد الحربى ماكودور ، ثم هنـاك أيضـا « ممادو » التـاجر الذى ينافس التجـار البيض . ويوجـد بالأخص ايبـا ، ايبـا الغنى الذى يمتلك أكبر دكان فى المـدينة ويعتبر أكبر تاجر للاقمشة فى داكار كلها .

وكلما اختفى تيبرنو ، منافسهم الخطير فى رحلة بالداخـل أو سافر الى أوربا . ظهر هؤلاء على التتابع فى منزل آوا :

ــ السلام عليكم يا آوا ..

ــ وعليكم السلام يا ايبا ..

وكان أيبا التـاجر الغنى . هو أكثرهم جدية فى طلبه ليدها .وكان يمشىوهومسبوق دائما بعازف على الجيتار يمتدح خصائله . انه شخص عظيم فى المدينة .. وكان يطمـع أن تكون آوا احدى زوجاته .. ولكنها كانت دائما تعتذر .

وفى ذات يوم ، قال لها ايبا :

ــ سوف أصبر .. ولكن لاتنسى أن الاسد يستطيع أن يشرب من النبع الذى يحلو له .

ولكن آوا ضـحكت لهذا الغرور الكاذب ، اذ كيف لها أن تتزوج هذا الرجل الضـخم الذى رغم غناه الفـاحش ، لا يساوى شيئا اذا قورن بتيبرنو الفاتن المتعلم الذى علمهـا أن تكون امرأة عصرية بالرغم من الاحجبةالتى تخبئها فى غرفتها . وكيف يمكن ان تسـمح لنفسها ان تباع لزوج . لتصير له الزوجـة الرابعة، خصوصا وانهارئيسة جمعيةتحرير المرأة ، تلك الجمعية التى أسستها وجمعت

فيها المدرسات والممرضات والسكرتيرات ، لتحدثهن فى اجتماعها الاسبوعى عن المشاكل التى تتعلق بمستقبل افريقيا عامة ومستقبل افريقيا خاصة .

وكثيرا ما نظرت مدام كويه العجوز ، التى حجت الى البيت الحرام وكفلت آوا بعد وفاة والديها ، الى هذه الاجتماعات بعين الشر ، وكانت تقول لها دائما :

ــ انى أشعر الان بالاسف لانى علمتك .. وبدلا من الارتماء فى حب تييرنو وجمعية تحرير المرأة .. فان الاجدى عليك أن تتزوجى ابياء .

ــ ولكن ياجدتى .. لن اترك نفسى اباع لزوج .

ــ كان الامر كذلك بالنسبة لى وبالنسبة لامك . ان ابنة عمك « سعيدة » قد دفع لها زوجها خمسين ألف فرنك .

ــ ولكن الاحوال تغيرت الان .. وعلى المرأة الافريقية ان ترفض اعتبارها من القطيع .. لا اجرؤ أن أقول لك كم تعذبت عند زواجى الاول .. وقد دفع العريس ثمنا غاليا لانى كنت بكرا .. أما الان فهذا لن يتم مرة ثانية .

وحدث لها ، حين كانت تتردد على تييرنو ، أن ثارت يوما عليه وصرخت فى وجهه :

ــ أنتم أيها الرجال عندكم كلمة واحدة : الاستقلال . ونحن النساء مستعمرات منكم منذ قرون طويلة وسنصرخ فى وجوهكم : نريد الاستقلال ليس فى فرنسا ولكن منكم أنتم .

كم يبدو الامر بعيدا الان . كانت آوا تتقلب فى سريرها الضيق وارتسمت أمامها صورة تييرنو . أنها قلقة .. وكيف لها ان تنام وتنسى تييرنو .. كيف لها ان تنسى ذلك اليوم المشئوم الذى رجع فيه من أوربا .

كان يوم السبت ، منذ ثلاثة أسابيع بالضبط . وكانت آوا جالسة فى غرفتها . أنها فى العادة تلبس الملابس الاوربية عندما تذهب الى عملها ولكنها اليوم كانت تلبس الملابس الوطنية ، لانها ظلت فى منزلها .. كأن شعورا سابقا قد أتاها ينذرها . فهذه الخطابات المقتضبة .. السريعة التى وصلتها من بلجيكا .. ثم لاشىء بعد ذلك .. اذ انقطعت فجأة بدون سبب .

وعندما وصل الى منزلها فهمت كل شىء .. أدركت كل شىء حتى قبل أن يتكلم . عرفت أن الرجل الذى أمامها ليس تييرنو الذى عرفته ، ثم لف حول أصص الزرع عدة مرات ، وقال بسرعة وثبات كمن يلقى بنفسه فى الماء :

ــ أوا .. أريد ان أخبرك بأنى عاشق . انى أحب امرأة بيضاء فى بلجيكا .

ــ حقا ؟ ولكن هذه ليست المرة الاولى . سوف تنسى هذه التجربة . ان بلجيكا بعيدة .

ولكن تييرنو رفع رأسه ، ثم وضع يده على كتفى أوا ، وقال :

ــ سامحينى من أجل الالم الذى سأسببه لك ، انى سأتزوج ايرين .

وظلت آوا صامتة لفترة طويلة ، تستمع هذا الكلام فى صمت ويأس ! ولكن تييرنو لم يفهم معنى سكوتها وقال لها :

ــ أشكرك يا آوا على فهمك لى . ستظلين أختا لى . وأرجو ان تنشأ فيما بعد صلات الصداقة بينك وبين ايرين !

كانت آوا تعطيه ظهرها ، فاستدارت فجأة كحيوان جريح وصاحت فى وجهه :

ــ صلات صداقة ؟ كيف تجرؤ ان تطلب من النعجة أن تكون صديقة اللبؤة ؟ هل جننت ؟

وصعق تييرنو وهو ينظر الى آوا التى تحولت فجأة من سيدة وديعة الى سيدة ثائرة الى أقصى درجات الغضب ، فنسيت لغتها الفرنسية وصارت تعبر عن نفسها بلغة قبائل الاولوف .

ــ أنك تريد اضعاف مركزنا امام البيض . أنهم يقولون عنا : هؤلاء الزنوج يرغبون من البيض أن يرحلوا من أفريقيا ، ولكن عندهم فكرة ثابتة فى رءوسهم : التزوج بواحدة بيضاء . أن هذا الزواج يرضى كبرياء نفسهم . ولكن ثق أن الامر لن يكون سهلا لزوجين مثلكما فى افريقيا .

وخفض تييرنو رأسه فى ذلة . هل ماتقوله آوا هو الصدق ؟ وكيف سيقابل أصدقاؤه

هذا الزواج المختلط ، وماذا سيفكرون فيها وفى أهلها ! كلها ألغاز . انه يعلم شيئا واحدا . أن والدته سوف ترحب بها وستقول لها عبارة واحدة : « أهلا وسهلا » لانها الكلمة الوحيدة التى تعرفها باللغة الفرنسية وهى لاتتكلم سوى لغة القبيلة .

أما أبوه فسوف يرفض ان يقابل البيضاء . لقد أفهمه فى يوم من الايام ان السبب هو الدين :

— تزوج يابنى بمن شئت . تزوج بمن طاب لك من النساء .. تزوج سوداء أو بيضاء .. ولكن لتكن مسلمة قبل كل شىء !

أن البيض سوف يستقبلونه ، ولكن بلا حرارة .. ستكون الصداقة بينهم وبينه فاترة .. انهم يسمون الزوج المختلط بالدومينو فهل سيجد نفسه محكوما عليه بالوحدة القاتلة ! حقا انه لم يشعر بهذه المشكلة وهو فى بلجيكا . ولكن الآن ، جعلته آوا يلمس المشكلة بيده .

— ان ايرين وأنت ستكونان ملعونين !

ورمى تييرنو سيجارته وداس على عقبها بكعبه . وترك الغرفة دون أن يتكلم .. ولكن آوا لم تكن بالسيدة التى تهجر وساورتها فكرة سيطرت عليها أثناء ليالى الارق الذى انتابها . قررت انها سوف تتزوج قبلهما ..

وفى الصباح أرسلت ، طبقا للتقاليد . ثلاث سيدات من صديقاتها الى ايبا تعلنه انها تقبل ان تكون زوجة له !

جلست ايرين ضاحكة بين اصدقاء تييرنو . أنهم يعرفونها كلهم ، لانها قابلتهم منذ عشرة أيام فى بلدة جورية . يوم الاحتفال بزواجهما .

انها تتذكر تلك الليلة ، ولكن دائما فى شىء من الضيق ، رغم انها الليلة التى يتذكرها من يتزوج بالبشر والسعادة دائما . تمت يومها اجراءات الزواج المدنى بسرعة .. ولكن الشاهد الذى أتى به تييرنو ، وهو وزير فى حكومة البلاد الناشئة ، قد أزعج ايرين باعتداده الشديد بنفسه ! ثم كان عليها ان تظل وحدها ، لان الزواج الدينى تم فى المسجد . وذهب تييرنو الى هناك بدونها ، ثم انتظرت زوجها فى الشقة الحديثة التى استأجرها فى العمارة ذات الطوابق الاثنى عشر ، وهناك شاهدت الاقنعة المعلقة على الجدران التى طالما حدثها عنها وهى فى بلجيكا . وعندما عاد زوجها ، فرحت عندما عرض عليها ان يزورا أهله .

وذهبا الى الحى الوطنى .. الى «المدينة» كما تسمى هناك وذهلت عندما رأت شوارعها المتسخة وبيوتها القديمة . كان الامر صدمة بالنسبة اليها وخرجت والدته لاستقبالها . شفاه غليظة . أقراط سميكة تتدلى من الاذنين فى غير جمال .. عجوز ضخمة الجثة وتقدمت فاتحة ساعديها واكتشفت ايرين على وجهها ملامح الطيبة .. انها طيبة ممتزجة بحزن دفين .. ولكن صعوبة اللغة أقامت سدا منيعا بينهما . وقطعت ايرين عهدا على نفسها : « سوف أتعلم لغة الاولوف » .. واقتربت السيدتان من بعضهما حتى تلامست الاكتاف .. وانحنت ايرين تقبل بشفتيها الرقيقتين الشفتين الكبيرتين ..

ثم سألت زوجها : أين والدك ؟

ورد عليها تييرنو بدون ان يحرك رأسه : « ان أحد الجنود قد استدعاه . ولم يستطع انتظارنا .. سوف نراه فى المرة المقبلة » .

انه يعلم أن والده رجل صعب . وانه لن يستقبله قط طالما كانت هذه البيضاء الكافرة معه . وحاولت ايرين ان تحدث حماتها وان تجاذبها الحديث حول أى موضوع ، ولكن بدون جدوى . وشعرت بصعوبة الموقف . فانتقدت حبات العرق فوق جبهتها .. ثم رأت عددا غفيرا من النساء . كلهن من الجيران بدون شك ، ينظرن اليها من الابواب والنوافذ .. انهن ينظرن اليها نظرات حداد . عيون سوداء لامعة ، وجوه سود كثيرة متكررة متشابهة لاتستطيع ان تميز بين الواحد والاخر .. ثم سمعت الاطفال يتهامسون حولها .. ترى ماذا يقولون عنى ! انى أكاد اختنق فى هذا الجو الغريب .

وصاحت : الطقس حار هنا ..

ورفع تييرنو يده نحوها وأمسك كتفيها

ليحميها ، ثم خرجا معا وهو يقول لها :

ـ لنخرج بعيدا ..

وركبت ايرين فى مكان قيادة السيارة كما تعودت دائما ان تفعل ! ان تيبرنو يحب القيادة .. ولكن ايرين لم تفكر فى يوم ان تترك له عجلة القيادة . انها هى التى تقود دائما . وهذا أمر بدا لها دائما طبيعيا بدون مناقشة. وقالت له :

ـ أريد ان أذهب الى الهواء الطلق . تعال نذهب الى الادغال .

ولم تكن هناك ادغال بالقرب من داكار . فتوجها الى ضاحية روفسيك ان ايرين تعرف دائما ما تريد .. وفى همس اشارت بأصبعها الى شجرة توت عالية . انها شجرة ضخمة كالواحة الوارفة وسط الرمال الساخنة . ولما اقتربت منها صاحت فى حماس « شجرة . شجرة حقيقية ! » واندفعت نحو الشجرة تحتمى بها . وتماما كما حدث لها فى بروكسل شعرت بالسعادة الجارفة وهى فى حضن الطبيعة . كانت الشجرة ضخمة بفروعها القوية المتساقطة ، حتى لكأنها معبد كبير يموج بموسيقى الكون ! وانضم اليها تيبرنو فى هذا الملاذ الاخضر .ووقف مبهورا .. رأى ايرين قد خلعت حذاءها ، ثم فكت حزام ردائها المصنوع من الجلد ذى الرءوس الذهبية المدببة . وظلا معا فترة من الوقت . كانا سعيدين فى وحدتهما . ولكن لابد من «الاخرين» فى حياة كل الناس . وفى نفس المساء ، عندما ذهبا الى جزيرة جورية ، حيث اجتمعا ببعض المدعوين البيض والسود للاحتفال بالزواج ، شعر الاثنان بجو ثقيل فى المطعم . كان تصرف الاوربيين يدل على الدهشة واللوم . وكانوا كلهم من اصدقاء ايرين الذين تعرفت عليهم بعد وصولها مباشرة وبعضهم من أصدقاء أصدقائها . كان بينهم مدير جريدة ورئيس جمعية وضابط حديث التخرج ثم سيدة مطلقة خفيفة الدم . وخرجت كلمات التهنئة متعثرة على لسان هؤلاء البيض الذين سيتركون ، ان آجلا أو عاجلا البلاد .. كانوا يتكلمون وكأنهم يوجهون الى ايرين اللوم الدفين . لانها انحطت وارتبطت بالعدو ..

والتفتت ايرين الى السود . الى أصدقاء تيبرنو .. وبدلا من اللوم الذى وجدته فى الفريق الاول ، لمست الجمود فى تصرفات السود . خصوصا فى الوزير الشاب الذى حضر حفلة الزواج فى الصباح بصفته شاهدا. كان يردد طول الوقت :

« يجب أن نخلق مدارس تطهير لتغسل عقولنا من صبغة الاستعمار ونعلم الشعب فيها الطرق السريعة للتخلص من البيض .. وبسرعة ! » .

وبهت وجه ايرين حتى صار أبيض اللون تماما . وسألت نفسها : كيف سمحت لنفسى أن أخلط بين البيض والسود فى هذا المكان. وقام تيبرنو وأدار جهاز الموسيقى بعد ان وضع فيه بعض الاسطوانات الصاخبة ثم قال فى هدوء :

ـ دعونا نرقص ! هيا الى الرقص جميعا !

وقام الجميع يرقصون . ولكن كل فريق على انفراد . ورقص الرجال البيض مع نساء بيض والسود مع السود . وبعد الحفل دعا السود ، فيما عدا الوزير الشاب ، صديقهم تيبرنو وزوجته الى مرقص « القلب الحنون » الواقع فى ضواحى داكار . وهناك تحت الاضواء الخافتة والزينات المعلقة ، جلس بعض البحارة والسائحين والجنود وبعض الراقصات وروضت ايرين نفسها لكى تتمالك أعصابها . كان الجميع يمرحون فى هرج وظهرت جلودهم السوداء فى وضوح . وقارنتهم بلونها الابيض الناصع وشعرت بعزلة قاسية . ولم تكن تشعر بالفرح الا عندما ترتمى على صدر واحد منهم لترقص معه فى نشوة عارمة .. رقصت مع جميع أصدقاء زوجها وشعرت بانهم حقا آلهة الرقص . انهم ساحرون وهم على الحلبة .

وبين رقصتين ، اقترب منها رجل أبيض لم تعرفه وسألها فى أدب زائد :

ـ ماذا تفعلين هنا .

((لها بقية))



ترجمة سمير عطا

منذ زمان طويل كان الكلب وابن آوى أخوين يعيشان سويا فى الاحراج الواسعة ويحب كل منهما الاخر .. كانا يخرجان كل يوم فى طلب الصيد فاذا ما جن الليل عادا الى الوادى حيث يقيمان ويتقاسمان فى مشاركة وتعاطف ما حصلا عليه .

وفى احدى الامسيات عادا خاويى الوفاض مزق الجوع أحشاءهما . ولكن تلفهما الطبيعة بأسوأ صورها فقد هبت ريح عاتية

قال الكلب : انه لشيء سيء أن يشعر الواحد منا بالجوع ولكن الاسوأ منه أن يختلط ببرد الليل . وقال ابن آوى : لنضطجع ونحاول النوم ، وفى الصباح نخرج للصيد لعلنا ننجح فيما أخفقنا فيه اليوم ويقع الغزال الصغير بين أيدينا .

ولكن الكلب لم يستطع الى النوم سبيلا فأمعاؤه ثائرة من الجوع ، وأسنانه ترتعد من البرد ، وفراؤه الرقيق لم يستطع أن يهيىء له من الدفء مثلما هيأ فرأء ابن آوى له . ولم يجد أمامه الا الارض يحاول أن يدفن فيها جسده المقرور للعها تسعفه بما عجز عنه فراؤه .. ولكنه ما كاد يحاول ذلك حتى لمح بعينه البائسة وهجا يبرق من بعيد فصاح :

ــ يا ابن آوى ما هذا الوهج ؟

ــ تلك نار رجل من أهل قرية قريبة .

قال الكلب وكله شوق وحنين :

ــ ان النار تشع الدفء . فهلا ذهبت وأحضرتنى بعضا منها ؟ لقد عهدتك أشجع منى ..

فزمجر ابن آوى قائلا :

ــ ذلك ليس بصحيح . عليك بها نفسك ان كنت تريد . ان الفكرة فكرتك .

لكن الكلب كان يخاف ((**الانسان**)) .. فتكور على نفسه لعل بعضه يدفىء بعضا واستسلم الى ضعفه والى حنان الارض وبينما هو كذلك ذهب بفكره الى القرية وأهلها وقال لنفسه انهم ربما كانوا يأكلون فى نفس الوقت الذى تنقطع فيه أحشاؤه من الجوع ، وتساءل عما اذا كان ممكنا أن يلقى هؤلاء الناس ببعض من فتاتهم وعظام ما يأكلون من لحم الحيوانات .. وان كانت هذه الفتات والعظام ملقاه تنتظره هو بدلا من أن تتيه وسط تراب الارض !.. وجعله ذلك يشعر وكأن الجوع وحش كاسر يمزق أحشاءه دون هوادة أو رحمة ، ولم يكن أمامه الا ان ينس ما يشعر به من خوف والا ان يقول بشجاعة لم يكن ليعهدها فى نفسه من قبل :

ــ انني لا أستطيع المضى فيما أنا عليه

أكثر من ذلك . سأتوجه الى القرية لاحصل على بعض الدفء ، ولربما عدت ببعض من العظام لك ، فان لم أعد فنادني من كل مكان خشية أن أضل الطريق اليك .

وهكذا انطلق الكلب تجاه وهج القرية . وحينما اقترب من المكان ، بدأ يزحف على أمعائه الخاوية آملا ألا يسمعه احد . وظل يدنو شيئا فشيئا من النار ورائحة بقايا غذاء تطوف في ثقل واغراء حول رئتيه وأنفه ، ولكن بعض الدواجن كانت أسرع لالتقاط رائحته هو فانطلق صراخها يزعج المكان محذرة من وجود غريب متسلل . وأسرع رجل يرى جلية الامر فرأى الكلب فأمسك به وسدد حربته الى صدره ثم قال :

— ماذا تفعل في فناء بيتي أيها الكلب اللص ؟

فاستعطفه الكلب قائلا :

— أرجوك لاتقتلني . انني لم آت أبغ أذى لمخلوق وانما لاستدفيء قليلا بنارك الخامدة. ارجوك دعني هنا أموت الى جانب هذا الدفء فان قدرت لي الحياة من بعدفسوف أعود ادراجي ولن أزعجك بعد اليوم . كان الكلب يبدو بائسا تأكله البرودةحتىاعماقه، وشعر الرجل بعطف كبير عليه ، فقد كان رجلا طيب القلب وخجل من أن يكون قاسيا مع هذا الحيوان المسكين ، فخفض يده بالحربة وقال له :

— ان وعدتني أيها الكلب الا تؤذي احدا في القرية فسوف ادعك ترقد الى جانب النار . وحينما يسرى الدفء في اوصالك وتجد من نفسك قدرة علي العودة الىحيث كنت .. فذلك ما يحسن ان تفعله .

شكره الكلب من أعماق قلبه . ومد جسده الى جانب النار التي لم ينسى الرجل أن يغذيها ببعض سيقان الحطب . وشعر الكلب بسعادة غامرة وهو يجد أنفه يستند الى عظمة كان رجل قد القاها على الارض بعد ما انتهى من وجبته ، وأسرع الكلب يقضم العظمة بشهية فائقة والدفء يشيع نشوة وبهجة في أوصاله .. وبدت له الحياة في ابهج حللها وكأنه لم ير من قبل مثلماهو فيه من سعادة غامرة .

وفجأة سمع صوت الرجل يسأله من داخل الكوخ : ألم تتدفأ بعد ؟ فأجاب الكلب وهو يرى عظمة أخرى تدعوه اليها في اغراء : ليس تماما .

فقال الرجل : اذن سأعطيك وقتا آخر . وعاد السكون يغمر المكان لايقطعه غير صرير الاسنان فوق العظمة الجامدة . وبعد وقت عاد الرجل يسأل : ألم تتدفأ بعد ؟ ولكن الكلب كان قد قفزت الى مخيلته صورة الريح العاتية وهي تصر على جسده الهزيل في قسوة بالغة فاقترب من النار أكثر وقال : دعني وقتا آخر .

ومضى وقت .. واستسلم الرجل والكلب للنوم .. ولكن الرجل عاد يقول للكلب وهو يستيقظ من غفوته : لابد انك نلت من الدفء ما يكفيك . قال ذلك ثم خرج اليه . ورأى الكلب ان الامانة هي أفضل سبل السياسة فنظر الى عيني الرجل وقال :

— نعم انني دافيء الان ، ولكني لا اريد العودة الى الغابة حيث لا اجد الا البرد والجوع . هلا تركتني أعيش هنا في القرية معك ؟ سوف أساعدك في صيد الطيور التي تطير في الغابة . سوف أعلمك احابيل الحيوانات والاعيبها حتى يمكنك صيدها لغذائك ، وأنا اعدك — على عكس أخي ابن آوى — ألا سرق معيزك اودجاجك . وكل ما أطلبه مكانا الى جوار النار وما قد تلقيه من بقايا غذائك .

ولما نظر الرجل الى عيني الكلب أحس بانه يتكلم بالصدق . فقال له :

— ذلك شيء جميل .. ما دمت تعد بأن تخدمني وتطيعني فسوف اعطيك الدفء والغذاء .

ومنذ ذلك اليوم عاش الكلب مع الرجل . ولكنك حينما تسمع في الليل ابن آوى يصيح : بو .. آ .. بو .. آ .. فاعلم أنه ينادي أخاه الكلب ليعود اليه بالدفء والعظام التي وعده بها . ولكن الكلب لايجيب ابن آوى .. وابن آوى لا ينقطع عن النداء . ((ترجمة سمير عطا))



زنجبار – ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ :

حصلت زنجبار على استقلالها واعلن الشيخ على محسن وزير خارجيتها ان بلاده سوف تلتزم سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

نيروبى – ١٢ ديسمبر ١٩٦٣ :

حصلت كينيا على استقلالها . وذلك بعد أن سلم دوق أدنبره الزعيم جومو كينياتا وثائق الاستقلال اثناء الاحتفالات التى حضرها عدد كبير من ممثلى الدول والصحفيين .

القاهرة – ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٣ :

طالب مؤتمر وزراء العمل الافريقى – الذى افتتحه الرئيس جمال عبد الناصر اول امس – هيئة العمل الدولية بايقاف حكومة جنوب افيقيا عن عضويتها كما أوصى بتعديل دستور الهيئة بحيث ينص على تساوى البشر مهما كان عنصرهم او جنسهم من حقهم فى التقدم والامن الاقتصادى وتكافؤ الفرص .

تونس – ١٤ ديسمبر ١٩٦٣ :

شهدت تونس امس – فى يوم احتفالها بتحرير قاعدة بنزرت – اروع لقاء بين شعبها وبين الرئيس جمال عبد الناصر الذى وصل الى تونس ليشارك ابناءها فرحتهم بجلاء آخر جندى فرنسى عن اراضيهم .

الامم المتحدة – ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٣ :

وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قبول زنجبار وكينيا عضوين فى الامم المتحدة، وبذلك أصبح عدد اعضاء المنظمة ١١٣ دولة .

نيروبى – ١٧ ديسمبر :

أعلن أوجنجا اودينجا وزير داخلية كينيا ان جميع الدول الافريقية ستتحد وتكون فيما بينها اتحادا فيدراليا على غرار الولايات المتحدة الافريكية .

نيروبى – ١٨ ديسمبر :

أعلنت كينيا امس قطع العلاقات مع البرتغال ، وطردت القنصل البرتغالى فى نيروبى .

بريتوريا – ١٩ ديسمبر :

انسحبت اليوم جنوب افريقيا من منظمة التغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة على أثر القرار الذى اتخذ بطردها من كل الاجتماعات الاقليمية للمنظمة فى افريقيا .

نيروبى – ٢٠ ديسمبر :

استسلم امس ٧٧٥ فردا من محاربى الماو ماو لحكومة كينيا الوطنية ، وكانوا يرابطون فى الغابات منذ بضعة اعوام ، وقد سلموا اسلحتهم وذخيرتهم للسلطات وقد استقبلوا استقبالا حافلا .

اليزابيث فيل – ٢٠ ديسمبر :

تستعين حكومة البرتغال بقوات من المرتزقة وأفراد من قوات كاتنجا التى فرت من الكونغو ، فى المحاولة اليائسة التى تقوم بها لمواجهة الغارات التى تشنها قوات جيش التحرير الانجولى ضد الاستعمار البرتغالى فى أنجولا .

القاهرة — ٢٢ ديسمبر :

وصل الى القاهرة الحاج أحمد بللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية فى زيارة للجمهورية العربية المتحدة ، وتناولت مباحثاته مع الرئيس جمال عبد الناصر العلاقات بين البلدين والموقف فى افريقيا .

غانا — ٢٤ ديسمبر :

وجه الرئيس كوامى نكروما رسالة الى أوثانت السكرتير العام للامم المتحدة طلب فيها ان تنسحب قوات الامم المتحدة من الكونغو وتقوم قوات تمثل جميع الدول الافريقية بالدور الذى تقوم به الامم المتحدة الآن ، على ان تتولى قيادتها قيادة افريقية .

نيجيريا — ٢٥ ديسمبر :

سحبت حكومة نيجيريا الفيدرالية اعترافها بالبرتغال .

القاهرة — ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٣ :

تقرر انشاء ٣ سفارات للجمهورية العربية المتحدة فى كينيا وزنجبار ويوغندا .

القاهرة — أول يناير سنة ١٩٦٤ :

عقد أمس مؤتمر صحفى لممثلى حزب الاستقلال الوطنى فى روديسيا الشمالية ، وحزب اتحاد زيمبابوى الافريقى فى روديسيا الجنوبية بمناسبة حل الاتحاد من روديسيا ونياسالاند وقد قال ممثل حزب الاستقلال ان الاوربيين كانوا يهدفون من انشاء الاتحاد المنحل الى الحصول على نظام حكم أوربى لمنع الافريقيين من حكم لبلادهم .

القاهرة — أول يناير ١٩٦٤ :

وصل الى القاهرة السيد كوسكا أول سفير لكينيا فى الجمهورية العربية المتحدة .

أكرا — ٣ يناير :

أطلقت ٥ رصاصات فى محاولة فاشلة لاغتيال الدكتور نكروما رئيس غانا ، وقد تمكن البوليس من اعتقال الجانى .

زنجبار — ٥ يناير :

أعلن الشيخ على محسن وزير الخارجية والتجارة فى زنجبار ان حكومته قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالبرتغال ، وستفرض حظرا على التجارة مع جنوب افريقيا .

القاهرة — ٨ يناير ١٩٦٤ :

استقبل الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد جوهانز سافمبى وزير خارجية الحكومة الانجولية المؤقتة ، وقد أوضح الوزير الانجولى احتياجات الشعب الانجولى لوسائل التثقيف والاعلام . وأبدى الدكتور حاتم استعداده لمساعدة شعب انجولا فى هذا الميدان .

الكونغو — ١٠ يناير سنة ١٩٦٤ :

صرح سيريل أدولا رئيس وزراء الكونغو بأن الجيش الكونجولى سيخلف قوات الامم المتحدة بعد انسحابها ، وسيدافع عن وحدة

انجولا — ١٢ يناير سنة ١٩٦٤ :

صرح جوهانز سافيمبى وزير خارجية حكومة انجولا بأن الجمهورية العربية المتحدة وافقت على انشاء علاقات رسمية مع حكومته ، كما وافقت على تعيين ديوارتى فلورنتين ممثلا رسميا لحكومة انجولا فى القاهرة .

دار السلام — ١٣ يناير :

الاطاحة بالحكومة صاحبة الاغلبية فى البرلمان واعلنت الجمهورية برياسة عبيدى كروم ، وتولى عبد الارحمن بابو وزارة الخارجية .

أفريقيا والعصر الفيكتورى

بقلم : دونالد روبنسون
وجون جالاغار
وأليس دينى
تلخيص : محمد صفوت

يقع الكتاب فى نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، ويبحث فى العقلية الرسمية للاستعمار الأوروبى ، وفى الدوافع الحقيقية وراء التوسع الفيكتورى فى أفريقية كما يعقب بطريقة ملتوية على الحقيقة التاريخية للنظريات الاستعمارية الجديدة مستخدما الأسلوب الكلاسيكى لتقسيم القارة الافريقية .

ويقول المؤلفون فى مقدمة الكتاب أن الغرض من كتابة هذا الكتاب هو عرض النظرية الاستعمارية وليس سرد القصة التاريخية التى مرت بها الأقاليم الافريقية فى القرن التاسع عشر . كما أنهم لا يهتمون بالناحية الأخلاقية التى تكمن وراء الغزو الأوروبى بل يكرسون اهتمامهم بافريقية ذاتها لأنها الخطاف الذى يعقلون عليه نظريات القومية والسياسة العالمية والاطار الذى تلعب فى داخله السياسة الأوروبية وتوسعها .

ويبدأ الفصل الاول عن «روح التوسع الفيكتورى» فيقول : «لقد اعتبر الفيكتوريون أنفسهم قادة الحضارة ورواد الصناعة والتقدم ، فالصناعة الناهضة فى انجلترا تثير روح التطور فى ممتلكاتها فيما وراء البحار لأنها مجال استثمارها وتجارها ومستعمريها — ولهذا كانت القوى الصناعية الحقيقية ضئيلة اذا ما قيست بروح التوسع التى الهمتها الاستكشافات الجغرافية لكثير من معاصرى الملكة فيكتوريا .

ثم ينتقل المؤلفون الى الحديث عن الباعث الأخلاقى للتوسع فى غينيا وزنزيبار فيقولون « ان واجبنا نحو تحرير العبيد وتحويل الفكرة الى مؤمنين كانا البؤرة التى تنصب عليها القوانين التى صدرت سنة ١٨١٧

والتى أعلن فيها تحريم تجارة الرقيق » ونتيجة لهذا القانون نهضت الكنائس والجمعيات الداعية لتحرير العبيد لكى تؤدى واجبها فى هذا المجال ، حتى تحطم القيود التى تقيده ، وتسير به نحو الحضارة ، وتدخل به فى مجال التجارة .

ولكن سرعان ما تكسرت هذه المبادىء على مسرح الأحداث الافريقية الواحد تلو الآخر وسرعان ما أصبح رجال السياسة أصلب عودا واشد مراسا ، لأنهم رأوا بوضوح أنهم لن يستطيعوا أن يخدموا انجلترا الا اذا دخلوا رسميا ووضعوا أقدامهم فى المنطقة التى كانوا قد ادعوا تطبيق مبادئهم فيها .

فمن وراء ستار تحرير العبيد قامت انجلترا بحملات بحرية استطاعت أن تحتل خلالها جامبيا سنة ١٨١٦ وساحل الذهب سنة ١٨٢١ وسييرالبون سنة ١٨٢١ وتتدخل بين قبائلها وشعوبها وتثيرها ضد بعضها وكان أبلغ المثل على ذلك اثارتها شعوب الاشانتى ضد شعب الفولانى فى ساحل العاج مستغلة طيبة هذه الشعوب وعدم تجاربها فى الميدان السياسى .

وفى تلك الأثناء وقعت أحداث لها وقعها فى شمال افريقية على طوال ساحل البحر المتوسط ولا سيما داخل مصر حيث كانت انجلترا تنظر بعين الرغبة فى السيطرة ورعاية مصالحها فيها — ولم تكن تلك الأحداث الا موجة من موجات الدعوة الى القومية التى نحتت من الصخور الاستعمارية العتيقة وهددت بتحطيمها .

وفى الوقت نفسه اندلعت الحرب البويرية الأولى فى جنوب افريقية تهدد باكتساح النفوذ البريطانى هناك ، فأعلنت بريطانيا أنها السلطة العليا فى جنوب افريقيا وأنها الوصية عليها ، ولهذا عملت وزارة المستعمرات البريطانية على حماية شعوب البانتو الافريقية من « جشع .. وجرائم تلك الطبقة المغامرة الأوربية التى قادت الطريق نحو فتح أراضى الانسان البدائى » ولكن باءت هذه المحاولات بالفشل بعد أن أحرزت بعض النجاح المؤقت .

والامر المثير للدهشة حقا أنه بدلا من أن يحاول البريطانيون أن يحلوا المشكلة لصالح الافريقيين كما أدعوا ، بحثوا عن حل يرضيهم هم ويرضى كبرياءهم فرأوا أنهم يجب أن يكونوا اتحادا ، فيدراليا تكون السلطة العليا فيه فى أيديهم ، ولكن الافريكانرز وهم البويوبون المتأفرقون قاموا بثورة ضد هذا الاستعمار البريطانى كانت فاتحة لما يسمى « بحركة الافريكانر السياسية » .

وكان انهيار هذا الاتحاد الكونفيدرالى الشغل الشاغل « لكيمبرلى » اذ أنه استبعد جميع الحلول الانسانية بل وقف ضد الداعين اليها ، ووضع غرب جريكوالاند تحت الادارة الاستعمارية فى محاولته للمرة الثانية حث حكومة الكاب أن تفرض سيطرتها على هذا الاقليم بدلا من وزارة المستعمرات وبهذا ظل السكان الوطنيون ألعوبة فى أيدى السياسة البريطانية .

وفى الفصل الخاص « بأزمة السويس سنة ١٨٨٢ » يقول المؤلفون أنه « لم تمض فترة طويلة على حل وزارة جلاد ستون لأزمة جنوب افريقية » حتى اندلعت فى وجهها ثورة السياسة التى اتبعتها فى جنوب افريقية بل أرادت أن تفعل ما فعله بالمرستون مع محمد على وتحول مصر مستعمرة شبيهة بالهند الى حد كبير .

وكانت فكرة بالمرستون قذف الباشا محمد على فى النيل حتى تمنع الحماية الفرنسية من أن تفرض سلطتها على الطريق القصير المؤدى الى الهند ، وفى الوقت نفسه كانت فرنسا تعارض البريطانيين فى محاولتهم مد خط حديدى من القاهرة الى السويس خوفا من زيادة سلطات منافسيهم فى مصر ولهذا كانت كل من السلطتين تحاول أن تحد من سلطات الأخرى ولكن كان تصميم بالمرستون أقوى وأشد .

وقد واتت الفرصة بريطانيا حينما دخلت تركيا حرب القرم وانهارت تجارتها واندفعت الى الديون والقروض مما أدى الى حلول أزمة مالية بالبلاد أدت بدورها

الى الثورة والتذمر ، ومحاولة الولاة المحليين أمثال اسماعيل تحقيق آمالهم ومطامعهم بعيدا عن السلطان التركى ، فاتجهوا الى الاستدانة التى كان من نتيجتها أن تدخلت انجلترا فى الشئون المالية للبلاد ـ لتلعب دور جحا حينما حاول أن يحافظ على مسماره .

ولقد قامت عدة ثورات قومية كان لها تأثيرها على السياسة الاستعمارية اذ أن وزارة الأحرار بعد أن فشلت فى الوصول الى حل مع الثوار المصريين أرادت أن تؤمن نفسها من الخارج فاحتلت السودان وافريقية المدارية ، ومدت رواقها فى جنوب افريقية فاحتلت بتشوانالاند وزامبيسيا وترانشفال ذاتها ، على أن تعثر السياسة البريطانية فى مصر أدى الى تقسيم المناطق المدارية فى افريقيا بين القوى المستعمرة .

ولولا احتلال الانجليز لمصر لما كان من الممكن أن يتم الزحف الأوروبى على افريقيا فى مثل هذا التيار الجارف الذى رأى فى مزارع ومنتجات الأراضى الافريقية العذراء ما يغريه ليغذى بها اقتصاده القومى النامى ـ وأخيرا اتفقت بريطانيا مع فرنسا على أن تحتل فرنسا تونس فى مقابل أن تطلق انجلترا يدها على مصر .

واتجهت بريطانيا بعد ذلك الى مد نفوذها فى نهر النيجر وشرق افريقية لأنه كان يساورها حلم مد خط متصل من المستعمرات البريطانية يمتد من شمال افريقية حتى جنوبها ، ولم تجد فرنسا والمانيا بدا من معارضة هذه السياسة التوسعية وابتدأها فى الكونغو حيث كانت حكومة جلادستون تحاول أن تدفع البرتغال لتطالب بالكونغو وبهذا يكون الكونغو تحت الحكم البرتغالى وفى يد التجار الانجليز ـ ولكن التهديدات الفرنسية والبلجيكية كانت أقوى وأسرع فاعلية .

وفى سنة ١٨٩٥ تولت وزارة المحافظين الحكم برياسة اللورد سالسبرى وعلى رأس وزارة المستعمرات جوزيف تشامبرلين .

واتبعت هذه الوزارة سياسة صريحة ترمى الى بناء امبراطورية بريطانية يدفعها الى ذلك الحاح الشركات البريطانية فى برمنجهام ومنشستر وليفربول بعد أن أصبحت المصنوعات البريطانية تلقى كسادا فى الأسواق الخارجية نتيجة لتقدم الصناعة فى كل من المانيا وفرنسا ومن ثم رأت بريطانيا أنها يجب أن تحصل على ممتلكات لها فى افريقيا تجلب منها مادة خام رخيصة ولتكون سوقا لها .

وقد استطاعت بريطانيا فى حوالى تسع سنوات فى الفترة ما بين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤ أن تسيطر على ثلث القارة الافريقية فسيطرت على نيجيريا وساحل الذهب والسودان وأوغندا وكينيا ، كما هزمت البوير فى حرب طاحنة انتهت بضم مستعمرة الأورانج والترنسفال الى مستعمراتها فى جنوب افريقية ويعود الفضل فى هذا الى ثلاثة من كبار الاستعماريين هم « اللورد ساليسبرى وتشامبرلين وسيسيل رودسى رئيس وزراء جنوب افريقية واثنين من قواد الحروب هما اللورد فيليب لوجارد واللورد كتشنر .

ولقد غالى جوزيف تشامبرلين فى الدأب المتواصل فى سبيل بناء الامبراطورية البريطانية حتى قالت عنه جريدة ليدى فرنسيس بالفور أنه لا يتردد فى خوض غمار الحرب ضد أية قوة على الأرض من أجل هذه الامبراطورية التى لم يكن يشغل تفكيره شىء سواها .

ويخلص الكتاب الى هذه النتيجة : قد تتساقط الامبراطوريات وتنهار ، ولكن الاستعمار دائما ، يعود ليحيا بشكل من الأشكال ، فلقد أبهرت مبادئه الأخلاقية نظر الدارس الأخلاقى كما أن أسباب قيامه واندثاره قد حيرت دارس التاريخ . فمازالت أفكار العظمة وجنونها تعلق برؤوس كثير من الشعوب والدول ـ بل أنها ما زالت تحت هذه الشعوب فى هذه الفترة من تاريخ الانسانية المتحررة أن تعيد سيطرتها وتمد نفوذها . ولذا يجب أن نحذر حتى لا نكون فريسة لها .

فهـــرس موضـــوعى لمجلة نهضـــة افريقيـــة

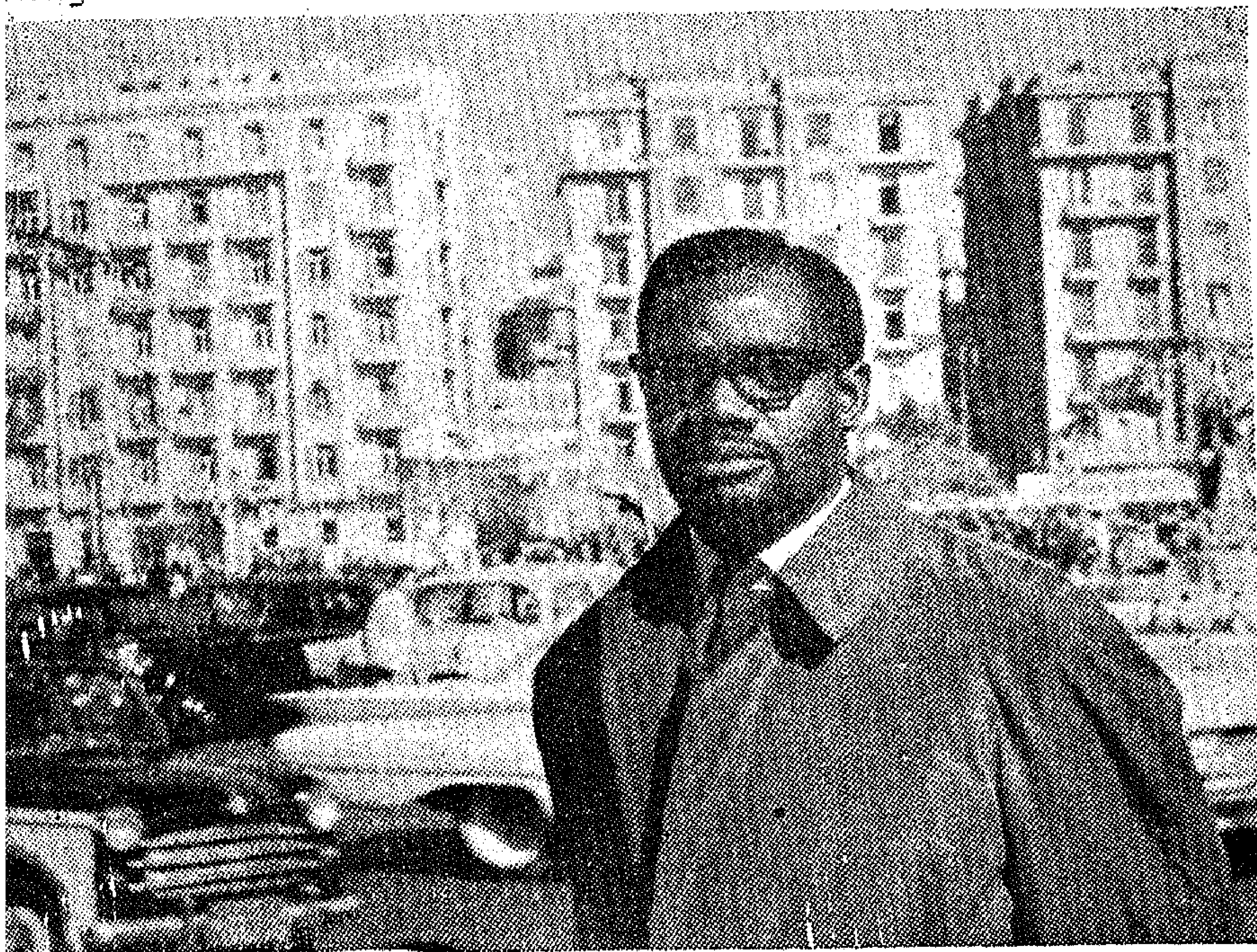
افتتاحيات



« ملكة جمال نيروبى .. فى عيد الحرية »

Issue No. 74 Seventh year January 1964

RENAISSANCE OF Africa



العدد ٧٥ السنة السابعة - فبراير ١٩٦٤ الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



أشباح الكونغو في افريقية الشرقية



« الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل دافيد تشارل جانو وزير الخارجية والاستعلامات فى الكنغو .. »

نهضـــة افريقيـة

يهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعي القومي الافريقي .

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقي فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شـارع عبـد الخالق ثروت
تليـفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبـار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .



نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى..

ان المعارك التى تتجدد دائما على الحدود بين الصومال واثيوبيا تقلق الافريقيين ، وتجعلهم فى خوف دائم على الرأى العام الافريقى ، وتجعله فى خوف على ماحققه من انتصارات فى السنوات الاخيرة .

ومع أن هذه المعارك ليست الا نتيجة لتقسيم الحدود فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ ، وماجاء بعد ذلك ، الا أن الافريقيين يجب أن يعالجوا مشاكلهم فى جو يسوده التفاهم ، وفى الوقت نفسه داخل ((الاسرة الافريقية)) ، بعيدا عن هؤلاء الذين بذروا بذور الشر ، والذين لا يزالون يتربصون بالمكاسب الجديدة التى حققتها افريقية .

وفى ضوء هذا نستطيع أن نؤكد تلك السعادة التى غمرت الافريقيين بالرسالتين اللتين وجههما الرئيس جمال عبد الناصر الى امبراطور اثيوبيا ورئيس جمهورية الصومال والتى جاء فيهما ((.. ان كل دم افريقى يراق فى هذه الظروف ليس خسارة فى أرواح البشر فحسب وانما هو خسارة يدفع ثمنها التضامن الافريقى ، والوحدة الافريقية ، والكرامة الافريقية .))

فما أحوج افريقية الان — وهى تخرج من معركة الاستعمار — الى الترميم والبناء واذابة التناقضات والمخلفات الاستعمارية ، حتى يسود السلام فى كل جزء من أجزاء القارة

عبده بدوى

فهرس العدد

أشباح الكونغو في افريقية الشرقية

بقلم المحرر الدبلوماسي

كيف فقد الكونغو استقلاله الفعلي وعاد خطوات رهيبة الى الوراء وأصيبت وحدته بالوهن والتمزق ..؟

لقد بدأت حلقات الفاجعة باعتصاب الجيش الوطني وثورته على ضباطه البلجيكيين بعد اعلان استقلال البلاد بأسبوع واحد .

ولقد قيل الكثير عن أسباب اعتصاب جيش الكونغو في صيف عام ١٩٦٠ ولكن الذى شهدناه هنالك على الطبيعة أكد لنا أن مؤامرة بلجيكية هي التى أدت الى ذلك الاعتصاب ، فقد دبر المتآمرون جلاء جماعيا للرعايا البلجيك عن ميناء ((ماتادى)) ثم جاءت طائرات بلجيكية فقصفت الميناء بالقنابل ودكت أرصفته ومنشآته على رءوس حراسه من الجنود الكونغوليين .

وكانت اتفاقية استقلال الكونغو تنص على بقاء القائد العام البلجيكي وأكثر ضباطه الاجانب على رأس الجيش الوطني الكونغولى ، فما كان من الجنود الكونغوليين في المعسكرات النائية الا أن هبوا ساخطين وسجنوا ضباطهم البلجيكيين وأذاعت وكالات الانباء الاستعمارية أنباء مبالغا فيها عن أعمال انتقامية ، وعادت قوات الاحتلال البلجيكية فاحتلت عاصمة البلاد ومدنها الكبرى من جديد .

وطلب لومومبا العون من الامم المتحدة التى أرسلت اليه قوات دولية حلت محل القوات البلجيكية ، ثم أفلت الزمام من سلطات الامم المتحدة في الكونغو وانتشرت الفوضى التى قتل في خلالها بطل الاستقلال ، وانفصلت « كاتانجا » ثم « جنوب كاساى » ثم انتهى انفصالهما بعد أن وضع دستور مزق وحدة الكونغو وجعل فيه أربعا وعشرين حكومة وأربعة وعشرين برلمانا وعددا لا يحصى من الساسة المتضاربين المتنازعين ..

ان مقدمات ما حدث في افريقيا الشرقية ـ باستثناء ثورة زنجبار ـ قريبة الشبه بما حدث في الكونغو منذ أربع سنوات ..

فقد تعددت الآراء حول أسباب الاعتصاب العسكرى الذى حدث في جيش تنجانيقا وفي القوات المسلحة في كينيا وأوغنده ، ولكن تلك الاسباب يمكن ارجاعها في النهاية الى الاسباب الرئيسية لاعتصاب جيش الكونغو غداة الاستقلال ..

فان جيش تنجانيقا لم يثر في الواقع ضد حكومة بلاده وكذلك الأمر في كينيا وأوغندا ، والدليل على ذلك أن الجيش قد احتل العاصمة والميناء والمطار ومحطة الاذاعة ، و ((تحفظ)) على بعض الوزراء وكان في وسعه ـ فيمايبدو

أن يسقط الحكومة ويؤلف حكومة جديدة ، ولكن الاتفاقية التى عقدها وزير الدفاع مع القادة الثائرين والتى حققت مطالب الجيش أثبتت أن الدافع الى الثورة ، كان مجرد التخلص من القائد الأجنبي وضباطه من جهة ، ورفع المستوى المادى للضباط والجنود الوطنيين من جهة أخرى..

فمن ذا الذى زرع بذرة التمرد اذن فى جيش تنجانيقا واضطر ضباطه وجنوده ، بعد أكثر من سنتين بعد الاستقلال ، على الثورة والاعتصاب ..

انه اصرار المستعمر السابق على أن يظل ، بلحمه ودمه وامتيازاته وغطرسته ، قد ولد هذا الانفجار الذى أدى فى النهاية الى عودة الاحتلال السافر بجنود مظلاته وحاملات طائراته ...

ولقد كان الأمر فى كينيا أسوأ حالا ، فان المستعمر لم يفرض على الزعماء الوطنيين — فى مفاوضات الاستقلال — لم يفرض ضباطه العسكريين على الجيش الوطنى وحسب ، وانما نص فى الدستور المؤقت على أن يكون القائد العام للشرطة ضابطا بريطانيا ..

وظل السادة الضباط الأجانب يمارسون سلطاتهم — باستعلاء — وينعمون برواتب تقارب رواتب الوزراء الوطنيين ، فى حماية سلطات الشرطة التى يرأسها ضابط أجنبى دخيل ...

ولقد كنا فى منطقة شرق افريقيا حين برزت احدى مقدمات الاعتصاب العسكرى فى أوغندا ...

كان ذلك فى يوم ١٧ ديسمبر من العام الماضى ، أى غداة استقلال كينيا ، حينما أقامت جماعة من الموظفين ورجال الاعمال البريطانيين فى أوغندا حفلا تنكريا ساهرا فى احدى ضواحى كمبالا ... وفى ذلك الحفل لبس كل واحد من هؤلاء السادة ملابس زعيم افريقى ، وأخذوا يتبادلون « النكات » و « **المنولوجات** » الساخرة التى تصور الزعماء الوطنيين فى أوغندا وكينيا وتنجانيقا بصورة الدجالين الأدعياء المتهالكين على الملذات وعلى « **المعونات الأجنبية** » .

وتسرب نبأ الحفل الى الحكومة ، فوقف رئيسها ، فى اليوم التالى ، يشرح الأمر لأعضاء البرلمان الثائرين وينبئهم أنه قرر ابعاد من تطاولوا على أوغندا وافريقيا الى بلادهم ، وتم ذلك فعلا ، ولكن الشعب الأوغندى ظل يغلى غضبا ، وأما الجيش فقد زاد من سخطه وجود نفس السادة الضباط الذين أحنقوا الوطنيين فى كينيا وتنجانيقا .

ان المقدمات المباشرة التى أدت الى أحداث الكونغو عام ١٩٦٠ تشبه اذن ، الى حد كبير ، المقدمات المباشرة لأحداث افريقيا الشرقية عام ١٩٦٤ ، ولقد يضاف اليها من أوجه التشابه : التزعزع المتعمد للأوضاع الاقتصادية والخوف من عجز الميزانية والاضطرار للقروض والمعونات الأجنبية المشروطة ، وانتشار البطالة وغلاء المعيشة ، وقبل هذا كله ، رسوخ الروح القبائلية بما تثيره من شكوك وحقد وتباعد عن التعاون بين أبناء الوطن الواحد ...

ولقد لجأت حكومات شرق افريقيا ، الى أسرع علاج معقول فى نظرها ، بصفتها عضوا فى الكومنولث ، باستدعاء المعونة العسكرية البريطانية ، ولكن الرئيس نيريرى لم يتمالك أن يصف الاسبوع الذى وقعت فيه تلك الأحداث بأنه « أسبوع الخزى والعار » ، وما لبث الرئيس التنجانيقى أن حاول تدارك الأمر بدعوة وزراء خارجية افريقيا ووزراء

الدفاع فيها للاجتماع لديه وبحث جوانب الكارثة وأمثل الوسائل لعلاج آثارها ، واستقر الأمر فى النهاية على أن يترك لتنجانيقا أن تدعو اليها « قوات أمن » افريقية ، من الدول التى تختارها هى ، الى

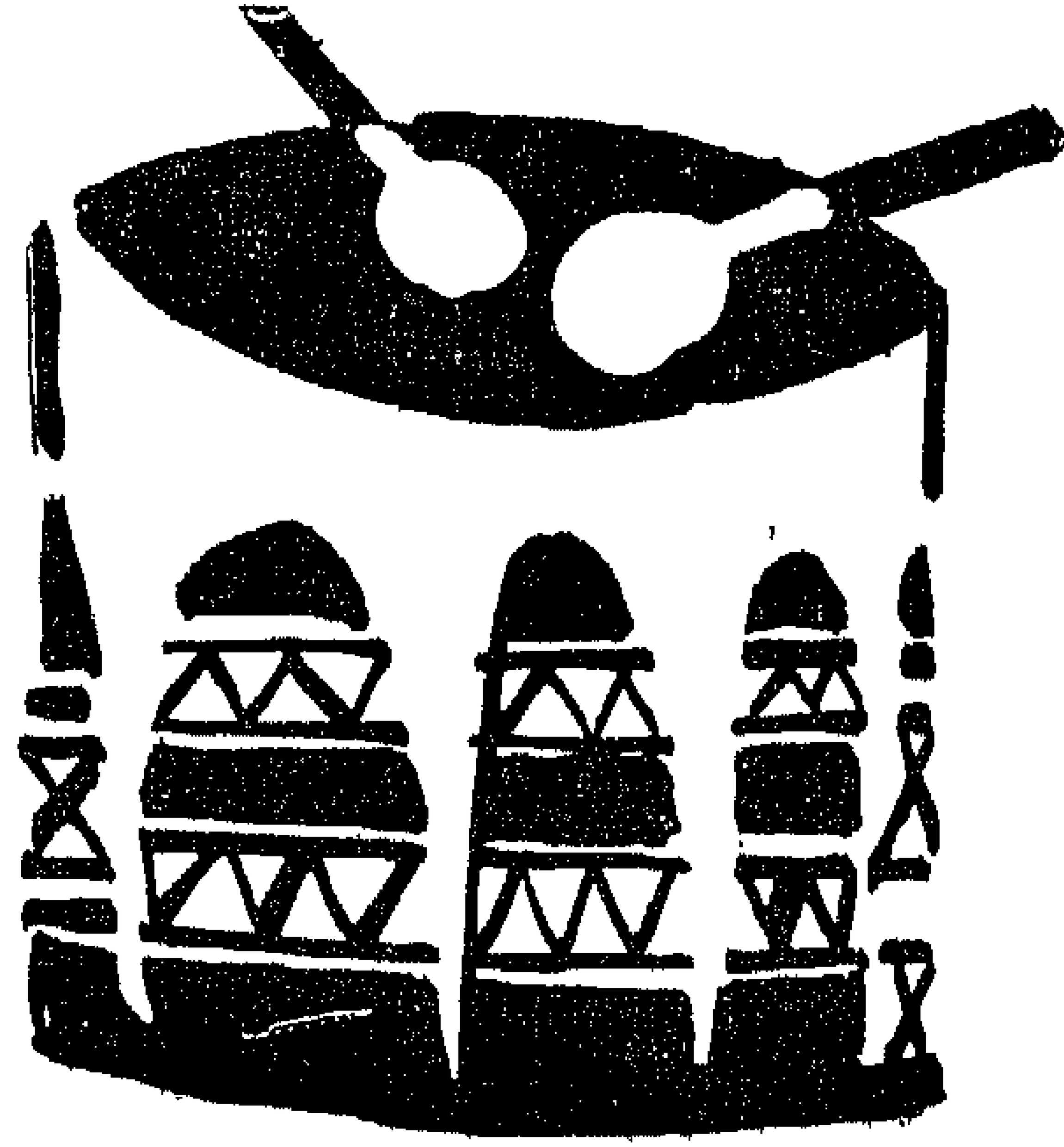
أن تتمكن من تكوين جيش وطنى خالص لا يعانى من آثار الاستبداد القديم ولا يشعر بالهوان تحت وطأة الضباط الأجانب ..

على أن تكوين جيش وطنى خالص ، لن يحل وحده المشاكل المتخلفة عن الاستعمار الطويل الراسخ فى تربة افريقيا الشرقية ، فان العناصر التى أدت الى الوضع المؤسف الحالى فى الكونغو ، ما تزال ماثلة بأخطارها المحتملة على شاطىء افريقيا الشرقى ...

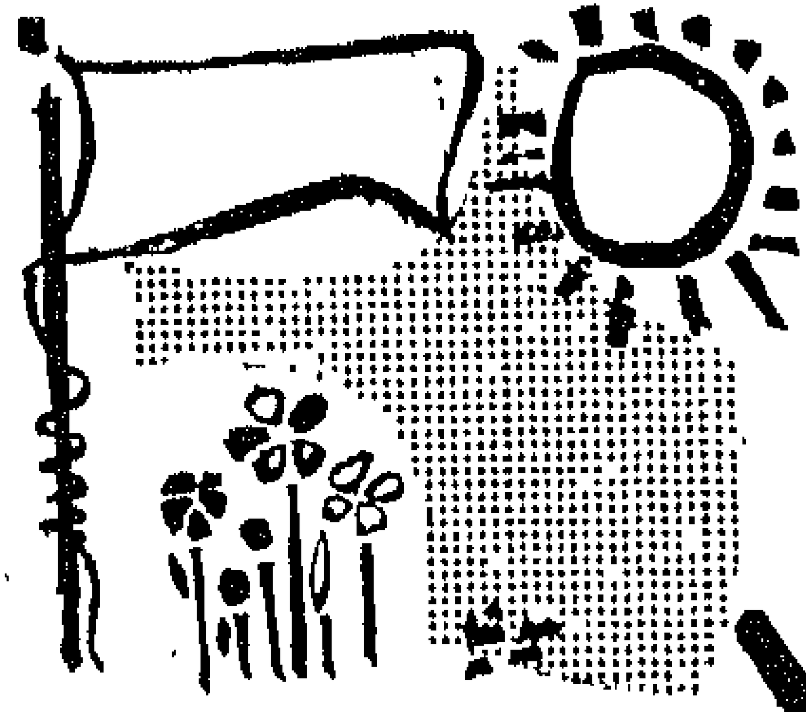
وما لم يصاحب تكوين الجيش الوطنى اعادة النظر فى الأوضاع الاقتصادية الجائرة التى ما تزال محتفظة بالأراضى الخصبة فى كينيا ، فى أيدى المستوطنين الاوربيين ، وبمصادر الثروة المعدنية والزراعية فى تنجانيقا وأوغندا فى أيدى حفنة من الرأسماليين الاجانب ...

وفى الاوضاع الاجتماعية التى تتيح أقصى خدمات التعليم والصحةوالسكن والمواصلات لجماعات الطارئين على البلاد ، والتى ما تزال تقسم مدن افريقيا الشرقية الكبرى، الى أحياء أوربية ، وهندية ، وافريقية ..

مالم يصاحب تكوين الجيش الوطنى اعادة النظر فى تلك الأوضاع فان أشباح الكونغو سوف تطوف على الجانب الافريقي المقابل الذى لا تفصله عنها الا القلاقل المعدية فى ((رواندا)) و ((بوروندى)) ..



مشاكل التكوين القومى فى افريقية



بقلم حسين فهمى

للقرن العشرين سمات خاصة ينفرد بها ، أهمها أنه قرن الثورات العظام فى تاريخ الانسانية .. ويمكن أن تندرج هذه الثورات تحت أربعة أشكال مختلفة ، وان كانت تربطها جميعا فى نفس الوقت خيوط متينة ، ووشائج قوية .. بل وتغذيها فى أكثر الاحيان شرايين واحدة ، ومنابع متصلة فى الثورة الوطنية .. والثورة الاجتماعية .. والثورة العلمية .. والثورة على الحرب .

وفى ظل الظروف الموضوعية التى خلقتها هذه الثورات استطاعت أغلب شعوب آسيا وافريقيا الحصول على استقلالها السياسى ، وأخذت تواجه مرحلة تكوين دول قومية .. وفى الخمسينيات والستينيات أخذت أغلب الشعوب الافريقية تسير فى مجرى التطور القومى ، وتواجه الكثير من المشاكل الخطيرة التى لم تكن من صنع يديها ، تقدير ما كانت جزءا من التركة الاستعمارية ..

ولا شك أنه ينبغى التفريق بين مظاهر ومشاكل التكوين القومى فى شمال افريقيا حيث قامت المجتمعات البرجوازية ، وفى افريقيا الاستوائية مثلا .. حيث تتفاقم المشاكل الخطيرة ، وتواجه الشعوب الافريقية حديثة الاستقلال مصاعب ذات طابع معين فى طريق التكوين القومى ، وحيث تقوم المجتمعات الاقطاعية والقبلية ..

وقبل أن نعرض لهذه المشاكل ينبغى أن نبدأ بالقصة من أولها لنرى كيف بذر الاستعمار منذ قدومه الى افريقيا بذور هذه المشاكل .. والعقبات .. ففى غمار التطاحن بين القوى الاستعمارية للسيطرة على افريقيا خلال القرن التاسع عشروأوائل القرن العشرين حاولت كل دولة استعمارية أن تقتطع لنفسها النصيب الأكثر ثراء الى أن انتهى الامر بتقسيم القارة الى خمسين وحدة سياسية بين القوى الاستعمارية المختلفة والتى شكلت، منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، جبهة متحدة للوقوف فى وجه حركة التحرر الوطنى الافريقية .. ولكن بلا جدوى ..

ولقد أغفل التقسيم السياسى لافريقيا الحدود الطبيعية بين الجماعات المتجانسة عنصرياوتجمعها مقومات من العادات والتقاليد أو اللغة أو الدين أو المصالح الاقتصادية .. وكان من نتائج ذلك ان مزقت هذه الحدود بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى صراعها للحصول الوحدات المتجانسة الى مستعمرات متعددة

.. حتى لاتكاد توجد مستعمرة فى افريقيا الاستوائيـة كلها يقطنهـا شـعب واحـد متجانس ! !

ويحاول الرجل الابيض دائما ان يبررهده الجرائم الاستعمـارية بأن الفوضى العنصرية كانت تسـود القارة قبل ان يتسلل اليهـا الاستعمار ، وان الاستعمار قد ادخـل ــ فى هذا المجال ــ نوعا من النظام .. ولـكن أى نصيب لهذا الزعم من الحقيقة ؟ ! ان امثلة عملية كثيرة جدا تستطيع ان تنسف هـذا الزعم .. ولكن مثـلا واحدا نعرفه جيـدا يكفى لذلك .

ان الشعب الصومالى كان يشكل وحـدة متجانسـة ، ولو أتيحت له فرصـة التطـور التاريخى فى ظروف طبيعية لاصبح أمةواحدة متجانسة .. ولـكن الاستعمار قسم هـذا الشعب الواحد الى أجزاء كثيرة .. ذلك ان بريطانيا وفرنسا فى صراعها للحصول عـلى منفذ الى المحيط الهنـدى انتهت بتقسـيم الصـومال بينهـا .. فتحـول الى ثلاث مستعمرات بريطانية وفرنسـية وايطاليـة ، وأقامت كل دولةمنها نظاما يقوم على ثقافتها ونظامها وعاداتها وتقاليـدها فى الجزء الذى استولت عليه .. وهكذا أوقف الاستعمار التطور القومى لهذا الشعب الافريقى .. وتعطل هذا التطور حتى احرزت الثورةالوطنية انتصارها ، وبدأ شعب الصومال من جديد تكوينه القومى وسـط الكثير من الصـعاب والعقبات .

وهكذا تتضح الحقيقة الواقعـة وهى ان المستعمرين هم الذين خلقوا الفوضى العنصرية التى يتحدثون عنها نتيجة لتقسيمهم القارة الى وحدات مصطنعة ولا تقوم على اى اساس .. ونتيجة لتمزيقهم لوحدة الجنس على قدم المساواة مع تمزيقهم لوحدة الارض .. ولكن تمزيق الخريطة الافريقية جغرافيا وقوميا ، وقبليا وعنصرا ، واقتصاديا .. الخ . لـم يكن العقبة الوحيدة فى طريق التكوين القومى .

.. فمن أجل تهيئة الظروف الموضوعيـة لاستخدام سياسة « فرق تسد » بنجاح ضد الشعوب الافريقية تدعيما للسيطرةالاستعمارية عمل الاستعمار دائما على اشاعة الانقسـام والتفكك . كيفما استطاع الى ذلك سبيلا .. فحيث يسود الاقطاع ، كما فى نيجريا واوغنده مثلا ، استخدم الاستعمار الاقطاع فى تحقيق أهدافه .. وحيث ساد النظام القبلى القديم استخدم الاستعمار هذا النظام ، واستخدم زعمـاء القبـائل انفسهم فى فرض الادارة الاستعمارية .. بل ان الاستعمار ايمانا منه بآثار النظام القبلى المدمرة لمصالح الشعب ــ طبق نظام الزعامة القبلية فى بلاد ومنـاطق كثيرة لم يكن لها علم به ، ولا كان سائدا فى مجتمعاتها .. ان النظام القبلى كان الاداة التى استخدمها المستعمرون فى فرض السيطرة الاجتماعيـة والسياسية والاقتصـادية عـلى الشعوب الافريقية .. ولقـد حذر الجنرال سمطس رئيس حكومة اتحاد افريقيا الاسبق دائما من الغاء النظام القبلى مؤكدا ان نهاية هذا النظام تعنى نهـاية النظام الاستعمارى نفسه .

وفى كتابه « داخل افريقيا » يقول الكاتب الامريكى جون جنتر بعد زيارته الطويلة لافريقيا **وطالما ظل الافريقيـون يطبقون النظام القبلى فانهم لن يكونوا مشكلة للمستعمر ،وستقتصر مشكلتهم فى الحقل الادارى المحلى فقط »** .

وهكذا يتضح أن السياسة الرجعية العتيقة التى استخدمها الاستعمار عن عمد فى افريقيا كانت ــ بعد التقسيم ــ الطعنة الثانية التى وجهت الى صدور الافريقيين .. ذلك أنهـا تشكل عائقا خطيرا فى طريق التكوين القومى للامم الافريقية .. بكل مايعنيه هذا التكوين من مصالح حيوية .. ولقد أدت هذه السياسة القائمة على تقسيم الجماعات القوميـة الى صغيرة من قبائل ، واقسام قبائل يرأسها أفراد وزعماء الى أستغلال الفـلاح الافريقى تحت أشكال مختلفة من الاقطاع .. كمـا كان من نتائجها تحلل القبـائل واضمحلالها وتحويلها الى مجتمعات صغيرة لا اهمية لها .. كذلك وبتشجيع الاتجاهات القبلية الصغيرة والاقليمية والانعزالية استطاع الاستعمار ان يثير البغضاء والكراهية بين القبائل والعشائر واسـتعان فى ذلك بالمبشرين ، وعلماء اللغـات الذين

حولوا اللهجات الى لغات مكتوبة ، وعلماء الاجناس الذين بذلوا كل الجهود فى وصف وتدعيم العادات والتقاليد المختلفة ، وتجاهلوا فى مهارة وخبث ، كل ما يجمع بين القبائل من الصفات المشتركة ، أو الوشائج القديمة .

وهكذا تضافرت جهود المستعمرين والمبشرين والعلماء فى الحيلولة بين هذه القبائل وبين تطورها الى قوميات متجانسة ..

وثما عقبة ثالثة من العقبات التى تواجه الشعوب الافريقية فى مجرى التطور القومى .. ونعنى بها مشكلة اللغات الافريقية .. فاللغة المشتركة من أهم مقومات الامة .. ولغة الامة تتكون عند ما تصبح احدى اللهجات القبلية لغة واسعة الانتشار بين القبائل .. دافعة فى طريقها اللهجات الاخرى ، ومضيفة ألى رصيدها ما يتكون لها من ثروة لغوية فى طريق تطورها ، حتى تحقق هذه اللغة نصرها النهائى عند ما تتحول الى لغة تكتب بها الآداب .. أى عند ما تصبح لغة الادب .

ولقد كانت اللغة السواحلية (هى اللغة المستعملة بين قبائل أفريقيا الاستوائية) .. لقد وجد المستعمرون هذه اللغة كلغة مكتوبة بالحروف العربية .. أما فى الجزء الغربى من القارة فقد كانت لغة الهوسا هى اللغة السائدة ، كما كانت مكتوبة بحروف قريبة من الحروف العربية عند ما جاء الاستعمار ..

اما فى الكونغو فكانت لغة الكيكونغو هى السائدة .. وفى مناطق اخرى ظهرت لغات كثيرة تنطق بها قبائل متعددة ، وكانت هذه اللغات تجتاز مرحلة التطور الى لغات قومية عند ما وصل المستعمرون .. بل لقد كانت بعض اللهجات قد بدأت تتحول الى لغات مكتوبة كما فى نسبيدى ، وفاحا ، وباموم .

ولكن الاستعمار حال دون تطور هذه اللغات بعد أن اصبحت لغة المستعمر هى اللغة الرسمية للمستعمرات تستخدم فى التعليم ، والتشريع ، والاجتماعات العامة ، والصحافة ، والاذاعة ، والتفاهم بين القبائل المختلفة .. حتى ان الافريقى الذى يحاول أن يجد له مكانا فى الحياة خارج حدود قبيلته كان مضطرا الى تعلم اللغة الرسمية السائدة .. وهى لغة المستعمر .. ولاشك ان هذا الامر عاق تطور أية لغة محلية ، وحال بينها وبين أن تصبح اللغة العامة للتفاهم بين سكان المستعمرة ، وبين أن تتطور الى لغة الادب ..

وهو الامر الذى ساعد على نجاح سياسة فرق تسد من ناحية ، كما حال بين اتحاد السكان لمقاومة المستعمر من ناحية ثانية ، وكذلك عوق التكوين القومى لشعوب المستعمرات من ناحية ثالثة .

وتحقيقا لكل هذه الاغراض منع المستعمر أية محاولة مهما كان نوعها لخلق ابجديات أفريقية ، ولا لتطوير اللغات الافريقية الى لغات قومية .. كان ذلك شأن المستعمرين الفرنسيين مما أدى الى حصول المستعمرات الفرنسية على استقلالها دون ان يكون لشعوبها لغة أو لغات مكتوبة خاصة بها .. وفى المستعمرات الانجليزية اتبع المستعمر أسلوبا اخر فقد أوجد — بالتعاون مع المبشرين — أبجديات لاتينية للهجات القبلية المختلفة والمتعددة فزاد الامر تعقيدا من الناحية اللغوية ، وحال دون قيام لغة قومية واحدة .. ففى ساحل الذهب مثلا نجد أربعة اشكال مختلفة للكتابة بلغة واحدة وهى لغة الاكان Akan ذلك لان اللهجات الاربع لهذه اللغات وهى الاشانتى Ashanti والفانتى Fanti والاكيم Akim والاكنابيم Akvapim أصبحت بقدرة قادر ، مكتوبة بأبجديات مختلفة الامر الذى أصبح حجر عثرة فى طريق التطور القومى لشعب الاكان ولقد شكلت حكومة غانا أخيرا لجنة لوضع أبجدية موحدة للغة الاكان .

ولقد أدى كل ذلك الى ان تصبح اللغتان الانجليزية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان لاغلب دول افريقيا المستقلة .. وبانتشار التعليم يزداد المتحدثون بهاتين اللغتين .. وهو الامر الذى يضاعف — حتى فى عهد الاستقلال — من الصعوبات أمام اللغات الافريقية والتكوين القومى الافريقى .. فاللغة الاجنبية لايمكن

أن تصلح أساسا لغويا للوحدة القومية . . **وقد اعترف بهذه الحقيقة مؤتمر الكتاب والعاملين فى حقل الثقافة الافريقية المنعقد فى روما عام ١٩٥٩ عندما اتخذ قرارا خاصا بحق افريقيا فى آن ترفض أية لغة أجنبية أوربية كانت او غير أوربية كلغة قومية .**

ومما يزيد الامر تعقيدا وجود لغات كثيرة مختلفة فى أفريقيا الاستوائية .. وكثير من هذا اللغات ذات أصول لغوية مختلفة ، وكثير غيرها لهجات مشتقة من أصل لغوى واحد.. ولذلك فان خلق لغة قومية يتطلب جهودا كبيرة ، كما يتطلب ومراعاة لظروف كل بلد .. ففى بعض الدول يمكن خلق لغة قومية واحدة ، وفى دول أخرى لابد من خلق أكثر من لغة قومية .

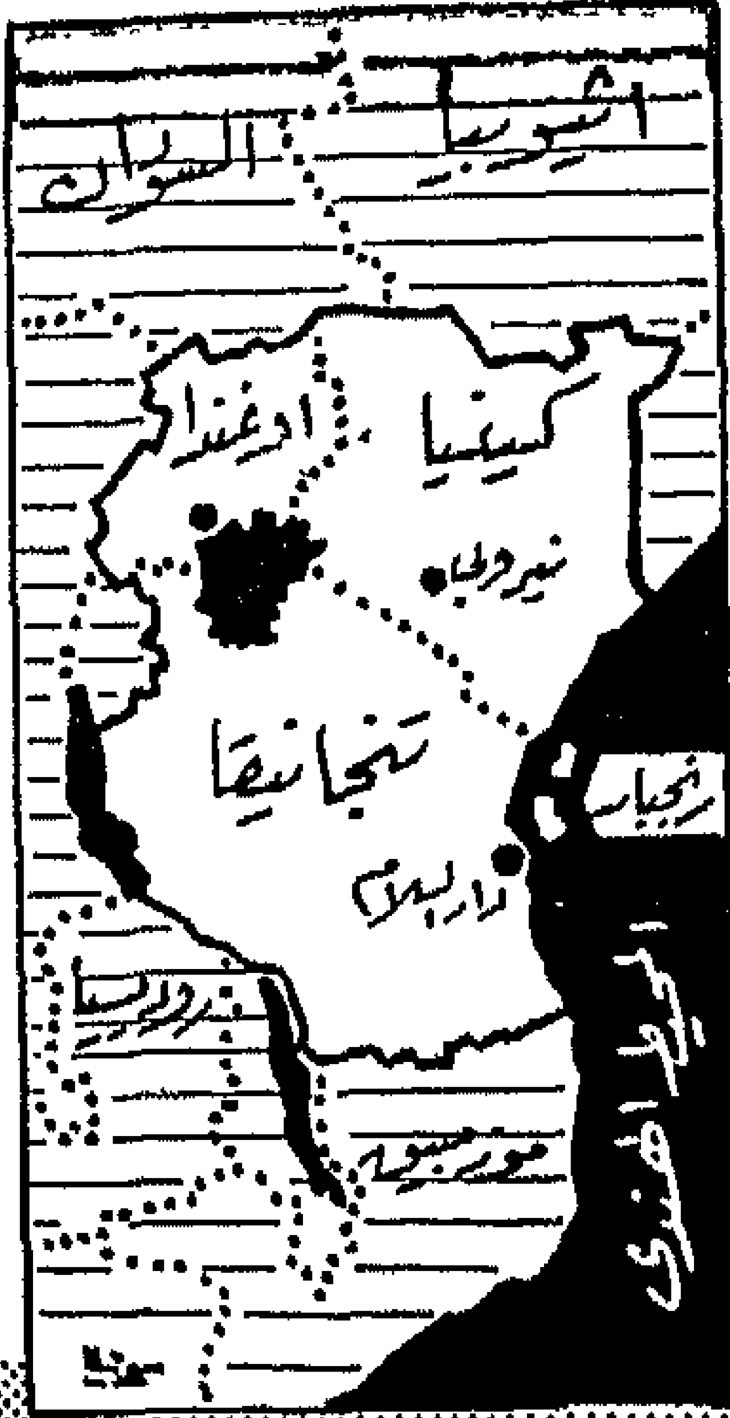
والحكومات الافريقية المستقلة وحدها هى الكفيلة بحل هذه المشاكل .. ولكن للامر وجها اخر هو دور اللغات الافريقية فىالقضاء على الامية .. ذلك ان أخطر مشكلة تواجه الشعوب الافريقية هى مشكلة الجهل والجهل هو البصمة الهائلة التى تتركها أصابع الاستعمار بعد أن يضطر الى الانسحاب فأى اللغات تستخدم فى القضاء على هذا الجهل؟! وهل يعنى القول بأن اللغات الاوربية لاتصلح لغات قومية أفريقية ان تحرم تدويس هذه اللغات ؟!

فى رأينا ان هذا العمل خطوة الى الوراء ، وان المسألة هى مسألة العلاقة بين اللغات القومية واللغات الاجنبية لا مسألة تحريم هذه اللغات الاخيرة .. وهنا يظهر بوضوح أن معظم حكومات افريقيا الاستوائية لم تستقر بعد على خطة فى هذا السبيل . . ونعنى به اختيار اللغة القومية ، وتحديد العلاقة بين هذه اللغة واللغات الاجنبية .

ولا شك أن تحديد اللغة القومية فى دولة تعيش فى اطارها شعوب أو أجناس مختلفة يعتبر أمرا على جانب كبير من الاهمية لانه يؤثر على العلاقات بين هذه الشعوب..ولذلك فانه يحتاج الى الكثير من الحذر والاناة .. ولا ينبغى أن ننسى ان تاريخ الدول ذات القوميات المتعددة يسجل أن لكل قومية الحرية التامة فى استخدام لغتها الخاصة ، والا تحول الامر الى صراع داخلى يعوق التكوين القومى، بدلا من أى ينميه .

والى المقال القادم لنستكمل دراستنا للعقبات التى خلقها الاستعمار فى طريق التكوين القومى للشعوب الافريقية .







ماذا وراء الأحداث الأخيرة فى شرق افريقية

للدكتور راشد البراوى

شهد العام الحالى ولما ينقض الشهر الأول منه ، سلسلة من الانتفاضات والهزات فى عدد من بلاد شرق افريقية وبعضها لم يمر على اعلان استقلاله سوى أسابيع قلائل ، وهى انتفاضات وهزات تفاوتت فى حدتها وملابساتها ، وتباينت من حيث النتائج التى أسفرت عنها أو من حيث الخاتمة التى آلت اليها بتعبير آخر . فنشبت ثورة فى زنجبار ، وأعلنت الجمهورية ، وتولى رجال جدد مقاليد الأمور . وتمردت وحدات عسكرية فى كل من تنجانيقا وكينيا ، كما وقعت اضطرابات محدودة فى أوغندة ، وفى هذه الحالات الثلاث الأخيرة أمكن السيطرة على الموقف والقضاء على التمرد وما فى حكمه بعد أن تدخلت قوات بريطانية أرسلت الى عجل بناء على دعوة من حكومات البلاد الثلاث .

ومما يلفت النظر وقوع هذه الحوادث فى البلاد الثلاث ، تنجانيقا وكينيا وأوغندة ، فى وقت واحد ، وعلى أيدى فريق واحد وهو بعض الوحدات العسكرية ، ولمطالب واحدة تتعلق برواتب الجنود وترقياتهم . وهذا ما جعل بعض المراقبين يشك فى أن وراءها جميعا مؤثرات خارجية ، وهذا الشك قد يوحى به ما دعا اليه جوليوس نيوريرى رئيس دولة تنجانيقا من حيث عقد مؤتمر افريقى لمناقشة موضوع الأحداث التى جرت فى المنطقة ، كما أن جومو كينياتا ، رئيس وزراء كينيا ، أدلى بتصريح فى هذا المعنى . غير ان أحدا من المسئولين لم يحاول القاء الضوء الذى يكشف عن مصدر هذه المؤثرات ولسنا بحاجة الى محاولة تعرف هذا المصدر عن طريق المصادر الغربية التى سارعت منذ اليوم الأول فقالت ان المؤثرات ذات لون أحمر .

والسبب المباشر فى حوادث التمرد — على ما ذكرت الأنباء — هو المطالب التى تقدمت بها الوحدات المتمردة والتى تتعلق بموضوع الترقيات والمرتبات التى تؤدى . قد يخيل للنظرة السريعة السطحية أن الاستجابة الى هذه المطالب قد يكون فيها كل الحل للأزمة والحل الذى يحول دون تجددها ، ولكن

الواقع ان هذه المطالب هى المظهر الخارجى الذى بدت فيه أسباب وعوامل أبعد غورا بكثير . فالذى حدث قبل الحصول على الاستقلال ان الدول الاستعمارية هى التى كانت بالفعل تتولى المحافظة على أمن المستعمرات فى الداخل والخارج ، وهذه ظاهرة لم تكن مقصورة على شرق افريقية وانما كانت ظاهرة عامة سواء كانت البلاد خاضعة لانجلترا أو فرنسا أو بلجيكا . وكانت القوات الافريقية صغيرة العدد من جهة ، وتسليحها محدود من جهة أخرى ، لان المستعمر كان ينظر اليها باعتبارها قوة مساعدة فى المحافظة على الأمن الداخلى . وعلاوة على هذا كانت المناصب الرئيسية كلها ، بل ومعظم المناصب المتوسطة ،يشغلها الأوربيون التابعون للدولة صاحبة السيطرة والنفوذ . أما وقد حصلت هذه البلاد على استقلالها ، وأصبحت مسئولة عن حفظ الأمن فى داخلها وعن الدفاع عن حدودها وكيانها ، فقد تغير الوضع وأصبح من الأمور الضرورية العمل على انشاء جيوش قومية قوية وقادرة ، مزودة بأحدث الأسلحة والمعدات ، حتى تنهض بالأعباء الجديدة ، وهذا ما بدأ الكثير من الدول الافريقية التى استقلت خلال السنوات القلائل الأخيرة ، يعمل من أجل تحقيقه . غير ان عددا من رجال العسكرية الافريقيين يشعرون ان العمل لا يسير بالدرجة الكافية أو الواجبة من السرعة ، وهنا نلقى مصدرا من مصادر التذمر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالقوات العسكرية الافريقية تضم فريقين من الضباط ممن تلقوا علومهم فى الخارج ، وكثير من هؤلاء على درجة طيبة من الثقافة . فلما ظفرت بلادهم بحريتها واستقلالها وجدوا أن الوظائف الرئيسية أو معظمها لا يزال يشغلها الأوربيون ، وهذه من نتائج العصر الاستعمارى الذى حرص كل الحرص على ابعاد الافريقيين عن المراكز العسكرية الرئيسية . ان المسألة لا تتعلق برفع مرتبات أو اجراء بعض ترقيات الى وظائف أعلى ، ولكنها فى الحقيقة ترتبط بشعور أقوى من هذا بكثير ، وهو — كما اعترف بذلك الكتاب الغربيون أنفسهم — أن الضباط الافريقيين — ومن ورائهم الجنود — يحسون دائما بأنه لا يمكن أن يظلوا تابعين يتلقون الأوامر والتعليمات من الرؤساء الأوروبيين . فالمسألة اذن مسألة كرامة وطنية . وهم يقولون أيضا انه اذا كانت المجالس التشريعية القائمة الآن تتكون من الافريقيين ، واذا كان الوزراء وكبار الموظفين المدنيين من الافريقيين ، لهذا فان المنطق ، والعدل أيضا ، يقضيان بأن تكون السيطرة على القوات المسلحة فى الأيدى الافريقية بالمثل . وبعبارة أخرى يجب تطبيق مبدأ « الأفرقة » على جميع قطاعات الحكومة . واذا كان لابد من الاستفادة من الأجانب لأسباب فنية وفى حالة عدم توافر مثل كفاياتهم فى صفوف الافريقيين ، فان فى الامكان الاستعانة بهم على هيئة عدد محدود من المستشارين والخبراء الذين يكلفون بمهام محددة ولفترات محددة ، وتحت الاشراف الافريقى وهو الأمر الأهم . ولعل شكا آخر يساور الافريقيين وهو أن بقاء العسكريين الأوروبيين فى المراكز الحساسة قد يعرقل عملية تطوير الجيوش على النحو المطلوب . **وهذه الحقائق يعترف بسلامتها الزعماء الافريقيون فنجد كينياتا يصرح بأنه عهد الى لجنة أنشئت ، بمهمة النظر فى الجوانب المسالية من حياة رجال القوات ثم أكد انه « فى ظرف سنة من الآن ستكون جميع المناصب مشغولة بالافريقيين »** .

وثمة سبب آخر ألمحت اليه الانباء وتناولته التحليلات والتعقيبات ، فيقال ان الانتقاضات التى حدثت ، ما نجح منها وما لم يحقق نجاحا ، انما تعكس شعورا أو اتجاها عنصريا معاديا لجميع العناصر غير الافريقية الأصل . فقيل مثلا أن الثورة الزنجبارية تستهدف القضاء على مصالح العناصر العربية وما فى حكمها ، وان الاضطراب فى تنجانيقا وكينيا وأوغندة ذريعة لتنحية أو تصفية الأقليات القومية هناك من الهنود والباكستانيين وغيرهم من الاسيويين ، فضلا عن الأوروبيين . والهدف الذى تسعى الى ترويجه الأنباء — ومصادرها وغاياتها

معلومة — هو وصم الحركات الافريقية بالتعصب العنصرى واتباع سياسة التفرقة العنصرية ، ثم محاولة اثارة الضمير العالمى بقصد صرف الأنظار عما يجرى فى جمهورية جنوب افريقية وروديسيا الجنوبية والمستعمرات البرتغالية . ولكن ما حقيقة الأمر فى هذه الاتهامات التى تلقى جزافا ، وعن عمد فى معظم الأحوال ؟

ما من شك أن كينيا مثلا كانت الأقلية البيضاء فيها تحتكر أجود الأراضى وأخصبها ، فضلا عن المراكز الرئيسية فى الحكومات والمؤسسات ذات النشاط الاقتصادى ، كما كانت تتمتع بالثراء والدخول العالية والحياة المترفة . وفى كينيا وأوغندة وتنجانيقا ، كما فى جميع البلاد الافريقية الأخرى ، كانت المصالح المالية الأجنبية هى التى تتولى استغلال مصادر الثروة المعدنية ، وتملك المرافق التى تقدم عددا من الخدمات العامة كالنقل والكهرباء والماء . وفى شرق افريقية نجد أن التجارة الداخلية كانت احتكارا لهنود وباكستانيين ، كما أن هؤلاء كانوا يشغلون الكثير من الوظائف الادارية والكتابية البسيطة . وخلال معركة الكفاح الوطنى كان الزعماء يؤكدون للجماهير ان هذه المساوىء هى من مساوىء الاستعمار وان القضاء عليها سوف يكون الثمرة الأولى من ثمار الحرية والاستقلال . ثم حصلت هذه البلاد على الحرية والاستقلال ولكن تغييرا كثيرا لم يحدث ، فلا يزال الالوف فى كينيا يطلبون الأرض مثلا فلا يجدونها ، واذا وجدت لا يتوافر لهم المال لاستغلالها . وفيها وفى غيرها العدد الوفير من الشباب العاطل ولم يفسح أمامه المجال الكافى بعد .

ومن هنا بدأ شعور بالخيبة والاحباط ، وهو ظاهرة شائعة فى القارة اذ يدرك المسئولون ان العملية من الضخامة — بحكم الأوضاع القديمة — بحيث تتطلب التمهل الى حد ما حتى لا يحدث فراغ قد يشل حياة البلاد ونشاطها . وبين أمل الجماهير وآراء المسئولين فى البلاد الافريقية ، يوجد الفارق الذى يؤدى الى الاحتكاك الذى يتطور الى هذه الهازت والانتفاضات التى شهدناها فى مواضع كثيرة من القارة .

ولكن ؟ هل هذه الانتفاضات موجهة الى الاقليات القومية بنوع خاص ، وبعضها مضت عليه فترات طويلة أقام خلالها فى هذه البلاد ؟ قد يبدو الجواب سهلا على السطح ، ولكن الحقيقة أعمق من هذا بكثير . انها تتعلق بالنظام الاجتماعى القائم ، فهذا النظام الذى نشأ وترعرع فى ظل العصر الاستعمارى كان أساسه تقسيم المجتمع الى طبقتين ، احداهما وتشكل الأغلبية الساحقة من الأهلين لا تملك شيئا وتكاد تعيش على حد الكفاف أو ما دونه ، والأخرى أقلية فى يدها الثروة الفعلية : الأرض ، الصناعة ، التجارة ، والوظائف . وحرص الاستعمار على ان تتكون هذه الطبقة الصغيرة عددا والضخمة موردا وثراء ، من أبنائه « سواء كانوا من الانجليز كما فى كينيا ، أو من الفرنسيين كما كان الحال فى الجزائر ، أو من البلجيكيين كما كان فى الكونغو — ليوبولدفيل ، أو من البرتغاليين كما فى انجولا وموزمبيق » ومن بعض الجاليات الأجنبية الأخرى ، بل كان يعنيه بالدرجة الأولى أن يستميل الأخيرة بمنح امتيازات معينة على أساس قاعدة « فرق تسد » المعروفة . ومن الطبيعى أن الجاليات الأجنبية على اختلاف أجناسها كانت تستفيد من سياسة المستعمر فى حرمان الافريقيين من العلم والفن والتكنولوجيا ، وهنا نجد ان روح السخط أو المرارة التى تشيع فى مختلف أرجاء القارة هى روح موجهة ضد نظام اجتماعى يفتقر الى العدالة ويتعارض مع المصالح القومية العريضة ، وهو النظام القائم على تركيز الثروة والنفوذ فى أيدى القلة ، هذه الحقيقة بحاجة الى تأكيدها دفعا للأوهام والدعايات المغرضة .

وهنا نسأل : ما حقيقة الأهداف التى تسعى اليها الدول الافريقية بوجه عام ؟ وهذا السؤال يقودنا بالمثل الى التساؤل عن طبيعة المشكلات التى تواجه القارة فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها وهى مرحلة

الاستقلال . ان المشكلات الرئيسية التى تخلفت عن العهد السابق يمكن أن نلخصها فيما يأتى :

أولا — الخروج من دائرة التخلف الاقتصادى والاجتماعى بتنمية موارد البلاد الطبيعية والمادية وتعبئتها من أجل تحقيق الكفاية ثم وضع السياسات التى تكفل العدل الاجتماعى .

ثانيا — التحرر الكامل بالقضاء على كل أثر من آثار العهد الاستعمارى وذلك من حيث أية التزامات أو ارتباطات سياسية وتحرير الاقتصاد القومى وانتهاج سياسة مستقلة فى المجال الخارجى .

ثالثا — ازالة كافة ألوان التفرقة العنصرية وتحقيق المساواة بين جميع أبناء الوطن الواحد .

رابعا — دعم الوحدة الوطنية ثم السعى الى تحقيق الوحدة الاقليمية حيث تستدعى الظروف هذا ، مع الاتجاه نحو الوحدة الافريقية الشاملة . ويتم هذا كله بوسائل متماسكة ومتكاملة مثل ازالة الخلافات والمنافسات القبلية حيث توجد ، والتغلب على آثار الحدود السياسية المصطنعة ، والتعاون على صعيد القارة ، ذلك التعاون الذى أكده مؤتمر القمة الافريقى المنعقد فى أديس أبابا فى العام الماضى .

هذه هى الأهداف الأصلية التى تضعها شعوب افريقية نصب أعينها ، والتى ينعقد عليها الاجماع بين القادة المسئولين . ولكن السؤال الذى تختلف عليه الاجابات ، ينصب على الطريقة التى تتبع من أجل الوصول الى الغايات المرتجاة ، وهذا يتصل اتصالا مباشرا بأسلوب الحكم أو بنظامه . ففى معظم البلاد التى كانت خاضعة للنفوذ البريطانى جرى اقتباس النظام البرلمانى السائد فى بريطانيا ، أو نظام وستمنستر كما يطلق عليه من باب الاختصار : فهناك برلمانات وهناك أحزاب تتنافس فيما بينها ، وهناك وزارات مسئولة أمام هذه البرلمانات . وطبق النظام الفرنسى فى معظم البلاد التى كانت داخلة من قبل فى دائرة النفوذ الفرنسى مع توسيع اختصاصات وسلطات رئيس الدولة ، بدرجات متفاوتة .

وتلقفت الطبقات المثقفة بوجه خاص الى هذه النظم وأمعنت النظر فيها وراحت ترقب وتتابع أعمالها ، فخرجت — على مايظهر — بنتيجة تنطوى على الشك فى قدرة هذه النظم على تحقيق أهداف البلاد ، فالتنافس الحزبى يعرقل السير السريع ، كما ان وجود الاحزاب الكثيرة لايساعد على زوال المنافسات والخلافات القبلية ، وبعض هذه الاحزاب كما فى كينيا وأوغنده يعارض فى توسيع سلطات الحكومة المركزية ويريد أن تتمتع الحكومات الاقليمية أو المحلية بنفوذ واسع . هذا كله كفيل أن يسبب تعثرا فى تنفيذ السياسات الاصلاحية سواء فى المجال الاقتصادى أو الاجتماعى . وهنا ساد شعور عام بأن الشىء الذى تمس اليه حاجة الشعوب الافريقية هو قيام حكومات مركزية قوية قادرة على دعم الوحدة الوطنية وعلى وضع وتنفيذ البرامج الخاصة بالتنمية . وتفاوتت الاساليب التى اتخذت من أجل هذا الغرض ، فأخذت بلاد أفريقية بالنظام الرأسى كما فى بلاد المجموعة التى تتكلم الفرنسية . وفى حالات أخرى جرت محاولات لتنحية الساسة والزعماء القدامى ونجح بعضها كما حدث فى الكنغو — برازافيل . وطبقت دول نظام الحزب الواحد كما فعلت غانة ، أو جمعت القوى الشعبية فى وحدة قومية مثلما حدث فى غينيا . وثمة اتجاه اخر يرى ان اقامة هذا الضرب من الحكومات القوية عملية لست بالسهلة أو التى يمكن أن تتم بصورة تلقائية ، بل لابد وان تلعب فيها القوات المسلحة دورا فعالا .

وفى الوقت نفسه تعددت الاتجاهات التى يشار بالسير فيها من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية بوجه عام . فهناك من يعتقد بامكانية الوصول الى هذا الهدف عن طريق نظام المشروع الخاص ورأس المال الخاص والمنافسة الحرة ، أو بعبارة اخرى عن طريق المذهب الحر ، تأثرا بالتجارب التى مرت بها المجتمعات الغربية . غير ان هناك من

يؤمن بان التنمية لاتتم الا على أساس من التخطيط الدقيق الواعى ، والا اذا قامت الدولة بدور ايجابى فعال ، قد تتفاوت درجته وحدته وقد تختلف ابعاده وحدوده ، ولكنه يصدر عن فلسفة واحدة وهى مهمة الدولة . وأصحاب هذا الاتجاه الاخير تغلب على تفكيرهم الفلسفة الاشتراكية بدرجة أقل أو اكثر . ففى غينيا مثلا أممت المصارف ، واشرفت الدولة أو احتكرت التجارة الخارجية بل والداخلية ، ووضعت مشروعات للتنمية ذات آجال معلومة ،وكذلك فعلت حكومة مالى . وفى السودان مثلاوضع مشروع لتنمية الاقتصاد القومى تلعب الاموال العامة دورا كبيرا فى تنفيذه ، الى جانب النشاط الخاص .

وفى كينيا حدد توم مبويا وزير العدل معالم السياسة التى يحسن اقتباسهاوذلك فى الفصل الذى عالج فيه موضوع الاشتراكية الافريقية فى كتابه الذى صدر أخيرا ، فطالب بأن تتولى الدولة المرافق العامة والهياكل الرئيسية للانتاج واستغلال الثروة المعدنية ، وتنظيم الزراعة على أسس علمية. وقال كذلك بضرورة التخفيف من الصراع بين رأس المال والعمل وذلك بأن يشترك الاخير فى العملية الانتاجية اشتراكا مباشرا، فتكون لنقابات العمال مؤسساتها التجارية والصناعية وغيرها ، بمعنى ان يكون لها نصيب فى أدوات الانتاج أى ملكيتها .

معنى هذا كله ان الانتفاضات الكثيرة التى تشهدها القارة فى السنوات الثلاث الاخيرة بوجه خاص تعكس نوعا من الصراع الايديولوجى حول الفلسفة التى يتعين الاخذ بها فى مواجهة المشكلات الملحة التى تواجه القارة . ومن الخطأ ان نتصور هذا الخلاف فى الاراء على انه انعكاس لمؤثرات خارجية تماما ، ولكنه فى الحقيقة منبعث من شعور أفريقى خالص ، وهو كيف يتحقق التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمعات المتخلفة . وهذا هو نفس السؤال الذى تدور حوله المناقشات ، لا فى افريقية وحدها فحسب ، بل وفى آسيا وفى العالم العربى وفى أمريكا اللاتينية . وهنا نلاحظ ان الكثيرين من القادة الافريقيين ومن أفراد الطبقة المثقفة قد تعلموا فى الخارج وزاروا الكثير من البلاد الاجنبية واطلعوا على الوسائل التقليدية فى اجراء التنمية وعلى التجارب الجديدة التى تطبق فى بلد او آخر ، ومن الطبيعى ان يدرسوا هذه الوسائل والتجارب لانهم جزء من عالم حى مترابط ومتشابك ، ومن الطبيعى ان يستخلصوا من المطالعة والمشاهدة والدراسة نتائج تتفق مع ظروف بلادهم الموضوعية فى مرحلة تطورها الحالية بحيث تكون الاساليب التى تتبع او التى يراد اتباعها منبعثة من هذه الظروف الموضوعية ، وليست اقتباسا بغير تعديل أو نقلا كاملا لتجارب بلاد أخرى، ذلك ان دراسة التجارب الجديدة شىء والمبادأة المستمدة من الواقع المحلى شىء آخر .

ومن وسط الاحداث التى جرت فى شرق افريقية تبرز حقيقة لفتت النظر وهى الاستعانة بقوات أجنبية من اجل اقرار الامن والنظام. ويجمع المراقبون الاجانب على ان هذا التصرف قمين أن يضعف من مركز الحكومات التى أقدمت على هذا الاجراء ، وان المعارضة سوف تستغله فى دعاياتها وتحاول الاستفادة منها من أجل احراج هذه الحكومات ، ولهذا نعتقد ان من الضرورى المبادرة الى طلب خروج القوات الاجنبية .

وثمة أسئلة تبادرت الى أذهان بعض المراقبين لمناسبة تدخل القوات البريطانية ؟ فهل هناك قوى تعارض فى تكوين اتحاد شرق افريقية – على الاقل فى المرحلة الحالية – وانها ربما كانت وراء حوادث التمرد والاضطراب الاخيرة ؟ وهل لوجود هذه القوات فى كينيا مثلا علاقة – أية علاقة – بالخلاف الناشب بشأن الحدود بين هذا البلد وجمهورية الصومال ؟ وهل لهذا كله صلة – أية صلة – بالتطورات التى وقعت فى زنجبار ؟

هذه أسئلة لابد أن تخطر فى بال البعض ، بل وخطرت بالفعل ، ولا ريب ان انسحاب القوات البريطانية فى اجل مبكر يساعد فى الاجابة عن الاسئلة .

« دكتور راشد البراوى »

اتحاد افريقية

وسوقها المشتركة



للدكتور أحمد سويلم العمري

أفريقيا أمس واليوم :

تميزت القارة الافريقية بروحها التي يصعب ادراك كنهها ، وقد اجتذبت اليها منذ مطلع القرن الماضى المستكشفين والكتاب ورجال السياسة والاستعمار ، وكان لسحرها ومناظرها الطبيعية وادغالها وأحراشها وضواريها والنبات والحيوان فيها وطبائع السكان وصفاتهم وهم يعيشون على الفطرة فى قلب القارة المظلمة وتعدد لغاتهم ولهجاتهم وصراع القبائل والاستخفاف بالحياة الى حد ان الموت نتيجة الصراع على العيش أقرب من حبل الوريد — كان لهذه العوامل سحرها الذى انطبع فى القصص ووصف المغامرات والرحلات للعديد من الكتاب .

غير أن القارة اليوم خلعت بفضل جهاد اهلها ثياب الخمول ولم تعد القارة المظلمة ولم تعد كذلك معقلا حصينا ومرتعا خصيبا للاستعمار ، ولقد كانت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية مسرحا للتسلط الاوروبى الذى زحف عليها عنوة من مختلف مصبات انهارها ، كما هبط اليها عملاؤه فى حملات للحكومات والمستكشفين الجغرافيين من شواطئها عبر غاباتها وقيافيها الى قلبها ، وسرعان ما تدفقت على الغرب موادها الاولية الدسمة كالاخشاب والزيوت والصمغ والمعادن وغيرها من لوازم الصناعة علاوة على الاغذية تمون المصانع والمدن فى قارة التسلط والاستعمار وانتفخت جعبات المصارف ، كما وزعت مناطق الاسلاب عن طريق مؤتمر برلين لسنة ١٨٨٤ وحملة السودان يقودها كنشنر الانكليزى لسنة ١٨٩٨ وحملة الكابتن مارشان الفرنسى الى فاشوده لسنة ١٨٩٨ وغير ذلك من المؤتمرات والحملات .

ووزع الاستعمار الاوروبى المناطق فى القارة الافريقية على دوله فى مأدبة تسلطه الاقتصادى على العالم مستندا الى جيوشه وأسلحته الميكانيكية الماضية ومهددها بمدافعه لاذلال القبائل والسلاطين ومعملا بنادقه الفاتكة فى أبناء القارة الصريعة تقتيلا وسبيا واستعبادا ، وخطط الساسة فى مؤتمر برلين السابق

الاشارة اليه ثم فى مؤتمر الجزيرة لسنة ١٩٠٦ ثم فى مؤتمرات متعاقبة أهمها مؤتمر فرسايل سنة ١٩١٩ حدود المستعمرات مفرقا بين الديار وأربابها وراسما الحدود وفق مصالح الاستعمار بلا اعتبار للسكان وحاجاتهم وطبعائهم ، وكانت الامبراطوريات الاستعمارية تتسابق على بلدان أفريقيا وتبيح احتلالها لاول قادم من الغرب حسب سياسة المصالح المشتركة .

وتبارى الكتاب وقد بهتتهم الطبيعة الفطرية الجبارة للانهار والشلالات والجبال فرحلوا الى القارة يجوبون وديانها ويخترقون مرتفعاتها وجداولها وأدغالها ويختلطون بالسكان الوطنيين ، وأمعنوا فى وصف سرعة نمو الحياة ثم ذبولها ونهايتها وقسوة الفناء وهو يعبرعن ان السلطان للاقوى وان هناك مفترسا وفريسة ومغامرا ومنتهزا لفرص المغامرة ، ونذكر من هؤلاء الكتاب همنجاوى الكاتب الامريكى فى روايته مثلا بعنوان « ثلوج كاليمانجارو » ورايدارها جارد الروائى الانكليزى فى قصته مثلا بعنوان « الان كواترمان » وبييربونوا القصصى الفرنسى فى قصته مثلا بعنوان « الاتلانتيد » ، ورسم هؤلاء الكتاب بأقلامهم وكأنها ريشة فنان بارع ما شاهدوا من مغامرات واخطار تكمن فى دواماتها اسرار الحياة والوجود ، وتخيلوا مدنيات عريقة قضت أو لاتزال قائمة فى مجاهل غير مطروقة لاتقل فى فنونها وزخرفها وأبهة الملك عن مثيلاتها فى حوض البحر المتوسط ، والى جانب هؤلاء الكتاب كان هناك عملاء الاستعمار ورجال التبشير كطلائع لجيوش التسلط الاوروبى يلقون عصا ترحالهم فى مضارب القبائل النائية ليأخذوهم بالخداع وعن طريق الاناة عريكتهم بالهدايا الرخيصة من ملابس زاهية وأطنان الملح والحلى الزجاجية والخرز والودع ،كما ينشرون المسيحية وعبادة الرجل الابيض ، وهو فى زعمهم يهبط الى القارة لنشر المدينة فى ربوعهم لكن فى الواقع لنفث سموم الاستعباد والمذلة بينهم .

ولقد انتهت هذه الحقبة فى تاريخ القارة التى أصبحت قارة الرجاء والامل لا الظلام والاستعمار ، وقضى اليوم على تسلط الغرب فيها وتحرر عدد ساحق من المستعمرات ومناطق النفوذ فى أفريقيا ، ولم تبق هناك من المشكلات الشائكة اليوم الا مشكلة التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب افريقيا ومشكلة الاستعمار البرتغالى ومناطق نفوذه فى انجولا وموزمبيق وبقايا التسلط الاسبانى فى مراكش الاسبانية وجلت اليوم انكلترا وفرنسا وبلجيكا ، كما أجليت بحكم الهزيمة فى الحرب العالمية الاولى عن القارة لصالح الحلفاء المانيا وفى الحرب العالمية الثانية لصالح الدول المتحالفة ايطاليا عن مستعمراتها هناك التى أصبحت دولا مستقلة وأعضاء فى الامم المتحدة. وسترغم البرتغال وأسبانيا قريبا على النزول عند ارادة الشعب مع الجلاء عن مناطق النفوذ وسترغم حكومة اتحاد افريقيا المكونة من البيض على انهاء سياسة التفرقة العنصرية الظالمة والتسليم بحقوق الملونين السياسية وذلك بفضل كفاح الشعوب الافريقية والعربية وتضامنها وتصميم الشعوب المحتلة فى وجوب اجلاء الغاصبين عن الديار المحتلة والبلدان المغلوبة على أمرها واحترام حريات الانسان الذى وافقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

تحرير افريقيا من الاستعمار :

لقد انبلج الصبح عن استقلال الشعوب الافريقية واتخذت مكانها اللائق تحت الشمس ولها اليوم حكوماتها المستقلة ومجالسها النيابية وزعماؤها واتجاهاتها السياسية المتنوعة ، فى الكونغو الى غانا فغينيا فالنيجر والكمرون ومالى ، ولكن لم ينته الامر عند هذا الحد ، فلقد بدأت المعركة منذ نهاية الحرب العالمية الاولى التى كانت بسبب نهم الامبراطوريات الاستعمارية وشدة تنافسها فى سبيل زيادة سلطانها السياسى والاقتصادى واشتداد قبضتها على رقاب الاهلين فى القارة، وكان الصراع عنيفا بين هذه الامبراطوريات رغم ضعفها بسبب نزفها فى الحرب فى سبيل انتزاع كل من الاخرى مناطق النفوذ وكان

الصراع أشد بين المستعمر والشعوب المستضعفة التى تكافح فى سبيل تحريرها ، وأرادت المانيا النازية استرداد مستعمراتها التى فقدتها الامبراطورية الالمانية القيصرية بهزيمتها فى الحرب وطالبت ايطاليا بالمزيد من الممتلكات فى القارة التى بدأ النور يبزغ فيها وكانت النازية ترى ان الدول الاستعمارية الكبرى وهى انكلترا وفرنسا وهولاندة قد شاخت وأصبحت غير صالحة للاستمرار فى السيطرة على مسالك البر والبحر وموارد المواد الاولية والاسواق فى أفريقيا وآسيا وغيرهما ، وكانت الفاشيـــة تحلم باعادة مجد روما القديمة وبتحويل البحر المتوسط الى بحيرة ايطالية ، واتخمت بريطانيا بالمستعمرات ومناطق النفوذ وقبضت على اعنة السياسة العالمية وشرايين التجارة الدولية وسيطرت على الشرق الاوسط بحلولها محل الامبراطورية العثمانية بعد زوالها مشتركة فى ذلك مع فرنسا ، أما هذه فهى لاتريد التنازل عن شبر من الاراضى التى تسيطر عليها فى شمال أفريقيا وقلبها وأقاصى آسيا الاصاغرة مرغمة وكانت تواصل شن حروبها الاستعمارية وكانت تحيق بهـا الهزائم باستمرار وانتهى بها الحال بعد الحرب العالمية الثانية الى انحسار موجة الاستعمار البريطانى تدريجيا عن أفريقيا والى اجلاء فرنسا عن تونس والمغرب والجزائر والكونغو والسنغال وغيرها .

طلعت حريات ما بعد الحرب العالميـة الثانية على الشعوب الافريقية بفضل كفاحها وتطور أوضاع القانون الدولى ومبادىء العلاقات الدولية والمواثيق وفى طليعتها ميثاق الامم المتحدة بالاستقلال ، فتحررت الغالبية الساحقة للمستعمرات بينما لم يكن من الدول المستقلة فى القارة فى مطلع قرننا الحالى الا الحبشة ولبيبريا وما عداها ، كانت شعوبها تعمل لصالح اثراء الغرب ومصانعه ، وهبطت اسهم مؤامرات السياسة والتهديد بالحرب للحصـول على مزايا بين الدول الاستعمارية كما رأينا فى صدام انجلترا وفرنسا على حدود السودان فى فاشوده فى أواخر القـرن الماضى والذى انتهى باقتسام منطقتى النفوذ بين البلدين فى البحر المتوسـط ولانكلترا وادى النيـل ولفرنسا المغرب بالاتفاق الودى لسنة ١٩٠٤ ، وكما رأينا فى صراع ألمانيا القيصرية ضد نفوذ كل من انكلترا وفرنسا فى شمال افريقيـا وعملها على السيطرة على الشرق الاوسط عن طريق خط حديد همبورج بغداد والحصول على امتيازات فى المغرب عن طريق انتقـال أزمات دولية كأزمتى طنجة سنة ١٩٠٦ وأجادير سنة ١٩١١ ثم اخذ شىء من الاسلاب من فرنسا فى مؤتمر الجزيرة وما أعقبه وهـو مجموعة مساحات واسعة من ممتلكاتهـا فى أواسط أفريقيا مع فتح أبواب التجارة فى مراكش ، وكما رأينـا فى الحربين العالميتين الاولى والثانية وذلك بسبب التنافس بين كبريات الدول الاوروبية على المستعمرات .

وطلع اليوم عهد جديد على القارة المحررة حديثا هو عهد بناء وانشاء مع التخلص نهائيا من الاستعمار ورواسبه والاحتكار والاستغلال لصالح التسلط الاجنبى ، ولم ينجح الاستعمار فى هزيمة الحضارة العربية وسائر الحضارات الوطنية فى القارة المتحررة ، ونشر الاستعمار لغته الفرنسية فى مناطق النفوذ الفرنسى والانكليزية فى مناطق الاستعمار الانكليزى على أمل القضاء على لغات وحضارات القبائل وعاداتهم ، غير أن اللغتين لم تستطيعا يمس الحضارات العربية الجذور هناك وبقيتـا كمساعد للتفاهم مع الخارج ، وأصبح على دول القارة الافريقية الناشئة حتى تسير قدما للحاق بركب الحضارة العالمية أن ترسم خطط نموها وأن تعمل على تعاونها بعضها مع بعض بالاشتراك مع الحضارة العربية التى تشاركها فى الاكتواء بنيران الاستعمار وتجاورها فى قرب الشقة والدار وهى على تمام الاستعداد لمديد المعونة المعنوية والمادية ولتبادل المنافع معها ، وهذا التعاون يمتد الى شتى الميادين السياسية والثقافية والاقتصادية ، ويسهل تحقيه هـذا التعاون الذى يصل شيئا فشيئا الى اتحاد بينها تبعا لتقارب الشـقة بين الشـعوب الافريقية فى الميادين الروحية والمعنوية فضلا عن المادية ، وهى تمثل دائرة يصل بين اطرافها

الدانية والقصة بلا عناء تشابه عادات الاهلين فى القارة وانتشار حضارة العرب فى جزء لايستهان به منها وقد نفذت اليها عن طريق التجارة بينما لم ينجح المبشرون فى اضعاف مكانتها وزعزعة عقيدة الناس وامكان التفاهم بلغة القرآن الكريم والضاد التى يعرفهـا العديد من شعوبها ثم تفاهم عدد من السكان المختلفى الاقطار بالفرنسية والانكليزية .

تعاون أفريقيا واتحادها :

ان تعاون أفريقيا اليوم يتمثل فى جهود المؤتمر الاسيوى الافريقى واجتماعاته المتتابعة منذ مؤتمر باندونج لسنة ١٩٥٥ ، وقد سار التعاون قدما فى سبيل نجاح الفكرة فى اجتماعات اكرا فكوناكرى فاديس أبابا لنوفمبر سنة ١٩٦٣ وقد ساهم فيه العرب ، وفى المؤتمر الاسيوى الافريقى وغيره من المؤتمرات والاجتماعات تعمل الشعوب الافريقية على اصدار التوصيات ورسم الخطط فى سبيل التفاهم السياسى والاقتصادى والثقافى بينها ، والدفاع القوى بلا هوادة عن مبدأ ان افريقيا للافريقيين مع مديد الصداقة للبيض وهى صداقة الند للند .

ومبدأ أفريقيا للافريقيين ليس وليد الساعة ، بل لقد فكر فيه ودافع عن هذه السياسة وان يقوم اتحاد من السمر فى القارة بعض زعماء السمر منذ نهاية القرن الماضى ، وذلك ردا على سياسة الاضطهاد العنصرى فى اتحاد جنوب أفريقيا وفى الولايات المتحدة الامريكية ، نذكر منهم سلفستر وليامز وهو محام أسود من ترانداد ، وقد دعى الى مؤتمر فى لندن سنة ١٩٠٠ وذلك بمناسبة المعرض العالمى للعمل على علاج مشكلة عدم المساواة بين الاجناس واضطهاد السمر ولوضع حد لاستيلاء البيض على أراضى السود فى أفريقيا ، كما تعدد زعماء حركة تحرير السمر نتيجة لانتصار الشمال على الجنوب فى الولايات المتحدة الامريكية فى حرب الانفصال الامريكية « ١٨٦١ — ١٨٦٥ » وكان من أشهرهم بورجارد دى بوا ، وهو يعد الاب الروحى لحركة الاتحاد الافريقى ، ولا ننسى أن نذكر أيضا جمهورية ليبريا كرمز لفكرة تحرير السود بالولايات المتحدة بهجرتهم الى أرض قريبة من بلاد أصولهم ، غير ان الفكرة لم تنجح لضيق نطاق التجربة وصعوبات سياسية واقتصادية .

وتعدد مؤتمرات تضامن واتحاد افريقيا وتحررها بعد الحرب العالمية الاولى وكان من أهمها مؤتمر باريس لسنة ١٩١٩ ثم لندن لسنة ١٩٢١ ، وأعيدت الكرة بعنوان أفريقيا للافريقيين فى مؤتمر مانشستر لسنة ١٩٤٥ ، وسارت الامور ركضا الى أن رأينا هذا الاتحاد حقيقة واضحة بعد تحرر العديد من المستعمرات الافريقية وقطع الزعماء أشواطا فى اقامة اتحاد افريقى فى اجتماعات اكرا وكونا كرى واديس أبابا .

ولكى تنجح فكرة تعاون واتحاد الشعوب الافريقية وتتجه اتجاهها السليم كان من المستحسن ان يتسع أفقها شيئا فشيئا لكى تضم فضلا عن الشعوب الافريقية سائر الشعوب العربية الشقيقة فى القارة الافريقية ، وكان مؤتمر اديس أبابا خير دليل على ذلك ، وعلى حاجة الشعوب الافريقية الى التضامن فى ميادين النمو الاقتصادى والعدالة الاجتماعية التى يتعين أن ترفرف بجناحيها العريضين على الكادحين من الاهلين لتخفف عنهم وعثاء الحياة وشدة الفاقة فضلا عن تعاونهم الثقافى والفنى .

وهذا التعاون يتطلب أن يسعى كل الى الآخر ليبادله المنافع وليغترف من مناهل ما يحتاج اليه من خبرة أو مادة أولية أو مصنوعة ، وخير مايعاون الشعوب الافريقية فى تطورها الى البلدان التى أخذت بالمدنية الحديثة فى المنطقة وهى الجمهورية العربية المتحدة ، فهى بما تحكم عليه من تقدم صناعى وخبرة علمية وبجامعاتها ومدارسها الفنية ومصانعها ومعامل تجاربها وبحوثها وخبراتها وباللغة المشتركة التى تجمعها بالعديد من الشعوب الافريقية يمكنهـا أن ترسى مراسى التعاون على أسس سليمة وقد ذللت الصعاب التى تعترضها ومضت هذه الشعوب فى سبيلها الى ما هو أبعد منه مدى وهو اتحاد أفريقيا فوحدتها .

الصعاب التى تعترض التعاون والاتحاد الافريقى :

مما لاشك فيه ان تعاون الشعوب الافريقية لايتم على طرق ممهدة مكسوة بالحرائر والورود، بل تعترضه الاشواك كالنزاع القبلى والصراع على الحدود والسلطان والتنافس السياسى وتضارب المصالح ومؤتمرات الاستعمار وأسافين اسرائيل وفضولها واختلاف اللهجات ، ويحسن علاج هذه الادواء بالادوية الملائمة وبرفق وفى هذه الحالة يحسن اتباع ما يأتى : ـ

١ ـ ان يوضع على الرف بصفة حاسمة النزاع القبلى ومعارك الحدود والتنافس على السلطة والزعامة فى شتى مناطق النفوذ السابقة التى حررت حديثا ، وان تعمل الدول الافريقية دائما على حل مشكلاتها بالطرق السليمة لا بالسلاح وهى لم تستقل سياسيا ودائما على أساس الاصول واللهجات وكانت قد وزعت على مآدب الاستعمار على أساس مصالح الامبراطوريات الاستعمارية ، وفى هذه الحالة يحل التعاطف والتعاون لصالح هذه الشعوب محل التنافر والتدابر وخاصة ان مصالحها متقاربة .

٢ ـ ان تستخدم اللغة العربية فى نطاق واسع كأداة تفاهم واتصال فكرى بين معتنقى حضارة العرب على وتيرة استخدام الفرنسية والانكليزية ، وان تحل مكانهما تدريجيا فى الكمرون ونيجيريا وغانا وغنيا والكونغو وغيرها وبذا لايصبح تعدد اللغات عائقا فى تعاون صادق بين الشعوب الافريقية .

٣ ـ ان تتضامن الشعوب الافريقية فى عزم لايكل ويفتر لانهاء التفرقة العنصرية الاستعمارية فى جنوب أفريقيا ، ومما لايتفق مع تطور عالم اليوم ان تعيش غالبية من السمر هناك بلا حقوق سياسية وتحت رحمة قلة من البيض المتطرفين فى التعصب ، ويجب ان تتعاون فى حزم للقضاء على فلول الاستعماريين البرتغالى والاسبانى فى القارة .

الخطة الرئيسية للتعاون الافريقى :

ويتعين لكى يصبح هذا التعاون الافريقى حقيقة لا سرابا أن تقدم الشعوب الغنية فى القارة الافريقية والمتقدمة علميا وفنيا الى الشعوب الاخرى التى لاتزال فى نعومة اظفارها وفى طريق نموها المساعدات المادية مع تدعيم الروابط المعنوية ، وان تنبهها باستمرار الى خطر الاستعمار والصهيونية ومساعدات اسرائيل ، وأن تفهمها بانهاء هذا التعاون المسموم وهو فى فتكه أشد من الحشرات الاستوائية ، ويتعين على هذه الشعوب حتى لاتقع فى حبائل الصائد أن تعرض عن المعونات المالية والمساعدات الفنية التى تقترح تقديمها اسرائيل فى عواصم غانا وغينيا وغيرها ، ولتساهم هناك فى شتى عمليات الانشاء والثقافة وتعبيد الطرق والمطارات وبناء دور الحكومات والموانىء والمصانع .

السوق الافريقية المشتركة :

ونجاح هذا التعاون فالسعى نحو اتحاد للشعوب الافريقية يساعدان فى وضع الحجر الاساسى لسوق افريقية مشتركة تنسق اقتصاديات القارة وتنظم تبادل شعوبها المنافع وترسم خطط تبادلها الحاجات والحاصلات وتوفر على شعوبها الجهود والمال بتخفيض الحواجز الجمركية بينها وتسهيل حصولها على حاجاتها فى ديارها دون حاجة للالتجاء الى الاسواق الاستعمارية ، وتتلافى بذلك طغيان السوق الاوروبية وتحكم رجال المال والاعمال للدول الاستعمارية وتسلط البنوك الكبرى فى لندن وباريس وامستردام وغيرها ، وحتى لا تضعف من قواها وهى فى بدء نهوضها المنافسات الاقتصادية ، ولكى تعجل وقد راجت المعاملات بينها وسارت سريعا نحو النمو فى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس ورفع مستوى معيشتهم والقضاء على الفاقة والجهل والمرض بين القبائل ، وفى هذه الحالة تصبح فى مأمن من منازعات الكتلتين الشرقية والغربية ومن نهم الرأسمالية الغربية أو التوسع السوفييتى ، ويصبح تبادلها المنافع مع الخارج وقد اشتد ساعدها بفضل التعاون

والاتحاد والسوق المشتركة على أساس معاملات الند للند لا الصائد للطائر وهكذا ينشأ نوع من الكومنولث الافريقي له ذاتية خاصة عربية افريقية متماسكة لصالح الافريقيين من العرب وأشقائهم السمر لهم روحهم الواحدة ومصالحهم المشتركة ويأنس كل الى الآخر ويطمئن اليه ويعملون جنبا الى جنب في سبيل التشييد والبناء .

ولقد كانت المواد الاولية للقارة الافريقية من حاصلات زراعية ومعادن فضلا عن القوى البشرية تتجه نحو الغرب الذى ينتزعها منها عنوة وأسلحته مشروعات لاثراء رجال الصناعة والاعمال في دياره ولاتساع مشروعاته ومصارفه، وحان للقارة الافريقية اليوم في نهضتها السياسية والاقتصادية وقد تخلصت من الاستعمار ان تنظم اقتصادها على أساس تعاون مادى مشترك بين دولها حسب حاجة كل شعب الى الآخر في نطاق ما ينتجه وما يحكم عليه من صناعة وكفايات وقوى عاملة وخدمات يستطيع ان يؤديها ، وأفضل وسيلة لتنظيم تبادل هذه المنافع والافادة منها الى أبعد حد انشاء السوق الافريقية المشتركة على ان تبدأ بدرجة تنظيم تبادل بعض المنتجات والصناعات ثم تتسع تبعا لنجاحها في خطوات متئدة ، وهى في هذه الحالة لاتتقى شر تسلط الغرب الاقتصادى فحسب بل تستطيع تخطيط تنظيم اقتصادى شامل للقارة .

ماقد يعترض السوق الافريقية المشتركة من صعاب وخطوات نجاحها .

قد يزعم البعض ان شعوب القارة الافريقية وقد تحرروا حديثا وليس لديهم الكفاية من رأس المال والخبرة والالات في أمس الحاجة الى مساعدات الغرب والتعاون مع الخارج وان خير عميل لحاصلات افريقيا أسواق أوربا ومصانعها ومتاجرها ، وقد يدعى البعض ان تصنيع افريقيا يتطلب بعض الوقت اذ ان القارة زراعية فيما عدا اتحاد جنوب افريقيا (وهو بعيد عن ميدان التعاون بحكم تعصبه) والجمهورية العربية المتحدة ومصانع محدودة نشأت حول اسمرة وفى مناطق متفرقة في المغرب والجزائر ، وفى هذه الحالة يصعب انشاء سوق مشتركة بين دول وشعوب حاصلاتها ومشكلاتها واحدة ، وعليها ان تواصل طويلا الاعتماد على الخبرة والاموال الاجنبية .

غير ان لبدء استغلال حاصلات القارة لصالح شعوبها وحاجاتهم يتعين الاخذ بأسباب الصناعة ثم لنجاح الصناعة في وقت قصير يتعين تنسيق هذا الاستغلال وافضل الوسائل يكون بواسطة السوق المشتركة ، وتصبح أساس تضامن شعوب القارة من عرب وسمر وقد جمعتهم في حزمة مصالحهم المتقاربة وأحسوا ان كسبهم وارتفاع مستوى معيشتهم ونهضة وطنهم اقتصاديا عن طريق هذه السوق التى ستقف حاجزا منيعا في وجه عودة التسلط والاستعمار والاحتكار الغربى الى ديارهم .

وفى هذه الحالة تنشأ السوق وفق نظام تدريجى يبدأ بتناقص السياج الجمركى رويدا رويدا على سنوات ، وباعطاء الدول الافريقية الاولوية في أفضل شروط التصدير والاستيراد في دائرتها ، وينتهى الخفض الى زوال هذا السياج بأنشلوس أى اندماج بعد عدة سنوات من نجاح سياسة السوق في ميادين الزراعة والصناعة وتبادل التجارة ، كما يتم في نطاق السوق تبادل الحاصلات الزراعية مع المواد المصنوعة فتتجه الحاصلات الزراعية الى البلدان الافريقية الصناعية ، ثم تصرف المصنوعات مع تفضيلها في مختلف اسواق الاقطار الافريقية التى تنشدها وترسم المصانع خططها على أساس حاجات الناس . ويتناول نشاط السوق أيضا تبادل الايدى العاملة واستعانة البلدان التى استقلت حديثا بخبرة الشعوب الشقيقة التى سبقتها في ميادين الصناعة ، كما يلقى على عاتق أعضاء السوق الافريقية المشتركة مسئوليات التعاون الصادق في تصريف الحاصلات والمصنوعات والاستفادة من خبرة الفنيين والعمال المهرة وتعبيد الطرق ومد خطوط المواصلات مع انتظامها واقامة العمران وتدريب الشباب تدريبا فنيا لحاجات الصناعة والسوق وانشاء صندوق أو عدة صناديق مالية مزودة برؤوس الاموال اللازمة لحاجات السوق ولنجاح خططه .

ويجب الا يتبادر الى الذهن ان محور نشاط السوق الجلود واللحوم ومنتجات الغابات والموز والكاكاو وبعض الحاصلات كالقطن فحسب ، بل تحتوى القارة على الزيوت والمعادن وفى مقدمتها اليورانيوم وهو أساس النشاط الذرى الذى يرجى استخدامه فى السلام للعلاج وتحريك الآلات فضلا عن انها تحكم على عددمن الشلالات الطبيعية الضخمة التى تكفى حاجات القارة فى التصنيع ، وهذا ماحدا الى اهتمام الولايات المتحدة بمناطق اليورانيوم وتوليد الكهرباء فى الكونغو وسائر الاقطار الاستوائية فى القارة ، وهذا ماحدا الى تبارى أقلام المتخصصين فى الغرب الى بحث فكرة ارتباط افريقيا بأوربا وان الاولى تكمل الثانية تبعا لاهمية معدن الاورانيوم لانتاج السلاح الذرى وامكان استخدام القارة فى الكر والفر فى حرب عالمية ثالثة محتملة وفى استطاعتها ايواء الجيوش المنسحبة واعداد المطارات لها لاعادة غزو أوربا من جديد وكذا تموين هذه الجيوش باللحوم والحبوب .

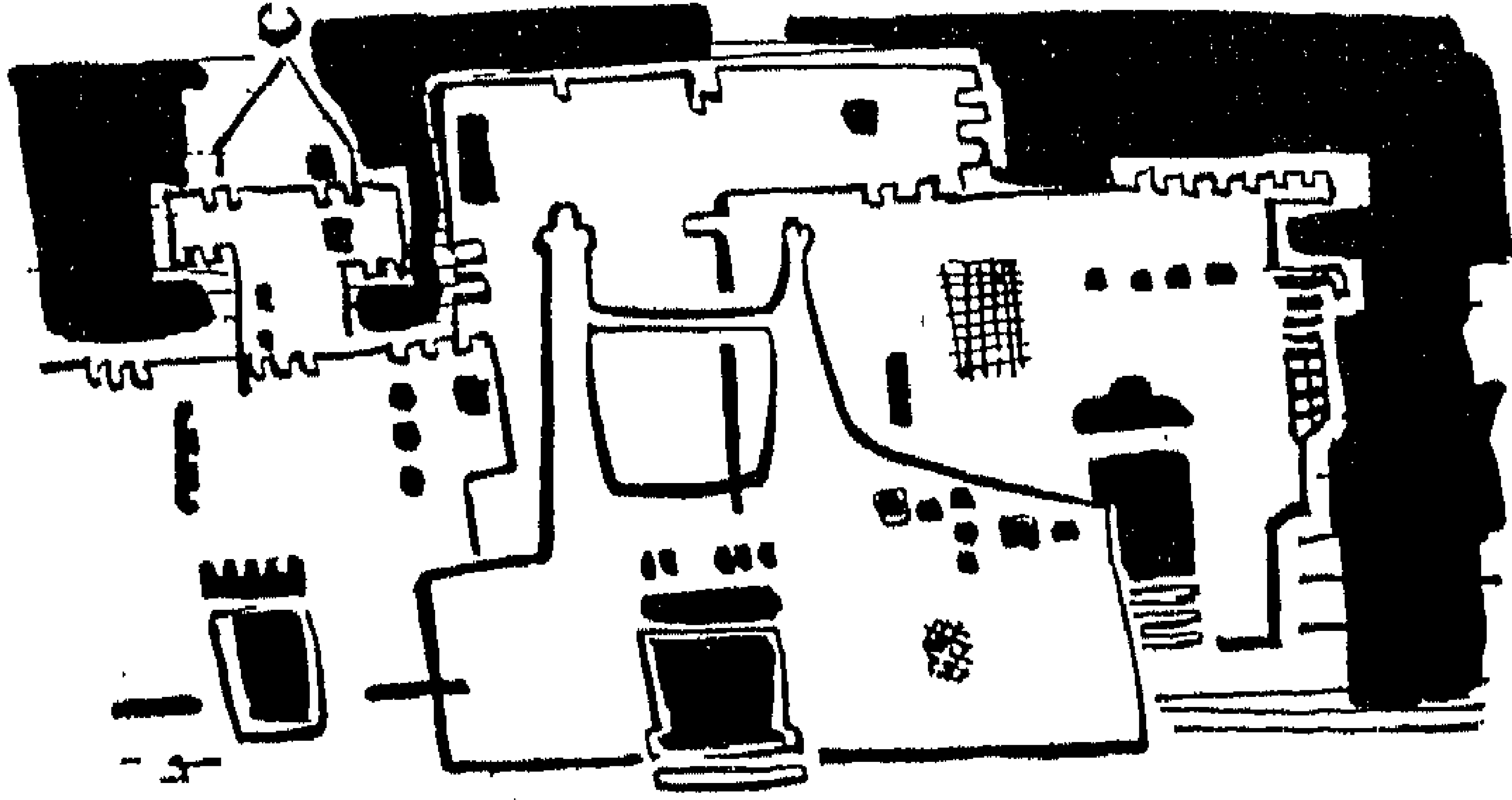
وان انشاء السوق الافريقية المشتركة يحرر شعوب القارة من خطر السوق الاوربية المشتركة وما قد ترسمه هذه من خطط لاخذ المواد الافريقية بأرخص الاسعار وبذا تخضع القارة للمصالح الغربية ومن اعداد القارة الافريقية لمواجهة حرب عالمية ثالثة محتملة وهذه السوق ليست بالبدعة الغريدة فان زعماء افريقيا الاحرار لاينون فى بحثها ونجاحها ، فضلا عن ان للاتحاد الجمركى بين الاقطار الافريقية سوابق فى الاتحاد الجمركى لافريقيا الاستوائية لسنة ١٩٥٦ ، ولم يكن له أية صفة سياسية ، بل كان اتجاهه اقتصاديا على أساس التعاون الاقتصادى تبعا للاتحاد الثقافى لاربعة أقطار تتكلم الفرنسية وهى جمهوريات وسط افريقيا وجابون واتشاد والكونغو الفرنسى سابقا .

ونجاح الفكرة يتطلب قيام السوق على أسس من الرغبة الصادقة فى التعاون وتبادل المنافع وتفضيل أبناء القارة بين الشعوب الاعضاء فى السوق ، وتنشأ لهذه الغاية سكرتارية دائمة لدعوة الاعضاء والقيام بأعمال الادارة وما اليها ومجلس من الاعضاء لتصريف شئون السوق وتنفيذ القرارات ، كما تكون على رأس السوق الجمعية العامة وهى ترسم سياسة السوق أولا بأول وبانتظام وتصدر القرارات الكفيلة بتحقيق أهداف السوق فى حدود الاتفاق على قيامه ، وتنشأ الى جوار السوق هيئة قضائية للفصل فى مشكلات السوق المترتبة على سير أعمالها وفيما قد يشجر من خلاف بين الاعضاء وفى تفسير نصوص الاتفاق والقرارات .

وهذه افريقيا اليوم تسير بسرعة للحاق بركب الحضارة العالمية ، ولم تعد كما كانت فى الخرائط قديما تذكر تحت عنوان « **الارض المجهولة** » ، ولكنها تبعا لتعدد أقطارها وشعوبها ومشكلاتها تحتاج الى المزيد من جهد زعمائها ومفكريها لتحقيق تضامنها واتحادها ، وينطبق عليها المثل الالمانى القائل « بأن الاشجار قد تمنع رؤية الغابة » وعلى ذلك يتعين دراسة مشكلات هذه القارة وحاجتها ووسائل انعاشها ونمو اقتصادها وتضامنها بدقة وعلى أساس تفهم أنواع وصفات شتى أشجار الغابة .

الدكتور احمد سويلم العمرى »

العواصم الافريقية



بقلم الدكتور جمال حمدان

— ٣ —

طبقات العواصم

هذا هو المقال الاخير فى هذه الثلاثية التى بدأناها عن عواصم قارتنا المتوثبة ، فيه نحلل جوانب الخطر والطرافة معـــا فى أحجامها ، باعتبار أن الاحجام هى المظهر الخارجى والنهائى لقوى النمو الحضارى والتطور المادى . ولعل من الخير لنا أن نبدأ مباشرة من البـــداية فنتساءل عن أقدار وأجرام هـــذه العـــواصم حتى نستطيع أن نضعها فى الميزان العالمى . ولندع الارقام أولا تتكلم وبعدها نحلل معنى الارقام فنصنفها الى فئات من الاحجام تحدد لنا «**طبقات العواصم**» . والجـــدول الآتى يصنف عواصمنا الى فئات الحجم المختلفـــة ، معتمداً على أرقام من التعداد أو التقـــدير تتراوح غالبا بين ١٩٥٧ ، ١٩٦١ (بالالف) .

عواصم « الجيب » (أقل من ٥٠ الفا) :

فيللا تشيزنيروس	١ر١
عنتبة	١ر٨
نواكشوت	٣ر٠
ماسيرو	٥ر٥
زومبـــا	١٧ر٧
نيـــامى	١٨ر٩
ليبرفيـــل	٢١ر٥
باثورست	٢٩ر٠
جيبوتى	٣١ر٥
بورتو نوفو	٣١ر٥
مفكنج	٣٥ر٠
وندهوك	٣٨ر٥
سان دنيس	٤٢ر٠
أوزمبورا	٤٣ر٠
كمبـــالا	٤٦ر٨
واجادوجو	٤٧ر٥

عواصم صغيرة (٥٠ — ١٠٠ ألف) :

ياؤندى	٥٤
زنجبـــار	٥٨
منروفيـــا	٦٠
لومى	٦٥
بماكو	٦٨
فور لامى	٧٠
لوزاكا	٧٥

نابجى ٧٨
بنغـــازى ٨٠
مقديشو ٨٦
الخرطوم ٩٣
برازافيل ٩٩
لورنسو ماركيز ١٠٠

عواصم متوسطة (١٠٠ – ٢٠٠ ألف) :

بورلوى ١٠٧
كوناكرى ١١٢
فريتون ١٢٥
دار السلام ١٢٩
طرابلس ١٤٤
الرباط ١٦٠
أبيدجان ١٧٧
لواندا ١٨٩

عواصم كبيرة (٢٠٠ – ٥٠٠ ألف) :

تناناريف ٢٠٦
داكار ٢٣٤
العاصمة المثلثة ٢٤٥
نيروبى ٢٥٠
سولسبرى ٢٧٠
أكرا ٣٢٥
ليوبولد فيل ٣٥٥
لاجوس ٣٦٤
أديس أبابا ٤٠٠
بريتوريا ٤١٥

عواصم كبرى (+ ٥٠٠ ألف) :

تونس ٦٨٠
كيب تاون ٧٣٢
الجزائر ٨٠٦
القاهرة ٣ر٠٣٥

واضح أن حجم العاصمة الافريقية يتراوح داخل مدى واسع جدا فى حدوده القصوى : بين نحو ٤ آلاف لاصـغر وأحدث عاصـمة نواكشوت ونحـو ٤ ملايين لاضخـم واقـدم عاصمة القاهرة ! وبين هذا المدى الواسع تقع العواصم فى ثلاثة قطاعات واضحة : العواصم القزمية والصغيرة ، والعواصم المتوسـطة والكبيرة ، والعواصم الكبرى والضخمة .

فالقزمية تشمل ٢٠ حالة مجموعها ٣٩٠ر٥٠٠ ألف ، أى أنها جميعا أقل من أديس أبابا مثلا أما الصغـيرة فتشمل ١٣ حالة مجمـوعها ٩٤٥ر٨٠٠ .. ومن المحقق أن بعض هـذه الحالات ليست أكثر من قرى متواضعة – أو متعاظمة ! – مثل نيامى وما دونها . وكثير منها أصـله عواصم « بالامر » كما دعوناها سابقا ، ويكثر فى غرب افريقيا . وهى فى هذا المعنى عواصم اصطناعية ، وربما كانت فى هذا امتداد لطبيعة دولها هذه . بل لسنا نبعد عن الحقيقة كثيرا أذا قلنا أننا هنا ازاء « دول بلا عواصم » لا فى المعنى المجازى فحسب وانما بالمعنى الحرفى فى بعض الحـالات كما كانت موريتانيا وبتشوانا لنـد . ومع ذلك فبين « **عواصم الجيب** » هـذه عدد من العواصم القديمة نسبيا قدرتها على النمو رغم هـذا التاريخ يدل على الفقر الحضارى العـام . واذا كان بعض هذه العواصم يرتبط بدولات قزمية وجيوب وجزر ساحليـة كما فى شرق افريقيا ، وكان البعض الآخر يرتبط بالدول الداخلية ، فان القاسم المشترك الاعظم بينها هى أنهـا جميعا – عدا حالة واحدة هى بنغـازى – عواصم مدارية . وعلى كل حال فلا شك أن الاستقلال والكيان السياسى الجديد سيحمل أغلب هذه العواصم على النمو السريع والتضخم النسبى .

أما العواصم المتوسطة والكبيرة فكلها معـا تبلغ عدا ، ٤ر٢٠٨ر٨٠٠ من السكان . هى اذن العمود الفقرى فى عواصم القارة . والشىء الجدير بالنظر أن سبعا منها عواصم داخلية أغلبها من العواصم المعلقـة أو النهرية . والمجموعة تضم بعدهذا ٩ عواصم ربع مليونية ولعل أديس أبابا هى أكبر عاصمة مدارية فى هذه الحالات تمثل فى الحقيقة **سخرية مباشرة من التخطيط السياسى القارة وتصمها بانه** افريقيا ولو أنها ليست أكبر مدينة مدارية فى القارة ، فهذا متروك لايبدان التى كانت أكبر مدينـة وطنية مدارية فى افريقيا حتى جاء الاستعمار . الا أن من الانصاف أن ايبـادان تشمل – على الطريقة التقليدية لمدن غرب افريقيا – قطاعا كبيرا من السكان الريفيين مما قد يجعل المقارنة مضللة . بل ان البعض بصرف النظر عن هذا الاستدراك يعتقد أن أديس أبابا قد تكون الاضخم على الاطلاق .. وبوجه عام فان العواصم المتوسطة تميز الدول الكبيرة الحجم أو السكان فى القارة ، تلك التى عرفت قدرا معقولا من التنمية الاقتصادية .

وهى لذلك أقدر على التعبير عن الكيان القومى لدولها ، وليست خاما كالمجموعة السابقة .

أما العواصم الكبرى والضخمة فقليل عددها (٤) ولكنها وحدها تستأثر بنحو ٢٥٣٠٠٠ر٥ نسمة ، أى أنها تعادل تقريبا بقية عواصم القارة الست والاربعين مجتمعة والبالغة ٨٠٠ر٥٥١ر٥ . ثم انها كلها عواصم معتدلة خارج المدارين . وأغلبها عربية من العواصم التاريخية الوطنية الاصيلة . واذا كانت ثلاث منها ساحلية ، فان الطريف أن القاهرة كبرى عواصم ومدن القارة مدينة داخلية . وهى العاصمة الوحيدة التى تتخطى المليون فى القارة ، ويأتى ترتيبها الثالثة عشرة بين مدن العالم الكبرى . وغالبا ما ننسى أن القاهرة ليست أكبر عاصمة فى افريقيا فقط ، وانما أكبر عاصمة فى نطاق يشمل أيضا أوربا جنوب الالب والكربات وآسيا وجنوب القوقاز وغرب السند .

بماذا يمكن فى النهاية أن نخرج من هذا التصنيف الحجمى ؟ بانتهائين رئيسيين . أولهما أن **العواصم خارج المدارية هى أكبر العواصم فى القارة** . ففى القارة منها عشر خارج المدارين (منها فيللا تشيزنيروس ولورنسو ماركيز) تضم ٩٩٥٠٠٠ر٥ نسمة أو نحو ٢ر٥٥ ٪ من كل سكان العواصم الافريقية ، مقابل ٧٠٠ر٨٦٧ر٤ أو ٨ر٤٤ ٪ فى ٤٤ عاصمة مدارية . وهذا يعطى متوسط حجم قدره ٥٠٠ر٥٩٩ للعاصمة خارج المدارية أى خمسة أضعاف متوسط العاصمة المدارية البالغ نحو ٧٠٠ر١١٠ . الانتهاء الثانى أننا اذا أضفنا العواصم القزمية على الصغيرة الى المتوسطة أى كل ما قل عن ٢٠٠ ألف ، لوجدناها ٤١ عددا أو نحو ٧٥ ٪ من عواصم القارة . ومعنى هذا **غلبة عاصمة الجيب على القارة . ان افريقيا بوضوح قارة العواصم الضئيلة حجما بمثل ما انها قارة العواصم المتطرفة موقعا** . ويكفى أن مجموع سكان عواصمنا القارة جمعاء ٨٠٤٠٠٠ر١٠ أى ما لا يزيد عن ٤٥ر٠ ٪ من مجموع سكان القارة وما يعادل أو لا يعاد يعادل أيا من المجمعات الكبرى فى العالم مثل لندن أو نيويورك أو طوكيو .. ولئن كان هذا يدل توا على جوانب من عدم النضج أو حتى الشذوذ السياسى فان هذا ليس السؤال ، أنما السؤال هو كيف ولماذا ؟ وهو ما ينقلنا الى موضوع ضوابط الاحجام .

العاصمة فى الهيكل القومى

الا أن علينا قبل هذا أن نزن العاصمة الافريقية بمقياس دولتها ، أعنى أن ننسبها الى حجم السكان فى دولتها وفى القطاع المدنى العام . فمن المهم أن نعرف أين تقع العاصمة — أى عاصمة — فى الهيكل العمرانى القومى وكيف تستقر فيه . فان هناك أنماطا من الأحجام شتى ومتباينة ولكل منها مغزاه ومحموله السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وما يترتب على ذلك من مشاكل تخطيط وتعمير واعادة بناء . ولعل من المفيد هنا أن ندير مناقشتنا على درجتين ، فنبدأ بنسبة حجم العاصمة الى مجموع السكان العام فى الدولة ، ثم نثنى بنسبتها الى مجموع سكان المدن وحدهم فى الدولة .

فاذا نحن قرنا أحجام عواصمنا اليوم بأحجام دولها لرأعنا ذلك **المدى الهائل الذى تتأرجح داخله هذه النسبة** . فهى فى حالات تهبط الى ٥ر٠ ٪ (نياسالند) وفى البعض الآخر تكاد تصل الى ٥٠ ٪ (الصومال الفرنسى) أى أنها تهوى فى الاولى الى جزء من مائتى جزء من مجموع سكان الدولة وفى الاخيرة تنتفخ وتتورم الى نصف سكان الدولة ! ولا جدال أن هذه النسب انما تتفاوت بسبب تفاوت أحجام الدول أكثر منها بسبب تفاوت أحجام العواصم نفسها . لاننا اذا استبعدنا الاحجام الهامشية المتطرفة الى أعلى أو أسفل من بين عواصمنا ، فسنجد أن الغالبية العظمى من العواصم لا تتفاوت كثيرا فيما بينها بقدر يتناسب مع تفاوت دول فى حجم السكان . بمعنى آخر ان هذه العواصم أكثر تجانسا وتقاربا فى أحجامها من أحجام سكان دولها ، وأن دل هذا على شىء فى النهاية فانما يدل على أنه ليس ثمة تناسب كامل محكم ووثيق بين حجم العاصمة وحجم الدولة فى افريقيا بصفة عامة . وسنعود الى هذا بقليل من التحليل بعد حين ، ولكن يجوز لنا هنا أن نميز بين أنماط ثلاثة .

ففى الحالات التى تنخفض فيها نسبة سكان العاصمة الى سكان الدولة انخفاضا شديدا

قد نكون فى الحقيقة ازاء ((**دول بلا عواصم**)) الى حد بعيد كما فى حالة النيجر ورواندا وبوروندى وتوجو مثلا . بينما يصح العكس فى الحالات ذات النسبة العالية جدا ، فثمة هنا ((**عواصم بلا دول**)) بدرجة أو بأخرى ، خذ مثلا الوحدات السياسية القزمية كدول الجزر الساحلية والجيوب مثل زنجبار وموريشس وريونيون والصومال الفرنسى . **ففيها لاتكاد ((الدولة)) تكون أكثر من مدينة ، فهى رأس بلا جسم أو تكاد . انها فى معنى ((دول المدن)) التى تذكرنا بقوة بدول المدن الوسيطة ، وانما من أصل وفى اطار جديد هو الاستعمار** ، كما تذكر بدول المدن البترولية المعاصرة التى خلقها الزيت حول الخليج الفارسى (العربى) وان كان ((بترولها)) هو موقعها الاستراتيجى أما كميناء حرة أو ترانزيت أو كقاعدة حربية بحرية . ومثل **متخلف بضعة قرون عن روح العصر** . وسواء فى النمط الاول أو الثانى فالدلالة واحدة واضحة وهى الشذوذ السياسى أو عدم النضج . على أن بين النقيضين نمطا ثالثا فيه نجد حجم الدولة كبيرا نسبيا ولكن ترتفع فيه فى نفس الوقت النسبة المئوية للعاصمة بدرجة تدل على أن تضخم العاصمة هنا غير عادى ان لم يكن غير طبيعى . تحت هذا الباب تندرج القاهرة ، لكن المثل الصارخ هو تونس بلا ريب . فليس فى القارة دولة تبلغ بضعة ملايين وترتفع فيها نسبة العاصمة الى الدولة الى نحوالخمس الا تونس . وكما يقول جوتييه ((**ان تونس برمتها معلقة الى هذه المدينة المخيفة**)) . والحقيقة أن معنى هذا أن القطاع الاكبر والاخطر من كل ثروة وكيان الدولة مركز بعنف وبلا هوادة فى نقطة واحدة بحيث نكاد أن نقول ان ((**الدولة هى العاصمة**)) .. وهو حكم لا يشرف الدول الوطنية الحديثة ويحتم العمل على اللامركزية . والانماط الثلاثة تدل فى مجموعها على كثرة من الثغرات ونقط الضعف فى بناء عواصمنا الافريقية وأخطر منه كيان دولنا السياسى .

ماذا اذن عن موقع العاصمة فى سلم من الدولة ؟ **الاصل فى العاصمة غالبا أنها ((المدينة الاولى)) فى دولتها** ، ولقد وجد أننا اذا أخذنا أكبر ثلاث مدن فى الدولة ورتبنا نسبها الى الرقم القياسى ١٠٠ فان المتوسط العادى يتبع المتتالية ١٠٠ : ٣٠ : ٢٠ فى الاعم الاغلب . ولكن كثيرا من عواصم افريقيا تبتعد كثيراً أو قليلا عن هذا النمط المتتالى بما يؤكد الاستدلال السابق توا عن ضعف كامن فى عائلة العواصم الافريقية . ذلك أن هناك - مرة أخرى - أنماطا ثلاثة لكل منها خصائصه هى العواصم الضئيلة والضعيفة والسائدة :

فالاولى ليست العاصمة فيها هى المدينة الاولى . ذلك وضع يتكرر فى نيجيريا واتحاد جنوب افريقيا والمغرب وداهومى والكمرون وموريتانيا . والى بضع سنوات مضت كانت بوبو ويولاسو فى الفولتا أكبر من واجادوجو . وربما ضم السودان الى المجموعة اذا ميزنا بين الخرطوم كعاصمة رسمية وأم درمان كعاصمة وطنية . ولا شك أن ابتعاد العاصمة عن المدينة الاولى ان لم يكن شذوذا مدنيا أو سياسيا فهو على الاقل ليس القاعدة الاصولية . وبعض حالاتنا الافريقية قد يذكر بالعواصم الامريكية وعواصم الكومنولث عامة كما فى جنوب افريقيا ، ولكنه فى البعض الآخر يمثل محاولة استعمارية مقصودة للابتعاد بالمركز الرئيسى السياسى عن العواصم الوطنية التى هى بؤر التخمر القومى ومشاتل المشاكل السياسية . هذا واضح فى نيجيريا حيث تركت ابادان العاصمة الوطنية القديمة رغم أنها لا تبعد موقعا عن لاجوس بل هى على الاقل أقل تطرفا . وواضح هو كذلك فى الخرطوم بالنسبة لام درمان ، وفى الرباط بالنسبة للدار البيضاء . وعموما ففى كثير من هذه الحالات ، خاصة حين تتقارب الاحجام ، يحتمل أن العاصمة ستنمو لا سيما منذ الاستقلال بمعدلات فريدة لن تلبث أن تسبق بها المدن الاخرى وتصبح هى المدينة الاولى . ولعل الخرطوم بالنسبة لامدرمان مؤشر واضح فى هذا الاتجاه .

أما العواصم الضعيفة فنلقاها حين لا تزيد العاصمة عن المدينة الثانية الا قليلا - قل بنسبة ٧٠ الى ١٠٠ - هنا تأتى سان دنيس ، سولسبرى ، واجادوجو ، ونيامى . ومنذ بضع سنوات فقط كانت كوناكرى من العواصم الضئيلة . فى أغلب هذه الحالات تكون العاصمة حديثة النشأة أو الاختيار ، فلم

يتوفر لها بعد الوقت الكافي لتجمع ثقلا كبيرا ترجح به غيرها كثيرا . ومعنى هذا عادة أن العاصمة لم تستطع بعد أن تتبلور الى درجة كافية للتعبير عن الحياة القومية والقوة السياسية للدولة ، ودليل على عدم النضج السياسى بعامة . ومرة أخرى يحتمل مع الاستقلال أن تظهر هذه العواصم الضئيلة على منافسيها بسرعة منذ الآن — وكوناكرى مؤشر واضح .

تبقى العواصم السائدة وهى التى تظهر فيها العاصمة على سائر مدن الدولة بوضوح حاسم وتطغى شخصيتها فيها بصورة وتوحى بالتبلور السياسى والكيان العضوى القوى . والارجح الا ترتفع نسبة المدينة الثانية الى العاصمة عن النصف أو الثلث حتى تتحقق هذه السيادة ، ولكنها قد تنخفض الى الخمس أو العشر فتصبح سيادة العاصمة فى الحقيقة طغيانا كاملا . ويمكن أن نحصر فى المجموعة داكار ، فور لامى ، كوناكرى ، أبيدجان ، ليوبولد فيل ، بماكو ، تناناريف ، أديس أبابا ، الجزائر ، تونس ، طرابلس ، القاهرة ، مقديشو . وقد نضيف العاصمة المثلثة اذا اعتبرناها مجمعا مدنيا واحدا كما هو الاصح عمليا . والملاحظ أن أغلب هذه الحالات هى من العواصم ذات الحجم الكبير بالمقياس الفريقى ، وان دولها هى غالبا من وحدات القارة الغنية نسبيا اقتصاديا وحضاريا . والملاحظ بعد هذا أن قائمة هذه المجموعة هى أطول المجموعات الثلاث ، أى أن هذا هو النمط السائد فى القارة . فاذا ذكرنا أن أحجام العواصم الافريقية بعامة هى أحجام ضئيلة وقزمية بالمقياس العالمى ، **فان انتشار وشيوع العاصمة السائدة يعنى أن أغلب دول القارة تملك فى الواقع الا مدينة واحدة كبيرة نسبيا هى العاصمة تهوى بعدها فجأة الى عدد من المدن الميكروسكوبية التى لا كفاءة لها فى الحقيقة** . ومثل هذا النمط نمط يتكرر بالحاح فى البلاد المتخلفة المستعمرة حتى ليمكن أن نسميه ((**نمط المدن الاستعمارى**)) . على أنه فيما عدا هذا فان تفوق العاصمة السائدة اذا تطرق الى حد الطغيان فقد يعبر عن حالة مرضية فى تركيب الدولة . وتعود تونس هنا لتؤكد خطورة وضعها فى بلدها ، **فهى الوحيدة فى القارة التى تصل فيها العاصمة الى عشرة أمثال المدينة التالية !** فاذا عرفنا أنها منذ بضع سنوات لم تكن تزيد عن خمسة أمثال المدينة الثانية ، أدركنا أنها تحتكر كل شىء باطراد متزايد حتى أصبحت رأسا ثقيلا على جسم ضئيل تنوء به الدولة ، أصبحت رأسا كاسحا يثقل على جسم كسيح ، بحيث لم تعد الدولة تزيد عن مجرد ضاحية شاسعة للعاصمة . **ومثل هذه المعادلة الاقليمية الصارخة الاعوجاج انما تشكل معادلة صعبة حقا فى التخطيط القومى وتحديا جوهريا للتخطيط الاقليمى** .

ضوابط الاحجام

بين القوى المحلية والاستعمار

السؤال الآن : ما هى القوى التى تكمن خلف هذه الصورة المحددة لعواصمنا الافريقية ؟ كيف نفسر أولا فروقها الفردية الثابتة ، ثم ثانيا ذلك التقارب الاسى بين أحجام الغالبية العظمى منها ، ثم أخيرا تلك الضآلة التى ترين عليها وتدفعها بالقزمية فى حساب الميزان العالمى ؟ ثم عدد من العوامل والضوابط التى تنبثق من داخل القارة يمكن أن تجيب على بعض هذه الاسئلة ، ولكن ثم أيضا قوى وضواغط مفروضة على القارة من الخارج بغيرها لن نفهم داخل الصورة . ولنبدأ بمحاولة لتفسير الفروق الفردية فى أحجام العواصم الافريقية .

لا شك أن هناك — ابتداء ومنطقا — **علاقة بالقوة بين حجم السكان العام وحجم العاصمة** ويمكن أن نلمس هذا فى كثير من عواصم القارة . مثلا أغلب العواصم القزمية والصغيرة هى لدول ضئيلة السكان ، فليست هناك عاصمة من فئة — ١٠٠ ألف لدولة تزيد عن ٤ر٥ مليون (باستثناء واحد هو لورنسو مركيز) ، وأغلبها يقل عن ذلك كثيرا . بينما أن أغلب العواصم فئة ١٠٠ — ٢٠٠ ألف هى لدول أكبر حجما ، وأكبر منها بوجه عام عواصم فئة ٢٠٠ — ٥٠٠ ألف وما فوقها . كذلك سيلاحظ أن أكبر العواصم هى عواصم الدول خارج المدارية التى هى من أكبر دول القارة سكانا . ومع ذلك كله **فان هذا الارتباط عام عائم وليس مطردا حتى فى هذه الحدود** . فهناك سلسلة من المفارقات بارزة بدرجة تثير

أفلنا حبا للاستطلاع . كيف يمكن أن تكون لاجوس قدر أكرا رغم أن نيجيريا - كبرى دول القارة سكانا - قدر غانا خمس مرات كاملة ؟ لا ولن يكون الوضع الاتحادى للاجوس بتعليل كاف . ولا يقل عن هذا غرابة داكار التى تعادل اكرا تقريبا مع أن سكان السنغال لا يزيدون على ٣ ملايين . كذلك فى ظل استعمار واحد ، لماذا تكون لورنسو ماركيز أقل من نصف لواندا بينما أن موزمبيق مثل أنجولا سكانا مرة ونصف مرة ؟ وفى شرق افريقيا تبلغ نيروبى نحو ضعف دار السلام رغم أن كينيا أقل من تنجانيقا سكانا . وتونس : تكاد تقترب عاصمة من الجزائر ، مع أنها لا تزيد عن ثلثها كدولة الا قليلا ؟ لماذا تكون طرابلس أكبر من الخرطوم رغم أن السودان عشرة أضعاف ليبيا سكانا وزيادة ؟ ! ودعك من المقارنة بين تونس والخرطوم وبين تونس والسودان ! كذلك ما الذى يجعل القاهرة ثلاثة أضعاف عواصم المغرب العربى مجتمعة رغم أن مصر والمغرب الكبير يتعادلان فى مجموع السكان - اليوم وعبر التعدادات الحديثة باصرار غريب ؟ بل ما الذى يجعل القاهرة ضعف روما حجما مع أن ايطاليا ضعف مصر سكانا ؟

ذلك كله يعجز عامل السكان عن تفسيره . ولقد نعلل بعض هذه المفارقات والمتناقضات بعوامل أخرى كأعمار العواصم ، ولكنه أيضا ليس كل شىء . فلئن كانت هناك بعض عواصم قديمة ذات أحجام كبيرة كالعواصم العربية فان بعضها ضئيل الحجم كطرابلس وبنغازى ، بينما أن بعض العواصم الحديثة ضخم مثل الكاب . كذلك قد نبحث عن علة فى الصدفة التاريخية أو السياسية ، ولكنها تظل تفسيرا فرديا وجزئيا . فداكار كعاصمة لافريقيا الغربية الفرنسية حققت حجما يعد من أكبر الاحجام فى غرب افريقيا . ولكن تفتت الامبراطورية تركها - كفينا فى النمسا - عاصمة منتفخة متورمة لدويلة مقتطعة . وهذا وحده الذى يفسر كيف أنها تناظر أكرا أو لاجوس رغم فارق حجم السكان الشاسع . هذا وذاك اذن قد يفسر بعضا من المفارقات وجزءاً من الهوة التى تفصل بين حجم الدولة العاصمة بحيث لا ينواكبان دائما . لكن ذلك لا ينبغى أن يخدعنا عن - بل يجب أن يؤكد لنا - أن درجات النضج الحضارى والمادى متفاوتة بشدة بين وحدات القارة المختلفة ، وأن نصيب بعضها من التنمية والثروة الحضارية شبه معقول ونصيب الآخر حد قاصر وهزيل . وهو شبه معقول فى الاولى بالصدفة والحظ الحسن فقط ، وهو هزيل قاصر فى الثانية بحكم الاطارات السياسية العفوية الاتفاقية التى فرضها الاستعمار .

ولكن بعد هذه الفروق الفردية بين أحجام عواصمنا تبقى حقيقة كبرى وخطيرة تجمع بينها جميعا **هى التقارب الاساسى بين أحجام الاغلبية** . فهى تتراوح - خاصة فى افريقيا المدارية أى اذا استثنينا افريقيا العربية واتحاد جنوب افريقيا - بين حوالى ١٠٠ ألف ٢٠٠ ألف ، أو بصورة أشمل بين ٧٥ ألفا ، ٢٥٠ ألفا . هذا بينما تتفاوت أحجام الدول تفاوتا واسعا جدا لا يمكن أن يتناسب مع هذا التفاوت فى أحجام العواصم . ومعنى هذا كما قلنا أن أحجام العواصم مستقلة الى حد ما عن عامل السكان . ولابد أن عاملا غير جغرافى بالمعنى الصارم هو الذى يدفع بأغلب العواصم الى حد أوسط متقارب مهما تباينت أحجام بلادها . ومن الواضح أن هذا العامل هو العامل الحضارى .

فالمنطقة أصلا بدأت منذ وقت قريب نسبيا من نقطة الصفر الحضارية والمدنية . وبمجرد ان تخصص رقعة منها كوحدة سياسية منفردة كان لابد ان تنمى لنفسها عاصمة تكفل حدا أدنى معقولا من المستوى الحضارى يوفر على الاقل التسهيلات والخدمات الحديثة للمستعمرة الاوربية ويضمن الاجهزة الادارية والسياسية الضرورية . ومثل هذا الحد يعنى حجما أدنى للعاصمة قد لاتجد الوحدات الكبيرة صعوبة فى الوصول اليه وتخطيه ، ولكنها بعد ان تتخطاه قد لاتجد حافزا كبيرا ولا فائضا من الامكانيات والطاقة لتستمر فى النمو بنفس النسبة ، ولهذا فهى غالبا لاتتعداه الا بقدر صغير لايتناسب مع حجمها . هذا بينما تجد أصغر الوحدات السياسية نفسها مضطرة الى بذل وتركيز كل امكانياتها مهما تضاءلت حتى تصل الى هذا الحد والحجم الادنى . وهى تبذل فى ذلك تضحيات كثيرة عادة ماتعنى اهمال الاقاليم والمدن

الاقليمية وتخلق تناقضا وتعارضا جـذريا بين المدينة والريف ، بين العاصمة والاقليم. ولكن لامفر من هذا حتى تحقق الحجم الادنى الضرورى لعاصمة على درجـة معقولة من الكفـاءة الحضارية والكمـاية السياسية . ولهذا فهى تلهث لتصل اليه ، ولكنهـا حين تصله تجد نفسها غير بعيدة كثيرا عن أحجام عواصم الوحدات الكبرى . ومن هناتتقارب أحجام أغلب العواصم المدارية فى القارةرغم التباين الشديد فى احجام دولها .

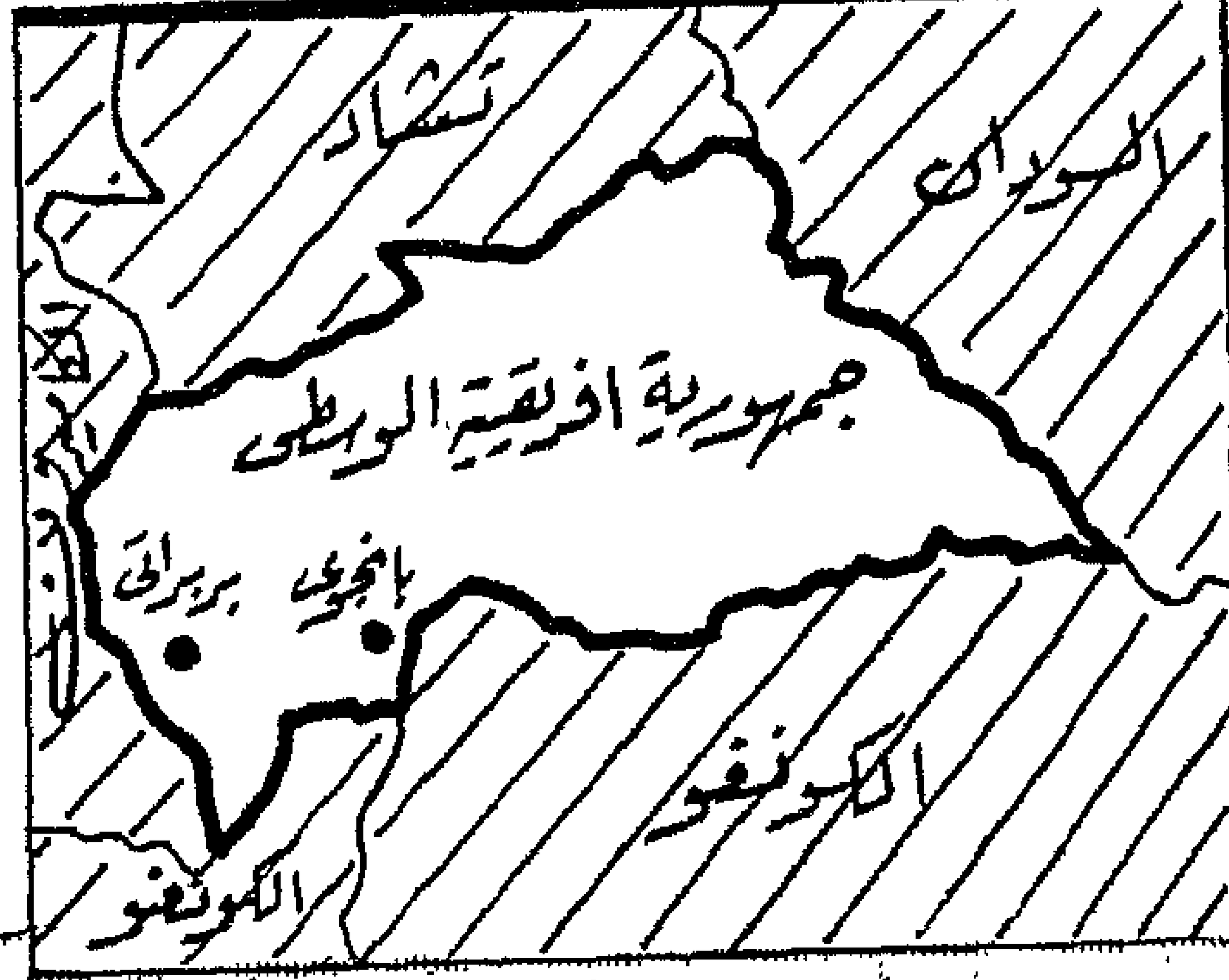
ومعنى هذا ان التقارب العام فى أحجـام الاغلبية المدارية اكثر ارتباطا فى تعليله بالعامل الحضارى منه بالعامل السكانى . ولكن معناه أيضا ان **التقسيم السياسى الخاطىء للقـارة يدعو الى انحـرافات عاصميـة وشـذوذ** بما يفرض على أغلب وحداتها الصغريات من أعباء ثقيلة تجهدها وترغمها على تنمية عواصم أكبر من طاقاتهـا تمتص حيـوية الدويلة وتعتصرها اعتصـارا . ومن هنـا نرى ان **الدلالة الحضارية والمغزى السياسى للعاصمة الافريقية اكبر من ان يكون مجرد « واجهة » للدولة الافريقية الحـديثة . انها مقيـاس اختزالى حساس لسلامة كيان وتكوين الدولة ذاتها . انهـا نبض الدولة الذى يجس كل أعراضها وأمراضها** . وهى تعود بنا لذلك الى ماسبق ان شخصناه فى تركيب الدولة الافريقية الجـديدة من متناقضات وشذوذ . فهـذه الفروق والمفارقات غير المنطقية فى عواصمنـا انما ترجع الى — وتنم على — تقسيم سياسى يعوزه المنطق الجغـرافى السليم ويفتقر الى تخطيط جيوبوليتكى مقنع . وتأسيسا عـلى ذلك فان دولية تصحيح هذه الاخطاء العاصمية ومحاولة تنسيقها تنقلنا الى مشكلة اكبر هى التحدى الحقيقى الذى يواجه ابناء القارة ونعنى به اعادة تخطيط هيكلها السياسى من جذوره .

ثم نصل اخيرا الى ثالثة الاثافى وهى تلك **القزمية التى ضربت على اغلب عواصم القارة العمـلاقة** . ليس الى التخلف الحضـارى مرجعها ، ولا الى اى عامـل داخلى بالقطـع يمكن ان ترد . انما علينا ان نمد البصر خارج اطار القارة لنرى أس ورأس الداء . فالثابت المؤكد واقعيا وتاريخيا أن عملية النهب المنتظمة والنزح المقنن لموارد وخيرات القارة التى قام بها الاستعمار نحو قرن من الزمان هى المسئولة عن هذا الضمور والعقـم الذى أصاب كـل أعضائها وعلى راسها العواصم . ومن الثابت المؤكد ايضا ان هذا التيار العرم انصب اكثر ما انصب فى عواصم المستعمر فى غرب أوربا بالذات حيث تضخمت وتألقت على حسـاب تعاسة وذبول نظيراتها الافريقيات. والعلاقة هنا حاسمة كالقانون الطبيعى : هنا ضـغط مرتفع وهناك ضغط منخفض : هنا عمليـة جمع وهناك عملية طرح . وسخرية هى لاشك مايقوله الاستعمار من انه — وقد اعطى افريقيا بعض عواصمها الجديدة — قد قام بعمليـة « نقل دم » الى القارة . فالحقيقة الموضوعية انها كانت عملية « مص دم » حضارى — عملية نزيف اقتصادى . ولقد كان الكتاب الهولنديون يقـولون مجازا ان امستردام — وقد بنت مجـدها على الصيد — « بنيت على أساس من الرنجة » ، فجـاء الكتاب الاندونيسيون واثبتوا انها انمـا « بنيت على اساس من جاكرتا » .. وبالمثل يمكننا ان نقول عن لندن وباريس وبروكسل ولشبونة وغيرها بالنسبة لعواصم أفريقيا . والذى يسـير فى القلب التجارى لهذه العواصم الاوربية لن يشـق عليه ان يجد ان شوارع بل احياء برمتهـا تستمد كيانها ومبرر وجودها من استثمارات واحتكارات افريقية خالصة ومن موارد «عبر البحار» . ان روعة وضخامة هذه العواصم الاوربية هى مباشرة وبلا تردد فقر وهـزال العواصم الافريقية . **وقزمية العاصمة الافريقية التقليدية لاترجع الى « فراغ » حضارى من الداخل وانما أساسا وفى الدرجة الاولى الى عملية « تفريغ » اقتصادى من الخارج .**

والان وقد تحررت القارة آن لها ان تحول هذه العملية الى تجـربة مادية فى « الاوانى المستطرقة » تستعيد بها بضاعتها السليبـة كما استردت من قبل كرامتها المثلومة .

« د/ جمال حمدان »

جمهورية أفريقية الوسطى



وكفاحها السياسى

بقلم عبد السلام شحاته

كانت تعرف باسم أوبانجى شارى حتى عام ١٩٥٨ ثم أصبحت جمهورية أفريقيا الوسطى ، تلك هى الدولة الافريقية الاستوائية التى أتحدث عنها فى هذه السطور ، والتى حققت استقلالها عام ١٩٦٠ .

كانت واحدة من المناطق الاربع التى تألف منها اتحاد أفريقيا الاستوائية الفرنسية الذى تكون عام ١٩١٠ والذى ضم الجابون وتشاد والكونغو (برازافيل) الى جانب جمهورية أفريقيا الوسطى .

مساحتها ضخمة تبلغ ٦٦٠ ألف كيلومتر مربع ، سكانها مليون وسبعمائة ألف نسمة منهم ستة آلاف أوربى . لا يسودها شعب واحد يكون أغلبية السكان كما هو الحال بالنسبة لشعب الفانج فى الجابون . وتذكر بعض المراجع الاحصائية عددا أكبر بالنسبة للسكان ، غير اننا نسلم بعدم دقة الاحصاءات السكانية وغيرها فى الاقاليم الافريقية وخاصة المناطق الاستوائية والبلاد المترامية الاطراف التى لاتسهل فيها وسائل المواصلات سواء بسبب الغابات أو الصحراء أو للظروف التى لا بسبب الاستعمار والاحوال الاجتماعية الاخرى .

وأكبر القبائل عددا هى قبائل الباندا (٣١٠ آلاف نسمة) وقبيلة المانيا (٢٦٠ ألف نسمة) وقبيلة اوبانجيان (١٥٠ ألف نسمة) ، وتوزيع الديانات حسب احصاءات الاستعمارية المغرضة كالاتى : ٧١ ٪ وثنيين و ٤ ٪ مسلمين و ٢٥ ٪ مسيحيين .

والمدن الهامة هى بانجوى العاصمة (٨٠ ألف نسمة) وبامبارى وبوار ، والنهر الرئيسى هو نهر الاوبانجى ، وفيها شبكة نهرية من المواصلات لا بأس بها كما أن بها بعض الطرق البرية .

منتجاتها القطن والبن والسيسال والفول السودانى كما يستخرج منها الماس بكميات قليلة والذهب بكميات أقل ، وليس بها معادن أخرى ، وفيها الماشية والأغنام والغابات .. وهى فى جملتها بلد زراعى فقير ولكنه يوازن ميزانيته .

عدد المدارس فيها عام ١٩٥٩/١٩٦٠ كان على النحو التالى : ٣٤٣ مدرسة ابتدائية ، و١٥ مدرسة ثانوية و٢٢ مدرسة للتعليم الفنى .

رئيسها الحالى دافيد داكو الذى خلف بوجاندا فى رئاسة حزب حركة التطور الاجتماعى لافريقيا السوداء ، وللحزب أغلبية فى الجمعية التشريعية حسب انتخابات عام ١٩٦٠ اذ حصل على ٤٣ مقعدا من ٥٠ ونال ٨٠٪ من عدد الاصوات .

وداكو يعتبر من أصغر الرؤساء فى افريقيا، ولد عام ١٩٣٠ وتعلم فى بلده وفى برازافيل حيث أهل للتدريس وصار ناظر مدرسة فى بانجوى وشارك فى الحركة النقابية ثم انتخب عضوا بالجمعية الوطنية وشغل مناصب وزارية تحت رئاسة صديقه وقريبه بوجاندا ، فلما قتل هذا الاخر عام ١٩٥٩ أصبح رئيسا للوزراء ، وفى عام ١٩٦٠ صار رئيسا للجمهورية .

وحزب المعارضة هو حزب حركة التطور الديموقراطى لافريقيا الوسطى الذى حاربه الاستعمار منذ نشأته نظرا لحملاته القوية ضد الادارة الفرنسية . وللحزب سبعة مقاعد فى الجمعية التشريعية ورئيسه الحالى آبل جومبا .

* * *

وقد أدت الظروف الجغرافية والتاريخية وطبيعة الشعب وأحواله الاجتماعية والسياسية الى وجود سمات تحدد اتجاهات السياسية لجمهورية أفريقيا الوسطى . وسأحاول فى هذه الكلمات القاء الضوء على بعض هذه الظروف .

أشرت من قبل الى ان السكان يتكونون من عناصر مختلفة فليس لشعب معين أغلبية مطلقة كما هو الحال بالنسبة للفانج فى الجابون وقد أدى الى هذا الوضع أمران أولهما سهولة المواصلات نسبيا وثانيهما اتساع الحدود التى تشترك فيها جمهورية افريقية الوسطى مع جاراتها .

فالاوبانجى شارى لها مواصلات يسرت الاتصال بين أطرافها سواء أكانت نهرية أم برية ، ومما جعل المواصلات وسيلة ناجحة فى أداء وظيفتها قلة الارض التى تكسوها الغابات فى البلاد . والطرق النهرية يمثلها نهر الاوبانجى الصالح للملاحة بين بانجوى وبرازافيل فى الكونغو . وبانجوى تعتبر ملتقى المواصلات فى جنوب نهر الاوبانجى . وهى التى تصل بين الاوبانجى تشارى والمحيط عن طريق برازافيل وبوانت نوار على الساحل الاطلسى بواسطة الخط الحديدى الشهير الذى يصل بين برازافيل وبوان نوار . فالاتصال بالساحل أمر باهظ التكاليف مما حد من علاقة الاقليم فى تجارته بالعالم الخارجى ومما جعله حريصا على توثيق الصلة بين جيرانه وخاصة دول افريقية الفرنسية الاستوائية . ومع ذلك فان نهر الاوبانجى لا يصلح للملاحة الا للسفن التى لا تزيد حمولتها على ٨٠٠ طن . وهناك نهر صنغاى دهو رافد من روافد الاوبانجى والملاحة فيه موسمية . وبرغم هذه الظروف تعتبر الاوبانجى من أحسن بلاد أفريقية الوسطى الفرنسية السابقة فى المواصلات النهرية .

وهناك طريق برى صالح فى معظم فصول السنة يصل بينها وبين تشاد . وثمة صلات قوية بين الاوبانجى تشارى وبين تشاد من النواحى الاقتصادية والتجارية . كما يوجد اتحاد جمركى بين الاقاليم الاربعة لافريقيا الاستوائية الفرنسية سابقا .

وتعتبر زيادة طرق المواصلات وتسهيلها من أهم مشروعات التنمية فى تشاد ويقترح انشاء خط حديدى بين بانجوى وفورت لامى فى تشاد ويقدر طوله بـ ١٠٠ ك م وتقدر تكاليفه باثنين وعشرين من ملايين الفرنكات من عملة المستعمرات الفرنسية .

وأدت سهولة المواصلات النسبية الى توغل المكتشفين الفرنسيين فى العقد الاخير من القرن الماضى الى المناطق الاستوائية الاخرى . كما أدت هذه السهولة الى انتقال السكان وهجرتهم مما ساعد على تباين العناصر البشرية .

وتوجد عناصر من قبيلة البانداو البابا تعيش على الضفة الاخرى لنهر الكونغو وتتبع اقليم كونغو برازافيل ، فى حين لا توجد لهذه القبائل أغلبية فى الاوبانجى نفسها .

أما الحدود التى تشترك مع البلاد المجاورة فهى تسترك فى حدودها الشمالية الشرقية مع السودان والجنوبية الشرقيــة مع الكونغو ليوبولدفيل . وغربها نجد الكاميرون ، وهذه الاقاليم لم تشترك فى النظام الادارى الفرنسى لافريقيا الاستوائية ولكنها مع ذلك حدود تبلغ أكثر من اربعة آلاف ميل .

وحدودها مع الكونغو البلجيكى السابق تمتد حوالى ١٢٠٠ من الاميال ، وكانت تعدل هذه الحدود على الدوام اذ كانت مثار احتكاك بين فرنسا وبلجيكا ، وأدت الى عقد معاهدات كثيرة بشأنها ، كما انها حدث بالبلجيك الى كشف مناطق عديدة فى شمال الكونغو وانشاء المراكز التجارية على النهر . كما أدت العلاقات الطبيعية للتجارة بين الاوبانجى تسارى وبين الكونغو البلجيكى الى اهتمام السلطتين المستعمرتين بالحدود . أما الحدود مع الكاميرون فقد عدلت أكثر من مرة حتى هزمت المانيا فى الحرب العالمية الأولى .

والحدود مع تشاد كانت غير ثابتة حتى وحد الاقليمان فى نظام ادارى فرنسى واحد عام ١٩٠٦ يوم عرف الاقليمان باسم مستعمرة اوبانجى تشارى تشاد ، غير ان النظام الادارى لافريقيا الاستوائية الفرنسية التى أخذ به عام ١٩١١ جعل الاوبانجى تشارى مستعمرة قائمة بذاتها وجعل عاصمتها بانجوى باعتبارها أهم مركز للمواصلات .

وحدودها المشتركة مع كونغو برازافيل قسم بعض القبائل التى تسكن الاقليمين الى قسمين .

والمواصلات السهلة نسبيا وعدم وجود حدود فاصلة جعل الاوبانجى منطقة هامة للاتصال بين العناصر البشرية وهذا بدوره جعلها مركزا تجاريا لا بأس به لهذه الاقاليم . وبالنسبة للسكان يلاحظ كثرة السلالات البشرية التى ينتمى اليها السكان مما يدل على تعدد موجات الهجرة ، وقد عدد البعض هذه السلالات فجعلها اربع سلالات رئيسية وعشرين سلالة فرعية . وهذا ما تجلى فى الكفاح السياسى الذى لم يقم على النزعة القبلية الخالصة ، ولم يطبع طابع الكفاح صبغة الخلافات الداخلية بين الافريقيين كما هو الحال فى البلاد الاخرى المجاورة حيث تتكون القبليات الكبيرة التى تتنازع فيما بينها .

هذا وقد أظهرتنا المواصلات على الصلات القوية التى تربط بين أبناء هذه البلاد وبين البلاد المجاورة من الناحية البشرية والتجارية كما يبين لنا موقع الاوبانجى تشارى ، وهى البلد الداخل فى القارة والذى يبعد كثيرا عن البحر ، حاجته الى الدول المجاورة مثل كونغو برازافيل فى صلته بالعالم الخارجى .. فالبلد لا يستطيع أن يقيم اتصالا تجاريا بينه وبين العالم الخارجى الا عن طريق غيره .

وبالنسبة للظروف التى لابست الاستعمار نجد انها لها اكبر الاثر فى تشكيل الاراء السياسية . فقد عرف المكتشفون الفرنسيون هذه المنطقة فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ودخلوها بالطرق السلمية ثم أنشئت الشركات الاحتكارية الفرنسية وعاملت الافريقيين بقسوة جاوزت المدى ، فثاروا ثورة عارمة وحتى يومنا هذا وبالرغم من المعاهدات المعقودة نجد ان الشعور بالعداء نحو الفرنسيين مازال ملموسا على نحو اكثر ظهورا مما يشاهد فى الدول الاستوائية الاخرى . وهذا يؤكد ماذكرته آنفا من أن الصراع السياسى فى الاوبانجى تشارى كان موجها الى الاستعمار ولم ينشأ عن القبلية وعن تناحر الافريقيين فيما بينهم على نحو ما نشاهد فى الجابون ، فالحق ان الجهاد السياسى كان غرضه الأول مناضلة الحكم الفرنسى والوقوف فى وجهه .

وكان أشهر من وقف فى وجه الفرنسيين هم سكان اقليمى لوباى والصنغاى الأعلى حيث يعيش شعب البابا الذى قاوم استغلال الشركات الاحتكارية بكل عنف ، وفى مقال سابق بعنوان « افريقيا الاستوائية والكونغو برازا » أشرت الى سوء استغلال هذه الشركات التى نقدها الكثير من الكتاب الاحرار الفرنسيين وعلى رأسهم اندريه فى رحلته عام ١٩٢٥ . والمعروف ان الاحداث التى وصفها انما وقعت فى الاوبانجى . وقامت الثورة بعد ذلك بعامين واستمرت ثلاث سنوات . ثم عانى شعب البابا أبشع ألوان التعذيب تأديبا له على ثورته ، ولم ينج من التعذيب الاطفال والنساء .

ولكن هؤلاء القوم ثاروا مرتين بعد ذلك فى العقدين الثالث والخامس من هذا القرن ..

وينتمى بوجاندا الزعيم السياسى الشهير فى ذلك الاقليم الى البايا وهو يمثل فى نظر الكثير من الكتاب شخصية ذلك الشعب ،

وعلى الجملة فقد كانت هذه الاراء استمرارا للثورة العنيفة المعارضة للحكم الفرنسى وازاء ذلك وجهت الادارة الفرنسية الضربات المتتالية لهذا الحزب ونسبت اليه العمل لدول اجنبية ولحركات متطرفة كما اتهمت الحزب بالرشوة، وفى الوقت الذى أفل فيه نجم انطوان داران ظهر بوجاندا بعد ان صقلته التجارب ليكون حزب حركة التطور الاجتماعى لافريقيا السوداء وهو حزب الاغلبية الى يومنا الحاضر .

ونحن اذ نشير اشارة عابرة الى بعض الاحداث فى حياة بوجاندا فلكى ندلل على انه شخصية مثلت النزعة الافريقية وتأثرت بالثورة فى بلده وبالاحداث الجارية . ولد عام ١٩١٠ وتخرج فى المدرسة الكاثوليكية فى باوندى ومنها تخرج الكثيرون من قادة افريقية الاستوائية الفرنسية . وصار عام ١٩٣٥ ولكنه نبذ مسوح الرهبان بعد ذلك باحد عشر عاما حين فتح المجال السياسى للافريقيين . عاش خمس سنوات بباريس حيث تزوج من سكرتيرته الفرنسية ومع انه نبذ عمله الدينى الا انه ألم الماما تاما بالاديان الوثنية وألم بغرائبها ، واكتسب فى نفوس أبناء قومه مكانة عالية فكان القائد والزعيم والخطيب الذى لايشق له غبار .

واعتبر تاريخ حزبه (حركة التطور الاجتماعى لافريقيا السوداء) هو تاريخ الاوبانجى شارى منذ عام ١٩٥٢ . ودلت سياسة بوجاندا واسم حزبه على توقعه انتشار هذه الحركة خارج الاقليم فى انحاء افريقيا السوداء واتصل بزعماء افريقيا الاستوائية لهذا الغرض .

وقامت سياسته على وجوب انهاء الاستعمار ونقد الادارة من عدة نواح وخاصة تقصيرها فى الانفاق على تعليم الافريقيين .

وأصبح عام ١٩٥٧ رئيسا لاول حكومة مسئولة واكتسب شعبية كبيرة بالمشروع الذى نادى به والمسمى بمشروع الدول المتحدة لافريقيا اللاتينية وهو مشروع يرمى الى توحيد دول وسط افريقيا التى وقعت تحت نفوذ فرنسا وغيرها من الدول اللاتينية واستهدفت فكرته ضم الاقاليم الاربعة التى عرفت باسم افريقيا الاستوائية الفرنسية وضم انجولا والكونغو البلجيكى .

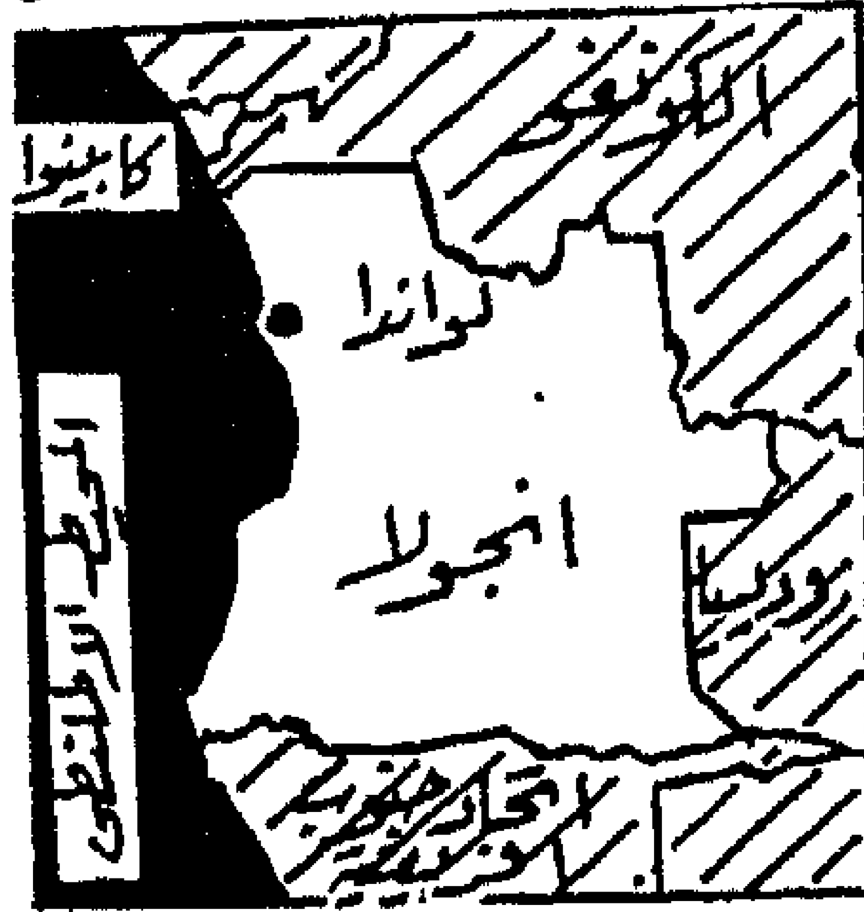
وقبل ان تختمر هذه الفكرة قتل بوجاندا فى حادث طائرة فى مارس من عام ١٩٥٩ وتولى الحكم صديقه وقريبه داكو رئيس الحكومة الحالى . ولكن قبل موت بوجاندا بشهور اختارت اوبانجى شارى الدستور الجديد لديجول وصارت تحكم نفسها بنفسها فى اطار الجماعة الفرنسية الجديدة وغيرت اسمها من اوبانجى شارى الى جمهورية افريقيا الوسطى .

ونظرا للفقر الاقتصادى وقلة الموارد عملت الدولة الجديدة على ان تحقق وحدة قوية مع جاراتها ، وفعلا تقدم داكو تحت تأثير تعاليم بوجاندا للعمل على ضم دول افريقيا الاستوائية الفرنسية فى وحدة اتحادية مستقلة وعرضت الفكرة على زعماء هذه الدول ولكن رفضها الكونغو (برازافيل) وجابون لاعتقادهما بانهما اكثر ثراء من جمهورية افريقيا الوسطى .

هذه الدولة الفقيرة نشدت الاستقلال وعارضت الحكم الفرنسى ولكنها تحت تأثير الحاجة الدائمة للمعونة الخارجية ارتبطت بفرنسا . نشدت التعاون السياسى والاقتصادى مع غيرها ، غير ان ذلك لم يتحقق ، فانضمت مع من انضم منتسبة الى السوق الاوربية المشتركة .. وفى نطاق الحكم المفروض والحاجة الى المعونة حضرت افتتاح مؤتمر دول مونروفيا . دعت للتجمع الافريقى ونادت بعدة انواع من هذا التجمع مثل اتحاد دول افريقيا اللاتينية وحركة اتحاد دول افريقيا . ولكن الطريق اعترضته سدود الاستعمار وسيطرة الاجنبى كما قيدها الفقر ... والامل المرجو ان تزول هذه الحواجز بفضل التعاون المتحرر للدول الافريقية المستقلة بعد مؤتمر القمة الافريقى .

عبد السلام شحاته

ذكرى الثورة فى مستعمرة سندريللا



بقلم عبد الرحمن صالح

مستعمرة ((سندريللا)) هى مستعمرة عند البرتغاليين . هى البلد الذى يجسد أحلامهم فى السيطرة والاستعلاء ويعتبرونه — خداعا للنفس وتمسكا بالاوهام — برازيل جديدة تعوضهم عن فقد البرازيل الامريكية فى الثلث الاول من القرن التاسع عشر .. انها مستعمرة انجولا التى تقع على الشاطىء الغربى لافريقيا والتى مازال سالازار وحكومته الاستبدادية يعتبرها امتدادا للبرتغال فيما وراء البحار هى وزميلاتها موزمبيق وجزر غينيا البرتغالية وبرنسيب ورأس فردى . ان أنجولا بالذات تجسد عظمة البرتغال فى نفوس أبنائها وارتفاعها من مجرد دولة اوربية صغيرة فى المرتبة الاخيرة بين دول القارة الى دولة عظمى ذات حول وطول ونفوذ وهيلمان .. هكذا يتصور البرتغاليون — كذبا وزيفا — انفسهم وانجولا وزميلاتها الافريقيات مازالت فى حوزتهم . وليس مثل هذا الخداع للنفس فريدا بالطبع .. فهو قد طبع أيضا — بشكل أقل حدة — رسالة باقى الامبراطوريات الاستعمارية مثل الامبراطورية الفرنسية والبريطانية .. ولكن البرتغال قد اختلفت عن تلك الامبراطوريات بنجاحها فى خداع نفسها وخداع كثير من اجزاء العالم الخارجى فى الوقت نفسه .. تاركة لابنائها كل مرارة التجربة .

وهناك اعتقاد خاطىء بان الثورة فى انجولا قد نشبت فى مارس سنة ١٩٦١ ولكن الحقيقة هى انها بدأت قبل ذلك بشهر فى فبراير سنة ١٩٦١ .. وبدأت فى عاصمة المستعمرة نفسها ((لواندا)) قبل ان تبدأ فى مناطق زراعة البن الشاسعة بالمناطق الشمالية من المستعمرة . ففى مساء الرابع من فبراير هاجمت الجماهير الافريقية الغاضبة التى قدر عددها بما يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ افريقى سجن العاصمة ((لواندا)) وثكنتين من ثكنات الشرطة . وفى اليوم التالى تجددت الاضطرابات أثناء تشييع جنازة سبعة من رجال الشرطة قتلوا فى الهجوم الافريقى .. واستمرت بقية اليوم وقتلت فيها قوات الأمن البرتغالية أربعة وعشرين افريقيا واعتقلت مئات آخرين .

وكان هذا — من الوجهة الرسمية — هو نهاية الحادث الذى اعتبرته الحكومة البرتغالية موحى به من الدخلاء والشيوعيين . وفى يوم ٩ فبراير أقرت السلطات البرتغالية أربعة من الصحفيين الاجانب بمغادرة المستعمرة — واستمرت اعمال الانتقام من الافريقيين طوال الايام الباقية من الشهر . وقام رجال الشرطة الاهلية — وهى عصابات مسلحة من المستوطنين البرتغاليين — بالغارات المتكررة على الاحياء الافريقية يقتلون وينهبون كل مايصادفهم . وفى سجن لواندا اعدم البرتغاليون مئات الافريقيين الذين كانوا قد اعتقلوا من قبل ودفنوهم فى قبور جماعية ، وأخذت العصابات البيضاء الصاخبة تطوف ليلا بشوارع لواندا فتضرب حتى الموت كل الافريقيين الذين تقابلهم .

بهذا الحادث الفريد فى تاريخ المستعمرة البرتغالية يجب أن تؤرخ الثورة فى أنجولا . ذلك ان البرتغاليين قد استطاعوا خلال خمسمائة عام تقريبا من الاحتلال أن يقضوا على كل معارضة وان يخمدوا كل صوت يرتفع ضدهم حتى بالاحتجاج — مجرد الاحتجاج — على وحشيتهم التى فاقت كل حد وتجاوزت كل وصف واضاعت من الافريقيين الملايين . كما انهم أبقوا أهالى البلاد وأصحابها فى حالة من الجهل والبؤس والشقاء يتعذر على أى انسان ان يتصور معها انهم يعون — مجرد الوعى — شيئا من حقوقهم فضلا عن المطالبة بهذه الحقوق والثورة من اجلها . لقد نشرت هيئة برتغالية رسمية لها اعتبارها هى معهد لشبونة القومى للاحصاء أرقام اخر احصاء أجرى فى المستعمرات البرتغالية — وقد تم سنة ١٩٥٠ — ومنه يتضح انه يوجد فى غينيا البرتغالية ١٤٧٨ أفريقيا « متحضرا » و ٥٢٤٥٧ افريقيا غير متحضر اما فى أنجولا فلا يوجد الا ٣٠٫٠٨٩ افريقى متحضر بينما يوجد ٤٫٠٠٦٫٥٩٨ افريقيا «غير متحضر» ، وفى موزنبيق لايوجد غير ٢٥٫١٤٩ افريقيا « متحضرا » و٥٫٦٤٦٫٩٥٧ غير متحضر . ومن ثم فان حصيلة خمسة قرون من مباشرة البرتغال لرسالتها الروحية والثقافية التى تدعيها وتتشدق بها دائما فى افريقيا لم تتجاوز فى سنة ١٩٥٠ ٠٫٣٩ ٪ فى غينيا البرتغالية و٠٫٤٤ ٪ فى موزنبيق و٠٫٧٤ ٪ فى انجولا. والافريقى «المتحضر » هو ذلك الافريقى الذى أسعده الحظ لسبب أو لاخر بان يصبح « برتغاليا » بعد ان اكتسب صفة الاندماج فى المجتمع البرتغالى .. وهى الصفة التى تتيه بها البرتغال فى أنحاء الدنيا وتتشدق بأنها القوة الاستعمارية الاولى التى ابتدعتها وطبقتها تمهيدا لتمدين الافريقيين وتحضيرهم . وهذه الصفة تتيح لصاحبها الافريقى فرصة النجاة من نظائع عمليات الاسترقاق التى تمارسها البرتغال تحت اسم « العمل القانونى » أو الاجبارى بالنسبة للسكان الافريقيين وأن كانت لاتتيح له الاستمتاع بكافة الحقوق التى يتمتع بها البرتغاليون البيض .

يقول أنتونيو دى فيجيريدو فى كتابه « البرتغال والامبراطورية » :

« من بين عشرة ملايين ونصف مليون نسمة (انجولا ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ وموزنبيق ٦٫٠٠٠٫٠٠٠) يوجد أكثر من ٩٩ ٪ من الاميين . ويعيش أقل من ٤ ٪ من الافريقيين فى موزنبيق وأقل من ٨ ٪ فى أنجولا فى مدن البيض أو حولها وهى المراكز الوحيدة التى يتحقق فيها بعض التطور بفضل العملية الطبيعية للاتصال الاجتماعى . وأذا كان لدى هؤلاء الناس اهتمام خطير بأمر من الامور .. فهو اهتمامهم بكيفية تشكيل حياتهم بطريقة أفضل طبقا للاستغلال الاقتصادى .

« ودارسو الشئون الافريقية من برتغاليين وأجانب .. قد ضللهم الحديث عن الاندماج .. فهم قد اعتقدوا بان نظام الاندماج يهدف الى منح الافريقيين حقوق المواطنة ولكن — الاندماج والمشاركة وعدوهم الصديق التفرقة العنصرية apavtheid كلها مظاهر وملامح لفن الاساطير الاستعمارى .. ولا يستطيع الرجل الابيض ان يتجاهل الحقائق التى تنطق بها الدراسات الاحصائية فى افريقيا .. ولكنه بدافع من الضرورة الادبية والسياسية يستخلص نظريات معقدة يعمل على تطبيقها كلها او بعضها بما يلائم حالته » .

والحق ان افريقيا ألبرتغالية قد ظلت فى عزلة لايعكر صفوها أحــد .. يرتع فيهـا البرتغاليون ويمرحون طوال خمسة قروندون حسيب أو رقيب .. وقد ظلوا طوال قرون أربعة أو أكثر لاعمل لهم هناك الا تصـدير مئات الالاف من الرقيق كل عام الى البرازيل وغـيرها من جهات الامريكتين .. وهكذا كان أهالى البـلاد وأصحابها الشرعيون يكونون السلعة الرئيسية الاولى التى ظلت تدر على المستعمرين الارباح الطائلة طوال اربعمـائة عام . ثم لما وجدت البرتغال نفسها مضطرة الى الغاء الرق تحت ضغط الرأى العام العالمى فى النصف الثانى من القرن الماضى . ابتكرت نظاما جديداً لاستعباد الافريقيين هو «العمل بالعقد » واحلته محل الاسترقاق وان كان يحتفظ بأغلب مظاهره ، وفى ظله تقوم البرتغال بنفس دورها القديم .. دور مورد العبيد حيث تقوم بتصـدير مئات الالاف من العمال المسفرين كل عام الى مناجم جنوب افريقيا وروديسيا الشمالية وكاتانجا .

وحين تولى الدكتور أنتونيو سالازار الوزارة سنة ١٩٢٨ أخذ يعمل على تحـويل البرتغال الى مجتمع مترابط متضامن يعتمد اقتصاده وثقافته على نظام صناعى وعلى عمل «الأجناس المنحطة ـ والعبارة للدكتور سالازار شخصيا ـ فى الاراضى الواقعة فيما وراء البحار .

وباســتخدام « بـوليس أمن الـدولة أحاط سالازار البرتغال وأمبراطوريتها بستار من الصمت فكبت كل صوت وأخمد كل همسة واستطاع أن يوفر الأمان بعض الوقت لنشر أوهامه وخيالاته .

ونظام الحكم الذى أقامه سالازار يرتكز على «تطوير الواجهة» أى العناية بالمظاهر السطحية التى تبهر المشاهد العابر ولكنها تخفى وراءها الحقائق المرة من بؤس وشقاء وجهل ومرض وبطالة . وفى سنة ١٩٦٠ وحدها كان يوجد فى البرتغال أكثر من ٣٨٠٠ متهم بجرائم ضد الدين والدولة .. أما فى المستعمرات فان أصوات الافريقيين كانت تخمد بأشد ماعرف من وحشية وقسوة .

وبالرغم من الامبراطورية الاستعمارية التى تبلغ مساحتها ٨٠٠ ألف ميل مربع .. والتى تستورد البرتغال منها ١٤٫٥ ٪ من وارداتها وترسل لها مقابل ذلك ٢٥ ٪ من صادراتها .. فان متوسط نصيب الفرد من الدخـل القومى فى البرتغال لم يصل بعد الى ٧٠ جنيها سنويا أى أقل من سدس نصيب الفرد من الدخل القومى فى بلد ليست له مستعمرات على الاطلاق كالسويد . وتبلغ نسبة وفيـات الاطفال ومعدلها ٩٠ فى الالف ضعف النسبة فى تشيكوسلوفاكيا واليابان .. بينما ان نسبة الاميين فى البرتغال تبلغ أقل من ٤٠ ٪ .

وفى الوصـــف التالى للحالة فى البرتغال نستطيع أن نقدر مدى الارهاب الذى يسـيطر هناك والذى فرضه حكم سالازار الذى يسمى نفسه « الدولة الجديدة Estato Novo .. ولنا أن نستنتج بعد ذلك مدى ســوء الحالة فى المستعمرات اذا كانت حالة الوطن الأم الذى يملك المستعمرات هكذا .

وقد وصف هنريك جالفاو الذى كان مفتشا عاما للمستعمرات البرتغالية وعضوا فى الاتحاد الوطنى الذى شكله سالازار .. وصــف فى تقريره الشهير الذى كتبه سنة ١٩٤٧ الحالة فى انجولا فقال : « ان مناطق كاملة من مناطق الحدود قد أصبحت خالية من السكان . . لايوجد بها الا كبار السن والمرضى والنســاء والاطفال .. أما الباقون فقد رحلتهم الحكومة الاستعمارية عمالا مسخرين الى مناطق مختلفة بالمستعمرة نفسها أو بالمستعمرات المجاورة . وأدق الاوصاف لهذا الفقر المدقع يقدمه لنا الهبوط المريع فى نسبة المواليد .. والمعدل الذى لايصدق لوفيات الاطفال .. والعـدد المتزايد للمرضى والمنهارين عقليا . وأرقام الوفيات التى ترجع لاسباب متنوعة أهمهـا ظروف العمل وتجنيد « العمال » .

وهكذا كانت الانتفاضة الافريقيـــة التى حدثت فى لواندا يوم ٤ فبراير سنة ١٩٦١ انفجارا لمجموعة من المعذبين طال عذابهم وقوما

من البشر أهدرت انسانيتهم طوال قرون خمسة .. وتلك الانتفاضة هى التى تعتبرها حقا بدءا للثورة الحقيقية فى أنجولا .

وما كادت السلطات الاستعمارية فى عاصمة أنجولا تعيد ترتيب بيتها كما يقولون عقب هذه الانتفاضة ثم تدعو الصحفيين من جميع أنحاء العالم ليكتبوا عن الانسجام الذى يسود البلاد .. حتى انفجرت أنجولا الشمالية وتحولت الى مسرح للرعب والفزع . ففى يوم ١٥ مارس بدأت ثورة المعذبين .. ثورة الشعب الذى عامله البرتغاليون كما لم يعامل أى شعب اخر فى التاريخ – اللهم الا شعوب المستعمرات البرتغالية الاخرى – الشعب الذى نقل البرتغاليون من أبنائه أكثر من ثمانية ملايين من الارقام العبيد ملأوا بهم طوال قرون أربعة مزارع البرازيل والولايات المتحدة وأميركا الوسطى .. وما زالوا حتى اليوم يتخذون منهم السلعة الرئيسية يصدرونهم الى مناجم الروديستيين وجنوب أفريقيا وكاتانجا بمقتضى اتفاقات رسمية بين البرتغال والحكومات والاحتكارات الاستعمارية .

بدأت الثورة ... وهاهم الثوار والعمال الافريقيون العاملون فى مزارع البن التى يملكها المستوطنون البرتغاليون .. جلاديهم . وسرعان ماهرعت الى المنطقة القوات الاستعمارية وأخذت تمارس ضروبا من الوحشية لم يسمع بها الانسان من قبل .. ولكن الثورة كانت تستمر وكانت تنتشر يوما بعد آخر .. فقد بلغ السيل الزبى ، ولم يعد فى قوس الصبر منزع كما يقولون .

وقد فسر البرتغاليون الثورة بتفسيرات عديدة .. منها أنها نتيجة للبدائية والوحشية التى طبع عليها الافريقيون .. ولكن المراقبين أجمعوا على أن وحشية الثوار الافريقيين لاتكاد تذكر أو تبين بجانب وحشية البرتغاليين أنفسهم .. ثم ان هذه البدائية دليل على كذب ما يتشدق به البرتغاليون عن جهودهم فى التمدين والتحضير .

وتفسير آخر للثورة تسوقه حكومة سالازار هو أن الثورة نتيجة للتدخل الاجنبى . يقول « جيمس دفى » فى كتابه « البرتغال فى أفريقيا » ردا على هذا الأداء :

« حقا ان غارات الفدائيين كان ينظم بعضها ويقودها أجانب .. ولكن أى اجانب كانوا ؟ انهم الانجوليون المنفيون وليسوا كما تدعى البرتغال دائما – دون أن تستطيع البرهنة على ذلك – رجالا ينتمون الى دول أفريقية أخرى . ان الفدائى فى أنجولا أجنبى بنفس الدرجة التى كان بها الرجل الفرنسى الذى عاد مع الحلفاء سنة ١٩٤٤ فعبر القناة الانجليزية من انجلترا الى فرنسا ليشترك فى تحرير وطنه من النازى .. بل ان هؤلاء الانجوليين ليسوا فى الواقع أكثر أجنبية من القوات البرتغالية التى تواجههم . وانه لما يدعو الى السخرية من نظام الحكم البرتغالى فى أنجولا الذى ملأ الدنيا ضجيجا بدعايته عن تسامحه وانسجامه وحمايته للحريات .. أن يوجد هؤلاء الانجوليون المنفيون الى ما وراء الحدود باعداد كبيرة تصل الى المليون .. وقد لحق بهم بعد ذلك آلاف وآلاف من الانجوليين الذين لا يعتبرهم البرتغاليون دخلاء .. فلاحون وعمال مسخرة حملوا قسرا ذات يوم الى مزارع البن فى شمالى أنجولا من مواطنهم وقراهم المنشرة فى أنحاء كثيرة من البلاد » .

والثورة تسير .. وهى تزداد كل يوم قوة .. وخاصة بعد أن اعترفت بها الدول الافريقية المستقلة وعملت على التوحيد بين جهود القائمين بها وتكونت الحكومة الانجولية فى المنفى فى العام الماضى .

« عبد الرحمن صالح »



زائر من مالاوى

بقلم رضا خليفة

تستقبل الشعوب الافريقية المكافحة يوم ٦ يولية القادم بالفرح والطبول .. يوم انتصار شعب نياسالاند واعلان استقلاله واستعادة اسمه الافريقى العريق « مالاوى » . كما ترقب الشعوب الافريقية اعلان موعد استقلال زامبيا « روديسيا الشمالية » ، شقيقة مالاوى ، قبل نهاية هذا العام . وبذلك تحمل الدولتان رقمى ٣٥ و٣٦ فى قائمة الدول الافريقية المستقلة .. وهكذا تسرع رياح الاستقلال العاتية نحو الجنوب الافريقى لتقتلع غلاه المستعمرين وتضع حدا لديكتاتورية المستوطنين البيض ولتضرب فى الصميم القلاع الاستعمارية المتهاوية فى زمبابوى « روديسيا الجنوبية » وموزامبيق واتحاد جنوب افريقيا نفسه . وستقف الحكومتان الافريقيتان الجديدتان فى صف القوى المعادية للاستعمار .

مبعوث من مالاوى

وقد بدأت حكومة مالاوى « الذاتية » برئاسة الدكتور هاستنجر باندا — الطبيب الذى هجر مهنته ليشتغل بالسياسة ولرئاسة حزب مالاوى الوطنى — بدأت بالفعل فى مواجهة مرحلة ما بعد الاستقلال . وكلف الدكتور باندا أحد زملائه بالقيام بجولة سريعة فى عواصم أفريقيا لدراسة تجارب الشقيقات الافريقيات وبحث امكانيات التعاون معها فى التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعى .

واستقبلت القاهرة هذا الشهر مبعوث حكومة مالاوى السيد شيومى وزير الاستعلامات وعضو اللجنة المركزية للحزب . واستمع المسئولون اليه ، واستقبله الرئيس جمال عبد الناصر ، ورحبت الجمهورية العربية المتحدة باتجاه مالاوى نحو التعاون المثمر البناء مع الحكومات الافريقية .

وقال شيومى « لنهضة افريقيا » ان استقلال مالاوى ليس غاية فى ذاته . وانما الاستقلال وسيلة واداة للتغيير الاجتماعى والتقدم الاقتصادى .

وقال .. اننا فى مالاوى نقف على اعتاب القرن التاسع عشر . وان أمامنا قرنين من التخلف . ولابد من العمل الجاد المتواصل ،

والاستعانة بخبرات اخواننا فى افريقيا اولا . وبخبرا تالعالم كلما كان ذلك ضروريا .

أول مشروع للتنمية

وبالفعل بدأت حكومة الدكتور باندا فى تنفيذ اول برنامج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .بدأته عام ١٩٦٢ ، وأهم اهداف هذا البرنامج توليد الطاقة الكهربائية وذلك بتنفيذ مشروع انكولا لتوليد طاقة قدرها ٢ مليون كيلووات ، واعداد الابحاث والدراسات الاحصائية والقيام بعمليات مسح شاملةلثروات البلاد وطرق استغلالها ، والتوسع فى التعليم بقدر الامكان .

وقال شيومى ان حكومة مالاوى تعيدالنظر الان فى مشروعات الخطة الاولى على ضوء الدراسات والابحاث التى تم جمعها . وتنوى الحكومة اعلان خطتها المعدلة مع اعلان استقلالها فى يولية القادم . ويبدأ تنفيذها فورا .

وتشير الابحاث وعمليات المسح الشاملةالى وجود امكانيات هائلة وروات طبيعية ضخمة. فالارض تنتج القطن والارز والبن والفول السودانى وأشجار الدخانوقصبالسكر وبها أكبر مزارع للشاى فى افريقيا . وباطن الارض يحتوى على كثير من المعادن . كما تمتلك مالاوى ثالث بحيرة فى العالم ـ بحيرة نياسا ـ التى لم تستغل بعد فى تنمية الثروة المائية ومصايد الاسماك .

وتستهدف خطة التنمية تصنيع المواد الاولية ، كانتاج المنسوجاتوالسكروالسجاير، واقامة معاصر لزيت الفول السودانى ، وبناء الطرق ، وتنويع المحاصيل الزراعية .

ومن المشروعات الكبرى التى تلى مشروع توليد الطاقة الكهربائية فى الاهمية مشروع اقامة مصنع لتكرير السكر يتكلف ٦ ملايين جنيه .. والمقرر ان يسد انتاج هذا المصنع حاجة السوق المحلية من السكر عام ١٩٦٦ .

ويقول شيومى ان حكومته تتولى تمويل مثل هذه المشروعات الكبرى . وقد شكلت مجلسا للتنمية الصناعية ليشرف على تنفيذ الخطة ومتابعتها .

ولم تهمل الخطة قطاع التعليم . فان حكومة مالاوى « الذاتية » تهتم اهتماما كبيرا باتاحة فرص العلم للشعب الذى حرم منه طويلا . ففى عام ١٩١٦ بلغ عدد المدارس الثانوية عشر مدارس . والمقرر حسب خطة السنوات الثلاث الاولى « ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ » ان يزيد هذا العدد الى ٣١ مدرسة . وقد تم تحقيق ذلك فى أول سنة من تنفيذ الخطة .

الحزب الواحد .. هو الحل

وتحدث شيومى عن اتجاه كثير منالدول الافريقية نحو تطبيق نظام الحزب الواحد . فقال انه يؤيد هذا الاتجاه بالرغم من تعدد الاحزاب فى مالاوى .

وقال .. اننا فى سباق مثير مع الزمن . وان ما انجزته الدول الصناعية فى قرونعلينا ان ننجزه فى سنوات . فقد فرض علينا التخلف ، كما نزحت السلطات الاستعمارية ثرواتنا ولم تترك وراءها غير الفتات حتى لايموت أصحاب البلاد جوعا .

ولا شك ان اوضاعا كهذه تتطلب عملا شاقا ودءوبا . وطالما كان الهدف محددا وواضحا فلا بد من التفاف الشعب حولقيادتهالواعية التى ينتخبها . بدلا من انفاق الوقت الثمين فى مناورات حزبية وفى سباق على المناصب والزعامة . وليس هناك غير نظام الحزب الواحد كحل لمشكلة الحكم . فهو الذى يهيىء الظروف الملائمة للعمل ، بشرط ان يسمح بتربية الشعب تربية سياسية واعية .

وقال شيومى : انه لايوجد فى بلادهفىالواقع سوى حزب مالاوى الوطنى . اما الاحزاب الاخرى فقد فشل مرشحوها فى الفوز بمقعد واحد فى الانتخابات الاخيرة ، بل وخسروا جميعا التأمينات التى دفعوها وقد حصل حزب مالاوى الوطنى بزعامة الدكتور باندا على جميع المقاعد المخصصةللافريقيينوعددها ٢٠ من ٣٣ مقعدا ، وبقية المقاعد مخصصة للاوروبيين المستوطنين وللموظفين الانجليز

بحكم مناصبهم . وسينتهى هذا الوضع الشاذ بعد اعلان الاستقلال ، وسيحصل حزب مالاوى الوطنى على جميع المقاعد .

لا وحدة الان

وذكر الوزير الافريقى كفاح السنوات العشر التى قضاها شعب مالاوى فى صراع مرير ضد اتحاد وسط أفريقيا الاستعمارى « اتحـــاد نياسالاند والروديسيتين » .. وقال ان بلاده غير مستعدة الان للدخول فى أى اتحاد سواء كان ذلك اتحاد شرق افريقيا المزمع اقامته أو اتحاد مع جارتها زامبيا التى تستقل قريبا .

وتفضل مالاوى ان يأتى الاتحاد متمهـــلا كنتيجة طبيعية لعلاقات التعاون الوثيقـة . وستقوم مالاوى بتسويق حاصلاتها الزراعية فى أسواق شرق افريقيـا مثل نيروبى ودار السلام . وستتعاون مع جاراتها فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

عقبتان تواجهان الوحدة الافريقية

أما الوحدة الافريقية التى تمثلها منظمـة الوحدة الافريقية ، فانها انعكاس صـــادق لرغبات الافريقيين ومصالحهم الحقيقية .

وقال .. فى رأيى .. هناك عقبتان كبيرتان لابد من التغلب عليهما ، ليصبح الطريق الى الوحدة بعد ذلك ممهدا وسهلا . اولاهمـــا مشكلة المواصلات . وقد يدهش الانسان حين يعلم ان السفر من أى دولة افريقية الى اوروبا اسهل وأسرع بكثير من الانتقال من دولة افريقية الى اخرى . وينطبق ذلك ايضا على الطرق البرية والبحرية . ولابد من مواجهة هذه الاوضاع الشاذة اذا اردنا زيادة حجم التبادل التجارى بيننا والتعاون المثمر من أجل تنمية شعوبنا .

والعقبة الثانية تتلخص فى كلمة واحـــدة « المعلومات » . فمن أين نستقى اخبار بعضنا البعض ؟ اننا نعتمد اعتمادا كاملا على المصادر الاجنبية والغربية لتكوين وجهات نظرنا فى المشاكل التى تصادف كل منا .

وضرب شيبومى مثلا على ذلك بقـوله ان الصورة التى ترسمها وكالات الانباء والصحف والمجلات الاجنبية للرئيس جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة غير صحيحة على الاطلاق . لقد حذرتنا الســلطات والدوائر الاستعمارية من الجمهورية العربية ، وأكدت لنا ان الرئيس عبد الناصر وحكومته لهمـا أهداف توسعية . ولم نصدق هذا الـكلام لاننا قابلنا الرئيس عبد الناصر وقمنا بزيارات مفيدة للجمهورية العربية .

والامثلة حقا عديدة . كلها توضح خطورة الاعتماد على التفسيرات الاجنبية للاحداث والتطورات المتلاحقة فى أفريقيا .

ويرى وزير الاستعلامات ان الحل الوحيد للحد من هذا الخطر هو انشاء وكالة افريقية للانباء ، يكون لها مراسلون منتشرون فى سائر أنحاء القارة الام ، فى كل عاصمة من عواصمها ، لينقلوا الاخبار الصحيحة من وجهة النظر الافريقية .

وقال شيبومى : انه سيطلب من حكومته ان تتبنى القضيتين واثارتهما فى كافة المجـالات الافريقية وخاصة منظمة الوحدة . وستنضم مالاوى الى المنظمة الافريقية بمجرد اعـلان استقلالها .

« رضا خليفة »

المفهوم الجديد لعدم الانحياز

شهدت القاهرة طوال هذا الشهر نشاطا ديبلوماسيا على مستوى عال ، تمهيدا لعقد المؤتمر الثانى للدول غير المنحازة . وقد اسفر هذا النشاط عن تحديد اوائل سبتمبر القادم موعدا للمؤتمر الكبير الذى ينتظر عقده فى القاهرة وان يدعى اليه نحو خمسين من رؤساء الدول والحكومات . كما اسفرت الاتصالات بين الدول الثلاث التى أخذت المبادرة فى الدعوة لهذا المؤتمر ،وهى الجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا وسيلان ، عن عقد اجتماع تمهيدى فى كولومبو – عاصمة سيلان – فى ٢٣ مارس القادم . وقد وجهت القاهرة الدعوة لهذا الاجتماع نيابة عن الدول الثلاث . وسيحضر الاجتماع التمهيدى ممثلو وزراء خارجية ٢٦ دولة من الدول الافريقية والاسيوية والاوربيين الاعضاء فى المؤتمر الاول للدول غير المنحاوزة الذى عقد فى بلجراد كما يحضر الاجتماع التمهيدى أيضا ممثلو دول امريكا اللاتينية الثلاث التى اشتركت فى مؤتمر بلجراد كمراقبين .

وان المهمة الموكولة لممثلى وزراء الخارجية تعتبر فى غاية الاهمية . فهم سيقررون اسماء الدول الجديدة التى ستوجه اليها الدعوة لحضور المؤتمر الكبير . وذلك على أساس المبادىء الجديدة التى سيضعونها لتحديد المفهوم الجديد لعدم الانحياز . وسيقوم ممثلو وزراء الخارجية فى اجتماع كولومبو التمهيدى بالحضير للمؤتمر الكبير .

وقد كانت هناك خمسة مبادىء لعدم الانحياز . تلك المبادىء التى صاغها وزراء خارجية الدول الاعضاء فى مؤتمر بلغرادالاول. ومن أهم هذه المبادىء ان تكون الدولة غير المنحازة خارج نطاق الكتلتين وليست عضوا فى احلاف عسكرية كبرى . وقد تم علىأساس هذه المبادىء اختيار الدول التى اشتركت فى ذلك المؤتمر .

ويعتقد المراقبون السياسيون ان المؤتمر الاول للدول غير المنحازة قد نجح فى تحقيق أغراضه من حيث تقريب شقة الخلاف بين الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدةالامريكية والكتلة الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفيتى. ويشهد على هذا النجاح توقيع اتفاقية الحظر الجزئى لاجراء التجارب الذرية . وهكذا يقف العالم الآن على عتبة مرحلة انتقالية نحو سلام دائم وعلاقات دولية جديدة . وأصبح التعايش السلمى حجر الزاوية فى بناء العالم الجديد . ومن المؤكد أن المبادىء الجديدة لعدم الانحياز سوف تسمح لعدد كبير من الدول النامية بالاشتراك فى المؤتمر .

والمعتقد أن الدول الافريقية كلها تقريبا ستشترك فى المؤتمر الجديد . فقد أعلنت حكوماتها فى أكثر من مناسبة بأن سياستها تقوم على مبدأ عدم الانحياز والتعايش السلمى والتعاون الدولى والرغبة فى تدعيم السلام العالمى . كما ينص ميثاق منظمة الوحدة الافريقية على ان السياسة الخارجية للدول الافريقية الاعضاء تقوم على اساس عدم الانحياز .

كما أن هناك دول كثيرة فى امريكا اللاتينية تطالب فى كل مناسبة بعدم التدخل فى شئونها الداخلية وتعلن عن رغبتها فى حياة سلمية .. وهناك فى آسيا شعوب تمزقها الخلافات الاقليمية بينما هى تواجه المشكلات المتخلفة عن الاستعمار والاستغلال الاقتصادى .. وهناك دول فى أوروبا تؤمن بضرورة التعاون الدولى وتخفيف حدة التوتر .

وان تحديد مفهوم عدم الانحياز الذى يجرى بحثه فىكولومبو فى الشهر القادم يعتمد فى الواقع على طبيعة قضايا العصر الذى نعيش فيه وكيف نواجهها .

ويقول كوتشا بوبو فيتش وزير خارجية يوجسلافيا ان طبيعة التكتلات العسكرية انها

مرحلة انتقالية فى العلاقات الدولية . فهى قد تكون حتمية من الناحية التاريخية ولكنها بالتأكيد مرحلة انتقالية . وان العالم يواجه الآن مرحلة جديدة من شأنها أن تشجعنا على المضى قدما للحد من الحرب الباردة والقضاء عليها تدريجيا . فقد انتهى عهد اصطلاح « الكتلة الشرقية والكتلة الغربية » والمسألة لم تعد تكتل القوى بقدر كونها انقساما داخليا الى قوى سلام وقوى عدوانية داخل الكتلتين . وعلى هذا الاساس فان عددا كبيرا من دول العالم خاصة الدول حديثة الاستقلال تستطيع الاشتراك فى مؤتمر القمة الثانى .

ومن المسائل الحيوية التى سيعقد المؤتمر الكبير من أجلها مسألة تصفية الاستعمار وكشف أساليب الاستعمار الجديد والقضاء عليها . فان قوى السلام التى ستجتمع فى سبتمبر القادم لا يمكنها السكوت على تأخير تصفية الاستعمار .

كما ان أمام المؤتمر الكبير الذى يمثل قوى التقدم والسلام فى العالم مشكلة الاختلاف الخطير فى مستويات المعيشة بين الدول النامية من ناحية والدول الصناعية من ناحية أخرى . وقد وصف الرئيس جمال عبدالناصر هذه المشكلة بأنها خطر يهدد العالم على المدى البعيد ، لأنه لا يمكن أن يقوم سلام فى العالم تتفاوت فيه مستويات المعيشة تفاوتا مخيفا ، فيكون التقدم حكرا لقلة من الدول ويكون التخلف فرضا على كثرتها الغالبة .

وسيعمل المؤتمر دون شك على تقريب الهوة بين الدول المتقدمة صناعيا والدول النامية . فبدون القضاء على هذه الفروق الخطيرة فى المستويات بين الدول لا يمكن تأمين المساواة والحرية لشعوب العالم .

نهاية الاستعمار البرتغالى فى انجولا

بقلم أحمد صوار

ان الذين شاهدوا دكتور جوناس سافيمى أحد قادة جبهة التحرير الوطنى فى أنجولا ووزير خارجية حكومتها فى المنفى وهو ينتقل بين مكاتب المسئولين عن افريقيا فى القاهرة فى شهر يناير الماضى لا يشكون لحظة فى ان رحلة سافيمى الى القاهرة هى جزء من خطة النضال الانجولى من اجل تحقيق الحرية والاستقلال لشعب انجولا من قبضة سالازار الذى يمثل أبشع أنواع الاستعمار البرتغالى لاف انجولا فحسب بل وفى مستعمراتها الافريقية الأخرى مثل موزمبيق وغينيا . ولقد غادر سافيمى القاهرة وبين جوانبه حقيقة هامة وواضحة وهى ان اعتراف الجمهورية العربية المتحدة بحكومة انجولا فى المنفى بزعامة روبرتو هولدن لا يعنى المدلول فى العرف الدبلوماسى بل يعنى ان القاهرة بامكانياتها المادية والأدبية وأجهزتها الدعائية وخبرتها فى معركة الحرية ملكا لجيش التحرير الانجولى الذى يخوض اليوم غمار حرب قاسية ضد القوات البرتغالية التى تتسلح بأسلحة حلف الاطلنطى .

موقف الدول الغربية :

ومما لا شك فيه ان الدول الغربية تعتبر احدى العقبات التى تشكل خطرا على جيش التحرير وقيادته المسئولة ذلك ان امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وكلها ضمن الدول الاعضاء فى حلف الاطلنطى تساند القوات البرتغالية وتمدها بالسلاح والعتاد مما أطال فى عمر المعركة وضاعف الصعوبات فى وجه جيش التحرير الانجولى. فبعد ان كانت المعركة محصورة بين الانجوليين ودولة البرتغال امتدت فشملت البرتغال وأسلحة حلف الاطلنطى . ويذكرنا هذا بحقيقة المعركة التى كانت دائرة على أرض الجزائر بين قوات التحرير الجزائرية والقوات الفرنسية التى كانت أسلحة حلف الاطلنطى قوامها فى معركة استمرت أكثر من سبع سنوات .

ولقد وجه روبرتو هولدن النقد الى الدول الغربية فى بيان أصدره من مقر قيادته فى ليوبولدفيل فى شهر نوفمبر من العام الماضى . وكان نقده هزا موجها الى الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما من دول حلف شمال الاطلنطى بسبب الاسلحة التى ترسلها الى البرتغال ، كما أتهم فرنسا والمانيا الغربية بتعاونهما مع البرتغال معاونة مباشرة فى قمع ثورة انجولا . ولقد أوضح بيان روبرتو هولدن ان القوات الغربية قد تجاهلت قرارات هيئة الامم المتحدة ولم تمتنع عن تزويد البرتغال بالاسلحة .

ورغم هذا النقد الصريح فان الدول الغربية ما زالت تتبع سياسة التحدى لقضية انجولا والسبب هو مئات الملايين من الدولارات التى تمتصها الدول الغربية سنويا من المستعمرات البرتغالية .

ففى انجولا نجد أن استخراج الماس وبيعه فى يد اتحاد التعدين بكاتنجا العليا وفى يد بنك مورجان وفى يد الشركة الانجليزية الامريكية بجنوب افريقيا . وتمتلك الشركة الانجليزية البرتغالية بأنجولا الحق فى استخراج الماس من ٩٠ فى المائة من الاراضى الانجولية . كما ان استخراج البترول فى يد شركة بتروفيا البلجيكية ويملك روكفلر ٩٠ فى المائة من خطوط السكك الحديدية التى تربط كاتنجا بميناء بنجويلا البحرى .

المقاومة الوطنية :

ولقد أدى تجاهل الدول الغربية لنداء هولدن واصرارها ايضا على تجاهل نداء مجلس الأمن فى يوم ٣٠ من يونيو سنة ١٩٦٣ والخاص بأن تمتنع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة عن امداد البرتغال بالاسلحة التى تستخدمها لقمع الحركة الوطنية فى انجولا ، أدى كل ذلك الى تقوية الحركة الوطنية وتوحيد صفوفها واذابتها جميعا فى قيادة موحدة فأصدرت حكومة انجولا المؤقتة قرارها الأخير بصهر جميع الحركات التحررية فى حركة واحدة وتوسيع نطاق عمليات حرب العصابات فى جميع أراضى انجولا وذلك أثناء موسم الامطار الحالى والذى ينتهى فى شهر ابريل القادم . ورغم قنابل النابالم التى تلقيها السلطات البرتغالية على النساء والاطفال فى انجولا واطلاق الرصاص على الاهالى دون وعى وحرق منازلهم ومزارعهم للكشف عن مخابىء الثوار فلقد بلغ جيش التحرير أكثر من ٢٥ ألف جندى مدربين تدريبا حديثا على حرب العصابات ومزودين بأحدث الاسلحة لهذا النوع من القتال . كما ينضم الى الجيش كل يوم مدربون جدد يقوم بتدريبهم ضباط من انجولا تم تدريبهم فى الجزائر على حرب العصابات .

ومما ساعد على توسيع نطاق القتال مع القوى الاستعمارية البالغ عددها ٤٤ ألف جندى برتغالى وجود أبواب تتدفق منها قوات التحرير الى جميع مناطق انجولا . ولقد استطاع جيش التحرير تحرير الاقليم الشمالى لانجولا ومساحته تعادل مساحة البرتغال تسع مرات وأصبحت هذه القوات على بضعة أميال معدودة من العاصمة لواندا بل وأبعد من ذلك فان البرتغاليين كانوا يأملون ان يبقى الجنوب دون ان يتأثر بالثورة فى الشمال وأصبحت منطقة انجولا الوسطى داخل الغابات الكثيفة مركزا لقتال وحشى بالاضافة الى ذلك اكتشف البوليس البرتغالى مؤامرات لقتل البرتغاليين لا فى مناطق قريبة من لواندا فحسب بل وفى الجنوب أيضا . وأصبح واضحا ان على البرتغال ان تخوض غمار حرب واسعة النطاق . والحقيقة ان الحرب الدائرة فى انجولا هى بؤرة كل النشاط القومى فى المستعمرات البرتغالية فى افريقيا لأن ما يحدث فى انجولا سيظهر أثره فى باقى المستعمرات البرتغالية وخاصة موزمبيق نظرا لمجاورتها لانجولا وهذا هو سر حرب الابادة التى تشنها القوات البرتغالية وسر ضربهم القرى الافريقية بالقنابل وذبح الذكور وهروب النساء والاطفال الى الغابات . ويقدر عدد من قتلوا من سكان انجولا فى خلال السنتين الماضيتين بأكثر من ١٥٠٫٠٠٠ مقاتل بينما هرب عدد أكثر منهم الى الكونغو .

ولقد أعلن روبرتو شروطا اربعة لاقرار السلام فى انجولا وهى :

١ ـ يجب ان تقبل البرتغال مبدأ تقرير المصير بالنسبة لسكان انجولا طبقا لقرار الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة .

٢ ـ يجب أن يخلى سبيل كل المسجونين السياسيين حسب قرارات الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة فى يناير عام ١٩٥٢ .

٣ – يجب ان تجلو كل القوات البرتغالية عن انجولا .

٤ – يجب ان تناقش البرتغال موضوع نقل السلطة الى الانجولايين طبقا لقرارات الامم المتحدة .

وبالطبع لم تلق هذه المطالب سوى اذن صماء من جانب البرتغال التى يساعدها على موقفها هذا المساعدات العسكرية والمعونات الاقتصادية التى تقدمها لها الدول الغربية .

ومما هو جدير بالذكر هذا الرياء وهذا النفاق من جانب الدول الغربية التى تقوم بتزويد البرتغال بالصواريخ والسيارات المصفحة والطائرات لشن الحرب على الوطنيين وفى نفس الوقت يرسلون الأدوية الى الجرحى من الانجوليين .

وهناك حقيقة يجدر بنا أن نسجلها وهى ان البرتغال تحت حماية بريطانيا فى أوروبا فكل الخدمات العامة فى لشبونة مثل النقل والتليفون مملوكة للشركات البريطانية . وصادرات البرتغال الاساسية للأقطار الأوروبية الأخرى هى المواد الخام والصادرات الرئيسية هى الفلين والنبيذ . وليس لدى البرتغال أى صناعة ومن ثم لا يوجد عدد كاف من الاشخاص المدربين من ذوى المعرفة الفنية بالبناء الصناعى الحديث . وحتى بناء الترسانات البحرية وصناعة الصلب والمشروعات الصناعية الرئيسية الأخرى تتم بواسطة شركات أجنبية وتقوم شركة برتغالية يساهم فيها شركاء فرنسيون بصنع بوابات السدود لتنظم تصريف المياه ، كما تقوم شركة بلجيكية بمشاركة البرتغاليين فى صناعة المحركات الكهربائية . أما مصنع الكابلات ومصنع التليفونات فهما بريطانيان كما سبق وتقوم شركة امريكية بانتاج معدات المواصلات اللاسلكية ، كما تعتمد صناعة المصابيح الكهربائية على شركات فرنسية وهولندية . ولذلك فان البرتغال هى النموذج الكامل للمجتمع المتحجر ففى الفترة التى انقضت بين نزول الملك شارل عن العرش فى عام ١٩٠٣ وبين الانقلاب الذى قام به الجيش والذى أتى بسالازار الى الحكم تولى الرئاسة ثمانية رؤساء جمهورية وقامت ٤٨ حكومة ونشبت ٢٠ ثورة حتى ان عصبة الامم راودتها فكرة ادارة البلاد لتحقيق الاستقرار .

طبقة الاسيميلاتو وجرائم البرتغال :

ولا يرى البرتغاليون أى غرابة فى استغلال ثروات انجولا لمصلحة البرتغال والمستوطنون البرتغاليون منهم يعتبرون انجولا مقاطعة برتغالية مثل موزمبيق . فانجولا تحكم من لشبونه بواسطة حاكم عام برتغالى يقيم فى لواندا يعاونه ثلاثة عشر حاكما يشرفون على المناطق المختلفة . والافريقيون محرومون تماما من تحمل أية مسئولية فى ادارة بلادهم واذا وقعت احدى الجرائم البسيطة فى قرية من القرى ظلت بلا عقاب حتى يفصل فيها رجل أبيض أو قسيس محلى أو لجنة واذا كانت الجريمة خطيرة تولى الفصل فيها المسئول البرتغالى . والافريقيون محرومون أيضا بحكم القانون من دخول المبانى العامة أو الفنادق . ويسمح لهم بالسفر بالدرجة الثانية وتناول الطعام فى المحال العامة ولكن بشرط أن يرتدى الافريقى ملابس جيدة وهى طبقة معروفة باسم الاسيميلاتو ويشترط فى الانجولى الذى ينضم الى هذه الفئة أن يتحدث اللغة البرتغالية ويدين بديانة الروم الكاثوليك وهى الديانة الوحيدة المسموح بها فى المستعمرات البرتغالية . ان شهادة من السلطات الاستعمارية بأن الافريقى أصبح من طبقة الاسيميلاتو تفتح أمامه أبواب فنادق البيض وملاهيهم ونواديهم وقطاراتهم ورغم ذلك فان هذه الطبقة تحس أنها غريبة دائما عن البيض فلا يرقى الاسيميلاتو الا لوظيفة كاتب بمرتب شهرى ست جنيهات ولا يزيد عدد الاسيميلاتو عن ألفين من بين ٥ ملايين افريقى . والاسيميلاتو هو الافريقى الوحيد المعفى من أعمال السخرة الذى يعتبر من أبشع وسائل السلطات البرتغالية فى انجولا

فعندما يكبر الطفل ويصبح شابا تسخره السلطات فى مزارعها أو ترسله الى مناجم البيض نظير عمولة تدخل خزينة الدولة وعلى العموم فأجور الافريقيين فى انجولا هى أدنى الأجور فى القارة الافريقية كلها . واذا لم يرض صاحب العمل عن سلوك احد الافريقيين فانه يرسله الى مركز البوليس حيث يضرب على يديه بأداة بغيضة عبارة عن مسطرة مسطحة بها ثقوب مستديرة تمتص اللحم أثناء الضرب . وتعتقل السلطات البرتغالية الأهالى لأدنى الشبهات وتختار منهم العشرات لرميهم بالرصاص فى الميادين العامة لارهاب الشعب .

وتتبع السلطات البرتغالية أشد الأساليب وحشية وأكثرها بربرية فانها تجعلهم يحفرون قبورهم بأيديهم ثم ترميهم بالرصاص وتجبر اخوانهم على مواراتهم فى التراب بعد أن تجز رؤوسهم وتعلقها على أبواب القرى ثم تنفى المئات من أبناء البلاد الى جزر الموت فى ساوتومى وترنسيبى حيث يقتلهم الموت والأوبئة فى مزارع الكاكاو .

مسئولية منظمة الوحدة الافريقية :

والحقيقة ان قرار مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذى اجتمع فى داكار فى شهر أغسطس عام ١٩٦٣ الخاص بدعوة جميع الدول الاعضاء الاعتراف بحكومة انجولا الثورية التى تعيش حاليا فى المنفى فى مدينة ليوبولدفيل قد ألقى مسئولية تحرير انجولا وانقاذها من مذابح قوات الأمن البرتغالية على دول المنظمة التى بدأ تكوينها منذ اجتماع مؤتمر القمة فى أديس أبابا فى شهر مايو الماضى . فالمستعمرات البرتغالية كانت من أبرز النقاط التى اهتم لها الرؤساء فى مؤتمر اديس أبابا ومن أبرز ذلك توصيات الرؤساء بتشكيل لجنة مكونة من تسع دول هى الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وأثيوبيا وغينيا والسنغال وتنجانيقا والكونغو ونيجيريا تكون مهمتها ما يأتى :

- بحث مسألة الاستعدادات الخاصة بمناهضة الاستعمار .
- الحق فى المطالبة من أية دولة بمرور المطوعين والمقاتلين الافريقيين من أراضيها وتسهيل دخولهم فى الاراضى المستعمرة التى لم تتحرر بعد .
- فتح اعتماد خاص أو صندوق خاص لمساعدة المناضلين من أجل الحرية فى افريقيا واعلان يوم ٢٥ من مايو يوم تحرير افريقيا تجمع فيه التبرعات والمساهمات الوطنية .
- انشاء وحدة للمتطوعين فى كل دولة من الدول واستقبال الوطنيين من المناطق التى لم تتحرر لتدريبهم فى جميع الميادين .
- المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين جميع الدول الافريقية وحكومتى البرتغال وجنوبى افريقيا ما داما مستمرين فى اتجاههما الاستعمارى والعنصرى الحالى ومقاطعتهما تجاريا ومنع استيراد البضائع منهما واغلاق المطارات والموانى فى وجه طائراتهما وسفنهما ومنع طائراتهما من الطيران فوق الاراضى الافريقية .

ان حكومة الثورة بزعامة روبرتو هولدن لم تعد وحدها فى معركتها ضد البرتغال وضد أسلحة حلف الاطلنطى بعد أن اعترفت بها معظم الدول الافريقية وبعد ان أقرت المنظمة صندوقا خاصا بتحرير المستعمرات الافريقية وعلى البرتغال ان تتحمل مسئولية عملها فى انجولا وباقى المستعمرات اذ ان أربعا وثلاثين دولة افريقية تقف اليوم مع جيش التحرير داخل معركته فى انجولا .

« احمد صوار »



رحلة بين شعوب الجاللا وصعود كليمنجارو

ترجمة سعد زغلول

هذه الرحلة قام بها « القس شارلزنيو» أحد مبشري الكنيسةالبروتستانتية . وقد وصل الى شرق افريقيا فىابريل سنة١٨٦٣ ليشترك مع زميله « ويكفيلد » الذى كان قد وصل بدورهالى بلده « ريبيه » القريبة من ممباسا . يصحبه الدكتور « كراف » الذى أبدى استعـداده للعودة الى شرق افريقيا لمساعدة « ويكفيلد » فى العثورعلى مكان لمركز تبشيرى .. وبعد أعوام منالعمل فى بلدة « ويبيه »" قرر « شالز نيو » أن يبدأ العمل التبشيرى بين شعوب «الجاللا» ووصل الى بلده « ماليندى » فى التاسع والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٦٦ . وبعث برسائله الى زعماء « الجـاللا » يسألهـم المجىء اليه ليرتبوا أمر زيارته لبلادهم ..

وبدأ « نيو » رحلته فى أول ينـاير سـنة ١٨٦٧ .

وهذه مقتطفات من مذكرات «شارلزنيو» عن تلك الرحلة .

مسيرة فى المساء

« .. قبيل المسـاء كنا قد اجتزنا فى طريقنا عدة غابات من نبات الحسكالرقيق المنظر . وان كانت تحتوى فى بعض أجزائها على أشجار ذات أخشاب ممتازة . وهنـا لم يكن فى مقدورنا أن نجلس فى سهولة على ظهور حميرنا . فقد كانت الاشواك الحـادة تصادفنا على طول الطريق الذى كنا نسلكه وكان ارتفاعها يصـل الى عيوننا ، بحيث كانت تشكل تهديدا دائما لنا بأطرافهـا الحادة وبما تحتويه من عصير سام . ومن

ثم فقد كان مجرد السهو عنهـا لحظـات قليلة ، يحتمـل ان يؤدى الى خسـائر جسيمة ، ومن ثم أيضـا ، فقـد كنا نقى عيوننا شرها بعناية فائقة .. وان لم تسلم أيدينا ووجوهنا من خدشاتها الطويلة والعميقة المؤلمة » .

« ... وقد أدت بنا هذه الغابات في النهاية الى أرض مغطاة بالحشائش الكثيفة والطويلة التى تكشف عن الخصوبة العالية لهـذه الارض . وبدأ الليل يهبط سريعا بظلامه ، وبدأنا نناقش وجوب البحث عن مكان نعسكر فيه . وغادر « بويا » الممر ، ومر خـلال الاعتاب الكثيفة التى قادته فى النهاية الى منطقة كثيفة الخضرة .. اندفع اليها فى ثقة وكأنه سيعثر هناك على منزله ذاته ! وعندما وصلنا نحن الى هذه المنطقة ، ونحينا جانبا بعض الشجيرات ، اختفى « بويا » فجاة .. واختفى وراءه الباقون ! . ولـم تكن تلك البقعة « مسكونة » بالطبع ! ولكنها كانت أشبه بكهف مظلم ورطب ـ أصلح مكان يمكن ان تتسلل اليه الزواحف والثعابين .. ولقد أصابتنى الرجفة وأنا أدلف اليها . وكانت الشمس قد غابت تماما ، ولم يعد يظهر فى الافق غير ضوء رمادى كئيب .. بينما الظلام الحالك يلف كل شيء . وعنـدما تقدمت قليلا وسط المنطقة حولنا ، أبصرت حـوالى بضع أشجار ضخمة يلفها عـدد آخر من الاشجار الصغيرة والشجيرات ذات الاشواك . وكلها تتسلل بين فروعها النباتات الطفيليـة العملاقة فى شكل أشبه ببناء صنعته يد فنان لسكنى مخلوقات شريرة فى الغابة ، طبيعتها الاختباء ما أمكن عن ضوء النهار . وفى وسط هذه المجموعة من الاشجار كانت هناك بقعة مكشوفة وخالية ، فأى شيء يمكن ان ينمـو وقد منعت عنه فروع هـذه الاشجار ضوء الشمس ؟ وكانت الارض مفروشة ببسـاط من أوراق الشجر المتعفنة .. ولقد ضايقتنى كآبة المكان ، وقلت لنفسى : ربما تغيرت صورته فى وضح النهار فبدت أقل كآبة مما هى عليه فى ظلام الليل وملجأ طيبا من حرارة الشمس .

ولقد وجدنا بعض الصعوبة فى اشعال النار حيث نسى الطباخ مكان علب الكبريت ، ولكن أبناء « الجاللا » قدموا لمساعدتنا . وكان من حسن حظنا انهم كانوا يحملون معهم أدوات اشعال النار التى تتكون الواحدة منها من قطعتين من الخشب . واحدة منهما طويلة ودائرية . والاخرى قصـيرة مسطحة يبلغ عرضها حوالى البوصة وطولها حوالى الشبر . وهذه الاخيرة توضع على الارض وتثبتها أصابع القدمين بينما يوضع طرف الاولى فى حفـرة فى وسط القطعة المسطحة ، ثم يحيطها الرجل بكفيه فى قوة . ويديرها بين راحتيه بتحريكهما الى الامام والخلف بأقصى ما يستطيع من قوة وسرعة . ومن الضرورى فى نفس الوقت ان يضغط الرجل على القطعة الثانية وهو يديرها براحتيه بحيث يحـدث أحيانا أن تنحـدر الراحتان مع هذا الضغط الى أسفل القطعة ، فيضطر الى رفعهما مرة أخرى .. وبسرعة ، وهو يفعل ذلك عدة مرات . وربما أصـابه التعب فيتولى رجل آخر نفس العملية حتى يبدأ خيط رفيع من الدخان يتصاعد نتيجة احتكاك الخشبتين ثم تظهر شرارة لا تلبث أن تشعل النار فى المسحوق المتخلف عن عمليـة الاحتكاك الذى يؤخذ بدوره ليوضع وسط كومة من الاعشاب وأوراق النبات الجاف أو أى مادة أخرى قابلة للاحتراق .. ثم تجرى عملية تهوية فوق هذه الكومة التى لا تلبث أن تلتهب بالنيران .. وهذه العملية يسهل اجراؤها فى الجو الجـاف عنهـا فى الجـو الرطب .

زوار للمخيم

« كان الرجل الذى وصل الى المنطقة فور وصولنا شخصية هامة .. ولقد قيل لنا اننا زواره وانه يرغب فى أن يعاملنا على هـذا الاساس . ولقد كان فى نيته ان يمنحنا بقرة فى الصباح . ولقد شكرناه على وعده هـذا الذى كان حريصا على ان يعرف ما سنقدمه له فى مقابله ! ثم قلنا له أن ردنا سوف يكون مجزيا وطيبا . ولكن ذلك لم يكن ليكفى .. وأحسسنا بأن « الضريبة » قادمة ! .. وما

لبثوا أن قالوا لنا انه ينبغي ان نقدم له هدية مكونة من خمسة أشياء ، ومثلها لاثنين من الرؤساء ذوى السن . ولقد نفذنا ما طلب الينا أن نفعله .. وقدم هو الينا البقرة التى وعدنا بها ، وكان علينا عند التسليم ان نقدم له هدية أخرى خماسية تكفى وحدها لكى تكون مقابلا كافيا للبقرة التى قدمها الينا ! وأبدينا اعتراضنا على ان ذلك يبدو كما لو كنا مضطرين الى ان ندفع ثمن البقرة ثلاث مرات وهو أمر يخالف عاداتنا ، وقلنا أيضا اننا كنا حريصين على ان نسلك السلوك الحسن ، واننا ازاء هذا الطلب الاخير لايمكننا ان ندعن الطلبانوم في المقرلة .

تحذير من اغارة قبائل الماساى

« وبعد ان استأنفوا رحلتهم ببضعة أيام . جاءتهم الانباء بأن جماعات الحرب من قبائل الماساى كانت قريبة منهم » .

عندما استحال علينا النوم داخل الكوخ خرجنا منه ووجدنا أن الناموس أقل حول النار عنه فى داخل الكوخ .. فأمرنا بان يبسط فراشنا (البطاطين) خارج الكوخ وتمددنا فوقها بالقرب من النار . وكانت النجوم تتلألأ فى السماء ورغم ذلك فقد كان الظلام حالكا .

ومرت الساعات كئيبة .. وأحسست فى النهاية بالنعاس .. فاتكأت على ساعدى ومسحت عينى وأنا أحدق فى النار ثم فى الظلام المحيط بنا .واستطعت ان أميز اشكال بضعة رجال وان ألاحظ اضطرابهم وهم يقولون « هيريبايا » ! وسمعت أحدهم يتساءل فى صوت منخفض وفى قلق « هل هيريبايا هنا ؟ » وأجاب أحدهم « هيريبايا ليس هنا ولكن داود موجود » .. وأوسع الرجال خطاهم نحو أكواخ « الجاللا » وهم يطأون فى خطوهم الشجيرات الشائكة . وأحسست مرة أخرى بالاغفاءة ولكننى تنبهت الى نفسى فى الحال وسمعت زميلى يقول « أقول لك ، يانيو ، ماذا ترى سنفعل ؟ لقد وصل بعض رجال الجاللا منذ لحظات يقولون ان الماساى فى كوراوا ، وانهم سيكونون هنا بعد وقت قصير ، ان أبا روفات يقول اننا يجب ان نهرب » .

وقلت لزميلى « هذا أمر مزعج .. ولكن الماساى لن يتعرضوا لنا بسوء ، فلماذا نهرب اذن ؟ فلننتظر حتى الصباح » .

وأجابنى زميلى قائلا « تماما .. ولماذا لا نفعل ؟ ليس هناك ما نخشاه » .

ثم بدأت أفكر ... ماذا يمكن أن نفعل فى هذا الصدد ونحن فى بلاد غريبة ، وليس فينا حتى من يستطيع أن يتكلم مع العدو الذى كان فى أعقابنا . كلا ، حين نضع كل شىء فى اعتبارنا فان من الافضل لنا ان نتقهقر بمن بقى معنا .

وقبل ان نستقر على رأى جاءنا «روفات» صائحا ، « دونجا ! دونجا ! ايبيدابوبيز ! ايبيدابوبيز ! (أشعلوا النار ! اشعلوا النار!) كاوى بوس ! (أعدوا بنادقكم !) السكورى (الماساى) قادمون! الكورى قادمون ! انهضوا! انهضوا ! اهربوا ! اهربوا ! احزموا الامتعة! بسرعة ! .. بسرعة ! »

وهكذا أمرنا الرجال بأن يحملوا الامتعة ولكن ذلك استغرق بعض الوقت على حساب أعصاب « أباروفات » الذى هرع الى المخيم والدموع فى عينيه وهو يصرخ « دونجا دونجا! بسرعة .. بسرعة .. اهربوا ! ..اهربوا ! » ولم ينتظر أصدقاؤه « الجاللا » وأصبح هو وحده ، مما كان له اثره الشديد فى نفسه .

وعبأنا بنادقنا .. وفحصنا مسدساتنا التى رأينا انها بمثابة حماية لنا اذا ما أخذنا على غرة ونحن فى الطريق . وبدأنا هروبنا الليلى .. وكان الناموس يعصف حولنا بالملايين . وغطينا وجوهنا وأعناقنا بمناديلنا وظللنا نحمى بأيدينا فى حركات متصلة آذاننا . وان كان ذلك لم يمنع عنا لدغات الناموس السامة ولقد اضطررنا طيلة مسافة لايستهان بها الى أن نخوض فى طريقنا عبر مياه مرتفع الى الركبة . ثم أصبحت فى النهاية ترتفع الى مستوى أعناقنا ! واضطررنا الى ان نحمل كل شىء بأيدينا المرفوعة ، ومن ثم لم نستطع حماية انفسنا من الناموس الذى استقر فوقنا يمتص دماءنا كما يشاء . وأخيرا وصلنا

الى جزيرة صغيرة وسط ذلك المستنقع الواسع .. وما ان تقدمنا بضع خطوات حتى هرع الينا « الجاللا » قائلين : « ينبغى علينا أن نتوقف هنا حتى الصباح » .. « لماذا لا نواصل السير ؟ » .. وأجابونا : — « لا نستطيع هناك مياه كثيرة أمامنا حتى الصباح .. أما هنا فنحن فى أمان » .

نعم ، هكذا كان حالنا .. فرغم اننا لم نكن مستريحين تماما الا اننا بالرغم من ذلك لم نكن تعساء بحالنا . لقد كنا بين يدى الله . ولقد كنا حريصين على ألا نضيع الوقت ولكن الظلام كان حالكا بدرجة لاتسمح حتى بتمييز وجه الساعة . حتى اننى اضطررت الى فتحها لاتحسس عقاربها ولاجد ان الساعة كانت حوالى الثالثة وخمس وعشرين دقيقة صباحا .

ولم يكن هناك شىء يزعجنا ولكن الساعتين اللتين انتظرنا خلالهما هناك بدتا طويلتين مملتين . ولقد تجاذبنا الحديث .. ورفعنا عقائرنا بالغناء .. وانه لشىء مذهل حقا ان تطول ساعتان فحسب تحت ظروف معينة الى هذه الدرجة . جلست أنا متجها ببصرى ناحية الشرق أترقب مطلع النهار وانا أحس بلهفة غير عادية .. ولمحت نجما شديد اللمعان والجمال يظهر فى السماء .. وصاح بعض الرجال : — « هذا هو نجم الصباح .. ان الفجر قريب » ولكنه لم يكن قريبا كما تصورنا .. وأخيرا بدأ الافق الشمالى فى الشحوب وبدأت النجوم تختفى واحدة اثر واحدة .. ثم بدات أشعة الشمس تظهر .. وطلع النهار الذى ترقبناه فى لهفة . ولقد كنا فى حالة يرثى لها من البلل . ولم يكن فى مقدورنا أن نفكر فى شىء آخر غير طلوع النهار . وهكذا بدأ فجر الاثنين السابع من الشهر .

خادم مخلص :

« وقبل أن تصل أنباء الماساى ، كان رجلان قد أوفدا للبحث عن بعض الحمير المفقودة . ولقد تأثر (نيو) تأثرا بالغا بشجاعتهما فى اعادة الحمير بالرغم من الاخطار التى تهددتهما من الماساى ، حتى أنه كتب عن مغامرتهما يقول : » .

فى الصباح عاد الينا «ووليدى» و«دادى» الرجلان اللذان كانا يبحثان عن الحمير المفقودة وفيما يلى تفاصيل مغامرتهما التى حكاها لى أولهما .

فى اليوم الذى غادرنا فيه الاثنان عند « كاكولى » قطعا مسافة كبيرة دون أن يتفقدا أثر الحمير الضالة .. وعندما وصلا الى بقعة رملية .. لمحا رجلا عن بعد .. وعندما تقدما نحوه كان هو الاخر يتقدم نحوهما فاذا هو يبدو لهما على بعد وكأنه قزم . وعندما واجههما فى النهاية وجدا نفسيهما وجها لوجه أمام محارب من محاربى « الماساى » فى كامل سلاحه . . وارتعد « دادى » كما لو كان مصابا بنوبة من القشعريرة ! وأحس بأنه على وشك أن ينهار الى الارض . ولكن «ووليدى» صوب بندقيته على الرجل ثم أطلق النار . ويبدو أن الرجل كان يتوقع مواجهة «الجاللا» وحدهم ، وحين وجد البندقية مع أحدهما توقف وجذب من الارض قبضة من الحشائش وضعها فى فمه — وهى عادة الماساى فى اظهار نياتهم الودية — ثم صاح فى استرحام « لا .. لا .. لاتطلق النار مرة أخرى ، ليس بينى وبين الواجومبا شجار ؟ .. السلام .. السلام ! » وظل « ووليدى رافعا بندقيته وقال : « قف حيث أنت ، لاتتقدم خطوة أخرى أو اطلق النار » وأخذ « الماساى » يعلن مسالمته وطلب ان يسمح له « ووليدى » بالتقدم .. ولكن «ووليدى» صرخ فيه : — «كلا .. فى اللحظة التى ستتقدم فيها .. أطلق أنا النار .. عد ادراجك اذن » وعندما لم يجد الرجل فائدة .. عاد ادراجه . ولم يكن هناك شك فى انه سيذهب الى عشيرته لكى يساعدوه فيما لم يستطع هو وحده أن يفعله ، وهذا ماكان يخشاه الرجلان اللذان أطلقا سيقانهما للريح وسط المستنقعات حيث لايحتمل ان يتبعهما الماساى خلالها لخوفهم الشديد من الغابات والاماكن الكثيفة الزرع .

وذهب الرجلان الى « مامبروى » فوجداها تكاد تكون مهجورة .. فلم يكن هناك سوى أقل من عشرين من بين بضع مئات .. كذلك كان الحال فى « ماليندى » حيث آمن الجميع هناك بأن « الوازونجو » (الرجلان الابيضان) وجماعتهما قد قتلوا . ولم يكن هناك شك فى ذلك . أنظر ! لقد غادر « الوازونجو » بلده « مواندو — اميبا » فى الثانى من الشهر، وفى الثالث من نفس الشهر وصل «الماساى» من الاتجاه الذى ذهب اليه البيض . ومع « الماساى » كانت الحمير التى كانت فى حوزة هؤلاء البيض .

وعندما أخبر « ووليدى» ابناء «ماليندى» بأنه يستعد للعودة الينا ، ظنوه مجنونا أ وصاحوا فى وجهه « لقد مات الوازونجو .. ما الذى تنوى عمله ؟ » وأجابهم «ووليدى» : « اننى لاأعلم شيئا عن موتهما .. ويجب ان أعود لاعرف حقيقة الامر » ولقد حاولوا ان يمنعوه ، ولكن عبثا .

وفى « مامبورى » واجهتهما نفس التأكيدات فان « محمـد بن سعيد » أعلن فى أسلوب الواثق اننا قد لقينا حتفنا قائلا : — « لقد تلقيت تأكيدات جديدة بذلك من آنجوميينى، انظروا .. هذا هو الخطاب » ثم قرأ عليهما تفصيلات عن مصيرنا .. وأضاف يقول : — « ألا تصدقانى ؟ اطلبا اذن من أى شخص آخر أن يقرأ الخطاب عليكما . اننى أقول لكما انهما قتلا .. لاتتبعاهما ، فلن تستطيعا اعادتهما وسوف تلقيان بنفسيكما الى التهلكة .. ابقيا اذن معى فأنا فى حاجة الى رجل يعرف لغة الماساى .. ابقيا معى وسوف امنح كلا منكما خمسين دولارا فى العام » . ولقد كان ذلك أكبر بكثير من المبلغ الذى كنا نعطيه نحن للرجل .. وكان أجرا ضخما بالنسبة للخدم فى هذه البلاد . ولست أعتقد انه كان فى نيته ان يمنح « ووليدى » هذا الاجر بالفعل ، ولكنه كان يحاول اغراءه به . ولكن « ووليدى » قال له : — « كلا .. يجب ان أذهب .. ربما كان ماقلته انت صحيحا، اننى لا اعرف ماحدث لهما منذ ان تركتهما .. ولكن يجب على ان أذهب لارى بنفسى .. ومن ثم سوف اعرف حقيقة ماحدث » وقبل ان يمضى اللحاق بنا أخذه « بن سعيد » جانبا وقال له : « لقد ماتا .. وليس هناك أدنى شك فى هذا .. فما الذى يربطك بهما؟» وأجابه « ووليدى » : — « لاشىء سوى هذه البندقية » وأخذ منه « بن سعيد » البندقية واختبرها جيدا ثم قال له : — « انها بندقية رائعة .. والوازونجو مدين لى بثلاثين دولارا . ان البندقية على أية حال لاتساوى هذا المبلغ ولكن يجب أن تتركها لى لكى تغطى بعض خسارتى » ولكن « ووليدى » جذب البندقية من يده وأمسك بها فى قوة وأجاب قائلا : — « لا يمكن ان أدعك تأخذ البندقية .. انها ليست بندقيتى .. ثم اننا لا نعرف كل شىء بعد ، فربما كان الوازونجو لايزال حيا » .

وهكذا : أتم الرجل الشجاع — كما يجب على أن أصفه — مهمته .

« ولقد تابع « نيو » محاولاته وأمضى حوالى الشهر بين قبائل الجاللا .. مدونا ملاحظاته عن عاداتهم ونظام حكومتهم . وأخيرا غادرهم الى ممباسا فى السادس من فبراير » .

أول صعود لجبل كليمنجارو

« وفى سنة ١٨٧١ ، قام (نيو) برحلة فى اتجاه مختلف ، شرقا الى شعوب الشاجا التى تسكن سفوح جبل كليمنجارو . وخلال هذه الرحلة ، تسلق الجبل على خط الثلج عند قمته ولقد كانت هذه أول محاولة يقوم بها أوروبى » .

ولقد أرسل (نيو) يطلب مقابلة « ماندارا » زعيم شعوب الشاجا .. لكى يطلب منه الاذن بالبقاء فى بلاده ولكى يساعده فى الحصول على دليل لصعود الجبل » .

« وفى هذا الصدد كتب (شارلزنيو) يقول : » .

وعندما استقر بنا المقام ، أخبرنى الدليل بأن الزعيم قدم ليرانى . وأجبته أنا قائلا : « اصحبه الى هنا » ولكنه اعترضنى قائلا : انه قد لايرضى بذلك وانه يجب على أن أذهب اليه بنفسى ، فسألته : « وأين هو ؟» فقال : « هناك » ثم أشار الى رجل وسيم صغير يجلس على كتلة من الخشب أمامى مباشرة مستندا الى كتفى رجل آخر صغير السن . ولم أصدق فى سهولة ما رأيته بعينى .. أكان هذا حقا هو « ماندارا » الذى كان اسمه على كل لسان يبعث الرعب فى البلاد ؟.. الزعيم القوى الذى سمعت عنه كثيرا ؟ وعلى أية حال ، فلم يكن هناك وقت للتردد . ولقد بدا لى كما لو كان يحس بشىء من الضيق حيث لايعرف كيف يستقبل ضيوفه . ولكى أكسر أنا حدة الموقف تقدمت نحوه مادا يدى ثم حييته بلغة « الكيسواحيلى » .. « يامبومانجى » ومد هو الى يده وأجابنى « يامبو ، يامبو ، سانا ! » كما لو كان معتادا على مثل هذه التحيـة ثم قال : « كاريبـو ، مانجى » (اقترب) فقلت : « ستاريشى » فأجابنى : « كاريبو ويوى » (اقترب منى) : ثم ضحك فى ارتياح ونهض تاركا بينى وبينه مسافة ذراع ، ثم ما لبث ان دار حوالى دورة أو اثنتين كما يفعل الرجل حول أسد صريع حين يود التأكد من موته ، وحين وجد أننى لا أملك مخالب أو أنيابا ! ، واننى لا أنوى القفز لأمسك بعنقه ..! طامن من قلقه وأصبح طبيعيا ثم دخل الخيمة وبدأ يسألنى بكل قوته . ما هذا ؟ ما ذاك ؟ .. فى اسئلة متتابعة . ولم استرح الا قبيل المساء حين أتاحوا لى فرصة الاغتسل وأغير ملابسى وان كنت أدين بهذه الراحة لحب استطلاعهم أكثر من رغبتهم فى ان يمنحونى اياها فلقد كان الزعيم متلهفا على ان يرى العملية بنفسه . ولم أتمكن بالطبع من ان انفرد بعيدا منهم !

وبدأت أشمر أكمامى وأثنى ياقة قميصى . ولقد أثارت دهشتهم رؤية بشرتى .. وتمشيط شعرى ولحيتى .. ورؤية ملامح وجهى .. الخ ، وأصبحت هذه الاشياء كلها موضع دهشتهم البالغة وربما أيضا موضع اعجابهم « ياله من شعر ! يالها من لحية ! يالها من بشرة ! ياله من رجل ! ولكنه ليس رجلا ، انه (اروا) .. (اله) »

ولقد كان تصرف « الواشاجا » فى حضرة زعيمهم بالغا درجة كبيرة من النظام ، فقد وقفوا فى احترام شديد . وعندما كان واحد منهم يتحدث الى الآخر كان يفعل ذلك فى صوت منخفض ، وكانوا جميعا يرقبون حركات زعيمهم .. ولا يتدخلون فى الحديث . وعندما كان الزعيم يتكلم ، كانوا هم ينصتون . . بينما واحد منهم أو اثنان يردان عن الجماعة كلها « تماما أيها الزعيم !. بالضبط أيها الزعيم ! »

وفى يوم الاثنين الموافق للرابع عشر من أغسطس ، أعددت العدة لصعود الجبل . وخلال مدة اقامتى فى « شاجا » كنت أحاول دائما أن أؤمن لنفسى حسن نيات الزعيم على أمل أن يساعدنى فى محاولتى للوصول الى خط الثلوج فى جبل « كليمنجارو » ولقد اعتبرت رغبتى فى هذا الصدد شيئا يدل على الحماقة .. وكان الجميع يقولون لى فى تعجب : « ومن أنت حتى تصعد جبل « كيليما ـ انجارو » العظيم ؟ ألم يحاول ذلك ابناؤنا مرة بعد مرة .. دون جدوى ؟ ثم بدءوا يقصون علينا حكايات عجيبة عن السكان الخارقين للطبيعة والذين يقطنون قمة الجبل ، ويحرسون كميات هائلة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة ويقفون فى وجه أى محاولة مميتة لدخول أماكن اقامتهم المقدسة . ولقد اخبرونا عن جماعات حاولت صعود الجبل الى مسافات بعيدة ثم لم يرهم أحد بعد ذلك ، ومن جماعات أخرى عاد أفرادها وقد تجمدت اطرافهم

ومعهم حكايات مخيفة عما صادفهم فى هذه التجربة . كذلك فان « ماندارا » وصف لنا ممرا سار خلاله فى الجزء الاوسط من الجبل وهو فى طريقه الى « رومبو » و«أوزيرى» كان الجو فيه من القسوة بحيث أنه فقد فى يوم واحد فحسب خمسة عشر رجلا من أحسن مرافقيه ، ولقد قيلت نفس هذه الحكايات الى رجالى مع كثير من المبالغة .. ولقد اعتبر رجالى من الحمالين كل كلمة فيها صدقا لا مراء فيه .

المحاولة الاولى :

وصلنا الى حدود المنطقة المسكونة فى الساعة الحادية عشرة صباحا « فى اليوم التالى » ولقد كانت الرحلة ممتعة اذا كان لنا أن نسميها رحلة ، فقد كانت فى الواقع .. عملية تسلق صعبة .. وكنا حتى تلك اللحظة قد مررنا عبر دروب مسدودة من كلا الجانبين بسياجات عالية من العوسج وحشيشه القريص والنباتات المتسلقةونبات السرخس .. ومن نباتات أخرى كثيرة ذات أزهار جميلة . ثم اجتزنا أحراشا بديعة المنظر ، وتجاويف عميقة وجداول ماؤها عذب قراح متابعين الطريق وسط حدائق من نبات « الماسومبو » والفيكوا «البطاطس» وعلى طول وديان رائعة المنظر ومروج معشوشبة .. تزخر بالمشاهدالاخاذةوالاماكن الرومانتيكية .

أما الغابة التى دخلناها بعد ذلك فقد كانت حزاما فسيحا من الخضرة الكثيفة يحيط بالجبل كله ويعرفه « الواشاجا » باسم «ماودو» .والجانب الاكبر من نباتات هذه الغابة أشجار عملاقة تتخللها نباتات متسلقة . وأشجار أخرى صغيرة كثيفةونباتات أخرى لاتحصى تجعل السير أمرا صعبا الا بالنسبة للافيال التى كانت طرق سيرها تبدو الى حد ما فى كل الاتجاهات وأكبرالظن ان عمر هذه الغابة هو عمر الخليقةنفسها ، فهى تحمل كل مظاهر القدم .. كذلك فان كل شىء فيهـا مغطى بالطحالب .. وكل أغصانها تتشابك بحيث لا تسمح بمرور شعاع واحد من أشعة الشمس .. ومع ذلك فقد كانت الورود والزهور بمختلف ألوانالطيف، تطل علينا من كل جانب .

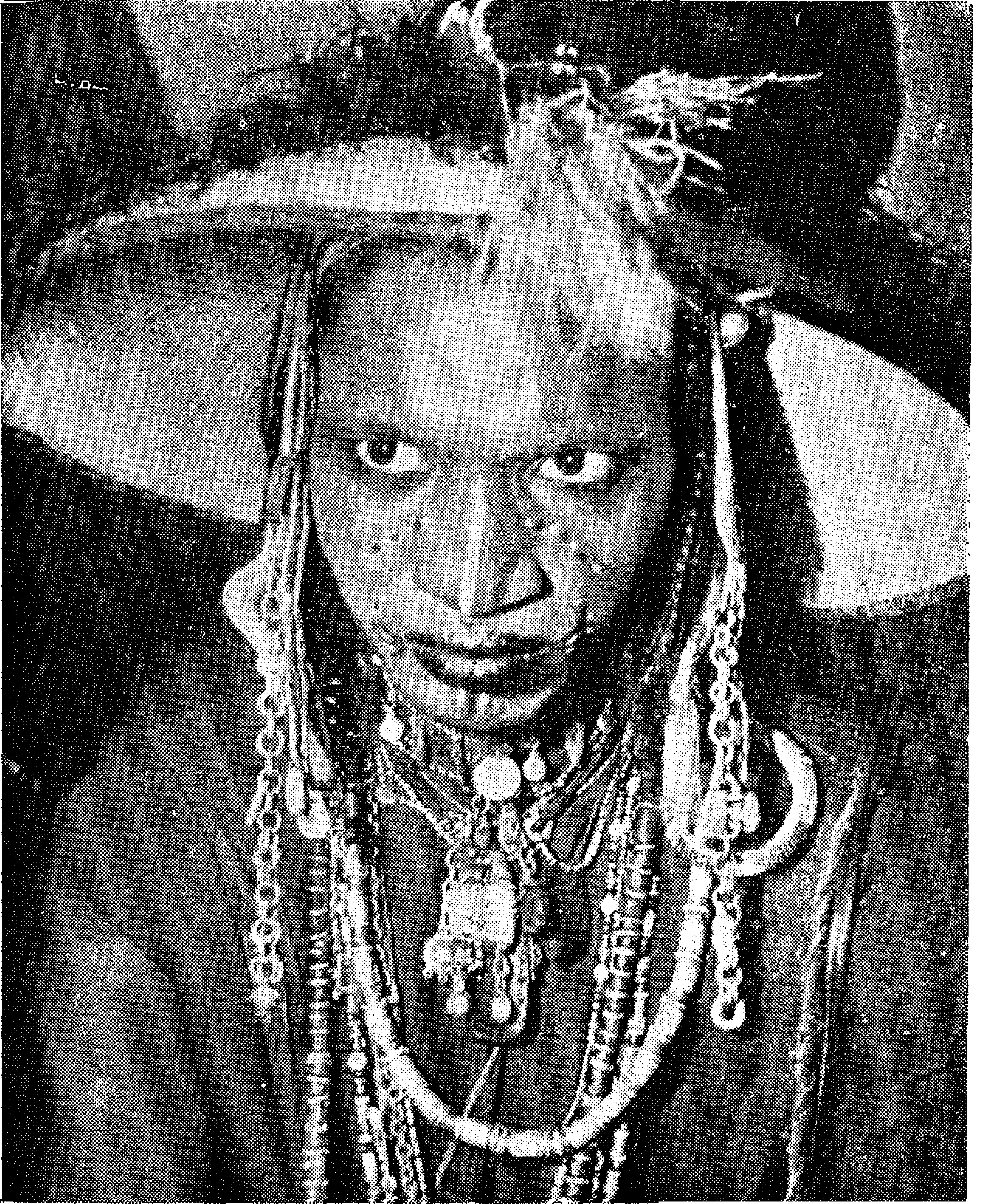
وحوالى الظهيرة ، اتضح لنا أن مواطىء أقدام الافيال قد ضللتنا ، ومن ثم فقد كان علينا أن نشق طريقنا وسط الغابةبالفئوس والسيوف القصيرة والمدى .. ولكننا لم نحرز الا تقدما بسيطا . وحوالى الساعه الثانية بعد الظهر وصلنا الى جدول ماء ينحدر فى سيل جارف فوق صخور ضخمة فى مجرى يبلغ عرضه ستة أقدام تقريبا . وبدأت الامور تزداد أمامنا سوءا حيث اشتدت كثافة الضباب حتى لم يعد « ماروندو» يرى طريقه . ولم نعد نحن نرى أدنى أثر لطريق يمكن أن نسلكه . ورغم ذلك فقد تابعنا السير حتى المساء حين وقف « ماروندو » معلنا أنه ليس فى مقدورنا أن نرى شيئا خلال الغابة بقية اليوم وأنه من الافضل لنا أن نتوقف طوال الليل .

وفى الليل ، حلمت بأننى وصلت الى قمة الجبل ــ أية سخرية !.. وفى الفجر ، .. قفز قلبى من موضعه !. .فقد لمحت نجما فى السماء من خلال الاشجار الكثيفة . . وبدأت آمل فى صباح مشرق ، بيد أن الصباح جاء رطبا مليئابالضباب كأكثرماتكون الرطوبة والضباب . وأبدى « ماروندو » استعداده للتقدم ولكنه قال : « لن نصل اليها أحياء » .. والحق أننى لم أكن قلقا على « الواشاجا » كثيرا ، ولكن خوفى كان بالغا على « الوانيكا » الذين أصبحوا أشبه بالاموات .. لقد كان الحظ ضدنا ، ولهذا ــ وبعد انتظار بضع ساعات كنت آمل أن يتحسن الطقس خلالها ــ أصدرت أوامرى بالعودة .

التهيؤ للرقص



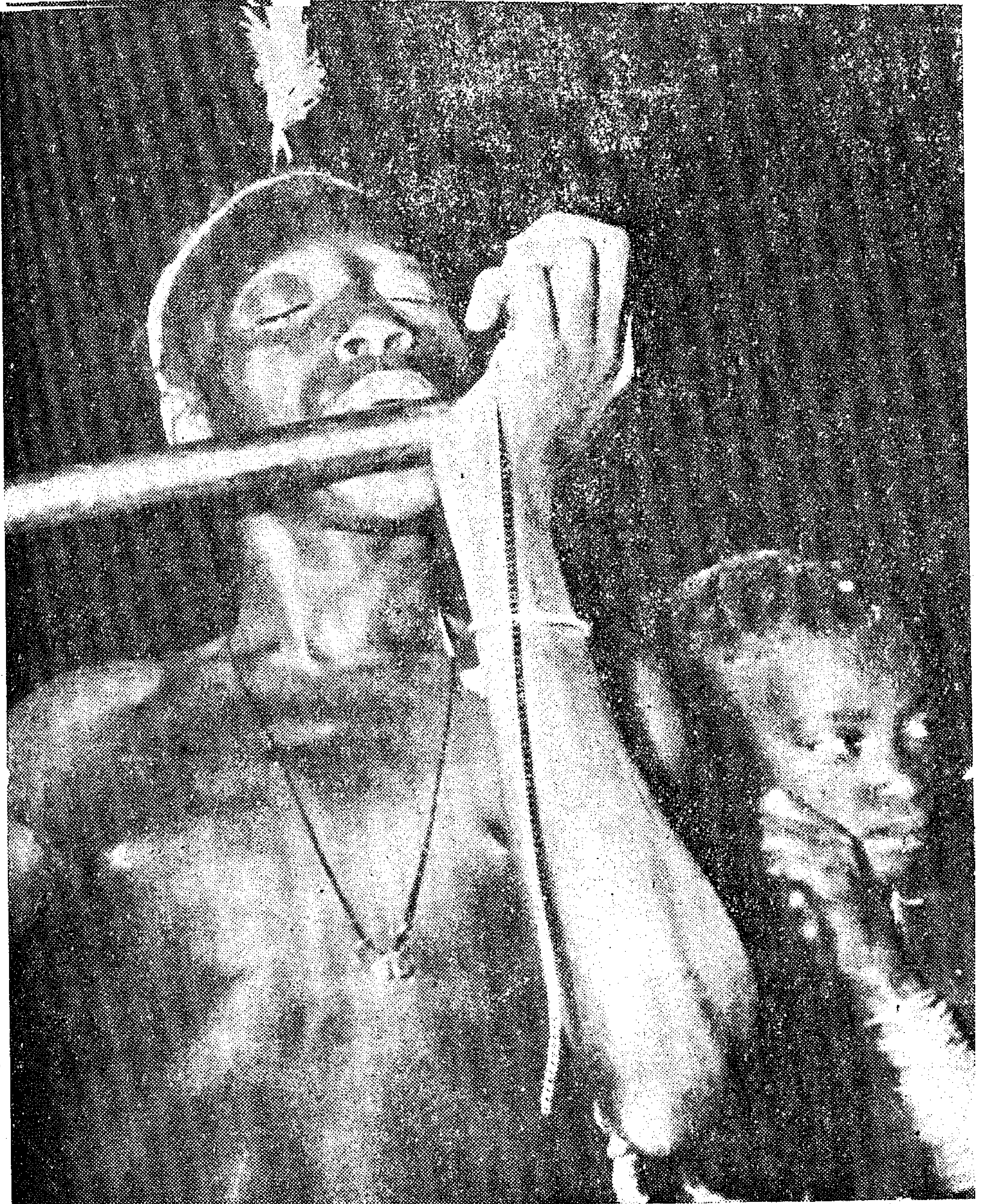
بالزينة والزخرفة



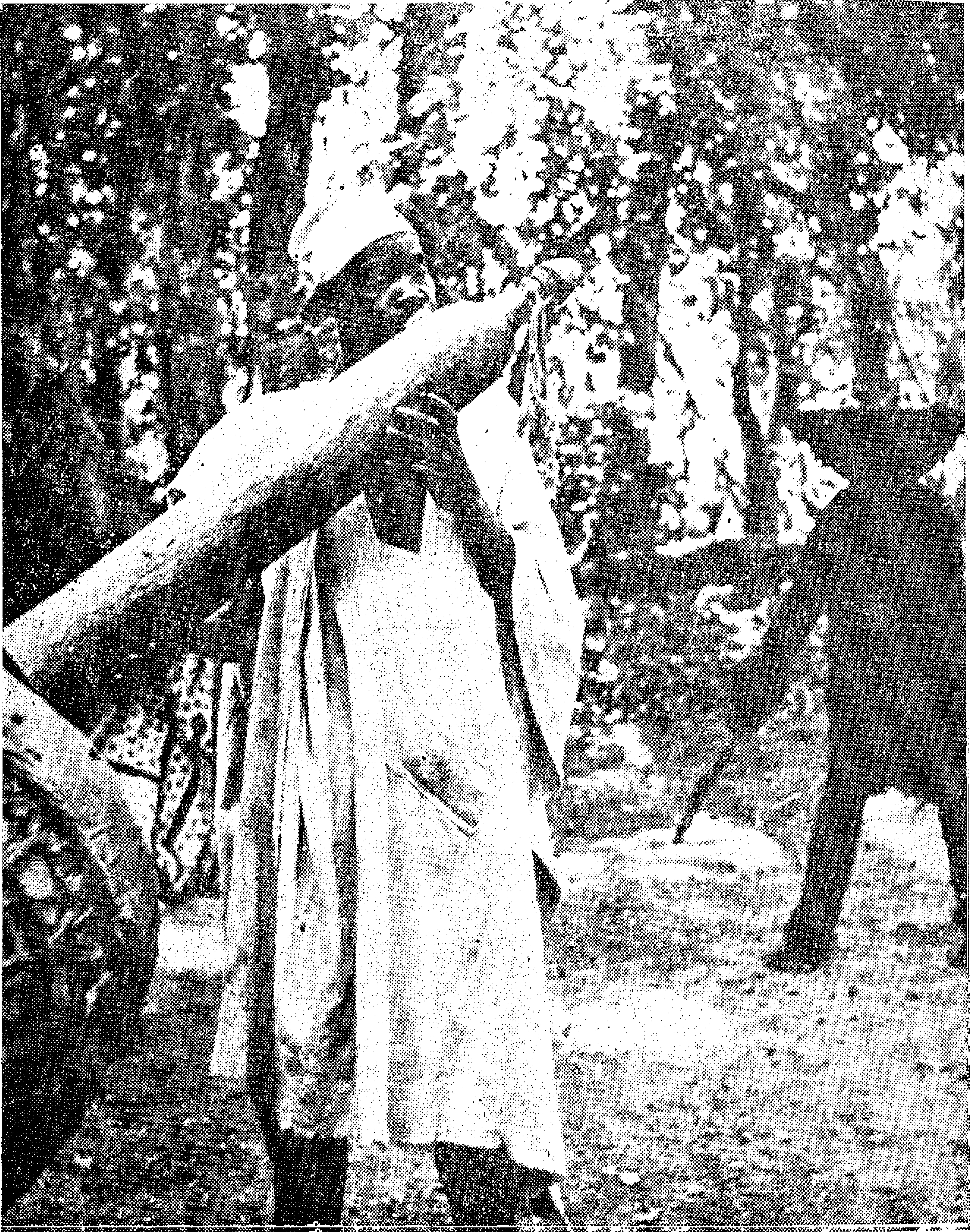
والتحفز الوثاب



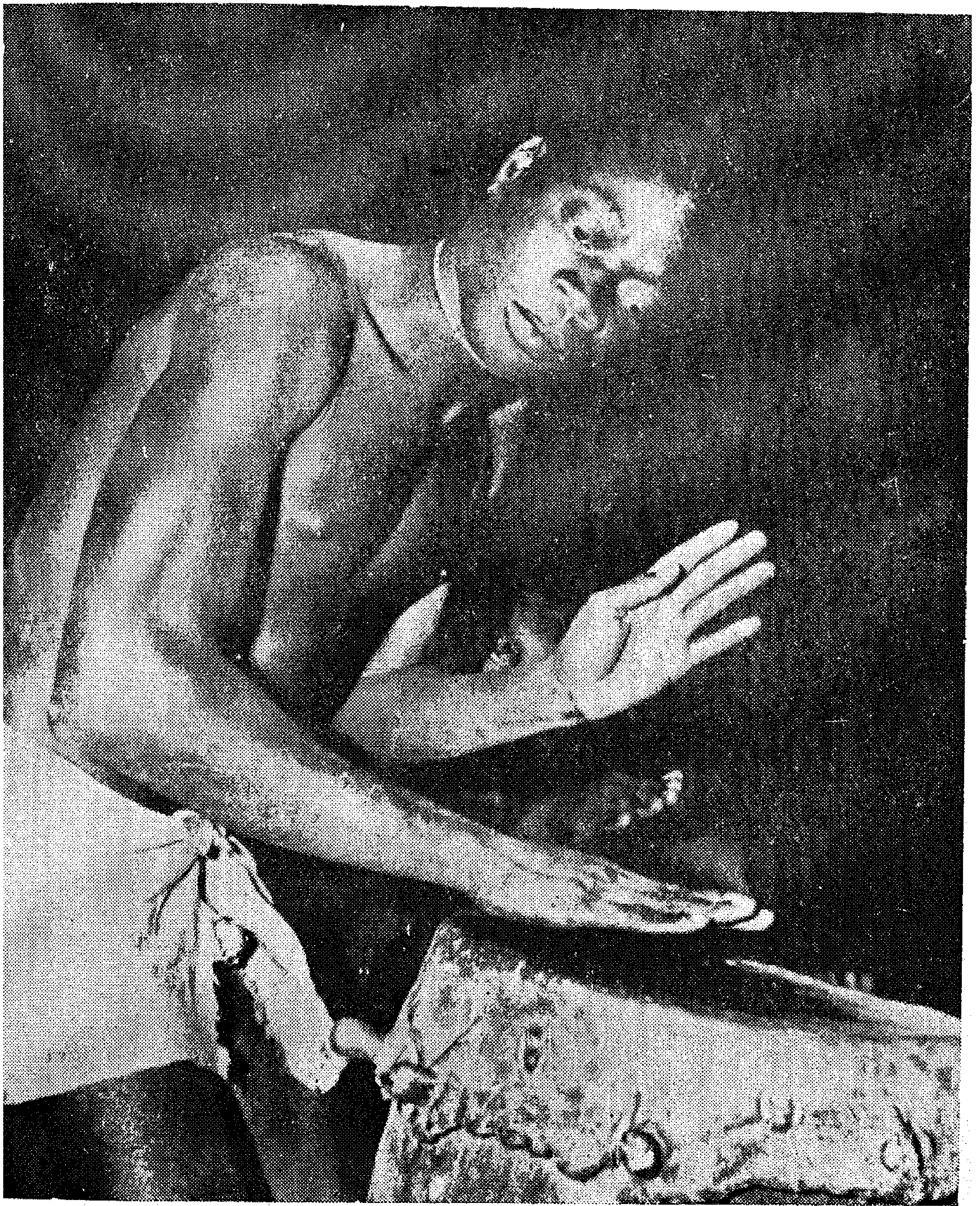
والنظرة الحالمة



والنايَ الساحر



والبوق الأجوف



والطبلة الناطقة



والجسم اللدن



والحركة المنغمة



هذا الكتاب الذى نقدمه الآن هو صورة فلمية لالبرت شيفتزر من تأليف « تشارلى ماى سيمون » وترجمة الدكتورة نوال السعداوى ، وخطورة هذه الشخصية انها متعددة الجوانب فهو الى جانب كونه طبيبا ماهرا بذل الكثير من انسانيته الى البشر فى افريقية .. نراه فيلسوفا ، ومؤلفا ، ومحاضرا ، وعازفا ماهرا على الأرغن ، حتى أن المؤلفة حينما تتساءل فى المقدمة عن أعظم انسان يعيش فى العالم ، لا نجد الا انسانا واحدا هو « البرت شفيتزر » .

وهذا الكتاب يعتبر ثمرة لبحث المؤلفة عن جوانب « البرت شيفتزر » فى الألزاس وفى افريقية ، حيث وصلت الى « جابون » ثم سارت فى نهر « عوجوه » واهتدت إلى مركز بعثة « البرت شيفتزر » ، وهناك أقامت اسبوعين تعرفت فيهما على جوانب مضيئة من حياة هذا الانسان .

* *

والمؤلفة تؤرخ لكل جوانب هذه الشخصية، وللعوامل التى أحاطت بها وأثرت فيها ، فهى تقدم الالزاس التى كانت تعتبر بقعة هادئة مشرقة رغم الحروب التى تكررت فيها ، والتى كانت تتراوح بين فرنسا وبين المانيا ، وعلى الرغم من هذا فقد قيل فيها : انها اهراء القمح وسلة الخبز وقبو النبيذ للعالم ، وأنه ما من شىء تجده فى غيرها الا وتجده ثلاثة أضعاف فيها .

وفى الالزاس ولد البرت لرجل من رجال الدين فى عام ١٨٧٥ ، وكان فى أول أمره هزيلا ضعيفا كأنه لا يقوى على مجابهة الحياة ، ولكن الحياة ما لبثت أن صرخت فى عروقه ، وكثر تردده على الكنيسة ، ورأى الله كأقرب ما يكون حين كان يسمع أباه يعظ الناس ببساطة الرجل الذى يتحدث فى بيته ، ولم يفرق بين ما كان يعرف من الانبياء وبين ما كان يعرف من الصغار مثله ، واستطاع التعرف على الجبال التى كانت تقترب وتبتعد بحسب تغير الضوء ، والطيور التى كانت تنقل المرح والسعادة ، وكان من أول الاشياء التى عرفها قصة مبعوث دينى اسمه « كازاليس » ذهب الى افريقية ، ولقد جاء فى هذه القصة الكلمات الآتية « انك ترى ما نحن فيه من شقاء وأنت تستطيع أن تمد لنا يد العون ، فابق هنا ولقنا من علمك ، فان أحزاننا تشبه النهرالمصطخب . اصبر . ولينحسرن الطوفان ولتبقين معنا !! » .

ويخرج الطفل من قرية « جونسباخ » الى « كولمر » التى تحتفظ برائحة التاريخ ، ولقد كان ما فتنه فيها آثار الحفر على الخشب ، كما بهره تمثال لزنجى عملاق فى وضع منحن نصف انحناءة ، ومع أن جسمه القوى المشدود كان يعطى هيئته الانطلاق الا أن رأسه كان ينحنى فى حزن .

وقد عرف الحرية والانطلاق والتجول فى الطبيعة من حوله ، حتى كان دخوله الى المدرسة ، وهناك عرف أنه يعيش حياة متميزة عن حياة التلاميذ ، ولكنه أخذ نفسه

أن يكون مثلهم فى مظهرهم ، كما أنه اشتهر بالتعاطف مع الطيور فقد كان ينزعج لصيد عصفور ، أو اللهو بزهرة .

ثم كان تحوله الى « مول هاوس » ليتلقى التعليم فى كشف عمه لويس ، وليخفف بعض الشىء على والده المحدود الراتب ، ومع أن المدينة كانت كئيبة الا أنه كان يخلق له أنواعا من السعادة ، كان يجلس الى البيانو بعد العودة من المدرسة ، أو يتسلى بقراءة الجرائد فقد كان فى بعض الأوقات يفتح الصفحات كطفل جائع فى حانوت خباز ، ومع أنه عاش فى جو صارم مدة ثمانى سنوات الا أنه يحس الآن بانشقاق نفسه لأنه سيغادر هذا المكان الذى عرف فيه كان يقاوم ضعفه المدرسى ، وكيف يستفيد من الجو الحازم الذى كان يسيطر على منزل عمه .

وحين عاد الى أسرته وجد السعادة فى كل ركن من أركان منزله ، وأخذ يستعد للالتحاق بجامعة « ستراسبورج » على أنه وهو فى قمة سعادته هذه وجد نفسه يفكر ويتساءل « لم تكون حياته أسعد من حياة الآخرين ؟ وبأى عدل يتقبل هذه السعادة كأنها من حقه على حين يجد آخرين يكابدون الأحزان والآلام ؟ لا شك أنه يستطيع أن يفعل شيئا لمساعدتهم ، ولكن ماذا يمكن أن يكون هذا الشىء ؟ » .

ولقد كان عبير الحرية يعبق من كل مكان فى جامعة « ستراسبورج » فى أواخر القرن الماضى ، ذلك لأن أكثر أساتذتها كانوا من الشبان الثائرين على التقاليد المتوارثة ،على أنه بالاضافة الى هذا كان يلتمس بنفسه الحلول للمسائل ، ويناقش الأمور من وجهة نظره الخاصة ، وقد لمس أن أدنأ مخلوق وأصغره تتملكه الرغبة فى الحياة .. الرغبة الحارة فى الحياة على أنه فى نهاية الأمر قد تفوق فى اللاهوت ، وعين ناظرا للكلية اللاهوتية التى كان بها طالبا من قبل ، واهتم بالموسيقى اهتماما كبيرا كان من ثمرته ذلك المقال المسمى « فن الأرغن والعزف عليه فى المانيا وفرنسا » وكان من ثمرته كذلك كتاب « باخ الشاعر الموسيقار » .

* *

ثم أنه ما لبث وهو فى الثلاثين أن تذكر ذلك العهد الذى كان قد قطعه على نفسه وهو فى سن الحادية والعشرين ، وكيف كان هذا العهد يتردد دائما فى نفسه وكأنه لحن فى سيمفونية ، فقد كان يدور حول تكريس حياته فى خدمة الانسانية ، وقد كان يتبادر الى ذهنى دائما أن ميدان خدمته لن يكون الا فى « الالزاس » ، ولكنه وقد أصبح قسا أى فى يوم من الأيام نشرة صغيرة غلافها أخضر ، توزعها جمعية البعثة الدينية فى باريس كل شهر ، وحين قلبها بين أصابعه وجد فيها مقالا بعنوان « حاجات بعثة الكونغو الدينية » ، ومع انه انصرف عنه الا أنه ــ وهو الأستاذ يحاضر فى الفلسفة فى الجامعة ، والذى يلقى عظاته فى كنيسة القديس نيقولاس — رؤى وهو يدخل مع الطلبة فى فصول التشريح ، رؤى فى دروس علم وظائف الاعضاء والكيمياء والطبيعة وعلم الحيوان وعلى النبات ، وتعجب الجميع من رجل يحمل درجة الدكتوراه فى اللاهوت ، ودرجة الدكتوراه فى الفلسفة ، يقبل على هذا النوع الجديد من الدراسة ، ولم يكن هناك من سبب الا خدمة الافريقيين .

وحين أحب « هيلين بريسلاو » أخذت هى الأخرى تتدرب على التمريض لتتمكن من مساعدته فى افريقية ، على أنهما فى نهاية الأمر استطاعا بفضل الكونشيرتات التى عزفها والمحاضرات التى ألقاها وبفضل اعجاب الكثيرين به .. أن يجمعا من المال ما يمكنهما من اقامة مستشفى فى افريقية .

وركب مع هيلين باخرة مناطحة البنيان للتوجه الى غرب افريقية ، وعند ثغر داكار أحكما على رأسيهما القبعتين ، ووطئا ثرى افريقية ، وسارا فى شارع وكان عليهما أن يبصرا فى هذا اليوم بؤس افريقية وجمالها معا ، ثم تابعا الرحلة الى ثغر ليبرفيل ورأس لوبير مع عدد من الحقائب والأكياس وسبعين صندوقا من المؤن ، ثم توغلا بعد ذلك فى نهر « أوجو » ، وانتهيا الى مقر البعثة الكاثوليكية الذى كان يقف شامخا فوق تل ، حيث استقبلهما أعضاء البعثة أرق استقبال مع

الأطفال الافريقيين الذين كانوا لا يكفون عن الغناء .

وسرعان ما تلقى السكان نبأ وصوله حتى أنهم أطلقوا عليه لقب « أوجانجا » ومعناها الساحر ، وفى سرعة وصلوا بمرضاهم ، وقال له رجل شاب وهو يرى جموعهم :

— اننا جميعا هنا مرضى .

وقال زعيم شيخ .

— ان بلادنا تفترس أهلها .

وبعد فترة استقر رأيه على بناء مستشفى، وخاصة بعد أن أدرك على الطبيعة — ان الافريقى يعيش دائما فى فزع ، فأينما اتجه يكمن الخطر .. فهو فى النهر ، وفى الدغل ، بل وفى السماء حيث سحب الناموس حامل الملاريا ، وذباب تسى تسى الذى يسبب النوم والوفاة ، ثم أنه وجدهم يعبدون آلهة شريرة ، ويقيمون صلوات مجردة تماما من معانى الحب والشكر ، ويذهبون الى الاعتقاد بأن الأرواح الشريرة تلبسهم ، وتسيطر على مقدراتهم ، وبأن هناك نوعا يسمى « عقد التحريم » يسيطر عليهم ، كان يعتقد أحدهم أنه اذا رأى دمه فانه سيموت ، وعلى كل فقد جمعهم هذا الرجل حول معان جديدة « انه استطاع أن يجلس هو ومرضاه جنبا الى جنب ، وأن يعرفوا عن خبرة معنى الكلمات « كلكم اخوة ! » .

وتعاقبت الفصول على البرت ، ولكنها لم تكن فصول الألزاس التى تحمل الزهر والخصب ، وانما كانت شبه فصل دائم فالأزهار تتفتح فى الأماكن المكشوفة طوال السنة ، وأشجار الغابة ترى على كل منها براعم جديدة ، وأزهارا وثمارا ناضجة فى وقت واحد ، حتى الزمن تتحكم فيه الطبيعة فهو يقاس هناك بفصول الجفاف وفصول الأمطار .

على أنه ما كادت تمر ستة عشر شهرا حتى كان المستشفى قد أقيم من لا شىء ، وعولج الفان من المرضى ، وأخذ المرضى يتوافدون تباعا مما أكد عنده أن قدومه كان أمرا ضروريا من أجل هؤلاء الناس ، ولكن الحرب قامت ، واعتبر وزجته أسيرا حرب ، وكان لابد من تحديد اقامته بوساطة السلطة الفرنسية ، وقد أزعج هذا الافريقيين ، الى أن توسط له أحد المخلصين لدى الحكومة الفرنسية ، وبدأت الحياة تدب من جديد فى أجسام المرضى وفى نفوسهم معا ، ولكن هذه الحرب أزعجت الافريقيين ، الى حد أنهم كانوا يسائلونه دائما .

— لماذا يقتل البيض بعضهم بعضا مع أن دينهم يحض على المحبة .

وكان يعلل هذا بينه وبين نفسه بأن الناس لم تعد تحترم الحياة ، وقد أثقل كل هذا على نفسه مما جعله يبدأ فى كتابة مؤلفه حول الحضارة والأخلاق ، ومما جعله يقول :

« ان وراء ارادة الحياة التى تتملكنى رغبة متأججة فى ان أحيا حياة أخرى ، وأن أبلغ ذلك السمو الخفى بارادة الحياة الذى نسميه اللذة ، يساورنى فى الوقت نفسه خوف من الدمار ، ومن ذلك الهبوط الخفى الذى يصيب ارادة الحياة ونسميه الألم ، أجل ان هذه الاشياء التى تلازم ارادة الحياة تحيط بى سواء استطاعت أن تفصح لى عن نفسها أم ظلت بكماء لا تفصح ولا تبين ! »

وفى هذه الظروف أخذ المال يتناقص ، وأخذت الديون تتراكم ، والمؤن الطبية تقل ، وبعض المساعدين له ينصرفون عنه ، وأتى عيد ميلاد ولم يجد ثمن الشموع التى تزين الشجرة ، ثم كان ذلك الامر الذى يقضى بأن يحمل هو وزوجته كأسيرى حرب ، ولقد كان منظرا مؤثرا هذا العدد الذى اجتمع لوداعه والذى كان فى حقيقة الأمر يحارب بعضه بعضا ، بالاضافة الى الافريقيين الذين حزنوا أشد الحزن لفراقه .

ثم كان ذهابه وزوجته الى معسكر فى جبال البرانس ، وحين فتشت حاجياته عثر فيها على كتاب « السياسة » لأرسطو ، وكان أن صاح الحارس :

ـ أنظروا كيف يأتي بكتب في السياسة الى معسكر من معسكرات أسرى الحرب .

وحين قال له :

ـ تلك ترجمة لكتاب ألف قبل مولد المسيح بوقت طويل .

أجابه الحارس باستغراب ..

ـ ماذا تقـول ؟ أكان الناس يتحدثون في السياسة في زمن غابر كهذا ؟

على أنه سرعان ما أخذ يكتب ، ويعزف الموسيقى ، ويعالج المرضى في المعسكر ، ومع أنه كان سعيدا في هذا المعسكر الا أن الأوامر صدرت بوضع الألزاسيين في معسكر جديد ، من أجل استبدالهم بأسرى فرنسيين ، ولم يثقـل هذا كله على الدكتور البرت لأنه كان يرى أن من واجب كل أمة أن تتخذ ما تشاء من الاحتياط ، بالاضـافة الى أنه كان يعثر دائما على انسانية الانسـان ، وقد حدث أن القطار الذي كان يستقله الأسرى الألمـانيون حسبه من الفرنسيين أنه يضم أسراهم ، وكان أن أعدوا لركابه الموائد المتلئة بالطعـام ، بالضحك ، ونظروا الى بعض بعطف وانسانية، ولكن حين عرفوا الخطأ انفجـر الجميـع وقـد وصل حزنه الى مداه حين رأى آثار الفقـر والتدمير في بلاده ، وحين رأى نفسـه في نهـاية الأمر كقطعة من النقـود تدحرجت تحت الأثاث وظلت لا يعرفها أحد !

ثم كان انتهاء الحرب في الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩١٨ ، وبمقتضى المعاهدة أصبح فرنسيا فكانت مفارقة غريبة في حياته ، ولكن سعادته كانت لا تقدر وهو يرى الألزاسيين عادوا فأصلحوا الدمار الذي أصاب بيوتهم ، وحرثوا حقولهـم ، وزرعوا كرومهـم مرة أخرى .

ثم كانت دعوته الى السـويد محاضرا وعازفا على الأرغن ، وقـد سعد بهـذه الزيارة لأنه تمكن من سداد ديونه التي كانت عليه حينما كان في افريقيـة ، كما أن هذه الفترة كانت خصيبة لأنه تمكن خلالهـا من طبع خمسة كتب ، وحينما تمكن منه حب افريقية نراه يبحر اليها على سـفينة شحن ، وحين رأى ضوء القمر الفضي على النهر وعلى الغـابة البعيدة ، أدرك أنه أصبح في افريقية حقا .. أجل افريقية بكل ما فيها من بؤس وجمال .

وسرعان ما عاد المسـتشفى الى سـابق عهده ، وأحاطت به مزارع عديدة تستطيع أن توفر له الأرز والخضار وبعض الفاكهة ، على أن الطموح دفع به الى انشاء مستشفى جديد على قطعة أرض مساحتها مائة واثنان وسبعون فدانا ، وبدأ الرجال في العمل الذي بدأ وكانه حركات السـيمفونية ، فهم يتمهلون في أول الأمر ، ثم تتحـرك السـكاكين التي تقطع الاشجار في اعتدال شديد في أصوات موفقة ، ثم تأتي الظهيرة بالراحة والحد من الحركة ، ثم يأتي العمل بعد ذلك ، ثم تختتم السـيمفونية بالانتعاش الذي يعـم الجميع ، وهكذا كان العـزم على أن يصير هذا المكان « جنـة عدن » .

وبعد أن تم كل هـذا عاد الى أوربا بعـد ستة أشهر ، ثم أخـذ يتردد بعـد ذلك بين افريقية وأوربا وكانت زوجته تصحبه في بعض الأحيـان حينما كانت صحتها تسـاعدها على ذلك ، ومن المـال الذي تلقاه من جائزة « جـوته » أقام له بيتا في مسقط رأسـه بالألزاس ، وقد ظل يواصل العمـل بلا ملل فلما قيل له :

ـ انك لا تسـتطيع أن تدأب على تبـديد حياتك على هذا النحو كالشمعة التي تحترق من طرفيها .

قال :

ـ لا .. ان المرء يستطيع ذلك اذا كانت الشمعة طويلة بما فيه الكفاية .

وقامت الحـرب الثانيـة فلم تصرفه عن مهمته ، وحين انتهت كان يجلس ليقـرأ في هدوء :

« ان الاسـلحة أدوات مدمـرة لـم تخلق لانسـان نبيل ، ولا يستخدمها الا ذلك الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا آخر ، فالرضا والسلام أسمى ما يصبو اليه ، صحيح أنه

« البقية ص ٦٦ »



للشاعر محمد التهامي *

فوق الجزائر في حماك .. جميلة — نحن التقينا من سنين طويله
كنا وراءك حين ثرت على الأذى — ورفضت أن تحيي هناك ذليله
كنا وراءك حين سرت على اللظى — واخترت من هول الكفاح سبيله
وحملت كالأبطال عبء كفاحهم — مرا فما عزت عليك بطوله
ما كنت وحدك يا جميلة انما — كانت وراءك ألف ألف جميله

كنا وراءك حين كنت أسيرة — وبدت على يدك القيود ثقيله
لكن بسمتك الحبيبة صيرت — هذى القيود أساورا مجدوله
ان ذل في ثقل الحديد متوج — فلقد شمخت جميلة وجليله
ومشيت كالعملاق شامخة الخطا — ومشت جيوش الباطشين هزيله
وبدا أمام جلال صبرك جيشهم — قزما يجر الى الوراء فلوله

كم عذبوك وكان وقع سياطهم — نغما عشقت على الهوى ترتيله
من كان يضرب ، كان يصرخ جبنه — وسمعت أنت صراخه وعويله
يشتد في التعذيب يستر خوفه — شأن الجبان تفاهة وطفوله
وصبرت حتى هان كل ضلالهم — وبدت فرنسا للجميع ضئيله
وتراجعت والخزى نكس رأسها — وخرجت من نار الوغى مصقوله
ما كنت وحدك يا جميلة اننا — كنا هناك شبيبة وكهوله
اختاه يا رمز العروبة كلها — لا فرق بين مدينة وقبيله

هــذا الـكفاح المـر فى أعماقنـــا
قــد كنت أنت الى الانـــام دليلــه

كــم عاث الاســتعمار فى أوطاننـا
وأطـــال لليـــل البهـــيم سدولـــه

وافـــتن فى تعـــذيبنا وخداعنـــا
وأطـــال فى تفريقنـــا تضليـــله

حتى أطل لنـــا « جمـــال » فهـزنا
للفجـــر يرفـــع فوقنـــا قنديلـــه

وعلى الضيـاء الحـر بان طريقـــه
وهـــداه ربك ذو الجـــلال سبيله

ودعا دعاء العـــرب يجمـــع شملهم
ويمـــد كفـــا بالوفـــا مبـــذوله

ويقـــيم بالايمـــان اس دعـــائه
والهـــدى والحب الـكريم وســـيله

« محمد التهامى »

« بقية مقال نقد الكتب »

يغزو البلاد ولكنه لا يجد فى النصر سرورا ولا متعـة ، فان من يطربه النصر يطـربه القتـل ، ولا مناص للقائد فى الاحتفال بالنصر أن يتخـذ مـكانه كما جرت العـادة فى حفلات الجنائز ، وان تقتيل البشرحشودا يجب أن تذرف مـن أجله دمـوع الرحمة ، ولهذا يجب على من ينال الظفر فى موقعة أن يعد نفسه كمن يمشى فى موكب جنازة »

وفى بسـاطة نراه يتقبـل جائزة نوبل ، ويرصد مكافأتها بالاضافة الى ما فى يده من أجل خدمة المرضى فى افريقية ، وينهال عليه التقدير من أكثرمن مكان فى العالم ، وأصبح أغنية للانسانية جمعاء .

وهكذا تنتهى هذه الصورة القلمية البارعة ، ومما يزيد فى أهميتها أن الدكتور شيفتزر قد راجع هذا الكتاب ، ولقـد كان مما قالـه للمؤلفة « لقـد وجدت فيه بساطة محببة ، حتى ليشعر المـرء أنك تعرفين الجـو الذى عشت فيه ، وتعرفينني كما أنا فى الواقع » .

لقـد تقابل هذا الرجل مع بعض العظماء فى عصره ، ولقد كان من هؤلاء الذين امتزجوا به عازف الأرغن « شارل فيدور » ، والشاعر الألزاسى « ادولف شتروبر » ولكنه كان أعظم من هؤلاء جميعا .

ولقد كسبت العربية كسبا كبيرا باضافة هذا الكتاب اليها ، فهو قد أضاف انسانية جديدة يجب أن تكون قدوة فى عالمنا الجديد .

« عبده بدوى »



بقلم عبد المنعم الحفنى

... لعـــل من كبريات قبائل الســـاحل الاطلنطى الافريقى قبيلة الاشـــانتى ، وهى من أكثر القبائل الافريقية تحضرا ، ولئن جاء ذكر فنونها ففن نســـج الحرير والقطن هو أكثرها رقيا ستدها .

وتصمم الاشانتى رسوم منســوجاتها طبقا للمناسبات التى ستلبس فيها هذه المنسوجات كثياب ، فثياب الحداد تسمى « الاديكرا » ويرسمون عليها مشاهد ترمز الى الموت والفناء والقبر والحزن المرتسم فى الوجـوه والاعين وطرقة الجلوس أو القيام أو القيام أو الرقاد .

انه حزن قاتل يسلب الجسم كل قدرة على الحركة فترى الجهاز الحركى فى الانسان المرسوم الذى يحس الحزن قد تراخى فتهدلت اعضاؤه وارتخت عضلات الوجـــه والجفون وحفرت المأساة خدودا فى الوجه والجبهة .

وتضع نساء الاشانتى رسومات من طبيعة الرسومات التى نجدها على الاقمشـــة التى يتزين بها ، وهذه الرسومات عبارة عن تصميمات من الطين يعقدها فوق المقابر ، وهى رسومات مؤثرة فعلا ، وقد تصل الى الحجم الطبيعى الذى كان للمرحوم . وهن يجززن شعر الموتى ويحتفظن به فى قدور لها شكل الرءوس .

ومن أشهر الفنانين فى هذه المنطقة حاليا الفنان « على أمونيكوى » و « على » ، وهو مسلم كما يدل على هذا اسمه ، ينحدر أصلا من قبائل اليوروبا ، ولكن أسرته هاجرت من « الورين » الى « كيت كراتشى » ونقلت معها فن النحت على النحاس . وتشتهر رسومات « على » وتباع بأثمان عالية جدا قد لاتضاهى أثمان لوحات بيكاسو فى فرنســـا ولكنا لو أخذنا فى اعتبارنا مستوى المعيشة فى البلدين لقلنا ان أثمان رسومات على أمونيكو تفوق أثمان لوحات بيكاسو الفنان الاوروبى الاشهر . والفارق الثانى بين الاثنين هو ان بيكاســـو يحب السريالية ويرسم بها ، أما على فيحب الطبيعية ويؤثرها على السريالية

ولو انتقلنا الى جمهورية توجـو ، والى الشمال بالذات ، لوجدنا ان فن تشكيل الفضة وتطعيمها يصل حدا بالغا من الرقى والتقدم

والرقة . وتمثل تحف توجو الفضية أشكالا من الطبيعة ولكنها لروعتها ورقتها تتفوق على الاشكال الهندسية التى يتفوق فيهـا الفن التشكيلى الواعى للفضة أو الذهب المنتشر الان فى العالم . ومن الغريب انه بدأت موجة حديثة فى تشكيل الفضة والذهب فى العالم ، فى الفن المشهور عندنا باسم « الصياغة » أو الصاغة » ، تتجه الى تقليد الفن التشكيلى للفضة والذهب فى هذه المنطقة . مثلا من المشهور عن هذه المنطقة ، ومما تتناقله كتب الفن ومقالاته ، عصا السلطان ، وهى عصا عبارة عن تمساح يلهم سمكة فى فمه،ومقبض العصا طبعا هـو منطقة التهام التمســاح السمكة .

ولقد أسست احدى قبائل الايوى فى القرن السابع عشر ، وهى قبيلة الفون ، مملكة كبرى قامت على تجارة العبيد ، وكانت تجمع شبابها وأطفالها وتبيعهم الى تجار العبيد البيض ، وكون ملوكها من ذلك ثروات طائلة ، ولكن كان لابد يوما أن تنتهى هذه المملكة ما دام أن شبابها يرحلون منها ولا يتبقى فيها الا الشيوخ وعجائز النساء ، ولقد انتهت فعلا مملكة الفون . غير ان الثروات الكبيرة التى جمعها ملوك الفون يرجع اليها الفضل فى انتشار الفن الافريقى وتقدمه خطوات للامام فى هذه المنطقة بحيث صارفنا خلوا من قسوة الملامح وقسوة التشكيل اللذين يفرضهمـا شظف العيش والطبيعـة والبيئة . وتلعب الثروة دورها هنا أيضا الذى لعبتـه فى كل المجتمعات الحضارية الاخرى ، فحيثما توفرت الثروة أشرق الفن ورق ورهف ، ولو قرأنا التاريخ لوجدنا أن الفنون الكبرى نشأت أول ما نشأت فى بلاط أصحاب الجاه ، فهم الذين أسسوها ونموها وساعدوا على ازدهارها ، حتى اذاما جاء القرن الخامس عشر والسادس عشر وبدأت التجـارة الدولية بين الدول ، والكشوف الجغرافية ، وانتشرت الصناعات الحرفية ووجدت البورجوازية ، خرجت الفنون من أبهاء القصور الى الاسواق والشوارع ، وصارت الفنون شعبية لاول مرة . والذى لم يشهر الفن الافريقى وجعله فنا منغلقا على نفسه هو عدم وجود الارستوقراطية الحاكمة التى تملك الثروة والجاه . وهذه المملكة التى كونت ثروات طائلة أقامت فنا أصيلا مدعما بز سائر الفنون الافريقية الاخرى لم يكن من المتيسر لها أن تقيم هذا الفن الشامخ الذى تحدثت فيه وأطالت كتب الفن والنقاد فى أوروبا وامريكا ، لو هذه الثروات ، ولاول مرة نجد الاكواخ التى يسكنها الموسرون تغطى بمواد تسويها وتزخرفها بمزخرفات ذات الوان بهجة مرحة ، ونحن نجد كل التركيز الفنى فى بلاط الملك والموسرين ، ونجـد الفنانين ملحقين بالبلاط ، ونجدهم يتقنون الحفر على النحاس ، وتشكيل الفضة . أما الحفر على الخشب فهذا من شأن عوام الفنانين ، أو فنانى العامة وحدهم . ونعثر على تماثيـل حائط فى العاصمة « أبومى » وفى قصـور الملك والاتباع . ولعل أروع هذه التماثيل هى تماثيل الامير أجادجا التى صاغوها له خلال القرن الثامن عشر . وهذه الحقبة من تاريخ مملكة الفون تسمى القبة الذهبية ، والتماثيل عبارة عن مستويات من الطين وتصور مشاهد من التاريخ ، ومناظر رمزية ومعارك كان النصر فيها للملوك وأمراء الفون ضد قبائل اليوروبا . أما تماثيل الملوك فهى مهولة ضخمة شكلت فيها الاجزاء العلوية من الجسم فى شـكل انسانى أما بقية التمثال فعلى شكل حيوان كأن تكون فى شكل أسد أو شكل سمكة قرش ضخمة . « قارن ذلك بتمثال أبى الهول عندنا فهو أيضا على شكل رأس رجل وجسم أسد» . أما تماثيل الحيوانات الخالصة فتغطى بالفضة أو النحاس . وتشتهر من هذه التماثيل تمثالا اله الحرب « جى » وأحدهما من النحاس والاخر من الحديد . ولقد شكل غيرهم أشباها لهذين التمثالين نجدها فى أمكنـة كثيرة من منطقة أفريقيا الى جوار ساحل الاطلنطى .

ومن الاثار الكثيرة التى خلفتها لنـا تلك المملكة أدوات زينة من الفضة ، وسـيوف للزينة وعصى من الخشب والمعدن . ومن الاثار الجميلة كذلك عصا الملك جليلى وهى

على شكل أسد ، ذلك لانه قال يوما قبـــل معركة من معاركه : انني الاسد الفتى الذى أزرع الرعب » .

وعندما تحرر فن تشكيل المعادن من سيطرة البلاط واحتكاره له نحو سنة ١٩٠٠ ميلادية اكتشف العلماء فى أبومى تماثيل من النحاس تمثل حيوانات ومشاهد طبيعية كانت مملوكة للعامة ، واستمر هذا الفن يثبت أقدامه عند عامة الناس ، ويبرز فيـــه فنانون من أبناء الشعب حتى انتشر وصارت منتجاته مصدر تصدير للخارج وتجارة تدر ألوف الجنيهات على أبومى العاصمة .. وتتميز هذه التماثيل بأشكالها الاسطوانية ولمسات المدرسة الطبيعية فى الفن ، والحيوية فى ضربة الأزميل ، والجرأة فى الخطوط ، والمرح والفكاهة التى تطل من العينين والحركة العامة فى الجسم ، والزخارف الموحية بالملابس .

والامر يختلف عن ذلك فى التماثيل الخشبية التى ينحتها شعب الناجو ، وهو احدى قبائل اليوروبا ، فهذه التماثيل جافة الاســـلوب خشنة الملامح ، والناجو هو شعب اليوروبا الذى يسكن الجنوب . وهم أقل قبـــائل اليوروبا احترافا للفن ، وأقنعتهم ليست من النوع الراقى الذى يدل على احتراف طويل للفن وحساسية رقيقة . وأسلوب الفون فى الرسم يميل الى استدارة الخطوط والبساطة، أما أسلوب الناجو فهو أســـلوب يميل الى الاسلوب المسمى بالإسلوب البدائى .

أما نيجيريا فانها أرض فن وبيئة خلاقة ، ويهتم بآثارها ومنتجاتهـــا علماء الاجنـــاس ومؤرخو الفن لـــسببين : الاول لان حيوية وثراء الفن النيجيرى استمر من قديم الزمان حتى اليوم فهـــو فن معمر ، والثانى لان كنوزها الدفينة تؤدى بناعنداستقرائها الى استكشاف مجاهل الفن الزنجى وأصوله واتجاهاته عبر التاريخ البشرى .

ولذلك فنحن مدينون ، الانســـانية عموما واهل الفن خصوصا ، للاثرى برناردفاج الذى اكتشف حقيقة هامة ، وهى ان اقدم الثقافات فى افريقيا السـوداء Afrige Noir هى ثقافة شعب النوك ، وهى ترجع الى القرن الخامس الميلادى ، وتلك الثقافة هى الثقافة التى ولدت على يدها الفنون التشكيلية ، وسميت ثقافة النوك Nok لان الفن التشكيلى أول ما بدأ ، بدأ فى قرية اســـمها نوك فى شمال نيجيريا ، وراجت هذه المدرسة ، مدرسة نوك ، وصار لها تلاميذ يؤمونها من بقية المنطقة المحيطة ، ومنها انتشرت الفنون التشكيلية الى الشمال والوسط حتى وادى النبو حيث عثر الاثريون على آثار هذه الفنون فى كهف على ارتفاع ٢٤ قدما من سطح الارض، وشملت هذه الآثار أدوات زينة من الحديد وعددا من الحجر وبعض التماثيل ، وتميزت وجوه الاخيرة بعيونها المتسعة وحبات العيون البارزة ، والتجريدية الظاهرة مما يدل على خصوبة العقل الزنجى تجاه مشكلة الاسلوب ، هذه الخصوبة التى نلمسها قبل مجيء قبائل الايفى بوقت طويل ، والتى مازال تميزه حتى يومنا هذا .

وتكونت خلال مراحل التاريخ ، والتغيرات السلامية والسياســـية ، وعملية التهجير المستمرة من الشمال والشرق ، وحول بلاط ايفى ، مدينة اليوروبا المقدســـة فى جنوب غربى نيجيريا ــ تكونت ثقافة طورت الفنون وخصبتها وفتحت أمامها آفاقا زاهرة جديدة عليها كل الجدة . وحوالى القرن الثالث عشر صاغت أيد غير معروفة رءوسا وأقنعة وتماثيل من النحاس والصلصال ، كلها تشع حيوية وحرارة واحساسا وذوقا ، ومن الجمـــال لدرجة ان وضعها بيكاسو عند ما رآها بأنها « الجمال فى تمامه » أو « الجمال مكتملا » فى الشكل والحرفية ، أو بمعنى اخر جميلة جمالا كلاسيكيا .

« عبد المنعم الحفنى »



غانا والكشوف الجغرافية

بقلم و. ا. ف. وارد

ترجمة عبد السميع حسن

لقد كان البرتغاليون هم طليعة البحارة الاوربيين الذين زاروا « ساحل الذهب » . فمنذ بداية القرن الخامس عشر كان الامير هنرى البرتغالى — الذى اتخذ لنفسه لقب « الملاح » قد عزم على اكتشاف ساحل أفريقيا الغربى وفى ذلك الوقت كان السودان الغربى معروفا بأنه موطن امبراطورية اسلامية متحضرة وغنى بثرواته من ذهب وعاج وفلفل.

ولم يكن فى الامكان التغلغل الى أرض الذهب عن طريق الدروب التى تخترق الصحراء مما أوجد عند الامير هنرى آمالا فى اكتشاف طريق بحرى لجلب هذا المعدن النفيس من مصادره. ولكنه يبدو مؤكدا على أى حال بأن حب الكشف فى حد ذاته والرغبة فى التبشير بالمسيحية بين أرجاء أفريقيا الوثنية كانا دافعين قويين للقيام بعمله الذى كرس له حياته .

وفى سنة ١٤١٩ اتخذ الامير هنرى « من سجريس » مقرا له وشرع فى تنظيم الرحلات الاستكشافية على طول الساحل الافريقى ، فاكتشفت « ماديرا » فى الفترة ما بين ١٤١٩ — ١٤٢٠ وشرع الامير هنرى فى اكتشاف الساحل الافريقى ذاته . ولقد ظل رأس نون — لمدة طويلة — معروفا بأنه الحد الاقصى لمعارف العرب والاوربيين ناحية الجنوب ولكن رأس بوجادور

كان قد عرف للجغرافيين الاوربيين قبل عهد الامير هنرى بجبل كامل وان كان من النادر زيارته . وكان رأس بوجادور هذا عقبة قوية اذ يحيطه رصيف خطر وأمواج صخابية عالية وليس فى الامكان اجتيازه سوى بالثبات والمقاومة فى البحر أضف الى ذلك أن اليابسة والماء المحيطان بهذا الرأس كان يعتقد بأن الشياطين تسكنهما ولا يسكنها انسان على وجه الاطلاق ، ومن يهرب من الشياطين فان لونه سيتحول الى السواد بتأثير حرارة شمس الصحراء . وفى سنة ١٤٣٣ أقلع القبطان جيل ايانس محاولا اجتياز هذا الرأس ولكنه عاد ادراجه يجر أذيال الفشل وعرج على جزر « كفارى » ومنها الى البرتغال بسفينة مملوءة بالعبيد

الا أن الامير هنـــرى أعاده فورا آمرا اياه باجتياز الرأس بأى ثمن حتى ولو لم يتقدم جنوبا . وفى هذه المرة قاوم البحر بسـدة عند ما أبصر الرأس ثم وضع أقدامه على الساحل . وكان هذا العمل هو الخطـوة الحاسمة فى الكشوف البرتغالية اذ بددت نهائيا الخوف من المجهول الذى وقف عقبة فى سبيل بحارتهم لمدة طويلة .

ومنذ ذلك الوقت فصاعدا أخذ التقدم يطرد بخطى ثابتة .

ولقد وصلت احدى الرحلات فى سـنة ١٤٦١ أو فى سنة ١٤٦٢ الى نقطة تبعد أميالا قليلة عن موقع مدينة « منروفيا » الحديثة

ولقـــد أبحر آرليوجا من « التاجة » ومعه الكثير من أحسن البحارة البرتغاليين فى ذلك الوقت ومنهم بارثلميودياز ومكتشف رأس الرجاء الصالح ومن المحتمل ان احدى سفنه كانت تحمل فوق ظهرها ضابطا ما زال مشـهورا وهـو كريسـتوفر كولومبس .

وعند وصـوله وجـد الأهــالى يتاجـرون مع سفينة برتغالية ولم يكن هنـــاك حاجة لاضاعة وقت فى اقناع الاهالى بأن البرتغاليين انما أتوا فى مهمة ودية ومن ثم فقد قامت علاقات طيبة بين الجانبين .

وفى اليوم التالى نزل آزامبوجا وضباطه بكامل ملابسهم على الساحل لمقابلة زعيم المنطقة والذى كان اسمه « كارامانسا »، ثم تلى قداس تحت شجرة ضخمة وبعد ذلك تمت مقابلة رسمية بين آزامبوجا من جهـة وكارامانسـا وشيوخ قبيلته من جهة أخرى . ولم يكن الزعيم الافريقى راغبا فى اقامة مركز برتغالى دائم وأظهر من ضروب الحنكة والمهارة فى مقاومة آراء آزامبوجا الخاصة بهــــذا الموضوع . وقد أخفى البرتغاليون ــ بطبيعة الحال ــ المصلحة التى يبحثونها لتجارتهم من وجود قلعة وأفاضوا فى الفوائد التى ستعود على أهالى المينا

وبالرغم من أن كارامانسا كان راغبا فى الانصات الى التبشير بالمسيحية واستمرار العلاقات الودية مع البرتغاليين الا أنه أخبر آزامبوجا بأن رجاله لن يتحملوا المناخ وأن وجود حامية برتغالية دائمة ســيكون أقل احتمالا من زيارة التجار البرتغاليين وذلك للابقاء على علاقات ودية . واضطر آزامبوجا الى أن يميط اللثام عن نفســه وبالوعد والوعيد وبالاغراء والتهديد . نجح فى جعل كارامانسا يوافق على كره منه .

وفى صباح اليوم التالى بدأ العمــل فى البناء ولكنه سرعان ما أوقف اثر حادثة يبدو انها توضح حقيقة تنبؤ كارامانسا فلقد شرع العمال البرتغاليون فى قطع الاحجار اللازمة لاساسات القلعة وبدأ العمل فى قطعـة من الاحجار كانت مقدسة عند أهالى « المينا » ويعتبرونها مقـــرا لاله نهر بنيــا الصغير فهــاجم الأهالى وجـرح الكثير من الرجال قبل أن يفلح آزامبوجا فى تهدئة المتجمهرين بالهدايا وبتقديم الاعتــذار . وكان لدى البرتغاليين احساس مشترك بأن من الاحسن الاسراع فى بناء القلعة لكى تستطيع الدفاع عن نفسـها ومن ثم فقد اندفع العمل الى الامام بكل ما أمكن من سرعة وعند ما اكتمل بنــاء القلعة أقام آزامبوجا وحامية مكونة من ستين رجلا بداخلها وأرسل بالاسطول وبقية الرجال الى البرتغال محملين بالذهب والعبيد وأطلق على القلعة اسم ساو جورج دامينا

وتقع قلعة المينا ــ كما تسمى اليــوم عادة ــ على مصب نهر بنيا الصغير ويصرف نهر بنيا مياهه فى مستنقع تحيط به الاشجار الضخمة وتبرز حافة صخرية واطئـــة من الشاطىء الرملى لتقف حائلا بينه وبين البحر وتقع القلعة على الصخرة بين النهر والمياه تحميها من ثلاث جهات والى الغرب من القلعة تقع المدينة وعلى هذه الواجهة أقيمت أقوى الدفاعات أما الحفرة فكانت تعبر عن طريق قنطره متحركة الى البوابة الغربية الرئيسية . وعند القنطرة يرتفع برج ذو ثمانية أوجه وهو مقر الحاكم ونصبت بطاريات ثقيــــلة لتتحكم فى المدخل المؤدى الى المدينة .

ولقـد شـيد البرتغاليون بالاضـــافة الى مقـــر قيادتهم فى الميناء عدة قلاع أصغـر فى أكسيم وشــاما وأكــزا وكانوا

يأملون من وراء ذلك الى احتكار تجـــارة غينيا الا انه تحدتهم منذ البداية عنــاصر أخرى فلقد ادعت أسبانيا لنفسها نصيبا في هذه التجارة ، ولم يقتصر الامر على أفراد أسبان متطفلين وانما تعدى ذلك الى حملات أسبانية رسمية اخذت تتاجر مع « مينا » قبل نهاية القرن الخامس عشر . وقد نقل القباطنة البرتغاليون والاســبان معلوماتهم الفنية الى الملاحين من الفلمنك والجنوبيين والانجليز بالرغم من محـاولات الحـكومة البرتغالية الابقاء سرا على المعلومات الخاصة بغرب افريقيا ، ولكن سرعان ما حسم النزاع مع أسبانيا فبمقتضى معاهدة عقدت سـنة ١٤٨٠ تسلمت أسبانيا جزر كنارى من البرتغال ونظير ذلك تعهدت بمنع ملاحيها من التدخل في تجارة غينيا ويبدو أن هذا التحريم لم يكن فعالا لمدة من الوقت ولكن لم يمض وقت طويل حتى اجتذب العالم الجديد انتبـاه الاسبان .

ولكن الخطر من منافسين آخرين لم يقض عليـه ففى سنة ١٤٨٠ قدمت الحـكومة البرتغاليـــة احتجاجا لادوارد الرابع ملك انجلترا بشأن حملة انجليزية كانت على وشك الابحار

ولكن التعـــاون الانجليزى الفرنسى لم يستطع أن يحقق منافعا توازى تلك التى حققها البرتغاليـــون من امتلاكهم لقاعدتين محصنتين فى ساحل الذهب نفسه . وكان هناك حديث فى رحلة لوك الاولى حول اقامة قلعة انجليزية فى « كورمانتين » وفى ســنة ١٥٥٦ اقتنع تورسون بفكرة تشييد قلعـة فى « كومندا » أو بالقرب منها . ولقـــد اقترحت نقابة التجار الانجليز ارسال جون لوك ليمسح موقعا تقام عليه قلعة ولكنه رفض الابحار فى سفينة أعطوها اياه متعللا بأنهـا لا تصلح للبحر ، أما الحمـلة التى أقلعت بدونه فقد نهبها البرتغاليون ولقد اقترحت مشروعا لبناء قلعة انجليزية تنافس قلعـــة ساو جورج وأمينا وذلك فى سنة ١٥٦٦ ، سنة ١٥٧٠ الا أن شيئا من ذلك لم يحدث .

ولم يكن لدى الانجليز سوى أمل ضئيل فى اقامة تجارة رابحة منظمة نظرا لانه لم يكن لديهم قاعدة فى ساحل الذهب. ولقد كان من الصعب الطواف فى البحـــر على طول الساحل دون الدخول فى صدام مع الدوريات البرتغالية بالاضافة الى الاخطار الاخرى مثل أمراض الحمى والدوسنطاريا والاسقربوط .

وكان المغامرون الاجانب مثلهم فى ذلك مثـل التجار البرتغاليين يعتمدون كلية على حسن نية القبائل الافريقية . وغالبـــا ما كان الافريقيون يضمرون الـــكراهية للبرتغاليين ويعمدون الى التجارة مع الانجليز والفرنسيين نكاية فيهم الا أن هذا لم يكن الحـــال على الدوام فلقد كانت السيئات التى يقترفهـا القبطان الانجليزى أو الفرنسى ينتقم لها من مواطنيهم الذين يأتوا بعـــدهم كما حدث لتورسون فى رحلته الاولى وجورج فنر فى سنة ١٥٦٧ اذ نهبت تجارتيهما لان الانجليز الذين سبقوهم قد أغاروا على الســـاحل لجمع العبيد .

ولقد تضاءلت المصالح الانجليزية فى ساحل الذهب من ســـنة ١٥٧١ وقبل ذلك بمدة قصيرة كانت تجارة العبيد قد استحوذت على أفكار الانجليز ولقد قام جون هوكنز بأولى رحـــلاته لاستجلاب العبيد ســـنة ١٥٦٢ واستمرت هذه التجارة رائجة لبضع سنين قليلة وكانت السنغال ميدانهم الرئيسى وليس ساحل الذهب .

وفى سنة ١٥٨٠ استولى فيليب الثـانى ملك أسبانيا على البرتغال ومن ثم فقـــد تعرضت الممتلكات البرتغاليـــة فى البرازيل والســـاحل الافريقى لهجمات رعايا فيليب الثائرين فى هولندا ، فأقلعت أول رحـــلة هولندية الى ساحل الذهب فى سنة ١٥٩٥ وسرعان ما تبعتها رحلات أخرى على الرغم من المعارضة البرتغالية الشديدة ورحب الاهالى بالهولنديين كما رحبوا بالانجليز من قبـــل وعزم الهولنديون على اقامة قواعد لهم فى هذه البلاد ففى ســـنة ١٥٩٨ نزلوا فى « مورى » ، « بوترى » ، « كورمانتين » ، « كومندا » وعلى هـــذا فقد أحاطتـــه المستعمرات الهولندية بقلعة « المينا » من الجانبين .

وكان المستوطنون البرتغاليون مشغولين بمصالحهم فى جزر الهند الشرقية وأمريكا أكثر منها فى تجارة العبيد والذهب الضئيلة التى تأتى من غرب أفريقيا . وفى العام الاخير من القرن السادس عشر بدأت « لواندا » وفى حاجة الى العبيد للعمل فيها . وفى سنة تتفوق على ساحل الذهب من حيث كونهـا المصدر الرئيسى للعبيـــد . وبدأت أفواج العبيد فى سنة ١٦٤٥ تنقل الى أمريكا من المستعمرات البرتغالية فى موزمبيق . وقـد انهارت سراديب أحد المناجم القليلة بالقرب من « المينا » حيث كانت تستخرج عروق الذهب ودفنت العمال تحتها وبطبيعة الحال فقد عزا العمال الافريقيون هذه المأساة الى اله غاضب ورفضوا فتح المنجم من جديد . وفى سنة ١٦٢٣ بعث البرتغاليون بحمـــلة صـــعدت فى نهر « انكوبرا » لتبنى قلعـــة وتعمل فى أحـــد مناجـــم الذهب فى بـلاد « آوين » ولفترة بدت هـــذه الحمـــلة تلاقى النجاح الذى تستحقه ، فشيدت قلعة صغيرة على النهر على بعد ١٥ ميـــلا من الساحل وصدت هجمات « الآوين » وسهامهم السامة وبعد عقد الصلح فتح منجم جديد وأخرجت منه مقادير كبيرة من الذهب فى عدة سنوات وفى سنة ١٦٣٦ حدث زلزال فانهارت سراديب المنجم وأصيبت بعض قرى «الآوين» بأضرار فانقلب الاهالى على البرتغـــاليين وأعملوا فيهم التقتيل أما القلعة نفسها فقد دمرت بتأثير الزلزال وأخلى الاحياء حطامها وتراجعوا الى أكسيم .

وفى هذه الاثناء ضاعف الهولنديون من هجماتهم ووضعوا خطة للاستيلاء على «المينا» نفسها ولطرد البرتغاليين بقضهم وقضيضهم من الساحل وبدأوا محاولتهم على « المينا » فى ديسمبر سنة ١٦٢٥ فنزلت على البر قوة مكونة من ١٢٠٠ جندى هولنـــدى ، ١٥٠ افريقى فى « أميلين » على بعد ستة أميال من المينا وقبل أن يسمح لهم الوقت لتنظيم جموعهم هاجمهم أهالى مدينـــة « المينا » وهزموهم هزيمة نكراء وهرب الاحياء منهم الى سفنهم .

ولقد أجبرت أحداث الجانب الاخر من الاطلنطى الانجليز على التفكير فى استئناف تجارتهم مع ساحل الذهب، اذ كان المستعمرون الانجليز قد وطدوا أنفسهم فى جزر الهنـد الغربية فاستعمروا « برمودا » فى سنة ١٦٠٩ و « باربادوس » فى سنة ١٦٢٧ ثم «أنيتجوا» وجزائر أخرى وأصبح لديهم مزارع للسكر ١٦٣١ صدر مرسوم ملكى بمنح احدى الشركات الانجليزية حق احتكار التجارة الانجليزية فى الساحل الغربى لافريقيا من رأس «بلانكو» الى رأس الرجاء الصالح .

والان وصلت تجارة العبيـد الى ذروة نشاطها . وبذل الانجليز والهولنديون ما فى وسعهم لتأسيس مراكز لهم على ساحل الذهب لكى يسيطر كل منهم على مصادر هـــذه التجارة ، فوسع الهولنديون مركزهم التجارى فى « مورى » وحولوه الى قلعة محصـــنة وشيدوا قلعة صغيرة فى « كوين آن » بين « مورى » و« رأس الساحل » . وشـيدت الشركة الانجليزية قلعـة فى « كورمانتين » وبهذا فقد نفذت مؤخرا الاقتراح الذى كان جون لوك قد تقدم به قبل ذلك بثمانين عاما . واشتدت حدة التنافس الانجليزى الهولندى فى ساحل الذهب .

وصمم الهولنديون على الاســتيلاء على المينـا وعلمتهم هزيمتهم فى « أمبينى » بأن عليهم أن يقاتلوا المحاربين الانصار فى داخل منطقة النفوذ البرتغالى بالاضافة الى مدافع القلعة ذاتها . وبدأ الحاكم الهولندى فى « مورى » حملة دعاية القصد منها حرمان البرتغاليين من هذه المساعدة . وفى ســنة ١٦٣٧ كان قد نجح فى جعل كل قبائل الساحل تقريبا توعده بالمســـاعدة ضد البرتغاليين فأهالى « المينـــا » وعندئذ كتب الحـــاكم الهولندى الى شركة غرب الهند يحثها على القيـــام بمحاولة جديدة على « المينا » فأرسلت الشركة خطابه الى الكونت «موريس» الذى كان فى البرازيل آنذاك ومعه أسطول قوى وجيش ويقوم بالاغارة على الممتلـــكات الاسبانية والبرتغالية . وغرم الكونت موريس

على القدوم بنفسه الى ساحل الذهب ووصل الى الساحل فى ٢٥ يونيو سنة ١٦٥٣ ومعه تسع سفن و ٨٠٠ رجل وقابل « نيكولاس فان ايبرن » حاكم « مورى » فى « كومندا » وفى ٢٤ أغسطس غادرت « كومنـــدا » قوة مشتركة مكونة من أسطول ومائتى مدفع وفى صباح السادس نزلوا على مصب صغير فى رأس الساحل وبدأ الزحف نحو المينا .

وكانت المسافة من منطقة الانزال حتى المنيا ثمانية اميال ، وحوالى منتصف النهار وصلت القوات الى نهر « سويت » على بعد ميلين من « المينا » وهناك توقفت بينما تقـــدمت الكشافة للقيام باستطلاع المنطقة . واتفق « الكولونيل كوين » قائد القوات بأن السبيل الوحيد للاستيلاء على القلعة هو السـيطرة على تل « سانت جاجو » على الجانب الشمالى لنهر « بنيا » والذى يتحكم فى القلعة ومنه تستطيع المدافـع الثقيلة ان تقصف اضعف الجوانب دفاعا . وكان يدافع عن هذا التل الف من رجال « المينا » وارسل « كوين » فصيلة لمهاجمتهم . واخفق الهجوم الاول ولكن رجال المينا تركوا مواقعهم ظنا منهم ان المعركة قد انتهت فاستولت جمـــاعة اخرى من الهولنديين على التل دون خســـائر كثيرة وحافظت عليه من الهجمات المضادة وسرعان ما احضر « كوين » بعض المدافع الثقيلة الى التل واخذ يقذف القلعـة بنيران مدافعـــه واصبح وضع البرتغاليين حرجا للغاية ، فلم يكن لديهم سوى ثلاثين رجلا اوروبيا للدفاع عن القلعة والكثير منهم كان مريضا بينما كانت القوة المهاجمة مكونة من الف رجل تقريبـا هذا اذا استثنينا القوات الافريقية ولم يصب البرتغاليون سوى بخسائر طفيفة من جـراء قذف المدافع الهولندية من التل المواجـــه للقلعة نظرا لان المدى كان بعيدا على المدافع الا ان البرتغاليين لم يكونوا على هذا الجانب من القلعة سوى مدفعين صغيرين فلم يستطيعوا الرد على النار بالمثل ، ونظرا لنقص المئونة لدى الهولنديين فقد وجه الكولونيل كوين انذارا الى القلعة بالتسليم واعطى الحـاكم مهلة يوم واحد ليفكر فى امره بدلا من الثلاثة ايام التى طلبها وفى اليوم التالى تأخر الرد فأنزل كوين مدافعه الى سفح التل وفتـح نيرانه على القلعة من جديد فاستسلم الحاكم البرتغالى وفى صباح اليوم التالى خرج هـو وحاميته تاركين القلعة وكل نماذجها للهولنديين وركبت القوات البرتغالية ظهور السـفن الهولندية ونزلت - جزيرة ساوتومى البرتغالية وجعل الهولنديون من «المينا» مقرهم ورفضت قلعة سان انطونيو فى اكسيم نداء التسليم . ولكن فى سنة ١٦٤٠ دخلت البرتغال فى حرب مع هولندا سنة ١٦٤٠ فاغتنم الهولنـــديون الفرصة فاستولوا على اكسيم وطردوا البرتغاليين من ساحل الذهب فى مقابل تنازل الهولنديين عن ادعاءاتهم فى البرازيل .

وبهذا انتهى الحكم البرتغالى فى ساحل الذهب بعد ان خفقت رايتهم عليها ١٦٠ عاما ولقد تركوا اثارهم فى البلاد فى لغات اهـل ساحل الذهب وكذلك النباتات الكثيرة التى ادخلوها الى البلاد من سلطاتهم الاستوائية الاخرى فلقد احضروا معهم البرتقال والليمون والارز وقصب السكر من المشرق الاقصى والذرة والطباق والاناناس والكاسافا والجوافه وفواكه أخرى من امريكا .



مدلولات الوقت ومفاهيمه في غانا

بقلم انتونى كروبمان
ترجمة كامل عبد المجيد

ينقسم الوقت عند أهل غانا الى قسمين رئيسيين :

أولا : النهار الذى يتكون من اثنتى عشرة ساعة يسيطر عليها تأثير الشمس والحرارة والضوء ويفهم كل شيء أثناء النهار على ان الحياة تدب فى اوصاله .

ثانيا : الليل الذى يتكون من اثنتى عشرة ساعة غير واضحة يسودها الظلام والندى المتساقط والصمت والخمول ويفهم كل شيء أثناء الليل على انه ينتهى وساكن .

وينقسم القسمان الرئيسيان الى الاقسام الاتية :

(ا) ينقسم النهار من السادسة صباحا الى السادسة مساء الى :

١ – الجزء الاول من الصباح الباكر من ٤ صباحا الى ٥ صباحا .

٢ – الجزء الثانى من الصباح الباكر من ٥ صباحا الى ٦ صباحا .

٣ – وقت التساؤل السعيد عندما تظهر الاشياء فى الوانها الطبيعية من ٦ صباحا الى ١٢ ظهرا .

٤ – وقت الحرارة عندما تثبت الشمس فى السماء من ١٢ ظهرا الى ٢ بعد الظهر .

٥ – الوقت الذى تشرق فيه الشمس باكملها من ١٢ ظهرا الى ٤ مساء .

٦ – الوقت الذى تلمع فيه الشمس كأسطع ما تكون من ١٢ ظهرا الى الواحدة بعد الظهر .

٧ – الوقت الذى تنخفض فيه الاشياء تدريجيا من ٤ مساء الى ٨ مساء .

(ب) ينقسم الليل من السادسة مساء الى السادسة صباحا الى : –

١ — الوقت الذى يهدأ فيه التساؤل ولا تتحرك الشفاه من ٤ مساء الى ٤ صباحا

٢ — حينما يتساقط الندى من ٧ مساء الى منتصف الليل .

٣ — حينما يهدأ كل شيء بالليل من منتصف الليل الى الثانية صباحا .

٤ — حينما يولى الظلام وتنبثق خيوط النهار الاولى من ٢ صباحا الى ٥ صباحا .

وفيما يلى نص الأفكار التى ترتبط بفترات زمنية معينة فى الحياة التقليدية فى غانا .

١ — الصباح :

لا يدخل أى شخص فى الصباح بيت الرئيس او بيت الملكة قبل ان يغسل وجهه وينظف أسنانه ومن يخالف ذلك عليه أن يقدم خروف كضحية ، وتزداد العقوبة اذا دخل المكان المقدس للآلهة دون غسيل وجه ودون ان ينظف اسنانه . وحينما يعطس الشخص اكثر من مرة وهو فى صحبة الاخرين — فى الصباح — يقال انه يقلب النظام السليم لاحداث النهار . وحينما يستيقظ الانسان صباحا يجب الا يذكر اسماء الحيوانات المفترسة كالاسد والنمر .

٢ — الظهيرة :

يحظر على أى شخص يريد القيام برحلة وقت الظهيرة أن يسير بمفرده خشية سوء الحظ — هذا بينما يعتبر من حسن الطالع أن يقوم الشخص فى وقت الظهيرة بكسر قطعة من الوقود ببلطته ، غير ان هذا يجب ان لا يحدث — بوجه خاص — فى منزل امرأة حامل .

٣ — المساء :

يعتقد أهل غانا انه من المحرم على أى شخص الخروج فى رحلة ما بين الرابعة والسادسة مساء لانهم يعتقدون ان الارواح الشريرة تكون — فى ذلك الوقت — فى طريقها للعودة ، وهم يعتقدون ان المسافر يصطدم بها بسهولة فى الطريق . وكذلك يعتقد اهل غانا أنه لو ترك طفل صغير يسير بمفرده بين السادسة والثامنة مساء فانه يعود مفزوعا صارخا ، وهم كذلك يعتقدون انه لا يصح الاعلان عن جنازة فى المساء .

٤ — الليل :

تقضى أرواح الموتى وأرواح الالهة طيلة اليوم فى عملها وفى جمع الطعام ثم تبدأ فى تناول الطعام ليلا ، وهذا هو السبب فى العثور على جعة القمح وخمر البلح هابطة ولزجة اذا ما تركت دون غطاء أثناء الليل ، حيث أن الارواح تتجول فى المنزل ليلا وتمتص الكحول من هذين المشروبين. كذلك تقضى تقاليد الليل بعدم الصفير ليلا ، وفى العهود السالفة كان كل من يجرؤ على الصفير ليلا حول منزل أحد الزعماء العظام يعاقب بشدة فأرواح الموتى والالهة وأرواح الاقزام لا تتحدث بل تصفر ، ويسبب لها صفير الاحياء ليلا الازعاج ويثير أعصابها . وقد وصلت عقوبة المخالف لذلك فى أيام القحط الى حد الاعدام وذلك نظرا للاعتقاد السائد بأن أرواح الزعماء والموتى تقوم بزيارة الاحياء منهم فى أحلامهم لتبصيرهم بأسرار الدولة ، وكذلك تفعل جميع آلهة الدولة نفس الشيء ، ولذلك فان من يصفر ليلا حول المنزل الملكى يعوق طريقها .

وكذلك من تقاليد الليل ألا يقف أى فرد معروف أو ضابط من ضباط الدولة فى الخلاء أو تحت شجرة دون أن يحمل شعلة أو أى شيء مضيء .

ومن معتقدات أهل غانا أن المحبوبين من الرجال هم أولئك الذين تحبهم الالهة وأرواح الموتى ، وكذلك يحبهم الموت .

ومن تقاليد الليل أيضا ، يجب ألا تحاول أى مجموعة من الرجال التطلع الى امرأة عارية ليلا ، والى وقتنا هذا يعاقب الرجل فى مجتمع (الاكان) عن جريمة الزنا اذا وقع بصره — بقصد أو دون قصد — على جسد امرأة عارية ليست زوجته .

ولان أهل غانا ليست لديهم ساعات ، فان التقسيمات الزمنية التى تقسم اليوم الى أربع وعشرين ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية تعتبر أفكارا جديدة بالنسبة لهم ، هذا بخلاف معرفتهم الوثيقة للاسبوع والشهر والسنة والعادات المتعلقة بها .

« كامل عبد المجيد »

من ذكريات عوشي

بقلم خديجة قاسم

التقيت بالسيد أوسكار كامبونا الذى رأس المؤتمر الثالث للشعوب الافريقية الاسيوية والذى يتولى الآن وزارة الخارجية والدفاع فى تنجانيقا .

ودار الحديث بيننا عن مشكلة اتحاد شرق افريقيا .. وغيره من المشاكل الافريقية .

كان حديثا صريحا .. تناول مشاكل المنطقة الرئيسية : القبائل .. السيطرة الأجنبية .. الجهل .. الفقر .. المرض .. وندرة الكفاءات .

قال لى : وهو يعرض تلك المشاكل ، ويريدنى ان أفهمها بعمق خلال تجاربى ووجودى فى تنجانيقا ..

ـ « ان افريقيا بلاد غنية ، كما شاهدت بنفسك ليست المشكلة عندنا مشكلة الكم .. ولكنها الكيف ..

مساحة الاراضى شاسعة وخصبة .. والمشكلة تتعقد من حيث يبدأ العمل .

وتنجانيقا تعد من أكبر المناطق فى شرق افريقية ، وأكبرها حجما ، وأكثرها تعدادا وأسبقها الى الاستقلال .. فعدد سكانها ٩ ملايين نسمة ، ومساحتها تساوى مساحة فرنسا والمانيا . وبالرغم من الأقلية البيضاء التى تعيش فى هذه البلاد الا انها تلعب دورا خطيرا من الناحية السياسية والاقتصادية وهناك بعض الهنود الذين دخلوا البلاد سنة ١٨٨٦ بعد معاهدة التقسيم ، واستطاعوا احتكار تجارة الاقليم وخاصة تجارة التجزئة .

وأصابع الاستعمار ما زالت تعبث فى داخل البلاد ..

والبلاد تسير فى طريق شاق بعد الاستقلال انها ما زالت تعانى نفوذ الرجل الابيض ... أغلب المناصب يسيطر عليها الرجل الابيض .. الاقتصاد فى دائرة نفوذه أيضا ..

قال لى مستر أوسكار كامبونا :

ـ لقد انتهينا من المرحلة الأولى لخطة التنمية فى بلادى ، وبدأنا منذ شهور فى المرحلة الثانية وهى الأدق والأخطر .. وما زال أمامنا مراحل طويلة شائكة وملتوية لابد أن نجتازها بثبات وصبر حتى نستطيع الوقوف على أقدامنا ..

أمامنا تجارب خطيرة لابد أن نعيش داخلها ونصطدم بها حتى ندرك الخطأ من الصواب ونتخلص من الاخطاء بشجاعة وثقة ، لن ننجو من كل هذا الا بالصبر والثقة والأمل والعمل ثم أشار الوزير الى هذه المساحات الشاسعة من الخضرة التى تغطى المكان ..

وقال :

ـ اننا أغنياء .. ثرواتنا ضخمة لا تقدر بمال ، ولكننا نعانى من الفقر ، نعيش فى تناقض غريب .. مخلفات الاستعمار .. رؤوس الأموال التى تدار هنا معظمها أجنبية .. لا أشعر بالخجل وانا أذكر الحقيقة .. يجب ان نواجه مشاكلنا بشجاعة أعداؤنا اليوم الفقر والجهل والمرض .. لن نستطيع أن نخطو خطوة واحدة أو نتقدم قبل القضاء عليها ..

ثم تحدث الوزير عن مشكلة القبائل فى تنجانيقا الحديثة :

ـ القبائل فى افريقيا هى امتداد لحقيقة وجودنا تاريخيا .. ولكنها اليوم أصبحت مشكلة من أهم المشاكل التى نعانى منها فى

الداخل .. تعيش كلهـا متفرقة .. وبلادنا واسعة ، وكل قبيلة لهـا عاداتها ، ونظمهـا الخاصة ، وتقاليدها الموروثة من آلاف السنين ما زالوا متمسكين بهـا حتى اليـوم .. ومن الصعب تغييرهم مرة واحـدة أو المطالبـة بتطورهم السريع ، ولكن بمرور الايام لا شك انها ستلعب دورا فى نهضة بلادنا .. وبالصبر سنصل الى كل شىء » .

ولقد لاحظت فى زيارتى هنـاك ان الاقلية البيضـاء فعلا ما زالت تسـيطر على جميع مناطق الثروة فى المنطقة كلها .. أما المناصب الكبيرة فانها ما زالت أيضا فى أيدى الأوربيين فلابد اذن من عملية أفرقة لهذه الوظائف .. ولن يتحقق هـذا الا اذا فـرض التعليم على أبناء البلاد ..

وأكمل الوزير حديثه فقال :

ان الجهل لابد من القضاء عليه ، حتى نرى أبناءنا فيهم القـدرة والكفاءة ، ليحلوا محل الاجانب وبعـدها نستطيع السيطرة على كل شىء .. نحن نحتاج لفنيين .. ومتعلمين ..

وسألت الوزير :

● هل هنـاك ديموقراطية افريقيـة ؟ وما صحـة القـول بأن البيض هم الذين أدخلوا الديموقراطية فى افريقيا ؟

ــ ليس هذا صحيحـا .. ولا يجب ربط الديموقراطية بالبيض... قـد يظن البعض ان السبب فى وجود الديموقراطية هم البيض .. وهـذا خطأ كبير يقـع فيـه الكثير من المضللين .. فالأوربيون لم يعلموا الافريقيين الا الديكتاتورية لأنهم تعودوا على حكم افريقيا بنـاء على صوت الأقليـة متجاهلين صـوت الاغلبيـة فالأوروبى رجل مفروض بالقـوة ، ولا زال مفروضـا أيضا بالقـوة على الشعب الافريقى فكيف نصدق أن الأوربيين هم الذين أدخلوا الديموقراطية الى افريقيا .. تحقيق الديموقراطية لا يفرض بالقـوة ، ولكنه يأتى نتيجة ارادة الأغلبية من الشعب .. والشعب لا يريد الا بنى جنسه ..

والافريقى عرف الديموقراطية منذ القدم .. فحكم رئيس القبيلة .. حكم ديموقراطى استمد سلطته من زملائه أبنـاء القبيلة .. وهكذا ، فالديموقراطية وجدت مع الافريقى منذ مولده ...

وخطر بذاكرتى سؤال :

● الى أى مدى يتعايش البيض مع السود فى مكان واحد ؟

ــ هناك بكل أسف بعض البـلاد الافريقية التى ما زالت تحت سـيطرة المسـتعمرين البيض الذين يعمـلون على تحقيق الذوبان القومى .. بمعنى أن يقبل الافريقى التنازل عن جنسيته ليكون فى زمرة الدولة المسيطرة .. فهل يعقل أن يكون هناك أوربى أسود .. مستحيل .. ان الافريقى الحقيقى لا يتنازل عن افريقيته ، ولا يريد أبدا ان يفقدها يريد ان يكون مواطنا فى بلده .. فخـورا بلونه الأسود ..

● هل هنـاك نفـوذ للمذاهب السياسية الأجنبية فى بعض المناطق الافريقية ؟

وجـود النفـوذ الأجنبى فى أى جـزء من افريقيا لا يعنى سوى السيطرة الأجنبية .. معناه استبدال استعمار بآخر .. نريد ان نعيش بعيدا عن كل الدخلاء من المستعمرين .. سـواء من الشرق أو الغـرب .. وتركت مستر كامبونا فى مقـر حـزبه ونزلت لألتقى بزميلاتى وزملائى .. حيث أخذنا سيارةأجرة لتنقلنا الى نيروبى ..

والمسافة بين موشى المـدينة السياحية فى تنجانيقـا ونيروبى ٢٥٠ ميلا تقطعها السيارة فى أربع سـاعات .. لا تشعر بطول الطـريق لجمال الطبيعة .. وروعة المناظر ..

وفى نيروبى ذهبنـا الى المجلس التشريعى والتقيت لأول مرة بالزعيم جـومو كينياتا ، والوزير توم ميويا الذى كان يتولى منصب وزارة العمل ..

ان فى كينيـــا أكثر من ٦٠ ألف أوروبى يمتلكون حوالى ٨ ملايين فدان .. وقد لعب الاوروبيون دورا كبيرا فى تأخير الاستقلال .. وما زالوا حتى اليــوم يسيطرون على أكثر التجـارة .. والمناصب الكبيرة وخاصـة فى

الجيش . وقد ساعد هذا على تسلل اسرائيل الى دول شرق افريقيا عن طريق المنح الدراسية والاتفاقيات التجارية .

● وسألت الزعيم الكيني كينياتا عن رأيه في حركة التضامن الافريقي الآسيوي ..؟

ـ لابد أن توجد حركات تحررية في بلاد آسيا وافريقيا .. ولابد أن تؤدي هذه الحركات لتوحيد العمل بين الشعوب ، لأن مطالب الشعوب واحدة .. وهو الاستقرار والسلام .. لابد أن تقترب كل من شعوب آسيا وافريقيا تحت لواء التضامن ..

● ما رأيك في اتحاد شرق افريقيا ؟

ان ايماني بهذا الاتحاد ايمان حقيقي ومهما حدث من اضطرابات في المستقبل نتيجة تلاعب الاستعمار بأي قصد .. فاني مصر تماما على هذا الاتحاد .. وأنا أقول بصراحة ان كل تجمع سيحدث في المستقبل سيكون في صالحنا .. وسنفوز نحن في النهاية .. لاننا نبحث عن حقيقة أنفسنا في الاستقلال الحقيقي .. نحن نطالب الدول الكبرى أن تبتعد عنا وتتركنا في هدوء واستقرار ، لنبدأ حياة مستقرة بعد الكفاح الطويل لشعبنا .. ثم بعدها بنسير في الطريق الى الاتحاد .. ثم الى الوحدة الافريقية التي ينادي بها جميع الوطنيين من الافريقيين ..

● ما مستقبل الحكومة التي تتكون من عناصر متعددة ؟

ـ ستزول بالتدريج حتى يصبح جهاز الحكم كله افريقيا مائة في المائة ..

ان فكرة اشتراك الاوربيين والآسيويين في الحكم والتمثيل النيابي لم تكن الا لتسهيل الاستقلال ..

● ما المرحلة الثانية بعد حصولكم على الاستقلال الحقيقي الكامل ؟

وابتسم الزعيم كينياتا ونظر الى السماء ، وكأنه يبتهل الى الله أن يكلل كفاحه بنجاح لوطنه ومواطنيه وقال :

ـ نحن الآن في مرحلة خطيرة .. مرحلة الاستقلال .. لابد أن نجتاز فترة الانتقال بثبات وقوة من مرحلة الاستعمار الى مرحلة الاستقلال والحرية « أهورو » وبعد ان نتمكن من حقيقتنا لابد أن نختار الاشتراكية الافريقية كنظام لنا لأنها الطريق الوحيد لتحقيق العدالة للشعب الذي عاش حقبة طويلة مظلوما .. وعبدا .. للأجنبي .. وقال في نهاية الحديث :

أدعو الله أن تمر هذه المرحلة بخير حتى نثبت أقدامنا في بلادنا . . لابد من التضحية ..

وقال توم مبويا :

ان المرحلة التي تلي الاستقلال هي أهم وأخطر مرحلة للشعب عندنا وشعوب شرق افريقيا .. سنعاني أزمات كثيرة .. أزمات ملتوية .. والجميع سينظر الينا والى بلادنا بطمع .. ولابد أن نصمد في كفاحنا ولكن بتعقل شديد .. ليست السياسة أملا سهلا .. ولكنها مناورات ومؤامرات ولابد أن تكون على حذر من الذين يتظاهرون أمامنا بالولاء والذين يقدمون لنا صداقاتهم .

وقال مبويا :

لابد أن نجتاز هذه المرحلة .. حتى نبدأ في المرحلة الثانية من الحياة السياسية ..

وتركت الزعيمين مع أحلامهما .. وذهبت الى فندق الامبسادور لأجلس قليلا هناك والتقي بزميلاتي وزملائي ونعود من حيث أتينا ..

« خديجة قاسم »



الشعوب الافريقية ولغاتها

عن الفرنسية ترجمة محمد شريف

ان افريقية الحقيقية التى تكسوها الغابات والاحراش تمتلك ما ينوف عن ٦ آلاف لغة ولهجة مختلفة وأن كل لغة من هذه اللغات تنتشر فيما بين عدة آلاف من السكان بينما لالاف أخرى لهجات مغايرة تختلف كل الاختلاف عن التى يستخدمها القبائل المجاورة فى التخاطب والتفاهم .

ومرجع ذلك أن الشعوب الافريقية تنتمى الى فئتين أساسيتين : الشعوب البيضاء ، والشعوب الملونة . ويجب أن نراعى فى هذا المجال أن اللغات الثلاث الاكثر انتشارا عند الشعوب البيضاء هى : العربية والفرنسية والانجليزية .

أما عند الشعوب الملونة وهى تكون الغالبية العظمى للقارة الافريقية والتى تنقسم الى عدة فئات مختلفة تشغل كل منها رقعة فسيحة الارجاء من هذه القارة الغنية المترامية الاطراف والواسعة الحدود ، فاللغات التى تنتشر فيما بينها كثيرة لا حصر لها وهى كما أسلفنا تزيد عن ٦ آلاف لهجة ولغة .

وبهذه المناسبة نستطيع أن نطلق عبارة الشعوب البيضاء على سكان أفريقية الشمالية وهى التى تشمل مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والصحراء وموريتانيا ، بينما الشعوب الملونة تمثل الجزء الاكبر لسكان أفريقية وتشغل الجزء الغربى للصحراء ووسط وجنوب القارة ؛ وهذه الشعوب تتحدث اما باللغات السودانية فى الشمال أو بلغات (البنتو) فى الجنوب ولكل من هذه اللغات انقسامات ولهجات مختلفة وعديدة ومتشعبة ، كما وأن هذه الشعوب فى حد ذاتها تنقسم الى خمسة أقسام :

القسم الاول : ويشمل الفصيلة السودانية والتى تسيطر على الجزء الممتد من الغابة الاستوائية الى الصحراء ومن السنغال الى كردفان فتحيطها بحيرة تشاد وأوغندا وبحيرة تانا والبحر الاحمر .

القسم الثانى : ويشمل الفصيلة الغينية التى تستولى على الرقعة الممتدة من غينيا الى الكميرون .

القسم الثالث : يشمل الفصيلة الكنغولية التى تسيطر على المنطقة القائمة من الصحراء الكبرى الاستوائية والممتدة نحو الجنوب والتى يحدها الكنغو وانجولا .

القسم الرابع : يشمل الفصيلة النيلوتية وهى الملتفة حول موارد النيل وبحر الغزال ويسكنها قبائل الدنكا والنوير والشيلوك .

القسم الخامس : يشمل فصيلة جنوب أفريقية أو (الزمبية) والتى تحتل جنوب الكونغو المحصور بين أنجولا وجنوب غرب أفريقية والمنطقة التى يغمرها المحيط الهندى وبها قبائل الكفر والزولو وبازوتو وبشوانا.

أما الاحباش فيعتبرون من الشعوب الوسط بين البيض والملونين لذا لم نميزهم لا ضمن الشعوب البيضاء ولا ضمن الشعوب الملونة فبينما نجد أن شعر الملونين أشعث نلاحظ أن شعر الاحباش أملس وأن وجههم أكثر استطالة من وجه الزنجى وأن شفاه الاحباش أقل غلظة من شفاه اخوانهم الملونين.

واذا نظرنا الى شخصية الحبشى من حيث التكوين نجد أنه يتمتع ببعض الصفات البارزة فى البيض فى بعض النواحى كما ينتمى الى صفات واضحة فى الملونين فى نواح أخرى .

ان الاثيوبى الاصيل ينتمى الى فصائل (الغالة) الحبشية المسماة بالقبائل الامهرية ، والاثيوبى الاقل أصالة هو الصومالى والدنكالى اللذان يتميزان بالنفوذ العربى ، كما أن هناك الشعوب البجمية والبوشيمية والمنعزلية والتى يتكون منها عدة قبائل تعيش فى الجنوب الغربى لافريقية وتعتمد فى معيشتها اما على الصيد أو على الرعى .

ونرى أن لكل من هذه الشعوب على اختلاف أنواعها ومشتقاتها ومذاهبها وتقسيماتها واختلاف بيئاتها لهجة خاصة وطريقة فى التخاطب والتفاهم مغايرة للتى تستعملها جارتها لان هذه الشعوب قائمة على الفطرة وليست لها تنظيمات ثابتة ولا دساتير منظمة اللهم الا فى الدول المعروفة والتى وصلت اليها الحضارة ويد الاصلاح والمدنية ففيها تستعمل اللغات الثلاث المستخدمة فى محيط الشعوب البيضاء علاوة على اللغات القومية التى اتخذها المواطنون وسيلة للتخاطب فيما بينهم والتى ورثوها عن أسلافهم وأجدادهم وذويهم .

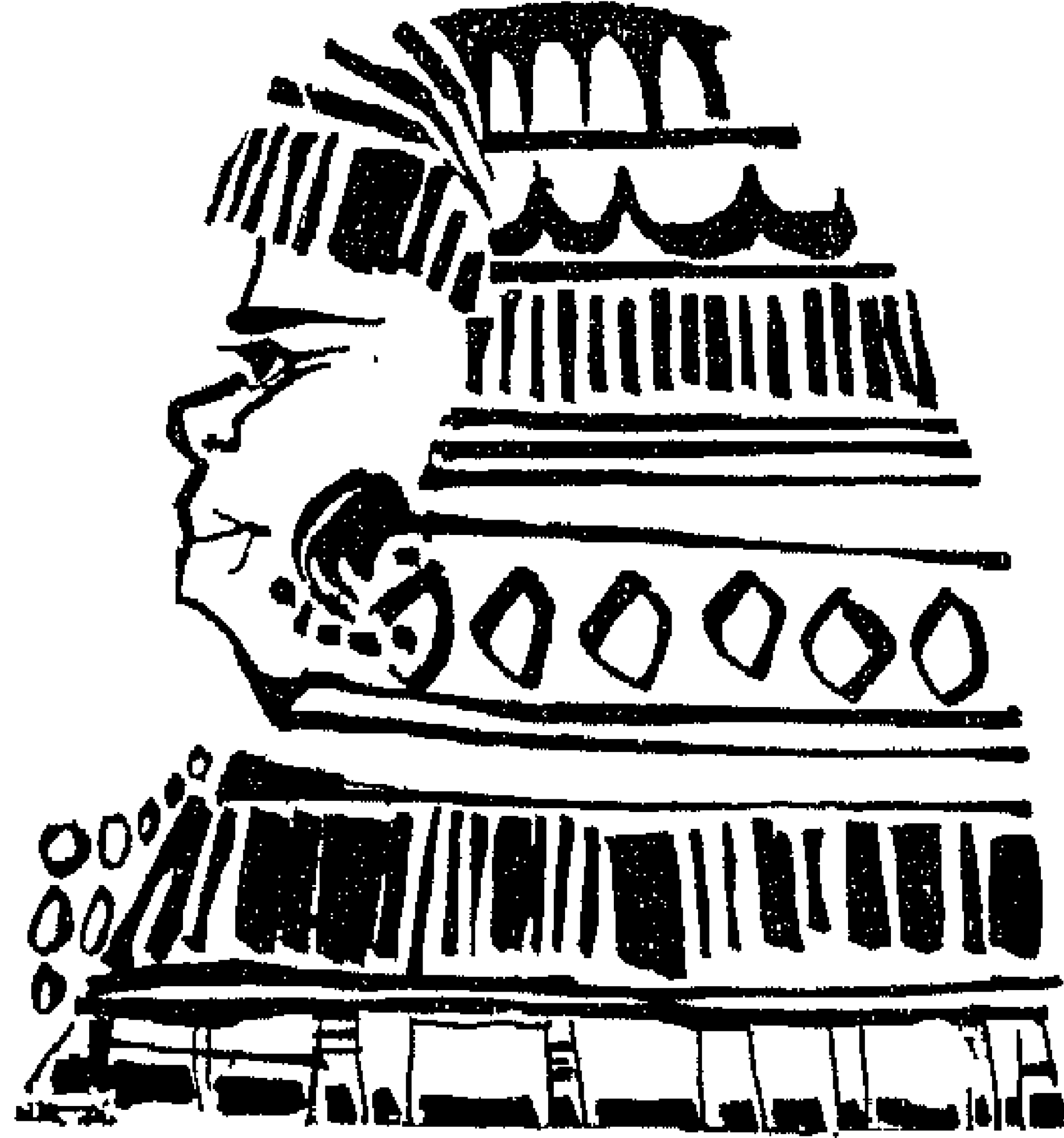
ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك عدة لغات قديمة تلاشت الان عن الوجود ومثل ذلك اللغة الليبية التى كان يتحدث بها أهالى شمال أفريقية والتى اشتق منها خمسون لهجة كان يتخاطب بها قبائل (التوارج) والقبائل الجزائرية والمراكشية ومن بين هذه اللهجات المشتقة من اللغة الليبية والتى كانت لها شهرة فائقة لذيوعها وانتشارها أكثر من سواها هى لهجة (الجوانش) .

ومن بين اللغات القديمة ذائعة الصيت والشهرة لكثرة استعمالها بين الاهالى والقبائل هى لغة (البرشيان) وتعتبر أعرق اللغات الافريقية وأقدمها الا أنها تلاشت وأصبحت لا وجود لها ولا يتخاطب بها أحد ، ومن بين اللغات أيضا التى أصبحت فى خبر كان لغة (الهوتنتو) واللغة (البجمية) وهاتان اللغتان بلهجاتهما العديدة المختلفة كانتا منتشرتين حول بحيرة تشاد واخذتا تتلاشيان تدريجيا حتى اصبحتا معدومتى الاستعمال وعديمتى الذيوع والانتشار . اما لغة (البنتو) فهى اللغة الاكثر انتشارا فى التخاطب فى افريقية وتعتبر من اهم اللغات المستعملة والمتصلة اتصالا وثيقا بمعظم شعوب افريقية فهى تغزو القطاع الذى يشمل المحيط الهندى ويمتد الى خط الاستوء ويصل الى الحدود الجنوبية القبلية للقارة ، وان حوالى ٦٠ مليونا من الافريقيين الملونين يستعملون هذه اللغة بلهجاتها المختلفة المتعددة والتى تبلغ حوالى ٣٥٠ لهجة والتى تعتبر بمثابة اللغة القومية المميزة فى قلب افريقية وذلك لسهولة تركيبها ويسر استعمالها .

ولا يفوتنا فى هذا المجال ان نذكر اللغة السودانية والتى يستخدمها فى التخاطب ما يزيد عن ٥٠ مليونا من السكان وهى تشبه

الى حد كبير لغة (البنتو) الا ان لغة البنتو تعتمد في أسلوبها على ادوات التصدير في تكوين المشتقات بينما اللغة السودانية تعتمد على المقاطع الموصولة في مشتقاتها ، فوجه الشبه بين اللغتين قريب الا ان الاختلاف دائم في تكوين مشتقات كل منهما ، فمشتقات الاولى تتكون بالاضافات التي تسبق الكلمة باضافات تلي الكلمة الاساسية .

وهناك بادرة جديدة ظهرت في افريقية وهي تكوين بعض اللغات الحديثة الجديدة والتي تتركب من خليط عناصر بعض اللغات الاجنبية الحديثة التي وصلت الى تلك الشعوب وانتشارها فاذا ما حللنا هذه اللغات المستحدثة والتي سيطرت على بعض الشعوب الافريقية وجعلت لغاتهم الاصلية الموروثة تضعف ويقل انتشارها نجد انها عبارة عن مزيج من اللغة الاصلية التي توارثتها الاجيال مضافا اليها بعض من اللغات الاجنبية التي توغلت الى هذه البلاد عن طريق المستعمرين فمدمج بها مجموعة كلمات من اللغة الانجليزية باسلوب ركيك وقليل من اللغة الامريكية وبعض من اللغة الفرنسية والفاظ من اللغة البرتغالية وجزء يجمع بين هذه اللغات جميعا فيتولد منها عبارات غريبة مصطلح عليها لا تنتمي في الواقع الى ايه لغة منها اذا أخذت على حدة ، بيد أن التطور المدني لهذه الشعوب والنضوج الذهني لها يجعلها تحاول جاهدة التوحيد بين هذه اللغات المتشعبة المتعددة المتناثرة وهذه اللهجات المبعثرة التي لا حد ولا رابط لها اللهم الا انها وسيلة فقط للتعبير القائم على غير اساس قويم ولا مرتكز على دراسة سليمة فاصبح هنالك قطاعان أساسيان لتلك اللغات المتنوعة : قطاع اللغات السودانية وقطاع اللغات النبتوية ويحاول الناطقون بكل من هاتين اللغتين أن يقرب اللهجات المتفرعة منهما الى الاصلية ويقلل من عددها ويبسطها حتى يسهل انتشارها بين اكبر عدد ممكن من الشعوب المتجاورة الناطقة بها ، فمثلا اصبحت اللغة السودانية الاصيلة وهي تمثل القطاع الاكبر لغة التخاطب بين عدد كبير جدا من الشعوب ولغة تداول بين مختلف الطوائف فاللهجة المنديكية المنبثقة من هذه اللغة اصبحت بعد تبسيطها وتحويرها لغة التخاطب العادية المستخدمة في جميع الامور والمناسبات بينما اللهجة الكانفية هي المستعملة في شتى المبادلات التجارية . ان دراسة اللغات الافريقية تحتاج الى مجال واسع لانه موضوع متشعب لاتنظمه قواعد معروفة ولا دلائل ثابتة ولا قرائن ملموسة حيث انه كان مهملا في الماضي الا انه اصبح منذ سنوات قريبة موضع اهتمام ودراسة وبحث وأصبح المؤرخون يلجأون الى المقارنات بين اللهجات المختلفة لايجاد الارتباط بين نزوح الشعوب وهجرتهم من مكان الى آخر فان آثار حضارة المجتمع ترتبط ارتباطا تاما باللهجات الاصيلة التي لها صلة بلغتهم فان لكل مجتمع عريق أثرا تنعكس عليه الحضارة التي نما وترعرع وارتقى بين ارجائها .



صراع الاحزاب في زنجبار

بقلم اقبال عبد السلام

نظرة بعيدة :

● الى عهد ليس ببعيد ومنذ مائة سنة تقريبا كانت هذه الجزر المرجانية الصغيرة التى تعرف باسم زنجبار أهم مركز بحرى على الشاطىء الشرقى لافريقيا فلم تكن الحدود السياسية قد خطت لترسم على أرض القارة البلاد التى نعرفها باسم : تنجانيقا وكينيا وأوغندا .

وقد تعاقب على هذه الجزيرة حكام من اجناس وألوان تركوا فيها اكبر خليط من الاجناس فى أصغر رقعة من الارض فى افريقيا كلها ، وتركوا فيها بذور مشكلة سياسية أمكن استغلالها على أوسع نطاق .. فهناك يختلط العربى بالافريقى بالفارسى بالهندى .

● وقد استقرت الأمور فى هذه الجزيرة تحت حكم العرب الذين وفدوا اليها من مسقط وعمان ومنهم اكتسبت دينها وتقاليدها وطراز مبانيها وجوامعها وطابعها العام كله وظل السلاطين العرب يحكمونها حتى أعلنت بريطانيا حمايتها عليها سنة ١٨٩٥ ، وفقدت الجزيرة أهميتها تحت الحماية البريطانية فانتهى دورها كقاعدة بحرية وهمزة وصل فى الطريق الى الهند ولم تعد تشتهر الا بالقرنفل والشطة والحبهان .

● ولعل هذه كلها كانت عناصر فى تكوين القومية الجديدة فى زنجبار جعلها تتميز عن شرق افريقيا كله فاحساس الناس هناك بأن جزيرتهم كانت الباب الذى دخل منه الاستعمار جعلهم يتوقعون أكثر من غيرهم أن تصبح بلادهم مرة أخرى الباب الذى يخرج منه الاستعمار ولعل هذا أيضا هو الذى جعل الحزب الوطنى يرفض المساومة أو انصاف الحلول ويضفى على برامجه السياسية صفة الصلابة .

الاحزاب السياسية :

١ – الحزب الوطنى وهو الحزب الذى تصر الصحف البريطانية على أن تصفه بالحزب الذى يمثل « الأقلية » العربية وهو أكثر الاحزاب الثلاثة تقدما هو ينادى صراحة بأنه ليس حزبا بالمعنى المفهوم وانما هو حركة شعبية لتحرير الجماهير وتخليص زنجبار من قبضة الاستعمار وهو يتبنى ايدولوجية جديدة لا تعتمد على الجنس أو اللون بل تهدف الى اتحاد عناصر الشعب وتحرير الفرد ونشر العدالة الاجتماعية ونبذ القبلية الضيقة الأفق وتحقيق تكافؤ الفرص ويتميز هذا الحزب عن غيره بأنه يؤمن بمبدأ الجهاد فقد بدأ حركته منذ ٧ سنوات وأصبح له اليوم ١٢٠ فرعا ، ١٢٠ مدرسة تضم ٨ آلاف طالب و ١٢٠ مركزا اجتماعيا .

● ان دور العرب فى زنجبار واضح وبارز الافريقى هو الاسود :

فالحياة الاقتصادية تعتمد عليهم فهم التجار وهم أصحاب مزارع القرنفل الذى يعتبر الثروة الأولى للبلاد .. وهم الذين ينظمون سير الاتوبيسات لنقل الأهالى ، وهم الذين طالبوا بالانتخابات وألحوا فى طلبها حتى استجابت السلطات الانجليزية لضغطهم ، وأجريت أول انتخابات شعبية سنة ١٩٥٧ كما طالبوا بالاستقلال التام وخروج الانجليز من بلادهم واعادة جزء من ساحل كينيا طوله ٥٢ ميلا وعرضه ١٠ أميال ، وكانت قد استأجرته السلطات البريطانية من سلطان زنجبار نظير ١١ ألف جنيه كل سنة وفى هذه المساحة يقع ميناء ممباسة أكبر قواعد انجلترا البحرية من الساحل الشرقى لافريقيا .

● والخطة التى اعتمد عليها الاستعمار لاستمرار سيطرته على الجزيرة هى محاولة اثارة الفرقة بين القبائل ذات الأصل العربى والأخرى ذات الأصل الافريقى « البانتو » وذات الأصل الفارسى أو الهندى .

وهكذا قسمت الاحصائيات «البريطانية» مجتمع زنجبار الى فئات ثلاث : البانتو وعددهم ٢٤٠ ألف نسمة تقريبا ، وعرب وعددهم ٤٠ ألف نسمة ، ثم الهنود أو الاسيويون ، وبعد هذا التقسيم المفتعل ركزت السياسة البريطانية خطتها فى محاولة عزل القبائل التى يغلب عليها الأصل العربى عن الحركة الوطنية وهذه رغم قلتها العددية فهم أكثر أهالى زنزبار وعيا وثقافة وقدرة على التنظيم والحركة ، وقد اتبع الاستعمار أسلوب تمييز هذه الاقلية واعطائها مركزا معينا لصرفها عن الاتجاه للقوى الوطنية الأخرى ومحاربة الاستعمار فقد ظل المجلس التشريعى لزنزبار حتى سنة ١٩٥٥ مكونا من ٦ أعضاء معينين بحيث يمثل القبائل العربية ٣ أعضاء والبانتو عضوان والهنود عضو واحد .

● وازاء طلبات الحزب الوطنى قام الاستعمار بخلق كيان يواجه به الحركة الوطنية والذى عرف باسم حزب « الافروشيرازى » وقد قام على أساس قصر عضويته على الافريقيين والهنود وشعاره « الافريقى هو الاسود » وأصبح هذا الحزب حزب المعارضة الذى يوصف بأنه حزب الأغلبية واسمه وحده يكفى للدلالة على أنه يمثل مصالح فئة واحدة هى فئة أولئك الذين يقولون انهم من نسل شيرازى افريقى وهناك الحزب الثالث وهو حزب شعوب مجبا وزنجبار ومجبا هى الجزيرة الصغيرة الثانية فى أرخبيل زنجبار وهو حزب صغير يؤيد الحزب الوطنى ويساير التيار التحررى .

● تلك هى العناصر الرئيسية للحركة السياسية .. بينما ان هناك عناصر أخرى أقل منها شأنا كالهنود الذين يبلغ عددهم ٢٠ ألف نسمة « من مجموع السكان البالغ عددهم ٣٠٠ ألف » وقد واجهت بريطانيا الحركة الشعبية للحزب الوطنى بأن ساندت حزب الآفرو شيرازى وأصبحت الصورةالتى رسمت بعد ذلك ان الحزب الوطنى يمثل الأقلية العربية الحاكمة وان الآفرو شيرازى هو حزب الافريقيين الوطنيين ، وكلا الافتراضين غير صحيح .

● ويرجع تكوين الحزب الوطنى الى سنة ١٩٥٥ فقد قامت مجموعة صغيرة من الفلاحين فى قرية كيمبا ساماكى بتكوين حزب أطلقوا عليه اسم « حزب الوطن راية سلطان زنزبار » وقام هذا الحزب على أساس العنصرية وقام بتوجيه نداء للشعب يطالب بانهاء تمثيل الشعب فى المجلس التشريعى وطالب بالاستقلال ، ولكن كان يعوز هذا الحزب القادة الصالحين للقيام بأعباء تولى وقيادة الحزب ، وقد كان هذا الحزب نواة لحزب زنزبار الوطنى .

● وهناك بعض السمات التى ميزت هذا الحزب عن بقية الاحزاب الاخرى فى افريقيا :

أولا — كان يمثل العناصر الزنجبسارية بأكملها الفلاحون والرعاة والتجار والمدرسون وأصحاب المهن المختلفة الخ ...

ثانيا — لم يكن مجرد انطلاقة تعبر عن آمال وآراء مؤسسيه وحدهم بل كان معبرا عن آمال وشعور شعب زنزبار .

● ثم كان اللقاء بين على محسن عضو اللجنة التنفيذية للرابطة العربية وكان فى نفس الوقت متزعما لآراء العرب الوطنية بينه وبين زعماء الحزب الوطنى ، وفى النهاية نجح الحزب الوطنى فى اجتذاب عدد غير قليل من الرابطة العربية ، وقام على محسن وأمور زهو بالانضمام اليه ثم تولى على محسن تنظيم وتنسيق العمل داخل الحزب لكسب وتأييد الشعب كما قام بانشاء فروع له من بعض المدن وأصبح هذا الحزب المعبر عن رأى وآمال المواطنين المثقفين فى زنزبار .

● أما حزب الآفر شيرازى فينقسم الى ٣ أقسام كل قسم ينتمى الى قبيلة وهم : واهاديمى ، واتيمباتو ، وبمبا .

وتسكن قبيلة واهاديمى جنوب وشرق الجزيرة وتسكن قبيلة واتيمباتو شمال شاطىء الجزيرة وجنوب بمبا أما بمبا فتسكن جزيرة مجبا .

وينحدر أصل بعض الشيرازيين من الفرس الذين هاجروا الى زنجبار فى القرن العاشر والحادى عشر الميلادى .

● وينقسم معظم سكان زنجبار الحقيقيين الى بعض القبائل التى تنحدر سلالتها من دول شرق افريقيا كنياسالاند وموزمبيق وشرق الكونغو وأهم القبائل الموجودة فى زنجبار نياموزى ونياسا وياو ، وينحدر أكثر هذا المجتمع الافريقى من سلالة الرقيق الذين أحضروا الى زنجبار للعمل فى مزارعها ومن العمال الاجراء الذين هاجروا اليها من الساحل الافريقى .

● وتظهر التفرقة الاجتماعية والسياسية بين أصحاب الأصل الافريقى وبين الشيرازيين وخاصة فى المجال السياسى .

وبسبب هذا الانقسام وجدت الاتحادات ، فتكون اتحاد الافريقيين فى سنة ١٩٣٤ وتكون اتحاد الشيرازيين سنة ١٩٣٩ وقد نشأ فى البداية فى جزيرة بمبا ثم فى زنجبار ، ثم ظهر الصراع بين الافريقيين والشيرازيين على مقاعد المجلس التشريعى وقد شغل الاتحاد الشيرازى معظم المقاعد حتى بداية سنة ١٩٥٦ .

● وفى السنوات الأخيرة قام الشيرازيون بالاشتغال بالسياسة وأصبحوا بالتدريج المتحكمين فى سياسة البلد ، وكانت علاقتهم بالافريقيين يشوبها الشك والقلق وعدم الثقة وكان الاختلاف واضحا أيضا فى العادات والاخلاق لذلك كان من المتعذر قيام حياة حزبية سليمة فى زنجبار .

● وفى نهاية سنة ١٩٥٦ قام جوليوس نيريرى بزيارة زنجبار لعرض اقتراحه بشأن قيام اتحاد بين التجمعات الموجودة فيها وقد أدى هذا الاقتراح الى وجود أزمة فى داخل الحزب الشيرازى الذى كان قادته منقسمين على أنفسهم فقد قبل بعضهم هذا الاقتراح ورفضه البعض الآخر .

● وفى فبراير سنة ١٩٥٧ اجتمع قادة الحزب الشيرازى والزعماء الافريقيين وقرروا التعاون فيما بينهم والالتقاء فى اتحاد يجمعهم من أجل الانتخابات القادمة ، وفى هذا الاجتماع اختير عبيدى كروم رئيس الاتحاد الافريقى ليكون رئيسا وثابت كومبو سكرتير الاتحاد الشيرازى كسكرتير عام للاتحاد الجديد .

● وفى نهاية سنة ١٩٥٦ ظهر الى الوجود اتحاد جديد هو « اتحاد الأمة » ولكنه لم يتبلور الى حزب سياسى بالمعنى المفهوم ولم يقم بأى نشاط ملحوظ .

● وفى الانتخابات التى أجريت فى يوليو سنة ١٩٥٧ فاز محمد شامتى وعلى شريف

موسى أكبر ملاك الأرض فى جزيرة بمبا وكان لهذين الرجلين تأثير ونفوذ كبير على الحزب الشيرازى .

● وفى ديسمبر سنة ١٩٥٩ ظهر حزب جديد هو حزب الشعب فى بمبا وزنجبار ، وكان من مؤسسى هذا الحزب محمد شامتى وعلى شريف موسى .

● وخلال الانتخابات التى أجريت طالب حزبا الشيرازى والوطنى بالاستقلال وبوضع دستور للأمة .

ولقد كان الاختلاف الجوهرى بين الأحزاب كامنا فى وضع برامج كل حزب حسب المطالب التى يريد تحقيقها بعد الانتخابات ، وعندما رسم حزب الآفرو شيرازى برنامجه اعتمد على السكان « الافريقيين » و «الشيرازيين» وقام بتوجيه نداء يحذر فيه أهالى الجزيرة من سيطرة « العرب » عليهم هذا وقد اعتمد الحزب الوطنى على المثقفين من سلالة العرب وغيرهم وقام بتوجيه ندائه الى الأمة وحذر الشعب من الوقوع تحت سيطرة دعاة العنصرية .

● وعند اجراء الانتخابات قسمت زنجبار الى ٦ وحدات : ٢ فى بمبا ، ٤ فى زنجبار وحصل الحزب الوطنى على ١/٤ الأصوات وكان الصراع سافرا بين الحزب الوطنى والآفرو شيرازى وهزم الحزب الوطنى هزيمة ساحقة بينما حصل الحزب الشيرازى على ٣ مقاعد وحصل حزب بمبا وزنزبار على مقعدين .

● وكان من أهم النتائج التى ظهرت بعد هذه النتيجة ان ظهرت التفرقة الحزبية والعنصرية وخاصة بين ملاك الاراضى الزراعية وغالبيتهم من سلالة العرب الموالين للحزب الوطنى ، وبين المزارعين الأجراء وغالبيتهم من الافريقيين والموالين لحزب الآفرو شيرازى .

● وفى المؤتمر الذى عقدته حركة حرية الوحدة الافريقية لشرق ووسط افريقيا فى زنجبار فى أبريل سنة ١٩٥٩ ناشد جوليوس نيريرى رئيس هذه الرابطة جميع رؤساء القوى السياسية فى زنجبار محاربة الاستعمار وقال لهم ان هذه الانقسامات العنصرية ليست الا عقبات فى طريق تحقيق الحرية والاستقلال .

● وبعد عدة اجتماعات لحركة الوحدة الافريقية تم الاتفاق بين قادة الأحزاب على تكوين اتحاد باسمهم يحمل اسم « لجنة الحرية فى زنجبار » ولكن لم تلق هذه اللجنة قبولا وخاصة من حزب الافرو شيرازى وكان من نتيجة هذه المعارضة اتحاد الحزب الوطنى بزنجبار وبمبا الشعبى وهما الحزبان اللذان كان بابهما مفتوحا لجميع الأجناس .

● ثم أجريت انتخابات أخرى فى يناير سنة ١٩٦١ حصل فيها حزب الافروشيرازى على ١٠ مقاعد وحصل الحزب الوطنى على ٩ مقاعد : ٥ فى زنجبار ، ٤ فى بمبا وحصل حزب زنجبار وبمبا الشعبى على ٣ مقاعد وجميعها فى جزيرة بمبا .

● ثم حدث انقسام فى حزب بمبا وزنجبار وظهرت بعض الأزمات فى زنجبار وقرر محمد شامتى الانضمام الى الحزب الوطنى على شكل ائتلاف يضم الحزبين .

● ثم أجريت انتخابات جديدة فى يونيو سنة ١٩٦١ وزاد عدد المقاعد الى ٢٣ وكان لائتلاف الحزبين أثر بعيد فقد زالت المنافسة بينهما وحصل حزب الشيرازى على ١٠ مقاعد ، والحزب الوطنى على ١٠ أيضا ، وحزب بمبا وزنجبار على ٣ مقاعد .

● وقام الحزبان المؤتلفان بتشكيل الحكومة وعلى أثر هذا قامت مذابح أسفرت عن مقتل ٦٨ شخصا منهم ٦٤ من النجار من أصل عربى ووصل عدد الجرحى الى ٤٠٠ وكانت هذه فتنة عنصرية بمعناها الحقيقى .

● وقد كانت هناك بعض العوامل التى عملت على تطور الأحداث هناك أهمها :

١ — انقسام الحزب الافرو شيرازى وانسحاب عدد من اعضائه لتكون « حزب

شعب بمبا وزنجبار » أضعف الحزب وأفقده عددا كبيرا من الأصوات وخاصة فى بمبا .

٢ ـ دقة تنظيم الحزب الوطنى بعد تجربة سنة ١٩٥٧ وفشله فى الانتخابات وكان على محسن رئيس الحزب قد استقال من المجلس التشريعى وتفرغ لتنظيم الحزب فى جميع أنحاء زنجبار وبمبا وألحق بكل فرع مدرسة لمكافحة الأمية وتدريس برامج علمية لا تخضع للتوجيه الاستعمارى وسجلت هذه المدارس فى عامها الأول أكثر من ٨ آلاف طالب وأنشأ كذلك اتحادا للشباب واتحادا للنساء وقد أعطته هذه التنظيمات التى أديرت بطريقة الديمقراطية المركزية قوة كبيرة ميزته عن حزب الافرو شيرازى الذى لم يهتم كثيرا بالتنظيم الشعبى .

٣ ـ تبنى الحزب الوطنى سياسة تشجيع الزراعة التعاونية وتأييد النقابات العمالية وقام الحزب الوطنى بتأسيس عدد من المزارع التعاونية والتسويق التعاونى وساند بكل قوة الحقوق العمالية .

٤ ـ ساعدت الحركات التحررية التى انتشرت فى الخارج وكثرة ظهور الدول الافريقية المستقلة على انتشار الوعى ضد الاستعمار واتجاه الجماهير للمطالبة بالاستقلال وهو ما تبناه الحزب الوطنى وعارضه الافرو شيرازى .

٥ ـ ارتباط الحزب الوطنى بالحركات التحررية فى افريقيا ومساهمته فى المؤتمرات الافريقيه وبروز قيادته فيها خلق له مكانة كبيرة بين الوطنيين .

٦ ـ وجود سياسة واضحة ومبادىء محددة للحزب الوطنى الذى أعلن انه حركة جماهيرية تحررية تحركه أيدولوجية قائمة على مقاومة التفرقة العنصرية والعمل على وحدة الفلاحين والعمال والمثقفين وتحقيق الحرية الانسانية .

● ثم حصلت زنجبار على استقلالها . .

● وبعد شهر واحد من اعلان الاستقلال شهدت أحداثا سياسية أدت الى الانقلاب المعروف الذى أطاح بالحكومة الائتلافية ووضع مكانها حكومة جديدة .

● والملامح الأولى للأحداث تدل على ان ائتلافا من أحزاب المعارضة قد استولى على الحكم ولكن الأمر الذى مازال يحتاج الى تفسير هو نوع الائتلاف الجديد والبرنامج الذى تم على أساسه هذا الائتلاف خاصة اذا عرفنا ان حزب الافرو شيرازى وهو حزب رئيس الجمهورية الجديد قد تآلف مع حزب الأمة وهو حزب عبد الرحمن محمد بابو وزير الدفاع والخارجية الجديد وهو الذى انشق على الحزب الوطنى وكان بابو يشغل منصب سكرتير عام الحزب الوطنى قبل استقالته .

● والأمر المؤكد هو ان ارادة شعب زنجبار فى اختيار حكومته وتخطيط مستقبله انما هو حق مطلق له وهذا شىء يؤكده حق الشعوب الطبيعى وميثاق الأمم المتحدة وميثاق الوحدة الافريقية .

« اقبال عبد السلام »



زنزبار ـ ١٩٦٤/١/١٥

أصدرت حكومة زنزبار الجديدة قرارا بحل جميع الأحزاب السياسية المناهضة لها .

رواندا ـ ١٩٦٤/١/١٩

اندلعت حرب أهلية فى هذه الدولة الصغيرة الحديثة الاستقلال . وقد بدأت الاضطرابات فى ٢٣ ديسمبر الماضى بدخول بضعة آلاف من قبيلة « التوتسى » الذين سبق أن أكرهوا على الفرار من ديارهم الى أوغندا وبورندى وتنجانيقا ..

روديسيا الشمالية ـ ١٩٦٤/١/٢٠

يتوجه اليوم سكان روديسيا الشمالية بجميع أجناسهم الى مراكز الانتخابات لاجراء أول انتخاب عام ، ويخوض المعركة الانتخابية ثلاثة أحزاب أهمها حزب الاستقلال الوطنى المتحد الذى يرأسه كينث كاوندا وحزب المؤتمر الوطنى الذى يرأسه هارى انكومبولا .

الأمم المتحدة ـ ١٩٦٤/١/٢٠

من المقرر أن يقوم يوثانث السكرتير العام للأمم المتحدة فى ٢٨ يناير بأول رحلة له فى افريقيا .

تنجانيقا ـ ١٩٦٤/١/٢١

قامت احدى وحدات الجيش بانقلاب عسكرى أمس واحتلت العاصمة ، ثم اعتقلت عددا من الوزراء وبعض الضباط الافريقيين والبريطانيين .

القاهرة ـ ٢٢ يناير ١٩٦٤

احتفل أمس الاتحاد الاشتراكى العربى والرابطة الافريقية فى القاهرة بذكرى وفاة الشهيد الراحل باتريس لومومبا .

دار السلام ـ ٢٢ يناير ١٩٦٤

ألقى نيريرى بيانا أمس أعلن فيه انتهاء التمرد ، وعودة الهدوء والحياة الطبيعية الى تنجانيقا .

لوساكا ـ ٢٣ يناير ١٩٦٤

أقسم اليوم كينيث كاوندا ـ زعيم حزب الاستقلال الوطنى المتحد فى روديسيا الشمالية ـ اليمين الدستورية كأول رئيس للوزراء بعد فوز حزبه بأغلبية مقاعد المجلس التشريعى فى الانتخابات .

أوغنده ـ ٢٤ يناير ١٩٦٤

وقع أمس تمرد فى احدى وحدات جيش أوغنده وقد طلب ميلتون أوبوتى ـ رئيس الوزراء ـ مساعدة عاجلة من القوات البريطانية فى كينيا .

القاهرة ـ ٢٤ يناير ١٩٦٤

استقبل أمس الرئيس جمال عبد الناصر السيد جوهانس سافمبى وزير خارجية حكومة أنجولا المؤقتة وقد تناولت المباحثات عرض مشكلة أنجولا والمشكلات العالمية ،وقد اختار الوزير سافمبى السيد فلورنتين دوارنتى ممثلا ومندوبا لحكومته فى القاهرة.

دار السلام ـ ١٩٦٤/١/٢٥

اعترفت حكومة تنجانيقا بالحكومة الجديدة فى زنزبار .

تنجانيقا ـ ١٩٦٤/١/٢٥

وصلت أمس قوات الكوماندوز البريطانية الى دار السلام تلبية لطلب جوليوس نيريرى لسحق تمرد جديد بين قوات تنجانيقا .

كينيا ـ ١٩٦٤/١/٢٥

تمردت اليوم احدى وحدات الجيش فى معسكر « لاينت » واشتبكت القوات المتمردة

فى معـركة مريرة أدت الى مصرع عـدد من الجنود الافريقيين .

الكونجو ــ ٢٦ يناير ١٩٦٤

اشتعلت نيران ثورة دموية فى اقليم كويلو بغرب الكونجو وقد قاد هذه المظاهرة وزير سـابق وبعض الهاربين من الجيش الذين أخذوا ينهبون المنـازل ويشعلون النـار فى مبانى الارساليات الدينية فى الاقليم .

دار السلام ــ ٢٨ يناير ١٩٦٤

بعث جوليوس نيريرى رئيس جمهـورية تنجانيقا برسائل الى رؤساء الدول الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية لعقد مؤتمر عاجل لوزراء الخارجية والدفاع الافريقيين لبحث الازمة فى شرق افريقية .

ليوبولدفيل ــ ٣٠ يناير ١٩٦٤

قام رجال البوليس فى ستانلى فيل بحركة تمرد أمس ، وقد استولى الفـدائيون على أسلحة فصيلة كاملة من رجال البوليس فى ستانلى فيل .

القاهرة ــ ٣٠ يناير ١٩٦٤

يعقد فى القـاهرة خـلال شهر أغسطس القادم أول مؤتمر لوزراء الشئون الاجتماعية فى الدول الافريقية وذلك لدراسة تنفيذ خطة موحدة للتنمية الاجتماعية فى البلاد الافريقية طبقا لظروف وامكانيات كل دولة .

القاهرة ــ ٣٠ يناير ١٩٦٤

أبلغ السـيد شيومى ــ وزير الاستعلامات فى نياسالاند ــ الرئيس جمـال عبد الناصر بأن بلاده ستعلن استقلالها فى ٦ يوليوالقادم وسوف تستعيد اسمها الافريقى « مالاوى » بدلا من « نياسالاند » .

القاهرة ــ ٣١ يناير ١٩٦٤

اعترفت الجمهـورية العربيـة المتحـدة بحكومة زنزبار الجديدة .

زنزبار ــ ١ فبراير ١٩٦٤

أعلن عبيد كرومى رئيس حكومة زنزبار بانه سيتم تطبيق نظام الحـزب الواحد فى زنزبار وسيكون حزب الأفرو شيرازى .

دار السلام ــ ١ فبراير ١٩٦٤

تلقـى جوليوس نيريرى ، رئيس حـكومة تنجانيقا ، موافقة ٢٩ دولة افريقية ــ من بينها الجمهـورية العربية المتحـدة ــ على الاشـتراك فى الاجتمـاع الطارىء لوزراء خارجية الدول الافريقيـة الذى يعقد بدار السلام فى ١٢ فبراير الحالى لبحث الموقف فى شرق افريقيا .

الجزائر ــ ٧ فبراير ١٩٦٤

اعترفت الحكومة الجزائرية رسميا بحكومة زنزبار الجمهورية الشعبية .

اديس أبابا ــ ١٠ فبراير ١٩٦٤

أعلن الرئيس الصومالى عبـد الله عثمان حالة الطوارىء فى جميع أنحاء الصومال .. وقـد علم أن قتالا ضاريا يدور رحاه بين القـوات الأثيوبيـة والصومالية على طول حدود البلدين .

القاهرة ــ ١١ فبراير ١٩٦٤

سافر وفـد الجمهورية العربيـة المتحدة برياسة السيد حسين ذو الفقار صبرى الى دار السلام لحضور اجتماع وزراء خارجية افريقيا .

قصة الاتحاد المنحل

بقلم لمعى المطيعى

فى منتصف ليلة ٣١ ديسمبر من عام ١٩٦٣ دقت الاجراس ايذانا بانتهاء الاتحاد الفيدرالى لروديسيا ونياسالاند بعد عشر سنوات من عمر هذا الاتحاد بين اقاليم نياسالاند وروديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية .

واخذت دوائر المستوطنين البيض ودوائر المستعمرين تبحث عن اشكال جديدة تطيل من عمر نفوذها فى افريقيا الوسطى .. وحتى نلقى الاضواء على خطة المستوطنين والاستعمار الجديدة ، من المهم ان نستعرض الاتحاد المنحل منذ ان كان مجرد فكرة ، ونسير معه فى التطبيق حتى نأتى الى نهايته .

بريطانيا وافريقيا :

يقول « فيليب ماسون » الخبير البريطانى فى افريقيا الوسطى انه فى اواخر عهد الملكة فيكتوريا وفى مطلع هذا القرن ثار زعم خافت بان الافريقيين غير جديرين بان يصبحوا دولة عصرية ، ثم افصح عن زعم ابعد ، وهو ان الافريقيين سيظلون غير اكفاء لاجيال كثيرة ، وبناء على هذا الزعم اهمل الافريقيون بشكل واضح فى دساتير اتحاد جنوب افريقيا عام ١٩١٠ وروديسيا الجنوبية عام عام ١٩٦٣ . ومبعث هذه السياسة هو النظر الى الافريقيين على انهم شعب ينبغى ان يوضع تحت الوصاية

وكل هذه الامور كانت الاركان الاساسية الخلفية فى مشروع الاتحاد الفيدرالى لروديسيا ونياسالاند .

وفى عام ١٩٣٨ حدثت عملية جس نبض ، فعينت (لجنة بليد ذلوى) لتأخذ على عاتقها دراسة هذا الاتحاد ، وكتبت تقريرا جاء فيه ان الافريقيين فى روديسيا الشمالية ونياسالاند يعارضون بشدة اى نوع من انواع الارتباط مع روديسيا الجنوبية ، ونصحت اللجنة بالتريث فى المشروع .

وفى عام ١٩٥٠ اثير الموضوع من جديد ، على اساس آخر هو ما عرف بـ « المشاركة بين العناصر » وعورضت الخطة الجديدة بدورها فى روديسيا الشمالية ونياسالاند على اساس انها ستار لسيطرة المستوطنين البيض وانقسم الاوروبيون المستوطنون فى الروديسيا الجنوبية ، أما فى بريطانيا ، فقد كانت هناك افكار متبلورة فى مجلس العموم واللوردات .. ففريق يرى ضرورة وضع معارضة الافريقيين فى الاعتبار ، وفريق يرى ان هذه المعارضة سرعان ما تزول اذا ما أصبح الاتحاد الفيدرالى حقيقة واقعة .

المناقشة فى عهد حكومة العمال .

فى عام ١٩٥١ عادت الفكرة الى الظهور ، عندما اجتمع مؤتمر من بعض العناصر الرسمية

فى مارس من ذلك العام فى لنــــدن ، ونشروا تقريرهم فى يونيو وعلى اثره بدأت المباحثات بشكل فعلى . ظهر هذا التقرير فى ١٣ يونيو وقدمه الى مجلس العموم وزير المستعمرات « جيمس جريفث »

وكانت العقبـــــة الاولى التى اثيرت هى اختلاف الاوضاع الدستورية ، فروديســـيا الجنوبية مستعمرة مستقلة ، وروديســـيا الشمالية ونياسالاند من المحميات تحت التاج والعقبة الثانية هى نفور الافريقيين فى روديسيا الشمالية ونياسالاند من الاتحاد مع روديسيا الجنوبية .

وعمل المؤتمر على تلافى معارضة الافريقيين باقتراح انشاء ما يسمى « هيئة الشـــئون الافريقية » وتعيين وزير للشئون الافريقية فى الوزارة الاتحادية . وتتكون هيئة الشئون الافريقية من وزير الشئون المحلية وعضو من كل مجلس تشريعى اقليمى .

واختلفت اراء الصحافـــة البريطانية فى المشروع وشن المؤتمر الوطنى الافريقى فى كل من روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند حملة اثارية ووضع مشروع نداء الى الامم المتحدة .. وما ان أخذ شهر يوليو ينحدر نحو اغسطس حتى تحدد موقف البيض فى روديسيا الجنوبية .. فاليمين يرى ان الحكم الاوربى يجب أن يصان الى ابعـد الحدود وفريق يرى الارتباط بجنوب افريقيا وفريق آخر ينادى بنوع من المساومة مــع السود .

وفى ١٨ سبتمبر من عام ١٩٥١ عقد مؤتمر آخر ، حضره خمسة مندوبون افريقيون من روديسيا الشمالية ونياسالاند ، ولم يحضر أحد من الافريقيين فى روديسيا الجنوبية ، وقاطع المؤتمر الوطنى الافريقى المؤتمر .. وأعلن البيان الختامى أن المؤتمر — ماعـدا الافريقيين الخمسة — كان الى جانب فكرة الاتحاد الفيدرالى .

المناقشة فى ظل المحافظين

فى ٢٢ يناير من عام ١٩٥٢ قالت « التيمس » فى مقالها الافتتاحى أنه من الضرورى المضى بالاتحاد الفيدرالى حتى ولو رفض الافريقيون الاشتراك فى المفاوضات وصرح « جودفراى هاجنز » ان الاتحاد اذا لم يتم فى ذلك العام فانه لن يتم نهائيا .. وفى الوجه المقـــابل خطب دكتور « هاستينج باندا » فى سكوتلاندا قائلا أن الاتحاد الفيدرالى يعنى أن شـعبه سوف يحرم من آماله فى الحكم الذاتى وان بريطانيا تبيع الافريقيين لانها تريد النحاس . واشترك المؤتمر الوطنى الافريقى بقيـــادة « تكمبولا » واتحاد عمال المناجم بقيـــادة « كاتلونجى » فى احتجاج جماهيرى .

وفى اليوم التالى دارت فى مجلس العموم مناقشة بدأها « جريفث » بالحـــديث عن اهمية الاتحـــاد الفيدرالى باعتباره اتجاها ليبرانيا فى مواجهة سياسة جنوب أفريقيا ، ولوحظ ان المناقشات تتجـــه الى الاسراع بالمشروع .

وفى مؤتمر عقد فى ابريل ، فى لندن رفض المندوبون الافريقيون من روديسيا الشمالية ونياسالاند الاشتراك فى المناقشات خشية ان يفسر الموقف على انهم يوافقون على مبدأ الاتحاد الفيدرالى .

وفى ١٨ يونيو نشرت نتائج محادثات ابريل وهى مشروع نهائى يقضى بان يتكون البرلمان الاتحادى من ٣٥ عضوا ، ٢٦ يمثلون الاوروبيين و٩ يمثلون الافريقيين والســـتة والعشرون منهم ١٤ من روديسيا الجنوبية و٨ من روديسيا الشمالية و٤ من نياسالاند والتسعة الذين يمثلون الافريقيين عبارة عن ثلاثة اعضاء من كل اقليم . ويختص البرلمان الفيـــدرالى بالشئون الخارجية والدفاع والجمـــارك والصادرات والعمـــلة والطرق الرئيسية والسكك الحديدية والبريد والتلغراف والنقل الجوى والتعليم العالى .

وفى أول يناير من عام ١٩٥٣ ، عقد مؤتمر لندن ولم يحضره الافريقيون ونشرت نتائجه فى فبراير ، وتحولت هيئة الشئون الافريقية الى لجنـة برلمـــانية دائمة وفى ٢٤ فبراير أشارت « التيمز » الى الشعور المعـــادى للاتحاد الفيدرالى ورغم هذا جرى التصويت

ووفق على قيام اتحاد فيدرالى بين الروديسيات ونياسالاند .

الاتحاد الفيدرالى فى التطبيق

فى العاشرة من صباح يوم الجمعة من ٤ سبتمبر عام ١٩٥٣ وصل اللورد « للوين » بالقطار الى سالسبورى وحيته تسع عشرة طلقة ، واتجه الموكب الى مبنى الحكومة حيث أدى الحاكم العام للاتحاد الفيدرالى القسم أمام رئيس محكمة الاستئناف وقوبل هذا الاحتفال بفتور عام — الا انه كان يعنى ان الاتحاد الفيدرالى قد بدأ مصيره المجهول

فسياسة (المشاركة بين العناصر) كان الافريقيون يفهمونها على انها اتاحة الفرصة للتقدم بينما كان الاوروبيون ينظرون اليها على انها الاحتفاظ بالسلطة .. وفى اكتوبر أظهر الافريقيون حسن نيتهم فسحب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند شعار (عدم التعاون) وفى روديسيا الجنوبية قررت جماعة (الميثاق الافريقى) سحب الشعار نفسه .. الا أن الاوروبيين عند اختيار عاصمة الاتحاد اصروا على اختيار (سالسبورى) معقل المستوطنين فى روديسيا الجنوبية ولم يبدوا أى نوع من حسن النية .. وعند مناقشة المشروعات الكبرى للقوى الكهربائية نفذوا المشروع فى (كاريبيا) فى روديسيا الجنوبية .. ومضى المستوطنون فى سياسة التفرقة العنصرية بابشع صورة وكشف القناع عن شعار (المشاركة) .. وفى ٢٠ مارس من عام ١٩٥٦ وضع « روى ولنسكى » النقاط على الحروف عندما قال: «ليس لدينا ، نحن الاوربيين اية نية ، لتسليم الاتحاد الفيدرالى الى أى انسان .. لانه ليس فى نيتنا ان تخرج من هنا .

والحقوق الانتخابية لم تكن احسن حظا من (المشاركة) ففى مارس ١٩٥٧ تكونت لجنة « تريد جولد » وزير العدل فى الاتحاد الفيدرالى التى قررت ان تكون الانتخابات على فئتين . والاقتراح بشروطه المنصوص عليها تضمن اغلبية اوروبية دائمة ، وفى مايو قدم (حزب الدومنيون) اقتراحات تتفق مع اقتراحات لورد « مالفرن » فى ضرورة الفصل بين الفئتين .. وعادت لجنة « تريد جولد » لتقترح ان يكون لكل دائرة مقعد واحد وقسمت الناخبين حسب مؤهلاتهم العلمية وحسب ملكيتهم ودخولهم وبالاختصار تكون نتيجة الانتخابات لصالح الاوروبيين .. وحتى عند تعديل المجلس التشريعى فاقترح أن يرفع العدد من ٣٥ الى ٦٠ عضوا ١٥ يمثلون الافريقيين وفى ٢٢ مايو من عام ١٩٥٧ تقرر الدستور المعدل ووافقت عليه البرلمانات الثلاثة واجيز فى مجلس العموم فى ٩ يناير من عام ١٩٥٨ دون ان يوضع رأى الافريقيين فى الاعتبار .

واذا ما تركنا موضوعى (المشاركة) و (الحقوق الانتخابية) الى الحياة اليومية ادركنا صورة صارخة فى التفرقة .. فبعد قيام الاتحاد لم يتم الغاء (الحاجز اللونى) فى الفنادق ودور العرض والاماكن العامة .. وفى روديسيا الجنوبية ليس للافريقى ان يملك ارضا فى المدن التى تقع فى المناطق البيضاء ، ولا يسمح للافريقى ان يقيم فى هذه المناطق وعليه أن يأخذ طعامه معه لانه غير مسموح له بدخول المطعم او المقصف وعليه أيضا أن يحمل تصريحا بالتجول واذا ما ضبط يتعاطى او يشترى (البيرة) الخاصة باوروبيين فان هذا يعتبر خروجا على القانون .. حتى فى الالعاب الاولمبية .. فان مباراة ١٩٥٦ لم تقم فى روديسيا لأن الهيئات رفضت أن تقبل اشتراك الافريقيين .. ومن المفروض على كل افريقى ان يسجل نفسه فى المنطقة التى يقطن فيها ولم يكن يسمح للافريقى بان يغادر الحى الذى يسكنه الا باذن خاص من المشرف على الشئون المحلية .

واما التعليم فان معظم المدارس تديرها الارساليات لحساب الحكومة ومن المهم ان تسجل الاحصائيات الخاصة بتعليم الاوروبيين والافريقيين .. ففى عام ١٩٥٩ اى بعد قيام الاتحاد بست سنوات بلغ مجموع ما صرفته الحكومة الفدرالية : ٨ر٥٩٢ر٤٣٢ جنيها لتعليم ٣٢٧ر٠٠٠ أوروبى فيكون نصيب الفرد ٢٦ر٥ جنيه و ١١٣ر٦٥٥ر٦ جنيها لتعليم

٧٥٦٫٠٠٠ افريقى ونصيب الفرد ١٧ شلنا ونجد الوضع نفسه فى الاجور ، فمثلا نرى ان معدل الاجور فى منطقة النحاس كان بنسبة ١ للافريقيين الى ١٠ للاوروبيين ولم يحدث أبدا أن حصل العمال الافريقيون على أجر مساو للعمال الأوروبيين .

خريطة المعركة

وانجلى الموقف امام غلاة المستوطنين وادرك « ادجار هوايتهد » ان الذين يعارضون سياسته ليس نفر قليل من الافريقيين .. ولم يعد من الحكمة الحديث عن القومية الافرقية على انها من صنع حفنة مشاغبة .. واتضح ان روديسيا الجنوبية بسياستها العنصرية تسير بخطى سريعة نحو جنوب افريقيا .. وان غالبية الناخبين للاتحاد الفيدرالى توجد فى روديسيا الجنوبية ومن ثم لا مجال للحديث عن تأثير الاصوات المعتدلة فى روديسيا الشمالية ونياسالاند .. وادركت بريطانيا ان الارض تنسحب من تحت ارجلها شيئا فشيئا وعليها ان تقوم بمساومة سريعة واعلن دكتور « باندا » عزمه الاكيد على انفصال نياسالاند عن الاتحاد الفيدرالى وادركت الحركة الوطنية الافريقية ان شعارات المهانة التى تر منها بعض عناصر المستوطنين ليست سوى محاولة للخداع وتدعيم نفوذ الاوروبيين فى نهاية الامر وبهذه الاحداث الدامية تبلورت اتجاهات المعركة وتحددت خريطتها وساعد ذلك ظهور الحزب الوطنى الديمقراطى بقيادة « جوشوا نكومو » فى روديسيا الجنوبية كقوة طليعية مناضلة من اجل استخلاص روديسيا لاصحابها الافريقيين .

بداية النهاية

هذه صورة عامة للاتحاد الفيدرالى منذ انشائه والتناقضات التى حملها فى طياته .. وكان لا بد لهذا الوضع من نهاية .. وقد أحس البريطانيون بان المشكلة تفرض نفسها .. وحاولوا انهاء الوضع لمصلحة العناصر التى تضمن الارتباط بها .. أما العناصر المتطرفة من المستوطنين الاوروبيين فقد كانت خطتها انهاء الاتحاد الفيدرالى وتسلم زمام السلطة بشكل كامل حتى تقف فى وجه تيار التحرر الافريقى الذى يهدف بدوره الى انهاء الاتحاد ايضا وانما بهدف تسليم السلطة لاصحابها الحقيقيين وهم الافريقيون .

وفى ١٣ ديسمبر عام ١٩٦٢ جرت اكبر مهزلة فى روديسيا الجنوبية وهى مهزلة الانتخابات التى من نتائجه احكام قبضة المستوطنين تحت قناع زائف .. وعلى الرغم من نتائجه الانتخابات فقد تأكدت اهمية انفصال نياسالاند عن الاتحاد التى نضجت فيها الحركة الوطنية الافريقية بشكل يمكنها من تسلم زمام السلطة .. وصاحب ذلك مطالبة الحركة الوطنية الافريقية فى روديسيا الشمالية بالانفصال عن الاتحاد الفيدرالى .. وبدا واضحا وقت ذاك ان الاتحاد يلفظ انفاسه الاخيرة .

بعد النهاية

وانتهى الاتحاد الفيدرالى واعد الافريقيون نعشا رمزيا يمثل الاتحاد واحرقوه تعبيرا عن رغبتهم فى الخلاص من هذا الاتحاد .. واخذ الدكتور « باندا » يعد العدة لحكم نياسالاند الجديد .. وسوف تنال روديسيا الشمالية استقلالها وتسمى باسم « دولة زامبيا » بزعامة « كنيث كواندا » الذى خاض الانتخابات فى ٢٠ من يناير عام ١٩٦٤ .

اما روديسيا الجنوبية التى تشتد فيها قبضة المستوطنين البيض فان رياح الحقد تهب عليها من جديد .. حتى ان « روى ولنسكى » وقد كان رئيس وزراء الاتحاد الفيدرالى المنحل فى مواصلة العمل السياسى فى روديسيا الجنوبية ويتصل ببعض القادة الافريقيين بهدف خداع الحركة الوطنية الافريقية ..

وايا كان الامر فان تيار الاستقلال الذى اكتسح قلاع الاستعمار فى افريقيا .. وتيار الحركة الوطنية الافريقية فى وسط افريقيا الذى حقق انتصارات كبيرة سوف يكنس فى وجهه تيار الحقد والاستغلال من روديسيا الجنوبية ايضا .

« لمعى المطيعى »

أسطورة



زيارة السيد الرعد للأرض

ترجمة : يسرى شاكر

هناك حين يجلسون كل يوم فى المساء حول مواقد النيران .. أو فى الصباح عندما يدير الاطفال والاباء ظهورهم ناحية الشرق .. ليتمتعوا بدفء شمس الصباح اللطيف .. لا يطيل الاب أو الام سكوتهما .. فلا بد أن يبدأ واحد منهما فى سرد حكاية مشوقة .. قد تثير الضحكات أو تبعث الدهشة والعجب .. وربما أمكن حينئذ تقديم تجربة الاجيال وحكمتها بطريقة بسيطة محببة .. وعندما ينتهى الراوى من قص حكايته يشير الى ما ترمز اليه من معنى .. وخاصة بالنسبة لما يحدث فى أيامنا الحاضرة .

فالماضى يلتحم عند الافريقى بالحاضر .. لذلك تتسم روح الاساطير الافريقية بالغموض والغرابة والجمال .. وان الاسطورة لتبدأ هكذا .

منذ زمان بعيد عاش الناس فى مدينة بار يحكمهم ملك قوى شديد .. له بلاط ملكى وحاشية كبيرة محترمة مرهوبة الجانب .. وبالرغم من الترف والبذخ اللذين كانا يتمتع بهما الملك والمقربون اليه .. كان هناك عدد كبير من الافواه الجائعة .. لذلك انتشرت السرقة وكثر اللصوص .

فى هذا الوقت ذاع نبأ مهم وانتشرت اشاعة تقول .. أن السيد / الرعد سينزل الى الارض ليزورها وانه سيحضر الى مدينة بار .. وقيل أن السيد / الرعد كان مسرورا ومبتهجا لان هذه هى أول مرة يزور فيها الارض .

واجتمع الناس وتكاثروا وتوافدوا على المدينة وامتلأت قاعة العرش الرحيبة بأفواجهم .. لكن لم يكن واحد منهم يستطيع أن يتعرف على السيد / الرعد فالملك وحده هو الذى يعرفه لذلك قدمه الملك الى شعبه .. فدخل الناس وتعجبوا لمنظر السيد/الرعد وحقا كان شكله غريبا وعجيبا .. فجسده ورجلاه مثل البشر ورأسه رأس طائر وله ذيل كلب .. وطلب الناس جميعا من السيد / الرعد أن يتكلم اليهم .

فوقف على منصة مرتفعة أمامهم وجلس خلفه الملك ووزراؤه .. وكم كان السيد / الرعد أنيقا ورشيقا وجميلا .. حتى ان الناس

لم ينبينوا ان كان رجلا أم امرأة من يقف امامهم يتكلم اليهم .. وبدأ حديثه فقال.. انه قد تأثر بشدة من الترحيب الكريم الذى لقيه من أهل الارض .. وطلب منهم أن يصغوا لكلامه واستطرد قائلا .. فى السماء يعيش ناس كثيرون .. وان كل الناس هناك رعودتماثله فى شكله وصورته وفىقوتهوجبروته أيضا .. وان المخلوقات جميعا – ما عدا الانسان – يمكنها ان ترى هذه الرعود .. لكن يحدث مرة فى كل مائة وخمسين جيلا أن يتاح للبشر أن يروا أحد هذه الرعودمثل مايحدث لكم اليوم معى .. وكل رعد له أجنحة .. « وبسط أجنحته لهم » وعيون وجسد وأرجل انسانية ورأس مثل رأس الطيور وذيل مثل ذيل الكلب كما تروننى.. فأنا رعد من هذه الرعود .. انه لصعب عليكم أن تدركوا ان كان الرعد الذى ترونه رجلا أم امرأة ولدا أم بنتا .. طفلا أمكبيرا .. فنحن وحدنا فقط دون سائر المخلوقات يمكننا أن نعرف ذلك .. فازداد عجبالناس واستمر فى حديثهقائلا .. « وأحياناتسمعون قصفا فى السماء يصم آذانكم وترون بريقا يخطف أبصاركم .. فماالذى يسببذلك ؟ »

انها التحية .. تحية احد الرعود حين يقابل رعدا من اصدقائه فى احد شوارع السماء ويسلم عليه .

واستطرد السيد / الرعد فى كلامه .. وأحيانا ترون شجرة أصابتها الصاعقة فاحترقت دون أن يشعل أحد فيها النار .. أو بيتا تحرقه الصاعقة وتدمره .. فمنالذى يفعل هذا ؟ .. انه الرعد .. لان هذه الشجرة لم تعد تستحق البقاء ولان صاحب البيت شرير أو ساحر أو لص .

وعند ما انتهى من حديثه وقف رجل يدعى آجورو وهو قاضى المدينة المحترم وسأله .. « أيها السيد / الرعد .. اعطنا الدليل .. آتنا بعمل نصدق به صحة كلامك .. هل يمكنك أن تحدث صوتا قاصفا أو بريقا يخطف البصر أو صاعقة محرقة .. حتى نستطيع أن نصدق ما تقول ؟.. » فنظر اليه السيد / الرعد وأجابه .. « نعم .. لكن عليكم أن تحضروا كمية كبيرة من العشب الجاف وأن تغطوا جسدى كله وحذار أن يلمسنى احدكم .. وطلب منهم الا يخافوا لان أحدا منهم لن يموت .

وقبل أن يجرى السيد / الرعد تجربته وقف آجورو مرة أخرى وسأله .. « فى أى جزء من جسدك تحتفظ بقوتك يا سيدى ؟. »

فأجاب الرعد قائلا .. « فى كل أنحاء جسدى وان من يلمسنى يأخذ قوتى » .. ففكر الرجل فى الحال ان يلمس السيد / الرعد ليلا حين ينام ويسرق قوته .

وعند ما انتهوا من تغطية الرعد تماما بالعشب الجاف وابتعدوا عنه قليلا .. أمرهم مليكهم بالسكوت ..

وبعد لحظات .. دوى فى المكان صوت رهيب وقعقعة مخيفة .. مما سبب اصابة بعض الناس بالصمم .. وخطف البرق ولمعانه الابصار فعميت بعض العيون .. وامتلأت البقعة بالدخان الكثيف .. واخذ الناس يصرخونويصيحون ويبكون ويتاوهونويرتعدون خوفا وفزعا والكل يردد .. « هذه آخر لحظات حياتنا » .. وبعد دقائق بدأتسحب الدخان تنقشعوابتدأ الناس يفيقونويرجعون الى صوابهم ، أما هؤلاء الذين اصابهمالعمى والصمم فلم يتغير حالهم .

وحين جاء المساء أخذوا الضيف لينام تحت شجرة كبيرة ضخمة .. لان كل الناس حتى الملك خافوا أن يستضيفوه فى بيوتهم لما قد يسببه من الدمار لصاحب البيت أثناء الليل .. ورحب السيد / الرعد بالنوم فى العراء .. وعند ما غفى وراح فى النوم .. تسلل آجورو قاضى المدينة واقترب منه ولمسه بيديه مرة واحدة .. وفى الصباح وجدوا السيد / الرعد ميتا وبجانبه آجورو الذى لمسه ميتا هو الآخر ورجلاه مرفوعتان الى أعلى ورأسه على الارض .

وعند ما جاء الملك ليزور ضيفه وآه ميتا فلم يكن أحد ليجرؤ على أن يخبره بما حدث ورأى آجورو أيضا بجانب السيد / الرعد وقد فارق الحياة ..

فارتاع الملك وفزع وأصابته صدمة .. وظل يصرخ ويولول ثم انحدرت الدموع من عينيه .. وتقدم فى مهابة ناحية الضيف الكبير ..

يصرخ .. يصرخ ويبكى حتى كاد أن يموت .. ثم وقف ونفخ بوقه الملكى المصنوع بدقة ومهارة ممتازة من قرون بعض الحيوان .. ذلك البوق الذى لا ينفخ فيه الا عند الخطر الاكيد والاحداث الكبيرة الهامة .. فجلجل صوت صفير البوق فى كل الانحاء .. ووقف الناس جميعا أمام مليكهم خاشعين ..

فتقدم الملك بخطوات وئيدة وصعد الى مكان مرتفع يستطيع منه أن يرى الناس كلهم وأن يروه .. وشمل المكان سكون مطبق .. وقال الملك بصوت عميق مؤثر .. « اننى لحزين .. وغضبان وأحس بالخجل والاسى لان واحدا منكم قتل ضيفنا الجليل فى الليلة الماضية تحت هذه الشجرة .. وقتل أيضا آجورو قاضى البلدة المبجل والذى نثق جميعا فى حكمته ومهارته .. ومن الغريب أنه وجد مقلوب الجسد رجلاه الى أعلى ورأسه الى أسفل .. لكن كيف قتلا .. لا يمكننى أن أعرف .. فلا توجد دماء على ملابسهما ولا أية آثار .. » وحين كان يتكلم انحدرت الدموع وملات وجنتيه وانهى حديثه منذرا .. « لو عرف أخوه السيد / الرعد أو أقاربه أنه قتل .. سنسحق وندمر كلنا جميعا .. ولن يبقى أحد منا .. وقد رأيتم شيئا من قوة وجبروت السيد / الرعد بمفرده فى الليلة الماضية .. وأنا أعتقد أن اللصوص هم الذين قتلوه .. » وصرخ .. « أنا لا أريد السرقة فى مملكتى .. » وأشار باصبعه محذرا .. « ومن يسرق يجب أن تحضروه الى .. وأقل عقاب سأفرضه هو الموت .. الموت .. اياكم أن تتستروا على لص .. حتى لو كان ابنكم أو أعزأصدقائكم وان عليكم جميعا أن تحتفظوا بالولاء والاخلاص لمليككم وأن لا تعصوا له أمرا .. اذهبوا الى بيوتكم رافقتكم السلامة .

وبعد هذا الحديث الذى ألقاه الملك بأسبوع اصطادت امرأة حشرة لذيذة الطعم لدرجة كبيرة اسمها » أوشينة » (١) ووضعتها المرأة فى « الـ آبينو » جرة من الفخار لها رقبة طويلة رفيعة وعلقتها بحبل رفيع فى السقف حتى لا تصل اليها الحشرات الضارة وذهبت المرأة لتعمل فى الحقل .. وتركت فى البيت ابنها الصغيروابنتها العرجاء الصغيرة فقال الولد للبنت « سآكل هذه الاوشينة » .. فردت عليه « لو أكلتها سأخبر أمى » فلم يهتم بها الولد وقال « لا يهمنى فأمى تحبنى ولن تسيىء الى .. لا تنسى أننى ابنها الوحيد » ..

وبعد أن شوى هذه الاوشينة وضع عليها كمية مناسبة من الملح وأكلها فى شهية بالغة وما ان انتهى من التهامها حتى قال لاخته .. « يا لروعة مذاقها انها أحلى من أى طعام أكلته فى حياتى .. وربما مرت خمسون عاما عليك قبل ان يمكنك الحصول على أوشينة مثلها لتأكليها بل ربما مت قبل أن تذوقيها .. لان هذه الحشرة تسقط مرة كل عشر سنوات أمام أحد البيوت .. ومن يدرى أين تقع فى المرة القادمة .. « هيلو » (١) . ثم خرج من البيت .

وحين عادت الام قبل الغروب دخلت لتستريح .. زحفت البنت العرجاء واقتربت منها وقالت .. « لقد أكلت أوشينتك » وانتبهت الام وسألت « ومن أكلها ؟.. » فأجابتها .. « ابنك هو الذى أكلها .. ومن تظنين غيره يفعل ذلك .. »

وفى الحال استدعى الولد من خارج البيت واستجوبته الام .. فاعترف لها أنه أكل الاوشينة. عندئذ نظرت اليه الام وأخذت تؤنبه وتعنفه وقالت له فى حزم .. « سآخذك الآن الى الملك وأتهمك بقتل السيد / الرعد وآجورو .. وسأخبره أنك سرقت أوشينة أمك نفسها وأكلتها .. وسأؤكد له أنك لص خطير » ..

فزع الولد فزعا شديدا وخاف لدرجة كبيرة ولم يدر ما يفعل .. وارتعد حين تذكر عقاب الموت الذى فرضه الملك على السارق .

وفى المساء قرر أن يهرب الى الغابة .. لذلك قام مبكرا فى الفجر وأخذ ثلاث حراب وسيفا كبيرا ولف حزامه حول وسطه وقوسا

---

(١) حشرة نادرة جدا ويفرح من تقع أمام بابه أو يلقاها .. وهى شبيهة بجرادة كبيرة ويحبها اهل أوغنده .

(١) صوت يقصد به الولد اغاظة أخته .

وسهاما وتنـــاول بوقه الذى يستخدمه حين يصطاد وشق طريقه الى الغابة ..

وفى الصباح لم تره أمه فى البيت فذهبت الى كوخ الاولاد فلم تجده هناك أيضا .. فظنت الام أن ابنها مات فى الليل .. لكن أين مات ؟.. هذا ما لا يعرفه أحد .. وقالت لنفسها .. وبما خافت حين قلت له سأتهمك عنـــد الملك .. أيكون ذلك سبب موته .. يا للمصيبة .. لقد كنت أخيفه فقط لاعطيه درسا حتى لا يسرق مرة ثانية .. وشرعت تبكى ابنها وتقول لنفسها .. لقد ظن الولد الامر حقيقيا وخطيرا ومات لهذا السبب .. هل من المعقول ان تتهم أم ابنها ؟ ان هذا لم يحدث منذ بدء الخليقـــة .. « اودوه » عويل أفريقى) ابنى الوحيد .. مات .. مات .

أما هذا الابن فقد عاش فى الغابة محبوبا من الطيور ومكروها لدرجة كبيرة من باقى الحيوانات لانه اعتاد أن يقتل منها عددا كبيرا .. أما الطيور فقد صارت تغنى له أغنيـات جميلة لطيفة لتسلى وحدته وتواسيه وتبعث بالبهجة الى نفسه الحزينة .. ولم يكن يقتل هذا العـــدد الكبير من الحيوانات من أجل طعـــامه فقط بل لانه أراد أن يجفف ويدخن لحوما كثيرة ملأ بها حقائب جلدية صنعها من جلود بعض الحيوانات التى اصطادها .. ذلك ليدفعها ثمنا لامه نظير تلك الاوشينة التى أكلها ولتسامحه وتعفى عنه .

ولم يكن يجمع اللحوم وحدها بل جمـــع أيضا جلود الحيوانات الجميلة ذات الالوان الزاهية المختلفة وظل يعمل تمر به الايام والشهور والسنون ..

وبعد سنوات عشر انقضت فى عمل مرهق مستمر .. أنجز الشاب العمل .. فنـــادى « آتوورو » ملك الطيور .. فجاء اليه .. فطلب منه أن يذهب ويخبر أمه أن تأتى اليه ومعهـــا الناس ليأخذوا هذه اللحوم المجففة وتلك الجـــلود الى بيتهم .. فسأله ملك الطيور .. « وكيف يمكننى أن أجد بيتك ؟ »

قال الشـاب « طر ناحية الشرق ثلاثة أيام فان رأيت بيتا محاطا بسور من الشوك وتظلله أشجار الموز .. قف هناك وغن أغنية حلوة .. عندئذ سيأتون اليك فأمى تحب الشـــدو الجميل .. » فوافق ملك الطيور .. وكتب الشـــاب على ذيل الطائر الابيض .. تعالى وخذى اللحوم والجلود .. ابنك الذى ما زال حيا .. واستخدم دمه بدلا من المداد .. وسأل ملك الطيور أن يتيح لامه أن تقرأ هذه السطور .

فاتخذ الطائر الملك طريقه فى سرعة العاصفة ووصل الى البيت .. وتهقه من قول الشاب « طر ناحية الشرق ثلاثة أيام » ..

وفى صبيحة اليوم التـــالى .. جاء ملك الطيور وأخذ يصدح بنفس الاغنية الجميلة .. وكانت الام داخل البيت فما أن سمعت شـــدو الطائر وفهمت كلام الاغنية حتى اندفعت خارجة .. فى لهفة وفرح .. فابتسم لها ملك الطيور وأخذ يحدثها عن ابنها وأخباره وأراها ما كتبه ابنها على ذيله الابيض .. فأسرعت الام ونادت جيرانها تلتمس مساعداتهم .. فوافقوا جميعا وصحبوها الى الغابة ليحملوا الكميات الكبيرة من اللحوم والجلود الى البيت .. وأخذوا يشقون طريقهم فى الغابة يقودهم آتوورو وهو يطير على ارتفاع منخفض وببطء ليمكنهم أن يتابعوه ..

وبعد سبعة أيام قابلوا الشـــاب وحوله أكوام من اللحوم المقـــددة والجلود الثمينة الفـــاخرة .. فحملوها الى بيته .. ونال الشاب العفو التام والتسامح المطلق لما بدر منه منذ مدة طويلة .

هذه الحكاية ترشـــدنا وتدعونا أن نرحب بضيوفنا .. سواء كانوا ملائكة أم أناســـا عاديين وأن نسمح لهم بالعـــودة سالمين الى ديارهم والا نكون قد أوجدنا سببا للحروب والشر والعدواة والكراهية .. انهـــا حكمة افريقية ..

والحكاية تنفرنا من السرقة فالمثل الافريقى يقول .. من سرق ابرة دفع ثمنها بقرة .. فبسبب حشرة صـــغيرة ضئيلة اضطر الولد أن يعمل عشر سنوات كاملة .

الحب المستحيل

بقلم كريستين جارنييه

تلخيص : سمير وهبى

ـ ٢ ـ

كان صوته جادا الى درجة أن انتشلها من « الصخب العام » وردت عليه فى حزم :

ـ ولكن أيها السيد . ما معنى سؤالك ؟

ـ لا شىء مطلقا . ان أى رجل عاقل فى داكار ، له الحق فى توجيه مثل هذا السؤال اليك ؟ ماذا تفعلين مع هؤلاء السود ؟

وصعد الدم فى وجنتيها . ثم تركته ومشت بسرعة كأنهـا تجرى ووضعت يدها فى يد تييرنو كانت تريد أن تلقى بنفسها فى أحضانه . وقال لها : « هل قابلت أحدا من معارفك ؟ واستجمعت شجاعتها وقالت لا قابلت شخصا حسبنى صديقة له . والان أشعر بتعب بالغ . فهلا عدنا الى المنزل .

واتخذت مكانها عنـد عجلة القيادة . وقادت السيارة فى هذا المساء وفى كل مساء عندما كانا يذهبـان الى الشجرة . الى « شجرتهما » الوارقة الظلال . كانت هى تقود سيارتها المرسيدس الحمراء .. ولم تكن تسمح لاحد أن يمسها ، حتى ولا زوجها تييرنو .. ومنذ اليوم الاول شعرت بأن هذا الامر لا يطيب لتييرنو . ولكنها لم تهتم مطلقا . وفى تلك الليلة قادت سيارتها بسرعة جنوبية لتصل الى داكار .. كان رأسها ساخنا وعقلها يفكر .. ونظرت الى المرآة ووجدت نفسها جميلة ومغرية

وذهبت تلم منـديلها الجـديد من سلة المهملات ، نفس المنديل الجديد الذى أهدته الى خادمة الزوجة الثانية لايبا .. ولم تكن هذه المرة الاولى التى ترفض فيها هداياها .

وأطلقت آوا زفيرا حادا . لقد حققت كبرياء نفسها وتزوجت بعد تييرنو ولكنها الان تدفع الثمن غاليا لهذه الورطة . كانت هناك أولا فضيحة كبيرة ليلة الزواج ! بعـد الزواج الدينى فى المسجد ذهب الجميع لحضور حفلة العشاء التى أقامها أيبـا لنحو مائة من معارفه . فى منزله ، حيث أكلوا الخراف المشوية ووجدت آوا نفسها وحيدة بين أربعة جدران وهى تنتظر أيبا على سريره الكبير . واستولى الخوف على قلبها ، وحدثت نفسها

واستولى الخوف على قلبها ، وحدثت نفسها:

ـ الان ، من لحظة الى أخرى ، سوف يأتى وينزع عنى الرداء ، ثم يطرحنى على السرير فى وحشية . أنه دفع الثمن وأصبحت له كل الحقوق مباحة !

كان هناك بعض المدعوين لم ينصرفوا بعد .. وتصاعدت اليها أصـوات الطبول وهى تقرع لطمطم Tamtam وشعرت بأن الجدران

حولها تقترب وتقترب حتى كادت تختنق . وخفق قلبها بشدة وهى فى سجنها وقامت وفتحت النافذة وأطلت منها ثم أزاحت الستائر وقفزت الى الشارع وهربت وهى حافية القدمين .. وذهبت تعدو الى منزل جدتها الطيبة .. ولما عرف المدعوون بالفضيحة عادوا يرشون الارض بمساحيق تطرد الشياطين وأفرغوا عدة زجاجات سحرية . واجتمعت حشود الناس حول المنزل . كانوا يقولون « ان البيض سحروها . لانها تعلمت فى مدارسهم . انها تقلدهم فى كل شيء ، حتى فى ملابسهم » .

وظلت حبيسة فى منزلها لمدة ثلاثة أيام وزارت طبيبا أوربيا يهتم بالطب النفسى ونصحها بالراحة التامة . وذهبت وحدها الى الجزيرة الموجودة فى وسط النهر . وهناك أدركت ، وهى فى وحدتها « كل الاسباب التى تفصلها عن بنات جنسها اللاتى يسرفن فى أغلال التقاليد وهن لا يثقن فى التطور الذى سلكته هى :

ــ انى أخاف من البيض وأخاف من السود أيضا . . أخاف من الحياة وأخاف من الموت . وأخاف من المستقبل وأخاف من نفسى .

وبعد صراع عنيف مع نفسها عادت الى ايبا تستغفره ، فأظهر عفوه بأن أمر برش الرمال البيضاء على عتبة المنزل ، علامة الغفران ، ثم قال لها فى خيلاء وانتصار :

ــ لقد قلت لك . تذكرى أن لا شيء يمنع الاسد من أن يرد الماء حيث يشاء ! .

وفى حركة حيوانية انتزع ملابسها .. وأسبلت آوا عينيها فى عصبية وتشنجت أعضاؤها . وأصبحت رئيسة جمعية تحرير المرأة مثل بقية زوجات القصر وأصبحت الزوجة الرابعة لايبا .

أما الزوجات الثلاث : فماطو ، خادى ، فاطمة فقد كرهنها ، لانها الجديدة التى يشتهيها سيد المنزل . وحاولت آوا أن تكون لطيفة معهن ، ووزعت عليهن الهدايا . ولكنهن رمينها فى سلة المهملات ، علامة عدم القبول .

كانت زوجات أيبا متفرقات قبل حضور الجديدة ، فجمع الحقد بينهن وهذا أمر لا تستغربه آوا . ألم تحارب طويلا تعدد الزوجات . كانت تعلم أنه الجحيم بعينيه وفكرت طويلا وقالت لنفسها :

ــ نحن هنا أربع فتيات فى سن متقاربة ونعيش معا حياة واحدة لنتقاسم رجلا نتراشق عليه . وبالرغم من عدم وسامته فان أيبا مدلل منا جميعا انها مسألة كبرياء .. وليلة بعد ليلة ، تحاول كل واحدة أن تحصل عليه دون سواها .. تحاول أن تجتذبه الى نفسها حتى لا يجد السلام مع واحدة أخرى ! ياله من استعباد ..

كانت خادى ، الزوجة الثانية ، قد قررت أن توشم شفتيها لكى تنال الحظوة عند ايبا . وكانت عملية الوشم صعبة ومؤلمة للغاية وقالت لها آوا :

ــ هذا جنون .. الشفاة الموشومة لن تمسك رجلا يريد الهجر .. وألم المرأة لا يثير عاشقا سئمها ..

واجتمع كل سكان المنزل والخدم لمشاهدة العملية القاسية التى تمت فى ساحة المنزل حيث نصبت منصة عالية فرشت بالسجاد الابيض ونظرت آوا من غرفتها وشاهدت المنظر المثير ولم تصدق أنها هى آوا نفسها السكرتيرة السابقة بشركة داكار ــ نيجر . ورئيسة جمعية تحرر النساء سابقا بأنها هى نفسها التى تشاهد الان فظائع عصر زائل .

وقامت آوا وأمسكت بطفل الزوجة الاولى وتركت أصابعها تنساب فى شعره الاكرت . كانت تحاول أن تحب أولاد زوجها ، خصوصا وان ابنتها ديانا سافرت الى فرنسا لتلتحق بمدرسة فى مونبلييه . وفجأة انفجر غضبها . كان غضبها على تيبرنو لانه هو المسئول عن زواجها السخيف الذى قررته فى لحظة ضلال وجهل .

وقامت فزعة وقد لمعت عيناها بحقد مرير . وقالت تحدث نفسها :

ــ وأنت ياتيبيرنو . هل أنت سعيد مع زوجتك البيضاء .. تمتع بها ما استطعت ،

لان السادة لن تستمر .. سيـــأتى دورك قريبا وتحل عليك اللعنة !

نظرت أيرين الى صورتها فى المرآة : قدمان حافيتان ، وملاءة حول وسطها .. وصاحت فى غضب تحدث نفسها : ماذا ؟ لقد اعتدت بالتدريج على طباع الزنوج .. وسوف أصبح تماما مثلهم !

والان أصبح الجميع لا يخرجون الا «أزواج دمينو » ، أى رجل أسود ومعه فتاة بيضاء .. ولكن هؤلاء السيدات يضعفن ايمانها .. انهن اخترن افريقيا ولكنهن يفكرن دائما فى أوربا ويتحدثن دائما عن الرحلات على شاطىء المـارن وســـــهرات سان جرمان دى بريه والسفر الى سويسرا .

وحتى هى أصبحت تفكر فى بلجيكا . أصبحت تفكر فى والدها الغاضب وفى قريتها التى نشأت فيها ، خصوصا بعد أن بدأ شهر رمضان وأصبح تيرنو بعيــدا عنهــا بعض الشىء .

ان أباها لم يكتب اليهـــا كما أنذرها ، وخطابات صديقاتها تافهة ، باردة وقصيرة . أما هى فهى تريد أن تعرف الكثير من التفاصيل تريد أن تعرف كل شىء .. وكانت النتيجة أنه لم يبق لها فى المدينة الكبيرة التى شلها الصوم سوى أن تحلم . لقد حذرها تيرنو بقوله :

ـ سوف يبدأ رمضان قريبا .. انه شهر انقطاع .. لا لهو فيه ولا ملذات !

وفى الصباح .. ذهبت الى مكان الفيلا التى يبنيانها فى ضاحية فون ، خارج داكار ، والتى ساعدت هى فى وضع رسومها . هنا على الاقل سوف يعرفان الالفة التى يفتقدانها فى العمارة الشاهقة .. ولكن اعمال البناء كادت ان تتوقف بسبب شهر الصيام . ولم يبق لها سوى شاطىء البحر . فذهبت اليه فى فترة بعد الظهر .. لانها اعتادت أن تلتقى هناك بمارك ـ وهو ضابط فى رتبة العقيـــد ، من البيض الذين استمروا على علاقتهم بها بعد الزواج . وانتهت من زيارتها للشاطىء ـ وأسرعت بالرجوع الى المنزل وعن لها أن تسلك الطريق الذى يمر بالجامع وشاهدت فى فناء الجامع مئات يصلون . ورأت أطفالا عديدين منحنين على الكتب وهم يقرأون القرآن .. ثم أبصرت بالجميع وهم يسجدون حتى لامست جباههم الارض من فرط الخشوع .. وأصابها ذعر ، أن تيرنو ضائع بين هذه الجموع .. تائه بين هذا المجموع الضخم ، بين هذا البحر من الظهور المنحنية المقوسة ! وهذا الجمهور فى ســـــكونه هادر مخيف ، يملأ قلبها بالعداوة والخوف .

وفجأة جرت لاهثة الى منزلها . وعندما وصل تيرنو ، كانت تتناول طعاما خفيفا . وقال لها :

ـ اكملى طعامك يا عزيزتى ولا تشغلى بالك بى ! وذهب ، كما اعتاد فى الايام العشرة الماضية ليرتاح على المقعد الكبير ذى المساند :

وتربع فى جلسته . ونظرت اليه ايرين . وابعدت طبقها ، لانه من البغيض أن تأكل الموز أمام تيرنو الذى يتلوى من الجوع . ثم قامت واقتربت منه : انه وسيم فى جلسته .. انه كالفهد الجميل . واشتهت أن تقضم فاه بأسنانها وتقول له : تعال ! ولكن لن يمكنها أن تجره الى الغرفة ، لانه انذرها منذ بدء شهر الصوم : « لا حب فى النهار طول شهر رمضان ! كانت تحس برغبة جادة فى التحدث الى شخص يفهمها ! ومنذ بدأ هذا الشهر وهى تشعر بأنها مطرودة من حياة تيرنو .. ولكن هنــاك على الشاطىء يوجـد مارك ، صديقها وكاتم أسرارها ، قالت له :

ـ انى أرى تيرنو متغيرا فى هذه الايام . لم يعد الرجل الذى عرفته .. أصبح سريع الغضب ، ميالا الى السيطرة المطلقة . انه يغار من المـاضى وأصبح يطلب منى الايضاحات الكثيرة .. يريد أن يعرف الاسماء والتواريخ والتفاصيل بدقة متناهية .. انى ألمس عنفه فى طريقة سحقه بكعب حذائه للسيجارة التى أكون قد أشعلتها منذ ثوان ويصرخ فى وجهى : « انى أمنعك من التدخين !. لقد تعودت منذ سنوات طويلة أن أقرأ شيئا وأنا فى السرير قبل أن أنام ليلا .. لكن تيرنو ينزع الكتاب منى ويرميه بعيدا فى عنف كمن يغار منه ..

اتجرؤين على القراءة وانت بجانبى .. ألم أعد أعجبك ؟ ألا تعرفين أن القراءة فى السرير تقتل الحب ؟

واستمع اليها مارك بأذن صاغية .. وفى بطء أمسك بذراع ايرين وقال :

ــ ألم أقل لك هذا قبل الان .. انى احبك يا ايرين .. أنت لا تصلحين للحياة هنا .. واذا شئت . فأنا على استعداد لان اخلف الزنجى !

وقفزت ايرين من الالم والصدمة : ولكن يا مارك ، أحب تيبرنو . وأنت تعلم ذلك !

وانتهى شهر الصيام ومر اسبوعان على عيد الفطر . وتذكرت آوا يوم العيد وقلبها مثقل بشعور الذنب ، ذلك لانه اليوم الذى التقت فيه بتيبرنو ! هناك فى « المدينة » ، يتزاور الناس فى يوم العيد . والتقت به عينا بيبرنو على وجه آوا التى ظلت ساكنة عند واحدة من صديقات الاثنين .. وتسمرت وقال لها برفق : « كم أنت فاتنة !! »

ورفعت رأسها الجميل فى تحد : ان زوجتك البيضاء قد حققت المعجزات وجعلتك أخيرا مهذبا ، تنطق بعبارات المجاملة .. جعلتك تجيد الكلام !

ــ اليوم عيد الفطر .. لننس احقادنا .. هل أنت سعيدة مع ايبا ؟

ــ ان اللبؤة تطيع مروضها .. ولكن هذا لا يعنى أنها سعيدة بحبه !

وفى الخارج كانت الطبول تقرع فى سرعة تتزايد حتى لم يعد الكلام مسموعا ، وخفضا صوتهما حتى صار كالهمس . وبالتدريج بدأ تيبرنو يبوح بأسراره :

ــ ان ايرين رائعة ! ولكنى الاحظ عندما نكون بمفردنا أشياء كثيرة تصدمنى . انها تعتبر نفسها مساوية لى .. هل تفهمين ؟ بل أكثر من ذلك .. انها تقود دائما السيارة .. وهى التى تدفع الحساب عندما نذهب الى المطعم أو السينما .. انها تقرر أشياء كثيرة وتبت فيها ، وشعرت بحريتها، خصوصا فى شهر رمضان ، لانها تعودت أن تخرج بدون استئذان .. أليس عجيبا ان شهر الصيام هو الذى أفسد العلاقة بينى وبينها وفى الحقيقة ، أن الافريقيين لا يصلحون الا للافريقيات .. ان الزوجة الافريقية بخضوعها ولو كان مصطنعا ، هى التى تضفى علينا الثقة بأنفسنا .. هى التى تجلب لنا الامن والسلام .. ؟

وشعرت آوا بفيض من السعادة الطاغية يملأ قلبها .. انها ترى تيبرنو المتكبر ينهار أمامها ويعترف لها فى لحظة من لحظات الضعف بخيبة آماله .. ثم تركها وهو يقول لها :

ــ « كم أريد أن أحدثك طويلا فى يوم من الايام ! »

وتركته وهى تقول له : « ان عندك ايرين .. ولا داعى أن تعبث فى جرح بدأ فى الاندمال ثم انى لم أتعود أن أتغذى بفضلات الغير ! »

لقد قالت آوا .. لا ، ولكنها ذهبت الى حانوت صديقتها « خرجاتون » التى تبيع الازهار . وهى زميلة لها فى جمعية تحرير المرأة .. وذهبت آوا الى هناك لكى تقابل تيبرنو .. سبق لها أن قالت لا . ثم غيرت رأيها وقبلت أن تلقاه عندما تصادف ورأته فى « المدينة » التى أصبح يزورها أكثر من ذى قبل ! لقد قال لها مرة فى احدى مقابلاته: كثيرا ما أصحو فى الصباح وصورتك فى ذهنى !

وها هو الان أمامها بجسمه ودمه . وأصبحت تتشبث به كالغريق الذى يمسك بالثمام .. ولكنها تصحو الى نفسها وتقوم ثائرة .. كل هذه المخاطرات اتحملها من أجل هذا الرجل غير المكترث .. الانانى الجميل .. وتلاحظ فجأة ان سياج الصاج الذى يحيط بالمكان به ثقوب كثيرة .. وانه يمكن للمارة أن يشاهدوا من بالداخل .. ومن يدرى ، ربما عرف أيبا باجتماعهما ، وأصابها الفزع ، وخرجت من الحانوت وهى تجرى فى ظلام الليل !

ظلت ايرين مشدوهة أمام الأشياءالمكسورة والملقاة تحت قدميها الناعمتين . هذه الاقنعة التى يعتز بها تيبرنو .. كلها مهشمة على

الارض ! تذكرت فجأة أول أحاديثه عندما كان فى بلجيكا .. « ان عندى فى افريقيا أقنعة كثيرة .. لم أود أن أريها لك » ! ولكن كيف انتهى الامر الى هذا الخراب ؟

بدأ كل شيء فى شهر رمضان .. علم تيبرنو بالمنزهات البريئة على الشاطىء بصحبة مارك. بينما كان منقطعا للصيام والعبادة . وأراد أن يمنعها ولكنها تمردت . ثم هاج وهددها ولكنها رغم ذلك ذهبت الى الشاطىء وقابلت مارك الذى عرض عليها ان تفر معه .. ولكنها رفضت :

ـ انى أحب تيبرنو بالرغم من كل شيء .. انى لا اريد ترك الرجل الذى ضحيت من أجله بكل شيء .!

وترك مارك داكار حتى لا يكون عقبة أمام سعادتها . وهكذا انصرف آخر صديق لها . آخر شخص يمكنها أن تحـــدثه فى شئونها الخاصة . وظلت وحدها مع تيبرنو الذى اعتذر لها : « كنت مجنونا يا حبيبتى . لانى مجنون بك . ولكن اذا حدث وبدرت منى أية بادرة .. قولى لى كلمة لطيفة .. وحدثينى بلطف ومررى أصابعك فى شعرى .. سأفهم عندئذ وأهدأ .

وعاد تيبرنو المكروه المعبود ، طفلا صغيرا بين يديها .

وقالت ايرين : ولكن احترس ... انك أصبحت سريع التهيج .. لقد احببتكلاتزانك ولكن الان !

وقام تيبرنو واحتضن ايرين فى لهفة وقال : اريد ان اعتذر لك .. أحيانا يا حبيبتى افقد شعورى بدون أن أدرى . وأعتقد بأنى لست الحالة الوحيدة . انها حالة عامة هنا ، لان جميعنا هنا فى أفريقيا فقدنا الاتزان أقصد رجال الجيل الذى نشأت فيه .. وجدنا أنفسنا فجأة أمام مسئوليات ضخمة .. وقد نلنا استقلالنا الذى لم نتهاون لحظة فى طلبه بعنف . وها هو الان فى أيدينا .. ولكنا قلقون خائفون .. ضائعون .. وكل أعمالنا تتأثر بهذا الانهيار .

وتصالح الاثنان وذهبـــا للعشاء فى أرقى مطعم . ثم بعد ذلك قضــــيا السهرة فى السينما . وبعد عودتهما تمددت على كنبـة بالقرب من النافذة .. وظلت تتصفح عدد الاسبوع المــاضى من جريدة «بلجيكا الحرة» بينما ذهب تيبرنو الى المطبخ لتجهيز شراب خفيف واقترب منها حاملا الكؤوس الملونة المليئة « بالشويبس » وقبل أن يتكلم ، كانت ايرين تعلم أن الغضب ينمو فيه :

ـ أتقرأين جريدة بلجيكية ؟ أنت تأسفين على ترك بلادك . لمــاذا لا تعودين ما دامت لك هذه الرغبة .!

ـ احذر .. أنت بدأت فى الغضب !

وأنذرته كما سبق أن طلب منهـــا ومرت بأصابعها على عنقه .. وقبل ان تصل اناملها الى شعره الاكرت ، أبعد يدها فى وحشية :

ـ أتركينى .. لم أعد بالنسبة اليك ذا أهمية .. عودى الى بلادك والى حياتك هناك بدون مشاكل .. هناك سوف يهنئونك لانك تركت افريقيا .

وشعرت ايرين برأسها يسخن حتى يكاد ينفجر : معك حق . غدا صباحا سوف أرحل الى بلجيكا .. أحجز تذكرة الى بلجيكا .. وبمجرد وصولى سوف أطلب الطلاق ..

ـ الطلاق ؟

وتقدم نحوها وقد فقد عقله عندما سمع كلمة طلاق . وظل يحرك يديه فى عنف ، ولكن فى بطء حتى ظنت ايرين ، التى ظلت تنظر اليه فى تحد .. انه لن يجرؤ أن يضربها . وقالت لنفسها : انه سوف يقف امامى !

ولكنه لم يقف ومد يده نحوها وامتدت يداه عليها يضربها على وجهها بعنف وسمعته: يقول : واذا قتلتك الان ؟

وفزعت ايرين .. وعلمت فى هذه اللحظة انه يستطيع فعلا أن يقضى عليها . وصاحت فى وجهه :

انى أكرهك .. أكرهك أيها القذر .. أيها الغادر ..

وذهل تيبرنو .. وهجم عليها يحاول أن يطوق عنقها بيديه ولكنها استطاعت أن تهرب منه .. ثم بحثت عن شيء تدافع به عن نفسها .. وفجأة قفزت نحو الاقنعة المعلقة ونزعت أولها .. قناع الكامرون المغطى بجلد

الوعل .. ورمته بقوة على تييرنو .. وأحنى الرجل رأسه ولم يصبه القناع الذى وقع على الارض وتحطم .. وفى حركة سريعة ، أخذت القناع الثانى ورمت به على مائدة الاكل :

ــ « انت تريد الشر ..

ثم جرى نحو الاقنعة ورفعها من مكانها ثم رماها على الارض ــ وحطمها كلها ! وتناثرت على الارض أمامها أقنعة الحرب والرقص والصيد والقرابين والموتى ..

ووضع تييرنو رأسه بين يديه .. ثم مسح وجهه كمن يصحو من كابوس مؤلم .. ورمى نظرة حادة على ايرين .. ثم اتجه الى الباب، ولكنه لم ينتظر المصعد ونزل مندفعا على السلم .

وجاء عيد الاضحى الذى يسمونه هناك « عيد التابسكى » وفى فناء المنزل ، شاهدت آوا أربعة خراف اشتراها ابيا لذبحها ، واحد لكل زوجة من زوجاته ، ولكن واحدا من الخراف كسر وتده وفر الى الشارع المزدحم بالناس .. واطلق ابيا ساقيه يجرى وراء الخروف الفار .. ولكنه ثقيل فى حركته بملابسه الزاهية وجلبابه المحلى بالنقوش الذهبية .. وسرعان ما توقفت عينا آوا على شاب أفريقى طويل القامة .. كان قد امسك بالخروف وأتى به ، والى جانبه وقفت سيدة بيضاء ،شعرها احمر . واقترب ابيا من السيدة الجميلة وقال :

ــ يا سيدتى .. ان اسمى ابيا .. وأنا أكبر تاجر للاقمشة فى المدينة وأنا أعرفك ، لانك أتيت الى دكانى منذ بضعة شهور واشتريت منى عدة أردية فهل لك أن تقبلى دعوتى اليوم لحضور الاحتفال بعيد الضحية .

ــ لا .. اننا نأسف ، لاننا مشغولون الليلة .

ولكن ايرين امسكت بيديه وقالت : لم لا يا عزيزى . لا شىء يشغلنا كم أود ان نحضر هذا الاحتفال بعيد التابسكى !

منذ يوم الاقنعة .. كما أطلقا عليه ، عاش تييرنو وايرين فى جمود تام . كان كل واحد منهما يحاول ان يتحمل الاخر . ولا يأخذ على نفسه تبعة قطع الخيط الرفيع الذى مازال يصل بينهما .

رد تييرنو : لا بأس .. لنذهب .. ولكن الوقت قصير .

وتقدم أبيا المدعوين . واجتاز بسرعةساحة المنزل .. وعند الشجرة الكبيرة انتظرته زوجاته الاربع .. وقدم أولا الزوجات الثلاث أما الرابعة فظلت صامتة تنظر الى ايرين فى حدة وكراهية .. ثم تقدم ابيا نحوها وقال :

ــ هذه هى زوجتى الاخيرة .. انهاتتحدث الفرنسية وتقرأ الكتب . واسمها آوا .

ومدت ايرين يدها تصافحها .. ولكن آوا لم تمسك باليد .. وانما تراجعت وقالت تجيبها بلغة « الاولوف » :

ــ هل عندك سلام ؟

واندهشت ايرين وهى تسأل : السلام ؟

وردد تييرنو : نعم السلام فقط !

ونظرت ايرين الى الاثنين نظرة تعجب وتساءلت : ترى لماذا ينظران الى بعضهما هذه النظرات غير المستساغة ؟ ما نوع العلاقات بين تييرنو وبين زوجة هذا التاجر السمين ؟

وسرعان ما اجتذب عينيها منظر ابيا والسكين فى يده . وهو ينحنى على أحد الخراف !

وبهرها بريق السكين اللامع وانفجر الدم يندفع من الذبيحة .

ثم آمسكت بيد تييرنو وقالت : تعال نخرج. ولكن تييرنو ظل صامتا وجعل يطيل النظر الى فاتو وخادى زوجتى ابيا الاوليين وكانت أوا تنظر الى المرأتين وقد تغيرت سحنتها . واقتربت المرأتان من ابيا الضخم وظلتا تهمسان فى أذنه :

قالت فاتو : أن زوجتك التى تعطيها أفخم الثياب .. زوجتك الاخيرة التى تفضلها علينا .. لا تفكر الا فيه .. أنه يشغل بالها منذ اليوم الاول .. أنه الرجل الذى أتيت به هنا ومعه السيدة البيضاء .

وقالت خادى : أنها تحب بيرنو ..زوجتك تقابل تييرنو فى حانوت خارجا تون بائعة الزهور .. الكل هنا فى « المدينة » يعرف الا أنت أيها الاسد الأعمى !

وثار ايبا ، وأبعد المراتين بقبضة يديه ، ونزع السكين التى غرسها منــذ لحظة فى شجرة الجميز وقام بضرب تييرنو .. وتعارك الاثنان ونجح تييرنو فى نزع الســكين من يد التاجر الضخم ، وتبين للحاضرين أن تييرنو لم يكن راغبا فى القتال . كان يهدىء غريمــه ويقول له :

عــد الى صوابك .. أيها الرجل !

ولكن أيبا اهتاج أكثر من قبل بسـبب هذا الهدوء العجيب . وهجم على تييرنو وأحاط عنقه بيديهالضخمتينوقد برزت من أصابعهما الخواتم الفضية .

وصاحته ايرين : تييرنو !

أما أوا فلم يصدرمنها أى صوت . وعندما رأت تييرنو راكعا على ركبتيه وايبا ينحنى عليه . قامت وأخذت السكين واندفعت نحو زوجها تطعنه فى ظهره واندفع الدم غزيرا من الجرح .. وغرست أوا السكين مرة ثانية ثم مرة ثالثة . حقا انها أرادت أن تنقــــذ تييرنو .. ولكن بقتل ايبا .. وهى بهــذا الفعل كانت تريد الانتصار عليه وتحطم فيه الغطرسة والكبرياء . .

وانهار حب ايرين لزوجها .. وعاد الاثنان فى صمت الى الحى الأوروبى وهما مشدوهان بعد هذا الكابوس المخيف .

وقال تييرنو فى حنان : لقد بذلنا كل جهدنا لنعيش سعداء واستمر حبنا لبعض .. ورغم كل هذا كان الواحد منا ينسف الآخر .. فى كل يوم .. أهذا سببه أن لونى أسود وأنت بيضاء ؟ هل سببه هذا البلد الذى تشعرين فيه بأنك أجنبية ؟ أهو الطقس الذى ينهك قواك ؟ هل تخجلين من عائلتى ؟ هل هى لغتنا التى تجهلينها وعاداتنا وطباعنا ..

هل هو الدين ؟ فى داكار .. وفى لحظــة ضياع ذهبت أنت الى مارك بينما ذهبت أنا الى أوا .. وحاولت معها أن أجد بلدى من جديد .. ذلك البلد الذىابتعد عنى بسببك أنت ! وها نحن الآن معا .. ولــكن الى أين وصلنا ؟

ووصل الى عتبة العمارة الشاهقة حيث توجد الشقة التى حاولا أن يعيشا فيهـا حبهما المستحيل .. وشعرت ايرين بأنهـا متعبة .. وانها لاتريد الكفاح من جديد .. كانت تريد أن تنام .. وأن تنسى ..

وشعرت بحاجتها الى البكاء .. سوف تسافر الليلة بالطائرة لتعود الى أهلها .. ونظرت الى السيارة المرسيدس الحمراء وهى مركونة بالقرب من شجرة الجميز . وقالت.

ـ ياتييرنو .. أنى مازلت أعتقد أن مصيرنا مشترك .. فى هذا المجتمع الجديد .. وربما تقابلنا مرة ثانية .. فى يوم من الايام ان خطيئتنا أننا نعيش اليوم فى فترة انتقال ..

وسالت دموعها .. وفتحت حقيبتهـا وأخذت مفتاح السيارة وقرب تييرنو ايرين من كتفيه .. ولكنها أفلتت منه .. وقالت فى حنان :

ـ يا حبيبى .. أريد منــك أن تحتفظ بالسيارة .. وكان هذا الامر يسوؤك ..

ثم مــدت يدها بالمفــاتيح وقالت فى حــزن

ـ والآن .. ياتييرنو .. ستقود أنت !

كتاب الشهر

الديانات والعقائد الافريقية

بقلم وليم لهانزبيرى

عرض وتقديم العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم

١ ـ نطاق البحث :

الديانات والعقائد من بحوث الانثروبولوجيا الاجتماعية لا فى المجتمعات البدائية فحسب ، بل حتى فى المجتمعات المتحضرة الواعية التى ينصرف أهلوها ـ انصرافا يشغلهم عن كل شىء ـ الى الماديات بدلا من الروحانيات ، والى العلوم والمعارف بما فيها من نتائج واختبارات ملموسة محسوسة دون جهد لتقبل أشياء كما هى ، على ما جاءت عبر القرون من تعاليم الدين أو العقيدة .

والحديث عن الديانات والعقائد جزء من الدراسة الثافية للمجتمع ، والطابع الثقافى لكل مجتمع يقاس على أساس العقائد وتعاليم الدين ومدى تأثر هذا بالتقاليد القديمة وبالخرافات والاساطير والسحر وما شابه هذا .

ولا يمكن دراسة المجتمعات الافريقية فى تطورها عبر القرون دون دراسة الديانات والعقائد لان هذه فى الواقع الدعامات الرئيسية للمجتمعات ، ولانها كانت ولا تزال الى حد بعيد القوى الدافعة وراء الكثير من اتجاهات الناس فى كثير من المسائل العامة .

والدين المقارن من أهم الدراسات فى دنيا اليوم ، والمؤلفات فى الحديث عن المعتقدات والديانات كثيرة حتى أنها قد تتجاوز من الناحية العددية الكثير مما كتب من بعض العلوم الهامة .

لهذا لم يكن بدعا أن يكتب الاستاذ الدكتور وليم ليو هانزبيرى بحثا طريفا فى كتيب عن الديانات الافريقية ، **الديانات التى لا يشارك الافريقيين أحد من خارج القارة فيها ومعنى هذا انه استبعد الحديث عن الاسلام والمسيحية واليهودية .**

٢ ـ الافريقيون والأسئلة المحيرة حول الخلق والحياة :

ولقد بحث الناس الذين أوتوا حظا من القدرة على التفكير .. وتوافرت لهم قدرة على المناقشة والجدل .. بحثوا منذ أقدم العصور هذه المعتقدات الدينية وما يدور حولها ما فى هذا من شك ، **ومن الحقائق الثابتة أن العلم يدعو للايمان .. وأن الله سبحانه وتعالى يتجلى فى ضوء العلم** ، على أن الاسئلة التى خطرت للناس فى مسير تفكيرهم لتستحق الذكر .. وقد كان ما يلى يعد جانبا من هذه الاسئلة التى خطرت للمواطن الافريقى لجنوب الصحراء :

- **مسالة وجود الاله الواحد ؟..**
- **هل هناك نظام قدسى فى العالم المرئى .. وفى العالم غير المرئى المجهول ؟**
- **من الذى صنع الكون .. ولماذا .. وأين ومتى ظهرت المخلوقات والاشياء الحية على الارض ؟**
- **ماذا هو الانسان والى اى نهاية قد تواجد .. بل ماذا هى علة تواجده ؟**

● **ماذا هى الروح ؟. وهل يعيش الانسان بعد الموت ؟**

● **وفى ايجاز .. ماذا هو معنى الحياة ؟**

● **لماذا كان الانسان .. والعلم .. والى أى مصير يسير الاثنان ؟**

والواقع أن هذه الاسئلة قد شغلت المفكرين طوال العصور التاريخية المسطورة للناس ، ولقد عرفنا أن الكثير من الحكماء فى هذه العصور التاريخية المعرقة فى القدم قد اجابوا على أغلب هذه الاسئلة ، ولقد عرفنا من السجلات القديمة على الاحجار وعلى البردى وغير هذا من وسائل التسجيل القديمة عرفنا ان الاغريق والرومان وقبلهما المصريون القدامى وأهل بابل وفارس .. وقدامى حكماء الناس فى الصين والهند قد حاولوا الاجابة على هذه الاسئلة ، **ولكن الشىء الذى كان مجهولا حتى توافرت الادلة عليه هو أن الناس من سكان افريقية الاستوائية قد اعملوا الفكر وعنوا بالبحث فى هذه الاسئلة لعصور طويلة ، وأنهم قد اجابوا على الكثير منها بقدر يشرف احكم الحكماء فى أى عصر من عصور التاريخ .**

وتقديم هذه الادلة وللتعرض لمختلف الاراء بشأنها قد يتطلب مجلدات ضخمة .. ومن ثم فقد يكون الافضل ـ على ما رأى المؤلف نفسه ـ عرض ما سجل من هذه المعتقدات التى جاءت من أعماق افريقية القارة المتوهجة التى وصفت لقرون طويلة « بالسواد » ..

٣ ـ الافريقيون فى قلب القارة وعقيدتهم فى قدرة الله وواسع علمه :

ولا يجتذب انتباهنا فيما نعرف الان عما يتوافر لسكان افريقية الاستوائية من معلومات عن العقائد والديانات وما لهم من آراء خاصة عن نظام الكون وعن القوانين العامة المسيطرة على العالم ، لا يجتذب انتباهنا من هذا كله أو على وجه آخر لا يستثير دهشتنا منه بأكثر مما نجد فى نظريات الافريقيين الوثنيين عن الله .. وعن أصل العالم وعن طبيعة الانسان ومصيره ونهايته .

ومع أن أغلب ما نجد فيه الكشف عن هذه الاشياء كلها انما هو دراسات مطبوعة نعتبر حديثة نسبيا فان عددا منها لا يرجع الى ابعد من مائتين او ثلاثمائة سنة الا أن فى الواقع أن أهم هذه الدراسات عن معلومات الوثنيين الافريقيين عن الله سبحانه وتعالى وعن الكون وعن الانسان هما دراستان ترجع أولاهما الى الالف الاولى والثانية الى الالف الثانية قبل بدء العصر المسيحى وان كانتا لم تنشر الا فى تاريخ متأخر بعد الميلاد بكثير .

ومن أولى التقارير التى أجملت هاتين الدراستين تقرير للدكتور أولفرت دابر وهو المطبوع لاول مرة فى امستردام سنة ١٦٦٨ ميلادية والذى يعتبر واحدا من أصدق الدراسات الموثوق بها عن الممالك والثقافات فى افريقية الاستوائية ، وقد جمع هذا التقرير دراسات الاوروبيين المعاصرين عن سكان مملكة (بنين) ، والتى كانت واحدة من أقوى الممالك الافريقية القديمة على ساحل غينيا ويقول التقرير عن هؤلاء الناس « **انهم أناس يتصفون بالاتزان والحكمة يعيشون فى سلام ووئام فى ظل قوانين محترمة وعدالة متوافرة ، وأنهم يعرفون أن الله قد خلق السموات والارض وانه يحكمهما** » .

وبعد جيل آخر جاء هولندى آخر هو دافيد فان نييتديل تحدث هو الاخر حديث شاهد عيان عن مملكة بنين وقدم تفصيلا ضافيا عن الاعتقاد فى الله

وفى الوقت الذى كان فيه الاسقف الامريكى يكتشف هذه المعتقدات فى غربى افريقية كان مستكشف ومبشر آخر هو دافيد ليفنجستون يكتشف حقائق مماثلة بين الوطنيين فى جنوب القارة ، ولقد كتب عن الناس الذين يعيشون على شاطىء نهر الزمبيزى وانه تتوافر لهم فكرة عن « كائن أعلى » يعتبره الوطنيون (!!) « **الصانع لكل شىء المتحكم فى مصيره** » ، وذكر عن القبائل المجاورة أنه عند ما سأل عن مدى معرفتهم « **بوجود الله وعن الخير والشر وعن بقاء الروح بعد الموت** » أجابوه

بأنه لم يحدث قط أن كان الناس على غير دراية بكل هذا حتى من عصور معرقة فى القدم » والواقع أنه لا مبالغة فى القول بأنه لم يحدث قط أن كان الناس يجهلون هذا الذى حدثهم به ليفنجستون ، وذلك لان مسجلى التاريخ البرتغاليين الذين زاروا تلك الاصقاع أو كتبوا عنها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر يؤكدون أن كل هذه المعرفة كانت متواترة بين السكان على الاقل لما قبل زيارة ليفنجستون لهم بثلاثمائة سنة.

واحد هؤلاء المسجلين القدامى كان دمياو دوجويس (١٥٠١ — ١٥٧٣) وقد كتب كثيرا عن انتشار الاعتقاد فى « الكائن الاعلى » ، وقد تولى دمياو » مركز الامين الاول للمحفوظات فى مملكة البرتغال من ١٥٤٦ الى ١٥٧١ ، ومع أنه هو نفسه لم يذهب الى هذا الجزء من افريقية الذى كتب عنه الا أنه نقل الكثير من السجلات المسطورة التى كانت بين وثائق المحفوظات والتى سجلت دراسات مواطنيه الذين زاروا تلك البلاد ، على أن الذى يعنينا هنا أن نذكره على التخصيص هو أن دمياو فى كتابه (الذى ترجمه تيل والذى طبع بلندن سنة ١٨٩٩ بعنوان « سجلات جنوب شرقى افريقية ») انما يكتب عن جزء جديد من القارة هو الجنوب الشرقى منها ، ويقول أن الناس يعتقدون فى اله واحد هو الذى خلق كل شىء وهم يمجدونه ويصلون له » .

ومعنى هذا أن الاعتقاد بالله الخالق المكون بمن فيه وما فيه ومصائر هذا كله ، ثم ان الايمان بالخير والشر والبقاء للروح بعد الموت كان — جملة وتفصيلا ينتشر بين الافريقيين الوثنيين فيما وراء حواف الصحراء وهضبة البحيرات منذ عصور معرقة فى القدم لا فرق بين شرقى القارة وغربيها فى المناطق التى لم تصلها الديانات السماوية الا فى عصر متأخر كثيرا عن بزوغ هذه الديانات فى أماكن نشأتها الاولى ..

٤ — دراسات المحدثين :

على أن كل هذه الدراسات التى أشرنا اليها والتى كانت من منتصف القرن التاسع عشر أو ما قبله لم تلبث أن أكدت منها الدراسات الحديثة فى عصر متأخر والتى قام بها الباحثون فى مختلف مناطق اقامة الوثنيين فى قارة أفريقية .

والواقع أنه قد يكون من الافضل ان نقدم هنا بعض التحقيقات التى قام بها اثنان أو ثلاثة من المحدثين والذين يمكن أن نقدم دراساتهم النموذج العام للاحظات غالبية الذين عنوا بدراسة هذه المعتقدات فيما درسوا من نواحى الانثروبولوجية الاجتماعية ، واحد أولئك الباحثين المحدثين الذين عاشوا فى الحقبات الاخيرة من القرن التاسع عشر والحقبات الاولى من القرن العشرين والذين مكنوا العالم الغربى من تفهم الصورة الحقيقية لديانات ومعتقدات المواطنين الافريقيين كان موريس ديلافوس (١٨٧٠ — ١٩٢٦) ، ولقد كان ديلافوس حتى وفاته أقدر العلماء الفرنسيين دراية بالشئون الافريقية وبخاصة تاريخ غربى افريقية وحياة الناس فيها وثقافتهم ، ولقد كتب ديلافوس عدة دراسات جديرة بالتقدير والاعجاب وخاصة النواحى الفلسفية والميتافيزيقية منها ، ويشير ديلافوس الى انه لكى يتفهم الانسان حقيقة او بمعنى ادق الطبيعة الحقيقية لنظرية الوثنى الافريقى عن الله سبحانه وتعالى يجب ان يبقى دائما نصب عينيه الدور الهام الذى تلعبه فى فكر الفرد وفى فكر الجماعة ، ويوضح ان هذه « **الباطنية الدينية** » انما تسود تماما نظرة الافريقى الزنجى لا الى العالم الدنيوى فحسب بل الى ما وراء هذا لخارج نطاق العالم المرئى منه ، والوثنى الافريقى يرى العالم الدنيوى الذى يراه ويلمسه ويحس به انما هو جزء صغير جدا بالنسبة للعالم الذى يراه .

وعلى مثال ما قال مونجوبارك الذى جال فى منطقة أوسع من المنطقة التى وقف عليها ديلافوس دراساته وابحاثه ، فان ديلافوس قد وجد اعتقادا عاما بين كل السكان عن « كائن أعلى » يمكن ان نقول فى التعريب للفظ الاصلى « **قوة عليا القوة الخالقة لكلا**

العالمين المرئى وغير المرئى .. المعلوم والمجهول على السواء .. **وهذه « القوة » هى المصدر لكل قوة والمصدر لكل قانون** يدور هذا الكون فى ظله وتحت سلطانه .

على ان « الكسندر لاهيريس » مواطن ديلافوس ومعاصره فى دراسته عن « داهومى » ابرز الى الضوء عدة حقائق تؤكد الكثير مما خرج به ديلافوس عن الطابع المتيافيزيائى ، على أن الطريف أن الناس فى وصفهم لهذه « القوة العليا » **يطلقون عليها صفات على مثال ما يطلق على الله سبحانه وتعالى من صفات ومسميات « القوه » و « الرحمة » و « العدل » و « الحكمة »** .

ومن بين العلماء الاعلام الذين عملوا فى ميدان البحث الدكتور **«ديدريش ويسترمان»** من جامعة برلين والذى قام بدور قيادى فى الكشف عن الطابع « المتيافيزيائى » فى الفكر الافريقى ، وفى كتاباته ــ مع الاشارة بخاصة الى غرب افريقية الذى كان صقل اكثر بحوثه العملية فى هذا الميدان ــ اشار مع بعض التعليق الطويل الضافى الى آراء الوثنى الزنجى عن هذه « القوة العليا » وعن علاقة الله بالعالم وبالانسان .

وتبعا لما حققه من نتائج دراساته فى هذا الركن من افريقية فان الناس يعتبرون هذه « القوة العليا » هى « الخالق .. الموجه .. الحافظ للعلم ، ولكل شىء فى العالم » « وهو فوق كل شىء .. وهو فى كل مكان » **« وكل شىء يرجع بوجوده اليه بما فيه هؤلاء البشر الذين هم ابناؤه لان هؤلاء البشر ليسوا ابناء الارض التى يعيشون على سطحها »** .

ــ ٥ ــ

الاصل لنشوء عقائد عبادة الاسلاف

ولكن فكرة الافريقى عن الله الخالق لم تخل من طريف هو الطابع الغيبى « جزء الفلسفة الغيبية » الذى كان لهذه الفكرة والذى وثب الى مكان الصدارة فى هذا التفكير ، وقد صحب هذا الطابع الغيبى فى اسامه بالتفكير فى طبيعة ومصير الانسان .

وهنا نعود ثانية الى ابحاث الفرنسى موريس ديلافوس ، والى ابحاث عالم انجليزى من علماء الانثروبولوجيا باكسفورد هو الاستاذ اموری تالیوت .

فعلى ما يقول ديلافوس ان الافريقى **ينظر الى الكائن البشرى على انه اكثر بكثير من مجرد اللحم والدم والعظام** اى الاشياء التى يظهر ان الجسم البشرى يتكون منها ، فالجسم البشرى ، المتعرض للفناء يعود بعد الموت عاجلا او آجلا الى المواد الاصلية التى صنع منها ، ولكن هذه الاشياء التى لها مادياتها لهى الجزء الاقل قيمة فى جملة الانسان البشرى ، اما ماهو اكثر اهمية فاكبر قيمة مالا ماديات له .. وما لايرى .. وهنا نخرج بفكرة الافريقى عن الشيئيين اللذين لا واقع ماديا لهما واللذين يعيشان داخل الجسم البشرى مدة الوجود الدنيوى للانسان .

وهذان الشيئان يشتركان فى شىء واحد هو انهما غير مرئيين ولكنهما فيما عدا هذا يختلفان فى كل شىء .

ونحن نعرفهما هنا فى لغة « الماندنجو » الشعب الذى كانت دراسات ديلافوس معنية به وهما « ديا » و « نيا » و « ديا » فى التعريف الافريقى هى « النفس ــ التنفس » ، الولادة ؟ ولا تنفصل عن الجسم البشرى طوال الحياة على الارض فهى التى تبعث فى الجسم البشرى الحياة ، والفكرة هنا ناقصة لان الحياة فى الواقع موجودة فى الجنين قبل مولده ,, وان كانت هى فى الواقع التى تسيطر عليه .

على ان القوة التى توجد فى الانسان البشرى « الارادة والذكاء » **أو بمعنى آخر القوة التى توجه وتسيطر على عمليات « ديا » هى الشىء الاخر الذى يقال له « نيا » ، لنيا تسيطر على كل تصرفات الانسان وعمله وتوجهه طوال حياته البشرية ، ولكن لهذه « النيا » كيانها ووجودها ثم تدخل الجسم البشرى اثناء تكون الجنين فى رحم الام .**

على انه بالاضافة الى توجيه استخدام القوة الحيوية التى تنقلها الـ « ديا » الى

الجسم فانه من المظنون ايضا ان الـ « نيا » تسيطر على العناصر المادية الاخرى التى تبنى داخل الكيان الجسمانى قبل وبعد مولد الفرد ، ومعنى هذا ان الـ « نيا » ليست مسئولة فقط عن التطور الصحيح للجنين البشرى ، بل انها لمسئولة ايضا عن توجيه وظائفه البدنية ونشاطه الايجابى طوال حياته على الارض .

ويؤكد لنا ديلافسوس ان « الماندينجو » يعتقدون بان معامل او مفاعل الـ « نيا » ليس موجودا قبل الجسم البشرى الذى لايربط نفسه به فى أيام الحمل المستكن فحسب بل انه يظل باقيا بعد هذا التغيير الذى نطلق عليه اسم « الموت » .

ويقال أن الـ « نيا » تحتفظ بهذا التجرد من الكيان المادى احتفاظها باثرها المعنوى فى فترة الاقامة القصيرة التى يبقى فيها الجسم البشرى فى العالم الظاهرى اى أن يبقى حيا .

ويؤكد الماندنيجو انه « بعد الموت » عندما تتحرر الـ « نيا » من مسئولية توجيه العلاقة بين العوامل الحاسمة وبين الجسم المادى فانها تكون اكبر قوة فى حالتها المتجردة اقوى مما كانت وهى فى فترة الحياة الارضية « والاهم » انها لا تبقى دائما على دراية بشئون البيئة الارضية والناس الذين ارتبطت بهم فى وجودها الجسمانى فحسب ، بل ان لها طاقة — على الاقل وتحت ظروف معينة — على ان تعيد الاتصال بالناس الذين خلفتهم وراءها ، وعن طريق هذه القوة يمكن ان تمد هذه الشخصية المجردة من الجسم الادمى الارضى الظاهر يد المعونة فى جميع الشئون الخاصة بالافراد الاحياء من افراد الاسرة أو المجتمع الاسرة التى كانت من عداد افرادها اثناء حياتها والمجتمع الذى عاشت وسط بنيه .

ولا شك ان مثل هذه الافكار هى التى أسهمت فى نشوء وتطور عبادة الاسلاف ، كما كان الاصل للعقيدة القديمة **لتجسيم طابع التقدير ولا اقول التالبه** لمن ماتوا من الابطال والملوك والاشخاص الذين عرفوا الخير .

— ٧ —

تالبوت ومسالة الاقسام الخمسة التى تكون الانسان

وهنا يجب أن ننتقل الى دراسة عالم آخر من علماء علم « الانسان واعماله » هو الاستاذ تالبوت : وان كانت اهم دراساته قد تمت فى الجزء الجنوبى من نيجيريا فيقول :

« يعتقد الناس ان الانسان البشرى مكون من خمسة اشياء منفصلة عن بعضها وان كانت وثيقة الصلة ببعضها بعضا ، **اولها : الجسم البشرى** ، ثم الجسم الاثيرى **أى المشاعر** ثم الجسم العقلى **أى التفكير ، ورابعها النطاق الروحى** ، واخيرا يجىء الجسم الخامس أو القسم الخامس وهو عامل لم يجد له اسما واحدا صالحا ومن ثم قال عنه **« ما هو فوق النفس »** .

ويقول تالبوت ان الناس يعتبرون الجسم البشرى القسم الظاهر الملموس من الانسان هو اقل هذه الاقسام قيمة واقلها اهمية لانه هو مجرد اطار مادى تعمل داخله الاجسام الاربعة الاخرى ما دام الجسم البشرى على قيد الحياة ، وينتهى هذا الاطار بانتهاء الحياة أى بالموت .

على ان الافريقى الاسود — على ما يقول تالبوت — يرى ان الجسم الثانى **أو الجسم الاثيرى** (المشاعر) يموت هو الاخر بانتهاء الحياة .. فلم يعد من سبيل للحس ، فهو اذن قسم وقتى كيانه مثل كيان الجسم الظاهرى المادى يتعرض بدوره للانتهاء فهو بمثابة العربة التى تحمل القوة الحية فى الجسم البشرى طوال بقاء الجسم البشرى على وجه الارض .

اما الجسم العقلى ، القسم الوعيى الادراكى فى الانسان **فهو لا يتعرض للفناء ..** مثله مثل الجسم الروحى الذى لايموت لان

الله يبعثه فى الانسان .. فاذا ما قضى على الانسان بالموت **بقيت الروح حية .**

ولم يستطع تالبوت ان يعرض نظريات الوطنيين الافريقيين وعقائدهم بالنسبة للجانب الخامس من الانسان ، اى « ما هو فوق النفس » او بمعنى ادق ما اطلقوا عليه بلغتهم « الشعلة المقدسة » والتى هى ومضة من الومضات القدسية التى تملا الكون المرئى وغير المرئى ، ومن ثم فهى لاتتكامل اطلاقا ضمن الجسم الفانى الزائل بل تبقى دائما جزءا من عالم اكبر وابعد ، ثم انها تظل باستمرار فى حال روحية نقية .. ولهذا فانها ترسل سيلا من الوعى ينفذ من طبقات العالم المرئى حتى تصل الى الارض فتتصل بهؤلاء الذين كانت لها بهم صلات واى صلات ، فمن طريق هذا السيل من الوعى الروحى يمكن للانسان ان يحقق الكمال والنجاح ، فهذه الومضة المقدسة لا تبعث للانسان الحى المعونة السماوية فحسب ، بل انها لتعاونه فى جهوده توجهه وتقوده وترشده الى ما هو من صالحه .. والاهم انها تعاونه لتحقيق الكمال الروحى المعتقد بانه هو الاصل فى الحياة .

ولم يحدثنا تالبوت بما يحدث للانسان اذا تخلت عنه هذه **الروح والتى هى الومضة المقدسة** التى توجهه ، ولكنه يعرض لنا فى تأكيد العقيدة العامة بان كل فرد يستطيع فى طلاقة ان يحدد لنفسه المدى الذى ينتفع فيه من معونة هذه الروح الملهمة التى تهبط عليه من عل ، أو على ما يطلق عليها الناس بلغتهم « شى » انما تبقى أفكار وأعمال الانسان البشرى تحت رقابتها حتى ولو حاول الانسان التحرر من قوتها ومن ثم فان هذه الروح تلقى نصيبها من الجزاء او العقاب تبعا لما توجه الى الانسان فى حياته الارضية من خير أو شر .

ومسألة الجزاء والمقاب لتستحق التقدير . ولقد اثبتت كل الدراسات التى تمت فى مختلف انحاء قارتنا الافريقية على أن الناس دون ما استثناء يعتقدون فى عدالة وحكمة القوة الخالقة ، وما يمكن ان يبدو سوء حظ انما هو فى الحقيقة على نقيض ذلك ، للا سبب الا أن هذا كله انما يخضع لقوانين **كارما** قوانين القوة التى تعمل اصلا لصالح الانسان .

وهكذا فان كل مايبدو سوء حظ .. أو على ما يقول تالبوت « **ظلما** » وما يحدث من عمل غير حكيم انما هو نتيجة خطأ الانسان نفسه ..

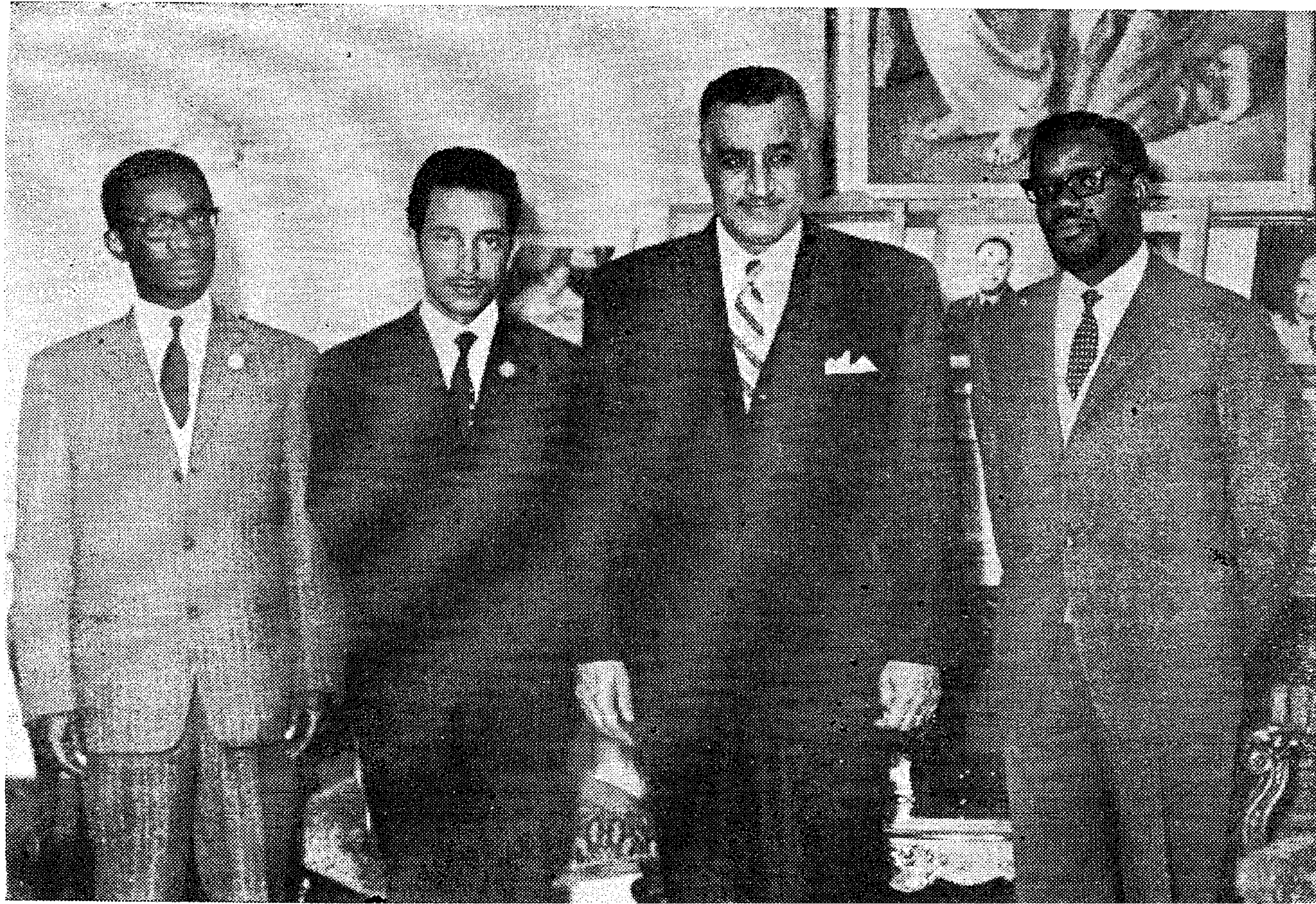
وهكذا نصل الى الاعتقاد الهام ، الاعتقاد بانه ليس فى العالم ما يحدث بمحض الصدفة ان كل شىء انما يتم بارادة الله بارادة «القوة العليا» ، فالروح لا تجرى الا بالرخاء ومصائر الناس ليست نتيجة قوة مغمضة العينين ، وان كل حادث فى حياة الانسان انما هو من نتائج عمليات القانون المقدس .

واعتقد انه ليس بعد هذا من سبيل للمزيد ..

عبد الفتاح ابراهيم

فهرس موضوعي لمجلة نهضة افريقية

اقتصاد



« الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل السيد جوهانس سافيمبي وزير خارجية أنجولا »

ISSUE No. 75 SEVENTH YEAR FEVRIER 64 PRICE 3. P.T.

RENAISSANCE OF Africa

